الفتوحات المكية

محيي الدين ابن عربي المكنى بأبي بكر والمعروف بالحاتمي الطائي ،ولد في مرسية بالأندلس عام 1165 م وتوفي في دمشق عام 1240 م

المجلد الأول مقدمة الكتاب

الفصل الأول في معرفة الحامل القائم باللسان الغربي

قام الإمام المغربي وقال لي التقدم من أجل مرتبة علمي فالحكم في الأوليات حكمى فقال له الحاضرون تكلم وأجوز وكن البليغ المعجز فقال اعلموا أنه ما لم يكن ثم كان واستوت في حقه الأزمان إن المكون يلزمه في الآن ثم قال كل ما لا يستغنى عن أمر ما فحكمه حكم ذلك الأمر ولكن إذا كان من عالم الخلق والأمر فليصرف الطالب النظر إليه وليعول الباحث عليه ثم قال من كان الوجود يلزمه فإنه يستحيل عدمه والكائن و لم يكن يستحيل قدمه ولو لم يستحل عليه العدم لصحبه المقابل في القدم فإن كان المقابل لم يكن فالعجز في المقابل مستكن وإن كان كان يستحيل على هذا الآخر كان ومحال أن يزول بذاته لصحة الشرط وأحكام الربط ثم قال وكل ما ظهر عينه و لم يوجب حكماً فكونه ظاهراً محال فإنه لا يفيد علما ثم قال ومن المحال عليه تعمير المواطن لأن رحلته في الزمن الثاني من زمان وجوده لنفسه وليس بقاطن ولو جاز أن ينتقل لقام بنفسه واستغنى عن المحل ولا يعدمه ضد لا تصافه بالفقد ولا الفاعل فإن قولك فعل لا شيء لا يقول به عاقل ثم قال من توقف وجوده على فناء شيء فلا وجود له حتى يفنى فإن وجد فقد فنى ذلك الشيء المتوقف عليه وحصل المعنى من تقدمه شيء فقد انحصر دونه وتقيد ولزمه هذا الوصف ولو تأبد فقد ثبت العين بلامين ثم قال ولو كان حكم المسند إليه حكم المسند لما تناهى العدد ولا صح وجود من وجد ثم قال ولو كان ما أثبتناه يخلى ويملى لكان يبلى ولا يبلى ثم قال ولو كان يقبل التركيب لتحلل أو التأليف اضمحل وإذا وقع التماثل سقط التفاضل ثم قال ولو كان يستدعي وجوده سواه ليقوم به لم يكن ذلك السوى مستند إليه وقد صح إليه استناده فباطل أن يتوقف عليه وجوده وقد قيده إيجاده ثم إنه وصف الوصف محال فلا سبيل إلى هذا العقد بحال ثم قال الكرة وإن كانت فانية فليست ذات ناحية إذا كانت الجهات إليّ فحكمها عليّ وأنا منها خارج عنها وقد كان ولا أنا ففيم التشغيب والعنا ثم قال كل من استوطن موطناً جازت عنه رحلته وثبتت نقلته من حاذى بذاته شيأ فإن التثليث يحده ويقدره وهذا يناقض ما كان العقل من قبل يقرّره ثم قال لو كان لا يوجد شيء إلا عن مستقلين اتفاقاً واختلافاً لما رأينا في الوجود افتراقاً وائتلافا والمقدر حكمه حكم الواقع فإذن التقدير هنا للمنازع ليس بنافع ثم قال إذا وجد الشيء في عينه جاز أن يراه ذو العين بعينه المقيدة بوجهه الظاهر وجفنه وما ثم علة توجب الرؤية في مذهب أكثر الأشعرية إلا الوجود بالبنية وغير البنية ولابدّ من البنية ولو كان الرؤية تؤثر في المرئي لأحلناها فقد بانت المطالب بأدلتها كما ذكرناها ثم صلى وسلم بعد ما حمد وقعد فشكره الحاضرون على إيجازه في العبارة واستيفائه المعاني في دقيق الإشارة.

الفصل الثاني في معرفة الحامل المحمول اللازم باللسان المشرقي

ثم قام المشرقي وقال تكوين الشيء من الشيء ميل وتكوينه لا من شيء اقتدار الأزل ومن لم يمتنع عنك فقدرتك نافذة فيه و لم تزل ثم قال إيجاد أحكام في محكم يثبت بحكمه وجود علم المحكم ثم قال والحياة في العالم شرط لازم ووصف قائم ثم قال الشيء إذا قبل التقدم والمناص فلابد من مخصص لوقوع الاختصاص وهو عين الإرادة في حكم العقل والعادة ثم قال ولو أراد المريد بما لم يكن لكان

ما لم يكن مراداً بما لم يكن ثم قال من المحال أن توجب المعاني أحكامها في غير من قامت به فانتبه ثم قال من تحدث في نفسه بما مضى فذلك الحديث ليس بإرادة به حكم الدليل على الكلام وقضى ثم قال القديم لا يقبل الطاريء فلا تمار ولو أحدث في نفسه ما ليس منها لكان بعدم تلك الصفة ناقصاً عنها ومن ثبت كماله بالعقل والنص فلا ينسب إليه النقص ثم قال لو لم يبصرك و لم يسمعك لجهل كثيراً منك ونسبة الجهل إليه محال فلا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين عنه بحال ومن ارتكب القول بنفيهما ارتكب مخوفاً لما يؤدي إلى كونه مؤوفا ثم قال من ضرورة الحكم أن يوجبه معنى كما من ضرورة المعنى الذي لا يقوم بنفسه استدعاء مغن فيا أيها المجادل كم ذا تتعنى ما ذاك إلا لخوفك من العدد وهذا لا يبطل حقيقة الواحد والأحد ولو علمت أن العدد هو الأحد ما شرعت في منازعة أحد فهذا قد أبنت عن الحامل المحمول العارض واللازم في تقاسيم هذه المعالم ثم قعد.

الفصل الثالث في معرفة الإبداع والتركيب باللسان الشامي

ثم قام الشامي وقال إذا تماثلت المحدثات وكان تعلق القدرة بها لمجرد الذات فبأي دليل يخرج منها بعض الممكنات ثم قال لما كانت الإرادة تتعلق بمرادها حقيقة و لم تكن القدرة الحادثة مثلها لاختلال في الطريقة فذلك هو الكسب فكسب العبد وقدر الرب وتبيين ذلك بالحركة الاختيارية والرعدة الاضطرارية ثم قال القدرة من شرطها الإيجاد إذا ساعدها العلم والإرادة فإياك والعادة كل ما أدى إلى نقص الألوهة فهو مردود ومن جعل في الوجود الحادث ما ليس بمراد الله فهو من المعرفة مطرود وباب التوحيد في وجهه مسدود وقد يراد الأمر ولا يراد المأمور به وهو الصحيح وهذا غاية التصريح ثم قال من أوجب على الله أمراً فقد أوجب عليه حد الواجب وذلك على الله محال في صحيح المذاهب ومن قال بالوجوب لسبق العلم فقد خرج عن الحكم المعروف عند العلماء في الواجب وهو صحيح الحكم ثم قال تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً وقد عاينا ذلك مشاهدة ونقلاً ثم قال من لم يخرج شيء على الحقيقة عن ملكه فلا يتصف بالجور والظلم فيما يجريه من حكمه في ملكه ثم قال من هو مختار فلا يجب عليه رعاية الأصلح وقد ثبت ذلك وصح التقبيح والتحسين بالشرع والغرض ومن قال أن الحسن والقبح لذات الحسن والقبيح فهو صاحب جهل عرض ثم قال إذا كان وجوب معرفة الله وغير ذلك من شرطه ارتباط الضرر بتركه في المستقبل فلا يصح الوجوب بالعقل لأنه لا يعقل ثم قال إذا كان العقل يستقل بنفسه في أمر وفي أمر لا يستقل فلابد من موصل إليه مستقل فلم تستحل بعثة الرسل وأنهم أعلم الخلق بالغايات والسبل ثم قال لو جاز أن يجيء الكاذب بما جاء به الصادق لانقلبت الحقائق ولتبدلت القدرة بالعجز ولاستند الكذب إلى حضرة العز وهذا كله محال وغاية الضلال بما ثبت الواحد الأول يثبت الثاني في جميع الوجوه والمعاني.

الفصل الرابع في معرفة التخليص والترتيب باللسان اليمني

ثم قام اليمني وقال من أفسد شيأ بعد ما أنشأه جاز أن يعيده كما بدأه ثم قال إذا قامت اللطيفة الروحانية بجزء ما من الإنسان فقد صح عليه اسم الحيوان النائم يرى ما لا يراه اليقظان وهو إلى جانبه لاختلاف مذاهبه من قامت به الحياة جازت عليه اللذة والألم فمالك لا تلتزم ثم قال البدل من الشيء يقوم مقامه ويوجب له أحكامه ثم قال من قدر على إمساك الطير في الهواء وهي أجسام قدر على أمساك جميع الأجرام ثم قال قد كملت النشاة واجتمعت أطراف الدائرة قبل حلول الدائرة ثم قال إقامة الدين هو المطلوب ولا

يصح إلا بالأمان فاتخاذ الإمام واجب في كل زمان ثم قال إذا تكاملت الشرائط صح العقد ولزم العالم الوفاء بالعهد وهي الذكورية والبلوغ والعقل والعلم والحرية والورع والنجدة والكفاية ونسب قريش وسلامة حاسة السمع والبصر وبهذا قال بعض أهل العلم والنظر ثم قال إذا تعارض إمامان فالعقد للأكثر اتباعه وإذا تعذر خلع إمام ناقص لتحقق وقوع فساد شامل فإبقاء العقد له واجب ولا يجوز ارداعه قال الشادي فوفى كل واحد من الأربعة ما اشترط وانتظم الوجود وارتبط وصل في اعتقاد أهل الاختصاص من أهل الله بين نظر وكشف الحمد لله محير العقول في نتائج الهمم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

"مسألة" أما بعد فإن للعقول حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة فنقول في الأمر الذي يستحيل عقلاً قد لا يستحيل نسبة إلهية كما نقول فيما يجوز عقلاً قد يستحيل نسبة إلهية "مسئلة" أية مناسبة بين الحق الواجب الوجود بذاته وبين الممكن وإن كان واجباً به عند من يقول بذلك لاقتضاء الذات أو لاقتضاء العلم ومآخذها الفكرية إنما تقوم صحيحة من البراهين الوجودية ولابدّ بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له نسبة إلى الدليل ونسبة إلى المدلول عليه بذلك الدليل ولولا ذلك الوجه ما وصل دال إلى مدلول دليله أبداً فلا يصح أن يجتمع الخلق والحق في وجه أبداً من حيث الذات لكن من حيث أن هذه الذات منعوتة الألوهة فهذا حكم آخر تستقل العقول بإدراكه وكل ما يستقل العقل بإدراكه عندنا يمكن أن يتقدم العلم به على شهوده وذات الحق تعالى بائنة عن هذا الحكم فإن شهودها يتقدم على العلم بها بل تشهد ولا تعلم كما أن الألوهة تعلم ولا تشهد والذات تقابلها وكم من عاقل ممن يدعي العقل الرصين من العلماء النظار يقول أنه حصل على معرفة الذات من حيث النظر الفكريّ وهو غالط في ذلك وذلك لأنه متردّد بفكره بين السلب والإثبات فالإثبات راجع إليه فإنه ما أثبت للحق الناظر إلا ما هو الناظر عليه من كونه عالماً قادراً مريداً إلى جميع الأسماء والسلب راجع إلى العدم والنفي لا يكون صفة ذاتية لأن الصفات الذاتية للموجودات إنما هي ثبوتية فما حصل لهذا المفكر المتردد بين الإثبات والسلب من العلم بالله شيء "مسئلة" أنى للمقيد بمعرفة المطلق وذاته لا تقتضيه وكيف يمكن أن يصل الممكن إلى معرفة الواجب بالذات وما من وجه للممكن إلا ويجوز عليه العدم والدثور والافتقار فلو جمع بين الواجب بذاته وبين الممكن وجه لجاز على الواجب ما جاز على الممكن من ذلك الوجه من الدثور والافتقار وهذا في حق الواجب محال فإثبات وجه جامع بين الواجب والممكن محال فإن وجوه الممكن تابعة له وهو في نفسه يجوز عليه العدم فتوابعه أحرى وأحق بهذا الحكم وثبت للممكن ما ثبت للواجب بالذات من ذلك الوجه الجامع وما ثم شيء ثبت للممكن من حيث ما هو ثابت للواجب بالذات فوجود وجه جامع بين الممكن والواجب بالذات محال "مسئلة" لكني أقول أن للألوهة أحكاماً وإن كانت حكماً وفي صور هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة حيث كان فإنه قد اختلف في رؤية النبي عليه السلام ربه كما ذكر وقد جاء حديث النور الأعظم في رفرف الدر والياقوت وغير ذلك.

"مسألة" أقول بالحكم الإرادي لكني لا أقول بالاختيار فإن الخطاب بالاختيار الوارد إنما ورد من حيث النظر إلى الممكن معرى عن علته وسببيته "مسئلة" فأقول بما أعطاه الكشف الاعتصامي أن الله كان ولا شيء معه إلى هنا انتهى لفظه عليه السلام وما أتى بعد هذا فهو مدرج فيه وهو قولهم وهو الآن على ما عليه كان يريدون في الحكم فالآن وكان أمران عائدان علينا إذ بنا ظهرا وأمثالهما وقد انتفت المناسبة والمقول عليه كان الله ولا شيء معه إنما هو الألوهة لا الذات وكل حكم يثبت في باب العلم الإلهيّ للذات إنما هو للألوهية وهي أحكام نسب وإضافات وسلوب فالكثرة في النسب لا في العين وهنا زلت أقدام من شرّك بين من يقبل التشبيه

وبين من لا يقبله عند كلامهم في الصفات واعتمدوا في ذلك على الأمور الجامعة التي هي الدليل والحقيقة والعلة والشرط وحكموا بها غائباً وشاهداً فأما شاهداً فقد يسلم وأما غائباً فغير مسلم.
"مسألة" بحر العماء برزخ بين الحق والخلق في هذا البحر اتصف الممكن بعالم وقادر وجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا واتصف الحق بالتعجب والتبشش والضحك والفرح والمعية وأكثر النعوت الكونية فردّ ماله وخذ مالك فله النزول ولنا المعراج "مسئلة" من أردت الوصول إليه لم تصل إليه إلا به وبك بك من حيث طلبك وبه لأنه موضع قصدك فالألوهة تطلب ذلك والذات لا تطلبه "مسئلة" المتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى هو الألوهة بأحكامها ونسبها وإضافاتها وهي التي استدعت الآثار فإنّ قاهراً بلا مقهور وقادراً بلا مقدور صلاحية ووجوداً وقوة وفعلاً محال "مسئلة" النعت الخاص الأخص التي انفردت به الألوهة كونها قادرة إذ لا قدرة لممكن أصلاً وإنما له التمكن من قبول تعلق الأثر الإلهي به "مسئلة" الكسب تعلق إرادة للممكن بفعل ما دون غيره فيوجده الاقتدار الإلهي عند هذا التعلق فسمى ذلك كسباً للممكن.
"مسألة" الجبر لا يصح عند المحقق لكونه ينافي صحة الفعل للعبد فإن الجبر حمل الممكن على الفعل مع وجود الإباية من الممكن فالجماد ليس بمجبور لأنه لا يتصوّر منه فعل ولا له عقل عادي فالممكن ليس بمجبور لأنه لا يتصور منه فعل ولا له عقل محقق مع ظهور الآثار منه "مسئلة" الألوهة تقضي أن يكون في العالم بلاء وعافية فليس إزالة المنتقم من الوجود بأولى من إزالة الغافر وذي العفو والمنعم ولو بقي من الأسماء ما لاحكم له لكان معطلاً والتعطيل في الألوهة محال فعدم أثر الأسماء محال "مسئلة" المدرك والمدرك كل واحد منهما على ضربين مدرك يعلم وله قوة التخيل ومدرك يعلم وما له قوة التخيل والمدرك بفتح الراء على ضربين مدرك له صورة يعلمه بصورته من ليس له قوة التخيل ولا يتصوره ويعلمه ويتصوره من له قوة التخيل ومدرك ما له صورة يعلم فقط
"مسئلة" العلم ليس تصور المعلوم ولا هو المعنى الذي يتصور المعلوم فإنه ما كل معلوم يتصور ولا كل عالم يتصور فإن التصور للعالم إنما هو من كونه متخيلاً والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسكها الخيال وثم معلومات لا يمسكها خيال أصلاً فثبت أنها لا صورة لها "مسئلة" لو صح الفعل من الممكن لصح أن يكون قادراً ولا فعل له فلا قدرة له فإثبات القدرة للممكن دعوى بلا برهان وكلامنا في هذا الفصل مع الأشاعرة المثبتين لها مع نفي الفعل عنها "مسئلة" لا يصدر عن الواحد من كل وجه إلا واحد وهل ثم من هو على هذا الوصف أم لا في ذلك نظر للمنصف ألا ترى الأشاعرة ما جعلوا الإيجاد للحق إلا من كونه قادراً والاختصاص من كونه مريداً والأحكام من كونه عالماً وكون الشيء مريداً ما هو عين كونه قادراً فليس قولهم بعد هذا إنه واحد من كل وجه صحيحاً في التعلق العام وكيف وهم مثبتوا الصفات زائدة على الذات قائمة به تعالى وهكذا القائلون بالنسب والإضافات وكل فرقة من الفرق ما تخلصت لهم الوحدة من جميع الوجوه إلا أنهم بين ملزم من مذهبه القول بعدمها وبين قائل بها فإثبات الوحدانية إنما ذلك في الألوهية أي لا إله إلا هو وذلك صحيح مدلول عليه.
"مسألة" كون الباري عالماً حياً قادراً إلى سائر الصفات نسب وإضافات له لا أعيان زائدة لما يؤدي إلى نعتها بالنقص إذ الكامل بالزائد ناقص بالذات عن كماله بالزائد وهو كامل لذاته فالزائد بالذات على الذات محال وبالنسب والإضافة ليس بمحال وأما قول القائل لا هي هو ولا هي أغيار له فكلام في غاية البعد فإنه قد دل صاحب هذا المذهب على إثبات الزائد وهو الغير بلا شك إلا أنه أنكر هذا الإطلاق لا غير ثم تحكم في الحد بأن قال الغيران هما اللذان يجوز مفارقة أحدهما الآخر مكاناً وزماناً ووجوداً وعدماً وليس هذا بحد للغيرين عند جميع العلماء به "مسئلة" لا يؤثر تعدد التعلقات من المتعلق في كونه واحداً في نفسه كما لا يؤثر تقسيم المتكلم

به في أحدية الكلام "مسئلة" الصفات الذاتية للموصوف بها وإن تعددت فلا تدل على تعدد الموصوف في نفسه لكونها مجموع ذاته وإن كانت معقولة في التمييز بعضها من بعض "مسئلة" كل صورة في العالم عرض في الجوهر وهي التي يقع عليها الخلع والسلخ والجوهر واحد. والقسمة في الصورة لا في الجوهر "مسئلة" قول القائل إنما وجد عن المعلول الأول الكثرة وإن كان واحد الاعتبارات ثلاثة وجدت فيه وهي علته ونفسه وإمكانه فنقول لهم دلكم يلزمكم في العلة الأولى أعني وجود اعتبارات فيه وهو واحد فلم منعتم أن لا يصدر عنه إلا واحد فإما أن تلتزموا صدور الكثرة عن العلة الأولى أو صدور واحد عن المعلول الأول وأنتم غير قائلين بالأمرين "مسئلة" من وجب له الكمال الذاتي والغنى الذاتي لا يكون علة لشيء لأنه يؤدي كونه علة توقفه على المعلول والذات منزهة عن التوقف على شيء فكونها علة محال لكن الألوهة قد تقبل الإضافات فإن قيل إنما يطلق الإله على من هو كامل الذات غني الذات لا يريد الإضافة ولا النسب قلنا لا مشاحة في اللفظ بخلاف العلة فإنها في أصل وضعها ومن معناها تستدعي معلولا فإن أريد بالعلة ما أراد هذا بالإله فسلم ولا يبقى نزاع في هذا اللفظ إلا من جهة الشرع هل يمنع أو يبيح أو يسكت "مسئلة" الألوهة مرتبة للذات لا يستحقها إلا الله فطلبت مستحقها ما هو طلبها والمألوه يطلبها وهي تطلبه والذات غنية عن كل شيء فلو ظهر هذا السر الرابط لما ذكرنا لبطلت الألوهة و لم يبطل كمال الذات وظهر هنا بمعنى زال كما يقال ظهروا عن البلد أي ارتفعوا عنه وهو قول الإمام للألوهية سر لو ظهر لبطلت الألوهية "مسئلة" العلم لا يتغير بتغير المعلوم لكن التعلق يتغير والتعلق نسبة إلى معلوم ما مثاله تعلق العلم بأن زيداً سيكون فكان فتعلق العلم بكونه كائناً في الحال وزال تعلق العلم باستئناف كونه ولا يلزم من تغير التعلق تغير العلم وكذلك لا يلزم من تغير المسموع والمرئي تغير الرؤية والسمع.

"مسألة" ثبت أن العلم لا يتغير فالمعلوم أيضاً لا يتغير فإن معلوم العلم إنما هو نسبة لأمرين معلومين محققين فالجسم معلوم لا يتغير أبداً والقيام معلوم لا يتغير ونسبة القيام للجسم هي المعلومة التي الحق بها التغيير والنسبة أيضاً لا تتغير وهذه النسبة الشخصية أيضاً لا تكون لغير هذا الشخص فلا تتغير وما ثم معلوم أصلاً سوى هذه الأربعة وهي الثلاثة الأمور المحققة النسبة والمنسوب والمنسوب إليه والنسبة الشخصية فإن قيل إنما ألحقنا التغير بالمنسوب إليه لكونه رأيناه على حالة ما ثم رأيناه على حالة أخرى قلنا لما نظرت المنسوب إليه أمراً ما لم تنظر إليه من حيث حقيقته فحقيقته غير متغيرة ولا من حيث ما هو منسوب إليه فتلك حقيقة لا تتغير أيضاً وإنما نظرت إليه من حيث ما هو منسوب إليه حال ما فإذن ليس المعلوم الآخر ما هو المنسوب إليه تلك الحالة التي قلت إنها زالت فإنها لا تفارق منسوبها وإنما هذا منسوب آخر إليه نسبة أخرى فإذن فلا يتغير علم ولا معلوم وإنما العلم له تعلقات بالمعلومات أو تعلق بالمعلومات كيف شئت "مسئلة" ليس شيء من العلم التصوري مكتسباً بالنظر الفكري فالعلوم المكتسبة ليس إلا نسبة معلوم تصوري إلى معلوم تصوري والنسبة المطلقة أيضاً من العلم التصوري فإذا نسبت الاكتساب إلى العلم التصوري فليس ذلك إلا من كونك تسمع لفظاً قد اصطلحت عليه طائفة ما لمعنى ما يعرفه كل أحد لكن لا يعرف كل أحد أن ذلك اللفظ يدل عليه فلذلك يسأل عن المعنى الذي أطلق عليه هذا اللفظ أي معنى هو فيعينه له المسؤل بما يعرفه فلو لم يكن عند السائل العلم بذلك المعنى من حيث معنويته والدلالة التي توصل بها إلى معرفة مراد ذلك الشخص بذلك الاصطلاح لذلك المعنى ما قبله وما عرف ما يقول فلا بد أن تكون المعاني كلها مركوزة في النفس ثم تنكشف له مع الأناة حالاً بعد حال "مسئلة" وصف العلم بالإحاطة للمعلومات يقضي بتناهيها والتناهي فيها محال فالإحاطة محال لكن يقال العلم محيط بحقيقة كل معلوم وإلا فليس معلوماً بطريق الإحاطة فإنه من علم أمراً ما من وجه ما لا من جميع الوجوه فما أحاط به "مسئلة" رؤية البصيرة علم ورؤية البصر طريق حصول علم فكون الإله سميعاً

بصيرا تعلق تفصيلي فهما حكمان للعلم ووقعت التثنية من أجل المتعلق الذي هو المسموع والمبصر "مسئلة" الأزل نعت سلبي وهو نفي الأولية فإذا قلنا أول في حق الألوهة فليس إلا المرتبة "مسئلة" دلت الأشاعرة على حدوث كل ما سوى الله بحدوث المتحيزات وحدوث أعراضها وهذا لا يصح حتى يقيموا الدليل على حصر كل ما سوى الله تعالى فيما ذكروه ونحن نسلم حدوث ما ذكروا حدوثه.

"مسألة" كل موجود قائم بنفسه غير متحيز وهو ممكن لا تجري مع وجوده الأزمنة ولا تطلبه الأمكنة "مسئلة" دلالة الأشعري في الممكن الأول أنه يجوز تقدمه على زمان وجوده وتأخره عنه والزمان عنده في هذه المسئلة مقدر لا موجود فالاختصاص دليل على المخصص فهذه دلالة فاسدة لعدم الزمان فبطل أن يكون هذا دليلاً فلو قال نسبة الممكنات إلى الوجود أو نسبة الوجود إلى الممكنات نسبة واحدة من حيث ما هي نسبة لا من حيث ما هو ممكن فاختصاص بعض الممكنات بالوجود دون غيره من الممكنات دليل على أن لها مخصصاً فهذا هو عين حدوث كل ما سوى الله "مسئلة" قول القائل أن الزمان مدة متوهمة تقطعها حركة الفلك خلف من الكلام لأن المتوهم ليس بوجود محقق وهم ينكرون على الأشاعرة تقدير الزمان في الممكن الأول فحركات الفلك تقطع في لا شيء فإن قال الآخران الزمان حركة الفلك والفلك متحيز فلا نقطع الحركة إلا في متحيز "مسئلة" عجبت من طائفتين كبيرتين الأشاعرة والمجسمة في غلطهم في اللفظ المشترك كيف جعلوه للتشبيه ولا يكون التشبيه إلا بلفظة أمثل أو كاف الصفة بين الأمرين في اللسان وهذا عزيز الوجود في كل ما جعلاه تشبيهاً من آية أو خبر ثم إن الأشاعرة تخيلت أنها لما تأولت قد خرجت من التشبيه وهي ما فارقته إلا أنها انتقلت من التشبيه بالأجسام إلى التشبيه بالمعاني المحدثة المفارقة للنعوت القديمة في الحقيقة والحيفا انتقلوا من التشبيه بالمحدثات أصلاً ولو قلنا بقولهم لم نعدل مثلاً من الاستواء الذي هو الاستقرار إلى الاستواء الذي هو الاستيلاء كما عدلوا ولا سيما والعرش مذكور في نسبة هذا الاستواء ويبطل معنى الاستيلاء مع ذكر السرير ويستحيل صرفه إلى معنى آخر ينافي الاستقرار فكنت أقول إن التشبيه مثلاً إنما وقع بالاستواء والاستواء معنى لا بالمستوى الذي هو الجسم والاستواء حقيقة معقولة معنوية تنسب إلى كل ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات ولا حاجة لنا إلى التكلف في صرف الاستواء عن ظاهره فهذا غلط بين لا خفاء به وأما المجسمة فلم يكن ينبغي لهم أن يتجاوزوا باللفظ الوارد إلى أحد محتملاته مع إبهامه ووقوفهم مع قوله تعالى "ليس كمثله شيء" مسئلة كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يريدها لكن قضاها وقدرها بيان كونه لا يريدها لأن كونها فاحشة ليس عينها بل هو حكم الله فيها وحكم الله في الأشياء غير مخلوق وما لم يجر عليه الخلق لا يكون مراداً فإن ألزمناه في الطاعة التزمناه وقلنا الإرادة للطاعة ثبتت سمعاً لا عقلاً فأثبتوها في الفحشاء ونحن قبلناها إيماناً كما قبلنا وزن الأعمال وصورها مع كونها اعراضاً فلا يقدح ذلك فيما ذهبنا إليه لما اقتضاه الدليل "مسئلة" العدم للممكن المتقدم بالحكم على وجوده ليس بمراد لكن العدم الذي يقارنه حكماً حال وجوده أن لو لم يكن الوجود لكان ذلك العدم منسحباً عليه هو مراد حال وجود الممكن لجواز استصحاب العدم له وعدم الممكن الذي ليس بمراد هو الذي في مقابلة وجود الواجب لذاته لأن مرتبة الوجود المطلق نقابل العدم المطلق الذي للممكن إذ ليس له جواز وجود في هذه المرتبة وهذا في وجود الألوهة لا غير.

"مسألة" لا يستحيل في العقل وجود قديم ليس باله فإن لم يكن فمن طريق السمع لا غير "مسئلة" كون المخصص مريد الوجود ممكن ما ليس تخصيصه لوجوده من حيث هو وجود لكن من حيث نسبته لممكن ما تجوز نسبته لممكن آخر فالوجود من حيث

الممكن مطلقاً لا من حيث ممكن ما ليس بمراد ولا بواقع أصلاً إلا بممكن ما وإذا كان بممكن ما فليس هو بمراد من حيث هو لكن من حيث نسبته لممكن ما لا غير "مسئلة" دل الدليل على ثبوت السبب المخصص ودل الدليل مثلاً على التوقيف فيما ينسب إلى هذا المخصص من نفي أو إثبات كما قال لنا بعض النظار في كلام جرى بيني وبينه فكنا نقف كما زعم لكن دل الدليل على ثبوت الرسول من جانب المرسل فأخذنا النسب الإلهية من الرسول فحكمنا بأنه كذا وليس كذا فكيف والدليل الواضح على وجوده وإن وجوده عين ذاته وليس بعلة لذاته لثبوت الافتقار إلى الغير وهو الكامل بكل وجه فهو موجود ووجوده عين ذاته لا غيرها "مسئلة" افتقار الممكن للواجب بالذات والاستغناء الذاتي للواجب دون الممكن يسمى الها وتعلقها بنفسها وبحقائق كل محقق وجوداً كان أو عدماً يسمى علما تعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه يسمى اختياراً تعلقها بالممكن من حيث تقدم العلم قبل كون الممكن يسمى مشيئة تعلقها بتخصيص أحد الجائزين للممكن على التعين يسمى إرادة تعلقها بإيجاد الكون يسمى قدرة تعلقها بأسماع المكون لكونه يسمى أمراً وهو على نوعين بواسطة وبلا واسطة فبارتفاع الوسائط لابد من نفوذ الأمر وبالواسطة لا يلزم النفوذ وليس بأمر في عين الحقيقة إذ لا يقف لأمر الله شيء تعلقها بأسماع المكون لصرفه عن كونه أو كون ما يمكن أن يصدر منه يسمى نهيا وصورته في التقسيم صورة الأمر تعلقها بتحصيل ما هي عليه هي أو غيرها من الكائنات أو ما في النفس يسمى أخباراً فإن تعلقت بالكون على طريق أي شيء يسمى استفهاماً فإن تعلقت به على جهة النزول إليه بصيغة الأمر يسمى دعاء ومن باب تعلق الأمر إلى هذا يسمى كلاماً تعلقها بالكلام من غير اشتراط العلم به يسمى سمعاً فإن تعلقت وتبع التعلق الفهم بالمسموع يسمى فهماً تعلقها بكيفة النور وما يحمله من المرئيات يسمى بصراً ورؤية تعلقها بإدراك كل مدرك الذي لا يصح تعلق من هذه التعلقات كلها إلا به يسمى حياة والعين في ذلك كله واحدة تعددت التعلقات لحقائق المتعلقات والأسماء للمسميات.

"مسألة" للعقل نور يدرك به أمور مخصوصة وللإيمان نور به يدرك كل شيء ما لم يقم مانع فبنور العقل تصل إلى معرفة الألوهة وما يجب لها ويستحيل وما يجوز منها فلا يستحيل ولا يجب وبنور الإيمان يدرك العقل معرفة الذات وما نسب الحق إلى نفسه من النعوت "مسئلة" لا يمكن عندنا معرفة كيفية ما ينسب إلى الذوات من الأحكام إلا بعد معرفة الذوات المنسوبة والمنسوب إليها وحينئذ تعرف كيفية النسبة المخصوصة لتلك الذات المخصوصة كالاستواء والعية واليد والعين وغير ذلك "مسئلة" الأعيان لا تنقلب والحقائق لا تتبدل فالنار تحرق بحقيقتها لا بصورتها فقوله تعالى "يا نار كوني برداً وسلاماً" خطاب للصورة وهي الجمرات وأجرام الجمرات محرقة بالنار فلما قام لنار بها سميت ناراً فتقبل البرد كما قبلت الحرارة "مسئلة" البقاء استمرار الوجود مثلاً على الباقي لا غير ليس بصفة زائدة فيحتاج إلى بقاء ويتسلسل إلا على مذهب الأشاعرة في المحدث فإن البقاء عرض فلا يحتاج إلى بقاء ونما ذلك في بقاء الحق تعالى "مسئلة" الكلام من حيث ما هو كلام واحد والقسمة في المتكلم به لا في الكلام فالأمر والنهي والخبر والاستخبار والطلب واحد في الكلام "مسئلة" الاختلاف في الاسم والمسمى والتسمية اختلاف في اللفظ فإما قول من قال تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك فكالنهي بالسفر بالمصحف إلى أرض العدو وأما القول في الحجة بأسماء سميتموها على أن الاسم هو المسمى فالمعبود الأشخاص فنسبة الألوهة عبدوا فلا حجة في أن الاسم هو المسمى ولو كان لكان بحكم اللغة والوضع لا بحكم المعنى "مسئلة" وجود الممكنات لكمال مراتب الوجود الذاتي والعرفاني لا غير "مسئلة" كل ممكن منحصر في أحد قسمين في ستر أو تجل فقد وجد الممكن على أقصى غاياته وأكملها فلا أكمل منه ولو كان الأكمل لا يتناهى لما تصور خلق الكمال وقد وجد مطابقاً للحضرة الكمالية فقد كمل "مسئلة" المعلومات منحصرة من حيث ما تدرك به في حسن ظاهر وباطن وهو الإدراك النفسي

وبديهة وما تركب من ذلك عقلاً إن كان معنى وخيالاً إن كان صورة فالخيال لا يركب إلا في الصور خاصة فالعقل يعقل ما يركب الخيال وليس في قوة الخيال أن يصور بعض ما يركبه العقل وللاقتدار الإلهي سر خارج عن هذا كله يقف عنده "مسئلة" الحسن والقبح ذاتي للحسن والقبيح لكن منه ما يدرك حسنه وقبحه بالنظر إلى كمال أو نقص أو غرض أو ملايمة طبع أو منافرته أو وضع ومنه ما لا يدرك قبحه ولا حسنه إلا من جانب الحق الذي هو الشرع فنقول هذا قبيح وهذا حسن وهذا من الشرع خبر لا حكم ولهذا نقول بشرط الزمان والحال والشخص وإنما شرطنا هذا من أجل من يقول في القتل ابتداء أو قوداً أو حد أو في إيلاج الذكر في الفرج سفاحاً ونكاحا فمن حيث هو إيلاج واحد لسنا نقول كذلك فإن الزمان مختلف ولوازم النكاح غير موجودة في السفاح وزمان تحليل الشيء ليس زمان تحريمه إن لو كان عين المحرم واحداً فالحركة من زيد في زمان ما ليس هي الحركة منه في الزمان الآخر ولا الحركة التي من عمر وهي الحركة التي من زيد فالقبيح لا يكون حسناً أبداً لأن تلك الحركة الموصوفة بالحسن أو القبح لا تعود أبداً فقد علم الحق ما كان حسناً وما كان قبيحاً ونحن لا نعلم ثم إنه لا يلزم من الشيء إذا كان قبيحاً أن يكون أثره قبيحاً قد يكون أثره حسناً والحسن أيضاً كذلك قد يكون أثره قبيحاً كحسن الصدق وفي مواضع يكون أثره قبيحاً وكقبح الكذب وفي مواضع يكون أثره حسناً فتحقق ما نبهناك عليه تجد الحق "مسئلة" لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول فعلى هذا لا يصح قول الحلولي لو كان الله في شيء كما كان في عيسى لأحيا الموتى "مسئلة" لا يلزم الراضي بالقضاء الرضى بالمقضي فالقضاء حكم الله وهو الذي أمرنا بالرضى به والمقضى المحكوم به فلا يلزمنا الرضى به.

"مسألة" إن أريد بالاختراع حدوث المعنى المخترع في نفس المخترع وهو حقيقة الاختراع فذلك على الله محال وإن أريد بالاختراع حدوث المخترع على غير مثال سبقه في الوجود الذي ظهر فيه فقد يوصف الحق على هذا بالاختراع "مسئلة" ارتباط العالم بالله ارتباط ممكن بواجب ومصنوع بصانع فليس للعالم في الأزل مرتبة فإنها مرتبة الواجب بالذات فهو الله ولا شيء معه سواء كان العالم موجوداً أو معدوما فمن توهم بين الله والعالم وما يقدر تقدم وجود الممكن فيه وتأخره فهو توهم باطل لا حقيقة له فلهذا نزعنا في الدلالة على حدوث العالم خلاف ما نزعت له الأشاعرة وقد ذكرناه في هذا التعليق "مسئلة" لا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم حصول المعلوم في نفس العالم ولا مثاله وإنما العلم يتعلق بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه في حيثيتها وجوداً وعدماً فقول القائل أن بعض المعلومات له في الوجود أربع مراتب ذهني وعيني ولفظي وخطي فإن أراد بالذهن العلم فغير مسلم وإن أراد بالذهن الخيال فمسلم لكن في كل معلوم يتخيل خاصة وفي كل عالم يتخيل ولكن لا يصح هذا إلا في الذهني خاصة لأنه يطابق العين في الصورة واللفظي والخطي ليسا كذلك فإن اللفظ والخط موضوعان للدلالة والتفهيم فلا يتزل من حيث الصورة على الصورة فإن زيد اللفظي والخطي إنما هو زاي وياء ودال رقماً أو لفظاً ماله يمين ولا شمال ولا جهات ولا عين ولا سمع فلهذا قلنا لا يتزل عليه من حيث الصورة لكن من حيث الدلالة ولذلك إذا وقعت فيه المشاركة التي تبطل الدلالة افتقرنا إلى النعت والبدل وعطف البيان ولا يدخل في الذهني مشاركة أصلاً فافهم "مسئلة" كنا حصرنا في كتاب المعرفة الأول ما للعقل من وجوه المعارف في العالم ولم ننبه من أين حصل لنا ذلك الحصر فاعلم أن للعقل ثلاثمائة وستين وجهاً يقابل كل وجه من جناب الحق العزيز ثلاثمائة وستين وجهاً يمده كل وجه منها بعلم لا يعطيه الوجه الآخر فإذا ضربت وجوه العقل في وجوه الأخذ فالخارج من ذلك هي العلوم التي للعقل المسطرة في اللوح المحفوظ الذي هو النفس وهذا الذي ذكرناه كشفاً إلهياً لا يحيله دليل عقل فيتلقى تسليماً من قائله أعني هذا كما

تلقى من القائل الحكيم الثلاثة الاعتبارات التي للعقل الأول من غير دليل لكن مصادرة فهذا أولى من ذلك فإن الحكيم يدعى في ذلك النظر فيدخل عليه بما قد ذكرناه في عيون المسائل في مسئلة الدرة البيضاء الذي هو العقل الأول وهذا الذي ذكرناه لا يلزم عليه دخل فإنا ما ادعيناه نظراً وإنما ادعيناه تعريفاً فغاية المنكر أن يقول للقائل تكذب ليس له غير ذلك كما يقول له المؤمن به صدقت فهذا فرقان بيننا وبين القائلين بالاعتبارات الثلاثة وبالله التوفيق "مسئلة" ما من ممكن من عالم الخلق إلا وله وجهان وجه إلى سببه ووجه إلى الله تعالى فكل حجاب وظلمة تطرأ عليه فمن سببه وكل نور وكشف فمن جانب حقه وكل ممكن من عالم الأمر فلا يتصور في حقه حجاب لأنه ليس له إلا وجه واحد فهو النور المحض ألا لله الدين الخالص "مسئلة" دل الدليل العقلي على أن الإيجاد متعلق القدرة وقال الحق عن نفسه أن الوجود يقع عن الأمر الإلهي فقال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فلا بد أن ننظر في متعلق الأمر ما هو وما هو متعلق القدرة حتى أجمع بين السمع والعقل فنقول الامتثال قد وقع بقوله فيكون والمأمور به إنما هو الوجود فتعلقت الإرادة بتخصيص أحد الممكنين وهو الوجود وتعلقت القدرة بالممكن فأثرت فيه الإيجاد وهي حالة معقولة بين العدم والوجود فتعلق الخطاب بالأمر لهذه العين المخصصة بأن تكون فامتثلت فكانت فلولا ما كان للممكن عين ولا وصف لها بالوجود يتوجه على تلك العين الأمر بالوجود لما وقع الوجود والقائل بتهيئ المراد في شرح كن غير مصيب.

"مسألة" معقولية الأولية للواجب الوجود بالغير نسبة سلبية عن وجود كون الوجوب المطلق فهو أول لكل مقيد إذ يستحيل أن يكون له هناك قدم لأنه لا يخلو أن يكون بحيث الوجوب المطلق فيكون إما هو نفسه وهو محال وإما قائماً به وهو محال لوجوه منها أنه قائم بنفسه ومنها ما يلزم للواجب المطلق لو قام به هذا من الافتقار فيكون إما مقوماً لذاته وهو محال أو مقوماً لمرتبته وهو محال "مسئلة" معقولية الأولية للواجب المطلق نسبة وضعية لا يعقل لها العقل سوى استناد الممكن إليه فيكون أولا بهذا الاعتبار ولو قدر أن لا وجود لممكن قوة وفعلاً لانتفت النسبة الأولية إذ لا تجد متعلقاً "مسئلة" أعلم الممكنات لا يعلم موجده إلا من حيث هو فنفسه علم ومن هو موجود عنه غير ذلك لا يصح لأن العلم بالشيء يؤذن بالإحاطة به والفراغ منه وهذا في ذلك الجناب محال فالعلم به محال ولا يصح أن يعلم منه لأنه لا يتبعض فلم يبق العلم إلا بما يكون منه وما يكون منه هو أنت فأنت المعلوم فإن قيل علمنا بليس هو كذا علم به قلنا نعوتك جردته عنها لما يقتضيه الدليل من نفى المشاركة فتميزت نت عندك عن ذات مجهولة لك من حيث ما هي معلومة لنفسها ما هي تميزت لك لعدم الصفات الثبوتية التي لها في نفسها فافهم ما علمت وقل رب زدني علماً لو علمته لم يكن هو ولو جهلك لم تكن أنت فبعلمه أوجدك وبعجزك عبدته فهو هو لهو لا لك وأنت أنت لا أنت وله فأنت مرتبط به ما هو مرتبط بك الدائرة مطلقة مرتبطة بالنقطة النقطة مطلقة ليست مرتبطة بالدائرة نقطة الدائرة مرتبطة بالدائرة كذلك الذات مطلقة ليست مرتبطة بك ألوهية الذات مرتبطة بالمألوه كنقطة الدائرة "مسئلة" متعلق رؤيتنا الحق ذاته سبحانه ومتعلق علمنا به إثباته إلهاً بالإضافات والسلوب فاختلف المتعلق فلا يقال في الرؤية أنها مزيد وضوح في العلم لاختلاف المتعلق وإن كان وجوده عين ماهيته فلا ننكر أن معقولية الذات غير معقولية كونها موجودة "مسئلة" إن العدم هو الشر المحض لم يعقل بعض الناس حقيقة هذا الكلام لغموضه وهو قول المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين لكن أطلقوا هذه اللفظ و لم يوضحوا معناها وقد قال لنا بعض سفراء الحق في منازلة في الظلمة والنور أن الخير في الوجود والشر في العدم في كلام طويل علمنا أن الحق تعالى له إطلاق الوجود من غير تقييد وهو الخير المحض الذي لا شر فيه فيقابله إطلاق العدم الذي هو الشر المحض الذي لا خير فيه فهذا هو معنى قولهم أن العدم هو الشر المحض.

"مسألة" لا يقال من جهة الحقيقة أن الله جائز أن يوجد أمراً ما وجائز أن لا يوجده فإن فعله للأشياء ليس بممكن بالنظر إليه ولا بإيجاب موجب ولكن يقال ذلك الأمر جائز أن يوجد وجائز أن لا يوجد فيفتقر إلى مرجح وهو الله تعالى وقد تقضينا الشريعة فما رأينا فيها ما يناقض ما قلناه فالذي نقول في الحق أنه تعالى يجب له كذا ويستحيل عليه كذا لا نقول يجوز عليه كذا فهذه عقيدة أهل الاختصاص من أهل الله وأما عقيدة خلاصة الخاصة في الله تعالى فأمر فوق هذا جعلناه مبدد في هذا الكتاب لكون أكثر العقول المحجوبة بأفكارها تقصر عن إدراكه لعدم تجريدها وقد انتهت مقدمة الكتاب وهي عليه كالعلاوة فمن شاء كتبها فيه ومن شاء تركها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثالث والحمد لله.

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول في معرفة الروح

الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب وما كان بيني وبينه من الإسرار فمن ذلك نظم

قلت عند الطواف كيف أطوف ... وهو عن درك سرنا مكفوف
جلمد غير عاقل حركاتي ... قيل أنت المحير المتلوف
انظر البيت نوره يتلالا ... لقلوب تطهرت مكشوف
نظرته بالله دون حجاب ... فبدا سره العلي المنيف
وتجلى لها من أفق جلالي ... قمر الصدق ما اعتراه خسوف
لو رأيت الولي حين يراه ... قلت فيه مد له ملهوف
يلثم السر في سواد يميني ... أي سر لو أنه معروف
جهلت ذاته فقيل كثيف ... عند قوم وعند قوم لطيف
قال لي حين قلت لم جهلوه ... إنما يعرف الشريف الشريف
عرفوه فلازموه زمانا ... فتولاهم الرحيم الرؤوف
واستقاموا فما يرى قط فيهم ... عن طواف بذاته تحريف
قم فبشر عني مجاور بيتي ... بأمان ما عنده تخويف
أن أمتهم فرحتهم بلقائي ... أو يعيشوا فالثوب منهم نظيف

اعلم أيها الولي الحميم والصفي الكريم أني لما وصلت إلى مكة البركات ومعدن السكنات الروحانية والحركات وكان من شأني فيه ما كان طفت ببيته العتيق في بعض الأحيان فبينا أنا أطوف مسبحاً وممجداً ومكبراً ومهللاً تارة ألثم واستلم وتارة للملتزم التزم إذ لقيت وأنا عند الحجر الأسود باهت الفتى الفائت المتكلم الصامت الذي ليس بحي ولا مائت المركب البسيط المحاط المحيط فعندما أبصرته يطوف بالبيت طواف الحي بالميت عرفت حقيقته ومجازه وعلمت أن الطواف بالبيت كالصلاة على الجنازة وأنشدت الفتى المذكور ما تسمعه من الأبيات عندما رأيت الحي طائفاً بالأموات شعر

ولما رأيت البيت طافت بذاته ... شخوص لهم سر الشريعة غيبى
وطاف به قوم هم الشرع والحجا ... وهم كحل عين الكشف ما هم به عمى
تعجبت من ميت يطوف به حي ... عزيز وحيد الدهر ما مثله شي

تجلى لنا من نور ذات مجله ... وليس من الأملاك بل هو أنسي

تيقنت أن الأمر غيب وأنه ... لدى الكشف والتحقيق حي ومرئي

قلت فعندما وقعت مني هذه الأبيات وألحقت بيته المكرم من جهة ما بجانب الأموات خطفني مني خطفة قاهر وقال لي قولة رادع زاجر انظر إلى سر البيت قبل الفوت تجده زاهياً بالمطيفين والطائفين بأحجاره ناظراً إليهم من خلف حجبه وأستاره فرأيته يزهو كما قال فأفصحت له في المقال وأنشدته في عالم المثال على الارتجال:

أرى البيت يزهو بالمطيفين حوله ... وما الزهو إلا من حكيم له صنع

وهذا جماد لا يحس ولا يرى ... وليس له عقل وليس له سمع

فقال شخيص هذه طاعة لنا ... قد أثبتها طول الحياة لنا الشرع

فقلت له هذا بلاغك فاستمع ... مقالة من أبدي له الحكمة الوضع

رأيت جماداً لا حياة بذاته ... وليس له ضر وليس له نفع

ولكن لعين القلب فيه مناظر ... إذا لم يكن بالعين ضعف ولا صدع

يراه عزيزاً إن تجلى بذاته ... فليس لمخلوق على حمله وسع

فكنت أبا حفص وكنت علينا ... فمني العطاء الجزل والقبض والمنع

"وصل" ثم إنه أطلعني على مترلة ذلك الفتى ونزاهته عن أين ومتى فلما عرفت مترلته وإنزاله وعانيت مكانته من الوجود وأحواله قبلت يمينه ومسحت من عرق الوحي جبينه وقلت له انظر من طالب مجالستك وراغب في مؤانستك فأشار إلى إيماء ولغزاً أنه فطر على أن لا يكلم أحداً إلا رمزاً وأن رمزي إذا علمته وتحققته وفهمته علمت أنه لا تدركه فصاحة الفصحاء ونطقه لا تبلغه بلاغة البلغاء فقلت له يا أيها البشير وهذا خير كثير فعرفني باصطلاحك وأوقفني على كيفية حركات مفتاحك فإني أريد مسامرتك وأحب مصاهرتك فإن عندك الكفؤ والنظير وهو النازل بذاتك والأمير ولولا ما كانت لك حقيقة ظاهره ما تطلعت إليه وجوه ناضرة ناظره فأشار فعلمت وجلى لي حقيقة جماله فهيمت فسقط في يدي وغلبني في الحين عليّ فعندما أفقت من الغشية وأرعدت فرائصي من الخشية علم أن العلم به قد حصل وألقى عصا سيره ونزل فتلا حاله عليّ ما جاءت به الأنباء وتترلت به الملائكة الأمناء إنما يخشى اللّٰه من عباده العلماءُ فجعلها دليلاً واتخذها إلى معرفة العلم الحاصل به سبيلا فقلت له اطلعني على بعض أسرارك حتى أكون من جملة أحبارك فقال انظر في تفاصيل نشأتي وفي ترتيب هيأتي تجد ما سألتني عنه فيّ مرقوما فإني لا أكون مكلماً ولا كليماً فليس علمي بسواي وليست ذاتي مغايرة لا سمائي فأنا العلم والمعلوم والعليم وأنا الحكمة والمحكم والحكيم ثم قال لي طف على أثري وانظر إليّ بنور قمري حتى تأخذ من نشأتي ما تسطره في كتابك وتمليه على كتابك وعرفني ما أشهدك الحق في طوافك من اللطائف مما لا يشهده كل طائف حتى أعرف همتك ومعناك فاذكرك على ما علمت منك هناك فقلت أنا أعرفك أيها الشاهد المشهود ببعض ما أشهدني من أسرار الوجود المترفلات في غلائل النور والمتحدات العين من وراء الستور التي أنشأها الحق حجاباً مرفوعاً وسماء موضوعاً والفل بالنظر إلى الذات لطيف ولعدم دركه على شريف

فوصفه ألطف من ذاته وفعله ألطف من وصفه
وأودع الكل بذاتي كما أودع معنى الشيء في حرفه
فالخلق مطلوب لمعنى كما يطلب ذات المسك من عرفه

ولولا ما أودع في ما اقتضته حقيقتي ووصلت إليه طريقتي لم أجد لشربه نيلاً ولا إلى معرفته ميلاً ولذلك أعود على عند النهاية ولهذا يرجع فخذ البركار في فتح الدائرة عند الوصول إلى غاية وجودها إلى نقطة البداية فارتبط آخر الأمر بأوله وانعطف أبده على أزله فليس إلا وجود مستمر وشهود ثابت مستقر وإنما طال الطريق من أجل رؤية المخلوق فلو صرف العبد وجهه إلى الذي يليه من غير أن يحل فيه لنظر إلى السالكين إذا وصلوا بعين بئس والله ما فعلوا ولو عرفوا من مكانهم ما انتقلوا لكن حجبوا بشفعية الحقائق عن وترية الحق الخالق الذي خلق الله به الأرض والطرائق فنظروا مدارج الأسماء وطلبوا معارج الأسراء وتخيلوها أعظم مترلة تطلب وأسنى حالة يقصد الحق تعالى فيها ويرغب فسير بهم على براق الصدق ورفارفه وحققهم بما عاينوه من آياته ولطائفه وذلك لما كانت النظرة شمالية وكانت الفطرة على النشأة الكمالية تقابل بوجهها في أصل الوضع نقطة الدائرة فشطر مهجتها من الجانب الأيمن منقبة ومن الجانب الغربي سافرة فلو سفرت عن اليمين لنالت من أول طرفتها مقام التمكين في مشاهدة التعيين ويا عجباً لمن هو في أعلى عليين ويتخيل أنه في أسفل سافلين أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فشمالها يمين مديرها ووقوفها في موضعها الذي وجدت فيه غاية مسيرها فإذا ثبت عند العاقل ما أشرت إليه وصح وعلم أن إليه المرجع فمن موقفه لم يبرح لكن يتخيل المسكين القرع والفتح ويقول وهل في مقابلة الضيق والحرج إلا السعة والشرح ثم يتلو ذلك قرآناً على الخصماء فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء فكما أن الشرح لا يكون إلا بعد الضيق كذلك المطلوب لا يحصل إلا بعد سلوك الطريق وغفل المسكين عن تحصيل ما حصل له بالإلهام مما لا يحصل إلا بالفكر والدليل عند أهل النهى والإفهام ولقد صدق فيما قال فإنه ناظر بعين الشمال فسلموا له حاله وثبتوا له محاله وضعفوا منه محاله وقولوا له عليك بالاستعانة إن أردت الوصول إلى ما منه خرجت لا محاله واستروا عنه مقام المجاورة وعظموا له أجر التزاور والمزاورة والموازرة فسيحزن عند الوصول إلى ما منه سار وسيفرح بما حصل في طريقه من الإسرار وصار ولولا ما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعراج ما رحل ولا صعد إلى السماء ولا نزل وكان يأتيه شأن الملأ الأعلى وآيات ربه في موضعه كما زويت له الأرض وهو في مضجعه ولكنه سرّ إلهي لينكره من شاء لأنه لا يعطيه الإنشاء ويؤمن به من شاء لأنه جامع للأشياء فعندما أتيت على هذا العلم الذي لا يبلغه العقل وحده ولا يحصله على الاستيفاء الفهم قال لقد أسمعتني سراً غريباً وكشفت لي معنى عجيباً ما سمعته من ولي قبلك ولا رأيت أحداً تممت له هذه الحقائق مثلك على أنها عندي معلومة وهي بذاتي مرقومة ستبدو لك عند رفع ستاراتي واطلاعك على إشاراتي ولكن أخبرني ما أشهدك عندما أنزلك بحرمه وأطعلك على حرمه "مشاهدة مشهد البيعة الإلهية" قلت اعلم يا فصيحاً لا يتكلم وسائلاً عما يعلم لما وصلت إليه من الإيمان ونزلت عليه في حضرة الإحسان أنزلني في حرمه وأطلعني على حرمه وقال إنما أكثرت المناسك رغبة في التماسك فإن لم تجدني هنا وجدتني هنا وإن احتجبت عنك في جمع تجليت ذلك في منى مع أني قد أعلمتك في غير ما موقف من مواقفك وأشرت به إليك غير مرة في بعض لطائفك إني وإن احتجبت فهو تجل لا يعرفه كل عارف

إلا من أحاط علماً بما أحطت به من المعارف ألا تراني أتجلى لهم في القيامة في غير الصورة التي يعرفونها والعلامة فينكرون ربوبيتي ومنها يتعوذون وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون ولكنهم يقولون لذلك المنجلي نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون فحينئذ أخرج عليهم في الصورة التي لديهم فيقرون لي بالربوبية وعلى أنفسهم بالعبودية فهم لعلامتهم عابدون وللصورة التي تقررت عندهم مشاهدون فمن قال منهم أنه عبدني فقوله زور وقد باهتني وكيف يصح منه لك وعندما تجليت له أنكرني فمن قيدني بصورة دون صورة فتخيله عبد وهو الحقيقة الممكنة في قلبه المستورة فهو يتخيل أنه يعبدني وهو يجحدني والعارفون ليس في الإمكان خفائي عن أبصارهم لأنهم غابوا عن الخلق وعن أسرارهم فلا يظهر لهم عندهم سوائي ولا يعقلون من الموجودات سوى أسمائي فكل شيء ظهر

لهم وتجلى قالوا أنت المسبح الأعلى فليسوا سواء فالناس بين غائب وشاهد وكلاهما عندهم شيء واحد فلما سمعت كلامه وفهمت إشاراته وأعلامه جذبني جذبة غيور إليه وأوقفني بين يديه "مخاطبات التعليم والألطاف بسر الكعبة من الوجود والطواف" ومد اليمين فقبلتها ووصلتني الصورة التي تعشقتها فتحول لي في صورة الحياة فتحولت له في صورة الممات فطلبت الصورة تابع الصورة فقالت لها لم تحسني السيرة وقبضت يمينها عنها وقالت لها ما عرفت لها في عالم الشهادة كنها ثم تحول لي في صورة البصر فتحولت له في صورة من عمى عن النظر وذلك بعد انقضاء شوط وتخيل نقض شرط فطلبت الصورة تابع الصورة فقلت لها مثل المقالة المذكورة ثم تحول لي في صورة العلم لأعم فتحولت له في صورة الجهل الأتم فطلبت الصورة تابع الصورة فقالت لها المقالة المشهورة ثم تحوّل لي في صورة سماع النداء فتحولت له في صورة الصمم عن الدعاء فطلبت الصورة تابع الصورة فأسدل الحق بينهما ستوره ثم تحول لي في صورة الخطاب فتحولت له في صورة الخرس عن الجواب فطلبت الصورة تابع الصورة فأرسل الحق بينهما رقوم اللوح وسطوره ثم تحول لي في صورة الإرادة فتحولت له في صورة قصور الحقيقة والعادة فطلبت الصورة تابع الصورة فأفاض الحق بينهما ضياءه ونوره ثم تحول لي في صورة القدرة والطاقة فتحولت له في صورة العجز والفاقة فطلبت الصورة تابع الصورة فأبدى الحق للعبد تقصيره فقلت لما رأيت ذلك الإعراض وما حصل لي تمام الآمال والأغراض لم أبيت علي و لم تف بعهدي فقال لي أنت أبيت على نفسك يا عبدي لو قبلت الحجر في كل شوط أيها الطائف لقبلت يميني هنا في هذه الصور اللطائف فإن بيتي هناك بمنزلة الذات وأشواط الطواف بمنزلة السبع الصفات صفات الكمال لا صفات الجلال لأنها صفات الاتصال بك والانفصال فسبعة أشواط لسبع صفات وبيت قائم يدل على ذات غير أني أنزلته في فرشي وقلت للعامة هذا عندكم بمنزلة عرشي وخليفتي في الأرض هو المستوى عليه والمحتوى فانظر إلى الملك معك طائفاً وإلى جانبك واقفاً فنظرت إليه فعاد إلى عرشه وتاه علي بسمو نعشه فتبسمت جذلا وقلت مرتجلا

يا كعبة طاف بها المرسلون	من بعد ما طاف بها المكرمون
ثم أتى من بعدهم عالم	طافوا بها من بين عال ودون
أنزلها مثلاً إلى عرشه	ونحن حافون لها مكرمون
فإن يقل أعظم حاف به	إني أنا خير فهل تسمعون
والله ما جاء بنص ولا	أتى لنا إلا بما لا يبين

هل ذاك إلا النور حفت به أنوارهم ونحن ماء مهين
فانجذب الشيء إلى مثله وكلنا عبد لديه مكين
هلا رأوا ما لم يروا أنهم طافوا بما طفنا وليسوا بطين
لو جرد الألطف منا استوى على الذي حفوا به طائفين
قد سهموا أن يجهلوا حق من قد سخر الله له العالمين
كيف لهم وعلمهم أنني ابن الذي خروا له ساجدين
واعترفوا بعد اعتراض على والدنا بكونهم جاهلين
وأبلس الشخص الذي قد أبى وكان للفضل من الجاحدين
قد سهموا قد سهموا أنهم قد عصموا من خطأ المخطئين

قلت ثم صرفت عنه وجه قلبي وأقبلت به على ربي فقال لي انتصرت لأبيك حلت بركتي فيك اسمع منزلة من أثنيت عليه وما قدمته من الخير بين يديها وأين منزلتك من منازل الملائكة المقربين صلوات الله عليكم وعليهم أخبرت عنهما وبيتي الذي وسعني قلبك المقصود المودع في جسدك المشهود فالطائفون بقلبك الأسرار فهم بمنزلة أجسادكم عند طوافها بهذه الأحجار فالطائفون الحافون بعرشنا المحيط كالطائفين منك بعالم التخطيط فكما أن الجسم منك في الرتبة دون قلبك البسيط كذلك هي الكعبة مع العرش المحيط فالطائفون بالكعبة بمنزلة الطائفين بقلبك لاشتراكهما في القلبية والطائفون بجسمك كالطائفين بالعرش لاشتراكهما في الصفة الإحاطية فكما أن عالم الأسرار الطائفين بالقلب الذي وسعني أسنى منزلة من غيرهم وأعلى كذلك أنتم بنعت الشرف والسيادة على الطائفين بالعرش المحيط أولى فإنكم الطائفون بقلب وجود العالم فانتم بمنزلة أسرار العلماء وهم الطائفون بجسم العالم فهم بمنزلة الماء والهواء فكيف تكونون سواء وما وسعني سواكم وما تجليت في صورة كمال إلا في معناكم فاعرفوا قدر ما وهبتكموه من الشرف العالي وبعد هذا فأنا الكبير المتعالي لا يحدني الحد ولا يعرفني السيد ولا العبد تقدست الألوهة فتنزهت أن تدرك وفي منزلتها أن تشرك أنت الأنا وأنا أنا فلا تطلبني فيك فتعنى ولا من خارج فما تتهنى ولا تترك طلبي فتشقى فاطلبني حتى تلقاني فترقى ولكن تأدب في طلبك واحضر عند شروعك في مذهبك وميز بيني وبينك فإنك لا تشهدني وإنما تشهد عينك فقف في صفة الاشتراك وإلا فكن عبداً وقل العجز عن درك الإدراك إدراك تلحق في ذلك عتيقاً وتكن المكرم الصديقا ثم قال لي اخرج عن حضرتي فمثلك لا يصلح لخدمتي فخرجت طريداً فضج الحاضر فقال ذرني ومن خلقت وحيدا ثم قال ردوه فرددت وبين يديه من ساعتي وجدت وكأني مازلت عن بساط شهوده وما برحت من حضرة وجوده فقال كيف يدخل علي في حضرتي من لا يصلح لخدمتي لو لم تكن عندك الحرمة التي توجب الخدمة ما قبلتك الحضرة ولرمت بك في أول نظرة وها أنت فيها وقد رأيت من برهانك وتخفيها ما يزيدك احتراماً وعند تجليها احتشاماً ثم قال لم لم تسألني حين أمرت بإخراجك وردك على معراجك وأعرفك صاحب حجة ولسان ما أسرع ما نسيت أيها الإنسان فقلت بهرني عظيم مشاهدة ذاتك وسقط في يدي لقبضك يمين البيعة في تجلياتك وبقيت أردد النظر ما الذي طرأ في الغيب من الخبر فلو التفت في ذلك الوقت إلي لعلمت أن مني أتى علي ولكن الحضرة تعطي أن لا يشهد سواها وأن لا

ينظر إلى محيا غير محياها فقال صدقت يا محمد فاثبت في المقام الأوحد وإياك والعدد فإن فيه هلاك الأبد ثم اتفقت مخاطبات وأخبار أذكرها في باب الحج ومكة مع جملة أسرار "وصل" فقال النجي الوفي يا أكرم ولي وصفي ما ذكرت لي أمراً إلا أنا به عالم وهو بذاتي مسطر قائم قلت لقد شوقتني إلى التطلع إليك منك حتى أخبر عنك فقال نعم أيها الغريب الوارد والطالب القاصد أدخل معي كعبة الحجر فهو البيت المتعالي عن الحجاب والستر وهو مدخل العارفين وفيه راحة الطائفين فدخلت معه بيت الحجر في الحال وألقى يده على صدري وقال أنا السابع في مرتبة الأحاطة بالكون وبأسرار وجود العين والأين أوجدني الحق قطعة نور حوائي سادجه وجعلني للكليات ممازجه فبينا أنا متطلع لما يلقى لدي أو يترل علي وإذا بالعلم القلمي الأعلى قد نزل بذاتي من منازله العلى راكباً على جواد قائم على ثلاث قوائم فنكس رأسه إلى ذاتي فانتشرت الأنوار والظلمات ونفث في روعي جميع الكائنات ففتق أرضي وسمائي وأطلعني على جميع أسمائي فعرفت نفسي وغيري وميزت بين شري وخيري وفصلت ما بين خالقي وحقائقي ثم انصرف على ذلك الملك وقال تعلم أنك حضرة الملك فتهيأت للترول وورود الرسول فتجارت الأملاك إلي ودارت الأفلاك علي والكل ليميني مقبلون وعلى حضرتي مقبلون وما رأيت ملكاً نزل ولا ملكاً عن الوقوف بين يدي انتقل ولحظت في بعض جوانبي فرأيت صورة الأزل فعلمت أن الترول محال فثبت على ذلك الحال وأعلمت بعض الخاصة ما شهدت وأطلعتهم مني على ما وجدت فأنا الروضة اليانعة والثمرة الجامعة فارفع ستوري واقرأ ما تضمنته سطوري فما وقفت عليه مني فاجعله في كتابك وخاطب به جميع أحبابك فرفعت ستوره ولحظت مسطوره فأبدى لعيني نوره المودع فيه ما يتضمنه من
العلم المكنون ويحويه فأول سطر قرأته وأول سر من ذلك السطر علمته ما أذكره الآن في هذا الباب الثاني والله سبحانه يهدي إلى العلم وإلى طريق مستقيم.

الباب الثاني في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم

وما لها من الأسماء الحسنى ومعرفة الكلمات ومعرفة العلم والعالم والمعلوم

اعلم أن هذا الباب على ثلاثة فصول "الفصل الأول في معرفة الحروف" "الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات "الفصل الثالث في معرفة العلم والعالم والمعلوم"

الفصل الأول في معرفة الحروف ومراتبها والحركات

وهي الحروف الصغار وما لها من الأسماء الإلهية

إن الحروف أئمة الألفاظ — شهدت بذلك ألسن الحفاظ
دارت بها الأفلاك في ملكوته — بين النيام الخرس والأيقاظ
ألحظتها الأسماء من مكنونها — فبدت تعز لذلك الألحاظ
وتقول لولا فيض جودي ما بدت — عند الكلام حقائق الألفاظ

اعلم أيدنا الله وإياك أنه لما كان الوجود مطلقاً من غير تقييد يتضمن المكلف وهو الحق تعالى والمكلفين وهم العالم والحروف جامعة لما ذكرنا أردنا أن نبين مقام المكلف من هذه الحروف من المكلفين من وجه دقيق محقق لا يتبدل عند أهل الكشف إذا وقفوا عليه وهو مستخرج من البسائط التي عنها تركبت هذه الحروف التي تسمى حروف المعجم بالاصطلاح العربي في أسمائها وإنما سميت حروف المعجم لأنها عجمت على الناظر فيها معناها ولما كوشفنا على بسائط الحروف وجدناها على أربع مراتب "حروف" مرتبتها سبعة أفلاك وهي الألف والزاي واللام "وحروف" مرتبتها ثمانية أفلاك وهي النون والصاد والضاد "وحروف" مرتبتها تسعة أفلاك وهي العين والغين والسين والشين "وحروف" مرتبتها عشرة أفلاك وهي باقي حروف المعجم وذلك ثمانية عشر حرفاً كل حرف منها مركب عن عشرة كما أن كل حرف من تلك الحروف منها ما هو عن تسعة أفلاك وعن ثمانية وعن سبعة لا غير كما ذكرناه فعدد الأفلاك التي عنها وجدت هذه الحروف وهي البسائط التي ذكرناها مائتان وأحد وستون فلكاً أما المرتبة السبعية فالزاي واللام منها دون الألف فطبعها الحرارة واليبوسة "وأما" الألف فطبعها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة ترجع مع الحار حارة ومع الرطب رطبة ومع البارد باردة ومع اليابس يابسة على حسب ما تجاوره من العوالم "وأما" المرتبة الثمانية فحروفها حارة يابسة.

"وأما" المرتبة التسعية فالعين والغين طبعهما البرودة واليبوسة "وأما" السين والشين فطبعهما الحرارة واليبوسة "وأما" المرتبة العشرية فحروفها حارة يابسة إلا الحاء المهملة والخاء المعجمة فإنهما باردتان يابستان وإلا الهاء والهمزة فإنهما باردتان رطبتان فعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الحرارة مائتا فلك وثلاثة أفلاك وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد اليبوسة مائتا فلك وأحد وأربعون فلكاً وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد البرودة خمسة وستون فلكاً وعدد الأفلاك التي عن حركتها توجد الرطوبة سبعة وعشرون فلكاً مع التوالج والتداخل الذي فيها على حسب ما ذكرناه آنفاً فسبعة أفلاك توجد عن حركتها العناصر الأول الأربعة وعنها يوجد حرف الألف خاصة ومائة وستة وتسعون فلكاً توجد عن حركتها الحرارة واليبوسة خاصة لا يوجد عنها غيرهما البتة وعن هذه الأفلاك يوجد حرف الباء والجيم والدال والواو والزاي والطاء والياء والكاف واللام والميم والنون والصاد والفاء والضاد والقاف والراء والسين والتاء والثاء والذال والظاء والشين وثمانية وثمانون فلكاً يوجد عن حركتها البرودة واليبوسة خاصة وعن هذه الأفلاك يوجد حرف العين والحاء والغين والخاء وعشرون فلكاً توجد عن حركتها البرودة والرطوبة خاصة وعن هذه الأفلاك يوجد حرف الهاء والهمزة وأما لام ألف فممتزج من السبعة والمائة والستة والتسعين إذا كان مثل قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فإن كان مثل قوله تعالى "لأنتم أشد رهبة" فامتزاجه من المائة والستة والتسعين ومن العشرين وليس في العالم فلك يوجد عنه الحرارة والرطوبة خاصة دون غيرهما فإذا نظرت في طبع الهواء عثرت على الحكمة التي منعت أن يكون له فلك مخصوص كما أنه ما ثم فلك يوجد عنه واحد من هذه العناصر الأول على انفراد فالهاء والهمزة يدور بهما الفلك الرابع ويقطع الفلك الأقصى في تسعة آلاف سنة وأما الحاء والخاء والعين والغين فيدور بها الفلك الثاني ويقطع الفلك الأقصى في إحدى عشرة ألف سنة وباقي الحروف يدور بها الفلك الأول ويقطع الفلك الأقصى في اثنتي عشرة ألف سنة وهو على منازل في أفلاكها فمنها ما هو على سطح الفلك ومنها ما هو في مقعر الفلك ومنها ما هو بينهما ولولا التطويل لبينا منازلها وحقائقها ولكن سنلقى من ذلك ما يشفي في الباب الستين من أبواب هذا الكتاب إن ألهمنا الحق ذلك عند كلامنا في معرفة العناصر وسلطان العالم العلوي على العالم السفلي وفي أي دورة كان وجود هذا العالم الذي نحن فيه الآن من دورات الفلك الأقصى وأي روحانية تنظرنا فلنقبض العنان حتى نصل إلى موضعه أو يصل موضعه

إن شاء الله.

"فلنرجع ونقول" إن المرتبة السبعية التي لها الزاي والألف واللام جعلتاها للحضرة الإلهية المكلفة أي تصيبها من الحروف وإن المرتبة الثمانية التي هي النون والصاد والضاد جعلناها حظ الإنسان من عالم الحروف وإن المرتبة التسعية التي هي العين والغين والسين والشين جعلناها حظ الجن من عالم الحروف وإن المرتبة العشرية وهي المرتبة الثانية من المراتب الأربعة التي هي باقي الحروف جعلناها حظ الملائكة من عالم الحروف وإنما جعلنا هذه الموجودات الأربعة لهذه الأربع مراتب من الحروف على هذا التقسيم لحقائق عسرة المدرك يحتاج ذكرها وبيانها إلى ديوان بنفسه ولكن قد ذكرناه حتى نتمه في كتاب المبادي والغايات فيما تحوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات وهو بين أيدينا ما كمل ولا قيد منه إلا أوراق متفرقة يسيرة ولكن سأذكر منه في هذا الباب لمحة بارق إن شاء الله فحصلت الأربعة للجن الناري لحقائق هم عليها وهي التي أدتهم لقولهم فيما أخبر الحق تعالى عنهم "ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم" وفرغت حقائقهم و لم تبق لهم حقيقة خامسة يطلبون بها مرتبة زائدة وإياك أن تعتقد أن ذلك جائز لهم وهو أن يكون لهم العلو وما يقابله اللذان تتم بهما الجهات الستة فإن الحقيقة تأبى ذلك على ما قررناه في كتاب المبادي والغايات وبينا فيه لم اختصوا بالعين والغين والسين والشين دون غيرها من الحروف والمناسبة التي بين هذه الحروف وبينهم وأنهم موجودون عن الأفلاك التي عنها وجدت هذه الحروف وحصل للحضرة الإلهية من هذه الحروف ثلاثة لحقائق هي عليها أيضاً وهي الذات والصفة والرابط بين الذات والصفة وهي القبول أي بها كان القبول لأن الصفة لها تعلق بالموصوف بها وبمتعلقها الحقيقي لها كالعلم يربط نفسه بالعالم به وبالمعلوم والإرادة تربط نفسها بالمريد بها وبالمراد لها والقدرة تربط نفسها بالقادر بها وبالمقدور لها وكذلك جميع الأوصاف والأسماء وإن كانت نسباً وكانت الحروف التي اختصت بها الألف والزاي واللام تدل على معنى نفي الأولية وهو الأزل وبسائط هذه الحروف واحدة في العدد فما أعجب الحقائق لمن وقف عليها فإنه يتنزه فيما يجهله الغير وتضيق صدور الجهلاء به وقد تكلمنا أيضاً في المناسبة الجامعة بين هذه الحروف وبين الحضرة الإلهية في الكتاب المذكور وكذلك حصل للحضرة الإنسانية من هذه الحروف ثلاثة أيضاً كما حصل للحضرة الإلهية فاتفقا في العدد غير أنها حرف النون والصاد والضاد ففارقت الحضرة الإلهية من جهة موادها فإن العبودية لا تشرك الربوبية في الحقائق التي بها يكون إلهاً كما أن بحقائقه يكون العبد مألوهاً وبما هو على الصورة اختص بثلاثة كهو فلو وقع الاشتراك في الحقائق لكان إلهاً واحداً أو عبداً واحداً أعني عيناً واحدة وهذا لا يصح فلا بد أن تكون الحقائق متباينة ولو نسبت إلى عين واحدة ولهذا باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم و لم يقل باينهم بعلمه كما باينوه بعلمهم فإن فلك العلم واحد قديماً في القديم محدثاً في المحدث واجتمعت الحضرتان في أن كل واحدة منهما معقولة من ثلاث حقائق ذات وصفة ورابطة بين الصفة والموصوف بها غير أن العبد له ثلاثة أحوال حالة مع نفسه لا غير وهو الوقت الذي يكون فيه نائم القلب عن كل شيء وحالة مع الله وحالة مع العالم والباري سبحانه مباين لنا فيما ذكرناه فإن له حالين حال من أجله وحال من أجل خلقه وليس فوقه موجود فيكون له تعالى وصف تعلق به فهذا بحر آخر لو خضنا فيه لجاءت أمور لا يطاق سماعها وقد ذكرنا المناسبة التي بين النون والصاد والضاد التي للإنسان وبين الألف والزاي واللام التي هي للحضرة الإلهية في كتاب المبادي والغايات وإن كانت حروف الحضرة الإلهية عن سبعة أفلاك والإنسانية عن ثمانية أفلاك فإن هذا لا يقدح في المناسبة لتبين الإله والمألوه ثم إنه في نفس النون الرقمية التي هي شطر الفلك من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلا من شد عليه مئزر التسليم

وتحقق بروح الموت الذي لا يتصور ممن قام به اعتراض ولا تطلع وكذلك في نفس نقطة النون أول دلالة النون الروحانية المعقولة فوق شكل النون السفلية التي هي النصف من الدائرة والنقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعة أول الشكل التي هي مركز الألف المعقولة التي بها يتميز قطر الدائرة

والنقطة الأخيرة التي ينقطع بها شكل النون وينتهي بها هي رأس هذا الألف المعقولة المتوهمة.

فنقدر قيامها من رقدتها فترتكز لك على النون فيظهر من ذلك حرف اللام والنون نصفها زاي مع وجود الألف المذكورة فتكون النون بهذا الاعتبار تعطيك الأزل الإنساني كما أعطاك الألف والزاي واللام في الحق غير أنه في الحق ظاهر لأنه بذاته أزلي لا أول له ولا مفتتح لوجوده في ذاته بلا ريب ولا شك ولبعض المحققين كلام في الإنسان الأزلي فنسب الإنسان إلى الأزل فالإنسان خفي فيه الأزل فجهل لأن الأزل ليس ظاهراً في ذاته وإنما صح فيه الأزل لوجه ما من وجوه وجوده منها أن الموجود يطلق عليه الوجود في أربع مراتب وجود في الذهن ووجود في العين ووجود في اللفظ ووجود في الرقم وسيأتي ذكر هذا في هذا الكتاب إن شاء الله فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه في العلم القديم الأزلي المتعلق به في حال ثبوته فهو موجود أزلا أيضا كأنه بعناية العلم المتعلق به كالتحيز للعرض بسبب قيامه بالجوهر فصار متحيزاً بالتبعية فلهذا خفي فيه الأزل ولحقائقه أيضاً الأزلية المجردة عن الصورة المعينة المعقولة التي تقبل القدم والحدوث على حسب ما شرحنا ذلك في كتاب إنشاء الدوائر والجداول فانظره هناك تجده مستوفي وسنذكر منه طرفاً في هذا الكتاب في بعض الأبواب إذا مست الحاجة إليه وظهور ما ذكرناه من سر الأزل في النون هو في الصاد والضاد أتم وأمكن لوجود كمال الدائرة وكذلك ترجع حقائق الألف والزاي واللام التي للحق إلى حقائق النون والصاد والضاد التي للعبد ويرجع الحق يتصف هنا بالأسرار التي منعنا عن كشفها في الكتب ولكن يظهرها العارف بين أهلها في علمه ومشربه أو مسلم في أكمل درجات التسليم وهي حرام على غير هذين الصنفين فتحقق ما ذكرناه وتبينه يبدو لك من العجائب التي تبهر العقول حسن جمالها وبقي للملائكة باقي حروف المعجم وهي ثمانية عشر حرفاً وهي الباء والجيم والدال والهاء والواو والحاء والطاء والياء والكاف والميم والفاء والقاف والراء والتاء والثاء والخاء والذال والظاء فقلنا الحضرة الإنسانية كالحضرة الإلهية لا بل هي عينها على ثلاث مراتب ملك وملكوت وجبروت وكل واحدة من هذه المراتب تنقسم إلى ثلاث فهي تسعة في العدد فتأخذ ثلاثة الشهادة فتضربها في الستة المجموعة من الحضرة الإلهية والإنسانية أو في الستة الأيام المقدرة التي فيها أوجدت الثلاثة الحقية الثلاثة الخلقية يخرج لك ثمانية عشر وهو وجود الملك وكذلك تعمل في الحق بهذه المثابة فالحق له تسعة أفلاك للألقاء والإنسان له تسعة أفلاك للتلقي فتمتد من كل حقيقة من التسعة الحقية رقائق إلى التسعة الخلفية وتنعطف من التسعة الخلقية رقائق على التسعة الحقية فحيثما اجتمعت كان الملك ذلك الاجتماع وحدث هناك فذلك الأمر الزائد الذي حدث هو الملك فإن أراد أن يميل بكله نحو التسعة الواحدة جذبته الأخرى فهو يتردد ما بينهما جبريل يترل من حضرة الحق على النبي عليه السلام وإن حقيقة الملك لا يصح فيها الميل فإنه منشأ الاعتدال بين التسعتين والميل انحراف ولا انحرف عنده ولكنه يتردد بين الحركة المنكوسة والمستقيمة وهو عين الرقيقة فإن جاءه وهو فاقد فالحركة منكوسة ذاتية وعرضية وإن جاءه وهو واجد فالحركة مستقيمة عرضية لا ذاتية وإن رجع عنه وهو فاقد فالحركة ذاتية وعرضية وإن رجع عنه وهو واجد فالحركة منكوسة عرضية لا ذاتية وقد تكون الحركة من العارف مستقيمة أبدجاً ومن العابد منكوسة أبداً وسيأتي الكلام عليها في داخل الكتاب وانحصارها في ثلاث منكوسة وأفقية ومستقيمة إن شاء الله فهذه نكت غيبية عجيبة ثم أرجع وأقول إن التسعة هي سبعة وذلك أن عالم الشهادة هو في نفسه برزخ فذلك واحد وله

ظاهر فذلك اثنان وله باطن فذلك ثلاثة ثم عالم الجبروت برزخ في نفسه فذلك واحد وهو الرابع ثم له ظاهر وهو باطن عالم الشهادة ثم له باطن وهو الخامس ثم بعد ذلك عالم الملكوت هو في نفسه برزخ وهو السادس.

ثم له ظاهر وهو باطن عالم الجبروت وله باطن وهو السابع وما ثم غير هذا وهذه صورة السبعية والتسعية فنأخذ الثلاثة وتضربها في السبعة فيكون الخارج أحداً وعشرين فتخرج الثلاثة الإنسانية فتبقى ثمانية عشر وهو مقام الملك وهي الأفلاك التي منها يتلقى الإنسان الموارد وكذلك تفعل بالثلاثة الحقية تضربها أيضاً في السبعة فتكون عند ذلك الأفلاك التي منها يتلقى الإنسان الموارد وكذلك تفعل بالثلاثة الحقية تضربها أيضاً في السبعة فتكون عند ذلك الأفلاك التي منها يلقى الحق على عبده ما يشاء من الواردات فإن أخذناها من جانب الحق قلنا أفلاك الإلقاء وإن أخذناها من جانب الإنسان قلنا أفلاك التلقي وإن أخذناها منهما معاً جعلنا تسعة الحق للإلقاء والأخرى للتلقي وباجتماعهما حدث لتلك ولهذا أوجد الحق تسعة أفلاك السموات السبع والكرسي والعرش وإن شئت قلت فلك الكواكب والفلك الأطلس وهو الصحيح "تتميم" منعنا في أول هذا الفصل أن يكون للحرارة والرطوبة فلك و لم نذكر السبب فلنذكر منه طرفاً في هذا الباب حتى نستوفيه في داخل الكتاب إن شاء الله تعالى وسأذكر في هذا الباب بعد هذا التتميم ما يكون من الحروف حاراً رطباً وذلك لأنه دار به فلك غير الفلك الذي ذكرناه في أول الباب فاعلم أن الحرارة والرطوبة هي الحياة الطبيعية فلو كان لها فلك كما لأخواتها في المزجة لانقضت دورة ذلك الفلك وزال سلطانه كما يظهر في الحياة العرضية وكانت تنعدم أو تنتقل وحقيقتها تنقضي بأن لا تنعدم فليس لها فلك ولهذا أنبأنا الباري تعالى إن الدار الآخرة هي الحيوان وإن كل شيء يسبح بحمده فصار فلك الحياة الأبدية الحياة الأزلية تمدها وليس لها فلك فتنقضي دورته فالحياة الأزلية ذاتية للحي لا يصح لها انقضاء فالحياة الأبدية المعلولة بالحياة الأزلية لا يصح لها انقضاء ألا ترى الأرواح لما كانت حياتها ذاتية لها لم يصح فيها موت البتة ولما كانت الحياة في الأجسام بالعرض قام بها الموت والفناء فإن حياة الجسم الظاهرة من آثار حياة الروح كنور الشمس الذي في الأرض من الشمس فإذا مضت الشمس تبعها نورها وبقيت الأرض مظلمة كذلك الروح إذا رحل عن الجسم إلى عالمه الذي جاء منه تبعته الحياة المنتشرة منه في الجسم الحي وبقي الجسم في صورة الجماد في رأي العين فيقال مات فلان وتقول الحقيقة رجع إلى أصله "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى" كما رجع أيضاً الروح إلى أصله حتى البعث والنشور يكون من الروح تجل للجسم بطريق العشق فتلتئم أجزاؤه وتتركب أعضاؤه بحياة لطيفة جداً تحرك الأعضاء للتأليف اكتسبته من التفات الروح فإذا استوت البنية وقامت النشأة الترابية تجلى له الروح بالرقيقة الإسرافيلية في الصور المحيط فتسري الحياة في أعضائه فيقوم شخصاً سوياً كما كان أول مرة ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها كما بدأكم تعودون قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فإما شقي وإما سعيد.

واعلم أن في امتزاج هذه الأصول عجائب فإن الحرارة والبرودة ضدان فلا يمتزجان وإذا لم يمتزجا لم يكن عنهما شيء وكذلك الرطوبة واليبوسة وإنما يمتزج ضد الضد بضد الضد الآخر فلا يتولد عنها أبداً إلا أربعة لأنها أربعة ولهذا كانت اثنان ضدين لاثنين فلو لم تكن على هذا لكان التركيب منها أكثر مما تعطيه حقائقها ولا يصح أن يكون التركيب أكثر من أربعة أصول فإن الأربعة هي أصول العدد فالثلاثة التي في الأربعة مع الأربعة سبعة والاثنان التي فيها مع هذه السبعة تسعة والواحد الذي في الأربعة مع هذه

التسعة عشرة وركب ما شئت بعد هذا وما تجد عددا يعطيك هذا إلا الأربعة كما لا تجد عدداً تاماً إلا الستة لأن فيها النصف والسدس والثلث فامتزجت الحرارة واليبوسة فكان النار والحرارة والرطوبة فكان الهواء والبرودة والرطوبة فكان الماء والبرودة واليبوسة فكان التراب فانظر في تكون الهواء عن الحرارة والرطوبة وهو النفس الذي هو الحياة الحسية وهو المحرك لكل شيء بنفسه للماء والأرض والنار وبحركته تتحرك الأشياء لأنه الحياة إذ كانت الحركة أثر الحياة فهذه الأربعة الأركان المولدة عن الأمهات الأول ثم لتعلم أن تلك الأمهات الأول تعطي في المركبات حقائقها لا غير من غير امتزاج فالتسخين عن الحرارة لا يكون عن غيرها وكذلك التجفيف والتقبض عن اليبوسة فإذا رأيت النار قد أيبست المحل من الماء فلا تتخيل أن الحرارة جففته فإن النار مركبة من حرارة ويبوسة كما تقدم فبالحرارة التي فيها تسخن الماء وباليبوسة وقع التجفيف وكذلك التليين لا يكون إلا عن الرطوبة والتبريد عن البرودة فالحرارة تسخن والبوردة تبرد والرطوبة تلين واليبوسة تجفف فهذه الأمهات متنافرة لا تجتمع أبداً إلا في الصورة ولكن على حسب ما تعطيه حقائقها ولا يوجد منها في صورة أبداً واحد لكن يوجد اثنان إما حرارة ويبوسة كما تقدم من تركيبها وأما أن توجد الحرارة وحدها فلا لأنها لا يكون عنها على انفرادها إلا هي.

"وصل" فإن الحقائق على قسمين حقائق توجد مفردات في العقل كالحياة والعلم والنطق والحس وحقائق توجد بوجود التركيب كالسماء والعالم والإنسان والحجر فإن قلت فما السبب الذي جمع هذه الأمهات المتنافرة حتى ظهر من امتزاجها ما ظهر فهنا سر عجيب ومركب صعب يحرم كشفه لأنه لا يطاق حمله لأن العقل لا يعقله ولكن الكشف يشهده فلنسكت عنه وربما نشير إليه من بعيد في مواضع من كتابي هذا يتفطن إليه الباحث اللبيب ولكن أقول أراد المختار سبحانه أن يؤلفها لما سبق في علمه خلق العالم وأنها أصل أكثره أو أصله إن شئت فألفها و لم تكن موجودة في أعيانها ولكن أوجدها مؤلفة لم يوجدها مفردة ثم جمعها فإن حقائقها تأبى ذلك فأوجد الصورة التي هي عبارة عن تأليف حقيقتين من هذه الحقائق فصارت كأنها كانت موجودة متفرقة ثم ألفت فظهرت للتأليف حقيقة لم تكن في وقت الافتراق فالحقائق تعطي إن هذه الأمهات لم يكن لها وجود في عينها البتة قبل وجود الصور المركبة عنها فلما أوجد هذه الصور التي هي الماء والنار والهواء والأرض وجعلها سبحانه يستحيل بعضها إلى بعض فيعود النار هواء والهواء ناراً كما تقلب التاء طاء والسين صاداً لأن الفلك الذي وجدت عنه الأمهات الأول عنها وجدت هذه الحروف فالفلك الذي وجد عنه الأرض وجد عنه حرف الثاء والتاء وما عدا رأس الجيم ونصف تعريقة اللام ورأس الخاء وثلثا الهاء والدال اليابسة والنون والميم والفلك الذي وجد عنه الماء وجد عنه حرف الشين والغين والطاء والحاء والضاد ورأس الباء بالنقطة الواحدة ومدة جسد الفاء دون رأسها ورأس القاف وشيء من تعريقه ونصف دائرة الظاء المعجمة الأسفل والفلك الذي وجد عنه الهواء وجد عنه طرف الهاء الأخير الذي يعقد دائرتها ورأس الفاء وتعريق الخاء على حكم نصف الدائرة ونصف دائرة الظاء المعجمة الأعلى مع قائمته وحرف الذال والعين والزاي والصاد والواو والفلك الذي وجد عنه النار وجد عنه حرف الهمزة والكاف والباء والسين والراء ورأس الجيم وجسد الياء باثنتين من أسفل دون رأسها ووسط اللام وجسد القاف دون رأسه وعن حقيقة الألف صدرت هذه الحروف كلها وهو فلكها روحاً وحساً وكذلك ثم موجود خامس هو أصل لهذه الأركان وفي هذا خلاف بين أصحاب علم الطبائع عن النظر ذكره الحكيم في الإسطقسات و لم يأت فيه بشيء يقف الناظر عنده و لم نعرف هذا من حيث قراءتي علم الطبائع على أهله وإنما دخل به علي صاحب لي وهو في يده وكان يشتغل بتحصيل علم الطب فسألني أن أمشيه له من جهة

علمنا بهذه الأشياء من جهة الكشف لا من جهة القراءة والنظر فقرأه علينا فوقفت منه على هذا الخلاف الذي أشرت إليه فمن هناك علمته ولولا ذلك ما عرفت هل خالف فيه أحد أم لا فإنه ما عندنا فيه إلا الشيء الحق الذي هو عليه وما عندنا خلاف فإن الحق تعالى الذي نأخذ العلوم عنه بخلو القلب عن الفكر والاستعداد لقبول الواردات هو الذي يعطينا الأمر على أصله من غير إجمال ولا حيرة فنعرف الحقائق على ما هي عليه سواء كانت المفردات أو الحادثة بحدوث التأليف أو الحقائق الإلهية لا تمتري في شيء منها فمن هناك هو علمنا والحق سبحانه معلمنا ورثا نبويا محفوظا معصوما من الخلل والإجمال والظاهر قال تعالى "وما علمناه الشعر وما ينبغي له" فإن الشعر محل الإجمال والرموز والألغاز والتورية أي ما رمزنا له شيأ ولا لغزناه ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيأ آخر ولا أجملنا له الخطاب إن هو إلا ذكر لما شاهده حين جذبناه وغيبناه عنه وأحضرناه بنا عندنا فكنا سمعه وبصره ثم رددناه إليكم لتهتدوا به في ظلمات الجهل والكون فكنا لسانه الذي يخاطبكم به ثم أنزلنا عليه مذكراً يذكره بما شاهده فهو ذكر له لذلك وقرآن أي جمع أشياء كان شاهدها عندنا مبين ظاهر له لعلمه بأصل ما شاهده وعاينه في ذلك التقريب إلا نزه إلا قدس الذي ماله منه صلى الله عليه وسلم ولنا منه من الحظ على قدر صفاء المحل والتهيء والتقوى فمن علم أن الطبائع والعالم المركب منها في غاية الافتقار والاحتياج إلى الله تعالى في وجود أعيانها وتأليفها علم أن السبب هو حقائق الحضرة الإلهية الأسماء الحسنى والأوصاف العلى كيف تشاء على حسب ما تعطيه حقائقها وقد بينا هذا الفصل على الاستيفاء في كتاب إنشاء الجداول والدوائر وسنذكر من ذلك طرفاً في هذا الكتاب فهذا هو سبب الأسباب

القديم الذي لم يزل مؤلف الأمهات ومولد البنات فسبحانه سبحانه خالق الأرض والسموات "وصل" انتهى الكلام المطلوب في هذا الكتاب على الحروف من جهة المكلف والمكلفين وحظها منهم وحركتها في الأفلاك السداسية المضاعفة وعينا سني دورتها في تلك الأفلاك وحظها من الطبيعة من حركة تلك الأفلاك ومراتبها الأربعة في المكلف والمكلفين على حسب فهم العامة ولهذا كانت أفلاك بسائطها على نوعين فالبسائط التي يقتصر بها على حقائق عامة العقلاء على أربعة حروف الحق التي عن الأفلاك السبعية وحروف الأنس عن الثمانية وحروف الملك عن التسعة وحروف الجن الناري عن العشرة وليس ثم قسم زائد عندهم لقصورهم عن إدراك مأثم لأنهم تحت قهر عقولهم والمحققون تحت قهر سيدهم الملك الحق سبحانه وتعالى.

فلهذا عندهم من الكشف ما ليس عند الغير فبسائط المحققين على ست مراتب مرتبة للمكلف الحق تعالى وهي النون وهي ثنائية فإن الحق لا نعلمه إلا منا وهو معبودنا ولا يعلم على الكمال إلا بنا فلهذا كان له النون التي هي ثنائية فإن بسائطها اثنان الواو والألف فالألف له والواو لمعناك وما في الوجود غير الله وأنت إذ أنت الخليفة ولهذا الألف عام والواو ممتزجة كما سيأتي ذكرها في هذا الباب ودورة هذا الفلك المخصوصة التي بها تقطع الفلك المحيط الكلي دورة جامعة تقطع الفلك الكلي في اثنين وثمانين ألف سنة وتقطع فلك الواو الفلك الكلي في عشرة آلاف سنة على ما نذكرها بعد في هذا الباب عند كلامنا على الحروف مفردة وحقائقها وما بقي من المراتب فعلى عدد المكلفين وأما المرتبة الثانية فهي للإنسان وهو أكمل المكلفين وجوداً وأعمه وأتمه خلقاً وأقومه ولها حرف واحد وهي الميم وهي ثلاثية وذلك أن بسائطها ثلاثة الياء والألف والهمزة وسيأتي ذكرها في داخل الباب إن شاء الله وأما المرتبة الثالثة فهي للجن مطلقاً النوري والناري وهي رباعية ولها من الحروف الجيم والواو والكاف والقاف وسيأتي ذكرها وأما المرتبة الرابعة فهي للبهائم وهي خماسية لها من الحروف الدال اليابسة والزاي والصاد اليابسة والعين اليابسة والضاد المعجمة والسين

اليابسة والذال المعجمة والغين والشين المعجمتان وسيأتي ذكرها إن شاء الله وأما المرتبة الخامسة فهي للنبات وهي سداسية لها من الحروف الألف والهاء واللام وسيأتي ذكرها إن شاء الله وأما المرتبة السادسة فهي للجماد وهي سباعية لها من الحروف الباء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والخاء والظاء وسيأتي ذكرها إن شاء الله والغرض في هذا الكتاب إظهار لمع ولوائح إشارات من أسرار الوجود ولو فتحنا الكلام على سرائر هذه الحروف وما تقتضيه حقائقها لكلت اليمين وحفي القلم وجف المداد وضاقت القراطيس والألواح ولو كان الرق المنشور فإنها من الكلمات التي قال الله تعالى فيها "لو كان البحر مداداً" وقال "ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله" وهنا سر وإشارة عجيبة لمن تفطن لها وعثر على هذه الكلمات فلو كانت هذه العلوم نتيجة عن فكر ونظر لانحصر الإنسان في أقرب مدة ولكنها موارد الحق تعالى تتوالى على قلب العبد وأرواحه البررة تتزل عليهم من عالم غيبه برحمته التي من عنده وعلمه الذي من لدنه والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار والمحل قابل على الدوام فإما يقبل الجهل وإما يقبل العلم فإن استعد وتهيأ وصفى مرآة قلبه وجلاها حصل له الوهب على الدوام ويحصل له في اللحظة ما لا يقدر على تقييده في أزمنة لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية ولا غاية يقف عندها وقد صرح بذلك في أمره لرسوله عليه السلام وقل رب زدني علماً والمراد بهذه الزيادة من العلم المتعلق بالإله ليزيد معرفة بتوحيد الكثرة فتزيد رغبته في تحميده فيزاد فضلاً على تحميده دون انتهاء ولا انقطاع فطلب منه الزيادة وقد حصل من العلوم والأسرار ما لم يبلغه أحد ومما يؤيد ما ذكرناه من أنه أمر بالزيادة من علم التوحيد لا من غيره أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاماً قال اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه وإذا شرب لبناً قال اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه لأنه أمر بطلب الزيادة فكان يتذكر عند ما يرى اللبن اللبن الذي شربه ليلة الإسراء فقال له جبريل أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك والفطرة علم التوحيد التي فطر الله الخلق عليها حين أشهدهم حين قبضهم من ظهورهم ألست بربكم قالوا بلى فشاهدوا الربوبية قبل كل شيء ولهذا تأول صلى الله عليه وسلم اللبن لما شربه في النوم وناول فضله عمر قيل ما أولته يا رسول الله قال العلم فلولا حقيقة مناسبة بين العلم واللبن جامعة ما ظهر بصورته في عالم الخيال عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله.

فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه كيف ينتهي كلامه أبداً فشتان بين مؤلف يقول حدثني فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله وبين من يقول حدثني قلبي عن ربي وإن كان هذا رفيع القدر فشتان بينه وبين من يقول حدثني ربي عن ربي أي حدثني ربي عن نفسه وفيه إشارة الأول الرب المعتقد والثاني الرب الذي لا يتقيد فهو بواسطة لا بواسطة وهذا هو العلم الذي يحصل للقلب من المشاهدة لاذاتية التي منها يفرض على السر والروح والنفس فمن كان هذا مشربه كيف يعرف مذهبه فلا تعرفه حتى تعرف الله وهو لا يعرف تعالى من جميع وجوه المعرفة كذلك هذا لا يعرف فإن العقل لا يدري أين هو فإن مطلبه الأكوان ولا كون لهذا كما قيل:

ظهرت لما أبقيت بعد فنائه	فكان بلا كون لأنك كنته

فالحمد لله الذي جعلني من أهل الإلقاء والتلقي فنسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم من أهل التداني والترقي ثم ارجع وأقول أن فصول حروف المعجم تزيد على أكثر من خمسمائة فصل وفي كل فصل مراتب كثيرة فتركنا الكلام عليها حتى نستوفيه في كتاب المبادي والغايات إن شاء الله ولنقتصر منها على ما لا بد من ذكره بعد ما نسمي من مراتبها ما يليق بكتابنا هذا وربما نتكلم على بعضها

وبعد ذلك نأخذها حرفاً حرفاً حتى تكمل الحروف كلها إن شاء الله ثم نتبعها بإشارات من أسرار تعانق اللام بالألف ولزومه إياه وما السبب لهذا التعشق الروحاني بينهما خاصة حتى ظهر ذلك في عالم الكتابة والرقم فإن في ارتباط اللام بالألف سراً لا ينكشف إلا لمن أقام الألف من رقدتها وحل اللام من عقدتها والله يرشدنا وإياكم لعمل صالح يرضاه منا انتهى الجزء الرابع والحمد لله

الجزء الخامس

تكملة

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر بعض مراتب الحروف

اعلم وفقنا الله وإياكم أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون وفيهم رسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا وعالم الحروف أفصح العالم لساناً وأوضحه بياناً وهم على أقسام كأقسام العالم المعروف في العرف فمنهم عالم الجبروت عند أبي طالب المكي ونسميه نحن عالم العظمة وهو الهاء والهمزة ومنهم العالم الأعلى وهو عالم الملكوت وهو الحاء والخاء والعين والغين ومنهم العالم الوسط وهو عالم الجبروت عندنا وعند أكثر أصحابنا وهو التاء والثاء والجيم والدال والذال والراء والزاي والظاء والكاف واللام والنون والصاد والضاد والقاف والسين والشين والياء الصحيحة ومنهم العالم الأسفل وهو عالم الملك والشهادة وهو الباء والميم والواو الصحيحة ومنهم العالم الممتزج بين عالم الشهادة والعالم الوسط وهو الفاء ومنهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الوسط وبين عالم الملكوت وهو الكاف والقاف وهو امتزاج المرتبة ويمازجهم في الصفة الروحانية الطاء والظاء والصاد والضاد ومنهم عالم الامتزاج بين عالم الجبروت الأعظم وبين الملكوت وهو الحاء المهملة ومنهم العالم الذي يشبه العالم منا الذين لا يتصفون بالدخول فينا ولا بالخروج عنا وهو الألف والياء والواو المعتلتان فهؤلاء عوالم ولكل عالم رسول من جنسهم ولهم شريعة تعبدوا بها ولهم لطائف وكثائف وعليهم من الخطاب الأمر ليس عندهم نهي وفيهم عامة وخاصة وخاصة الخاصة وصفا خلاصة خاصة الخاصة فالعامة منهم الجيم والضاد والخاء والدال والغين والشين ومنهم خاصة الخاصة وهو الألف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والنون واللام والغين ومنهم خلاصة خاصة الخاصة وهو الباء ومنهم الخاصة التي فوق العامة بدرجة وهو حروف أوائل السور مثل الم والمص وهي أربعة عشر حرفاً الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون ومنهم حروف صفاء خلاصة خاصة الخاصة وهو النون والميم والراء والباء والدال والزاي والألف والطاء والياء والواو والهاء والظاء والثاء واللام والفاء والسين ومنهم العالم المرسل وهو الجيم والحاء والخاء والكاف ومنهم العالم الذي تعلق بالله وتعلق به الخلق وهو الألف والدال والذال والراء والزاي والواو وهو عالم التقديس من الحروف الكروبيين ومنهم العالم الذي غلب عليه التخلق بأوصاف الحق وهو التاء والثاء والخاء والذال والزاي والظاء المعجمة والنون والضاد المعجمة والغين المعجمة والشين المعجمة والقاف والفاء عند أهل الأنوار ومنهم العالم الذي قد غلب عليهم التحقق وهو الباء والفاء عند أهل الأسرار والجيم ومنهم العالم الذي قد تحقق بمقام الاتحاد وهو الألف والحاء والدال والراء والطاء اليابسة والكاف واللام والميم والصاد اليابسة والعين والسين اليابستان والهاء والواو إلا أني أقول إنهم على مقامين في الاتحاد عال وأعلى فالعالي الألف والكاف والميم والعين والسين والأعلى ما بقي.

ومنهم العالم الممتزج الطبائع وهو الجيم والهاء والياء واللام والفاء والقاف والخاء والظاء خاصة وأجناس عوالم الحروف أربعة جنس

مفرد وهو الألف والكاف واللام والميم والهاء والنون والواو وجنس ثنائي مثل الدال والذال وجنس ثلاثي مثل الجيم والحاء والخاء وجنس رباعي وهو الباء والتاء والثاء والياء في وسط الكلمة والنون كذلك فهو خماسي بهذا الاعتبار وإن لم تعتبرهما فتكون الباء والتاء والثاء من الجنس الثلاثي ويسقط الجنس الرباعي فبهذا قد قصصنا عليك من عالم الحروف ما إن استعملت نفسك في الأمور الموصلة إلى كشف العالم والاطلاع على حقائقه وتحقق قوله تعالى "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم" فلو كان تسبيح حال كما يزعم بعض علماء النظر لم تكن فائدة في قوله ولكن لا تفقهون وصلت إليها ووقفت عليها وكنت قد ذكرت أنه ربما أتكلم على بعضها فنظرت في هؤلاء العالم ما يمكن فيه بسط الكلام أكثر من غيره فوجدناه العالم المختص وهو عالم أوائل السور المجهولة مثل الم البقرة والمص والر يونس وأخواتها فلنتكلم على الم البقرة التي هي أول سورة مبهمة في القرآن كلاماً مختصراً من طريق الأسرار وربما الحق بذلك الآيات التي تليها وإن كان ذلك ليس من الباب ولكن فعلته عن أمر ربي الذي عهدته فلا أتكلم إلا على طريق الأذن كما أني سأقف عندما يحد لي فإن تأليفنا هذا وغيره لا يجري مجرى التواليف ولا نجري نحن فيه مجرى المؤلفين فإن كل مؤلف إنما هو تحت اختياره وإن كان مجبوراً في اختياره أو تحت العلم الذي يبثه خاصة فيلقى ما يشاء ويمسك ما يشاء أو يلقي ما يعطيه العلم وتحكم عليه المسئلة التي هو بصددها حتى تبرز حقيقتها ونحن في تواليفنا لسنا كذلك إنما هي قلوب عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما ينفتح له الباب فقيرة خالية من كل علم لو سئلت في ذلك المقام عن شيء ما سمعت لفقدها إحساسها فمهما برز لها من وراء ذلك الستر أمر ما بادرت لامتثاله وألفته على حسب ما يحد لها في الأمر فقد يلقى الشيء إلى ما ليس من جنسه في العادة والنظر الفكري وما يعطيه العلم الظاهر والمناسبة الظاهرة للعلماء لمناسبة خفية لا يشعر بها إلا أهل الكشف بل ثم ما هو أغرب عندنا إنه يلقى إلى هذا القلب أشياء يؤمر بإيصالها وهو لا يعلمها في ذلك الوقت لحكمة إلهية غابت عن الخلق فلهذا لا يتقيد كل شخص يؤلف عن الإلقاء بعلم ذلك الباب الذي يتكلم عليه ولكن يدرج فيه غيره في علم السامع العادي على حسب ما يلقي إليه ولكنه عندنا قطعاً من نفس ذلك الباب بعينه لكن بوجه لا يعرفه غيرنا مثل الحمامة والغراب اللذين اجتمعا لعرج قام بأرجلهما وقد أذن لي في تقييد ما ألقيه بعد هذا فلا بد منه "وصل" الكلام على هذه الحروف المجهولة المختصة على عدد حروفها بالتكرار وعلى عدد حروفها بغير تكرار وعلى جملتها في السور وعلى إفرادها في ص وق ون وتثنيتها في طس وطه وأخواتها وجمعها من ثلاثة فصاعدا حتى بلغت خمسة حروف متصلة ومنفصلة ولم تبلغ أكثر ولم وصل بعضها ولم كانت السور بالسين ولم تكن بالصاد ولم جهل معنى هذه الحروف عند علماء الظاهر وعند كشف أهل الأحوال إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل فلنقل على بركة الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل "اعلم" أن مبادي السور المجهولة لا يعرف حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة ثم جعل سور القرآن بالسين وهو التعبد الشرعي وهو ظاهر السور الذي فيه العذاب وفيه يقع الجهل بها وباطنه بالصاد وهو مقام الرحمة وليس إلا العلم بحقائقها وهو التوحيد فجعلها تبارك وتعالى تسعاً وعشرين سورة وهو كمال الصورة والقمر قدرناه منازل والتاسع والعشرون القطب الذي به قوام الفلك وهو علة وجوده وهو سورة آل عمران الم الله ولولا ذلك ما ثبتت الثمانية والعشرون وجملتها على تكرار الحروف ثمانية وسبعون حرفاً فالثمانية حقيقة البضع قال عليه السلام الإيمان بضع وسبعون.

وهذه الحروف ثمانية وسبعون حرفاً فلا يكمل عبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها "فإن قلت" إن البضع

مجهول في اللسان فإنه من واحد إلى تسعة فمن أين قطعت بالثمانية عليه فإن شئت قلت لك من طريق الكشف وصلت إليه فهو الطريق الذي عليه أسلك والركن الذي إليه استند في علومي كلها وإن شئت أبديت لك منه طرفاً من باب العدد وإن كان أبو الحكم عبد السلام بن برجان لم يذكره في كتابه من هذا الباب الذي نذكره وإنما ذكره رحمه الله من جهة علم الفلك وجعله ستراً على كشفه حين قطع بفتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فكذلك إن شئنا نحن كشفنا وإن شئنا جعلنا العدد على ذلك حجاباً فنقول إن البضع الذي في سورة الروم ثمانية وخذ عدد حروف الم بالجزم الصغير فتكون ثمانية فتجمعها إلى ثمانية البضع فتكون ستة عشر فتزيل الواحد الذي للألف للاس فيبقى خمسة عشر فتمسكها عندك ثم ترجع إلى العمل في ذلك بالجمل الكبير وهو الجزم فتضرب ثمانية البضع في أحد وسبعين واجعل ذلك كله سنين يخرج لك في الضرب خمسمائة وثمانية وستون فتضيف إليها الخمسة عشر التي أمرتك أن ترفعها فتصير ثلاثة وثمانين وخمسمائة سنة وهو زمان فتح بيت المقدس على قراءة من قرأ غلبت الروم بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الياء وفتح اللام وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كان ظهور المسلمين في أخذ حج الكفار وهو فتح بيت المقدس ولنا في علم العدد من طريق الكشف أسرار عجيبة من طريق ما يقتضيه طبعه ومن طريق ما له من الحقائق الإلهية وإن طال بنا العمر فسأفرد لمعرفة العدد كتاباً إن شاء الله فلنرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول فلا يكمل عبد الأسرار التي تتضمنها شعب الإيمان إلا إذا علم حقائق هذه الحروف على حسب تكرارها في السور كما إنه إذا علمها من غير تكرار علم تنبيه الله فيها على حقيقة الإيجاد وتفرد القديم سبحانه بصفاته الأزلية فأرسلها في قرآنه أربعة عشر حرفاً مفردة مبهمة فجعل الثمانية لمعرفة الذات والسبع الصفات منا وجعل الأربعة للطبائع المؤلفة التي هي الدم والسوداء والصفراء والبلغم فجاءت اثنتي عشرة موجودة وهذا هو الإنسان من هذا الفلك ومن فلك آخر يتركب من أحد عشر ومن عشرة ومن تسعة ومن ثمانية حتى إلى فلك الاثنين ولا يتحلل إلى الأحدية أبداً فإنها مما انفرد بها الحق فلا تكون لموجود الإله ثم إنه سبحانه جعل أولها الألف في الخط والهمزة في اللفظ وآخرها النون فالألف لوجود الذات على كمالها لأنها غير مفتقرة إلى حركة والنون لوجود الشطر من العالم وهو عالم التركيب وذلك نصف الدائرة الظاهرة لنا من الفلك والنصف الآخر النون المعقولة عليها التي لو ظهرت للحس وانتقلت من عالم الروح لكانت دائرة محيطة ولكن أخفى هذه النون الروحانية الذي بها كمال الوجود وجعلت نقطة النون المحسوسة دالة عليها فالألف كاملة من جميع وجوهها والنون ناقصة فالشمس كاملة والقمر ناقص لأنه محو فصفة ضوئه معارة وهي الأمانة التي حملها وعلى قدر محوه وسراره إثباته وظهوره ثلاثة لثلاثة فثلاثة غروب القمر القلبي الإلهي في الحضرة الأحدية وثلاثة طلوع قمر القلب الإلهي في الحضرة الربانية وما بينهما في الخروج والرجوع قدماً بقدم لا يختل أبداً ثم جعل سبحانه هذه الحروف على مراتب منها موصول ومنها مقطوع ومنها مفرد ومثنى ومجموع ثم نبه أن في كل وصل قطعاً وليس في كل قطع وصل فكل وصل يدل على فصل وليس كل فصل يدل على وصل فالوصل والفصل في الجمع وغير الجمع والفصل وحده في عين الفرق فما أفرده من هذه فإشارة إلى فناء رسم العبد أزلا وما ثناه فإشارة إلى وجود رسم العبودية حالاً وما جمعه فإشارة إلى الأبد بالموارد التي لا تناهى فالأفراد للبحر الأزلي والجمع للبحر الأبدي والمثنى للبرزخ المحمدي الإنسان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل بالبحر الذي أوصله به فأفناه عن الأعيان أو بالبحر الذي فصله عنه وسماه بالأكوان أو بلبرزخ الذي استوى عليه الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج من بحر الأزل اللؤلؤ ومن بحر الأبد المرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجواري الروحانية المنشآت من الحقائق الأسمائية في البحر الذاتي الأقدسي كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان يسأله العالم العلوي على علوه وقدسه والعالم السفلي على

نزوله
ونحسه كل خطرة في شأن فبأي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان وإن لم تنعدم الأعيان ولكنها رحلة من دنا إلى دان فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ منكم إليكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان فهكذا لو اعتبر القرآن ما اختلف اثنان ولا ظهر خصمان ولا تناطح عتران فدبروا آياتكم ولا تخرجوا عن ذاتكم فإن كان ولا بد فإلى صفاتكم فإنه إذا سلم العالم من نظركم وتدبيركم كان على الحقيقة تحت تسخيركم ولهذا خلق قال تعالى "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً" منه والله يرشدنا وإياكم لي ما فيه صلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة إنه ولي كريم "وصل" الألف من الم إشارة إلى التوحيد والميم للملك الذي لا يهلك واللام بينهما واسطة لتكون رابطة بينهما فانظر إلى السطر الذي يقع عليه الخط من اللام فتجد الألف إليه ينتهي أصلها وتجد الميم منه يبتدئ نشوها ثم تترل من أحسن تقويم وهو السطر إلى أسفل سافلين منتهى تعريق الميم.

قال تعالى "خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين" و نزول الألف إلى السطر مثل قوله يترل ربنا إلى السماء الدنيا وهو أول عالم التركيب لأنه سماء آدم عليه السلام ويليه فلك النار فلذلك نزل إلى أول السطر فإنه نزل من مقام الأحدية إلى مقام إيجاد الخليقة نزول تقديس وتتريه لا نزول تمثيل وتشبيه وكانت اللام واسطة وهي نائبة مناب المكون والكون فهي القدرة التي عنها وجد العالم فأشبهت الألف في الترول إلى أول السطر ولما كانت ممترجة من المكون والكون فإنه لا يتصف بالقدرة على نفسه وإنما هو قادر على خلقه فكان وجه القدرة مصروفاً إلى الخلق ولهذا لا يثبت للخالق إلا بالخلق فلابد من تعلقها بهم علواً وسفلاً ولما كانت حقيقتها لا تتم بالوصول إلى السطر فتكون والألف على مرتبة واحدة طلبت بحقيقتها الترول تحت السطر أو على السطر كما نزل الميم فترلت إلى إيجاد الميم و لم يتمكن أن تترل على صورة الميم فكان لا يوجد عنها أبداً إلا الميم فترلت نصف دائرة حتى بلغت إلى السطر من غير الجهة التي نزلت منها فصارت نصف فلك محسوس يطلب نصف فلك معقول فكان منهما فلك دائر فتكون العالم كله من أوله إلى آخره في ستة أيام أجناساً من أول يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة وبقي يوم السبت للانتقالات من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام والاستحالات من كون إلى كون ثابت على ذلك لا يزول ولا يتغير ولذلك كان الوالي على هذا اليوم البرد واليبس وهو من الكواكب زحل فصار الم وحده فلكاً محيطاً من دار به علم الذات والصفات والأفعال والمفعولات فمن قرأ الم بهذه الحقيقة والكشف حضر بالكل للكل مع الكل فلا يبقى شيء في ذلك الوقت إلا يشهده لكن منه ما يعلم ومنه ما لا يعلم فتتره الألف عن قيام الحركات بها يدل أن الصفات لا تعقل إلا بالأفعال كما قال عليه السلام كان الله ولا شيء معه وهو على ما عليه كان فلهذا صرفنا الأمر إلى ما يعقل لا إلى ذاته المترهة فإن الإضافة لا تعقل أبداً إلا بالمتضايفين فإن الأبوة لا تعقل إلا بالأب والابن وجوداً وتقديراً وكذلك المالك والخالق والبارئ والمصور وجميع الأسماء التي تطلب العالم بحقائقها وموضع التنبيه من حروف الم عليها في اتصال اللام الذي هو الصفة بالميم الذي هو أثرها وفعلها فالألف ذات واحدة لا يصح فيها اتصال شيء من الحروف إذا وقعت أولاً في الخط فهي الصراط المستقيم الذي سألته النفس في قولها اهدنا الصراط المستقيم صراط التتريه والتوحيد فلما أمن على دعائها ربها الذي هو الكلمة الذي أمرت بالرجوع إليه في سورة الفجر قبل تعالى تأمينه على دعائها فأظهر الألف من الم عقيب ولا الضالين وأخفى آمين لأنه غيب من عالم الملكوت من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الغيب المتحقق الذي يسمونه العامة من الفقهاء الإخلاص وتسميه الصوفية الحضور وتسميه المحققون الهمة ونسميه أنا وأمثالنا العناية لوما كانت الألف متحدة في عالم

الملكوت والشهادة ظهرت فوقع الفرق بين القديم والمحدث فانظر فيما سطرناه تر عجباً ومما يؤيد ما ذكرناه من وجود الصفة المد الموجود في اللام والميم دون الألف فإن قال صوفي وجدنا الألف مخطوطة والنطق بالهمزة دون الألف فلم لا ينطق بالألف فنقول وهذا أيضاً مما يعضد ما قلناه فإن الألف لا تقبل الحركة فإن الحرف مجهول ما لم يحرك فإذا حرك ميز بالحركة التي تتعلق به من رفع ونصب وخفض والذات لا تعلم أبداً على ما هي عليه فالألف الدال عليها الذي هو في عالم الحروف خليفة كالإنسان في العالم مجهول أيضاً كالذات لا تقبل الحركة فلما لم تقبلها لم يبق إلا أن تعرف من جهة سلب الأوصاف عنها ولما لم يمكن النطق بساكن نطقنا باسم الألف بالألف فنطقنا بالهمزة بحركة الفتحة فقامت الهمزة مقام المبدع الأول وحركتها صفته العلمية ومحل إيجاده في اتصال الكاف بالنون فإن قيل وجدنا الألف التي في اللام منطوقاً بها و لم نجدها في الألف قلنا صدقت لا يقع النطق بها إلا بمتحرك مشبع التحرك قبلها موصولة به وإنما كلامنا في الألف المقطوعة التي لا يشبع الحرف الذي قبلها حركته فلا يظهر في النطق وإن رقمت مثل ألف إنما المؤمنون فهذان ألفان بين ميم إنما وبين لام المؤمنين موجودتان خطاً غير ملفوظ بهما نطقاً وإنما الألف الموصولة التي تقع بعد الحرف مثل لام هاء حاء وشبهها فإنه لولا

وجودها ما كان المد لواحد من هذه الحروف فمدها هو سر الاستمداد الذي وقع به إيجاد الصفات في محل الحروف ولهذا لا يكون المد إلا بالوصل فإذا وصل الحرف بالألف من اسمه الآخر امتد الألف بوجود الحرف الموصول به ولما وجد الحرف الموصول به افتقر إلى الصفة الرحمانية فأعطى حركة الفتح التي هي الفتحة فلما أعطيها طلب منه الشكر عليها فقال وكيف يكون الشكر عليها قيل له أن تعلم السامعين بأن وجودك ووجود صفاتك لم يكن بنفسك وإنما كان من ذات القديم تعالى فاذكره عند ذكرك نفسك فقد جعلك بصفة الرحمة خاصة دليلاً عليه ولهذا قال إن الله خلق آدم على صورة الرحمن فنطقت بالثناء على موجدها فقالت لام ياء هاء حاء طاء فأظهرت نطقاً ما خفي خطاً لأن الألف التي في طه وحم وطس موجودة نطقاً خفيت خطاً لدلالة الصفة عليها وهي الفتحة صفة افتتاح الوجود فإن قال وكذلك نجد المد في الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها فهي أيضاً ثلاث ذوات فكيف يكون هذا وما ثم الا ذات واحدة فنقول نعم أما المد الموجود في الواو المضموم ما قبلها في مثل ن والقلم والياء المكسور ما قبلها مثل الياء من طس وياء الميم من حم فمن حيث أن الله تعالى جعلهما حرفي علة وكل علة تستدعي معلولها بحقيقتها وإذا استدعت ذلك فلابد من سر بينهما يقع به الاستمداد والإمداد فلهذا أعطيت المد وذلك لما أودع الرسول الملكي الوحي لو لم يكن بينه وبين الملقى إليه نسبة ما ما قبل شيأ لكنه خفي عنه ذلك فلما حصل له الوحي ومقامه الواو لأنه روحاني علوي والرفع يعطي العلو وهو باب الواو المعتلة فعبرنا عنه بالرسول الملكي الروحاني جبريل كان أو غيره من الملائكة ولما أودع الرسول البشري ما أودع من أسرار التوحيد والشرائع أعطى من الاستمداد والإمداد الذي يمد به عالم التركيب وخفي عنه سر الاستمداد ولذلك قال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم وقال إنما أنا بشر مثلكم ولما كان موجوداً في العالم السفليّ عالم الجسم والتركيب أعطيناه الياء المكسور ما قبلها المعتلة وهي من حروف الخفض فلما كانا علتين لوجود الأسرار الإلهية من توحيد وشرع وهبا سر الاستمداد فلذلك مدتا وأما الفرق الذي بينهما وبين الألف فإن الواو والياء قد يسلبان عن هذا المقام فيحركان بجميع الحركات كقوله ووجدك وتؤوي وولوا الأدبار ينأون يغنيه إنك ميت وقد يسكنان بالسكون الحي كقوله وما هو بميت وينأون وشبههما والألف لا تحرك أبداً ولا يوجد ما قبلها أبداً إلا مفتوحاً فإذن فلا نسبة بين الألف وبين الواو والياء فمهما حركت الواو والياء فإن ذلك مقامها ومن صفاتها ومهما ألحقتا بالألف في العلية فذلك ليس من ذاتها وإنما ذلك من جانب القديم سبحانه لا يحتمل الحركة ولا يقبلها

ولكن ذلك من صفة المقام وحقيقته الذي نزلت به الواو والياء فمدلول الألف قديم والواو والياء محركتان كانتا أولا محركتان فهما حادثان فإذا ثبت هذا فكل ألف أو واو أو ياء ارتقمت أو حصل النطق بها فإنما هي دليل وكل دليل محدث يستدعي محدثاً والمحدث لا يحصره الرقم ولا النطق إنما هو غيب ظاهر وكذلك يس ون فنجده نطقاً وهو ظهوره ولا نجده رقماً وهو غيبه وهذا سبب حصول العلم بوجود الخالق لا بذاته وبوجود ليس كمثله شيء لا بذاته واعلم أيها المتلقي أنه كل ما دخل تحت الحصر فهو مبدع أو مخلوق وهو محلك فلا تطلب الحق لا من داخل ولا من خارج إذ الدخول والخروج من صفات الحدوث فانظر الكل في الكل تجد الكل فالعرش مجموع والكرسي مفروق.

يا طالباً لوجود الحق يدركه ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم

ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فلو لم يرجعوا لوجدوا النور فلما رجعوا باعتقاد القطع ضرب بينهم بالسور وإلا لو عرفوا من ناداهم بقوله ارجعوا وراءكم لقالوا أنت مطلوبنا و لم يرجعوا فكان رجوعهم سبب ضرب السور بينهم فبدت جهنم فكبكبوا فيها هم والغاوون وبقي الموحدون يمدون أهل الجنان بالولدان والحور الحسان من حضرة العيان فالوزير محل صفات الأمير والصفة التي انفرد بها الأمير وحده هي سر التدبير الذي خرجت عنه الصفات فعلم ما يصدر له وتقرر أن الألف هي ذات الكلمة واللام ذات عين الصفة والميم عين الفعل وسرهم الخفي هو الموجد إياهم "وصل" فنقول فقوله ذلك الكتاب بعد قوله الم إشارة إلى موجود بيد أن فيه بعد أو سبب البعد لما أشار إلى الكتاب وهو المفروق محل التفصيل وأدخل حرف اللام في ذلك وهي تؤذن بالبعد في هذا المقام والإشارة نداء على رأس البعد عند أهل الله ولأنها أعني اللام من العالم الوسط فهي محل الصفة إذ بالصفة يتميز المحدث من القديم وخص خطاب المفرد بالكاف مفردة لئلا يقع الاشتراك بين المبدعات وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عندما تكلمنا على قوله تعالى "اخلع نعليك" من كتاب الجمع والتفصيل أي اخلع اللام والميم تبق الألف المنزهة عن الصفات ثم حال بين الذال الذي هو الكتاب محل الفرق الثاني وبين اللام التي هي الصفة محل الفرق الأول التي بها يقرأ الكتاب بالألف التي هي محل الجمع لئلا يتوهم الفرق الخطاب من فرق آخر فلا يبلغ إلى حقيقة أبداً ففصل بالألف بينهما فصار حجاباً بين الذال واللام فأرادت الذال الوصول إلى اللام فقام لها الألف فقال بي تصل وأرادت اللام ملاقاة الذال لتؤدي إليها أمانتها فتعرض لها أيضاً الألف فقال لها بي تلقاه فمهما نظرت الوجود جمعاً وتفصيلاً وجدت التوحيد يصحبه لا يفارقه البتة صحبة الواحد الإعداد فإن الاثنين لا توجد أبداً ما لم تضف إلى الواحد مثله وهو الاثنين ولا تصح الثلاثة ما لم تزد واحد لو نقص من الألف واحد انعدم اسم الألف وحقيقته وبقيت حقيقة أخرى وهي تسعمائة وتسعة وتسعون لو نقص منها واحد لذهب عينها فمتى انعدم الواحد من شيء عدم ومتى ثبت وجد ذلك الشيء هكذا التوحيد إن حققته وهو معكم أينما كنتم فقال ذا وهو حرف مبهم فبين ذلك المبهم بقوله الكتاب وهو حقيقة ذا وساق الكتاب بحرفي التعريف والعهد وهما الألف واللام من الم غير أنهما هنا من غير الوجه الذي كانتا عليه في الم فإنهما هناك في محل الجمع وهما هنا في أول باب من أبواب التفصيل ولكن من تفصيل سرائر هذه السورة خاصة لا في غيرها من السور هكذا ترتيب الحقائق في الوجود فذلك الكتاب هو الكتاب المرقوم لأن أمهات الكتب ثلاثة الكتاب المسطور والكتاب المرقوم والكتاب المجهول

وقد شرحنا معنى الكتاب والكاتب في كتاب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية في الباب التاسع منه فانظره هناك فنقول إن الذوات وإن اتحد معناها فلابد من معنى به يفرق بين الذاتين يسمى الوصف فالكتاب المرقوم موصوف بالرقم والكتاب المسطور موصوف بالتسطير وهذا الكتاب المجهول الذي سلب عنه الصفة لا يخلو من أحد وجهين إما أن يكون صفة ولذلك لا يوصف وإما أن يكون ذاتا غير موصوفة والكشف يعطي أنه صفة تسمى العلم وقلوب كلمات الحق محله ألا تراه يقول الم تتزيل الكتاب قل أنزله بعلمه فخاطب الكاف من ذلك بصفة العلم الذي هو اللام المخفوضة بالتزول لأنه يتتره عن أن تدرك ذاته فقال للكاف التي هي الكلمة الإلهية ذلك الكتاب المترل عليك هو علمي لا علمك لا ريب فيه عند أهل الحقائق أنزله في معرض الهداية لمن اتقاني وأنت المترل فأنت محله ولابد لكل كتاب من أم وأمه ذلك الكتاب المجهول لا تعرفه أبداً لأنه ليس بصفة لك ولا لأحد ولا ذات وإن شئت أن تحقق هذا فانظر إلى كيفية حصول العلم في العالم أو حصول صورة المرئي في الرائي فليست وليس غيرها فانظر إلى درجات حروف لا ريب فيه هدى للمتقين ومنازلها على حسب ما نذكره بعد الكلام الذي نحن بصدده وتدبر ما بثثته لك وحل عقدة لام الألف من لا ريب تصير ألفان لأن تعريقة اللام ظهرت صورتها في نون المتقين وذلك لتأخر الألف عن اللام من اسمه الآخر وهي المعرفة التي تحصل للعبد من نفسه في قوله عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة اللام على معرفة الألف فصارت دليلاً عليه و لم يمتزجا حتى يصيرا ذاتاً واحدة بل بان كل واحد منهما بذاته ولهذا لا يجتمع الدليل والمدلول ولكن وجه الدليل هو الرابط وهو موضع اتصال اللام بالألف فاضرب الألفين اا أحدهما في الآخر تصح لك في الخارج ألف واحدة آ وهذا حقيقة الاتصال كذلك اضرب المحدث في القديم حسا يصح لك في الخارج المحدث ويخفى القديم بخروجه وهذا حقيقة الاتصال والاتحاد وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة وهذا نقيض إشارة الجنيد في قوله للعاطس إن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر لاختلاف المقام ألا ترى كيف اتصل لام الألف من لا ريب فيه من الكرسي فبدت ذاتان لآ جهل سر العقد بينهما ثم فصلهما لعرش عند الرجوع إليه والوصول فصارت على هذا الشكل آل فظهرت اللام بحقيقتها لأنه لم يقم بها مقام الاتصال والاتحاد من يردّها على صورته فاخرجنا نصف الدائرة من اللام التي خفيت في لام الألف إلى عالم التركيب والحس فبقيت ألفان ا ا في الفرق فضربنا الواحد في الواحد وهو ضرب الشيء في نفسه فصار واحداً آ فلبس الواحد الآخر فكان الواحد رداء وهو الذي ظهر وهو الخليفة المبدع بفتح الدال وكان الآخر مرتدياً وهو الذي خفي وهو القديم المبدع فلا يعرف المرتدي إلا باطن الرداء وهو الجمع وسر الرداء على شكل المرتدي فإن قلت واحد صدقت وإن قلت ذاتان صدقت عيناً وكشفاً ولله درّ من قال:

رق الزجاج ورقت الخمر فتشا كلا فتشابه الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وأما ظاهر الرداء فلا يعرف المرتدي أبداً وإنما يعرف باطن ذاته وهو حجابه فكذلك لا يعلم الحق إلا العلم كما لا يحمده على الحقيقة إلا الحمد وأما أنت فتعلمه بوساطة العلم وهو حجابك فإنك ما تشاهد إلا العلم القائم بك وإن كان مطابقاً للمعلوم وعلمك قائم بك وهو مشهودك ومعبودك فإياك أن تقول إن جريت على أسلوب الحقائق إنك علمت المعلوم وإنما علمت العلم والعلم هو العالم بالمعلوم وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك قعرها فإن سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر عسير مركبه بل لا تركبه العبارة أصلاً ولا الإشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة دقيقة لا يحس بها أنها على عين بصيرته لرقتها وهي

عسيرة المدرك فاحرى من خلقها فانظر أين هو من يقول إني علمت الشيء من ذلك الشيء محدثاً كان أو قد يماثل ذلك في المحدث وأما القديم فأبعد وأبعد إذ لا مثل له فمن أين يتوصل إلى العلم به أو كيف يحصل وسيأتي الكلام على هذه المسئلة السنية في الفصل الثالث من هذا الباب فلا يعرف ظاهر الرداء المرتدي إلا من حيث الوجود بشرط أن يكون في مقام الاستسقاء ثم يزول ويرجع لأنها معرفة علة لا معرفة جذب وهذه رؤية أصحاب الجنة في الآخرة وهو تجل في وقت دون وقت وسيأتي الكلام عليه في باب الجنة من هذا الكتاب وهذا هو مقام التفرقة وأمّا أهل الحقائق باطن الرداء فلا يزالون مشاهدين أبداً ومع كونهم مشاهدين فظاهرهم في كرسي الصفات ينعم بموادّ بشرة الباطن نعيم اتصال وانظر إلى حكمته في كون ذلك مبتدأ و لم يكن فاعلاً ولا مفعولاً لما لم يسم فاعله لأنه لا يصح أن يكون فاعلاً لقوله لا ريب فيه فلو كان فاعلاً لوقع الريب لأن الفاعل إنما هو منزله لا هو فكيف ينسب إليه ما ليس بصفته لأن مقام الذال أيضاً يمنع ذلك فإنه من الحقائق التي كانت ولا شيء معها ولهذا لا يتصل بالحروف إذا تقدّم عليها كالألف وأخواته الدال والراء والزاي والواو ولا يقول فيه أيضاً مفعول لم يسم فاعله لأنه من ضرورته أن يتقدّمه كلمة على بنية مخصوصة محلها النحو والكتاب هنا نفس الفعل والفعل لا يقال فيه فاعل ولا مفعول وهو مرفوع فلم يبق إلا أن يكون مبتدأ ومعنى مبتدأ لم يعرف غيره من أول وهلة ألست بربكم قالوا بلى فإن قيل من ضرورة كل مبتدأ أن يعمل فيه ابتداء قلنا نعم عمل فيه أمّ الكتاب فهي الابتداء العاملة في الكتاب والعامل في الكل حقاً وخلقاً الله الرب ولهذا نبه الله تبارك وتعالى بقوله "أن اشكر لي ولوالدي" فشرّك ثم قال "إلي المصير" فوحد فالشكر من مقام التفرقة فكذلك ينبغي لك أن تشكر الرداء لما كان سبباً موصلاً إلى المرتدي والمصير من الرداء ومنك إلى المرتدي كل على شاكلته يصل فتفهم ما قلناه وفرّق بين مقام الذال والألف وأن اشتر كافي مقام الوحدانية المقدسة قبلية حالاً ومقاماً وبعدية مقاماً لا حالاً "تنبيه" قال ذلك و لم يقل تلك آيات الكتاب فالكتاب للجمع والآيات للتفرقة وذلك مذكر مفرد وتلك مفرد مؤنث فأشار تعالى بذلك الكتاب أوّلا لوجود الجمع أصلاً قبل الفرق ثم أوجد الفرق في الآيات كما جمع العدد كله في الواحد كما قدّمناه فإذا أسقطناه انعدمت حقيقة ذلك العدد دوماً بقي للألف أثر في الوجود وإذا أبرزناه برزت الألف في الوجود فانظر إلى هذه القوة العجيبة التي أعطتها حقيقة الواحد الذي منه ظهرت هذه الكثرة إلى ما لا يتناهى وهو فرد في نفسه ذاتاً واسماً ثم أوجد الفرق في الآيات قال تعالى "إنا أنزلناه في ليلة مباركة" ثم قال "فيها يفرق كل أمر حكيم" فبدأ بالجمع الذي هو كل شيء قال تعالى "وكتبنا له في الألواح" من كل شيء في الألواح مقام الفرق من كل شيءإشارة إلى الجمع موعظة وتفصيلاً ردّ إلى الفرق لكل شيء رد إلى الجمع فكل موجود أي موجود كان عموماً لا يخلو أن يكون إما في عين الجمع أو في عين الفرق لا غير ولا سبيل أن يعرى عن هاتين الحقيقتين موجود ولا يجمعها أبداً فالحق والإنسان في عين الجمع والعالم في عين التفرقة لا يجتمع كما لا يفترق الحق أبداً كما لا يفترق الإنسان فالله سبحانه لم يزل في أزله بذاته وصفاته وأسمائه لم يتجدّد عليه حال ولا ثبت له وصف من خلق العالم لم يكن قبل ذلك عليه بل هو الآن على ما كان عليه قبل وجود الكون كما وصفه صلى الله عليه وسلم حين قال كان الله ولا شيء معه وزيد في قوله وهو الآن

على ما عليه كان فاندرج في الحديث ما لم يقله صلى الله عليه وسلم ومقصودهم أي الصفة التي وجبت له قبل وجود العالم هو عليها والعالم موجود وهكذا هي الحقائق عند من أراد أن يقف عليها فالتذكير في الأصل وهو آدم قوله ذلك والتأنيث في الفرع وهو حواء قوله تلك وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتاب الجمع والتفصيل الذي صنفناه في معرفة أسرار التتريل فآدم لجميع الصفات وحوّاء لتفريق الذوات أذهى محل الفعل والبذر وكذلك الآيات محل الأحكام والقضايا وقد جمع الله تعالى معنى ذلك وتلك

في قوله تعالى "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" فحروف الم رقماً ثلاثة وهو جماع عالمها فإن فيها الهمزة وهي من العالم الأعلى واللام وهي من العالم الوسط والميم وهي من العالم الأسفل فقد جمع الم البرزخ والدارين والرابط والحقيقتين وهي على النصف من حروف لفظه من غير تكرار وعلى الثلاث بغير تكرار وكل واحد منهما ثلث كل ثلاث وهذه كلها أسرار تتبعناها في كتاب المبادي والغايات وفي كتاب الجمع والتفصيل فليكف هذا القدر من الكلام على الم البقرة في هذا الباب بعد ما رغبنا في ترك تقييد ما تجلى لنا في الكتاب والكاتب فلقد تجلت لنا فيه أمور جسام مهولة رمينا الكراسة من أيدينا عند تجليها وفررنا إلى العالم حتى خف عنا ذلك وحينئذ رجعنا إلى التقييد في اليوم الثاني من ذلك التجلي وقبلت الرغبة فيه وأمسك علينا ورجعنا إلى الكلام على الحروف حرفاً حرفاً كما شرطناه أولاً في هذا الباب رغبة في الإيجاز والاختصار والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الخامس والحمد لله رب العالمين.

الجزء السادس

تكمله

بسم الله الرحمن الرحيم

فمن ذلك حرف الألف

ألف الذات تنزهت فهل — لك في الأكوان عين ومحل
قال لا غير التفاتي فأنا — حرف تأبيد تضمنت الأزل
فأنا العبد الضعيف المجتبي — وأنا من عز سلطاني وجل

الألف ليس من الحروف عند من شم رائحة من الحقائق ولكن قد سمته العامة حرفاً فإذا قال المحقق إنه حرف فإنما يقول ذلك على سبيل التجوّز في العبارة ومقام الألف مقام الجمع له من الأسماء اسم الله وله من الصفات القيومية وله من أسماء الأفعال المبدئ والباعث والواسع والحافظ والخالق والبارئ والمصوّر والوهاب والرزاق والفتاح والباسط والمعزّ والمعيد والرافع والمحيي والوالي والجامع والمغني والنافع وله من أسماء الذات الله والرب والظاهر والواحد والأول والآخر والصمد والغني والرقيب والمتين والحق له من الحروف اللفظية الهمزة واللام والفاء وله من البسائط الزاي والميم والهاء والفاء واللام والهمزة وله من المراتب كلها وظهوره في المرتبة السادسة وظاهر سلطانه في النبات وأخوته في هذه المرتبة الهاء واللام وله مجموع عالم الحروف ومراتبها ليس فيها ولا خارجاً عنها نقطة الدائرة ومحيطها ومركب العوالم وبسيطها.

ومن ذلك حرف الهمزة

همزة تقطع وقتاً وتصل — كل ما جاورها من منفصل
فهي الدهر عظيم قدرها — جلّ أن يحصره ضرب المثل

الهمزة من الحروف التي من عالم الشهادة والملكوت لها من المخارج أقصى الحلق ليس لها مرتبة في العدد لها من البسائط الفاء والميم والزاي والألف والياء لها من العالم الملكوت ولها الفلك الرابع ودورة فلكها تسع آلاف سنة ولها من المراتب الرابعة والسادسة والسابعة وظهور سلطانها في الجنّ والنبات والجماد ولها من الحروف الهاء والميم والزاي والهاء في الوقف والتاء بالنطقين من فوق في الوصل والتنوين في القطع لها من الأسماء ما للألف والواو والياء فأغنى عن التكرار وتختص من أسماء الصفات بالقهار والقاهر والمقتدر والقوي والقادر وطبعها الحرارة واليبوسة وعنصرها النار واختلفوا هل هي حرف أو نصف حرف في الحروف الرقمية وأما في التلفظ بها فلا خلاف أنها حرف عند الجميع.

ومن ذلك حرف الهاء

هاء الهوية كم تشير لكل ذي أنيسة خفيت له في الظاهر

هل لا محقت وجود رسمك عندما تبدو لا وله عيون الآخر

اعلم أن الهاء من حروف الغيب لها من المخارج أقصى الحلق ولها من العدد الخمسة ولها من البسائط الألف والهمزة واللام والهاء والميم والزاي ولها من العالم الملكوت ولها الفلك الرابع وزمان حركة فلكها تسع آلاف سنة ولها من الطبقات الخاصة وخاصة الخاصة ولها من المراتب السادسة وظهور سلطانها في النبات ويوجد منه بآخرها ما كان حاراً رطباً وتحيله بعد ذلك إلى البرودة واليبوسة ولها من الحركات المستقيمة والمعوجة وهي من حروف الإعراق ولها الامتزاج وهي من الكوامل وهي من عالم الانفراد وطبعها البرودة واليبس والحرارة والرطوبة مثل عطارد وعنصرها الأعظم التراب وعنصرها الأقل الهواء ولها من الحروف الألف والهمزة ولها من الأسماء الذاتية الله والأول والآخر والماجد والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمتين والأحد والملك ولها من أسماء الصفات المقتدر والمحصي ولها من أسماء الأفعال اللطيف والفتاح والمبدئ والمجيب والمقيت والمصوّر والمذل والمعزّ والمعيد والمحيي والمميت والمنتقم والمقسط والمغني والمانع ولها غاية الطريق.

ومن ذلك حرف العين المهملة

عين العيون حقيقة الإيجاد فانظر إليه بمنزل الأشهاد

تبصره ينظر نحو موجد ذاته نظر السقيم محاسن العوّاد

لا يلتفت أبداً لغير إلهه يرجو ويحذر شيمة العباد

اعلم أن العين من عالم الشهادة والملكوت وله من المخارج وسط الحلق وله من عدد الجمل عقد السبعين وله من البسائط الياء والنون والألف والهمزة والواو وله الفلك الثاني وزمان حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة وله من طبقات العالم الخاصة وخاصة الخاصة وله من المراتب الخامسة وظهور سلطانه في البهائم ويوجد عنه كل حارّ رطب وله من الحركات الأفقية وهي المعوجة وهو من حروف الأعراف وهو من الحروف الخالصة وهو كامل وهو من عالم الأنس الثنائي وطبعه الحرارة والرطوبة وله من الحروف الياء والنون وله من الأسماء الذاتية الغني والأول والآخر وله من أسماء الصفات القوي والمحصي والحي ومن أسماء الأفعال النصير والنافع والواسع والوهاب والوالي

ومن ذلك حرف الحاء المهملة

حاء الحواميم سر الله في السور أخفى حقيقة عن رؤية البشر

فإن ترحلت عن كون وعن شبح فارحل إلى عالم الأرواح والصور

وانظر إلى حاملات العرش قد نظرت إلى حقائقها جاءت على قدر

تجد لحائك سلطاناً وعزته أن لا يدانى ولا يخشى من الغير

اعلم أيها الولي أن الحاء من عالم الغيب وله من المخارج وسط الحلق وله من العدد الثمانية وله من البسائط الألف والهمزة واللام والهاء والفاء والميم والزاي وله من العالم الملكوت وله الفلك الثاني وسني حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة وهو من الخاصة وخاصة الخاصة وله من المراتب السابعة وظهور سلطانه في الجماد يوجد عنه ما كان بارداً رطباً وعنصره الماء وله من الحركات المعوجة وهو من حروف الأعراق وهو خالص غير ممتزج وهو كامل يرفع من اتصل به هو من عالم الأنس الثلاثيّ وطبعه الرودة والرطوبة وله من الحروف الألف والهمزة وله من أسماء الذات الله والأول والآخر والملك والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمجيد والمتين والمتعالي والعزيز وله من أسماء الصفات المقتدر والمحصي وله من أسماء الأفعال اللطيف والفتاح والمبدئ والمجيب والمقيت والمصور والمذل والمعز والمعيد والمحيي والمميت والمنتقم والمقسط والمغني والمانع وله بداية الطريق

ومن ذلك حرف الغين المنقوطة

الغين مثل العين في أحواله ... ألا تجليه الأطمّ الأخطر

في الغين أسرار التجلي الأقهر ... فاعرف حقيقة فيضه وتستر

وانظر إليه من ستارة كونه ... حذرا على الرسم الضعيف الأحقر

اعلم أيدك الله بروح منه أن الغين المنقوطة من عالم الشهادة والملكوت ومخرجه الحلق أدنى ما يكون منه إلى الفم عدده عندنا تسعمائة وعند أهل الأسرار وأما عند أهل الأنوار فعدده ألف كل ذلك في حساب الجمل الكبير وبسائطه الياء والنون والألف والهمزة والواو وفلكه الثاني وسني فلكه في حركته إحدى عشرة ألف سنة يتميز في طبقة العامة مرتبته الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه البرودة والرطوبة عنصره الماء يوجد عنه كل ما كان بارداً رطباً حركته معوجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل مثنى مؤنس له الأفراد الذاتي له من الحروف الياء والنون له من الأسماء الذاتية الغني والعلي والله والأول والآخر والواحد وله من أسماء الصفات الحي والمحصي والقوي وله من أسماء الأفعال النصير والواقي والواسع والوالي والوكيل وهو ملكوتيّ.

ومن ذلك حرف الخاء المنقوطة

الخاء مهما أقبلت أو أدبرت ... أعطتك من أسرارها وتأخرت

فعلوّها يهوى الكيان وسفلها ... يهوى المكون حكمة قد أظهرت

أبدى حقيقتها مخطط ذاتها ... فتدنست وقتاً وثم تطهرت

فاعجب لها من جنة قد أزلفت ... في سفلها ولهيب نار سعرت

اعلم أيدك الله أن الخاء من عالم الغيب والملكوت مخرجه الحلق مما يلي الفم عدده ستمائة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الثاني سنى فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامة مرتبته السابعة ظهور سلطانه في الجماد طبع رأسه البرودة واليبوسة والحرارة والرطوبة بقية جسده عنصره الأعظم الهواء والأقلّ التراب يوجد عنه كل ما اجتمعت فيه الطبائع الأربع حركته معوجة له الأحوال والخلق والكرامات ممتزج كامل يرفع من اتصل به على نفسه مثلث مؤنس له علامة له من الحروف الهمزة

والألف له من الأسماء الذاتية والصفاتية والفعلية كل ما كان في أوله زاي أو ميم كالملك والمقتدر والمعز أو هاء كالهادي أو فاء كالفتاح أو لام كاللطيف أو همزة كالأول.

ومن ذلك حرف القاف

القاف سر كماله في رأسه ... وعلوم أهل العرب مبدأ قطره

والشوق يثنيه ويجعل غيبه ... في شطره وشهوده في شطره

وانظر إلى تعريقه كهلاله ... وانظر إلى شكل الرؤيس كبدره

عجباً لآخر نشأة هو مبدأ ... لوجود مبدئه وميد أعصره

اعلم أيدنا الله أن القاف من عالم الشهادة والجبروت مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك عدده مائة بسائطه الألف والفاء والهمزة واللام فلكه الثاني سني حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن طبعه الأمّهات الأول آخره حار يابس وسائره بارد رطب عنصره الماء والنار يوجد عنه الإنسان والعنقاء له الأحوال حركته ممتزجة ممتزج مؤنس مثنى علامته مشتركة له من الحروف الألف والفاء وله من الأسماء على مراتبها كل اسم في أوله حرف من حروف بسائطه له الذات عند أهل الأسرار وعند أهل الأنوار الذات والصفات.

ومن ذلك حرف الكاف

كاف الرجاء يشاهد الإجلالا ... من كاف خوف شاهد الإفضالا

فانظر إلى قبض وبسط فيهما ... يعطيك ذا صداً وذاك وصالا

الله قد جلى لذا إجلاله ... ولذاك جلى من سناه جمالا

اعلم أيدنا الله وإياك أن الكاف من عالم الغيب والجبروت له من المخارج مخرج القاف وقد ذكر إلا أنه أسفل منه عدده عشرون بسائطه الألف والفاء والهمزة واللام له الفلك الثاني حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن يوجد عنه كل ما كان حاراً يابساً عنصره النار طبعه الحرارة واليبوسة مقامه البداية حركته ممتزجة هو من الأعراق خالص كامل يرفع من اتصل به عند أهل الأنوار ولا يرفع عند أهل الأسرار مفرد موحش له من الحروف ما للقاف وله من الأسماء كل اسم في أوّله حرف من حروف بسائطه وحروفه.

ومن ذلك حرف الضاد المعجمة

في الضاد سر لو أبوح بذكره ... لرأيت سر الله في جبروته

فانظر إليه واحداً وكماله ... من غيره في حضرتي رجوته

وإمامه اللفظ الذي بوجوده أسرى به الرحمن من ملكوته

اعلم أيدنا الله وإياك أن الضاد المعجمة من حروف الشهادة والجبروت ومخرجه من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس عدده تسعون عندنا وعند أهل الأنوار ثمانمائة بسائطه الألف والدال اليابسة والهمزة واللام والفاء فلكه الثاني حركة فلكه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامّة له وسط الطريق مرتبته الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه البرودة والرطوبة عنصره الماء يوجد عنه ما كان بارداً رطباً حركته ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل مثنى مؤنس علامته الفردانية له من الحروف الألف والدال وله من الأسماء كما أعلمناك في الحرف الذي قبله رغبة في الاختصار والله المعين الهادي.

ومن ذلك حرف الجيم

الجيم يرفع من يريد وصاله لمشاهد الأبرار والأخيار
فهو العبيد القن إلا أنه متحقق بحقيقة الإيثار
يرنو بغايته إلى معبوده وببدئه يمشي على الآثار
هو من ثلاث حقائق معلومة ومزاجه برد ولفح النار

اعلم أيدنا الله وإياك أن الجيم من عالم الشهادة والجبروت ومخرجه من وسط اللسان بينه وبين الحنك عدده ثلاثة بسائطه الياء والميم والألف والهمزة فلكه الثاني سنيه إحدى عشرة ألف سنة يتميز في العامّة له وسط الطريق مرتبته الرابعة ظهور سلطانه في الجن جسده بارد يابس رأسه حار يابس طبعه البرودة والحرارة واليبوسة عنصره الأعظم التراب والأقل النار يوجد عنه ما يشا كل طبعه حركته معوجة له الحقائق والمقامات والمنازلات ممتزج كامل يرفع من اتصل به عند أهل الأنوار والأسرار إلا الكوفيون مثلث مؤنس علامته الفردانية له من الحروف الياء والميم ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الشين المعجمة بالثلاث

في الشين سبعة أسرار لمن عقلا وكل من نالها يوماً فقد وصلا
تعطيك ذاتك والأجسام ساكنة إذا لامين على قلب بها نزلا
لو عاين الناس ما تحويه من عجب رأوا هلال إمحاق الشهر قد كملا

اعلم أيدنا الله نطقاً وفهماً أن الشين من عالم الغيب والجبروت الأوسط منه مخرجه مخرج الجيم عدده عندنا ألف وعند أهل الأنوار ثلاثمائة بسائطه الياء والنون والألف والهمزة والواو فلكه الثاني سنى هذا الفلك قد تقدم ذكرها يتميز في العامّة له وسط الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه بارد رطب عنصره الماء يوجد عنه ما يشا كل طبعه حركته ممتزجة كامل خالص مثنى مؤنس له الذات والصفات والأفعال له من الحروف الياء والنون ومن الأسماء على نحو ما تقدّم له الخلق والأحوال والكرامات.

ومن ذلك حرف الياء

ياء الرسالة حرف في الثرى ظهرا كالواو في العالم العلوي معتمرا

فهو الممد جسوماً ما لها ظلل وهو الممد قلوباً عانقت صورا

إذا أراد يناجيكم بحكمته يتلو فيسمع سرّ الأحرف السورا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الياء من عالم الشهادة والجبروت مخرجة مخرج الشين عدده العشرة للأفلاك الأثني عشر وواحد للأفلاك السبعة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الثاني سنيه قد ذكرت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له الغاية والمرتبة السابعة ظهور سلطانه في الجماد طبعه الأمّهات الأول عنصره الأعظم النار والأقل الماء يوجد عنه الحيوان حركته ممتزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات ممتزج كامل رباعيّ مؤنس له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم

ومن ذلك حرف اللام

اللام للأزل السنيّ الأقدس ومقامه الأعلى البهيّ الأنفس

مهما يقم تبدى المكوّن ذاته والعالم الكونيّ مهما يجلس

يعطيك روحاً من ثلاث حقائق يمشي ويرفل في ثياب السندس

اعلم أيدنا الله وإياك بروح القدس أن اللام من عالم الشهادة والجبروت مخرجه من حافة اللسان أدناها إلى منتهى طرفه عدده في الأثني عشر فلكاً ثلاثون وفي الأفلاك السبعة ثلاثة بسائطه الألف والميم والهمزة والفاء والياء فلكه الثاني سنيه تقدمت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة والبرودة واليبوسة عنصره الأعظم النار والأقل التراب يوجد عنه ما يشا كل طبعه حركته مستقيمة وممتزجة له الأعراف ممتزج كامل مفرد موحش له من الحروف الألف والميم ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الراء

راء المحبة في مقام وصاله أبداً بدار نعيمه لن يخذلا

وقتاً يقول أنا الوحيد فلا أرى غيري ووقتاً يا أنا لن يجهلا

لو كان قلبك عند ربك هكذا كنت المقرب والحبيب الأكملا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن الراء من عالم الشهادة والجبروت ومخرجها من ظهر اللسان وفوق الثنايا عدده في الأثني عشر فلكاً مائتان وفي الأفلاك السبعة اثنان بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الثاني سني فلكه معلومة له الغاية مرتبته السابعة ظهور سلطانه في الجماد يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الأعراف خالص ناقص مقدّس مثنى مؤنس له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف النون

نون الوجود تدل نقطة ذاتها في عينها عينا على معبودها
فوجودها من جوده ويمينه وجميع أكوان العلى من جودها
فانظر بعينك نصف عين وجودها من جودها تعثر على مفقودها

اعلم أيد الله القلوب بالأرواح أن النون من عالم الملك والجبروت مخرجه من حافة اللسان وفوق الثنايا عددها خمسون وخمسة بسائطه الواو والألف فلكه الثاني سنى حركته قد ذكرت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته المرتبة المترهة الثانية ظهور سلطانه في الحضرة الإلهية طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص ناقص مفرد موحش له الذات له من الحروف الواو والأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الطاء المهملة

في الطاء خمسة أسرار مخبأة منها حقيقة عين الملك في الملك
والحق في الخلق والأسرار نائبة والنور في النار والإنسان في الملك
فهذه خمسة مهما كلفت بها علمت أن وجود الفلك في الفلك

اعلم أيدنا الله به أن الطاء من عالم الملك والجبروت مخرجه من طرف اللسان وأصول الثنايا عدده تسعة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والميم والزاي والهاء فلكه الثاني سنيه مذكورة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة وله غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة والرطوبة عنصره الماء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته مستقيمة عند أهل الأنوار ومعوجة عند أهل الأسرار وعند أهل التحقيق وعندنا معاً وممتزجة له الأعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الدال المهملة

الدال من عالم الكون الذي انتقلا عن الكيان فلا عين ولا أثر
عزت حقائقه عن كل ذي بصر سبحانه جل أن يحظى به بشر
فيه الدوام فجود الحق منزله فيه المثاني ففيه الآي والسور

اعلم أيدنا الله بأسمائه أن الدال من عالم الملك والجبروت مخرجه مخرج الطاء عدده أربعة بسائطه الألف واللام والهمزة والفاء والميم فلكه الأول سنى حركته اثنتا عشرة ألف سنة له غاية الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة بين أهل الأنوار والأسرار له الأعراق خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الألف واللام ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف التاء باثنتين من فوق

التاء يظهر أحياناً ويستتر		فحظه من وجود القوم تلوين
يحوي على الذات والأوصاف حضرته		وماله في جناب الفعل تمكين
يبدو فيظهر من أسراره عجبا		وملكه اللوح والأقلام والنون
الليل والشمس والأعلى وطارقه		في ذاته والضحى والشرح والتين

اعلم أيها الوليّ الحميم أن التاء من عالم الغيب والجبروت مخرجه مخرج الدال والطاء عدده أربعة وأربعمائة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الأول سنيه قد ذكرت يتميز في خاصة الخاصة مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل رباعيّ مؤنس له الذات والصفات له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الصاد اليابسة

في الصاد نور لقلب بات يرقبه		عند المنام وستر السهد يحجبه
فنم فإنك تلقى نور سجدته		ينير صدرك والأسرار ترقبه
فذلك النور نور الشكر فارتقب ال		مشكور فهو على العادات يعقبه

اعلم أيها الصفي الكريم أن الصاد من عالم الغيب والجبروت مخرجه مما بين طرفي اللسان وفويق الثنايا السفلى عدده ستون عندنا وتسعون عند أهل الأنوار بسائطه الألف والدال والهمزة واللام والفاء فلكه الأول سنيه قد ذكرت يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة له أول الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة مجهولة له الأعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الألف والدال ومن الأسماء كما تقدم ثم اعلم أني جعلت سرّ هذا الصاد اليابسة لا ينال إلا في النوم لكوني ما نلته ولا أعطانيه الحق تعالى إلا في المنام فلهذا حكمت عليه بذلك وليست حقيقته ذلك والله يعطيه في النوم واليقظة ولما وقفت عنده بالتقييد جعلت بعض الأصحاب يقرأ عليّ أسرار الحروف لأ صلح ما اختلّ منها عند التقييد لسرعة القلم فلما وصل بالقراءة إلى هذا الحرف قلت لهم ما اتفق لي فيه وأن النوم ليس لازماً في نيله ولكن هكذا أخذته فوصفت حالي وانفض الجمع فلما كان من الغد من يوم السبت قعدنا على سبيل العادة في المجلس بالمسجد الحرام تجاه الركن اليمانيّ من الكعبة المعظمة وكان يحضر عندنا الشيخ الفقيه المجاور أبو يحيى ببكر بن أبي عبد الله الهاشميّ التويتمي الطرابلسي رحمه الله فجاء على عادته فلما فرغنا من القراءة قال لي رأيت البارحة في النوم كأني قاعد وأنت أمامي مستلق على ظهرك نذكر الصاد فأنشدتك مرتجلاً.

الصاد حرف شريف		والصاد في الصاد أصدق

فقلت لي في النوم ما دليلك فقلت:

لأنها شكل دور		وما من الدور أسبق

ثم استيقظت. وحكى لي في هذه الرؤيا أني فرحت بجوابه فلما أكمل ذكره فرحت بهذه المبشرة التي رآها في حقي وبهيئة الاضطجاع وذلك رقاد الأنبياء عليهم السلام وهي حالة المستريح الفارغ من شغله والمتأهب لما يرد عليه من أخبار السماء بالمقابلة فاعلم أن الصاد حرف من حروف الصدق والصون والصورة وهو كريّ الشكل قابل لجميع الأشكال فيه أسرار عجيبة فتعجبت من كشفه في نومه قرّت عينه على حالتي التي ذكرتها للأصحاب بالأمس في المجلس فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب حرف شريف عظيم أقسم عند ذكره بمقام جوامع الكلم وهو المشهد المحمديّ في أوج الشرف بلسان التمجيد وتضمنت هذه السورة من أوصاف الأنبياء عليهم السلام ومن أسرار العالم كله الخفية عجائب وآيات وهذه الرؤيا فيها من الأسرار على حسب ما في هذه السورة من الأسرار فهي تدل على خير كثير جسيم يناله الرائي ومن ريئت له وكل من شوهد فيها من الله تعالى ويحصل لهما من بركات الأنبياء عليهم السلام المذكورين في هذه السورة ويلحق الأعداء من الكفار ما في هذه السورة من البؤس لا من المؤمنين نسأل الله لنا ولهم العافية في الدنيا والآخرة فهذه بشرى حصلت وأسرار أرسلها الحق إلينا على يد هذا الرائي وذكر لي الرائي صاحبنا أبو يحيى إنه لما استيقظ تمم على البيتين اللذين أنشدهما لي في النوم قريضاً فسألته أن يرسل إليّ به حتى أقيده في كتابي هذا عقيب هذه الرؤيا وفي هذا الحرف فإن ذلك القريض من أمداد هذه الحقيقة الروحانية التي رآها في النوم فأردت أن لا أفصل بينهما فبعثت معه صاحبنا أبا عبد الله محمد بن خالد الصوفيّ التلمسانيّ فجاءني بها وهي هذه:

الصاد حرف شريف ... والصاد في الصاد أصدق
قل ما الدليل أجده ... في داخل القلب ملصق
لأنها شكل دور ... وما من الدور أسبق
ودلّ هذا بأني ... على الطريق موفق
حققت في الله قصدي ... والحق يقصد بالحق
إن كان في البحر عمق ... فساحل القلب أعمق
إن ضاق قلبك عني ... فقلب غيرك أضيق
دع القرونة واقبل ... من صادق يتصدق
ولا تخالف فتشقى ... فالقلب عندي معلق
أفتحه أشرحه وافعل ... فعل الذي قد تحقق
إلى متى قاسى القل ... ب باب قلبك مغلق
وفعل غيرك صاف ... ووجه فعلك أزرق
إنا رفقنا فرفقا ... فالرق في الرفق أرفق

فإن أتيت كسونا ... ك ثوب لطف معتق

ولا تكن كجرير إذ ظل يهجو الفرزدق
والهج بمدحي فمدحي من مشرق الشمس أشرق
أنا الوجود بذاتي ولي الوجود المحقق
من غير قيد كعلمي على الحقيقة مطلق
فهل ترى الشاه يوماً يكيدها فرد ميذق
من قال فيّ برأي فقائل الرأي أحمق
إن ظل يهذي لوهم رأيته يتشدق
وكل من قال قولاً فالذكر من ذاك أصدق
أنا المهيمن ذو العر ش لا أبيد وأخلق
بعثت للخلق رسلي وجاء أحمد بالحق
فقام فيّ بصدق وحين أرعد أبرق
مجاهداً في الأعادي وناصحاً ما تفتق
لو لم أغثهم بعبدي أغرقت من ليس يغرق
إن السموات والأر ض من عذابي تفرق
وإن أطعتم فإني ألمّ ما يتفرّق
واجمع الكل في الخل د في حدائق تعبق
كل القلوب على ذا وإنني الله أصفق
فقمت من حال نومي وراحتاي تصفق

ومن ذلك حرف الزاي

في الزاي سرّ إذا حققت معناه كانت حقائق روح الأمر مغناه
إذا تجلى إلى قلب بحكمته عند الفناء عن التنزيه أغناه
فليس في أحرف الذات النزيهة من يحقق العلم أو يدريه إلا هو

اعلم أيدك الله بروح الأزل أن الزاي من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخرجه مخرج الصاد والسين عدده سبعة بسائطه الألف والياء والهمزة واللام والفاء فلكه الفلك الأول سنى حركته تقدم ذكرها يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص ناقص مقدس مثنى مؤنس له من الحروف الألف والياء ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف السين المهملة

في السين أسرار الوجود الأربع ... وله التحقق والمقام الأرفع
من عالم الغيب الذي ظهرت به ... آثار كون شمسها تتبرقع

اعلم أن السين من عالم الغيب والجبروت واللطف مخرجه مخرج الصاد والزاي عدده عند أهل الأنوار ستون وستة وعندنا ثلاثمائة وثلاثة بسائطه الياء والنون والألف والهمزة والواو فلكه الأول سنيه مذكورة يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة وخلاصة خاصة الخاصة وصفاء خلاصة خاصة الخاصة له الغاية مرتبته الخامسة ظهور سلطانه في البهائم طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الأعراف خالص كامل مثنى مؤنس له من الحروف الياء والنون ومن الأسماء الإلهية كما تقدم.

ومن ذلك حرف الظاء المعجمة

في الظاء ستة أسرار مكتمة ... خفية ما لها في الخلق تعيين
إلا مجازاً إذا جادت بفاضلها ... يرى لها في ظهور العين تحسين
يرجو الإله ويخشى عدله وإذا ... ما غاب عن كونه لم يبد تكوين

اعلم أيها العاقل أن الظاء من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخرجه مما بين طرفي اللسان وأطراف الثنايا عدده ثمانية وثمانمائة عندنا وعند أهل الأنوار تسعمائة بسائطه الألف واللام والهمزة والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الأول سنيه مذكورة يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبع دائرته بارد رطب وقائمته حارة رطبة فله الحرارة والبرودة والرطوبة عنصره الأعظم الماء والأقل الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات ممتزج كامل مثنى مؤنس له الذات له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الذال المعجمة

الذال ينزل أحياناً على جسدي ... كرها وينزل أحياناً على خلدي
طوعاً ويعدم من هذا وذاك فما ... يرى له أثر الزلفى على أحد

هو الإمام الذي ما مثله أحد ... تدعوه أسماؤه بالواحد الصمد

اعلم أيها الإمام أن الذال من عالم الشهادة والجبروت والقهر مخرجه مخرج الظاء عدده سبعمائة وسبعة بسائطه الألف واللام والهمزة والفاء والميم فلكه الأول سنى حركته مذكورة يتميز في العامّة له وسط الطريق مرتبته الخامسة سلطانه في البهائم طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته معوجة ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل مقدس مثنى مؤنس له الذات وله من الحروف الألف واللام ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الثاء بالثلاثة

الثاء ذاتية الأوصاف عالية في الوصف والفعل والأقلام توجدها
فإن تجلت بسر الذات واحدة يوم البداية صار الخلق يعبدها
وإن تجلت بسر الوصف ثانية يوم التوسط صار النعت يحمدها
وإن تجلت بسر الفعل ثالثة يوم الثلاثاء صار الكون يسعدها

اعلم أيها السيد أن الثاء من عالم الغيب والجبروت واللطف مخرجه مخرج الظاء والذال عدده خمسة وخمسمائة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي له الفلك الأول سنيه مذكورة يتميز في خلاصة خاصة الخاصة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الخلق والأحوال والكرامات خالص كامل مربع مؤنس له الذات والصفات والأفعال له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الفاء

الفاء من عالم التحقيق فاذّكر وانظر إلى سرها يأتي على قدر
لها مع الياء مزج في الوجود فما تنفك بالمزج عن حق وعن بشر
فإن قطعت وصال الياء دان لها من أوجه عالم الأرواح والصور

اعلم أيد الله القلب الإلهيّ أن الفاء من عالم الشهادة والجبروت والغيب واللطف مخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا عدده ثمانون وثمانية بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي له الفلك الأول سنيه قد ذكرت يتميز في الخلاصة له غاية الطريق مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبع رأسه الحرارة والرطوبة وسائر جسده بارد رطب فطبعه الحرارة والبرودة والرطوبة عنصره الأعظم الماء والأقل الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات عند أهل الأسرار وله الخلق والأحوال والكرامات عند أهل الأنوار ممتزج كامل مفرد مثنى مؤنس موحش له الذات له من الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الباء بواحدة

الباء للعارف الشبلي معتبر وفي نقيطتها للقلب مذّكر
سرّ العبودية العلياء مازجها لذاك ناب مناب الحق فاعتبروا
أليس يحذف من بسم حقيقته لأنه بدل منه فذا وزر

اعلم أيها الوالي المتعالي أن الباء من عالم الملك والشهادة والقهر مخرجه من الشفتين عدده اثنان بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي فلكه الأول له الحركة المذكورة يتميز في عين صفاء الخلاصة وفي خاصة الخاصة له بداية الطريق وغايته مرتبته السابعة سلطانه في الجماد طبعه الحرارة واليبوسة عنصره النار يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الحقائق والمقامات والمنازلات خالص كامل مربع مؤنس له الذات ومن الحروف الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الميم

الميم كالنون إن حققت سرّهما | في غاية الكون عيناً والبدايات
والنون للحق والميم الكريمة لي | بدء لبدء وغايات لغايات
فبرزخ النون روح في معارفه | وبرزخ الميم رب في البريات

اعلم أيد الله المؤمن إن الميم من عالم الملك والشهادة والقهر مخرجه مخرج الباء عدده أربعة وأربعون بسائطه الياء والألف والهمزة فلكه الأول سنيه ذكرت يتميز في الخاصة والخلاصة وصفاء الخلاصة له الغاية مرتبته الثالثة ظهور سلطانه في الإنسان طبعه البرودة واليبوسة عنصره التراب يوجد عنه ما يشاكل طبعه له الأعراف خالص كامل مقدس مفرد مؤنس له من الحروف الياء ومن الأسماء كما تقدم.

ومن ذلك حرف الواو

واو إياك أقدس | من وجودي وأنفس
فهو روح مكمل | وهو سر مسدس
حيث ما لاح عينه | قيل بيت مقدس
بيته السدرة العل | ية فينا المؤسس

الواو من عالم الملك والشهادة والقهر مخرجه من الشفتين عدده ستة بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء فلكه الأول سنيه مذكورة يتميز في خاصة الخاصة وفي الخلاصة له غاية الطريق مرتبته الرابعة سلطانه في الجن طبعه الحرارة والرطوبة عنصره الهواء يوجد عنه ما يشاكل طبعه حركته ممتزجة له الأعراق خالص ناقص مقدّس مفرد موحش له من الحروف الألف ومن الأسماء كما تقدم فهذه حروف المعجم قد كملت بذكر ما حد لنا من الإشارات والتنبيهات لأهل الكشف والخلوات والاطلاع على أسرار الموجودات فإذا أردت أن يسهل عليك مأخذها في باب العبارة عنها فاعلم اشتراكها في أفلاك البسائط تعلم حقائق الأسماء الممدة لها فالألف قد تقدم الكلام فيها وكذلك الهمزة تدخل مع الألف والواو والياء المعتلتين فخرجتا أيضاً عن حكم الحروف بهذا الوجه فالجيم والزاي واللام والميم والنون بسائطها مختلفة والدال والذال متماثلة والصاد والضاد متماثلة والعين والغين والسين والشين متماثلة والواو والكاف والقاف متماثلة والباء والهاء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والخاء والظاء متماثلة البسائط أيضاً وكل متماثل البسائط أيضاً متماثل الأسماء فاعلم وكنا ذكرنا أن نذكر لام ألف عقيب الحروف الذي هو نظير الجوزهر فنذكره في الرقم مفرداً عن الحروف فإنه حرف زائد مركب من ألف ولام ومن همزة ولام.

ذكر لام ألف وألف اللام

ألف اللام ولام الألف | نهر طالوت فلا تعترف

واشرب النهر إلى آخره وعن النهمة لا تنحرف

ولتقم ما دمت ريانًا فإن ظمئت نفسك قم فانصرف

واعلم أن الله قد أرسله نهر بلوى لفؤاد المشرف

فاصطبر بالله واحذره فقد يخذل العبد إذا لم يقف

معرفة لام ألف لا

تعانق الألف العلام واللام مثل الحبيبين فالأعوام أحلام

والتفت الساق بالساق التي عظمت فجاءني منهما في اللف أعلام

إن الفؤاد إذا معناه عانقه بدا له فيه إيجاد وإعدام

اعلم أنه لما اصطحب الألف واللام صحب كل واحد منهما ميل وهو الهوى والغرض والميل لا يكون إلا عن حركة عشقية فحركة اللام حركة ذاتية وحركة الألف حركة عرضية فظهر سلطان اللام على الألف لإحداث الحركة فيه فكانت اللام في هذا الباب أقوى من الألف لأنها أعشق فهمتها أكمل وجوداً وأتم فعلاً والألف أقل عشقاً فهمتها أقل تعلقاً باللام فلم تستطع أن تقيم أودها فصاحب الهمة له الفعل بالضرورة عند المحققين هذا حظ الصوفيّ ومقامه ولا يقدر يجاوزه إلى غيره فإن انتقل إلى مقام المحققين فمعرفة المحقق فوق ذلك وذلك إنّ الألف ليس ميله من جهة فعل اللام فيه بهمته وإنما ميله نزوله إلى اللام بالألطاف لتمكن عشق اللام فيه ألا تراه قد لوى ساقه بقائمة الألف وانعطف عليه حذراً من الفوت فميل الألف إليه نزول كتزول الحق إلى السماء الدنيا وهم أهل الليل في الثلث الباقي وميل اللام معلوم عندهما معلول مضطر لا اختلاف عندنا فيه إلا من جهة الباعث خاصة فالصوفيّ يجعل ميل اللام ميل الواجدين والمتواجدين لتحققه عندهم بمقام العشق والتعشق وحاله وميل الألف ميل التواصل والاتحاد ولهذا اشتبها في الشكل هكذا لآ فأيهما جعلت الألف أو اللام قبل ذلك الجعل ولذلك اختلف فيه أهل اللسان أين يجعلون حركة اللام أو الهمزة التي تكون على الألف فطائفة راعت اللفظ فقالت في الأسبق والألف بعد وطائفة راعت الخط فبأيّ فخذ ابتدأ المخطط فهو اللام والثاني هو الألف وهذا كله تعطيه حالة العشق والصدق في العشق يورث التوجه في طلب المعشوق وصدق التوجه يورث الوصال من المعشوق إلى العاشق والمحقق يقول باعث الميل المعرفة عندهما وكل واحد على حسب حقيقته وأما نحن ومن رقي معنا في معالي درج التحقيق الذي ما فوقه درج فلسنا نقول بقولهما ولكن لنا في المسئلة تفصيل وذلك أن تلحظ في أيّ حضرة اجتمعا فإن العشق حضرة جزئية من جملة الحضرات فقول الصوفيّ حق والمعرفة حضرة أيضاً كذلك فقول المحقق حق ولكن كل واحد منهما قاصر عن التحقيق في هذه المسئلة ناظر بعين واحدة ونحن نقول أول حضرة اجتمعا فيها حضرة الإيجاد وهي لاالاه ال لاال لا ه فهذه حضرة الخلق والخالق وظهرت كلمة لا في النفي مرتين وفي الإثبات مرتين فلا لالا والاه للاه فميل الوجود المطلق الذي هو الألف في هذه الحضرة إلى الإيجاد وميل الموجود المقيد الذي هو اللام إلّى الإيجاد عند الإيجاد ولذلك خرج على الصورة فكل حقيقة

منهما مطلقة في مترلتها فافهم إن كنت تفهم وإلا فالزم الخلوة وعلق الهمة بالله الرحمن حتى تعلم فإذا تقيد بعد ما تعين وجوده وظهر لعينه عينه فإنه:

للحق حق وللإنسان إنسان — عند الوجود وللقرآن قرآن

وللعيان عيان في الشهود كما — عند المناجاة للآذان آذان

فانظر إلينا بعين الجمع تحظ بنا — في الفرق فالزمه فالقرآن فرقان

فلا بد من صفة تقوم به ويكون بها يقابل مثلها أو ضدها من الحضرة الإلهية وإنما قلت الضد و لم نقتصر على المثل الذي هو الحق الصدق رغبة في إصلاح قلب الصوفيّ والحاصل في أول درجات التحقيق فشرهما هذا ولا يعرفان ما فوقه ولا ما نومي إليه حتى يأخذ الله بأيديهما ويشهدهما ما أشهدناه وسأذكر طرفاً من ذلك في الفصل الثالث من هذا الباب فاطلب عليه هناك إن شاء الله تعالى فاغطس في بحر القرآن العزيز إن كنت واسع النفس وإلا فاقتصر على مطالعة كتب المفسرين لظاهره ولا تغطس فتهلك فإنّ بحر القرآن عميق ولولا الغاطس ما يقصد منه المواضع القريبة من الساحل ما خرج لكم أبداً فالأنبياء والورثة الحفظة هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمة بالعالم وأما الواقفون الذين وصلوا ومسكوا و لم يردوا ولا انتفع بهم أحد ولا انتفعوا بأحد فقصد وابل قصد بهم ثبج البحر فغطسوا إلى الأبد لا يخرجون يرحم الله العباد إني شيخ سهل بن عبد الله التستري حيث قال لسهل إلى الأبد حين قال له سهل أيسجد القلب فقال الشيخ إلى الأبد بل صلى الله على رسول الله حين قيل له صلى الله عليه وسلم في دخول العمرة في الحج ألعامنا هذا أم للأبد فقال صلى الله عليه وسلم بل لأبد الأبد فهي روحانية باقية في دار الخلد يجدها أهل الجنان في كل سنة مقدرة فيقولون ما هذا فيجابون العمرة في الحج روح ونعيم ووارد نزيه شريف تشرق به أسارير الوجوه وتزيد به حسناً وجمالاً فإذا غطست وفقك الله في بحر القرآن فاطلب وابحث على صدفتي هاتين الياقوتين الألف واللام وصدفتهما هي الكلمة أو الآية التي تحملها فإن كانت كلمة فعلية على طبقاتها نسبتهما من ذلك المقام وإن كانت كلمة أسمائية على طبقاتها نسبتهما من ذلك المقام وإن كانت كلمة ذاتية نسبتها من ذلك كما أشار عليه السلام وإن لم تكن في الحرف أعوذ برضاك من سخطك برضاك ميل الألف من سخطك ميل اللام كلمة أسمائية وبمعافاتك ميل الألف من عقوبتك ميل اللام كلمة فعلية وبك ميل الألف منك ميل اللام كلمة ذاتية فانظر ما أعجب سر النبوّة وما أعلاه وما أدنى مرماه وما أقصاه فمن تكلم على حرفي لام ألف من غير أن ينظر في الحضرة التي هو فيها فليس بكامل هيهات لا يستوي أبداً لام ألف لا خوف عليهم ولام ألف ولا هم يحزنون كما لا يستوي لام ألف لا التي للنفي ولام ألف التي للإيجاب كما لا يستوي لام ألف النفي ولام ألف النفي والتبرئة ولام ألف النهي فترفع بالنفي وتنصب بالتبرئة وتجزم بالنهي ولام ألف لام التعريف والألف التي من أصل الكلمة مثل قوله الأعراف والأدبار والأبصار والأقلام كما لا يستوي لام ألف لام التوكيد والألف الأصلية مثل قوله تعالى "لأوضعوا" "ولأنتم" فتحقق ما ذكرناه لك وأقم ألفك من رقدها وحل لامك من عقدها وفي عقد اللام بالألف سرّ لا يظهر ولا أقدر على بسط العبارة في مقامات لام ألف كما وردت في القرآن إلا لو كان السامع يسمعه مني كما يسمعه من الذي أنزل عليه لو عبر عنه ومع هذا فالغرض في هذا الكتاب الإيجاز وقد طال الباب واتسع الكلام فيه على طريق الإجمال لكثرة المراتب وكثرة الحروف و لم نذكر في هذا الباب معرفة المناسبة التي بين

الحروف حتى يصح اتصال بعضها مع بعض ولا ذكرنا اجتماع حرفين معاً إلا لام ألف خاصة من جهة مَا وهذا الباب يتضمن ثلاثة آلاف مسئلة وخمسمائة مسئلة وأربعين مسئلة على عدد الاتصالات بوجه مَا لكل اتصال علم يخصه وتحت كل مسئلة من هذه المسائل مسائل تتشعب كثيرة فإن كل حرف يصطحب مع جميع الحروف كلها من جهة رفعه ونصبه وخفضه وسكونه وذاته وحروف العلة الثلاثة فمن أراد أن يتشفى منها فليطالع تفسير القرآن الذي سميناه الجمع والتفصيل وسنو في الغرض في هذه الحروف إن شاء الله في كتاب المبادي والغايات لنا وهو بين أيدينا فلتكف هذه الإشارة في لام ألف والحمد لله المفضل.

معرفة ألف اللام آل

ألف اللام لعرفان الذوات ... ولإحياء العظام النخرات

تنظم الشمل إذا ما ظهرت ... بمحياها وما تبقى شتات

وتفي بالعهد صدقاً ولها ... حال تعظيم وجود الحضرات

اعلم أن لام ألف بعد حلها ونقض شكلها وإبراز أسرارها وفنائها عن اسمها ورسمها تظهر في حضرة الجنس والعهد والتعريف والتعظيم وذلك لما كان الألف حظ الحق واللام حظ الإنسان صار الألف واللام للجنس فإذا ذكرت الألف واللام ذكرت جميع الكون ومكوّنه فإن فنيت عن الحق بالخليقة ذكرت الألف واللام كان الألف واللام الحق والخلق وهذا هو الجنس عندنا فقائمة اللام للحق تعالى ونصف دائرة اللام المحسوس الذي يبقى بعد ما يأخذ الألف قائمته هو شكل النون للخلق ونصف الدائرة الروحاني الغائب للملكوت والألف التي تبرز قطر الدائرة للأمر وهو كن وهذه كلها أنواع وفصول للجنس الأعم الذي ما فوقه جنس وهو حقيقة الحقائق التائهة القديمة في القديم لا في ذاتها والمحدثة في المحدث لا في ذاتها وهي بالنظر إليها لا موجودة ولا معدومة وإذا لم تكن موجودة لا تتصف بالقدم ولا بالحدوث كما سيأتي ذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب ولها ما شاكلها من جهة قبولها للصور لا من جهة قبولها للحدوث والقدم فإن الذي يشبهها موجود وكل موجود إما محدث وهو الخلق وإما محدث اسم فاعل وهو الخالق ولما كانت تقبل القدم والحدوث كان الحق يتجلى لعباده على ما شاءه من صفاته ولهذا السبب ينكره قوم في الدار الآخرة لأنه تعالى تجلى لهم في غير الصورة والصفة التي عرفوها منه وقد تقدم طرف منه في الباب الأول من هذا الكتاب فيتجلى للعارفين على قلوبهم وعلى ذواتهم في الآخرة عموماً فهذا وجه من وجوه الشبه وعلى التحقيق الذي لا خفاء به عندنا أن حقائقها هي المتجلية للصنفين في الدارين لمن عقل أو فهم من الله تعالى المرئيّ في الدنيا بالقلوب والأبصار مع أنه سبحانه منبئ عن عجز العباد عن درك كنهه فقال لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير لطيف بعباده بتجليه لهم على قدر طاقتهم خبير بضعفهم عن حمل تجليه الأقدس على ما تعطيه الألوهة إذ لا طاقة للمحدث على حمل جمال القديم كما لا طاقة للأنهار بحمل البحار فإن البحار تفنى أعيانها سواء وردت عليه أو ورد عليها أعني البحر لا يبقى لها أثراً يشهد ولا يميز فاعرف ما ذكرناه وتحقق وأعلى ما يشبهها من المحدثات الهباء الذي خلق فيه صور العالم ثم النور أنزل منه في الشبه بها فإن النور صوره في الهباء كما أن الهباء صوره فيها وأنزل شبهاً من النور بها الهواء وأنزل منه الماء وأنزل منه المعادن وأنزل منه الخشب وأمثاله إلى أن تنتهي إلى شيء لا يقبل إلا

صورة واحدة إن وجدته فتفهم هذا حتى يأتي بابه من هذا الكتاب إن شاء الله فهذه الحقيقة التائهة التي تتضمن الحقائق التائهات هي الجنس الأعم التي تستحق الألف واللام الحمل عليه بذاتها وكذلك عهدهما بجريان حقيقتيهما على علم ما وقع فيه العهد بين الموجودين فعلى أيّ موجودين دخلتا لأمر كان بينهما من جهة كل واحد منهما بالنظر إلى أمر ثالث كانتا لعهد ذلك الأمر الثالث الذي يعرفانه وعلى حقيقتهما الألف لأخذ العهد واللام لمن أخذ عليه وكذلك تعريفهما وتخصيصهما إنما يخصصان شيئاً من جنسه على التعيين ليحصلا العلم به عند من يريد المخبر أن يعلمه إياه فعلى أيّ حالة كان المخصص والمخصص والشيء الذي بسببه ظهرت هاتان الحقيقتان انقلبتا في صورة حقائقهما وهذا هو الاشتراك الذاتي فإن كان الاشتراك في الصفة ونريد أن نميز الأعظم منهما للمخاطب فتكونا عند ذلك للتعظيم في الوصف الذي تدخل فالألف واللام يقبلان كل صورة وحقيقة لأنهما موجودان جامعان لجميع الحقائق فأيّ شيء برزا برزا له الحقيقة التي عندهما منه فقابلاه بها فدلالتهما على الشيء لذاتهما لا أنهما اكتسبا من الشيء الذي دخلتا عليه ومثل ذلك أهلك الناس الدينار والدرهم رأيت الرجل أمس أحببت الرجال دون النساء هويت السمان ويكفي هذا القدر فقد طال الباب انتهى الجزء السادس والحمد لله.

الجزء السابع

تكمله

تكمله

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان بعض الأسباب أعني تفسير الألفاظ التي ذكرت في الحروف من بسائط ومراتب وتقديس وإفراد وتركيب وأنس ووحشة وغير ذلك فاعلم أولاً أن هذه الحروف لما كانت مثل العالم المكلف الإنساني المشاركة له في الخطاب لا في التكليف دون غيره من العالم لقبولها جميع الحقائق كالإنسان وسائر العالم ليس كذلك فمنهم القطب كما منا وهو الألف ومقام القطب منا الحياة القيومية هذا هو المقام الخاص به فإنه سار بهمته في جميع العالم كذلك الألف من كل وجه من وجه روحانيته التي ندركها نحن ولا يدركها غيرنا ومن حيث سريانه نفساً من أقصى المخارج الذي هو منبعث النفس إلى آخر المنافس ويمتدّ في الهواء الخارج وأنت ساكت وهو الذي يسمى الصدى فتلك قيومية الألف لا أنه واقف ومن حيث رقمه فإن جميع الحروف تنحل إليه وتتركب منه ولا ينحل هو إليها كما ينحل هو أيضاً إلى روحانيته وهي النقطة تقديراً وإن كان الواحد لا ينحل فقد عرفناك ما لأجله كان الألف قطباً وهكذا تعمل فيما نذكره لك بعد هذا إن أردت أن تعرف حقيقته "والإمامان" الواو والياء المعتلتان اللذان هما حرفا المد واللين لا الصحيحتان "والأوتاد" أربعة الألف والواو والياء والنون الذين هم علامات الإعراب "والإبدال" سبعة الألف والواو والياء والنون وتاء الضمير وكافه وهاؤه فالألف ألف رجلان والواو واو العمرون والياء ياء العمرين والنون نون يفعلون وسر النسبة بيننا وبينهم في مرتبة الإبدال كما بينا في القطب أن التاء إذا غابت من قمت تركت بدلها فقال المتكلم قام زيد فنابت بنفسها مناب الحروف التي هي اسم هذا الشخص المخبر عنه ولو كان الاسم مركباً من ألف حرف ناب الضمير مناب تلك الحروف لقوّة حروف الضمائر وتمكنها واتساع فلكها فلو سميت رجلاً يا دار مية العلياء فالسند فقد نابت التاء أو الكاف أو الهاء مناب جملة هذه الحروف في الدلالة وتركته بدلها أو جاءت بدلاً منها كيفما شئت وإنماصح لها هذا لكونها تعلم ذلك ولا يعلمه من هي بدل منه أو هو بدل عنها فلهذا استحقت هي وأخواتها مقام الأبدال ومدرك من أين علم هذا موقوف على الكشف فابحث عليه بالخلوة والذكر والهمة وإياك أن تتوهم تكرار هذه الحروف في المقامات أنها شيء واحد له وجوه إنما هي مثل الأشخاص الإنسانية فليس زيد بن علي هو عين أخيه زيد بن علي الثاني وإن كانا قد اشتركا في البنوّة والإنسانية ووالدهما واحد ولكن بالضرورة نعلم أن الأخ الواحد ليس عين الأخ الثاني فكما يفرّق البصر بينهما والعلم كذلك يفرّق العلم بينهما في الحروف عند أهل الكشف من جهة الكشف وعند النازلين عن هذه الدرجة من جهة المقام التي هي بدل عن حروفه ويزيد صاحب الكشف على العالم من جهة المقام بأمر آخر لا يعرفه صاحب علم المقام المذكور وهو مثلاً قلت إذا كرّرته بدلاً من اسم بعينه فتقول لشخص بعينه قلت كذا وقلت كذا فالتاء عند صاحب الكشف التي في قلت الأوّل غير التاء التي في قلت الثاني لأن عين المخاطب تتجدد في كل نفس بل هم في لبس من خلق جديد فهذا شأن الحق في العالم مع أحدية الجوهر وكذلك الحركة الروحانية التي عنها أوجد الحق تعالى التاء الأولى غير الحركة التي أوجد عنها

التاء الأخرى بالغاً ما بلغت فيختلف معناها بالضرورة فصاحب علم المقام يتفطن لاختلاف علم المعنى ولا يتفطن لاختلاف التاء أو أيّ حرف ضميراً كان أو غير ضمير فإنه صاحب رقم ولفظ لا غير كما تقول الأشاعرة في الأعراض سواء فالناس مجمعون معهم على ذلك في الحركة خاصة ولا يصلون إلى علم ذلك في غير الحركة فلهذا أنكروه و لم يقولوا به ونسبوا القائل بذلك إلى الهوس وإنكار الحس وحجبوا عن إدراك ضعف عقولهم وفساد محل نظرهم وقصورهم عن التصرف في المعاني فلو حصل لهم الأول عن كشف حقيقيّ من معدنه لانسحبت تلك الحقيقة على جميع الأعراض حكماً عاماً لا يختص بعرض دون عرض وإن اختلفت أجناس الأعراض فلا بد من حقيقة جامعة وحقيقة فاصلة وهكذا هذه المسئلة التي ذكرناها في حق من قال بما قلناه فيها ومن أنكره فليس المطلوب عند المحققين الصور المحسوسة لفظاً ورقماً وإنما المطلوب المعاني التي تضمنها هذا الرقم أو هذا اللفظ وحقيقة اللفظة والمرقوم عينها فإن الناظر في الصور إنما هو روحانيّ فلا يقدر أن يخرج عن جنسه فلا تحجب بأن ترى الميت لا يطلب الخبز لعدم السرّ الروحانيّ منه

ويطلبه الحيّ لوجود الروح فيه فتقول نراه يطلب غير جنسه فاعلم أن في الخبز والماء وجميع المطاعم والمشارب والملابس والمجالس أرواحاً لطيفة غريبة هي سرّ حياته وعلمه وتسبيحه ربه وعلوّ مترلته في حضرة مشاهدة خالقه وتلك الأرواح أمانة عند هذه الصور المحسوسة يؤدّوها إلى هذا الروح المودع في الشبح ألا ترى إلى بعضهم كيف يوصل أمانته إليه الذي هو سرّ الحياة فإذا أدّى إليه أمانته خرج إما من الطريق الذي دخل منه فيسمى قيئاً وقلساً وإما من طريق آخر فيسمى عذرة وبولاً فما أعطاه الأسم الأوّل إلا السرّ الذي أدّاه إلى الروح وبقي باسم آخر يطلبه من أجله صاحب الخضروات والمدبرين أسباب الاستحالات هكذا يتقلب في أطوار الوجود فيعرى ويكتسي ويدور بدور الأكرة كالدولاب إلى أن يشاء الله العليم الحكيم فالروح معذور في تعشقه بهذه المحسوسات فإنه عاين مطلوبه فيها فهي في مترل محبوبه.

أمرّ على الديار ديار سلمى	أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار مضى بقلبي	ولكن حب من سكن الديارا

وقال أبو إسحق الزوالي رحمه الله

يا دار إنّ غزالاً فيك تيمني	لله درك ما تحويه يا دار
لو كنت أشكو إليها حب ساكنها	إذن رأيت بناء الدار ينهار

فافهموا فهمنا الله وإياكم سرائر كلمه وأطلعنا وإياكم على خفيات غيوب حكمه أما قولنا الذي ذكرناه بعد كل حرف فأريد أن أبينه لكم حتى تعرفوا منه ما لا ينفركم عما لا تعلمون فأقل درجات الطريق التسليم فيما لا تعلمه وأعلاه القطع بصدقه وما عدا هذين المقامين فحرمان كما أن المتصف بهذين المقامين سعيد قال أبو يزيد البسطاميّ لأبي موسى يا أبا موسى إذا لقيت مؤمناً بكلام أهل هذه الطريقة قل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة وقال رويم من قعد مع الصوفية وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه "شرح" فمن ذلك قولنا حرف كذا باسمه كما سقته هو من عالم الغيب فاعلم أن العالم على بعض تقاسيمه على

قسمين بالنظر إلى حقيقة ما معلومة عندنا "قسم يسمى عالم الغيب" وهو كل ما غاب عن الحس و لم تجر العادة بأن يدرك الحس له وهو من الحروف السين والصاد والكاف والخاء المعجمة والتاء باثنتين من فوق والفاء والشين والهاء والثاء بالثلاث والحاء وهذه حروف الرحمة والألطاف والرأفة والحنان والسكينة والوقار والترول والتواضع وفيهم نزلت هذه الآية وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيهم نزل أيضاً على الرقيقة المحمدية التي تمتد إليهم منه من كونه أوتي جوامع الكلم أتى إليهم بها رسولهم فقال تعالى "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس" وفيهم "وقلوبهم وجلة" وفيهم "والذين هم في صلاتهم خاشعون" وفيهم "وخشعت الأصوات للرحمن" وهذا القبيل من الحروف هو أيضاً الذي نقول فيه أنه من اللطف لما ذكرناه فهذا من جملة المعاني التي نطلق عليه منه عالم الغيب واللطف "والقسم الآخر يسمى عالم الشهادة والقهر" وهو كل عالم من عالمي الحروف جرت العادة عندهم أن يدركوه بحواسهم وهو ما بقي من الحروف وفيهم قوله تعالى "فاصدع بما تؤمر" وقوله تعالى "واغلظ عليهم" وقوله "وأجلب عليهم بخيلك ورجلك" فهذا عالم الملك والسلطان والقهر والشدّة والجهاد والمصادمة والمقارعة ومن روحانية هذه الحروف يكون لصاحب الوحي الغت والغط وصلصلة الجرس ورشح الجبين ولهم "يا أيها المزمل" و"يا أيها المدثر" كما أنه في حروف عالم الغيب "نزل به الروح الأمين على قلبك" "لا تحرّك به لسانك لتعجل به" و"لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه" "وقل رب زدني علماً".

وأما قولنا والملك والجبروت أو الملكوت فقد تقدّم ذكره في أول هذا الباب عند قولنا ذكر مراتب الحروف وأما قولنا مخرجه كذا فمعلوم عند القرّاء وفائدته عندنا أن تعرف أفلاكه فإن الفلك الذي جعله الله سبباً لوجود حرف مَا ليس هو الفلك الذي وجد عنه حرف غيره وإن توحد الفلك فليست الدورة واحدة بالنظر إلى تقدير مَا تفرضه أنت في شيء تقتضي حقيقته ذلك الفرض ويكون في الفلك أمر يتميز عندك عن نفس الفلك تجعله علامة في موضع الفرض وترصده فإذا عادت العلامة إلى حدّ الفرض الأوّل فقد انتهت الدورة وابتدأت أخرى قال عليه السلام إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله وسيأتي بيان هذا الحديث في الباب الحادي عشر من هذا الكتاب وأما قولنا عدده كذا وكذا أو كذا دون كذا فهو الذي يسميه بعض الناس الجزم الكبير والجزم الصغير وقد يسمونه الجمل عوضاً من الجزم وله سرّ عجيب في أفلاك الدراري وفي أفلاك البروج وأسماؤها معلومة عند الناس فيجعلون الجزم الكبير لفلك البروج ويطرحون ما اجتمع من العدد ثمانية وعشرين ثمانية وعشرين والجزم الصغير لأفلاك الدراري وطرح عدده تسعة تسعة بطريقة ليس هذا الكتاب موضعها وعلم ليس هو مطلوبنا وفائدة الأعداد عندنا في طريقنا الذي تكمل به سعادتنا إن المحقق والمريد إذا أخذ حرفاً من هذه أضاف الجزم الصغير إلى الجزم الكبير مثل أن يضيف إلى القاف الذي هو مائة بالكبير وواحد بالصغير فيجعل أبداً عدد الجزم الصغير وهو من واحد إلى تسعة فيردّه إلى ذاته فإن كان واحداً الذي هو حرف الألف بالجزمين والقاف والشين والياء عندنا وعند غيرنا بدل الشين الغين المعجمة بالجزم الصغير فيجعل ذلك الواحد لطيفته المطلوبة منه بأيّ جزم كان فإن كان الألف حتى إلى الطاء التي هي بسائط الأعداد فهي مشتركة بين الكبير والصغير في الجزمين فمن حيث كونها للجزم الصغير ردّها إليك ومن حيث كونها للجزم الكبير ردّها إلى الواردات المطلوبة لك فتطلب في الألف التي هي الواحد ياء العشرة وقاف المائة وشين الألف أو غينه على الخلاف وتمت مراتب العدد وانتهى المحيط ورجع الدور على بدئه فليس إلا أربع نقط شرق وغرب واستواء وحضيض أربعة أرباع والأربعة عدد محيط لأنها مجموع البسائط كما أن هذه العقد مجموع المركبات العددية وإن كان اثنان

الذي هو الباء بالجزمين والكاف والراء بالجزم الصغير جعلت الباء منك حالك وقابلت بها عالم الغيب والشهادة فوقفت على أسرارها من كونها غيباً وشهادة لا غير وهي الذات والصفات في الإلهيات والعلة والمعلول في الطبيعيات لا في العقليات والشرط والمشروط في العقليات والشرعيات لا في الطبيعيات لكن في الإلهيات وإن كان ثلاثة الذي هو الجيم بالجزمين واللام والسين المهملة عند قوم والشين المعجمة عند قوم بالجزم الصغير جعلت الجيم منك عالمك وقابلت به عالم الملك من كونه ملكاً وعالم الجبروت من كونه جبروتاً وعالم الملكوت من كونه ملكوتاً وبما في الجيم من العدد الصغير يبرز منك وبما فيه وفي اللام والسين أو الشين من العدد الكبير تبرز وجوه من المطلوب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء على حسب الاستعداد وأقل درجاته الذي يشمل العامة العشر المذكور والتضعيف موقوف على الاستعداد وفيه تفاضل رجال الأعمال وكل عالم في طريقه على ذلك وليس غرضنا في هذا الكتاب ما يعطي الله الحروف من الحقائق إذا تحققت بحقائقها وإنما غرضنا أن نسوق ما يعطي الله لمنشئها لفظاً أو خطأ إذا تحقق بحقائق هذه الحروف وكوشف على أسرارها فاعلموا ذلك وإن كان أربعة الذي هو الدال بالجزمين والميم والتاء بالصغير جعلت الدال منك قواعدك وقابلت بها الذات والصفات والأفعال والروابط وبما في الدال من العدد بالصغير يبرز عن أسرار قبولك وبما فيه وفي الميم والتاء بالكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل والكمال فيها وإلا كمل بحسب الاستعداد وإن كانت خمسة الذي هو الهاء بالجزمين والنون والثاء بالصغير جعلت الهاء منك مملكتك في مواطن اعلحروف ومقارعة الأبطال وقابلت بها الأرواح الخمسة الحيوانيّ والخياليّ والفكريّ والعقليّ والقدسيّ وبما في الهاء من الصغير تبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي النون والثاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل والكامل والأكمل أثر حاصل عن الاستعداد وإن كان ستة الذي هو

الواو بالجزمين والصاد أو السين على الخلاف والخاء بالصغير جعلت الواو منك جهاتك المعلومة وقابلت بها نفيها عن الحق بوجه وإثباتها بوجه وهو علم الصورة وبما في الواو من أسرار القبول بارز بالصغير وبما فيه وفي الصاد أو السين والخاء بالكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار الإستواء وما يكون من نجوى ثلاثة وهو معكم أينما كنتم وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وكل آية أو خبر تثبت له جل وعلا الجهة والتحديد والمقدار والكمال وإلا كمل فيه على قدر الاستعداد والتأهب وإن كان سبعة وهو الزاي بالجزمين والعين والذال بالصغير جعلت الذي منك صفاتك وقابلت بها صفاته وبما في الزاي من الصغير يبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي العين والذال من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المسبعات كلها حيث وقعت والكمال والإكمل فيه على قدر الاستعداد والتأهب وإن كان ثمانية الذي هو الحاء بالجزمين والفاء في قول والصاد في قول والضاد في قول والظاء في قول جعلت الحاء منك ذاتك بما فيها وقابلت بها الحضرة الإلهية مقابلة الصورة صورة المرآة وبما في الحاء من الصغير يبرز من أسرار قبولك وبما فيه وفي الفاء والظاء أو الضاد من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار أبواب الجنة الثمانية وفتحها لمن شاء الله هنا وكل حضرة مثمنة في الوجود والكمال والأكمل بحسب الاستعداد وإن كان تسعة وهو الطاء بالجزمين والضاد أو الصاد في قول وفي المئين الظاء أو الغين في قول بالجزم الصغير جعلت الطاء منك مراتبك في الوجود التي أنت عليها في وقت نظرك في هذا التجلي وقابلت بها مراتب الحضرة وهو الأبد لها ولك وبما في الطاء من الصغير يبرز من أسرار القبول وبما فيه وفي الضاد أو الصاد والغين أو الظاء من الكبير تبرز وجوه من المطلوب المقابل وفي هذا التجلي يعلم المكاشف أسرار المنازل والمقامات الروحانية وأسرار الأحدية والكامل والأكمل على حسب الاستعداد فهذا وجه من الوجوه التي سقنا عدد الحرف من أجله فاعمل عليه وإن كان ثم وجوه أخر فليتك لو عملت على هذا وهو

المفتاح الأوّل ومن هنا تنفتح لك أسرار الأعداد وأرواحها ومنازلها فإنّ العدد سرّ من أسرار الله في الوجود ظهر في الحضرة الإلهية بالقوّة فقال صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وقال إن لله سبعين ألف حجاب إلى غير ذلك وظهر في العالم بالفعل وانسحبت معه القوّة فهو في العالم بالقوّة والفعل وغرضنا إن مد الله في العمر وتراخى الأجل أن نضع في خواص العدد موضوعاً لم نسبق إليه في علمي نبدي فيه من أسرار الأعداد ما تعطيه حقائقه في الحضرة الإلهية وفي العالم والروابط ما تغتبط به الأسرار وتنال به السعادة في دار القرار وأمّا قولنا بسائطه فلسنا نريد بسائط شكل الحرف مثلاً الذي هو ص وإنما نريد بسائط اللفظ الذي هو الكلمة الدالة عليه وهو الاسم أو التسمية وهو قولك صاد فبسائط هذه اللفظة نريد وأمّا بسائط الشكل فليس له بسائط من الحروف ولكن له النقص والتمام والزيادة مثل الراء والزاي نصف النون والواو نصف القاف والكاف أربعة أخماس الطاء وأربعة أسداس الظاء والدال خمسي الطاء والياء ذالان واللام يزيد على الألف بالنون وعلى النون بالألف وشبه هذا وأما بسائط أشكال الحروف إنما ذلك من النقط خاصة فعلى قدر نقطه بسائطه وعلى قدر مرتبة الحرف في العالم من جهة ذاته أو من نعت هو عليه في الحال علق منازل نقطة وأفلاكها ونزولها فالأفلاك التي عنها وجدت بسائط ذلك الحرف المذكور باجتماعها وحركاتها كلها وجد اللفظ به عندنا وتلك الأفلاك تقطع في فلك أقصى على حسب اتساعها.

وأما قولنا فلكه وسني حركة فلكه فنريد به الفلك الذي عنه وجد العضو الذي فيه مخرجه فإن الرأس من الإنسان أوجده الله تعالى عند حركة مخصوصة من فلك مخصوص من أفلاك مخصوصة والعنق عن الفلك الذي يلي هذا الفلك المذكور والصدر عن الفلك الرابع من هذا الفلك الأول المذكور فكل ما يوجد في الرأس من المعاني والأرواح والأسرار والحروف والعروق وكل ما في الرأس من هيئة ومعنى عن ذلك الفلك ودورته اثنتا عشرة ألف سنة ودورة فلك العنق وما فيه من هيئة ومعنى والحروف الحلقية من جملتها إحدى عشرة ألف سنة ودورة فلك الصدر على حكم ما ذكرناه تسع آلاف سنة وطبعه وعنصره وما يوجد عنه راجع إلى حقيقة ذلك الفلك وأما قولنا يتميز في طبقة كذا فاعلموا أن عالم الحروف على طبقات بالنسبة إلى الحضرة الإلهية والقرب منها مثلنا وتعرف ذلك فيهم بما أذكره لك وذلك أن الحضرة الإلهية التي للحروف عندنا في الشاهد إنما هي في عالم الرقم خط المصحف وفي الكلام التلاوة وإن كانت سارية في الكلام كله تلاوة أو غيرها فهذا ليس هو عشك أن تعرف أن كل لافظ بلفظة إلى الآباد أنه قرآن ولكنه في الوجود بمنزلة حكم الإباحة في شرعنا وفتح هذا الباب يؤدّي إلى تطويل عظيم فإن مجاله رحب فعدلنا إلى أمر جزئيّ من وجه صغر فلكه المرقوم وهو المكتوب والملفوظ به خاصة واعلم أن الأمور عندنا من باب الكشف إذا ظهر منها في الوجود ما ظهر إن الأول أشرف من الثاني وهكذا على التتابع حتى إلى النصف ومن النصف يقع التفاضل مثل الأول حتى إلى الآخر والآخر والأول أشرف ما ظهر ثم يتفاضلان على حسب ما وضعا له وعلى حسب المقام فالأشرف منها أبداً يقدم في الموضع الأشرف وتبيين هذا أنّ ليلة خمسة عشر في الشرف بمنزلة ليلة ثلاثة عشر وهكذا حتى إلى ليلة طلوع الهلال من أول الشهر وطلوعه من آخر الشهر وليلة المحاق المطلق ليلة الأبدار المطلق فافهم فنظرنا كيف ترتب مقام رقم القرآن عندنا وبماذا بدئت به السور من الحروف وبماذا ختمت وبماذا اختصت السور المجهولة في العلم النظري المعلومة بالعلم اللدنيّ من الحروف ونظرنا إلى تكرار بسم الله الرحمن الرحيم ونظرنا في الحروف التي لم تختص بالبداية ولا بالختام ولا ببسم الله الرحمن الرحيم وطلبنا من الله تعالى أن يعلمنا بهذا الاختصاص الإلهي الذي حصل لهذه الحروف هل هو اختصاص اعتنائيّ من غير شيء كاختصاص الأنبياء بالنبوّة والأشياء الأول

كلها أو هو اختصاص نالته من طريق الاكتساب فكشف لنا عن ذلك كشف الهام فرأيناه على الوجهين معاً في حق قوم عناية وفي حق قوم جزاء لما كان منهم في أول الوضع والكل لنا ولهم وللعالم عناية من الله تعالى فلما وقفنا على ذلك جعلنا الحروف التي لم تثبت أولاً ولا آخراً على مراتب الأولية كما نذكره عامة الحروف ليس لها من هذا الاختصاص القرآنيّ حظ وهم الجيم والضاد والخاء والذال والغين والشين وجعلنا الطبقة الأولى من الخواص حروف السور المجهولة وهم الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وأعني بهذا صورة اشتراكهم في اللفظ والرقم فاشتراكها في الرقم اشتراكها في الصورة والاشتراك اللفظيّ إطلاق اسم واحد عليها مثل زيد وزيد آخر فقد اشتركا في الصورة والاسم، وأمّا المقرّر عندنا والمعلوم أن الصاد من المص ومن كهيعص ومن ص ليس كل واحد منهن عين الآخر منهن ويختلف باختلاف أحكام السورة وأحوالها ومنازلها وهكذا جميع هذه الحروف على هذه المرتبة وهذه تعمها لفظاً وخطاً، وأمّا الطبقة الثانية من الخاصة وهم خاصة الخاصة فكل حرف وقع في أوّل سورة من القرآن مجهولة وغير مجهولة وهو حرف الألف والياء والباء والسين والكاف والطاء والقاف والتاء والواو والصاد والحاء والنون واللام والهاء والعين، وأما الطبقة الثالثة من الخواص وهم الخلاصة فهم الحروف الواقعة في أواخر السور مثل النون والميم والراء والباء والدال والزاي والألف والطاء والياء والواو والهاء والظاء والثاء واللام والفاء والسين، وإن كان الألف فيما يرى خطاً ولفظاً في ركزا ولزاما ومن اهتدى فما أعطانا بالكشف إلا الذي قبل ذلك الألف فوقفنا عنده وسميناه آخراً كما شهدنا هناك وأثبتنا الألف كما رأينا هنا ولكن في فصل آخر لا في هذا الفصل فإنا لا نزيد في التقييد في هذه الفصول

على ما نشاهده بل ربما نرغب في نقص شيء منها مخافة التطويل فنسعف في ذلك من جهة الرقم واللفظ ونعطي لفظاً يعمّ تلك المعاني التي كثرت ألفاظها فنلقيه فلا يخلّ بشيء من الإلقاء ولا ننقص ولا يظهر لذلك الطول الأول عين فينقضي المرغوب لله الحمد وأمّا الطبقة الرابعة من الخواص وهم صفاء الخلاصة وهم حروف بسم الله الرحمن الرحيم وما ذكرت إلا حيث ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد ما ذكرها الله له بالوجهين من الوحي وهو وحي القرآن وهو الوحي الأول فإنّ عندنا من طريق الكشف إن الفرقان حصل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآناً مجملاً غير مفصل الآيات والسور ولهذا كان عليه السلام يعجل به حين كان يترل عليه به جبريل عليه السلام بالفرقان فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك فتلقيه مجملاً فلا يفهم عنك من قبل أن يقضي إليك وحيه فرقاناً مفصلاً وقل رب زدني علماً بتفصيل ما أجملته فيّ من المعاني وقد أشار من باب الإسرار فقال إنا أنزلناه في ليلة و لم يقل بعضه ثم قال فيها يفرق كل أمر حكيم وهذا هو وحي الفرقان وهو الوجه الآخر من الوجهين وسيأتي الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم في بابه الذي أفردت له في هذا الكتاب واعلموا أن بسملة سورة براءة هي التي في النمل فإن الحق تعالى إذا وهب شيأ لم يرجع فيه ولا يردّه إلى العدم فلما خرجت رحمة براءة وهي البسملة حكم التبريّ من أهلها برفع الرحمة عنهم فوقف الملك بها لا يدري أين يضعها لأن كل أمة من الأمم الإنسانية قد أخذت رحمتها بإيمانها بنبيها فقال أعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت بسليمان عليه السلام وهي لا يلزمها إيمان إلا برسولها فلما عقرفت قدر سليمان وآمنت به أعطيت من الرحمة الإنسانية حظاً وهو بسم الله الرحمن الرحيم الذي سلب عن المشركين وفي هذه السورة الجساسة وأما الطبقة الخامسة وهي عين صفاء الخلاصة فذلك حرف الباء فإنه الحرف المقدم لأنه أول البسملة في كل سورة والسورة التي لم يكن فيها بسملة ابتدئت بالباء فقال تعالى "براءة" قال لنا بعض الإسرائيليين من أحبارهم ما لكم في التوحيد حظ لأن سور كتابكم بالباء فأجبته ولا أنتم فإن أول التوراة باء

فأفحم ولا يتمكن إلا هذا فإن الألف لا يبتدأ بها أصلاً فما وقع من هذه الحروف في مبادي السور قلنا فيه له بداية الطريق وما وقع آخراً قلنا له غاية الطريق وإن كان من العامة قلنا له وسط الطريق لأن القرآن هو الصراط المستقيم وأمّا قولنا مرتبته الثانية حتى إلى السابعة فنريد بذلك بسائط هذه الحروف المشتركة في الأعداد فالنون بسائطه اثنان في الألوهية والميم بسائطه اثنان في الألوهية والميم بسائطه ثلاثة في الإنسان والجيم والواو والكاف والقاف بسائطه أربعة في الجن والذال والزاي والصاد والعين والضاد والسين والذال والغين والشين بسائطه خمسة في البهائم والألف والهاء واللام بسائطه ستة في النبات والباء والحاء والطاء والياء والفاء والراء والتاء والثاء والخاء والظاء بسائطه سبعة في الجماد وأما قولنا حركته معوجة أو مستقيمة أو منكوسة أو ممتزجة أو أفقية فأريد بالمستقيمة كل حرف حرّك همتك إلى جانب الحق خاصة من جهة السلب إن كنت عالمنا ومن جهة ما يشهدان كنت مشاهداً والمنكوسة كل حرف حرّك الهمة إلى الكون وأسراره والمعوجة وهي الأفقية كل حرف حرّك الهمة إلى تعلق المكون بالمكون والممتزجة كل حرف حرّك الهمة إلى معرفة أمرين مما ذكرت لك فصاعداً وتظهر في الرقم في الألف والميم المعرق والحاء والنون وما أشبه هؤلاء وأما قولنا له الأعراف والخلق والأحوال والكرامات أو الحقائق والمقامات والمنازلات فاعلموا أن الشيء لا يعرف إلا بوجهه أي بحقيقته فكل ما لا يعرف الشيء إلا به فذلك وجهه فنقط الحرف وجهه الذي يعرف به والنقط على قسمين نقط فوق الحرف ونقط تحته فإذا لم يكن للشيء ما يعرف به عرف بنفسه مشاهدة وبضده نقلاً وهي الحروف اليابسة فإذا دار الفلك أي فلك المعارف حدثت عنه الحروف المنقوطة من فوق وإذا دار فلك الأعمال حدثت عنه الحروف المنقوطة من أسفل وإذا دار فلك المشاهدة حدثت عنه الحروف اليابسة غير المنقوطة ففلك المعارف يعطي الخلق والأحوال والكرامات وفلك الأعمال يعطي الحقائق والمقامات والمنازلات وفلك المشاهدة يعطي البراءة من هذا كله قيل لأبي يزيد كيف أصبحت قال لا

صباح لي ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي وهذا مقام الأعراف وأما قولنا خالص أو ممتزج فالخالص الحرف الموجود عن عنصر واحد والممتزج الموجود عن عنصرين فصاعداً.

وأمّا قولنا كامل أو ناقص فالكامل هو الحرف الذي وجد عن تمام دورة فلكه والناقص الذي وجد عن بعض دورة فلكه وطرأت على الفلك علة أوقفته فنقص عما كان يعطيه كمال دورته كالدودة في عالم الحيوان التي ما عندها سوى حاسة اللمس فغذاؤها من لمسها كالواو مع القاف والزاي مع النون وأمّا قولنا يرفع من اتصل به نريد كل حرف إذا وقفت على سرّه ورزقت التحقق به والاتحاد تميزت في العالم العلويّ وأمّا قولنا مقدس أي عن التعلق بغيره فلا يتصل في الخط بحرف آخر وتتصل الحروف به فهو متره الذات تمدها ستة أفلاك عالية الأوج عنها وجدت الجهات هذه الستة الأحرف بحر عظيم لا يدرك قعره فلا يعرف حقيقتها إلا الله وهي مفاتح الغيب وندرك من باب الكشف أثرها المنوط بها وهي الألف والواو والدال والذال والراء والزاي وأما قولنا مفرد ومثنى ومثلث ومربع ومؤنس وموحش فنريد بالمفرد إلى المربع ما نذكره وذلك أن من الأفلاك التي عنها توجد هذه الحروف ما له دورة واحدة فذلك قولنا مفرد ودورتان فذلك المثنى هكذا إلى المربع وأما المؤنس والموحش فالدورة تأنس بأختها الشيء يألف شكله قال تعالى "لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة" فالعارف يألف الحال ويأنس به نودي عليه السلام في ليلة إسرائه في استيحاشه بلغة أبي بكر فأنس بصوت أبي بكر خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من طينة واحدة فسبق محمد صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فكان كلامهما كلامه سبحانه فلم يعد المرتبة وعدى الخطاب إلى المرتبة الأخرى فقال كأنه مبتدئ وهو عاطف على هذا الكلام ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم فأرسلها فمن

الناس من قطعها ومنهم من وصلها في هذا مقام الإثبات وبقاء الرسم وظهور العين وسلطان الحقائق وتمشية العدل من باب الفضل والطول والموحش محولاً محق صاحب علة ترتقي فتحقق ما ذكرناه وأمّا قولنا له الذات والصفات والأفعال على حسب الوجوه فأيّ حرف له وجه واحد كان له من هذه الحضرات حضرة واحدة أي شيء واحد على حسب علوّه ونزوله وكذلك إذا تعدّدت الوجوه وأما قولنا له من الحروف فإنما أعني الحقائق المتممة لذاته من جهة ما وأمّا قولنا له من الأسماء فنريد به الأسماء الإلهية التي هي الحقائق القديمة التي عنها ظهرت حقائق بسائط ذلك الحرف لا غير ولها منافع كثيرة عالية الشأن عند العارفين إذا أرادوا التحقق بها حركوا الوجود من أوله إلى آخره فهي لهم هنا خصوص وفي الآخرة عموم بها يقول المؤمن في الجنة للشيء يريده كن فيكون فهذه نبذ من معاني عالم الحروف قليلة على أوجز ما يمكن وأخصره وفيها تنبيه لأصحاب الروائح والذوق انتهى الجزء السابع والحمد لله.

الجزء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات وهي الحروف الصغار

حركات الحروف ست ومنها أظهر الله مثلها الكلمات
هي رفع وثم نصب وخفض حركات للأحرف المعربات
وهي فتح وثم ضمّ وكسر حركات للأحرف الثابتات
وأصول الكلام حذف فموت أو سكون يكون عن حركات
هذه حالة العوالم فانظر لحياة غريبة في موات

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه إنا كنا شرطنا أن نتكلم في الحركات في فصل الحروف لم أطلق عليها الحروف الصغار ثم إنه رأينا أنه لا فائدة في امتزاج عالم الحركات بعالم الحروف إلا بعد نظام الحروف وضم بعضها إلى بعض فتكون كلمة عند ذلك من الكلم وانتظامها ينظر إلى قوله تعالى في خلقنا "فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي" وهو ورود الحركات على هذه الحروف بعد تسويتها فتقوم نشأة أخرى تسمى كلمة كما يسمى الشخص الواحد منا إنساناً فكهذا انتشأ عالم الكلمات والألفاظ من عالم الحروف فالحروف للكلمات موادّ كالماء والتراب والنار والهواء لإقامة نشأة أجسامنا ثم نفخ الروح الأمري فكان إنساناً كما قبلت الريح عند استعدادها نفخ الروح الأمري فكان جاناً كما قبلت الأنوار عند استعدادها نفخ الروح فكانت الملائكة ومن الكلم ما يشبه الإنسان وهو أكثرها ومنها ما يشبه الملائكة والجن وكلاهما جن وهو أقلها كالباء الخافضة واللام الخافضة والمؤكدة وواو القسم وبائه وتائه وواو العطف وفائه والقاف من ق والشين من ش والعين من ع إذا أمرت بها من الوقاية والوشي والوعي وما عدا هذا الصنف المفرد فهو أشبه شيء بالإنسان وإن كان المفرد يشبه باطن الإنسان فإنّ باطن الإنسان جانّ في الحقيقة فلما كان عالم الحركات لا يوجد إلا بعد وجود الذوات المتحرّكة بها وهي الكلمات المنشآت من الحروف أخرنا الكلام عليها عن فصل الحروف إلى فصل الألفاظ ولما كانت الكلمات التي أردنا أن نذكرها في هذا الباب عن جملة الألفاظ أردنا أن نتكلم في الألفاظ على الإطلاق وحصر عالمها ونسبة هذه الحركات منها بعدما نتكلم أولاً على الحركات على الإطلاق ثم بعد ذلك نتكلم على الحركات المختصة بالكلمات التي هي حركات اللسان وعلاماتها التي هي حركات الخط ثم بعد ذلك نتكلم على الكلمات التي توهم التشبيه كما ذكرناه ولعلك تقول هذا العالم المفرد من الحروف الذي قبل الحركة دون تركيب كباء الخفض وشبهه من المفردات كنت تلحقه بالحروف لانفراده فإن هذا هو باب التركيب وهو الكلمات قلنا ما نفخ في باء الخفض الروح وأمثاله من مفردات من الحروف أرواح الحركات ليقوموا بأنفسهم كما قام عالم الحروف وحده دون الحركات وإنما نفخ فيه الروح من أجل غيره فهو مركب ولذلك لا يعطى ذلك حتى يضاف إلى غيره فيقال بالله وتالله ووالله لأعبدنّ وسأعبد أقنتي لربك واسجدي وما أشبه ذلك ولا معنى له إذا أفردته غير معنى

نفسه وهذه الحقائق التي تكون عن التركيب توجد بوجوده وتعدم بعدمه فإن الحيوان حقيقته لا توجد أبداً إلا عند تألف حقائق مفردة معقولة في ذواتها وهي الجسمية والتغذية والحس فإذا تألف الجسم والغذاء والحس ظهرت حقيقة الحيوان ليس هي الجسم وحده ولا الغذاء وحده ولا الحس وحده فإذا أسقطت حقيقة الحس وألفت الجسم والغذاء قلت نبات حقيقة ليست الأولى ولما كانت الحروف المفردة التي ذكرناها مؤثرة في هذا التركيب الآخر اللفظي الذي ركبناه لإبراز حقائق لا تعقل عند السامع إلا بها لهذا شبهناها لكم المتوصل بالعالم الروحاني كالجنّ ألا ترى الإنسان يتصرف بين أربع حقائق حقيقة ذاتية وحقيقة ربانية وحقيقة شيطانية وحقائق ملكية وسيأتي ذكر هذه الحقائق مستوفي في باب المعرفة للخواطر من هذا الكتاب وهذا في عالم الكلمات دخول حرف من هذه الحروف على عالم الكلمات فتحدث فيه ما تعطيه حقيقتها فافهم هذا فهمنا الله وإياكم سرائر كلمه "نكتة وإشارة" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أوتيت جوامع الكلم.

وقال تعالى "وكلمته ألقاها إلى مريم" وقال "وصدقت بكلمات ربها وكتابه" ويقال "قطع الأمير يد السارق وضرب الأمير اللص" فمن ألقى عن أمره شيء فهو ألقاه فكان الملقي محمد عليه السلام ألقى عن الله كلمات العالم بأسره من غير استثناء شيء منه البتة فمنه ما ألقاه بنفسه كأرواح الملائكة وأكثر العالم العلويّ ومنه أيضاً ما ألقاه عن أمره فيحدث الشيء عن وسائط كبرّة الزراعة ما تصل إلى أن تجري في أعضائك روحاً مسبحاً وممجداً إلا بعد أدوار كثيرة وانتقالات في عالم وتنقلب في كل عالم من جنسه على شكل أشخاصه فرجع الكل في ذلك إلى من أوتي جوامع الكلم فنفخ الحقيقة الإسرافيلية من المحمدية المضافة إلى الحق نفخها كما قال تعالى: "ويوم تنفخ في الصور" بالنون وقرئ بالياء وضمها وفتح الفاء والنافخ إنما هو إسرافيل عليه السلام والله قد أضاف النفخ إلى نفسه فالنفخ من إسرافيل والقبول من الصور وسرّ الحق بينهما هو المعني بين النافخ والقابل كالرابط من الحروف بين الكلمتين وذلك هو سرّ الفعل الأقدس الأنزه الذي لا يطلع عليه النافخ ولا القابل فعلى النافخ أن ينفخ وعلى النار أن تتقد والسراج أن ينطفئ والاتقاد والانطفاء بالسرّ الإلهي فنفخ فيها فتكون طائراً بإذن الله قال تعالى "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون" والنفخ واحد والنافخ واحد والخلاف في المنفوخ فيه بحكم الاستعداد وفقد خفي السرّ الإلهيّ بينهما في كل حالة فتفطنوا يا إخواننا لهذا الأمر الإلهيّ واعلموا أن الله عزيز حكيم لا يتوصل أحد إلى معرفة كنه الألوهة أبداً ولا ينبغي لها أن تدرك عزت وتعالت علوّاً كبيراً فالعالم كله من أوله إلى آخره مقيد بعضه ببعضه عابد بعضه بعضاً معرفتهم منهم البهم وحقائقهم منبعثة عنهم بالسرّ الإلهي الذي لا يدركونه وعائدة عليهم فسبحان من لا يجاري في سلطانه ولا يداني في إحسانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم فبعد فهم جوامع الكلم الذي هو العلم الإحاطي والنور الإلهي الذي اختص به سرّ الوجود وعمد القبة وساق العرش وسبب ثبوت كل ثابت محمد صلى الله عليه وسلم فاعلموا وفقكم الله أن جوامع الكلم من عالم الحروف ثلاثة ذات غنية قائمة بنفسها وذات فقيرة إلى هذه الغنية غير قائمة بنفسها ولكن يرجع منها إلى الذات الغنية وصف تتصف به يطلبها بذاته فإنه ليس من ذاتها إلا بمصاحبة هذه الذات لها فقد صح أيضاً من وجه الفقر للذات الغنية القائمة بنفسها كما صح للأخرى وذات ثالثة رابطة بين ذاتين غنيتين أو ذاتين فقيرتين أو ذات فقيرة وذات غنية وهذه الذات الرابطة فقيرة لوجود هاتين الذاتين ولابد فقد قام الفقر والحاجة بجميع الذوات من حيث افتقار بعضها إلى بعض وإن اختلفت الوجوه حتى لا يصح الغنى على الإطلاق إلا لله تعالى الغنيّ الحميد من حيث ذاته فلنسمّ الغنية ذاتاً والذات الفقيرة حدثاً والذات الثالثة رابطة فنقول الكلم محصور في

ثلاث حقائق ذات وحدث ورابطة وهذه الثلاثة جوامع الكلم فيدخل تحت جنس الذات أنواع كثيرة من الذوات وكذلك تحت جنس كلمة الحدث والرابط ولا نحتاج إلى تفصيل هذه الأنواع ومساقها في هذا الكتاب وقد اتسع القول في هذه الأنواع في تفسير القرآن لنا وإن شئت أن تقيس على ما ذكرناه فانظر في كلام النحويين وتقسيمهمالكلم وفي الاسم والفعل والحرف وكذلك المنطقيين فالاسم عندهم هو الذات عندنا والفعل عندهم هو الحدث عندنا والحرف عندهم هو الرابطة عندنا وبعض الأحداث عندهم بل كلها أسماء كالقيام والقعود والضرب وجعلوا الفعل كل كلمة مقيدة بزمان معين ونحن إنما قصدنا بالكلمات الجري على الحقائق بما هي عليه فجعلنا القيام وقام ويقوم وقم حدثاً وفصلنا بينهم بالزمان المبهم والمعين وقد تفطن لذلك الزجاجيّ فقال والحدث الذي هو القيام مثلاً هو الصدر يريد هو الذي صدر من المحدث وهو اسم الفعل يريد أن القيام هذه الكلمة اسم لهذه الحركة المخصوصة من هذا المتحرّك الذي بها سمي قائماً فتلك الهيئة هي التي سميت قياماً بالنظر إلى حال وجودها وقام بالنظر إلى حال انقضائها وعدمها ويقوم وقم بالنظر إلى توهم وقوعها ولا توجد أبداً إلا في متحرّك فهي غير قائمة بنفسها ثم قال والفعل يريد لفظة قام ويقوم لانفس الفعل الصادر من المتحرك قائماً مثلاً مشتق

منه الهاء تعود على لفظة اسم الفعل الذي هو القيام مأخوذ يعني قام ويقوم من القيام لأن النكرة عنده قبل المعرفة والمبهم نكرة والمختص معرفة والقيام مجهول الزمان وقام مختص الزمان ولو دخلت عليه أن ويقوم مختص الزمان ولو دخلت عليه لم وهذا مذهب من يقول بالتحليل أنه فرع عن التركيب وأن المركب وجد مركباً وعلى مذهب من يقول بالتفريق وإن التركيب طارئ طرأ التنكير بكونه شورك في تلك اللفظة فاحتيج إلى التعريف بالنعت والبدل وشبه ذلك فالمعرفة أسبق من النكرة عند المحققين وإن كان لهؤلئك وجه ولكن هذا أليق وأمّا نحن ومن جرى مجرانا ورقي مرقانا الأشمخ فغرضنا أمر آخر ليس هو قول أحدهما مطلقاً إلا بنسب وإضافات ونظر إلى وجوه ما يطول ذكرها ولا تمس الحاجة إليها في هذا الكتاب إذ قد ذكرناها في غيره من تواليفنا فلنبين أن الحركات على قسمين حركة جسمانية وحركة روحانية والحركة الجسمانية لها أنواع كثيرة سيأتي ذكرها في داخل الكتاب وكذلك الروحانية ولا نحتاج منها في هذا الكتاب إلا إلى حركات الكلام لفظاً وخطاً فالحركات الرقمية كالأجسام والحركات اللفظية لها كالأرواح والمتحركات على قسمين والمتحرك ببعضها كالأسماء التي لا تنصرف في حال كونها لا تنصرف فإنها قد تنصرف في التنكير والإضافة كالدال من أحمد والمتمكن كل متحرّك ثبت على حركة واحدة و لم ينتقل عنها كالأسماء المبنية مثل هؤلاء وحذام وكحروف الأسماء المعربة التي قبل حرف الإعراب منها كالزاي والياء من زيد وشبهه واعلم أن أفلاك الحركات هي أفلاك الحروف التي تلك الحركات عليها لفظاً وخطاً فانظره هناك ولها بسائط وأحوال ومقامات كما كان للحروف نذكرها في كتاب المبادي المخصوص بعلم الحروف إن شاء الله وكما ثبت التلوين والتمكين للذات كذلك ثبت للحدث والرابط ولكن في الرفع والنصب وحذف الوصف وحذف الرسم ويكون تلوين تركيب الرابط لأمرين بالموافقة والاستعارة والاضطرار فبالموافقة وهو الاتباع هذا ابنم ورأيت ابنما وعجبت من ابنم وبالاستعارة حركة النقل كحركة الدال من قد أفلح في قراءة من نقل وبالاضطرار التحريك لالتقاء الساكنين وقد تكون حركة الاتباع الموافق في التركيب الذاتي وإن كان أصل الحروف كلها التمكين وهو البناء مثل الفطرة فينا وهنا أسرار لمن تفطن ولكن الوالدان ينقلان عن الفطرة المقيدة لا الفطرة المطلقة.

كذلك الحروف متمكنة في مقامها لا تختل ثابتة مبنية كلها ساكنة في حالها فأراد اللافظ أن يوصل إلى السامع ما في نفسه فافتقر إلى

التلوين فحرك الفلك الذي عنه توجد الحركات عند أبي طالب وعند غيره هو المتقدم واللفظ أو الرقم عن ذلك الفلك وهذا موضع طلب لمريدي معاينة الحقائق وأما نحن فلا نقول بقول أبي طالب ونقتصر ولا بقول الآخر ونقتصر فإن كل واحد منهما قال حقاً من جهة مّا و لم يتمم فأقول إن الحقائق الأول الإلهية تتوجه على الأفلاك العلوية بالوجه الذي تتوجه به على محال آثارها عند غير أبي طالب المكيّ وتقبل كل حقيقة على مرتبتها ولما كانت تلك الأفلاك في اللطافة أقرب عند غير أبي طالب إلى الحقائق كان قبولها أسبق لعدم الشغل وصفاء المحل من كدورات العلائق فإنه نزيه فلهذا جعلها السبب المؤثر ولو عرف هذا القائل أن تلك الحقائق الأول إنما توجهت على ما يناسبها في اللطافة وهو أنفاس الإنسان فتحرك الفلك العلويّ الذي يناسبه عالم الأنفاس وهذا مذهب أبي طالب ثم يحرّك ذلك الفلك العلويّ العضو المطلوب بالغرض المطلوب بتلك المناسبة التي بينهما فإن الفلك العلويّ وإن لطف فهو في أول درج الكثافة وآخر درج اللطافة بخلاف عالم أنفاسنا واجتمعت المذاهب فإن الخلاف لا يصح عندنا ولا في طريقنا لكنه كاشف واكشف فتفهم ما أشرنا إليه وتحققه فإنه سرّ عجيب من أكبر الأسرار الإلهية وقد أشار إليه أبو طالب في كتاب الفوت له ثم نرجع ونقول فافتقر المتكلم إلى التلوين ليبلغ إلى مقصده فوجد عالم الحروف والحركات قابلاً لما يريده منها لعلمها أنها لا تزول عن حالها ولا تبطل حقيقتها فيتخيل المتكلم أنه قد غير الحرف وما غيره برهان ذلك أن تفنى نظرك في دال زيد من حيث هو دال وانظر فيه من حيث تقدّمه قام مثلاً وتفرغ إليه أو أي فعل لفظي كان ليحدث به عنه فلا يصح لك إلا الرفع فيه خاصة فمازال عن بنائه الذي وجد عليه ومن تخيل أن دال الفاعل هو دال المفعول أو دال المجرور فقد خلط واعتقد أن الكلمة الأولى هي عين الثانية لا مثلها ومن اعتقد هذا في الوجود فقد بعد عن الصواب وربما يأتي من هذا الفضل في الألفاظ شيء إن قدر وألهمناه فقد تبين لك أن الأصل الثبوت لكل شيء ألا ترى العبد حقيقة ثبوته وتمكنه إنما هو في العبودة فإن اتصف يوماً ما بوصف ربانيّ فلا تقل هو معار عنده ولكن انظر إلى الحقيقة التي قبلت ذلك الوصف منه تجدها ثابتة في ذلك الوصف كلما ظهر عينها تحلت بتلك الحلية فإياك أن تقول قد خرج هذا عن طوره بوصف ربه فإن الله تعالى ما نزع وصفه وأعطاه إياه وإنما وقع الشبه في اللفظ والمعنى معاً عند غير المحقق فيقول هذا هو هذا وقد علمنا أن هذا ليس هذا وهذا ينبغي لهذا ولا ينبغي لهذا فليكن عند من لا ينبغي له عارية وأمانة وهذا قصور وكلام من عمي عن إدراك الحقائق فإن هذا ولابد ينبغي له هذا فليس الرب هو العبد وإن قيل في الله سبحانه إنه عالم وقيل في العبد إنه عالم وكذلك الحي والمريد والسميع والبصير وسائر الصفات والإدراكات فإياك أن تجعل حياة الحق هي حياة العبد في الحد فتلزمك المحالات فإذا جعلت حياة الرب على ما تستحقه الربوبية وحياة العبد على ما يستحقه الكون فقد انبغى للعبد أن يكون حياً ولو لم ينبغ له ذلك لم يصح أن يكون الحق آمراً ولا قاهراً إلا لنفسه ويتتره تعالى أن يكون مأموراً أو مقهوراً فإذا ثبت أن يكون المأمور والمقهور أمراً آخر وعيناً أخرى فلا بد أن يكون حياً عالماً مريداً متمكناً مما يراد به هكذا تعطى الحقائق فثم على هذا حرف لا يقبل سوى حركته كالهاء من هذا وثم حرف يقبل الحركتين والثلاث من جهة صورته الجسمية والروحية كالهاء في الضمير له ولها وبه كما تقبل أنت بنفسك الخجل وبصورتك حمرته وتقبل بنفسك الوجل وبصورتك صفرته والثوب يقبل الألوان المختلفة وما بقي الكشف إلا عن الحقيقة التي تقبل الإعراض هل هي واحدة أو شأنها شأن الإعراض في العدم والوجود وهذا مبحث للنظار وأما نحن فلا نحتاج إليه ولا نلتفت فإنه بحر عميق بحال المريد على معرفته من باب الكشف عليه فإنه بالنظر إلى الكشف يسير وبالنظر إلى العقل عسير ثم أرجع وأقول إن الحرف إذا قامت به حقيقة الفاعلية بتفريغ الفعل على البنية المخصوصة في اللسان تقول قال الله وإذا قامت به حقيقة تطلبه يسمى عندها منصوباً بالفعل

أو مفعولاً كيف شئت وذلك بأن تطلب منه العون أو تقصده كما طلب مني القيام بما كلفني فمن أجل أنه لم يعطني إلا بعد سؤالي فكان سؤالي أو حالي القائم مقام سؤالي بوعده جعله يعطيني قال تعالى "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين" فسؤالي إياه من أمره إياي به وإعطاؤه إياي من طلبي منه فتقول دعوت الله فنصبت حرف الهاء وقد كانت مرفوعة فعلمنا بالحركات أن الحقائق قد اختلفت بهذا ثبت الاصطلاح في لحن بعض الناس وهذا إذا كان المتكلم به غيرنا وأما المتكلم فالحقائق يعلم أولاً ويجريها في أفلاكها على ما تقتضيه بالنظر إلى أفلاك مخصوصة وكل متكلم بهذه المثابة وإن لم يعلم بهذا التفصيل وهو عالم به من حيث لا يعلم أنه عالم به وذلك أن الأشياء المتلفظ بها إما لفظ يدل على معنى وهو مقام الباحث في اللفظ ما مدلوله ليرى ما قصد به المتكلم من المعاني وإما معنى بدل عليه بلفظ مّا وهو المخبر عما تحقق وأضر بنا عن اللحن فإن أفلاكه غير هذه الأفلاك وإسقاط الحركات من الخط في حق قوم دون قوم مّا سببه ومن أين هو هذا كله في كتاب المبادي إذ كان القصد بهذا الكتاب الإيجاز والاختصار جهد الطاقة ولو اطلعتم على الحقائق كما أطلعنا عليها وعلى عالم الأرواح والمعاني لرأيتم كل حقيقة وروح ومعنى على مرتبته فافهم والزم قد ذكرنا من بعض ما تعطيه حقائق الحركات ما يليق بهذا الكتاب فلنقبض العنان ولنرجع إلى معرفة الكلمات التي ذكرناها مثل كلمة الاستواء والأين وفي وكان والضحك والفرح والتبشبش والتعجب والملل والمعية والعين واليد والقدم والوجه والصورة والتحوّل والغضب والحياء والصلاة والفراغ وما ورد في الكتاب العزيز والحديث من هذه الألفاظ التي نوهم التشبيه والتجسيم وغير ذلك مما لا يليق بالله تعالى في النظر الفكريّ عند العقل خاصة فنقول لما كان القرآن منزلاً على لسان العرب ففيه ما في اللسان العربي ولما كانت الأعراب لا تعقل ما لا يعقل إلا حتى ينزل لها في التوصيل بما تعقله لذلك جاءت هذه الكلمات على هذا الحد كما قال "ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ولما كانت الملوك عند العرب تجلس عبدها المقرّب المكرّم منها بهذا القدر في المساحة فعقلت من هذا الخطاب قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب فالبرهان العقلي ينفي الحد والمسافة حتى يأتي الكلام في تنزيه الباري عما تعطيه هذه الألفاظ من التشبيه في الباب الثالث الذي يلى هذا الباب ولما كانت الألفاظ عند العرب على أربعة أقسام ألفاظ متباينة وهي الأسماء التي لم تتعد مسماها كالبحر والمفتاح والمقصان وألفاظ متواطئة وهي كل لفظة قد تووطئ عليها أن تطلق على آحاد نوع مّا من الأنواع كالرجل والمرأة وألفاظ مشتركة وهي كل لفظ على صيغة واحدة يطلق على معان مختلفة كالعين والمشترى والإنسان وألفاظ مترادفة وهي ألفاظ مختلفة الصيغ تطلق على معنى واحد كالأسد والهزبر والغضنفر وكالسيف والحسام والصارم وكالخمر والرحيق والصهباء والخندريس هذه هي الأمهات مثل البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة في الطبائع وثم ألفاظ متشابهة ومستعارة ومنقولة وغير ذلك وكلها ترجع إلى هذه الأمهات بالاصطلاح فإن المشتبه وإن قلت فيه أنه قبيل خامس من قبائل الألفاظ مثل النور يطلق على المعلوم وعلى العلم لشبه العلم به من كشف عين البصيرة به المعلوم كالنور مع البصر في كشف المرئي المحسوس فلما كان هذا الشبه صحيحاً سمي العلم نوراً ويلحق بالألفاظ المشتركة فإذن لا ينفك لفظ من هذه الأمهات وهذا هو حد كل ناظر في هذا الباب وأما نحن فنقول بهذا معهم وعندنا زوائد من باب الاطلاع على الحقائق من جهة لم يطلعوا عليها علمنا منها أن الألفاظ كلها متباينة وإن اشتركت في النطق ومن جهة أخرى أيضاً كلها مشتركة وإن تباينت في النطق وقد أشرنا إلى شيء من هذا فيما تقدم من هذا الباب في آخر فصل الحروف فإذا تبين هذا فاعلم أيها الوليّ الحميم أن المحقق الواقف العارف بما تقتضيه الحضرة الإلهية من التقديس والتنزيه ونفي المماثلة والتشبيه لا يحجبه ما نطقت به الآيات والأخبار في حق الحق تعالى من أدوات التقييد بالزمان والجهة والمكان كقوله عليه السلام أين الله فأشارت إلى السماء فأثبت لها

الإيمان فسأل صلى الله عليه وسلم بالظرفية عما لا يجوز عليه المكان في النظر العقليّ والرسول أعلم بالله والله أعلم بنفسه وقال في الظاهر "أأمنتم من في السماء" بالفاء وقال "وكان الله بكل شيء عليماً" و"الرحمن على العرش استوى" "وهو معكم أينما كنتم" "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" "ويفرح بتوبة عبده ويعجب من الشاب ليست له صبوة" وما أشبه ذلك من الأدوات اللفظية وقد تقرّر بالبرهان العقلي خلقه الأزمان والأمكنة والجهات والألفاظ والحروف والأدوات والمتكلم بها والمخاطبين من المحدثات كل ذلك خلق لله تعالى.

فيعرف المحقق قطعاً أنها مصروفة إلى غير الوجه الذي يعطيك التشبيه والتمثيل وإن الحقيقة لا تقبل ذلك أصلاً ولكن تتفاضل العلماء السالمة عقائدهم من التجسيم من المشبهة والمجسمة قد يطلق عليهم علماء من حيث علمهم بأمور غير هذا فتفاضل العلماء في هذا الصرف عن هذا الوجه الذي لا يليق بالحق تعالى فطائفة لم تشبه و لم تجسم وصرفت علم ذلك الذي ورد في كلام الله ورسله إلى الله تعالى و لم تدخل لها قدم في باب التأويل وقنعت بمجرّد الإيمان بما يعلمه الله في هذه الألفاظ والحروف من غير تأويل ولا صرف إلى وجه من وجوه التنزيه بل قالت لا أدري جملة واحدة ولكني أحيل إبقاءه على وجه التشبيه لقوله تعالى "ليس كمثله شيء" لا لما يعطيه النظر العقلي وعلى هذا فضلاء المحدثين من أهل الظاهر السالمة عقائدهم من التشبيه والتعهطيل وطائفة أخرى من المنزهة عدلت بهذه الكلمات عن الوجه الذي لا يليق بالله تعالى في النظر العقلي عدلت إلى وجه ما من وجوه التنزيه على التعيين مما يجوز في النظر العقلي أن يتصف به الحق تعالى بل هو متصف به ولابد وما بقي النظر إلا في أن هذه الكلمة هل المراد بها ذلك الوجه أم لا ولا يقدح ذلك التأويل في ألوهته وربما عدلوا بها إلى وجهين وثلاثة وأكثر على حسب ما تعطيه الكلمة في وضع اللسان ولكن من الوجوه المنزهة لا غير فإذا لم يعرفوا من ذلك الخبر أو الآية عند التأويل في اللسان إلا وجهاً واحداً قصروا الخبر على ذلك الوجه التنزيه وقالوا هذا هو ليس إلا في علمنا وفهمنا وإذا وجدوا له مصرفين فصاعداً صرفوا الخبر أو الآية إلى تلك المصارف وقالت طائفة من هؤلاء يحتمل أن يريد كذا ويحتمل أن يريد كذا وتعدد وجوه التنزيه ثم تقول والله أعلم أيّ ذلك أراد وطائفة أخرى تقوّي عندها وجه ما من تلك الوجوه التنزيهة بقرينة ما قطعت لتلك القرينة بذلك الوجه على الخبر وقصرته عليه و لم تعرج على باقي الوجوه في ذلك الخبر وإن كانت كلها تقتضي التنزيه وطائفة من المنزهة أيضاً وهي العالية وهم من أصحابنا فرّغوا قلوبهم من الفكر والنظر وأخلوها إذ كان المتقدمون من الطوائف المتقدمة المتأولة أهل فكر ونظر وبحث فقامت هذه الطائفة المباركة الموفقة والكل موفقون بحمد الله وقالت حصل في نفوسنا تعظيم الحق جلّ جلاله بحيث لا نقدر أن نصل إلى معرفة ما جاءنا من عنده بدقيق فكر ونظر فاشبهت في هذا العقد المحدثين السالمة عقائدهم حيث لم ينظروا ولا تأولوا ولا صرفوا بل قالوا ما فهمنا فقال أصحابنا بقولهم ثم انتقلوا عن مرتبة هؤلاء بأن قالوا لنا أن نسلك طريقة أخرى في فهم هذه الكلمات وذلك بأن نفرغ قلوبنا من النظر الفكريّ ونجلس مع الحق تعالى بالذكر على بساط الأدب والمراقبة والحضور والتهيء لقبول ما يرد علينا منه تعالى حتى يكون الحق تعالى يتلوى تعليمنا على الكشف والتحقيق لما سمعته يقول "واتقوا الله" "ويعلمكم الله" ويقول "إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً" "وقل ربي زدني علما" "وعلمناه من لدنا علما".

فعندما توجهت قلوبهم وهممهم إلى الله تعالى ولجأت إليه وألقت عنها ما استمسك به الغير من دعوى البحث والنظر ونتائج العقول كانت عقولهم سليمة وقلوبهم مطهرة فارغة فعندما كان منهم هذا الاستعداد تجلى الحق لهم معلماً فاطلعتهم تلك المشاهدة على

معاني هذه الأخبار والكلمات دفعة واحدة وهذا ضرب من ضروب المكاشفة فإنهم إذا عاينوا بعيون القلوب من نزهته العلماء المتقدم ذكرهم بالإدراك الفكري لم يصح لهم عند هذا الكشف والمعاينة أن يجهلوا خبراً من هذه الأخبار التي توهم ولا أن يبقوا ذلك الخبر منسحباً على ما فيه من الاحتمالات التزيهة من غير تعيين بل يعرفون الكلمة والمعنى التزيه الذي سيقت له فيقصروها على ما أريدت له وإن جاء في خبر آخر ذلك اللفظ عينه فله وجه آخر من تلك الوجوه المقدسة معين عند هذا المشاهد هذا حال طائفة منا وطائفة أخرى منا أيضاً ليس لهم هذا التحلي ولكن لهم الإلقاء والإلهام واللقاء والكتابة وهم معصومون فيما يلقى إليهم بعلامة عندهم لا يعرفها سواهم فيخبرون بما خوطبوا به وما ألهموا به وما ألقي إليهم أو كتب فقد تقرر عند جميع المحققين الذين سلموا الخبر لقائله و لم ينظروا ولا شبهوا ولا عطلوا والمحققين الذين بحثوا واجتهدوا ونظروا على طبقاتهم أيضاً والمحققين الذين كوشفوا وعاينوا والمحققين الذين خوطبوا وألهموا أن الحق تعالى لا تدخل عليه تلك الأدوات المقيدة بالتحديد والتشبيه على حد ما نعقله في المحدثات ولكن تدخل عليه بما فيه من معنى التتريه والتقديس على طبقات العلماء والمحققين في ذلك لما فيه وتقتضيه ذاته من التتريه وإذا تقرر هذا فقد تبين أنها أدوات التوصيل إلى إفهام المخاطبين وكل عالم على حسب فهمه فيها وقوّة نفوذه وبصيرته فعقيدة التكليف هينة الخطب فطر العالم عليها ولو بقيت المشبهة مع ما فطرت عليه ما كفرت ولا جسمت وإن كان ما أرادوا التجسيم وإنما قصدوا إثبات الوجود لكن لقصور أفهامهم ما ثبت لهم إلا بهذا التخيل فلهم النجاة وإذ وقد ثبت هذا عند المحققين مع تفاضل رتبهم في درج التحقيق فلنقل إن الحقائق أعطت لمن وقف عليها أن لا يتقيد وجود الحق مع وجود العالم بقبلية ولا معية ولا بعدية زمانية فإن التقدم الزماني والمكاني في حق الله ترمي به الحقائق في وجه القائل به على التحديد اللهم إلا أن قال به من باب التوصيل كما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ونطق به الكتاب إذ ليس كل أحد يقوى على كشف هذه الحقائق فلم يبق لنا أن نقول إلا أن الحق تعالى موجود بذاته لذاته مطلق الوجود غير مقيد بغيره ولا معلول عن شيء ولا علة لشيء بل هو خالق المعلولات والعلل والملك القدوس الذي لم يزل وإن العالم موجود بالله تعالى لا بنفسه ولا لنفسه مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته فلا يصح وجود العالم البتة إلا بوجود الحق وإذا انتفى الزمان عن وجود الحق وعن وجود مبدأ العالم فقد وجد العالم في غير زمان فلا نقول من جهة ما هو الأمر عليه إن الله موجود قبل العالم إذ قد ثبت أن القبل من صيغ الزمان ولا زمان ولا إن العالم موجود بعد وجود الحق إذ لا بعدية ولا مع وجود الحق فإن الحق هو الذي أوجده وهو فاعله ومخترعه و لم يكن شيأ ولكن كما قلنا الحق موجود بذاته والعالم موجود به فإن سأل سائل ذو وهم متى كان وجود العالم من وجود الحق قلنا متى سؤال زماني والزمان من عالم النسب وهو مخلوق لله تعالى لأن عالم النسب له خلق التقدير لا خلق الإيجاد فهذا سؤال باطل فانظر كيف تسأل فإياك أن تحجبك أدوات التوصيل عن تحقيق هذه المعاني في نفسك وتحصيلها فلم يبق إلا وجود صرف خالص لا عن عدم وهو وجود الحق تعالى ووجود عن عدم عين الموجود نفسه وهو وجود العالم ولا بينية بين الوجودين ولا امتداد إلا التوهم المقدر الذي يحيله العلم ولا يبقى منه شيأ ولكن وجود مطلق ومقيد وجود فاعل ووجود منفعل هكذا أعطت الحقائق والسلام مسئلة سألني وارد الوقت عن اطلاق الاختراع على الحق تعالى فقلت له علم الحق بنفسه عين علمه بالعالم إذ لم يزل العالم مشهودا له تعالى وإن اتصف بالعدم و لم يكن العالم مشهوداً لنفسه إذ لم يكن موجوداً وهذا بحر هلك فيه الناظرون الذين عدموا الكشف وبنسبة لم تزل موجودة فعلمه لم يزل موجود أو علمه بنفسه علمه بالعالم فعلمه بالعالم لم يزل موجوداً فعلم العالم في حال عدمه

وأوجده على صورته في علمه وسيأتي بيان هذا في آخر الكتاب وهو سر القدر الذي خفي عن أكثر المحققين وعلى هذا لا يصح في

العالم الاختراع ولكن يطلق عليه الاختراع بوجه ما لا من جهة ما تعطيه حقيقة الاختراع فإن ذلك يؤدي إلى نقص في الجناب الإلهي فالاختراع لا يصح إلا في حق العبد وذلك أن المخترع على الحقيقة لا يكون مخترعاً إلا حتى يخترع مثال ما يريد إبرازه في الوجود في نفسه أولاً ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية إلى الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل ومتى لم يخترع الشئ في نفسه أولاً وإلا فليس بمخترع حقيقة فإنك إذا قدرت أن شخصاً علمك ترتيب شكل ما ظهر في الوجود له مثل فعلمته ثم أبرزته أنت للوجود كما علمته فلست أنت في نفس الأمر وعند نفسك بمخترع له وإنما المخترع له من اخترع مثاله في نفسه ثم علمكه وإن نسب الناس الاختراع لك فيه من حيث أنهم لم يشاهدوا ذلك الشيء من غيرك فارجع أنت إلى ما تعرفه من نفسك ولا تلتفت إلى من لا يعلم ذلك منك فإن الحق سبحانه ما دبر العالم تدبير من يحصل ما ليس عنده ولا فكر فيه ولا يجوز عليه ذلك ولا اخترع في نفسه شيأ لم يكن عليه ولا قال في نفسه هل نعمله كذا وكذا هذا كله ما لا يجوز عليه فإن المخترع للشيء يأخذ أجزاء موجودة متفرقة في الموجودات فيؤلفها في ذهنه وهمه تأليفاً لم يسبق إليه في علمه وإن سبق فلا يبالي فإنه في ذلك بمنزلة الأول الذي لم يسبقه أحد إليه كما تفعله الشعراء والكتاب الفصحاء في اختراع المعاني المبتكرة.

فثم اختراع قد سبق إليه فيتخيل السامع أنه سرقه فلا ينبغي للمخترع أن ينظر إلى أحد إلا إلى ما حدث عنده خاصة إن أراد أن يلتذ ويستمتع بلذة الاختراع ومهما نظر المخترع لأمر ما إلى من سبقه فيه بعد ما اخترعه ربما هلك وتفطرت كبده وأكثر العلماء بالاختراع البلغاء والمهندسون ومن أصحاب الصنائع النجارون والبناؤون فهؤلاء أكثر الناس اختراعاً وأذكاهم فطرة وأشدهم تصرفاً لعقولهم فقد صحت حقيقة الاختراع لمن استخرج بالفكر ما لم يكن يعلم قبل ذلك ولا علمه غيره بالقوّة أو بالقوة والفعل إن كان من العلوم التي غايتها العمل والباري سبحانه لم يزل عالماً بالعالم أزلاً ولم يكن على حالة لم يكن فيها بالعالم غير عالم فما اخترع في نفسه شيأ لم يكن يعلمه فإذ وقد ثبت عند العلماء بالله قدم علمه فقد ثبت كونه مخترعاً لنا بالفعل لا إنه اخترع مثالنا في نفسه الذي هو صورة علمه بنا إذ كان وجودنا على حدّ ما كنا في علمه ولو لم يكن كذلك لخرجنا إلى الوجود على حد ما لم يعلمه وما لا يعلمه لا يريده وما لا يريده ولا يعلمه لا يوجده فنكون إذن موجودين بأنفسنا أو بالاتفاق وإذا كان هذا فلا يصح وجودنا عن عدم وقد دل البرهان على وجودنا عن عدم وعلى أنه علمنا وأراد وجودنا وأوجدنا على الصورة الثابتة في علمه بنا ونحن معدومون في أعياننا فلا اختراع في المثال فلم يبق إلا الاختراع في الفعل وهو صحيح لعدم المثال الموجود في العين فتحقق ما ذكرناه وقل بعد ذلك ما شئت فإن شئت وصفته بالاختراع وعدم المثال وإن شئت نفيت هذا عنه نفيته ولكن بعد وقوفك على ما أعلمتك به

الفصل الثالث في العلم والعالم والمعلوم

العلم والمعلوم والعالم	ثلاثة حكمهمو واحد
وإن تشا أحكامهم مثلهم	ثلاثة أثبتها الشاهد
وصاحب الغيب يرى واحداً	ليس عليه في العلى زائد

اعلم أيدك الله أن العلم تحصيل القلب أمراً ما على حد ما هو عليه ذلك في نفسه معدوماً كان ذلك الأمر أو موجوداً فالعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب والعالم هو القلب والمعلوم هو ذلك الأمر المحصل وتصور حقيقة العلم عسير جداً ولكن أمهد لتحصيل العلم ما يتبين به إن شاء الله تعالى فاعلموا أن القلب مرآة مصقولة كلها وجه لا تصدأ أبداً فإن أطلق يوماً عليها أنها صدئت كما قال عليه السلام "إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد الحديث وفيه أن جلاءها ذكر الله وتلاوة القرآن ولكن من كونه الذكر الحكيم فليس المراد بهذا الصدأ أنه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الأسباب عن العلم بالله كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب لأنه المانع من تجلي الحق إلى هذا القلب لأن الحضرة الإلهية متجلاة على الدوام لا يتصوّر في حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعي المحمود لأنه قبل غيرها عبر عن قبول ذلك الغير بالصدأ والسكن والقفل والعمى والران وغير ذلك وإلا فالحق يعطيك أن العلم عنده ولكن بغير الله في علمه وهو بالله في نفس الأمر عند العلماء بالله ومما يؤيد ما قلناه قول الله تعالى "وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه" فكانت في أكنة مما يدعوها الرسول إليه خاصة لا أنها في كن ولكن تعلقت بغير ما تدعى إليه فعميت عن إدراك ما دعيت إليه فلا تبصر شيأ والقلوب أبداً لم تزل مفطورة على الجلاء مصقولة صافية فكل قلب تجلت فيه الحضرة الإلهية من حيث هي ياقوت أحمر الذي هو التجلي الذاتي فذلك قلب المشاهد المكمل العالم الذي لا أحد فوقه في تجل من التجليات ودونه تجلي الصفات ودونهما تجلي الأفعال ولكن من كونها من الحضرة الإلهية ومن لم تتجل له من كونها من الحضرة الإلهية فذلك هو القلب الغافل عن الله تعالى المطرود من قرب الله تعالى فانظر وفقك الله في القلب على حد ما ذكرناه وانظر هل تجعله العلم فلا يصح وإن قلت الصقالة الذاتية له فلا سبيل ولكن هي سبب كما أن ظهور المعلوم للقلب سبب وإن قلت السبب الذي يحصل المعلوم في القلب فلا سبيل وإن قلت المثال المنطبع في النفس من المعلوم وهو تصور المعلوم فلا سبيل فإن قيل لك فما هو العلم فقل درك المدرك على ما هو عليه في نفسه إذا كان دركه غير ممتنع وإما ما يمتنع دركه فالعلم به هو لا دركه كما قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك فجعل العلم بالله هو لا دركه فاعلم ذلك ولكن لا دركه من جهة كسب العقل كما يعلمه غيره ولكن دركه من وجوده وكرمه ووهبه كما يعرفه العارفون أهل الشهود لا من قوة العقل من حيث نظره تتميم ولما ثبت أن العلم بأمر ما لا يكون إلا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بأمر آخر يكون بين المعروفين مناسبة لابد من ذلك وقد ثبت أنه لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلقه من جهة المناسبة التي بين الأشياء وهي مناسبة الجنس أو النوع أو الشخص فليس لنا علم متقدم بشيء فندرك به ذات الحق لما بينهما من المناسبة مثال ذلك علمنا بطبيعة الأفلاك التي هي طبيعة خامسة لم نعلمها أصلاً لولا ما سبق علمنا بالأمهات الأربع فلما رأينا الأفلاك خارجة عن هذه الطبائع بحكم ليس هو في هذه الأمهات علمنا أن ثم طبيعة خامسة من جهة الحركة العلوية التي في الأثير والهواء والسفلية التي في الماء والتراب والمناسبة بين الأفلاك والأمهات الجوهرية التي هي جنس جامع للكل والنوعية فإنها نوع كما أن هذه نوع لجنس واحد وكذلك الشخصية ولو لم يكن هذا التناسب لما علمنا من الطبائع علم طبيعة الفلك وليس بين البار والعالم مناسبة من هذه الوجوه فلا يعلم بعلم سابق بغيره أبداً كما يزعم بعضهم من استدلال الشاهد على الغائب بالعلم والإرادة والكلام وغير ذلك ثم يقدسه بعد ما قد حمله على نفسه وقاسه بها ثم إنه مما يؤيد ما ذهبنا إليه من علمنا بالله تعالى أن العلم يترتب بحسب المعلوم وينفصل في ذاته بحسب انفصال المعلوم عن غيره والشيء الذي به ينفصل المعلوم إما أن يكون ذاتاً كالعقل من جهة جوهريته وكالنفس وإما أن يكون ذاتاً من جهة طبعه كالحرارة

والإحراق للنار فكما انفصل العقل عن النفس من جهة جوهريته كذلك انفصل النار عن غيره بما ذكرناه وإما أن ينفصل عنه بذاته لكن بما هو محمول فيه إما بالحال كجلوس الجالس وكتابة الكاتب وإما

بالهيئة كسواد الأسود وبياض الأبيض وهذا حصر مدارك العقل عند العقلاء فلا يوجد معلوم قطعاً للعقل من حيث ما هو خارج عما وصفنا إلا بأن نعلم ما انفصل به عن غيره إما من جهة جوهره أو طبعه أو حاله أو هيئته ولا يدرك العقل شيأ لا توجد فيه هذه الأشياء البتة وهذه الأشياء لا توجد في الله تعالى فلا يعلمه العقل أصلاً من حيث هو ناظر وباحث وكيف يعلمه العقل من حيث نظره وبرهانه الذي يستند إليه الحس أو الضرورة أو التجربة والباري تعالى غير مدرك بهذه الأصول التي يرجع إليها العقل في برهانه وحينئذ يصح له البرهان الوجودي فكيف يدعي العاقل أنه قد علم ربه من جهة الدليل وأن الباري معلوم له ولو نظر إلى المفعولات الصناعية والطبيعية والتكوينية والانبعاثية والإبداعية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم أن الله تعالى لا يعلم بالدليل أبداً لكن يعلم أنه موجود وإن العالم مفتقر إليه افتقاراً ذاتياً لا محيص له عنه ألبتة قال الله تعالى "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد فمن أراد أن يعرف لباب التوحيد فلينظر في الآيات الواردة في التوحيد من الكتاب العزيز الذي وحد بها نفسه فلا أحد أعرف من الشيء بنفسه فلتنظر بما وصف نفسه وتسأل الله تعالى أن يفهمك ذلك فستقف على علم إلهي لا يبلغ إليه عقل بفكره أبد الآباد وسأورد من هذه الآيات في الباب الذي يلي هذا الباب شيأ يسيرا والله يرزقنا الفهم عنه آمين ويجعلنا من العالمين الذين يعقلون آياته.

الباب الثالث في تنزيه الحق تعالى عما في طيّ الكلمات

التي أطلقها عليه سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من التشبيه والتجسيم تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً

نظم:

في نظر العبد إلى ربه	في قدس الأبد وتنزيهه
وعلوه عن أدوات أتت	تلحق بالكيف وتشبيهه
دلالة تحكم قطعاً على	منزلة العبد وتنويهه
وصحة العلم وإثباته	وطرح بدعي وتمويهه

اعلم أيدك الله أن جميع المعلومات علوها وسفلها حاملها العقل الذي يأخذ عن الله تعالى بغير واسطة فلم يخف عنه شيء من علم الكون الأعلى والأسفل ومن وهب وجوده تكون معرفة النفس الأشياء ومن تجليه إليها ونوره وفيضه الأقدس فالعقل مستفيد من الحق تعالى مفيد للنفس والنفس مستفيدة من العقل وعنها يكون الفعل وهذا سار في جميع ما تعلق به علم العقل بالأشياء التي هي دونه وإنما قيدنا بالتي هي دونه من أجل ما ذكرناه من الإفادة وتحفظ في نظرك من قوله تعالى حتى نعلم وهو العالم فاعرف السبب واعلم أن العالم المهيم لا يستفيد من العقل الأول شيأ وليس له على المهيمين سلطان بل هم وإياه في مرتبة واحدة كالأفراد منا الخارجين عن حكم القطب وإن كان القطب واحداً من الأفراد لكن خصص العقل بالإفادة كما خصص القطب من بين الأفراد بالتولية وهو سار في جميع ما تعلق به علم العقل الأعلم تجريد التوحيد خاصة فإنه يخالف سائر المعلومات من جميع الوجوه إذ لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلقه البتة وإن أطلقت المناسبة يوماً ما عليه كما أطلقها الإمام أبو حامد الغزاليّ في كتبه وغيره فبضرب من التكلف ومرمى بعيد عن الحقائق وإلا فأي نسبة بين المحدث والقديم أم كيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل هذا محال كما قال أبو العباس بن العريف الصنهاجي في محاسن المجالس التي تعزى إليه ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل وما بقى فعمى وتلبيس وفي رواية فعلم بدل من قوله فعمى فانظر ما أحسن هذا الكلام وما أتم هذه المعرفة بالله وما أقدس هذه المشاهدة نفعه الله بما قال فالعلم بالله عزيز عن إدراك العقل والنفس إلا من حيث أنه موجود تعالى وتقدس وكل ما يتلفظ به في حق المخلوقات أو يتوهم في المركبات وغيرها فالله سبحانه في نظر العقل السليم من حيث فكره وعصمته بخلاف ذلك لا يجوز عليه ذلك التوهم ولا يجري عليه ذلك اللفظ عقلاً من الوجه الذي تقبله المخلوقات فإن أطلق عليه فعلى وجه التقريب على الإفهام لثبوت الوجود عند السامع لا لثبوت الحقيقة التي هو الحق عليها فإن الله تعالى يقول "ليس كمثله شيء" ولكن يجب علينا شرعاً من أجل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه لا إله إلا الله يقول اعلم من أخباري الموافق لنظرك ليصح لك الإيمان علماً كما صح لك العلم من غير إيمان الذي هو قبل التعريف فأمره فمن أجل هذا الأمر على نظر بعض الناس ورأيه فيه نظرنا من

أين نتوصل إلى معرفته فنظرنا على حكم الإنصاف وما أعطاه العقل الكامل بعد جده واجتهاده الممكن منه فلم نصل إلى المعرفة به سبحانه إلا بالمعجز عن معرفته لا ما طلبنا أن نعرفه كما نطلب معرفة الأشياء كلها من جهة الحقيقة التي هي المعلومات عليها فلما عرفنا أن ثم موجوداً ليس له مثل ولا يتصور في الذهن ولا يدرك فكيف يضبطه العقل هذا ما لا يجوز مع ثبوت العلم بوجوده فنحن نعلم أنه موجود واحد في ألوهته وهذا هو العلم الذي طلب منا غير عالمين بحقيقة ذاته التي يعرف سبحانه نفسه عليها وهو العلم بعدم العلم الذي طلب منا لما كان تعالى لا يشبه شيأ من المخلوقات في نظر العقل ولا يشبهه شيء منها كان الواجب علينا أولا لما قيل لنا فاعلموا أنه لا إله إلا الله أن نعلم ما العلم وقد علمناه فقد علمنا ما يجب علينا من علم العلم أولاً. انتهى الجزء الثامن والحمد لله.

الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

فلنقل أنه لما كانت أمهات المطالب أربعة وهي هل وما وكيف و لم فهل و لم مطلبان روحانيان بسيطان يصحبهما ما هو فهل و لم هما الأصلان الصحيحان للبسائط لأن في ما هو ضرب من التركيب خاصة وليس في هذه المطالب الأربعة مطلب ينبغي أن يسأل به عن الله تعالى من جهة ما تعطيه الحقيقة إذ لا يصح أن يعرف من علم التوحيد إلا نفي ما يوجد فيما سواه سبحانه ولهذا قال "ليس كمثله شيء" و"سبحان ربك رب العزة عما يصفون" فالعلم بالسلب هو العلم بالله سبحانه كما لم يجز أن نقول في الأرواح كيف وتقدست عن ذلك لأن حقائقها تخالف هذه العبارة كذلك ما ينطلق على الأرواح من الأدوات التي بها يسأل عنها لا يجوز أن يطلق على الله تعالى ولا ينبغي للمحقق الموحد الذي يحترم حضرة مبدعه ومخترعه أن يطلق عليه هذه الألفاظ فإذن لا يعلم بهذه المطالب أبداً وصل ثم إنا نظرنا أيضاً في جميع ما سوى الحق تعالى فوجدناه على قسمين قسم يدرك بذاته وهو المحسوس والكثيف وقسم يدرك بفعله وهو المعقول واللطيف فارتفع المعقول عن المحسوس بهذه المترلة وهي التتره أن يدرك بذاته وإنما يدرك بفعله ولما كانت هذه أوصاف المخلوقين تقدس الحق تعالى عن أن يدرك بذاته كالمحسوس أو بفعله كاللطيف أو المعقول لأنه سبحانه ليس بينه وبين خلقه مناسبة أصلاً لأن ذاته غير مدركة لنا فتشبه المحسوس ولا فعلها كفعل اللطيف فيشبه اللطيف لأن فعل الحق تعالى إبداع الشيء لا من شيء واللطيف الروحاني فعل الشيء من الأشياء فأي مناسبة بينهما فإذا امتنعت المشابهة في الفعل فأحرى أن تمنع المشابهة في الذات وإن شئت أن تحقق شيئاً من هذا الفصل فانظر إلى مفعول هذا الفعل على حسب أصناف المفعولات مثل المفعول الصناعي كالقميص والكرسي فوجدناه لا يعرف صانعه إلا أنه يدل بنفسه على وجود صانعه وعلى علمه بصنعته وكذلك المفعول التكويني الذي هو الفلك والكواكب لا يعرفون مكونهم ولا المركب لهم وهو النفس الكلية المحيطة بهم وكذلك المفعول الطبيعي كالموالد من المعادن والنبات والحيوان الذين يفعلون طبيعة من المفعول التكويني ليس لهم وقوف على الفاعل لهم الذي هو الفلك والكواكب فليس العلم بالأفلاك ما تراه من جرمها وما يدركه الحس منها وأين جرم الشمس في نفسها منها في عين الرائي لها منا وإنما العلم بالأفلاك من جهة روحها ومعناها الذي أوجده الله تعالى لها عن النفس الكلية المحيطة التي هي سبب الأفلاك وما فيها وكذلك المفعول الانبعاثي الذي هو النفس الكلية المنبعثة من العقل انبعاث الصورة الدحية من الحقيقة الجبرئيلية فإنها لا تعرف الذي انبعثت عنه أصلاً لأنها تحت حيطته وهو المحيط بها لأنها خاطر من خواطره فكيف تعلم ما هو فوقها وما ليس فيها منه إلا ما فيها فلا تعلم منه إلا ما هي عليه فنفسها علمت لا سببها وكذلك المفعول الإبداعي الذي هو الحقيقة المحمدية عندنا والعقل الأول عند غيرنا وهو القلم الأعلى الذي أبدعه الله تعالى من غير شيء هو أعجز وأمنع عن إدراك فاعله من كل مفعول تقدم ذكره إذ بين كل مفعول وفاعله مما تقدم ذكره ضرب من ضروب المناسبة والمشاكلة فلابد أن يعلم منه قدر ما بينهما من المناسبة إما من جهة الجوهرية أو غير ذلك ولا مناسبة بين المبدع الأول والحق تعالى فهو أعجز عن معرفته بفاعله من غيره من مفعولي الأسباب إذ وقد عجز المفعول الذي يشبه سبب الفاعل له من وجوه عن إدراكه والعلم به فافهم هذا وتحققه فإنه نافع جداً في باب التوحيد والعجز عن تعلق العلم المحدث بالله تعالى وصل يؤيد ما ذكرناه إن الإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوى الخمس القوة الحسية

وهي على خمس الشم والطعم واللمس والسمع والبصر فالبصر يدرك الألوان والمتلونات والأشخاص على حد معلوم من القرب والبعد فالذي يدرك منه على ميل غير الذي يدرك منه على ميلين والذي يدرك منه على عشرين باعاً غير الذي يدرك منه على ميل والذي يدرك منه ويده في يده يقابله غير الذي يدرك منه على عشرين باعاً فالذي يدرك منه على ميلين شخص لا يدري هل هو إنسان أو شجرة وعلى ميل يعرف أنه إنسان وعلى عشرين باعاً أنه أبيض أو أسود وعلى المقابلة أنه أزرق أو أكحل وهكذا سائر الحواس في مدركاتها من القرب والبعد والباري سبحانه ليس بمحسوس أي ليس بمدرك بالحس عندنا في وقت طلبنا المعرفة به فلم نعلمه من

طريق الحس وأما القوة الخيالية فإنها لا تضبط إلا ما أعطاها الحس إما على صورة ما أعطاها وإما على صورة ما أعطاه الفكر من حمله بعض المحسوسات على بعض وإلى هنا انتهت طريقة أهل الفكر في معرفة الحق فهو لسانهم ليس لساننا وإن كان حقاً ولكن ننسبه إليهم فإنه نقل عنهم فلم تبرح هذه القوة كيفما كان إدراكها عن الحس البتة وقد بطل تعلق الحس بالله عندنا فقد بطل تعلق الخيال به وأما القوة المفكرة فلا يفكر الإنسان أبداً إلا في أشياء موجودة عنده تلقاها من جهة الحواس وأوائل العقل ومن الفكر فيها في خزانة الخيال يحصل له علم بأمر آخر بينه وبين هذه الأشياء التي فكر فيها مناسبة ولا مناسبة بين الله وبين خلقه فإذن لا يصح العلم به من جهة الفكر ولهذا منعت العلماء من الفكر في ذات الله تعالى وأما القوة العقلية فلا يصح أن يدركه العقل فإن العقل لا يقبل إلا ما علمه بديهة أو ما أعطاه الفكر وقد بطل إدراك الفكر له فقد بطل إدراك العقل له من طريق الفكر ولكن مما هو عقل إنما حده أن يعقل ويضبط ما حصل عنده فقد يهبه الحق المعرفة به فيعقلها لأنه عقل لا من طريق الفكر هذا ما لا نمنعه فإن هذه المعرفة التي يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده لا يستقل العقل بإدراكها ولكن يقبلها فلا يقوم عليها دليل ولا برهان لأنها وراء طور مدارك العقل ثم هذه الأوصاف الذاتية لا تمكن العبارة عنها لأنها خارجة عن التمثيل والقياس فإنه ليس كمثله شيء فكل عقل لم يكشف له من هذه المعرفة شيء يسأل عقلاً آخر قد كشف له منها ليس في قوة ذلك العقل المسؤل العبارة عنها ولا تمكن ولذلك قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك ولهذا الكلام مرتبتان فافهم فمن طلب الله بعقله من طريق فكره ونظره فهو تائه وإنما حسبه التهيؤ لقبول ما يهبه الله من ذلك فافهم وأما القوة الذاكرة فلا سبيل أن تدرك العلم بالله فإنها إنما تذكر ما كان العقل قبل علمه ثم غفل أو نسي وهو لم يعلمه فلا سبيل للقوة الذاكرة إليه وانحصرت مدارك الإنسان بما هو إنسان وما تعطيه ذاته وله فيه كسب وما بقي إلا تهيؤ العقل لقبول ما يهبه الحق من معرفته جل وتعالى فلا يعرف أبداً من جهة الدليل إلا معرفة الوجود وإنه الواحد المعبود لا غير فإن الإنسان المدرك لا يتمكن له أن يدرك شيأ أبداً إلا ومثله موجود فيه ولولا ذلك ما أدركه البتة ولا عرفه فإذا لم يعرف شيأ إلا وفيه مثل ذلك الشيء المعروف فما عرف إلا ما يشبهه ويشاكله والباري تعالى لا يشبه شيأ ولا في شيء مثله فلا يعرف أبداً ومما يؤيد ما ذكرناه أن الأشياء الطبيعية لا تقبل الغذاء إلا من مشاكلها فأما ما لا يشاكلها فلا تقبل الغذاء منه قطعاً مثال ذلك أن المولد من المعادن والنبات والحيوان مركبة من الطبائع الأربع والمولد لا تقبل الغذاء إلا منها وذلك لأن فيها نصيباً منها ولو رام أحد من الخلق على أن يجعل غذاء جسمه المركب من هذه الطبائع من شيء كائن عن غير هذه الطبائع أو ما تركب عنها لم يستطع فكما لا يمكن لشيء من الأجسام الطبيعية أن تقبل غذاء إلا من شيء هو من الطبائع التي هي منها كذلك لا يمكن لأحد أن يعلم شيأ ليس فيه مثله البتة ألا ترى النفس لا تقبل من العقل إلا ما تشاركه فيه وتشاكله وما لم تشاركه فيه لا تعلمه منه أبداً وليس من الله في أحد شيء ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه فلا يعرفه أحد من نفسه وفكره قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم فاخبر عليه السلام بأن العقل لم يدركه بفكره ولا بعين بصيرته كما لم يدركه البصر وهذا هو الذي أشرنا إليه فيما تقدم من بابنا فلله الحمد على ما ألهم وأن علمنا ما لم تكن نعلم وكان فضل الله عظيماً هكذا فليكن التنزيه ونفي المماثلة والتشبيه وما ضل من ضل من المشبهة إلا بالتأويل وحمل ما وردت به الآيات والأخبار على ما يسبق منها إلى الإفهام من غير نظر فيما يجب لله تعالى من التنزيه فقادهم ذلك إلى الجهل المحض والكفر الصراح ولو طلبوا السلامة وتركوا الأخبار والآيات على ما جاءت من غير عدول منهم فيها إلى شيء البتة ويكلون علم ذلك إلى الله تعالى ولرسوله ويقولون لا ندري وكان يكفيهم قول الله تعالى "ليس كمثله شيء" فمتى جاءهم حديث فيه تشبيه فقد أشبه الله شيأ

وهو قد نفى الشبه عن نفسه سبحانه فما بقي إلا أن ذلك الخبر له وجه من وجوه التنزيه يعرفه الله تعالى وجيء به لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه وما تجد لفظة في خبر ولا آية جملة واحدة تكون نصاً في التشبيه أبداً وإنما تجدها عند العرب تحتمل وجوهاً منها ما يؤوّي إلى التشبيه ومنها ما يؤدي إلى التنزيه فحمل المتأوّل ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدّي إلى التشبيه جور منه على ذلك اللفظ إذ لم يوف حقه بما يعطيه وضعه في اللسان وتعدّ على الله تعالى حيث حمل عليه سبحانه ما لا يليق بالله تعالى ونحن نورد إن شاء الله تعالى بعض أحاديث وردت في التشبيه وأنها ليست بنص فيه فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فمن ذلك قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز الجارحة تستحيل على الله تعالى الأصبع لفظ مشترك يطلق على الجارحة ويطلق على النعمة قال الراعي:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أمحل الناس أصبعا

يقول ترى له عليها أثراً حسناً من النعمة بحسن النظر عليها تقول العرب ما أحسن أصبع فلان على ماله أي أثره فيه تريد به نموّ ماله لحسن تصرفه فيه أسرع التقليب ما قلبته الأصابع لصغر حجمها وكمال القدرة فيها فحركتها أسرع من حركة اليد وغيره ولما كان تقليب الله قلوب العباد أسرع شيء أفصح صلى الله عليه وسلم للعرب في دعائه بما تعقل ولأن التقليب لا يكون إلا باليد عندنا فلذلك جعل التقليب بالأصابع لأن الأصابع من اليد في اليد والسرعة في الأصابع أمكن فكان عليه السلام يقول في دعائه "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" وتقليب الله تعالى القلوب هو ما يخلق فيها من الهم بالحسن والهم بالسوء فلما كان الإنسان يحس بترادف الخواطر المتعارضة عليه في قلبه الذي هو عبارة عن تقليب الحق القلب وهذا لا يقدر الإنسان يدفع علمه عن نفسه لذلك كان عليه السلام يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وفي هذا الحديث إن أحدى أزواجه قالت له أو تخاف يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله يشير صلى الله عليه وسلم إلى سرعة التقليب من الإيمان إلى الكفر وما تحتهما قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها وهذا الإلهام هو التقليب والأصابع للسرعة والأثنينية من لها خاطر الحسن وخاطر القبيح فإذا فهم من الأصابع ما ذكرته وفهمت منه الجارحة وفهمت منه النعمة والأثر الحسن فبأي وجه تلحقه بالجارحة وهذه الوجوه المنزهة تطلبه فإما نسكت ونكل علم ذلك إلى الله تعالى وإلى من عرفه الحق ذلك من رسول مرسل أو ولي ملهم بشرط نفي الجارحة ولابدّ وإما أن أدركنا فضول وغلب علينا إلا أن نرد بذلك على بدعي مجسم مشبه فليس بفضول بل يجب على العالم عند

ذلك تبيين ما في ذلك اللفظ من وجوه التتريه حتى تدحض به حجة المجسم المخذول تاب الله علينا وعليه ورزقه الإسلام فإن تكلمنا على تلك الكلمة التي توهم التشبيه ولابد فالعدول بشرحها إلى الوجه الذي يليق بالله سبحانه أولى هذا حظ العقل في الوضع "نفث روح في روع" الإصبعان سر الكمال الذاتي الذي إذا انكشف إلى الإبصار يوم القيامة يأخذ الإنسان أباه إذا كان كافر أو يرمي به في النار ولا يجد لذلك ألماً ولا عليه شفقة بسر هذين الأصبعين المتحد معناهما المثنى لفظهما خلقت الجنة والنار وظهر اسم المنوّر والمظلم والمنعم والمنتقم فلا تتخيلهما اثنين من عشرة ولا بد من الإشارة إلى هذا السر في هذا الباب في كلتا يديه وهذه معرفة الكشف فإن أهل الجنة نعيمين نعيماً بالجنة ونعيماً بعذاب أهل النار في النار وكذلك أهل النار لهم عذابان وكلا الفريقين يرون الله رؤية الأسماء كما كانوا في الدنيا سواء وفي القبضتين اللتين جاءتا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حق الحق سرّ ما أشرنا إليه ومعناه وه يقول الحق وهو يهدي السبيل القبضة واليمين قال تعالى "والأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه" نظر العقل بما يقتضيه الوضع إنه منع أولاً سبحانه أن يقدر قدره لما يسبق إلى العقول الضعيفة من التشبيه والتجسيم عند ورود الآيات والأخبار التي تعطي من وجه ما من وجوهها ذلك ثم قال بعد هذا التتريه الذي لا يعقله إلا العالمون والأرض جميعاً قبضته عرفنا من وضع اللسان العربي أن يقال فلان في قبضتي يريد أنه تحت حكمي وإن كان ليس في يدي منه شيء البتة ولكن أمري فيه ماض وحكمي عليه قاض مثل حكمل على ما ملكته يدي حساً وقبضت عليه وكذلك أقول مالي في قبضتي أي في ملكي وإني متمكن في التصرف فيه أي لا يمنع نفسه مني فإذا صرّفته ففي وقت تصرفي فيه كان أمكن لي أن أقول هو في قبضتي لتصرّفي فيه وإن كان عبيدي هم المتصرّفون فيه عن إذني فلما اصتحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل إلى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو ملك ما قبضت عليه في الحال وإن لم يكن لها أعني للقابض فيما قبض عليه شيء ولكن هو في ملك القبضة قطعاً فهكذا العالم في قبضة الحق تعالى والأرض في الدار الآخرة تعيين بعض الأملاك كما نقول خادمي في قبضتي وإن كان خادمي من جملة من في قبضتي فإنما ذكرته اختصاصاً لوقوع نازلة ما واليمين عندنا محل التصريف المطلق القوي فإن اليسار لا يقوى قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطيّ فهي إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل فوصل إلى أفهام العرب بألفاظ تعرفها وتسرع

بالتلقي لها قال الشاعر:قي لها قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وليس للمجد راية محسوسة فلا تتلقاها جارحة يمين فكأنه يقول لو ظهر للمجد راية محسوسة لما كان محلها أو حاملها إلا يمين عرابة الأوسي أي صفة المجد به قائمة وفيه كاملة فلم تزل العرب تطلق ألفاظ الجوارح على ما لا يقبل الجارحة لاشتراك بينهما من طريق المعنى "نفث روح في روع" إذا تجلى الحق لسرّ عبد ملكه جميع الأسرار وألحقه بالأحرار وكان له التصرف الذاتي من جهة اليمين فإن شرف الشمال بغيره وشرف اليمين بذاته ثم أنزل شرف اليمين الخطاب وشرف الشمال بالتجلي شرف الإنسان بمعرفته بحقيقته وإطلاعه عليها وهو الاليسار وكلتا يديه من حيث هو شمال كما كلتي يدي الحق يمين ارجع إلى معنى الاتحاد كلتا يدي العبد يمين ارجع إلى التوحيد إحدى يديه يمين والأخرى شمال فتارة أكون في الجمع وجمع الجمع وتارة أكون في الفرق وفي فرق الفرق على حكم التجلي والوارد:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعدناني

ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب التعجب إنما يقع من موجود لا يعلم ذلك المتعجب منه ثم يعلمه فيتعجب منه ويلحق به الضحك وهذا محال على الله تعالى فإنه ما خرج شيء عن علمه فمتى وقع في الوجود شيء يمكن التعجب منه عندنا حمل ذلك التعجب والضحك على من لا يجوز عليه التعجب ولا الضحك لأن الأمر الواقع متعجب منه عندنا كالشاب ليست له صبوة فهذا أمر يتعجب منه فحل عند الله تعالى محل ما يتعجب منه عندنا وقد يخرج الضحك والفرح إلى القبول والرضى فإن من فعلت له فعلاً أظهر لك من أجله الضحك والفرح فقد قبل ذلك الفعل ورضي به فضحكه وفرحه تعالى قبوله ورضاه عنا كما أن غضبه تعالى متره عن غليان دم القلب طلباً للانتصار لأنه سبحانه يتقدس عن الجسمية والعرض فذلك قد يرجع إلى أن يفعل فعل من غضب ممن يجوز عليه الغضب وهو انتقامه سبحانه من الجبارين والمخالفين لأمره والمتعدين حدوده قال تعالى وغضب عليه أي جازاه جزاء المغضوب عليه فالمجازي يكون غاضباً فظهور الفعل أطلق الاسم "التبشش" من باب الفرح ورد في الخبر أن الله يتبشش للرجل يوطئ المساجد للصلاة والذكر الحديث لما حجب العالم بالأكوان واستغلوا بغير الله عن الله فصاروا بهذا الفعل في حال غيبة عن الله فلما وردوا عليه سبحانه بنوع من أنواع الحضور أسدل إليهم سبحانه في قلوبهم من لذة نعيم محاضرته ومناجاته ومشاهدته ما تحبب بها إلى قلوبهم فإنّ النبي عليه السلام يقول "حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه" فكنى بالتبشش عن هذا الفعل منه لأنه إظهار سرور بقدومكم عليه فإنه من يسرّ بقدومك عليه فعلامة سروره إظهار البر بجانبك والتحبب وإرسال ما عنده من نعم عليك فلما ظهرت هذه الأشياء من الله إلى العبيد النازلين به سماه تبششاً "النسيان" قال الله تعالى فنسيهم الباري تعالى لا يجوز عليه النسيان ولكنه تعالى لما عذبهم عذاب الأبد و لم تنلهم رحمته تعالى صاروا كأنهم منسيون عنده وهو كأنه ناس لهم أي هذا فعل الناسي ومن لا يتذكر ما هم فيه من أليم العذاب وذلك لأنهم في حياتهم الدنيا نسوا الله فجازاهم بفعلهم ففعلهم أعاده عليهم للمناسبة وقد يكون نسيهم أخرهم نسوا الله أي أخروا أمر الله فلم يعملوا به أخرهم الله في النار حين أخرج منها من أدخله فيها من غيرهم ويقرب من هذا الباب اتصاف الحق بالمكر والاستهزاء والسخرية قال تعالى "سخر الله منهم" وقال "ومكر الله" وقال "الله يستهزئ بهم" "النفس" قال صلى الله عليه وسلم "لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن" وقوله عليه السلام "إني لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمين وهذا كله من التنفيس كأنه يقول لا تسبوا الريح فإنها مما ينفس بها الرحمن عن عباده وقال عليه السلام نصرت بالصبا وكذلك يقول إني لأجد نفس أي تنفيس الرحمن عني للكرب الذي كان فيه من تكذيب قومه إياه وردهم أمر الله من قبل اليمين فكان الأنصار نفس الله بهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان أكربه من المكذبين فإن الله تعالى متره عن النفس الذي هو الهواء الخارج من المتنفس تعالى الله عما نسب إليه الظالمون من ذلك علوّا كبيرا "الصورة" تطلق على الأمر وعلى المعلوم عند الناس وعلى غير ذلك ورد في الحديث إضافة الصورة إلى الله في الصحيح وغيره مثل حديث عكرمة قال عليه السلام "رأيت ربي في صورة شاب الحديث" هذا حال من النبي صلى الله عليه وسلم وهو في كلام العرب معلوم متعارف وكذلك قوله عليه السلام "إن الله خلق آدم على صورته اعلم أن المثلية الواردة في القرآن لغوية لا عقلية لأن المثلية العقلية تستحيل على الله تعالى زيد الأسد شدّة زيد زهير شعراً إذا وصفت موجودا بصفة أو صفتين ثم وصفت غيره بتلك الصفة وإن كان بينهما تباين من جهة حقائق أخر ولكنهما مشتركان في روح تلك الصفة ومعناها فكل واحد منهما على صورة الآخر في تلك الصفة خاصة فافهم وتنبه وانظر كونك دليلاً عليه سبحانه وهل وصفته بصفة كمال إلا منك فتفطن فإذا دخلت من باب التعرية عن المناظرة سلبت النقائص التي تجوز عليك عنه

وإن كانت لم تقم قط به ولكن المجسم والمشبه لما أضافها إليه سلبت أنت تلك الإضافة ولو لم يتوهم هذا لما فعلت شيأ من هذا السلب فاعلم وإن كان للصورة هنا مداخل كثيرة أضر بنا عن ذكرها رغبة فيما قصدناه في هذا الكتاب من حذف التطويل والله يقول الحق وهو يهدي

السبيل "الذراع" ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ضرس الكافر في النار مثل أحد وكثافة جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار هذه إضافة تشريف مقدار جعله الله تعالى أضافه إليه كما تقول هذا الشيء كذا وكذا ذراعاً بذراع الملك تريد الذراع الأكبر الذي جعله الملك وإن كان مثلاً ذراع الملك الذي هو الجارحة مثل أذرع الناس والذراع الذي جعله مقداراً يزيد على ذراع الجارحة بنصفه أو ثلثه فليس هو إذن ذراعه على حقيقته وإنما هو مقدار نصبه ثم أضيف إلى جاعله فاعلم والجبار في اللسان الملك العظيم وهكذا "القدم" يضع الجبار فيها قدمه القدم الجارحة ويقال لفلان في هذا الأمر قدم أي ثبوت والقدم جماعة من الخلق فتكون القدم إضافة وقد يكون الجبار ملكاً وتكون هذه القدم لهذا الملك إذ الجارحة تستحيل على الله تعالى وجل "والاستواء" أيضاً ينطلق على الاستقرار والقصود والاستيلاء والاستقرار من صفات الأجسام فلا يجوز على الله تعالى إلا إذا كان على وجه الثبوت والقصد هو الإرادة وهي من صفات الكمال قال ثم استوى إلى السماء أي قصد واستوى على العرش أي استولى:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

والأخبار والآيات كثيرة منها صحيح وسقيم وما منها خبر إلا وله وجه من وجوه التتريه وإن أردت أن يقرب ذلك عليك فاعمد إلى اللفظة التي توهم التشبيه وخذ فائدتها وروحها أو ما يكون عنها فاجعله في حق الحق تفز بدرجة التتريه حين حاز غيرك درك التشبيه فهكذا فافعل وطهر ثوبك ويكفي هذا القدر من هذه الأخبار فقد طال الباب نفث الروح الأقدس في الروع الأنفس بما تقدم من الألفاظ لما تعجب المتعجب ممن خرج على صورته وخالفه في سريرته ففرح بوجوده وضحك من شهوده وغضب لتوليه وتبشبش لتدليه ونسي ظاهره وتنفس فأطلق مواخره وثبت على ملكه وتحكم بالتقدير على ملكه فكان ما أراد وإلى الله المعاد فهذه أرواح مجردة تنتظرها أشباح مسنده فإذا بلغ الميقات وانقضت الأوقات ومارت السماء وكوّرت الشمس وبدّلت الأرض وانكدرت النجوم وانتقلت الأمور وظهرت الآخرة وحشر الإنسان وغيره في الحافرة حينئذ تحمد الأشباح وتتنسم الأرواح ويتجلى الفتاح ويتقد المصباح وتشعشع الراح ويظهر الودّ الصراح ويزول الإلحاح ويرفرف الجناح ويكون الابتنا بالضراح من أول الليل إلى الإصباح فما أسناها من مترله وما أشهاها إلى النفوس من حالة مكملة متعنا الله بها.

الباب الرابع في سبب بدء العالم ومراتب الأسماء الحسنى

من العالم كله

في سبب البدء وأحكامه وغاية الصنع وأحكامه

والفرق ما بين رعاة العلى في نشئه وبين حكامه

دلائل دلت على صانع قد قهر الكل بإحكامه

قد وقف الصفيّ الوليّ أبقاه الله على سبب بدء العالم في كتابنا المسمى بعنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب وفي كتابنا المسمى بإنشاء الدوائر الذي ألفنا بعضه بمترله الكريم في وقت زيارتنا إياه سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ونحن نريد الحج فقيد له منه خديمه عبد الجبار أعلى الله قدره القدر الذي كنت سطرته منه ورحلت به معي إلى مكة زادها الله تشريفاً في السنة المذكورة لا تممه بما فشغلنا هذا الكتاب عنه وعن غيره بسبب الأمر الإلهيّ الذي ورد علينا في تقييده مع رغبة بعض الإخوان والفقراء في ذلك حرصاً منهم على مزيد العلم ورغبة في أن تعود عليهم بركات هذا البيت المبارك الشريف محل البركات والهدى والآيات البينات وأن نعرف أيضاً في هذا الموضوع الصفي الكريم أبا محمد عبد العزيز رضي الله عنه ما تعطيه مكة من البركات وأنها خير وسيلة عبادية وأشرف مترلة جمادية ترابية عسى تنهض به همة الشوق إليه وتترل به رغبة المزيد عليه فقد قيل لمن أوتي جوامع الكلم وكان من ربه في مشاهدة العين أدنى من قاب قوسين ومع هذا التقريب الأكمل والحظ الأوفر الأجزل أنزل عليه "وقل رب زدني علماً" ومن شرط العالم المشاهد صاحب المقامات الغيبية والمشاهد أن يعلم أن للأمكنة في القلوب اللطيفة تأثيراً ولو وجد القلب في أي موضع كان الوجود الأعم فوجوده بمكة أسنى وأتم فكما تتفاضل المنازل الروحانية كذلك تتفاضل المنازل الجسمانية وإلا فهل الدر مثل الحجر إلا عند صاحب الحال وأما المكمل صاحب المقام فإنه يميز بينهما كما ميز بينهما الحق هل ساوى الحق بين دار بناؤها لبن التراب والتبن ودار بناؤها لبن المسجد واللجين فالحكيم الواصل من أعطى كل ذي حق حقه فذلك واحد عصره وصاحب وقته وكثير بين مدينة يكون أكثر عمارتها الشهوات وبين مدينة يكون أكثر عمارتها الآيات البينات.

أليس قد جمع معي صفي أبقاه الله إن وجود قلوبنا في بعض المواطن أكثر من بعض وقد كان رضي الله عنه يترك الخلوة في بيوت المنارة المحروسة الكائنة بشرقيّ تونس بساحل البحر ويترل إلى الرابطة التي في وسط المقابر بقرب المنارة من جهة بابها وهي تعزى إلى الخضر فسألته عن ذلك فقال إن قلبي أجده هنالك أكثر منه في المنارة وقد وجدت فيها أنا أيضاً ما قاله الشيخ وقد علم وليي أبقاه الله أن ذلك من أجل من يعمر ذلك الموضع أمّا في الحال من الملائكة المكرّمين أو من الجن الصادقين وإما من همة من كان يعمره وفقد كبيت أبي يزيد الذي يسمي بيت الأبرار وكزاوية الجنيد بالشونيزية وكمغارة ابن أدهم بالتعن وما كان من أماكن الصالحين الذين فنوا عن هذه الدار وبقيت آثارهم في أماكنهم تنفعل لها القلوب اللطيفة ولهذا يرجع تفاضل المساجد في وجود القلب لا في تضاعف الأجر فقد تجد قلبك في مسجد أكثر مما تجده في غيره من المساجد وذلك ليس للتراب ولكن لمجالسة الأتراب أو هممهم ومن لا يجد الفرق في وجود قلبه بين السوق والمساجد فهو صاحب حال لا صاحب مقام ولا أشك كشفاً وعلماً أنه وإن عمرت الملائكة جميع الأرض مع تفاضلهم في المعارف والرتب فإن أعلاهم رتبة وأعظمهم علماً ومعرفة عمرة المسجد الحرام وعلى قدر جلساتك يكون وجودك فإنه لهمم الجلساء في قلب الجليس لهم تأثيراً وهممهم على قدر مراتبهم وإن كان من جهة الهمم فقد طاف بهذا البيت مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي سوى الأولياء وما من نبي ولا ولي إلا وله همة متعلقة بهذا البيت وهذا البلد الحرام لأنه البيت الذي اصطفاه الله على سائر البيوت وله سر الأولية في المعابد كما قال تعالى "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً" من كل مخوف إلى غير ذلك من الآيات.

فلو رحل الصفي أبقاه الله إلى هذا البلد الحرام الشريف لوجد من المعارف والزيادات ما لم يكن رآه قبل ذلك ولا خطر له بالبال

وقد علم رضي الله عنه أن النفس تحشر على صورة علمها والجسم على صورة عمله وصورة العلم والعمل بمكة أتمّ مما في سواها ولو دخلها صاحب قلب ساعة واحدة لكان له ذلك فكيف إن جاور بها وأقام وأتى فيها بجميع الفرائض والقواعد فلا شك أن مشهده بها يكون أتمّ وأجلى ومورده أصفى وأعذب وأحلى وإذ وصفي أبقاه الله قد أخبرني أنه ذكرنا ولا شك عندنا إن معرفة هذا الفن أعنى معرفة الأماكن والإحساس بالزيادة والنقص من تمام تمكن معرفة العارف وعلوّ مقامه وإشرافه على الأشياء وقوّة ميزه فالله يكتب لوليي فيها أثراً حسناً ويهبه فيها خيراً طيباً إنه المليء بذلك والقادر عليه اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أن أكثر العلماء بالله من أهل الكشف والحقائق ليس عندهم علم بسبب بدء العالم إلا تعلق العلم القديم بإيجاده فكون ما علم أنه سيكونه وهنا ينتهي أكثر الناس وأما نحن ومن أطلعه الله على ما أطلعنا عليه فقد وقفنا على أمور أخر غير هذا وذلك أنك إذا نظرت العالم مفصلاً بحقائقه ونسبه وجدته محصور الحقائق والنسب معلوم المنازل والرتب متناهي الأجناس بين متماثل ومختلف فإذا وقفت على هذا الأمر علمت أن لهذا سراً لطيفاً وأمراً عجيباً لا تدرك حقيقته بدقيق فكر ولا نظر بل بعلم موهوب من علوم الكشف ونتائج المجاهدات المصاحبة للهمم فإن مجاهدة بغير همة غير منتجة شيأ ولا مؤثرة في العلم لكن تؤثر في الحال من رقة وصفاء يجده صاحب المجاهدة فاعلم علمك الله سرائر الحكم ووهبك من جوامع الكلم أن الأسماء الحسنى التي تبلغ فوق أسماء الإحصاء عدداً وتنزل دون أسماء الإحصاء سعادة هي المؤثرة في هذا العالم وهي المفاتح الأول التي لا يعلمها إلا هو وإن لكل حقيقة اسماً ما يخصها من الأسماء وأعني بالحقيقة حقيقة تجمع جنساً من الحقائق رب تلك الحقيقة ذلك الاسم وتلك الحقيقة عابدته وتحت تكليفه ليس غير ذلك وإن جمع لك شيء ما أشياء كثيرة فليس الأمر على ما توهمته فإنك إن نظرت إلى ذلك الشيء وجدت له من الوجوه ما يقابل به تلك الأسماء التي تدل عليها وهي الحقائق التي ذكرناها مثال ذلك ما ثبت لك في العلم الذي في ظاهر العقول وتحت حكمها في حق موجود ما فرد لا ينقسم مثل الجوهر الفرد الجزء الذي لا ينقسم فإن فيه حقائق متعددة تطلب أسماء إلهية على عددها فحقيقة إيجاده يطلب الاسم القادر ووجه أحكامه يطلب الاسم العالم ووجه اختصاصه يطلب الاسم المريد ووجه ظهوره يطلب الاسم البصير والرائي إلى غير ذلك فهذا وإن كان فرداً فله هذه الوجوه وغيرها مما لم نذكرها ولكل وجه وجوه متعددة تطلب من الأسماء بحسبها وتلك الوجوه هي الحقائق عندنا الثواني والوقوف عليها عسير وتحصيلها من طريق الكشف أعسر واعلم أن الأسماء قد نتركها على كثرتها إذا لحظنا وجوه الطالبين لها من العالم وإذا لم نلحظ ذلك فلنرجع ونلحظ أمهات المطالب التي لا غنى لنا عنها فنعرف إن الأسماء التي الإمهات موقوفة عليها هي أيضاً أمهات الأسماء.

فيسهل النظر ويكمل الغرض ويتيسر التعدي من هذه الأمهات إلى البنات كما يتيسر رد البنات إلى الأمهات فإذا نظرت الأشياء كلها المعلومة في العالم العلوي والسفلي تجد الأسماء السبعة المعبر عنها بالصفات عند أصحاب علم الكلام تتضمنها وقد ذكرنا هذا في كتابنا الذي سميناه إنشاء الدوائر وليس غرضنا في هذا الكتاب في هذه الأمهات السبعة المعبر عنها بالصفات ولكن قصدنا الأمهات التي لابد لإيجاد العالم منها كما أنا لا نحتاج في دلائل العقول من معرفة الحق سبحانه إلا كونه موجوداً عالماً مريداً قادراً حياً لا غير وما زاد على هذا فإنما يقتضيه التكليف فمجيء الرسول عليه السلام جعلنا نعرفه متكلماً والتكليف جعلنا نعرفه سميعاً بصيراً إلى غير ذلك من الأسماء فالذي نحتاج إليه من معرفة الأسماء لوجود العالم وهي أرباب الأسماء وما عداها فسدنة لها كما أن بعض هذه الأرباب سدنة لبعضها فأمهات الأسماء الحيّ العالم المريد القادر القائل الجواد المقسط وهذه الأسماء بنات الأسمين المدبر

والمفصل فالحسي يثبت فهمك بعد وجودك وقبله والعالم يثبت أحكامك في وجودك وقبل وجودك يثبت تقديرك والمريد يثبت اختصاصك والقادر يثبت عدمك والقائل يثبت قدمك والجواد يثبت إيجادك والمقسط يثبت مرتبتك والمرتبة آخر منازل الوجود فهذه حقائق لابد من وجودها فلابد من أسمائها التي هي أربابها فالحيّ رب الأرباب والمربوبين وهو الإمام ويليه في الرتبة العالم ويلي العالم المريد ويلي المريد القائل ويلي القائل القادر ويلي القادر الجواد وآخرهم المقسط فإنه رب المراتب وهي آخر منازل الوجود وما بقي من الأسماء فتحت طاعة هؤلاء الأسماء الأئمة الأرباب وكان سبب توجه هؤلاء الأسماء إلى الاسم الله في إيجاد العالم بقية الأسماء مع حقائقها أيضاً على أن أئمة الأسماء من غير نظر إلى العالم إنما هي أربعة لا غير اسمه الحيّ والمتكلم والسميع والبصير فإنه إذا سمع كلامه ورأى ذاته فقد كمل وجوده في ذاته من غير نظر إلى العالم ونحن لا نريد من الأسماء إلا ما يقوم بها وجود العالم فكثرت علينا الأسماء فعدلنا إلى أربابها فدخلنا عليهم في حضراتهم فما وجدنا غير هؤلاء الذين ذكرناهم وأبرزناهم على حسب ما شاهدناهم فكان سبب توجه أرباب الأسماء إلى الاسم الله في إيجاد أعياننا بقية الأسماء فأول من قام لطلب هذا العالم الاسم المدبر والمفصل عن سؤال الاسم الملك فعندما توجه على الشيء الذي عنه وجد المثال في نفس العالم من غير عدم متقدم ولكن تقدم مرتبة لا تقدم وجود كتقدم طلوع الشمس على أول النهار وإن كان أول النهار مقارناً لطلوع الشمس ولكن قد تبين أن العلة في وجود أول النهار طلوع الشمس وقد قارنه في الوجود فهكذا هو هذا الأمر فلما دبر العالم وفصله هذان الاسمان من غير جهل متقدم به أو عدم علم وانتشأت صورة المثال في نفس العالم تعلق اسمه العالم إذ ذاك بذلك المثال كما تعلق بالصورة التي أخذ منها وإن كانت غير مرئية لأنها غير موجودة كما سنذكره في باب مم وجد العالم فأول أسماء العالم هذان الاسمان والاسم المدبر هو الذي حقق وقت الإيجاد المقدر فتعلق به المريد على حد ما أبرزه المدبر ودبره وما عملا شيأ من نشء هذا المثال إلا بمشاركة بقية الأسماء لكن من وراء حجاب هذين الأسمين ولهذا صحت لهما الإمامة والآخرون يشعرون بذلك حتى بدت صورة المثال فرأوا ما فيه من الحقائق المناسبة لهم تجذبهم للتعشق بها فصار كل اسم يتعشق بحقيقته التي في المثال ولكن لا يقدر على التأثير فيها إذ لا تعطي الحضرة التي تجلى فيها هذا المثال فأدّاهم ذلك التعشق والحب إلى الطلب والسعي والرغبة في إيجاد صورة عين ذلك المثال ليظهر سلطانهم ويصح على الحقيقة وجودهم فلا شيء أعظم هما من عزيز لا يجد عزيزاً يقهره حتى يذل تحت قهره فيصح سلطان عزه أو غنى لا يجد من يفتقره إلى غناه وهكذا جميع هذه الأسماء فلجأت إلى أربابها الأئمة السبعة التي ذكرناها ترغب إليها في إيجاد عين هذا المثال الذي شاهدوه في ذات العالم به وهو المعبر عنه بالعالم وربما يقول القائل يا أيها المحقق وكيف ترى الأسماء هذا المثال ولا يراه إلا الاسم البصير خاصة لا غيره وكل اسم على حقيقة ليس الاسم الآخر عليها قلنا له لتعلم وفقك الله أن كل اسم إلهي يتضمن جميع الأسماء كلها وإن كل اسم ينعت

بجميع الأسماء في أفقه فكل اسم فهو حي قادر سميع بصير متكلم في أفقه وفي علمه وإلا فكيف يصح أن يكون رباً لعابده هيهات هيهات غير أن ثم لطيفة لا يشعر بها وذلك أنك تعلم قطعاً في حبوب البرّ وأمثاله أن كل برة فيها من الحقائق ما في أختها كما تعلم أيضاً أن هذه الحبة ليست عين هذه الحبة الأخرى وإن كانتا تحويان على حقائق متماثلة فإنهما مثلان فابحث عن هذه الحقيقة التي تجعلك تفرق بين هاتين الحبتين وتقول إن هذه ليست عين هذه وهذا سار في جميع المتماثلات من حيث ما تماثلوا به كذلك الأسماء كل اسم جامع لما جمعت الأسماء من الحقائق ثم تعلم على القطع أن هذا الاسم ليس هو هذا الآخر بتلك اللطيفة التي بها فرقت بين حبوب البرّ وكل متماثل فابحث عن هذا المعنى حتى تعرفه بالذكر لا بالفكر غير أني أريد أن أوقفك على حقيقة ما ذكرها أحد من

المتقدمين وربما ما أطلع عليها فربما خصصت بها ولا أدري هل تعطي لغير بعدي أم لا من الحضرة التي أعطيتها فإن استقرأها أو فهمها من كتابي فأنا المعلم له وأما المتقدمون فلم يجدوها وذلك أن كل اسم كما قررنا بجميع حقائق الأسماء ويحتوي عليها مع وجود اللطيفة التي وقع لك التمييز بها بين المثلين وذلك أن الاسم المنعم والاسم المعذب اللذين هما الظاهر والباطن كل اسم من هذين الاسمين يتضمن ما تحويه سدنته من أولهم إلى آخرهم غير أن أرباب الأسماء ومن سواهم من الأسماء على ثلاث مراتب منها ما يلحق بدرجات أرباب الأسماء ومنها ما ينفرد بدرجة فمنها ما ينفرد بدرجة المنعم وبدرجة المعذب فهذه أسماء العالم محصورة والله المستعان.

فلما لجأت الأسماء كلها إلى هؤلاء الأئمة ولجات الأئمة إلى الاسم الله لجأ الاسم الله إلى الذات من حيث غناها عن الأسماء سائلاً في إسعاف ما سألته الأسماء فيه فأنعم المحسان الجواد بذلك وقال قل للأئمة يتعلقون بإبراز العالم على حسب ما تعطيه حقائقهم فخرج إليهم الإسم الله وأخبرهم الخبر فانقلبوا مسرعين فرحين مبتهجين و لم يزالوا كذلك فنظروا إلى الحضرة التي أذكرها في الباب السادس من هذا الكتاب فأوجدوا العالم كما سنذكره فيما يأتي من الأبواب بعد هذا إن شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس في معرفة أسرار بسم الله الرحمن الرحيم والفاتحة

من وجه ما لا من جميع الوجوه

بسملة الأسماء ذو منظرين ... ما بين إبقاء وأفناء عين
إلا بمن قالت لمن حين ما ... خافت على النمل من الحطمتين
فقال من أضحكه قولها ... هل أثر يطلب من بعد عين

يا نفس يا نفس استقيمي فقد ... عاينت من نملتنا القبضتين
وهكذا في الحمد فاستثنها ... إن شئت أن تنعم بالجنتين
إحداهما عن عسجد مشرق ... جملتها وأختها من لجين
يا أم قرآن العلى هل ترى ... من جهة الفرقان للفرقتين
أنت لنا السبع المثاني التي ... خص بها سيدنا دون مين
فأنت مفتاح الهدى للنهى ... وخص من عاداك بالفرقتين

لما أردنا أن نفتتح معرفة الوجود وابتداء العالم الذي هو عندنا المصحف الكبير الذي تلاه الحق علينا تلاوة حال كما أن القرآن تلاوة قول عندنا فالعالم حروف مخطوطة مرقومة في رق الوجود المنشور ولا تزال الكآبة فيه دائمة أبداً لا تنتهي ولما افتتح الله تعالى كتابه

العزيز بفاتحة الكتاب وهذا كتاب أعنى العالم الذي تتكلم عليه أردنا أن نفتتح بالكلام على أسرار الفاتحة وبسم الله فاتحة الفاتحة وهي آية أولى منها أو ملازمة لها كالعلاوة على الخلاف المعلوم بين العلماء فلا بد من الكلام على البسملة وربما يقع الكلام على بعض آية من سورة البقرة آيتين أو ثلاث خاصة تبرّكاً بكلام الحق سبحانه ثم نسوق الأبواب إن شاء الله تعالى فأقول إنه لما قدمنا أن الأسماء الإلهية سبب وجود العالم وأنها المسلطة عليه والمؤثرة لذلك كان بسم الله الرحمن الرحيم عندنا خبر ابتداء مضمر وهو ابتداء العالم وظهوره كأنه يقول ظهور العالم بسم الله الرحمن الرحيم أي باسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم واختص الثلاثة الأسماء لأن الحقائق تعطي ذلك فالله هو الاسم الجامع للأسماء كلها والرحمن صفة عامة فهو رحمن الدنيا والآخرة بها رحم كل شيء من العالم في الدنيا ولما كانت الرحمة في الآخرة لا تختص إلا بقبضة السعادة فإنها تنفرد عن أختها وكانت في الدنيا ممتزجة يولد كافراً أويموت مؤمناً أي ينشأ كافراً في عالم الشهادة وبالعكس وتارة وتارة وبعض العالم تميز بإحدى القبضتين بإخبار صادق فجاء الاسم الرحيم مختصاً بالدار الآخرة لكل من آمن وتم العالم بهذه الثلاثة الأسماء جملة في الاسم الله وتفصيلاً في الأسمين الرحمن الرحيم فتحقق ما ذكرناه فإني أريد أن أدخل إلى ما في طيّ البسملة والفاتحة من بعض الأسرار كما شرطناه فلنبين ونقول بسم بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد من المعبود قيل للشبلي رضي الله عنه أنت الشبلي فقال أنا النقطة التي تحت الباء وهو قولنا النقطة للتمييز وهو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله يقول ما رأيت شيأ إلا رأيت الباءعليه مكتوبة فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الحق في مقام الجمع والوجود أي بي قام كل شيء وظهر وهي من عالم الشهادة هذه الباء بدل من همزة الوصل التي كانت في الاسم قبل دخول الباء واحتيج إليها إذ لا ينطق بساكن فجلبت الهمزة المعبر عنها بالقدرة محرّكة عبارة عن الوجود ليتوصل بها إلى النطق الذي هو الإيجاد من إبداع وخلق بالساكن الذي هو العدم وهو أوان وجود المحدث بعد أن لم يكن وهو السين فدخل في الملك بالميم ألست بربكم قالوا بلى فصارت الباء بدلاً من همزة الوصل أعني القدرة الأزلية وصارت حركة الباء لحركة الهمزة الذي هو الإيجاد ووقع الفرق بين الباء والألف الواصلة فإن الألف تعطي الذات والباء تعطي الصفة ولذلك كانت لعين الإيجاد أحق من الألف بالنقطة التي تحتها وهي الموجودات فصار في الباء الأنواع الثلاثة شكل الباء والنقطة والحركة العوالم الثلاثة فكما في العالم الوسط توهم ما كذلك في نقطة الباء فلباء ملكوتية والنقطة جبروتية والحركة شهادة ملكية والألف المحذوفة التي هي بدل منها هي حقيقة القائم بالكل تعالى واحتجب رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء وعلى هذا الحد تأخذ كل مسئلة في هذا الباب مستوفاة بطريق الإيجاز فبسم والم واحد ثم وجدنا الألف من بسم قد ظهرت في اقرأ باسم ربك وباسم الله مجراها بين الباء والسين و لم تظهر بين السين والميم فلو لم تظهر في باسم السفينة ما جرت السفينة ولو لم تظهر في اقرأ باسم ربك ما علم المثل حقيقته ولا رأى صورته فتيقظ من سنة الغفلة وانتبه فلما كثر استعمالها في أوائل السور حذفت لوجود المثل مقامه في الخطاب وهو الباء فصار المثل مرآة للسين فصار السين مثالاً وعلى هذا الترتيب نظام التركيب وإنما لم تظهر بين السين والميم وهو محل التغيير وصفات الأفعال إن لو ظهرت لزال السين والميم إذ ليسوا بصفة لازمة للقديم مثل الباء فكان خفاؤه عنهم رحمة بهم إذ كان سبب بقاء وجودهم وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً وهو الرسول فهذه الباء والسين والميم العالم كله ثم عمل الباء في الميم الخفض من طريق الشبه بالحدوث إذ الميم مقام الملك وهو العبودية وخفضتها الباء

عرفتها بنفسها وأوقفتها على حقيقتها فمهما وجدت الباء وجدت الميم في مقام الإسلام فإن زالت الباء يوماً ما لسبب طارئ وهو ترقي الميم إلى مقام الإيمان فتح في عالم الجبروت بسبح واشباهه فأمر بتنزيه المحل لتجلي المثل فقيل له سبح اسم ربك الأعلى الذي

هو مغذيك بالمواد الإلهية فهو ربك بفتح الميم وجاءت الألف ظاهرة وزالت الباء لأن الأمر توجه عليها بالتسبيح ولا طاقة لها على ذلك والباء محدثة مثلها والمحدث من باب الحقائق لا فعل له ولابد لها من امتثال الأمر فلا بد من ظهور الألف الذي هو الفاعل القديم فلما ظهر فعلت القدرة في الميم التسبيح فسبح كما أمر وقيل له الأعلى لأنه مع الباء في الأسفل وفي هذا المقام في الوسط ولا يسبح المسبح مثله ولا من هو دونه فلابد أن يكون المسبح أعلى ولو كنا في تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى لأظهرنا أسرارها فلا يزال في هذا المقام حتى يتنزه في نفسه فإن من ينزهه منزه فإنه منزه عن تنزيهه فلابد من هذا التنزيه أن يعود على المنزه ويكون هو الأعلى فإن الحق من باب الحقيقة لا يصح عليه الأعلى فإنه من أسماء الإضافة وضرب من وجوه المناسبة فليس بأعلى ولا أسفل ولا أوسط تنزه عن ذلك وتعالى علوّاً كبيراً بل نسبة الأعلى والأوسط والأسفل إليه نسبة واحدة فإذا تنزه خرج عن حد الأمر وخرق حجاب السمع وحصل المقام الأعلى فارتفع الميم بمشاهدة القديم فحصل له الثناء التام بتبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام فكمان الاسم عين المسمى كذلك العبد عين المولى من تواضع لله رفعه الله وفي الصحيح من الأخبار أن الحق يد العبد ورجله ولسانه وسمعه وبصره لو لم يقبل الخفض من الباء في باسم ما حصل له الرفع في النهاية في تبارك اسم ثم اعلم أن كل حرف من بسم مثلث على طبقات العوالم فاسم الباء باء وألف وهمزة واسم السين سين وياء ونون واسم الميم ميم وياء وميم والياء مثل الباء وهي حقيقة العبد في باب النداء فما أشرف هذا الموجود كيف انحصر في عابد ومعبود فهذا شرف مطلق لا يقابله ضد لأن ما سوى وجود الحق تعالى ووجود العبد عدم محض لا عين له ثم أنه سكن السين من بسم تحت ذل الافتقار والفاقة كسكوننا تحت طاعة الرسول لما قال من يطع الرسول فقد أطاع الله فسكنت السين من بسم لتتلقى من الباء الحق اليقين فلو تحركت قبل أن تسكن لاستبدت بنفسها وخيف عليها من الدعوى وهي سين مقدسة فسكنت فلما تلقت من الباء الحقيقة المطلوبة أعطيت الحركة فلم تتحرك في بعض المواطن إلا بعد ذهاب الياء إذ كان كلام التلميذ بحضور الشيخ في أمر مّا سوء أدب إلا أن يأمره فامتثال الأمر هو الأدب فقال عند مفارقة الباء يخاطب أهل الدعوى تائهاً بما حصل له في المقام الأعلى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون ثم تحرك لمن أطاعه بالرحمة واللين فقال "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين" يريد حضرة الباء فإن الجنة حضرة الرسول عليه السلام وكثيب الرؤية حضرة الحق فاصدق وسلم تكشف وتلحق فهذه الحضرة هي التي تنقله إلى الألف المرادة فكما أنه ينقلك الرسول إلى الله كذلك تنقلك حضرته التي هي الجنة إلى الكثيب الذي هو حضرة الحق ثم اعلم أن التنوين في بسم لتحقيق العبودة وإشارات التبعيض فلما ظهر منه التنوين اصطفاه الحق المبين بإضافة التشريف والتمكين فقال بسم الله فحذف التنوين العبدي لإضافته إلى المترل الإلهي ولما كان تنوين تخلق لهذا صح له هذا التحقق وإلا فالسكون أولى به فاعلم انتهى الجزء التاسع.

الجزء العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل قوله الله من بسم الله ينبغي لك أيها المسترشد أن تعرف أولاً ما تحصل في هذه الكلمة الكريمة من الحروف وحينئذ يقع الكلام عليها إن شاء الله وحروفها ا ل ل ا الله و فأول ما أقول كلاماً مجملاً مرموزاً ثم نأخذ في تبيينه ليسهل قبوله على عالم التركيب وذلك أن العبد تعلق بالألف تعلق من اضطروا لتجا ظهرته اللام الأولى ظهوراً ورثه الفوز من العدم والنجاة فلما صح ظهوره وانتشر في الوجود نوره وصح تعلقه بالسمي وبطل تخلقه بالأسماء أفنته اللام الثانية بشهود الألف التي بعدها فناء لم تبق منه باقية وذلك عسى ينكشف له المعمي ثم جاءت الواو بعد الهاء لتمكن المراد وبقيت الهاء لوجوده آخراً عند محو العباد من أجل العناد فذلك أوان الأجل المسمى وهذا هو المقام الذي تضمحل فيه أحوال السائرين وتنعدم فيه مقامات السالكين حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل لا غير يثبت لظهوره ولا ظلام يبقى لنوره فإن لم تكن تره أعرف حقيقة إن لم تكن تكن أنت إذ كانت التاء من الحروف الزوائد في الأفعال المضارعة للذوات وهي العبودية يقول بعض السادة وقد سمع عاطساً يقول الحمد لله فقال له ذلبك السيد أتمها كما قال الله رب العالمين فقال العاطس يا سيدنا ومن العالم حتى يذكر مع الله فقال له الآن قله يا أخي فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر وهذا هو مقام الوصلة وحال وله أهل الفناء عن أنفسهم وأما لو فني عن فنائه لما قال الحمد لله لأن في قوله الحمد أثبت العبد الذي هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم وبالثوب عند آخرين ولو قال رب العالمين لكان أرفع من المقام الذي كان فيه فذلك مقام الوارثين ولا مقام أعلى منه لأنه مشهود لا يتحرك معه لسان ولا يضطرب معه جنان أهل هذا المقام في أحوالهم فاغرة أفواههم استولت عليهم أنوار الذات وبدت عليهم رسول الصفات هم عرائس الله المخبأون عنده المحجوبون لديه الذين لا يعرفهم سواه كما لا يعرفون سواه توجهم بتاج البهاء وأكليل السناء وأقعدهم على منابر الفناء عن القرب في بساط الأنس ومناجاة الديمومية بلسان القيومية أورثم ذلك قوله على صلاتهم دائمون وبشهادتهم قائمون فلم تزل القوّة الإلهية تمدهم بالمشاهدة فيبرزون بالصفات في موضع القدمين فلا وله إلا من حيث الاقتداء ولا ذكر إلا إقامة سنة أو فرض لا يحيدون عن سواء السبيل فهم بالحق وإن خاطبوا الخلق وعاشروهم فليسوا معهم وإن رأوهم لم يروهم إذ لا يرون منهم إلا كونهم من جملة أفعال الله فهم يشاهدون الصنعة والصانع مقاماً عمرياً كما يقعد أحدكم مع نجار يصنع تابوتاً فيشاهد الصنعة والصانع ولا تحجبه الصنعة عن الصانع إلا أن شغل قلبه حسن الصنعة فإن الدنيا كما قال عليه السلام حلوة خضرة وهي من خضراء الدمن جارية حسناء في منبت سوء من أحسن إليها وأحبها أساءت إليه وحرمت عليه أخراه ولقد أحسن القائل:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

فهذه الطائفة الأمناء الصديقون إذا أيدهم الله بالقوة الإلهية وأمدهم فهم معه بهذه النسبة على وجه المثال وهذا أعلى مقام يرقى فيه

وأشرف غاية ينتهي إليها هذه الغاية القصوى إذ لا غاية إلا من حيث التوحيد لا من حيث الموارد والواردات وهو المستوى إذ لا استواء إلا الرفيق الأعلى فهنيئاً لهذه العصابة بما نالوه من حقائق المشاهدة وهنيئاً لنا على التصديق والتسليم لهم بالموافقة والمساعدة مرّ بنا جواد اللسان في حلبة الكلام فلنرجع إلى ما كنا بسبيله والسلام فأقول همزة هذا الاسم المحذوفة بالإضافة تحقيق اتصال الوحدانية وتمحيق انفصال الغيرة فالألف واللام الملصقة كما تقدم لتحقيق المتصل ومحق المنفصل والألف الموجودة في اللام الثانية لمحو آثار الغير المتحصل والواو التي بعد الهاء ليس لها في الخط أثر ومعناها في الوجود بهاء الهوية قد انتشر أبداها في عالم الملك بذاتها فقال "هو الله الذي لا إله إلا هو" فبدأ بالهوية وختم وملكها الأمر في الوجود والعدم وجعلها دالة على الحدوث والقدم وهو آخر ذكر الذاكرين وأعلاه فرجع العجز على الصدر فلاحت ليلة القدر ووقف بوجودها أهل العناية والتأييد على حقائق التوحيد فالوجود في نقطة دائرة هذا الاسم ساكن وقد اشتمل عليه بحقيقته اشتمال الأماكن على المتمكن الساكن ولله المثل الأعلى:

والله قد ضرب الأقل لنوره	مثلاً من المشكاة والنبراس

فقال تعالى "والله بكل شيء محيط" "أحاط بكل شيء علما" وصير الكل اسماً ومسمى وأرسله مكشوفاً ومعمى "حل المقفل وتفصيل المجمل يقول العبد الله فيثبت أولاً وآخراً وينفي باللامين باطناً وظاهراً لزمت اللام الثانية الهاء بوساطة الألف العلمية ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم الثلاثة اللام ولا خمسة إلا هو سادسهم فالألف سادس في حق الهاء رابع في حق اللام "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل" العرش ظل الله العرش اللام الثانية وما حواه اللام الأولى بطريق الملك واللامان هما الظاهر والباطن من باب الأسماء ظهرتا بين ألف الأول وألف الآخر وهو مقام الاتصال لأن النهاية تنعطف على البداية وتتصل بها اتصال اتحاد ثم خرجت الهاء بواوها الباطنة مخرج الانفصال والجزء المتصل بين اللام والهاء هو السر الذي به تقع المشاهدة بين العبد والسيد وذلك مركز الألف العلمية وهو مقام الاضمحلال ثم جعل تعالى في الخط المتصل جزأ بين اللاميت للاتصال بين اللام الأولى التي هي عالم الملك وبين اللام الثانية التي هي عالم الملكوت وهو مركز العالم الأوسط عالم الجبروت مقام النفس ولابد من خطوط فارغة بين كل حرفين فتلك مقامات فناء رسول السالكين من حضرة إلى حضرة تتميم الألف الأولى التي هي ألف الهمزة منقطعة واللام الثانية ألفها متصل بها قطعت الألف في أوائل الخطوط لقوله عليه السلام "كان الله ولا شيء معه" فلهذا قطعت وتتره من الحروف من أشبهها في عدم الاتصال بما بعدها والحروف التي أشبهتها على عدد الحقائق العامة العالية التي هي الأمهات وكذلك إذا كانت آخر الحروف تقطع الاتصال من البعدية الرقمية فكان انقطاع الألف تنبيهاً لما ذكرناه وكذلك أخوته فالألف للحق وأشباه الألف للخلق وذلك د ذ ر ز و في جميع الحقائق جسم متغذ حساس ناطق وما عداه ممن له لغة وانحصرت حقائق العالم الكلية فلما أراد وجود اللام الثانية وهي أول موجود في المعنى وإن تأخرت في الخط فإن معرفة الجسم تتقدم على معرفة الروح شاهداً وكذلك الخط شاهداً وهي عالم الملكوت أوجدها بقدرته وهي الهمزة التي في الاسم إذا ابتدأت به معرى من الإضافة وهي لا تفارق الألف فلما أوجدت هذه الألف اللام الثانية جعلها رئيسة فطلبت مرؤساً تكون عليه بالطبع فأوجد لها عالم الشهادة الذي هو اللام الأولى فلما نظرت إليه أشرق وأنار وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وهو الجزء الذي بين اللامين أمر سبحانه اللام الثانية أن تمد الأولى بما أمدها به تعالى من جود ذاته وأن تكون دليلها إليه فطلبت منه معنى تصرفه في جميع أمورها يكون لها كالوزير فتلقى إليه ما تريده فيلقيه على

عالم اللام الأولى فأوجد لها الجزء المتصل باللامين المعبر عنه بالكتاب الأوسط وهو العالم الجبروتي وليست له ذات قائمة مثل اللامين فإنه بمنزلة عالم الخيال عندنا فألقت اللام الثانية إلى ذلك الجزء وارتقم فيه ما أريد منها ووجهت به إلى اللام الأولى فامتثلت الطاعة حتى قالت بلى فلما رأت اللام الأولى الأمر قد أتاها من قبل اللام الثانية بوساطة الجزء الذي هو الشرع صارت مشاهدة لما يرد عليها من ذلك الجزء راغبة له في أن يوصلها إلى صاحب الأمر لتشاهده فلما صرفت الهمة إلى ذلك الجزء واشتغلت بمشاهدته احتجبت عن الألف اتلتي تقدمتها ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ولو لم تصرف الهمة إلى ذلك الجزء واشتغلت بمشاهدته احتجبت عن الألف التي تقدمتها ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ولو لم تصرف الهمة إلى ذلك الجزء لتلقت الأمر من الألف الأولى بلا واسطة ولكن لا يمكن لسر عظيم فإنها ألف الذات والثانية ألف العلم إشارة ألا ترى أن اللام الثانية لما كانت مرادة مجتباة منزهة عن الوسائط كيف اتصلت بألف الوحدانية اتصالاً شافياً حتى صار وجودها نطقاً يدل على الألف دلالة صحيحة وإن كانت الذات خفيت فإن لفظك باللام يحقق الاتصال ويدلك عليها من عرف نفسه عرف ربه من عرف اللام الثانية عرف الألف فجعل نفسك دليلاً عليك ثم جعل كونك دليلاً عليك دليلاً عليه في حق من بعد وقدم معرفة العبد بنفسه على معرفته بربه ثم بعد ذلك يفنيه عن معرفته بنفسه لما كان المراد منه أن يعرف ربه ألا ترى تعانق اللام الألف وكيف يوجد اللام في النطق قبل الألف وفي هذا تنبيه لمن أدرك فهذه اللام الملكوتية تتلقى من ألف الوحدانية بغير واسطة

فتورده على الجزء الجبروتي ليؤدّيه إلى لام الشهادة والملك هكذا الأمر مادام التركيب والحجاب فلما حصلت الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية أراد تعالى كما قدم الألف منزهة عن الاتصال من كل الوجوه بالحروف أراد أن يجعل الانتهاء نظير الابتداء فلا يصح بقاء للعبد أولاً وآخراً فأوجد الهاء مفردة بواو هويتها فإن توهم متوهم أ، الهاء ملصقة إلى اللام فليست كذلك وإنما هي بعد الألف التي بعد اللام والألف لا يتصل بها في البعدية شيء من الحروف فالهاء بعد اللام مقطوعة عن كل شيء فذلك الاتصال باللام في الخط ليس باتصال فالهاء واحدة والألف واحدة فاضرب الواحد في مثله يكن واحداً فصح انفصال الخلق عن الحق فبقي الحق وإذا صح تخلق اللام الملكية لما تورده عليها لام الملكوت فلا تزال تضمحل عن صفاتها وتفني عن رسومها إلى أن تحصل في مقام الفناء عن نفسها فإذا فنيت عن ذاتها فني الجزء لفنائها واتحدت اللامان لفظاً ينطق بها اللسان مشددة للإدغام الذي حدث فصارت موجودة بين ألفين اشتملا عليها وأحاطا بها فاعطتنا الحكمة الموهوبة لما سمعنا لفظ الناطق بلا بين ألفين علمنا علم الضرورة أن المحدث فني بظهور القديم فبقي ألفان أولى وأخرى وزال الظاهر والباطن بزوال اللامين بكلمة النفي فضربنا الألف في الألف ضرب الواحد في الواحد فخرجت لك الهاء فلما ظهرت زال حكم الأول والآخر الذي جعلته الواسطة كما زال حكم الظاهر والباطن فقيل عند ذلك "كان الله ولا شيء معه" ثم أصل هذا الضمير الذي هو الهاء الرفع ولابد فإن انفتح أو انخفض فتلك صفة تعود على من فتحه أو خفضه فهي عائدة على العامل الذي قبل في اللفظ تكملة ثم أوجد سبحانه الحركات والحروف والمخارج تنبيهاً منه سبحانه وتعالى أن الذوات تتميز بالصفات والمقامات فجعل الحركات نظير الصفات وجعل الحروف نظير الموصوف وجعل المخارج نظير المقامات والمعارج فأعطى لهذا الاسم من الحروف على عموم وجوهه من وصل وقطع ء ا ل ه وهمزة وألفاً ولاماً وهاء وواواً فالهمزة أولاً والهاء آخراً ومخرجهما واحد ممايلي القلب ثم جعل بين الهمزة والهاء حرف اللام ومخرجه اللسان ترجمان القلب فوقعت النسبة بين اللامين والهمزة والهاء كما وقعت النسبة بين القلب الذي هو محل الكلام وبين اللسان المترجم عنه قال الأخطل:

فلما كانت اللام من اللسان جعلها تنظر إليه لا إلى نفسها فأفناها عنها وهي الحنك اشتداد التمكن علوها وارتفاعها بمشاهدته وخرجت الواو من الشفتين إلى الوجود الظاهر مخبرة دالة عليه وذلك مقام باطن النبوة وهي الشعرة التي فينا من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يكون الورث فخرج من هذا الوصل أن الهمزة والألف والهاء من عالم الملكوت واللام من عالم الجبروت والواو من عالم الملك وصل قوله الرحمن من البسملة الكلام على هذا الاسم في هذا الباب من وجهين من وجه الذات ومن وجه الصفة فمن أعربه بدلاً جعله ذاتاً ومن أعربه نعتاً جعله صفة والصفات ست ومن شرط هذه الصفات الحياة فظهرت السبعة وجميع هذه الصفات للذات وهي الألف الموجودة بين الميم والنون من الرحمن ويتركب الكلام على هذا الاسم من الخبر الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورته من حيث إعادة الضمير على الله ويؤيد هذا النظر الرواية الأخرى وهي قوله عليه السلام على صورة الرحمن وهذه الرواية وإن لم تصح من طريق أهل النقل فهي صحيحة من طريق الكشف فأقول أن الألف واللام والراء للعلم والإرادة والقدرة والحاء والميم والنون مدلول الكلام والسمع والبصر وصفة الشرط التي هي الحياة مستصحبة لجميع هذه الصفات ثم الألف التي بين الميم والنون مدلول الموصوف وإنما حذفت خطاً لدلالة الصفات عليها دلالة ضرورية من حيث قيام الصفة بالموصوف فتجلت للعالم الصفات ولذلك لم يعرفوا من الإله غيرها ولا يعرفونها ثم الذي يدل على وجود الألف ولابد ما ذكرناه وزيادة وهي إشباع فتحة الميم وذلك إشارة إلهية إلى بسط الرحمة على العالم فلا يكون أبداً ما قبل الألف إلا مفتوحاً فتدل الفتحة على الألف في مثل هذا الموطن وهو محل وجود الروح الذي له مقام البسط لمحل التجلي وهذا ذكر أهل عالم التركيب في وضع الخطوط في حروف العلة الياء المكسور ما قبلها إذ قد توجد الياء الصحيحة ولا كسر قبلها وكذلك الواو المضموم ما قبلها ولما ذكروا الألف لم يقولوا المفتوح ما قبلها إذ لا توجد إلا والفتح في الحرف الذي قبلها بخلاف الواو والياء فالاعتدال للألف لازم أبداً فالجاهل إذا لم يعلم في الوجود منزها عن جميع النقائص إلا الله تعالى نسي الروح القدسي الأعلى فقال ما في الوجود إلا الله فلما سئل في التفصيل لم يوجد لديه تحصيل وإنما خصصوا الواو بالمضموم ما قبلها والياء بالمكسور ما قبلها لما ذكرناه فصحت المفارقة بين الألف وبين الواو والياء فالألف للذات والواو العلية للصفات والياء العلية للأفعال وهو الخفض فإن انفتح ما قبل الواو والياء فذلك راجع إلى حال المخاطب ولما كانتا غيراً ولابد اختلفت عليهما الصفات الذات علة لوجود الصفة وواو الصفة علة لوجود الفعل وياء الفعل علة لوجود ما يصدر عنه في عالم الشهادة من حركة وسكون فلهذا سميت عللاً ثم أوجد النون من هذا الاسم نصف دائرة في الشكل والنصف الآخر محصور معقول في النقطة التي تدل على النون الغيبية الذي هو نصف الدائرة ويحسب الناس النقطة أنها دليل على النون المحسوسة ثم أوجد مقدم الحاء ممايلي الألف المحذوفة في الرقم إشارة إلى مشاهدتها ولذلك سكنت ولو كان مقدمها إلى الراء لتحركت فالألف الأولى للعلم واللام للأرادة والراء للقدرة وهي صفة الإيجاد فوجدنا الألف لها الحركة من كونها همزة والراء لها الحركة واللام ساكنة فاتحدت الإرادة بالقدرة كما اتحد العلم والإرادة بالقدرة إذا وصلت الرحمن بالله فأدغمت لام الإرادة في راء القدرة بعد ما قلبت راء وشدت لتحقيق الإيجاد الذي هو الحاء وجود الكلمة ساكنة وإنما سكنت لأنها لا تنقسم والحركة منقسمة فلما كانت الحاء ساكنة سكوناً حسياً ورأيناها مجاورة الراء راء القدرة عرفنا أنها الكلمة وتثمينها تنبيه

أشار من أعربه بدلاىً من قوله الله إلى مقام الجمع واتحاد الصفات وهو مقام من روى خلق آدم على صورته وذلك وجود العبد في مقام الحق حد الخلافة والخلافة تستدعي الملك بالضرورة والملك ينقسم قسمين قسم راجع لذاته وقسم راجع لغيره من الواحد من الأقسام يصلح في هذا المقام على حد ما رتبناه فإن البدل في الموضع يحل محل البدل منه مثل قولنا جاءني أخوك زيد فزيد بدل من أخيك بدل الشيء من الشيء وهما العين واحدة فإن زيداً هو أخوك وأخاك هو زيد بلا شك وهذا

مقام من اعتقد خلافه فما وقف على حقيقة ولا وجد قط موجده وأما من أعربه نعتاً فإنه أشار إلى مقام التفرقة في الصفة وهو مقام من روى خلق آدم على صورة الرحمن وهذا مقام الوراثة ولا تقع إلا بين غيرين مقام الحجاب بمغيب الواحد وظهور الثاني وهو المعبر عنه بالمثل وفيما قررنا دليل على ما أضمرنا فافهم ثم أظهر من النون الشطر الأسفل وهو الشطر الظاهر لنا من الفلك الدائر من نصف الدائرة ومركز العالم في الوسط من الخط الذي يمتد من طرف الشطر إلى الطرف الثاني والشطر الثاني المستور في النقطة هو الشطر الغائب عنا من تحت نقيض الخط بالإضافة إلينا إذ كانت رؤيتنا من حيث الفعل في جهة فالشطر الموجود في الخط هو المشرق والشطر المجموع في النقطة هو المغرب وهو مطلع وجود الأسرار فالمشرق وهو الظاهر المركب ينقسم والمغرب وهو الباطن البسيط لا ينقسم وفيه أقول:

عجباً للظاهر ينقسم ولباطنه لا ينقسم
فالظاهر شمس في حمل والباطن في أسد جلم
حقق وانظر معنى سترت من تحت كنائفها الظلم
إن كان خفي هو ذاك بدا عجباً والله هما القسم
فافزع للشمس ودع قمراً في الوتر يلوح وينعدم
واخلع نعلي قدمي كوني علمي شفع يكن الكلم

ولذلك يتعلق العلم بالمعلومات والإرادة الواحدة بالمرادات والقدرة الواحدة بالمقدورات فتقع القسمة والتعداد في المقدورات والمعلومات والمرادات وهو الشطر الموجود في الرقم ويقع الاتحاد والتنزه عن الأوصاف الباطنية من علم وقدرة وإرادة وفي هذا إشارة فافهم ولما كانت الحاء ثمانية وهو وجود كمال الذات ولذلك عبرنا عنه بالكلمة والروح فكذلك النون خامسة في العشرات إذ يتقدمها الميم الذي هو رابع فالنون جسماني محل إيجاد مواد الروح والعقل والنفس ووجود الفعل وهذا كله مستودع في النون وهي كلية الإنسان الظاهرة ولهذا ظهرت تتمة وإنما فصل بين الميم والنون بالألف مان إذ الميم ملكوتية لما جعلناها للروح والنون ملكية والنقطة جبروتية لوجود سر سلب الدعوى كأنه يقول أي يا روح الذي هو الميم لم نصطفك من حيث أنت لكن عناية سبقت لك في وجود علمي ولو شئت لاطلعت على نقطة العقل ونون الإنسانية دون واسطة وجودك فاعرف نفسك واعلم أن هذا اختصاص بك مني من حيث أنا لا من حيث أنت فصحت الاصطفائية فلا تجلى لغيره أبداً فالحمد لله على ما أولى فتنبه يا مسكين في وجود الميم دائرة على صورة الجسم مع التقدم كيف أشار به إلى التنزه عن الانقسام وانقسام الدائرة لا يتناهى فانقسام روح الميم بمعلوماته لا يتناهى وهو في ذاته لا ينقسم ثم انظر الميم إذا انفصل وحده كيف ظهرت منه مادة التعريق لما نزل إلى وجود الفعل في عالم الخطاب

والتكليف فصارت المادة في حق الغير لا في حق نفسه إذ الدائرة تدل عليه خاصة فما زاد فليس في حقه إذ قد ثبتت ذاته فلم يبق إلا أن يكون في حق غيره فلما نظر العبد إلى المادة مد تعريقاً وهذا هو وجود التحقيق ثم اعلم أن الجزء المتصل بين الميم والنون هو مركز ألف الذات وخفيت الألف ليقع الاتصال بين الميم والنون بطريق المادة وهو الجزء المتصل ولو ظهرت الألف لما صح التعريق للميم لأن الألف حالت بينهما وفي هذا تنبيه على قوله "رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن" وجود الألف المرادة هذا على من أعربه مبتدأ ولا يصح من طريق التركيب والصحيح أن يعرب بدلاً من الرب فتبقى الألف هنا عبارة عن الروح والحق قائم بالجميع والميم السموات والنون الأرض وإذا ظهرت الألف بين الميم والنون فإن الاتصال بالميم لا بالنون فلا تأخذ النون صفة أبداً من غير واسطة لقطعها ودل اتصالها بالميم على الأخذ بلا واسطة والعدم الذي صح به القطع فيه يفنى النون ويبقى الميم محجوباً عن سر قدمه بالنقطة التي في وسطه التي هي جوف دائته بالنظر إلى ذاته بعد أن لم تكن فيما ظهر له سؤال وجوابه قيل فكيف عرفت سر قدمه و لم يعرفه هو وهو أحق بمعرفة نفسه منك إن نظرت إلى ظاهرك أو هل العالم بسر القدم فيه هو المعنى الموجود فيك المتكلم فيه وهو ميم الروح فقد وقف على سر قدمه الجواب عن ذلك أن الذي علم منا سر القدم هو الذي حجبناه هناك فمن الوجه الذي أثبتنا له العلم غير الوجه الذي أثبتنا له منه عدم العلم ونقول إنما حصل له ذلك علماً لا عيناً وهذا موجود فليس من شرط من علم شيأ أن يراه والرؤية للمعلوم أتم من العلم به من وجه وأوضح في المعرفة به فكل عين علم وليس كل علم عيناً إذ ليس من شرط من علم أن ثم مكة رآها وإذا رآها قطعنا أنه يعلمها ولا أريد الاسم فللعين درجة على العلم معلومة كما قيل:

ولكن للعيان لطيف معنى ... لذا سأل المعاينة الكليم

بل أقول أن حقيقة سر القدم الذي هو حق اليقين لأنه لا يعاين فلم يشاهده لرجوعه لذات موجده ولو علم ذات موجده لكان نقصاً في حقه فغاية كماله في معرفة نفسه بوجودها بعد أن لم تكن عيناً هذا فصل عجيب أن تدبرته قوفت على عجائب فافهم تكملة اتصلت اللام بالراء اتصال اتحاد نطقاً من حيث كونهما صفتين باطنتين فسهل عليهما الاتحاد ووجدت الحاء التي هي الكلمة المعبر عنها بالمقدور للراء منفصلة عن الراء التي هي القدرة ليتميز المقدور من القدرة ولئلا نتوهم الحاء المقدورة أنها صفة ذات القدرة فوقع الفرق بين القديم والمحدث فافهم يرحمك الله ثم لتعلم أن رحمن هو الاسم وهو للذات والألف واللام اللذان للتعريف هما الصفات ولذلك يقال رحمان مع زوالهما كما يقال ذات ولا تسمى صفة معهما انظر في اسم مسيلمة الكذاب تسمى برحمان و لم يهد إلى الألف واللام لأن الذات محل الدعوى عند كل أحد وبالصفات يفتضح المدعي فرحمان مقام الجمع وهو مقام الجهل أشرف ما يرتقي إليه في طريق الله الجهل به تعالى ومعرفته الجهل به فإنها حقيقة العبودية قال تعالى "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه" فجردك ومما يؤيد هذا قوله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقوله "الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته" فبحقيقة الاستخلاف سلب مسيلمة وإبليس والدجال وكان من حالهم ما علم فلو استحقوه ذاتاً ما سلبوه البتة ولكن إن نظرت بعين التنقيذ والقبول الكلي لا بعين الأمر وجدت المخالف طائعاً والمعوج مستقيماً والكل داخل في الرق شاؤا أم أبوا فأما إبليس ومسيلمة فصرحا بالعبودية والدجال أبى فتأمل من أين تكلم كل واحد منهم وما الحقائق التي لاحت لهم حتى أوجبت لهم هذه الأحوال تتمة لما نطقنا بقوله بسم الله الرحمن الرحيم لم يظهر للألف واللام وجود فصار الاتصال من الذات للذات والله والرحمن اسمان للذات

فرجع على نفسه بنفسه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك لما انتهى إلى الذات لم ير غيرا وقد قال أعوذ بك ولا بد من مستعاذ منه فكشف له عنه فقال منك ومنك هو والدليل عليه أعوذ ولا يصح أن يفصل فإنه في الذات ولا يجوز التفصيل فيها فتبين من هذا أن كلمة الله هي العبد فكما أن لفظة الله للذات دليل كذلك العبد الجامع الكلي فالعبد هو كلمة الجلالة قال بعض المحققين في حال ما أنا الله وقالها أيضاً بعض الصوفية من مقامين مختلين وشتان بين مقام المعنى ومقام الحرف الذي وجد له فقابل تعالى الحرف بالحرف أعوذ برضاك من سخطك وقابل المعنى بالمعنى وأعوذ بك منك وهذا غاية المعرفة.

"خاتمة" ولعلك تفرق بين الله وبين الرحمن لما تعرض لك في القرآن قوله تعالى اعبدوا الله و لم يقولوا وما الله ولما قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ولهذا كان النعت أولى من البدل عند قوم وعند آخرين البدل أولى لقوله تعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" فجعلها للذات و لم تنكر العرب كلمة الله فإنهم القائلون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فعلموه ولما كان الرحمن يعطي الاشتقاق من الرحمة وهي صفة موجودة فيهم خافوا أن يكون المعبود الذي يدلهم عليه من جنسهم فأنكروا وقالوا وما الرحمن لما لم يكن من شرط كل كلام أن يفهم معناه ولهذا قال "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن" لما كان اللفظان راجعين إلى ذات واحدة وذلك حقيقة العبد والباري متره عن إدراك التوهم والعلم المحيط به جل عن ذلك وصل في قوله الرحيم من البسملة الرحيم صفة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى "بالمؤمنين رؤوف رحيم" وبه كمال الوجود وبالرحيم تمت البسملة وبتمامها تم العالم خلقاً وإبداعاً وكان عليه السلام مبتدأ وجود العالم عقلاً ونفساً متى كنت نبياً قال وآدم بين الماء والطين فبه بدئ الوجود باطناً وبه ختم المقام ظاهراً في عالم التخطيط فقال لا رسول بعدي ولا نبي فالرحيم هو محمد صلى الله عليه وسلم وبسم هو أبونا آدم وأعني في مقام ابتداء الأمر ونهايته وذلك أن آدم عليه السلام هو حامل الأسماء قال تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها" ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل معاني تلك الأسماء التي حملها آدم عليهما السلام وهي الكلم قال صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم ومن أثنى على نفسه أمكن وأتم ممن أثني عليه كيحيى وعيسى عليهما السلام ومن حصل له الذات فالأسماء تحت حكمه وليس من حصل الأسماء أن يكون المسمى محصلاً عنده وبهذا فضلت الصحابة علينا فإنهم حصلوا الذات وحصلنا الاسم ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الأجر ولحسرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان تضعيف على تضعيف فنحن الإخوان وهم الأصحاب وهو صلى الله عليه وسلم إلينا بالأشواق وما أفرحه بلقاء واحد منا وكيف لا يفرح وقد ورد عليه من كان بالأشواق إليه فهل تقاس كرامته به وبره وتحفيه وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه لا من أعيانهم لكن من أمثالهم فذلك قوله بل منكم فجدوا واجتهدوا حتى يعرفوا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً لو أدركوه ما سبقوهم إليه ومن هنا تقع المجازاة والله المستعان تنبيه ثم لتعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم أربعة ألفاظ لها أربعة معان فتلك ثمانية وهم حملة العرش المحيط وهم من العرش وهناهم الحملة من وجه والعرش من وجه فانظر واستخرج من ذاتك لذاتك تنبيه ثم وجدنا ميم بسم الذي هو آدم عليه السلام معرقاً ووجدنا ميم الرحيم معرقاً الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً فعلمنا أن مادة ميم آدم عليه السلام لوجود عالم التركيب إذ لم يكن مبعوثاً وعلمنا أن مادة ميم محمد صلى الله عليه وسلم لوجود الخطاب عموماً كما كان آدم عندنا عموماً فلهذا امتدا إنباه قال سيدنا الذي لا ينطق عن الهوى إن صلحت أمتي فلها يوم وإن فسدت فلها نصف يوم واليوم رباني فإن أيام الرب كل يوم من ألف سنة مما نعد بخلاف أيام الله وأيام ذي المعارج فإن هذه الأيام أكبر فلكاً من أيام الرب وسيأتي إن شاء الله ذكرها في داخل الكتاب في معرفة الأزمان

وصلاح الأمّة بنظرها إليه صلى الله عليه وسلم وفسادها بإعراضها عنه فوجدنا بسم الله الرحمن الرحيم يتضمن ألف معنى كل معنى لا يحصل إلا بعد انقضاء حول ولابد من حصول هذه المعاني التي تضمنها بسم الله الرحمن الرحيم لأنه ما ظهر إلا ليعطي معناه فلابد من كمال ألف سنة لهذه الأمة وهي في أول دورة الميزان ومدتها ستة آلاف سنة روحانية محققة ولهذا ظهر فيها من العلوم الإلهية ما لم يظهر في غيرها من الأمم فإن الدورة التي انقضت كانت ترابية فغاية علمهم بالطبائع والإلهيون فيهم غرباء قليلون جداً يكاد لا يظهر لهم عين ثم أن المتأله منهم ممتزج بالطبيعة ولا بد والمتأله منا صرف خالص لا سبيل لحكم الطبع عليه مفتاح ثم وجدنا في الله وفي الرحمن ألفين ألف الذات وألف العلم ألف الذات خفية وألف العلم ظاهرة لتجلي الصفة على العالم ثم أيضاً خفيت في الله و لم تظهر لرفع الالتباس في

الخط بين الله واللاه ووجدنا في بسم الذي هو آدم عليه السلام ألفاً واحدة خفيت لظهور الباء ووجدنا في الرحيم الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم ألفاً واحدة ظاهرة وهي ألف العلم ونفس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذات فخفيت في آدم عليه السلام الألف لأنه لم يكن مرسلاً إلى أحد فلم يحتج إلى ظهور الصفة وظهرت في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكونه مرسلاً فطلب التأييد فأعطى الألف فظهر بها ثم وجدنا الباء من بسم قد عملت في ميم الرحيم فكان عمل آدم في محمد صلى الله عليه وسلم وجود التركيب وفي الله عمل سبب داع وفي الرحمن عمل بسبب مدعو ولما رأينا أن النهاية أشرف من البداية قلنا من عرف نفسه عرف ربه والاسم سلم إلى المسمى ولما علمنا أن روح الرحيم عمل في روح بسم لكونه نبياً وآدم بين الماء والطين ولولا همَّاماً كان سمى آدم علمنا أن بسم هو الرحيم إذ لا يعمل شيء إلا من نفسه لا من غيره فانعدمت النهاية والبداية والشرك والتوحيد وظهر عز الاتحاد وسلطانه فمحمد للجمع وآدم للتفريق إيضاح الدليل على أن الألف في قوله الرحيم ألف العلم قوله "ولا خمسة إلا هو سادسهم" وفي ألف باسم "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" فالألف الألف ولا أدنى من ذلك باطن التوحيد ولا أكثر يريد ظاهره ثم خفيت الألف في آدم من باسم لأنه أول موجود و لم يكن له منازع يدعى مقامه.

فدل بذاته من أول وهلة على وجود موجده لما كان مفتتح وجودنا وذلك لما نظر في وجوده تعرض له أمران هل أوجده موجود لا أول له أو هل أوجد هو نفسه ومحال أن يوجد هو نفسه لأنه لا يخلو أن يوجد نفسه وهو موجود أو يوجدها وهو معدوم فإن كان موجوداً فما الذي أوجد وإن كان معدوماً فكيف يصح منه إيجاد وهو عدم فلم يبق إلا أن يوجده غيره وهو الألف ولذلك كانت السين ساكنة وهو العدم والميم متحركة وهو أوان الإيجاب فلما دل عليه من أول وهلة خفيت الألف لقوّة الدلالة وظهرت في الرحيم لضعف الدلالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لوجود المنازع فأيده بالألف فصار الرحيم محمداً والألف منه الحق المؤيد له من اسمه الظاهر.

قال تعالى "فأصبحوا ظاهرين" فقال قولوا لا إله إلا الله وإني رسوله فمن آمن بلفظه لم يخرج من رق الشرك وهو من أهل الجنة ومن آمن بمعناه انتظم في سلك التوحيد فصحت له الجنة الثامنة وكان ممن آمن بنفسه فلم يكن في ميزان غيره إذ قد وقعت السوية واتحدت الاصطفائية جمعاً واختلفت رسالة ووجدنا بسم ذا نقطة والرحمن كذلك والرحيم ذا نقطتين والله مصمت فلم توجد في الله لما كان الذات ووجدت فيما بقي لكونهم محل الصفات فاتحدت في بسم آدم لكونه فردا غير مرسل واتحدت في الرحمن لأنه آدم وهو المستوى على عرش الكائنات المركبات وبقي الكلام على نقطتي الرحيم مع ظهور الألف فالياء الليالي العشر والنقطتان الشفع

والألف الوتر والاسم بكليته والفجر ومعناه الباطن الجبروتي والليل إذا يسري وهو الغيب الملكوتي وترتيب النقطتين الواحدة مما تلي الميم والثانية مما تلي الألف والميم وجود العالم الذي بعث إليهم والنقطة التي تليه أبو بكر رضي الله عنه والنقطة التي تلي الألف محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقببت الياء عليهما كالغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فإنه واقف مع صدقه ومحمد عليه السلام واقف مع الحق في الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت فهو الحكيم كفعله يوم بدر في الدعاء والإلحاح وأبو بكر عن ذلك صاح فإن الحكيم يوفي المواطن حقها ولما لم يصح اجتماع صادقين معاً لذلك لم يقم أبو بكر في حال النبي صلى الله عليه وسلم وثبت مع صدقه به فلو فقد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموطن وحضره أبو بكر لقام في ذلك المقام الذي أقيم فيه رسول الله عليه السلام لأنه ليس ثم أعلى منه يحجبه عن ذلك فهو صادق ذلك الوقت وحكيمه وما سواه تحت حكمه فلما نظرت نقطة أبي بكر إلى الطالبين أسف عليه فأظهر الشدة وغلب الصدق وقال لا تحزن لأثر ذلك الأسف إن الله معنا كما أخبرتنا وإن جعل منازع أن محمداً هو القائل لم تبال لما كان مقامه صلى الله عليه وسلم الجمع والتفرقة معاً وعلم من أبي بكر الأسف ونظر إلى الألف فتأيد وعلم أن أمره مستمرّ إلى يوم القيامة قال لا تحزن إن الله معنا وهذا أشرف مقام ينتهي إليه تقدم الله عليك ما رأيت شيأ إلا رأيت الله قبله شهود بكري وراثة محمدية وخاطب الناس بمن عرف نفسه عرف ربه وهو قوله تعالى يخبر عن ربه تعالى "كلا إن معي ربي سيهدين" والمقالة عندنا إنما كانت لأبي بكر رضي الله عنه ويريدنا قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً فالنبيّ صلى الله عليه وسلم ليس بمصاحب وبعضهم أصحاب بعض وهم له أنصار وأعوان فافهم إشارتنا تهد إلى سواء السبيل لطيفة النقطتان الرحيمية موضع القدمين وهو أحد خلع النعلين الأمر والنهي والألف الليلة المباركة وهي غيب محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم فرق فيه إلى الأمر والنهي وهو قوله "فيها يفرق كل أمر حكيم" وهو الكرسي والحاء العرش والميم ما حواه والألف حد المستوى والراء صريف القلم والنون الدواة التي في اللام فكتب ما كان وما يكون في قرطاس لوح الرحيم وهو اللوح المحفوظ المعبر عنه بكل شيء في الكتاب العزيز من باب الإشارة والتنبيه قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء وهو اللوح المحفوظ موعظة الكلم موعظة وتفصيلاً وهما نقطتا الأمر والنهي لكل شيء غيب محمد الألف المشار إليه بالليلة المباركة فالألف للعلم وهو المستوى واللام للإرادة وهو النون أعني الدواة والراء للقدرة وهو القلم والحاء للعرش والياء للكرسي ورأس الميم للسماء وتعريقه للأرض فهذه سبعة أنجم نجم منها يسبح في فلك الجسم ونجم في فلك النفس الناطقة ونجم في فلك سر النفس وهو الصديقية ونجم في فلك القلب ونجم في فلك العقل ونجم في فلك الروح فحل ما قفلنا وفيما قررنامفتاح لما أضمرنا فاطلب تجد إن شاء الله فبسم الله الرحمن الرحيم وإن تعدد فهو واحد إذا حقق من وجه ما "وصل في أرار أمّ القرآن من طريق خاص" وهي فاتحة الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم والكافية والبسملة آية منها وهي تتضمن الرب والعبد ولنا في تقسيمها قريض منه:

للنيرين طلوع بالفؤاد فما ... في سورة الحمد يبدو ثالث لهما
فالبدر محو وشمس الذات مشرقة ... لولا الشروق لقد ألفيته عدما

هذي النجوم بافق الشرق طالعة ... والبدر للمغرب العقلي قد لزما

فإن تبدى فلا نجم ولا قمر يلوح في الفلك العلويّ مرتسما

فهي فاتحة الكتاب لأن الكتاب عبارة من باب الإشارة عن المبدع الأول فالكتاب يتضمن الفاتحة وغيرها لأنها منه وإنما صح لها اسم الفاتحة من حيث أنها أول ما افتتح بها كتاب الوجود وهي عبارة عن المثل المتره في "ليس كمثله شيء" بأن تكون الكاف عين الصفة فلما أوجد المثل الذي هو الفاتحة أوجد بعده الكتاب وجعله مفتاحاً له فتأمل وهي أم القرآن لأن الأمّ محل الإيجاد والموجود فيها هو القرآن والموجد الفاعل في الأمّ فالإمّ هي الجامعة الكلية وهي أمّ الكتاب الذي عنده في قوله تعالى "وعنده أمّ الكتاب" فانظر عيسى ومريم عليهما السلام وفاعل الإيجاد يخرج لك عكس ما بدا لحسك فالأمّ عيسى والابن الذي هو الكتاب العندي أو القرآن مريم عليها السلام فافهم وكذلك الروح ازدوج مع النفس بواسطة العقل فصارت النفس محل الإيجاد حسا والروح ما أتاها الأمن النفس فالنفس الأب فهذه النفس هو الكتاب المرقوم لنفوذ الخط فظهر في الابن ما خط القلم في الأمّ وهو القرآن الخارج على عالم الشهادة والأمّ أيضاً عبارة عن وجود المثل محل الأسرار فهو الرق المنشور الذي أودع فيه الكتاب المسطور المودعة فيه تلك الأسرار الإلهية فالكتاب هنا أعلى من الفاتحة إذ الفاتحة دليل الكتاب ومدلولها وشرف الدليل بحسب ما يدل عليه أرأيت لو كان مفتاحاً لضدّ الكتاب المعلوم إن لو فرض له ضد حقر الدليل لحقارة المدلول ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يسافر بالمصحف إلى أرض العدو لدلالة تلك الحروف على كلام الله تعالى إذ قد سماها الحق كلام الله والحروف الذي فيه أمثالها وأمثال الكلمات إذا لم يقصد بها الدلالة على كلام الله يسافر بها إلى أرض العدو ويدخل بها مواضع النجاسات وأشباهها والكشف وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الصفات ظهرت في الوجود في واحد وواحد فحضرة تفرد وحضرة تجمع فمن البسملة إلى الدين إفراد وكذلك من اهدنا إلى الضالين وقوله إياك نعبد وإياك نستعين تشمل قال الله تعالى "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل" فلك السؤال ومنه العطاء كما أن له السؤال بالأمر والنهي ولك الامتثال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى علي عبدي يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي ومرة قال فوّض إليّ عبدي هذا إفراد إلاهي وفي رواية يقول العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي ثم قال يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فما هي العطاء وإياك في الموضعين ملحق بالإفراد الإلهي يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي هذا هو الإفراد العبدي المألوه ولعبدي ما سأل مألوه ما إلهاً فلم تبق إلا حضرتان فصح المثاني فظهرت في الحق وجوداً وفي العبد الكلي إيجاداً فوصف نفسه بها ولا موجود سواه في العماء ثم وصف بها عبده حين استخلفه ولذلك خرّوا له ساجدين لتمكن الصورة ووقع الفرق من موضع القدمين إلى يوم القيامة والقرآن العظيم الجمع والوجود وهو إفراده عنك وجمعك به وليس سوى قوله إياك نعبد وإياك نستعين وحسب والله يقول اعلحق وهو يهدي السبيل "واقعة" أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه إلى آمراً بالكلام في المنام بعد ما وقعت شفاعتي على جماعتي ونجا الكل من أسر الهلال وقرب المنبر الأسنى وصعدت عليه عن الأذن العالي المحمدي الأسمى بالاقتصار على لفظة الحمد لله خاصة ونزل التأييد ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين المنبر قاعد فقال العبد بعد ما أنشد وحمد وأثنى وبسمل حقيقة الحمد هي العبد المقدس المتره لله إشارة إلى الذات الأزلية وهو مقام انفصال وجود العبد من وجود

الإله ثم غيبه عن وجوده بوجوده الأزلي وأوصله به فقال لله فاللام الداخلة على قوله الله الخافضة له هي حقيقة المألوه في باب التواضع والذلة وهي من حروف المعاني لا من حروف الهجاء ثم قدمها سبحانه على اسم نفسه تشريفاً لها وتمما وتتريهاً لمعرفتها بنفسها وتصديقاً لتقديم النبيّ صلى الله عليه وسلم إياها في قوله من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة النفس على معرفة الرب ثم عملت في الاسم الله لتحقيق الاتصال وتمكينها من

المقام ولما كانت في مقام الوصلة ربما توهم أن الحمد غير اللام فخفض العبد اتباعاً لحركة اللام فقرئ الحمد لله بخفض الدال فكان لفظة الحمد بدلاً من اللام بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة فالحمد هو وجود اللام واللام هي الحمد فإذا كانا شيأ واحداً كان الحمد في مقام الوصلة مع الله لأنه عين اللام فكان معنى كما كانت اللام لفظاً ومعنى ثم حقيقة الخفض فيها إثبات العبودية ثم أحياناً يفنيها عن نفسها فناء كلياً ليرفعها إلى المقام الأعلى في الأوّلية ثم يبقى حقيقتها في آخرية فيقول الحمد لله يرفع اللام اتباعاً لحركة الدال وهذا مما يؤيد أن الحمد اللام وهو المعبر عنه بالرداء والثوب إذ كان هو محل الصفات وافتراق الجمع فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت والحق وراء ذلك كله أو قل ومع ذلك كله فلما رفعها عارضاً في حق الحق فأبقى الهاء مكسورة تدل على وجود اللام في مقام خفض العبودية ولهذا شدت اللام الوسطى بلفظة لا أي ذات الحق ليست ذات العبد وإنما هي حقيقة المثل لتجلي كل شيء فإذا كانت اللام هي نفس الحمد والهاء معمول اللام فالهاء هي اللام وقد كانت اللام هي الحمد فالهاء الحمد بلا مزيد وقد قلنا أن اللام المشددة لنفي الجمع المتحد موضع الفصل فخرج من مضمون هذا الكلام أن الحمد هو قوله لله وأن قوله لله هو قوله الحمد فغاية العبد أن حمد نفسه الذي رأى في المرآة إذ لا طاقة للمحدث على حمل القديم فأحدث المثل على الصورة وصار الموحد مرآه فلما تجلت صورة المثل في مرآة الذات قال لها حين أبصرت الذات فعطست فميزت نفسها احمدي من رأيت فحمدت نفسها فقالت الحمد لله فقال لها يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك فسبقت رحمته غضبه ولهذا قال عقيب قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فقدم الرحمة ثم قال غير المغضوب عليهم فأخر غضبه فسبقت الرحمة الغضب في أول افتتاح الوجود فسبقت الرحمة إلى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة ثم رحم بعد ذلك فجاءت رحمتان بينهما غضب فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لأنهما مثلان فانضمت هذه إلى هذه فانعدم الغضب بينهما كما قال بعضهم في يسرين بينهما عسر:

إذا ضاق عليك الأم ... ر فكر في ألم نشرح

فعسر بين يسرين ... إذا ذكرته فافرح

فالرحمة عبارة عن الموجود الأول المعبر عنه بالمطلوب والمغضوب عليهم النفس الأمّارة والضالون عالم التركيب مادامت هي مغضوبة عليها إذ الباري متره عن أن يتره إذ لا غير ولا موجود إلا هو ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله: "المؤمن مرآة أخيه لوجود الصورة على كمالها إذ هي محل المعرفة وهي الموصلة ولو أوجده على غير تلك الصورة لكان جماداً فالحمد لله الذي من على العارفين به الواقفين معه بموادّ العناية أزلاً وأبداً تنبيه اللام تفني الرسم كما أن الباء تبقيه ولهذا قال أبو العباس بن العريف العلماء لي والعارفون بي فاثبت المقام الأعلى للام فإنه قال في كلامه والعارفون بالهمم ثم قال في حق اللام والحق وراء ذلك كله ثم زاد تنبيهاً على ذلك و لم يقنع بهذا وحده فقال والهمم للوصول والهمة للعارفين البائيين وقال في العلماء اللاميين وإنما يتبين الحق عند اضمحلال

الرسم وهذا هو مقام اللام فناء الرسم فالحمد لله أعلى من الحمد بالله فإن الحمد بالله يبقيك والحمد لله ينيك فإذا قال العالم الحمد لله أي لا حامد لله إلا هو فأحرى أن لا يكون ثم محمود سواه وتقول العامة الحمد لله أي لا محمود إلا الله وهي الحامدة فاشتركا في صورة اللفظ فالعلماء أفنت الحامدين المخلوقين والمحمودين والعامة أفنت المحمودين من الخلق خاصة وأمّا العارفون فلا يتمكن لهم أن يقولوا الحمد لله الأمثل العامة وإنما مقامهم الحمد بالله لبقاء نفوسهم عندهم فتحقق هذا الفصل فإنه من لباب المعرفة "وصل في قوله رب العالمين الرحمن الرحيم" أثبت بقوله عندنا وفي قلوبنا رب العالمين حضرة الربوبية وهذا مقام العارف ورسوخ قدم النفس وهو موضع الصفة فإن قلونا لله ذاتية المشهد عالية المحتمد ثم أتبعه بقوله رب العالمين أي مريهم ومغذيهم والعالمين عبارة عن كل ما سوى الله والتربية تنقسم قسمين تربية بواسطة وبغير واسطة فإمّا الكلمة فلا يتصوّر واسطة في حقه ألبتة وأمّا من دونه فلا بد من الواسطة ثم تنقسم التربية قسمين التي بالواسطة خاصة قسم محمود وقسم مذموم ومن القديم تعالى إلى النفس والنفس داخلة في الحد ما ثم إلا محدود خاصة وأمّا المذموم والمحمود فمن النفس إلى عالم الحس فكانت النفس محلاً قابلاً لوجود التغيير والتطهير فنقول إن الله تعالى لما أوجد الكلمة المعبر عنها بالروح الكلي إيجاد إبداع أوجدها في مقام الجهل ومحل السلب أي أعماه عن رؤية نفسه فبقي لا يعرف من أين صدر ولا كيف صدر وكان الغذاء فيه الذي هو سبب حياته وبقائه وهو لا يعلم فحرّك الله همته لطلب ما عنده وهو لا يدري أنه عنده فأخذ في الرحلة بهمته فاشهده الحق تعالى ذاته فكن وعرف أن الذي طلب لم يزل موصوفاً قال إبراهيم بن مسعود الألبيري:

قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

وعلم ما أودع الله فيه من الأسرار والحكم وتحقق عنده حدوثه وعرف ذاته معرفة إحاطية فكانت تلك المعرفة له غذاء معيناً يتقوّت به وتدوم حياته إلى غير نهاية فقال له عند ذلك التجلي الأقدس ما أسمى عندك فقال أنت ربي فلم يعرفه إلا في حضرة الربوبية وتفرد القديم بالألوهية فإنه لا يعرفه إلاى هو فقال له سبحانه أنت مربوبي وأنا ربك أعطيتك أسمائي وصفاتي فمن رآك رآني ومن أطاعك أطاعني ومن علمك علمني ومن جهلك جهلني فغاية من دونك أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك لا بكيفيتك كذلك أنت معي لا تتعدى معرفة نفسك ولا ترى غيرك ولا يحصل لك العلم بي إلا من حيث الوجود ولو أحطت علماً بي لكنت أنت أنا ولكنت محاطاً لك وكانت أنيتي أنيتك وليست أنيتك أنيتي فأمدك بالأسرار الإلهية وأربيك بها فتجدها مجعولة فيك فتعرفها وقد حجبتك عن معرفة كيفية إمدادي لك بها إذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها إذ لو عرفتها لاتحدت الأنية واتحاد الأنية محال فمشاهدتك لذلك محال هل ترجع أنية المركب أنية البسيط لا سبيل إلى قلب الحقائق فاعلم أن من دونك في حكم التبعية لك كما أنت في حكم التبعية لي فأنت ثوبي وأنت ردائي وأنت غطائي فقال له الروح ربي سمعتك تذكران لي ملكاً فأين هو فاستخرج له النفس منه وهي المفعول عن الانبعاث فقال هذا بعضي وأنا كله كما أنا منك ولست مني قال صدقت يا روحي قال بك نطقت يا ربي أنك ربيتي وحجبت عني سرّ الإمداد والتربية وانفردت أنت به فاجعل إمدادي محجوباً عن هذا الملك حتى يجهلني كما جهلتك فخلق في النفس صفة القبول والافتقار ووزر العقل إلى الروح المقدس ثم أطلع الروح على النفس فقال لها من أنا قالت ربي بك حياتي وبك بقائي فتاه الروح بملكه وقام فيه مقام ربه فيه وتخيل أن ذلك هو نفس الأمداد فأراد الحق أن يعرفه

أن الأمر على خلاف ما تخيل وأنه لو أعطاه سر الإمداد كما سأل لما انفردت الألوهية عنه بشيء ولا تحدت الأنية فلما أراد ذلك خلق الهوى في مقابلته وخلق الشهوة في مقابلة العقل ووزرها للهوى وجعل في النفس صورة القبول لجميع الواردات عموماً فحصلت النفس بين ربين قويين لهما وزيران عظيمان ومازال هذا يناديها وهذا يناديها والكل من عند الله قال تعالى "قل كل من عند الله" "وكلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك" ولهذا كانت النفس محل التغيير والتطهير قال تعالى "فألهمها فجورها وتقواها" في أثر قوله "ونفس وما سواها" فإن أجابت منادي الهوى كان التغيير وإن أجابت منادي الروح كان التطهير شرعاً وتوحيداً فلما رأى الروح ينادي ولا يسمع مجيباً فقال ما منع ملكي من أجابتي قال له الوزير في مقابلتك ملك مطاع عظيم السلطان يسمى الهوى عطيته معجلة له الدنيا بحذافيرها فبسط لها حضرته ودعاها فأجابته فرجع الروح بالشكوى إلى الله تعالى فثبتت عبوديته وذلك كان المراد وتنزلت الأرباب والمربوبون كل واحد على حسب مقامه وقدره فعالم الشهادة المنفصل ربهم عالم الخطاب وعالم الشهادة المتصل ربهم عالم الجبروت وعالم الجبروت ربهم عالم الملكوت وعالم الملكوت ربهم الكلمة والكلمة ربها رب الكل الواحد الصمد وقد أشبعنا القول في هذا الفصل في كتابنا المسمى بالتدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية فاضربنا عن تتميم هذا الفصل هنا مخافة التطويل وكذلك ذكرناه أيضاً في تفسير القرآن فسبحان من تفرد بتربية عباده وحجب من حجب منهم بالوسائط وخرج من هذا الفصل لمن عرف روحه ومعناه أن الرب هو الله سبحانه وأن العالمين هو المثل الكلي ولذلك أوجده في العالمين على ثمانية أحرف عرشا واستوى عليه باللطف والتربية والحنان والرحمة الرحمانية المؤكدة بالرحيمية لتميز الدار الحيوان لقوله تعالى الرحمن الرحيم فعم بالرحمان وخص بالرحيم فالرحمان في عالمه بالوسائط وغيرها والرحيم في كلماته بلا واسطة لوجود الاختصاص وشرف العناية فافهم والأسلم تسلم "وصل في قوله تعالى ملك يوم الدين" يريد يوم الجزاء وحضرة الملك من مقام التفرقة وهي جمع فإنه لا تقع التفرقة إلا في الجمع قال فيها يفرق كل أمر حكيم فهي مقام الجمع وقد قبلت سلطان التفرقة فهي مقام التفرقة فافترق الجمع إلى أمر ونهي خطايا وسخط ورضى إرادة وطاعة وعصيان فعل مألوه ووعد ووعيد فعل إله والملك في هذا اليوم من حقت له الشفاعة واختص بها

ولم يقل نفسي وقال أمتي والملك في وجودنا المطلوب للقيامة المعجلة التي تظهر في طريق التصوف هو الروح القدسي ويوم القيامة وقت إيجاده الجزاء أو طولب به إن كانت عقوبة لابد من ذلك فإن كانت الطاعة فجنات من نخيل وأعناب وإن كانت المعصية الكفرانية فجهنم من أغلال وعذاب ومن مقام الدعوى في الصورتين فنفرض الكلام في هذه الآية على حد الملك وما ينبغي له وهل ترتقي النفس من يوم الدين إلى الفناء عنه فأقول أن الملك من صح له الملك بطريق الملك وسجد له الملك وهو الروح فلما نازعه الهوى واستعان بالنفس عليه عزم الروح على قتل الهوى واستعدّ فلما برز الروح بجنود التوحيد والملأ الأعلى وبرز الهوى كذلك بجنود الأماني والغرور والملأ الأسفل قال الروح للهوى مني إليك فإن ظفرت بك فالقوم لي وإن ظفرت أنت وهزمتني فالملك لك ولا يهلك القوم بيننا برز الروح والهوى فقتله الروح بسيف العدم وظفر بالنفس بعد إيابة منها وجهد كبير فأسلمت تحت سيفه فسلمت وأسلمت وتطهرت وتقدست وآمنت الحواس لإيمانها ودخلوا في رق الإنقياد وأذعنوا وسلبت عنهم أردية الدعاوى الفاسدة واتحدت كلمتهم وصار الروح والنفس كالشيء الواحد وصح له اسم الملك حقيقة فقال له ملك يوم الدين فردّه إلى مقامه ونقله من افتراق الشرع إلى جمع التوحيد والملك على الحقيقة هو الحق تعالى المالك للكل ومصرفه وهو الشفيع لنفسه عامة وخاصة خاصة في الدنيا وعامة في الآخرة من وجه ما ولذلك قدم على قوله ملك يوم الدين الرحمن الرحيم لتأنس أفئدة المحجوبين عن رؤية رب العالمين ألا

تراه يقول يوم الدين شفعت الملائكة والنبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين و لم يقل وبقي الجبار ولا القهار ليقع التأنيس قبل إيجاد الفعل في قلوبهم فمن عرف المعنى في هذا الوجود صحّ له الاختصاص في مقام أرحم ومن جهلها في هذا الوجود دخل في العامة في الحشر الأكبر فتجلى في مقام الراحمين فعاد الفرق جمعاً والفتق رتقاً والشفع وتراً بشفاعة أرحم الراحمين من جهنم ظاهر السور إلى جنة باطنه فإذا وقع الجدار وانهدم السور وامتزجت الأنهار والتقت البحران وعدم البرزخ صار العذاب نعيماً وجهنم جنة فلا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان بمشاهدة العيان وترنم أطيار بألحان على المقاصير والأفنان ولثم الحور والولدان وعدم مالك وبقي رضوان وصارت جهنم تتنعم في حظائر الجنان واتضح سر إبليس فيهم فإذا هو ومن سجد له سيان فإنهما ما تصرّفا إلا عن قضاء سابق وقدر لاحق لا محيص لهما عنه فلا بد لهما منه وحاج آدم موسى وصل في قوله جل ثناؤه وتقدس "إياك نعبد وإياك نستعين" لما ثبت وجوده بالحمد لله وغذاؤه برب العالمين واصطفاؤه بالرحمن الرحيم وتمجيده بملك يوم الدين أراد تأكيد تكرار الشكر والثناء رغبة في المزيد فقال إياك نعبد وإياك نستعين وهذا مقام الشكر أي لك نقر بالعبودية ونؤوي وحدك لا شريك لك وإليك نؤوي في الاستعانة لا إلى غيرك على من أنزلتهم مني منزلتي منك فأنا أمدهم بك لا بنفسي فأنت الممد لا أنا وأثبت له بهذه الآية نفي الشريك فالياء من إياك العبد الكلي قد انحصرت ما بين ألفين ألفي توحيد حتى لا يكون لها موضع دعوى برؤية غير فأحاط بها التوحيد والكاف ضمير الحق فالكاف والألفان شيء واحد فهم مدلول الذات ثم كان نعبد صفة فعل الياء بالضمير الذي فيه والعبد فعل الحق فلم يبق في الوجود إلا الحضرة الإلهية خاصة غير أنه في قوله إياك نعبد في حق نفسه للإبداع الأوّل حيث لا يتصور غيره وإياك نستعين في حق غيره للخلق المشتق منه وهو محل سر الخلافة ففي إياك نستعين سجدت الملائكة وأبى من استكبر وصل في قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين" فلما قال له إياك نعبد وإياك نستعين قال له وما عبادتي قال ثبوت لاتوحيد في الجمع والتفرقة فلما استقر عند النفس أن النجاة في التوحيد الذي هو الصراط المستقيم وهو شهود الذات بفنائها أو بقائها إن غفلت قالت اهدنا الصراط المستقيم فتعرض لها بقولها المستقيم صراطان معوج وهو صراط الدعوى ومستقيم وهو التوحيد فلم يكن لها ميز بين الصراطين إلا بحسب السالكين عليهما فرأت ربها سالكاً للمستقيم فعرفته به ونظرت نفسها فوجدت بينها وبين ربها الذي هو الروح مقاربة في اللطافة ونظرت إلى المعوج عند عالم

التركيب فذلك قولها صراط الذين أنعمت عليهم وهذا عالمها المتصل بها المركب مغضوب عليه والمنفصل عنها ضالون عنها بنظرهم إلى المتصل المغضوب عليه فوقفت على رأس الصراطين ورأت غاية المعوج الهلاك وغاية المستقيم النجاة وعلمت أن عالمها يتبعها حيث سلكت فلما أرادت السلوك على المستقيم وأن تعتكف في حضرة ربها وأن ذلك لها ومن نفسها بقولها إياك نعبد عجزت وقصر بها فطلبت الاستعانة بقولها وإياك نستعين فنبهها ربها على اهدنا فتيقظت فقالت اهدنا فوصفت ما رأت بقولها الصراط المستقيم الذي هو معرفة ذاتك قال صاحب المواقف لا تأثير للعلم وقال أنت لما هلكت فيه صراط الذين أنعمت عليهم وقرئ في الشاذ صراط من أنعم عليه إشارة إلى الروح القدسي وتفسير الكل من أنعم الله عليه من رسول ونبي غير المغضوب عليهم ليس كذلك ولا الضالين يقول تعالى فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل فأجابها وأقام معوجها وأوضح صراطها ورفع بساطها يقول ربها أثر تمام دعائها آمين فحصلت الإجابة بالأمن تأمين الملائكة وصار تأمين الروح تابعاً له اتباع الأجناد بل أطوع لكون الإرادة متحدة وصح لها النطق فسماها النفس الناطقة وهي عرش الروح والعقل صورة الاستواء فافهم وإلا فسلم تسلم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل "فصول تأنيس وقواعد تأسيس" نظر الجمال بعين الوصال قال تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا

يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم إيجاز البيان فيه يا محمد إن الذين كفروا ستروا محبتهم في عنهم فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما عقلوه ولا شاهدوه وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعاً لغيري وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاماً في العالم الأمني وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي ولهم عذاب عظيم عندي أردهم بعد هذا المشهد السني إلى إنذارك وأحجبهم عني كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قرباً أنزلتك إلى من يكذبك ويرد ما جئت به إليه مني في وجهك وتسمع في ما يضيق له صدرك فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم فلا أسخط عليهم أبداً "بسط ما أوجزناه في هذا الباب" انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه وذلك لما أبدع الأمناء من اسمه اللطيف وتجلى لهم في اسمه الجميل فاحبوه تعالى والغيرة من صفات المحبة في المحبوب والمحب بوجهين مختلفين فستروا محبته غيرة منهم عليه كالشبلي وأمثاله وسترهم بهذه الغيرة عن أن يعرفوا فقال تعالى "إن الذين كفروا" أي ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة فقال لابد أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي فتأهبوا لذلك فما استعدوا فأنذرتهم على ألسنة أنبيائي الرسل في ذلك العالم فما عرفوا لأنهم في عين الجمع وخاطبهم من عين التفرقة وهم ما عرفوا عالم التفصيل فلم يستعدوا وكان الحب قد استولى على قلوبهم سلطانه غيرة من الحق عليهم في ذلك الوقت فأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم روحاً وقرآناً بالسبب الذي أصمهم عن إجابة ما دعاهم إليه فقال ختم الله على قلوبهم فلم يسعها غيره وعلى سمعهم فلا يسمعون سوى كلامه على ألسنة العالم فيشهدونه في العالم متكلماً بلغاتهم وعلى أبصارهم غشاوة من سناه إذ هو النور وبهائه إذ له الجلال والهيبة يريد الصفة التي تجلى لهم فيها المتقدمة فأبقاهم غرقى في بحور اللذات بمشاهدة الذات فقال لهم لا بد لكم من عذاب عظيم فما فهموا ما العذاب لاتحاد الصفة عندهم فأوجد لهم عالم الكون والفساد وحينئذ علمهم جميع الأسماء وأنزلهم على العرش الرحمانيّ وفيه عذابهم وقد كانوا مخبوئين عنده في خزائن غيوبه فلما أبصرتهم الملائكة خرت سجوداً لهم فعلموهم الأسماء فأما أبو يزيد فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب فصعق من حينه فقال تعالى ردوا عليّ حبيبي فإنه لا صبر له عني فحجب بالشوق والمخاطبة وبقي الكفار فنزلوا من العرش إلى الكرسي فبدت لهم القدمان فنزلوا عليهما في الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسمية إلى سماء الدنيا النفسي فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون على العروج هل من داع فيستجاب له هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له حتى ينصدع الفجر

فإذا انصدع ظهر الروح العقلي النوري فرجعوا من حيث جاؤوا قال صلى الله عليه وسلم من كان مواصلاً فليواصل حتى السحر فذلك أوان بعثر ما في القبور فكل عبد لم يحذر مكر الله فهو مخدوع فافهم.

فصل "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون" أبدع الله المبدعات وتجلى بلسان الأحدية في الربوبية فقال ألست بربكم والمخاطب في غاية الصفاء فقال بلى فكان كمثل الصدا فإنهم أجابوه فإن الوجود المحدث خيال منصوب وهذا الإشهاد كان إشهاد رحمة لأنه ما قال لهم وحدي إبقاء عليهم لما علم من أنهم يشركون به بما فيهم من الحظ الطبيعي وبما فيهم من قبول الاقتدار الإلهي وما يعلمه إلا قليل فلما برزت صور العالم من العلم الأزلي إلى العين الأبدي من وراء ستارة الغيرة والعزة بعد ما

أسرج السرج وأنار بيت الوجود وبقي هو في ظلمة الغيوب فشوهدت الصور متحركة ناطقة بلغات مختلفات والصور تنبعث من الظلمة فإذا انقضى زمانها عادت إلى الظلمة وهكذا حتى السحر فأراد الفطن أن يقف على حقيقة ما شاهده بصره فإن للحس أغاليط فقرب من الستارة فرأى نطقها غيباً فيها فعلم أنّ ثم سراً عجيباً فوقف عليه من نفسه فعرفه وعرف الرسول وما جاء به من وظائف التكليف فأول وظيفة كلمة التوحيد فأقر الكل بها فما جحد أحد الصانع واختلفت عباراتهم عليه فابتلاهم بأن خاطبهم بلسان الشرك شهادة الرسول فوقع الإنكار باختصاص الجنس فتفرق أهل الإنكار على طريقين فمنهم من نظر في الظواهر فلم ير تفضيلاً في شيء ظاهر فأنكر ومنهم من نظر باطناً عقلاً فرأى الاشتراك في المعقولات ونسي الاختصاص فأنكر فأرسله بالسيف فقذف في قلوبهم الرعب من الموت وداخلهم الشك على قدر نظرهم فمنهم من استمر على نفي كلمة الإشراك ومنهم من استمر على ثبتها اعتقاداً فتلك العامة ومنهم من خاف القتل فلفظ و لم يعتقد فنادىة عليه لسان الحق فقال "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ظاهراً وما هم بمؤمنين باطناً يخادعون الله بلزوم الدعوى وبجهلهم القائم بهم بأن الله لا يعلم وإني أردّ أعمالهم عليهم وما يشعرون اليوم بذلك في قلوبهم مرض شك مما جاءهم به رسولي فزادهم الله مرضاً شكاً وحجاباً ولهم عذاب أليم يوم القيامة وهم فيه بما كانوا يكذبون مما حققنا لديهم و لم تسبق لهم عناية في اللوح القاضي وصل "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون" لما أكمل الوجود بثمانية برز في ميدان التنعيم فارس الدعوى فلم يكن في جيش "ومن الناس من يقول آمنا" من يبرز إليه فملك الكل وصبوا إليه وإلى دينه باطناً فعوقبوا بطلب الإقرار وإلا قتلوا فأقروا لفظاً فحصل لهم العذاب الأليم دنيا وآخرة فإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض أرض الأشباح قالوا من خيالهم إنما نحن مصلحون فقال الله تعالى ألا إنهم هم المفسدون عندنا وعندهم إذ لم يستمتعوا بها على ما يريدون ولكن لا يشعرون باتحاد الأشياء ولو شعروا ما آمنوا ولا كفروا وصل "وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفاء ولكن لا يعلمون" وذلك أنهم لما انتظموا في سلك الأغيار أتاهم النداء أن يقفوا على منازر الشهداء فسمعوا الخطاب في الأينية آمنوا كما آمن الناس فحجبوا عن أخذ العهد بعهد الحس والداعي الجنسي وأصمهم ذلك وأعمى أبصارهم وأغطش ليل جهالتهم فقالوا "أنؤمن كما آمن السفهاء" لما عدل بهم عن طريق التقديس ووقفوا مع الهوى قال الله لنا "ألا إنهم هم السفهاء" الأحلام لما ملكتهم الأهواء وحجبوا عن الالتذاذ بسماع وقع الرذاذ على الأفلاذ بالطور ولكن لا يعلمون ليتميز العالي ممن هو دونه وإلا فأية فائدة لقوله لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون ذلك الشيء إلا إيجاد الأشياء على أحسن قانون فسبحان من انفرد بالإيجاد واختراع والاتقان والإبداع وصل في دعوى المدعين "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن" الإيمان في هذا المقام على خمسة أقسام إيمان تقليد وإيمان علم وإيمان عين وإيمان حق وإيمان حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لأصحاب الدليل والعين لأهل المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين وحقيقة الحقيقة وهو السادس للعلماء المرسلين أصلاً ووراثة منع كشفها فلا سبيل إلى إيضاحها فكانت صفات الدعاوى إذا لقوا هؤلاء الخمسة قالوا آمنا

فالقلب للعوام وسر القلب لأصحاب الدليل والروح لأهل المشاهدة وسر الروح للعارفين وسر السر للواقفين والسر الأعظم لأهل الغيرة والحجاب والمنافقون تعروا عن الإيمان وانتظموا في الإسلام وإيمانهم ما جاوز خزانة خيالهم فاتخذوا أصناماً في ذواتهم أقاموها مقام آلهتهم فإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا باستيلاء الغفلة عليهم وخلوّ المحل عن مراتب الإيمان "إنا معكم إنما نحن مستهزؤن" فوقع عليهم العذاب من قولهم له إلى شياطينهم في حال الخلوة فلما قامت الأضداد عندهم وعاملوا الحق والباطل عاملوا الحق بستر الباطل

وعاملوا الباطل بإفشاء الحق فصح لهم النفاق ولو خاطبوا ذاتهم في ذاتهم ما صح عليهم هذا ولكانوا من أهل الحقائق فأوقع الله الجواب على الاستهزاء فقال "الله يستهزئ بهم" وهو استهزاؤهم عجباً كيف قالوا إنا معكم وهم عدم لو عاينوا إيمان الحقيقة لعاينوا الخالق في الخليقة ولأخلوا ولا نطقوا ولا صمتوا بل كانوا يقومون مقام من شاهد وهو روح جاء مع صاحب المادة فلينظر الإنسان حقيقة اللقاء فإنه مؤذن بافتراق متقدّم ثم اجتمعوا بصفة لم يعرفوها بل ظهر لهم منها ظاهر حسن فتأدبوا معها و لم يطيقوا أكثر من ذلك فقالوا آمنا ثم نكسوا على رؤسهم في الخلوة مع الشيطنة وهي البعد مثل اللقاء مفقالوا إنما نحن مستهزؤن بالصفة التي لقينا فتدبر هذه الآية من حقيقة الحقيقة عند طلوع الفجر وزوال الشك بزوال الستارة ورفع الموانع يلح لك السرّ في سبحان والنساء والشمس فتجد الذين لقوا كمثل الذين لقوا فتصمت وإن تكلمت هلكت وهذه حقيقة الحقيقة التي منع كشفها إلا لمن شم منها رائحة ذوقا فلا بأس فانظر وتدبر ترشد إن شاء الله تم الجزء العاشر.

الجزء الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السادس في معرفة بدء الخلق الروحاني

ومن هو أول موجود فيه ومم وجد وفيم وجد وعلى أي مثال وجد ولم وجد

وما غايته ومعرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر:

انظر إلى هذا الوجود المحكم ووجودنا مثل الرداء المعلم
وانظر إلى خلفائه في ملكهم من مفصح طلق اللسان وأعجم
ما منهمو أحد يحب إلهه إلا ويمزجه بحب الدرهم
فيقال هذا عبد معرفة وذا عبد الجنان وذا عبيد جهنم
إلا القليل من القليل فإنهم سكرى به من غير حس توهم
فهمو عبيد الله لا يدري بهم أحد سواء لا عبيد المنعم
فأفادهم لما أراد رجوعهم لقصورهم من كل علم مبهم

علم المقدم في البسائط وحده وأساسه ذو عنه لم يتصرم
وحقيقة الظرف الذي سترته عن أمثاله ومثله لم يكتم
والعلم بالسبب الذي وجدت له عين العوالم في الطراز الأقدم
ونهاية الأمر الذي لا غاية تدرى له فيه العظيم الأعظم
وعلوم أفلاك الوجود كبيره وصغيره الأعلى الذي لم يذمم
هذي علوم من تحقق كشفها يهدي القلوب إلى السبيل الأقوم
فالحمد لله الذي أنا جامع لعلومها ولعلم ما لم يعلم

إيجاز البيان بضرب من الإجمال بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه اعحقيقة المحمدية الرحمانية ولا أين يحصرها لعدم التحيز ومم وجد وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم وفيم وجد في الهباء وعلى أي مثال وجد الصورة المعلومة في نفس الحق ولم وجد لإظهار الحقائق الإلهية وما غايته التخليص من المزجة فيعرف كل عالم حظه من منشئه من غير امتزاج فغايته إظهار حقائقه ومعرفة أفلاك الأكبر من العالم وهو ما عدا الإنسان في اصطلاح الجماعة والعالم الأصغر يعني الإنسان روح العالم وعلته وسببه وأفلاكه مقاماته وحركاته وتفصيل طبقاته فهذا جميع ما يتضمنه هذا الباب فكما أن الإنسان عالم صغير من طريق الجسم كذلك هو

أيضاً حقير من طريق الحدوث وصح له التأله لأنه خليفة الله في العالم والعالم مسخر له مألوه كما أن الإنسان مألوه لله تعالى واعلم أن أكمل نشأة الإنسان إنما هي في الدنيا وأما الآخرة فكل إنسان من الفرقتين على النصف في الحال لا في العلم فإن كل فرقة عالمة بنقيض حالها فليس الإنسان إلا المؤمن والكافر معاً سعادة وشقاء نعيم وعذاب منعم ومعذب ولهذا معرفة الدنيا أتم وتجلى الآخرة أعلى فافهم وحل هذا القفل ولنا رمز أن تفطن وهو لفظة بشيع شنيع ومعناه بديع:

روح الوجود الكبير — هذا الوجود الصغير
لولاه ما قال إني — أنا الكبير القدير
لا يحجبنك حدوثي — ولا الفنا والنشور
فإنني إن تأمل — تني المحيط الكبير
فللقديم بذاتي — وللجديد ظهور
والله فرد قديم — لا يعتريه قصور
والكون خلق جديد — في قبضتيه أسير
فجاء من هذا أني — أنا الوجود الحقير
وإن كل وجود — على وجودي يدور
فلا كليلي ليل — ولا كنوري نور
فمن يقل في عبد — أنا العبيد الفقير
أو قال إني وجود — أنا الوجود الخبير
فصحني ملكاً تجدني — أو سوقة ما تجور
فيا جهولاً بقدري — أنت العليم البصير
بلغ وجودي عني — والقول صدق وزور
وقل لقومك أني — أنا الرحيم الغفور
وقل بأن عذابي — هو العذاب المبير
وقل بأني ضعيف — لا أستطيع أسير
فكيف ينعم شخص — على يدي أو يبور

بسط الباب وبيانه ومن الله التأييد والعون اعلموا أن المعلومات أربعة الحق تعالى وهو الموصوف بالوجود المطلق لأنه سبحانه ليس معلولاً لشيء ولا علة بل هو موجود بذاته والعلم به عبارة عن العلم بوجود ووجوده ليس غير ذاته مع أنه غير معلوم الذات لكن يعلم ما ينسب إليه من الصفات أعني صفات المعاني وهي صفات الكمال وأما العلم بحقيقة الذات فممنوع لا تعلم بدليل ولا ببرهان

عقلي ولا يأخذها حد فإنه سبحانه لا يشبه شيأ ولا يشبهه شيء فكيف يعرف من يشبه الأشياء من لا يشبهه شيء ولا يشبه شيأ فمعرفتك به إنما هي أنه "ليس كمثله شيء" "ويحذركم الله نفسه" وقد ورد المنع من الشرع في التفكر في ذات الله ومعلوم ثان وهو الحقيقة الكلية التي هي للحق وللعالم لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم هي في القديم إذا وصف بها قديمة وفي المحدث إذا وصف بها محدثة لا تعلم المعلومات قديمها وحديثها حتى تعلم هذه الحقيقة ولا توجد هذه الحقيقة حتى توجد الأشياء الموصوفة بها فإن وجد شيء عن غير عدم متقدم كوجود الحق وصفاته قيل فيها موجود قديم لاتصاف الحق بها وإن وجد شيء عن عدم كوجود ما سوى الله وهو المحدث الموجود بغيره قيل فيها محدثة وهي في كل موجود بحقيقتها فإنها لا تقبل التجزي فما فيها كل ولا بعض ولا يتوصل إلى معرفتها مجردة عن الصورة بدليل ولا ببرهان فمن هذه الحقيقة وجد العالم بوساطة الحق تعالى وليست بموجودة فيكون الحق قد أوجدنا من موجود قديم فيثبت لنا القدم وكذلك لتعلم أيضاً أن هذه الحقيقة لا تتصف بالتقدم على العالم ولا العالم بالتأخر عنها ولكنها أصل الموجودات عموماً وهي أصل الجوهر وفلك الحياة والحق المخلوق به وغير ذلك وهي الفلك المحيط المعقول فإن قلت إنها العالم صدقت أو إنها ليست العالم صدقت أو إنها الحق أو ليست الحق صدقت تقبل هذا كله وتتعدد بتعدد أشخاص العالم وتتنزه بتنزيه الحق وإن أردت مثالها حتى يقرب إلى فهمك فانظر في العودية في الخشبة والكرسي والمحبرة والمنبر والتابوت وكذلك التربيع وأمثاله في الأشكال في كل مربع مثلاً من بيت وتابوت وورقة والتربيع والعودية بحقيقتها في كل شخص من هذه الأشخاص وكذلك الألوان بياض الثوب والجوهل والكاغعد والدقيق والدهان من غير أن تتصف البياضية المعقولة في الثوب بأنها جزء منها فيه بل حقيقتها ظهرت في الثوب ظهورها في الكاغد وكذلك العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر وجميع الأشياء كلها فقد بينت لك هذا المعلوم وقد بسطنا القول فيه كثيراً في كتابنا الموسوم بإنشاء الجداول والدوائر ومعلوم ثالث وهو العالم كله الأملاك والأفلاك وما تحويه من العوالم والهواء والأرض وما فيها من العالم وهو الملك الأكبر ومعلوم رابع وهو الإنسان الخليفة الذي جعله الله في هذا العالم المقهور تحت تسخيره قال تعالى "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً" منه فمن علم هذه المعلومات فما بقي له معلوم أصلاً يطلبه فمنها ما لا نعلم إلا وجوده وهو الحق تعالى وتعلم أفعاله وصفاته بضرب من الأمثلة ومنها ما لا يعلم إلا بالمثال كالعلم بالحقيقة الكلية ومنها ما يعلم بهذين الوجهين وبالماهية والكيفية وهو العالم والإنسان وصل كان الله ولا شيء معه ثم أدرج فيه وهو الآن على ما عليه كان لم يرجع إليه من إيجاده العالم صفة لم يكن عليها بل كان موصوفاً لنفسه ومسمى قبل خلقه فلما أراد وجود العالم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجل من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية انفعل عنها حقيقة تسمى الهباء هي بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور وهذا هو أول موجود في العالم وقد ذكره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهل بن عبد الله رحمه الله وغيرهما من أهل التحقيق أهل الكشف والوجود ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء ويسمونه أصحاب الأفكار الهيولى الكل والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوء وقبوله قال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم المسماة بالعقل فكان سيد العالم

بأسره وأول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء أجمعين وأما المثال الذي عليه وجد العالم كله من غير تفصيل فهو العلم

القائم بنفس الحق تعالى فإنه سبحانه علمنا بعلمه بنفسه وأوجدنا على حد ما علمنا ونحن على هذا الشكل المعين في علمه ولو لم يكن الأمر كذلك لأخذنا هذا الشكل بالاتفاق لا عن قصد لأنه لا يعلمه وما يتمكن أن نخرج صورة في الوجود بحكم الاتفاق فلولا أن هذا الشكل المعين معلوم لله سبحانه ومراد له ما أوجدنا عليه و لم يأخذ هذا الشكل من غيره إذ قد ثبت أنه كان ولا شيء معه فلم يبق إلا أن يكون ما برز عليه في نفسه من الصورة فعلمه بنفسه علمه بنا أزلاً لا عن عدم فعلمه بنا كذلك فمثالنا الذي هو عين علمه بنا قديم بقدم الحق لأنه صفة له ولا تقوم بنفسه الحوادث جل الله عن ذلك وأما قولنا و لم وجد وما غايته يقول الله عز وجل "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" فصرح بالسبب الذي لأجله أوجدنا وهكذا العالم كله وخصصنا والجن بالذكر والجن هنا كل مستتر من ملك وغيره وقد قال تعالى في حق السموات والأرض "ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين" وكذلك قال "فأبين أن يحملنها" وذلك لما كان عرضاً وأمّا لو كان أمراً لأطاعوا وحملوها فإنه لا تتصور منهم معصية جبلوا على ذلك والجن الناري والإنس ما جبلا على ذلك وكذلك من الإنس أصحاب الأفكار من أهل النظر والأدلة المقصورة على الحواس والضرورات

والبديههيات يقولون لابد أن يكون المكلف عاقلاً بحيث يفهم ما يخاطب به وصدقوا وكذلك هو الأمر عندنا العالم كله عاقل حي ناطق من جهة الكشف بخرق العادة التي الناس عليها أعني حصول العلم بهذا عندنا غير أنهم قالوا هذا جماد لا يعقل ووقفوا عندما أعطاهم بصرهم والأمر عندنا بخلاف ذلك فإذا جاء عن نبي أن حجراً كلمه أو كتف شاة أو جذع نخلة أو بهيمة يقولون خلق الله فيه الحياة والعلم في ذلك الوقت والأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة في جميع العالم وإن كل من يسمع المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد إلا من علم هذا عن كشف عندنا لا عن استنباط من نظر بما يقتضيه ظاهر خبر ولا غير ذلك ومن أراد أن يقف عليه فليسلك طريق الرجال وليلزم الخلوة والذكر فإن الله سيطلعه على هذا كله عيناً فيعلم أن الناس في عماية عن إدراك هذه الحقائق فأوجد العالم سبحانه ليظهر سلطان الأسماء فإن قدرة بلا مقدور وجوداً بلا عطاء ورازقاً بلا مرزوق ومغيثاً بلا مغاث ورحيماً بلا مرحوم حقائق معطلة التأثير وجعل العالم في الدنيا ممتزجاً مزج القبضتين في العجنة ثم فصل الأشخاص منها فدخل من هذه في هذه من كل قبضة في أختها فجهلت الأحوال وفي هذا تفاضلت العلماء في استخراج الخبيث من الطيب والطيب من الخبيث وغايته التخليص من هذه المزجة وتمييز القبضتين حتى تنفرد هذه بعالمها وهذه بعالمها كما قال الله تعالى "ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم" فمن بقي فيه شيء من المزجة حتى مات عليها لم يحضشر يوم القيامة من الآمنين ولكنه منهم من يتخلص من المزجة في الحساب ومنهم من لا يتخلص منها إلا في جهنم فإذا تخلص أخرج فهؤلاء هم أهل الشفاعة وأمّا من تميز هنا في إحدى القبضتين انقلب إلى الدار الآخرة بحقيقته من قبره إلى نعيم أو إلى عذاب وجحيم فإنه قد تخلص فهذا غاية العالم وهاتان حقيقتان راجعتان إلى صفة هو الحق عليها في ذاته ومن هنا قلنا يرونه أهل النار معذباً وأهل الجنة منعماً وهذا سر شريف ربما تقف عليه في الدار الآخرة عند المشاهدة إن شاء الله وقد نالها المحققون في هذه الدار وأما قولنا في هذا الباب ومعرفة أفلاك العالم الأكبر والأصغر الذي هو الإنسان فأعني به عوالك كلياته وأجناسه وأمراؤه الذين لهم التأثير في غيرهم وجعلتها مقابلة هذا نسخة من هذا وقد ضربنا لها دوائر على صور الأفلاك وترتيبها في كتاب إنشاء الدوائر والجداول الذي بدأنا وضعه بتونس بمحل الإمام أبي محمد عبد العزيز ولينا وصفينا رحمه الله فلنلق منه في هذا الباب ما يليق بهذا المختصر فنقول أن العوالم أربعة العالم الأعلى وهو عالم البقاء ثم عالم الاستحالة وهو عالم الفناء ثم عالم

التعمير وهو عالم البقاء والفناء ثم عالم النسب وهذه العوالم في موطنين في العالم الأكبر وهو ما خرج عن الإنسان وفي العالم الأصغر

وهو الإنسان فإما العالم الأعلى فالحقيقة المحمدية وفلكها الحياة نظيرها من الإنسان اللطيفة والروح القدسي ومنهم العرش المحيط ونظيره من الإنسان الجسم ومن ذلك الكرسي ونظيره من الإنسان النفس ومن ذلك البيت المعمور ونظيره من الإنسان القلب ومن ذلك الملائكة ونظيرها من الإنسان الأرواح التي فيه والقوى ومن ذلك زحل وفلكه نظيره من الإنسان القوة العلمية والنفس ومن بذلك المشتري وفلكه نظيرهما القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ ومن ذلك الأحمر وفلكه نظيرهما القوة العاقلة واليافوخ ومن ذلك الشمس وفلكها نظيرهما القوة المفكرة ووسط الدماغ ثم الزهرة وفلكها نظيرهما القوة الوهمية والروح الحيواني ثم الكاتب وفلكه نظيرهمما القوة الخيالية ومقدم الدماغ ثم القمر وفلكه نظيرهما القوة الحسية والجوارح التي تحس فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائره من الإنسان وأمّا عالم الاستحالة فمن ذلك كرة الأثير وروحها الحرارة واليبوسة وهي كرة النار ونظيرها الصفراء وروحها القوة الهاضمة ومن ذلك الهواء وروحه الحرارة والرطوبة ونظيره الدم وروحه القوة الجاذبة ومن ذلك الماء وروحه البرودة والرطوبة نظيره البلغم وروحه القوة الدافعة ومن ذلك التراب وروحه البرودة واليبوسة نظيره السوداء وروحها القوة الماسكة وأما الأرض فسبع طباق أرض سوداء وأرض غبراء وأرض حمراء وأرض صفراء وأرض بيضاء وأرض زرقاء وأرض خضراء نظير هذه السبعة من الإنسان في جسمه الجلد والشحم واللحم والعروق والعصب والعضلات والعظام وأما عالم التعمير فمنهم الروحانيون نظيرهم القوى التي في الإنسان ومنهم عالم الحيوان نظيره ما يحس من الإنسان ومنهم عالم النبات نظيره ما ينمو من الإنسان ومن ذلك عالم الجماد نظيره ما لا يحس من الإنسان وأما عالم الذهب فمنهم العرض نظيره الأسود والأبيض والألوان والأكوان ثم الكيف نظيره الأحوال مثل الصحيح والسقيم ثم الكم نظيره الساق أطول من الذراع ثم الأين نظيره العنق مكان للرأس والساق مكان للفخذ ثم الزمان نظيره حركت رأسي وقت تحريك يدي ثم الإضافة نظيرها هذا أبي فأنا ابنه ثم الوضع نظيره لغتي ولحني ثم أن يفعل نظيره أكلت ثم أن ينفعل نظيره شبعت ومنهم اختلاف الصور في الأمهات كالفيل والحمار والأسد والصرصر نظير هذا القوة الإنسانية التي تقبل الصور المعنوية من مذموم ومحمود هذا فطن فهو فيل هذا بليد فهو حمار هذا شجاع فهو أسد هذا جبان فهو صرصر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع في معرفة بدء الجسوم الإنسانية

وهو آخر جنس موجود من العالم الكبير وآخر صنف من المولدات:

نشأت حقيقة باطن الإنسان ... ملكاً قوياً ظاهر السلطان

ثم استوت في عرض آدم ذاته ... مثل استواء العرش بالرحمان

فبدت حقيقة جسمه في عينها ... وبها انتهى ملك الوجود الثاني

وبدت معارف لفظه في علمه ... عند الكرام وحامل الشنآن

فتصاغرت لعلومه أحلامهم ... وتكبر الملعون من شيطان

باؤوا بقرب الله في ملكوته ... إلا الشويطن باء بالخسران

اعلم أيدك الله أنه لما مضى من عمر العالم الطبيعي المقيد بالزمان المحصور بالمكان إحدى وسبعون ألف سنة من السنين المعروفة في الدنيا وهذه المدة أحد عشر يوماً من أيام غير هذا الاسم ومن أيام ذي المعارج يوم وخمساً يوم وفي هذه الأيام يقع التفاضل قال تعالى "في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" وقال "وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون" فأصغر الأيام هي التي نعدها حركة الفلك المحيط الذي يظهر في يومه الليل والنهار فاقصر يوم عند العرب وهو هذا لا كبر فلك وذلك لحكمه على ما في جوفه من الأفلاك إذ كانت حركة مادونه في الليل والنهار حركة قسرية له قهر بها سائر الأفلاك التي يحيط بها ولكل فلك حركة طبيعية تكون له مع الحركة القسرية فكل فلك دونه ذو حركتين في وقت واحد حركة طبيعية وحركة قسرية ولكل حركة طبيعية في كل فلك يوم مخصوص يعد مقداره بالأيام الحادثة عن الفلك المحيط المعبر عنها بقوله مما تعدون وكلها تقطع في الفلك المحيط فكلما قطعته على الكمال كان يوماً لها وبدور الدور فأصغر الأيام منها هو ثمانية وعشرون يوماً مما تعدون وهو مقدار قطع حركة القمر في الفلك المحيط ونصب الله هذه الكواكب السبعة في السموات ليدرك البصر قطع فلكها في الفلك المحيط لتعلم عدد السنين والحساب قال تعالى "وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ذلك تقدير العزيز العليم" فلكل كوكب منها يوم مقدر يفضل بعضها على بعض على قدر سرعة حركاتها الطبيعية أو صغر أفلاكها وكبرها فاعلم أن الله تعالى لما خلق القلم واللوح وسماهما العقل والروح وأعطى الروح صفتين صفة علمية وصفة عملية وجعل العقل لها معلماً ومفيداً إفادة مشاهدة حالية كما تستفيد من صورة السكين القطع من غير نطق يكون منه في ذلك وخلق تعالى جوهراً دون النفس الذي هو الروح المذكور سماه الهباء وهذه الأسمية له نقلناها من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأما الهباء فمذكور في اللسان العربي قال تعالى "فكانت هباء منبثاً" كذلك لما رآها علي بن أبي طالب أعني هذه الجوهرة منبثة في جميع الصور الطبيعية كلها وأنها لا تخلو صورة منها إذ لا تكون صورة إلا في هذه الجوهرة سماها هباء وهي مع كل صورة بحقيقتها لا تنقسم ولا تتجزى ولا تتصف بالنقص بل هي كالبياض الموجود في كل أبيض بذاته وحقيقته ولا يقال قد نقص من البياض قدر ما حصل منه في هذا الأبيض فهذا مثل حال هذه الجوهرة وعين الله سبحانه بين هذا الروح الموصوف بالصفتين وبين الهباء أربع مراتب وجعل كل مرتبة متزلاً لأربعة أملاك وجعل هؤلاء الأملاك كالولاة على ما أحدثه سبحانه دونهم من العالم من عليين إلى أسفل سافلين ووهب كل ملك من هؤلاء الملائكة علم ما يريد إمضاءه في العالم فأول شيء أوجده الله في الأعيان مما يتعلق به علم هؤلاء الملائكة وتدبيرهم الجسم الكلي وأول شكل فتح في هذا الجسم الشكل الكري المستدير إذ كان أفضل الأشكال ثم نزل سبحانه بالإيجاد والخلق إلى تمام الصنعة وجعل جميع ما خلقه تعالى مملكة لهؤلاء الملائكة وولاهم أمورها في الدنيا والآخرة وعصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به فأخبرنا سبحانه أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولما انتهى خلق المولدات من الجمادات والنبات والحيوان بانتهاء إحدى وسبعين ألف سنة من سني الدنيا مما نعد ورتب العالم ترتيبا حكمياً و لم يجمع سبحانه لشيء مما خلقه من أول موجود إلى آخر مولود وهو الحيوان بين يديه تعالى إلا للإنسان وهي هذه النشأة البدنية الترابية بل خلق كل ما سواها إما عن أمر إلهي أو عن يد واحدة قال تعالى "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" فهذا عن أمر إلهي وورد في الخبر أن الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وخلق آدم الذي هو الإنسان بيديه فقال تعالى لإبليس على جهة التشريف لآدم عليه السلام "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" ولما خلق الله الفلك الأدنى الذي هو الأول المذكور آنفاً قسمه اثني عشر قسماً سماها قال تعالى "والسماء

ذات البروج" فجعل كل قسم برجاً وجعل تلك الأقسلام ترجع إلى أربعة في الطبيعة ثم كرّر كل واحد من الأربعة في ثلاثة مواضع منه وجعل هذه الأقسام كالمنازل والمناهل التي يترل فيها المسافرون ويسير فيها السائرون في حال سيرهم وسفرهم ليترل في هذه الأقسام عند سير الكواكب فيها وسياحتهم ما يحدث الله في جوف هذا الفلك من الكواكب التي تقطع بسيرها في هذه البروج ليحدث الله عند قطعها وسيرها ما شاء أن يحدث من العالم الطبيعي والعنصري وجعلها علامات على أثر حركة فلك البروج فاعلم فقسم من هذه الأربعة طبيعته الحرارة واليبوسة والثاني البرودة واليبوسة والثالث الحرارة والرطوبة والرابع البرودة والرطوبة وجعل الخامس والتاسع من هذه الأقسام مثل الأول وجعل السادس والعاشر مثل الثاني وجعل السابع والحادي عشر مثل الثالث وجعل الثامن والثاني عشر مثل الرابع أعني في الطبيعة فحصر الأجسام الطبيعية بخلاف والأجسام العنصرية بلا خلاف في هذه الأربعة التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ومع كونها أربعة أمهات فإن الله جعل اثنين منها أصلاً في وجود الأثنين الآخرين فانفعلت اليبوسة عن الحرارة والرطوبة عن البرودة فالرطوبة واليبوسة موجودتان عن سببين هما الحرارة والبرودة ولهذا ذكر الله في قوله تعالى "ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين لأن المسبب يلزم من كونه مسبباً وجود السبب أو منفعلاً وجود الفاعل كيف شئت فقل ولا يلزم من وجود السبب وجود المسبب ولما خلق الله هذا الفلك الأول دار دورة غير معلومة الانتهاء إلا لله تعالى لأنه ليس فوقه شيء محدود من الأجرام يقطع فيه فإنه أول الأجرام الشفافة فتتعدد الحركات وتتميز ولا كان قد خلق الله في جوفه شيأ فتتميز الحركات وتنتهي عند من يكون في جوفه ولو كان لم تتميز أيضاً لأنه أطلس لا كوكب فيه متشابه الأجزاء فلا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه ولا تتعين فلو كان فيه جزء مخالف لسائر أجزائه عد به حركاته بلا شك ولكن علم الله قدرها وانتهاءها وكرورها فحدث عن تلك اعلحركة اليوم و لم يكن ثم ليل ولا نهار في هذا اليوم ثم استمرت حركات هذا الفلك فخلق الله ملائكة خمسة وثلاثين ملكاً أضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك الستة عشر فكان الجميع أحداً وخمسين ملكاً من جملة هؤلاء الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ثم خلق تسعمائة ملك وأربعاً وسبعين وأضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك وأوحى إليهم وأمرهم بما يجري على أيديهم في خلقه فقالوا "وما نتترل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلقنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا" وقال فيهم "لا يعصون الله ما أمرهم فهؤلاء من الملائكة هم الولاة خاصة وخلق الله ملائكة هم عمار السموات والأرض لعبادته فما في السماء والأرض موضع إلا وفيه ملك ولا يزال الحق يخلق من أنفاس العالم ملائكة ما داموا متنفسين ولما انتهى من حركات هذا الفلك الأول ومدته أربع وخمسون ألف سنة مما تعدون خلق الله الدار الدنيا وجعل لها أمداً معلوماً تنتهي إليه وتنقضي صورتها وتستحيل من كونها داراً لنا وقبولها صورة مخصوصة وهي التي نشاهدها اليوم إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات ولما انقضى من مد حركة هذا الفلك ثلاث وستون ألف سنة مما تعدون خلق الله الدار الآخرة الجنة والنار اللتين أعدهما الله لعباده السعداء والأشقياء فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسع آلاف سنة مما تعدون ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا وسميت الدنيا الأولى لأنها خلقت قبلها قال تعالى "وللآخرة خير لك من الأولى" يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم و لم يجعل للآخرة مدة ينتهي إليها بقاؤها فلها البقاء الدائم وجعل سقف الجنة هذا الفلك وهو العرش عندهم الذي لا تتعين حركته ولا تتميز فحركته دائمة لا تنقضي وما من خلق ذكرناه خلق إلا وتعلق القصد الثاني منه وجود الإنسان الذي هو الخليفة في العالم وإنما قلت القصد الثاني إذ كان القصد الأول معرفة الحق وعبادته التي لها خلق العالم كله فما من شيء إلا وهو يسبح بحمده ومعنى القصد الثاني والأول التعلق الإرادي لا حدوث الإرادة لأن الإرادة لله صفة قديمة أزلية اتصفت بها ذاته كسائر صفاته ولما خلق الله هذه

الأفلاك والسموات وأوحى في كل سماء أمرها ورتب فيها أنوارها وسرجها وعمرها بملائكته وحركها تعالى فتحركت طائعة لله آتية إليه طلب للكمال في العبودية التي تليق بها لأنه تعالى دعاها ودعا الأرض فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها لأمر حد لهما قالتا أتينا طائعين فهما آتيتان أبداً فلا تزالان متحركتين غير أن حركة الأرض خفية عندنا
وحركتها حول الوسط لأنها أكر فإما السماء فاتت طائعة عند أمر الله لها بالإتيان وأما الأرض فأتت طائعة لما علمت نفسها مقهورة وإنه لابد أن يؤتي بها بقوله أو كرهاً فكانت المرادة بقوله تعالى "أو كرهاً" فأتت طائعة كرهاً فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وقد كان خلق الأرض وقدر فيها أقواتها من أجل المولدات فجعلها خزانة لأقواتهم وقد ذكرنا ترتيب نشء العالم في كتاب عقلة المستوفز فكان من تقدير أقواتها وجود الماء والهواء والنار وما في ذلك من البخارات والسحب والبروق والرعود والآثار العلوية وذلك تقدير العزيز العليم وخلق الجان من النار والطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الأرض ليصفو الهواء لنا من بخارات العفونات التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله حياة هذا الإنسان والحيوان وعافيته فيه لكان سقيماً مريضاً معلولاً فصفي له الجو سبحانه لطفاً منه بتكوين هذه المعفنات فقلت الأسقام والعلل ولما استوت المملكة وتهيأت وما عرف أحد من هؤلاء المخلوقات كلها من أي جنس يكون هذا الخليفة الذي مهد الله هذه المملكة لوجوده فلما وصل الوقت المعين في علمه لإيجاد هذا الخليفة بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة الذي لا نهاية له في الدوام ثمان آلاف سنة أمر الله بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كل أجناس تربة الأرض فأتاه بها في خبر طويل معلوخم عند الناس فأخذها سبحانه وخمرها بيديه فهو قوله لما خلفت بيدي وكان الحق قد أودع عند كل ملك من الملائكة الذين ذكرناهم وديعة لآدم وقال لهم إني خالق بشراً من طين وهذه الودائع التي بأيديكم له فإذا خلقته فليؤد إليه كل واحد منكم ما عنده مما أمنتكم عليه ثم إذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فلما خمر الحق تعالى بيديه طينة آدم حتى تغير ريحها وهو المسنون وذلك الجزء الهوائي الذي في النشأة جعل ظهره محلاً للأشقياء والسعداء من ذريته فأودع فيه ما كان في قبضتيه فإنه سبحانه أخبرنا إن في قبضة يمينه السعداء وفي قبضة اليد الأخرى الأشقياء وكلتا يدي ربي يمين مباركة وقال هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وأودع الكل طينة آدم وجمع فيه الأضداد بحكم المجاورة وأنشأه على الحركة المستقيمة وذلك في دولة السنبلة وجعله ذا جهات ست الفوق وهو مايلي رأسه والتحت يقابله وهو مايلي رجليه واليمين وهو مايلي جانبه الأقوى والشمال يقابله وهو مايلي جانبه الأضعف والأمام وهو مايلي الوجه ويقابله الخلف وهو مايلي القفا وصوره وعدله وسواه ثم نفخ فيه من روحه المضاف إليه فحدث عند هذا النفخ فيه بسريانه في أجزائه أركان الأخلاط التي هي الصفراء والسوداء والدم والبلغم فكانت الصفراء عن الركن الناري الذي أنشأه الله منه في قوه تعالى من صلصال كالفخار وكانت السوداء عن التراب وهو قوله خلقه من تراب وكان الدم من الهواء وهو قوله مسنون وكان البلغم من الماء الذي عجن به التراب فصار طيناً ثم أحدث فيه القوة الجاذبة التي بها يجذب الحيوان الأغذية ثم القوة الماسكة وبها يمسك ما يتغذى به الحيوان ثم القوة الهاضمة وبها يهضم الغذاء ثم القوة الدافعة وبها يدفع الفضلات عن نفسه من عرق وبخار ورياح وبراز وأمثال ذلك وأما سريان الأبخرة وتقسيم الدم في العروق من الكبد وما يخلصه كل جزء من الحيوان فبالقوة الجاذبة لا الدافعة فحظ القوة الدافعة ما نخرجه كما قلنا من الفضلات لا غير ثم أحدث فيه القوة الغاذية والمنمية والحاسية والخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة وهذا كله في الإنسان بما هو حيوان لا بما هو إنسان فقط غير أن هذه القوى الأربعة قوة الخيال والوهم والحفظ والذكر هي في الإنسان أقوى منها في الحيوان ثم خص آدم الذي هو الإنسان بالقوة

المصورة والمفكرة والعاقلة فتميز عن الحيوان وجعل هذه القوى كلها في هذا الجسم آلات للنفس الناطقة لتصل بذلك إلى جميع منافعها المحسوسة والمعنوية ثم أنشأه خلقاً آخر وهو الإنسانية فجعله دراكاً بهذه القوى حياً عالماً قادراً مريداص متكلماً سميعاً بصيرا على حد معلوم معتاد في اكتسابه فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنه سبحانه ما سمى نفسه باسم من الأسماء إلا وجعل للإنسان من التخلق بذلك الاسم حظاً منه يظهر به في العالم على قدر ما يليق به

ولذلك تأول بعضهم قوله عليه السلام أن الله خلق آدم على صورته على هذا المعنى وأنزله خليفة عنه في أرضه إذ كانت الأرض من عالم التغيير والاستحالات بخلاف العالم الأعلى فيحدث فيهم من الأحكام بحسب ما يحدث في العالم الأرضي من التغيير فيظهر لذلك حكم جميع الأسماء الإلهية فلذلك كان خليفة في الأرض دون السماء والجنة ثم كان من أمره ما كان من علم الأسماء وسجود الملائكة وإبانة إبليس يأتي ذكر ذلك كله في موضعه إن شاء الله فإن هذا الباب مخصوص بابتداء الجسوم الإنسانية وهي أربعة أنواع جسم آدم وجسم حواء وجسم عيسى وأجسام بني آدم وكل جسم من هذه الأربعة نشؤه يخالف نشء الآخر في السببية مع الاجتماع في الصورة الجسمانية والروحانية وإنما سقنا هذا ونبهنا عليه لئلا يتوهم الضعيف العقل أن القدرة الإلهية أو أن الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة الإنسانية إلا عن سبب واحد يعطى بذاته هذا النشء فرد الله هذه الشبهة بأن أظهر هذا النشء الإنساني في آدم بطريق لم يظهر به جسم حواء وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر جسم ولد آدم وأظهر جسم أولاد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه السلام وينطلق على كل واحد من هؤلاء اسم الإنسان بالحد والحقيقة ذلك ليعلم أن الله بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير ثم إن الله قد جمع هذه الأربعة الأنواع من الخلق في آية من القرآن في سورة الحجرات فقال "يا أيها الناس إنا خلقناكم يريد آدم من ذكر يريد حواء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى يريد بني آدم بطريق النكاح والتوالد فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب الذي أوتي محمد صلى الله عليه وسلم ولما ظهر جسم آدم كما ذكرناه و لم تكن فيه شهوة نكاح وكان قد سبق في علم الحق إيجاد التوالد والتناسل والنكاح في هذه الدار إنما هو لبقاء النوع فاستخرج من ضلع آدم من القصيري حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل كما قال تعالى "وللرجال عليهن درجة" فما تلحق بهم أبداً وكانت من الضلع للأنحناء الذي في الضلوع لتحنو بذلك على ولدها وزوجها فحنو الرجل على المرأة حنوه على نفسه لأنها جزء منه وحنو المرأة على الرجل كونها خلقت من الضلع والضلع فيه انحناء وانعطاف وعمر الله الموضع من آدم الذي خرجت منه حواء بالشهوة إليها إذ لا يبقى في الوجود خلاء فلما عمره بالهواء حن إليها حنينه إلى نفسه لأنها جزء منه وحنت إليه لكونه موطنها الذي نشأت فيه فحب حواء حب الموطن وحب آدم حب نفسه ولذلك يظهر حب الرجل للمرأة إذ كانت عينه وأعطيت المرأة القوة المعبر عنها بالحياء في محبة الرجل فقويت على الإخفاء لأن الموطن لا يتحد بها اتحاد آدم بها فصور في ذلك الضلع جميع ما صوره وخلقه في جسم آدم فكان نشء جسم آدم في صورته كنشى الفاخوري فيما ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حواء نشء النجار فيما ينحته من الصور في الخشب فلما نحتها في الضلع وأقام صورتها وسواها وعدلها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلاً للزراعة والحرث لوجود الإنبات الذي هو التناسل فسكن إليها وسكنت إليه وكانت لباساً له وكان لباساً لها قال تعالى "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن" وسرت الشهوة منه في جميع أجزائه فطلبها فلما تغشاها وألقى الماء في الرحم ودار بتلك النطفة من الماء دم الحيض الذي كتبه الله على النساء تكون في ذلك الجسم جسم ثالث على غير ما تكون منه جسم آدم وجسم حواء فهذا هو الجسم الثالث فتولاه الله بالنشء في الرحم حالاً بعد حال بالانتقال من ماء إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم ثم كسا العظم لحماً فلما

أتم نشأته الحيوانية أنشأه خلقاً آخر فنفخ فيه الروح الإنساني فتبارك الله أحسن الخالقين ولولا طول الأمر لبينا تكوينه في الرحم حالاً بعد حال ومن يتولى ذلك من الملائكة الموكلين بإنشاء الصور في الأرحام إلى حين الخروج ولكن كان الغرض الإعلام بأن الأجسام الإنسانية وإن كانت واحدة في الحد والحقيقة والصور الحسية والمعنوية فإن أسباب تأليفها مختلفة لئلا يتخيل أن ذلك لذات السبب تعالى الله بل ذلك راجع إلى فاعل مختار يفعل ما يشاء كيف يشاء من غير تحجير ولا قصور على أمر دون أمر لا إله إلا هو العزيز الحكيم ولما قال أهل الطبيعة أن ماء المرأة لا يتكون منه شيء وأن الجنين الكائن في الرحم إنما هو من ماء الرجل لذلك جعلنا تكوين جسم

عيسى تكويناً آخر وإن كان تدبيره في الرحم تدبير أجسام البنين فإن كان من ماء المرأة إذ تمثل لها الروح بشراً سوياً أو كان عن نفخ بغير ماء فعلى كل وجه هو جسم رابع مغاير في النشء غيره من أجسام النوع ولذلك قال تعالى إن مثل عيسى أي صفة نشء عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الضمير يعود على آدم ووقع الشبه في خلقه من غير أب أي صفة نشئه صفة نشء آدم إلا أن آدم خلقه من تراب ثم قال له كن ثم إن عيسى على ما قيل لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد لأنه أسرع إليه التكوين لما أراد الله أن يجعله آية ويرد به على الطبيعيين حيث حكموا على الطبيعة بما أعطتهم من العادة لا بما تقتضيه مما أودع الله فيها من الأسرار والتكوينات العجيبة ولقد أنصف بعض حذاق هذا الشان الطبيعة فقال لا نعلم منها إلا ما أعطتنا خاصة وفيها ما لا نعلم فهذا قد ذكرنا ابتداء الجسوم الإنسانية وأنها أربعة أجسام مختلفة النشء كما قررنا وأنه آخر المولدات فهو نظير العقل الأول وبه ارتبط لأن الوجود دائرة فكان ابتداء الدائرة وجود العقل الأول الذي ورد في الخبر أنه أول ما خلق الله العقل فهو أول الأجناس وانتهى الخلق إلى الجنس الإنساني فكملت الدائرة واتصل الإنسان بالعقل كما يتصل آخر الدائرة بأولها فكانت دائرة وما بين طرفي الدائرة جميع ما خلق الله من أجناس العالم بين العقل الأول الذي هو القلم أيضاً وبين الإنسان الذي هو الموجود الآخر ولما كانت الخطوط الخارجة من النقطة التي في وسط الدائرة إلى المحيط الذي وجد عنها تخرج على لاسواء لكل جزء من المحيط كذلك نسبة الحق تعالى إلى جميع الموجودات نسبة واحدة فلا يقع هناك تغيير البتة كانت الأشياء كلها ناظرة إليه وقابلة منه ما يهبها نظر أجزاء المحيط إلى النقطة وأقام سبحانه هذه الصورة الإنسانية بالحركة المستقيمة صورة العمد الذي للخيمة فجعله لقبة هذه السموات فهو سبحانه يمسكها أن تزول بسببه فعبرنا عنه بالعمد فإذا فنيت هذه الصورة و لم يبق منها على وجه الأرض أحد متنفس وانشقت السماء فهي يومئذ واهية لأن العمد زال وهو الإنسان ولما انتقلت العمارة إلى الدار الآخرة بانتقال الإنسان إليها وخربت الدنيا بانتقاله عنها علمنا قطعاً أن الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم وأنه الخليفة حقاً وأنه محل ظهور الأسماء الإلهية وهو الجامع لحقائق العالم كله من ملك وفلك وروح وجسم وطبيعة وجماد ونبات وحيوان إلى ما خص به من علم الأسماء الإلهية مع صغر حجمه وجرمه وإنما قال الله فيه بأن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس لكون الإنسان متولداً عن السماء والأرض فهما له كالأبوين فرفع الله مقدارهما ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلم يرد في الجرمية فإن ذلك معلوم حساً غير أن الله تعالى ابتلاه ببلاء ما ابتلى به أحداً من خلقه إما لأن يسعده أو يشقيه على حسب ما يوفقه إلى استعماله فكان البلاء الذي ابتلاه به أن خلق فيه قوة تسمى الفكر وجعل هذه القوة خادمة لقوة أخرى تسمى العقل وجبر العقل مع سيادته على الفكر أن يأخذ منه ما يعطيه و لم يجعل للفكر مجالاً إلا في القوة الخيالية وجعل سبحانه القوة الخيالية محلاً جامعاً لما تعطيها القوة الحساسة وجعل له قوة يقال لها المصورة فلا يحصل في القوة الخيالية إلا ما أعطاه الحس أو أعطته القوة المصورة من المحسوسات فتركب صوراً لم يوجد لها عين لكن أجزاؤها

كلها موجودة حساً وذلك لأن العقل خلق ساذجاً ليس عنده من العلوم النظرية شيء وقيل للفكر ميز بين الحق والباطل الذي في هذه القوة الخيالية فينظر بحسب ما يقع له فقد يحصل في شبهة وقد يحصل في دليل عن غير علم منه بذلك ولكن في زعمه أنه عالم بصور الشبه من الأدلة وأنه قد حصل على علم و لم ينظر إلى قصور المواد التي استند إليها في اقتناء العلوم فيقبلها العقل منه ويحكم بها فيكون جهله أكثر من علمه بما لا يتقارب ثم إن الله كلف هذا العقل معرفته سبحانه ليرجع إليه فيها لا إلى غيره ففهم العقل نقيض ما أراد به الحق بقوله تعالى "أو لم يتفكروا" "لقوم يتفكرون" فاستند إلى الفكر وجعله إماماً يقتدى به وغفل عن الحق في مراده بالتفكر أنه خاطبه أن يتفكر فيرى أن علمه بالله لا سبيل إليه إلا بتعريف الله فيكشف له عن الأمر على ما هو عليه فلم يفهم كل عقل هذا الفهم إلا عقول خاصة الله من

أنبيائه وأوليائه يا ليت شعري هل بأفكارهم قالوا بلى حين أشهدهم على أنفسهم في قبضة الذرية من ظهر آدم لا والله بل عناية إشهاده إياهم ذلك عند أخذه إياهم عنهم من ظهورهم ولما رجعوا إلى الأخذ عن قواهم المفكرة في معرفة الله لم يجتمعوا قط على حكم واحد في معرفة الله وذهب كل طائفة إلى مذهب وكثرت القالة في الجناب الإلهي الأحمى واجترؤا غاية الجراءة على الله وهذا كله من الابتلاء الذي ذكرناه من خلقه الفكر في الإنسان وأهل الله افتقروا إليه فيما كلفهم من الإيمان به في معرفته وعلموا أن المراد منهم رجوعهم إليه في ذلك وفي كل حال فمنهم القائل سبحان من لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته ومنهم من قال العجز عن درك الإدراك إدراك وقال صلى الله عليه وسلم "لا أحصي ثناء عليك" وقال تعالى "ولا يحيطون به علما" فرجعوا إلى الله في المعرفة به وتركوا الفكر في مرتبته ووفوه حقه لم ينقلوه إلى ما لا ينبغي له التفكر فيه وقد ورد النهي عن التفكر في ذات الله والله يقول "ويحذركم الله نفسه فوهبهم الله من معرفته ما وهبهم وأشهدهم من مخلوقاته ومظاهره ما أشهدهم فعلموا أنه ما يستحيل عقلاً من طريق الفكر لا يستحيل نسبة إلهية كما سنورد من ذلك طرفاً في باب الأرض المخلوقة من بقية طينة آدم وغيرها فالذي ينبغي للعاقل أن يدين الله به في نفسه أن يعلم أن الله على كل شيء قدير من ممكن ومحال ولا كل محال نافذ الاقتدار واسع العطاء ليس لإيجاده تكرار بل أمثال تحدث في جوهر أوجده وشاء بقاه ولو شاء أفناه مع الأنفاس لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

الباب الثامن في معرفة الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام وهي أرض الحقيقة وذكر بعض ما فيها من الغرائب والعجائب

يا أخت بل يا عمتي المعقولة	أنت الأميمة عندنا المجهولة
نظر البنون إليك أخت أبيهمو	فتنافسوا عن همة مغلولة
إلا القليل من البنين فإنهم	عطفوا عليك بأنفس مجبولة
يا عمتي قل كيف أظهره مرة	فيك الأخيّ محققاً تنزيله
حتى بدا من مثل ذاتك عالم	قد يرتضي رب الورى توكيله
أنت الإمامة والإمام أخوك وال	مأموم أمثال له مسلوله

اعلم أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الذي هو أول جسم إنساني تكون وجعله أصلاً لوجود الأجسام الإنسانية وفضلت من خميرة طينته فضلة خلق منها النخلة فهي أخت لآدم عليه السلام وهي لنا عمة وسماها الشرع عمة وشبهها بالمؤمن ولها أسرار عجيبة دون سائر النبات وفضل من الطينة بعد خلق النخلة قدر السمسمة في الخفاء فمد الله في تلك الفضلة أرضاً واسعة الفضاء إذا جعل العرش وما حواه والكرسي والسموات والأرضون وما تحت الثرى والجنات كلها والنار في هذه الأرض كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وفيها من العجائب والغرائب ما لا يقدر قدره ويبهر العقول أمره وفي كل نفس خلق الله فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وفي هذه الأرض ظهرت عظمة الله وعظمت عند المشاهد لها قدرته وكثير من المحالات العقلية التي قام الدليل الصحيح العقلي على إحالتها هي موجودة في هذه الأرض وهي مسرح عيون العارفين العلماء بالله وفيها يجولون وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورنا إذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها وقد أشار إلى مثل ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه فيما روى عنه في حديث هذه الكعبة وأنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً وأنّ في كل أرض من السبع الأرضين خلقاً مثلنا حتى أن فيهم ابن عباس مثلي وصدقت هذه الرواية عند أهل الكشف فلنرجع إلى ذكر هذه الأرض واتساعها وكثرة عالمها المخلوقين فيها ومنها ويقع للعارفين فيها تجليات إلهية أخبر بعض العارفين بأمراً عرفه شهوداً قال دخلت فيها يوماً مجلساً يسمى مجلس الرحمة لم أر مجلساً قط أعجب منه فبينا أنا فيه إذ ظهر لي تجل إلهي لم يأخذني عني بل أبقاني معي وهذا من خاصية هذه الأرض فإن التجليات الواردة على العارفين في هذه الدار في هذه الهياكل تأخذهم عنهم وتفنيهم عن شهودهم من الأنبياء والأولياء وكل من وقع له ذلك وكذلك عالم السموات العى والكرسي الأزهى وعالم العرش المحيط الأعلى إذا وقع لهم تجل إلهي أخذهم عنهم وصعقوا وهذه الأرض إذا حصل فيها صاحب الكشف العارف ووقع له تجل لم يفنه عن شهوده ولا اختطفه عن وجوده وجمع له بين الرؤية والكلام قال واتفق لي في هذا المجلس أمور وأسرار لا يسعني ذكرها لغموض معانيها وعدم وصول الإدراكات قبل أن يشهد مثل هذه المشاهد لها وفيها من البساتين والجنات والحيوان والمعادن ما لا يعلم قدر ذلك إلا الله تعالى وكل ما فيها من هذا كله حي ناطق كحياة كل حي ناطق ما هو مثل ما هي الأشياء في الدنيا وهي باقية لا تفنى ولا تتبدل ولا يموت عالمها وليست تقبل هذه الأرض شيأ من الأجسام الطبيعية الطينية البشرية سوى عالمها أو عالم الأرواح منا بالخاصية وإذا دخلها العارفون إنما يدخلونها بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويتجردون وفي تلك الأرض صور عجيبة النشء بديعة الخلق قائمون على أفواه السكك المشرفة على هذا العالم الذي نحن فيه من الأرض والسماء والجنة والنار فإذا أراد واحد منا الدخول لتلك الأرض من العارفين من أي نوع كان من أنس أو جن أو ملك أو أهل الجنة بشرط المعرفة وتجرد عن هيكله وجد تلك الصور على أفواه السكك قائمين موكلين بها قد نصبهم الله سبحانه لذلك الشغل فيبادر واحد منهم إلى هذا الداخل فيخلع عليه حلة على قدر مقامه ويأخذ بيده ويجول به في تلك الأرض ويتبوّأ منها حيث يشاء ويعتبر في مصنوعات الله ولا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء ويريد أن يكلمه إلا كلمه كما يكلم الرجل صاحبه ولهم لغات مختلفة وتعطى هذه الأرض بالخاصية لكل من دخلها الفهم بجميع ما فيها من الألسنة فإذا قضى منها وطره وأراد الرجوع إلى موضعه مشى معه رفيقه إلى أن يوصله إلى الموضع الذي دخل منه يوادعه ويخلع عنه تلك الحلة التي كساه وينصرف عنه وقد حصل علوما جمة ودلائل وزاد في علمه بالله ما لم يكن عنده مشاهدة وما رأيت الفهم ينفد أسرع مما ينفد إذا حصل في هذه الأرض وقد ظهر عندنا في هذه الدار وهذه النشأة ما يعضد هذا القول فمن ذلك

ما شاهدناه ولا أذكره ومنها ما حدثني أوحد الدين حامد بن أبي الفخر الكرماني وفقه الله قال كنت أخدم شيخاً وأنا شاب فمرض الشيخ وكان في محارة وقد أخذه البطن فلما وصلنا تكريت قلت له يا سيدي اتركني أطلب لك دواء ممسكاً من صاحب مارستان سنجار من السبيل فلما رأى

احتراقي قال لي رح إليه قال فرحت إلى صاحب السبيل وهو في خيمته جالس ورجاله بين يديه قائمون والشمعة بين يديه وكان لا يعرفني ولا أعرفه فرآني واقفاً بين الجماعة فقام إليّ وأخذ بيدي وأكرمني وسألني ما حاجتك فذكرت له حال الشيخ فاستحضر الدواء وأعطاني إياه وخرج معي في خدمتي والخادم بالشمعة بين يديه فخفت أن يراه الشيخ فيحرج فحلفت عليه أن يرجع فرجع فجئت الشيخ وأعطيته الدواء وذكرت له كرامة الأمير صاحب السبيل بي فتبسم الشيخ وقال لي يا ولدي إني أشفقت عليك لما رأيت من احتراقك من أجلي فأذنت لك فلما مشيت خفت أن يخجلك الأمير بعدم إقباله عليك فتجردت عن هيكلي هذا ودخلت في هيكل ذلك الأمير وقعدت في موضعه فلما جئت أكرمتك وفعلت معك ما رأيت ثم عدت إلى هيكلي هذا ولا حاجة لي في هذا الدواء وما استعمله فهذا شخص قد ظهر في صورة غيره فكيف أهل تلك الأرض قال لي بعض العارفين لما دخلت هذه الأرض رأيت فيها أرضاً كلها مسك عطر لو شمه أحد منا في هذه الدنيا لهلك لقوة رائحته تمتد ما شاء الله أن تمتد ودخلت في هذه الأرض أرضاً من الذهب الأحمر اللين فيها أشجار كلها ذهب وثمرها ذهب فيأخذ التفاحة أو غيرها من الثمر فيأكلها فيجد من لذة طعمها وحسن رائحتها ونعمتها ما لا يصفها واصف تقصر فاكهة الجنة عنها فكيف فاكهة الدنيا والجسم والشكل والصورة ذهب والصورة والشكل كصورة الثمرة وشكلها عندنا وتختلف في الطعم وفي الثمرة من النقش البديع والزينة الحسنة ما لا نتوهمه نفس فأحرى أن تشهده عين ورأيت من كبر ثمرها بحيث لو جعلت الثمرة بين السماء والأرض لحجبت أهل الأرض عن رؤية السماء ولو جعلت على الأرض لفضلت عليها أضعافاً وإذا قبض عليها الذي يريد أكلها بهذه اليد المعهودة في القدر عمها بقبضته لنعمتها ألطف من الهواء يطبق عليها يده مع هذا العظم وهذا مما تحيله العقول هنا في نظرها ولما شاهدها ذو النون المصري نطق بما حكى عنه من إيراد الكبير على الصغير من غير أن يصغر الكبير أو يكبر الصغير أو يوسع الضيق أو يضيق الواسع فالعظم في التفاحة على ما ذكرته باق والقبض عليها باليد الصغيرة والإحاطة بها موجود والكيفية مشهودة مجهولة لا يعرفها إلا الله وهذا العلم مما انفرد الحق به واليوم الواحد الزماني عندنا هو عدة سنين عندهم وأزمنة تلك الأرض مختلفة قال ودخلت فيها أرضاً من فضة بيضاء في الصورة ذات شجر وأنهار وثمر شهي كل ذلك فضة وأجسام أهلها منها كلها فضة وكذلك كل أرض شجرها وثمرها وأنهارها وبحارها وخلقها من جنسها فإذا تنوولت وأكلت وجد فيها من الطعم والروائح والنعمة مثل سائر المأكولات غير أن اللذة لا توصف ولا تحكى ودخلت فيها أرضاً من الكافور الأبيض وهي في أماكن منها أشد حرارة من النار يخوضها الإنسان ولا تحرقه وأماكن منها معتدلة وأماكن باردة وكل أرض من هذه الأرضين التي هي أماكن في هذه الأرض الكبيرة لو جعلت السماء فيها لكانت كحلقة في فلاة بالنسبة إليها وما في جميع أراضيها أحسن عندي ولا أوفق لمزاجي من أرض الزعفران وما رأيت عالماً من عالم كل أرض أبسط نفوساً منهم ولا أكثر بشاشة بالوارد عليهم يتلقونه بالترحيب والتأهيل ومن عجائب مطعوماتها أنه أي شيء أكلت منها إذا قطعت من الثمرة قطعة نبتت في زمان قطعك إياها مكانها ما سد تلك الثلمة أو تقطف بيدك ثمرة من ثمرها فزمان قطفك إياها يتكون مثلها بحيث لا يشعر بها إلا الفطن فلا يظهر فيها نقص أصلاً وإذا نظرت إلى نسائها ترى أن النساء الكائنين في الجنة من الحور بالنسبة إليهن كنسائنا من البشر بالنسبة إلى الحور في الجنان وأما مجامعتهن فلا يشبه لذتها لذة وأهلها أعشق الخلق فيمن يرد عليهم وليس عندهم

تكليف بل هم مجبولون على تعظيم الحق وجلاله تعالى لو راموا خلاف ذلك ما استطاعوا وأما أبنيتهم فمنها ما يحدث عن هممهم ومنها ما يحدث كما تبنى عندنا من اتخاذ الآلات وحسن الصنعة ثم أن بحارها لا يمتزج بعضها ببعض كما قال تعالى "مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فتعاين منتهى بحر الذهب تصطفق أمواجه ويباشره بالمجاورة بحر الحديد فلا يدخل من واحد في الآخر شيء وماؤهم ألطف من الهواء في الحركة والسيلان وهو من الصفاء بحيث أن لا يخفى عنك من دوابه ولا من الأرض التي يجري البحر عليها شيء فإذا أردت أن تشرب منه وجدت له من اللذة ما

لا تجده لمشروب أصلاً وخلقها ينبتون فيها كسائر النباتات من غير تناسل بل يتكونون من أرضها تكون الحشرات عنندنا ولا ينعقد من مائهم في نكاحهم ولد وإن نكاحهم إنما هو لمجرد الشهوة والنعيم وأما مراكبهم فتعظم وتصغر بحسب ما يريده الراكب وإذا سافروا من بلد إلى بلد فإنهم يسافرون براً وبحراً وسرعة مشيهم في البر والبحر أسرع من إدراك البصر للمبصر وخلقها متفاوتون في الأحوال ففيهم من تغلب عليهم الشهوات وفيهم من يغلب عليهم تعظيم جناب الحق ورأيت فيها ألواناً لا أعرفها في ألوان الدنيا ورأيت فيها معادن تشبه الذهب وما هي بذهب ولا نحاس وأحجاراً من اللآليء ينفذها البصر لصفائها شفافة من اليواقيت الحمر ومن أعجب ما فيها إدراك الألوان في الأجسام السفلية التي هي كالهواء ويتعلق الإدراك بألوانها كما يتعلق بالألوان التي في الأجسام الكثيفة وعلى أبواب مدائنها عقود من الأحجار الياقوتية كل حجر منها يزيد على الخمسمائة ذراع وعلو الباب في الهواء عظيم وعليه معلق من الأسلحة والعدد ما لو اجتمع ملك الأرض كلها ما وفى بها وعندهم ظلمة ونور من غير شمس تتعاقب وبتعاقبهما يعرفون الزمان وظلمتهم لا تحجب البصر عن مدركه كما لا يحجبه النور ويغزو بعضهم بعضاً من غير شحناء ولا عداوة ولا فساد بنية وإذا سافروا في البحر وغرقوا لا يعدو عليهم الماء كما يعدو علينا بل يمشون فيه كمشي دوابه حتى يلحقوا بالساحل وتحل بتلك الأرض زلازل لو حلت بنا لانقلبت الأرض وهلك ما كان عليها وقال لقد كنت يوماً مع جماعة منهم في حديث وجاءت زلزلة شديدة بحيث أني رأيت الأبنية تتحرك كلها تحركاً لا يقدر البصر يتمكن من رؤيتها لسرعة الحركة مروراً وكروراً وما عندنا خبر وكأنا على الأرض قطعة منها إلى أن فرغت الزلزلة فلما فرغت وسكنت الأرض أخذت الجماعة بيدي وعزتني في ابنة لي اسمها فاطمة فقلت للجماعة إني تركتها في عافية عند والدها قالوا صدقت ولكن هذه الأرض ما تزلزل بنا وعندنا أحد إلا مات ذلكك الشخص أو مات له أحد وإن هذه الزلزلة لموت ابنتك فانظر في أمرها فقعدت معهم ما شاء الله وصاحبي ينتظرني فلما أردت فراقهم مشوا معي إلى فم السكة وأخذوا خلعتهم وجئت إلى بيتي فلقيت صاحبي فقال لي إن فاطمة تنازع فدخلت عليها فقضت وكنت بمكة مجاوراً فجهزناها ودفناها بالمعلى فهذا من أعجب ما أخبرت عن تلك الأرض ورأيت بها كعبة يطوف بها أهلها غير مكسوة وتكون أكبر من البيت الذي بمكة ذات أركان أربعة تكلمهم إذا طافوا بها وتحييهم وتفيدهم علو ما لم تكن عندهم ورأيت في هذه الأرض بحراً من تراب يجري مثل ما يجري الماء ورأيت حجارة صغاراً وكباراً يجري بعضها إلى بعض كما يجري الحديد إلى المغناطيس ليس في قوته أن يمتنع فإذا ترك وطبعه جرت بعضها إلى بعض على مقدار من المساحة مخصوص فتضم هذه الحجارة بعضها إلى بعض فينشأ منها صورة سفينة ورأيت منها مركباً صغيراً وشينبين فإذا التأمت السفينة من تلك الحجارة رموا بها في بحر التراب وركبوا فيها وسافروا حيث يشتهون من البلاد غير أن قاع السفينة من رمل أو تراب يلصق بعضه ببعض لصوق الخاصية فما رأيت فيما رأيت أعجب من جريان هذه السفن في ذلك البحر وصورة الإنشاء في المراكب سواء غير أن لهم في جناحي السفينة مما يلي مؤخرها اسطوانتين عظيمتين تعلو المركب أكثر من القامة وأرض المركب من جهة مؤخره ما بين الأسطوانتين مفتوح متساو

مع البحر ولا يدخل فيه من رمل ذلك البحر شيء أصلاً بالخاصية وهذا شكله:

وفي هذه الأرض مدائن تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطفى مختار وهي ثلاث عشرة مدينة وهي على سطح واحد وبنياهما عجيب وذلك أنهم عمدوا إلى موضع في هذه الأرض فبنوا فيه مدينة صغيرة لها أسوار عظيمة يسير الراكب فيها إذا أراد أن يدور بها مسيرة ثلاثة أعوام فلما أقاموها جعلوها خزانة لمنافعهم ومصالحهم وعددهم وأقاموا على بعد من جوانبها أبراجاً تعلو على أبراج المدينة بما دار بها ومدوا البناء بالحجارة حتى صار للمدينة كالسقف للبيت وجعلوا ذلك السقف أرضاً بنوا عليه مدينة أعظم من التي بنوا أولا وعمروها واتخذوها مسكناً فضاقت عنهم فبنوا عليها مدينة أخرى أكبر منها ومازال يكثر عمارها وهم يصعدون بالبنيان طبقة فوق طبقة حتى بلغت ثلاث عشرة مدينة ثم أني غبت عنهم مدة ثم دخلت إليهم مرة أخرى فوجدتهم قد زادوا مدينتين واحدة فوق أخرى ولهم ملوك فيهم لطف وحنان صحبت منهم جماعة منهم التالي وهو التابع بمترلة القيل في حمير و لم أر ملكاً أكثر منه ذكر الله قد شغله ذكر الله عن تدبير ملكه انتفعت به وكان كثير المجالسة لي ومنهم ذو العرف وهو ملك عظيم لم أر في ملوك الأرض أكثر من تأتي إليه الرسل من الملوك منه وهو كثير الحركة هين لين يصل إليه كل أحد يتلطف في الترول لكنه إذا غضب لم يقم لغضبه شيء أعطاه الله من القوة ما شاء ورأيت لبحرها ملكاً منيع الحمى يدعى السابح هو قليل المجالسة مع من يقصد إليه وما له ذلك الالتفات إلى أحد غير أنه مع ما يخطر له لا مع ما يراد منه ويجاوره سلطان عظيم اسمه السابق إذا دخل عليه الوافد قام إليه من مجلسه وبش في وجهه وأظهر السرور بقدومه وقام له بجميع ما يحتاج إليه من قبل أن يسأله عن شيء فقلت له في ذلك فقال لي أكره أن أرى في وجه السائل ذلة السؤال لمخلوق غيرة أن يذل أحد لغير الله وما كل أحد يقف مع الله على قدم التوحيد وإن أكثر الوجوه مصروفة إلى الأسباب الموضوعة مع الحجاب عن الله فهذا يجعلني أن أبادر إلى ما ترى من كرامة الوافد قال ودخلت على ملك آخر يدعى القائم بأمر الله لا يلتفت إلى الوافد عليه لاستيلاء عظمة الحق على قلبه فلا يشعر بالوافد وما يفد عليه من يفد من العارفين إلا لينظروا إلى حاله التي هو عليها تراه واقفاً قد عقد يديه إلى صدره عقد العبد الذليل الجاني مطرقاً إلى موضع قدميه لا تتحرك منه شعرة ولا يضطرب منه مفصل كما قيل في قوم هذه حالتهم مع سلطانهم:

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم ... لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

يتعلم العارفون منه حال المراقبة قال ورأيت ملكاً يدعى بالرادع مهيب المنظر لطيف المخبر شديد الغيرة دائم الفكرة فيما كلف النظر فيه إذا رأى أحداً يخرج عن طريق الحق رده إلى الحق قال صحبته وانتفعت به وجالست من ملوكهم كثيراً ورأيت منهم من العجائب مما يرجع إلى ما عندهم من تعظيم الله ما لو سطرناه لأعيا الكاتب والسامع فاقتصرنا على هذا القدر من عجائب هذه الأرض ومدائنها لا تحصى كثرة ومدائنها أكثر من ضياعها وجميع من يملكها من الملوك ثمانية عشر سلطاناً منهم من ذكرنا ومنهم من سكتنا عنه ولكل سلطان سيرة وأحكام ليست لغيره قال وحضرت يوماً في ديوانهم لأرى ترتيبهم فمما رأيت أن الملك منهم هو الذي يقوم برزق رعيته بلغوا ما بلغوا فرأيتهم إذا استوى الطعام وقف خلق لا يحصى عددهم كثرة يسمونهم الجباة وهم رسل أهل كل بيت فيعطيه الأمين من المطبخ على قدر عائلته ويأخذه الجابي وينصرف وأما الذي يقسمه عليهم شخص واحد لا غير له من الأيدي على قدر الجباة فيغرف في الزمن الواحد لكل شخص طعامه في وعائه وينصرف وما فضل من ذلك يرفع إلى خزانة فإذا فرغ

منهم ذلك القاسم دخل ملك شخص حسن الهيئة هو على الخزانة يدعونه الخازن بيده جميع ما يملكه ذلك الملك ومن شرعهم أنه إذا ولاه ليس له عزله ورأيت فيهم شخصاً أعجبتني حركاته وهو جالس إلى جانب الملك وكنت على يمين الملك فسألته ما منزلة هذا عندكم فتبسم وقال أعجبك قلت له نعم قال هذا المعمار البذي يبني لنا المساكن والمدن وجميع ما تراه من آثار عمله ورأيت في سوق صيارفهم أنه لا ينتقد لهم سكتهم إلا واحد في المدينة كلها وفيما تحت يد ذلك الملك من المدن قال وهكذا رأيت سيرتهم في كل أمر لا يقوم به إلا واحد لكن له وزعة وأهل هذه الأرض أعرف الناس بالله وكل ما أحاله العقل بدليله عندنا وجدناه في هذه الأرض ممكناً قد وقع وإن الله على كل شيء قدير فعلمنا أن العقول قاصرة وأن الله قادر على جمع الضدين ووجود الجسم في مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى وكل حديث وآية وردت عندنا مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض وكل جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك وجن وكل صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم فمن أجساد هذه الأرض لها من هذه الأرض موضع مخصوص ولهم رقائق ممتدة إلى جميع العالم وعلى كل رقيقة أمين فإذا عاين ذلك الأمين روحاً من الأرواح قد استعد لصورة من هذه الصور التي بيده كساه إياها كصورة دحية لجبريل وسبب ذلك أن هذه الأرض مدها الحق تعالى في البرزخ وعين منها موضعاً لهذه الأجساد التي في الجنة يسمى السوق ونحن نبين لك مثال صورة امتداد الطرف الذي يلي العالم من هذه الأرض وذلك أن الإنسان إذا نظر إلى السراج أو الشمس والقمر ثم حال بأهداب أجفانه بين الناظر والجسم المستنير يبصر من ذلك الجسم المستنير إلى عينيه شبه الخطوط من النور تتصل من السراج إلى عينيه متعددة فإذا رفع تلك الأهداب من مقابلة الناظر قليلاً قليلاً يرى تلك الخطوط الممتدة تنقبض إلى الجسم المستنير فالجسم المستنير مثال للموضع المعين من هذه الأرض لتلك الصور والناظر مثال العالم وامتداد تلك الخطوط كصور الأجساد التي تنتقل إليها في النوم وبعد الموت وفي سوق الجنة والتي تلبسها الأرواح وقصدك إلى رؤية تلك الخطوط بذلك الفعل من إرسال الأهداب الحائلة بين الناظر والجسم النير مثال الاستعداد وانبعاث تلك الخطوط عند هذه الحال انبعاث الصور عن الاستعداد وانقباض الخطوط إلى الجسم النير عند رفع الحائل رجوع الصور إلى تلك الأرض عند زوال الاستعداد وليس بعد هذا البيان بيان وقد بسطنا القول في عجائب هذه الأرض وما يتعلق بها من المعارف في كتاب كبير لنا فيها خاصة انتهى الجزء الحادي عشر.

الجزء الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع في معرفة وجود الأرواح المارجية النارية

مرج النار والنبات فقامت صورة الجن برزخاً بين شيئين
بين روح مجسم ذي مكان في حضيض وبين روح بلا أين
فالذي قابل التجسم منها طلب القوت للتغذي بلامين
والذي قابل الملائك منها قبل القلب بالتشكل في العين
ولهذا يطيع وقتاً ويعصي ويجازي مخالفوهم بنارين

قال الله تعالى "وخلق الجانّ من مارج من نار" وورد في الحديث الصحيح أن الله خلق الملائكة من نور وخلق الله الجان من نار وخلق الإنسان مما قيل لكم فأما قوله عليه السلام في خلق الإنسان مما قيل لكم و لم يقل مثل ما قال في خلق الملائكة والجان طلباً للاختصار فإنه أوتي جوامع الكلم وهذا منها فإن الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجان وأما الإنسان اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق فخلق آدم لا يشبه خلق حواء وخلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم وخلق عيسى عليه السلام لا يشبه خلق من ذكرنا فقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاختصار وأحال على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان فآدم من طين وحواء من ضلع وعيسى من نفخ روح وبنو آدم من ماء مهين ولما أنشأ الله الأركان الأربعة وعلا الدخان إلى معقر فلك الكواكب الثابتة وفتق في بذلك الدخان سبع سموات ميز بعضها عن بعض وأوحى في كل سماء أمرها بعد ما قدر في الأرض أقواقما وذلك كله في أربعة أيم ثم قال للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً أي أجيبا إذا دعيتما لما يراد منكما مما أمنتما عليه أن تبرزاه فقالتا أتينا طائعين فجعل سبحانه بين السماء والأرض التحاماً معنوياً وتوجهاً لما يريد سبحانه أن يوجده في هذه الأرض من المولدات من معدن ونبات وحيوان وجعل الأرض كالأهل وجعل السماء كالبعل والسماء تلقي إلى الأرض من الأمر الذي أوحى الله فيها كما يلقي الرجل الماء بالجماع في المرأة وتبرز الأرض عند الإلقاء ما خبأه الحق فيها من التكوينات على طبقاتها فكان من ذلك أن الهواء لما اشتعل وحمي اتقد مثل السراج وهو اشتعال النار ذلك اللهب الذي هو احتراق الهواء وهو المارج وإنما سمي مارجاً لأنه نار مختلط بهواء وهو الهواء المشتعل فإن المرج الاختلاط ومنه سمي المرج مرجاً لاختلاط النبات فيه فهو من عنصرين هواء ونار أعني الجان كما كان آدم من عنصرين ماء وتراب عجن به فحدث له اسم الطين كما حدث لامتزاج النار بالهواء اسم المارج ففتح سبحانه في ذلك المارج صورة الجان فيما فيه من الهواء يتشكل في أي صورة شاء وبما فيه من الناس سخف وعظم لطفه وكان فيه طلب القهر والاستكبار والعزة فإن النار أرفع الأركان مكاناً وله سلطان على إحالة الأشياء التي تقتضيها الطبيعة وهو السبب الموجب لكونه استكبر عن السجود لآدم عندما أمره الله عز وجل بتأويل أداه أن يقول أنا خير منه يعني بحكم الأصل الذي فضل الله به بين الأركان الأربعة وما

علم أن سلطان الماء الذي خلق منه آدم أقوى منه فإنه يذهبه وأن التراب أثبت منه للبرد واليبس فلا دم القوة والثبوت لغلبة الركنين اللذين أوجده الله منهما وإن كان فيه بقية الأركان ولكن ليس لها ذلك السلطان وهو الهواء والنار كما في الجان من بقية الأركان ولذا سمي مارجاً ولكن ليس لها في نشأته ذلك السلطان وأعطى آدم التواضع للطينية بالطبع فإن تكبر فلأمر يعرض له يقبله بما فيه من النارية كما يقبل اختلاف الصور في خياله وفي أحواله من الهوائية وأعطى الجان التكبر بالطبع للنارية فإن تواضع فلأمر يعرض له يقبله بما فيه من الترابية كما يقبل الثبات على الإغواء إن كان شيطاناً والثبات على الطاعات إن لم يكن شيطاناً وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا سورة الرحمن على أصحابه قال: "إني تلوهما على الجن فكانوا أحسن استماعاً لها منكم" فكلوا يقولون ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب إذ قلت "فبأي آلاء ربكما تكذبان" ثابتين عليه ما تزلزلوا عندما كان يقول لهم عليه السلام في تلاوته "فبأي آلاء ربكما تكذبان" وذلك بما فيه من الترابية وبما فيه من المائية ذهبت بحمية النارية فمنهم الطائع والعاصي مثلنا ولهم التشكل في الصور كالملائكة وأخذ الله بأبصارنا عنهم فلا نراهم إلا إذا شاء الله أن يكشف لبعض عباده فيراهم ولما كانوا من عالم السخافة واللطف قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني إنما هي أول صورة قبل عند ما أوجده الله ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها ولو كشف الله عن أبصارنا حتى نرى ما تصوره القوة المصورة التي وكلها الله بالتصوير في خيال المتخيل منا لرأيت مع الأناة الإنسان في صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً ولما نفخ الروح في اللهب وهو كثير الاضطراب لسخافته

وزاده النفخ اضطراباً وغلب الهواء عليه وعدم قراره على حالة واحدة ظهر عالم الجان على تلك الصورة وكما وقع التناسل في البشر بإلقاء الماء في الرحم فكانت الذرية والتوالد في هذا الصنف البشري الآدمي كذلك وقع التناسل في الجان بإلقاء الهواء في رحم الأنثى منهم فكانت الذرية والتوالد في صنف الجان وكان وجودهم بالقوس وهو ناري هكذا ذكر الوارد حفظه الله فكان بين خلق الجان وخلق آدم ستون ألف سنة وكان ينبغي على ما يزعم بعض الناس أن ينقطع التوالد من الجان بعد انقضاء أربعة آلاف سنة وينقضي التوالد من البشر بعد انقضاء سبعة آلاف سنة و لم يقع الأمر على ذلك بل الأمر راجع إلى ما يريده الله فالتوالد في الجن إلى اليوم باق وكذلك فينا فتحقق بهذا كم لآدم من السنين وكم بقي إلى انقضاء الدنيا وفناء البشر عن ظهرها وانقلابهم إلى الدار الآخرة وليس هذا بمذهب الراسخين في العلم وإنما قال به شرذمة لا يعتد بقولها فالملائكة أرواح منفوخة في أنوار والجان أرواح منفوخة في رياح والأناسي أرواح منفوخة في أشباح ويقال أنه لم يفصل عن الموجود الأول من الجان أنثى كما فصلت حواء من آدم قال بعضهم إن الله خلق للموجود الأول من الجان فرجاً في نفسه فنكح بعضه ببعضه فولد مثل ذرية آدم ذكراناً وأناثاً ثم نكح بعضهم بعضاً فكان خلقه خنثى ولذلك هم الجان من عالم البرزخ لهم شبه بالبشر وشبه بالملائكة كالخنثى يشبه الذكر ويشبه الأنثى وقد روينا فيما رويناه من الأخبار عن بعض أئمة الدين أنه رألا رجلاً ومعه ولدان وكان خنثى الواحد من ظهره والآخر من بطنه نكح فولد له ونكح فلود وسمى خنثى من الأنخناث وهو الاسترخاء والرخاوة عدم القوة والشد فلم تقو فيه قوة الذكورية فيكون ذكراً و لم تقو فيه قوة الأنوثة فيكون أنثى فاسترخى عن هاتين القوتين فسمى خنثى والله أعلم ولما غلب على الجان عنصر الهواء والنار لذلك كان غذاؤهم ما يحمله الهواء مما في العظام من الدسم فإن الله جاعل لهم فيها رزقاً فإنا نشاهد جوهر العظم وما يحمله من اللحم لا ينتقص منه شيء فعلمنا قطعاً أن الله جاعل لهم فيها رزقاً ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في العظام "إنها زاد إخوانك من الجن" وفي حديث "إن الله جاعل لهم فيها رزقاً" وأخبرني بعض المكاشفين أنه رأى الجن يأتون إلى العظم فيشمونه كما تشم السباع ثم يرجعون

وقد أخذوا رزقهم وغذاؤهم في ذلك الشم فسبحان اللطيف الخبير وأما اجتماع بعضهم ببعض عند النكاح فالتواء مثل ما تبصر الدخان الخارج من الأتون أو من فرن الفخار يدخل بعضه في بعضه فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل ويكون ما يلقونه كلقاح النخلة بمجرد الرائحة كغذائهم سواء وهم قبائل وعشائر وقد ذكر أنهم محصورون في اثنتي عشرة قبيلة أصولاً ثم يتفرعون إلى أفخاذ وتقع بينهم حروب عظيمة وبعض الزوابع قد يكون عين حربهم فإن الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها أن تخترقها فيؤدي ذلك المنع إلى الدور المشهود في الغبرة في الحس التي آثارها تقابل الريحين المتضادين فمثل ذلك يكون حربهم وما كل زوبعة حربهم وحديث عمرو الجني حمد الله مشهورة مروية وقتله في الزوبعة التي أبصرت فانقشعت عنه وهو على الموت فما لبث أن مات وكان عبداً صالحاً من الجان ولو كان هذا الكتاب مبناه على إيراد أخبار وحكايات لذكرنا منها طرفاً وإنما هذا كتاب علم المعاني فلينظر حكاياتهم في تواريخ الأدب وأشعارهم ثم نرجع ونقول وإن هذا العالم الروحاني إذا تشكل وظهر في صورة حسية يقيده البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة مادام البصر ينظر إليه بالخاصية ولكن من الإنسان فإذا قيده و لم يبرح ناظراً إليه وليس له موضع يتوارى فيه أظهر له هذا الروحاني صورة جعلها عليه كالستر ثم يخيل له مشي تلك الصورة إلى جهة مخصوصة فيتبعها بصره فإذا اتبعها بصره خرج الروحاني عن تقييده فغاب عنه وبمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذي اتبعها بصره فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره فإذا غاب جسم السراج فقد ذلك النور فهكذا هذه الصورة فمن يعرف هذا ويحب تقييده لا يتبع الصورة بصره وهذا من الأسرار الإلهية التي لا تعرف إلا بتعريف الله وليست الصورة غير عين الروحاني بل هي عينه ولو كانت في ألف مكان أو في كل مكان ومختلفة الأشكال وإذا اتفق قتل صورة

من تلك الصور وماتت في ظاهر الأمر انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ كما ننتقل نحن بالموت ولا يبقى له في عالم الدنيا حديث مثلنا سواء وتسمى تلك الصور المحسوسة التي تظهر فيها الروحانيات أجساداً وهو قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسداً وقوله وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام والفرق بين الجان والملائكة وإن اشتركوا في الروحانية إن الجان غذاؤهم ما تحمله الأجسام الطبيعية من المطاعم والملائكة ليست كذلك ولهذا ذكر الله في قصة ضيف إبراهيم الخليل فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم يعني إلى العجل الحنيذ أي لا يأكلون منه وخاف وحين جاء وقت إنشاء عالم الجان توجه من الإمناء الذين في الفلك الأول من الملائكة ثلاثة ثم أخذوا من نوابهم من السماء الثانية ما يحتاجون إليه منهم في هذا النشيء ثم نزلوا إلى السموات فأخذوا من النواب اثنين من السماء الثانية والسادسة من هناك ونزلوا إلى الأركان فهيؤا المحل واتبعتهم ثلاثة أخر من الأمناء وأخذوا من الثانية ما يحتاجون إليه من نوابهم ثم نزلوا إلى السماء الثالثة والخامسة من هناك فأخذوا ملكين ومرّوا بالسماء السادسة فأخذوا نائباً آخر من الملائكة ونزلوا إلى الأركان ليكملوا التسوية فترلت الستة الباقية وأخذت ما بقي من النواب اثنين من السماء الثانية والسادسة من هناك ونزلوا إلى السماء الثالثة والخامسة من هناك فأخذوا ملكين ومروا بالسماء السادسة فأخذوا نائباً آخر من الملائكة ونزلوا إلى الأركان ليكملوا التسوية فترلت الستة الباقية وأخذت ما بقي من النواب في السماء الثانية وفي السموات فاجتمع الكل على تسوية هذه النشأة بإذن العليم الحكيم فلما تمت نشأته واستقامت بنيته توجه الروح من عالم الأمر فنفخ في تلك الصورة روحاً سرت فيه بوجودها الحياة فقام ناطقاً بالحمد والثناء لمن أوجده جبلة جبل عليها وفي نفسه عزة وعظمة لا يعرف سببها ولا على من يعتزبها إذ لم يكن ثم مخلوق آخر من عالم الطبائع سواه فبقي عابداً لربه مصراً على عزته متواضعاً لربوبية موجده بما يعرض له مما هو عليه في نشأته إلى أن خلق آدم فلما رأى الجان صورته غلب على واحد منهم اسمه الحارث بغض تلك النشأة وتجهم وجهه

لرؤية تلك الصورة الآدمية وظهر ذلك منه لجنسه فعتبوه لذلك لما رأوه عليه من الغم والحزن لها فلما كان من أمر آدم ما كان أظهر الحارث ما كان يجد في نفسه منه وأبى عن امتثال أمر خالقه بالسجود لآدم واستكبر على آدم بنشأته وافتخر بأصله وغاب عنه سرّ قوّة الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ومنه كانت حياة الجان وهم لا يشعرون وتأمل إن كنت من أهل الفهم قوله تعالى "وكان عرشه على الماء" فحي العرش وما حوى عليه من المخلوقات وإن من شيء إلا يسبح بحمده فجاء بالنكرة ولا يسبح إلا حي ورد في الحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الملائكة قالت يا رب في حديث طويل هل خلقت شيأ أشد من النار قال نعم الماء فجعل الماء أقوى من النار فلو كان عنصر الهواء في نشأة الجان غير مشتعل بالنار لكان الجان أقوى من بني آدم فإن الهواء أقوى من الماء فإن الملائكة قالت في هذا الحديث يا رب فهل خلقت شيأ أشد من الماء قال نعم الهواء ثم قالت يا رب فهل خلقت شيأ أشد من الهواء قال نعم ابن آدم الحديث فجعل النشأة الإنسانية أقوى من الهواء وجعل الماء أقوى من النار وهو العنصر الأعظم في الإنسان كما أن النار العنصر الأعظم في الجان ولهذا قال في الشيطان "إن كيد الشيطان كان ضعيفاً" فلم ينسب إليه من القوة شيأ ولم يرد على العزيز في قوله "إن كيدكن عظيم" ولا أكذبه مع ضعف عقل المرأة عن عقل الرجل فإن النساء ناقصات عقل فما ظنك بقوة الرجل وسبب ذلك أن النشأة الإنسانية تعطي التؤدة في الأمور والأناة والفكر والتدبير لغلبة العنصرين الماء والتراب على مزاجه فيكون وافر العقل لأن التراب يثبطه ويمسكه والماء يلينه ويسهله والجان ليس كذلك فإنه ليس لعقله ما يمسكه عليه ذلك الإمساك الذي للإنسان ولهذا يقال فلان خفيف العقل وسخيف العقل إذا كان ضعيف الرأي هلباجة وهذا هو نعت الجان وبه ضل عن طريق الهدى لخفة عقله وعدم تثبته في نظره فقال أنا خير منه فجمع بين الجهل وسوء الأدب لخفته فمن عصى من الجان كان شيطاناً أي مبعوداً من رحمة الله وكان أول من سمي شيطاناً من الجن

الحارث فأبلسه الله أي طرده من رحمته وطرد الرحمة عنه ومنه تفرعت الشياطين بأجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن إبليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقي على كفره كان شيطاناً وهي مسئلة خلاف بين علماء الشريعة فقال بعضهم إن الشيطان لا يسلمأبداً وتأول قوله عليه السلام في شيطانه وهو القرين الموكل به إن الله أعانه عليه فأسلم روي برفع الميم وفتحها أيضاً فتأول هذا القائل الرفع بأنه قال فأسلم منه أي ليس له عليّ سبيل وهكذا تأوله المخالف وتأول الفتح فيه على الانقياد قال فمعناه انقاد مع كونه عدواً فهو بعينه لا يأمرني إلا بخير جبراً من الله وعصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المخالف معنى فأسلم بالفتح أي آمن بالله كما يسلم الكافر عندنا فيرجع مؤمناً وهو الأولى والأوجه وأكثر الناس يزعمون أنه أول الجن بمنزلة آدم من الناس وليس كذلك عندنا بل هو واحد من الجن وإن الأول فيهم بمنزلة آدم في البشر إنما هو غيره ولذلك قال الله تعالى "إلا إبليس كان من الجن" أي من هذا الصنف من المخلوقين كما كان قابيل من البشر وكتبه الله شقياً فهو أول الأشقياء من البشر وإبليس أول الأشقياء من الجن وعذاب الشياطين من الجن في جهنم أكثر ما يكون بالزمهرير لا بالحرور وقد يعذب بالنار وبنو آدم أكثر عذابهم بالنار ووقفت يوماً على مخبول العقل من الأولياء وعيناه تدمعان وهو يقول للناس لا تقفوا مع قوله تعالى "لأملأن جهنم منك" لأبليس فقط بل انظروا في إشارته سبحانه لكم بقوله لإبليس "جهنم منك" فإنه مخلوق من النار فيعود لعنه الله إلى أصله وإن عذب به فعذاب الفخار بالنار أشد فتحفظوا فما نظر هذا الولي من ذكر جهنم إلا النار خاصة وغفل عن أن جهنم اسم لحرورها وزمهريرها وبجملتها سميت جهنم لأنها كريهة المنظر والجهام والسحاب الذي قد هرق ماءه والغيث رحمة الله فلما أزال الله الغيث من السحاب بإنزاله أطلق عليه اسم الجهام لزوال الرحمة الذي هو الغيث منه كذلك الرحمة أزالها الله من جهنم فكانت كريهة المنظر

والمخبر وسميت أيضاً جهنم لبعد قعرها يقال ركية جهنام إذا كانت بعيدة القعر نسأل الله العظيم لنا وللمؤمنين إلا من منها ويكفي هذا القدر من هذا الباب.

الباب العاشر في معرفة دورة الملك

وأول منفصل فيها عن أول موجود وآخر منفصل فيها عن آخر منفصل عنه وبماذا عمر الموضع المنفصل عنه منهما وتمهيد الله هذه المملكة حتى جاء مليكها وما مرتبة العالم الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وهو زمان الفترة

الملك لو لا وجود الملك ما عرفا ... ولم تكن صفة مما به وصفا
فدورة الملك برهان عليه لذا ... قد التقت طرفاها هكذا كشفا
فكان آخرها كمثل أولها ... وكان أولها عن سابق سلفا
وعندما كملت بالختم قام بها ... مليكها سيد الله معترفا
أعطاه خالقه فضلاً معارفها ... وما يكون وما قد كان وانصرفا

اعلم أيدك الله أنه ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم لا فخر بالراء وفي رواية بالزاي وهو البجح بالباطل وفي صحيح مسلم أنا سيد الناس يوم القيامة فثبتت له السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر وقال عليه السلام كنت نبياً وآدم بين الماء والطين يريد على علم بذلك فأخبره الله تعالى بمرتبته وهو روح قبل إيجاده الأجسام الإنسانية كما أخذ الميثاق على بني آدم قبل إيجاده أجسامهم وألحنا الله تعالى بأنبيائه بأن جعلنا شهداء على أممهم معهم حين يبعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وهم الرسل فكانت الأنبياء في العالم نوابه صلى الله عليه وسلم من آدم إلى آخر الرسل عليهم السلام وقد أبان صلى الله عليه وسلم عن هذا المقام بأمور منها قوله صلى الله عليه وسلم والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني وقوله في نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان أنه يؤمنا أي يحكم فينا بسنة نبينا عليه السلام ويكسر الصليب ويقتل الختزير ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم قد بعث في زمان آدم لكانت الأنبياء وجميع الناس تحت حكم شريعته إلى يوم القيامة حساً ولهذا لم يبعث عامة إلا هو خاصة فهو الملك والسيد وكل رسول سواه فبعث إلى قوم مخصوصين فلم تعم رسالة أحد من الرسل سوى رسالته صلى الله عليه وسلم فمن زمان آدم عليه السلام إلى زمان بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ملكه وتقدمه في الآخرة على جميع الرسل وسيادته فمنصوص على ذلك في الصحيح عنه فروحانيته صلى الله عليه وسلم موجودة وروحانية كل نبي ورسول فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة بما يظهرون به من الشرائع والعلوم في زمان وجودهم رسلاً وتشريعه الشرائع كعلي ومعاذ وغيرهما في زمان وجودهم ووجود صلى الله عليه وسلم وكإلياس وخضر عليهما السلام وعيسى عليه السلام في زمان ظهوره في آخر الزمان حاكماً بشرع محمد صلى الله عليه وسلم في أمته المقرر في الظاهر لكن لما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه صلى الله

عليه وسلم أولاً نسب كل شرع إلى من بعث به وهو في الحقيقة شرع محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك كما هو مفقود العين الآن وفي زمان نزول عيسى عليه السلام والحكم بشرعه وأما نسخ الله بشرعه جميع الشرائع فلا يخرج هذا النسخ ما تقدم من الشرائع أن يكون من شرعه فإن الله قد أشهدنا في شرعه الظاهر المنزل به صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا واتفاقنا على أن ذلك المنسوخ شرعه الذي بعث به إلينا فنسخ بالمتأخر المتقدم فكان تنبيهاً لنا هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة على أن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعاً له وكان نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكماً بغير شرعه أو بعضه الذي كان عليه في زمان رسالته وحكمه بالشرع المحمدي المقرر اليوم دليلاً على أنه لا حكم لأحد اليوم من الأنبياء عليهم السلام مع وجود ما قرره صلى الله عليه وسلم في شرعه ويدخل في ذلك ما هم عليه أهل الذمة من أهل الكتاب ماداموا يعطون الجزية عن يدوهم صاغرون فإن حكم الشرع على الأحوال فخرج من هذا المجموع كله أنه ملك وسيد على جميع بني آدم وإن جميع من تقدمه كان ملكاً له وتبعاً والحاكمون فيه نواب عنه فإن قيل فقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني فالجواب نحن ما فضلناه بل الله فضله فإن ذلك ليس لنا وإن كان قد ورد أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده لما ذكر الأنبياء عليهم السلام فهو صحيح فإنه قال فبهداهم وهداهم من الله وهو شرعه صلى الله عليه وسلم أي الزم شرعك الذي ظهر به نوابك من إقامة الدين ولا تتفرقوا فيه فلم يقل فيهم اقتده وفي قوله ولا تتفرقوا فيه تنبيه على أحدية الشرائع وقوله اتبع ملة إبراهيم وهو الدين فهو مأمور باتباع الدين فإن الدين إنما هو من الله لا من غيره وانظروا في قوله عليه السلام لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني فأضاف الاتباع إليه وأمر هو صلى الله عليه وسلم باتباع الدين وهدي الأنبياء لا بهم فإن الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنائب من نوابه حكم إلا له فإذا غاب حكم النواب بمراسمه فهو الحاكم غيباً وشهادة وما أوردنا هذه الأخبار والتنبيهات إلا تأنيساً لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه ولا أطلعه الله على ذلك من

نفسه وأما أهل الله فهم على ما نحن عليه فيه قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك من عند ربهم في نفوسهم وإن كان يتصور على جميع ما أوردناه في ذلك احتمالات كثيرة فذلك راجع إلى ما تعطيه الألفاظ من القوة في أصل وضعها لا ما هو عليه الأمر في نفسه عند أهل الأذواق الذين يأخذون العلم عن الله كالخضر وأمثاله فإن الإنسان ينطق بالكلام يريد به معنى واحداً مثلاً من المعاني التي يتضمنها ذلك الكلام فإذا فسر بغير مقصود المتكلم من تلك المعاني فإنما فسر المفسر بعض ما تعطيه قوة اللفظ وإن كان لم يصب مقصود المتكلم ألا ترى الصحابة كيف شق عليهم قوله تعالى "الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم" فأتى به نكرة فقالوا وأينا لم يلبس إيمانه بظلم فهؤلاء الصحابة وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ما عرفوا مقصود الحق من الآية والذي نظروه سائغ في الكلمة غير منكور فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كما ظننتم وإنما أراد الله بالظلم هنا ما قال لقمان لابنه وهو يعظمه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم فقوة الكلمة تعم كل ظلم وقصد المتكلم إنما هو ظلم معين مخصوص فكذلك ما أوردناه من الأخبار في أن بني آدم سوقة وملك لهذا السيد محمد صلى الله عليه وسلم هو المقصود من طريق الكشف كما كان الظلم هناك المقصود من المتكلم به الشرك خاصة ولذلك تتقوى التفاسير في الكلام بقرائن الأحوال فإنها المميزة للمعاني المقصودة للمتكلم فكيف من عنده الكشف الإلهي والعلم اللدني الرباني فينبغي للعاقل المنصف أن يسلم لهؤلاء القوم ما يخبرون به فإن صدقوا في ذلك فذلك الظن بهم وانصفوا بالتسليم حيث لم يرد المسلم ما هو حق في نفس الأمر وإن لم يصدقوا لم يضر المسلم بل انتفعوا حيث تركوا الخوض فيما ليس لهم به قطع وردّوا علم ذلك إلى الله تعالى فوفوا الربوبية حقها إذ كان ما قاله أولياء الله ممكناً فالتسليم أولى بكل

وجه وهذا الذي نزعنا إليه من دورة الملك قال به غيرنا كالإمام أبي القاسم بن قسي في خلعه وهو روايتنا عن ابنه عنه وهو من سادات القوم وكان شيخه الذي كشف له على يديه من أكبر شيوخ المغرب يقال له ابن خليل من أهل لبله فنحن ما نعتمد في كل ما نذكره الأعلى ما يلقى الله عندنا من ذلك لا على ما تحتمله الألفاظ من الوجوه وقد تكون جميع المحتملات في بعض الكلام مقصودة للمتكلم فنقول بها كلها فدورة الملك عبارة عما مهد الله من آدم إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم من الترتيبات في هذه النشأة الإنسانية بما ظهر من الأحكام الإلهية فيها فكانوا خلفاء الخليفة السيد فأول موجود ظهر من الأجسام الإنسانية كان آدم عليه السلام وهو الأب الأول من هذا الجنس وسائر الآباء من الأجناس يأتي بعد هذا الباب إن شاء الله وهو أول من ظهر بحكم الله من هذا الجنس ولكن كما قررناه ثم فصل عنه أباً ثانياً لنا سماه أما فصح لهذا الأب الأول الدرجة عليها لكونه أصلاً لها فختم النواب من دورة الملك بمثل ما به بدأ لينبه على أن الفضل بيد الله وإن ذلك الأمر ما اقتضاه الأب الأول لذاته فأوجد عيسى عن مريم فتنزلت مريم منزلة آدم وتنزل عيسى منزلة حواء فكما وجدت أنثى من ذكر وجد ذكر من أنثى فختم بمثل ما به بدأ في إيجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكان عيسى وحواء أخوان وكان آدم ومريم أبوان لهما إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم فأوقع التشبيه في عدم الأبوة الذكرانية من أجل أنه نصبه دليلاً لعيسى في براءة أمه و لم يوقع التشبيه بحواء وإن كان الأمر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل إذ كانت محلاً موضوعاً للولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الأدلة ارتفاع الشكوك وفي حواء من آدم لا يقع الالتباس لكون آدم ليس محلاً لما صدر عنه من الولادة وهذا لا يكون دليلاً إلا عند من ثبت عنده وجود آدم وتكوينه والتكوين منه وكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد من غير أم فالمثل من طريق المعنى إن عيسى كحواء ولكن لما كان الدخل يتطرق في ذلك من المنكر لكون الأنثى كما قلنا محلاً لما صدر عنها كظهور حواء من آدم من غير أم وهو الأب الثاني ولما انفصلت حواء من آدم عمر موضعها منه بالشهوة النكاحية إليها التي وقع بها الغشيان لظهور التناسل والتوالد وكان الهواء الخارج الذي عمر موضعه جسم حواء عند خروجها إذ لا

خلاء في العالم فطلب ذلك الجزء الهوائي موضعه الذي أخذته حواء بشخصيتها فحرك آدم لطلب مزضعه فوجده معموراً بحواء فوقع عليها فلما تغشاها حملت منه فجاءت بالذرية فبقي ذلك سنة جارية في الحيوان من بني آدم وغيره بالطبع لكن الإنسان هو الكلمة الجامعة ونسخة العالم فكل ما في العالم جزء منه وليس الإنسان بجزء لواحد من العالم وكان سبب هذا بهذا الالتحام الطبيعي الإنساني الكامل بالصورة الذي أراده الله ما يشبه القلم الأعلى واللوح المحفوظ الذي يعبر عنه بالعقل الأول والنفس الكل وإذا قلت القلم الأعلى فتفطن للإشارة التي تتضمن الكاتب وقصد الكتابة فيقوم معك معنى قول الشارع إن الله خلق آدم على صورته ثم عبارة الشارع في الكتاب العزيز في إيجاد الأشياء عن كن فأتى بحرفين اللذين هما بمنزلة المقدمتين وما يكون عند كن بالنتيجة وهذان الحرفان هما الظاهران والثالث الذي هو الرابط بين المقدمتين خفي في كن وهو الواو المحذوف لالتقاء الساكنين كذلك إذا التقى الرجل والمرأة لم يبق للقم عين ظاهرة فكان القاؤه النطفة في الرحم غيباً لأنه سر ولهذا عبر عن النكاح بالسر في اللسان قال تعالى "ولكن لا تواعدوهن سراً" وكذلك عن الإلقاء يسكنان عن الحركة ويمكن إخفاء القلم كما خفي الحرف الثالث الذي هو الواو من كن للساكنين وكان الواو لأن له العلو لأنه متولد عن الرفع وهو إشباع الضمة وهو من حروف العلة وهذا الذي ذكرناه إنما هو إذا كان الملك عبارة عن الأناسي خاصة فإن نظرنا إلى سيادته على جميع ما سوى الحق كما ذهب إليه بعض الناس للحديث المروي أن الله يقول لولاك يا محمد ما خلقت سماء ولا أرضاً ولا جنة ولا ناراً وذكر خلق كل ما سوى الله فيكون أول منفصل فيها النفس

الكلية عن أول موجود وهو العقل الأول وآخر منفصل فيها حواء عن آخر موجود آدم فإن الإنسان آخر موجود من أجناس العالم فإنه ما ثم إلا ستة أجناس وكل جنس تحته أنواع وتحت الأنواع أنواع فالجنس الأول الملك والثاني الجان والثالث المعدن والرابع النبات والخامس الحيوان وانتهى الملك وتمهد واستوى وكان الجنس السادس جنس الإنسان وهو الخيفة على هذه المملكة وإنما وجد آخراً ليكون إماماً بالفعل حقيقة لا بالصلاحية والقوة فعندما وجد عينه لم يوجد إلا والياً سلطاناً ملحوظاً ثم جعل له نواباً حين تأخرت نشأة جسده فأول نائب كان له وخليفة آدم عليه السلام ثم ولد واتصل النسل وعين في كل زمان خلفاء إلى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر محمد صلى الله عليه وسلم فظهر مثل الشمس الباهرة فاندرج كل نور في نروه الساطع وغاب كل حكم في حكمه وانقادت جميع الشرائع إليه وظهرت سيادته التي كانت باطنة فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم فإنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال عن ربه ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين فحصل له التخلق والنسب الإلهي من قوله تعالى عن نفسه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وجاءت هذه الآية في سورة الحديد الذي فيه بأس شديد ومنافع للناس فلذلك بعث بالسيف وأرسل رحمة للعالمين وكل منفصل عن شيء فقد كان عامراً لما عنه انفصل وقد قلنا أنه لا خلاء في العالم فعمر موضع انفصاله بظله إذ كان انفصاله إلى النور وهو للظهور فلما قابل النور بذاته امتد ظله فعمر موضع انفصاله فلم يفقده من انفصل عنه فكان مشهوداً لمن انفصل إليه ومشهوداً لمن انفصل عنه وهو المعنى الذي أراده القائل بقوله "شهدتك موجوداً بكل مكان" فمن أسرار العالم أنه ما من شيء يحدث إلا وله ظل يسجد لله ليقوم بعبادة ربه على كل حال سواء كان ذلك الأمر الحادث مطيعاً أو عاصياً فإن كان من أهل الموافقة كان هو وظله على السواء وإن كان مخالفاً ناب ظله منابه في الطاعة لله قال الله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال السلطان ظل الله في الأرض إذ كان ظهوره بجميع صور الأسماء الإلهية التي لها الأثر في عالم الدنيا والعرش ظل الله في الآخرة فالظلالات أبداً تابعة للصورة المنبعثة عنها حساً ومعنى فالحس قاصر لا يقوى قوة الظل المعنوي للصورة المعنوية لأنه يستدعي نوراً مقيداً لما في الحس من التقييد والضيق وعدم الاتساع ولهذا نبهنا على الظل المعنوي بما جاء في الشرع من أن السلطان ظل الله في الأرض فقد بان لك إن بالظلالات عمرت

الأماكن فهنا قد ذكرنا طرفاً مما يليق بهذا الباب و لم نمعن فيه مخافة التطويل وفيما أوردناه كفاية لمن تنبه إن كان ذا فهم سليم وتذكرة لمن شاهد وعلم واشتغل بما هو أعلى أو غفل بما هو أنزل فيرجع إلى ما ذكرناه عندما ينظر في هذا الباب.

"فصل" وأما مرتبة العالم الذي بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم أهل الفترة فمنهم من وحد الله بما تجلى لقلبه عند فكره وهو صاحب الدليل فهو على نور من ربه ممتزج بكون من أجل فكره فهذا يبعث أمة وحده كقس بن ساعدة وأمثاله فإنه ذكر في خطبته ما يدل على ذلك فإنه ذكر المخلوقات واعتباره فيها وهذا هو الفكر ومنهم من وحد الله بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكرة ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهم على نور من ربهم خالص غير ممتزج بكون فهؤلاء يحشرون أحفياء أبرياء ومنهم من ألقى في نفسه وأطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره لخلوص يقينه على مترلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطناً من زمان آدم إلى وقت هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى "أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه" يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف به فهذا يحشر يوم القيامة في ضغائن خلقه وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من تبع ملة حق ممن تقدمه كمن تمود أو تنصر أو اتبع ملة إبراهيم أو من كان من الأنبياء لما علم واعلم أنهم رسل من عند الله يدعون إلى الحق لطائفة مخصوصة تتبعهم وآمن بهم وسلك سننهم فحرم على نفسه ما

حرمه ذلك الرسول وتعبد نفسه مع الله بشريعته وإن كان ذلك ليس بواجب عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثاً إليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة ويتميز في زمرته في ظاهريته إذ كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر ومنهم من طالع في كتب الأنبياء شرف محمد صلى الله عليه وسلم ودينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وإن لم يدخل في شرع نبي ممن تقدم وأتى مكارم الأخلاق فهذا أيضاً يحشر في المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا في العاملين ولكن في ظاهريته صلى الله عليه وسلم ومنهم من آمن بنبيه وأدرك نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به فله أجران وهؤلاء كلهم سعداء عند الله ومنهم من عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور هو بالنظر إليه غاية قوته لضعف في مزاجه عن قوة غيره ومنهم من عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق ومنهم من أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوّته ومنهم من أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي ومنهم من أشرك عن تقليد فذلك شقي ومنهم من عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها لضعفها ومنهم من عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء في النظر أو تقليد فذلك شقي فهذه كلها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم في هذا الباب.

الباب الحادي عشر في معرفة آبائنا العلويات وآمهاتنا السفليات

أنا ابن آباء أرواح مطهرة ... وأمهات نفوس عنصريات
ما بين روح وجسم كان مظهرنا ... عن اجتماع بتعنيق ولذات
ما كنت عن واحد حتى أوحده ... بل عن جماعة آباء وأمات
هم للإله إذا حققت شأنهمو ... كصانع صنع الأشياء بآلات
فنسبة الصنع للنجار ليس لها ... كذاك أوجدنا رب البريات
فيصدق الشخص في توحيد موجده ... ويصدق الشخص في إثبات علات
فإن نظرت إلى الآلات طال بنا ... إسناد عوعنة حتى إلى الذات
وإن نظرت إليه وهو يوجدنا ... قلنا بوحدته لا بالجماعات
إني ولدت وحيد العين منفرداً ... والناس كلهمو أولاد علات

اعلم أيدك الله أنه لما كان المقصود من هذا العالم الإنسان وهو الإمام لذلك أضفنا الآباء والأمهات إليه فقلنا آباؤها العلويات وأمهاتنا السفليات فكل مؤثر أب وكل مؤثر فيه أم هذا هو الضابط لهذا الباب والمتولد بينهما من ذلك الأثر يسمى ابناً ومولداً وكذلك المعاني في انتاج العلوم إنما هو بمقدمتين تنكح إحداهما الأخرى بالمفرد الواحد الذي يتكرر فيهما وهو الرابط وهو النكاح والنتيجة التي تصدر بينهما هي المطلوبة فالأرواح كلها آباء والطبيعة أم لما كانت محل الاستحالات وتتوجه هذه الأرواح على هذه الأركان التي هي العناصر القابلة للتغيير والاستحالة تظهر فيها المولدات وهي المعادن والنبات والحيوان والجان والإنسان أكملها وكذلك جاء شرعنا أكمل الشرائع حيث جرى مجرى الحقائق الكلية فأوتي جوامع الكلم واقتصر على أربع نسوة وحرم ما زاد على

ذلك بطريق النكاح الموقوف على العقد فلم يدخل في ذلك ملك اليمين وأباح ملك اليمين في مقابلة الأمر الخامس الذي ذهب إليه بعض العلماء كذلك الأركان من عالم الطبيعة أربعة وبنكاح العالم العلوي لهذه الأربعة بوجد الله ما يتولد فيها واختلفوا في ذلك على ستة مذاهب فطائفة زعمت أن كل واحد من هذه الأربعة أصل في نفسه وقالت طائفة ركن النار هو الأصل فما كثف منه كان هواء وما كثف من الهواء كان ماء وما كثف من الماء كان تراباً وقالت طائفة ركن الهواء هو الأصل فما سخف منه كان ناراً وما كثف منه كان ماء وقالت طائفة ركن الماء هو الأصل وقالت طائفة ركن التراب هو الأصل وقالت طائفة الأصل أمر خامس ليس واحداً من هذه الأربعة وهذا هو الذي جعلناه بمنزلة ملك اليمين فعمت شريعتنا في النكاح أتم المذاهب ليندرج فيها جميع المذاهب وهذا المذهب بالأصل الخامس هو الصحيح عندنا وهو المسمى بالطبيعة فإن الطبيسعة معقول واحد عنها ظهر ركن النار وجميع الأركان فيقال ركن النار من الطبيعة ما هو عينها ولا يصح أن يكون المجموع الذي هو عين الأربعة فإن بعض الأركان منافر للآخر بالكلية وبعضها منافر لغيره بأمر واحد كالنار والماء متنافران من جميع الوجوه والهواء والتراب كذلك ولهذا رتبها الله في الوجود ترتيباً حكمياً لأجل الاستحالات فلو جعل المنافر مجاور المنافرة لما استحال إليه وتعطلت الحكمة فجعل الهواء يلي ركن النار والجامع بينهما الحرارة وجعل الماء يلي الهواء والجامع بينهما الرطوبة وجعل التراب يلي الماء والجامع بينهما البرودة فالمحيل أب والمستحيل أم والاستحالة نكاح والذي استحال إليها ابن فالمتكلم أب والسامع أم والتكلم نكاح والموجود من ذلك في فهم السامع ابن فكل أب علوي فإنه مؤثر وكل أم سفلية فإنها مثر فيها وكل نسبة بينهما معينة نكاح وتوجه وكل نتيجة ابن ومن هنا يفهم قول المتكلم لمن يريد قيامه قم فيقوم المراد بالقيام عن أثر لفظة قم فإن لم يقم السامع وهو أم بلا شك فهو عقيم وإذا كان عقيماً فليس بأم في تلك الحالة وهذا الباب إنما يختص بالأمهات فأول الآباء العلوية معلوم وأول الأمهات السفلية شيئية المعدوم الممكن وأول نكاح القصد بالأمر وأول ابن وجود عين تلك الشيئية التي ذكرنا فهذا أب ساري الأبوة وتلك أم سارية الأمومة وذلك النكاح سار في كل شيء والنتيجة دائمة لا تنقطع في حق كل ظاهر العين فهذا يسمى عندنا النكاح الساري في جميع الذراري يقول الله تعالى في الدليل على ما قلناه إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولنا فيه كتاب شريف منيع الحمى البصير فيه أعمى فكيف من حل به العمى فلو رأيت تفصيل هذا المقام وتوجهات هذه الأسماء الإلهية الإعلام لرأيت أمراً عظيماً وشاهدت مقاماً هائلاً جسيماً فلقد تنزه العارفون بالله وبصنعه الجميل بأولى وبعد أن أشرت إلى فهمك الثاقب ونظرك الصائب بالأب الأول الساري وهو الاسم الجامع الأعظم الذي تتبعه جميع الأسماء في رفعه ونصبه وخفضه الساري حكمه والأمّ الأولية الآخرية السارية في نسبة الأنوثة في جميع الأبناء فلنشرع في الآباء الذين هم أسباب موضوعة بالوضع الإلهي والأمهات واتصالهما بالنكاح المعنوي والحسي المشروع حتى يكون الأبناء أبناء حلال إلى أن أصل إلى التناسل الإنساني وهو آخر نوع تكون وأول مبدع بالقصد تعين فنقول أن العقل الأول الذي هو أول مبدع خلق وهو القلم الأعلى و لم يكن ثم محدث سواه

وكان مؤثراً فيه بما أحدث الله فيه من انبعاث اللوح المحفوظ عنه كانبعاث حواء من آدم في عالم الأجرام ليكون ذلك اللوح موضعاً ومحلاً لما يكتب فيه هذا القلم الأعلى الإلهي وتخطيط الحروف الموضوعة للدلالة على ما جعلها الحق تعالى أدلة عليه فكان اللوح المحفوظ أول موجود انبعاثي وقد ورد في الشرع أن أول ما خلق الله القلم ثم خلق اللوح وقال للقم اكتب قال القلم وما أكتب قال الله له اكتب وأنا أملي عليك فحط القلم في اللوح ما يملي عليه الحق وهو علمه في خلقه الذي يخلق إلى يوم القيامة فكان بين القلم واللوح نكاح معنوي معقول وأثر حسي مشهود ومن هنا كان العمل بالحروف المرقومة عندنا وكان ما أودع في اللوح من الأثر

مثل الماء الدافق الحاصل في رحم الأنثى وما ظهر من تلك الكآبة من المعاني المودعة في تلك الحروف الجرمية بمنزلة أرواح الأولاد المودعة في أجسامهم فأفهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وجعل الحق في هذا اللوح العاقل عن الله ما أوحى به إليه المسبح بحمده الذي لا يفقه تسبيحه إلا من أعلمه الله به وفتح سمعه لما يورده كما فتح سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه لإدراك تسبيح الحصى في كفه الطاهرة الطيبة صلى الله عليه وسلم وإنما قلنا فتح سمعه إذ كان الحصى مازال مذ خلقه الله مسبحاً بحمد موجده فكان خرق العادة في الإدراك السمعي لا فيه ثم أوجد فيه صفتين صفة علم وصفة عمل فبصفة العمل تظهر صور العالم عنه كما تظهر صورة التابوت للعين عند عمل النجار فيها يعطي الصور والصور على قسمين صور ظاهرة حسية وهي الأجرام وما يتصل بها حساً كالأشكال والألوان والأكوان وصور باطنة معنوية غير محسوسة وهي ما فيها من العلوم والمعارف والإرادات وبتينك الصفتين ظهر ما ظهر من الصور فالصفة العلامة أب فإنها المؤثرة والصفة العاملة أم فإنها المؤثر فيها وعنها ظهرت الصور التي ذكرناها فإن النجار المهندس إذا كان عالماً ولا يحسن العمل فيلقي ما عنده على سمع من يحسن عمل النجارة وهذا الإلقاء نكاح فكلام المهندس أب وقبول السامع أم ثم يصير علم السامع أباً وجوارحه أماً وإن شئت قلت فالمهندس أب والصانع الذي هو النجار أم من حيث ما هو مصغ لما يلقي إليه المهندس فإذا أثر فيه فقد أنزل ما في قوته في نفس النجار والصورة التي ظهرت للتجار في بباطنه مما ألقى إليه المهندس وحصلت في وجود خياله قائمة ظاهرة له بمنزلة الود الذي ولد له فهمه من المهندس ثم عمل النجار فهو أب في الخشب الذي هو أم النجارة بالآلات التي يقع بها النكاح وأنزال الماء الذي هو أثر كل ضربة بالقدوم أو قطع بالمنشار وكل قطع وفصل وجمع في القطع المنجورة لإنشاء الصورة فظهر التابوت الذي هو بمنزلة الولد المولود الخارج للحس فهكذا فلتفهم الحقائق في ترتيب الآباء والأمهات والأبناء وكيفية الإنتاج فكل أب ليس عنده صفة العمل فليس هو أب من ذلك الوجه حتى أنه لو كان عالماً ومنع آلة التوصيل بالكلام أو الإشارة ليقع الإفهام وهو غير عامل لم يكن أباً من جميع الوجوه وكان أماً لما حصل في نفسه من العلوم غير أن الجنين لم يخلق فيه الروح في بطن أمه أو مات في بطن أمه فأحالته طبيعة لأم إلى أن تصرف و لم يظهر له عين فافهم وبعد أن عرفت الأب الثاني من الممكنات وأنه أم ثانية للقلم الأعلى كان مما ألقى إليها من الإلقاء الأقدس الروحاني الطبيعة والهباء فكان أول أم ولدت توأمين فأول ما ألقت الطبيعة ثم تبعتها بالهاء فالطبيعة والهباء أخ وأخت لأب واحد وأم واحدة فأنكح الطبيعة الهباء فولد بينهما صورة الجسم الكلي وهو أول جسم ظهر فكان الطبيعة الأب فإن لها الأثر وكان الهباء الأم فإن فيها ظهر الأثر وكانت النتيجة الجسم ثم نزل التوالد في العالم إلى التراب على ترتيب مخصوص ذكرناه في كتابنا المسمى بعقلة المستوفز وفيه طول لا يسعه هذا الباب فإن الغرض الاختصار ونحن لا نقول بالمركز وإنما نقول بنهاية الأركان وإن الأعظم يجذب الأصغر ولهذا نرى البخار والنار يطلبان العلو والحجر وما أشبهه يطلب السفل فاختلفت الجهات وذلك على الاستقامة من الاثنين أعني طالب العلو والسفل فإن القائل بالمركز يقول إنه أمر معقول دقيق تطلبه الأركان ولولا التراب لدار به الماء ولولا الماء لدار به الهواء ولولا الهواء لدار به النار ولو كان كما قال لكنا

نرى البخار يطلب السفل والحس يشهد بخلاف ذلك وقد بينا هذا الفصل في كتاب المركز لنا وهو جزء لطيف فإذا ذكرناه في بعض كتبنا إنما نسوقه على جهة مثال النقطة من الأكرة التي عنها يحدث المحيط لما لنا في ذلك من الغرض المتعلق بالمعارف الإلهية والنسب لكون الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط على السواء لتساوي النسب حتى لا يقع هناك تفاضل فإنه لو وقع تفاضل أدى إلى نقص المفضول والأمر ليس كذلك وجعلناه محل العنصر الأعظم تنبيهاً على أن الأعظم يحكم على الأقل وذركناه مشاراً إليه

في عقلة المستوفز ولما أدار الله هذه الأفلاك العلوية وأوجد الأيام بالفلك الأول وعينه بالفلك الثاني الذي فيه الكواكب الثابتة للأبصار ثم أوجد الأركان تراباً وماء وهواء وناراً ثم سوى السموات سبعاً طباقاً وفتقها أي ففصل كل سماء على حدة بعدما كانت رتقاً إذ كانت دخاناً وفتق الأرض إلى سبع أرضين سماء أولى لأرض أولى وثانية لثانية إلى سبع وخلق الجواري الخنس خمسة في كل سماء كوكب وخلق القمر وخلق أيضاً الشمس فحدث الليل والنهار بخلق الشمس في اليوم وقد كان اليوم موجوداً فجعل النصف من هذا اليوم لأهل الأرض نهاراً وهو من طلوع الشمس إلى غروبها وجعل النصف الآخر منه ليلاً وهو من غروب الشمس إلى طلوعها واليوم عبارة عن المجموع ولهذا خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام فإن الأيام كانت موجودة بوجود حركة فلك البروج وهي اليام المعروفة عندنا لا غير فما قال الله خلق العرش والكرسي وإنما قال خلق السموات والأرض في ستة أيام فإذا دار فلك البروج دورة واحدة فذلك هو اليوم الذي خلق الله فيه السموات والأرض ثم أحدث الله الليل والنهار عند وجود الشمس لا الأيام وأما ما يطرأ فيها من الزيادة والنقصان أعني في الليل والنهار لا في الساعات فإنها أربع وعشرون ساعة وذلك لحلول الشمس في منطقة البروج وهي حائلية بالنسبة إلينا فيها ميل فيطول النهار إذا كانت الشمس في المنازل العالية حيث كانت وإذا حلت الشمس في المنازل النازلة قصر النهار حيث كانت وإنما قلنا حيث كانت فإنه إذا طال الليل عندنا طال النهار عند غيرنا فتكون الشمس في المنازل العالية بالنسبة إليهم وفي المنازل النازلة بالنسبة إلينا فإذا قصر النهار عندنا طال الليل عندهم لما ذكرناه واليوم هو اليوم بعينه أربع وعشرون ساعة لا يزيد ولا ينقص ولا يطول ولا يقصر في موضع الاعتدال فهذا هو حقيقة اليوم ثم قد نسمي النهار وحده يوماً بحكم الاصطلاح فافهم وقد جعل الله هذا الزمان الذي هو الليل والنهار يوماً والزمان هو اليوم والليل والنهار موجودان في الزمان جعلهما أباً وأماً لما يحدث الله فيهما كما قال يغشى الليل النهار كمثل قوله في آدم فلما تغشاها حملت فإذا غشي الليل النهار كان الليل أباً وكان النهار أماً وصار كل ما يحدث الله في النهار بمترلة الأولاد التي تلد المرأة وإذا غشي النهار الليل كان النهار أباً وكان الليل أماً وكان كل ما يحدث الله من الشؤن في الليل بمترلة الأولاد التي تلد الأم وقد بينا هذا الفصل في كتاب الشأن لنا تكلمنا فيه على قوله تعالى "كل يوم هو في شأن" وسيأتي إن شاء الله في هذا الكتاب إن ذكرنا الله به من معرفة الأيام طرفاً شافياً وكذلك قال تعالى أيضاً "يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل" فزاد بياناً في التناكح وأبان سبحانه بقوله "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أن الليل أم له وأن النهار متولد عنه كما ينسلخ المولود من أمه إذا خرج منها والحية من جلدها فيظهر مولداً في عالم آخر غير العالم الذي يحويه الليل والأب هو اليوم الذي ذكرناه وقد بينا ذلك في كتاب الزمان لنا ومعرفة الدهر فهذا الليل والنهار أبوان بوجه وأمان بوجه وما يحدث الله فيهما في عالم الأركان من المولدات عند تصريفهما يسمون أولاد الليل والنهار كما قررناه ولما أنشأ الله أجرام العالم كله القابل للتكوين فيه جعل من حد مايلي مقعر السماء الدنيا إلى باطن الأرض عالم الطبيعة والاستحالات وظهور الأعيان التي تحدث عند الاستحالات وجعلها بمترلة الأم وجعل من مقعر فلك السماء الدنيا إلى آخر الأفلاك بمترلة الأب وقدر فيها منازل وزينها بالأنوار الثابتة والسابحة فالسابحة تقطع في الثابتة والثابتة والسابحة تقطع في الفلك المحيط بتقدير العزيز بدليل

أنه رؤي في بعض الأهرام التي بديار مصر مكتوباً بقلم يذكر في ذلك تاريخ لأهرام أنها بنيت والنسر في الأسد ولا شك أنه الآن في الجدي كذا ندركه فدل على أن الكواكب الثابتة تقطع في فلك البروج الأطلس والله يقول في القمر "والقمر قدرناه منازل" وقال في الكواكب "كل في فلك يسبحون" وقال تعالى "والشمس تجري لمستقر لها" وقد قرئ لا مستقر لها وليس بين القراءتين تنافر ثم قال

"ذلك تقدير العزيز العليم ينظر إلى قوله في القمر أنه قدره منازل وقال "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" أي في شيء مستدير وجعل لهذه الأنوار المسماة بالكواكب أشعة متصلة بالأركان تقوم اتصالاتها بها مقام نكاح الآباء للأمهات فيحث الله تعالى عند اتصال تلك الشعاعات النورية في الأركان الأربعة من عالم الطبيعة ما يتكون فيها مما نشاهده حساً فهذه الأركان لها بمترلة الأربعة النسوة في شرعنا وكما لا يكون نكاح شرعي عندنا حلالاً إلا بعقد شرعي كذلك أوحى في كل سماء أمرها فكان من ذلك الوحي تترل الأمر بينهن كما قال تعالى يتترل الأمر بينهن يعني الأمر الإلهي وفي تفسير هذا التترل أسرار عظيمة تقرب مما نشير إليه في هذا الباب وقد روى عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية لو فسرتها لقلتم إني كافر وفي رواية لرجمتموني وأنها من أسرار آي القرآن قال تعالى "خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن" ثم قال "يتترل الأمر بينهن" ثم تمم وأبان فقال "لتعلموا أن الله على كل شيء قدير" وهو الذي أشرنا إليه بصفة العمل الذي ذكرناه آنفاً من إيجاد الله صفة العلم والعمل في الأب الثاني فإن القدرة للإيجاد وهو العمل ثم تمم في الأخبار فقال وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً وقد أشرنا إليه بصفة العلم التي أعطاها الله للأب الثاني الذي هو النفس الكلية المنبعثة فهو العليم سبحاته بما يوجد القدير على إيجاد ما يريد إيجاده لا مانع له فجعل الأمر يتترل بين السماء والأرض كالولد يظهر بين الأبوين وأما اتصال الأشعة النورية الكوكبية عن الحركة الفلكية السماوية بالأركان الأربعة التي هي أم المولدات في الحين الواحد للكل معاً جعله الحق مثالاً للعارفين في نكاح أهل الجنة في الجنة جميع نسائهم وجواريهم في الآن الواحد نكاحاً حسياً كما أن هذه الاتصالات حسية فينكح الرجل في الجنة جميع من عنده من المنكوحات إذا اشتهى ذلك في الآن الواحد نكاحاً جسمياً محسوساً بإيلاج ووجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم ولا تأخر وهذا هو النعيم الدائم والاقتدار الإلهي والعقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره وإنما يدرك هذا بقوة أخرى إلهية في قلب من يشاء من عباده كما أن الإنسان في الجنة في سوق الصور إذا اشتهى صورة دخل فيها كما تشكل الروح هنا عندنا وإن كان جسماً ولكن أعطاه الله هذه القدرة على ذلك والله على كل شيء قدير وحديث سوق الجنة ذكره أبو عيسى الترمذي في مصنفه فانظره هناك فإذا اتصلت الأشعة النورية في الأركان الأربعة ظهرت المولدات عن هذا النكاح الذي قدره العزيز العليم فصارت المولدات بين آباء وهي الأفلاك والأنوار العلوية وبين أمهات وهي الأركان الطبيعية السفلية وصارت الأشعة المتصلة من الأنوار بالأركان كالنكاح وحركات الأفلاك وسباحات الأنوار بمترلة حركات المجامع وكان حركات الأركان بمترلة المخاض للمرأة لاستخراج الزبد الذي يخرج بالمخض وهو ما يظهر من المولدات في هذه الأركان للعين من صورة المعادن والنبات والحيوان ونوع الجن والإنس فسبحان القادر على ما يشاء لا إله إلا هو رب كل شيء ومليكه قال تعالى "أن اشكر لي ولوالديك" فقد تبين لك أيها الولي آباؤك وأمهاتك من هم إلى أقرب أب لك وهو الذي ظهر عينك به وأمك كذلك القريبة إليك إلى الأب الأول وهو الجد الأعلى إلى ما بينهما من الآباء والأمهات فشكرهم الذي يسرون به ويفرحون بالثناء عليهم هو أن تنسبهم إلى مالكهم وموجدهم وتسلب الفعل عنهم وتلحقه بمستحقه الذي هو خالق كل شيء فإذا فعلت ذلك فقد أدخلت سروراً على آبائك بفعلك ذلك وإدخال هذا السرور عليهم هو عين برك بهم وشكرك إياهم وإذا لم تفعل هذا ونسيت الله بهم فما شكرتهم ولا امتثلت أمر الله في شكرهم فإنه قال "أن اشكر لي" فقدم نفسه ليعرفك أنه السبب الأول والأولى ثم عطف وقال "ولوالديك" وهي الأسباب التي أوجدك الله عندها لتنسبها إليه سبحانه ويكون لها عليك فضل التقدم بالوجود خاصة لأفضل التأثير لأنه في الحقيقة لا أثر لها وإن كانت أسباباً لوجود الآثار فبهذا القدر صح لها الفضل وطلب منك الشكر وأنزلها الحق لك وعندك مترلته في التقدم عليك لا

في الأثر ليكون الثناء بالتقدم والتأثير لله تعالى وبالتقدم والتوقف للوالدين ولكن على ما شرطناه فلا تشرك بعبادة ربك أحداً فإذا أثنيت على الله تعالى وقلت ربنا ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات فلا فرق بين أن أقولها أنا أو يقولها جميع بني آدم من البشر فلم يخاطب شخصاً بعينه حتى يسوق آباءه وأمهاته من آدم وحواء إلى زمانه وإنما القصد هذا النشء الإنساني فكنت مترجماً عن كل مولود بهذا التحميد من عالم الأركان وعالم الطبيعة والإنسان ثم ترتقي في النيابة عن كل مولد بين مؤثر ومؤثر فيه فتحمده بكل لسان وتتوجه إليه بكل وجه فيكون الجزاء لنا من عند الله من ذلك المقام الكلي كما قال لي بعض مشيختي إذا قلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أو قلت السلام عليكم إذا سلمت في طريقك على أحد فاحضر في قلبك كل صالح لله من عباده في الأرض والسماء وميت وحي فإنه من ذلك المقام يرد عليك فلا يبقى ملك مقرب ولا روح مطهر يبلغه سلامك إلا ويرد عليك وهو دعاء فيستجاب فيك فتفلح ومن لم يبلغه سلامك من عباد الله المهيمين في جلاله المشتغلين به المستفرغين فيه وأنت قد سلمت عليهم بهذا الشمول فإن الله ينوب عنهم في الرد عليك وكفى بهذا شرفاً في حقك حيث يسلم عليك الحق فليته لم تسمع أحداً ممن سلمت عليه حتى ينوب عن الجميع في الرد عليك فإنه بك أشرف قال تعالى تشريفاً في حق يحيى عليه السلام "وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً" وهذا سلام فضيلة وأخبار فكيف سلام واجب ناب الحق مناب من أجاب عنه وجزاء الفرائض أعظم من جزاء الفضائل في حق من قيل فيه وسلام عليه يوم ولد فيجمع له بين الفضيلتين وقد وردت صلاة الله علينا ابتداء وما وصل إلي هل ورد السلام ابتداء كما وردت الصلاة أم لا فمن روى في ذلك شيأ وتحققه فقد جعلت أمانة في عنقه أن يلحقه في هذا الموضع إلى جانب صلاة الله علينا في هذا الباب ليكون بشرى للمؤمنين وشرفاً لكتابي هذا والله المعين والموفق لا رب غيره وأما الآباء الطبيعيون والأمهات فلم نذكرهم فلنذكر الأمر الكلي من ذلك وهم أبوان وأمان فالأبوان هما الفاعلان والأمان هما المنفعلان وما يحدث عنهما هو المنفعل عنهما فالحرارة والبرودة فاعلان والرطوبة واليبوسة منفعلان فنكحت الحرارة اليبوسة فأنتجا ركن النار ونكحت الحرارة الرطوبة فأنتجا ركن الهواء ثم نكح البرودة الرطوبة فأنتجا ركن الماء ونكح البرودة اليبوسة فأنتجا ركن التراب فحصلت في الأبناء حقائق الآباء والأمهات فكانت النار حارة يابسة فحرارتها من جهة الأب ويبوستها من جهة الأم وكان الهواء حاراً رطباً فحرارته من جهة الأب ورطوبته من جهة الأم وكان الماء بارداً رطباً فبرودته من جهة الأب ورطوبته من جهة الأم وكانت الأرض باردة يابسة فبرودها من جهة الأب ويبوستها من جهة الأم فالحرارة والبرودة من العلم والرطوبة واليبوسة من الإرادة هذا حدّ تعلقها في وجودها من العلم الإلهي وما يتولد عنهما من القدرة ثم يقع التوالد في هذه الأركان من كونها أمهات لآباء الأنوار العلوية لا من كونها آباء وإن كانت الأبوة فيها موجودة فقد عرفناك أن الأبوة والبنوة من الإضافات والنسب فالأب ابن لأب هو ابن له والابن أب لابن هو أب له وكذلك باب النسب فانظر فيه والله الموفق لا رب غيره ولما كانت اليبوسة منفعلة عن الحرارة وكانت الرطوبة منفعلة عن البرودة قلنا في الرطوبة واليبوسة إنهما منفعلتان وجعلناهما بمنزلة الأم للأركان ولما كانت الحرارة والبرودة فاعلين جعلناهما بمنزلة الأب للأركان ولما كانت الصنعة تستدعي صانعاً ولابد والمنفعل يطلب الفاعل بذاته فإنه منفعل لذاته ولو لم يكن منفعلاً لذاته لما قبل الانفعال والأثر وكان مؤثراً فيه بخلاف الفاعل فإنه يفعل بالاختيار إن شاء فعل فيسمى فاعلاً وإن شاء ترك وليس ذلك للمنفعل ولهذه الحقيقة ذكر تعالى وهو من فصاحة القرآن وإيجازه ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين فذكر المنفعل و لم يذكر ولا حار ولا بارد لما كانت الرطوبة ذكرهما دون ذكر

الأصل وإن كان الكل في الكتاب المبين فلقد جاء الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بعلوم ما نالها أحد سواه كما قال فعلمت

علم الأولين والآخرين في حديث الضرب باليد فالعلم الإلهي هو أصل العلوم كلها وإليه ترجع وقد استوفينا ما يستحقه هذا الباب على غاية الإيجاز والاختصار فإن الطول فيه إنما هو بذكر الكيفيات وأما الأصول فقد ذكرناها ومهدناها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثاني عشر

الجزء الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني عشر في معرفة دورة فلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وهي دورة السيادة وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالى

إلا بأبي من كان ملكاً وسيداً وآدم بين الماء والطين واقف

فذاك الرسول إلا بطحى محمد له في العلي مجد تليد وطارف

أتى بزمان السعد في آخر المدى وكانت له في كل عصر مواقف

أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه فأثنت عليه ألسن وعوارف

إذا رام أمراً لا يكون خلافه وليس لذاك الأمر في الكون صارف

اعلم أيدك الله أنه لما خلق الله الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة عند الله وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد صلى الله عليه وسلم ثم صدرت الأرواح عند الحركات فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة واعلمه الله بنبوّته وبشره بها وآدم لم يكن إلا كما قال بين الماء والطين وانتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد صلى الله عليه وسلم إلى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بذاته جسماً وروحاً فكان الحكم له باطناً أو لا في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين صم صار الحكم له ظاهراً فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الأسمين وإن كان المشرع واحداً وهو صاحب الشرع فإنه قال كنت نبياً وما قال كنت إنساناً ولا كنت موجوداً وليست النبوة إلا بالشرع المقرر عليه من عند الله فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء الذين هم نوابه في هذه الدنيا كما قررناه فيما تقدم من أبواب هذا الكتاب فكانت استدراته انتهاء دورته بالاسم الباطن وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر فقال استدار كهيئته يوم خلقه الله في نسبة الحكم لنا ظاهراً كما كان في الدورة الأولى منسوباً إلينا باطناً أي إلى محمد وفي الظاهر منسوباً إلى من نسب إليه من شرع إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء والرسل وفي الأنبياء من الزمان أربعة حرم هود وصالح وشعيب سلام الله عليهم ومحمد صلى الله عليه وسلم وعينها من الزمان ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر ولما كانت العرب تنسائ الشهور فترد المحرم منها حلالا والحلال منها حراماً وجاء محمد صلى الله عليه وسلم فرد الزمان إلى أصله الذي حكم الله به عند خلقه فعين الحرم من الشهور عرى حد ما خلقها الله عليه فلهذا قال في اللسان الظاهر أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله كذلك استدار الزمان فأظهر محمداً صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه جسماً وروحاً بالاسم الظاهر حساً فنسخ من شرعه المتقدم ما أراد الله أن ينسخ منه وأبقى ما أراد الله أن يبقى منه وذلك من الأحكام خاصة لا من الأصول ولما كان ظهوره بالميزان وهو العدل في الكون وهو معتدل

لأن طبعه الحرارة والرطوبة كان من حكم الآخرة فإن حركة الميزان متصلة بالآخرة إلى دخول الجنة والنار ولهذا كان العلم في هذه الأمة أكثر مما كان في الأوائل وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم علم الأولين والآخرين لأن حقيقة الميزان تعطي ذلك وكان الكشف أسرع في هذه الأمة مما كان في غيرها الغلبة البرد واليبس على سائر الأمم قبلنا وإن كانوا أذكياء وعلماء فأجاد منهم معينون بخلاف ما هم الناس اليوم عليه ألا ترى هذه الأمة قد ترجمت جميع علوم الأمم ولو لم يكن المترجم عالماً بالمعنى الذي دل عليه لفظ المتكلم به لما صح أن يكون هذا مترجماً ولا كان ينطلق على ذلك اسم الترجمة فقد علمت هذه الأمة علم من تقدم واختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فعلمت علم الأولين وهم الذين تقدموه ثم قال والآخرين وهو علم ما لم يكن عند المتقدمين وهو ما تعلمه أمته من بعده إلى يوم القيامة فقد أخبر أن عندنا علو ما لم تكن قبل فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق بذلك فقد ثبتت له صلى الله عليه وسلم السيادة في العلم في الدنيا وثبتت له أيضاً السيادة في الحكم حيث قال لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني ويبين ذلك عند نزول عيسى عليه السلام وحكمه فينا بالقرآن فصحت له السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتحه باب الشفاعة ولا يكون ذلك لنبي يوم القيامة إلا له صلى الله عليه وسلم فقد شفع صلى الله عليه وسلم في الرسل والأنبياء أن تشفع نعم وفي الملائكة فأذن الله تعالى عند شفاعته في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك ورسول ونبي ومؤمن أن يشفع فهو صلى الله عليه وسلم أول شافع بإذن الله وأرحم الراحمين آخر شافع يوم القيامة فيشفع الرحيم عند المنتقم أن يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط فيخرجهم المنعم المتفضل وأي شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها أرحم

الراحمين وآخر الدائرة متصل بأولها فأي شرف أعظم من شرف محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان ابتداء هذه الدائرة حيث اتصل بها آخرها لكمالها فبه سبحانه ابتدأت الأشياء وبه كملت وما أعظم شرف المؤمن حيث نلت شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين فالمؤمن بين الله وبين الأنبياء فإن العلم في حق المخلوق وإن كان له الشرف التام الذي لا تجهل مكانته ولكن لا يعطى السعادة في القرب الإلهي إلا بالإيمان فنور الإيمان في المخلوق أشرف من نور العلم الذي لا إيمان معه فإذا كان الإيمان يحصل عنه العلم فنور ذلك العلم المولد من نور الإيمان أعلى وبه يمتاز على المؤمن الذي ليس بعالم فيرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين درجات على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم ويزيد العلم بالله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه "أنتم أعلم بمصالح دنياكم فلا فلك أوسع من فلك محمد صلى الله عليه وسلم فإن له الإحاطة وهي لمن خصه الله بها من أمته بحكم التبعية فلنا الإحاطة بسائر الأمم ولذلك كنا شهداء على الناس فأعطاه الله من وحي أمر السموات ما لم يعط غيره في طالع مولده فمن الأمر المخصوص بالسماء الأولى من هناك لم يبدل حرف من القرآن لا كلمة ولو ألقى الشيطان في تلاوته ما ليس منها بنقص أو زيادة لنسخ الله ذلك وهذا عصمة ومن ذلك الثبات ما نسخت شريعته بغيرها بل ثبتت محفوظة واستقرت بكل عين ملحوظة ولذلك تستشهد بها كل طائفة ومن الأمر المخصوص بالسماء الثانية من هناك أيضاً خص بعلم الأولين والآخرين والتؤدة والرحمة والرفق وكان بالمؤمنين رحيماً وما أظهر في وقت غلظة على أحد إلا عن أمر إلهي حين قيل له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فأمر به لما لم يقتض طبعه ذلك وإن كان بشراً يغضب لنفسه ويرضى لنفسه فقد قدم لذلك دواء نافعاً يكون في ذلك الغضب رحمة من حيث لا يشعر بها في حال الغضب فكان يدل بغضبه مثل دالته برضاه وذلك لأسرار عرفناها ويعرفها أهل الله منا فصحت له السيادة على العالم من هذا الباب فإن غير أمته قيل فيهم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فأضلهم الله على علم وتولى الله فينا حفظ ذكره فقال "إنا نحن نزلنا

الذكر وإنا له لحافظون لأنه سمع العبد وبصره ولسانه ويده واستحفظ كتابه غير هذه الأمة فحرفوه ومن الأمر المخصوص من وحي السماء الثالثة من هناك أيضاً السيف الذي بعثه به والخلافة واختص بقتال الملائكة معه منها أيضاً فإن ملائكة هذه السماء قاتلت معه يوم بدر ومن هذه السماء أيضاً بعث من قوم ليس لهم همه إلا في قرى الأضياف ونحر الجزر والحروب الدائمة وسفك الدماء وبهذا يتمدحون ويمدحون قيل في بعضهم.

ضروب بنصل السيف سوق سمانها إذا عدموا زاداً فإنك عاقر

وقال الآخر منهم يمدح قومه

لا يبعدون قومي الذين همو سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

فمدحهم بالكرم والشجاعة والعفة يقول عنترة بن شداد في حفظ الجار في أهله

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

ولا خفاء عند كل أحد بفضل العرب على العجم بالكرم والحماسة والوفا وإن كان في العجم كرماء وشجعان ولكن آحاد كما أن في العرب جبناء وبخلاء ولكن أحاد وإنما الكلام في الغالب لا في النادر وهذا ما لا ينكره أحد فهذا مما أوحى الله في هذه السماء فهذا كله من الأمر الذي يتنزل بين السماء والأرض لمن فهم ولو ذكرنا على التفصيل ما في كل سماء من الأمر الذي أوحى الله سبحانه فيها لأبرزمنا من ذلك عجائب ربما كان ينكرها بعض من ينظر في ذلك العلم من طريق الرصد والتسيير من أهل التعاليم ويحار المنصف منهم فيه إذا سمعه ومن الوحي المأمور به في السماء الرابعة نسخه بشريعته جميع الشرائع وظهور دينه على جميع الأديان عند كل رسول ممن تقدمه وفي كل كتاب منزل فلم يبق لدين من الأديان حكم عند الله إلا ما قرر منه فبتقريره ثبت فهو من شرعه وعموم رسالته وإن كان بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله إلا في أهل الجزية خاصة وإنما قلنا ليس هو حكم الله لأنه سماه باطلا فهو على من اتبعه لا له فهذا أعني بظهور دينه على جميع الأديان كما قال النابغة في مدحه:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وهذه منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ومنزلة ما جاء به من الشرع من الأنبياء وشرائعهم سلام الله عليهم أجمعين فإن أنوار الكواكب اندرجت في نور الشمس فالنهار لنا والليل وحده لأهل الكتب إذا أعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون وقد بسطنا في التنزلات الموصلية من أمر كل سماء ما إذا وقفت عليه عرفت بعض ما في ذلك ومن الوحي المأمور به في السماء الخامسة من هناك المختص بمحمد صلى الله عليه وسلم إنه ما ورد قط عن نبي من الأنبياء أنه حبب إليه النساء إلا محمد صلى الله عليه وسلم وإن كانوا قد رزقوا منهن كثيراً كسليمان عليه السلام وغيره ولكن كلامنا في كونه حبب إليه وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان نبياً وآدم بين الماء والطين كما قررناه وعلى الوجه الذي شرحناه فكان منقطعاً إلى ربه لا ينظر معه إلى كون من الأكوان لشغله بالله عنه

فإن النبي مشغول بالتلقي من الله ومراعاة الأدب فلا يتفرغ إلى شيء دونه فحبب الله إليه النساء فأحبهن عناية من الله بهن فكان صلى الله عليه وسلم يحبهن بكون الله حببهن إليه خرج مسلم في صحيحه في أبواب الإيمان "أن رجلاً قال لرسول الله عليه السلام إني أحب أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله جميل يحب الجمال" ومن هذه السماء حب الطيب وكان من سنته النكاح لا التبتل وجعل النكاح عبادة للسر الإلهي الذي أودع فيه ولبس إلا في النساء وذلك ظهور الأعيان للثلاثة الأحكام التي تقدم ذكرها في الإنتاج عن المقدمتين والرابط الذي جعله علة الإنتاج فهذا الفضل وما شاكله مما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم وزاد فيه بنكاح الهبة كما جعل في أمته فيما يبين لها من النكاح لمن لا شيء له من الأعواض بما يحفظه من القرآن خاصة لا إنه يعلمها وهذا وإن لم يقو قوة الهبة ففيه اتساع للأمة وليس في الوسع استيفاء ما أوحى الله من الأمر في كل سماء ومن الأمر الموحي في السماء السادسة إعجاز القرآن والذي أعطيه صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم من هذه السماء تنزل إليه و لم يعط ذلك نبي قبله وقد قال أعطيت ستاً لم يعطهن نبي قبلي وكل ذلك أوحي في السموات من قوله وأوحي في كل سماء أمرها فجعل في كل سماء ما يصلح تنفيذه في الأرض في هذا الخلق فكان من ذلك أن بعث وحده إلى الناس كافة فعمت رسالته وهذا مما أوحى الله به في السماء الرابعة نصر بالرعب وهو مما أوحى الله به في السماء الثالثة من هناك ومنها ما حلل الله له من الغنائم وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً من السماء الثانية من هناك أوتيت جوامع الكلم من أمر وحي السماء السادسة ومن أمر هذه السماء ما خصه الله به من إعطائه إياه مفاتيح خزائن الأرض ومن الوحي المأمور به في السماء السابعة من هناك وهي السماء الدنيا التي تلينا كون الله خصه بصورة الكمال فكملت به الشرائع وكان خاتم النبيين و لم يكن ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم فبهذا وأمثاله انفرد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها والشرف المحيط الأعم صلى الله عليه وسلم فهذا قد نبهنا على ما حصل له في مولده من بعض ما أوحى الله به في كل سماء من أمره وقوله الزمان و لم يقل الدهر ولا غيره ينبه على وجود الميزان فإنه ما خرج عن الحروف التي في الميزان بذكر الزمان وجعل ياء الميزان ممايلي الزاي وخفف الزاي وعددها في الزمان إشعاراً بأن في هذه الزاي حرفاً مدغماً فكان أول وجود الزمان في الميزان للعدل الروحاني وفي الإسم الباطن لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ثم استدار بعد انقضاء دورة الزمان التي هي ثمانية وسبعون ألف سنة ثم ابتدأت دوة أخرى من الزمان بالإسم الظاهر فظهر فيها جسم محمد صلى الله عليه وسلم وظهرت شريعته على التعيين والتصريح لا بالكتابة واتصل الحكم بالآخرة فقال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقيل لنا وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان فبالميزان أوحى في كل سماء أرمها وبه قدر في الأرض أقواتها ونصبه الحق في العالم في كل شيء فميزان معنوي وميزان حسي لا يخطي أبداً فدخل الميزان في الكلام وفي جميع الصنائع المحسوسة وكذلك في المعاني إذ كان أصل وجود الأجسام والأجرام وما تحمله من المعاني عند حكم الميزان وكان وجود الميزان وما فوق الزمان عن الوزن

الإلهي الذي يطلبه الاسم الحكيم ويظهره الحكم العدل لا إله إلا هو وعن الميزان ظهر العقرب وما أوحى الله فيه من الأمر الإلهي والقوس والجدي والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة وانتهت الدورة الزمانية إلى الميزان لتكرار الدور فظهر محمد صلى الله عليه وسلم وكان له في كل جزء من أجزاء الزمان حكم اجتمع فيه بظهوره صلى الله عليه وسلم وهذه الأسماء أسماء ملائكة خلقهم الله وهم الأثنا عشر ملكاً وجعل لهم الله مراتب في الفلك المحيط وجعل بيد كل ملك ما شاء أن يجعله مما يبرزه فيمن هو دونهم إلى تلك الحركات من الأمور الإلهية فمازالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل جود تركيبها إلى أن

ظهرت صورة جسمه في عالم الدنيا بما جبله الله عليه من الأخلاق المحمودة فقيل فيه "وإنك لعلى خلق عظيم" فكان ذا خلق لم يكن ذا تخلق ولما كانت الأخلاق تختلف أحكامها باختلاف المحل الذي ينبغي أن يقابل بها احتاج صاحب الخلق إلى علم يكون عليه حتى يصرف في ذلك المحل الخلق الذي يليق به عن أمر الله فيكون قربه إلى الله فلذلك تترلت الشرائع لتبين للناس محال أحكام الأخلاق التي جبل الإنسان عليها فقال الله في مثل ذلك "ولا تقل لهما أف" لوجود التأفيف في خلقه فأبان عن المحل الذي لا ينبغي أن يظهر فيه حكم هذا الخلق ثم بين المحل الذي ينبغي أن يظهر فيه هذا الخلق فقال أف لكم ولما تعبدون من دون الله وقال تعالى "فلا تخافوهم" فأبان عن المحل الذي ينبغي أن لا يظهر فيه خلق الخوف ثم قال لهم خافوني فأبان لهم حيث ينبغي أن يظهر حكم هذه الصفة وكذلك الحسد والحرص وجميع في هذه النشأة الطبيعية الظاهر حكم روحانيتها فيها قد أبان الله لنا حيث نظهرها وحيث نمنعها فإنه من المحال إزالتها عن هذه النشأة إلا بزوالها لأنها عينها والشيء لا يفارق نفسه قال صلى الله عليه وسلم "لا حسد إلا في اثنتين" وقال زادك الله حرصاً ولا تعد وإنما قلنا الظاهر حكم روحانيتها فيها تحرزنا بذلك من أجل أهل الكشف والعلماء الراسخين في العلم من المحققين العالمين فإنّ المسمى بالجماد والنبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إياها في العادة لا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق غير أن هذا المزاج الخاص يسمى إنساناً لا غير بالصورة ووقع التفاضل بين الخلائق في المزاج فإنه لابد في كل ممتزج من مزاج خاص لا يكون إلا له به يتميز عن غيره كما يجتمع مع غيره في أمر فلا يكون عين ما يقع به الافتراق والتميز عين ما يقع به الاشتراك وعدم التميز فاعلم ذلك وتحققه قال تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وشيء نكرة ولا يسبح إلا حي عاقل عالم بمسبحه وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس والشرائع والنبوات من هذا القبيل مشحونة ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان فكل جنس من خلق الله أمة من الأمم فطرهم الله على عبادة تخصهم أوحى بها إليهم في نفوسهم فرسولهم من ذواتهم أعلام من الله بإلهام خاص جبلهم عليه كعلم بعض الحيوانات بأشياء يقصر عن إدراكها المهندس التحرير وعلمهم على الإطلاق بمنافعهم فيما يتناولونه من الحشائش والمآكل وتجنب ما يضرهم من ذلك كل ذلك في فطرتهم كذلك المسمى جماداً ونباتاً أخذ الله بأبصارنا وأسماعنا عما هم عليه من النطق ولا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل فخذه بما فعله أهله جعل الجهلاء من الحكماء هذا إذا صح إيمانهم به من باب العلم بالاختلاج يريدون به علم الزجر وإن كان علم الزجر علماً صحيحاً في نفس الأمر وإنه من أسرار الله ولكن ليس هو مقصود الشارع في هذا الكلام فكان له صلى الله عليه وسلم الكشف الأتم فيرى ما لا نرى ولقد نبه عليه السلام على أمر عمل عليه أهل الله فوجدوه صحيحاً قوله لولا تزييد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع فخص برتبة الكمال في جميع أموره ومنها الكمال في العبودية فكان عبداً صرفاً لم يقم بذاته بانية على أحد وهي التي أوجبت له السيادة وهي الدليل على شرفه على الدوام وقد قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ولنا منه ميراث وافر

وهو أمر يختص بباطن الإنسان وقوله وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله مع تحققه بالقلم فيلتبس على من لا معرفة له بالأحوال فقد بينا في هذا الباب ما مست الحاجة إليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث عشر في معرفة حملة العرش

العرش والله بالرحمن محمول وحاملوه وهذا القول معقول
وأي حول لمخلوق ومقدرة لولاه جاء به عقل وتنزيل
جسم وروح أقوات ومرتبة ما ثم غير الذي رتبت تفصيل
فذا هو العرش إن حققت سورته والمستوى بلسمه الرحمن مأمول
وهم ثمانية والله يعلمهم واليوم أربعة ما فيه تعليل
محمد ثم رضوان ومالكهم وآدم وخليل ثم جبريل
والحق بميكال إسرافيل ليس هنا سوى ثمانية غرّ بها ليل

اعلم أيد الله الولي الحميم أن العرش في لسان العرب يطلق ويراد به الملك يقال ثل عرش الملك إذا دخل في ملكه خليل ويطلق ويراد به السرير فإذا كان العرش عبارة عن الملك فتكون حملته هم القائمون به وإذا كان العرش السرير فتكون حملته ما يقوم عليه من القوائم أو من يحمله على كواهلهم والعدد يدخل في حملة العرش وقد جعل الرسول حكمهم في الدنيا أربعة وفي القيامة ثمانية فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية" ثم قال"وهم اليوم أربعة يعني في يوم الدنيا وقوله يومئذ ثمانية يعني يوم الآخرة روينا عن ابن مسرة الجبلي من أكبر أهل الطريق علماً وحالاً وكشفاً العرش المحمول هو الملك وهو محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة فآدم وإسرافيل للصور وجبريل ومحمد للأرواح وميكائيل وإبراهيم للأرزق ومالك ورضوان للوعد والوعيد وليس في الملك إلا ما ذكر والأغذية التي هي الأرزاق حسية ومعنوية فالذي نذكر في هذا الباب الطريقة الواحدة التي هي بمعنى الملك لما يتعلق به من الفائدة في الطريق وتكون حملته عبارة عن القائمين بتدبيره فتدبر صورة عنصرية أو صورة نورية وروحاً مدبر الصورة عنصرية وروحاً مدبراً مسخر الصورة نورية وغذاء لصورة عنصرية وغذاء علوم ومعارف لأرواح ومرتبة حسية من سعادة بدخول الجنة ومرتبة حسية من شقاوة بدخول جهنم ومرتبة روحية علمية فمبنى هذا الباب على أربع مسائل المسئلة الأولى الصورة والمسئلة الثانية الروح والمسئلة الثالثة الغذاء والمسئلة الرابعة المرتبة وهي الغاية وكل مسئلة منها تنقسم قسمين فتكون ثمانية وهم حملة عرش الملك أي إذا ظهرت الثمانية قام الملك وظهر واستوى عليه مليكه المسئلة الأولى الصورة وهي تنقسم قسمين صورة جسمية عنصرية تتضمن صورة جسدية خيالية والقسم الآخر صورة جسمية نورية فلنبتدىء بالجسم النوري فنقول إن أول جسم خلقه الله أجسام الأرواح الملكية المهيمة في جلال الله ومنهم العقل الأول والنفس الكل وإليها انتهت الأجسام النورية المخلوقة من نور الجلال وما ثم ملك من هؤلاء الملائكة من وجد بواسطة غيره إلا النفس التي دون العقل وكل ملك خلق بعد هؤلاء فداخلون تحت حكم الطبيعة فهم من جنس أفلاكها التي خلقوا منها وهم عمارها وكذلك ملائكة العناصر وآخر صنف من الأملاك الملائكة المخلوقون من أعمال العباد وأنفاسهم فلنذكر ذلك صنفاً صنفاً في هذا الباب إن شاء الله تعالى اعلم إن الله تعالى كان قبل أن يخلق الخلق ولا قبلية زمان وإنما ذلك عبارة للتوصيل تدل على نسبة يحصل بها المقصود في نفس السامع كان جل وتعالى في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وهو أول مظهر إلهي ظهر فيه سرى فيه النور الذاتي كما ظهر في قوله "ه نور السموات والأرض" فلما انصبغ ذلك العماء بالنور فتح فيه صور الملائكة المهيمين الذين هم فوق عالم الأجسام الطبيعية ولا عرش ولا مخلوق تقدمهم فلما أوجدهم

تجلى لهم فصار لهم من ذلك التجلي غيباً كان ذلك الغيب روحاً لهم أي لتلك الصور وتجلى لهم في اسمه الجميل فهاموا في جلال جماله فهم لا يفيقون فلما شاء أن يخلق عالم التدوين والتسطير عين واحداً من هؤلاء الملائكة الكروبيين وهو أول ملك ظهر من ملائكة ذلك النور سماه العقل والقلم وتجلى له في مجلى التعليم الوهبي بما يريد إيجاده من خلقه لا إلى غاية وحد فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق من الأسماء الإلهية الطالبة صدور هذا العالم الخلقي فاشتق من هذا العقل موجوداً آخر سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلى إليه ويودع فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة لا غير وجعل لهذا القلم ثلاثمائة وستين سناً في قلميته أي من كونه قلماً ومن كونه عقلاً ثلاثمائة وستين تجلياً أو رقيقة كل سن أو رقيقة تغترف من ثلاثمائة وستين صنفاً من العلوم الإجمالية فيفصلها في اللوح فهذا حصر ما في العالم من العلوم إلى يوم القيامة فعلمها اللوح حين أودعه إياها القلم فكان من ذلك علم الطبيعة وهو أول علم حصل في هذا اللوح من علوم ما يريد الله خلقه فكانت الطبيعة دون النفس وذلك كله في عالم النور الخالص ثم أوجد سبحانه الظلمة المحضة التي هي في مقابلة هذا النور بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق فعندما أوجدها أفاض عليها النور إفاضة ذاتية بمساعدة الطبيعة فلا أم شعثها ذلك النور فظهر الجسم المعبر

عنه بالعرش فاستوى عليه الاسم الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق وخلق من ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء الشحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله "وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم" فليس لهم شغل إلا كونهم حافين من حول العرش يسبحون بحمده وقد بينا خلق العالم في كتاب سميناه علقلة المستوفز وإنما نأخذ منه في هذا الباب رؤوس الأشياء ثم أوجد الكرسي في جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فكل فلك أصل لما خلق فيه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به وببنيه الأرض وقسم في هذا الكرسي الكريم الكلمة إلى خبر وحكم وهما القدمان اللتان تدلتا له من العرش كما ورد في الخبر النبوي ثم خلق في جوف الكرسي الأفلاك فلكاً في جوف فلك وخلق في كل فلك عالماً منه يعمرونه سماهم ملائكة يعني رسلاً وزينها بالكواكب وأوحى في كل سماء أمرها إلى أن خلق صور المولدات ولما أكمل الله هذه الصور النورية والعنصرية بلا أرواح تكون غيباً لهذه الصور تجلى لكل صنف من الصور بحسب ما هي عليه فتكون عن الصور وعن هذا التجلي أرواح الصور وهي المسئلة الثانية فخلق الأرواح وأمرها بتدبير الصور وجعلها غير منقسمة بل ذاتاً واحدة وميز بعضها عن بعض فتميزت وكان ميزها بحسب قبول الصور من ذلك التجلي وليست الصور بأبنيات لهذه الأرواح على الحقيقة إلا أن هذه الصور لها كالملك في حق الصور العنصرية وكالمظاهر في حق الصور كلها ثم أحدث الله الصور الجسدية الخيالية بتجل آخر بين اللطائف والصور تتجلى في تلك الصور الجسدية الصور النورية والنارية ظاهرة للعين وتتجلى الصور الحسية حاملة للصور المعنوية في هذه الصور الجسدية في النوم وبعد الموت وقبل البعث وهو البرزخ الصوري وهو قرن من نور أعلاه واسع وأسفله ضيق فإن أعلاه الصماء وأسفله الأرض وهذه الأجساد الصورية التي يظهر فيها الجن والملائكة وباطن الإنسان وهي الظاهرة في النوم وصور سوق الجنة وهي هذه الصور التي تعمر الأرض التي تقدم الكلام عليها في بابها ثم إن الله تعالى جعل لهذه الصور ولهذه الأرواح غذاء وهو المسئلة الثالثة يكون بذلك الغذاء بقاؤهم وهو رزق حسي ومعنوي فالمعنوي منه غذاء العلوم والتجليات والأحوال والغذاء المحسوس معلوم وهو ما تحمله صور المطعومات والمشروبات من المعاني الروحانية أعني القوى فذلك هو الغذاء فالغذاء كله معنوي على ما قلناه وإن كان في صور محسوسة فتتغذى كل صورة نورية كانت أو حيوانية أو جسدية بما يناسبها وتفصيل ذلك يطول ثم إن الله جعل لكل عالم مرتبة في السعادة والشقاء ومنزلة وتفاصيلها لا تنحصر فسعادتها بحسبها فمنها

سعادة غرضية ومنها سعادة كمالية ومنها سعادة ملائمة ومنها سعادة وضعية أعني شرعية والشقاوة مثل ذلك في التقسيم بما لا يوافق الغرض ولا الكمال ولا المزاج وهو غير الملائم ولا الشرع وذلك كله محسوس ومعقول فالمحسوس منه ما يتعلق بدار الشقاء من الآلام في الدنيا والآخرة ويتعلق بدار السعادة من اللذات في الدنيا والآخرة ومنه خالص وممتزج فالخالص يتعلق بالدار الآخرة والممتزج يتعلق بالدار الدنيا فيظهر السعيد بصورة الشقي والشقي بصورة السعيد وفي الآخرة يمتازون وقد يظهر الشقي في الدنيا بشقاوته ويتصل بشقاء الآخرة وكذلك السعيد ولكنهم مجهولون وفي الآخرة يمتازون "وامتازوا اليوم أيها المجرمون" فهنالك تلحق المراتب بأهلها لحوقاً لا ينخرم ولا يتبدل فقد بان لك معنى الثمانية التي هي مجموع الملك المعبر عنه بالعرش وهذه هي المسئلة الرابعة فقد بان لك معنى الثمانية وهذه الثمانية للنسب الثمانية التي يوصف بها الحق وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر وإدراك المطعوم والمشموم والملموس بالصفة اللائقة به فإن لهذا الإدراك بها تعلقاً كإدراك السمع بالمسموعات والبصر بالمبصرات ولهذا انحصر الملك في ثمانية فالظاهر منها في الدنيا أربعة الصورة والغذاء والمرتبتان ويوم القيامة تظهر الثمانية بجميعها للعيان وهو قوله تعالى "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية" فقال صلى الله عليه وسلم "وهم اليوم أربعة وغداً يكونون ثمانية لأجل الحمل إلى أرض الحشر" وورد في صور هؤلاء الأربعة الحملة ما يقاربه قول ابن مسرة فقيل الواحد على صورة الإنسان والثاني على صورة الأسد والثالث على صورة النسر والرابع على صورة الثور وهو الذي رآه السامري فتخيل أنه إله موسى فصنع لقومه العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى القصة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع عشر في معرفة أسرار الأنبياء أعني أنبياء الأولياء

وأقطاب الأمم المكملين من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإن القطب واحد منذ خلقه الله لم يمت وأين مسكنه

أنبياء الأولياء الورثة	عرف الله بهم من بعثه
ثم في روع إمام واحد	سر هذا الأمر روح نفثه
ثم لما عقد الله له	وسرى في خلقه ما نكثه
وتلقته على عزته	منة منه قلوب الورثة
موضع القطب الذي يسكنه	ليس يدربه سوى من ورثه

اعلم أيدك الله أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبده بها في نفسه فإن بعث بها إلى غيره كان رسولاً ويأتيه الملك على حالتين إما يترل بها على قلبه على اختلاف أ؛وال في ذلك التترل وإما على صورة جسدية من خارج يلقي ما جاء به إليه على أذنه فيسمع أو يلقيها على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء وكذلك سائر القوى الحساسة وهذا باب قد أغلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سبيل أن يتعبد الله أحداً بشريعة ناسخة لهذه الشريعة المحمدية وإن عيسى عليه السلام إذا نزل ما يحكم إلا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الأولياء فإنه من شرف

محمد صلى الله عليه وسلم أن ختم الله ولاية أمته والولاية مطلقة بنبي رسول مكرم ختم به مقام الولاية فله يوم القيامة حشران يحشر مع الرسل رسولاً ويحشر معنا ولياً تابعاً محمداً صلى الله عليه وسلم كرمه الله تعالى والياس بهذا المقام على سائر الأنبياء وأما حالة أنبياء الأولياء في هذه الأمة فهو كل شخص أقامه الحق في تجل من تجلياته وأقام له مظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومظهر جبريل عليه السلام فاسمعه ذلك المظهر الروحاني خطاب الأحكام المشروعة لمظهر محمد صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ من خطابه وفزع عن قلب هذا الولي عقل صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية فيأخذها هذا الولي كما أخذها المظهر المحمدي للحضور الذي حصل له في هذه الحضرة مما أمر به ذلك المظهر المحمدي من التبليغ لهذه الأمة فيرد إلى نفسه وقد وعى ما خاطب الروح به مظهر محمد صلى الله عليه وسلم وعلم صحته علم يقين بل عين يقين فأخذ حكم هذا النبي وعمل به على بينة من ربه فرب حديث ضعيف قد ترك العمل به لضعف طريقه من أجل وضاع كان في رواته يكون صحيحاً في نفس الأمر ويكون هذا الواضع مما صدق في هذا الحديث و لم يضعه وإنما رده المحدث لعدم الثقة بقوله في نقله وذلك إذا انفرد به ذلك الواضع أو كان مدار الحديث عليه وأما إذا شاركه فيه ثقة سمعه معه قبل ذلك الحديث من طريق ذلك الثقة وهذا ولي قد سمعه من الروح يلقيه على حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم كما سمع الصحابة في حديث جبريل عليه السلام مع محمد صلى الله عليه وسلم في الإسلام والإيمان والإحسان في تصديقه إياه وإذا سمعه من الروح الملقي فهو فيه مثل الصاحب الذي سمعه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم علماً لا يشك فيه بخلاف التابع فإنه يقبله على طريق غلبة الظن لارتفاع النهمة المؤثرة في الصدق ورب حديث يكون صحيحاً من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف الذي قد عاين هذا المظهر فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث الصحيح فأنكره وقال له لم أقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به عن بينة من ربه وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه وهو في نفس الأمر ليس كذلك وقد ذكر مثل هذا مسلم في صدر كتابه الصحيح وقد يعرف هذا المكاشف من وضع ذلك الحديث الصحيح طريقه في زعمهم إما أن يسمى له أو تقام له صورة الشخص فهؤلاء هم أنبياء الأولياء ولا يتفردون قط بشريعة ولا يكون لهم خطاب بها إلا بتعريف إن هذا هو شرع محمد صلى الله عليه وسلم أو يشاهد المترل عليه بذلك الحكم في حضرة التمثل الخارج عن ذاته والداخل المعبر عنه بالمبشرات في حق النائم غير أن الولي يشترك مع النبي في إدراك ما تدركه العامة في النوم في حال اليقظة سواء وقد أثبت هذا المقام للأولياء أهل طريقنا وإتيان هذا وهو الفعل بالهمة والعلم من غير معلم من المخلوقين غير الله وهو علم الخضر فإن آتاه الله العلم بهذه الشريعة التي تعبده بها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتفاع الوسائط أعني الفقهاء وعلماء الرسوم كان من العلم اللدني و لم يكن من أنبياء هذه الأمة فلا يكون من يكون من الأولياء وارث نبي إلا على هذه الحالة الخاصة من مشاهدة الملك عند الإلقاء على حقيقة الرسول فافهم فهؤلاء هم أنبياء الأولياء وتستوي الجماعة كلها في الدعاء إلى الله على بصيرة كما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول "أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" وهم أهل هذا المقام فهم في هذه الأمة مثل الأنبياء في في بني إسرائيل على مرتبة تعبد

هرون بشريعة موسى عليهما السلام مع كونه نبياً فإن الله قد شهد بنبوته وصرح بها في القرآن فمثل هؤلاء يحفظون الشريعة الصحيحة التي لا شك فيها على أنفسهم وعلى هذه الأمة ممن اتبعهم فهم أعلم الناس بالشرع غير أن الفقهاء لا يسلمون لهم ذلك وهؤلاء لا يلزمهم إقامة الدليل على صدقهم بل يجب عليهم الكتم لمقامهم ولا يردون على علماء الرسوم فيما ثبت عندهم مع علمهم بأن ذلك خطأ في نفس الأمر فحكمهم حكم المجتهد الذي ليس له أن يحكم في المسئلة بغير ما أداه إليه اجتهاده وأعطاه دليله

وليس له أن يخطىء المخالف له في حكمه فإن الشارع قد قرر ذلك الحكم في حقه فالأدب يقتضي له أن لا يخطىء ما قرره الشارع حكماً ودليله وكشفه يحكم عليه باتباع حكم ما ظهر له وشاهده وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم إن علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل يعني المترلة التي أشرنا إليها فإن أنبياء بني إسرائيل كانت تحفظ عليهم شرائع رسلهم وتقوم بها فيهم وكذلك علماء هذه الأمة وأئمتها يحفظون عليها أحكام رسولها صلى الله عليه وسلم كعلماء الصحابة ومن نزل عنهم من التابعين واتباع التابعين كالثوري وابن عيينة وابن سيرين والحسن ومالك وابن أبي رباح وأبي حنيفة ومن نزل عنهم كالشافعي وابن حنبل ومن جرى مجرى هؤلاء إلى هلم جرا في حفظ الأحكام وطائفة أخرى من علماء هذه الأمة يحفظون عليها أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأسرار علومه كعلي وابن عباس وسلمان وأبي هريرة وحذيفة ومن التابعين كالحسن البصري ومالك بن دينار وبنان الحمال وأيوب السختياني ومن نزل عنهم بالزمان كشيبان الراعي وفرج الأسود المعمر والفضيل بن عياض وذي النون المصري ومن نزل عنهم كالجنيد والتستري ومن جرى مجرى هؤلاء من السادة في حفظ الحال النبوي والعلم اللدني والسر الإلهي فأسرار حفظة الحكم موقوفة في الكرسي عند القدمين إذ لم يكن لهم حال نبوي يعطي سراً إلهياً ولا علماً لدنيا وأسرار حفاظ الحال النبوي والعلم اللدني من علماء حفاظ الحكم وغيرهم موقوفة عند العرش والعماء ولا موقوفة ومنها ما لها مقام ومنها ما لا مقام لها وذلك مقام لها تتميز به فإن ترك العلامة بين أصحاب العلامات علامة محققة غير محكوم عليها بتقييد وهي أسنى العلامات ولا يكون ذلك إلا للمتمكن الكامل في الورث المحمدي وأما أقطاب الأمم المكملين في غير هذه الأمة ممن تقدمنا بالزمان فجماعة ذكرت لي أسماؤهم باللسان العربي لما أشهدتهم ورأيتهم في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة في مشهد أقدس فكان منهم المفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماحق والعاقب والمنحور وشحر الماء وعنصر الحياة والشريد والراجع والصانع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والرامي والواسع والبحر والملصق والهادي والمصلح والباقي فهؤلاء المكملون الذين سمو النا من آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم وهو الممد لجميع الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين والأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة قيل له صلى الله عليه وسلم متى كنت نبياً فقال صلى الله عليه وسلم وآدم بين الماء والطين وكان اسمه مداوي الكلوم فإنه بجراحات الهوى خبير والرأي والدنيا والشيطان والنفس بكل لسان نبوي أو رسالي أو لسان الولاية وكان له نظر إلى موضع ولادة جسمه بمكة وإلى الشام ثم صرف الآن نظره إلى أرض كثيرة الحر واليبس لا يصل إليها أحد من بني آدم بجسده إلا أنه قد رآها بعض الناس من مكة في مكانه من غير نقله زويت له الأرض فرآها وقد أخذنا نحن عن علوماً جمة بمآخذ مختلفة ولهذا الروح المحمدي مظاهر في العالم أكمل مظهره في قطب الزمان وفي الأفراد وفي ختم الولاية المحمدي وختم الولاية العامة الذي هو عيسى عليه السلام وهو المعبر عنه بمسكنه وسأذكر فيما بعد هذا الباب إن شاء الله ماله من كونه مداوي الكلوم من الأسرار وما انتشر عنه من العلوم ثم ظهر هذا السر بعد ظهور حال مداوي الكلوم في شخص آخر اسمه المستسلم للقضاء والقدر ثم انتقل الحكم منه إلى مظهر الحق ثم انتقل من مظهر الحق إلى الهائج ثم انتقل من الهائج إلى شخص يسمى واضع الحكم وأظنه لقمان والله أعلم فإنه كان في زمان داود وما أنا منه على يقين أنه لقمان ثم انتقل من واضع

الحكم إلى الكاسب ثم انتقل من الكاسب إلى جامع الحكم وما عرفت لمن انتقل الأمر من بعده وسأذكر في هذا الكتاب إذا جاءت أسماء هرلاء ما اختصوا به من العلوم ونذكر لكل واحد منهم مسئلة إن شاء الله ويجري ذلك على لساني فما أدري ما يفعل الله بي ويكفي هذا القدر من هذا الباب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثالث عشر.

الجزء الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس عشر في معرفة الأنفاس ومعرفة أقطابها المحققين بها وأسرارهم هي

عالم الأنفاس من نفسي ... وهم الأعلون في القدس
مصطفاهم سيد لسن ... وحيه يأتيه في الجرس
قلت للبواب حين رأى ... ما أقاسيه من الحرس
قال ما تبغيه يا ولدي ... قلت قرب السيد الندس
من شفيعي للإمام عسى ... خطرة منه لمختلس
قال ما يعطي عوارفه ... لغني غير مبتئس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن" قيل إن الأنصار نفس الله بهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من مقاساة الكفار المشركين والأنفاس روائح القرب الإلهي فلما تنسمت مشام العارفين عرف هذه الأنفاس وتوفرت الدواعي منهم إلى طلب محقق ثابت القدم في ذلك المقام ينبئهم بما في طي ذلك المقام الأقدس وما جاءت به هذه الأنفاس من العرف النفس من الأسرار والعلوم بعد البحث بالهمم والتعرض لنفحات الكرم عرفوا بشخص إلهي عنده السر الذي يطلبونه والعلم الذي يريدون تحصيله وأقامه الحق فيهم قطباً يدور عليه فلكهم وأما ما يقوم به ملكهم يقال له مداوي الكلوم فانتشر عنه فيهم من العلم والحكم والأسرار ما لا يحصرها كتاب وأول سر أطلع عليه الدهر الأول الذي عنه تكونت اعلدهور وأول فعل أعطى فعل ما تقتضيه روحانية السماء السابعة سماء كيوان فكان يصير الحديد فضة بالتدبير والصنعة ويصير الحديد ذهباً بالخاصية وهو سر عجيب و لم يطلب على هذا رغبة في المال ولكن رغبة في حسن المآل ليقف من ذلك على رتبة الكمال وأنه مكتسب في التكوين فإن المرتبة الأولى من عقد الأبخرة المعدنية بالحركات الفلكية والحرارة الطبيعية زئبقاً وكبريتاً وكل متكون في المعدن فإنه يطلب الغاية الذي هو الكمال وهو الذهب لكن تطرأ عليه في المعدن علل وأمراض من يبس مفرط أو رطوبة مفرطة أو حرارة أو برودة تخرجه عن الاعتدال فيؤثر فيه ذلك المرض صورة تسمى الحديد أو النحاس أو الأسرب أو غير ذلك من المعادن فأعطى هذا الحكيم معرفة العقاقير والأدوية المزيل استعمالها تلك العلة الطارئة على شخصية هذا الطالب درجة الكمال من المعدنيات وهي الذهب فأزالها فصح ومشى حتى لحق بدرجة الكمال ولكن لا يقوى في الكمالية قوة الصحيح الذي ما دخل جسمه مرض فإن الجسد الذي يدخله المرض بعيد أن يتخلص وينقى الخلوص الذي لا يشوبه كدر وهو الخلاص الأصلي كيحيى في الأنبياء وآدم عليهما السلام و لم يكن الغرض إلا درجة الكمال الإنساني في العبودية فإن الله خلقه في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين إلا

الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأبقوا على الصحة الأصلية وذلك أنه في طبيعته اكتسب علل الأعراض وأمراض الأغراض فأراد هذا الحكيم أن يرده إلى أحسن تقويم الذي خلقه الله عليه فهذا كان قصد الشخص العاقل بمعرفة هذه الصنعة المسماة بالكيمياء وليست سوى العنصرية ركب جسده من حار وبارد ورطب ويابس بل من بارد يابس وبارد رطب وحار رطب وحار يابس وهي الأخلاط الأربعة السوداء والبلغم والدم والصفراء كما هي في جسم العالم الكبير النار والهواء والماء والتراب فخلق الله جسم آدم من طين وهو مزج الماء بالتراب ثم نفخ فيه نفساً وروحاً ولقد ورد في النبوة الأولى في بعض الكتب المترلة على نبي في بني إسرائيل ما أذكر نصه الآن فإن الحاجة مست إلى ذكره فإن أصدق الأخبار ما روي عن الله تعالى فروينا عن مسلمة بن وضاح مسنداً إليه وكان من أهل قرطبة فقال قال الله في بعض ما أنزله على أنبياء بني إسرائيل "إني خلقت يعني آدم من تراب وماء ونفخت فيه نفساً وروحاً فسويت جسده من قبل التراب ورطوبته من الماء وحرارته من النفس وبرودته من الروح قال ثم جعلت في الجسد بعد هذا أربعة أنواع أخر لا تقوم واحدة منهن إلا بالأخرى وهي المرتان والدم والبلغم ثم أسكنت بعضهن في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ومسكن الحرارة في المرة الصفراء ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في البلغم ثم قال جل ثناؤه فأي جسد اعتدلت فيه هذه الأخلاك كملت صحته واعتدلت بنيته فإن زادت واحدة منهن على الأخرى وقهرتهن دخل السقم على الجسد بقدر ما زادت وإذا كانت ناقصة ضعفت عن مقاومتهن فدخل السقم بغلبتهن إياها وضعفها عن مقاومتهن فعلم الطب أن يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد طلب الاعتدال في كلام طويل عن الله تعالى ذكرناه في الموعظة الحسنة فكان هذا الإمام من أعلم الناس بهذا النشء الطبيعي وما للعالم العلوي فيه من الآثار المودعة في أنوار الكواكب وسباحتها وهو الأمر الذي أوحى الله في السموات وفي اقترانها وهبوطها وصعودها وأوجها وحضيضها قال تعالى "وأوحى في كل سماء أمرها" وقال في الأرض "وقدّر فيها أقواتها" وكان لهذا الشخص فيما ذكرناه مجال رحب وباع متسع وقدم راسخة

لكن ما تعدت قوته في النظر الفلك السابع من باب الذوق والحال لكن حصل له ما في الفلك المكوكب والأطلس بالكشف والاطلاع وكان الغالب عليه قلب الأعيان في زعمه والأعيان لا تنقلب عندنا جملة واحدة فكان هذا الشخص لا يبرح يسبح بروحانيته من حيث رصده وفكره مع المقابل في درجه ودقائقه وكان عنده من أسرار إحياء الموات عجائب وكان مما خصه الله به أنه ما حل بموضع قد أجدب إلا أوجد الله فيه الخصب والبركة كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خضر رضي الله عنه وقد سئل عن اسمه بخضر فقال صلى الله عليه وسلم ما قعد على فروة إلا اهتزت تحته خضراء وكان هذا الإمام له تلميذ كبير في المعرفة الذاتية وعلم القوة وكان يتلطف بأصحابه في التنبيه عليه ويسترعن عامة أصحابه ذلك خوفاً عليه منهم ولذلك سمي مداوي الكلوم كما استكتم يعقوب يوسف عليهما السلام حذراً عليه من إخوته وكان يشغل عامة أصحابه بعلم التدبير ومثل ذلك مما يشاكل هذا الفن من تركيب الأرواح في الأجساد وتحليل الأجساد وتأليفها بخلع صورة عنها أو خلع صورة عليها ليقفوا من ذلك على صنعة الله العليم الحكيم وعن هذا القطب خرج علم العالم وكونه إنساناً كبيراً وأن الإنسان مختصره في الجرمية مضاهية في المعنى فأخبرني الروح الذي أخذت منه ما أودعته في هذا الكتاب أنه جمع أصحابه يوماً في دسكرة وقام فيهم خطيباً وكانت عليه مهابة فقال افهموا عني ما أرمزه لكم في مقامي هذا وفكروا فيه واستخرجوا كتره واتساع زمانه في أيّ عالم هو وإني لكم ناصح وما كل ما يدرى يذاع فإنه لكل علم أهل يختص بهم وما يتمكن الانفراد ولا يسع الوقت فلابدّ أن يكون في الجمع فطر مختلفة وأذهان غير مؤتلفة والمقصود من الجماعة واحد إياه أقصد بكلامي وبيده مفتاح رمزي ولكل مقام مقال ولكل علم رجال ولكل وارد حال

فافهموا عني ما أقول وعوا ما تسمعون فبنور النور أقسمت وبروح الحياة وحياة الروح آليت إني عنكم لمنقلب من حيث جئت وراجع إلى الأصل الذي عنه وجدت فقد طال مكثي في هذه الظلمة وضاق نفسي بترادف هذه الغمة وإني سألت الرحلة عنكم وقد أذن لي في الرحيل فاثبتوا على كلامي فتعقلون ما أقول بعد انقضاء سنين عينها وذكر عددها فلا تبرحوا حتى آتيكم بعد هذه المدّة وإن برحتم فلتسرعوا إلى هذا المجلس الكرة وإن لطف مغناه وغلب على الحرف معناه فالحقيقة الحقيقة والطريقة الطريقة فقد اشتركت الجنة والدنيا في اللبن والبناء وإن كانت الواحدة من طين وتبن والأخرى من عسجد ولجين هذا ما كان من وصيته لبنيه وهذه مسئلة عظيمة رمزها وراح فمن عرفها استراح ولقد دخلت يوماً بقرطبة على قاضيها أبي الوليد بن رشد وكان يرغب في لقائي لما سمع وبلغه ما فتح الله به علي في خلوتي فكان يظهر التعجب مما سمع فبعثني والدي إليه في حاجة قصداً منه حتى يجتمع بي فإنه كان من أصدقائه وأنا صبي ما بقل وجهي ولا طر شاربي فعندما دخلت عليه قام من مكانه إليّ محبة وإعظاماً فعانقني وقال لي نعم قلت له نعم فزاد فرحه بي لفهمي عنه ثم إنيس استشعرت بما أفرحه من ذلك فقلت لا فانقبض وتغير لونه وشك فيما عنده وقال كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهيّ هل هو ما أعطاه لنا النظر قلت له نعم لا وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادّها والأعناق من أجسادها فاصفرّ لونه وأخذه الأفكل وقعد يحوقل وعرف ما أشرت به إليه وهو عين هذه المسئلة التي ذكرها هذا القطب الإمام أعني مداوي الكلوم وطلب بعد ذلك من أبي الاجتماع بنا ليعرض ما عنده علينا هل هو يوافق أو يخالف فإنه كان من أرباب الفكر والنظر العقلي فشكر الله تعالى الذي كان في زمان رأى فيه من دخل خلوته جاهلاً وخرج مثل هذا الخروج من غير درس ولا بحث ولا مطالعة ولا قراءة وقال هذه حالة أثبتناها وما رأينا لها أرباباً فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحد من أربابها الفاتحين مغالق أبوابها والحمد لله الذي خصني برؤيته ثم أردت الاجتماع به مرة ثانية فأقيم لي رحمه الله في الواقعة في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق أنظر إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني وقد شغل بنفسه عني فقلت إنه غير مراد لما نحن عليه فما اجتمعت به حتى درج وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مراكش ونقل إلى قرطبة وبها قبره ولما جعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة جعلت تواليفه

تعادله من الجانب الآخر وأنا واقف ومعي الفقيه الأديب أبو الحسين محمد بن جبير كاتب السيد أبي سعيد وصاحبي أبو الحكم عمرو ابن السراج الناسخ فالتفت أبو الحكم إلينا وقال ألا تنظرون إلى من يعادل الإمام ابن رشد في مركوبه هذا الإمام وهذه أعماله يعني توالفيه فقال له ابن جبير يا ولدي نعم ما نظرت لأفض فوك فقيدتها عندي موعظة وتذكرة رحم الله جميعهم وما بقي من تلك الجماعة غيري وقلنا في ذلك

هذا الإمام وهذه أعماله | يا ليت شعري هل أتت آماله

وكان هذا القطب مداوي الكلوم قد أظهر سر حركة الفلك وإنه لو كان على غير هذا الشكل الذي أوجده الله عليه لم يصح أن يتكون شيء في الوجود الذي تحت حيطته وبين الحكمة الإلهية في ذلك ليرى الألباب علم الله في الشياء وإنه بكل شيء عليم لا إله إلا هو العليم الحكيم وفي معرفة الذات والصفات علم ما أشار إليه هذا القطب فلو تحرك غير المستدير لما عمر الخلاء بحركته وكانت أحياز كثيرة تبقى في الخلاء فكان لا يتكون عن تلك الحركة تمام أمر وكان ينقص منه قدر ما نقص من عمارة تلك الأحياز بالحركة

وذلك بمشيئة الله تعالى وحكمته الجارية في وضع الأسباب وأخبر هذا القطب أن العالم موجود ما بين المحيط والنقطة على مراتبهم وصغر أفلاكهم وعظمها وإن الأقرب إلى المحيط أوسع من الذي في جوفه فيومه أكبر ومكانه أفسح ولسانه أفصح وهو إلى التحقق بالقوة والصفاء أقرب وما انحط إلى العناصر نزل عن هذه الدرجة حتى إلى كرة الأرض وكل جزء في كل محيط يقابل ما فوقه وما تحته بذاته لا يزيد واحد على الآخر شيء وإن اتسع الواحد وضاق الآخر وهذا من إيراد الكبير على الصغير والواسع على الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع والكل ينظر إلى النقطة بذواتهم والنقطة مع صغرها تنظر إلى كل جزء من المحيط بها بذاتها فالمختصر المحيط والمختصر منه النقطة وبالعكس فانظر ولما انحط الأمر إلى العناصر حتى انتهى إلى الأرض كثر عكره مثل الماء في الحب والزيت وكل مائع في الدن يتنزل إلى أسفله عكره ويصفو أعلاه والمعنى في ذلك ما يجده عالم الطبيعة من الحجب المانعة عن إدراك الأنوار من العلوم والتجليات بكدورات الشهوات والشبهات الشرعية وعدم الورع في اللسان والنظر والسماع والمطعم والمشرب والملبس والمركب والمنكح وكدورات الشهوات بالانكباب عليها والاستفراغ فيها وإن كانت حلالاً وإنما لم يمنع نيل الشهوات في الآخرة وهي أعظم من شهوات الدنيا من التجلي لأن الظاهر والبواطن محل الشهوات ولا يجتمع التجلي والشهوة في محل واحد فلهذا جنح العارفون والزهاد في هذه الدنيا إلى التقليل من نيل شهواتها والشغل بكسب حطامها وهذا الإمام هو الذي أعلم أصحابه أن ثم رجالاً سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم وإليهم تنظر روحانيات السموات السبع ولكل شخص منهم قوة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السموات وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين وأما يحيى فله تردد بين عيسى وبين هرون فيتزل على قلوب هؤلاء الأبدال السبعة من حقائق هؤلاء الأنبياء عليهم السلام وتنظر إليهم هذه الكواكب السبعة بما أودع الله تعالى في سباحتها في أفلاكها وبما أودع الله في حركات هذه السموات السبع من الأسرار والعلوم والآثار العلوية والسفلية قال تعالى وأوحى في كل سماء أمرها فلهم في قلوبهم في كل ساعة وفي كل يوم بحسب ما يعطيه صاحب تلك الساعة وسلطان ذلك اليوم فكل أمر علمي يكون في يوم الأحد فمن مادّة إدريس عليه السلام وكل أثر علوي يكون في ذلك اليوم في عنصر الهواء والنار فمن سباحة الشمس ونظرها المودع من الله تعالى فيها وما يكون من أثر في عنصر الماء والتراب في ذلك اليوم فمن حركة الفلك الرابع وموضع هذا الشخص الذي يحفظه من الأقاليم الإقليم الرابع فما يحصل لهذا الشخص المخصوص من الأبدال بهذا الإقليم من العلوم علم أسرار الروحانيات وعلم النور والضياء وعلم البرق والشعاع وعلم كل جسم مستنير ولماذا استنار وما المزاج الذي أعطاه هذا القبول مثل الحباحب من الحيوان وكأصول شجر التين من النبات وكحجر المهى والياقوت وبعض لحوم الحيوان وعلم الكمال في المعدن والنبات والحيوان والإنسان والملك وعلم الحركة المستقيمة حيثما ظهرت في حيوان أو نبات وعلم معالم التأسيس وأنفاس الأنوار وعلم خلع الأرواح المدبرات وإيضاح الأمور المبهمات وحل المشكل من المسائل الغامضة وعلم النغمات الفلكية والدولابية وأصوات آلات الطرب من الأوتار وغيرها وعلم المناسبة بينها وبين طبائع الحيوان ونااللنبات منها وعلم ما إليه تنتهي المعاني الروحانية والروائح العطرية وما المزاج الذي عطرها ولماذا ترجع وكيف ينقلها الهواء إلى الأدراك الشمي وهل هو جوهر أو عرض كل ذلك يناله ويعلمه صاحب ذلك الإقليم في ذلك اليوم وفي سائر الأيام في ساعات حكم حركة ذلك الفلك وحكم ما فيه من الكواكب وما فيه من روحانية النبي هكذا إلى تمام دورة اللجمعة وكل أمر علمي يكون في يوم الأثنين فمن روحانية آدم عليه السلام وكل أثر علوي في عنصر الهواء والنار فمن سباحة القمر وكل أثر سفلى في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلك السماء ولهذا الشخص الإقليم السابع

فما يحصل لهذا البدل من العلوم في نفسه في يوم الإثنين وفي كل ساعة من ساعات أيام الجمعة مما يكون لهذا الفلك حكم فيها علم السعادة والشقاء وعلم الأسماء وما لها من الخواص وعلم المد والجزر والربو والهواء فمن روحانية الأحمر وكل أثر سفلى في ركن الماء والتراب فمن حركة الفلك الخامس ولهذا البدل من الأقاليم الأقليم الثالث فما يعطيه من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام علم تدبير الملك وسياسته وعلم الحمية والحماية وترتيب الجيوش والقتال ومكايد الحروب وعلم االقرابين وذبح الحيوان وعلم أسرار أيام النحر وسريانه في سائر البقاع وعلم الهدى والضلال وتميز الشبهة من الدليل وكل أمر علمي يكون في يوم الأربعاء فمن روحانية عيسى عليه السلام وهو يوم النور وكان له نظر إلينا في في دخولنا في هذا الطريق التي نحن اليوم عليها وكل أثر في عنصر النار والهواء فمن روحانية سباحة الكاتب في فلكه وكل أثر سفلى في ركن الماء والتراب فمن حركة فلك السماء الثانية وللبدل صاحب هذا اليوم الأقليم السادس ومما يحصل له من العلوم وفي ساعته من الأيام علم الأوهام والألهام والوحي والآراء والأقيسة والرؤيا والعبادة والأختراع الصناعي والعطردة وعلم الغلط الذي يعلق ببعين الفهم وعلم التعاليم وعلم الكتابة والآداب والزجر والكهانة والسحر والطلمسات والعزائم وكل أمر علمي يكون في يوم الخميس فمن روحانية موسى عليه السلام وكل أثر علوي في رركن النار والهواء فمن سباحة المشتري وكل أثر سفلى في عنصر الماء والتراب فمن حركة فلكه ولهذا البدل من الأقاليم الأقليم الثاني ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام علم النبات والنواميس وعلم أسباب الخير ومكارم الأخلاق وعلم القربات وعلم قبول الأعمال وأين ينتهي بصاحبها وكل أمر علمي يكون في يوم الجمعة يكون لهذا الشخص الذي يحفظ الله به الأقليم الخامس فمن روحانية يوسف عليه السلام وكل أثر علوي يكون في ركن النار ووالهواء فمن نظر كوكب الزهرة وكل أثر سفلى في ركن الماء والأرض فمن حركة فلك الزهرة وهو من الأمر الذي أوحى الله في كل سماء وهذه الآثار هي الأمر الإلهي الذي يتترل بين السماء والأرض وهو في كل ما يتولد بينهما بين السماء بما يترل منها وبين الأرض بما تقبل من هذا الترول كما يقبل رحم الأنثى الماء من الرجل لللتكوين والهواء الرطب من الكير قال تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتترل المر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير والقدرة ما لها تعلق إلا بالإيجاد فعلمنا أن المقصود بهذا التترل إنما هو التكوين ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من الأيام علم التصوير من حضرة الجمال والأنس وعلم الأحوال وكل أمر علمي يكون في يوم السبت لهذا البدل الذي له حفظ الأقليم الول فمن روحانية إبراهيم الخليل عليه السلام وما يكون فيه من أثر علوي في ركن النار والهواء فمن حركة كوكب كيوان في فلك يسبحون وقال تعالى وبالنجم هم يهتدون فخلقها للإهتداء بها ومما يحصل له من العلوم في هذا اليوم وفي ساعاته من باقي الأيام ليلا ونهارا علم الثبات والتمكين وعلم الدوام والبقاء وعلم هذا الإمام بمقامات هؤلاء الإبدال وهجيراهم وقال أن مقام الأول وهجيرة ليس كمثله شيء وسبب ذلك كون الأولية له أذلو تقدم له مثل لما صحت له الأولية فذكره مناسب لمقامه ومقام الشحص الثاني في هجيرة لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي وهو مقام العلم الإلهي وتعلقه لا ينتهي وهو الثاني من الأوصاف فإن أول الأوصاف الحياة ويليه العلم وهجيرة الشخص الثالث ومقامه وفي أنفسكم أفلا تبصرون وهي المرتبة الثالثة فإن الآيات الأول هي الأسماء الإلهية والآيات الثواني في الآفاق والآيات التي تلي الثواني في أنفسنا قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فلهذا اختص بهذا الهجير الثالث من الإبدال ومقام الرابع في

هجيرة يا ليتني كنت ترابا وهو الركن الرابع من الأركان الذي يطلب المركز عند من يقول به فليس لنقطة الأكرة أقرب من الأرض وتلك النقطة كانت سبب وجود المحيط فهو يطلب القرب من الله موجد الأشياء ولا يحصل إلا بالتواضع ولا أنزل في التواضع من

الأرض وهي منابع العلوم وتفجر النهار وكل ما يترل من المعصرات فإنما هو ماء فيترل غيثا فلهذا إختص الرابع بالرابع من الأركان ومقام الخامس فاسألوا هل الذكران كنتم لا تعلمون ولا يسأل إلا المولود فإنه في مقام الطفولة من الكفل وهو الند قال تعالى "أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا فلا يعلم حتى يسأل فالولد في المرتبة الخامسة لأن أمهاته أربعة وهن الأركان فكان هو العين الخامسة فلهذا كان السؤال هجير البدل الخامس من بين الإبدال وأما مقام السادس فهجيره أفوض أمري إلى الله وهي المرتبة السادسة فكانت للسادس وإنما كانت السادسة له لأنه علم أن أمره ليس بيده منه شيء وأن الله يفعل ما يردي فقال قد علمت أن الله لما ملكني أمري وهو يفعل ما يريد علمت أن التفويض في ذلك أرجح لي فذلك أتخذه هجيرا ومقام السابع أنا عرضنا المانة وذلك أن لها الرتبة السابعة وكان أيضا تكوين آدم المعبر عنه بالإنسان في الرتبة السابعة ولما كان وجود الإنسان في السنبلة ولها من الزمان في الدلالة سبعة آلف سنة فوجد الإنسان في الرتبة السابعة من مراتب الإبدال وأخبرت أن هذا القطب الذي هو مداوي الكلوم كان في زمان حبسه في هيكله وولايته في العالم إذا وقف وقف لوقفته سبعون قبيلة كلهم قد ظهرت فيهم المعارف الإلهية وأسرار الوجود وكان أبدا لا يتعدى كلامه السببعة ومكث زمانا طويلا يلاقي أصحابه وكان يعين في زمانه من أصحابه شخصا فاضلا كان أقرب الناس إليه مجلسا كان اسمه الأزل ومنه ظهر قوله عليه السلام كان الله ولا شيء معه وهذا علم لا يعلمه إلا الأفراد من الرجال وهو المعبر عنه بالدهر الأول ودهر الدهور وعن هذا الأزل وجد الزمان وبه تسمى الله بالدهر وهو قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر والحديث صحيح ثابت ومن حصل له علم الدهر لم يقف في شيء ينسبه إلى الحق فإن له الإتساع الأعظم ومن هذا العلم تعددت المقالات في الإله ومنه اختلفت العقائد وهذا العلم يقبلها كلها ولا يرد منها شيئا وهو العلم العام وهو الظرف الإلهي وأسراره عجيبة ماله عين موجودة وهو في كل شيء حاكم يقبل الحق نسبته ويقبل الكون نسبته وهو الظرف الأسماء كلها المعينة والمغيبة عنا فكان لهذا الإمام فيه اليد البيضاء وكان له من علمه بدهر الدهور علم حكمة الدنيا في لعبها بأهلها و لم سمى لعبا و الله أوجده وكثيرا ما ينسب اللعب إلى الزمان فيقال لعب الزمان بأهله وهو متعلق السابقة وهو الحاكم في العاقبة وكان هذا الإمام يذم الكسب ولا يقول به مع معرفته بحكمته ولكن كان يرقى بذلك همم أصحابه عن التعلق بالوسائط أخبرت أنه مات حتى علم من أسرار الحق في خلقه ستة وثلاثين ألف علم وخمسمائة علم من العلوم العلوية خاصة ومات رحمه الله تعالى وولى بعده شخص فاضل اسمه مظهر الحق عاش مائة وعشرين سنة كان ما كان يوصى به ابنه مما يدل على رتبته في العلم بالله وتحريضه عل القصد والأعتدال في الأشياء في عموم الأحوال ولما مات رحمه الله وكان في زمان داود عليه السلام ولى بعده شخص اسمه الكاسب وكانت له قدم راسخة في علم المناسبات بين العالمين والمناسبة الإلهية التي وجد لها العالم العلوي نظرة مخصوصة على وزن معلوم فيظهر ذلك الأثر من غير مباشرة ولا في العالم رقيقة ممتدة من تلك الرقيقة يكون من ذلك الشيء في الإنسان ما أودع الله عند ذلك الشيء من الأمور التي أمنه أثر في الإنسان وللإنسان أثر فيه فكان لهذا كشف هذه الرقائق ومعرفتها وهي مثل أشعة النور عاش هذا الإمام ثمانين سنة ولما مات ورثه شخص يسمى جامع الحكم عاش مائة وعشرين سنة له كلام عظيم في أسرار الإبدال والشيخ ذكرناه في هذا الباب غنية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس عشر في معرفة المنازل السفلية والعلوم الكونية

ومبدأ معرفة الله منها ومعرفة الأوتاد والإبدال ومن تولاهم الأرواح العلوية وترتيب أفلا كها

علم الكثائف أعلام مرتبة هي الدليل على المطلوب للرسل

وهي التي حجبت أسرار ذي عمه وهي التي كشفت معالم السبل

لها من العالم العلوي سبعته من الهلال وخذ علوا إلى زحل

لولا الذي أوجد الأوتاد أربعة رسى بها الأرض فابزت من الميل

لما استقر عليها من يكون بها فاعجب له مثلا ناهيك من مثل

اعلم أيدك الله أناقد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا منازل الإبدال ومقامتهم ومن تولاهم من الأرواح العلوية وترتيب أفلاكها ومااللنيرات فيهم من الآثار ومالهم من الأقاليم فلنذكر في هذا الباب مابقي مما ترجمت عليه المنازل السفلية هنا عبارة عن الجهات الأربع التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان وسميناها سفلية لأن الشيطان من عالم السفل فلا يأتي إلى الإنساان الأمن المنازل التي تناسبه وهي اليمين والشمال والخلف والإمام قال تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن إلى الإنساان الأمن المنازل التي تناسبه وهي اليمين والشمال والخلف والإمام قال تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ويستعين على الإنسان على الإنسان بالطبع فإنه المساعد له فيما يدعوه إليه من إتباع الشهوات فأمر الإنسان أن يقاتله من هذه الجهات وأن يحصن هذه هذه الجهات بما أمره الشرع أن يحصنها به حتى لا يجد الشيطان إلى الدخوول إليه منها سبيلا فإن جاءك من بين يديك وطردته لاحت لك من العلوم علوم النور منة من الله عليك وجزاء طريق البهان ما يرد به الشبه المضلة القادحة في وجود الحق وتوحيده وأسمائه وأفعاله فالبرهان السمعي من طريقق الإطلاق وبالبرهان العقلي من طريق المعاني وبه يرد على نفاة الأفعال من الفلاسفة ويدل على أنه سبحانه فاعل وإن جاءك من حلفك وهو ما يدعوك إليه أن تقول على الله ما لا تعلم وتدعى النبوة والرسالة وأن الله قد أوحى إليك وذلك أن الشيطان إنما ينظر في كل ملة كل صفة علق الشارع المذمة عليها في تلك الأمة فيأمرك بها وكل صفة علق المحمدة عليها نهاك عنها هذا على الإطلاق والملك على النقيض منه يأمرك بالمحمود منها وينهاك عن المذموم فإذا طردته من خلفك لاحت لك علوم الصدق ومنازله وأين ينتهي بصاحبه كما قال تعالى في مقعد صدق ألا أن ذلك صدقهم هو الذي أقعدهم ذلك المقعد عند مليك مقتدر أي أطلعه على القوة الإلهية التي أعطته القوة في صدقه الذي كان عليه فإن الملك هو الشديد أيضا تفهو مناسب للمقتدر قال قيس بن الحطيم يصف طعنة

ملكت بها فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ماوراءها

أي شددت كفي بها يقال ملكت العجين إذا شددت عجنه فيحصل لك إذا خالفته في هذا الأمر الذي جاءك به علم تعلق الأقتدار الإلهي بالإيجاد وهي مسئلة خلاف بين أهل الحقائق من أصحابنا ويحصل لك علم العصمة والحفظ افلهي حتى لا يؤثر فيك وهمك ولا غيرك فتككون خالصا لربك وإن جاءك من جهة اليممين فقويت عليه ودفعته فإذا جاءك من هذه الجهة الموصوفة بالقوة فإنه يأتي إليك ليضعف إيمانك ويقينك ويلقي عليك شبها في أدلتك ومكاشفاتك فإنه له في كل كشف يطلعك الحق عليه أمرا من عالم الخيال ينصبه لك مشابها لحالك الذي أنت به في وقتك فإن لم يكن لك علم قوي بما تميز به بين الحق وما يخيله لك فتكون موسوى المقام ولا إلتبس عليك الأمر كما خيلت السحرة للعامة إن الحبال والعصي حيات و لم تكن كذلك وقد كان موسى عليه السلام لما

ألقى عصاه فكانت حية تسعى خاف منها على نفسه على مجرى العادة وإنما قدم الله بين يديه معرفة هذا قبل جمع السحرة ليكون على يقين من الله أنها آية نوأنها لا تضره وكان خوفه الثاني تعندد ما ألقت السحرة الحبال والعصي فصارت حيات في أبصار الحاضرين على الأمة لئلا يلتبس عليهم الأمر فلا يفرقون بين الخيال والحقيقة أو بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله فأختلف تعلق الخوفين فإنه عليه السلام على بينة من ربه قوي الجأش بما تقدمه له إذا قيل له في الإلقاء الأول خذها ولا تخف سنعيدها السحرةة الأولى أي ترجع عصا كما كانت في عينك فأخفى تعالى العصا في روحاينة الحية البرزخية فتلقفت جميع حيات السحرة تالمتخيلة في عيون الحاضرين فلم يبق لتلك الحبال والعصي عين ظاهرةة في أعينهم وهي ظهور حجته على حججهم في صور حبال وعصي فأبصرت السحرة والناس حبال السحرة وعصيهم التي ألقوها حبالا وعصيا فهذا كان تلقفها إلا أنها إنعدمت الحبال والعصي إذ لو أنعدمت لدخل عليهم التلبيس في عصا موسى وكانت الشبهة تدخل عليهم فلما رأى الناس الحبال حبالا علموا أنها مكيدة طبيعية يعضدها قوة كيدية روحانية فتلقفت عصا موسى صور الحيات من الحبال والعصي كما يطل كلام الخصم إذا كان على غير حق أن يكون حجة لا أن ما أتى به ينعدم بل يبقى محفوظا معقولا عند السامعين ويزول عندهم كونه نحجة فلما تعلمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوة الحجة وأنه خارج عما جاؤا به وتحققت شفوف ما جاء به على ما جاؤا به ورأوا خوفه علموا أن ذلك من عند الله ولو كان من عنده لم يخف لأنه يعلم ما يجري فآيته عند السحرة خوفه وآيته عند الناس تلقف عصاه فآمنت السحرة قيل كانوا ثمانين ألف ساحر وعلموا أن أعظم الآيات في هذا الموطن تلقف هذه الصور من أعين الناظرين وإبقاء صورة حية عصا موسىى في أعينهم والحال عندهم واحدة فعلموا نصدق موسى فيما يدعوهم إليه توأن هذا الذي أتى به خارج عنالصور والحيل المعلومة في السحر فهو أمر إلهي ليس لموسى عليه السلام فيه تعمل فصدقوا برسالته على بصيرة وأختاروا عذاب فرعون على عذاب الله وآثروا الآخرة على الدينا وعلموا من عملهم بذلك أنه على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأن الحقائق لا تتبدل وأن عصا موسى مبطونة في صورة الحية عن أعين الجميع وعن الذي ألقاها بخوفه الذي شهدوا منه فهذه فائدة العلم وإن جاءك الشيطان من جهة الشمال بشبهات التعطيل أو وجود الشريك لله تعالى في ألوهيته فطردته فإن الله يقويك على ذلك بدلائل التوحيد وعلم النظر فإن الخلف للمعطلة ودفعهم بضرورة العلم الذي يعلم به توجود الباري فالخلف للتعطيل والشمال للشرك واليمين للضعف ومن بين أيديهم التشكيك في الحواس ومن هنا دخل التلبيس على السوفسطائية حيث أدخل لهم الغلط في ذلك قالوا هذا ليس بعلم وهو من جملة الأغاليط يقال لهم فهذا فقد علمتم أن قولكم هذا ليس في الأدلة ويرجعون إليه فيها ولهذا عصمنا الله من ذلك فلم يجعل للحس غلطا جملة واحدة وأن الذي يدركه الحس حق فإنه موصل ما هو حاكم بل شاهد وإنما العقل هو الحاكم والغلط منسوب إلى الحاكم في الحكم ومعلوم عند القائلين بغلط الحس وغير القائلين به إن العقل يغلط إذا كان النظر فاسدا أعنى نظرا لفكر فإن النظر ينقسم إلى صحيح وفاسد فهذا هومن الشيئين فجعل في القسم الأعلى الذي هو الرأس جمسع القوى الحسية والروحانية توما جعل في النصف الآخر من القوى الخاصة السارية في

جميع بدنه لا غير ذلك وأما من القوى الطبيعية المتعلقة بتدبير البدن فالقوة الجاذبة على العضو حتى على ما يستحقه من الغذاء أو النقص مما يستحقه فهذه القوة ما عندها ميزان الإستحقاق فإذا جذبت زائدا على ما يحتاج إليه البدن أو نقصت عنه كان المرض فإن حقيقتها الجذب ما حققيقتها الميزان فإذا أخذته تعلى الوزن الصحيح فذلك لها بحكم الإتفاق ومن قوة أخرى لا بحكم القصد وذلك ليعلم المحدث نقصه وأن الله يفعل ما يريد وكذلك فيه أيضا القوة الدافعة وبها يعرق البدن فإن الطبيعة ما هي دافعة بمقدار محصوص

لأنها تجهل تالميزان وهي محكومة لأمر آخر من فضول تطرأ في المزاج تعطيها القوة الشهوانية وكذلك أيضا هذا كله سار في جميع البدن علوا وسفلا وأما سائر القوى فمحلها النصف الأعلى وهو النصف تالأشرف محل وجود الحياتين حياة الدم وحياة النفس فأي عضو مات من هذه الأعضاء زالت عنه القوى التي كانت فيه من الشروط وجودها بوجو الحياة وما لم يمت العضو وطرأ على محل قوة ما خلل فإن حكمها يفسد ويتخبط ولا يعطى علما صحيحا كمحل الخيال إذا طرأت فيه علة فالخيال لا يبطل وإنما يبطل قبول الصحة فيما يراه علما وكذلك العقل وكل قوة روحانية وأما القوى الحسية فهي أيضا موجودة لكن تطرأ حجب بينها وبين مدركاتها في العضو القائمة به من ماء يترل في العين وغير ذلك وأما القوى ففي محالها ما زالت ولا برحت ولكن الحجب طرأت فمنعت فالأعمى يشاهد الحجاب ويراه وهو الظلمة التي يجدها فهي ظلمة الحجاب فمشهده الحجاب وكذلك ذائق العسل والسكر إذا وجده مراً فالمباشر للعضو القائم به قوة الذوق إنما هو المرة الصفراء فلذلك أدرك المرارة فالحس يقول أدركت مرارة والحاكم إن أخطأ يقول هذا السكر مرّ وإن أصاب عرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ما أدركت القوة وعرف أن الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال وإن القاضي يخطىء ويصيب.

فصل وأما معرفة الحق من هذا المترل فاعلم أن الكون لا تعلق له بعلم الذات أصلاً وإنما متعلقة العلم بالمرتبة وهو مسمى الله فهو الدليل المحفوظ الأركان الساد على معرفة الإله وما يجب أن يكون عليه سبحانه من أسماء الأفعال ونعوت الجلال وبأية حقيقة يصدر الكون من هذه الذات المنعوتة بهذه المرتبة المجهولة العين والكيف وعندنا لا خلاف في أنها لا تعلم بل يطلق عليها نعوت تتريه صفات الحدث وإن القدم لها والأزل الذي يطلق لوجودها إنما هي أسماء تدل على سلوب من نفي الأولية وما يليق بالحدوث وهذا يخالفنا فيه جماعة من المتكلمين الأشاعرة ويتخيلون أنهم قد علموا من الحق صفة نفسية ثبوتية وهيهات أنى لهم بذلك وأخذت طائفة ممن شاهدناهم من المتكلمين كأبي عبد الله الكتانيّ وأبي العباس الأشقر والضرير السلاوي صاحب الأروجوزة في علم الكلام على أبي سعيد الخراز وأبي حامد وأمثالهما في قولهم لا يعرف الله إلا الله وإنما اختلف أصحابنا في رؤية الله تعالى إذا رأيناه في الدار الآخرة بالأبصار ما الذي نرى وكلامهم فيه معلوم عند أصحابنا وقد أوردنا تحقيق ذلك في هذا الكتاب مفرقاً في أبواب منازله وغيرها بطريق الإيماء لا بالتصريح فإنه مجال ضيق تقف العقول فيه لمناقضته أدلتها فهو المرئي سبحانه على الوجه الذي قاله وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما أراده من ذلك فإن الناظرين فيما قاله وأوحى به إلينا اختلفوا في تأويله وليس بعض الوجوه بأولى من بعض فتركنا الخوض في ذلك إذا الخلاف فيه لا يرتفع من العالم بكلامنا ولا بما نورده فيه.

فصل وأما حديث الأوتاد الذي يتعلق معرفتهم بهذا الباب فاعلم أن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة لا خامس لهم وهم أخص من الأبدال والإمامان أخص منهم والقطب هو أخص الجماعة والأبدال في بهذا الطريق لفظ مشترك يطلقون الأبدال على من تبدلت أوصافه المذمومة بالمحمودة ويطلقونه على عدد خاص وهم أربعون عند بعضهم لصفة يجتمعون فيها ومنهم من قال عددهم سبعة والذين قالوا سبعة منا من جعل السبعة الأبدال خارجين عن الأوتاد متميزين ومنا من قال إن الأوتاد الأربعة من الأبدال فالأبدال سبعة ومن هذه السبعة أربعة هم الأوتاد واثنان هما الإمامان وواحد هو القطب وهذه الجملة هم الأبدال وقالوا سموا أبدالاً لكونهم إذا مات واحد منهم كان الآخر بدله ويؤخذ من الأربعين واحد وتكمل الأربعون بواحد من الثلاثمائة وتكمل الثلاثمائة

بواحد من صالحي المؤمنين وقيل سموا أبدالاً لأنهم أعطوا من القوّة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون لأمر يقوم في نفوسهم على علم منهم فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صلحاء الأمة وقد يكون من الأفراد وهؤلاء الأوتاد الأربعة لهم مثل ما للأبدال الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا روحانية إلهية وروحانية ألية فمنهم من هو على قلب آدم والآخر على قلب إبراهيم والآخر على قلب عيسى والآخر على قلب محمد عليهم السلام فمنهم من تمده روحانية إسرافيل وآخر روحانية ميكائيل وآخر روحانية جبريل وآخر روحانية عزرائييل ولكل وتد ركن من أركان البيت فالذي على قلب آدم عليه السلام له الركن الشامي والذي على قلب إبراهيم له الركن العراقي والذي على قلب عيسى عليه السلام له الركن اليمانيّ والذي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم له ركن الحجر الأسود وهو لنا بحمد الله وكان بعض الأركان في زماننا الربيع بن محمود الماردينيّ الحطاب فلما مات خلفه شخص آخر وكان الشيخ أبو علي الهواريّ قط أطلعه الله عليهم في كشفه قبل أن يعرفهم وتحقق صورهم فما مات حتى أبصر منهم ثلاثة في عالم الحس أبصر ربيعاً الماردينيّ وأبصر الآخر وهو رجل فارسيّ وأبصرنا ولازمنا إلى أن مات سنة تسع وتسعين وخمسمائة أخبرني بذلك وقال لي ما أبصرت الرابع وهو رجل حبشي واعلم أن هؤلاء الأوتاد يحوون على علوم جمة كثيرة فالذي لابد لهم من العلم به وبه يكونون أوتاداً فما زاد من العلوم فمنهم من له خمسة عشر علماً ومنهم من له ولابد ثمانية عشر علماً ومنهم من له أحد وعشرون علماً ومنهم من له أربعة وعشرون علماً فإن أصناف العدد كثيرة هذا العدد من أصناف العلوم لكل واحد منهم لابد له منه وقد يكون الواحد أو كلهم يجمع أو يجمعون علم الجماعة وزيادة ولكن الخاص لكل واحد منهم ما ذكرنا من العدد فهو شرط فيه وقد لا يكون له ولا لواحد منهم علم زائد لا من الذي عند أصحابه ولا مما ليس عندهم فمنهم من له الوجه وهو قوله تعالى عن إبليس "ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم" ولكل جهة وتد يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه إبليس من جهته فالذي له الوجه له من العلوم علم الاصطلام والوجد والشوق والعشق وغامضات المسائل وعلم النظر وعلم الرياضة وعلم الطبيعة وعلم والعلم الإلهيّ وعلم الميزان وعلم الأنوار وعلم السبحات الوجهية وعلم المشاهدة وعلم الفناء وعلم تسخير الأرواح وعلم استنزال الروحانيات العلى وعلم الحركة وعلم إبليس وعلم المجاهدة وعلم الحشر وعلم النشر وعلم موازين الأعمال وعلم جهنم وعلم الصراط والذي له الشمال له علم الأسرار وعلم الغيوب وعلم الكنوز وعلم النبات وعلم المعدن وعلم الحيوان وعلم خفيات الأمور وعلم المياه وعلم التكوين وعلم التلوين وعلم الرسوخ وعلم الثبات وعلم المقام وعلم القدم وعلم الفصول المقومة وعلم الأعيان وعلم السكون وعلم الدنيا وعلم الجنة وعلم الخلود وعلم التقلبات والذي له اليمين له علم البرازخ وعلم الأرواح البزخية وعلم منطق الطير وعلم لسان الرياح وعلم التنزل وعلم الاستحالات وعلم الزجر وعلم مشاهدة الذات وعلم تحريك النفوس وعلم الميل وعلم المعراج وعلم الرسالة وعلم الكلام وعلم الأنفاس وعلم الأحوال وعلم السماع وعلم الحيرة وعلم الهوى والذي له الخلف له علم الحياة وعلم الأحوال المتعلقة بالعقائد وعلم النفس وعلم التجلي وعلم المنصات وعلم النكاح وعلم

الرحمة وعلم التعاطف وعلم التودد وعلم الذوق وعلم الشرب وعلم الري وعلم جواهر القرآن وعلم درر الفرقان وعلم النفس الأمّارة فكل شخص كما ذكرنا لا بد له من هذه العلوم فما زاد على ذلك فذلك من الاختصاص الإلهي فهذا قد بينا مراتب الأوتاد وكنا في الباب الذي قبله بينا ما يختص به الأبدال وبينا في فصل المنازل من هذا الكتاب ما يختص به القطب والإمامان مستو في الأصول في باب يخصه وهو السبعون ومائتان من أبواب هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع عشر في معرفة انتقال العلوم الكونية

ونبذ من العلوم الإلهية الممدّة الأصلية

علوم الكون تنتقل انتقالا ... وعلم الوجه لا يرجو زوالا

فنثبتها وننفيها جميعا ... ونقطع نجدها حالاً فحالا

إلهي كيف يعلمكم سواكم ... ومثلك من تبارك أو تعالى

إلهي كيف يعلمكم سواكم ... وهل غير يكون لكم مثالا

ومن طلب الطريق بلا دليل ... إلهي لقد طلب المحالا

إلهي كيف تهواكم قلوب ... وما ترجو التألف والوصالا

إلهي كيف يعركم سواكم ... وهل شيء سواكم لا ولالا

إلهي كيف تبصركم عيون ... ولست النيرات ولا الظلالا

إلهي لا أرى نفسي سواكم ... وكيف أرى المحال أو الضلالا

إلهي أنت وإنّ أني ... ليطلب من أنايتك النوالا

لفقر قام عندي من وجودي ... تولد من غناك فكان حالا

وأطلعني ليظهرني إليه ... ولم يرني سواه فكنت آلا

ومن قصد السراب يريد ماء ... يرى عين الحياة به زلالا

أنا الكون الذي لا شيء مثلي ... ومن أنا مثله قبل المثالا

وذا من أعجب الأشياء فانظر ... عساك ترى مماثله استحالا

فما في الكون غير وجود فرد ... تنزه أن يقاوم أو ينالا

اعلم أيدك الله أن كل ما في العالم منتقل من حال إلى حال فعالم الزمان في كل زمان منتقل وعالم الأنفاس في كل نفس وعالم التجلي في كل تجل والعلة في ذلك قوله تعالى "كل يوم هو في شأن" وأيده بقوله تعالى "سنفرغ لكم أيها الثقلان" وكل إنسان يجد من نفسه تنوّع الخواطر في قلبه في حركاته وسكناته فما من تقلب يكون في العالم الأعلى والأسفل إلا وهو عن توجه إلهيّ بتجل خاص لتلك العين فيكون استناده من ذلك التجلي بحسب ما تعطيه حقيقته واعلم أن المعارف الكونية منها علوم مأخوذة من الأكوان ومعلوماتها أكوان وعلوم تؤخذ من الأكوان ومعلوماتها نسب والنسب ليست بأكوان وعلوم تؤخذ من الأكوان ومعلومها ذات الحق وعلوم تؤخذ من الحق ومعلومها الأكوان وعلوم تؤخذ من النسب ومعلومها الأكوان وهذه كلها تسمى العلوم الكونية وهي تنتقل بانتقال معلوماتها في أحوالها وصورة انتقالها أيضاً أن الإنسان يطلب ابتداء معرفة كون من الأكوان أو يتخذ دليلاً على

مطلوبه كوناً من الأكوان فإذا حصل له ذلك المطلوب لاح له وجه الحق فيه و لم يكن ذلك الوجه مطلوباً له فتعلق به هذا الطالب وترك قصده الأول وانتقل العلم يطلب ما يعطيه ذلك الوجه فمنهم من يعرف ذلك ومنهم من هو حاله هذا ولا يعرف ما انتقل عنه ولا ما انتقل إليه حتى أن بعض أهل الطريق زل فقال إذا رأيتم الرجل يقيم على حال واحدة أربعين يوماً فاعلموا أنه مراء يا عجباً وهل تعطي الحقائق أن يبقى أحد نفسين أو زمانين على حال واحدة فتكون الألوهية معطلة الفعل في حقه هذا ما لا يتصوّر إلا أن هذا العارف لم يعرف ما يراد بالانتقال بكون الانتقال كان في الأمثال فكان ينتقل مع الأنفاس من الشيء إلى مثله فالتبست عليه الصورة بكونه ما تغير عليه من الشخص حاله الأوّل في تخيله كما يقال فلان مازال اليوم ماشياً وما قعد ولا شك إن المشي حركات كثيرة متعددة وكل حركة ما هي عين الأخرى بل هي مثلها وعلمك ينتقل بانتقالها فيقول ما تغير عليه الحال وكم تغيرت عليه من الأحوال.

فصل وأمّا انتقالات العلوم الإلهية فهو الاسترسال الذي ذهب إليه أبو المعالي إمام الحرمين والتعلقات التي ذهب إليها محمد بن عمر بن الخطيب الرازي وأمّا أهل القدم الراسخة من أهل طريقنا فلا يقولون هنا بالانتقالات فإن الأشياء عند الحق مشهودة معلومة الأعيان والأحوال على صورها التي تكون عليها ومنها إذا وجدت أعيانها إلى ما لا يتناهى فلا يحدث تعلق على مذهب ابن الخطيب ولا يكون استرسال على مذهب إمام الحرمين رضي الله عن جميعهم والدليل العقلي الصحيح يعطي ما ذهبنا إليه وهذا الذي ذكره أهل الله ووافقناهم عليه يعطيه الكشف من المقام الذي وراء طور العقل فصدق الجميع وكل قوّة أعطت بحسبها فإذا أوجد الله الأعيان فإنما أوجدها لها لا له وهي على حالاتها بأماكنها وأزمنتها على اختلاف أمكنتها وأزمنتها فيكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيأ بعد شيء إلى ما لا يتناهى على التتالي والتتابع فالأمر بالنسبة إلى الله واحد كما قال تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر والكثرة في نفس المعدودات وهذا الأمر قد حصل لنا في وقت فلم يختل علينا فيه وكان الأمر في الكثرة واحداً عندنا ما غاب ولازال وهكذا شهده كل من ذاق هذا فهم في المثال كشخص واحد له أحوال مختلفة وقد صوّرت له صورة في كل حال يكون عليها هكذا كل شخص وجعل بينك وبين هذه الصور حجاب فكشف لك عنها وأنت من جملة من له فيها صورة فأدركت جميع ما فيها عند رفع الحجاب بالنظرة الواحدة فالحق سبحانه ما عدل بها عن صورها في ذلك الطبق بل كشف لها عنها وألبسها حالة الوجود لها فعاينت نفسها على ما تكون عليه أبداً وليس في حق نظرة الحق زمان ماض ولا مستقبل بل الأمور كلها معلومة له في مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا تنحصر ولا حدّ لها تقف عنده فهكذا هو إدراك الحق تعالى للعالم ولجميع الممكنات في حال عدمها ووجودها فعليها تنوّعت الأحوال في خيالها لا في علمها فاستفادت من كشفها لذلك علماً لم يكن عندها لإحالة لم تكن عليها فتحقق هذا فإنها مسئلة خفية غامضة تتعلق بسرّ القدر القليل من أصحابنا من يعثر عليها وأمّا تعلق علمنا بالله تعالى فعلى قسمين معرفة بالذات الإلهية وهي موقوفة على الشهود والرؤية لكنها رؤية من غير إحاطة ومعرفة بكونه إلهاً وهي موقوفة على أمرين أو أحدهما وهو الوهب والأمر الآخر النظر والاستدلال وهذه هي المعرفة المكتسبة وأمّا العلم بكونه مختاراً فإن الاختيار يعارضه أحدية المشيئة فنسبته إلى الحق إذا وصف به إنما ذلك من حيث ما هو الممكن عليه لا من حيث ما هو الحق عليه قال تعالى "ولكن حق القول مني وقال تعالى "أفمن حقت عليه كلمة العذاب" وقال "ما يبدل القول لديّ" وما أحسن ما تمم به هذه الآية "وما أنا بظلام للعبيد" وهنا نبه على سر القدر وبه كانت الحجة البالغة لله على خلقه وهذا هو الذي يليق بجناب الحق والذي

يرجع إلى الكون "ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها" فما شئنا ولكن استدراك للتوصيل فإن الممكن قابل للهداية والضلالة من حيث حقيقته فهو موضع الانقسام وعليه يرد التقسيم وفي نفس الأمر ليس لله فيه إلا أمر واحد وهو معلوم عند الله من جهة حال الممكن مسئلة ظاهر معقول الاختراع عدم المثال في الشاهد كيف يصح الاختراع في أمر لم يزل مشهوداً له تعالى معلوماً كما قررناه في علم الله بالأشياء في كتاب المعرفة بالله مسئلة الأسماء الإلهية نسب وإضافات ترجع إلى عين واحدة إذ لا يصح هناك كثرة بوجود أعيان فيه كما زعم من لا علم له بالله من بعض النظار ولو كانت الصفات أعياناً زائدة وما هو إله إلا بها لكانت الألوهية معلولة بها فلا يخلو أن تكون هي عين الإله فالشيء لا يكون علة لنفسه أو لا تكون فالله لا يكون معلولاً لعلة ليست عينه فإن العلة متقدّمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الإله من كونه معلولاً لهذه الأعيان الزائدة التي هي علة له وهو محال ثم إنّ الشيء المعلول لا يكون له علتان وهذه كثيرة ولا يكون إلهاً إلا بها فبطل أن تكون الأسماء والصفات أعياناً زائدة على ذاته تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً مسئلة الصورة في المرآة جسد برزخي كالصورة التي يراها النائم إذا وافقت الصورة الخارجة وكذلك الميت والمكاشف وصورة المرآة أصدق ما يعطيه البرزخ إذا كانت المرآة على شكل

خاص ومقدار جرم خاص فإن لم تكن كذلك لم تصدق في كل ما تعطيه بل تصدق في البعض واعلم أن أشكال المرائي تختلف فتختلف الصور فلو كان النظر بالانعكاس إلى المرئيات كما يراه بعضهم لأدركها الرائي على ما هي عليه من كبر جرمها وصغره ونحن نبصر في الجسم الصقيل الصغير الصورة المرئية الكبيرة في نفسها صغيرة وكذلك الجسم الكبير الصقيل يكبر الصورة في عين الرائي ويخرجها عن حدها وكذلك العريض والطويل المتموج فإذن ليست الانعكاسات تعطي ذلك فلم يتمكن أن نقول إلا أن الجسم الصقيل أحد الأمور التي تعطي صور البرزخ ولهذا لا تتعلق الرؤية فيها إلا بالمحسوسات فإن الخيال لا يمسك إلا ما له صورة محسوسة أو مركب من أجزاء محسوسة تركبها القوّة المصوّرة فتعطي صورة لم يكن لها في الحس وجود أصلاً لكن أجزاء ما تركبت منه محسوسة لهذا الرائي بلا شك مسئلة أكمل نشأة ظهرت في الموجودات الإنسان عند الجميع لأن الإنسان الكامل وجد على الصورة لا الإنسان الحيوان والصورة لها الكمال ولكن لا يلزم من هذا أن يكون هو الأفضل عند الله فهو أكمل بالمجموع فإن قالوا يقول الله لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ومعلوم أنه لا يريد أكبر في الجرم ولكن يريد في المعنى قلنا له صدقت ولكن من قال إنها أكبر منه في الروحانية بل معنى السموات والأرض من حيث ما يدل عليه كل واحدة منهما من طريق المعنى المنفرد من النظم الخاص لإجرامهما أكبر في المعنى من جسم الإنسان لا من كل الإنسان ولهذا يصدر عن حركات السموات والأرض أعيان المولدات والتكوينات والإنسان من حيث جرمه من المولدات ولا يصدر من الإنسان هذا وطبيعة العناصر من ذلك فلهذا كانا أكبر من خلق الإنسان إذ هما له كالأبوين وهو من الأمر الذي يتنزل بين السماء والأرض ونحن إنما ننظر في الإنسان الكامل فنقول إنه أكمل وأما أفضل عند الله فذلك لله تعالى وحده فإن المخلوق لا يعلم ما في نفس الخالق إلا بإعلامه إياه مسئلة ليس للحق صفة نفسية ثبوتية إلا واحدة لا يجوز أن يكون له اثنتان فصاعداً إذ لو كان لكانت ذاته مركبة منهما أو منهن والتركيب في حقه محال فإثبات صفة زائدة ثبوتية على واحدة محال مسئلة لما كانت الصفات نسباً وإضافات والنسب أمور عدمية وما ثم إلا ذات واحدة من جميع الوجوه لذلك جاز أن يكون العباد مرحومين في آخر الأمر ولا يسرمد عليهم عدم الرحمة إلى ما لا نهاية له إذ لا مكره له على ذلك والأسماء والصفات ليست أعياناً توجب حكماً عليه في الأشياء فلا مانع من شمول الرحمة للجميع ولا سيما وقد ورد سبقها للغضب فإذا انتهى الغضب إليها كان الحكم لها فكان الأمر على ما قلناه لذلك قال تعالى "ولو شاء ربك

لهدى الناس جميعاً فكان حكم هذه المشيئة في الدنيا بالتكليف وأما في الآخرة فالحكم لقوله يفعل ما يريد فمن يقدر أن يدل على أنه لم يرد إلا تسرمد العذاب على أهل النار ولابدّ أو على واحد في العالم كله حتى يكون حكم الاسم المعذب والمبلي والمنتقم وأمثاله صحيحاً والاسم المبلي وأمثاله نسبة وإضافة لا عين موجودة وكيف تكون الذات الموجودة تحت حكم ما ليس بموجود فكل ما ذكر من قوله لو شاء ولئن شئنا لأجل هذا الأصل فله الإطلاق وما ثم نص يرجع إليه لا يتطرق إليه احتمال في تسرمد العذاب كما لنا في تسرمد النعيم فلم يبق إلا الجواز وإنه رحمن الدنيا والآخرة فإذا فهمت ما أشرنا إليه قل تشعيبك بل زال بالكلية مسئلة إطلاق الجواز على الله تعالى سوء أدب مع الله ويحصل المقصود بإطلاق الجواز على الممكن وهو الأليق إذ لم يرد به شرع ولا دل عليه عقل فافهم وهذا القدر كاف فإن العلم إلهيّ أوسع من أن يستقصى والله يقول الحق وهو يهدي سبيل.

الباب الثامن عشر في معرفة علم المتهجدين

وما يتعلق به من المسائل ومقداره في مراتب العلوم وما يظهر منه من العلوم في الوجود

علم التهجد علم الغيب ليس له ... في منزل العين إحساس ولا نظر
إن التنزل يعطيه وإن له ... في عينه سوراً تعلو به صور
فإن دعاه إلى المعراج خالقه ... بدت له بين أعلام العلى سور
فكل منزلة تعطيه منزلة ... إذا تحكم في أجفانه السهر
ما لم ينم هذه في الليل حالته ... أو يدرك الفجر في آفاقه البصر
نوافج الزهر لا تعطيك رائحة ... ما لم يجد بالنسيم اللين السحر
إن الملوك وإن جلت مناصبها ... لها مع السوقة الأسرار والسمر

اعلم أيدك الله أن المتهجدين ليس لهم اسم خاص إلهيّ يعطيهم التهجد ويقيمهم فيه كما لمن يقوم الليل كله فإن قائم الليل كله له اسم إلهيّ يدعوه إليه ويحركه فإن التهجد عبارة عمن يقوم وينام ويقوم وينام ويقوم فمن لم يقطع الليل في مناجاة ربه هكذا فليس بمتهجد قال تعالى "ومن الليل فتهجد به نافلةلك" وقال: "إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه" وله علم خاص من جانب الحق غير أن هذه الحالة لما لم نجد في الأسماء الإلهية من تستند إليه و لم نر أقرب نسبة إليها من الاسم الحق فاستندت إلى الاسم الحق وقبلها هذا الاسم فكل علم يأتي به المتهجد إنما هو من الاسم الحق فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لمن يصوم الدهر ويقوم الليل إن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً فصم وأفطر وقم ونم فجمع له بين القيام والنوم لأداء حق النفس من أجل العين ولأداء حق النفس من جانب الله ولا تؤدّى الحقوق إلا بالاسم الحق ومنه لا من غيره فلهذا استند المتهجدون لهذا الاسم ثم إنه للمتهجد أمر آخر لا يعلمه كل أحد وذلك أنه لا يجني ثمرة مناجاة التهجد ويحصل علومه إلا من كانت صلاة الليل له نافلة وأما من كانت فريضته من الصلاة ناقصة فإنها تكمل من نوافله فإن استغرقت الفرائض نوافل العبد المتهجد لحق عينه وقيامه لحق ربه فيكون

ما يعطيه الحق من العلم والتجلي في نومه ثمرة قيامه وما يعطيه من النشاط والقوة وتجليهما وعلومهما في قيامه ثمرة نومه وهكذا جميع أعمال العبد مما افترض عليه فتتداخل علوم المتهجدين كتداخل ضغيرة الشعر وهي من العلوم الأفعال والتزيه وهو قوله تعالى "والتفت الساق بالساق" أي اجتمع أمر الدنيا بأمر الآخرة وما ثم إلا دنيا وآخرة وهو المقام المحمود الذي ينتجه التهجد قال تعالى "ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا" وعسى من الله واجبة والمقام المحمود هو الذي له عواقب الثناء أي إليه يرجع كل ثناء وأما قدر علم التهجد فهو عزيز المقدار وذلك أنه لما لم يكن له اسم إلهيّ يستند إليه كسائر الآثار عرف من حيث الجملة أن ثم أمراً غاب عنه أصحاب الآثار والآثار فطلب ما هو فأداه النظر إلى أن يستكشف عن الأسماء الإلهية هل لها أعيان أو هل هي نسب حتى يرى رجوع الآثار هل ترجع إلى أمر وجودي أو عدمي فلما نظر رأى أنه ليس الأسماء أعياناً موجودة وإنما هي نسب فرأى مستند الآثار إلى أمر عدمي فقال المتهجد قصارى الأمر أن يكون رجوعي إلى أمر عدمي فأمعن النظر في ذلك ورأى نفسه مولداً من قيام ونوم ورأى النوم رجوع النفس إلى ذاتها وما تطلبه ورأى القيام حق الله عليه فلما كانت ذاته مركبة من هذين الأمرين نظر إلى الحق من حيث ذات الحق فلاح له أن الحق إذا انفرد بذاته لذاته لم يكن العالم وإذا توجه إلى العالم ظهر عين العالم لذلك التوجه فرأى أن العالم كله موجود عن ذلك التوجه المختلف النسب ورأى المتهجد ذاته مركبة من نظر الحق لنفسه دون العالم وهو حالة النوم للنائم ومن نظره إلى العالم وهو حالة القيام لأداء حق الحق عليه فعلم أن سبب وجود عينه أشرف الأسباب حيث استند من وجه إلى الذات معرّاة عن نسب الأسماء التي تطلب العالم إليه فتحقق إن وجوده أعظم الوجود وأن علمه أسنى العلوم وحصل له مطلوبه وهو كان غرضه وكان سبب ذلك انكساره وفقره فقال في قضاء وطره من ذلكه وفقره فقال في قضاء وطره من ذلك متمثلاً:

رب ليل بته ما أتى | فجره حتى انقضى وطري

من مقام كنت أعشقه | بحديث طيب الخبر

وقال في الأسماء

لم أجد للأسم مدلولاً | غير من قد كان مفعولا

ثم أعطتنا حقيقته | كونه للعقل معقولا

فتلفظنا به أدباً | واعتقدنا الأمر مجهولا

وكان قدر علمه في العلوم قدر معلومه وهو الذات في المعلومات فيتعلق بعلم التهجد علم جميع الأسماء كلها وأحقها به الاسم القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وهو العبد في حال مناجاته فيعلم الأسماء على التفصيل أي كل اسم جاء علم ما يحوي عليه من الأسرار الوجودية وغير الوجودية على حسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم ومما يتعلق بهذه الحالة من العلوم علم البرزخ وعلم التجلي الإلهيّ في الصور وعلم سوق الجنة وعلم تعبير الرؤيا لأنفس الرؤيا من جهة من يراها وإنما هي من جانب من ترى له فقد يكون الرائي هو الذي رآها لنفسه وقد يراها له غيره والعابر لها هو الذي له جزء من أجزاء النبوّة حيث علم ما أريد بتلك الصورة ومن هو صاحب ذلك المقام واعلم أن المقام المحمود الذي للمتهجد يكون لصاحبه دعاء معين وهو قوله الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يأمره به

"وقل رب أدخلني مدخل صدق" يعني لهذا المقام فإنه موقف خاص بمحمد يحمد الله فيه بمحامد لا يعرفها إلا إذا دخل ذلك المقام وأخرجني مخرج صدق أي إذا انتقل عنه إلى غيره من المقامات والمواقف أن تكون العناية به معه في خروجه منه كما كانت معه في دخوله إليه واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً من أجل المنازعين فيه فإن المقام الشريف لايزال صاحبه محسوداً ولما كانت النفوس لا تصل إليه رجعت تطلب وجهاً من وجوه القدح فيه تعظيماً لحالهم التي هم عليها حتى لا ينسب النقص إليهم عن هذا المقام الشريف فطلب صاحب هذا المقام النصرة بالحجة التي هي السلطان على الجاحدين شرف هذه المرتبة وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع عشر في سبب نقص العلوم وزيادتها

وقوله تعالى "وقل رب زدني علماً" وقوله صلى الله عليه وسلم "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صور العلماء ولكن يقبضه بقبض العلماء"

تجلى وجود الحق في فلك النفس ... دليل على ما في العلوم من النقص

وإن غاب عن ذاك التجلي بنفسه ... فهل مدرك إياه بالبحث والفحص

وإن ظهرت للعلم في النفس كثرة ... فقد ثبت الستر المحقق بالنص

ولم يبد من شمس الوجود ونورها ... على عالم الأرواح شيء سوى القرص

وليست تنال العين في غير مظهر ... ولو هلك الإنسان من شدّة الحرص

ولا ريب في قولي الذي قد بثثته ... وما هو بالزور المموّه والخرص

اعلم أيدك الله إن كل حيوان وكل موصوف بإدراك فإنه في كل نفس في علم جديد من حيث ذلك الإدراك لكن الشخص المدرك قد لا يكون ممن يجعل باله إن ذلك علم فهذا هو في نفس الأمر علم فاتصاف العلوم بالنقص في حق العالم هو أن الإدراك قد حيل بينه وبين أشياء كثيرة مما كان يدركها لو لم يقم به هذا المانع كمن طرأ عليه العمى أو الصمم أو غير ذلك ولما كانت العلوم تعلو وتتضع بحسب المعلوم لذلك تعلقت الهمم بالعلوم الشريفة العالية التي إذا اتصف بها الإنسان زكت نفسه وعظمت مرتبته فأعلاها مرتبة العلم بالله وأعلى الطرق إلى العلم بالله علم التجليات ودونها علم النظر وليس دون النظر علم إلهيّ وإنما هي عقائد في عموم الخلق لا علوم وهذه العلوم هي التي أمر الله نبيه عليه السلام بطلب الزيادة منها قال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه "وقل رب زدني علماً" أي زدني من كلامك ما تزيد به علماً بك فإنه قد زاد هنا من العلم العلم بشرف التأني عند الوحي أدباً مع المعلم الذي أتاه به من قبل ربه ولهذا أردف هذه الآية بقوله وعنت الوجوه للحيّ القيوم أي ذلت فأراد علوم التجلي والتجلي أشرف الطرق إلى تحصيل العلوم وهي علوم الأذواق واعلم أن للزيادة والنقص باباً آخر نذكره أيضاً إن شاء الله وذلك أن الله جعل لكل شيء ونفس الإنسان من جملته الأشياء ظاهراً وباطناً فهي تدرك بالظاهر أموراً تسمى عيناً وتدرك بالباطن أموراً تسمى علماً والحق سبحانه هو الظاهر والباطن فبه وقع الإدراك فإنه ليس في قدرة كل ما سوى الله أن يدرك شيأ بنفسه وإنما أدركه

بما جعل الله فيه وتجلى الحق لكل من تجلى له من أيّ عالم كان من عالم الغيب أو الشهادة إنما هو من الاسم الظاهر وأما الاسم الباطن فمن حقيقة هذه النسبة أنه لا يقع فيها تجل أبداًلاً في الدنيا ولا في الآخرة إذ كان التجلي عبارة عن ظهوره لمن تجلى له في ذلك المجلى وهو الاسم الظاهر فإن معقولية النسب لا تتبدّل وإن لم يكن لها وجود عينيّ لكن لها الوجود العقليّ فهي معقولة فإذا تجلى الحق إما منة أو إجباة لسؤال فيه فتجلى لظاهر النفس وقع الإدراك بالحس في الصورة في برزخ التمثل فوقعت الزيادة عند المتجلي له في علوم الأحكام إن كان من علماء الشريعة وفي علوم موازين المعاني إن كان منطقياً وفي علوم ميزان الكلام إن كان نحوياً وكذلك صاحب كل علم من علوم الأكوان وغير الأكوان تقع له الزيادة في نفسه من علمه الذي هو بصدده فأهل هذه الطريقة يعلمون أنّ هذه الزيادة إنما كانت من ذلك التجلي الإلهيّ لهؤلاء الأصناف فإنهم لا يقدرون على إنكار ما كشف لهم وغير العارفين يحسون بالزيادة وينسبون ذلك إلى أفكارهم وغير هذين يجدون من الزيادة ولا يعلمون أنهم استزادوا شيأ فهم في المثل كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهي هذه الزيادة وأصلها والعجب من الذين نسبوا ذلك إلى أفكارهم وما علم أنّ فكره ونظره وبحثه في مسئلة من المسائل هو من زيادة العلوم في نفسه من ذلك التجلي الذي ذكرناه فالناظر مشغول بمتعلق نظره وبغاية مطلبه فيحجب عن علم الحال فهو في مزيد علم وهو لا يشعر وإذا وقع التجلي أيضاً بالاسم الظاهر لباطن النفس وقع الإدراك بالبصيرة في عالم الحقائق والمعاني المجرّدة عن الموادّ وهي المعبر عنها بالنصوص إذ النص ما لا إشكال فيه ولا احتمال بوجه من الوجوه وليس ذلك إلا في المعاني فيكون صاحب المعاني مستريحاً من تعب الفكر فتقع الزيادة له عند التجلي في العلوم الإلهية وعلوم الأسرار وعلوم لاباطن وما يتعلق بالآخرة وهذا مخصوص بأهل طريقنا فهذا سبب الزيادة وأمّا سبب نقصها فأمران إما سوء في المزاج في أصل النشء أو فساد عارض في القوة الموصلة إلى ذلك وهذا لا ينجبر كما قال الخضر في الغلام إنه طبع كافراً فهذا في أصل النشء وأمّا الأمر العارض فقد يزول إن كان في القوة بالطب وإن كان في النفس فشغله حب الرياسة واتباع الشهوات عن اقتناء العلوم التي فيها شرفه وسعادته فهذا أيضاً قد يزول بداعي الحق من قلبه فيرجع إلى الفكر الصحيح فيعلم أن الدنيا منزل من منازل المسافر وأنها جسر يعبر وإن الإنسان إذا لم تتحلّ نفسه هنا بالعلوم ومكارم الأخلاق وصفات الملأ الأعلى من الطهارة والتنزه عن الشهوات الطبيعية الصارفة عن النظر الصحيح

واقتناء العلوم الإلهية فيأخذ في الشروع في ذلك فهذا أيضاً سبب نقص العلوم ولا أعني بالعلوم التي يكون النقص منها عيباً في الإنسان إلا العلوم الإلهية وإلا فالحقيقة تعطي أنه ما ثم نقص قط وأن الإنسان في زيادة علم أبداً دائماً من جهة ما تعطيه حواسه وتقلبات أحواله في نفسه وخواطره فهو في مزيد علوم لكن لا منفعة فيها والظن والشك والنظر والجهل والغفلة والنسيان كل هذا وأمثاله لا يكون معها العلم بما أنت فيه بحكم الظن أو الشك أو النظر أو الجهل أو الغفلة أو النسيان واما نقص علوم التجلي وزيادتها فالإنسان على إحدى حالتين خروج الأنبياء بالتبليغ أو الأولياء بحكم الوراثة النبوية كما قيل لأبي يزيد حين خلع عليه خلع النيابة وقال له أخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رآني فلم يسعه إلا امتثال أمر ربه فخطا خطوة إلى نفسه من ربه فغشي عليه فإذا النداء ردّوا عليّ حبيبي فلا صبر له عني فإنه كان مستهلكاً في الحق كأبي عقال المغربي فردّ إلى مقام الاستهلاك فيه الأرواح الموكلة به المؤيدة له لما أمر بالخروج فردّ إلى الحق وخلعت عليه خلع الذلة والافتقار والانكسار فطاب عيشه ورأى ربه فزاد أنسه واستراح من حمل الأمانة المعارة التي لابدّ له أن تؤخذ منه والإنسان من وقت رقيه في سلم المعراج يكون له تجلّ إلهيّ بحسب سلم معراجه فإنه لكل شخص من أهل الله سلم يخصه لا يرقى فيه غيره ولو رقي أحد في سلم أحد لكانت النبوّة مكتسبة فإن كل سلم يعطى لذاته

مرتبة خاصة لكل من رقي فيه وكانت العلماء ترقى في سلم الأنبياء فتنال النبوّة برقيها فيه والأمر ليس كذلك وكان يزول الاتساع الإلهيّ بتكرار الأمر وقد ثبت عندنا أنه لا تكرار في ذلك الجناب غير أنّ عدد درج المعالي كلها الأنبياء والأولياء والمؤمنون والرسل على السواء لا يزيد سلم على سلم درجة واحدة فالدرجة الأولى الإسلام وهو الانقياد وآخر الدرج الفناء في العروج والبقاء في الخروج وبينهما ما بقي وهو الإيمان والإحسان والعلم والتقديس والتتريه والغنى والفقر والذلة والعزة والتلوين والتمكين في التلوين والفناء إن كنت خارجاً والبقاء إن كنت داخلاً إليه وفي كل درج في خروجك عنه ينقص من باطنك بقدر ما يزيد في ظاهرك من علوم التجلي إلى أن تنتهي إلى آخر درج فإن كنت خارجاً ووصلت إلى آخر درج ظهر بذاته في ظاهرك على قدرك وكنت له مظهراً في خلقه و لم يبق في باطنك منه شيء أصلاً وزالت عنك تجليات الباطن جملة واحدة فإذا دعاك إلى الدخول إليه فهي أوّل درج يتجلى لك في باطنك بقدر ما ينقص من ذلك التجلي في ظاهرك إلى أن تنتهي إلى آخر درج فيظهر على باطنك بذاته ولا يبقى في ظاهرك تجلّ اصلاً وسبب ذلك أن لا يزال العبد والرب معاً في كمال وجود كل واحد لنفسه فلا يزال العبد عبداً والرب رباً مع هذه الزيادة والنقص فهذا هو سبب زيادة علوم التجليات ونقصها في الظاهر والباطن وسبب ذلك التركيب ولهذا كان جميع ما خلقه الله وأوجده في عينه مركباً له ظاهر وله باطن والذي نسمعه من البسائط إنما هي أمور معقولة لا وجود لها في أعيانها فكل موجود سوى الله تعالى مركب هذا أعطانا الكشف الصحيح الذي لا مرية فيه وهو الموجب لاستصحاب الافتقار له فإنه وصف ذاتيّ له فإن فهمت فقد أوضحنا لك المنهاج ونصبنا لك المعراج فاسلك واعرج تبصر وتشاهد ما بيناه لك ولما عينا لك درج المعارج ما أبقينا لك في النصيحة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لو وصفنا لك الثمرات والنتائج و لم نعين لك الطريق إليها لشوّقناك إلى أمر عظيم لا نعرف الطريق المصول إليه فوالذي نفسي بيده إنه لهو المعراج والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب العشرون في العلم العيسويّ ومن أين جاء وإلى أين ينتهي وكيفيته وهل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما

علم عيسى هو الذي تجهل الخلق قدره
كان يحيى به الذي كانت الأرض قبره
قاوم النفخ إذن من غاب فيه وأمره
أن لاهوته الذي كان في الغيب صهره
هو روح ممثل أظهر الله سرّه
جاء من غيب حضرة قد محا الله بدره
صار خلقاً من بعدما كان روحاً فغرّه

وانتهى فيه أمره فحباه وسرّه

من يكن مثله فقد عظم الله أجره

اعلم أيدك الله أن العلم العيسوي هو علم الحروف ولهذا أعطى النفخ وهو الهواء الخارج من تجويف القلب الذي هو روح الحياة فإذا انقطع الهواء في طريق خروجه إلى فم الجسد سمي مواضع انقطاعه حروفاً فظهرت أعيان الحروف فلما تألفت ظهرت الحياة الحسية في المعاني وهو أول ما ظهر من الحضرة الإلهية للعالم و لم يكن للأعيان في حال عدمها شيء من النسب إلا السمع فكانت الأعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الأمر الإلهيّ إذا ورد عليها بالوجود فلما أراد بها الوجود قال لها كن فتكوّنت وظهرت في أعيانها فكان الكلام الإلهيّ أوّل شيء أدركته من الله تعالى بالكلام الذي يليق به سبحانه فأوّل كلمة تركبت كلمة كن وهي مركبة من ثلاثة أحرف كان وواو ونون وكل حرف من ثلاثة فظهرت التسعة التي جذرها الثلاثة وهي أول الأفراد وانتهت بسائط العدد بوجود التسعة من كن فظهر بكن عين المعدود والعدد ومن هنا كان أصل تركيب المقدمات من ثلاثة وإن كانت في الظاهر أربعة فإن الواحد يتكرر في المقدمتين فهي ثلاثة وعن الفرد وجد الكون لا عن الواحد وقد عرفنا الحق أن سبب الحياة في صور المولدات إنما هو النفخ الإلهي في قوله فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وهو النفس الذي أحيى الله به الإيمان فأظهره قال صلى الله عليه وسلم إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فحييت بذلك النفس الرحماني صورة الإيمان في قلوب المؤمنين وصورة الأحكام المشروعة فأعطى عيسى علم هذا النفخ الإلهي ونسبته فكان ينفخ في الصورة الكائنة في القبر أو في صورة الطائر الذي أنشأه من الطين فيقوم حيا بالأذن الإلهي الساري في تلك النفخة وفي ذلك الهواء ولولا سريان الأذن الإلهيّ فيه لما حصلت حياة في صورة أصلاً فمن نفس الرحمان جاء العلم العيسوي إلى عيسى فكان يحيي الموتى بنفخه عليه السلام وكان انتهاؤه إلى الصور المنفوخ فيها وذلك هو الحظ الذي لكل موجود من الله وبه يصل إليه إذا صارت إليه الأمور كلها وإذا تحلل الإنسان في معراجه إلى ربه وأخذ كل كون منه في طريقه ما يناسبه لم يبق منه إلا هذا السر الذي عنده من الله فلا يراه إلا به ولا يسمع كلامه إلا به فإنه يتعالى ويتقدس أن يدرك إلا به وإذا رجع الشخص من هذا المشهد وتركبت صورته التي كانت تحللت في عروجه وردّ العالم إليه جميع ما كان أخذه منه مما يناسبه فإن كل عالم لا يتعدّى جنسه فاجتمع الكل على هذا السرّ الإلهي واشتمل عليه وبه سبحت الصورة بحمده وحمدت ربها إذ لا يحمده سواه ولو حمدته الصورة من حيث هي لا من حيث هذا السر لم يظهر الفضل الإلهيّ ولا الامتنان على هذه الصورة وقد ثبت الامتنان له على جميع الخلائق فثبت أن الذي كان من المخلوق لله من التعظيم والثناء إنما كان من ذلك السرّ الإلهيّ ففي كل شيء من روحه وليس شيء فيه فالحق هو الذي حمد نفسه وسبح نفسه وما كان من خير إلهيّ لهذه الصورة عند ذلك التحميد والتسبيح فمن باب المنة لا من باب الاستحقاق الكونيّ فإن جعل الحق له استحقاقاً فمن حيث أنه أوجب ذلك على نفسه فالكلمات عن الحروف والحروف عن الهواء والهواء عن النفس الرحماني وبالأسماء تظهر الآثار في الأكوان وإليها ينتهي العلم العيسوي ثم إن الإنسان بهذه الكلمات يجعل الحضرة الرحمانية تعطيه من نفسها ما تقوم به حياة ما يسأل فيه بتلك الكلمات فيصير الأمر دورياً دائماً واعلم أن حياة الأرواح حياة ذاتية ولهذا يكون كل ذي روح حي بروحه ولما علم بذلك السامريّ حين أبصر جبريل وعلم أن روحه عين ذاته وأن حياته ذاتية فلا يطأ موضعاً إلا حيي ذلك الموضع بمباشرة تلك الصورة الممثلة إياه فأخذ من

أثره قبضة وذلك قوله تعالى فيما أخبر به عنه أنه قال ذلك فقبضت قبضة من أثر الرسول فلما صاغ العجل وصوّره نبذ فيه تلك القبضة فخار العجل ولما كان عيسى عليه السلام روحاً كما سماه الله وكما أنشأه روحاً في صورة إنسان ثابتة أنشأ جبريل في صورة أعرابي غير ثابتة كان يحيي الموتى بمجرّد النفخ ثم إنه أيده بروح القدس فهو روح مؤيد بروح طاهرة من دنس الأكوان والأصل في هذا كله الحي الأزليّ عين الحياة الأبدية وإنما ميز الطرفين أعني الأزل والأبد وجود العالم وحدوثه الحيّ وهذا العلم هو المتعلق بطول العالم أعني العالم الروحانيّ وهو عالم المعاني والأمر ويتعلق بعرض العالم وهو عالم الخلق والطبيعة

والأجسام والكل لله ألا له الخلق والأمر "قل الروح من أمر ربي تبارك الله رب العالمين" وهذا كان علم الحسين بن منصور رحمه الله فإذا سمعت أحداً من أهل طريقنا يتكلم في الحروف فيقول إن الحرف الفلاني طوله كذا ذراعاً أو شبراً وعرضه كذا كالحلاج وغيره فإنه يريد بالطول فعله في عالم الأرواح وبالعرض فعله في عالم الأجسام ذلك المقدار المذكور الذي يميزه به وهذا الاصطلاح من موضع الحلاج فمن علم من المحققين حقيقة كن فقد علم العلم العلويّ ومن أوجد بهمته شيأ من الكائنات فما هو من هذا العلم ولما كانت التسعة ظهرت في حقيقة هذه الثلاثة الأحرف ظهر عنها من المعدودات التسعة الأفلاك وبحركات مجموع التسعة الأفلاك وتسيير كواكبها وجدت الدنيا وما فيها كما أنها أيضاً تخرب بحركاتها وبحركة الأعلى من هذه التسعة وجدت الجنة بما فيها وعند حركة ذلك الأعلى يتكوّن جميع ما في الجنة وبحركة الثاني الذي يلي الأعلى وجدت النار بما فيها والقيامة والبعث والحشر والنشر وبما ذكرناه كانت الدنيا ممتزجة نعيم ممزوج بعذاب وبما ذكرناه أيضاً كانت الجنة نعيماً كلها والنار عذاباً كلها وزال ذلك المزج في أهلها فنشأة الآخرة لا تقبل مزاج نشأة الدنيا وهذا هو الفرقان بين نشأة الدنيا والآخرة ألا إن نشأة النار أعني أهلها إذا انتهى فيهم الغضب الإلهي وأمده ولحق بالرحمة التي سبقته في المدى يرجع الحكم لها فيهم وصورتها صورتها لا تتبدل ولو تبدّلت تعذبوا فيحكم عليهم أولاً بإذن الله وتوليته حركة الفلك الثاني من الأعلى بما يظهر فيهم من العذاب في كل محل قابل للعذاب وإنما قلنا في كل محل قابل للعذاب لأجل من فيها ممن لا يقبل العذاب فإذا انقضت مدتها وهي خمس وأربعون ألف سنة تكون في هذه المدة عذاباً على أهلها يتعذبون فيها عذاباً متصلاً لا يفتر ثلاثة وعشرين ألف سنة ثم يرسل الرحمن عليهم نومة يغيبون فيها عن الإحساس وهو قوله تعالى "لا يموت فيها ولا يحيى" وقوله عليه السلام في أهل النار الذين هم أهلها "لا يموتون فيها ولا يحيون" يريد حالهم في هذه الأوقات التي يغيبون فيها عن إحساسهم مثل الذي يغشى عليه من أهل العذاب في الدنيا من شدة الجزع وقوة الآلام المفرطة فيمكثون كذلك تسع عشرة ألف سنة ثم يفيقون من غشيتهم وقد بدل الله جلودهم جلوداً غيرها فيعذبون فيها خمسة عشر ألف سنة ثم يغشى عليهم فيمكثون في غشيتهم إحدى عشرة ألف سنة ثم يفيقون وقد بدّل الله جلودهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب فيجدون العذاب الأليم سبعة آلاف سنة ثم يغشى عليهم ثلاثة آلاف سنة ثم يفيقون فيرزقهم الله لذة ورواحة مثل الذي ينام على تعب ويستيقظ وهذا من رحمته التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء فيكون لها حكم عند ذلك حكم التأبيد من الاسم الواسع الذي به وسع كل شيء رحمة وعلماً فلا يجدون ألماً ويدوم لهم ذلك ويستغنمونه ويقولون نسينا فلا نسأل حذراً أن نذكر بنفوسنا وقد قال الله لنا اخسأوا فيها ولا تكلمون فيسكتون وهم فيها مبلسون ولا يبقى عليهم من العذاب إلا الخوف من رجوع العذاب عليهم فهذا القدر من العذاب هو الذي يسرمد عليهم وهو الخوف وهو عذاب نفسيّ لا حسيّ وقد يذهلون عنه في أوقات فنعيمهم الراحة من العذاب الحسيّ بما يجعل الله في قلوبهم من أنه ذو رحمة واسعة يقول الله تعالى "فاليوم ننساكم كما نسيتم" ومن هذه الحقيقة يقولون نسينا إذا لم يحسوا بالآلام وكذلك قوله "نسوا الله فنسيهم" وكذلك اليوم تنسى أي تترك في جهنم إذ كان النسيان

الترك وبالهمز التأخر فأهل النار حظهم من النعيم عدم وقوع العذاب وحظهم من العذاب توقعه فإنه لا أمان لهم بطريق الأغبار عن الله ويحجبون عن خوف التوقع في أوقات فوقتاً يحجبون عنه عشرة آلاف سنة ووقتاً ألفي سنة ووقتاً ستة آلاف سنة ولا يخرجون عن هذا المقدار المذكور متى ما كان لابد أن يكون هذا القدر لهم من الزمان وإذا أراد الله أن ينعمهم من اسمه الرحمن ينظرون في حالهم التي هم عليها في الوقت وخروجهم مما كانوا فيه من العذاب فينعمون بذلك القدر من النظر فوقتاً يدوم لهم هذا النظر ألف سنة ووقتاً تسعة آلاف سنة ووقتاً خمسة آلاف سنة فيزيد وينقص فلا تزال حالهم هذه دائماً في جهنم إذ هم أهلها وهذا الذي ذكرناه كله من العلم العيسوي الموروث من المقام المحمدي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الحادي والعشرون في معرفة ثلاثة علوم كونية

وتوالج بعضها في بعض

علم التوالج علم الفكر يصحبه — علم النتائج فانسبه إلى النظر

هي الأدلة إن حققت صورتها — مثل الدلالة في الأنثى مع الذكر

على الذي أوقف الإيجاد أجمعه — على حقيقة كن في عالم الصور

والواو لولا سكون النون أظهرها — في العين قائمة تمشي على قدر

فاعلم بأن وجود الكون في فلك — وفي توجهه في جوهر البشر

اعلم أيدك الله أن هذا هو علم التوالد والتناسل وهو من علوم الأكوان وأصله من العلم الإلهي فلنبين لك أولاً صورته في الكوان وبعد ذلك نظهر ملك في العلم الإلهيّ فإن كل علم أصله من العلم الإلهي إذ كان كل ما سوى الله من الله قال الله تعالى "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه" فهذا علم التوالج سار في كل شيء وهو علم الالتحام والنكاح ومنه حسيّ ومعنويّ وإلاهيّ فاعلم أنك إذا أردت أن تعلم حقيقة هذا فلتنظره أولاً في عالم الحس ثم في عالم الطبيعة ثم في المعاني الروحانية ثم في العلم إلهيّ فإمّا في الحس فاعلم أنه إذا شاء الله أن يظهر شخصاً بين اثنين ذانك الإنثان هما ينتجانه ولا يصح أن يظهر عنهما ثالث ما لم يقم بهما حكم ثالث وهو أن يفضي أحدهما إلى الآخر بالجماع فإذا اجتمعا على وجه مخصوص وشرط مخصوص وهو أن يكون المحل قابلاً للولادة لا يفسد البذر إذا قبله ويكون البذر يقبل فتح الصورة فيه هذا هو الشرط الخاص وأمّا الوجه المخصوص فهو أن يكون التقاء الفرجين وإنزال الماء أو الريح عن شهوة فلا بدّ من ظهور ثالث وهو المسمى ولداً والاثنان يسميان والدين وظهور الثالث يسمى ولادة واجتماعهما يسمى نكاحاً وساحاً وهذا أمر محسوس واقع في الحيوان وإنما قلنا بوجه مخصوص وشرط مخصوص فإنه ما يكون عن كل ذكر وأنثى يجتمعان بنكاح ولد ولابدّ إلا بحصول ما ذكرناه وسنبينه في المعاني بأوضح من هذا إذ المطلوب ذلك وأمّا في الطبيعة فإن السماء إذا أمطرت الماء وقبلت الأرض الماء وربت وهو حملها فأنبتت من كل زوج بهيج وكذلك لقاح النخل والشجر ومن كل شيء خلقنا زوجين لأجل التوالد وأمّا في المعاني فهو أن تعلم أن الأشياء على قسمين مفردات ومركبات

وأن العلم بالمفرد يتقدم على العلم بالمركب والعلم بالمفرد يقتنص بالحدّ والعلم بالمركب يقتنص بالبرهان فإذا أردت أن تعلم وجود العالم هل هو عن سبب أو لا فلتعمد إلى مفردين أو ما هو في حكم المفردين مثل المقدّمة الشرطية ثم تجعل أحد المفردين موضوعاً مبتدأ وتحمل المفرد الآخر عليه على طريق الأخبار به عنه فتقول كل حادث فهذا المسمى مبتدأ فإنه الذي بدأت به وموضوعاً أوّل فإنه الموضوع الأول الذي وضعته لتحمل عليه ما تخبر به عنه وهو مفرد فإن الاسم المضاف في حكم المفرد ولابدّ أن تعلم بالحدّ معنى الحدوث ومعنى كل الذي أضفته إليه وجعلته له كالسور لما يحيط به فإن كل تقتضي الحضر بالوضع في اللسان فإذا علمت الحادث حينئذ حملت عليه مفرداً آخر وهو قولك فله سبب هذين المفردين صورة مركبة كما قامت صورة الإنسان من حيوانية ونطق فقلت فيه حيوان ناطق فتركيب المفردين بحمل أحدهما على الآخر لا ينتج شيأ وإنما هي دعوى يفتقر مدعيها إلى دليل على صحتها حتى بصدق الخبر عن الموضوع بما أخبر به عنه فيؤخذ منا ذلك مسلماً إذا كان في دعوى خاصة على طريق ضرب المثال مخافة التطويل وليس كتابي هذا بمحل لميزان المعاني وإنما ذلك موقوف على علم المنطق فإنه لابد أن يكون كل مفرد معلوماً وأن يكون ما يخبر به عن المفرد الموضوع معلوماً أيضاً إمّا ببرهان حسيّ أو بديهيّ أو نظريّ يرجع إليهما ثم تطلب مقدمة أخرى تعمل فيها ما عملت في الأولى ولابد أن يكون أحد المفردين مذكوراً في المقدمتين فهي أربعة في صورة التركيب وهي ثلاثة في المعنى لما نذكره إن شاءالله وإن لم يكن كذلك فإنه لا ينتج أصلاً فتقول في هذه المسئلة التي مثلنا بها في المقدّمة الأخرى والعالم حادث وتطلب فيه من العلم بحدّ المفرد فيها ما طلبته في المقدمة الأولى من معرفة العالم ما هو وحمل الحدوث عليه بقولك حادث وقد كان هذا الحادث الذي هو محمول في هذه المقدمة موضوعاً في الأولى حين حملت عليه السبب فتكرر الحادث في المقدّمتين وهو الرابط بينهما فإذا ارتبطا سمي ذلك الارتباط وجه الدليل وسمي اجتماعهما دليلاً وبرهاناً فينتج بالضرورة أن حدوث العالم له سبب فالعلة الحدوث والحكم السبب فالحكم أعمّ من العلة فإنه يشترط في هذا العلم أن يكون الحكم أعمّ من العلة أو مساوياً لها وإن لم يكن كذلك فإنه لا يصدق هذا في الأمور العقلية وأمّا مأخذها في الشرعيات فإذا أردت أن تعلم مثلاً أن النبيذ حرام بهذه الطريقة فتقول كل مسكر حرام والنبيذ مسكر فهو حرام وتعتبر في ذلك ما اعتبرت في الأمور العقلية كما

مثلت لك فالحكم التحريم والعلة الإسكار فالحكم أعمّ من العلة الموجبة للتحريم فإن التحريم قد يكون له سبب آخر غير السكر في أمر آخر كالتحريم في الغصب والسرقة والجناية وكل ذلك علل في وجود التحريم في المحرم فلهذا الوجه المخصوص صدق فقد بان لك بالتقريب ميزان المعاني وإن النتائج إنما ظهرت بالتوالج الذي في المقدّمتين اللذين هما كالأبوين في الحس وإن المقدّمتين مركبة من ثلاثة أو ما هو في حكم الثلاثة فإنه قد يكون للجملة معنى الواحد في الإضافة والشرط فلم تظهر نتيجة إلا من الفردية إذ لو كان الشفع ولا يصحبه الواحد صحبة خاصة ما صح أن يوجد عن الشفع شيء أبداً فبطل الشريك في وجود العالم وثبت الفعل للواحد وأنه بوجوده ظهرت الموجودات عن الموجودات فتبين لك أن أفعال العباد وإن ظهرت منهم أنه لولا الله ما ظهر لهم فعل أصلاً فجمع هذا الميزان بين إضافة الأعمال إلى العباد بالصورة وإيجاد تلك الأفعال لله تعالى وهو قوله والله خلقكم وما تعملون أي وخلق ما تعملون فنسب العمل إليهم وإيجاده لله تعالى والخلق قد يكون بمعنى الإيجاد ويكون بمعنى التقدير كما أنه قد يكون بمعنى الفعل مثل قوله تعالى "ما أشهدتهم خلق السموات" ويكون بمعنى المخلوق مثل قوله "هذا خلق الله" وأمّا هذا التوالج في العلم الإلهيّ والتوالد فاعلم أن ذات الحق تعالى لم يظهر عنها شيء أصلاً من كونها ذاتاً غير منسوب إليها أمر آخر وه أن ينسب إلى هذه الذات أنها قادرة على الإيجاد عند أهل السنة أهل الحق أو ينسب إليها كونها علة وليس هذا مذهب أهل الحق ولا يصح وهذا مما لا يحتاج إليه

ولكن كان الغرض في سياقه من أجل مخالفي أهل الحق لنقرر عنده أنه ما نسب وجود العالم لهذه الذات من كونها ذاتاً وإنما نسبوا العالم لها بالوجود من كونها علة فلهذا أوردنا مقالتهم ومع هذه النسبة وهي كونه قادراً لابدّ من أمر ثالث وهو إرادة الإيجاد لهذه العين المقصودة بأن توجد ولابدّ من التوجه بالقصد إلى إيجادها بالقدرة عقلاً وبالقول شرعاً بأن تتكوّن فما وجد الخلق إلا عن الفردية لا عن الأحدية لأن أحديته لا تقبل الثاني لأنها ليست أحدية عدد فكان ظهور العالم في العلم الإلهي عن ثلاث حقائق معقولة فسرى ذلك في توالد الكون بعضه عن بعض لكون الأصل على هذه الصورة ويكفي هذا القدر من هذا الباب فقد حصل المقصود بهذا التنبيه فإن هذا الفنّ في مثل طريق أهل الله لا يحتمل أكثر من هذا فإنه ليس من علوم الفكر هذا الكتاب وإنما هو من علوم التلقي والتدلي فلا يحتاج فيه إلى ميزان آخر غير هذا وإن كان له به ارتباط فإنه لا يخلو عنه جملة واحدة ولكن بعد تصحيح المقدمات من العلم بمفرداتها بالحدّ الذي لا يمنع والمقدّمات بالبرهان الذي لا يدفع بقول الله في هذا الباب "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" فهذا مما كنا بصدده في هذا الباب وهذه الآية وأمثالها أحوجتنا إلى ذكر هذا الفن ومن باب الكشف لم يشتغل أهل الله بهذا الفن من العلوم لتضييع الوقت وعمر الإنسان عزيز ينبغي أن لا يقطعه الإنسان إلا في مجالسة ربه والحديث معه على ما شرعه له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الخامس عشر والحمد لله.

الجزء السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني والعشرون في معرفة علم منزل المنازل وترتيب جميع العلوم الكونية

عجباً لأقوال النفوس السامية إن المنازل في المنازل سارية
كيف العروج من الحضيض إلى العلى إلا بقهر الحضرة المتعالية
فصناعة التحليل في معراجها نحو اللطائف والأمور السامية
وصناعة التركيب عند رجوعها بسنا الوجود إلى ظلام الهاوية

اعلم أيدك الله أنه لما كان العلم المنسوب إلى الله لا يقبل الكثرة ولا الترتيب فإنه غير مكتسب ولا مستفاد بل علمه عين ذاته كسائر ما ينسب إليه من الصفات وما سمى به من الأسماء وعلوم ما سوى الله لابد أن تكون مرتبة محصورة سواء كانت علوم وهب أو علوم كسب فإنها لا تخلو من هذا الترتيب الذي نذكره وهو علم المفرد أولاً ثم علم التركيب ثم علم المركب ولا رابع لها فإن كان من المفردات التي لا تقبل التركيب علمه مفرداً وكذلك ما بقي فإن كل معلوم لابد أن يكون مفرداً أو مركباً والمركب يستدعي بالضرورة تقدم علم التركيب وحينئذ يكون علم المركب فهذا قد علمت ترتيب جمع العلوم الكونية فنبين لك حصر المنازل في هذا المترل وهي كثيرة لا تحصى ولنقتصر منها على ما يتعلق بما يختص به شرعنا ويمتاز به لا بالمنازل التي يقع فيها الاشتراك بيننا وبين غيرنا من سائر علوم الملل والنحل وجملتها تسعة عشر مرتبة أمهات ومنها ما يتفرع إلى منازل ومنها ما لا يتفرع فلنذكر أسماء هذه المراتب ولنجعل لها اسم المنازل فإنه كذا عرّفنا بها في الحضرة الإلهية والأدب أولى فلنذكر ألقاب هذه المنازل وصفات أربابها وأقطابها المتحققين بها وأحوالهم وما لكل حال من هذه الأحوال من الوصف ثم بعد ذلك نذكر إن شاء الله كل صنف من هذه التسعة عشر ونذكر بعض ما يشتمل عليه من أمهات المنازل لا من المنازل فإنه ثم مترل يشتمل على ما يزيد على المائة من منازل العلامات والدلالات على أنوار جلية ويشتمل على آلاف وأقل من منازل الغايات الحاوية على الأسرار الخفية والخواص الجلية ثم تتلو ما ذكرنا بما يضاهي هذا العدد لهذه المنازل من الموجودات قديمها وحديثها ثم نذكر ما يتعلق ببعض معاني هذا المترل على التقريب والاختصار إن شاء الله تعالى ذكر ألقابها وصفات أقطابها فمن ذلك منازل الثناء والمدح هو لأرباب الكشوفات والفتح ومنازل الرموز والألغاز لأهل الحقيقة والمجاز ومنازل الدعاء لأهل الإشارات والبعد ومنازل الأفعال لأهل الأحوال والاتصال ومنازل الابتداء لأهل الهواجس والإيماء ومنازل التتريه لأهل التوجيه في المناظرات والاستنباط ومنازل التقريب للغرباء المألهين ومنازل التوقع لأصحاب البراقع من أجل السبحات ومنازل البركات لأهل اعلحركات ومنازل الأقسام لأهل التدبير من الروحانيين ومنازل الدهر لأهل الذوق ومنازل الأنية لأهل المشاهدة بالأبصار ومنازل اللام والألف للالتفاف الحاصل بالتخلق بالأخلاق الإلهية ولأهل السر

الذي لا ينكشف ومنازل التقرير لأهل العلم بالكيمياء الطبيعية والروحانية ومنازل فناء الأكوان للضغائن المخدرات ومنازل الألفة لأهل الأمان من أهل الغرف ومنازل الوعيد للمتمسكين بقائمة العرش الأمجد ومنازل الاستخبار لأهل غامضات الأسرار ومنازل الأمر للمتحققين بحقائق سره فيهم وأما صفاقم فأهل المدح لهم الزهو وأهل الرموز لهم النجاة من الاعتراض وأمّا المتألهون فلهم التيه بالتخلق وأمّا أهل الأحوال والاتصال فلهم الحصول على العين وأمّا أهل الإشارة فلهم الحيرة عند التبليغ وأمّا أهل الاستنباط فلهم الغلط والإصابة وليسوا بمعصومين وأما الغرباء فلهم الانكشار وأما أهل البراقع فلهم الخوف وأمّا أهل الحركة فلهم مشاهدة الأسباب والمدبرون لهم الفكر والممكنون لهم الحدود وأهل المشاهد لهم الجحد وأهل الكتم لهم السلامة وأهل العلم لهم الحكم على المعلوم وأهل الستر منتظرون رفعه وأهل الأمن في موطن الخوف من المكر وأهل القيام لهم القعود وأهل الإلهام لهم التحكم وأهل التحقيق لهم ثلاثة أثواب ثوب إيمان وكفر ونفاق وأمّا ذكر أحوالهم فاعلم أن الله تعالى قد هيأ المنازل للنازل ووطأ المعاقل للعاقل وزوى المراحل للراحل وأعلى المعالم للعالم وفصل المقاسم للقاسم وأعدّ القواصم للقاصم وبين العواصم للعاصم ورفع القواعد للقاعد ورتب المراصد للراصد وسخر المراكب للراكب وقرب المذاهب للذاهب وسطر المحامد للحامد وسهل المقاصد للقاصد وأنشأ المعارف للعارف وثبت المواقف للواقف ووعر المسالك للسالك وعين المناسك للناسك وأخرس المشاهد للشاهد وأحرس الفراقد للراقد ذكر صفات أحوالهم فإنه سبحانه جعل النازل مقدّراً والعاقل مفكراً والراحل مشمراً والعالم مشاهداً والقاسم مكابداً والقاصم مجاهداً والعاصم مساعداً والقاعد عارفاً والراصد

واقفاً والراكب محمولاً والذاهب معلولاً والحامد مسؤلا والقاصد مقبولاً والعارف مبخوتاً والواقف مبهوتاً والسالك مردوداً والناسك مبعوداً والشاهد محكماً والراقد مسلماً فهذا قد ذكرنا صفات هؤلاء التسعة عشر صنفاً في أحوالهم فلنذكر ما يتضمن كل صنف من أمّهات المنازل وكل مترل من هذه الأمهات يتضمن أربعة أصناف من المنازل الصنف الأول يسمى منازل الدلالات والصنف الآخر يسمى منازل الحدود والصنف الثالث يسمى منازل الخواص والصنف الرابع يسمى منازل الأسرار ولا تحصى كثرة فلنقتصر على التسعة عشر ولنذكر أعداد ما تنطوي عليه من الأمهات وهذا أولها مترل المدح له مترل الفتح فتح السرين ومترل المفاتيح الأول ولنا فيه جزء سميناه مفاتيح الغيوب ومترل العجائب ومترل تسخير الأرواح البرزخية ومترل الأرواح العلوية ولنا في بعض معانيه من النظم قولنا

منازل المدح والتباهي ... منازل ما لها تناهي
لا تطلبن في السموّ مدحا ... مدائح القوم في الثرى هي
من ظمئت نفشه جهاداً ... يشرب من أعذب المياه

نقول ليس مدح العبد أن يتصف بأوصاف سيده فإنه سوء أدب وللسيد أن يتصف بأوصاف عبده تواضعاً فللسيد الترول لأنه لا يحكم عليه فتروله إلى أوصاف عبده تفضل منه على عبده حتى يبسطه فإن جلال السيد أعظم في قلب العبد من أن يدل عليه لولا تترله إليه وليس للعبد أن يتصف بأوصاف سيده لا في حضرته ولا عند إخوانه من العبيد وإن ولاه عليهم كما قال عليه السلام "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" وقال تعالى "تلك الدار الآخرة نجعلها" أي نملكها ملكاً للذين لا يريدون علوّاً في الأرض فإن الأرض قد

جعلها الله ذلولاً والعبد هو الذليل والذلة لا تقتضي العلوّ فمن جاوز قدره هلك يقال ما هلك امرؤ عرف قدره وقوله ما لها تناهى يقول إنه ليس للعبد في عبوديته نهاية يصل إليها ثم يرجع رباً كما أنه ليس للرب حد ينتهي إليه ثم يعود عبداً فالرب رب إلى غير نهاية والعبد عبد إلى غير نهاية فلذا قال مدائح القوم في الثرى هي وهو أذل من وجه الأرض وقال لا يعرف لذة الماء إلا الظمآن يقول لا يعرف لذة الاتصاف بالعبودية إلا من ذاق الآلام عند اتصافه بالربوبية واحتياج الخلق إليه مثل سليمان حين طلب أن يجعل الله أرزاق العباد على يديه حساً فجمع ما حضره من الأقوات في ذلك الوقت فخرجت دابة من دواب البحر فطلبت قوتها فقال لها خذي من هذا قدر قوتك في كل يوم فأكلته حتى أتت على آخره فقالت زدني فما وفيت برزقي فإن الله يعطيني كل يوم مثل هذا عشر مرات وغيري من الدواب أعظم مني وأكثر رزقاً فتاب سليمان عليه السلام إلى ربه وعلم أنه ليس في وسع المخلوق ما ينبغي للخالق تعالى فإنه طلب من الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فاستقال من سؤاله حين رأى ذلك واجتمعت الدواب عليه تطلب أرزاقها من جميع الجهات فضاق لذلك ذرعاً فلما قبل الله سؤاله وأقاله وجد من اللذة لذلك ما لا يقدر قدره منزل الرموز فالعم وفقك الله أنه وإن كان منزلاً فإنه يحتوي على منازل منها منزل الوحدانية ومنزل العقل الأول والعرش الأعظم والصدا والإتيان من العماء إلى العرش وعلم التمثل ومنزل القلوب والحجاب ومنزل الاستواء الفهواني والألوهية السارية واستمداد الكهان والدهر والمنازل التي لا ثبات لها ولا ثبات لأحد فيها ومنزل البرازه والإلهية والزيادة والغيرة ومنزل الفقد والوجدان ومنزل رفع الشكوك والجود المخزون ومنزل القهر والخسف ومنزل الأرض الواسعة ولما دخلت هذا المنزل وأنا بتونس وقعت مني صيحة ما لي بها علم أنها وقعت مني غير أنه ما بقي أحد ممن سمعها إلا سقط مغشياً عليه ومن كان على سطح الدار من نساء الجيران مستشرفاً علينا غشي عليه ومنهن من سقط من السطوح إلى صحن الدار على علوّها وما أصابه بأس وكنت أول من أفاق وكنا في صلاة خلف إمام فما رأيت أحداً إلا صاعقاً فبعد حين أفاقوا فقلت ما شأنكم فقالوا أنت ما شأنك لقد صحت صيحة أثرت ما ترى في الجماعة فقلت والله ما عندي خبر إني صحت ومنزل الآيات الغريبة والحكم الإلهية ومنزل الاستعداد والزينة والأمر الذي مسك الله به الأفلاك السماوية ومنزل الذكر والسلب وفي هذه المنازل قلت:

منازل الكون في الوجود	منازل كلها رموز
منازل للعقول فيها	دلائل كلها تجوز
لما أتى الطالبون قصداً	لنيل شيء فذاك جوزوا
فيا عبيد الكيان حوزوا	هذا الذي ساقكم وجوزوا

الرمز واللغز هو الكلام الذي يعطي ظاهره ما لم يقصده قائله وكذلك منزل العالم في الوجود ما أوجده الله لعينه وإنما أوجه الله لنفسه فاشتغل العالم بغير ما وجد له فخالف قصد موجده ولهذا يقول جماعة من العلماء العارفين وهم أحسن حالاً ممن دونهم إن الله أوجدنا لنا والمحقق والعبد لا يقول ذلك بل يقول إنما أوجدنا له لا لحاجة منه إليّ فأنا لغز ربي ورمزه ومن عرف أشعار الألغاز عرف ما أردناه وأما قوله لما أتى الطالبون قصد النيل شيء بذاك جوزوا من المجازات يقول من طلب الله لأمر فهو لما طلب ولا ينال منه غير ذلك وقوله فيا عبيد الكيان يقول من عبد الله لشيء فذلك الشيء معبوده وربه والله بريء منه وهو لما عبده وقوله حوزوا أي

خذوا ما جئتم له أي بسببه وجوزوا أي روحوا عنا فإنكم ما جئتم إلينا ولا بسببنا منزل الدعاء هذا المنزل يحتوي على منازل منها منزل الأنس بالشبيه ومنزل التغذي ومنزل مكة والطائف والحجب ومنزل المقاصير والابتلاء ومنزل الجمع والتفرقة والمنع ومنزل النواشي والتقديس وفي هذا المنزل قلت:

لتأيه الرحمن فيك منازل		فأجب نداء الحق طوعاً يا فل

رفعت إليك المرسلات أكفها		ترجو النوال فلا يخيب السائل

أنت الذي قال الدليل بفضه		ولنا عليه شواهد ودلائل

لولا اختصاصك بالحقيقة ما زهت		بنزولك الأعلى لديه منازل

يقول إن نداء الحق عباده إنما هلو لسان المرسلات تطلب اسماً من أسمائه وذلك العبد في ذلك الوقت تحت سلطانها والمرسلات لطائف الخلق ترفع أكفها إلى من هي في يديه من الأسماء لتجود به على من يطلبها من الأسماء والمسؤول أبداً إنما هو من له المهيمنية على الأسماء كالعليم الذي له التقدّم على الخبير والحسيب والمحصي والمفضل ولهذا قال أنت الذي قال الدليل بفضله والحقيقة التي اختص بها أحاطته بما تحته في الرتبة من الأسماء الإلهية إذ القادر في الرتبة دون المريد والعالم في التربة فوق المريد والحي فوق الكل فالمنازل التي تحت إحاطة الاسم الجامع تفتخر بنزوله إليها إجابة لسؤالها منزل الأفعال وهو يشتمل على منازل منها منزل الفضل والأفهام ومنزل الإسراء الروحاني ومنزل التلطف ومنزل الهلاك وفي هذه المنازل أقول:

لمنازل الأفعال برق لامع		ورياحها تزجي السحاب زعازع

وسهامها في العالمين نوافذ		وسيوفها في الكائنات قواطع

ألقت إلى العز المحقق أمرها		فالعين تبصر والتناول شاسع

الناس في أفعال العباد على قسمين طائفة ترى الأفعال من العباد وطائفة ترى الأفعال من الله وكل طائفة يبدو لها مع اعتقادها ذلك شبه البرق اللامع في ذلك يعطيها آن للذي نفى عنه ذلك الفعل نسبة مّا وكل طائفة لها سحاب يحول بينها وبين نسبة الفعل لمن نفته عنه وقوله في رياحها أنها شديدة أي الأسباب والأدلة التي قامت لكل طائفة على نسبة الأفعال لمن نسبتها إليه قوية بالنظر إليه ووصف سهامها بالنفوذ في نفوس الذين يعتقدون ذلك وكذلك سيوفها فيهم قواطع وقوله أنها ألقت إلى العز أي احتمت بحمى مانع يمنع المخالف أن يؤثر فيه فيبقى على هذا كل أحد على ما هي إرادة الله فيه قال تعالى "زينا لكل أمة عملهم" وقوله "فالعين تبصر" يقول الحس يشهد أن الفعل للعبد والإنسان يجد ذلك من نفسه بما له فيه من الاختيار وقوله التناول شاسع أي ونسبته إلى غير ما يعطيه الحس والنفس بعيد المتناول إلا أنه لابدّ فيه من برق لامع يعطي نسبة في ذلك الفعل لمن نفى عنه لا يقدر على جحدها منزل الابتداء ويشتمل على منازل منها منزل الغلظة والسبحات ومنزل التنزلات والعلم بالتوحيد الإلهيّ ومنزل الرحموت ومنزل الحق والفزع وفي هذا المنزل أقول:

للابتداء شواهد ودلائل		وله إذا حط الركاب منازل

يحوي على عين الحوادث حكمه		ويمده الله الكريم الفاعل

ما بينه نسب وبين إلاهه إلا التعلق والوجود الحاصل

لا تسمعن مقالة من جاهل مبنى الوجود حقائق وأباطل

مبنى الوجود حقائق مشهودة وسوى الوجود هو المحال الباطل

يقول لابتداء الأكوان شواهد فيها أنها لم تكن لأنفسها ثم كانت وله الضمير يعود على الابتداء إذا حط الركاب أي إذا تتبعته من أين جاء وجدته من عند من أوجده ولذلك كان له البقاء قال تعالى "وما عند الله باق" فإذا حططت عنده عرفت منزلته منه الذي كان فيها إذ لم يكن لنفسه وتلك منزل الأولية الإلهية في قوله هو الأول ومن هذه الأولية قدر ابتداء الكون ومنه تستمد الحوادث كلها وهو الحاكم فيها وهي الجارية على حكمه ونفي النسب عنه فإن أولية الحق تمد أولية العبدج وليس لأولية الكون إمداد لشيء فما ثم نسب إلا العناية ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل هذا مذهب القوم وما بقي مما لم يدخل تحت حصر هذه الثلاثة فعمى وتلبيس هكذا صرّح به صاحب محاسن المجالس وقول بمن قال مبنى الوجود حقائق وأباطل ليس بصحيح فإن الباطل هو العدم وهو صحيح فإن الوجود المستفاد في حكم العدم والوجود الحق من كان وجوده لنفسه وكل عدم وجد فما وجد إلا من وجود كان موصوفاً به لغيره لا لنفسه والذي استفاد هو الوجود لعينه وأمّا المحال الباطل فهو الذي لا وجود له لا لنفسه ولا من غيره منزل التنزيه هذا المنزل يشتمل على منازل منها منزل الشكر ومنزل البأس ومنزل النشر ومنزل النصر والجمع ومنزل الربح والخسران والاستحالات ولنا في هذا:

لمنازل التنزيه والتقديس سرّ مقول حكمه معقول

علم يعود على المنزه حكمه فردوس قدس روضه مطلول

فمنزه الحق المبين مجوّز ما قاله فمرامه تضليل

يقول المنزه على الحقيقة من هو نزيه لنفسه وإنما ينزه من يجوز عليه ما ينزه عنه وهو المخلوق فلهذا يعود التنزيه على المنزه قال صلى الله عليه وسلم "إنما هي أعمالك ترد عليكم" فمن كان عمله التنزيه عاد عليه تنزيهه فكان محله منزهاً عن أن يقوم به اعتقاد ما لا ينبغي أن يكون الحق عليه ومن هنا قال من قال سبحاني تعظيماً لجلال الله تعالى ولهذا قال روضه مطلول وهو نزول التنزيه إلى محل العبد المنزه خالقه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

منزل التقريب

هذا المنزل يشتمل على منزلين منزل خرق العوائد ومنزل أجدية كن وفيه أنشدت

لمنازل التقريب شرط يعلم ولها على ذات الكيان تحكم

فإذا أتى شرط القيامة واستوى جبارها خضع الوجود ويخدم

هيهات لا تجني النفوس ثمارها إلا التي فعلت وأنت مجسم

يقول إن التقريب من صفات المحدثات لأنها تقبل التقريب وضدّه والحق هو القريب وإن كان قد وصف نفسه أنه يتقرب والمصدر منه التقريب والتقرّب ولما قال شرط يعلم وهو قبول التأثير قال ولا يعرف وينكشف الأمر عموماً إلا في الآخرة وقال والنفوس ما لها جنى إلا ما غرسته في حياتها الدنيا من خير أو شرّ فلها التقريب من أعمالها "فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" مترل التوقع وهذا المترل أيضاً يشتمل على مترلين مترل الطريق الإلهيّ ومترل السمع فويه نظمت:

ظهرت منازل للتوقع باديه وقطوفها ليد المقرب دانيه

فاقطف من أغصان الدنوّ ثمارها لا تقطفن من الغصون العاديه

لا تخرجن عن اعتدالك والزمن وسط الطريق تر الحقائق باديه

يقول ما يتوقعه الإنسان قد ظهر لأنه ما يتوقع شيأ إلا وله ظهور عنده في باطنه فقد برز من غيبه الذي يستحقه إلى باطن من يتوقعه ثم إنه يتوقع ظهوره في عالم الشهادة فيكون أقرب في التناول وهو قوله قطوفها دانية أي قريبة ليد القاطف يقول احفظ طريق الاعتدال لا تنحرف عنه والاعتدال هنا ملازمتك حقيقتك لا تخرج عنها كما خرج المتكبرون ومن كان برزخاً بين الطرفين كان له الاستشراف عليهما فإذا مال إلى أحدهما غاب عن الآخر مترل البركات وهو أيضاً يشتمل على مترلين على مترل الجمع والتفرقة ومترل الخصام البرزخي وهو مترل الملك والقهر وفيه قلت:

لمنازل البركات نور يسطع وله بحبات القلوب توقع

فيها المزيد لكل طالب مشهد ولها إلى نفس الوجود تطلع

فإذا تحقق سرّ طالب حكمة بحقائق البركات شدّ المطلع

الحمد لله الذي في كونه أعيانه مشهودة تتسمع

البركات الزيادة وهي من نتائج الشكر وما سمى الحق نفسه تعالى بالاسم الشاكر والشكور إلا لتزيد في العمل الذي شرع لنا أن نعمل به كما يزيد الحق النعم بالشكر منا فكل نفس متطلعة للزيادة يقول وإذا تحقق طالب الحكم الزيادة انفرد بأمور يجهد أن لا يشاركه فيها أحد لتكون الزيادة من ذلك النوع وصاحب هذا المقام تكون حاله المراقبة للحال ذلك يطلبه مترل الأقسام والإيلاء وهذا المترل يشتمل على منازل منها مترل الفهوانيات الرحمانية ومترل المقاسم الروحانية ومترل الرقوم ومترل مساقط النور ومترل الشعراء ومترل المراتب الروحانية ومترل النفس الكلية ومترل القطب ومترل انفهاق الأنوار على عالم الغيب ومترل مراتب النفس الناطقة ومترل اختلاف الطرق ومترل المودّة ومترل علوم الإلهام ومترل النفوس الحيوانية ومترل الصلاة الوسطى وفي هذا قلت:

منازل الأقسام في العرض أحكامها في عالم الأرض

تجري بأفلاك السعود على من قام بالسنة والفرض

وعلمها وقف على عينها وحكمها في الطول والعرض

يقول القسم نتيجة التهمة والحق يعامل الخلق من حيث ما هم عليه لا من حيث ما هو عليه ولهذا لم يول الحق تعالى للملائكة لأنهم ليسوا من عالم التهمة وليس لمخلوق أن يقسم بمخلوق وهو مذهبنا وإن أقسم بمخلوق عندنا فهو عاص ولا كفارة عليه إذا حنث وعليه التوبة مما وقع فيه لا غير وإنما أقسم الحق بنفسه حين أقسم بذكر المخلوقات وحذف الاسم يدل على ذلك إظهار الاسم في

مواضع من الكتاب العزيز مثل قوله "فورب السماء والأرض" "برب المشارق والمغارب" فكان ذلك إعلاماً في المواضع التي لم يجر للاسم ذكر ظاهر أنه غيب هنالك لأمر أراده سبحانه في ذلك يعرفه من عرّفه الحق ذلك من نبي ووليّ ملهم فإن القسم دليل على تعظيم المقسم به ولا شك أنه قد ذكر في القسم من يبصر ومن لا يبصر فدخل في ذلك الرفيع والوضيع والمرضيّ عنه والمغضوب عليه والمحبوب والممقوت والمؤمن والكافر والموجود والمعدوم ولا يعرف منازل الأقسام إلا من عرف عالم الغيب فيغلب على الظن أن الاسم الإلهيّ هنا مضمر وقد عرّفناك أن علامل الغيب هو الطول وعالم الشهادة هو العرض منزل الأنية ويشتمل على منازل منها منزل سليمان عليه السلام دون غيره من الأنبياء ومنزل الستر الكامل ومنزل اختلاف المخلوقات ومنزل الروح ومنزل العلوم وفيه أقول:

أنية قدسية مشهودة — لوجودها عند الرجال منازل
تفنى الكيان إذا تجلت صورة — في سورة أعلامها تتفاضل
وتريك فيك وجودها بنعوتها — خلف الظلال وجودها لك شامل

يقول إن الحقيقة الإلهية المعنوية بنعوت التنزيه إذا شوهدت تفني كل عين سواها وإن تفاضلت مشاهدها في الشخص الواحد بحسب أحواله وفي الأشخاص لاختلاف أحوالهم لما أعطت الحقيقة أنه لا يشهد الشاهد منا إلا نفسه كما لا تشهد هي منا إلا نفسها فكل حقيقة للأخرى مرآة المؤمن مرآة أخيه ليس كمثله شيء منزل الدهور يحتوي هذا المنزل على منازل منها منزل السابقة ومنزل العزة ومنزل روحانيات الأفلاك ومنزل الأمر الإلهيّ ومنزل الولادة ومنزل الموازنة ومنزل البشارة باللقاء وفيه أقول:

ومن المنازل ما يكون مقدّرة — مثل الزمان فإنه متوهم
دلت عليه الدائرات بدورها — وله التصرّف والمقام الأعظم

يقول لما كان الأزل أمراً متوهماً في حق الحق كان الزمان أيضاً في حق الحق أمراً متوهماً أي مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك فإن الأزل كالزمان للخلق فافهم منزل لام الألف هذا منزل الالتفاف والغالب عليه الائتلاف لا الاختلاف قال تعالى "والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق" وهو يحتوي على منازل منها منزل مجمع البحرين وجمع الأمرين ومنزل التشريف المحمديّ الذي إلى جانب المنزل الصمديّ وفيه أقول:

منازل اللام في التحقيق والألف — عند اللقاء انفصال حال وصلهما
هما الدليل على من قال إن أنا — سرّ الوجود وإني عينه فهما
نعم الدليلان إن دلا بحالهما — لا كالذي دل بالأقوال فانصرما

يقول إن ارتبط اللام بالألف وانعقد وصارا عيناً واحدة وهو ظاهر في المزدوج من الحروف في المقام الثامن والعشرين بين الواو والياء اللذين لهما الصحة والاعتلال فلما في الألف من العلة ولما في اللام من الصحة وقعت المناسبة بينه وبين هذين الحرفين فيلي الصحيح منه حرف الصحة ويلي المعتل منه حرف العلة فيداه مبسوطة بالرحمة مقبوضة بنقيضها وليس للام الألف صورة في نظم المفرد بل هو غيب فيها ورتبة على حالها بين الواو والياء وقد استتاب في مكانه الزاي والحاء والطاء اليابسة فله في غيبه الرتبة السابعة والثامنة

والتاسعة فله منزلة القمر بين البدر والهلال فلم تزل تصحبه رتبة البرزخية في غيبته وظهوره فهو الرابع والعشرون إذ كانت له السبعة بالزاي والثمانية بالحاء والتسعة بالطاء واليوم أربع وعشرون ساعة ففي أيّ ساعة عملت به فيها أنجح عملك على ميزان العمل بالوضع لأنه في حروف الرقم لا في حروف الطبع لأنه ليس له في حروف الطبع إلا اللام وهو من حروف اللسان برزخ بين الحلق والشفتين والألف ليست من حروف الطبع فما ناب إلا مناب حرف واحد وهو اللام الذي عنه تولد الألف إذا أشبعت حركته فإن لم تشبع ظهرت الهمزة ولهذا جعل الألف بعض العلماء نصف حرف والهمزة نصف حرف في الرقم الوضعي لا في اللفظ الطبعي ثم نرجع فنقول إن العقد اللام بالألف كما قلنا وصار أعيناً واحدة فإن فخذيه يدلان على أنهما اثنان ثم العبارة باسمه تدل على أنه اثنان فهو اسم مركب من اسمين لعينين العين الواحدة اللام والأخرى الألف ولكن لما ظهرا في الشكل على صورة واحدة لم يفرق الناظر بينهما و لم يتميز له أيّ الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر الألف فاختلف الكتاب فيه فمنهم من راعى التلفظ ومنهم من راعى ما يبتدىء به مخططه فيجعله أولاً فاجتمعا في تقديم اللام على الألف لأنّ الألف هنا تولد عن اللام بلا شك وكذلك الهمزة تتلو اللام في مثل قوله لأنتم أشدّ رهبة وأمثاله وهذا الحرف أعني لام ألف هو حرف الالتباس في الأفعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو إن قلت هو لله صدقت وإن قلت هو للمخلوق صدقت ولولا ذلك ما صحّ التكليف وإضافة العمل من الله للعبد يقول صلى الله عليه وسلم إنما هي أعمالكم تردّ عليكم ويقول الله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه واعملوا ما شئتم إني بما تعملون بصير والله يقول الحق فكذلك أي الفخذين جعلت اللام أو الألف صدقت وإن اختلف العمل في وضع الشكل عند العلماء به للتحقق بالصورة وكل من دل على أن الفعل للواحد من الفخذين دون الآخر فذلك غير صحيح وصاحبه ينقطع ولا يثبت وإن غيره من أهل ذلك الشأن يخالفه في ذلك ويدل في زعمه والقول معه كالقول مع مخالفه ويتعارض الأمر ويشكل الأعلى من نوّر الله بصيرته وهداه إلى سواء السبيل منزل التقرير وهو يستمل على منازل منها منزل تعداد النعم ومنزل رفع الضرر ومنزل الشرك المطلق وفي ذلك أقول:

تقرّرت المنازل بالسكون — ورجحت الظهور على الكمون

ودلت بالعيان على عيون — مفجرة من الماء المعين

ودلت بالبروق سحاب مزن — إذا لمعت على النور المبين

اعلم أيدك الله أنه يقول الثبوت يقرر المنازل فمن ثبت ثبت وظهر لكل عين على حقيقتها ألا ترى ما تعطيك سرعة الحركة من الشبه فيحكم الناظر على الشيء بخلاف ما هو عليه ذلك الشيء فيقول في النار الذي في الجمرة أو في رأس الفتيلة إذا أسرع بحركته عرضا إنه خط مستطيل أو يديره بسرعة فيرى دائرة نار في الهواء وسبب ذلك عدم الثبوت وإذا ثبتت المنازل دلت على ما تحوى عليه من العلوم الإلهية منزل المشاهدة وهو منزل واحد هو منزل فناء الكون فيه يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل وفيه أقول

في فناء الكون منزل — روحه فينا تنزل

إنه ليلة قدري — ماله نور ولا ظل

هو عين النور صرفا — ماله عنه تنقل

فأنا الإمامم حقا — ملك في الصدر الأول

عنده مفتاح أمري فيوليكم ويعزل

سمهر يأتي طوال لست بالسماك الأعزل

فالمقام الحق فيكم دائم لا يتبدل

وهو القاهر منه وهو الإمام الأعدل

ليس بالنور الممثل بل من المهاة أكمل

وأنا منه يقينا بمكان السر الأفضل

فبعين العين أسمو وبأمر المر أنزل

يقول حالة الفناء لا نور ولا ظل مثل ليلة القدر ثم قال وذلك هو الضوء الحقيقي والظل الحقيقي فإنه الأصل الذي لا ضد له والأنوار تقابلها الظلم وهذا لا يقابله شيء وقوله أنا الإمام يعني شهود للحق من الوجه الخاص الذي منه إلي وهو الصدر الأول ومن هذا المقام يقع التفصيل والكثرة والعدد في الصور وجعل السمهريات كناية عن تأثير القيومية في العالم ولها الثبوت ولذا قال لا تتبدل وله القهر والعدل لا يقبل التشبيه فبشهود الذات أعلو وبالأمر الإلهي أنزل إماما في العالم منزل الألفة هو منزل واحد وفيه أقول

منازل الألفة مألوفة وهي بهذا النعث معروفه

فقل لمن عرس فيها أقم فإنها بالأمن محفوفه

وهي على الإثنين موقوفة وعن عذاب الوتر مصروفه

هذا منزل الأعراس والسرور والأفراح وهو مما أمتن الله به على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يريد عليك ولكن الله ألف بينهم يريد على مودتك وإجابتك وتصديقك منزل الاستخبار وهو يشتمل على منازل منها المنازعة الروحانية ومنزل حلية السعداء كيف تظهر على الأشقياء وبالعكس ومنزل الكون قبل الإنسان وفيه أقول:

إذا استفهمت عن أحباب قلبي أحالوني على استفهام لفظي

منازلهم بلفظك ليس إلا فياشؤمي لذاك وسوء حفظي

وعظت النفس لا تنظر إليهم فما ألتفتت بخاطرها لوعظي

لفظتهمو عسى أحظى بكون فكانوا عين كوني عين لفظي

ومن عجب أني أحن إليهمو واسأل عنهم من رأى وهمو معي

وترصدهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

يقول أنهم في لساني عنهم وفي سواد عيني إذا نظرت إليهم في قلبي إذا فكرت فيهم وأشتقت إليههم فهم معي في كل حال أكون عليها فهم عيني ولست عينهم إذ لم يكن عندهم مني ما عندي منهم منزل الوعيد وهو منزل واحد محوى على الجور والإستمساك بالكون وفيه قلت

إن الوعيد لمنزلان تهما لن ترك السلوك على الطريق الأقوم

فإذا تحقق بالكمال وجوده ومشى على حكم العلو الأقدم

عادا نعيما عنده فنعيمه في النار وهي نعيم كل مكرم

منزل روحاني وهو عذاب النفوس ومنزل جسماني وهو العذاب المحسوس ولا يكون إلا لمن حاد عن الطريق المشروع في ظاهره وباطنه فإذا وفق للإستقامة وسبقت له العناية عصم من ذلك وتنعم بنار المجاهدة لجنة المشاهدة منزل الأمر وهو يشتمل على منازل منزل الأرواح الربرزخية ومنزل التعليم ومنزل السرى ومنزل السبب ومنزل التمائم ومنزل القطب والإمامين ولنا فيه:

منازل الأمر فهو أنية الذات بها تحصل أفراحي ولذاتي

فليتني قائم فيها مدى عمري ولا أزول إلى وقت الملاقاة

فقرة العين للمختار كان له إذا تبرز في صدر المناجاة

الأمر الإلهي من صفة الكلام وهو مسدود دون الأولياء من جهة التشريع وما في الحضرة الإلهية أمر تكليفي إلا أن يكون مشروعا فما بقي للولي الإسماع أمرها إذا أمرت الأنبياء فيكون للولي عند سماعه ذلك لذة سارية في وجوده لكن يبقى للأولياء المناجاة الإلهية التي لا أمر فيها سمرا وحديثا فكل من قال من أهل الكشف أنه مأمور بأمر إلهي في حركاته وسكناته مخالف لأمر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الأمر وأن كان صادقا فيما قال أنه سمع وإنما يمكن أن ظهر له تجل إلهي في صورة نبيه صلى الله عليه وسلم فخاطبه نبيه أو أقيم في سماع خطاب نبيه وذلك أن الرسول موصل أمر الحق تعالى الذي أمر الله به عباده فقد يمكن أن يسمع من الحق في حضرة ما ذلك الأمر الذي قد جاء به أولا رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول أمرني الحق وإنما هو في حقه تعريف بأنه قد أمر وانقطع هذا السبب بمحمد صلى الله عليه وسلم وما عدا الأوامر من الله المشروعة فللأولياء في ذلك القدم الراسخة فهذا قد أتينا على التسعة عشر صنفا من المنازل فلنذكر أخص صفات كل منزل فنقول وصل أخص صفات منزل المدح تعلق العم بما لا يتناهى وأخص صفات منزل الرموز نتعلق العلم بخواص الأعداد والأسماء وهي الكلمات والحروف وفيه علم السيمياء وأخص صفات منزل الدعاء علوم الإشارة والتحلية وأخص صفات منزل الأفعال علم الآن وأخص صفاتت منزل الأبتداء علم المبدأ والمعاد ومعرفة الأوليات من كل شيء وأخص صفات لتنزيه علم السلخ والخلع وأخص صفات التقريب علم الدلالات وأخص صفات منزل التوقع علم النسب والإضافات أو أخص صفات منزل البركات علم الأسباب والشروط والعلل والأدلة والحقيقة وأخص صفات الأقسام علوم العظمة وأخص صفات منزل الدهر علم الأزل وديمومة الباري وجودا وأخص صفات منزل الأنية علم الذات وأخص صفات منزل لام ألف علم نسبة الكون إلى المكون وأخص صفات منزل التقرير علم الحضور وأخص صفات منزل فناء الكون علم قلب االأعيان وأخص صفات منزل الألفة علم الإلتحام وأخص صفات منزل الوعيد علم المواطن وأخص صفات منزل الاستفهام علم ليس كمثله شيء وأخص صفات منزل الأمر علم العبودة وصل اعلم أنه لكل منزل من هذه المنازل التسعة عشر صنف من الممكنات فمنهم صنف الملائكة وهم صنف واحد وأن اختلفت أحوالهم وعلم الأجسام ثمانية عشر الأفلاك أحد عشر نوعا والأركان أربعة والمولدات ثلاثة ولها وجه آخر يقابلها من الممكنات في الحضرة الإلهية الجوهر للذات وهو الأول الثاني الأعراض

وهي للصفات الثالث لزمان وهو للأزل الرابع المكان وهو للإستواء أو النعوت الخامس الإضافات للإضافات السادس الأوضاع للفهوانية السابع الكميات للأسماء الثامن اليكفيات للتجليات التاسع التأثيرات للجود العاشر الإنفعالات للظهرو في صور الأعتقادات الحادي عشر الخاصية وهي للأحدية الثاني عشر الحيرة وهي للوصف بالترول والفرح والقرض وأشباه ذلك الثالث عشر حياة الكائنات للحي الرابع عشر المعرفة للعلم الخامس عشر الهواجس للإدارة السادس عشر االأبصار للبصير السابع عشر السمع للسميع الثامن عشر الإنسان للكمال التاسع عشر الأنوار والظلم للنور وصل في نظائر المنازل التسعة عشر نظائرها من القرآن حروف الهجاء التي في أول السور وهي أربعة عشر حرفا في خمس مراتب أحدية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ونظائرها من النار الخزنة تسعة عشر ملكا نظائرها في التأثير اثنا عشر برجا والسبعة الدراري نظائرها من القرآن حروف البسملة ونظائرها من الرجال النقباء اثنا عشر والإبدال السبعة وهؤلاء السبعةمنهم الأوتاد أربعة والإمامان اثنان والقطب واحد والنظائر لهذه المنازل من الحضرة الإلهية ومن الأكوان كثير وصل أعمل أن مترل المنازل عبارة عن المترل الذي يجمع جميع المنازل التي تظهر في عالم الدنيا من العرش إلى الثرى وهو المسمى بالإمام المبين قال الله تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام مبين فقوله أحصيناه دليل على أنه ما أودع فيه إلا علوما متناهية فنظرنا هل ينحصر لأحد عددها فخرجت عن الحصر مع كونها متناهية لأنه ليس فيه إلا ما كان من يوم خلق الله العالم إلى أن ينقضي حال الدنيا وتنتقل العمارة إلى الآخرة فسألنا من أثق به من العلماء بالله هل تنحصر أمهات هذه العلوم التي يحويها هذا الإمام المبين فقال نعم فأخبرني الثقة الأمين

الصادق الصاحب وعاهدني أني لا أذكر اسمه أن أمهات العلوم التي يحويها هذا الإمام المبين فقال نعم فأخبرني الثقة الأمين الصادق الصاحب وعاهدني أني لا أذكر اسمه أن أمهات العلوم التي تتضمن كل أم منه مالا يحصى كثرة تبلغ بالعدد إلى مائة ألف نوع من العلوم وتسعة وعشرين ألف نوع وستمائة نوع وكل نوع يحتوي على علوم جمة ويعبر عنها بالمنازل فسألت هذا الثقة هل نالها أحد من خلق الله وأحاط بها علما قال لاثم قال وما يعلم جنود ربك إلا هو وإذا كانت الجنود لا يعلمها إلا هو وليس للحق منازع يحتاج هؤلاء الجنود إلى مقابلته فقال لي لا تعجب فورب السماء والأرض لقد ثم ماهو أعجب فقلت ما هو فقال لي الذي ذكر الله في حق امرأتين من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فهذا أعجب من ذكر الجنود فأسرار الله عجيبة فلما قال لي ذلك سألت الله أن يطلعني على فائدة هذه المسئلة وما هذه العظمة التي جعل الله نفسه في مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة فأخبرت بها فما سررت بشيء سروري بمعرفة ذلك وعلمت أنهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير في العالم ما أعطاهما هذه القوة وهذا من العلم الذي كهيئة الكنون فشكرت الله على ما أولى فما أظن أن أحدا من خلق الله إستند إلى ما إستند هاتان المرأتان يقول لوط عليه السلام لوأن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد وكان عنده الركن الشديد ولم يكن يعرفه فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد له بذلك فقال يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد وعرفتاه عائشة وحفصة فلو علم الناس علم ما كانتا عليه لعرفوا معنى هذه الآية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والعشرون في معرفة الأقطاب المصونين وأسرار صونهم

إن الله حكمة أخفاها في زجزدي فليس عين تراها

خلق الجسمم دار لهو وأنس فبناها وجوده سواها

ثم لما تعدلت واستقامت جاء روح من عنده أحياها

ثم لما تحقق الحق علما حبه توانقياده لهواها

قال للموت خذاليك عبيدي فدعاه له بما أخلاها

وتجلى له فقال إلهي أين أنسى فقال ما تنساها

كيف أنسى دار جعلت قواها من قواكم فهي التي لا تضاهي

يا إلهي وسيدي واعتمادي ما عشقنا منها سوى معناها

أعلمتنا نبما تريدون منا بلسان تالرسول من أعلاها

فقطعنا أيامنا في سرور بك يا سيدي فما تأحلاها

قال ردوا عليه دار هواه صدق الروح إنه يهوانا

فرددنا مخلدين سكارى طربا دائما إلى سكناها

وبناها على إعتدال قواها وتجلى لها بما قواها

اعلم أيدك الله أن هذا الباب يتضمن ذكر عباد الله المسمين بالملامية وهم الرجال الذين تحلوا من الولاية في أقصى درجاتها وما فوقهم الأدرجة النبوة وهذا يسمى مقام القربة في الولاية وآيتهم من القرآن حور مقصورات في الخيام ينبه لنعوت نساء الجنة وحورها على نفوس رجال الله الذين اقتطعهم إليه وصانهم وحبسهم في خيام صون الغيرة الإلهية في زوايا الكون أن تمتد إليهم عين فتشغلهم لا والله ما يشغلهم نظر الخلق إليهم لكنه ليس في وسع الخلق أن يقوموا بما لهذه الطائفة من الحق عليهم لعلو منصبها فتقف العباد في أمر لايصلون إليه أبدا فحبس ظواهرهم في خيمات العادات والعبادات من الأعمال الظاهة والمثابرة على الفرائض منها والنوافل فلا يعرفون بخرق عادة فلا يعظمون ولا يشار إليهم بالصلاح الذي في عرف العامة مع كونهم لا يكون منهم فساد فهم الخفياء الأبرياء المناء في العالم الغامضون في الناس فيهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل أن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر والعلانية وكان غامضا في الناس يريد أنهم لا يعرفون بين الناس بكبير عبادة ولا ينتهكون المحارم سرا وعلنا قال بعض الرجال في صفتهم لما سءل عن المعارف قال مسود الوجه في الدنيا والاخرة في تجليات الحق له ولا يرى الإنسان عندنا في مرآة الحق إذا تجلى له غير نفسه ومقامه وهوكون من الكوان والكون في نور الحق ظلمة فلا يشهد إلا سواده فإن وجه الشيء حقيقته وذاته ولا يدوم التجلي إلا لهذه الطائفة على الخصوص فهم مع الحق في الدنيا والآخرة على ماذكرناه من دوام التجلي وهم الأفراد وأما إن أراد بالتسويد من السيادة وأراد بالوجه حقيقة الإنسان أي له

االسيادة في الدنيا والآخرة فيمكن ولا يكون ذلك إلا للرسل خاصة فإنه كما لهم وهو في الأولياء نقص لأن الرسل مضطرون في الظهور لأجل التشريع والأولياء ليس لهم ذلك ألا ترى الله سبحانه أكمل الدين كيف أمره في السورة التي نعي الله إليه فيها نفسه فأنزل عليه إذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله أفواجا كمل ما أريد منه من تبليغ الرسالة وطلب بالأستغفاار أن يستره عن خلقه في حجاب صونه لينفرد به دون خلقه دائما فإنه كان في زمان التبليغ والإرشاد وشغله بأداء الرسالة فإن له وقتا لا يسعه فيه غير ربه وسائر أوقاته فيما أمر به من النظر في كان توابا أي يرجع الحق إليك رجوعا مستصحبا لا يكون للخلق عندك فيه دخول بوجه من الوجوه وولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة بكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحده دون من كان في ذلك المجلس وعلم أن الله تعالى قد نعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وهو كان أعلم الناس به وأخذ الحاضرون يتعجبون من بكائه ولايعرفون سبب ذلك والأولياء إلا كابر إذا تركوا وأنفسهم لم يحتر أحد منهم الظهور أصلا لأنهم علموا أن الله ما خلقهم لهم ولا لأحد من خلقه بالتعلق من القصد الأول وإنما خلقهم له سبحانه فشغلوا أنفسهم بما خلقوا له فإن أظهرهم الحق عن غير إختيار منهم بأن يجعل في قلوب الخلق تعظيمهم فذلك إليه سبحانه ما لهم فيه تعمل وإن سترهم فلم يجعل لهم في قلوب الناس قدرا يعظمونهم من أجله فذلك إليه تتعالى فهم لا إختيار لهم مع اختيار الحق فإن خيرهم ولا بد فيختارون الستر عن الخلق والأنقطاع إلى الله ولما كان حالهم ستر مرتبتهم عن نفوسهم فكيف عن غيرهم تعين علينا أن نبين منازل صوننهم فمن منازل صونهم آداء الفائض في الجماعات والدخول مع الناس في كل بلد بزى ذلك البلد ولا يوطن مكانا في المسجد وتختلف أماكنه في المسجد الذي تقام فيه الجمعة حتى تضيع عينه في غمار الناس وإذا كلم الناس فيكلمهم ويرى الحق رقيبا عليه في كلامه وإذا سمع كلام الناس سمع كذلك ويقلل من مجالسة الناس إلا من جيرانه حتى لا ييشعر به ويقضي حاجة الصغير والأرملة ويلاعب أولاده وأهله بما يرضي الله تعالى ويمزح ولا يقول إلا حقا وإن عرف في موضع انتقل عنه إلى غيره فإن لم يتمكن له الإنتقال استقصى منيعرفه وألح عليهم في حوائج الناس حتى يرغبوا عنه توإن كان عنده مقام التحول في الصور تحول كما كان للروحاني التشكل في صور بني آدم فلا يعرف أنه ملك وكذلك عند الله لأنهم صانوا قلوبهم أن يدخلها غير

الله أو تتعلق بكون من الكوان سوى الله فليس لهم جلوس إلا مع الله ولا حديث إلا مع الله فهم بالله قائمون وفي الله ناظرون وإلى الله راحلون ومنقلبون وعن الله ناطقون ومن الله آخذون وعلى الله متوكلون وعند الله قانطون فما لهم معروف سواه ولا مشهود إلا إياه صانوا نفوسهم عن نفوسهمم فلا تعرفهم نفوسهم فهم في غيابات الغيب محجوبون هم ضنائن الحق المستخلصون ياكلون الطعام ويمشون في الأسواق مشى ستروا كل حجاب فهذه حالة هذه الطائفة المذكورة في هذا الباب تتمة شريفة لهذا الباب قلنا ومن هذه الحضرة بعثت الرسل سلام الله عليهم أجمعين مشرعين ووجد معهم هؤلاء تابعين لهم قائمين بأمرهم من عين واحدة أخذ عنها الأنبياء والرسل ما شرعوا وأخذ عنها الأولياء ما اتبعوهم فيه فهم التابعون على بصيرة العالمون بمن اتبعوه وفيما اتبعوه وهم العارفون بمنازل الرسل ومناهج السبل من الله ومقاديرهم عند الله تعالى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء السادس عشر والحمد لله

الجزء السابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع والعشرون في معرفة جاءت عن العلوم الكونية وما تضمنه من العجائب
ومن حصلها من العالم ومراتب أقطابها وأسرار الأشتراك بين شريعتين
والقلوب المتعشقة بعالم الأنفاس وبالأنفاس وأصلها وإلى كم تنتهي منازلها

تعجبت من ملك يعود بنا ملكا ومن مالك أضحى لمملوكه ملكا
فذلك ملك الملك أن كنت ناظما من اللؤلؤ المنثور من علمنا سلكا
فخذ عنوجود الحق علما مقدسا ليأخذ ذاك العلم من شاءه عنكا
فإن كنت مثلي في العلوم فقد ترى بأن الذي في كونه نسخة منكا
فهل في العلى شيء يقاوم أمركم وقد فتكت أسيافكم في الورى فتكا
فلو كنت تدري يا حبيبي وجوده ومن أنت كنت السيد العلم الملكا
وكان إله الخلق يأتيك ضعف ما أتيت إليه إن تحققته ملكا

إعلم أيدك الله أن الله يقول إدعووني أستجب لكم فإذا علمت هذا علمت أن الله رب كل شيء ومليكه فكل ما سوى الله تعالى مربوب لهذا الرب وملك الحق سبحانه ولا معنى لكون العالم ملك الله تعالى إلا تصرفه فيه على حكم ما يريده ثم أنه لما رأينا الله تعالى يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فأشرك نفسه مع عبده في الوجوب عليه ما لم يوجبه الحق عليه فأوجب الله عليه الوفاء بنذره الذي أوجبه على نفسه فأمر بالوفاء بنذره ثم رأيناه تعالى لا يستجيب إلا بعد دعاء العبد إياه كما شرع كما إن العبد لا يكون مجيبا للحق حتى يدعوه الحق إلى ما يدعوه إليه قال تعالى فليستجيبوا لي فصار للعبد والعالم الذي هو ملك لله سبحانه تصرف إلهي في الجانب الأحمى بما تقتضيه حقيقة العالم بالطلب الذاتي وتصريف آخر بما يقتضيه وضع الشريعة فلما كان المر على ماذكرنا من كون الحق يجيب أمر العبد إذا دعاه وسأله كما أن العبد يجيب أمر الله إذا أمره وهو قوله وأفوا بعهدي أوف بعهدكم فشرك في عينه حفظ الحق إياه سواء شرع الحق ما شرعه أو لم يشرع ثم لما شرع للعبد أعمالا إذا عملها شرع لنفسه أن يجازى هذا السؤال فانطلق عليه صفة يعبر عنها ملك الملك فهو سبحانه مالك وملك بما يأمر به عباده وهو سبحانه ملك بما يأمره به العبد فيقول رب اغفر لي كما قال له الحق أقم الصلاة لذكري فيسمى ماكان من جانب الحق للعبد أمرا ويسمى على هذا الأسم في علمي محمد بن علي الترمذي الحكيم وما سمعناه هذا اللفظ عن أحد سواه وربما تقدمه غيره بهذا الأصطلاح وما وصل إلينا إلا ان الأمر صحيح ومسئلة الوجوب على الله عقلا مسئلة خلاف بين أهل النظر من المتكلمين فمن قائل بذلك وغير قائل بها وأما الوجوب الشرعي فلا

يينكره إلا من ليس بمؤمن بما جاء من عند الله واعلم أن المتضايقين لابد أن يحدث لكل أحد من المتضايقين اسم عطيه الإضافة فأذا قلت زيد فهو إنسان بلا شك لا يعقل منه غي هذا فإذا قلت عمرو فهو إنسان لا يعقل منه غير هذا فإذا قلت زيد بن عمرو أو زيد عبد عمرو فلا شك أنه قد حدث لزيد البنوة إذ كان ابن عمرو وحدث لعمر واسم الأبوة إذ كان أبا لزيد فبنوة زيد أعطت البوة لعمرو والأبوة لعمرو أعطت البنوة لزيد فكل واحد من المتضايقين أحدث لصاحبه معنى لم يكن يوصف به قبل الإضافة وكذلك زيد عبد عمرو فأعطت العبودة أن يكون زيد مملوكا وعمرو مالكا فقد أحدثت مملوكية زيد اسم لعمرو وأحدث ملك عمرو لزيد مملوكية زيد فقيل فيه مملوك وقيل في عمر ومالك و لم يكن يوصف به قبل الإضافة وكذلك زيد عبد عمرو فأعطت العبودة أن يكون زيد مملوكا وعمرو مالكا فقد أحدثت مملوكية زيد اسم المالك لعمررو وأحدث ملك عمرو لزيد مملوكية زيد فقيل فيه مملوك وقيل في عمرر ومالك و لم يكن لكل واحد منهما معقولية هذين الإسمين قبل أن توجد الإضافة فالحق حق والإنسان إنسان فإذا قلت الإنسان أو الياس عبيد الله قلت إن الله ملك الناس لا بد من ذلك فلو قدرت ارتفاع وجود العلم من الذهن جملة واحدة

من كونه ملكا لم يرتفع وجود الحق لأرتفاع العالم وارتفع ووجود معنى الملك عن الحق ضرورة ولما كان وجود العلام مرتبطا بوجود الحق فعلا وصلاحية لهذا كان اسم الملك لله تت أزلا وإن كان عين العالم معدوما في العين لكن معقوليته موجودة مرتبطة باسم المالك فهو مملوك لله تعالى وجودا وتقديرا قوة وفعلا فإن فهمت والفافهم وليس بين الحق والعالم بون بيعقل أصلا إلا التمييز بالحقائق فالله ولا شيء معه سبحانه و لم يزل كذلك ولا يزال كذلك لا شيء معه فمعيته معنا كما يستحق جلاله وكما ينبغي لجلاله ولولا ما نسب لنفسه أنه معنا لم يقتض العقل أن يطلق عليه معنى المعية كما لا يفهم منها العقل السليم حين أطلقها الحق فإنه ما ورد العقل لا يعطيه فما لنا وجه عقلي ولا شرعي يطلق به أننا مع الحق وأما من نفى عنه إطلاق الأينية من أهل الإسلام فهو ناقص الإيمان فإن العقل ينفي عنه تمعقولية الأينية والشرع الثابت في السنة لا في الكتاب قد أثبت إطلاق لفظ الأينية على الله فلا تتعدى ولا يقاس عليها وتطلق في الموضع الذي أطلقها الشارع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسوداء التي ضربها سيدها أين الله فأشارت إلى السماء فقبل إشارتها وقال أعتققها فإنها مؤمنة فالسائل بالأينية أعلم الناس بالله تعالى وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأول بعض علماء الرسوم إشارتها إلى السماء وقبول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منها لما كانت الآلهة التي تعبد في الأرض وهذا تأويل جاهل بالأمر غير عالم وقد علمنا أن العرب كانت تعبد كوكبا في السماء يسمى الشعرى سنه لهم أبو كبشة وتعتقد فيها اهارب الأرباب هكذا وقفت على مناجاتهم إياها ولذلك قال تعالى وأنه هو رب الشعرى فلو لم يعبد كوكب في السماء لساغ هذا التأويل لهذا المتأول وهذا أبو كبشة الذي كان شرع عبادة الشعرى هو من أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمة ولذلك كانت العر تنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فتقول ما فعل ابن أبي كبشة حيث أحدث عبادة إله واحد كما أحدث جده عباد الشعرى ومن أقطاب هذا المقام ممن كان قبلنا محمد ابن علي الترمذي الحكيم ومن شيوخنا أبو مدين رحمه الله وكان يعرف في العالم العلوي بأبي النجاوبة يسمونه الروحانيون وكان يقول رضي الله عنه سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك ومن أجل هذا كنا نقول فيه أنه أحد الإمامين لأن هذا هو مقام الإمام ثم نقول ولما كان الحق تعالى مجيبا لعبده المضطر فيما يدعوه به ويسأله منه صار نفس أنه ملك لله تعالى من غير أن يتخلل هذا الحال دعوى تناقضه تفإذا كان بهذه المثابة حينئذ يصدق عليه أنه مللك عنده فإن شابتهه رائحة من الدعوى وذلك بأن يدعى لنفسه تملكا عريا عن حضوره في تمليك الله إياه ذلك الأمر الذي سماه ملكا له وملكا لم يكن في هذا المقام ولا صح له أن يقول في الحق أنه ملك الملك وأن كان كذلك في نفس الأمر فقد أخرج هذا نفسه بدعواه بجهله

أنه ملك لله وغفلته في أمر ما فيحتاج صاحب هذا المقام إلى ميزان عظيم لا يبرح بيده ونصب عينه وصل وأما أسرار الاشتراك بين الشريعتين فمثل قوله تعالى "أقم الصلاة لذكري وهذا مقام ختم الأولياء ومن رجاله اليوم خضر والياس وهو تقرير الثاني ما أثبته الأوّل من الوجه الذي أثبته مع مغايرة الزمان ليصح المتقدم والمتأخر وقد لا يتغير المكان ولا الحال فيقع الخطاب بالتكليف للثاني من عين ما وقع للأول ولما كان الوجه الذي جمعهما لا يتقيد بالزمان والأخذ منه أيضاً لا يتقيد بالزمان جاز الاشتراك في الشريعة من شخصين إلا أن العبارة يختلف زمانها ولسانها إلا أن ينطقا في آن واحد بلسان واحد كموسى وهرون لما قيل لهما اذهبا إلى فرعون إنه طغى ومع هذا كله فقد قيل لهما فقولا له قولا لينا فأتى بالنكرة في قوله قولاً ولا سيما وموسى يقول هو أفصح مني لساناً يعني هرون فقد يمكن أن يختلفا في العبارة في مجلس واحد فقد جمعهما مقام واحد وهو البعث في زمان واحد إلى شخص واحد برسالة واحدة وإن كان قد منع وجود مثل هذا جماعة من أصحابنا وشيوخنا كأبي طالب المكي ومن قال بقوله وإليه نذهب وبه أقول وهو الصحيح عندنا فإن الله تعالى لا يكرّر تجلياً على شخص واحد ولا يشرّك فيه بين شخصين للتوسع الإلهي وإنما الأمثال والأشباه توهم الرائي والسامع للتشابه الذي يعسر فصله الأعلى

أهل الكشف والقائلين من المتكلمين أن العرض لا يبقى زمانين ومن الاتساع الإلهي إن الله أعطى كل شيء خلقه وميز كل شيء في العالم بأمر ذلك الأمر هو الذي ميزه عن غيره وهو أحدية كل شيء فما اجتمع اثنان في مزاج واحد قال أبو العتاهية.

وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد

وليست سوى أحدية كل شيء فما اجتمع قط اثنان فيما يقع به الامتياز ولو وقع الاشتراك فيه ما امتازت وقد امتازت عقلاً وكشفاً ومن هذا المترل في هذا الباب تعرف إيراد الكبير على الصغير والواسع على الضيق من غير أن يضيق الواسع ويوسع الضيق أي لا يغير شيء عن حاله لكن لا على الوجه الذي يذهب إليه أهل النظر من المتكلمين ولاحكماء في ذلك فإنهم يذهبون إلى اجتماعهما في الحد والحقيقة لا في الجرمية فإن كبر الشيء وصغره لا يؤثر في الحقيقة الجامعة لهما ومن هذا الباب أيضاً قال أبو سعيد الخراز ما عرف الله إلا بجمعه بين الضدّين ثم تلا هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن يريد من وجه واحد لا من نسب مختلفة كما يراه أهل النظر من علماء الرسوم واعلم أنه لابد من نزول عيسى عليه السلام ولابد من حكمه فينا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم يوحي الله بها إليه من كونه نبياً فإن النبيّ لا يأخذ الشرع من غير مرسله فيأتيه الملك مخبراً بشرع محمد الذي جاء به صلى الله عليه وسلم وقد يلهمه إلهاً ما فلا يحكم في الأشياء بتحليل وتحريم إلا بما كان يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حاضراً ويرتفع اجتهاد المجتهدين بتروله عليه السلام ولا يحكم فينا بشرعه الذي كان عليه في أوان رسالته ودولته فيما هو عالم بها من حيث الوحي الإلهي إليه بها هو رسول ونبي وبما هو الشرع الذي كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم هو تابع له فيه وقد يكون له من الاطلاع على روح محمد صلى الله عليه وسلم كشفاً بحيث أن يأخذ عنه ما شرع الله له أن يحكم به في أمّته صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى عليه السلام صاحباً وتابعاً من هذا الوجه وهو عليه السلام من هذا الوجه خاتم الأولياء فكان من شرف النبي صلى الله عليه وسلم أن ختم الأولياء في أمّته نبي رسول مكرم هو عيسى عليه السلام وهو أفضل هذه الأمة المحمدية وقد نبه عليه الترمذي الحكيم في كتاب ختم الأولياء له وشهد له بالفضيلة على أبي بكر الصديق وغيره فإنه وإن كان ولياً في هذه الأمة والملة

المحمدية فهو نبيّ ورسول في نفس الأمر فله يوم القيامة حشران يحشر في جماعة الأنبياء والرسل بلواء النبوّة والرسالة وأصحابه تابعون له فيكون متبوعاً كسائر الرسل ويحشر أيضاً معنا ولياً في جماعة أولياء هذه الأمة تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم تابعاً له مقدماً على جميع الأولياء من عهد آدم إلى آخر ولي يكون في العالم فجمع الله له بين الولاية والنبوّة ظاهراً وما في الرسل يوم القيامة من يتبعه رسول إلا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يحشر يوم القيامة في اتباعه عيسى والياس عليهما السلام وإن كان كل من في الموقف من آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم فذلك لواؤه العلم وكلامنا في اللواء الخاص بأمّته صلى الله عليه وسلم وللولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ختم خاص هو في الرتبة دون عيسى عليه السلام لكونه رسولاً وقد ولد في زماننا ورأيته أيضاً واجتمعت به ورأيت العلامة الختمية التي فيه فلا ولي بعده إلا وهو راجع إليه كما أنه لا نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم إلا وهو راجع إليه كعيسى إذا نزل فنسبة كل ولي يكون بعد هذا الختم إلى يوم القيامة نسبة كل نبي يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم في النبوّة كالياس وعيسى والخضر في هذه الأمّة وبعد أن بينت لك مقام عيسى عليه السلام إذا نزل فقل ما شئت إن شئت قلت شريعتين لعين واحدة وإن شئت قلت شريعة واحدة وصل وأما القلوب المتعشقة بالأنفاس فإنه لما كانت خزائن الأرواح الحيوانية تعشقت بالأنفاس الرحمانية للمناسبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نفس الرحمان يأتيني من قبل اليمن الأوان الروح الحيواني نفس وإن أصل هذه الأنفاس عند القلوب المتعشق بها النفس الرحماني الذي من قبل اليمن لمن أحرج عن وطنه وحيل بينه وبين مسكنه وسكنه ففيها تفريج الكرب ودفع النوب وقال صلى الله عليه وسلم "إن لله نفحات فتعرضوا لنفحات ربكم" وتنتهي منازل هذه الأنفاس في العدد إلى ثلاثمائة نفس وثلاثين نفساً في كل منزل من منازلها التي جملتها الخارج من ضرب ثلاثمائة وثلاثين في ثلاثمائة وثلاثين فما خرج فهو عدد الأنفاس التي تكون من الحق من اسمه الرحمن في العالم البشري والذي أتحققه إنّ لها منازل تزيد

على هذا المقدار مائتين منزلاً في حضرة لفهوانية خاصة فإذا ضربت ثلاثمائة وثلاثين في خمسمائة وثلاثين فما خرج لك بعد الضرب فهو عدد الأنفاس الرحمانية في العالم الإنساني كل نفس منها علم إلهي مستقل عن تجل إلهي خاص لهذه المنازل لا يكون لغيرها فمن شم من هذه الأنفاس رائحة عرف مقدارها وما رأيت من أهلها من هو معروف عند الناس وأكثر ما يكونون من بلاد الأندلس واجتمعت بواحد منهم بالبيت المقدس وبمكة فسألته يوماً في مسئلة فقال لي هل تشم شيأ فعلمت أنه من أهل ذلك المقام وخدمني مدة وكان لي عم أخو والدي شقيقه اسمه عبد الله بن محمد بن العربي كان له هذا المقام حساً ومعنى شاهدنا ذلك منه قبل رجوعنا لهذا الطريق في زمان جاهليتي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والعشرون في معرفة وتد مخصوص معمر وأسرار الأقطاب المختصين بأربعة أصناف من العلوم وسر المنزل والمنازل ومن دخله من العالم

إن الأمور لها حد ومطلع ... من بعد ظهر وبطن فيه تجتمع

في الواحد العين سرّ ليس يعلمه ... إلا مراتب أعداد بها تقع

هو الذي أبرز الأعداد أجمعها ... وهو الذي ماله في العد متسع

مجاله ضيق رحب فصورته كناظر في مراء حين ينطبع
فما تكثر إذ أعطت مراتبه تكثراً فهو بالتنزيه يمتنع
كذلك الحق إن حققت صورته بنفسه وبكم تعلو وتتضع

اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله أنّ هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العربي رحمه الله جرت بيني وبينه مسئلة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصاً أعرفه باسمه وما رأينه ولن رأيت ابن عمته فربما توقفت فيه و لم آخذ بالقبول أعني قوله فيه لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه و لم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري فانصرفت عنه إلى منزلي فكنت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم عليّ ابتداء سلام محب مشفق وقال لي يا محمد صدق الشيخ أبا العباس فيما ذكر لك عن فلان وسمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العربي فقلت له نعم وعلمت ما أراد ورجعت من حيني إلى الشيخ لأعرفه بما جرى فعندما دخلت عليه قال لي يا أبا عبد الله احتاج معك إذا ذكرت لك مسئلة يقف خاطرك عن قبولها إلى الخضر يتعرض إليك يقول لك صدق فلاناً فيما ذكره لك ومن أين يتفق لك هذا في كل مسئلة تسمعها مني فتتوقف فقلت إن باب التوبة مفتوح فقال وقبول التوبة واقع فعلمت أن ذلك الرجل كان الخضر ولا شك إني استفهمت الشيخ عنه أهو هو قال نعم هو الخضر ثم اتفق لي مرة أخرى أني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر فأخذني وجع في بطني وأهل المركب قد ناموا فقمت إلى جانب السفينة وتطلعت إلى البحر فرأيت شخصاً على بعد في ضوء القمر وكانت ليلة البدر وهو يأتي على وجه لاماء حتى وصل إليّ فوقف معي ورفع قدمه الواحدة واعتمد على الأخرى فرأيت باطنها وما أصابها بلل ثم اعتمد عليها ورفع الأخرى فكانت كذلك ثم تكلم معي بكلام كان عنده ثم سلم وانصرف يطلب المنارة محرساً على شاطىء البحر على تل بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة فسمعت صوته وهو على ظهر المنارة يسبح الله تعالى وربما مشى إلى شيخنا جراح بن خميس الكتاني وكان من سادات القوم مرابطاً بمرسى عيدون وكنت جئت من عنده بالأمس من ليلتي تلك فلما جئت المدينة لقيت رجلاً صاحلاً فقال لي كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ما قال لك وما قلت له فلما كان بعد ذلك التاريخ خرجت إلى السياحة بساحل البحر المحيط ومعي رجل ينكر خرق العوائد للصالحين فدخلت مسجداً خراباً منقطعاً لأصلي فيه أنا وصاحبي صلاة الظهر فإذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريده من الصلاة في ذلك المسجد وفيهم ذلك الرجل الذي كلمني على البحر الذي قيل لي أنه الخضر وفيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة وكان بيني وبين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك ومودّة فقمت فسلمت عليه فسلم عليّ وفرح بي وتقدم بنا يصلي فلما فرغنا من الصلاة خرج الإمام وخرجت خلفه وهو يريد باب المسجد وكان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط بموضع يسمى بكة فقمت أتحدث معه على باب المسجد وإذا بذلك الرجل الذي قلت أنه الخضر قد أخذ حصيراً صغيراً كان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض ووقف على الحصير في الهواء يتنفل فقلت لصاحبي أما تنظر إلى هذا وما فعل فقال لي سر إليه وسله فتركت صاحبي واقفاً وجئت إليه فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وأنشدته لنفسي:

شغل المحب عن الهواء يسره في حب من خلق الهواء وسخره

العارفون عقولهم معقولة عن كل كون ترتضيه مطهره

فهمو لديه مكرّمون وفي الورى أحوالهم مجهولة ومستره

فقال لي يا فلان ما فعلت ما رأيت إلا في حق هذا المنكر وأشار إلى صاحبي الذي كان ينكر خرق العوائد وهو قاعد في صحن المسجد ينظر إليه ليعلم أن الله يفعل ما يشاء مع من يشاء فرددت وجهي إلى المنكر وقلت له ما تقول فقال ما بعد العين ما يقال ثم رجعت إلى صاحبي وهو ينتظرني بباب المسجد فتحدثت معه ساعة وقلت له من هذا الرجل الذي صلى في الهواء وما ذكرت له ما اتفق لي معه قبل ذلك فقال لي هذا الخضر فسكت وانصرفت الجماعة وانصرفنا نريد روطة موضع مقصود يقصده الصلحاء من المنقطعين وهو بمقربة من بشكنصار على ساحل البحر المحيط فهذا ما جرى لنا مع هذا الوتد نفعنا الله برؤيته لوه من العلم اللدني ومن الرحمة بالعالم ما يليق بمن هو على رتبته وقد أثنى الله عليه واجتمع به رجل من شيوخنا وهو علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب على المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان كان يسكن بالمقلي خارج الموصل في بستان له وكان الخضر قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إياها وقد كنت لبست خرقة الخضر بطريق أبعد من هذا من يد صاحبنا تقيّ الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن أب الوزري ولبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو ابن حمويه وكان جده قد لبسها من يد الخضر ومن ذلك الوقت قلت بلباس الخرقة وألبستها الناس لما رأيت الخضر قد اعتبرها وكنت قبل ذلك لا أقول بالخرقة المعروفة الآن فإن الخرقة عندنا إنما هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن توجد صحبة وأدباً وهو المعبر عنه بلباس التقوى فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمر ما وأرادوا أن يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ فإذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله فيسري فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك فذلك هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا ثم اعلم أن رجال الله على أربع مراتب رجال لهم الظاهر ورجال لهم الباطن ورجال لهم الحد ورجال لهم المطلع فإن الله سبحانه لما أغلق دون الخلق باب النبوّة والرسالة أبقى لهم باب الفهم عن الله فيما أوحى به إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إن الوحي قد انقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقي بأيدينا إلا أن يرزق الله عبداً فهماً في هذا القرآن وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحة خبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم إنه قال في آي القرآن "إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع" ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف قطب وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز من أهل باغة باغرناطة سنة خمس وتسعين وخمسمائة وهو من أكبر من لقيته في هذا الطريق لم أر في طريقه مثله في الاجتهاد فقال لي "الرجال أربعة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم رجال الظاهر ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم رجال الباطن جلساء الحق تعالى ولهم المشورة ورجال الأعراف وهم رجال الحد قال الله تعالى "وعلى الأعراف رجال" أهل الشم والتمييز والسراح عن الأوصاف فلا صفة لهم كان منهم أبو يزيد

البسطامي ورجال إذا دعاهم الحق إليه يأتونه رجالاً لسرعة الإجابة لا يركبون "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وهم رجال المطلع فرجال الظاهر هم الذين لهم التصرّف في عالم الملك والشهادة وهم الذين كان يشير إليهم الشيخ محمد بن قائد الأواني وهو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعودين الشبل البغدادي أدباً مع الله أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمه الله قال لما اجتمع محمد بن قائد الأواني وكان من الأفراد بأبي السعود هذا قال له يا أبا السعود إن الله قسم المملكة بيني وبينك فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا فقال له أبو السعود يا ابن قائد وهبتك سهمي نحن تركنا الحق يتصرف لنا وهو قوله تعالى "فاتخذه وكيلا" فامتثل أمر الله فقال لي أبو البدر قال لي أبو السعود إني أعطيت التصرف في العالم منذ خمس عشرة سنة من تاريخ قوله فتركته وما ظهر عليّ

منه شيء وأما رجال الباطن فهم الذين لهم التصرف في عالم الغيب والملكوت فيستترلون الأرواح العلوية بهممهم فيما يريدونه وأعني أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة وإنما كان ذلك لمانع إلهي قوي يقتضيه مقام الأملاك أخبر الله به في قول جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم فقال "وما نتترل إلا بأمر ربك" ومن كان تترله بأمر ربه لا تؤثر فيه الخاصية ولا يترل بها نعم أرواح الكواكب تستترل بالأسماء والبخورات وأشباه ذلك لأنه تترل معنوي ولمن يشاهد فيه صوراً خياليّ فإن ذات الكواكب لا تبرح من السماء مكانها ولكن قد جعل الله لمطارح شعاعاتها في عالم الكون والفساد تأثيرات معتادة عند العارفين بذلك كالريّ عند شرب الماء والشبع عند الأكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بترول المطر والصحو حكمة أودعها العليم الحكيم جل وعز فيفتح لهؤلاء الرجال في باطن الكتب المترلة والصحف المطهرة وكلام العالم كله ونظم الحروف والأسماء من جهة معانيها ما لا يكون لغيرهم اختصاصاً إلهياً وأما رجال الحد فهم الذين لهم التصرف في عالم الأرواح النارية عالم البرزخ والجبروت فإنه تحت الجبر ألا تراه مقهوراً تحت سلطان ذوات الأذناب وهم طائفة منهم من الشهب الثواقب فما قهرهم إلا بجنسهم فعند هؤلاء الرجال استترال أرواحها وإحضارها وهم رجال الأعراف والأعراف سور حاجز بين الجنة والنار برزخ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فهو حد بين دار السعداء ودار الأشقياء دار أهل الرؤية ودار الحجاب وهؤلاء الرجال أسعد الناس بمعرفة هذا السور ولهم شهود الخطوط المتوهمة بين كل نقيضين مثل قوله "بينهما برزخ لا يبغيان" فلا يتعدون الحدود وهم رجال الرحمة التي وسعت كل شيء فلهم في كل حضرة دخول واستشراف وهم العارفون بالصفات التي يقع بها الامتياز لكل موجود عن غيره من الموجودات العقلية والحسية وأمّا رجال المطلع فهم الذين لهم التصرف في الأسماء الإلهية فيستترلون بها منها ما شاء الله وهذا ليس لغيرهم ويستترلون بها كل ما هو تحت تصريف الرجال الثلاثة رجال الحد والباطن والظاهر وهم أعظم الرجال وهم الملامية هذا في قوتهم وما يظهر عليهم من ذلك شيء منهم أبو السعود وغيره فهم والعامة في ظهور العجز وظاهر العوائد سواء وكان لأبي السعود في هؤلاء الرجال تميز بل كان من أكبرهم وسمعه أبو البدر على ما حدثنا مشافهة يقول إنّ من رجال الله من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر أي لا علم له بصاحبه ولا يقصد التعريف به ولما وصف لنا عمر البزاز وأبو البدر وغيرهما حال هذا الشيخ رأيناه يجري مع أحوال هذا الصنف العالي من رجال الله قال لي ابو البدر كان كثيراً ما ينشد بيتاً لم نسمع منه غيره وهو.

واثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من دون أخمصك الحشر

وكان يقول ما هو إلا الصلوات الخمس وانتظار الموت وتحت هذا الكلام علم كبير وكان يقول الرجل مع الله تعالى كساعي الطير فم مشغول وقدم تسعى وهذا كله أكبر حالات الرجال مع الله إذ الكبير من الرجال من يعامل كل موطن بما يستحقه وموطن هذه الدنيا لا يمكن أن يعامله المحقق إلا بما ذكره هذا الشيخ فإذا ظهر في هذه الدار من رجل خلاف هذه المعاملة علم أن ثم نفساً ولابد إلا أن يكون مأموراً بما ظهر منه وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام وقد يكون بعض الورثة لهم أمر في وقت بذلك وهو مكر خفى فإنه انفصال عن مقام العبودية التي خلق الإنسان لها وأما سر المنزل والمنازل فهو ظهور الحق بالتجلي في صور كل ما سواه فلولا تجليه لكل شيء ما ظهرت شيئية ذلك الشيء قال تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فقوله إذا أردناه هو التوجه الإلهيّ لإيجاد ذلك الشيء ثم قال أن نقول له كن فنفس سماع ذلك الشيء خطاب الحق تكون ذلك الشيء فهو بمنزلة سريان الواحد في منازل العدد فتظهر الأعداد إلى ما لا يتناهى بوجود الواحد في هخذه المنازل ولولا وجود عينه فيها ما ظهرت أعيان الأعداد ولا كان لها اسم ولو ظهر الواحد باسمه في هذه المنزلة ما ظهر لذلك العدد عين فلا تجتمع عينه واسمه معاً أبداً فيقال اثنان ثلاثة أربعة خمسة إلى ما لا يتناهى وكل ما أسقطت واحداً من عدد معين زل اسم ذلك العدد وزالت حقيقته فالواحد بذاته يحفظ وجود أعيان الأعداد وباسمه يعدمها كذلك إذا قلت القديم فنى المحدث وإذا قلت الله فنى العالم وإذا أخليت العالم من حفظ الله لم يكن للعالم وجود وفني وإذا سرى حفظ الله في العالم بقي العالم موجوداً فبظهوره وتجليه يكون العالم باقياً وعلى هذه الطريقة أصحابنا وهي طريقة النبوّة والمتكلمون من الأشاعرة أيضاً عليها وهم القائلون بانعدام الأعراض لأنفسها وبهذا يصح افتقار العالم إلى الله في بقائه في كل نفس ولا يزال الله خلاقاً على الدوام وغيرهم من أهل النظر لا يصح لهم هذا المقام وأخبرني جماعة من أهل النظر من علماء الرسول أن طائفة من الحكماء عثروا على هذا ورأيته مذهباً لابن السيد البطليوسي في كتاب ألفه في هذا الفن والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والعشرون في معرفة أقطاب الرموز وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق

ألا إن الرموز دليل صدق على المعنى المغيب في الفؤاد
وإن العالمين له رموز والغاز ليدعى بالعباد
ولولا اللغز كان القول كفراً وأدّى العالمين إلى العناد
فهم بالرمز قد حسبوا فقالوا بإهراق الدماء وبالفساد
فكيف بنا لو أن الأمر يبدو بلا ستر يكون له استنادي
لقام بنا الشقاء هنا يقينا وعند البعث في يوم التنادي
ولكن الغفور أقام ستراً ليسعدنا على رغم الأعادي

اعلم أيها الوليّ الحميم أيدك الله بروح القدس وفهمك أن الرموز والألغاز ليست مرادة لأنفسها وإنما هي مرادة لما رمزت له ولما ألغز فيها ومواضعها من القرآن آيات الاعتبار كلها والتنبيه على ذلك قوله تعالى "وتلك الأمثال نضربها للناس" فالأمثال ما جاءت مطلوبة لأنفسها وإنما جاءت ليعلم منها ما ضربت له وما نصبت من أجله مثلاً مثل قوله تعالى "أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقردها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء" فجعله كالباطل كما قال "وزهق الباطل" ثم قال "وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" ضربه مثلاً للحق كذلك يضرب الله الأمثال وقال فاعتبروا يا أولي الأبصار أي تعجبوا وجوزوا واعبروا إلى ما أردته بهذا التعريف وإن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار من عبرت الوادي إذا جزته وكذلك الإشارة والإيماء قال تعالى لنبيه زكريا أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا أي بالإشارة وكذلك فأشارت إليه في قصة مريم لما نذرت للرحمن أن تمسك عن الكلام ولهذا العلم رجال كبير قدرهم من أسرارهم سرّ الأزل والأبد والحال والخيال والرؤيا والبرازخ وأمثال هذه من النسب الإلهية ومن علومهم خواص العلم بالحروف والأسماء والخواص المركبة والمفردة من كل شيء من العالم الطبيعيّ وهي الطبيعة المجهولة فأمّا علم سرّ الأزل فاعلم أن الأزل عبارة عن نفي الأولية لمن يوصف به وهو وصف لله تعالى من كونه إلهاً وإذا انتفت الأولية عنه تعالى من كونه إلهاً فهو المسمى بكل اسم سمى به نفسه أزلاً من كونه متكلماً فهو العالم الحيّ المريد القادر السميع البصير المتكلم الخالق البارىء المصوّر الملك لم يزل مسمى بهذه الأسماء وانتفت عنه أولية التقييد فسمع المسموع وأبصر المبصر إلى غير ذلك وأعيان المسموعات منا والمبصرات معدومة غير موجودة وهو يراها أزلاً كما يعلمها أزلاً ويميزها ويفصلها أزلاً ولا عين لها في الوجود النفسي العيني بل هي أعيان ثابتة في رتبة الإمكان فالإمكانية لها أزلاً ويميزها ويفصلها أزلاً ولا عين لها في الوجود النفسي العيني بل هي أعيان ثابتة في رتبة الإمكان فالإمكانية لها أزلاً كما هي لها حالاً وأبداً لم تكن قط واجبة لنفسها ثم عادت ممكنة ولا محالاً ثم عادت ممكنة بل كان الوجوب الوجودي الذاتي لله تعالى أزلاً كذلك وجوب الإمكان للعالم أزلاً فالله في مرتبته بأسمائه الحسنى يسمى منعوتاً موصوفاً بها فعين نسبة الأوّل له نسبة الآخر والظاهر والباطن لا يقال هو أول بنسبة كذا ولا آخر بنسبة كذا فإن أوجده لم يزل في إمكانه وإن عدم لم يزل عن إمكانه فكما لم يدخل على الممكن في وجود عينه بعد أن كان معدوماً صفة تزيله عن إمكانه كذلك لم يدخل على الخالق الواجب الوجود في إيجاده العالم وصف يزيله عن وجوب وجوده لنفسه فلا يعقل الحق إلا هكذا ولا يعل الممكن إلا هكذا فإن فهمت علمت معنى الحدوث ومعنى القدم فقل بعد ذلك ما شئت فأولية العالم وآخريته أمر إضافي إن كان له آخر أمّا في الوجود فله آخر في كل زمان فرد وانتهاء عند أرباب الكشف ووافقتهم الحسبانية على ذلك كما وافقتهم الأشاعرة على أن العرض لا يبقى زمانين فالأول من العالم بالنسبة إلى ما يخلق بعده والآخر من العالم بالنسبة إلى ما خلق قبلة وليس كذلك معقولية الاسم الله بالأول والآخر والظاهر والباطن فإن العالم يتعد والحق واحد لا يتعدد ولا يصح أن يكون أولاً لنا فإن رتبته لا تناسب رتبتنا ولا تقبل رتبتنا أوليته ولو قبلت رتبتنا أوليته لاستحال علينا اسم الأولية بل كان ينطلق علينا اسم الثاني لأوليته ولسنا بثان له تعالى عن ذلك فليس هو بأول لنا فلهذا كان عين أوليته عين آخريته وهذا المدرك عزيز المنال بتعذر تصوّره على من لا أنسة له بالعلوم الإلهية التي يعطيها التجلي والنظر الصحيح وإليه كان يشير أبو سعيد الخراز بقوله عرفت الله بجمعه بين الضدين ثم يتلو "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" فقد أبنت لك عن سرّ الأزل وأنه نعت سلبي وأما سرّ الأبد فهو نفي الآخرية فكما أن الممكن انتفت عنه الآخرية شرعاً من حيث الجملة إذ الجنة والإقامة فيها إلى غير

نهاية كذلك الأولية بالنسبة إلى ترتيب الموجودات الزمانية معقولة موجودة فالعالم بذلك الاعهتبار الإلهيّ لا يقال فيه أول ولا آخر وبالاعتبار الثاني هو أول وآخر بنسبتين مختلفتين بخلاف ذلك في إطلاقها على الحق عند العلماء بالله وأما سر الحال فهو الديمومة وما لها أول ولا آخر وهو عين وجود كل موجود فقد عرفتك ببعض ما يعلمه رجال الرموز من الأسرار وسكت عن كثير فإن بابه واسع وعلم الرؤيا والبرزخ والنسب الإلهية من هذا القبيل والكلام فيها يطول وأما علومهم في الحروف والأسماء فاعلم أن الحروف لها خواص وهي على ثلاثة أضرب منها حروف رقمية ولفظية ومستحضرة وأعني بالمستحضرة الحروف التي يستحضرها الإنسان في وهمه وخياله ويصوّرها فإما أن يستحضر الحروف الرقمية أو الحروف اللفظية وما ثم للحروف رتبة أخرى فيفعل بالاستحضار كما يفعل بالكتاب أو التلفظ فأما حروف التلفظ فلا تكون إلا أسماء فذلك خواص الأسماء وأما المرقومة فقد لا تكون أسماء واختلف أصحاب هذا العلم في الحرف الواحد هل يفعل أم لا فرأيت منهم من منع من ذلك جماعة ولا شك إني لما خضت معهم في مثل هذا أوقفتهم على غلطهم في ذلك الذي ذهبوا إليه وأصابتهم وما نقصهم من العبارة عن ذلك ومنهم من أثبت الفعل للحرف الواحد وهؤلاء أيضاً مثل الذين منعوا مخطئون ومصيبون ورأيت منهم جماعة وأعلمتهم بموضع الغلط والإصابة فاعترفوا كما اعترف الآخرون وقلت للطائفتين جربوا ما عرفتم من ذلك على ما بيناه لكم فجرّبوه فوجدوا الأمر كما ذكرناه ففرحوا بذلك ولولا أني آليت عقداً أن لا يظهر مني أثر عن حرف لأريتهم من ذلك عجباً فاعلم أن الحرف الواحد سواء كان مرقوماً أو متلفظاً به إذا عرى القاصد للعمل به عن استحضاره في الرقم أو في اللفظ خيالاً لم يعمل وإذا كان معه الاستحضار عمل فإنه مركب من استحضار ونطق أو رقم وغاب عن الطائفتين صورة الاستحضار مع الحرف الواحد فمن اتفق له الاستحضار مع الحرف الواحد ورأى العمل غفل عن الاستحضار ونسب العمل للحرف الواحد ومن اتفق له التلفظ أو الرقم بالحرف الواحد دون استحضار فلم يعمل الحرف شيأ قال بمنع ذلك وما واحد منهم تفطن لمعنى الاستحضار وهذه حروف الأمثال المركبة كالواوين وغيرهما فلما نبهناهم على مثل هذا جربوا ذلك فوجدوه صحيحاً وهو علم ممقوت عقلاً وشرعاً فأما الحروف اللفظية فإن لها مراتب في العمل وبعض الحروف أعم عملاً من بعض وأكثر فالواو أعم الحروف عملاً لأن فيها قوّة الحروف كلها والهاء أقل الحروف عملاً وما بين هذين الحرفين من الحروف تعمل بحسب مراتبها على ما قرّرناه في كتاب المبادي والغايات فيما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات وهذا العلم يسمى علم الأولياء وبه تظهر أعيان الكائنات ألا ترى تنبيه الحق على ذلك بقوله كن فيكون فظهر الكون عن الحروف ومن هنا جعله الترمذي علم الأولياء ومن هنا منع من منع أن يعمل الحرف الواحد فإنه رأى مع الاقتدار الإلهي لم يأت في الإيجاد حرف واحد وإنما أتى بثلاثة أحرف حرف غيبي وحرفين ظاهرين إذا كان الكائن واحداً فإن زاد على واحد ظهرت ثلاثة أحرف فهذه علوم هؤلاء الرجال المذكورين في هذا الباب وعمل أكثر رجال هذا العلم لذلك جدولا وأخطؤا فيه وما صح فلا أدري أبالقصد عملوا ذلك حتى يتركوا الناس في عماية من هذا العلم أم جهلوا ذلك وجرى فيه المتأخر على سنن المتقدّم وبه قال تلميذ جعفر الصادق وغيره وهذا هو الجدول في طبائع الحروف.

حار بارد يابس رطب ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ فكل حرف منها وقع في جدول الحرارة فهو حار وما وقع منها في جدول البرودة فهو بارد وكذلك اليبوسة والرطوبة و لم نر هذا الترتيب يصيب في كل عمل بل يعمل بالاتفاق كأعداد الوفق واعلم أنّ هذه الحروف لم تكن لها هذه الخاصية من كونها حروفاً وإنما كان لها من كونها

أشكالاً فلما كانت ذوات أشكال كانت الخاصية للشكل ولهذا يختلف عملها باختلاف الأقلام لأن الأشكال تختلف فأمّا الرقمية فأشكالها محسوسة بالبصر فإذا وجدت أعيانها وصحبتها أرواحها وحياتها الذاتية كانت الخاصية لذلك الحرف لشكله وتركيبه مع روحه وكذلك إن كان الشكل مركباً من حرفين أو ثلاثة أو أكثر كان للشكل روح آخر ليس الروح الذي كان للحرف على انفراده فإن ذلك الروح يذهب وتبقى حياة الحرف معه فإن الشكل لا يدبره سوى روح واحد وينتقل روح ذلك الحرف الواحد إلى البرزخ مع الأرواح فإن موت الشكل زواله بالمحو وهذا الشكل الآخر المركب من حرفين أو ثلاثة أو ما كان ليس هو عين الحرف الأوّل الذي لم يكن مركباً إنّ عمرا ليس هو عين زيد وإن كان مثله وأمّا الحروف اللفظية فإنها تتشكل في الهواء ولهذا تتصل بالسمع على صورة ما نطق بها المتكلم فإذا تشكلت في الهواء قامت بها أرواحها وهذه الحروف لا يزال الهواء يمسك عليها شكلها وإن انقضى عملها فإن عملها إنما يكون في أوّل ما تتشكل في الهواء ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الأمم فيكون شغلها تسبيح ربها وتصعد علواً "إليه يصعد الكلم الطيب" وهو عين شكل الكلمة من حيث ما هي شكل مسبح لله تعالى ولو كانت كلمة كفر فإن ذلك يعود وباله على المتكلم بها لا عليها ولهذا قال الشارع إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفاً فجعل العقوبة للمتلفظ بها بسببها وما تعرض إليها فهذا كلام الله سبحانه يعظم ويمجد ويقدّس المكتوب في المصاحف ويقرأ على جهة القربة إلى الله وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حق الله من الكفر والسب وهي كلمات كفر عاد وبالها على قائلها وبقيت الكلمات على بابها تتولى يوم القيامة عذاب أصحابها أو نعيمهم وهذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها بخلاف الحروف الرقمية وذلك لأن شكل الحرف الرقمي والكلمة الرقمية تقبل التغيير والزوال لأنه في محل يقبل ذلك والأشكال اللفظية في محل لا يقبل ذلك ولهذا كان لها البقاء فالجوّ كله مملوء من كلام العالم يراه صاحب الكشف صوراً قائمة وأما الحروف المستحضرة فإنها باقية إذا كان وجود أشكالها في البرزخ لا في الحس وفعلها أقوى من فعل سائر الحروف ولكن إذا استحكم سلطان استحضارها واتحد المستحضر لها و لم يبق فيه متسع لغيرها ويعلم ما هي خاصيتها حتى يستحضرها من أجل ذلك فيرى أثرها فهذا شبيه الفعل بالهمة وإن لم يعلم ما تعطيه فإنه يقع الفعل في الوجود ولا علم له به وكذلك سائر أشكال الحروف في كل مرتبة وهذا الفعل بالحرف المشتحضر يعبر عنه بعض من لا علم له بالهمة وبالصدق وليس كذلك وإن كانت الهمة روحاً للحرف المستحضر لا عين الشكل المستحضر وهذه الحضرة تعم الحروف كلها لفظيها ورميها فإذا علمت خواص الأشكال وقع الفعل بها علماً لكاتبها أو المتلفظ بها وإن لم يعين ما هي مرتبطة به من الانفعالات لا يعلم ذلك وقد رأينا من قرأ آية من القرآن وما عنده خبر فرأى أثراً غريباً حدث وكان ذا فطنة فرجع في تلاوته من قريب لينظر ذلك الأثر بأية آية يختص فجعل يقرأ وينظر فمر بالآية التي لها ذلك الإنفعال تلا تلك الآية فظهر له ذلك الآثر وهو علم شريف في نفسه إلا أن السلامة منه عزيزة فالأولى ترك طلبه فإنه من العلم الذي إختص الله به أولياءه على الجملة وإن كان بعض الناس منه قليل ولكن من غير الطريق الذي يناله الصالحون ولهذا يشقى به من هو عنده ولا يسعد فالله يجعلنا من العلماء بالله وه يقول الحق وهو يهدي االسبيل

الباب السابع والعشرون في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك

وهو من منزل العالم النوراني

ولولا النور ما اتصلت عيون بعين المبصرات ولا رأتها
ولولا الحق ما اتصلت عقول بإعيان المور فادركتها
إذا سئلت عقول عن ذوات تعد مغايرات أنكرتها
وقالت ما علمنا غير ذات تمد ذوات خلق أظهرتها
هي المعنى ونحن لها حروف فمهما عينت أمر أعنتها

اعلم أيها الولي الحميم تولاك الله بعنايته أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فتقدم محبته إياهم على محبتهم إياه وقال أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا إلي فقدم إجابته لنا إذا دعوناه على إجابتنا له إذا دعانا وجعل الإستجابة من العبيد لأنها أبلغ من الإجابة فإنه لا مانع له من الإجابة سبحانه فلا فائدة للتأكيد وللإنسان موانع من الإجابة لما دعاه الله إليه وهي الهوى والنفس والشيطان والدنيا فلذلك أمر بالإستجابة فإن الأستفعال أشد في المبالغة من الأفعال وأين الإستخراج من الإحراج ولهذا يطلب الكون من الله العون في أفعاله ويستحيل على الله أن يستعين بمحلوق قال تعالى تعليما لنا أن نقول وإياك نستعين من هذا الباب فلهذا قال في هذا الباب صل فقد نويت وصالك فقد قدم الإرادة منه لذلك فقال صل فإذا تعلمت في الوصلة فذلك عين وصلته بك فلذلك جعلها نية لا عملا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا وهذا قرب مخصوص يرجع إلى ما تتقرب إليه سبحانه به من الأعمال والأحوال فإن القرب العام قوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فضاعف القرب بالذراع فإن الذراع ضعف للشبر أي قوله صل هو قرب ثم تقريب إليه شبرا فتبدى لك أنك ما تقربت إليه إلا به لأنه لولا ما دعاك وبين لك طريق القربة وأخذ بناصيتك فيها ما تمكن لك أن تعرف الطريق التي تقرب منه ما هي ولو عرفتها لم يكن لك حول ولا قوة إلا به ولما كان القرب بالسلوك والسفر إليه لذلك كان من صفته النور لنهتدي به في الطريق كما قال تعالى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر وهو السلوك الظاهر بالأعمال البدينة والبحر وهو السلوك الباطن المعنوي بالأعمال النفسية فأصحاب هذا الباب معارفهم مكتسبة لا موهوبة وأكلهم من تحت أقدامهم أي من كسبهم لها وإجتهادهم في تحصيلها ولولا ما أرادهم الحق لذلك ما وفقهم ولا إستعملهم حين طرد غيرهم بالمعنى ودعاهم بالأمر فحرمهم الوصول بحرمانه إياهم إستعمال الأسباب التي جعلها طريقا إلى الوصول من حضرة القرب ولذلك بشرهم فقال صل فقد نويت وصالك فسبقت لهم العناية فسلكوا وهم الذين أمرهم الله بلباس النعلين في الصلاة إذ كان القاعد لا يلب النعلين وإنما وضعت للماشي فيها فدل أن المصلي يمشي في صلاته ومناجاة ربه في الآيات التي يناجيه فيها متزلا ممتزلا كل آية متزل وحال فقال لهم يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الصاحب لما نزلت هذه الآية أمرنا فيها بالصلاة في النعلين فكان

ذلك تنبيها من الله تعالى للمصلي أنه يمشي على منازل ما يتلوه في صلاته من سور القرآن إذ كانت السور هي المنازل لغة قال النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

أراد منزلة وقيل لموسى عليه السلام إخلع نعليك أي قد وصلت المنزل فإنه كلمه الله بغير وا سطة بكلامه سبحانه بلا ترجمان ولذلك أكده في التعريف لنا بالمصدر فقال تعالى وكلم الله موسى تكليما وحمن وصل إلى المنزل خلع نعليه فبانت رتبة المصلي بالنعلين وما معنى المناجاة في الصلاة وأنها ليست بمعنى الكلام الذي حصل لموسى عليه السلام فإنه قال في المصلي يناجي والمناجاة فعل فاعلين فلا بد من لباس النعلين إذ كان المصلي مترددا بين حقيقتين والتردد بين أمرين يعطي المشي بينهما بالمعنى دل عليه تباللفظ لباس النعلين ودل عليه قول الله تعالى بترجمة النبي صلى الله عليه وسلم عنه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ما سأل ثم قال يقول العبد الحمد لله رب العالمين فوصفه أن العبد مع نفسه في قوله الحمد لله رب العالمين يسمع خالقه ومناجيه ثم نيرحل العبد من منزل قوله إلى منزل سمعه ليسمع ما يجيبه الحق تعالى على قوله وهذا هو السفر فلهذا لبس نعليه ليسلك بهما الطريق الذي بين هذين المنزلين فإذا فرغ رحل إلى منزل سمعه فإذا نزل سمع الحق تعالى يقول له أثنى علي عبديي فلا يزال مترددا في مناجاته قولا ثم له رحلة أخرى منحال قيامه في الصلاة إلى حال ركوعه فيرحل من صفة القيومية إلى صفة العظمة فيقول سبحان ربي العظيم وبحمده ثم يرفع وهو رحلته من مقام التعظيم إلى مقام النيابة فيقول سمع الله لمن حمده قال النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد فلهذا جعلنا الرفع من الركوع نيابة عن الحق ورجوعا إلى القيومية فإذا سجد اندرجت العظمة في الرفعة الإلهية فيقول الساجد سبحان ربي الأعلى وبحمده فإن السجود يناقض العلو فإذا خلص العلو لله ثم رفع رأسه من السجود واستوى جالسا وهو قوله الرحمن علي العرش إستوى فيقول رب إغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني وعافني واعف عني فهذه كلها منازل ومناهل في الصلاة فعلا فهو مسافر من حال إلى حال فمن كان حاله السفر دائما كيف لا يقال له البس نعليك أي استعن في سيرك بالكتاب والسنة وهي زينة كل مسجد فإن أحوال الصلاة وما يطرأ فيها من كلام الله وما يتعرض في ذلك من الشبه في غوامض الآيات المتلوة وكون الإنسان في الصلاة يجعل الله في قبلته فيجده فهذه كلها بمنزلة لشوك والوعر الذي يكونن بالطريق ولا سيما طريق التكليف فأمر بلباس النعلين ليتقي بهما ما ذكرناه من الأذى لقدمي السالك اللتين هما عبارة عن ظاهره وباطنه فلهذا جعلناهما الكتاب والسنة وأما نعلا موسى عليه السلام فليستا هذه فإنه قال له ربه إخلع إنك بالوادي المقدس فروينا أنهما كانتا من جلد حمار ميت فجمعت ثلاثة أشياء الشيء الواحد الجلد وهو ظاهر الأمر أي لا تقف مع الظاهر في كل الأحوال والثاني البلادة فإنها منسوبة إلىالحمار والثالث كونه ميتا غير مذكي والموت الجهل وإذا كنت ميتا لا تعقل ما تقول ولا ما يقال لك والمناجي لا بد أن يكون بصفة من يعقل ما يقول ويقال له فيكون حي القلب فطنا بمواقع الكلام غواصا على المعاني التي يقصدها من يناجيه بها فإذا فرغ من صلاته سلم على من حضر سلام القادم من عند ربه إلى قومه بما أتحفه به فقد نبهتك على سر لباس النعلين في الصلاة في ظاهر المر وما المراد بهما عند أهل طريق الله تعالى من العارفين قال صلى الله عليه وسلم الصلاة نور والنور يهتدى به واسم الصلاة مأخوذة من المصلي وهو المتأخر الذي يلي السابق في الحلبة ولهذا ترجم هذا الباب بالوصلة وجعله من عالم النور ولأهل هذا المشهد نور خلع النعلين ونور باطن في زيت من شجرة

زيتونة مباركة في خط الأعتدال مترهة عن تأثير الجهات كما كان الكلام لموسى عليه السلام من شجرة فهو نور على نور رأى نور على نور فأبدل حرف من بعلي لما يفهم به من قرينة الحال وقد تكون على علي بابها فإن نور السراج الظاهر يعلو حسا على نور الزيت الباطن وهو المد للمصباح فلولا رطوبة الدهن تمد المصباح لم يكن للمصباح ذلك الدوام وكذلك إمداد التقوى للعلم العرفاني الحاصل منها في قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقوله تعالى إن تتقوا الله يجعل لك فرقانا لا يقطع ذلك العلم الإلهي فنور الزيت باطن في الزيت محمول فيه يسري منه معنى لطيف في رقيقة من رقائق

الغيب لبقاء نور الصباح ولأقطاب هذا المقام أسرار منها سر الإمداد وسر النكاح وسر الجوارح وسر الغيرة وسر العينين وهو الذي لا يقوم بالنكاح وسر دائرة الزمهرير وسر وجود الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والعشرون في معرفة أقطاب ألم تر كيف

العلم بالكيف مجهول ومعلوم ... لكنه بوجود الحق موسوم

فظاهر الكون تكييف وباطنه ... علم يشار إليه فهو مكتوم

من أعجب المر أن الجهل من صفتي ... بما لنا فهو في التحقيق معلوم

وكيف أدرك من بالخبر أدركه ... وكيف أجهله والجهل معدوم

قد حرت فيه وفي أمري ولست أنا ... سواه فالخلق ظلام ومظلوم

إن قلت أني يقول الأن منه أنا ... أو قلت إنك قال الأن مفهوم

فالحمد لله لا أبغي به بدلا ... وإنما الرزق بالتقدير مقسوم

اعلم أن أمهات المططالب أربعة وهي هل سؤال عن الوجود وما هو سؤال عن الحقيقة التي يعبر عنها بالماهية وكيف وهو سؤال عن الحال و لم وهو سؤال عن العلة والسبب واختلف الناس فيما يصح منها أن يسأل به عن الحق واتفقوا على كلمة هل فإنه يتصورر أن يسأل بها عن الحق واختلفوا فيما بقي فمنهم من منع ومنهم من أجاز فالذي منع وهم الفلاسفة وجماعة من الطائفة منعوا ذلك عقلا ومنهم من منع ذلك شرعا فأما صورة منعهم عقلا أنهم قالوا في مطلب ما إنه سؤال عن الماهية فهو سؤال عن الحد والحق سبحانه لا حد له إذا كان الحد مركبا من جنس وفصل وهذا ممنوع في حق الحق لأن ذاته غير مركبة من أمر يقع فيه الإشتراك فيكون به في الجنس وأمر يقع به الإمتياز وما ثم إلا الله والخلق ولا مناسبة بين الله والعالم ولا الصانع والمصنوع فلا مشاركة فلا جنس فلا فصل والذي أجاز ذلك عقلا ومنعه شرعا قال لا أقول أن الحد مركب من جنس وفصل بل أقوال أن السؤال بما يطلب به العلم بحقيقة المسؤل عنه ولا بد لكل معلوم أو مذكور من حقيقة يكون في نفسه عليها سواء كان على حقيقته يقع له فيها الإشتراك أو يكون على حقيقة لا يقع له فيها الإشتراك فالسؤال بما يتصور ولكن ما ورد به الشرع فمنعنا من السؤال به عن الحق لقوله تعالى ليس كمثله شيء وأما منعهم الكيفية وهو السؤال بكيف فانقسموا أيضا قسمين فمن قائل بأنه سبحانه ماله كيفية لأن الحال أمر معقول زائد على كونه ذاتا وإذا قام بذاته أمر وجودي زائد على ذاته أدى إلى وجود واجبي الوجود لذاتهما أزلا وقد قام الدليل على إحالة

ذلك وأنه لا واجب إلا هو لذاته فاستحالت الكيفية عقلا ومن قائل أن له كيفية ولكن لا نعلم فهي ممنوعة شرعا لا عقلا لأنها خارجة عن الكيفيات المعقولة عندنا فلا تعلم وقد قال ليس كمثله شيء يعني في كل ماينسب إليه مما نسبه إلى نفسه يقول هو على ما تنسبه إلى الحق وإن وقع الإشتراك في اللفظ فالمعنى مختلف وأما السؤال بلم فممنوع أيضا لأن أفعال الله تعالى لا تعلل لأن العلة موجبة للفعل فيكون الحق داخلا تحت موجب أوجب عليه هذا الفعل زائد على ذاته وأبطل غيره إطلاق لم على فعله شرعا بأن قال لا ينسب إليه ما لم ينسب غلىنفسه فهذا معنى قولي شرعا لا إنه ورد النهي من الله عن كل ما ذكرنا منعه شرعا وهذا كله كلام مدخول لا يقع التخليص منه بالصحة والفساد إلا بعد طول عظيم هذا قد ذكرنا طريقة من منع وأما من أجاز السؤال عنه بهذه المطالب من العلماء فهم أهل تالشرع منهم وسبب إجازتهم لذلك إن قالوا ما حجر الشرع علينا حجرناه وما أوجب علينا أن نخوض فيه خضنا فيه طاعة أيضا وما لم يرد فيه تحجير ولا وجوب فهو عافية إن شئنا تكلمنا فيه وإن شئنا سكتنا عنه وهو سبحانه ما نهى فرعون على لسان موسى عليه السلام عن سؤاله بقوله ومارب العالمين بل أجاب بما يليق به الجواب عن ذاك الجناب العالي وإن كان وقع الجواب غير مطابق للسؤال فذلك راجع لأصطلاح من اصطلح على أنه لا يسأل بذلك إلا عن الماهية المركبة واصطلح على أن الجواب بالأثر لا يكون جوابا لمن سأل بما وهذا الاصطلاح لا يلزم الخصم فلم يمنع إطلاق هذا السؤال بهذه الصيغة عليه إذ كانت الألفاظ لا تطلب لأنفسها وإنما تطلب لما تدل عليه من المعاني التي وضعت لها فإنها بحكم الوضع وما كل طائفة وضعتها بإزاء ما وضعتها الخرى فيكون الخلاف في عبارة لا في حقيقة ولا يعتبر الخلاف إلا في المعاني وأما إجازتهم الكيفية قمثل إجازتهم السؤال بما ويحتجون نفي ذلك بقوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله إن لله عينا وأعينا ويدا وإن بيده الميزان يخفض ويرفع وهذه كلها كيفيات وإن كانت مجهولة لعدم الشبه في ذلك وأما إجازتهم السؤال بلم وهو سؤال عن العلة فلقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي لعبادتي فمن ادعى التحجير في إطلاق هذه العبارات فعليه بالدليل فيقال للجميع من المتشرعين من الحكماء فالخوض معهم في ذلك لا يجوز إلا ان أباح الشرع ذلك أو أوجبه وأما إن لم يرد في الخوض فيه معهم نطق من الشارع فلا سبيل إلى الخوض فيه معهم فعلا ويتوقف في الحكم في ذلك فلا يحكم عل ى من خاض فيه أنه مصيب ولا مخطيء وكذلك فيمن ترك الخوض إذ لا حكم إلا للشرع فيما يجوز أن يتلفظ في ذلك أن نقول كما أنه سبحانه لا يشبه شيئا كذلك لا تشبهه الأشياء

وقد قام الدليل العقلي والشرعي على نفي التشبيه وإثبات التنزيه من طريق المعنى وما بقي الأمر إلا في إطلاق اللفظ عليه سبحانه أنه أباح لنا إطلاقه عليه في القرآن أو على لسان رسوله فإما إطلاقه عليه فلا يخلو إما أن يكون العبد مأمورا بذلك الإطلاق فيكون إطلاقه طاعة فرضا ويكون المتلفظ به مأجورا مطيعا مثل قوله في تكبيرة الإحرام الله أكبر وهي لفظة وزنها يقتضي المفاضلة وهو سبحانه لا يفاضل وأما أن يكون مخيرا فيكون بحسب ما يقصده المتلفظ وبحسب حكم الله فيه وإذا أطلقناه فلا يخلو الإنساان إما أن يطلقه ويصحب نفسه في ذاك الإطلاق المعنى المفهوم منه في الوضع بذلك اللسان أولا يطلقه إلا تعبدا شرعيا على مراد الله فيهمن غير أن يتصور المعنى الذي وضع له في ذلك اللسان كالفارسي الذي لا يعلم اللسان العبي وهو يتلو القرآن ولا يعقل معناه وله أجر التلاوة كذلك العربي فيما تشابه من القآن والسنة يتلوه أو يذكر ربه تعبدا شرعيا على مراد الله فيه من غير ميل إلى جانب بعينه محصص فإن التنزيه ونفي التشبيه يطلبه إن وقف بوهمه عند التلاوة لهذه الايات فالأسلم والأولى في حق العبد أن يرد علم ذلك إلى الله في إرادته إطلاق تلك الألفاظ عليه إلا أن أطلعه الله على ذلك وما المراد بتلك الألفاظ من نبي أو ولي محدث ملهم على بينة من ربه فيما يلهم فيه أو يحدث فذلك مباح له بل واجب عليه أن يعتقد المفهوم منه الذي أخبر به في إلهامه أو في حديثه وليعلم أن

الآيات المتشابهات إنما نزلت إبتلاء من الله لعباده ثم بالغ سبحانه في نصيحة عباده في ذلك ونهاهم أن يتبعوا المتشابه بالحكم أي لا يحكموا عليه بشيء فإن تأويله لا يعلمه إلا الله وأما الراسخون في العلم إن علموه فبإعلام الله بفكرهم واجتهادهم فإن الأمر أعظم أن تستقل العقول بإدراكه من غير إخبار إلهي فالتسليم أولى والحمد لله رب العالمين وأما قوله ألم تر كيف وأطلق النظر على الكيفيات فإن المراد بذلك بالضرورة المكيفات لا التكييف فإن التكييف اجع إلى حالة معقولة لها ننسبة إلى المكيف وهو الله تعالى وما أحد شاهد تعلق القدرة الإلهية بالأشياء عند إيجادها قال تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض فالكيفيات المذكورة التي أمرنا بالنظر إليها إلا فيها إنما ذلك لنتخذها عبرة ودلالة على أن لها من كيفها أي صيرها ذات كيفيات وهي الهيئآت التي تكون عليها المخلوقات المكيفات فقال أفلا تنظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى الجبال كيف نصبت وغير ذلك ولا يصح أن تنظر إلا حتى تكون موجودة فننظر إليها وكيف اختلفت هيئاتها ولو أراد بالكيف حالة الإيجاد لم يقل انظر إليها فإنها ليست بموجودة فعلمنا أن الكيف المطلوب منافي رؤية الأشياء ما هو ما يتوهم من لاعلم له بذلك ألا تره سبحانه لما أراد النظر الذي هو الفكر قرنه بحرف في و لم يصحبه لفظ كيف فقال تعالى أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض المعنى أن يفكروا في ذلك فيعلموا أنها لم تقم بأنفسها وإنما أقامها غيرها وهذا النظر لا يلزم منه وجود الأعيان مثل النظر الذي تقدم وإنما الإنسان كلف أن ينظر بفكره في ذلك عليه أنه لا يشبهها إذ لو أشبهها تلجاز عليه ما يجوز عليها من حيث ما أشبهها وكان يؤدي ذلك إلى أحد محظورين ما أن يشبهها من جميع الوجوه وهو محال لما ذكرناه أو يشبههها من بعض الوجوه ولا يشبهها من بعض الوجوه فتكون ذاته مركبة من أمرين والتركيب في ذات الحق محال فالتشبيه محال والذي يليق بهذا الباب من الكلام يتعذر إيراده مجموعا في باب واحد لما يسبق إلى الأوهام الضعيفة من ذلك لما فيه من الغموض ولكن جعلناه مبددا في أبواب هذا الكتاب فاجعل بالك منه في أبواب الكتاب تعثر على مجموع هذا الباب ولا سيما حيثما توقع لك مسئلة تجل إلهي فهناك قف وانظر تجد ما ذكرته لك مما يليق بهذا الباب والقرآن مشحون بالكيفية فإن الكيفيات أحوال والأحوال منها ذاتية للمكيف ومنها غير ذاتية والذاتية حكمها حكم المكيف سواء كان المكيف يستدعى مكيفا في كيفيته أو كان لا يستدعى مكيفا لتكييفه بل كيفيته عين ذاته وذاته لا تستدعى غيرها لأنها لنفسها هي فكيفيته كذلك لأنها عينه لا غيره ولا زائد عليه فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والعشرون في معرفة سر سلمان كالذي ألحقه بأهل البيت والأقطاب الذين ورثه منهم ومعرفة أسرارهم

العبد مرتبط بالرب ليس له ... عنه إنفصال يرى فعلا وتقديرا

والابن أنزل منه في العلى درجا ... قد حرر الشرع فيه العلم تحريرا

فالابن ينظر في أموال والده ... إذ كان وارثه شحا وتقتيرا

والابن يطمع في تحصيل رتبته ... وإن يراه مع الموات مقبورا

والعبد قيمته من مال سيده ... إليه يرجع محتارا ومجبورا

الذل يصحبه في نفسه أبدا ... فلا يزال بستر العز مستورا

اعلم أيدك الله أنا روينا من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مولى القوم منهم وخرج الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته وقال تعالى في حق المختصين من عباده أن عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل عبد إلهي توجه لأحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله بقدر ذلك الحق فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عليه سلطان به نفلا يكون عبدا خالصا لله وهذا هو الذي رجح عند المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق ولزومهم السياحات والبراري والسواحل والفار من الناس والخروج عن ملك الحيوان فإنهم يريدون الحرية من جميع الأكوان ولقيت منهم جماعة كبيرة في أيام سياحتي ومن الزمان الذي حصل لي فيه والزمان الذي أتملك الشيء فيه أخرج عنه في ذلك الوقت أمابالهبة أو بالعتق إن كان ممن يعتق وهذا حصل لي فيه هذا المقام ما ملكت حيوانا أصلا بل ولا الثوب الذي ألبسه فإني لا ألبسه إلا عارية لشخص معين وهذا حصل لي لما أردت التحقيق بعبودية الإختصاص لله قيل لي لا يصح ذلك حتى لا يقوم لأحد عليك حجة قلت ولا لله إن شاء الله قيل لي وكيف يصح لك أن لا يقوم لله عليك حجة قلت إنما تقام الحجج على المنكرين لا على المعترفين وعلى أهل الدعاوى وأصحاب الحظوظ لا على من قال مالي حق ولاحظ ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا محضا قد طهرة الله وأهل بيته تطهيرا وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم فإن الرجس هو القذر عند العرب هكذا حكى الفراء قال تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فلا يضاف إليهم إلا مطهر ولا بد فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم وإذا كان لا ينضاف إليهم إلا مطهر مقدس وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون بل هم عين الطهارة فهذه الآية تدل على أن الله قد شرك أهل البيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ فطهر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالمغفرة فما هو ذنب بالنسبة لينالو وقع منه صلى الله عليه وسلم ما يصحب الذنب من المذمة و لم يصدق قوله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهمم ومن هومن أهل البيت مثل سلمان الفارسي إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران فهم المطهرون اختصاصا من الله وعناية بهم لشرف محمد صلى الله عليه وسلم وعناية الله به ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل أمره وقد زنى أوسرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة كما عزو أمثاله ولا يجوز ذمه وينبغي لكل مسلم مؤمن بالله وبما أنزله أن يصدق الله تعالى في قوله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فيعتقد في جميع بتطهيره وذهاب الرجس عنه لا يعمل عملوه ولا بخير قدموه بل سابق عناية من الله بهم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل اعظيم وإذا صيح الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع وتلحق المذمة بعامله لكان مضافا لي أهل البيت من لم يذهب عن الرجس فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم وهم المطهرون بالنص

فسلمان بلا شك فأرجو أن يكون عقب على وسلمان تلحقهم هذه العناية كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم وموالي أهل البيت فإن رحمة الله تواسعة يا ولي وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة أنن نيشرف المضاف إليهم بشرفهم وشرفهم ليس لأنفسهم وإنما الله تعالى هوالذي إجتباهم وكساهم حلة الشرف كيف يا ولي بمن أضيف إلى من له الحمد والمجد والشرف لنفسه وذاته فهو المجيد سبحانه وتعالى فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة قال تعالى لإبليس إن عبادي فأضافهم إليه ليس لك عليهم سلطان وما

تجد في القرآن عبادا مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم القائمين بحدود سيدهم الواقفين عند مراسمه فشرفهم أعلى وأتم وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت فكان رضي الله عنه أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق وأقواهم على أدائها وفيه قال رسول صلى الله عليه وسلم لو كان الإيمانن بالثريا لناله رجال من فارس وأشار إلى سلمان الفارسي وفي تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الثريا دون غيرها من الكواكب إشارة بديعة لمثبتي الصفات السبعة لأنها سبعة كواكب فافهم فسر سلمان الذي ألحقه بأهل البيت ما أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من أداء كتابته وفي هذا فقه عجيب فهو عتيقه صلى الله عليه وسلم ومولى القوم منهم والكل موالي الحق ورحمته وسعت كل شيء عبده ومولاه وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله وأنه تلا ينبغي لمسلم أن بذمهم بما يقع منهم أصلا فإن الله طهرهم فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه ولو ظلموه فذلك الظلم هو في زعمه ظلم لا في نفس الأمر وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر يشبه جري المقادير علينا في ماله ونفسه بغرق أو بحرق وغير ذلك من المور المهلكة فيحترق أو يموت له أحد أحبائه أو يصاب في نفسه وهذا كله مما لا يوافق غرضه ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضى وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر وإن اارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر فإن في طي ذلك نعما من الله فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في مماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه فيقابل ذلك كله بالرضى والتسليم والصبر ولا يلحق المذمة بهم أصلا وإن توجهت عليهم الأحكام المقررة شرعا فذلك لا يقدح في هذا بل يجريه مجرى المقادير وإنما منعنا تعليق الذم بهم أذ ميزهم الله عنا بما ليس معهم فيه قدم وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقترض من اليهود وإذا طالبوه بحقوقهم أداها على احسن ما يمكن وإن تطاول اليهودي عليه بالقول يقول دعوه إن لصاحب الحق مقالا وقال صلى الله عليه وسلم في قصة لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها فوضع الأحكام لله يضعها كيف يشاء وعلى أي حال ييشاء فهذه حقوق الله ومع هذا لم يذمهم الله وإنما كلا منافي حقوقنا وما لنا أن نطالبهم به فنحن محيرون إن شئنا أخذنا وإن شئنا تركنا والترك أفضل عموما فكيف في أهل البيت وليس لنا ذم أحد فكيف بأهل البيت فإنا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك أي فيما أصابوه منا كانت لنا وفيه سر صلة الأرحام ومن لم يقل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه بأي وجه يلقاه غدا أو يرجو شفاعته وهو المودة وهو الثبوت على المحبة فإنه من ثبت وده في أمر استصحبته المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه مما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبة وإيثارا لنفسه لا عليها قال المحب الصادق وكل ما يفعل المحبوب محبوب وجاء باسم الحب فكيف حال المودة ومن البشرى ورود اسم الودود لله تعالى ولا معنى لثبوتها إلا حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة وفي النار لكل طائفة با تقتضيه حكمة الله فيهم وقال الآخرة في المعنى

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

ولنا في هذا المعنى

أحب لحبك الحبشان طرا وأعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبب إليها فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله ولا تورثه القربة من الله فهل هذا الأمن صدق الحب وثبوت الود في النفس فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل تبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك إنه جمال تتنعم بوقوعه منهمم فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله وهم أهل بيت رسوله صلى الله عليه وسلم فتشكر الله تعالى علىهذه النعمة فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة بتطهير الله طهارة لم يبلغها علمك وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذي أنت محتاج إليهم ولرسول صلى الله عليه وسلم حيث هداك الله به فكيف أثق أنا بودك الذي تزعم به أنك شديد الحب في والرعاية لحقوقي أو لجانبي وأنت في حق أهل نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم والله ما ذاك الأمن نقص إيمانك ومن مكر الله بك واستدراجه تإياك من حيث لا تعلم وصورة المكران تقول وتعتقدانك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه وتقول في طلب حقك أنك ما طلبت إلا ما أباح الله لك طلبه ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع والبغض والمقت وإيثارك نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقاً وتنزل عن حقك لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حداً وإنصاف مظلوم أوردّ حق إلى أهله فإن كنت حاكماً ولابد فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت فإن أبي حينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه فلو كشف الله لك يا ولي عن منازلهم عند الله في الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليهم فالله يلهمنا رشد أنفسنا فانظر ما أشرف منزلة سلمان رضي الله عن جميعهم ولما بينت لك أقطاب هذا المقام وأنهم عبيد الله المصطفون الأخيار فاعلم أن أسرارهم التي أطلعنا الله عليها تجلهلها العامة بل أكثر الخاصة التي ليس لها هذا المقام والخضر منهم رضي الله عنه وهو من أكبرهم وقد شهد الله له أنه آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً اتبعه فيه كليم الله موسى عليه السلام الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت وما قد نبه الله على علوّ رتبتهم في ذلك ومن أسرارهم علم المكر الذي مكر الله بعباده في بغضهم مع دعواهم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر الله فعصوا الله ورسوله وما أحبوا من قرابته إلا من رأوا منه الإحسان فأغراضهم أحبوا وبنفوسهم تعشقوا ومن أسرارهم الاطلاع على صحة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة المحمدية من حيث لا تعلم العلماء بها فإن الفقهاء والمحدّثين الذين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت إنما المتأخر منهم هو فيه على غلبة ظن إذ كان النقل شهادة والتواتر عزيز ثم إنهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر لم يكن ذلك اللفظ المنقول بالتواتر نصاً فيما حكموا به فإن النصوص عزيزة فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوّة فهمهم فيه ولهذا اختلفوا وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الأمر نص آخر يعارضه و لم يصل إليهم وما لم يصل إليهم ما تعبدوا به ولا يعرفون بأيّ وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوّة هذا اللفظ كان يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرّع فأخذه أهل الله عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم في الكشف على الأمر الجلي والنص الصريح في الحكم أو عن الله بالبينة التي هم عليها من ربهم والبصيرة التي بها دعوا الخلق إلى الله عليها كما قال الله أفمن كان على بينة من ربه وقال أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فلم يفرد نفسه بالبصيرة وشهد لهم بالاتباع في الحكم فلا يتبعونه إلا على بصيرة وهم عباد الله أهل هذا المقام ومن أسرارهم أيضاً إصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجناب الإلهيّ وما تجلى لهم حتى اعتقدوا ذلك ومن أين تصوّر الخلاف مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه فإنه ما اختلف فيه اثنان وإنما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب وبماذا يسمى ذلك السبب فمن قائل هو الطبيعة ومن قائل هو الدهر ومن قائل غير ذلك فاتفق الكل في إثباته ووجوب وجوده وهل هذا الخلاف يضرهم مع هذا
الاستناد أم لا هذا كله من علوم أهل هذا المقام انتهى الجزء السابع عشر.

الجزء الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثلاثون في معرفة الطبقة الأولى والثانية من الأقطاب الركبان

إن لله عباداً ركبوا نجب الأعمال في الليل البهيم
وترقت همم الذل بهم لعزيز جل من فرد عليم
فاجتباهم وتجلى لهمو وتلقاهم بكاسات النديم
من يكن ذا رفعة في ذلة أنه يعرف مقدار العظيم
رتبة الحادث إن حققتها إنما يظهر فيها بالقديم
إن لله علوماً جمة في رسول ونبي وقسيم
لطفت ذاتاً فما يدركها عالم الأنفاس أنفاس النسيم

اعلم أيدك الله أن أصحاب النجب في العرف هم الركبان قال الشاعر:

فليت لي بهمو قوماً إذا ركبوا شدوا الإغارة فرساناً وركبانا

الفرسان ركاب الخيل والركبان ركاب الإبل فالأفراس في المعروف تركبها جميع الطوائف من عجم وعرب والهجن لا يستعملها إلا العرب والعرب أرباب الفصاحة والحماسة والكرم ولما كانت هذه الصفات غالبة على هذه الطائفة سميناهم بالركبان فمنهم من يركب نجب الهمم ومنهم من يركب نجب الأعمال فلذلك جعلناهم طبقتين أولى وثانية وهؤلاء أصحاب الركبان هم الأفراد في هذه الطريقة فإنهم رضي الله عنهم على طبقات فمنهم الأقطاب ومنهم الأئمة ومنهم الأوتاد ومنهم الأبدال ومنهم النقباء ومنهم النجباء ومنهم الرجبيون ومنهم الأفراد وما منهم طائفة إلا وقد رأيت منهم وعاشرتهم ببلاد المغرب وببلاد الحجاز والشرق فهذا الباب مختص بالأفراد وهي طائفة خارجة عن حكم القطب وحدها ليس للقطب فيهم تصرف ولهم من الأعداد من الثلاثة إلى ما فوقها من الأفراد ليس لهم ولا لغيرهم فيما دون الفرد الأول الذي هو الثلاثة قدم فإن الأحدية وهو الواحد لذات الحق والاثنان للمرتبة وهو توحيد الألوهية والثلاثة أول وجود الكون عن الله فالأفراد في الملائكة الملائكة المهيمون في جمال الله وجلاله الخارجون عن الأملاك المسخرة والمدبرة اللذين هما في عالم التدوين والتسطير وهم من القلم والعقل إلى ما دون ذلك والأفراد من الأنس مثل المهيمة من الأملاك فأول الأفراد الثلاثة وقد قال صلى الله عليه وسلم الثلاثة ركب فأول الركب الثلاثة إلى ما فوق ذلك ولهم من الحضرات الإلهية الحضرة الفردانية وفيها يتميزون ومن الأسماء الإلهية الفرد والمواد الواردة على قلوبهم من المقام الذي ترد منه على الأملاك المهيمة ولهذا يجهل مقامهم وما يأتون به مثل ما أنكر موسى عليه السلام على خضر مع شهادة الله فيه لموسى عليه السلام وتعريفه

بمترلته وتزكية الله إياه وأخذه العهد عليه إذ أراد صحبته ولما علم الخضر أن موسى عليه السلام ليس له ذوق في المقام الذي هو الخضر عليه كما أن الخضر ليس له ذوق فيما هو موسى عليه من العلم الذي علمه الله إلا أن مقام الخضر لا يعطي الاعتراض على أحد من خلق الله لمشاهدة خاصة هو عليها ومقام موسى والرسل يعطي الاعتراض من حيث هم رسل لا غير في كل ما يرونه خارجاً عما أرسلوا به ودليل ما ذهبنا إليه في هذا قول الخضر لموسى عليه السلام "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا" فلو كان الخضر نبياً لما قال له ما لم تحط به خبرا فالذي فعله لم يكن من مقام النبوة وقال له في انفراد كل واحد منهما مبقامه الذي هو عليه قال الخضر لموسى عليه السلام يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا وافترقا وتميزا بالإنكار فالإنكار ليس من شأن الأفراد فإنّ لهم الأولية في الأمور فهم ينكر عليهم ولا ينكرون قال الجنيد لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم وهم أصحاب العلم الذي كان يقول فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين يضرب بيده إلى صدره ويتنهد أن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة فإنه كان من الإفراد و لم يسمع هذا من غيره في زمانه إلا أبي هريرة ذكر مثل هذا خرج البخاري في صحيحه عنه أنه قال حملت عن النبي صلى الله عليه وسلم جرابين أما الواحد فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم البلعوم مجرى الطعام فأبو هريرة ذكر أنه حمله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيه ناقلاً عن غير ذوق ولكنه علم لكونه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن إنما نتكلم فيمن أعطى عين الفهم في كلام الله تعالى في نفسه وذلك علم الأفراد وكان من الأفراد عبد الله بن العباس البحر كان يلقب به لاتساع علمه فكان يقول في قوله عز وجلّ "الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتترل الأمر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي رواية لقلتم إني كافر وإلى هذا العلم كان يشير عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب زين العابدين رضي الله عنهم بقوله فلا أدري هل هما من قيله أو تمثل هما:

يا رب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فنبه بقوله يعبد الوثنا على مقصوده ينظر إليه تأويل قوله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته بإعادة الضمير على الله تعالى وهو من بعض محتملاته بالله يا أخي انصفني فيما أقوله لك لا شك إنك قد أجمعت معي على أنه كل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار في كل ما وصف به فيها ربه تعالى من الفرح والضحك والتعجب والتبشبش والغضب والتردد والكراهة والمحبة والشوق إن ذلك وأمثاله يجب الإيمان به والتصديق فلو هبت نفحات من هذه الحضرة الإلهية كشفاً وتجلياً وتعريفاً إلهياً على قلوب الأولياء بحيث أن يعلموا بأعلام الله وشاهدوا بأشهاد الله من هذه الأمور المعبر عنها هذه الألفاظ على لسان الرسول وقد وقع الإيمان مني ومنك هذا كله إذا أتى بمثله هذا الوليّ في حق الله تعالى ألست تزندقه كما قال الجنيد ألست تقول إن هذا مشبه هذا عابد وثن كيف وصف الحق بما وصف به المخلوق ما فعلت عبدة الأوثان أكثر من هذا كما قال علي بن الحسين ألست كنت تقتله أو تفتي بقتله كما قال ابن عباس فبأيّ شيء آمنت وسلمت لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الله من الأمور التي تحيلها الأدلة العقلية ومنعت من تأويلها والأشعري تأولها على وجوه من التتريه في زعمه فأين الإنصاف فهلا قلت

القدرة واسعة أن تعطي لهذا الوليّ ما أعطت للنبيّ من علوم الأسرار فإن ذلك ليس من خصائص النبوّة ولا حجر الشارع على أمّته هذا الباب ولا تكلم فيه بشيء بل قال إن يكن في أمّتي محدّثون فعمر منهم فقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم إن ثم من يحدث ممن ليس بنبي وقد يحدث بمثل هذا فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال والحرام فإن ذلك أعني التشريع من خصائص النبوة وليس الاطلاع على غوامض العلوم الإلهية من خصائص نبوة التشريع بل هي سارية في عباد الله من رسول وولي وتابع ومتبوع يا ولي فأين الإنصاف منك أليس هذا موجوداً في الفقهاء وأصحاب الأفكار الذين هم فراعنة الأولياء ودجاجلة عباد الله الصالحين والله يقول لمن عمل منا بما شرع الله له إن الله يعلمه ويتولى تعليمه بعلوم أنتجتها أعماله قال تعالى "واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وقال "إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً" ومن أقطاب هذا المقام عمر بن الخطاب وأحمد بن حنبل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في عمر بن الخطاب يذكر ما أعطاه الله من القوة يا عمر ما لقيك الشيطان في فج إلا سلك فجاً غير فجك فدل على عصمته بشهادة المعصوم وقد علمنا إن الشيطان ما يسلك قط بنا إلا إلى الباطل وهو غير فج عمر بن الخطاب فما كان عمر يسلك إلا فجاج الحق بالنص فكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم في جميع مسالكه وللحق صولة ولما كان الحق صعب المرام قوياً حمله على النفوس لا تحمله ولا تقبله بل تمجه وتردّه لهذا قال صلى الله عليه وسلم ما ترك الحق لعمر من صديق وصدق صلى الله عليه وسلم يعني في الظاهر والباطن أما في الظاهر فلعدم الإنصاف وحب الرياسة وخروج الإنسان عن عبوديته واشتغاله بما لا يعنيه وعدم تفرغه لما دعي إليه من شغله بنفسه وعيبه عن عيوب الناس وأما في الباطن فما ترك الحق لعمر في قلبه من صديق فما كان له تعلق إلا بالله ثم الطامة الكبرى إنك إذا قلت لواحد من هذه الطائفة المنكرة اشتغل بنفسك يقول لك إنما أقوم حماية لدين الله وغيرة له والغيرة لله من الإيمان وأمثال هذا ولا يسكن ولا ينظر هل ذلك من قبيل الإمكان أم لا أعني أن يكون الله قد عرف ولياً من أوليائه بما يجريه في خلقه كالخضر ويعلمه علوماً من لدنه تكون العبارة عنها بهذه الصيغ التي ينطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال الخضر وما فعلته عن أمري وآمن هذا المنكر بها على زعمه إذ جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو كان مؤمناً بها ما أنكرها على هذا الولي لأن الشارع ما أنكر إطلاقها في جناب الحق من استواء ونزول ومعية وضحك وفرح وتبشبش وتعجب وأمثال ذلك وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قط إنه حجرها على أحد من عباد الله بل أخبر عن الله أنه يقول لنا "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" ففتح لنا وندبنا إلى التأسي به صلى الله عليه وسلم وقال "فاتبعوني يحببكم الله" وهذا من اتباعه والتأسي به فمن التأسي به إذا ورد علينا من الحق سبحانه وارد حق فعلمنا من لدنه

علماً فيه رحمة حبانا الله بها وعناية حيث كنا في ذلك على بينة من ربنا ويتلوها شاهد منا وهو اتباعنا سنته وما شرع لنا لم نخل بشيء منها ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل فنطلب لذلك المعلوم الذي علمناه من جانب الحق أمثال هذه العبارات النبوية لنفصح بها عن ذلك ولاسيما إذا سئلنا عن شيء من ذلك لأن الله أخبر عمن هذه صفته أنه يدعو إلى الله على بصيرة فمن التأسي المأمور به برسول الله صلى الله عليه وسلم أن نطلق على تلك المعاني هذه الألفاظ النبوية إذ لو كان في العبارة عنها ما هو أفصح منها لأطلقها صلى الله عليه وسلم فإنه المأمور بتبيين ما أنزل به علينا ولا نعدل إلى غيرها لما نريده من البيان مع التحقق بليس كمثله شيء فإنا إذا عدلنا إلى عبارة غيرها ادعينا بذلك أنا أعلم بحق الله وأنزه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أسوأ ما يكون من الأدب ثم إن المعنى لابد أن يختل عند السامع إذ كان ذلك اللفظ الذي خالفت به لفظ من كان أفصح الناس وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن لا يدل على ذلك المعنى بحكم المطابقة فشرع لنا التأسي وغاب هذا المنكر المكفر

من أتى بمثل هذا عن النظر في هذا كله وذلك لأمرين أو لأحدهما إن كان عالماً فلحسد قام به قال تعالى "حسداً من عند أنفسهم" وإن كان جاهلاً فهو بالنبوّة أجهل يا وليّ لقينا من أقطاب هذا المقام بجبل أبي قبيس بمكة في يوم واحد ما يزيد على السبعين رجلاً وليس لهذه الطبقة تلميذ في طريقهم أصلاً ولا يسلكون أحداً بطريق التربية لكن لهم الوصية والنصيحة ونشر العلم فمن وفق أخذ به ويقال إن أبا السعود بن الشبل كان منهم وما لقيته ولا رأيته ولكن شممت له رائحة طيبة ونفساً عطرياً وبلغني أن عبد القادر الجيلي وكان عدلاً قطب وقته شهد لمحمد بن قائد الأواني بهذا المقام كذا نقل إليّ والعهدة على الناقل فإن ابن قائد زعم أنه ما رأى هناك أمامه سوى قدم نبيه وهذا لا يكون إلا لأفراد الوقت فإن لم يكن من الأفراد فلابدّ أن يرى قدم قطب وقته إمامه زائداً على قدم نبيه إن كان إماماً وإن كان وتداً فيرى إمامه ثلاثة أقدام وإن كان بدلاً يرى أربعة أقدام وهكذا إلا أنه لابد أن يكون في حضرة الاتباع مقاماً فإذا لم يقم في حضرات الاتباع وعدل به عن يمين الطريق بين المخدع وبين الطريق فإنه لا يبصر قدماً أمامه وذلك هو طريق الوجه الخاص الذي من الحق إلى كل موجود ومن ذلك الوجه الخاص تنكشف للأولياء هذه العلوم التي تنكر عليهم ويزندقون بها ويزندقهم بها ويكفرهم من يؤمن بها إذا جاءته عن الرسل وهي العلوم عينها وهي التي ذكرناها آنفاً ولأصحاب هذا المقام التصريف والتصرف في العالم فالطبقة الأولى من هؤلاء تركت التصرف لله في خلقه مع التمكن وتولية الحق لهم إياه تمكناً لا أمراً لكن عرضاً فلبسوا الستر ودخلوا في سرادقات الغيب واستتروا بحجب العوائد ولزموا العبودة والافتقار وهم الفتيان الظرفاء الملاهتية الأخفياء الأبرياء وكان أبو السعود منهم كان رحمه الله ممن امتثل أمر الله في قووله تعالى "فاتخذه وكيلا" فالوكيل له التصرف فلو أمر امتثال الأمر هذا من شأنهم وأما عبد القادر فالظاهر من حاله أنه كان مأموراً بالتصرف فلهذا ظهر عليه هذا هو الظن بأمثاله وأما محمد الأواني فكان يذكر أن الله أعطاه التصرف فقبله فكان يتصرف و لم يككن مأموراً فابتلى فنقصه من المعرفة القدر الذي علا أبو السعود به عليه فنطق أبو السعود بلسان الطبقة الأولى من طائفة الركبان وسميناهم أقطاباً لثبوتهم ولأن هذا المقام أعني مقام العبودة يدور عليهم لم أرد بقطبيتهم إن لهم جماعة تحت أمرهم يكونون رؤساء عليهم وأقطاباً لهم هم أجل من ذلك وأعلى فلا رياسة أصلاً لهم في نفوسهم لتحققهم بعبوديتهم و لم يكن لهم أمر إلهي بالتقدم فما ورد عليهم فيلزمهم طاعته لما هم عليه من التحقق أيضاً بالعبودية فيكونون قائمين به في مقام العبودية بامتثال أمر سيدهم وأما مع التخيير والعرض أو طلب تحصيل المقام فإنه لا يظهر به إلا من لم يتحقق بالعبودة التي خلق لها فهذا يا ولي قد عرفتك في هذا الباب بمقاماتهم وبقي التعريف بأصولهم وتعيين أحوال الأقطاب المدبرين من الطبقة الثانية منهم نذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل لا رب غيره.

الباب الحادي والثلاثون في معرفة أصول الركبان

حدب الدهر علينا وحنا ... ومضى في حكمه وما ونى
وعشقناه فغنينا عسى ... يطرب الدهر بإيقاع الغنا
نحن حكمناك في أنفسنا ... فاحكم إن شئت علينا أو لنا
ولقد كان له الحكم وما ... كان ذاك الحكم للدهر بنا

فشفيعي هو دهري والذي	صرف الدهر كذا صرفنا
فركبنا نطلب الأصل الذي	جعل السر لدينا علنا
فلنا منه الذي حركنا	وله منا الذي سكننا
حركات الدهر فينا شهدت	إنه قال له ما سكنا
فأنا العبد الذليل المجتبي	وأنا حق وما الحق أنا

اعلم أيدك الله أن الأصول التي اعتمد عليها الركبان كثيرة منها التبري من الحركة إذا أقيموا فيها فلهذا ركبوا فهم الساكنون على مراكبهم المتحركون بتحريك مراكبهم فهم يقطعون ما أمروا بقطعه بغيرهم لا بهم فيصلون مستحريحين مما تعطيه مشقة الحركة متبرئين من الدعوى التي تعطيها الحركة حتى لو افتخروا بقطع المسافات البعيدة في الزمان القليل لكان ذلك الفخر راجعاً للمركب الذي قطع بهم تلك المسافة لا لهم فلهم التبري وما لهم الدعوى فهجيرهم لا حول ولا قوة إلا بالله وآيتهم "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" يقال لهم وما قطعتم هذه المسافات حين قطعتموها ولكن الركاب قطعتها فهم المحمولون فليس للعبد صولة لا بسلطان سيده وله الذلة والعجز والمهانة والضعف من نفسه ولما رأوا إن الله قد نبه بقوله تعالى وله ما سكن فأخلصه له علموا أن الحركة فيها الدعوى وأن السكون لا تشوبه دعوى فإنه نفي الحركة فقالوا إن الله قد أمرنا بقطع هذه المسافة المعنوية وجوب هذه المفاووز المهلكة إليه فإن نحن قطعناها بنفوسنا لم نأمن على نفوسنا من أن نتمدح بذلك في حضرة الاتصال فإنها مجبولة على الرعونة وطلب التقدم وحب الفخر فنكون من أهل النقص في ذلك المقام بقدر ما ينبغي أن نحترم به ذلك الجلال الأعظم فلنتخذ ركاباً تقطع به فإن أولدت الافتخار للركاب لا للنفوس فاتخذت من لا حول ولا قوة إلا بالله نجبا لما كانت النجب أصبر عن الماء والعلف من الأفراس وغيرها والطريق معطشة جدبة يهلك فيها من المراكب من ليس له مرتبة النجب فلهذا اتخذوها نجباً دون غيرها مما يصح أن يركب ولا يصح أن يقطع ذلك الحمد لله فإنّ هذا الذكر من خصائص الوصول ولا سبحان الله فإنه من خصائص التجلي ولا لا إله إلا الله فإنه من خصائص الدعاوي ولا الله أكبر فإنه من خصائص المفاضلة فتعين لا حول ولا قوة إلا بالله فإنه من خصائص الأعمال فعلاً وقولاً ظاهراً وباطناً لأنهم بالأعمال أمروا والسفر عمل قلباً وبدناً ومعنى وحساً وذلك مخصوص بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنه بها يقولون لا إله إلا الله وبها نقول سبحان الله وغير ذلك من جميع الأقوال والأعمال ولما كان السكون عدم الحركة والعدم أصلهم لأنه قوله "وقد خلقتك من قبل و لم تك شيأ" يريد موجودا فاختاروا السكون على الحركة وهو الإقامة على الأصل فنبه سبحانه وتعالى في قوله "وله ما سكن في الليل والنهار" أنّ الخلق سلموا له العدم وادعوا له في الوجود فمن باب الحقائق عرى الحق خلقه في هذه الآية عن إضافة ما ادعوه لأنفسهم بقوله "وله ما سكن في الليل والنهار" أي ما ثبت والثبوت أمر وجودي عقلي لا عيني بل نسبي وهو السميع العليم يسمع دعواكم في نسبة ما هو له وقد نسبتموه إليكم عليم بأن الأمر على خلاف ما دعيتموه ومن أصولهم التوحيد بلسان بي يتكلم وبي يسمع وبي يبصر وهذا مقام لا يحصل إلا عن فروع الأعمال وهي النواقل فإن هذه الفروع تنتج المحبة الإلهية والمحبة تورث العبد أن يكون بهذه الصفة فتكون هذه الصفة أصلاً لهذا الصف من العباد فيما يعلمونه ويحكمون به من أحكام الخضر وعلمه فهو أصل مكتسب وهو للخضر أصل عناية إلهية بالرحمة التي آتاه الله وعن تلك الرحمة كان له هذا العلم

الذي طلب موسى عليه السلام أن يعلمه منه فإن تفطنت لهذا الأمر الذي أوردناه عرفت قدر ولاية هذه الملة المحمدية والأمة ومنزلتها وأن ثمرة زهرة فروع أصلها المشروع لها في العامة هي أصل الخضر الذي امتن الله تعالى على عبده موسى عليه السلام بلقائه وأدّبه به فأنتج للمحمدي فرع فرع فرع أصله ما هو أصل للخضر ومثل موسى عليه السلام يطلب منه أن يعلمه مما هو عليه من العلم فانظر منزلة هذا العارف المحمدي أين تميزت فكيف لك بما ينتجه الأصل الذي ترجع إليه هذه الفروع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه "إن الله يقول ما تقرب إلي المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم" فهذا هو الأصل أداء الفرض ثم قال "ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل" وهو ما زاد على الفرائض ولكن من جنسها حتى تكون الفرائض أصلاً لها مثل نوافل الخيرات من صلاة وزكاة وصوم وحج وذكر فهذا هو الفرع الأقرب إلى الأصل ثم ينتج لها هذا العمل الذي هو نافقل محبة الله إياه وهي محبة خاصة جزاء ليست هي محبة الامتنان فإن محبة الامتنان الأصلية

اشترك فيها جميع أهل السعادة عند الله تعالى وهي التي أعطت لهؤلاء التقرب إلى الله بنوافل الخيرات ثم إن هذه المحبة وهي الفرع الثاني الذي هو بمنزلة الزهرة أنتجت له أن يكون الحق سمعه وبصره ويده إلى غير ذلك وهذا هو الفرع الثالث وهو بمنزلة الثمرة التي تعقد عند الزهرة فعند ذلك يكون العبد يسمع بالحق وينطق به ويبصر به ويبطش به ويدرك به وهذا وحي خاص إلهيّ أعطاه هذا المقام ليس للملك فيه وساطة من الله ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام ما لم تحط به خبرا فإن وحي الرسل إنما هو بالملك بين الله وبين روسله فلا خبر له بهذا الذوق في عين إمضاء الحكم في عالم الشهادة فما تعوّد الإرسال لتشريع الأحكام الإلهية في عالم الشهادة إلا بواسطة الروح الذي ينزل به على قلبه أو في تمثله لم يعرف الرسول الشريعة إلا على هذا الوصف لا غير الشريعة فإن الرسول له قرب أداء الفرض والمحبة عليها من الله وما تنتج له تلك المحبة وله قرب النوافل ومحبتها وما يعطيه محبتها ولكن من العلم بالله لا من علم التشريع وإمضاء الحكم في عالم الشهادة فلم يحط به خبرا من هذا القبيل فهذا القدر هو الذي اختص به خضر دون موسى عليه السلام ومن هذا الباب يحكم المحمدي الذي لم يتقدم له علم بالشريعة بوساطة النقل وقراءة الفقه والحديث ومعرفة الأحكام الشرعية فينطق صاحب هذا المقام بعلم الحكم المشروع على ما هو عليه في الشرع المنزل من هذه الحضرة وليس من الرسل وإنما هو تعريف إلهيّ وعصمة يعطيها هذا المقام ليس للرسالة فيه مدخل فهذا معنى قوله ما لم تحط به خبرا فإن الرسول لا يأخذ هذا الحكم إلا بنزول الروح الأمين على قلبه أو بمثال في شاهده يتمثل له الملك رجلاً ولما كانت النبوة قد منعت والرسالة كذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان التعريف لهذا الشخص بما هو الشرع المحمدي عليه في عالم الشهادة فلو كان في زمان التشريع كما كان زمان موسى لظهر الحكم من هذا الولي كما ظهر من الخضر من غير وساطة ملك بل من حضرة القرب فالرسول والنبي لهما حضرة القرب مثل ما لهذا وليس له التشريع منها بل التشريع لا يكون له لا بوساطة الملك الروح وما بقي إلا إذا حصل للنبيّ المتأخر من شرع المتقدم ما هو شرع له هل يحصل ذلك بوساطة الروح كسائر شرعه أو يحصل له كما حصل للخضر ولهذا الولي منا من حضرة الوحي فمذهبي أنه لا يحصل له إلا كما يحصل ما يختص به من الشرائع ذلك الرسول ولهذا صدق الثقة العدل في قوله "ما لم تحط به خبرا" وما يعرف له منازع ولا مخالف فيما ذكرناه من أهل طريقنا ولا وقفنا عليه غير أنه إن خالفنا فيه أحد من أهل طريقنا فلا يتصوّر فيه خلاف لنا إلا من أحد رجلين إما رجل من أهل الله التبس عليه الأمر وجعل التعريف الإلهي حكماً فأجاز أن يكون النبي أو الرسول كذلك ولكن في هذه الأمة وأما في الزمان الأول فهو حكم لصاحبه ولا بد وهو تعريف للرسول بوساطة الملك أن هذا شرع لغيره قال تعالى لما ذكر الأنبياء "أولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتده" وما ذكر له هداهم إلا بالوحي بوساطة لروح

والرجل الآخر رجل قاس الحكم على الأخبار وأمّا غير ذلك فلا يكون ومع هذا فلم يصل إلينا عن أحد منهم خلاف فيما ذكرناه ولا وفاق ومن أصول هذه الطبقة أيضاً إنه يتكلم بما به يسمع ولا يقول بذلك سواهم من حيث الذوق لكن قد يقول بذلك من يقول به من حيث الدليل العقلي فهؤلاء يأخذونه عن تجل إلهي وغيرهم يأخذه عن نظر صحيح موافق للأمر على ما هو عليه وهو الحق ووقوع الاختلاف في الطريق فهذا الطريق غير هذا الطريق وإن اتفقا في المترل وهو الغاية فهو السميع لنفسه البصير لنفسه العالم لنفسه وهكذا كل ما تسميه به أو تصفه أو تنعته إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله حيث يطلق لفظ صفة على ما نسب إليه أو لفظ نعت فإنه ما أطلق على ذلك إلا لفظ اسم فقال "سبح اسم ربك" و"تبارك اسم ربك" "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" وقال في حق المشركين "قل سموهم" وما قال صفوهم ولا انعتوهم بل قال "سبحان ربك رب العزة عما يصفون" فتره نفسه عن الوصف لفظاص ومعنى إن كنت من أهل الأدب والتفطن فهذا معنى قولي إن كنت ممن يسيء الأدب مع الله والمخالف لنا يقول إنه يعلم بعلم ويقدر بقدرة ويبصر ببصر وهكذا جميع ما يتسمى به إلا صفات التتريه فإنه لا يتكلم فيها بهذا النوع كالغنى

وأشباهه إلا بعضهم فإنه جعل ذلك كله معاني قائمة بذات الله لا هي هو ولا هي غيره ولكن هي أعيان زائدة على ذاته والأستاذ أبو إسحاق جعل السبعة أصولاً لا أعياناً زائدة على ذاته اتصفت بها ذاته وجعل كل اسم بحسب ما تعطيه دلالته فجعل صفات التتريه كلها في جدول الاسم الحي وجعل الخبير والحسيب والعليم والمحصي وأخواته في جدول العلم وجعل الاسم الشكور في جدول الكلام وهكذا ألحق الكل كل صفة من السبعة ما يليق بها من الأسماء بالمعنى كالخالق والرازق للقدرة وغير ذلك على هذا الأسلوب هذا مذهب الأستاذ وأجمع المتكلمون من الأشاعرة على أن ثم أموراً زائدة ولا بد ولا فائدة جاء بها هذا المتكلم إلا عدم التحكم فإن الذات إذا قبلت عيناً واحدة زائدة جاز أن تقبل عيوناً كثيرة زائدة على ذاتها فتكون القدماء لا يحصون كثرة وهو مذهب أبي بكر بن الطيب والخلاف في ذلك يطول وليس طريقنا على هذا بنى أغنى في الردّ عليهم ومنازعتهم لكن طريقنا تبيين مآخذ كل طائفة ومن أين انتحلته في نحلها وما تجلى لها وهل يؤثر ذلك في سعادتها أو لا يؤثر هذا حظ أهل طريق الله من العلم بالله فلا نشتغل بالرد على أحد من خلق الله بل ربما تقيم لهم العذر في ذلك للإتساع الإلهي فإن الله أقام العذر فيمن يدعو مع الله إلها آخر ببرهان يرى أنه دليل في زعمه فقال عز من قائل ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ومن أصولهم الأدب مع الله تعالى فلا يسمونه إلا بما سمى به نفسه ولا يضيفون إليه قال قل كل من عند الله قال ذلك في الأمرين إذا اجتمعهما لا تقل من الله فراع اللفظ واعلم أن الجمع الأمر حقيقة تخالف حقيقة كل مفردا انفرد ولم يجتمع مع غيره كسواد المداد بين العفص والزاج ففصل سبحانه بين ما يكون منه وبين ما يكون من عنده يقول تعالى في حق طائفة مخصوصة والله خير وأبقى ببنية المفاضلة ولا مناسبة وقال في حق طائفة أخرى معينة صفتها وما عند الله خير وأبقى فما هو عنده ما هو عين ما هو منه ولا عين هويته فبين الطائفتين ما بين المترلتين كما قيل لواحد ما تركت لأهلك قال الله ورسوله وقيل للآخر فقال نصف مالي فقال بنكما ما بين كلمتينا يعنى في المترلة فإذا أخذ العبد من كل ماسواه جعله في هه خير وأبقى وإذا أخذه من وجه من العالم يقتضى الحجاب والبعد والذم جعله فيما عند الله خي وأبقى فميز المرااتب ثم إنه سبحانه عرفنا بأهل الأدب ومترلهم من العلم به فقال عن إبراهيم خليله أنه قال الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين ولم يقل يجوعني وإذا مرضت ولم يقل أمرضني فهو يشفين فأضاف الشفاء إليه والمرض لنفسه وإن كان الكل من عنده ولكنه تعالى هو أدب رسله إذ كان المرض لا تقبله النفوس بخلاف الموت فإن الفضلاء من العقلاء العارفين يطلبون الموت للتخلص من هذا الحبس وتطلبه الأنبياء للقاء الله الذي يتضمنه وكذلك أهل الله ولذلك ما خيرني في الموت إلا اختاره لأن فيه

لقاء الله فهو نعمة منه عليه ومنة والمرض شغل شاغل عن أداء ما أوجب الله على العبد أداءه من حقوق الله لا حساسه بالألم وهو في محل التكليف وما يحس بالألم إلا الروح الحيواني فيشغل الروح الحيواني فيشغل الروح المدبر لجسده عماد إليه في هذه الدنيا فلهذا أضاف المرض إليه الشفاء والموت للحق كما فعل صاحب موسى عليه السلام في إضافة خرق السفينة إليه إذ جعل خرقها عيبا وأضاف قتل الغلام إليه وإلى ربه لما فيه من الرحمة بأبوايه وما ساءهما من ذلك أضافه خرق السفينة إليه إذ جعل خرقها عيبا وأضاف قتل الغلام إليه وإلى ربه لما فيه من الرحمة بأبويه وما ساءهما من ذلك أضافه إليه وأضاف قامة الجدار إلى ربه لما فيه من الصلاح والخير فقال تعالى عن عبده خضر في خرق السفينة فأردت أن أعيبها تتريها أن يضيف إلى الجناب العالي ما ظاهره ذم في العرف والعادة وقال في إقامة الجدار لما جعل إقامته رحمة باليتيمين لما يصيبانه من الخير الذي هو الكتر فأراد ربك يخبر موسى عليه السلام أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كترهما رحمة من ربك وقال لموسى في حق الغلام أنه طبع كافرا والكفر صفة مذمومة قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وأراد أن يخبره بأن الله يبدل أبويه خيرا منه زكاة وأقرب رحما فأراد أن يضيف ما كان في المسئلة من العيب في نظر موسى عليه السلام حيث جعله نكرا من المنكر وجعله

وأمر إلى غير ذلك في نظر موسى وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو الله من حيث ضمير النون فنون االجمع لها وجهان لما فيها من الجمع وجه إلى الخير به أضاف المر إلى الله ووجهه إلى العيب به أضاف العيب إلى نفسه وجاء بهذه المسئلة والواقعة في الوسط لافي الطرف بين السفينة والجدار ليكون ما فيها من عيب من جهة السفينة وما فيها من خير من جهة الجدار فلو كانت مسئلة الغلام في الطرف ابتداء أو إنتهاء لم تعط الحكمة أن يكون كل وجه مخلصا من غير أن يشوبه شيء من الخير أو ضده فلو كان أولا وكانت السفينة وسط لم يصل ما في مسئلة الغلام من الخير الذي له ولأبويه حتى يمر على حضرة مصيبة ظاهرا وهي السفينة وحينئذ يتصل بالخير الذي في الجدار ولو كان الجدار وسطا وتأخر حديث الغلام لم يصل عيب السفينة إلى الإتصال بعيب الغلام حتى يمر بخير ما في الجدار فيمر بغير المناسب ومن شأن الحضررات أن تقلب أعيان الأشياء أعني صفاقما إذا مرت بها فكانت مسئلة الغلام وسطا فيلي وجه العيب جهة السفينة ويلي جهة الخير جهة الجدار واستقامت الحكمة فإن قلت فلم جمع بين الله وبين نفسه في ضمير النون أعني نون فأردنا وقال صلى الله عليه وسلم لما سمع بعض الخطباء وقد جمع بين الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمير واحد في قوله ومن يعصهما بئس الخطيب أنت فاعمل أنه من الباب الذي قررناه وهو أنه لا يضاف إلى الحق إلا ما أضافه الحق إلى نفسه أو أمر به رسوله أومن آتاه علما من لدنه كالخضر المنصوص عليه فهذا من ذلك الباب فلما كان هذا الخطيب عريا من العلم اللدني و لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم إليه في إباحة مثل هذا لهذا ذمه وقال بئس الخطيب أنت فإنه كان ينبغي له أن لا يجمع بين الحق والخلق في ضمير واحد إلا بإذن إلهي من رسول أو علم لدني و لم يكن واحد من هذين المرين عنده فلهذا ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رويناه عنه في خطبة خطبها فذكر الله تعالى فيها وذكر نفسه صلى الله عليه وسلم ثم جمع بين ربه تعالى وبين نفسه فيها في ضمير واحد فقال من يطع الله ورسوله فقد رشده ومن يعصهما فلا يضر إلا الله شيئا وما ينطق صلى الله عليه وسلم عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وكذا قال الخضر وما فعلته عن أمري يعني جميع ما فعله من الأعمال وجميع ما قال من الأقوال في العبارة لموسى عليه السلام عليه السلام عن ذلك فافهم فبهذا قد أبنت لك عن أصولهم ما فيه كفاية فالركبان هم المرادون المجذوبون المصونة أسرارهم في البيض فلا يتخللها هواء مثل القاصرات الطرف من الحور المقصورات في الخيام كأهن بيض مكنون ومن صفاقم أنهم لا يكشفون وجوههم عند النوم

ولا ينامون إلا على ظهورهم لهم التلقي لا يتحركون إلا عن أمر إلهي ولا يسكنون إلا كذلك بإرادة إرادتهم ما يراد بهم ولما كان السكون أمرا عدميا لذلك قرنا به الإرادة دون الأمر ولما كان التحرك أمرا وجوديا لذلك قرنا به الأمر الإلهي إن فهمت وهم رضي الله عنهم لا يزحمون ولا يزحمون أكثر ما يجرى على ألسنتهم ما شاء الله سخرت لهم السحاب لهم القدم الراسخة في علم الغيوب لهم في كل ليلة معراج روحاني بل في كل نومة من ليل أو نهار لهم استشراف على بواطن العالم فرأوا ملكوت السموات والأرض يقول الله تعالى وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين وقال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا وهو عين إسرائه والعلماء ورثة الأنبياء أحوالهم الكتمان لو قطعوا الربا لربا عرف ما عندهم لهذا قال خضر ما فعلته عن أمري فالكتمان من أصولهم إلا أن يؤمروا بالإفشاء والإعلان والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني والثلاثون في معرفة القطاب المدبرين

أصحاب الركاب من الطبقة الثانية

إن التدبر معشوق لصاحبه ... به تعشق السماء والدول

عليه عند الذي يقضي سوالفه ... في كل ما يقتضيه كونه العمل

به ترتب ما في الكون من عجب ... فكل كون له في علمه أجل

لقيت من هؤلاء الطبقة جماعة بإشبيلية من بلاد الأندلس منهم أبو يحيى الصنهاجي الضرير كان يسكن بمسجد الزبيدي صحبته إلى أن مات ودفن بجبل عال كثيرا الرياح بالشرق فكل الناس شق عليهم طلوع الجبل لطوله وكثرة رياحه فسكن الله الريح فلم تهب منالوقت الذي وضعناه في الجبل وأخذ الناس في حفر قبره وقطع حجره إلى أن فرغنا منه وواريناه في روضته وأنصرفنا فعند إنصرافنا هبت الريح على عادتها فتعجب الناس من ذلك ومنهم أيضا صالح البربري وأبو عبد الله الشرفي وأبو الحجاج يوسف الشبربلي فأما صالح فساح أربعين سنة ولزم بإشبيلية مسجد الرطند إلى أربعين سنة على التجريد بالحالة التي كان عليها في سياحته وأما أبو عبد الله الشرفي فكان صاحب خطوة بقي نحوا من خمسين سنة ما أسرج له سراجا في بيته رأيت له عجائب وأما أبو الحجاج الشبربلي من قرية يقال لها شبربل بشرق إشبيلية كان ممن يمشي على الماء وتعاشره الرواح وما من واحد ممن هؤلاء إلا وعاشرته معاشرة مودة وإمتزاج ومحبة منهم فينا وقد ذكرناهم مع أشياخنا في الدرة الفاخرة عند ذكرنا من انتفعت به في طريق الآخرة فكان هؤلاء الأربعة من أهل هذا المقام وهم من أكابر الأولياء الملامية جعل بأيديهم علم التدبير والتفضيل فلهم الإسم المدبر المفصل وهجيرهم يدبر الأمر يفصل الآيات هم العرائس أهل المنصات فلهم الآيات المعتادة وغير المعتادة فالعلم كله عندهم آيات بينات والعامة ليست الآيات عندهم إلا التي هي عندهم غير معتادة فتلك تنبههم إلى تعظيم الله والله قد جعل الآيات المعتادة لأصناف مختلفين من عباده فمنها للعقلاء مثل قوله تعالى إن في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء

والأرض لآيات لقوم يعقلون فثم آيات للعقلاء كلها معتادة وآيات للموقنين وآيات لأولي الباب وآيات للسامعين وهم أهل الفهم عن الله وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للمتفكرين وآيات لأهل التذكر فهؤلاء كلهم أصناف نعتهم الله بنعوت مختلفة وآيات مختلفات كلها ذكرها لنا في القرآن إذا بحثت عليها وتدبرها علمت أنها آيات ودلالات على أمور مختلفة ترجع إلى عين واحدة غفل عن ذلك أكثر الناس ولهذا عدد الصناف فإن من الآيات المذكورة المعتادة ما يدرك الناس دلالتها من كونهم ناسا وجنا وملائكة وهي التي وصف بادرا كها العالم بفتح اللام ومن الآيات ما تغمض بحيث لا يدركها الأمن له التفكر السليم ومن الآيات ما هي دلالتها مشروطة بأولى الأباب وهم العقلاء الناظرون في لب الأمور لا في قشورها فهم الباحثون عن المعاني وإن كانت الألباب والهى العقول فلم يكتف سبحانه بلفظة العقل حتى ذكر الآيات الأولى الباب فما كل عاقل ينظر في لب الأمور وبواطنها فإن أهل الظاهر لهم عقول بلا شك وليسوا بأولي الألباب ولا شك أن العصاة لهم عقول ولكن ليسوا بأولي نهى فاختلفت صفاقم إذ كانت كل صفة تعطى صنفا من العلم لا يحصل إلا لمن حالة تلك الصفة فما ذكرها الله سدى وكثر الله ذكر الآيات في القرآن العزيز ففي مواضع اردفها وتلا بعضها بعضا وأردف صفة العارفين بها وفي مواضع أفردها فمثل أرداف بعضها على بعض مساقها في سورة الروم فلا يزال يقول تعالى ومن آياته ومن آياته ومن آياته فيتلوها جميع الناس ولا يتنبه لها إلا الأصناف الذين ذكرهم في كل آية خاصة فكانت تلك الآيات في حق أولئك أنزلت آيات وفي حق غيرهم لمجرد التلاوة ليؤجروا عليها ولما قرأت هذه السورة وأنا في مقام هذه الطبقة ووصلت إلى قوله ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله تعجبت كل العجب من حسن نظم القرآن وجمعه ولماذا قدم ما كان ينبغي في النظر العقلي في ظاهر المر أن يكون علىغير هذا النظم فإن النهار لإبتغاء الفضل والليل للمنام كما قال في القصص ومن آياته أن جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه فأعاد الضمير على الليل ولتبتغوا من فضله يريد في النهار فاضمرو إن كان الضميران يعودان على المعنى المقصود فقد يعمل الصانع بالليل ويبيع ويشتري بالليل كما أنه ينام أيضا ويسكن بالنهار ولكن الغالب في الأمور هو المعتبر فلاح لي من خلف ستارة هذه الآية وحسن

العبارة عنها الرافعة سترها وهو قوله منامكم بالليل والنهار أمر زائد على مايفهم منه في العموم بقرائن الحوال في إبتغاء الفضل للنهار والمنام لليل ما يذكره وهو أن الله نبه بهذه الآية على أن نشأة الآخرة الحسية لا تشبه هذه النشأة الدنياوية وإنها ليست بعينها بل تركيب آخر ومزاج كما وردت به الشرائع والتعريفات النبوية في مزاج تلك الدار وإن كانت هذه الجواهر عينها بلا شك فإنها التي تبعثر في القبور وتنشر ولكن يختلف التركيب والمزاج بإعراض وصفات تليق بتلك الدار لا تليق بهذه الدار وإن كانت الصورة واحدة في العين والسمع والأنف والفم واليدين والرجلين بكمال النشأة ولكن الإختلاف بين فمنه ما يشعر به ويحس ومنه ما لا يشعر به ولما كانت صورة الإنشاء في الدار الآخرة على صورة هذه لنشأة لم يشعر بما أشرنا إليه ولما كان الحكم يختلف عرفنا أن المزاج إختلف فهذا الفرق بين حظ الحس والعقل فقال تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار و لم يذكر اليقظة لا تكون إلا عند الموت وأن الإنسان نائم أبدا ما لم يمت فذكرأنه في منام بالليل والنهار في يقظته ونومه وفي الخبر الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ألا ترى أنه لم يأت بالباء في قوله تعالى والنهار وأكتفى بباء الليل ليحقق بهذه المشاركة أنه يريد المنام في حال اليقظة المعتادة فحذفها مما يقوى الوجه الذي أبرزناه في هذه الآية فالمنام هو ما يكون فيه النائم في حال نومه فإذا استيقظ يقول رأيت كذا وكذا فدل أن الإنسان في منام ما دام في هذه النشأة في الدنيا إلى أن يموت فلم يعتبرا الحق اليقظة المعتادة عندنا في العموم بل جعل الإنسان في منام ما دام في هذه النشأة في الدنيا إلى أن يموت فلم يعتبر الحق اليقظة المعتادة عندنا في العموم بل جعل انسان في منام في نومه ويقظته

كما أوردناه في الخبر النبوي من قوله صلى الله عليه وسلم نيام فإذا ماتوا انتبهوا فوصفهم بالنوم في الحياة الدنيا والعامة لا تعرف النوم في المعتاد إلا ما جرت به العادة أن يسمى نوما فنبه النبي صلى الله عليه وسلم بل صرح أن الإنسان في منام ما دام في الحياة الدنيا حتى ينتبه في الآخرة والموت أول أحوال الآخرة فصدقه الله بما جاء به في قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل وهو النوم العادي والنهار وهو هذا المنام الذي صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا جعل الدنيا عبرة جسرا يعبر أي تعبر كما تعبر الرؤيا التي يراها الإنسان في نومه فكما إن الذي يراه الرائي في حال نومه ما هو مراد لنفسه إنما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية في حال النوم إلى معناها المراد بها في عالم اليقظة إذا استيقظ من نومه كذلك حال الإنسان في الدنيا ما هو مطلوب للدنيا فكل ما يراه من حال وقول وعمل في الدنيا إنما هو مطلوب للآخرة فهناك يعبر ويظهر له ما رآه في الدنيا كما يظهر له في الدنيا إذا استيقظ ما رآه في المنام فالدنيا جسر يعبر ولا يعمر كالإنسان في حال ما يراه في نومه يعبر ولا يعمر فإنه إذا استيقظ لا يجد شيئا مما رآه من خير يراه أو شر وديار وبناء وسفر وأحوال حسنة أو سيئة فلا بد أن يعبر له العارف بالعبارة ما رآه فيقول له تدل رؤياك لكذا على فكذلك الحياة الدنيا منام إذا انتقل إلى الآخرة بالموت لم ينتقل معه شيء مما كان في يده وفي حسه من دار وأهل ومال كما كان حين استيقظ من نومه لم ير شيئا في يده مما كان له حاصلا في رؤياه في حال نومه فلهذا قال تعالى إننا في منام بالليل والنهار وفي الآخرة تكون اليقظة وهناك تعبر الرؤيا فمن نور الله عين بصيرته وعبر رؤياه هنا قبل الموت أفلح ويكون فيها مثل من رأى رؤيا ثم رأى في رؤياه أنه استيقظ فيقص ما رآه وهو في النوم على حاله على بعض الناس الذين يراهم في نومه فيقول رأيت كذا وكذا فيفسره ويعبر له ذلك الشخص بما يراه في علمه بذلك فإذا استيقظ حينئذ يظهر له أنه لم يزل في منام في حال الرؤيا وفي حال التعبير لها وهو أصح التعبير وكذلك الفطن اللبيب في هذه الدار مع تكونه في منامه يرى أنه استيقظ فيعبر رؤياه في منامه لينتبه ويزدجر ويسلك الطريق الأسد فإذا استيقظ بالموت حمد رؤياه وفرح بمنامه وأثمرت له رؤياه خيرا فلهذه الحقيقة ما ذكر الله في هذه الآية اليقظة وذكر المنام وأضافه إلينا بالليل والنهار وكان إبتغاء الفضل

فيه في حق من رأي في نومه أنه إستيقظ في نومه فيعبر رؤياه وهي حالة الدنيا والله يلهمنا رشد أنفسنا هذا من قوله تعالى يدبر الأمر يفصل الآيات فهذا تفصيل آيات المنام بالليل والنهار والإبتغاء من الفضل وجعله آيات لقوم يسمعون أي يفهمون كما قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أراد ألفهم عن الله وقال فيهم صم مع كونهم يسمعون بكم مع كونهم يتكلمون عمى مع كونهم يبصرون فهم لا يعقلون فنبهتك على ما أراد بالسمع والكلام والبصر هنا فهذه الطبقة الركبانية الثانية مآخذهم للأشياء على هذا الحد الذي ذكرناه في هذه الآية وإنما ذكرنا هذا المأخذ لنعرفك بطريقتهم فتبين لك مترلتهم من غيرهم فلطائفهم بالآيات المنصوبة المعتادة قائمة ناظرة إلى نفوس العالم ناظرة إلى الوجوه العرضية التي إليها يتوجهون بسبب أغراضهم ناظرة إلى الحدود الإلهية فيما إليه يتوجهون لا يغفلون عن النظر في ذلك طرفة عين فغلتهم التي تقتضيها جبلتهم إنما متعلقها منهم عما ضمن لهم فهم متيقظون فيما طلب منهم غافلون عما ضمن لهم حتى لا يخرجون عن حكم الغفلة فإنها من جبلة الإنسان وغير هذه الطائفة صرفتها الغفلة عما يراد منها فإن كان الذي يقع إليه التوجه طاعة نظروا في دقائق تحصيلها ونظروا إلى الأمر الإلهي الذي يناسبها والاسم الإلهي الذي له السلطان عليها فيفصل لهم الأمر الإلهي الآية التي يطلبونها فإن كانت الآية معتادة مثل اختلاف الليل والنهار وتسخير السحاب وغير ذلك من الآيات المعتادة التي لا خبر لنفوس العامة بكونها حتى يفقدوها فإذا فقدوها حينئذ خرجوا للإستسقاء وعرفوا في ذلك الوقت موضع دلالتها وقدرها وإنهم كانوا في آية وهم لا يشعرون فإذا جاءهم وأمطروا عادوا إلى غفلتهم هذا حال العامة

كما قال الله فيهم معجلا في هذه الدار هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون وإذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يقول الله لهم يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا وهكذا يقولون في النار يا ليتنا نرد قال تعالى ولو ردوا العادوا لما نهوا عنه كما عاد أصحاب الفلك إلى شركهم وبغيهم بعد إخلاصهم لله فإذا نظرت هذه الطائفة إلىهذه الآيات أرسلوها مع آية رهبة وزجر ووعيد أرسلوها على النفوس وإن طلبها أعني تلك الآية الاسم اللطيف وإخواته فهي آية رغبة ارسلوها وأعطيت التلذذ بالإعمال فقامت فيها بنشاط وتعرت فيها من ملابس الكسل وتبغض إليها معاشرة البطالين وصحبة الغافلين اللاهين عن ذكر الله ويكرهون الملأ والجلوة ويؤثرون الإنفراد والخلوة ولهذه الطبقة الثانية حقيقة ليلة القدر وكشفها وسرها ومعناها ولهم فيها حكم إلهي اختصوا به وهي حظهم من الزمان فانظر ما أشرف إذ حباهم الله من الزمان بأشرفه فإنها خير من ألف شهر من ألف شهر فيه زمان رمضان ويوم الجمعة ويوم عاشوراء ويوم عرفة وليلة القدر فكأنه قال فتضاعف خيرها ثلاثا وثمانين ضعفا وثلث ضعف لأنها ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وقد تكون الأربعة الأشهر مما يكون فيها ليلة القدر فيكون التضعيف في كل ليلة قدر أربعة وثمانين ضعفا فانظر ما في هذا الزمان من الخير وبأي زمان خصت هذه الطائفة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثامن عشر والحمد لله

الجزء التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث والثلاثون في معرفة أقطاب النيات وأسرارهم وكيفية أصولهم ويقال لهم النياتيون

الروح للجسم والنيات للعمل تحيا بها كحياة الأرض بالمطر
فتبصر الزهر والأشجار بارزة وكل ما تخرج من ثمر
كذاك تحرج من أعمالنا صور لها روائح من نتن ومن عطر
لولا الشريعة كان المسك يخجل من أعرافها هكذا يقضي به نظري
إذا كان مستند التكوين أجمعه له فلا فرق بين النفع والضرر
فالزم شريعته تنعم بها سورا تحلها صور تزهو على سرر
مثل الملوك تراها في أسرتها أو كالعرائس معشوقين للبصر

روينا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لأمرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعلم إن لمراعاة النيات رجالا على حال محصوص ونعت خلص أذكرهم إن شاء الله وأذكر أحوالهم والنية لجميع الحركات والسكنات في الكلفين للأعمال كالمطر لما تنتبه الأرض فالنية من حيث ذاقما واحدة وتختلف بالمتعلق وهو المنوي فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فإن حظ النية إنما هو القصد للفعل أوتركه وكون ذلك الفعل حسنا أو قبيحا وخيرا أو شرا ما هو من أثر النية إنما هو من أمر عارض عرض ميزة الشارع وعينه للمكلف فليس للنية أثر البتة من هذا الوجه خاصة كالماء إنما متزلته أن يترل أو يسيح في الأرض وكون الأرض الميتة تحيا به أوو ينهدم بيت العجوز الفقيرة بتروله ليس ذلك له فتخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والخبيثة من خبث مزاج البقعة أو طيبها أو من خبث البزرة أو طيبها قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ثم قال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فليس للنية في ذلك إلا الإمداد نكما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا يعني المثل المضروب ضل من ضل وبه اهتدى من اهتدى فهو من كونه مثلا لم تتغير حققيقته وإنما العيب وقع في عين الفهم كذلك النية أعطت حقيقتها وهو تعلقها بالمنوي وكون ذلك المنوي حسنا أو قبيحا ليس لها وإنما ذلك لصاحب الحكم فيه بالحسن والقبح وقال تعالى إنا هديناه السبيل أي بينا له طريق السعادة والشقاء ثم قال إما شاكرا وإما كفورا هذا راجع للمخاطب المكلف فإن نوى الخير أثمر خير وإن نوى الشر أثمر شرا فما أتى عليه الأمن المحل من طيبه أو خبثه يقول الله تعالى وعلى الله قصد السبيل أي هذا أوجبته على نفسي كان الله يقول الذي يلزم جانب الحق منكم أن يبين لكم السبيل الموصل إلى سعادتكم وقد فعلت فإنكم لا تعرفونه إلا بإعلامي لكم به وتبييني وسبب ذلك أنه سبق في العلم أن طريق السعادة وهو الإيمان بالله وبما جاء

منن عند الله مما ألزمنا فيه الإيمان به ولما كان العالم في حال جهل بما في علم الله من تعيين تلك الطريق تعين الأعلام به بصفة الكلام فلا بد من الرسول قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا نوجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه وقد أوجب التعريف على نفسه بقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل مثل قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله كتب ركم على نفسه الرحمة وعلى الحقيقة إنما وجب ذلك على النسبة لا على نفسه فإنه يتعالى أن يجب عليه من أجل حد الواجب الشرعي فكانه لما تعلق العلم الإلهي أزلا بتعين الطريق التي فيها سعادتنا و لم يكن للعلم بما هو علم صورة التبليغ وكان التبليغ من صفة الكلام تعين التبليغ على نسبة كونه متكلماً بتعريف الطريق التي فيها سعادة العباد التي عينها العلم فأبان الكلام الإلهي بترجمته عن العلم ما عينه من ذلك فكان الوجوب على النسبة فإنها نسب مختلفة وكذلك سائر النسب الإلهية من إرادة وقدرة وغير ذلك وقد بينا محاضرة الأسماء الإلهية ومحاورتها ومجاراتها في حلبة المناظرة على إيجاد هذا العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله في كتاب عنقا مغرب وبنا عليه محاضرة أزلية على نشأة أبدية وكذلك في كتاب إنشاء الجداول والدوائر لنا فقد علمت كيف تعلق الوجوب الإلهي على الحضرة الإلهية إن كنت فطناً لعلم النسب وعلى هذا يخرج قوله تعالى "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا" وكيف يحشر إليه من هو جليسه وفي قبضته سمع أبو يزيد البسطامي قارئاً يقرأ هذه الآية يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا فبكى حتى ضرب الدمع المنبر بل روي أنه طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وصاح وقال يا عجباً كيف يحشر إليه من هو جليسه فلما جاء زماننا سئلنا عن ذلك فقلت ليس العجب إلا من قول أبي يزيد فاعلموا إنما كان ذلك لأن المتقي جليس الجبار فيتقي سطوته والاسم الرحمن ما له سطوة من كونه الرحمن إنما الرحمن يعطي اللين واللطف والعفو والمغفرة فلذلك يحشر إليه من الإسم الجبار الذي يعطي السطوة والهيبة فإنه جليس المتقين في الدنيا من كونهم متقين وعلى هذا الأسلوب تأخذ

الأسماء الإلهية كلها وكذا تجدها حيث وردت في ألينة النبوّات إذا قصدت حقيقة الاسم وتميزه من غيره فإن له دلالتين دلالة على المسمى به ودلالة على حقيقته التي بها يتميز عن اسم آخر فافهم واعلم أن هؤلاء الرجال إنما كان سبب اشتغالهم بمعرفة النية كونهم نظروا إلى الكلمة وفيها فعلموا أنها ما ألفت حروفها وجمعت إلا لظهور نشأة قائمة تدل على المعنى الذي جمعت له في الاصطلاح فإذا تلفظ بها المتكلم فإن السامع يكون همه في فهم المعنى الذي جاءت له فإن بذلك تقع الفائدة ولهذا وجدت في ذلك اللسان على هذا الوضعالخاص ولهذا لا يقول هؤلاء الرجال بالسماع المقيد بالنغمات لعلوّ همتهم ويقولون بالسماع المطلق فإن السماع المطلق لا يؤثر فيهم إلا فهم المعاني وهو السماع الروحانيّ الإلهي وهو سماع الأكابر والسماع المقيد إنما يؤثر في أصحابه النغم وهو السماع الطبيعي فإذا ادّعى من ادّعى أنه يسمع في السماع المقيد بالألحان المعني ويقول لولا المعنى ما تحرّكت ويدعي أنه قد خرج عن حكم الطبيعة في ذلك يعني في السبب المحرك فهو غير صادق وقد رأينا من ادّعى ذلك من المتشيخين المتطفلين على الطريقة فصاحب هذه الدعوى إذا لم يكن صادقاً يكون سريع الفضيحة وذلك إن هذا المدعي إذا حضر مجلس السماع فاجعل بالك منه فإذا أخذ القوّال في القول بتلك النغمات المحركة بالطبع للمزاج القابل أيضاً وسرت الأحوال في النفوس الحيوانية فحركت الهياكل حركة دورية لحكم استدارة الفلك وهو أعني الدور مما يدلك على أن السماع طبيعي لأن اللطيفة الإنسانية ما هي عن الفلك وإنما هي عن الروح المنفوخ منه وهي غير متحيزة فهي فوق الفلك فما لها في الجسم تحريك دوريّ ولا غير دوريّ وإنما ذلك للروح الحيوانيّ الذي هو تحت الطبيعة والفلك فلا تكن جاهلاً بنشأتك ولا بمن يحركك فإذا تحرك هذا المدعي وأخذه الحال ودار أو قفز إلى جهة فوق من غير دور وقد غاب عن إحساسه بنفسه وبالمجلس الذي هو فيه فإذا فرغ من حاله ورجع إلى إحساسه فاسأله ما الذي حركه فيقول

إن القوال قال كذا وكذا ففهمت منه معنى كذا وكذا فذلك المعنى حركني فقل له ما حركك سوى حسن النغمة والفهم إنما وقع لك في حكم التبعية فالطبع حكم على حيوانيتك فلا فرق بينك وبين الجمل في تأثير النغمة فيك فيعز عليه مثل هذا الكلام ويثقل ويقول لك ما عرفتني وما عرفت ما حركني فاسكت عنه ساعة فإن صاحب هذه الدعوى واتل عليه آية من كتاب الله تتضمن ذلك المعنى الذي كان حركه من صوت المغني وحققه عنده حتى يتحققه فيأخذ من المعرفة بالله فما أشد فضيحته في دعواه فقل له يا أخي هذا المعنى بعينه هو الذي ذكرت لي أنه حركك في السماع البارحة لما جاء به القوّال في شعره بنغمته الطيبة فلأيّ معنى سرى فيك الحال البارحة وهذا المعنى موجود فيما قد صغته لك وسقته بكلام الحق تعالى الذي هو أعلى وأصدق وما رأيتك تهتز مع الاستحسان وحصول الفهم وكنت البارحة يتخبطك الشيطان من المس كما قال الله تعالى وحجبك عن عين الفهم السماع الطبيعي فما حصل لك في سماعك إلا الجهل بك فمن لا يفرق بين فهمه وحركته كيف يرجى فلاحه فالسماع من عين الفهم هو السماع الإلهي وإذا ورد على صاحبه وكان قوياً لما يرد به من الإجمال فغاية فعله في الجسم أن يضجعه لا غير ويغيبه عن إحساسه ولا يصدر منه حركة أصلاً بوجه من الوجوه سواء كان من الرجال الأكابر أو الصغار هذا حكم الوارد الإلهيّ القويّ وهو الفارق بينه وبين حكم الوارد الطبيعيّ فإنّ الوادر الطبيعيّ كما قلنا يحركه الحركة الدورية والهيمان والتخبط فعل المجنون وإنما يضجعه الوارد الإلهيّ لسبب أذكره لك وذلك أن نشأة الإنسان مخلوقة من تراب قال تعالى "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم" وإن كان فيه من جميع العناصر ولكن العنصر الأعظم التراب قال عز وجل فيه أيضاً "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب والإنسان في قعوده وقيامه بعد عن أصله الأعظم الذي منه نشأ من أكثر جهاته فإنّ قعوده وقيامه وركوعه فروع فإذا جاءه الوارد الإلهي وللوارد الإلهي صفة القيومية وهي في الإنسان من حيث جسميته بحكم العرض وروحه المدبر هو الذي كان يقيمه ويقعده فإذا اشتغل الروح الإنساني المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الإلهي من العلوم الإلهية لم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض المعبر عنه بالاضطجاع ولو كان على سرير فإنّ السرير هو المانع له من وصوله إلى التراب فإذا فرغ روحه من ذلك التلقي وصدر الوارد إلى ربه رجع الروح إلى تدبير جسده فأقامه من ضجعته هذا سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم وما سمع قط عن نبيّ أنه تخبط عند نزول الوحي هذا مع وجود الواسطة في الوحي وهو الملك فكيف إذا كان الوارد برفع الوسائط لا يصح أن يكون منه قط غيبة عن إحساسه ولا يتغير عن حاله الذي هو عليه فإن الوارد الإلهي برفع الوسائط الروحانية يسري في كلية الإنسان ويأخذ كل عضو بل كل جوهر فرد فيه حظه من ذلك الوارد الإلهي من لطيف وكثيف ولا يشعر بذلك جليسه ولا يتغير عليه من حاله الذي هو عليه من جليسه شيء إن كان يأكل بقي على أكله في حاله أو شربه أو حديثه الذي هو في حديثه فإن ذلك الوارد يعم وهو قوله تعالى "وهو معكم أينما كنتم فمن كانت أينيته في ذلك الوقت حالة الأكل أو الشرب أو الحديث أو اللعب أو ما كان بقي على حاله فلما رأت هذه الطائفة الجليلة هذا الفرق بين الواردات الطبيعية والروحانية والإلهية ورأت أن الالتباس قد طرأ على من يزعم أنه في نفسه من رجال الله تعالى أنفوا أن يتصفوا بالجهل والتخليط فإنه محل الوجود الطبيعي فارتقت همتهم إلى الاشتغال بالنيات إذ كان الله قد قال لهم "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له" والإخلاص النية ولهذا قيدها بقوله له و لم يقل مخلصين وهو من الاستخلاص فإن الإنسان قد يخلص نيته للشيطان ويسمى مخلصاً فلا يكون في عمله لله شيء وقد يخلص للشركة وقد يخلص لله فلهذا قال تعالى "مخلصين له الدين" لا لغيره ولا لحكم الشركة فشغلوا نفوسهم بالأصل في قبول الأعمال ونيل السعادات وموافقة الطلب الإلهي منهم فيما كلفهم به من الأعمال الخالصة

له وهو المعبر عنه بالنية فنسبوا إليها لغلبة شغلهم بها وتحققوا أن الأعمال ليست مطلوبة لأنفسها وإنما هي من حيث ما قصد بها وهو النية في العمل كالمعنى في الكلمة فإنّ الكلمة ما هي مطلوبة لنفسها وإنما هي لما تضمنته فانظر يا أخي ما أدق نظر هؤلاء الرجال وهذا هو المعبر عنه في الطريق بمحاسبة النفس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ولقيت من هؤلاء الرجال اثنين أبو عبد الله بن المجاهد وأبو عبد الله بن قسوم بإشبيلية كان هذا مقامهم وكانوا من أقطاب الرجال النياتين ولما شرعنا في هذا المقام تأسياً بهما وبأصحابهما وامتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب امتثاله في أمره حاسبوا أنفسكم وكان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر فإذا كان بعد صلاة العشاء وخلوا في بيوتهم حاسبوا أنفسهم وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم في يومهم من قول وعمل وقابلوا كل عمل بما يستحقه إن استحق استغفار استغفروا وإن استحق توبة تابوا وإن استحق شكراً شكروا إلى أن يفرغ ما كان منهم في ذلك اليوم وبعد ذلك ينامون فزدنا عليهم في هذا الباب بتقييد الخواطر فكنا نقيد ما تحدثنا به نفوسنا وما تهم به زائداً على كلامنا وأفعالنا وكنت أحاسب نفسي مثلهم في ذلك الوقت وأحضر الدفتر وأطالبها بجميع ما خطر لها وما حدثت به نفسها وما ظهر للحس من ذلك من قول وعمل وما نوته في ذلك الخاطر والحديث فقلت الخواطر والفضول إلا فيما يعني فهذا فائدة هذا الباب وفائدة الاشتغال بالنية وما في الطريق ما يغفل عنه أكثر من هذا الباب فإن ذلك راجع إلى مراعاة الأنفاس وهي عزيزة وبعد أن عرفتك بأصول هذه الطائفة وما هو سبب شغلهم بذلك وأنه لهم أمر شرعي وما لهم في ذلك من الأسرار والعلوم فاعلم أيضاً مقامهم في ذلك وما لهم فهذه الطائفة على قلب يونس عليه السلام فإنه لما ذهب مغاضباً وظن أن الله لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمة الله فيه وما نظر ذلك الاتساع الإلهيّ الرحماني في حق غيره فتناله أمته واقتصر به على نفسه والغضب ظلمة القلب فأثرت لعلوّ منصبه في ظاهره فاسكن في ظلمة بطن الحوت ما شاء الله لينبهه الله على حالته حين كان جنيناً في بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان في ذلك الموطن يتصور منه أن يغاضب أو يغاضب بل كان في كنف الله لا يعرف سوى ربه فردّه إلى هذه الحالة في بطن الحوت تعليماً له بالفعل لا بالقول فنادى في الظمات أن لا إله إلا أنت عذراً عن أمّته في هذا التوحيد أي تفعل ما تريد وتبسط رحمتك على من تشاء سبحانك إني كنت من الظالمين مشتق من الظلمة أي ظلمتي عادت عليّ ما أنت ظلمتني بل ما كان في باطني سري إلى ظاهري وانتقل النور إلى باطني فاستنار فأزال ظلمة المغاضبة وانتشر فيه نور التوحيد وانبسطت الرحمة فسرى ذلك النور في ظاهره مثل ما سرت ظلمة الغضب فاستجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولوداً على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من ولد آدم ولادتين سوى يونس عليه السلام فخرج ضعيفاً كالطفل كما قال وهو سقيم ورباه باليقطين فإن ورقه ناعم ولا يترل عليه ذباب فإن الطفل لضعفه لا يستطيع أن يزيل الذباب عن نفسه فغطاه بشجرة خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعمة ورقها فإن ورق اليقطين مثل القطن في النعمة بخلاف سائر ورق الأشجار كلها فإن فيها خشونة وأنشأه الله عز وجل نشأة أخرى ولما رأت هذه الطائفة أن يونس عليه السلام ما أتى عليه إلا من باطنه من الصفة التي قامت به ومن قصده شغلوا نفوسهم بتمحيص النيات والقصد في حركاتهم كلها حتى لا ينوون إلا ما أمرهم الله به أن ينووه ويقصدوه وهذا غاية ما يقدر عليه رجال الله وهذه الطائفة في الرجال قليلون فإنه مقام ضيق جداً يحتاج صاحبه إلى حضور دائم وأكبر من كان فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه في حرب اليمامة فما هو إلا أن رأيت أن الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق لمعرفة عمر باشتغال أبي بكر بباطنه فإذا صدرت منه حركة في ظاهره فما تصدر إلا من إل وهو عزيز ولهذا كان من يفهم المقامات

من المتقدمين من أهل الكتاب إذا سمعوا أو يقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا يقولون هذا كلام ما خرج إلا من إل أي هو كلام إلهيّ ما هو كلام مخلوق فانظر ما أحسن العلم وفي أيّ مقام ثبتت هذه الطائفة وبأي قائمة استمسكت جعلنا الله منهم فجل أعمالهم في الباطن مساكن السائحين منهم الغيران والكهوف وفي الأمصار ما بناه غيرهم من عباد الله تعالى لا يضعون لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن انتقل إلى ربه ما بنى قط مسكناً لنفسه وسبب ذلك أنهم رأوا الدنيا جسراً منصوباً من خشب على نهر عظيم وهم عابرون فيه راحلون عنه فهل رأيتم أحداً بنى مترلاً على جسر خشب لا والله ولا سيما وقد عرف أن الأمطار تترل وأن النهر يعظم بالسيول التي تأتي وأن الجسور تنقطع فكل من بنى على جسر فإنما يعرّض به للتلف فلو أن عمار الدنيا يكشف الله عن بصيرتهم حتى يروها جسر أو يروا النهر الذي ينبت عليه أنه خطر قوي ما بنو الذي بنوا عليه من القصور المشيدة فلم يكن لهم عيون يبصرون بها إن الدنيا قنطرة خشب على نهر عظيم خرّار ولا كان لهم سمع يسمعون به قول الرسول العالم بما أوحى الله إليه به أن الدنيا قنطرة فلا بالإيمان عملوا ولا على الرؤية والكشف حصلوا فهم كما قال الله فيهم "وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا" ثم تاب الله عليهم في حال سماعهم من الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم إن الدنيا قنطرة وأشباه ذلك فلا تشغلوا نفوسكم بعمارتها وانهضوا فما فرغ من قوله صلى الله عليه وسلم حتى رجع كثير منهم إلى عماهم وصممهم مع كونهم مسلمين مؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه بقوله "ثم عموا وصموا كثير منهم" بعد التوبة يقول ما نفع القول فيهم يا وليّ لو فرضنا أن الدنيا باقية ألسنا نبصر رحلتنا عنها جيلاً بعد جيل فمن أحوال هذه الطائفة مراعاتهم لقلوبهم وأسرارهم متعلقة بالله من حيث معرفة نفوسهم ولا اجتماع لهم بالنهار مع الغافلين بل حركتهم ليلية ونظرهم في الغيب الغالب عليهم مقام الحزن فإن الحزن إذا فقد من القلب خرب فالعارف يأكل الحلوى والعسل والمحقق الكبير يأكل الحنظل فهو كثير التنغيص لا يلتذ بنعمة أبداً مادام في هذه الدار لشغله بما كلفه الله من الشكر عليها لقيت منهم بدنيسر عمر الفرقوي وبمدينة فاس عبد الله السماد والعارفون بالنظر إلى هؤلاء كالأطفال الذين لا عقول لهم يفرحون ويلتذون بخشخاشة فما ظنك بالمريدين فما ظنك بالعامة لهم القدم الراسخة في التوحيد ولهم المشافهة في الفهوانية يقدمون النفي على الإثبات لأن التتريه شأنهم كلفظة لا إله إلا الله وهي أفضل كلمة جاءت بها الرسل والأنبياء توحيدهم كوني عقلي ليسوا من اللهو في شيء لهم الحضور التام على الدوام وفي جميع الأفعال اختصوا بعلم الحياة والأحياء لهم اليد البيضاء فيعلمون من الحيوان ما لا يعلمه سواهم ولا سيما من كل حيوان يمشي على بطنه لقربه من أصله الذي عنه تكوّن فإن كل حيوان يبعد عن أصله ينقص من معرفته بأصله على قدر ما بعد منه ألا ترى المريض الذي لا يقدر على القيام والقعود ويبقى طريحاً لضعفه وهو رجوعه إلى أصله تراه فقيراً إلى ربه مسكيناً ظاهر الضعف والحاجة بلسان الحال والمقال وذلك إن أصله حكم عليه لما قرب منه يقول الله خلقكم من ضعف وقال خلق الإنسان ضعيفاً إذا استوى قائماً وبعد عن أصله تفر عن وتجبر وادّعى القوّة وقال أنا فالرجل من كان مع الله في حال قيامه وصحته كحاله في اضطجاعه من المرض والضعف وهو عزيز لهم البحث الشديد في النظر في أفعالهم وأفعال غيرهم معهم من أجل النيات التي بها يتوجهون وإليها ينسبون لشدة بحثهم عنها حتى تخلص لهم الأعمال ويخلصوها من غيرهم ولهذا قيل فيهم النياتيون كما قيل الملامية والصوفية لأحوال خاصة هم عليها فلهم معرفة الهاجس والهمة والعزم والإرادة والقصد وهذه كلها أحوال مقدمة للنية والنية هي التي تكون منه عند مباشرة أفعاله وهي المعتبرة في الشرع الإلهيّ ففيها يبحثون وهي متعلق الإخلاص وكان عالمنا الإمام سهل بن عبد

الله يدقق في هذا الشأن وهو الذي نبه على نقر الخاطر ويقول إن النية هو ذلك الهاجس وأنه السبب الأول في حدوث الهم والعزم والإرادة والقصد فكان يعتمد عليه وهو الصحيح عندنا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والثلاثون في معرفة شخص تحقق في منزل الأنفاس

فعاين منها أموراً أذكرها إن شاء الله

إن المحقق بالأنفاس رحمان فالعرش في حقه إن كان إنسان

وإن توجه نحو العين يطلبها له العماء وإحسان فإحسان

مقامه باطن الأعراف يسكنه يزوره فيه أنصار وأعوان

له من الليل إن حققت آخره كماله من وجود العين إنسان

إن لاح ظاهره تقول قرآن أو لاح باطنه تقول فرقان

قد جمع الله فيه كل منقبة فهو الكمال الذي ما فيه نقصان

اعلم أيدك الله بروح القدس أنّ المعلومات مختلفة لأنفسها وأن الإدراكات التي تدرك بها المعلومات مختلفة أيضاً لأنفسها كالمعلومات ولكن من حيث أنفسها وذواتها لا من حيث كونها إدراكات وإن كانت مسئلة خلاف عند أرباب النظر وقد جعل الله لكل حقيقة مما يجوز أن يعلم إدراكاً خاصاً عادة لا حقيقة أعني محلها وجعل المدرك بهذه الإدراكات لهذه المدركات عيناً واحدة وهي ستة أشياء سمع وبصر وشم ولمس وطعم وعقل وإدراك جميعها للأشياء ما عدا العقل ضروري ولكن الأشياء التي ارتبطت بها عادة لا تخطىء أبداً وقد غلط في هذا جماعة من العقلاء ونسبوا الغلط للحس وليس كذلك وإنما الغلط للحاكم وأمّا إدراك العقل المعقولات فهو على قسمين منه ضروري مثل سائر الإدراكات ومنه ما ليس بضروري بل يفتقر في علمه إلى أدوات ست منها الحواس الخمس التي ذكرناها ومنها القوة المفكرة ولا يخلو معلوم يصح أن يعلمه مخلوق أن يكون مدركاً بأحد هذه الإدراكات وإنما قلنا إن جماعة غلطت في إدراك الحواس فنسبت إليها الأغاليط وذلك أنهم رأوا إذا كانوا في سفينة تجري بهم مع الساحل رأوا الساحل يجري بجري السفينة فقد أعطاهم البصر ما ليس بحقيقة ولا معلوم أصلاً فإنهم عالمون علماً ضرورياً أن الساحل لم يتحرك من مكانه ولا يقدرون على إنكار ما شاهدوه من التحرك وكذلك إذا طعموا سكراً أو عسلاً فوجدوه مراً وهو حلو فعلموا ضرورة أن حاسة الطعم غلطت عندهم ونقلت ما ليس بصحيح والأمر عندنا ليس كذلك ولكن القصور والغلط وقع من الحاكم الذي هو العقل لا من الحواس فإن الحواس إدراكها لما تعطيه حقيقتها ضروري كما أن العقل فيما يدركه بالضرورة لا يخطىء وفيما يدركه بالحواس أو بالفكر قد يغلط فما غلط حس قط ولا ما هو إدراكه ضروري فلا شك إن الحس رأى تحركاً بلا شك ووجد طعماً مرّاً بلا شك فأدرك البصر التحرك بذاته وأدرك الطعم قوة المرارة بذاته وجاء عقل فحكم إن الساحل متحرك وأن السكر مرّ وجاء عقل آخر وقال إن الخط الصفراوي قام بمحل الطعم فأدرك المرارة وحال ذلك الخلط بين قوّة الطعم وبين السكر فإذن فما ذاق الطعم إلا مرارة الصفراء فقد أجمع العقلان من الشخصين على أنه أدرك المرارة بلا شك واختلف العقلان فيما هو المدرك للطعم فبان أن العقل

غلط لا الحس فلا ينسب الغلط أبداً في الحقيقة إلا للحاكم لا للشاهد وعندي في هذه المسئلة أمر آخر يخالف ما ادّعوه وهو أن الحلاوة التي في الحلو وغير ذلك من المطعومات ليس هو في المطعوم لأمر إذا بحثت عليه وجدت صحة ما ذهبنا إليه وكذا الحكم في سائر الإدراكات ولو كان في العادة فوق العقل مدرك آخر يحكم على العقل ويأخذ عنه كما يحكم العقل على الحس لغلط أيضاً ذلك المدرك الحاكم فيما هو للعقل ضروري وكان يقول إن العقل غلط فيما هو له ضروري فإذا تفرد هذا وعرفت كيف رتب الله المدركات والإدراكات وإن ذلك الارتباط أمر عادي فاعلم أن لله عباداً آخرين خرق لهم العادة في إدراكهم العلوم فمنهم من جعل له إدراك ما يدرك بجميع القوى من المعقولات والمحسوسات بقوّة البصر خاصة وآخر بقوة السمع وهكذا بجميع القوى ثم بأمور عرضية خلاف القوى من ضرب وحركة وسكون وغير ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأوّلين والآخرين فدخل في هذا العلم كل معلوم معقول ومحسوس مما يدركه المخلوق فهذا علم حاصل لا عن قوّة من القوى الحسية والمعنوية فلهذا قلنا إن ثم سبباً آخر خلاف هذه القوى تدرك به المعلومات وإنما قلنا قد تدرك العلوم بغير قواها المعتادة فحكمنا على هذه الإدراكات لمدركاتها المعتادة بالعادة من أجل المتفرّس فينظر صاحب افراسة في الشخص فيعلم ما يكون منه أو ما خطر له في باطنه أو ما فعل وكذلك الزاجر وأشباهه وإنما جئنا بهذا كله تأنيساً لما نريد أن ننسبه إلى أهل الله من الأنبياء والأولياء فيما يدركونه من العلوم على غير الطرق المعتادة فإذا أدركوها نسبوا إلى تلك الصفة التي أدركوا بها المعلومات فيقولون فلان صاحب نظر أي بالنظر يدرك جميع المعلومات وهذا ذقته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفلان صاحب طعم وصاحب نفس وأنفاس يعني الشمّ وصاحب لمس وفلان صاحب معنى وهذا خارج عن هؤلاء بل هو كما يقال في العامة صاحب فكر صحيح فمن الناس من أعطى النظر

إلى آخر القوى على قدر ما أعطى وهو له عادة إذا استمر ذلك عليه لأنه مشتق من العود أي يعود ذلك عليه في كل نظرة أو في كل شمّ ما ثم غير ذلك وكذلك أيضاً لتعلم أن الأسماء الإلهية مثل هذا وأن كل اسم يعطى حقيقة خاصة ففي قوّته أن يعطي كل واحد من الأسماء الإلهية ما تعطيه جميع الأسماء قال تعالى "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" وكذلك لو ذكر كل اسم لقال فيه أنّ له الأسماء الحسنى وذلك لا حدية المسمى فاعلم ذلك فمن الناس من يختص به الاسم الله فتكون معارفه إلهية ومنهم من يختص به الاسم الرحمن فتكون معارفه رحمانية كما كانت في القوى الكونية يقال فيها معارف هذا الشخص نظرية وفي حق آخر سمعية فهو من عالم النظر وعالم السمع وعالم الأنفاس هكذا تنسب معارفه في الإلهيات إلى الاسم الإلهيّ الذي فتح له فيه فتندرج فيه حقائق الأسماء كلها فإذا علمت هذا أيضاً فاعلم أن الذي يختص بهذا الباب من الأسماء الإلهية لهذا الشخص المعين الاسم الرحمن والذي يختص به من القوى فينسب إليها قوّة الشم ومتعلقها الروائح وهي الأنفاس فهو من عالم الأنفاس في نسبة القوى ومن الرحمانيين في مراتب الأسماء فنقول إنّ هذا الشخص المعين في هذا الباب سواء كان زيداً أو عمراً معرفته رحمانية فكل أمر ينسب إلى الاسم الرحمن في كتاب أو سنة فإنه ينسب إلى هذا الشخص فإنّ هذا الاسم هو الممدّ له وليس لاسم إلهيّ عليه حكم إلا بوساطة هذا الاسم على أيّ وجه كان ولهذا نقول إن الله سبحانه قد أبطن في مواضع رحمته في عذابه ونقمته كالمريض الذي جعل في عذابه بالمرض رحمته به فيما يكفر عنه من الذنوب فهذه رحمة في نقمة وكذلك من انتقم منه في إقامة الحدّ من قتل أو ضرب فهو عذاب حاضر فيه رحمة باطنة بها ارتفعت عنه المطالبة في الدار الآخرة كما أنه في نعمته في الدنيا من الاسم المنعم أبطن نقمته فهو ينعم الآن بما به يتعذب لبطون العذاب فيه في الدار الآخرة أو في زمان التوبة فإنّ الإنسان إذا تاب ونظر وفكر فيما تلذذ

به من المحرّمات تعود تلك الصور المستحضرة عليه عذاباً وكان قبل التوبة حين يستحضرها في ذهنه يلتذ بها غاية اللذة فسبحان من أبطن رحمته في عذابه وعذابه في رحمته ونعمته في نقمته ونقمته في نعمته فالمبطون أبداً هو روح العين الظاهرة أيّ شيء كان فهذا الشخص لما كانت معرفته رحمانية وكان الاسم الرحمن استوى على العرش فقال تعالى "الرحمن على العرش استوى" كانت همة هذا الشخص عرشية فكما كان العرش للرحمن كانت الهمة لهذه المعرفة محلاً لاستوائها فقيل همته عرشية ومقام هذا الشخص باطن الأعراف وهو السور الذي بين أهل السعادة والشقاوة للأعراف رجال سيذكرون وهم الذين لم تقيدهم صفة كأبي يزيد وغيره وإنما كان مقامه باطن الأعراف لأن معرفته رحمانية وهمته عرشية فإن العرش مستوى الرحمن كذلك باطن الأعراف فيه الرحمة كما أن ظاهره فيه العذاب فهذا الشخص له رحمة بالموجودات كلها بالعصاة والكفار وغيرهم قال تعالى لسيد هذا المقام وهو محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا على رعل وذكوان وعصية بالعذاب والانتقام فقال عليك بفلان وفلان وذكر ما كان منهم قال الله له إن الله ما بعثك سباباً ولا لعاناً ولكن بعثك رحمة فنهى عن الدعاء عليهم وسبهم وما يكرهون وأنزل الله عز وجل عليه "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" فعمّ العالم أي لترحمهم وتدعوني لهم لا عليهم فيكون عوض قوله لعنهم الله تاب الله عليهم وهداهم كما قال حين جرحوه اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون يريد من كذبه من غير أهل الكتاب والمقلدة من أهل الكتاب لا غيرهم فلهذا قلنا في حق هذا الشخص صاحب هذا المقام إنه رحيم بالعصاة والكفار فإذا كان حاكماً هذا الشخص وأقام الحدّ أو كان ممن تتعين عليه شهادة في إقامة حدّ فشهد به أو أقامه فلا يقيمه إلا من باب الرحمة ومن الاسم الرحمن في حق المحدود والمشهود عليه لا من باب الانتقام وطلب التشفي لا يقتضيه مقام هذا الاسم فلا يعطيه حاله هذا الشخص قال تعالى في قصة إبراهيم "إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن" ومن كان هذا مقامه ومعرفته وهذا الاسم الرحمن ينظر إليه فيعاين من الأسرار ذوقاً ما بين نسبة الاستواء إلى العرش وما بين نسبة الأين إلى العماء هل هما على حدّ واحد أو يختلف ويعلم ما للحق من نعوت الجلال

واللطف معاً بين العماء والاستواء إذ قد كان في العماء ولا عرش فيوصف بالاستواء عليه ثم خلق العرش واستوى عليه بالاسم الرحمن وللعرش حدّ يتميز به من العماء الذي هو الاسم الرب وللعماء حدّ يتميز به عن العرش ولابدّ من انتقال من صفة إلى صفة فما كان نعته تعالى بين العماء والعرش أو بأيّ نسبة ظهر بينهما إذ قد تميز كل واحد منهما عن صاحبه بحدّه وحقيقته كما يتميز العماء الذي فوقه الهواء وتحته الهواء وهو السحاب الرقيق الذي يحمله الهواء الذي تحته وفوقه عن العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء فهو عماء غير محمول فيعلم السامع أن العماء الذي جعل للرب أينية أنه عماء غير محمول ثم جاء قوله تعالى "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام" فهل هذا الغمام هو راجع إلى ذلك العماء فيكون العماء حاملاً للعرش ويكون العرش مستوى الرحمن فتجمع القيامة بين العماء والعرش أو هو هذا المقام المقصود الذي فوقه هواء وتحته هواء فصاحب هذا المقام يعطي علم ذلك كله ثم إنّ صاحب هذا المقام يعطي أيضاً من العلوم الإلهية من هذا النوع بالاسم الرحمن نزول الرب إلى سماء الدنيا من العرش يكون هذا النزول أو من العماء فإن العماء إنما ورد حين وقع السؤال عن الاسم الرب فقيل له أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه فقال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فاسم كان المضمر هو ربنا وقال ينزل ربنا إلى السماء فيدلك هذا على أن نزوله إلى السماء الدنيا من ذلك العماء كما كان استواؤه على العرش من ذلك العماء فنسبته إلى السماء الدنيا كنسبته إلى العرش لا فرق فما فارق العرش في نزوله إلى السماء الدنيا ولا فارق العماء في نزوله إلى العرش ولا إلى السماء الدنيا ولما أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ الله يقول في هذا النزول إلى السماء الدنيا هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه هل من داع

فأجيبه فهذا كله من باب رحمته ولطفه وهذا حقيقة الاسم الرحمن الذي استوى على العرش فنزلت هذه الصفة مع الاسم الرب إلى السماء الدنيا فهو ما أعلمناك به إن كل اسم إلهيّ يتضمن حكم جميع الأسماء الإلهية من حيث أن المسمى واحد فيعلم صاحب هذا المقام من هذا النزول الرباني السماوي ما يختص بالاسم الرحمن منه الذي قال به هل من تائب هل من مستغفر فإن الرحمن يطلب هذا القول بلا شك فهذا حظ ما يعلم صاحب هذا المقام من هذا النزول بلا واسطة ويعلم نزول الرب من العماء إلى السماء بوساطة الاسم الرحمن لأنه ليس للاسم الرب على صاحب هذا المقام سلطان فإنه كما قلنا الاسم الرحمن فلا يعلم من الاسم الرب ولا غيره أمراً إلا بالاسم الرحمن فيعلم عند ذلك بإعلام الرحمن إياه ما أراد الحق بنزوله من العماء إلى السماء على هذا الوجه هي معرفته ثم مما يختص بعلمه صاحب هذا المقام بوساطة الاسم الرحمن علم قول الله "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن" فأتى بياء الإضافة في السعة والعبودية فلم يأخذ من الله الأقدر ما تعطيه الياء خاصة ويتضمن هذا علمين علماً بما فيه من العناية بعبده المؤمن فيأخذه من الاسم الرحمن بذاته وعلماً بما فيه من سرّ الإضافة بحرف الياء فيأخذه من الله بترجمة الاسم الرحمن فيعلم أن للسعة هنا المراد بها الصورة التي خلق الإنسان عليها كأنه يقول ما ظهرت أسمائي كلها إلا في النشأة الإنسانية قال تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها" أي الأسماء الإلهية التي وجدت عنها الأكوان كلها و لم تعطها الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم إنّ الله خلق آدم على صورته وإن كان الضمير عندنا متوجهاً أن يعود على آدم فيكون فيه ردّ على بعض النظار من أهل الأفكار ويتوجه أن يعود على الله لتخلقه بجميع الأسماء الإلهية فعلمت أن هذه السعة إنما قبلها العبد المؤمن لكونه على الصورة كما قبلت المرآة صورة الرائي دون غيرها مما لا صقالة فيه ولا صفاء و لم يكن هذا للسماء لكونها شفافة ولا للأرض لكونها غير مصقولة فدل على أن خلق الإنسان وإن كان عن حركات فلكية هي أبوه وعن عناصر قابلة وهي أمّه فإن له من جانب الحق أمراً ما هو في آبائه ولا في أمّهاته من ذلك الأمر وسع جلال الله تعالى إذ لو كان ذلك من قبل أبيه الذي هو السماء أو أمّه التي هي الأرض أو منهما لكان السماء والأرض أولى بأن يسعا الحق ممن تولد عنهما

ولاسيما والله تعالى يقول "لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون يريد في المعنى لا في الجرمية ومع هذا فاختص الإنسان بأمر أعطاه هذه السعة التي ضاق عنها السماء والأرض فلم تكن له هذه السعة إلا من حيث أمر آخر من الله فضل به على السماء والأرض فكل واحد من العالم فاضل مفضول فقد فضل كل واحد من العالم من فضله لحكمة الافتقار والنقص الذي هو عليه كل ما سوى الله فإنّ الإنسان إذا زها بهذه السعة وافتخر على الأرض والسماء جاءه قوله تعالى "لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس" وإذا زهت السماء والأرض بهذه الآية على الإنسان جاء قوله "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي" فأزال عنه هذا العلم ذلك الزهو والفخر وعنهما وافتقر الكل إلى ربه وانحجب عن زهوه ونفسه وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يدل على أن بعض الناس يعلم ذلك وعلم هذا من علمه منا من الاسم الرحمن الذي هو له وبه تحقق فسل به خبيراً فرحمه عندما زها بعلم ما فضل به على السماء والأرض وعلم من ذلك أنه ما حصل له من الاسم الرحمن إلا قدر ما كشف له مما فيه دواؤه فإن ذلك الأمر الذي به فضل السماء والأرض هذا العبد هو أيضاً من الاسم الرحمن ما جاد به على هذا العبد ولا تقول إنّ هذا طعن في كونه نسخة من العالم بل هو على الحقيقة نسخة جامعة باعتبار أنّ فيه شيأ من السماء بوجه مّا ومن الأرض بوجه مّا ومن كل شيء بوجه مّا لا من جميع الوجوه فإن الإنسان على الحقيقة من جملة المخلوقات لا يقال فيه أنه سماء ولا أرض ولا عرش ولكن يقال فيه أنه يشبه السماء من وجه كذا والأرض من وجه كذا والعرش من وجه كذا وعنصر النار من وجه كذا

وركن الهواء من وجه كذا والماء والأرض وكل شيء في العالم فهذا الاعبار يكون نسخة وله اسم الإنسان كما للسماء اسم السماء ومن علوم صاحب هذا المقام نزول القرآن فرقاناً لا قرآنا فإذا علمه قرآناً فليس من الاسم الرحمن وإنما الاسم الرحمن ترجم له عن اسم آخر إلهيّ يتضمنه الاسم الرحمن وأنه نزل في ليلة مباركة وهي ليلة القدر فعرف بتزوله مقادير الأشياء وأوزاهما وعرف بقدره منها كما نزل الرب تعالى في الثلث الباقي من الليل فالليل محل التزول الزمانيّ للحق وصفته التي هي القرآن وكان الثلث الباقي من الليل في نزول الرب غيب محمد صلى الله عليه وسلم وغيب هذا النوع الإنسانيّ فإن الغيب ستر والليل ستر وسمى هذا الباقي من الليل الثلث لأن هذه النشأة الإنسانية لها البقاء دائماً في دار اخلود فإنّ الثلثين الأوّلين ذهبا بوجود الثلث الباقي أو الآخر من الليل فيه نزل الحق فأوجب له البقاء أيضاً وهو ليل لا يعقبه صباح أبداً فلا يذهب لكن ينتقل من حال إلى حال ومن دار إلى دار كما ينتقل الليل من مكان إلى مكان أمام الشمس وإنما يقرّ أمامها لئلاى تذهب عينه إذ كان النور ينافي الظلمة وتنافيه غير أن سلطان النور أقوى فالنور ينفر الظلمة والظلمة لا تنفر النور وإنما هو النور ينتقل فتظهر الظلمة في الموضع الذي لا عين للنور فيه ألا ترى الحق تسمى بالنور و لم يتسم بالظلمة إذ كان النور وجودا والظلمة عدماً وإذا وإذ كان النور لا تغالبه الظلمة بل النور الغالب كذلك الحق لا يغالبه الخلق بل الحق الغالب فسمى نفسه نورا فتذهب السماء وهو الثلث الأوّل من الليل وتذهب الأرض وهو الثلث الثاني من الليل ويبقى الإنسان في الدار الآخرة أبد الآبدين إلى غير نهاية وهو الثلث الباقي من الليل وهو الولد عن هذين الأبوين السماء والأرض فتزل القرآن في الليلة المباركة في الثلث الآخر منها وهو الإنسان الكامل ففرق فيه كل أمر حكيم فتميز عن أبويه بالبقاء نزل به الروح الأمين على قلبك هو محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الشارع كيف قال في ولد الزنى أنه شرّ الثلاثة وكذلك ولد الحلال خير الثلاثة من هذا الوجه خاصة فإن الماء الذي خلق منه الولد من الرجل والمرأة أراد الخروج وهو الماء الذي تكوّن منه الولد وهو الأمر الثالث فحرّك لما أراد الخروج الأبوين للنكاح ليخرج وكان تحريكه لهما على غير وجه مرضيّ شرعاُ يسمى سفاحاً فقيل فيه أنه شرّ الثلاثة أي هو سبب الحركة التي بها انطلق عليهم اسم الشر فجعله ثلاثة أثلاث الأبوان ثلثان والولد ثالث كذلك قسم الليل على ثلاثة أثلاث ثلثان ذاهبان وهما السماء والأرض وثلث

باق هو الإنسان وفيه ظهرت صورة الرحمن وفيه نزل القرآ، وإنما سميت السماء والأرض ليلاً لأن الظلمة لها من ذاهما والإضاءة فيها من غيرها من الأجسام المستنيرة التي هي الشمس وأمثالها فإذا زالت الشمس أظلمت السماء والأرض فهذا يا أخي قد استفدت علوماً لم تكن تعرفها قبل هذا وهي علوم هذا الشخص المحقق بمتزل الأنفاس وكل ما أدركه هذا الشخص فإنما أدركه من الروائح بالقوّة الشمية لا غير وقد راينا منهم جماعة بإشبيلةية وبمكة وبالبيت المقدس وفاوضناهم في ذلك مفاوضة حال لا مفاوضة نطق كما أني فاوضت طائفة أخرى من أصحاب النظر البصريّ بالبصر فكنت أسأل وأجاب ونسأل ونجيب بمجرّد النظر ليس بيننا كلام معتاد ولا اصطلاح بالنظر أصلاً لكن كنت إذا نظرت إليه علمت جميع ما يريده مني وإذا نظر إليّ علم جميع ما نريده منه فيكون نظره إليّ سؤالا أو جواباً ونظري إليه كذلك فنحصل علوماً جمة بيننا من غير كلام ويكفي هذا القدر من بعض علم هذا الشخص فإن علومه كثيرة أحطنا بها فمن أراد أن يعرف مما ذكرناه شيأ فليعلم الفرق بين في في قوله كان في عماء وبين استوى في قوله الرحمن على العرش استوى و لم يقل في كما قال في السماء وفي الليل ويتبين لك في كل ما ذكرناه مقام جمع الجمع ومقام الجمع ومقام التفرقة ومقام تمييز المراتب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء التاسع عشر.

الجزء العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس والثلاثون في معرفة هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس وأسراره بعد موته رضي الله عنه

البعد من كان في حال الحياة به ... كحاله بعد موت الجسم والروح
والعبد من كان في حال الحجاب به ... نوراً كإشراق ذات الأرض من يوح
فحالة الموت لا دعوى تصاحبها ... كما الحياة لها الدعوى بتصريح
في حق قوم وفي قوم تكون لهم ... تلك الدعاوى بإيماء وتلويح
فإن فهمت الذي قلناه قمت به ... وزناً تنزه عن نقص وترجيح
وكنت ممن تزكيه حقائقه ... ولا سبيل إلى طعن وتجريح
وإن جهلت الذي قلناه جئت إلى ... دار السؤال بصدر غير مشروح

اعلم أيدك الله بروح القدس إن هذا الشخص المحقق في منزل الأنفاس أيّ شخص كان فإن حاله بعد موته يخالف سائر أحوال الموتى فلنذكر أولاً حصر مآخذ أهل الله العلوم من الله كما قرّرناه في الباب قبل هذا ولنذكر ما لهم وآثار تلك المآخذ في ذواتهم فلنقل اعلم يا أخي أن علم أهل الله المأخوذ من الكشف أنه على صورة الإيمان سواء فكل ما يقبله الإيمان عليه يكون كشف أهل الله فإنه حق كله والمخبر به وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم مخبر به عن كشف صحيح وذوات العلماء بالله تعالى تكون على صفة الشيء الذي تأخذ منه العلم بالله أي شيء كان واعلم أن الصفات على نوعين صفات نفسية وصفات معنوية فالصفات المعنوية في الموصوف هي التي إذا رفعتها عن الذات الموصوفة بها لم ترتفع الذات التي كانت موصوفة بها والصفات النفسية هي التي إذا رفعتها عن الموصوف بها ارتفع الموصوف بها و لم يبق له عين في الوجود العيني ولا في الوجود العقليّ حيث ما رفعتها ثم إنه ما من صفة نفسية للموصوف التي هي ليست بشيء زائد على ذاته إلا ولها صفة نفسية بها يمتاز بعضها عن بعض فإنه قد تكون ذات الموصوف مركبة من صفتين نفسيتين إلى ما فوق ذلك وهي الحدود الذاتية وهنا باب مغلق لو فتحناه لظهر ما يذهب بالعقول ويزيل الثقة بالمعلوم وربما كان يؤول الأمر في ذلك إلى أن يكون السبب الأول من صفات نفس الممكنات كما أنك إذا جعلت السبب شرطاً في وجود المشروط ورفعت الشرط ارتفع المشروط بلا شك ولا يلزم العكس فهذا يطرد ولا ينعكس فتركناه مقفلاً لمن يجد مفتاحه فيفتحه وإذا كان الأمر عندنا وعند كل عاقل بهذه المثابة فقد علمت أن الصفات معان لا تقوم بأنفسها وما لها ظهور إلا في عين الموصوف والصفات النفسية معان وهي عين الموصوف والمعاني لا تقوم بأنفسها فكيف تكون هي عين الموصوف لا غيره فيوصف الشيء بنفسه وصار قائماً بنفسه من حقيقته ألا يقوم بنفسه فإن كل موصوف هو مجموع صفاته النفسية والصفات لا تقوم بأنفسها

وما ثم ذات غيرها تجمعها وتظهر وقد نبهتك على أمر عظيم لتعرف لماذا يرجع علم العقلاء من حيث أفكارهم ويتبين لك أن العلم الصحيح لا يعطيه الفكر ولا ما قررته العقلاء من حيث أفكارهم وأن العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم وهو نور إلهي يختص به من يشاء من عباده من ملك ورسول ونبيّ وولي ومؤمن ومن لا كشف له لا علم له ولهذا جاءت الرسل والتعريف الإلهي بما تحيله العقول فتضطر إلى التأويل في بعضها لتقبله وتضطر إلى التسليم والعجز في أمور لا تقبل التأويل أصلاً وغايته أن يقول له وجه لا يعلمه إلا الله لا تبلغه عقولنا وهذا كله تأنيس للنفس لا علم حتى لا تردّ شيأ مما جاءت به النبوّة هذا حال المؤمن العاقل وأمّا غير المؤمن فلا يقبل شيأ من ذلك وقد رودت أخبار كثيرة مما تحيلها العقول منها في الجناب العالي ومنها في الحقائق وانقلاب الأعيان فأما التي في الجناب العالي فما وصف الحق به نفسه في كتابه وعلى لسان رسله مما يجب الإيمان به ولا يقبله العقل بدليله على الحق في ذلك الخبر فوصف نفسه سبحانه بالظرفية الزمانية والمكانية ووصفه بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل وكلهم على لسان واحد في ذلك لأنهم يتكلمون عن الواحد والعقلاء أصحاب الأفكار اختلفت مقالاتهم في الله تعالى على قدر نظرهم فالإله الذي يعبد بالعقل مجرّداً عن الإيمان كأنه بل هو إله موضوع بحسب ما أعطاه نظر ذلك العقل فاختلفت حقيقته بالنظر إلى كل عقل وتقابلت العقول وكل طائفة من أهل العقول تجهل الأخرى بالله وإن كانوا من النظار الإسلاميين المتأولين فكل طائفة تكفر الأخرى والرسل صلوات الله عليهم من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما نقل عنهم اختلاف فيما ينسبونه إلى الله من النعوت بل كلهم على لسان واحد في ذلك والكتب التي جاؤوا بها كلها تنطق في حق الله بلسان واحد ما اختلف منهم اثنان يصدق بعضهم بعضاً مع طول الأزمان وعدم الاجتماع وما بينهم من الفرق المنازعين لهم من العقلاء ما اختل نظامهم وكذلك المؤمنون بهم على بصيرة المسلمون المسلمون الذين لم يدخلوا نفوسهم في تأويل فهم أحد رجلين إمّا رجل آمن وسلم وجعل علم ذلك إليه أن مات وهو المقلد وإمّا رجل عمل بما علم من فروع الأحكام واعتقد الإيمان بما جاءت به الرسل والكتب فكشف الله عن بصيرته وصيره ذا بصيرة في شأنه كما فعل بنبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم وأهل عنايته فكاشف وأبصر ودعا إلى الله عز وجل على بصيرة كما قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم مخبرا له أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وهؤلاء هم العلماء بالله العارفون وإن لم يكونوا رسلا ولا أنبياء فهم على بينة من ربهم في علمهم به وبما جاء من عنده وكذلك وصف نفسه بكثير من صفات المخلوقين من المجيء والإتيان والتجلي للأشياء والحدود والحجب والوجه والعين والأعين واليدين والرضى والكراهة والغضب والفرح والتبشبش وكل خبر صحيح ورد في كتاب وسنة والأخبار أكثر من أن تحصى مما لا يقبلها إلا مؤمن بها من غير تأويل أو بعض أرباب النظر من المؤمنين بتأويل اضطره إليه إيمانه فانظر مرتبة المؤمن ما أعزها ومرتبة أهل الكشف ما أعظمها حيث ألحقت أصحابها بالرسل والأنبياء عليهم السلام فيما خصوا به من العلم الإلهي لأن العلماء ورثة الأنبياء وما ورثوا دينارا و لا درهما بل ورثوا العلم يقول صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة فمن كان عنده شيء من هذه الدنيا فليوقفه صدقة على من يراه من الأقربين إلى الله فهو النسب الحقيقي أو يزهد فيه ولا يترك شيئا يورث عنه إن أراد أن يلحق بهم ولا يرث أحدا فالحمد لله الذي أعطانا من هذا المقام الحظ الوافر فهذا بعض ما ورد علينا من الله عز وجل في الله تعالى من الأوصاف وأما في قلب الحقائق فلا خلاف بين العقلاء في إنه لا يكون ودل دليل العقل القاصر من جهة فكره ونظره ولا من جهة إيمانه وقبوله إذ لا أعقل من الرسل وأهل الله أن الأعيان لا تنقلب حقيقة في نفسها وإن الصفات والأعراض في مذهب من يقول أنها أعيان موجودة لا تقوم بأنفسها ولا بد لها من محل قائم بنفسه لكنه في قائم بنفسه وهذه مسئلة خلاف بين النظار هل

يقوم المعنى بالمعنى فمن قائل به ومانع من ذلك وقد ثبت أن جميع العمال كلها إعراض وأنها تفنى ولا بقاء لها وأنه ليس لها عين موجودة بعد ذهابها ولا توصف بالإنتقال وأن الموت أما عرض موجودة في الميت في مذهب بعض النظار وأما نسبة افتراق بعد إجتماع وكذا جميع إلا كوان في مذهب بعضهم وهو الصحيح الذي يقتضيه الدليل وعلى كل حال فإنه لا يقوم بنفسه ووردت الأخبار النبوية بما يناقض هذا كله مع كوننا مجمعين على أن الأعمال إعراض أو نسب فقال الشارع وهو الصادق صاحب العلم الصحيح والكشف الصريح أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح يعرفه الناس ولا ينكره أحد فيذبح بين الجنة والنار روى أن يحيى عليه السلام هو الذي يضجعه ويذبحه بشفرة تكون في يده والناس ينظرون إليه وورد أيضا في الخبران عمل الإنسان يدخل معه في قبره في صورة حسنة أو قبيحة فيسأله صاحبه فيقول أنا عملك وإن مانع الزكاة يأتيه ماله شجاعا أقرع له زبيبتان وأمثال هذا في الشرع لا تحصى كثرة فأما المؤمنون فيؤمنون بهذا كله من غيره تأويل وأما أهل النظر من أهل الإيمان وغيرهم فيقولون حمل هذا على ظاهره محال عقلا وله تأويل فيتأولونه بحسب ما يعطيهم نظرهم فيه ثم يقولون أهل الإيمان منهم عقيب تأويلهم والله أعلم يعني في ذلك التأويل الخاص الذي ذهب ليه هل هو المراد لله أم لا وأما حمله على ظاهره فمحال عندهم جملة واحدة والإيمان إنما يتعلق بلفظ الشارع به خاصة هذا هو إعتقاد أهل الأفكار وبعد أن بينا لك هذه الأمور ومراتب الناس فيها فإنها من هذا الباب الذي نحن بصدده فاعلم أنه ما ثم الأذوات أوجدها الله تعالى فضلا منه عليها قائمة بأنفسها وكل ما وصفت به فنسب وإضافات بينها وبين الحق من حيث ما وصفت فإذا أوجد الموجد قيل فيه أنه قادر على الإيجاد ولو ذاك ما أوجد وإذا خصص الممكن بأمر دون غيره مما يجوز أن يقوم به قيل مريد ولو ذلك ما خصصه بهذا دون غيره وسبب هذا كله إنما تعطيه حقيقة الممكن فالممكنات أعطت هذه النسب فافهم إن كنت ذا لب ونظر إلهي وكشف رحماني وقد قررنا في الباب الذي قبل هذا إن مآخذ العلوم من طرق مختلفة وهي السمع والبصر والشم واللمس والطعم والعقل من حيث ضرورياته وهو يدركه بنفسه من غير قوة أخرى ومن حيث فكره الصحيح أيضا مما يرجع إلى طرق الحواس أو الضروريات والبديهيات لا غير فذلك يسمى علما والأمور العارضة الحاصل عنها العلوم أيضا ترجع

إلى هذه الأصول لا تنفك عنها وإنما سميت عوارض من أجل أن العادة في إدراك الألوان أن اللمس لا يدركها وإنما يدركها البصر فإذا أدركها الأكمه باللمس وقد رأينا ذلك فقد عرض لحاسة اللمس ما ليس من حقيقتها في العادة أن تدركه وكذلك سائر الطرق إذا عرض لها درك ماليس من شأنها في العادة أن يدرك بها يقال فيه عرض لها وإنما فعل الله هذا تنبيها لنا إنه ما ثم حقيقة كماا يزعم أهل النظر لا ينفذ فيها الأقتدارر الإلهي بل تلك الحقيقة إنما هي يجعل الله لها على تلك الصورة وإنها ما أدركت الأشياء المربوط إدراكها بها من كونها بصرا ولا غير ذلك يقول الله بل يجعلنا فيدرك جميع العلوم كلها بحقيقة واحدة من هذه الحقائق إذا شاء الحق فلهذا قلنا عرض لها إدراك ما لم تجر العادة بإدراكها إياه فتعلم قطعا أنه عز وجل قد يكون مما يعرض لها أن تعلم وترى من ليس كمثله شيء وإن كانت الإدراكات لم تدرك شيئا قط إلا ومثله أشياء كثيرة من جميع المدركات و لم ينف سبحانه عن إدراكه قوة من القوى التي خلقها إلا البصر فقال لا تدركه الأبصار فمنع ذلك شرعا وما قال لا يدركه السمع ولا العقل ولا غيرهما من القوى الموصوف بها الإنسان كما لم يقل أيضا أن غير البصر يدركه بل ترك الأمر مبهما وأظهر العوارض التي تعرض لهذه القوى في معرض التنبيه أنه ربما وضع ذلك في رؤيتنا من ليس كمثله شيء كما رأينا أول مرئي وسمعنا أول مسموع وشممنا أول مشموم وطعمنا أول مطعوم ولمسنا أول ملموس وعقلنا أول معقول مما لم يكن له مثل عندنا وإن كان له أمثال في نفس الأمر ولكن في أولية الإدراك سر

عجيب في نفي المماثلة له فقد أدرك المدرك من لا مثل له عنده فيقيسه عليه وكون ذلك المدرك يقبل لذاته المثل أو لا يقبله حكم آخر زائد على كونه مدركا لا يحتاج إليه في الإدراك إن كنتت ذا فطنة بل نقول إن التوسع الإلهي يقتضي أن لا مثل في الأعيان الموجودة وإن المثلية أمر معقول متوهم فإنه لو كانت المثلية صحيحة ما امتاز شيء عن شيء مما يقال هو مثله فذلك الذي امتاز به الشيء عن الشيء هو عين ذلك الشيء هو عين ذلك الشيء وما لم يمتز به عن غيره فما هو الأعين واحدة فإن قلت رأيناه مفترقا مفارقا ينفصل هذا عن هذا مع كونه يماثله في الحدود الحقيقة يقال له أنت الغالط فإن الذي وقع به الأنفصال هو المعبر عنه بأنه تلك العين وما لم يقع به الأنفصال هو الذي توهمت أنه مثل وهذا من أغمض مسائل هذا الباب فما ثم مثل أصلا ولا يقدر على إنكار المثال ولكن بالحدود ولا غير ولهذا انطلق المثلية من حيث الحقيقة الجامعة المعقولة إلا الموجودة فالأمثال معقولة لا موجودة فنقول في الإنسان أنه حيوان ناطق بلا شك وأن زيدا ليس هو عين عمر ومن حيث صورته وهو عين عمر ومن حيث إنسانيته بل هو هو وليس زيد مثل عمرو في صورته فإن الفرقان بينهما ظاهر ولولا الفارق لالتبس زيد بعمرو و لم تكن معرفة بالأشياء فما أدرك المدرك أي شيء أدرك الأمن ليس كمثله شيء وذلك لأن الأصل الذي نرجع إليه في وجودنا وهو الله تعالى ليس كمثله شيء فلا يكون ما يوجد عنه إلا على حقيقة أنه لا مثل له فإنه كيف يخلق مما لا تعطيه صفته وحقيقته لا تقبل الممثل فلو كان قبول المثل موجودا في العالم لإستند في وجوده من ذلك الوجه إلى غير حقيقة إلهية وما ثم موجد إلا الله ولا مثل له فما في الوجود شيء له مثل بل كل موجود متميز عن غيره بحقيقة هو عليها في ذاته وهذا هو الذي يعطيه الكشف والعلم الإلهي الحق فإذا أطلقت المثل على الأشياء كما تقر فاعلم أني أطلق ذلك عرفا قال تعالى أمم أمثالكم أي كما انطلق عليكم اسم الأمة كذلك ينطلق اسم أمة على كل دابة وطائر يطير بجناحيه وكما أن كل أمة وكل عين في الوجود ما سوى الحق تفتقر في إيجادها إلى موجد نقول بتلك النسبة في كل واحد أنه مثل للآخر في الأفتقار إلى الله وبهذا يصح قطعا أن الله ليس كمثله شيء بزيادة الكاف أو بفرض المثل فإنك إذا عرفت أن كل محدث لا يقبل المثلية كما قررناه لك فالحق أولى بهذه الصفة فلم تبق المثلية الواردة في القرآن وغيره إلا في الأفتقار إلى الله الموجد أعيان الأشياء ثم ارجع وأقول أن كل واحد من أهل الله لا يخلو أن يكون قد جعل الله علم هذا الشخص بالأشياء في جميع القوى أو في قوة بعينها كما قررنا إما في الشم وهو صاحب علم الأنفاس

وأما في النظر فيقال هو صاحب نظر وأما في الضرب وهو من باب اللمس بطريق خاص ولذلك كنى عن ذلك بوجود برد النامل فينسب صاحب تلك الصفة التي بها تحصل العلوم إليها فيقال هو صاحب كذا كما قررنا إن الصفة هي عين الموصوف في هذا الباب أعني الصفة النفسية فكما رجع المعنى الذي يقال فيه أنه لا يقوم بنفسه صورة قائمة بنفسها رجعت الصورة التي هي هذا العالم معنى لتحققه بذلك المعنى وتألفه به كما تألفت هذه المعاني فصار من تأليفها ذات قائمة بنفسها يقال فيها جسم وإنسان وفرس ونبات فافهم فيصير صاحب علم الذوق ذوقا صاحب شم فقد التحق في الحكم بمعناه وصار هو في نفسه معنى يدرك به المدرك الأشياء كما يدرك الرائي بالنظر في المرآة الأشياء التي لا يدركها في تلك الحالة إلا بالمرآة كان للشيخ أبي مدين ولد صغير من سوداء وكان أبو مدين صاحب نظر فكان هذا الصبي وهو ابن سبع سنين ينظر ويقول أرى في البحر في موضع صفته كذا وكذا سفنا وقد جرى فيها كذا وكذا فإذا كان بعد أيام وتجيء تلك السفن إلى بجاية مدينة هذا الصبي التي كان فيها يوجد الأمر على ماقاله الصبي فيقال للصبي بماذا ترى فيقول بعيني ثم يقول لا إنما أره بقلبي ثم يقول لا إنما أراه بوالدي إذا كان حاضر أو نظرت إليه رأيت هذا الذي أخبركم به وإذا غاب عني لا أرى شيئا من ذلك ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى في العبد الذي يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه

يقول فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث فبه يسمع ويبصر ويتكلم ويبطش ويسعى فهذا معنى قولنا يرجع المحقق بمثل صورة معنى ما تحقق به فكان ينظر بأبيه كما ينظر الإنسان بعينه في المرآة فافهم وهكذا كل صاحب طريق من طرق هذه القوى وقد يجمع الكل واحد فيرى بكل قوة ويسمع بكل قوة ويشم بكل قوة وهو أتم الجماعة وأما أحوالهم بعد موتهم فعلى قدر ما كانوا عليه في الدينا فمن كان في الدنيا عبدا محضا كان في الآخرة ملكا محضا ومن كان في الدنيا يتصف بالملك ولو في جوارحه أنها ملك له نقص من ملكه في الآخرة بقدر ما استوفاه في الدنيا ولو أقام العدل في ذلك وصرفه فيما أوجب الله عليه أن يصرفه فيه شرعا وهو يرى أنه مالك لذلك لغفلة طرأت منه فإن وبال ذلك يعود عليه ويؤثر فيه فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الذلك في جناب الحق والحقيقة ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العزة في نفسه ولو كان مصفوعا في الدنيا ولا أريد بعز الدينا أن يكون فيها ملكا إلا أن يكون صفته في نفسه العزة وكذلك الذة وأما أن يكون في ظاهر الأمر ملكا أو غير ذلك فما نبالي في أي مقام وفي أي حال أقام الحق عبده في ظاهره وإنما المعتبر في ذلك حاله في نفسه ذكر عبد الكريم بن هوازن القشيري في بعض كتبه وغيره عن رجل من الناس أنه دفن رجلا من الصالحين فلما جعله في قبره نزع الكفن عن خده ووضع خده على التراب ففتح الميت عينيه وقال له يا هذا أتذللني بين يدي من أعزني فتعجب من ذلك وخرج من القبر ورأيت أنا مثل هذا لعبد الله صاحبي الحبشي في قبره ورآه غاسله وقد هاب أن يغسله في حديث طويل ففتح عينيه في المغتسل وقال له اغسل فمن أحوالهم بعد الموت أنهم أحياء بالحياة النفسية التي بها يسبح كل شيء ومن كانت له همة بمعبده في حال عبادته في حياته بحيث أن يكون يحفظها من الداخل فيها حتى لا يتغير عليه الحال أن صاحب نفس فإذا مات ودخل أحد بعده معبده ففعل فيه ما لا يليق بصاحبه الذي كان يعمره ظهرت فيه آية وهذا قد رويناه في حكاية عن أبي يزيد البسطامي كان له بيت يتعبد فيه يسمى بيت الأبرار فلما مات أبو يزيد بقي البيت محفوظا محترما لا يفعل فيه إلا ما يليق بالمساجد فاتفق أنه جاء رجل فبات فيه قيل وكان جنبا فاحترقت عليه ثيابه من غير نار معهودة ففر من البيت فما كان يدخله أحد فيفعل فيه ما لا يليق إلا رأى آية فيبقى أثر مثل هذا الشخص بعد موته يفعل مثل ما كان يفعله في حياته سواء وقد قال بعضهم وكان محبا في الصلاة يارب إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فاجعلني ذلك فرؤى وهو يصلي ففي قبره وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه بقبر موسى عليه السلام فرآه وهو يصلي في قبره ثم عرج به إلى السماء وذكر الإسراء وما جرى له فيه مع الأنبياء ورأى موسى في السماء السادسة وقد رآه وهو يصلي

في قبره فمن أحوال هذا الشخص بعد موته مثل هذه الأشياء لا فرق في حقه بين حياته وموته فإنه كان في زمان حياته في الدنيا في صورة الميت حاله الموت فجعله الله في حال موته كمن حاله الحياة جزاء وفاقا ومن صفات صاحب هذا المقام في موته إذا نظر الناظر إلى وجهه وهو ميت يقول فيه حي وإذا نظر إلى مجس عروقه يقول فيه ميت فيحار الناظر فيه فإن الله جمع له بين الحياة والموت في حال حياته وموته وقد رأيت ذلك لوالدي رحمه الله يكاد أناما دفناه الأعلى شك مما كان عليه في وجهه من صورة الحياء ومما كان من سكون عروقه وأنقطاع نفسه من صورة الأموات وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوما أخبرني بموته وأنه يموت يوم الأربعاء وكذلك كان فلما كان يوم موته وكان مريضا شديد المرض استوى قاعدا غير مستند وقال لي يا ولدي اليوم يكون الرحيل واللقاء فقلت له كتب الله سلامتك في سفرك هذا وبارك لك في لقاءك ففرح بذلك وقال لي جزاك الله يا ولدي عني خيرا كل ما كنت أسمعه منك تقوله ولا أعرفه وربما كنت أنكر بعضه هو ذا أنا أشهده ثم ظهرت على جنبيه لمعة بيضاء تخالف لون جسده من

غير سوء له نور يتلألأ فشعر بها الوالد ثم إن تلك اللمعة انتشرت علىوجهه إلى أن عمت بدنه فقبلته وودعته وخرجت من عنده وقلت له أنا أسير إلى المسجد الجامع إلى أن يأتيني نعيك فقال لي رح ولا تترك أحدا يدخل علي وجمع أهله وبناته فلما جاء الظهر جاءني نعيه فجئت إليه فوجدته نعلى حالة يشك الناظر فيه بين الحياة والموت وعلى تلك الحالة دفناه وكان له مشهد عظيم فسبحان من يختص برحمته ممن يشاء فصاحب هذا المقام حياته وموته سواء وكل ما قدمناه في هذا الباب من العلم هو علم صاحب هذا المقامم فإنه من علم الأنفاس ولهذا ذكرنا ما ذكرنا من ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والثلاثون في معرفة العيسويين وأقطابهم وأصولهم

كل من أحيا حقيقته وشفى من علة الحجب
فهو عيسى لا يناط به عندنا شيء من الريب
فلقد أعطت سجيته رتبة تسمو على الرتب
بنعوت القدس تعرفه في صريح الوحي والكتب
لم ينهلها غير وارثه صفة في سالف الحقب
فسرت في الكون همته في أعاجم وفي عرب
فبها تحيا نفوسهمو وبها إزالة النوب

اعلم أيدك الله أنه لما كان شرع محمد صلى الله عليه وسلم تضمن جميع الشرائع المتقدمة وأنه ما بقي لها حكم في هذه الدينا إلا ما قررته الشريعة المحمدية فبتقريرها ثبتت فتعبدنا بها نفوسنا من حيث أن محمدا صلى الله عليه وسلم قررها لا من حيث أن النبي المخصوص بها في وقته قررها فلهذا أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فإذا عمل المحمدي وجميع العالم المكلف اليوم من الإنس والجن محمدي ليس في العالم اليوم شرع إلهي سوى هذا الشرع الممحمدي فلا يخلو هذا العامل من هذه الملة أن يصادف في عمله فيما يفتح له منه في قلبه وطريقه ويتحقق به طريقة من طرق نبي من الأنبياء المتقدمين مما تتضمنه هذه الشريعة وقررت طريقته وصحبتها نتيجته فإذا فتح له في ذلك فإنه ينتسب إلى صاحب تلك الشريعة فيقال فيه عيسوي أو موسوي أو إبراهيمي وذلك لتحقيق ما تميز له من المعارف وظهر له من المقام من جملة ما هو تحت حيطة شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فيتميز بتلك النسبة أو بذلك النسب من غيره ليعرف أنه ما ورث من محمد صلى الله عليه وسلم إلا ما لو كان موسى أو غيره من الأنبياء حيا وتبعه ما ورث إلا ذلك منه ولما تقدمت شرائعهم قبل هذه الشريعة جعلنا هذا العارف وارثا إذ كان الورث للآخر من الأول فلو لم يكن لذلك الأول شرع مقر قبل تقرير محمد صلى الله عليه وسلم لساوينا الأنبياء والرسل إذ جمعنا زمان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما يساوينا اليوم إلياس والخضر وعيسى إذا نزل فإن الوقت يحكم عليه إذ لا نبوة تشريع بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة أنه محمدي إلا لشخصين إما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله فيقال فيه محمدي وأما شخص جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقام كأبي يزيد وأمثاله فهذا أيضا يقال فيه محمدي وما عدا هذين

الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء ولهذا ورد في الخبران العلماء ورثة نبي خاص والمخاطب بهذا علماء هذه الأمة وقد ورد أيضا بهذا اللفظ قوله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الأمة أنبياء سائرالأمم وفي رواية كأنبياء بني إسرائيل فالعيسويون الأول هم الحواريون أتباع عيسى فمن أدرك منهم إلى الآن شرع محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به واتبعه واتفق أن يكون قد حصل له من هذه الشريعة ما كان قبل هذا شرعا لعيسى عليه السلام فيرث من عيسى عليه السلام ما ورثه من غير حجاب ثم يرث من عيسى عليه السلام في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ميراث نابع من تابع لا من متبوع وبينهما في الذوق فرقان ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الشخص أن له الجر مرتين كذلك له ميراثان وفتحان وذوقان مختلفان ولا ينسب فيهما إلا إلى ذلك النبي عليه السلام فهؤلاء هم العيسويون الثواني وأصولهم توحيد التجريد من طريق المثال لأن وجود عيسى عليه السلام لم يكن عن ذكر بشرى وإنما كان عن تمثل روح في صورة بشر ولهذا غلب على أمة عيسى بن مريم دون سائر الأمم القول بالصورة فيصورون في كنائسهم مثلا ويتعبدون في أنفسهم بالتوجه إليها فإنأصل نبيهم عليه السلام كان عن تمثل فسرت تلك الحقيقة عيسى وانطوى شرعه في شرعه فشرع لنا صلى الله عليه وسلم لنا أن نعبد الله كأنا نراه فادخله لنا في الخيال وهذا هو معنى التصوير إلا أنه نهى عنه في الحس أن يظهر في هذه الأمة بصورة حسية ثم إن هذا الشرع الخاص الذي هو اعبد الله كأنك تراه ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم لنا بلا واسطة بل قاله لجبريل عليه السلام وهو الذي تمثل لمريم بشرا سويا عند إيجاد عيسى عليه السلام فكان كما قيل في المثل السائر إياك أعني فاسمعي يا جارة فكنا نحن المرادين بذلك القول ولهذا جاء في آخر الحديث هذا جبريل أراد أن تعلموا إذا لم تسألوا وفي رواية جاء ليعلم الناس دينهم وفي رواية أتاكم يعلمكم دينكم فما خرجت الروايات عن كوننا المقصودين بالتعليم ثم لتعلم أن الذي لنا من غير شرع عيسى عليه السلام قوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك فهذا من أصولهم وكان شيخنا أبو العباس العربي رحمه الله عيسويا في نهايته وهي كانت بدايتنا أعني نهاية شيخنا في الطريق كانت عيسوية ثم نقلنا إلى الفتح الموسوي الشمسي ثم بعد ذلك نقلنا إلى هود عليه السلام ثم بعد ذلك نقلنا إلى جميع النبيين عليه السلام ثم بعد ذلك

نقلنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم هكذا كان أمرنا في هذا الطريق ثبته الله علينا ولا حاد بنا عن سواء السبيل فأعطانا الله من أجل هذه النشأة التي أنشأنا الله عليها في هذا الطريق وجه الحق في كل شيء فليس في العالم عندنا في نظرنا شيء موجود إلا ولنا فيه شهود عين حق نعظمه منه فلا نرمي بشيء من العالم الوجودي وفي زماننا اليوم جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ويونس عليه السلام يحبون وهم منقطعون عن الناس فإما القوم الذين هم من قوم يونس فرأيت أثر قدم واحد منهم بالساحل كان صاحبه قد سبقني بقليل فشبرت قدمه في الأرض فوجدت طول قدمه ثلاثة أشبار ونصفا وربعا بشبري وأخبرني صاحبي أبو عبد الله بن خرز الطنجي أنه اجتمع به في حكاية وجاءني بكلام من عنده مما يتفق في الأندلس في سنة خمس وثمانين وخمسمائة وهي السنة التي كنا فيها وما يتفق في سنة ست وثمانين مع الأفرنج فكان كما قال ما غادر حرفا وأما الذي في الزمان من أصحاب عيسى فهو ما رويناه من حديث عربشاه بن محمد بن أبي المعالي العلوي النوقي الخبوشاني كتابة قال حدثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي أنا أبو المحاسن تعلي بن أبي الفضل الفارمدي أنا أحمد بن الحسين بن علي قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق فليغز على ضواحيها قال تفوجه سعد فضله في ثلاثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق وأغاروا على ضواحيها وأصابوا غنيمة وسبيا فاقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهقت بهم العصر وكادت الشمس أن تغرب فالجأ نضلة السبي والغنيمة إلى سفح الجبل

ثم قام فأذن فقال الله أكبر الله أكبر قال ومجيب من الجبل يجيبه كبرت كبيرا يا نضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الإخلاص يا نضلة وقال أشهد أن محمدا رسول الله فقال هو الدين وهو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليهما السلام وعلى رأس أمته تقوم الساعة ثم قال حي على الصلاة قال طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها ثم قال حي على الفلاح قال قد أفلح من أجاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو البقاء لأمته قال الله أكبر الله أكبر قال كبرت كبير قال لا إله إلا الله قال أخلصت الإخلاص يا نضلة فحرم الله جسدك على النار قال فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا من أنت يرحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم من عباد الله أسمعتنا صوتك فأرنا شخصك فإنا وفد الله ووفد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفد عمر بن الخطاب قال فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت يرحمك الله قال أنا زريب بن برثملا وصى العبد الصالح عيسى بن مريم عليهما السلام أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الختزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما نحلته النصارى ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم قلنا قبض فبكى بكاء طويلا حتى خضب لحيته بالدموع ثم قال فمن قام فيكم بعده قلنا أبو بكر قال ما فعل قلنا قبض قال فمن قام فيكم بعده قلنا عمر قال إذا فاتني لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فاقرؤا عمر مني السلام وقولوا يا عمر سدد وقارب فقد دنا الأمر وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب إذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا في غير مناسبهم وانتموا إلى غير مواليهم و لم يرحم كبيرهم صغيرهم و لم يوقر صغيرهم كبيرهم وترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به وترك النهي عن المنكر فلم ينه عنه وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا المنابر وفضضوا المصاحف وزخرفوا المساجد وأظهروا الرشى وشيدوا البناء واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا واستخفوا الدماء وتقطعت الأرحام وبيع الحكم وأكل الربا وصار التسلط فخرا والغنى عزا وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه وركبت النساء السروج قال ثم غاب عنا فكتب بذلك نضلة إلى سعد وكتب سعد إلى عمر فكتب عمر ائت أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تترل هذا الجبل بناحية العراق فترل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين

والأنصار حتى نزل الجبل أربعين يوما ينادي بالأذان في وقت كل صلاة فلم يجده لم يتابع الراسي على قوله عن مالك بن أنس والمعروف في هذا الحديث مالك بن الأزهر عن نافع وابن الأزهر مجهول قال أبو عبد الله الحاكم لم يسمع بذكر ابن الأزهر في غير هذا الحديث والسؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر هو من حديث ابن لهيعة عن نابن الأزهر قلنا هذا الحديث وإن تكلم في طريقه فهو صحيح عند أمثالنا نكشفا وقوله في زخرفه المساجد وتفضيض المصاحف ليسا على طريق الذم وإنما هما دلالة على إقتراب الساعة وفساد الزمان كدلالة نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدي وطلوع الشمس من مغربها معلوم كل ذلك أنه ليس على طريق الذم وإنما الدلالات على الشيء قد تكون مذمومة ومحمودة هذا الوصي العيسوي بن برثملا لم يزل في ذلك الجبل يتعبد لا يعاشر أحدا وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أترى ذلك الراهب بقي على أحكام النصارى لا والله فإن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة يقول صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني وهذا عيسى إذا نزل ما يؤمنا إلا منا أي بسنتنا ولا يحكم فينا إلا بشرعنا فهذا الراهب ممن هو علي بينة من ربه علمه ربه من عنده ما افترضه عليه من شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الطريق التي اعتادها من الله وهذا عندنا ذوق محقق فإنا أخذنا كثيرا من أحكام محمد صلى الله عليه وسلم المقررة في شرعه عند علماء الرسوم وما كان عندنا منها علم فاخذناها من هذا الطريق ووجدناها عند علماء الرسوم

كما هي عندنا ومن تلك الطريق نصحح الأحاديث النبوية ونردها أيضا إذا أعلمنا أنها واهية الطرق غير صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن قرر الشارع حكم المجتهد وإن أخطأ ولكن أهل هذه الطريقة ما يأخذون إلا بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الوصي من الأفراد وطريقه في مأخذ العلوم طريق الخضر صاحب موسى عليه السلام فهو على شرعنا وغن اختلف الطريق الموصل إلى العلم الصحيح فإن ذلك لا يقدح في العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أعطى الولاية من غير مسئلة أن الله يعينه عليها وإن الله يبعث إليه ملكا يسدده يريد عصمته من الغلط فيما يحكم به قال الخضر وما فعلته عن أمري وقال عليه السلام إن يكن في أمتي محدثون فمنهم عمر ثم إنه قد ثبت عندنا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الرهبان الذين إعتزلوا الخلق وانفردوا بهم فقال ذروهم وما انقطعوا إليه فأتى بلفظ مجمل و لم يأمر نابان ندعوهم لعلمه صلى الله عليه وسلم أنهم على بينة من ربهم وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالتبليغ وأمرنا أن يبلغ الشاهد الغائب فلولا ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يتولى تعليمهم مثل ما تولى تعليم الخضر وغيره ما كان كلامه هذا ولا قرره على شرع منسوخ عنده في هذه الملة وهو الصادق في دعواه صلى الله عليه وسلم أنه بعث إلى الناس كافة كما ذكر الله تعالى فيه فعمت رسالته جميع نالخلق وروح هذا التعريف أنه كل من أدركه زمانه وبلغت إليه دعوته لم يتعبده الله إلا بشرعه فإنا نعلم قطعا أنه صلى الله عليه وسلم ما شافه جميع الناس بالخطاب في زمانه فما هو إلا الوجه الذي ذكرنا وهذا الراهب من العييسويين الذين ورثوا عيس عليه السلام إلى زمان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم تعبد الله هذا الراهب بشرعه صلى الله عليه وسلم وعلمه من لدنه علما بالرحمة التي آتاه من عنده كان ورثه أيضا حالة عيسوية من محمد صلى الله عليه وسلم فل يزل عيسويا في الشريعتين ألا ترى هذا الراهب قد أخبر بنزول عيسى عليه السلام وأخبرانه إذا نزل يقتل الخنزير ويكسر الصليب أتراه بقي على تحليل لحم الخنزير فلم يزل هذا الراهب عيسويا في الشريعتين فله الأجر مرتين أجر اتباعه نبيه وأجر اتباعه محمداً صلى الله عليه وسلم وهو في انتظار عيسى إلى أن ينزل وهؤلاء الصحابة قد رأوه مع نضلة وما سألوه عن حاله في الإسلام والإيمان ولا بما يتعبد نفسه من الشرائع لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ما أمرهم بسؤال مثله فعلمنا قطعاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يقرّ أحداً على الشرك وعلم إن الله عباداً يتولى الحق تعليمهم من لدنه علم ما أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم رحمة منه

وفضلاً وكان فضل الله عظيماً ولو كان ممن يؤدّي الجزية لقلنا إن الشرع المحمدي قد قرر له دينه مادام يعطي الجزية وهذه مسئلة دقيقة في عموم رسالته وإنه بظهوره لم يبق شرع إلا ما شرعه ومما شرع تقريرهم على شرعهم ما داموا يعطون الجزية إذا كانوا من أهل الكتاب وكم لله تعالى من هؤلاء العباد في الأرض فاصل العيسويين كما قررناه تجريد التوحيد من الصور الظاهرة في الأمة العيسوية والمثل التي لهم في الكنائس من أجل أنهم على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الروحانية الحالية التي هم عليها عيسوية في النصارى وموسوية في اليهود من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه والله في قبلة المصلى وإن العبد إذا صلى استقبل ربه ومن كل ما ورد في الله من أمثال هذه النسب وليس للعيسوي من هذه الأمّة من الكرامات المشي في الهواء ولكن لهم المشي على الماء والمحمدي يمشي في الهواء بحكم التبعية فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وكان محمولا قال في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء ولاشك إن عيسى عليه السلام أقوى في اليقين منا بما لا يتقارب فإنه من أولي العزم من الرسل ونحن نمشي في الهواء بلا شك وقد رأينا خلقاً كثيراً ممن يمشي في الهواء في حال مشيهم في الهواء فعلمنا قطعاً أن مشينا في الهواء إنما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام قد علم كل منا

مشربه فمشينا بحكم التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الخاص الذي له هذا المقام لا من قوّة اليقين كما قلنا الذي كنا نفضل به عيسى عليه السلام حاشى لله أن نقول بهذا كما أن أمّة عيسى يمشون على الماء بحكم التبعية لا بمساواة يقينهم يقين عيسى عليه السلام فنحن مع الرسل في خرق العوائد الذين اختصوا بها من الله وظهر أمثالها علينا بحكم التبعية كما مثلناه في كتاب اليقين لنا أن لمماليك الخواص الذين يمسكون نعال أستاذيهم من الأمراء إذا دخلوا على السطان وبقي بعض الأمراء خارج الباب حين لم يؤذن لهم في الدخول أترى المماليك الداخلين مع أستاذيهم أرفع منصباً من الأمراء الذين ما أذن لهم فهل دخلوا إلا بحكم التبعية لأستاذ بهم بل كل شخص على رتبته فالأمراء متميزون على الأمراء والمماليك متميزون على المماليك في جنسهم كذلك نحن مع الأنبياء فيما يكون للاتباع من خرق العوائد ثم إن النبيّ صلى الله عليه وسلم ما مشى في الهواء إلا محمولا على البراق كالراكب وعلى الرفرف كالمحمول في المحفة فاظهر البراق والرفرف صورة المقام الذي هو عليه في نفسه بأنه محمول في نفسه ونسبة أيضاً إلهية من قوله تعالى "الرحمن على العرش استوى" ومن قوله "ويحمل عرش ربك" فالعرش محمول فهذا حمل كرامة بالحاملين وحال راحة ومجد وعز للمحمولين وقد قررنا لك في غير موضع إن المحمول أعلى من غير المحمول في هذا المقام وأمثاله وأنه لا حول ولا قوّة إلا بالله مما اختص به الحملة وإن كان جميع الخلق محمولين ولكن لم يكشف ذلك الحمل لكل أحد وإن كان الحمل على مراتب حمل عن عجز وحمل عن حقيقة كحمل الأثقال وحمل عن شرف ومجد فالعناية بهذه الطائفة أن يكونوا محمولين ظاهراً كما هو الأمر في نفسه باطناً لتبريهم من الدعوى كما قررناه في بابه وللعيسويين همة فعالة ودعاء مقبول وكلمة مسموعة ومن علامة العيسويين إذا أردت أن تعرفهم فتنظر كل شخص فيه رحمة بالعالم وشفقة عليه كان من كان وعلى أي دين كان وبأية نحلة ظهر وتسليم لله فيهم لا ينطقون بما تضيق الصدور له في حق الخلق أجمعين عند خطابهم عباد الله ومن علامتهم أنهم ينظرون من كل شيء أحسنه ولا يجري على ألسنتهم إلا الخير واشتركت في ذلك الطبقة الأولى والثانية فالأولى مثل ما روى عن عيسى عليه السلام أنه رأى خنزيراً فقال له "انج بسلام" فقيل له في ذلك فقال أعوّد لساني قول الخير وأمّا الثانية فإنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال في الميتة حين مرّ عليها "ما أحسن بياض أسنانها" وقال من كان معه ما أنتن ريحها وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم وإن كان قد أمر بقتل الحيات على وجه خاص وأخبر أن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية ومع هذا فإنه كان بالغار في منى وقد نزلت عليه سورة والمرسلات وبالمرسلات يعرف الغار إلى الآن دخلته تبركاً فخرجت حية

وابتدر الصحابة إلى قتلها فأعجزهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله وقاها شرّكم كما وقاكم شرّها" فسماه شرّاً مع كونه مأموراً به مثل قوله تعالى في القصاص "وجزاء سيئة سيئة مثلها" فسمى القصاص سيئة وندب إلى العفو فما وقعت عينه صلى الله عليه وسلم إلا على أحسن ما كان في الميتة فهكذا أولياء الله لا ينظرون من كل منظور إلا أحسن ما فيه وهم العمي عن مساوي الخلق لا عن المساوي لأنهم مأمورون باجتنابها كما هم صمّ عن سماع الفحشاء كما هم البكم عن التلفظ بالسوء من القول وإن كان مباحاً في بعض المواطن هكذا عرفناهم فسبحان من اصطفاهم واجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا مقام عيسى عليه السلام في محمد صلى الله عليه وسلم لأنه تقدّمه بالزمان ونقلت عنه هذه الأحوال قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين ذكر في القرآن من ذكر من النبيين وعيسى في جملة من ذكر عليهم السلام أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وإن كان مقام الرسالة يقتضي تبيين الحسن من القبيح ليعلم كما قال تعالى "لتبين للناس ما نزل إليه" فإن بين السوء في حق شخص فبوحي من الله كما قال في شخص بئس أين العشيرة والخضر قتل الغلام وقال فيه طبع كافراً وأخبر لو تركه بما

يكون منه من السوء في حق أبويه وقال ما فعلت ذلك عن أمري فالذي للرجال من ذواقمم القول الحسن والنظر إلى الحسن والإصغاء بالسمع إلى الحسن فإن ظهر منهم وقتاً مّا خلاف هذا من نبيّ أو وليّ مرجوم فذلك عن أمر إلهيّ ما هلو لساهم فهذا قد ذكرنا من أحوال العيسويين ما يسره الله على لساني والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والثلاثون في معرفة الأقطاب العيسويين وأسرارهم

فاعلم أيدك الله بروح القدس أن:

القطب من ثبتت في الأمر أقدامه ... والعيسوي الذي بيديه قدامه

والعيسوي الذي يوماً له رفعت ... بين النبيين في الأشهاد أعلامه

وجاءه من أبيه كل رائحة ... كالمسك في شمها بالوحي أعلامه

له الحياة فيحي من يشاء بها ... فلا يموت ولا تفنيه أيامه

فلو تراه وقد جاءته آيته ... تسعى لتظهر في الأكوان أحكامه

مواجهاً بلسان أنت قلت لهم ... بأنك الله وهو الله علامه

جوابه قيل ما قد قيل فاعف ولا ... تنظر لجرم الذي أرداه أجرامه

صلى عليه إله الخلق من رجل ... أعطى وأعطى الذي أعطاه إكرامه

اعلم أيدك الله بروح القدس إنا قد عرفناك أنّ العيسوي من الأقطاب هو الذي جمع له الميراثان الميراث الروحاني الذي يقع به الانفعال والميراث المحمدي ولكن من ذوق عيسى عليه السلام لابدّ من ذلك وقد بينا مقاماقم وأحوالهم فلنذكر في هذا الباب نبذاً من أسرارهم فمنها أنهم إذا أرادوا أن يعطوا حالاً من الأحوال التي هم عليها وهي تحت سلطانهم لما يرون في ذلك الشخص من الاستعداد إمّا بالكشف وإمّا بالتعريف الإلهي فيلمسون ذلك الشخص أو يعانقونه أو يقبلونه أو يعطونه ثوباً من لباسهم أو يقولون له أبسط ثوبك ثم يغرفون له مما يريدون أن يعطوه والحاضر ينظر أنهم يغرفون في الهواء ويجعلونه في ثوبه على قدر ما يحدّ لهم من الغرفات ثم يقولون له ضم ثوبك مجموع الأطراف إلى صدرك أو البسه على قدر الحال التي يحبون أن يهبوه إياها فأيّ شيء فعلوا من ذلك سرى ذلك الحال في ذلك الشخص المأمور المراد به من وقته لا يتأخر وقد رأينا ذلك لبعض شيوخنا جاء لأقوام من العامة فيقول لي هذا الشخص عنده استعداد فيقرب منه فإذا لمسه أو صر به بصدره في ظهره قاصداً أن يهبه ما أراد سرى فيه ذلك الحال من ساعته وخرج مما كان فيه وانقطع إلى ربه وكان أيضاً له هذه الحال مكي الواسطي المدفون بمكة تلميذ ازدشير كان إذا أخذه الحال يقول لمن يكون حاضراً معه عانقني أو تعرف الحاضر أمره فإذا رآه متلبساً بحاله عانقه فيسري ذلك الحال في هذا الشخص ويتلبس به شكى جابر بن عبد الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت على ظهر الفرس فضرب في صدره بيده فما سقط عن ظهر فرس بعد ونخس رسول الله صلى الله عليه وسلم مركوباً كان تحت بعض أصحابه بطيئاً يمشي به في آخر الناس فلما نخسه لم يقدر صاحبه على إمساكه وكان يتقدّم على جميع الركاب وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً بطيئاً لأبي طلحة يوم

أغير على سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ذلك الفرس إن وجدناه لبحرا فما سبق بعد ذلك وشكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هريرة أنه ينسى ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أبا هريرة ابسط رداءك فبسط أبو هريرة رداءه فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفة من الهواء أو ثلاث غرفات وألقاها في رداء أبي هريرة وقال له ضم رداءك إلى صدرك فضمه إلى صدره فما نسي بعد ذلك شيأ يسمعه وهذا كله من هذا المقام فانظر في سرّ هذا الأمر أنه ما ظهر شيء من ذلك إلا بحركة محسوسة لإثبات الأسباب التي وضعها الله ليعلم أن الأمر الإلهيّ لا ينخرم وإنه في نفسه على هذا الحدّ فيعرف العارف من ذلك نسب الأسماء الإلهية وما ارتبط بها من وجود الكائنات وإنذ ذلك تقتضيه الحضرة الإلهية لذاتها فنصرف العالم المحقق بهذه الأمور والتنبيهات الإلهية على أنّ الحكمة فيما ظهر وإنّ ذلك لا يتبدّل وإنّ الأسباب لا ترفع أبداً وكل من زعم أنه رفع سبباً بغير سبب فما عنده علم لا بما رفع به ولا بما رفع فلم يمنح عبد شيأ أفضل من العلم والعمل به وهذه أحوال الأدباء من عباد الله تعالى ومن أسرارهم أيضاً أنهم يتكلمون في فصول البلاغة في النطق ويعلمون إعجاز القرآن و لم يعلم منهم ولا حصل لهم من العلم بلسان العرب والتحقق به على الطريقة المعهودة من قراءة كتب الأدب ما يعلم أنهم حصل لهم ذلك من هذه الجهة بل كان ذلك لهم من الهبات الإلهية بطريق خاص يعرفونه من نفوسهم إذا أعطوا العبارة عن الذي يرد عليهم في بواطنهم من الحقائق وهم أميون وإن أحسنوا الكتابة من طريق النقش ولكن هم عوام الناس فينطقون بما هو خارج في المعتاد عن قوتهم إذ لم يكونوا من العرب وإن كانوا من العرب فلم يكونوا إلا بالنسب لا باللسان فيعرف الإعجاز فيه منه فمن هنالك يعرف إعجاز القرآن وذلك قول الحق قيل لي في بعض الوقائع أتعرف ما هو إعحاز القرآن قلت لا قال كونه إخباراً عن حق التزام الحق يكن كلامك معجزاً فإن المعارض للقرآن أوّل ما يكذب فيه أنه يجعله من الله وليس من الله فيقول على الله ما لا يعلم فلا يثمر ولا يثبت فإن لاباطل زهوق لا ثبات له ثم يخبر في كلامه عن أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها بأمور تناسبها في الألفاظ مما لم يقع ولا كانت فهي باطل والباطل عدم والعدم لا يقاوم الوجود والقرآن إخبار عن أمر وجودي حق

في نفس الأمر فلابد أن يعجز المعارض عن الإتيان بمثله فمن التزم الحق في أفعاله وأقواله وأحواله فقد امتاز عن أهل زمانه وعن كل من لم يسلك مسلكه فأعجز من أراد التصوّر على مقامه من غير حق ومن أسرارهم أيضاً علم الطبائع وتأليفها وتحليلها ومنافع العقاقير يعلم ذلك منها كشفاً خرج شيخنا أبو عبد الله الغزال كان بالمرية رحمه الله في حال سلوكه من مجلس شيخه أبي العباس بن العريف وكان ابن العريف أديب زمانه فهو بالأحرش بطريق الصماد حية إذ رأى أعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها فتقول له الشجرة أو النجم خذني فإني أنفع لكذا وأدفع من المضار كذا حتى ذهل وبقي حائراً من نداء كل شجرة منها تحبباً له وتقرباً منه فرجع إلى الشيخ وعرفه بذلك فقال له الشيخ ما لهذا خدمتنا أين كان منك الضارّ النافع حين قالت لك الأشجار أنها نافعة ضارة فقال يا سيدي التوبة قال له الشيخ إن الله فتنك واختبرك فإني ما دللتك إلا على الله لا على غيره فمن صدق توبتك أن ترجع إلى ذلك الموضع فلا تكلمك تلك الأشجار التي كلمتك إن كنت صادقاً في توبتك فرجع أبو عبد الله الغزال إلى الموضع فما سمع شيأ مما كان قد سمعه فسجد لله شكراً ورجع إلى الشيخ فعرفه فقال الشيخ الحمد لله الذي اختارك لنفسه و لم يدفعك إلى كون مثلك من أكوانه تشرف به وهو على الحقيقة يشرف بك فانظر همته رضي الله عنه وإذا علم أسرار الطبائع ووقف على حقائقها علم من الأسماء الإلهية التي علمها الله آدم عليه السلام نصفها وهي علوم عجيبة لما أطلعنا الله عليها من هذه الطريقة رأينا أمراً هائلاً وعلمنا من سر الله في خلقه وكيف سر الاقتدار الإلهي في كل شيء فلا شيء ينفع إلا به ولا يضر إلا به ولا ينطق إلا به ولا يتحرك إلا به

وحجب العالم بالصور فنسبوا كل ذلك إلى أنفسهم وإلى الأشياء والله يقول يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله وكلامه حق وهو خبر ومثل هذه الأخبار لا يدخلها النسخ فلا فقر إلا إلى الله ففي هذه الآية تسمى الله بكل شيء يفتقر إليه ومن هذا الباب يكون الفقير من يفتقر إلى كل شيء ولا يفتقر إليه شيء فيتناول الأسباب على أوضاعها الحكمية لا يخل بشيء منها وهذا الذوق عزيز ما رأينا أحداً عليه فيمن رأيناه ولا نقل إلينا سماعاً لا في المقتدّم ولا في المتأخر لكن رأينا ونقل إلينا عن جماعة إثبات الأسباب وليس من هذا الباب فإن الذي نذكره ونطلبه سريان الألوهية في الأسباب أو تجليات الحق خلف حجاب الأسباب في أعيان الأسباب أو سريان الأسباب في الألوهية هذا هو الذي لم نجد له ذائقاً الأقوال الله تعالى فهي الآية اليتيمة في القرآن لا يعرف قدرها إذ لا قيمة لها وكل ما لا قيمة له ثبت بالضرورة أنه مجهول القدر ولو اعتقدت فيه النفاسة ومن أسرارهم أيضاً معرفة النشأتين في الدنيا وهي النشأة الطبيعية والنشأة الروحانية وما أصلهما ومعرفة النشأتين في الدار الآخرة الطبيعية والروحانية وما أصلهما ومعرفة النشأتين نشأة الدنيا ونشأة الآخرة فهي ستة علوم لابد من معرفتها ومن أسرارهم أنه ما منهم شخص كمل له هذا المقام إلا ويوهب ستمائة قوّة إلهية ورثها من جده الأقرب لأبيه فيفعل بها بحسب ما تعطيه فإن شاء أخفاها وإن شاء أظهرها والإخفاء أعلى فإن العبودة إنما تأخذ من القوى ما تستعين بها على أداء حق أوامر سيدها لثبوت حكم عبوديتها وكل قوّة تخرجه عن هذا الباب بالقصد فليس هو مطلوباً لرجال الله فإنهم لا يزاحمون ذا القوّة المتين فإنّ الله ما طلب منهم أن يطلبوا العون منه إلا في عبادته لا أن يظهروا بها ملوكاً أرباباً كما زعمت طائفة من أهل الكتاب ممن اتخذوا عيسى رباً قالوا إن محمداً يطلب منا أن نعبده كما عبدنا عيسى فأنزل الله تعالى "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله" ومن أسرارهم أيضاً أنهم لا يتعدّون في معارجهم من حيث أبيهم السماء الثانية إلا أن يتوجهوا إلى الجدّ الأقرب فربما ينتهي بعضهم إلى السدرة المنتهى وهي المرتبة التي تنتهي إليها أعمال العباد لا تتعداها ومن هناك يقبلها الحق وهي برزخها إلى يوم القيامة الذي يموت فيه صاحب ذلك العمل ويكفي هذا القدر من علم أسرار هذه الجماعة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء العشرون.

الجزء الواحد والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثامن والثلاثون في معرفة من اطلع على المقام المحمديّ ولم ينله من الأقطاب

بين النبوّة والولاية فارق لكن لها الشرف الأتم الأعظم

يعنو لها الفلك المحيط بسره وكذلك القلم العلي الأفخم

إن النبوّة والرسالة كانتا وقد انتهت ولها السبيل الأقوم

وأقام بيتاً للولاية محكماً في ذاته فله البقاء الأدوم

لا تطلبنه نهاية يسعى لها فيكون عند بلوغه يتهدم

صفة الدوام لذاته نفسية فهو الولي فقهره متحكم

يأوي إليه نبيه ورسوله والعالم الأعلى ومن هو أقدم

ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيّ" الحديث بكماله فهذا الحديث من أشد ما جرعت الأولياء مرارته فإنه قاطع للوصلة بين الإنسان وبين عبوديته وإذا انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين عبوديته من أكمل الوجوه انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين الله فإن العبد على قدر ما يخرج به عن عبوديته ينقصه من تقريبه من سيده لأنه يزاحمه في أسمائه وأقل المزاحمة الأسمية فأبقى علينا اسم الولي وهو من أسمائه سبحانه وكان هذا الاسم قد نزعه من رسوله وخلع عليه وسماه بالعبد والرسول ولا يليق بالله أن يسمى بالرسول فهذا الاسم من خصائص العبودية التي لا تصح أن تكون للرب وسبب إطلاق هذا الاسم وجود الرسالة والرسالة قد انقطعت فارتفع حكم هذا الاسم بارتفاعها من حيث نسبتها بها من الله ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في أمّته من يجرع مثل هذا الكاس وعلم ما يطرأ عليهم في نفوسهم من الألم لذلك رحمهم فجعل لهم نصيباً ليكونوا بذلك عبيد العبيد فقال للصحابة ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ كما أمره الله بالتبليغ لينطلق عليهم أسماء الرسل التي هي مخصوصة بالعبيد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها يعني حرفاً حرفاً وهذا لا يكون إلا لمن بلغ الوحي من قرآن أو سنة بلفظه الذي جاء به وهذا لا يكون إلا لنقلة الوحي من المقرئين والمحدثين ليس للفقهاء ولا لمن نقل الحديث على المعنى كما يراه سفيان الثوريّ وغيره نصيب ولاحظ فيه فإن الناقل على المعنى إنما نقل إلينا فهمه في ذلك الحديث النبوي ومن نقل إلينا فهمه فإنما هو رسول نفسه ولا يحشر يوم القيامة فيمن بلغ الوحي كما سمعه وأدّى الرسالة كما يحشر المقرىء والمحدث الناقل لفظ الرسول عينه في صف الرسل عليهم السلام فالصحابة إذا نقلوا الوحي على لفظه فهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون رسل الصحابة وهكذا الأمر جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة فإن شئنا قلنا في المبلغ إلينا أنه

رسول الله وإن شئنا أضفناه لمن بلغ عنه وإنما جوّزنا حذف الوسائط لأن رسول الله كان يخبره جبريل عليه السلام وملك من الملائكة ولا نقول فيه رسول جبريل وإنما نقول فيه رسول الله كما قال الله تعالى "محمد رسول الله والذين معه" وقال عز وجل "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله مع قوله نزل به الروح الأمين على قلبك ومع هذا فما أضافه الله إلا إلى نفسه فهذا القدر بقي لهم من العبودية وهو خير عظيم امتن به عليهم ومهما لم ينقله الشخص بسنده متصلاً غير منقطع فليس له هذا المقام ولا شم له رائحة وكان من الأولياء المزاحمين الحق في الاسم الوليّ فنقصه من عبوديته بقدر هذا الاسم فلهذا اسم المحدث بفتح الدار أولى به من اسم الولي فإن مقام الرسالة لا يناله أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بقدر ما بيناه فهو الذي أبقاه الحق تعالى علينا ومن هنا تعرف مقام شرف العبودية وشرف المحدثين نقلة الوحي بالرواية ولهذا اشتدّ علينا غلق هذا الباب وعلمنا أن الله قد طردنا من حال العبودية الاختصاصية التي كان ينبغي لنا أن نكون عليها وأمّا النبوّة فقد بينا هالك فيما تقدم في باب معرفة الأفراد وهم أصحاب الركاب ثم أنه تعالى من باب طردنا من العبودة ومقامها قال تعالى "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين" ومن نحن حتى تقع القسمة بيننا وبينه وهو السيد الفاعل المحرك الذي يقوّلنا في قولنا إياك نعبدوا مثال ذلك مما أضافه إلينا وقد علمنا أن نواصينا بيده في قيامنا وركوعنا وسجودنا وجلوسنا وفي نطقنا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي تفضلاً منه فإنه من قوّله بهذه اللفظة وما قدره حتى بقول السيد قال عبدي وقلت له هذا حجاب مسدل فينبغي للعبد أن يعرف أن لله مكراً خفياً في عباده وكل أحد يمكر به على قدر علمه بربه فيأخذ هذا التكريم الإلهي ابتداء من الله مدرجاً في نعمة فإذا صلى وتلا وقال الحمد لله يقولها حكاية من حيث ما هو مأمور بها لتصح عبوديته في صلاته ولا ينتظر الجواب ولا يقول ليجاب بل يشتغل بما كلفه سيده به من العمل حتى يكون ذلك الجواب والإنعام من السيد لا من كونه قال فإن القائل على الحقيقة خالق القول فيه فنسلم من هذا المكر وإن كان

مترلة رفيعة ولكن بالنظر إلى من هو في غير هذه المترلة ممن نزل عنها فما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المقام الذي أغلق بابه دوننا إلا ما ذكرناه من عناية الحق بمن كشف له عن ذلك ورزقه علم نقل الوحي بالرواية من كتاب وسنة فما أشرف مقام أهل الرواية من المقرئين والمحدثين جعلنا الله ممن اختص بنقله من قرآن وسنة فإن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته والحديث مثل القرآن بالنص فإنه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وممن تحقق بهذا المقام معنا أبو يزيد البسطامي كشف له منه بعد السؤال والتضرّع قدر خرق الأبرة فأراد أن يضع قدمه فيه فاحترق فعلم أنه لا ينال ذوقاً وهو كمال العبودة وقد حصل لنا منه صلى الله عليه وسلم شعرة وهذا كثير لمن عرف فما عند الخلق منه إلا ظله ولما أطلعني الله عليه لم يكن عن سؤال وإنما كان عن عناية من الله ثم أنه أيدني فيه بالأدب رزقاً من لدنه وعناية من الله بي فلم يصدر مني هناك ما صدر من أبي يزيد بل اطلعت عليه وجاء الأمر بالرقي في سلمه فعلمت إنّ ذلك خطاب ابتلاء وأمر ابتلاء لا خطاب تشريف على أنه قد يكون بعض الابتلاء تشريفاً فتوقفت وسألت الحجاب فعلم ما أردت فوضع الحجاب بيني وبين المقام وشكر لي ذلك فمنحني منه الشعرة التي ذكرناها اختصاصاً إلهياً فشكرت الله على الاختصاص بتلك الشعرة غير طالب بالشكر الزيادة وكيف أطلب الزيادة من ذلك وأنا أسأل الحجاب الذي هو من كمال العبودية فسرت فيّ العبودة وظهر سلطانها وحيل بيني وبين مرتبة السيادة لله الحمد على ذلك وكم طلبت إليها وما أجبت وهكذا إن شاء الله أكون في الآخرة عبداً محضاً خالصاً ولو ملكني جميع العالم ما ملكت منه إلا عبوديته خاصة حتى يقوم بذاتي جميع عبودية العالم وللناس في هذا مراتب فالذي ينبغي للعبد أن لا يزيد على هذا الاسم غيره فإن

أطلق الله ألسنة الخلق عليه بأنه وليّ الله ورأى أن الله قد أطلق عليه اسماً أطلقه تعالى على نفسه فلا يسمعه ممن يسميه به الأعلى أنه بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل حتى يشم فيه رائحة العبودية فإن بنية فعيل قد تكون بمعنى الفاعل وإنما قلنا هذا من أجل ما أمرنا أن نتخذه سبحانه وكيلاً فيما هو له مما نحن مستخلفون فيه فإن في مثل هذا مركاً خفياً فتحفظ منه ويكفي من التنبيه الإلهيّ العاصم من المكر كونك مأموراً بذلك فامتثل أمره واتخذه وكيلا لا تدعي الملك فإنّ الله تولاك فإنه قال وهو يتولى الصالحين واسم الصالح من خصائص العبودية ولهذا وصف محمد صلى الله عليه وسلم نفسه بالصلاح فإنه ادّعى حالة لا تكون إلا للعبيد الكمل فمنهم من شهد له بها الحق عز وجل بشرى من الله فقال في عبده يحيى عليه السلام "نبياً من الصالحين" وقال في نبيه عيسى عليه السلام "وكهلاً ومن الصالحين" وقال في إبراهيم عليه السلام "وإنه في الآخرة لمن الصالحين" من أجل الثلاثة الأمور التي صدرت منه في الدنيا وهي قوله عن زوجته سارة أنها أخته بتأويل وقوله إني سقيم اعتذاراً وقوله بل فعله كبيرهم إقامة حجة فبهذه الثلاثة يعتذر يوم القيامة للناس إذا سألوه أن يسأل ربه فتح باب الشفاعة فلهذا ذكر صلاحه في الآخرة إذ لم يؤاخذه بذلك كما قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم "ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر" وقال "عفا الله عنك لم أذنت لهم" فقدم البشرى قبل العتاب وهذه الآية عندنا بشرى خاصة ما فيها عتاب بل هو استفهام لمن أنصف وأعطى أهل العلم حقهم وأما سليمان وأمثاله عليهم السلام فأخبرنا الحق أنه قال "وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" وإن كانوا صالحين في نفس الأمر عند الله فهم بين سائل في الصلاح ومشهود له به مع كونه نعتاً عبودياً لا يليق بالله فما ظنك بالاسم الوليّ الذي قد تسمى الله به بمعنى الفاعل فينبغي أن لا ينطلق ذلك الاسم على العبد وإن أطلقه الحق عليه فذلك إليه تعالى ويلزم الإنسان عبوديته وما يختص به من الأسماء التي لم تنطلق قط على الحق لفظاً فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم فلما أنزل الله تعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم هذه الآية ليعرف الناس بها فكان الله حكى عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا بد له أن يقوله ويتلفظ به فجعله تعالى قرآناً يتلى إذ كان ذلك من خصائص العبيد في نفس الأمر فقال تعالى إن

ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فشهد له بالصلاح إذا كان الحق حاكياً في هذه الآية وإن كان آمراً فيكون من المشهودين لهم بالصلاح فعرفنا إن الله تولاه وأخبرنا إن الله يتولى الصالحين فشهد لنفسه بالصلاح بالوجه الذي ذكرناه و لم ينقل ذلك عن غيره بل نقل ما يقاربه من قول عيسى عليه السلام إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبراً بوالدتي و لم يجعلني جباراً شقياً والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا يقول الله تعالى "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض أي فكذلك أنت فكان من فضله نيل مثل هذا المقام فاحفظ يا وليّ نفسك في التخلق بأسماء الله الحسنى فإن العلماء لم يختلفوا في التخلق بها فإذا وفقت للتخلق بها فلا تغب في ذلك عن شهود آثارها فيك ولتكن فيها ومعها بحكم النيابة عنها فتكون مثل اسم الرسول لا تشارك الحق في إطلاق اسم عليك من أسمائه بذلك المعنى والزم الأدب "وقل رب زدني علما" والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والثلاثون في معرفة المنزل الذي يحط إليه الوليّ إذا طرده الحق تعالى من جواره

إذا حط الوليّ فليس إلا	عروج وارتقاء في علوّ
فإن الحق لا تقييد فيه	ففي عين النوى عين الدنوّ
فحال المجتبي في كل حال	سموّ في سموّ في سموّ
فلا حكم عليه بكل وجه	ولا تأثير فيه للعلوّ

اعلم أيدك الله بروح منه أن الله تعالى يقول لأبليس "اسجد لآدم" فظهر الأمر فيه وقال لآدم وحوّاء "لا تقربا هذه الشجرة" فظهر النهي فيهما والتكليف مقسم بين أمر ونهي وهما محمولان على الوجوب حتى تخرجهما عن مقام الوجوب قرينة حال وإن كان مذهبنا فيهما التوقيف فتعين امتثال الأمر والنهي وهذا أول أمر ظهر في العالم الطبيعيّ وأول نهي وقد أعلمناك أن الخاطر الأول وإن جميع الأوليات لا تكون إلا ربانية ولهذا تصدق ولا تخطىء أبداً ويقطع به صاحبه فسلطانه قوي ولما كان هذا أول أمر ونهي لذلك وقعت العقوبة عند المخالفة و لم يمهل فإذا جاءت الأوامر بالوسائط لم تقو قوّة الأول وهي الأوامر الواردة إلينا على ألسنة الرسل وهي على قسمين إما ثوان وهو ما يلقي الله إلى نبيه في نفسه من غير واسطة الملك فيصل إلينا الأمر الإلهيّ وقد جاز على حضرة كونية فاكتسب منها حالة لم يكن عليها فإنّ الأسماء الإلهية تلقته في هذه الحضرة الكونية فشاركته بأحكامها في حكمه وإما أن يترل عليه بذلك الأمر الملك فيكون الأمر الإلهي قد جاز على حضرتين من الكون جبريل وأي ملك كان وأي نبيّ كان فيكون فعله وأثره في القوّة دون الأول والثاني فلذلك لم تقع المؤاخذة معجلة فإما إمهال إلى الآخرة وإما غفران فلا يؤاخذ بذلك أبداً وفعل الله ذلك رحمة بعباده كما أنه تعالى خص النهي بآدم وحوّاء والنهي ليس بتكليف عمليّ فإنه يتضمن أمراً عدمياً وهو لا تفعل ومن حقيقة الممكن أنه لا يفعل فكأنه قيل له لا تفارق أصلك والأمر ليس كذلك فإنه يتضمن أمراً وجودياً وهو أن يفعل فكأنه قيل له أخرج عن أصلك فالأمر أشق على النفس من النهي إذ كلف الخروج عن أصله فلو أن إبليس لما عصى و لم يسجد لم يقل ما قال من التكبر والفضلية التي نسبها إلى نفسه على غيره فخرج عن عبوديته بقدر ذلك فحلت به عقوبة الله وكانت العقوبة لآدم وحوّاء لما تكلفا الخروج عن أصلهما وهو الترك وهو أمر عدميّ بالأكل وهو أمر وجوديّ فشرّك الله بين إبليس وآدم وحوّاء في ضمير واحد وهو كان أشدّ العقوبة على آدم فقيل لهم اهبطوا بضمير الجماعة و لم يكن الهبوط عقوبة لآدم وحوّاء وإنما كان عقوبة لإبليس فإن آدم أهبط لصدق الوعد بأن يجعل في الأرض خليفة بعد ما تاب عليه واجتباه وتلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فاعترافه عليه السلام في مقابلة كلام إبليس أنا خير منه فعرّفنا الحق بمقام الاعتراف عند الله وما ينتجه من السعادة لنتخذه طريقاً في مخالفتنا وعرّفنا بدعوى إبليس ومقالته لنحذر من مثلها عند مخالفتنا وأهبطت حوّاء للتناسل وأهبط إبليس للإغواء فكان هبوط آدم وحوّاء هبوط كرامة وهبوط إبليس هبوط خذلان وعقوبة واكتساب أوزار فإنّ معصيته كانت لا تقتضي تأبيد الشقاء فإنه لم يشرك بل افتخر بما خلقه الله عليه وكتبه شقياً ودار الشقاء مخصوصة بأهل الشرك فأنزله الله إلى الأرض ليسنّ الشرك بالوسوسة في قلوب العباد فإذا أشركوا وتبرأ إبليس من المشرك ومن الشرك لم ينفعه تبريه منه فإنه هو الذي قال له اكفر كما أخبر الله تعالى فحار عليه وزر كل مشرك في العالم وإن كان موحداً فإنه من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها فإن الشخص الطبيعي كأبليس وبني آدم لابدّ أن يتصوّر في نفسه مثال ما يريد أن يبرزه فما سنّ الشرك ووسوس به حتى تصوّره في نفسه على الصورة التي إذا حصلت في نفس

المشرك زالت عنه صورة التوحيد فإذا تصوّرها في نفسه بهذه الصورة فقد خرج التوحيد عن تصوّره في نفسه ضرورة فإن الشريك متصوّرة له في نفسه إلى جانب الحق الذي في نفسه متخيلاً أعني من العلم بوجود فمتركه في نفسه وحده فكان إبليس مشركاً في نفسه بلا شك ولا ريب ولابدّ أن يحفظ في نفسه بقاء صورة الشريك ليمدّ بها المشركين مع الأنفاس فإنه خائف منهم أن تزول عنهم صفة الشرك فيوحدوا الله فيسعدوا فلا يزال إبليس يحفظ صورة الشرك في نفسه ويراقب بها قلوب المشركين الكائنين في الوقت شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ويردّ بها الموحدين في المستقبل إلى الشرك ممن ليس بمشرك فلا ينفك إبليس دائماً على الشرك فبذلك أشقاه الله لأنه لا يقدر أن يتصوّر التوحيد نفساً واحداً لملازمته هذه الصفة وحرصه على بقائها في نفس المشرك فإنها لو ذهبت من نفسه لم يجد المشرك من يحدّثه في نفسه بالشرك فيذهب الشرك عنه ويكون إبليس لا

يتصوّر الشريك لأنه قد زالت عن نفسه صورة الشريك فيكون لا يعلم أن ذلك المشرك قد زال عن إشراكه فدل أن الشريك يستصحب إبليس دائما فهو أول مشرك بالله وأول من سن الشرك وهو أشقى العالمين فلذلك يطمع في الرحمة من عين المنة ولهذا قلنا أن العقوبة في حق آدم إنما كانت في جمعه مع إبليس في الضمير حيث خاطبهم الحق بالهبوط بالكلام الذي يليق بجلاله ولكن لا بد أن يكون في الكلام الصفة التي يقتضيها لفظ الضمير فإن صورة اللفظ يطلب المعنى الخاص وهذه طريقة لم نجعل العلماء بالها من ذلك وإنما ذكرنا مسئلة آدم تأنيسا لأهل الله تعالى إذا زالوا فحطوا عن مقامهم إن ذلك الأنحطاط لا يقضي بشقائهم ولا بد بل يكون هبوطهم كهبوط آدم فإن الله لا يتحيزوا ولا يتقيدوا إذا الأمر على هذا الحد وكان الله بهذه الصفة من عدم التقييد فيكون عين هبوط الولي عند الزلة وما قام به من نالذلة والحياء والأنكسار فيها عين الترقي إلى أعلى مما كان فيه لأن علوه بالمعرفة والحال وقد يزيد من العلم بالله ما لم يكن عنده ومن الحال وهو الذلة والأنكسار ما لم يكن عليهما وهذا هو نعين الترقي إلى مقام أشرف فإذا فقد الإنسان هذه الحالة في زلته و لم يندم ولا أنكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فليس من أهل هذه الطريقة بل ذلك جليس إبليس بل إبليس أحسن حالا منه لأنه يقول لمن يطيعه في الكفر إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ونحن إنما نتكلم على زلات أهل الله إذا وقعت منهم قال تعالى و لم يصروا على ما فعلوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وإنما الإنسان الولي إذا كان في المقام الذي كان والحال التي كان عليها ملتذا بها فلذته إنما كانت بحاله فإن الله تعالى أن يلتذ به فلما فقدها نخيل إنه إنحط من عين الله وإنما تلك الحالة لما زالت عنه إنحط عنها إذ كانت حالة تقتضى الرفعة وهو الآن في معراج الذلة والندم والأفتقار والأنكسار والأعتراف والأدب مع الله تعالى والحياء منه فهو يترقى في هذا المعراج فيجد هذا العبد في غاية هذا المعراج حالة أشرف من الحالة التي كان عليها فعند ذلك يعلم أنه ما انحط وأنه ترقى من حيث لا يشعر أنه في ترق وأخفى الله ذلك عن أوليائه لئلا يجترؤا عليه في المخالفات كما أخفى الأستدراج فيمن أشقاه الله فقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون فهم كما قال الله تعالى فيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا كذلك أخفى سبحانه تقريبه وعنايته فيمن أسعده الله بما شغله الله به من البكاء على ذنبه ومشاهدته زلته ونظرة إليها في كتابه وذهل عن أن ذلك الندم يعطيه الترقي عند الله فإنه بشره بقبول التوبة فهو متحقق وقوع الزلة حاكم عليه الإنكسار والحياء مما وقع فيه وإن لم يؤاخذه الله بذلك لذنب فكان الأستدراج حاصلا في الخير والشر وفي السعداء والأشقياء ولقيت بمدينة فاس رجلا عليه كآبة كأنه يخدم في الأتون فسألت أبا العباس الحصار وكان من كبار الشيوخ عنه فإني رأيته يجالسه ويحن إليه فقال لي هذا رجل كان في مقام فانحط عنه فكان في هذا المقام وكان من الحياء والإنكسار بحالة أوجبت عليه السكوت عن كلام الخلق فما زلت ألاطفه بمثل هذه الأدوية وأزيل عنه مرض تلك الزلة بمثل هذا العلاج وكان قد مكنني من نفسه

فلم أزل به حتى سرى ذلك الدواء في أعضائه فاطلق محياه وفتح له في عين قلبه باب إلى قبوله ومع هذا فكان الحياء يستلزمه وكذلك ينبغي أن تكون زلات الكابر غالبا نزولهم إلى المباحات لا غير وفي حكم النادر تقع منهم الكبائر قيل لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه أيعصي العارف فقال وكان أمر الله قدر مقدورا يريدان معصيتهم بحكم القدر النافذ غفيهم لا أنهم يقصدون انتهاك حرمات الله هم بحمد الله إذا كانوا أولياء عند الله تعالى وجل معصومون في هذا المقام فلا تصدر منهم معصية أصلا إنتهاكا لحرمة الله كمعاصي الغير فإن الإيمان المكتوب في القلوب يمنع من ذلك فمنهم من يعصي غفلة ومنهم من يخالف على حضور عن كشف إلهي فد عرفه الله فيه ما قدره عليه قبل وقوعه فهو على بصيرة من أمره وبينة من ربه وهذه الحالة بمنزلة من يلقى في النار ولا يحترق كإبراهيم عليه السلام فكان في النار ولا حكم لها فيه بالحجاب الذي هو المانع كذلك زلة العارف صاحب مقام الكشف للأقدار تحل به النازلة وحكمها بمعزل عنها فلا تؤثر في مقامه بخلاف من تحل

فيه وهو على غير بينة ولا بصيرة بما قدر عليه فهذا يستلزمه الحياء والندم والذلة وذلك ليس كذلك وهنا أسرار إلهية لا يسعنا التعبير عنها وبعد أن فهمناك مراتبهم في هذا المقام وفرقنا لك بيين معصية العارفين وبين معاصي العامة من علماء الرسوم ومقلديهم فاعلم أنه حكى عن بعضهم أنه قال اقعد على البساط يريد بساط العبادة وإياك والأنبساط أي التزم ما تعطيه حقيقة العبودة من حيث أنها مكلفة بأمور حدها له سيدها فإنه لولا تلك الأمور لأقتضى مقامها إلا دلال والفخر والزهو من أجل مقام من هو عبد له ومنزلته كما زها يوما عتبة الغلام وافتخر فقيل له ما هذا الزهو الذي نراه في شمائلك مما لم يكن يعرف قبل ذلك منك فقال وكيف لا أزهو وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبدا فما قبض العبيد من الإدلال وأن يكونوا في الدنيا مثل ماهم في الآخرة إلا التكليف فهم في شغل بأوامر سيدهم إلى أن يفرغوا منها فإذا لم يبق لهم شغل قاموا في مقام الإدلال الذي تقتضيه العبودية وذلك لا يكون إلا في الدار الآخرة فإن التكليف لهم مع الأنفاس في الدار الدنيا فكل صاحب إدلال ألا ترى عبد القادر الجيلي مع إدلاله لما حضرته الوفاة وبقي عليه تمن أنفاسه في هذه الدار ذلك القدر الزماني وضع خده في الأرض واعترف بأن الذي هو فيه الآن هو الحق الذي ينبغي أن يكون العبد عليه في هذه الدار وسبب ذلك أنه كان في أوقات صاحب إدلال لما كان الحق يعرفه به من حوادث الأكوان وعصم الله أبا تالسعود تلميذه من ذلك الإدلال فلازم العبودية المكلفة مع الأنفاس إلى حين موته فما حكى أنه تغير عليه الحال عند مقته كما تغير على شيخه عبد القادر وحكى لنا الثقة عندنا قال سمعته يقول طريق عبد القادر في طرق الأولياء غريب وطريقنا في طرق عبد القادر غريب رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم والله يعصمنا من المخالفات وإن كانت قدرت علينا فالله أسأل أن يجعلنا في إرتكابها على بصيرة حتى يكون لنا بها ارتقاء درجات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأربعون في معرفة منزل مجاور لعلم جزئي من علوم الكون وترتيبه وغرائبه وأقطابه

نظم يتضمن ما ترجمنا عليه:

مجاور علم الكون علم إلهي ... يقول الذي يعطاه كشف حقيقي

وما هو علم البرازخ خالص ... وما هو علوي وما هو سفلي

له في العلى وجه غريب محقق ... وفي السفل وجه بالحقائق علوي

وليس الذي يدريه ملك مخلص ولا هو جني ولا هو إنسي
ولكنها الأعيان لما تألفت بدالك شكل مستفاد كيابي
فقل فيه ما تهواء يقبله أصله فلست تراه وهو للعين مرئي
فما هو محكوم وليس بحاكم فما هو غيبي وما هو حسي
تنزه عن حصر الجهات ضياؤه فلا هو شرقي ولا هو غربي
فسبحان من أخفى عن العين ذاته ويسري مثال منه فينا اتصالي
نراه إذا كنا وما هو عينه ولكنه كشف صحيح خيالي
تجلى لرأي العين في كل صورة فذلك مقصودي بقولي مثالي

اعلم أيدك الله بروح القدس إن هذا المترل مترل الكمال وهو مجاور مترل الجلال والجمال هو من أجل المنازل والنازل فيه أتم نازل

اعلم أن خرق العوائد على ثلاثة أقسام قسم منها يرجع إلى ما يدركه البصر أو بعض القوى على حسب ما يظهر لتلك القوة مما ارتبطت في العادة بإدراكه وهو في نفسه على غير ما أدركته تلك القوة مثل قولهت يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وهذا القسم داخل تحت قدرة البشر وهو على قسمين منه ما يرجع إلى قوة نفسية ومنه ما يرجع إلى خواص أسماء إذا تلفظ بتلك الأسماء ظهرت تلك الصور في عين الرائي أو في سمعه خيالا وما ثم في نفس الأمر أعني في المحسوس شيء من صورة مرئية ولا مسموعة وهو فعل الساحر وهو على علم أنه ما ثم شيء مما وقع في الأعين والإسماع والقسم الآخر الذي هو قوة نفسية يكون عنها فيما تراه العين أو أي إدراك كان ما كان من الأمر الذي ظهر عن خواص الأسماء والفرق بينهما أن الذي يفعله بطريق الأسماء وهو الساحر يعلم أنه ما ثم شيء من خارج وإنما لها سلطان على الحاضرين فتخطف أبصار الناظرين فيرى صورا في خياله كما يرى النائم في نومه وما ثم في الخارج شيء مما يدركه وهذا القسم الآخر الذي للقوة النفسية منهم من يعلم أنه ما ثم شيء في الخارج ومنهم من لا يعلم ذلك فيعتقد أن الأمر كما رآه ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب مقامات الأولياء في باب الكرامات منه أن عليما الأسود وكان من أكابر أهل الطريق أن بعض الصالحين اجتمع به في قصة أدته إلى أن ضرب عليم الأسود إلى اسطوانة كانت قائمة في المسجد من رخام فإذا هي كلها ذهب فنظر إليها الرجل إسطوانة ذهب فتعجب فقال له يا هذا إن الأعيان لا تنقلب ولكن هكذا تراها لحقيقتك بربك وهي غير ذلك فخرج من كلامه فيما يظهر لمن لا علم له بالأشياء ببادىء الرأي أو من أول نظران الأسطوانة حجر كما كانت وليست ذهبا إلا في عين الرائي ثم إن الرجل أبصرها بعد ذلك حجرا كما كانت أول مرة قال تعالى في عصا موسى عليه السلام وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي ثم قال ألقها يا موسى فألقاها من يده في الأرض فإذا هي حية تسعى فلما خاف موسى عليه السلام منها على مجرى العادة في النفوس أنها تخاف من الحيات إذ فاجأها لما قرن الله بها من الضرر لبني آدم وما علم موسى مراد الله في ذلك ولو علمه ما خاف فقال الله تعالى له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الولى أي ترجع عصا كما كانت أو ترجع تراها عصا كما كانت فالآية محتملة فإن الضمير الذي في قوله عز وجل سنعيدها سيرتها الأولى إذ لم تكن عصا في حال كونها في نظر موسى حية لم يجد الضمير على من يعود كما إن الإنسان إذا عودك أمر ما وهوانه كان يحسن إليك ثم أساء إليك فتقول له قد تغيرت سيرتك معي ما أنت هو ذاك الذي كان يحسن إلي ومعلوم أنه هو فيقال له سيعود معك إلى سيرته الولى من

الإحسان إليك وهو في صورته ما تغير وولكن تغير عليك فعله معك وقدم الله هذا لموسى عليه السلام توطئه تلما سبق في علمه سبحانه أن السحر تظهر لعينه مثل هذا فيكون عنده علم من ذلك حتى لا يذهل ولا يخاف إذا وقع منهم عند إلقائهم حبالهم وعصيهم وخيل إلى موسى أنها تسعى بقول له فلا تخف إذا رأيت ذلك منهم يقوى جأشه فلما وقع من السحرة ما وقع مما ذكر الله لما في كتابه وامتلأ الوادي من حبالهم وعصيهم ورآها موسى فيما خيل له حيات تسعى أوجس في نفسه خيفة موسى فلم يكن نسبة الخوف إليه في هذا الوقت نسبة الخوف الأول فإن الخوف الأول كان من الحية فولى مدبرا و لم يعقب حتى أخبره الله تعالى وكان هذا الخوف الآخر الذي ظهر منه للسحرة على الحاضرين لئلا تظهر عليه السحرة بالحجة فيلتبس الأمر على الناس ولهذا قال الله له لا تخف إنك أنت الأعلى ولما ظهر للسحرة خوف موسى مما رآه وما علموا متعلق هذا الخوف أي شيء هو علموا أنه ليس عند موسى من علم السحر شيء فإن الساحر لا يخاف مما يفعله لعلمه أنه لا حقيقة له من خارج وأنه ليس كما يظهر لا عين الناظرين فأمر الله موسى أن يلقى عصاه وأخبرانها تلقف ما صنعوا فلما ألقى موسى عصاه فكانت حية علمت السحر بأجمعها مما علمت من خوف موسى أنه لو كان ذلك منه وكان ساحرا ما خاف ورأوا عصاه حية حقيقة علموا عند ذلك أنه أمر غيب من الله الذي يدعوهم إلى الإيمان به وما عنده من علم السحر خبر فتلقفت تلك الحية جميع ما كان في الوادي من الحبال والعصي أي تلقفت صور الحيات منها فبدت حبالا وعصيا كما هي وأخذ الله بأبصارهم عن ذلك فإن الله يقول تلقف ما صنعوا وما صنعوا الحبال ولا العصي وإنما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات وهي التي تلقفت عصا موسى فتنبه لما ذكرت لك فإن المفسرين ذهلوا عن هذا الإدراك في أخبار الله تعالى فإنه ما قال تلقف حبالهم وعصيهم فكانت الآية عند االسحرة خوف موسى وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي وعلموا أن الذي جاء به موسى من عند الله فآمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم وخروا سجدا عند هذه الآية وقالوا آمنا فزادوا رب موسى وهارون حتى يرتفع الألتباس فإنهم لو وقفوا على العالمين لقا ل فرعون أنا رب العالمين إياي عنوا فزادوا رب موسى وهرون حتى أي الذي يدعو إليه موسى وهرون فارتفع الأشكال فتوعدهم فرعون بالعذاب فآثروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة وكان من كلامهم ما قص الله علينا وأما العامة فنسبوا ما جاء به موسى إلى أنه من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أنه أقوى منهم وأعلم بالسحر بالتلقف الذي ظهر من حية عصا موسى عليه السلام فقالوا هذا سحر عظيم و لم تكن آية موسى عند السحرة إلا خوفه وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي خاصة فمثل هذا خارج عن قوة النفس وعن خواص الأسماء لوجود الخوف الذي ظهر من موسى في أول مرة فكان الفعل من الله ولما واقع السحرة اللبس على أعين الناظرين بتصيير الحبال والعصي حيات في نظرهم أراد الحق أن يأتيهم من بابهم الذي يعرفونه كما قال تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون فإن الله يراعي في الأمور المناسبات فجعل العصا حية كحيات عصيهم فيي عموم الناس ولبس على السحرة بما أظهر من خوف موسى فتخيلوا أنه خاف من الحيات وكان موسى في نفس المر غير خائف من الحيات لما تقدم له في ذلك من الله في الفعل الول حين قال له خذها ولا تخف فنهاه عن الخوف منها وأعلمه أن ذلك آية له فكان خوفه الثاني على الناس لئلا يلتبس عليهم الدليل والشبهة والسحرة تظن أنه خاف من الحيات فلبس الله عليهم خوفه كما لبسوا على الناس وهذا غاية الأستقصاء الإلهي في المناسبات في هذا الموطن لأن السحرة لو علمت أن خوف موسى من الغلبة بالحجة لما سارعت إلى الإيمان ثم إنه كان لحية موسى التلقف و لم يكن لحياتهم تلقف ولا أثر لأنها حبال وعصي في نفس الأمر فهذا المترل الذي ذكرناه في هذا الباب أنه مجاور لعلم جزئي من علوم الكون هو هذا العلم الجزئي علم المعجزاتلأنه ليس عن قوة نفسية ولا عن خواص أسماء فإن موسى عليه السلام لو كان انفعال العصا حية عن قوة همية أو عن أسماء

أعطيها ماولي مدبرا و لم يعقب خوفا فعلمنا أن ثم أمورا تختص بجانب الحق في علمه لا يعرفها من ظهرت على يده تلك الصورة فهذا المترل مجاور لما جاءت به الأنبياء من كونه ليس عن حيلة و لم يكن مثل معجزات الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء لا علم لهم بذلك وهؤلاء ظهر ذلك عنهم بهمتهم أو قوة نفسهم أو صدقهم قل كيف شئت فلهذا اختصت باسم الكرامات و لم تسم معجزات ولا سميت سحرا فإن المعجزة ما يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها إما صرفا وإما أن تكون ليست من مقدورات البشر لعدم قوة النفس وخواص الأسماء وتظهر على أيديهم وإن السحر هو الذي يظهر فيه وجه إلى الحق وهو في نفس الأمر ليس حقا مشتق من السحر الزماني وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح وهو ليس بنهار لعدم طلوع الشمس للأبصار فكذلك هذا الذي يسمى سحرا ما هو باطل محقق فيكون عدما فإنه ليس في نفسه كما تشهده العين ويظنه الرائي وكرامات الأولياء ليست من قبيل السحر فإن لها حقيقة في نفسها وجودية وليست بمعجزة فإنه على علم وعن قوة همة وأما قول عليم لحقيقتك بربك تراها ذهبا فإن الأعيان لا تنقلب وذلك لما رآه قد عظم ذلك الأمر عندما رآه فقال له العلم بك أشرف مما رأيت فاتصف بالعلم فإنه أعظم من كون الإسطوانة كانت ذهبا في نفس الأمر فاعلمه أن الأعيان لا تنقلب وهو صحيح في نفس الأمر أي أن الحجرية لم ترجع ذهبا فإن حقيقة الحجرية قبلها هذا الجوهر كما قبل الجسم الحرارة فقيل فيه أنه حار فإذا أراد الله أن يكسو هذا الجوهر صورة الذهب خلع عنه صورة الحجر وكساه صورة الذهب فظهر الجوهر أو الجسم الذي كان حجرا ذهبا كما خلع عن الجسم الحار الحرارة وكساه البرد فصار باردا فما ذهبا ولا الذهب عاد حجرا كما أن الجوهر الهيولاني قبل صورة الماء فقيل هو ماء بلا شك فإذا جعلته في القدر وأغليتها على النار إلى أن يصعد بخار افتعلم قطعا أن صورة الماء زالت عنه وقبل صورة البخار فصار يطلب الصعود لعنصره الأعظم كما كان إذ قامت به صورة الماء يطلب عنصره الأعظم فيأخذ سفلا فهذا معنى قول عليم في هذا المترل المختص بالأولياء والهمة المجاورة لعلم المعجزة إن الأعيان لا تنقلب وقوله لحقيقتك بربك أي إذا اطلعت إلى حقيقتك وجدت نفسك عبدا محضا عاجزا ميتا ضعيفا عدما لا وجود لك كمثل هذا الجوهر ما لم يلبس الصور لم يظهر له عين في الوجود فهذا العبد يلبس صور الأسماء الإلهية فتظهر بها عينه فأول اسم يلبسه الوجود فيظهر موجودا لنفسه حتى يقبل جميع ما يمكن أن يقبله الموجود من حيث ما هو موجود فيقبل جميع ما يخلع عليه الحق من الأسماء الإلهية فيتصف عند ذلك بالحي والقادر والعليم والمريد والسميع والبصير والمتكلم والشكور والرحيم والخالق والمصور وجميع الأسماء كما اتصف هذا الجسم بالحجر والذهب والفضة والنحاس والماء والهواء و لم تزل حقيقة الجسمية عن كل واحد مع وجود هذه الصفات كذلك لا يزول عن الإنسان حقيقة كونه عبدا إنسانا مع وجود هذه نالسماء الإلهية فيه فهذا معنى قوله لحقيقتك بربك أي لإرتباط حقيقتك بربك فلا تخلو عن صورة إلهية تظهر فيها كذلك هذا الجسم لا يخلو عن صورة يظهر فيها وكما تتنوع أنت بصور الأسماء الإلهية فينطلق عليك بحسب كل صورة اسم غير الاسم الآخر كذلك ينطلق على هذا الجوهر اسم الحجرية والذهبية للوصف لا لعينه فقد تبينت فيما ذكرناه الثلاثة الأقسام في خرق العوائد وهي المعجزات والكرامات والسحر وما ثم خرق عادة أكثر من هذا ولست أعني بالكرامات إلا ما ظهر عن قوة الهمة إلا أني أريد بهذا الإصطلاح في هذا الموضع التقريب الإلهي لهذا الشخص فإنه قد يكون ذلك استدراجا ومكرا وإنما أطلقت عليه اسم الكرامة لأنه الغالب والمرك فيه قليل جدا فهذا المترل مجاور آيات الأنبياء عليه السلام وهو العلم الجزئي من علوم الكون لا يجاور السحر فإن كرامة الولي وخرق العادة له إنما كانت باتباع الرسول والجري على سنته فكأنها من آيات ذلك النبي إذ باتباعه ظهرت للمتحقق بالإتباع فلهذا جاورته فأقطاب هذا المترل كل ولي ظهر عليه خرق عادة عن غير همته فيكون إلى النبوة أقرب ممن ظهر عنه خرق

العادة بهمته والأنبياء هم العبيد على أصلهم فكذلك أقطاب هذا المترل فكلما قربت أحوالك من أحوال الأنبياء عليهم السلام كنت في العبودة أمكن وكانت لك الحجة و لم يكن للشيطان عليك سلكان كما قال تعالى أن عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا فلا أثر للشيطان فيهم فكذلك من قرب منهم ولما عاينت هذا المشهد قلت القصيدة التي أولها

تنزلت الأملاك ليلا على قلبي ... ودارت عليه مثل دائرة القلب

حذارا من إلقاء اللعين إذا يرى ... نزول علوم الغيب عينا على القلب

وذلك حفظ الله في مثل طورنا ... وعصمته في لمرسلين بلا ريب

القصيدة بكمالها وهي مذكورة في أول الباب الثلاثين وثلاثمائة من هذا الكتاب وترتيب هذا الباب هو ما ذكرناه من مراتب خرق العوائد وأما ما فيه من الغرائب فإلحاق البشر بالروحانيين في التمثل وإلحاق الروحانيين بالبشر في الصورة وظهور صورة عنهم شبيه الصورة التي يتمثلون بها قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا يسمى روحا مثل ما هو جبريل روح فيحيي الموتى كما يحيى جبريل قال ابن عباس ما وطيء جبريل عليه السلام قط موضعا من الأرض إلا حيي ذلك الموضع ولهذا أخذ السامري قبضة من أثره حين عرفه لما جاء لموسى وقد علم أن وطأته يحيا بها ما وطئه من الأشياء فقبض قبضة من أثر الرسول فرمى بها في العجل الذي صنعه فيحي ذلك العجل وكان ذلك إلقاء من الشيطان في نفس السامري لأن الشيطان يعلم مترلة الرواح فوجد السامري في نفسه هذه القوة وما علم بأنها من إلقاء إبليس فقال وكذلك سولت لي نفسي وفعل ذلك إبليس من حرصه على غضلاله بما يعتقده من الشريك لله تعالى فخرج عيسى على صورة جبريل في المعنى والاسم والصورة الممثلة فالتحق البشر بالروحاني والتحق الروحاني بصورة البشر في نازلة واحدة وكفي هذا القدر من هذا الباب فإنه باب واسع لمريم وآسية ولحقائق الرسل عليه السلام فيه مجال رحب فإنه مترل الكمال من حصله ساد على أبناء جنسه وظهر حاكما على صاحب الجلال والجمال وهو من مقامات أبي يزيد البسطامي والأفراد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الحادي والعشرون

الجزء الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الحادي والأربعون في معرفة أهل الليل واختلاف طبقاتهم وتباينهم في مراتبهم وأسرار أقطابهم

ألا أن أهل الليل أهل تنزل وأهل معاريج وأهل تنقل
فمن صاعد نحو المقام بهمة ومن نازل يبغي اللحوق باسفل
بحكم التداني والتدلى هما وعن وجود الترقي والتلقي بمعزل
فان قلت فيهم أنهم خير عصبة صدقت فقد حلوابا كرم منزل
وإن قلت فيهم أنهم شرفيته صدقت فليسوا بالنبي ولا الولي
فهم لأهمو ليسوا بهم وبغيرهم ولكنهم في معقل متزلزل
عزيز الحمى بين المشاهد والنهي وبين جنوب في الهبوب وشمأل
فما منهموا إلا إمام مسود إذا أصبحوا نالوا المنى بالتأمل
لهم نظرة لا يعرف الغير حكمها لهم سطوة في كل تاج مكلل

اعلم أيدك الله بروح منه أن الله جعل الليل لأهله مثل الغيب لنفسه فكما لا يشهد أحد فعل الله في خلقه لحجاب الغيب الذي أرسله دونهم كذلك لا يشهد أحد فعل أهل الليل مع الله في عبادتهم لحجاب ظلمة الليل التي أرسلها الله دونهم فهم خير عصبة في حق الله وهم شر فتية في حق أنفسهم ليسوا بأنبياء تشريع لما ورد من غلق باب النبوة ولا يقال في واحد منهم عندهم أنه ولي لما فيه من المشاركة مع اسم الله فيقال فيهم أولياء ولا يقولون ذلك عن أنفسهم وإن بشروا فجعل الليل لباسا لأهله يلبسونه فيسترهم هذا اللباس عن أعين الأغيار يتمتعون في خلواتهم الليلية بحبيبهم فيناجونه من غير رقيب لأنه جعل النوم في أعين الرقباء سباتا أي راحة لأهل الليل إلهية كما هو راحة للناس طبيعية فإذا نام الناس استراح هؤلاء مع ربهم وخلوا به حسا ومعنى فيما يسألونه من قبول توبة وإجابة دعوة ومغفرة حوبة وغير ذلك فنوم الناس راحة لهم وأن الله تعالى ينزل غليهم بالليل إلى السماء الدنيا فلا يبقى بينه وبينهم حجاب فلكي ونزوله إليهم رحمة بهم ويتجلى من سماء الدينا عليهم كما ورد في الخبر فيقول كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه هأناذا قد تجليت لعبادي هل من داع فاستجيب له هل من نائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له حتى ينصدع الفجر فأهل الليل هم الفائزون بهذه الخطوة في هذه الخلوة وهذه المسامرة في محاريبهم فهم قائمون يتلون كلامه ويفتحون أسماعهم لما يقول لهم في كلامه إذا قال يا أيها الناس يصغون ويقولون نحن الناس ما تريد منا يا ربنا في ندائك هذا فيقول لهم عز وجل على لسانهم بتلاوتهم كلامه الذي أنزله اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يا أيها الناس يقولون لبيك ربنا يقول لهم اتقوا ربكم الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا

تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون فيقولون يا ربنا تخاطبتنا فسمعنا وفهمتنا ففهمنا فيا ربنا وفقنا واستعملنا فيما طلبته منا من عبادتك وتقواك إذ لا حول لنا وقوة إلا بك ومن نحن تحق تتزل إلينا من علو جلالك وتنادينا وتسألنا وتطلب منا أيها الناس يقولون لبيك إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا فيقولون يا ربنا أسمعتنا فسمعنا وأعلمتنا فعلمنا فاعصمنا وتعطف علينا فالمنصور من نصرته والمؤيد من أيدته والمخذول من خذلته يا أيها الإنسان فيقول الإنسان منهم لبيك يارب ما غرك بربك الكريم فيقول كرمك يا رب فيقول صدقت يا أيها الذين آمنوا فيقولون لبيك ربنا اتقوا الله حق تقاته اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يقولون وأي قول لنا إلا ما تقولنا وهل لمخلوق حول أو قوة إلا بك فاجعل نطقنا ذكرك وقولنا تلاوة كتابك يأيها الذين آمنوا فيقولون لبيك ربنا فيقول تعالى عليكم أنفسكم أفلا تبصرون وقلت سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق والآيات ليست مطلوبة إلا لما تدل عليه وأنت مدلولها فكانك تقول في قولك عليكم أنفسكم أي الزمونا وثابروا علينا وألظوا بنا ثم قلت لا يضركم من ضل أي حار وتلف حين طلبنا بفكر فاراد أن يدخلنا تحت حكم نظره وعقله إذا اهتديتم بما عرفتكم به مني في كتابي وعلى لسان رسولي فعرفتموني بما وصفت لكم به نفسي فما عرفتموني إلا بي فلم تضلوا فكانت لكم هدايتي وتقريبي نورا تمشون به على صراطنا المستقيم فلا يزال دأب أهل الليل هكذا مع الله في كل آية يقرؤها في صلاتهم وفي كل ذكر يذكرونه به حتى ينصدع الفجر قال محمد بن عبد الجبار النفري وكان من أهل الليل أقفني الحق في موقف العلم وذكر رضي الله عنه ما قال له الحق في موقفه ذلك فكان من جملة ما قال له في ذلك الموقف يا عبدي الليل لي لا القرآن يتلى الليل لي لا للمحمدة والثناء يقول الله تعالى إن لك في النهار سبحا طويلا فاجعل الليل لي كما هو لي فإن في الليل نزولي فلا أراك في النهار في معاشك فإذا جاء الليل وطلبتك ونزلت إليك وجدتك نائما في راحتك وفي عالم حياتك وما ثم ثم إلا ليل ونهار فلا في النهار في معاشك فإذا جاء الليل وطلبتك ونزلت إليك وجدتك نائما في راحتك وفي عالم حياتك وما ثم إلا ليل ونهار فلا في في النهاار في معاشك فإذا جاء الليل وطلبتك ونزلت إليك فيه لا ناجيك وأسامرك واقضى حوائجك فوجدتك

قد نمت عني وأسأت الدب معي مع دعواك محبتي وإيثار جنابي فقم بين يدي وسلني حتى أعطيك مسألتك وما طلبتك لتتلو القرآن فتقف مع معانيه فإن معانيه تفرقك عني فآية تمشي بك في جنتي وما أعددت لأوليائي فيها فأين أنا إذا كنت أنت في جنتي مع الحور المقصورات في الخيام كأنهن الياقوت والمرجان متكئا على فرش بطائنها من استبرق وجني الجنتين دان تسقي من رحيق مختوم مزاجه من تسنيم وآية توقفك مع ملائكتي وهم يدخلون عليك من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وآية تستشرف بك على جهنم فتعاين ما أعددت فيها لمن عصاني واشرك بي من سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وترى الحطمة وما أدراك الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الفئدة أنها عليهم مؤصدة أي مسلطة في عممدة ممدة أين أنا يا عبدي إذا تلوت هذه الآية وأنت بخاطرك وهمتك في الجنة تارة وفي جهنم تارة ثم تتلوا آية فتمشى بك في القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وترى في ذلك اليوم من هذه الآية يفر المرؤ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يؤمئذ شأن يغنيه وترى العرش في ذلك اليوم تحمله ثمانية أملاك وفي ذلك اليوم تعرضون فأين أنا والليل لي فها أنت يا عبدي في النهار في معاشك وفي الليل فيما تعطيه تلاونك من جنة ونار وعرض فأنت بين آخرة ودنيا برزخ فما تركت لي وقتا تخلو بي فيه إلا جعلته لنفسك والليل يا عبدي لا للمحمدة والثناء ثم تتلوا آية أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين فتشاهدهم في تلاوتك وتفكر في مقاماتهم وأحوالهم وما أعطيت المؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات فوقفت بالثناء والمحمدة مع كل طائفة أثنيت عليهم في كتابي فأين أنا وأين خلوتك بي ما عرفني ولا عرف مقدار قولي الليل لي وما عرف لماذا نزلت إليك بالليل إلا العارف المحقق الذي لقيه بعض إخوانه فقال له يا أخي اذكرني في خلوتك بربك فأجابه ذلك العبد نفقال إذا ذكرتك فلست معه في خلوة فمثل ذلك عرف قدر نزولي إلى السماء الدنيا بالليل ولماذا نزلت ولمن طلبت فأنا أتلو كتابي عليه بلسانه وهو يسمع فتلك مسامرتي وذلك العبد هو الملتذ بكلامي فإذا وقف مع معانيه فقد خرج عني بفكره وتأمله فالذي ينبغي له أن يصغي إلي ويخلي سمعه لكلامي حتى أكون أنا في تلك التلاوة كما تلوت عليه وأسمعته أكون أنا الذي أشرح له كلامي وأترجم له عن معناه فتلك مسامرتي معه فيأخذ العلم مني لا من فكره واعتباره فلا يبالي بذكر جنة ولا نار ولا حساب ولا عرض ولا دنيا ولا آخرة فإنه ما نظرها بعقله ولا بحث عن الآية بفكره وإنما ألقى السمع لما أقوله له وهو شهيد حاضر معي أتولى تعليمه بنفسي فأقول له يا عبدي أردت بهذه الآية كذا وكذا وبهذه الآية الأخرى كذا وكذا هكذا إلى أن ينصدع الفجر فيحصل من العلوم على يقين ما لم يكن عنده فإنه مني سمع القرآن ومني سمع شرحه وتفسير معانيه وما أردت بذلك الكلام وبتلك الآية والسورة فيكون حسن الأدب معي في استماعه واصاخته فإن طالبته بالمسامرة في ذلك فيجيبني بحضور ومشاهدة يعرض علي جيمع ما كلمته به وعلمته إياه فإن كان أخذه على الإستيفاء وإلا فنجبر له ما نقصه من ذلك فيكون لي لا له ولا لمخلوق فمثل هذا العبد هو لي والليل بيني وبينه فإذا انصدع الفجر استويت على عرشي أدبر الأمر أفصل الآيات ويمشي عبدي إلى معاشه وإلى محادثة إخوانه وقد فتحت بيني وبينه بابا في خلقي ينظر إلي منه وأنظر إليه منه والخلق لا يشعرون فأحدثه على ألسنتهم وهم لا يعرفون ويأخذ مني على بصيرة وهم لا يعلمون فيحسبون أنه يكلمهم وما يكلم سواي ويظنون أنه يجيبهم وما يجيب إلا إياي كما قال بعض أصحاب هذه الصفة

يا مؤنسي بالليل إن هجع الورى ومحدثي من بينهم بنهاري

وإذ قد أبنت لك عن أهل الليل كيف ينبغي أن يكونوا في ليلهم فإن كنت منهم فقد علمتك الأدب الخاص بأهل الله وكيف ينبغي لهم أن يكونوا مع الله واعلم أنه تختلف طبقاتهم في ذلك فالزاهد حاله مع الله في ليله من مقام زهده والمتوكل حاله مع الله من مقام توكله وكذلك صاحب كل مقام ولكل مقام لسان هو الترجمان الإلهي فهم متباينون في المراتب بحسب الأحوال والمقامات وأقطاب أهل الليل هم أصحاب المعاني المجرّدة عن الموادّ المحسوسة والخيالية فهم واقفون مع الحق بالحق على الحق من غير حد ولا نهاية ووجود ضد ومن أهل الليل من يكون صاحب عروج وارتقاء ودنوّ فيتلقاه الحق في الطريق وهو نازل إلى السماء الدنيا فيتدلى إليه فيضع كنفه عليه وكل همة من كل صاحب معراج يتلقاها الحق في ذلك النزول حيث وجدها فمن الهمم من يلقاها الحق في السماء الدنيا ومنها من يلقاها في الثانية وفيما بينهما وفي الثالثة وفيما بينهما وفي الرابعة وفيما بينهما وفي الخامسة وفيما بينهما وفي السادسة وفيما بينهما وفي السابعة وفيما بينهما وفي الكرسي وفيما بينهما وفي العرش في أوّل النزول وفيما بينهما وهو مستوى الرحمن فيعطي لتلك الهمة من المعاني والمعارف والأسرار بحسب المنزل الذي لقيته فيه ثم تنزل معه إلى السماء الدنيا فتقف الهمم بين يديه ويستشرف الحق على من بقي من الهمم من أهل الليل في محاريبهم وما عرجت فيلقي إليهم الحق تعالى بحسب ما يسألونه في

صلاتهم ودعائهم وهم في بيوتهم وفي محاريبهم فتسمع تلك الهمم التي لقيتهه في طريقها ما يكون منه جل جلاله إلى أولئك العبيد فيستفيدون علوماً لم تكن عندهم فإنه قد يخطر لهؤلئك الذين ما صعدت هممهم من السؤال للحق في المعارف والأسرار ما لم يكن في قوّة هذه الهمم أن تسألها لقصورها عنها فإذا سمعوا الجواب من الحق الذي يجيب به أولئك القوم الذين في محاريبهم وما اخترقت هممهم سماء ولا فلكاً فيحصل لهم من العلم بالله بقدر ما سأل عنه أولئك الأقوام وثم همم أخر ارتقت فوق العرش إلى مرتبة النفس فقد نجد الحق هناك وجود تتريه ما هو وجودها له مثل وجودها له في عالم المساحة والمقدار فيشاهدون مقاماً أنزه ومترلاً أقدس وبينية لا يحدها التقدير ولا يأخذها التصوير فبينيتها بينية تمييز علوم ومراتب فهوم ومن الهمم من يلقاه في العقل الأول ومن الهمم ما تلقاه في المقربين من الأرواح المهيمة ومن الهمم ما تلقاه في العماء ومن الهمم من تلقاه في الأرض المخلوقة من بقية طينة آدم عليه السلام فإذا لقيته هذه الهمم في هذه المراتب أعطاها على قدر تعطشها من المقام الذي بعثها على الترقي إلى هذه المراتب ويترلون معه إلى السماء الدنيا وعلى الحقيقة هو يترلهم إلى السماء الدنيا ويترل معهم فيستفيدون من العلوم التي يهبها الحق لتلك الهمم التي ما تعدت العرش هكذا كل ليلة ثم تترل هذه الهمم وقد عرفت ما أكرمها به الحق فاجتمعت بالهمم التي ما برحت من مكانها فوجدتها على طبقات فمنهم من وجد عندهم من العلوم التي لم تتقيد بترق وكان الحق أقرب إليها من حبل الوريد حين كان مع أولئك في العماء وفي السماء الدنيا وما بينهما قال تعالى وهو معكم أينما كنتم فهو مع كل همة حيث كانت ويجدون هماً أرضية قد تقدست عن الأينية وعن مراتب العقول فلم تتقيد بحضرة فتنال من العلوم التي تليق بهذه الصفة التي وهبهم اح منها ما حصلوا عليه من المعارف ما يبهت أولئك الهمم وهي من علوم الإطلاق الخارجة عن الحصر الأينيّ الفلكي وعن الحصر الروحانيّ العقليّ فهم مع كونهم في ظلمة الطبيعة على نور أضاءت به تلك الظلمة لوجود المشاهدة وهؤلاء هم الذين يعرفون أن إدراك الأشياء المرئية إنما هو من اجتماع نور البصر مع نور الجسم المستنير شمساً كان أو سراجاً أو ما كان فتظهر المبصرات فلو فقد الجسم المستنير ما ظهر شيء ولو فقد البصر ما أضاء شيء مما يدركه البصر مع النور الخارج أصلاً ألا ترى صاحب الكشف إذا أظلم الليل وانغلق عليه باب بيته ويكون معه في تلك الظلمة شخص آخر وقد تساويا في عدم الكشف للمبصرات فيكون أحدهم ممن يكشف له في أوقات فيتجلى له نور يجتمع ذلك النور مع نور البصر فيدرك ما في ذلك البيت المظلم مما أراد الله أن يكشف له منه كله أو بعضه يراه مثل ما يراه بالنهار أو بالسراج ورفيقه الذي هو معه لا يرى إلا

الظلمة غير ذلك لا يراه فإن ذلك النور ما تجلى له حتى يجتمع بنور بصره فينفر حجاب الظلمة فلو لم يكن الأمر كما ذكرناه لكان صاحب هذا الكشف مثل صاحبه لا يدرك شيأ أو يكون رفيقه مثله يدرك الأشياء فيكون إمّا من أهل الكشف مثله أو يدركه بنور العلم فإن المكاشف يدركه بنور الخيال كما يدركه النائم ورفيقه إلى جانبه مستيقظ لا يرى شيأ كذلك صاحب الكشف ولو سألت صاحب الكشف هل ترى ظلمة في حال كشفلك لقال لا بل يقول أنارت البقعة حتى قلت إن الشمس ما غابت فأدركت المبصرات كما أدركها نهاراً وهذه المسئلة ما رأيت أحداً نبه عليها إلا إن كان وما وصل إليّ فالكون كله في أصله مظلم فلا يرى إلا بالنورين فإنه يحدث هذا الأمر ونظيره الذي يؤيده إيجاد العالم فإنه من حيث ذاته عدم ولا يكتسب الوجود إلا من كونه قابلاً وذلك لإمكانه واقتدار الحق المخصص المرجح وجوده على عدمه فلو زال القبول من الممكن لكان كالمحال لا يقبل الإيجاد وقد اشترك المحال والممكن قبل الترجيح بالوجود في العدم كما أنّه مع قبوله لو لم يكن اقتدار الحق ما وجد عين هذا المعدوم الذي هو الممكن فلم تظهر الأعيان المعدومة للوجود إلا بكونها قابلة وهو مثل نور البصر وكون الحق قادراً وهو مثل نور الجسم النير فظهرت الأعيان

كما ظهرت المبصرات بالنورين فكما أنّ الممكن لايزال قابلاً والحق مقتدراً ومريداً فينحفظ على الممكن إبقاء الوجود إذ له من ذاته العدم كذلك الباصر لايزال نور بصره في بصره والشمس متجلية في نورها فتحفظ الأبصار المتعلق بالمبصرات وهي من ذاتها أعني المبصرات غير منورة بل هي مظلمة فاعقل إن كنت تعقل فهذا الأمر أصل ضلال العقلاء وهم لا يشعرون لما لم يعقلوه وهو سرّ من أسرار الله تعالى جهله أهل النظر ومن هذه المسئلة يتبين لك قدم الحق وحدوث الخلق لكن على غير الوجه الذي يعقله أهل الكلام وعلى غير الوجه الذي تعقله الحكماء باللقب لا بالحقيقة فإن الحكماء على الحقيقة هم أهل الله الرسل والأنبياء والأولياء إلا أن الحكماء باللقب أقرب إلى العلم من غيرهم حيث لم يعقلوا الله إلا إلهاً وأهل الكلام من النظار ليس كذلك فأقطاب أهل الليل من يكون الليل في حقهم كالنهار كشفاً وشغلاً قال تعالى وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون أي تعلمون منهم في الصباح ما تعلمون منهم في الليل إذ كان ليلاً عند غيرهم ممن ليس له مقام الكشف بالليل كما لصاحب النور فالليل والصباح عنده سواء فهذا معنى قوله أفلا تعقلون فإن ادّعت لك نفسك أنك من أهل الليل فانظر هل لها قدم وشكف فيما ذكرت لك فهو المحك والمعيار ولكل ليل في القرآن أمور وعلوم لا يعرفها إلا أهل الليل خاصة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والأربعون في معرفة الفتوّة والفتيان
ومنازلهم وطبقاتهم وأسرار أقطابهم

وفتيان صدق لا ملالة عندهم لهم قدم في كل فضل ومكرمه
مقسمة أحوالهم في جليسهم فهم بين توقير لقوم ومرحمه
وإن جاء كفؤ آثروه ببرّهم ولا تلحق الفتيان في ذاك مندمه
لهم من خفايا العلم كل شعيرة وما هو موسوم لديهم بسمسمه
كنجل قسيّ والذي كان قبله ومن كان منهم ممن الله أعلمه
بذلك حازوا السبق في كل حلبة فليس يجيبون السفيه بلفظ منه
بميمنة خصوا تعالى مقامها وليس لها ضد يسمى بمشأمه
فكلتا يدي ربي يمين كريمة وإن كريم القوم من كان أكرمه
إذا خلع الولي على أهله ترى ملابسهم بين الملابس معلمه

اعلم أن للفتوّة مقام القوّة وما خلق الله من الطبيعة أقوى من الهواء إذا كان مؤمناً كذا ورد في الخبر النبوي عن الله تعالى مع الملائكة لما خلق الأرض وجعلت تميد الحديث بكماله وفي آخره يا رب فهل خلقت شيأ أشد من الريح قال نعم المؤمن يتصدق بيمينه ما تعرف بذلك شماله وقال تعالى "إن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين" فنعت الرزاق بالقوّة لوجود الكفران بالنعم سبب مانع يمنع النعمة

فلا يرزق الكافر مع وجود الكفر منه لما رزقه إلا من له القوة فلهذا نعته بذي القوّة المتين فإن المتانة في القوّة تضاعفها فما اكتفى سبحانه بالقوّة حتى وصف نفسه بأنه المتين فيها إذ كانت القوة لها طبقات في التمكن من القوى فوصف نفسه بالمتانة وهذه صفة أهل الفتوّة فإن الفتوّة ليس فيها شيء من الضفعف إذ هي حالة بين الطفولة والكهولة وهو عمر الإنسان من زمان بلوغه إلى تمام الأربعين من ولادته يقول الله تعالى في هذا المقام "الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوّة" وذلك حال الفتوّة وفيها يسمى فتى وما قرن معها شيأ من الضعف ثم قال سبحانه وتعالى "ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً وسيبة" يعني ضعف الكهولة إلى آخر العمر وشيبة يعني وقاراً أي سكوناً لضعفه عن الحركة فإن الوقار من الوقر وهو الثقل فقرن مع هذا الضعف الثاني الشيبة التي هي الوقار فإن الطفل وإن كان ضعيفاً فإنه متحرك جداً واختلف في حركته هل هي من الطبيعة أو من الروح روي أن إبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب قال "يا رب ما هذا" قال "الوقار" قال "اللهم زدني وقاراً فهذا حال الفتوّة ومقامها وأصحابها يسمون الفتيان وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها ولا يتمكن لأحد أن يكون حاله مكارم الأخلاق ما لم يعلم المحالّ التي يصرفها فيها ويظهر بها فالفتيان أهل علم وافر وقد أفردنا لها باباً في داخل هذا الكتاب حين تكلمنا على المقامات والأحوال فمن ادّعى الفتوّة وليس عنده علم بما ذكرناه فدعواه كاذبة وهو سريع الفضيحة فلا ينبغي يسمى فتى إلا من علم مقادير الأكوان ومقدار الحضرة الإلهية فيعامل كل موجود على قدره من المعاملة ويقدم من ينبغي أن يقدم ويؤخر ما ينبغي أن يؤخر وتفاصيل هذا المقام وحكم الطائفة فيه استوفيناه في رسالة لأخلاق التي كتبنا بها للفخر محمد بن عمر بن خطيب الري رحمه الله فلنذكر منها في هذا الباب الأصل الذي ينبغي أن يعوّل عليه وذلك أنه ليس في وسع الإنسان أن يسع العالم بمكارم أخلاقه إذ كان العالم كله واقفاً مع غرضه أو إرادته لا مع ما ينبغي فلما اختلفت الأغراض والإرادات وطلب كل صاحب غرض أو إرادة من الفتى أن يعامله بحسب غرضه وإرادته والأغراض متضادة فيكون غرض زيد في عمر وأن يعادي خالداً ويكون غرض خالد في زيد أن يعادي عمراً أو غرضه أن يواليه ويحبه ويودّه فإن تفتى مع عمر وعادى خالدا وذمّه خالد وأثنى عليه زيد بالفتوّة وكريم الخلق وإن لم يعاد خالداً ووالاه وأحبه أثنى عليه خالد وذمّه زيد فلما رأينا أن الأمر على هذا الحد وإنه لا يعمّ و لم يتمكن عقلاً ولا عاده أن يقوم الإنسان في هذه الدنيا أو حيث كان في مقام يرضي المتضادّين ابنغى للفتى أن يترك هوى نفسه ويرجع إلى خالقه الذي هو مولاه وسيده ويقول أنا عبد وينبغي للعبد أن يكون بحكم سيده لا بحكم نفسه ولا بحكم غير سيده يتبع مراضيه ويقف عند حدوده ومراسمه ولا يكن ممن جعل مع سيده شريكاً في عبوديته فيكون مع سيده بحسب ما يحد له ويتصرّف فيما يرسم له ولا يبالي وافق أغراض العالم أو خالفهم فإن وافق ما وافق منها فذلك راجع إلى سيده فخرج له توقيع من ديوان سيده على يدي رسول قام الدليل له والعلم بأنه خرج إليه من عند سيده وإن ذلك التوقيع توقيع سيده فقام له إجلالاً وأخذ توقيع سيده ومع التوقيع مشافهة فشافه العبيد بما أمره السيد أن يشافههم به وذلك هو الشرع المقرّر والتوقيع هو الكتاب المترل المسمى قرآناً والرسول هو جبريل عليه السلام وحاجب الباب الذي يصل إليه الرسول الملكي من عند الله بالتوقيع والمشافهة هو النبي المبشر محمد صلى الله عليه وسلم أو أيّ نبيبّ كان من الأنبياء في زمان بعثتهم فلزم العبيد مراسم سيدهم التي ضمنها توقيعه والتي جاءت بها المشافهة فلم يكن لهم في نفوسهم ملك ولا تدبير فمن وقف عند حدود سيده وامتثل مراسيمه و لم يخالفه في شيء

مما جاءه به على حد ما رسم له من غير زيادة بقياس أو رأي ولا نقصان بتأويل فعامل جنسه من الناس بما أمر أن يعاملهم به من مؤمن وكافر وعاص ومنافق وما ثم إلا هؤلاء الأصناف الأربعة وكل صنف من هؤلاء على طبقات فالمؤمن منه طائع وعاص ووليّ

ونبيّ ورسول وملك وحيوان ونبات ومعدن والكافر منه مشرك وغير مشرك والمنافق منه ينقص في الظاهر عن درك الكافر فإن المنافق له لدرك الأسفل من النار والكافر له الأعلى والأسفل وأمّا العاصي فينقص في الظاهر عن درجة المؤمن المطيع بقدر معصيته فهذا الواقف عند مراسم سيده هو الفتى فكل إنسان لابد أن يكون جليساً لأكبر منه أو أصغر منه أو مكافئاً له إمّا في السن وإما في الرتبة أو فيهما فالفتى من وقر الكبير في العلم أو في السن والفتى من رحم الصغير في العلم أو في السن والفتى من آثر المكافىء في السن أو في العلم.

ولست أعني بقولي في العلم إلا المرتبة خاصة فأتينا بالعلم لشرفه فإن الملك قد يكون صغيراً في السن صغيراً في العلم ويكون شخص من رعيته كبيراً في السن كبيراً في العلم فإن عرف الملك قدر ما رسم له الحق في شرعه من توقير الكبير وشرف العلم عامله الملك بذلك وإن لم يفعل فيكون الملك سيء الملكة فينبغي للفتى أن يعرف شرف المرتبة التي هي السلطنة وأنه نائب الله في عباده وخليفته في بلاده فيعامل من أقامه الله فيها وإن لم يجر الحق على يده بما ينبغي للمرتبة من السمع والطاعة في المنشط والمكره على حد ما رسمل له سيده وما هو عليه مما أقام الله ذلك السلطان فيه من الأخلاق المحمودة أو المذمومة في الجور والعدل فينبغي للفتى أن يوفي السلطان حقه الذي أوجبه الله له عليه ولا يطلب منه حقه الذي جعله الله له قبل السلطان مما له أن يسامحه فيه إن منعه منه فتوة عليه ورحمة به وتعظيماً لمترلته إذ كان له أن يطلبه به يوم القيامة فالفتى من لا خصم له لأنه فيما عليه يؤديه وفيما له يتركه فليس له خصم فالفتى من لا تصدر منه حركة عبثاً جملة واحدة ومعنى هذا إن الله سمعه يقول "وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً" وهذه الحركة الصادرة من الفتى مما بينهما وكذلك حركة كل متحرك خلقه الله بين السماء والأرض فما هي عبث فإن الخالق حكيم فالفتى من يتحرّك أو يسكن لحكمة في نفسه ومن كان هذا حاله في حركاته فلا تكون حركته عبثاً لا في يده ولا في رجله ولا شمه ولا أكله ولا لمسه ولا سمعه ولا بصره ولا باطنه فيعلم كل نفس فيه وما ينبغي له وما حكم سيده فيه ومثل هذا لا يكون عبثاً وإذا كانت الحركة من غيره فلا ينظرها عبثاً فإن الله خلقها أي قدّرها وإذا قدّرها فما تكون عبثاً ولا باطلاً فيكون حاضراً مع هذا عند وقوعها في العالم فإن فتح له بالعلم في الحكمة فيها فبخ على بخ وهو صاحب عناية وإن لم يفتح له في العلم بالحكمة فيها فيكفيه حضوره في نفسه أنها حركة مقدرة منسوبة إلى الله وإن لله فيها سرّاً يعلمه الله فيؤديه هذا القدر من العلم إلى الأدب الإلهي وهذا لا يكون إلا للفتيان أصحاب القوّة الحاكمين على طبائع النفوس والعادات ولا يكون في هذا المقام من هذه الطائفة إلا الملامية فإن الله قد ولاهم على نفوسهم وأيدهم بروح منه عليها فلهم التصريف التام والكلمة الماضية والحكم الغالب فهم السلاطين في صور العبيد يعفرهم الملأ الأعلى فليس أحد مما سوى الأنس والجان إلا ويقول بفضله إلا بعض الثقلين فإن الحسد يمنعهم من ذلك فطبقات الفتيان هو ما ذكرناه من يعلم منهم علم الله في الحركات ومن لا يعلم علم الله في ذلك على التعيين وإن علم أن ثم أمراً لم يطلعه الله عليه وأمّا مترلتهم فهو الذي قلنا في أول الباب في قوله "ثم جعل من بعد ضعف قوّة" وينظر إلى هذا الإيجاد من الحقائق الإلهية الآية الأخرى وهي قوله "إن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين" يهم يعاملون الخلق بالإحسان إليهم مع إساءتهم لهم كإعطاء الله الرزق للمرزوقين الكافرين بالله ونعمه فلهم القوّة العظمى على نفوسهم حيث لم يغلبهم هواهم ولا ما جبلت النفس عليه من حب الثناء والشكر والاعتراف قال تعالى حاكياً "سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم" فأطلق الله على ألسنتهم فتوة إبراهيم بلسانهم لما كانت الفتوة بهذه المثابة لأنه قام في الله حق القيام ولما أحالهم على الكبير من الأصنام على نية طلب السلامة منهم فإنه قال لهم

"فاسألوهم إن كانوا ينطقون" يريد توبيخهم ولهذا رجعوا إلى أنفسهم وهو قوله تعالى "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه" في كل حال وإنما سمى ذلك كذباً لأضافة الفعل في عالم الألفاظ إلى كبيرهم والكبير الله على الحقيقة والله هو الفاعل المكسر للأصنام بيد إبراهيم فإنه يده التي يبطش بها كذا أخبر عن نفسه فكسر هذه الأصنام التي زعموا أنها آلهة لهم ألا ترى المشركين يقولون فيهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فاعترفوا أن ثم إلهاً كبيراً أكبر من هؤلاء كما هو أحسن الخالقين وأرحم الراحمين فهذا الذي قاله إبراهيم عليه السلام صحيح في عقد إبراهيم عليه السلام وإنما أخطأ المشركون حيث لم يفهموا عن إبراهيم ما أراد بقوله بل فعله كبيرهم فكان قصد إبراهيم بكبيرهم الله تعالى وإقامة الحجة عليهم وهو موجود في الاعتقادين وكونهم

آلهة ذلك على زعمهم والوقف عليه حسن عندنا تام وابتدأ إبراهيم بقوله هذا قولي فالخبر محذوف يدل عليه مساق القصة فاسألوهم إن كانوا ينطقون فهم يخبرونكم ولو نطقت الأصنام في ذلك الوقت لنسبت الفعل إلى الله لا إلى إبراهيم فإنه مقرر عند أهل الكشف من أهل طريقنا أن الجماد والنبات والحيوان قد فطرهم الله على معرفته وتسبيحه بحمده فلا يرون فاعلاً إلا الله ومن كان هذا في فطرته كيف ينسب الفعل لغير الله سواء نطقوا أو سكتوا فإن لم ينطقوا يقول لهم لم تعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكم من الله شيأ ولا عن نفسه ولو نطقوا لقالوا إن الله قطعنا قطعاً لا يتمكن في الدلالة أن تقول الأصنام غير هبذا فإنها لو قالت الصنم اعلكبير فعل ذلك بنا لكذبت ويكون تقريراً من الله بكفرهم ورداً على إبراهيم عليه السلام فإن الكبير ما قطعهم جذاذاً ولو قالوا في إبراهيم أنه قطعنا لصدقوا في الإضافة إلى إبراهيم و لم تلزم الدلالة بنطقهم على وحدانية الله ببقاء الكبير فيبطل كون إبراهيم قصد الدلالة فلم تقع و لم يصدق وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه فكانت له الدلالة في نطقهم لو نطقوا كما قررنا وفي عدم نطقهم لو لم ينطقوا ومثل هذا ينبغي أن يكون قدص الأنبياء عليهم السلام فهم العلماء صلوات الله عليهم ولهذا رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فقال الله لمثل هؤلاء أتعبدون ما تنحتون فكان من فتوته أن باع نفسه في حق أحدية خالقه لا في حق خالقه لأن الشريك ما ينفي وجود الخالق وإنما يتوجه على نفي الأحدية فلا يقوم في هذا المقام إلا من له القطبية في الفتوة بحيث يدور عليه مقامها ومن الفتوة قوله تعالى وإذ قال موسى لفتاه فاطلق عليه باللسان العبراني معنى يعبر عنه في اللسان العربي بالفتى وكان في خدمة موسى عليه السلام وكان موسى في ذلك الوقت حاجب الباب فإنه الشارع في تلك الأمّة ورسولها ولكل أمة باب خاص إلهي شارعهم هو حاجب ذلك الباب الذي يدخلون منه على الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم هو حاجب الحجاب لعموم رسالته دون سائر الأنبياء عليهم السلام فهم حجبته صلى الله عليه وسلم من آدم عليه السلام إلى آخر نبيّ ورسول وإنما قلنا أنهم حجبته لقوله صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائي فهم نوابه في عالم الخلق وهو روح مجرّد عارف بذلك قبل نشأة جسمه قيل له متى كنت نبياً فقال كنت نبياً وآدم بين الماء والطين أي لم يوجد آدم بعد إلى أن وصل زمان ظهور جسده المطهر صلى الله عليه وسلم فلم يبق حكم النائب من نوابه من سائر الحجاب الإلهيين وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام إلا عنت وجوهم لقيومية مقامه إذ كان حاجب الحجاب فقرّر من شرعهم ما شاءه بإذن سيده ومرسله ورفع من شرعهم فأمر برفعه ونسخه فربما قال من لا علم له بهذا الأمر أنّ موسى عليه السلام كان مستقلاً مثل محمد بشرعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني وصدق صلى الله عليه وسلم فالفتى أبداً في مترل التسخير كما قال عليه السلام خادم القوم سيدهم فمن كانت خدمته سيادته كان عبداً محضاً خالصاً وتفضل الفتيان بعضهم على بعض بحسب المتفتي عليه من المترلة عند الله بوجه ومن الضعف بوجه فأعلاهم من تفتى على الأضعف من ذلك الوجه وأعلاهم أيضاً من تفتى على

الأعلى عند الله من ذلك الوجه الآخر فالمتفيق على الأضعف كصاحب السفرة وهو الشخص الذي أمره شيخه أن يقرب السفرة إلى الأضياف فأبطأ عليهم من أجل النمل الذي كان فيها فلم ير من الفتوة أن ينفض النمل من السفرة فإن من الفتوة أن يصرفها في الحيوان فوقف إلى أن خرجت النمل من السفرة من ذاتها من غير أن يكون لهذا الشخص في إخراج النمل تعمل قهري فإن الفتيان لهم الفتوة وليس لهم القهر إلا على نفوسهم خاصة ومن لا قوّة له لا فتوة له كما أنه من لا قدرة له لا حلم له فقال له الشيخ لقد دققت فهذه مراعاة الأضعف لكنه ما تفتي مع الأضياف حيث أبطأ عن المبادرة إلى كرامتهم فلهذا ربطنا في أول الباب أنه لا يتمكن لأحد إرسال المكارم في العموم لاختلاف لأغراض فينظر الفتى في حق الشخصين المختلفي الأغراض اللذين إذا ارضى الواحد منهما أسخط الآخر وصورة نظره في حق الشخصين أيهما أقرب إلى حكم الوقت والحال في الشرع

فالذي هو أقرب إلى حكم الوقف والحال في الشرع صرف الفتوة معه فإن اتسع الوقت إلى أن يتفتى مع الآخر بوجه يرضى الله فعل أيضاً وإن لم يتسع فقدر في المقام حقه وكان من الفتيان بلا شك وإن كان في رتبة الفعل بالهمة والفعل بالحس فعل الفتوة مع الواحد حساً ومع الآخر بالهمة دخل رجل على شيخنا أبي العباس العربي وأنا عنده فتفاوضا في إيصال معروف فقال الرجل يا سيدنا الأقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ من غير توقف إلى الله وأخبرني أبو عبد الله محمد بن القاسم ابن عبد الكريم التميمي الفاسي قال مخبراً عن أبي عبد الله الدقاق كان بمدينة فاس وتذاركوا الفعل بالهمة فقال أبو عبد الله الدقاق فزت بواحدة مالي فيها شريك ما اغتبت أحداً قط ولا اغتبت أحد بحضرتي قط فهذا من الفعل بالهمة حيث تفتى على من عادته أن يغتاب فيكتسب الأوزار أن لا يقدر على الغيبة في مجلسه بحضوره من غير أن يكون من الشيخ نهى له عن ذلك وتفتى أيضاً على الذي يذكر بما يكره بحضوره بأنه لا يذكر في فيه بما يكره وكان سيد وقته في هذا الباب خرّج مناقبه شيخنا أبو عبد الله بن عبد الكريم المذكور آنفاً في كتاب المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد فقد علمت على الحقيقة إن الفتى من بذل وسعه واستطاعته في معاملة الخلق على الوجه الذي يرضى الحق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث والأربعون في معرفة جماعة من أقطاب الورعين وعامة ذلك المقام

أنا ختم الولاية دون شك لورث الهاشميّ مع المسيح

كما أني أبو بكر عتيق أجاهد كل ذي جسم وروح

بأرماح مثقفة طوال وترجمة بقرآن فصيح

أشدّ على كتيبة كل عقل تنازعني على الوحي الصريح

لي الورع الذي يسمو اعتلاء على الأحوال بالنبأ الصحيح

وساعدني عليه رجال صدق من الورعين من أهل الفتوح

يوالون الوجوب وكل ندب ويستثنون سلطنة المبيح

الكلام على الورع وأهله وتركه يرد في داخل الكتاب في ذكر المقامات والأحوال منه إن شاء الله تعالى والذي يتعلق بهذا الباب الكلام على معرفة طائفة من أقطابه وعموم مقامه فاعلم أن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي كان من عامة هذا المقام وأبا يزيد البسطامي وشيخنا أبا مدين في زماننا كانا من خاصته فأعلى أقطاب الورعين اجتناب الاشتراك في إطلاق اللفظ إذ كان الورع اجتناب المحرمات وكل ما فيه شبهة من جانب المحرّم فيجتنب لذلك الشبه وهو المعبر عنه بالشبهات أي الشيء الذي له شبه بما جاء النص الصريح بتحريمه من كتاب أو سنة أو إجماع بالحال الذي يوجب له هذا الاسم مثل أكل لحم الخنزير لمن ليس له حال الاضطرار فهو عليه حرام فلهذا قلنا بالحال الذي يوجب له هذا الاسم كما أن المضطرّ ليس بمخاطب بالتحريم فأكل لحم الخنزير في حق من حاله الاضطرار هو له حلال بلا خلاف ولما كان التحريم معناه المنع من الالتباس به ورأوا أن لذلك أحوالاً وأنه ما ثم في الوضع شيء محرم لعينه لهذا قيده الشارع بالأحوال وقد انسحب عليه التحريم للحال فما هو محرّم لعينه أولى بالاجتناب فلابدّ من اجتنابه باطناً علماً وقد يحل هذا المحرّم لعينه في ظاهر الحال ما يلزمه وهذا هو التحريم الذي لا يحل أبداً من حيث معناه ولا يصح أن تجيء آية شرعية تحله وهو الاتصاف بأوصاف الحق تعالى التي بها يكون إلهاً فواجب شرعاً وعقلاً اجتناب هذه الأسماء الإلهية معنى وإن أطلقت لفظاً فينبغي أن لا تطلق لفظاً على أحد إلا تلاوة فيكون الذي يطلقها تالياً حاكياً كما قال تعالى "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فسماه عزيزاً رؤفاً رحيماً فنسميه بتسمية الله إياه ونعتقد أنه صلى الله عليه وسلم في نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع أوّاه منيب فإطلاق الألفاظ التي تطلق على الحق من الوجه الصحيح الذي يليق بالجناب الإلهيّ لا ينبغي أن تطلق على أحد من خلق الله إلا حيث أطلقها الحق لا غير وإن أباح ذلك فالورع ما هو مع المباح ولا سيما في هذه المسئلة خاصة فلا يطلقها مع كون ذلك قد أبيح له فإذا أطلقها على من أطلقها عليه الحق أو الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون هذا المطلق تالياً أو مترجماً ناقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإطلاق ثم من الورع عند هؤلاء الرجال أن يترلوا إلى ما اختصت به الأنبياء والرسل من الإطلاق فيتورّعوا أن يطلقوا عليهم أو على أحد ممن ليس بنبيّ ولا رسول اللفظ الذي اختصوا به فيطلقون على الرسل الذين ليسوا برسل الله لفظ الورثة والمترجمين فيقولون وصل من السلطان الفلاني إلى السلطان الفلاني ترجمان يقول كذا وكذا فلم يطلقوا على المرسل ولا على المرسل إليه اسم الملك ورعا وأدباً مع الله وأطلقوا عليه اسم السلطان فإن الملك من أسماء الله فاجتنبوا هذا اللفظ أدباً وحرمة وورعاً وقالوا السلطان إذ كان هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله وأطلقوا على الرسول الذي جاء من عنده اسم الترجمان و لم يطلقوا عليه اسم الرسول لأنه قد أطلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه من خصائص النبوّة والرسالة الإلهية أدباً مع رسل الله عليهم السلام وإن كان هذا اللفظ قد أبيح لهم و لم ينهوا عنه ولكن لم يوجب عليهم فكان لزوم الأدب أولى مع من عرفنا الله أنه أعظم منا مترلة عنده وهذا لا يعرفه إلا الأدباء الورعون ثم إنّ لهؤلاء مرتبة أخرى في الورع وهي أنهم رضي الله عنهم يجتنبون كل أمر تقع فيه المزاحمة بين الأكوان ويطلبون طريقاً لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم ولا من مقامهم فلا يزاحمون أحداً في شيء مما يتحققون به في نفوسهم ويتصفون به ويحبون من الله أن يدعوا به في الدنيا والآخرة وهو ما يكونون عليه من الأخلاق الإلهية فيكونون مع تحققهم بمعانيها وظهور أحكامها على ظواهرهم من الرحمة بعباد الله والتلطف بهم والإحسان إليهم والتوكل على الله والقيام بحدود الله ويظهرون في العالم إن جميع ما يرى عليهم إنّ ذلك فعل الله لا فعلهم وبيد الله لا بيدهم أن المثنى عليه بذلك الفعل إنما نيبغي أن يتعلق ذلك الثناء بفاعله وفاعله هو الله جل جلاله

لا نحن فيتبرّؤون من أفعالهم الحسنة غاية التبرّي ومن الأوصاف المستحسنة كذلك وكل وصف مذموم شرعاً وعرفاً يضيفونه إلى أنفسهم أدباً مع الله

تعالى وورعاً شافياً كما قال الخضر في الغيب فأرددت وفي الخبر فأراد ربك وكما قال الخليل عليه السلام وإذا مرضت و لم يقل أمرضني وكما قال تعالى في معرض التعليم لنا "وما أصابك من سيئة فمن نفسك هذا وإن كان الحق في هذا الخبر يحكي قولهم ولكن فيه تنبيه في التعليم وكما قال عليه السلام في دعائه وهو مما يريد ما ذهبنا إليه في التنبيه في هذه الآية فقال والخير كله بيديك فأكد بكل وهي كلمة تقتضي الإحاطة في اللسان وقال والشرّ ليس إليك وإن كان لم يؤكده واكتفى بالألف واللام ونفى إضافة الشرّ أدباً مع الله وحقيقة وهذه المسئلة من أغمض المسائل الإلهية عند أهل الله خاصة وأمّا أهل النظر فقد اعتمدت كل طائفة منهم على ما اقتضاه دليلها في زعمها وهؤلاء الرجال الغالب عليهم فهم مقاصد الشرع فجروا معه على مقصده وذلك من بركة الورع والاحترام الذي احترموا به الجناب الإلهي حقيقة لا مجازالإ فتح الله لهم بأدبهم عين الفهم في كتبه وفيما جاءت به رسله مما لا تستقل العقول بإدراكه وما تستقل لكن أخذوه عن الله لا عن نظرهم ففهموا من ذلك كله بهذه العناية ما لم يفهم من لم يتصف بهذه الصفة و لم يكن له هذا المقام ولما كان هذا حال الورعين سلكوا في أمورهم وحركاتهم مسالك العامّة فلم يظهر عليهم ما يتميزون به عنهم واستتروا بالأسباب الموضوعة في العالم التي لا يقع الثناء بها على من تلبس بها فلم ينطق على هؤلاء الرجال في العموم اسم صلاح يخرجهم عن صلاح العامّة ولا توكل ولا زهد ولا ورع ولا شيء مما يقع عليه اسم ثناء خاص يخرجون به عن العامّة ويشار إليهم فيه مع أنهم أهل ورع وتوكل وزهد وخلق حسن وقناعة وسخاء وإيثار فأمثال هذا كله اجتنب رجال الله من هؤلاء الطبقة فسموا ورعين في اصطلاح أهل الله لأن الورع الاجتناب وتدبر ما أحسن قول من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم كيف قال في هذا المقام يعلم رجاله كيف يكونون فيه "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" وقال استفت قلبك وإن أفتاك المفتون فأحالهم على قلوبهم لما علم ما فيها من سرّ الله الحاوية عليه في تحصيل هذا المقام ففي القلوب عصمة إلهية لا يشعر بها إلا أهل المراقبة وفيه ستر لهم فإنّ هؤلاء الرجال لو سألوا وعرف منهم البحث والتفتيش في مثل هذا عند الناس وعند العلماء الذين سئلوا في ذلك بالضرورة كان يشار إليهم ويعتقد فيهم الدين الخالص كبشر الحافي وغيره وهو من أقطاب هذا المقام عرف به وسلم له حكي أن أخت بشر الحافي سألت أحد أئمة الدين في الغزل الذي تغزله في ضوء مشاعل الظاهرية إذا مروا بها ليلاً وهي على سطحها فعرفت بهذا السؤال أنها من أهل الورع ولو علمت على حديث استفت قلبك لعلمت إنها ما سألت حتى رابها فكانت تدع ذلك الغزل أو لا تغزل بعد ذلك وتترك الغزل فأفتاها الإمام المسؤول وهو أحمد بن حنبل وأثنى عليها بذلك حتى نقل إلينا وسطر في الكتب فأعطانا صلى الله عليه وسلم الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستوراً عن الأغيار خالصاً لله مخلصاً لا يعلمه إلا الله ثم صاحبه وهو قوله ألا لله الدين الخالص فكل دين وقع فيه ضرب من الاشتراك المحمود أو المذموم فما هو بالدين الخالص الذي لله إن كان الذي وقع به الاشتراك محموداً كمسئلة أخت بشر الحافي وإن وقع الاشتراك بالمذموم فليس بدين أصلاً فإنه ليس ثم دين إلهي يتعلق به لسان ذم فلما رأى رجال هذا المقام مراعاة النبيّ صلى الله عليه وسلم ما يحصل في قلب العبد مما قاله وما أحال به الإنسان على نفسه باجتنابه طلباً للتستر تعملوا في تحصيل ذلك وسلكوا عليه وعلموا أن النجاة المطلوبة من الشارع لنا إنما هي في ستر المقام فأعطاهم العمل على هذا والتحقق به الحقيقة الإلهية التي استندوا إليها في ذلك وهو اجتنابه التجلي منه سبحانه لعموم عباده في الدنيا فاقتدوا بربهم في احتجابه عن خلقه فعلم هؤلاء الرجال أن هذه الدار دار ستر وأن الله ما اكتفى في التعريف بالدين حتى نعته بالخالص فطلبوا طريقاً لا

يشوبهم فيها شيء من الاشتراك حتى يعاملوا الموطن بما يستحقه أدباً وحكمة وشرعاً واقتداء فاستتر وأعن الخلق يحنن الورع الذي لا يشعر به وهو ظاهر الدين والعلم المعهود فإنهم لو سلكوا غير المعهود في الظاهر في العموم من الدين لتميزوا وجاء الأمر على خلاف ما قصدوه فكانت أسماؤهم أسماء العامّة فهؤلاء

الرجال يحمدهم الله وتحمدهم الأسماء الإلهية القدسية وبحمدهم الملائكة وبحمدهم الأنبياء والرسل وبحمدهم الحيوان والنبات والجماد وكل شيء يسبح بحمد الله وأمّا الثقلان فيجهلونهم إلا أهل التعريف الإلهي فإنهم يحمدونهم ولا يظهرونهم وأمّا غير أهل التعريف الإلهي من الثقلين فهم فيهم مثل ما هم في حق العامة يذكرونهم بحسب أغراضهم فيهم لا غير فلهم المقام المجهول في العامة أمّا ثناء الله عليهم فلتعملهم استخلاصهم لله فخلصوا له دينه فأثنى عليهم حيث لم يملكهم كون ولا حكم على عبوديتهم رب غير الله وأمّا ثناء الأسماء الإلهية عليهم فكونهم تلقوها وعلموا تأثيرها وما أثروا بها في كون من الأكوان فيذكرون بذلك الأمر الذي هو لذلك الاسم الإلهي فيكون حجاباُ على ذلك الاسم فلما لم يفعلوا ذلك وأضافوا الأثر الصادر على أيديهم للاسم الإلهي الذي هو صاحب الأثر على الحقيقة حمدتهم الأسماء الإلهية بأجمعها وأما ثناء الملائكة فلأنهم ما زاحموهم فيما نسبوه إلى أنفسهم بالنسبة لا بالفعل في قولهم "نحن نسبح بحمدك ونقدّس لك" فقال هؤلاء الرجال لا حول ولا قوّة إلا بك فلم يدّعوا في شيء مما هم عليه من تعظيم الله ونسبوا ذلك إلى الله فأثنت عليهم الملائكة فإنها مع هذه الحال لم تجرح الملائكة وتأدّبت معها حيث لم تتعرض للطعن عليها بما صدر منها في حق أبيها آدم عليه السلام واعتذرت عن الملائكة لا يثارهم جناب الحق وأصابتهم العلم فإنه وقع ما قالو في بني آدم لا شك من الفساد وسفك الدماء ولهذا سر معلوم وأمّا ثناء الأنبياء والرسل عليهم السلام قد كونهم سلموا لهم ما ادّعوه أنه لهم من النبوّة والرسالة وآمنوا بهم وما توقفوا مع كونهم على أحوالهم من أجزاء النبوّة قد اتصفوا بها ولكن مع هذا لم يتسموا بأنبياء ولا يرسل وأخاصوا في اتباع آثارهم قد ما بقدم كما روى عن الإمام أحمد بن حنبل المتبع المقتدى سيد وقته في تركه أكل البطيخ لأنه ما ثبت عنده كيف كان يأكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على قوّة تباعه كيفيات أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته وجميع أفعاله وأحواله وإنما عرف هذا منه لأنه كان في مقام الوراثة في التبليغ والإرشاد بالقول والعمل والحال لأن ذلك أمكن في نفس السامع فهو وأمثاله حفاظ الشريعة لعى هذه الأمّة وأمّا ثناء الحيوان والنبات والجماء عليهم فإن هؤلاء الأصناف عرفوا الحركات التي تسمى عبثاً من التي لا تسمى عبثاً فكل من تحرك فيهم بحركة تكون عبثاً عند المتحرك بها لا عند المحرك يعلم الناظر منهم المشاهد لتلك الحركة العبثية أنه صاحب غفلة عن الله ورأت هذه الطائفة أنها لا تتحرك في حيوان ولا نبات ولا جماد بحركة تكون عبثاً ويلحق بهذا الباب صيد الملوك ومن لا حاجة له بذلك إلا للفرجة واللهو واللعب فأثنى من ذكرناه من هؤلاء الأصناف على هذه الطائفة فالله يقول "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً" بإمهالكم حيث لم يؤاخذكم سريعاً بما رددتم من ذلك غفوراً حيث ستر عنكم تسبيح هؤلاء فلم تفقهوه وقال تعالى في حال من مات ممتوناً عند الله "فما بكت عليهم السماء والأرض" فوصف السماء والأرض بالبكاء على أهل الله ولا يشك مؤمن في كل شيء أنه مسبح وكل مسبح حيّ عقلاً ووردان العصفور يأتي يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم قتلني عبثاً وكذلك من يقطع شجرة لغير منفعة أو ينقل حجراً لغير فائدة تعود على أحد من خلق الله فلما أعطى الله هذه المعارف لهؤلاء الأصناف لذلك وصفتها بالثناء على هؤلاء الرجال وعرفت ذلك منهم كشفاً حسياً مثل ما كان للصحابة سماع تسبيح الحصا وتسبيح الطعام لأنهم ليس بينهم وبين الحركة العبثية دخول بل يجتنبون ذلك جملة واحدة ولما جهل أكثر الثقلين هذه العلوم لذلك لا يعرفون مراتب هؤلاء الرجال فلا يمدحونهم ولا

يتعرّضون إليهم ولهذا أخبر تعالى أن كل شيء في العالم يسجد لله تعالى من غير تبعيض إلا الناس فقال ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب و لم يبعض وكثير من الناس فبعض فإن فهمت ما ذكرناه لك من صفة أصحاب هذا المقام وسلكت طريقهم كنت من المفلحين الفائزين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثالث والعشرون.

الجزء الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع والأربعون في البهاليل وأئمتهم في البهالة

إذا كنت في طاعة راغبا فلا تكسها حلة الآجل
وكن كالبهاليل في حالهم مع الوقت يجرون كالعاقل
وحوصل من السنبل الحاصل ولا تصبرن إلى قابل
فحوصلة الرزق قد هيئت ليحصل ما ليس بالحاصل
ولا تبكين على فائت يفتك الذي هو في العاجل
وسوف فلا تلتفت حكمها ولا السين وارحل مع الراحل
عساك إذا كنت ذا عزمة ومت حصلت على طائل
وقل للذي لم يزل وانيا تخبطت في شرك الحابل
وما ظفرت كفكم بالذي تريد فيا خيبة السائل
فلو كان فعلك في أمره كفعل الفتى الحذر الواجل
لميزت بيني وبين الذي يجلي لك الحق كالباطل

يقول الله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وذلك أن الله قوما كانت عقولهم محجوبة بما كانوا عليه من الأعمال التي كلفهم الحق تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم التصرف فيها شرعا وشرعها لهم و لم يكن لهم علم بأن الله تعالى الحق فجأة لمن خلا به في سره وأطاعه في أمره وهيأ قلبه لنوره من حيث لا يشعر ففجأه الحق على غفلة منه بذلك وعدم علم واستعداد لهائل أم فذهب بعقله في الذاهبين وأبقى تعالى ذلك الأمر الذي فجأه مشهود له فهام فيه ومضى معه فبقي في عالم شهادته بروحه الحيواني يأكل ويشرب ويتصرف في ضروراته الحيوانية تصرف الحيوان المفطور على العلم بمنافعه المحسوسة ومضاره من غير تدبير ولا روية ولا فكر ينطق بالحكمة ولا علم له بها ولا يقصد نفعك بها لتتعظ وتتذكر أن الأمور ليست بيدك وأنك عبد مصرف بتصريف حكيم وسقط التكليف عن هؤلاء إذ ليس لهم عقول يقبلون بها ولا يفقهون بها تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون خذ العفو أي القليل مما يجري الله على ألسنتهم من الحكم والمواعظ وهؤلاء هم الذين يسمون عقلاء المجانين يريدون بذلك أن جنونهم ما كان سببه فساد مزاج عن أمر كوني من غذاء أو جوع أو غير ذلك وإنما كان عن تجل إلهي لقلوبهم وفجأة من فجآت الحق فجأتهم فذهبت بعقولهم فعقولهم محبوسة عنده منعمة بشهوده عاكفة في حضرته متنزهة في جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول وعرفوا في الظاهر بالمجانين أي المستورين عن تدبير عقولهم فلهذا سموا عقلاء المجانين قيل لأبي السعود بن الشبل البغدادي عاقل زمانه ما تقول

في عقلاء المجانين من أهل الله فقال رضي الله عنه هو ملاح والعقلاء منهم أملح قيل له فبماذا نعرف مجانين الحق من غيرهم فقال مجانين الحق تظهر عليهم آثار القدرة والعقلاء يشهد الحق بشهودهم أخبرني بذلك عنه صاحبه أبو البدر التماسكي رحمه الله وكان ثقة ضابطا عارفا بما ينقل لا يجعل فاء مكان واو فقال الشيخ من شاهد ما شاهدوا وأبقى عليه عقله فذلك أحسن وأمكن فإنه قد أقيم وأعطى من القوة قريبا مما أعطيت الرسل وإن تغير وافي وقت الفجآت فقد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فجأه الوحي جئت منه رعبا فأتى خديجة ترجف بوادره فقال زمّلوني زمّلوني وذلك من تجلي ملك فكيف به بتجلي ملك فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه الوحي ونزل الروح الأمين به على قلبه أخذ عن حسه وسجى ورغا كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ما جاء به فيلقيه على الحاضرين ويبلغه للسامعين فمواجده صلى الله عليه وسلم من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة من نزول مملك ووارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه ولكن كان منتظرا مستعدّا لذلك الهول ومع هذا يؤخذ عن نفسه فلولا أنه رسول مطلوب بتبليغ الرسالة وسياسة الأمّة لذهب الله بعقول الرسل لعظيم ما يشاهدونه فمكنهم الله القوي المتين من القوة بحيث يتمكنون من قبول ما يرد عليهم من الحق ويوصلونه إلى الناس

ويعملون به فاعلم أن الناس في هذا المقام على إحدى ثلاث مراتب ممنهم من يكون وارده أعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون بحكمه يصرّفه الحال ولا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك فإن استمرّ عليه إلى آخر عمره فذلك المسمى في هذه الطريقة بالجنون كأبي عقال المغربي ومنهم من يمسك عقله هناك ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرّف من غير تدبير ولا روية فهؤلاء يسمون عقلاء المجانين لتناولهم العيش الطبيعي كسائر الحيوانات وأمّا مثل أبي عقال فمجنون مأخوذ عنه بالكلية ولهذا ما أكل وما شرب من حين أخذ إلى أن مات وذلك في مدّة أربع سنين بمكة فهو مجنون أي مستور مطلق عن عالم حسه ومنهم من لا يدوم له حكم ذلك الوارد فيزول عنه الحال فيرجع إى الناس بعقله فيدبر أمره ويعقل ما يقول ويقال له ويتصرّف عن تدبير وروية مثل كل إنسان وذلك هو النبيّ وأصحاب الأحوال من الأولياء ومنهم من تيكون وارده وتجليه مساويا لقوّته فلا يرى عليه أثر من ذلك حاكم لكن يشعر عندما يبصران ثم أمرا ما طرأ عليه شعورا خفيا فإنه لا بدّ لهذا أن يصغي إليه أي إلى ذلك الوارد حتى يأخذ عنه ما جاءه به من عند الحق فحاله كحال جليسك الذي يكون معك في حديث فيأتي شخص آخر في أمر من

عند الملك إليه فيترك الحديث معك ويصغي إلى ما يقول له ذلك الشخص فإذا أوصل إليه ما عنده رجع إليك فحادثك فلو لم تبصره عينك ورأيته يصغي إلى أمر شعرت أن ثم أمرا شغله عنك في ذلك كرجل يحدثك فأخذته فكرة في أمر فصرف حسه إليه في خياله فجمدت عينه ونظره وأنت تحدّثه فتنظر إليه غير قابل حديثك فتشعر أن باطنه متفكر في أمر آخر خلاف ما أنت عليه ومنهمم من تكون قوّته أقوى من الوارد فإذا أتاه الوارد وهو معك في حديث لم تشعر به وهو يأخذ من الوارد ما يلقى إليه ويأخذ عنك ما تحدّثه به أو يحدثك به وما ثم أمر رابع في واردات الحق على قلوب أهل هذه الطريقة وهي مسئلة غلط فيها بعض أهل الطريق في الفرق بين النبيّ والوليّ فقالوا الأنبياء يصرفون الأحوال والأولياء تصرّفهم الأحوال فالأنبياء ما لكون أحوالهم والأولياء مملوكون لا حوالهم والأمر إنما هو كما فصلناه لك وقد بينا لك لماذا يردّ الرسول ويحفظ عليه عقله مع كونه يؤخذ ولا بد عن حسه في وقت وارد الحق على قلبه بالوحي المترل فافهم ذلك وتحققه وقد لقينا جماعة منهم وعاشرناهم واقتبسنا من فوائدهم ولقد كنت واقفا نعلى واحد منهم والناس قد اجتمعوا عليه وهو ينظر إليهم وهو يقول لهم أطيعوا الله يا مساكين فإنكم من طين خلقتم وأخاف

عليكم أن تطبخ النار هذه الأواني فتردّها فخارا فهل رأيتم قط آنية من طين تكون فخارا من غير أن تطبخها نار يا مساكين لا يغرنكم إبليس بكونه يدخل النار معكم وتقولون نه يقول لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين إبليس خلقه الله من نار فهو يرجع إلى أصله وأنتم من طين تتحكم النار تفي مفاصلكم يا مساكين انظروا إلى إشارة الحق في خطابه لإبليس بقوله لأملأن جهنم منك وهنا قف ولا تقرأ ما بعدها فقال له جهنم منك وهو قوله خلق الجانّ من مارج من نار فمن دخل بيته وجاء إلى داره واجتمع بأهله ما هو مثل الغريب الوارد عليه فهو رجع إلى مابه افتخر قال أنا خير منه خلقتني من نار فسروره رجوعه إلى أصله وأنتم يا مناحيس تتفخر بالنار طينتكم فلا تسمعوا من إبليس ولا تطيعوا واهربوا إلى محل النور تسعدوا يا مساكين أنتم عمى ما تبصرون الذي تأبصره أ،ا تقولون سقف هذا المسجد ما يمسكه إلا هذه الأسسطوانات أنتم تبصرونها إسطوانات من رخام وأنا أبصرها رجالا يذكرون الله ويمجدونه بالرجال تقوم السموات فكيف هذا المسجد ما أدري إما أنا هو الأعمى لا أبصر الإسطوانات حجارة وإما أنتم هم العمي لا تبصرون هذه الإسطوانات رجالا والله يا إخوتي ما أدري لا والله أنتم هم العمي ثم استشهدني دون الجماعة فقال يا شاب ألست أقول الحق قلت بلى ثم جلست إلى جانبه فجعل يضحك وقال يا ناس الأستاهه المنتنة تصفر بعضها البعض وهذا الشاب منتن مثلي هذه المناسبة جعلته يجلس إى جانبي ويصدقني أنتم الساعة تحسبونه عاقلا وأنا مجنون هو أجن مني بكثير وإنما أنتم كما أعماكم الله عن رؤية هذه الإسطواانات رجالا أعماكم أيضا عن جنون هذا الشاب ثم أخذ بيدي وقال قم امش بنا عن هؤلاء فخرجت معه فلما فارق الناس ترك يدي من يده وانصرف عني وهو من أكبر من لقيته من المعتوهين كنت إذا سألته ماالذي ذهب بعقلك يقول لي أنت هو المجنون حقا ولو كان لي عقل كنت تقول لي ماالذي ذهب بعقلك أين عقلي حتى يخاطبك قد أخذه معهه ما أدري ما يفعل به وتركني هنا في جملة الدواب آكل وأشرب وهو يدبرني قلت له فمن يركبك إذا كنت دابة قال أنا دابة قال أنا دابة وحشية لا أركب ففهمت أنه يريد خروجه عن عالم الإنس وإنه في مفاوز المعرفة تنفلا حكم للإنس عليه وكذلك كان محفوظ من أذى الصبيان وغيرهم كثير السكوت مبهوتا دائم الأعتبار يلازم المسجد ويصلي في أوقات فربما كنت تأسأله عند ما أراه يصلي أقول له أراك تصلي يقول لي لا والله إنما أراه يقيمني ويقعدني ما أدري ما يريد بي أقول له فهل تنوي في صلاتك هذه أداء ما افترض الله عليك فيقول لي أي شيء تكون النية أقول له القصد بهذه الأعمال القربة إليه فيضحك ويقول أنا أقول له أراه يقيمني ويقعدني فكيف أنوي القربة إلى من هو معي وأنا أشهده ولا يغيب عني هذا كلام المجانين ما عندكم عقول ثم لتعلم أنّ هؤلاء البهاليل كبهلول وسعدون من المتقدّمين وأبي وهب الفاضل وأمثالهم منهم المسرور ومنهم المحزون وهم في ذلك بحسب الوارد الأوّل الذي ذهب بعقولهم فإن

كان وارد قهر قبضهم كيعقوب الكوراني كان بالجسر الأبيض رأيته وكان على هذا القدم وكذلك مسعود الحبشي رأيته بدمشق ممتزجا بين القبض والبسط الغالب عليه البهت وإن كان نوارد لطف بسطهم رأيت من هذا الصنف جماعة كأبي الحجاج الغليريّ وأبي الحسن عليّ السلاوي والناس لا يعرفون ما ذهب بعقولهم شغلهم ما تجلى له عن تدبير نفوسهم فسخر الله لهم الخلق فهم مشتغلون بمصالحهم عن طيب نفس فأشهى ما إلى الناس أن يأكل واحد من هؤلاء عنده أو يقبل منه ثوبا تسخير إلهيا فجمع الله نلهم بين الراحتين حيث يأكلون ما يشتهون ولا ييحاسبون ولا يسئلون وجعل لهم القبول في قلوب الخلق والمحبة والعطف عليهم واستراحوا من التكليف ولهم عند الله أجر من أحسن عملا في مدّة أعمارهم التي ذهبت بغير عمل لأنه سبحانه هو الذي أخذهم إليه فحفظ عليهم نتائج الأعمال التي لو لم يذهب بعقولهم لعملوها من الخير كمن بات نائما على وضوء وفي نفسه أن يقوم من

الليل يصلي فيأخذ الله بروحه فينام حتى يصبح فإن الله يكتب له أجر من قام ليله لأنه الذي حبسه عنده في حال نومه فالمخاطب بالتكليف منهم وهو روحهم غائب في شهود الحق الذي ظهر سلطانه فيهم فيما لهم أذن واعية لحفظ السماع من خارج وتعقل ما جاء به ولقد ذقت هذا المقام ومرّ عليّ وقت أؤدّي فيه الصلوات الخمس إما ما بالجماعة على ما قيل لي بإتمام الركوع والسجود وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال وأنا في هذا كله لا علم لي بذلك لا بالجماعة ولا بالمحل ولا بالحال ولا بشيء من عالم الحس لشهود غلب عليّ غبت فيه عني وعن غيري وأخبرت أني كنت إذا دخل وقت الصلاة أقيم الصلاة وأصلي بالناس فكان حالي كالحركات الاقعة من النائم ولا علم له بذلك فعلمت أنّ الله حفظ عليّ وقتي و لم يجر على لساني ذنب كما فعل بالشبليّ في ولهه لكنه كان الشبليّ يردّ في أوقات الصلوات على ما روى عنه فلا أدري هل كان يعقل ردّه أو كان مثل ما كنت فيه فإنّ الراوي ما فصل فلما قيل للجنيد عنه قال الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب إلا أني كنت في أوقات في حال غيبتي أشاهد ذاتي في النور الأعم والتجلي الأعظم بالعرش العظيم يصلي بها وأنا عري عن الحركة بمعزل عن نفسي وأشاهدها بين يديه راكعة وساجدة وأنا أعلم أني أنا ذلك الراكع والساجد كرؤية النائم واليد في ناصيتي وكنت أتعجب من ذلك واعلم أن ذلك ليس غيريي ولا هو أنا ومن هناك عرفت المكلف والتكليف والمكلف اسم فاعل تواسم مفعول فقد أبنت لك حالة المأخوذين عنهم من المجانين الإلهيين إبانة ذائق بشهود حاصل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والأربعون في معرفة من عاد بعد ما وصل ومن جعله يعود

وجودك عن تدبي أمر محقق	وتفصيل آيات لو أنك تعقل
فيا أيها الإنسان ما غرّ ذاتكم	برب يرى الأشياء تعلو وتسفل
فإن كنت ذا عقل وفهم وفطنة	علمت الذي قد كنت بالأمس تجهل
وذلك إن تدري بأنك قابل	لقرب وبعد بالذي أنت تعمل
فخف رب تدبير وتفصيل مجمل	فذاك الذي بالعبد أولى وأجمل
إذا كان هذا حالك اليوم دائبا	لعل بشارات بسعدك تحصل
فإنّ جلال الحق يعظم قدره	وفي الخلق يقضي ما يشاء ويفصل
إذا أخذ المولى قلوب عباده	إليه ويقضي ما يشاء ويفصل
فمن شاء أبقاه لديه مكرّما	ورد الذي قد شا لما كان يأمل
وذاك نبيّ أو رسول ووارث	وما ثم إلا هؤلاء فاجملوا
ولم يبق إلا واحد وهو وارث	والإثنان قد راحا فمالك تعدل
فسبحان من خص الولي براحة	ليغبطه فيها الذي هو أفضل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ما ورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم ولما كانت حالته صلى الله عليه وسلم في إبتداء أمره صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى وفقه لعبادته بملة إبراهيم الخليل عليه السلام فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه عناية من الله سبحانه به صلى الله عليه وسلم إلى أن فجأه الحق فجاءه الملك فسلم عليه بالرسالة وعرّفه بنبوّته فلما تقرّرت عنده أرسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فبلغ الرسالة وأدّى الأمانة ودعا إلى الله عز وجل على بصيرة فالوارث الكامل من الأولياء منا من انقطع إلى الله بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن فتح الله له في قلبه في فهم ما أنزل الله عز وجل على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتجل إلهيّ في باطنه فرزقه الفهم في كتابه عز وجل وجعله من المحدّثين في هذه الأمّة فقام له تهذا مقام الملك الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردّه الله إلى الخلق يرشدهم إلى صلاح قلوبهم مع الله ويفرّق لهم بين الخواطر المحمودة والمذمومة ويبين لهم مقاصد الشرع وما ثبت من الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يثبت بإعلام من الله أتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما فيرقى هممهم إلى طلب الأنفس بالمقام تالأقدس نويرغبهم فيما عند الله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالته غير أنّ الوارث لا يحدث شريعة ولا ينسخ حكما مقررا لكن يبين فإنه على بينة من ربه وبصيرة في علمه ويتلوه شاهد منه بصدق إتباعه وهو الذي أشركه الله تعالى مع رسوله صلى الله عليه وسلم في الصفة التي يدعو بها إلى الله فأخبر وقال ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وهم الورثة فهم يدعون إلى الله على بصيرة وكذلك شركهم مع الأنبياء عليهم السلام في المحنة وما ابتلوا به فقال أن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون نالذين يأمرون بالقسط من الناس وهم الورثة فشرك بينهم في البلاء كما شرك بينهم في الدعوة إلى الله فكان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه كثيرا ما يقول من علامات صدق المريد في إرادته فراره عن الخلق وهذه حالة الرسول صلى الله عليه وسلم في خروجه وإنقطاعه عن الناس في غار حراء للتحنث ثم يقول ومن علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنت في إنقطاعه حتى فجأه الحق ثم قال ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق يريد حالة بعثه صلى الله عليه وسلم بالرسالة إلى الناس ويعني في حق الورثة بالإرشاد فلا يقول لولاح لهم بارقة من الحقيقة ما رجعوا إلى ما تابوا إلى الله منه ولو رأو وجه الحق فيه فإنّ موطن التكليف والأدب يمنعهم من ذلك وأمّا قول الآخر من أكابر الرجال لما قيل له فلان يزعم أنه وصل فقال إلي سقر فإنه يريد بهذا أنه من زعم أن الله محدود يوصل إليه وهو القائل وهو معكم أينما كنتم أو ثم أمر إذا وصل إليه سقطت عنه الأعمال المشروعة وأنه غير مخاطب بها مع وجود عقل التكليف عنده وإن ذلك الوصول أعطاه ذلك فهو هذا الذي قال فيه الشيخ إلى سقر أي هذا لا يصح بل الوصول إلى الله بقطع كل ما دونه حتى يكون الإنسان يأخذ عن ربه فهذا إلا تمنعه الطائفة بلا خلاف وكان شيخنا أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكوميّ يقول بيننا وبين الحق المطلوب عقبة كؤود ونحن في أسفل العقبة من جهة الطبيعة فلا نزال نصعد في تلك العقبة حتى الدارانيّ لو وصلوا ما رجعوا يريد إلى رأس العقبة فمن رجع من الناس إنما رجع من قبل الوصول إلى رأس العقبة والإشراف على ما وراءها فالسبب الموجب للرجوع مع هذا إنما هو طلب الكمال ولكن لا يترل بل يدعوهم من مقامه ذلك وهو قوله على بصيرة فيشهد فيعرف المدعوّ على شهود محقق والذي لم يردّ ماله وجه إلى العالم فيبقى هناك واقفا وهو أيضا المسمى بالواقف فإنه ما وراء تلك العقبة تكليف ولا ينحدر منها إلامن مات إلا أنه منهم أعني من الواقفين من يكون مستهلكا فيما يشاهده هنالك وقد وجد منهم جماعة وقد دامت هذه الحالة على أبي يزيد البسطاميّ وهذا كان حال أبي عقال المغربيّ وغيره

واعلم أنه بعد ما أعلمتك ما معنى الوصول إلى الله أن الواصلين على مراتب منهم من يكون وصوله إلى اسم ذاتيّ لا يدل غلا على الله تعالى من حيث هو دليل على الذات كالأسماء الأعلام عندنا لا تدل على معنى آخر مع ذلك يعقل فهذا يكون حاله الإستهلاك كالملائكة المهيمين في جلال الله تعالى والملائكة الكرويين فلا يعرفون سواه ولا يعرفهم سواه سبحانه ومنهم من يصل إلى الله من حيث الإسم الذي أوصله إلى الله أو من حيث الإسم الذي يتجلى له من الله ويأخذه من الإسم الذي أوصله إليه سبحانه ثم إن هذين الرجلين المذكورين أو الشخصين فإنه قد يكون منهم النساء إذا وصلوا فإن كان وصولهم من حيث الإسم الذي أوصلهم فشاهدوه فكان لهم عين يقين فلا يخلو ذلك الإسم إمّا أن يطلب صفة فعل كخالق وبارىء أو صفة صفة كالشكور والحسيب أو صفة تتريه كالغنيّ فيكون بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الإسم الإلهيّ فتضيفه إليه وبه تدعوه فتقول عبد الشكور وعبد الباري وعبد الغنيّ وعبد الجليل وعبد الرزاق وإن كان وصولهم إلى اسم غي الإسم الذي أوصلهم فإنه يأتي بعلم غريب لا يعطيه حاله بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الإسم فيتكلم بغرائب العلم في ذلك المقام وقد يكون في ذلك العلم ما ينكره عليه من لا علم له بطريق القومم ويرى نالناس إن علمه فوق حاله وهو عندنا أعلى من الذي وصل إلى مشاهدة الإسم الذي أوصله فإن هذا إلا يأتي بعلم غريب لا يناسب حاله فيرى الناس إن علمه تحت حاله ودونه تيقول أبو يزيد البسطامس رضي الله عنه العارف فوق ما يقول والعالم تحت ما يقول فبهذا قد حصرنا لك مراتب الواصلين فمنهم من يعود مومنهم من لا يعود ثم إن الراجعين على قسمين منهم من يرجع إختيار كأبي مدين ومنهم من يرجع إضطرارا مجبورا كأبي يزيد لما خلع عليه الحق الصفات التي بها ينبغي أن يكون وارثا وراثة إرشاد وهداية خطا خطوة من عنده فغشي عليه فإذا النداء ردّوا عليّ حبيبي فلا صبر له عني فمثل هذا لا يرغب في الخروج إلى الناس وهو صاحب حال وأمّا العالي من الرجال وهم الأكابر وهم الذين تورثوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبوديته فإن أمروا بالتبليغ فيحتالون في ستر مقامهم عن أعين الناس ليظهروا عند الناس بما لا يعلمون في العادة أنهم من أهل الإختصاص الإلهيّ فيجمعون بين الدعوة إلى الله وبين ستر المقام فيدعوهم بقراءة الحديث وكتب الرقائق وحكايات كلام المشايخ حتى لا نعرفهم العامّة إلا أنهم نقلة لا أنهم يتكلمون عن أحوالهم من مقام القربة هذا إذا كانوا مأمورين ولا بدّ وإن لم يكونوا مأمورين بذلك فهم مع العامّة التي لم تزل مستورة الحال لا يعتقد فيهم خير ولا شرّ ثم إن من الرجال الواصلين من لا يكشف لهم عن العلم بالأسماء الإلهية التي تدبرهم ولكن لهم نظر إلى الأعمال المشروعة التي يسلكون بها وهي ثمانية يد ورجل وبطن نولسان وسمع وبصر وفرج وقلب ما ثم غير ذلك فهؤلاء يفتح لهم يعرفون فيما يتجلى لهم من الغيب أي باب ذلك الباب الذي فتح لهم فإن كان المشهود لهم يطلب اليد بمناسبة تظهر لهم كان صاحب يد وإن كان يطلب البصر بمناسبة كان صاحب بصر وهكذا جميع الأعضاء ومن ذلك الجنس تكون كراماته إن كان وليا ومعجزاته إن كان نبيا ومن ذلك الجنس تكون منازله ومعارفه تكما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يركع نركعتين لا يحدّث نفسه فيهما بشيء فتحت له الثمانية الأبواب من الجنة يدخل من أيها شاء كذلك هذا الشخص يفتح له من أعمال أعضائه إذا كملت طهاته وصفا سرّه أيّ شيء كان مما تعطيه أعمال أعضائه المكلفة وقد بينا هذه المراتب العملية على الأعضاء في كتاب مواقع النجوم ثم إن الله سبحانه يمدّهم من الأنوار بما يناسبهم وهي ثمانية من حضرة النور فمنهم من يكون إمداده من نور البرق وهو المشهد الذاتي وهو على ضربين خلب وغير خلب فإن لم ينتج مثل صفات التتريه فهو البرق الخلب وإن أنتج ولا ينتج إلا أمرا واحدا لأنه ليس لله صفة نفسية سوى واحدة هي عين ذاته لا يصح أن تكون اثنان فإن إتفق أن يحصل له من هذا النور البرقيّ في بعض كشف تعريف إلهيّ لا يكون نبرق خلب ومنهم من يكون إمداده من حضرة النور

نور الشمس ومنهم من يكون إمداده من نور البدر ومنهم من يكون إمداده من نور القمر ومنهم من يكون إمداده من نور الهلال ومنهم من يكون إمداده من نور السراج ومنهم من يكون إمداده من نور القمر ومنهم من يكون إمداده

من نور الساج ومنهم من يكون إمداده من نور النجوم ومنهم من يكون إمداده من نور النار وما ثم نور أكثر وقد ذكرنا مراتب هذه الأنوار في مواقع النجوم أيضا فيكون إدراكهم على قدر مراتب أنوارهم فتميز المراتب بتمييز الأنوار وتتميز الرجال بتمييز المراتب ومن الرجال الواصلين من ليس لهم معرفة بهذا المقام ولا بالأسماء الإلهية ولكن لهم وصول إلى حقائق الأنبياء ولطائفهم فإذا وصلوا فتح لهم باب من لطائف الأنبياء على قدر ما كانوا عليه من الأعمال في وقت الفتح فمنهم من يتجلى له حقيقة موسى عليه السلام فيكون موسويّ المشهد ومنهم من يتجلى له لطيفة عيسى وهكذا سائر الرسل فينسب إلى ذلك الرسول بالوراثة ولكن من حيث شريعة محمد صلى الله عليه وسلم المقررة من شرع ذلك النبيّ الذي تجلى له فيجد هذا الواصل إنه كان محققا في عمله الموجب لفتحه من جهة ظاهره أو باطنه شرع نبيّ متقدّم مثل قوله تعالى أقم الصلاة لذكري فإنّ ذلك من شرع موسى وقرّره الشارع لنا فيمن خرج عنه وقت الصلاة بنوم أو نسيان فهؤلاء يأخذون من الطائف الأنبياء عليهم السلام ولقينا منهم جماعة وليس لهؤلاء إذا ردّ إلى الخلق بالإرشاد والهداية لا يتعدّى ذوقه في أي مرتبة كان والله يقول الحق وهو نيهدي السبيل

الباب السادس والأربعون في معرفة العلم القليل ومن حصله من الصالحين

العلم بالأشياء علم واحد ... والكثر في المعلوم لا في ذاته

والأشعري يرى ويزعم أنه ... متعدد في ذاته وصفاته

إن الحقيقة قد أبت ما قاله ... ولو أنه من فكره وهباته

الحق أبلج لإخفاء بأنه ... متوحد في عينه وسماته

قال الله عز وجل وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فكان شيخنا أبو مدين يقول إذا سمع من يتلو هذه الآية القليل أعطيناه ما هو لنا بل هو معار عندنا والكثير منه لم نصل إليه فنحن الجاهلون على الدوام وقال من هذا الباب خضر لموسى عليه السلام لما رأى الطائر الذي وقع على حرف السفينة ونقر في البحر بمنقاره أتدري ما يقول هذا الطائر في نقره في الماء قال موسى عليه السلام لا أدري قال يا موسى يقول هذا الطائر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا ما نقص من هذا البحر منقاري والمراد المعلومات بذلك لا العلم فإن العلم لو تعدّد أدّى أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى وهو محال فإنّ المعلومات لا نهاية لها فلو كان لكل معلوم علم لزم ما قلناه ومعلوم أن الله يعلم ما لا يتناهى فعلمه واحد فلا بدّ أن يكون للعلم عين واحدة لأنه لا يتعلق بالمعلوم حتى يكون موجودا وما هو ذلك العلم هل هو ذات العالم أو أمر زائد في ذلك خلاف بين النظار في علم الحق سبحانه ومعلوم أنّ علم الله متعلق بما لا يتناهى فبطل أن يكون لكل معلوم علم وسواء زعمت أن العلم عين ذات العالم أو صفة زائدة على ذاته إلا أن تكون ممن يقول في الصفات أنها نسب وإن كنت ممن يقول أنّ العلم نسبة خاصة فالنسب لا تتصف بالوجود نعم ولا بالعدم كالأحوال فيكمن على هذا أن يكون لكل معلوم علم وقد علمنا أن المعلومات لا تتناهى فالنسب لا تتناهى ولا يلزم من ذلك محال كحدوث التعلقات عند

ابن الخطيب والأسترسال عند إمام الحرمين وبعد إن فهمت ما قررناه في هذه المسئلة فقل بعد ذلك ما شئت من نسبة الكثرة للعلم والقلة فما وصف الله العلم بالقلة إلا العلم الذي أعطى الله عباده وهو قوله وما أوتيتم أي أعطيتهم فجعله هبة وقال في حق عبده خضر وعلمناه من لدنا علما وقال علم القرآن فهذا كله يدلك على أنه نسبة لأن الواحد في ذاته لا يتصف بالقلة ولا بالكثرة لأنه لا يتعدد وبهذا نقول إن الواحد ليس بعد وإن كان العدد منه ينشأ ألا ترى إن العالم وإن استند إلى الله و لم يزل أن يكون الله من العالم كذلك الواحد وإن نشأ منه العدد فإنه لا يكون بهذا من العدد فإنه لا يكون بهذا من العدد فالوحدة للواحد نعت نفسي لا يقبل العدد وإن أضيف إليه فإن كان العلم نسبة فإطلاق القلة والكثرة عليه إطلاق حقيقي وإن كان غير ذلك فإطلاق القلة والكثرة عليه إطلاق مجازي وكلام العرب مبني على الحقيقة والمجاز عند الناس وإن كنا قد خالفناهم في هذه المسئلة بالنظر إلى القرآن فإنا ننفي أن يكون في القرآن مجاز بل في كلام العرب وليس هذا موضع شرح هذه المسئلة والذي يتعلق بهذا الباب علم الوهب لا علم الكسب فإنه لو أراد الله العلم المكتسب لم يقل أوتيتم بل كان يقول أوتيتم الطريق إلى تحصيله لا هو وكان يقول في خضر وعلمناه طريق اكتساب العلوم لم يقل شيئا من هذا ونحن نعلم أن ثم علما إكتسبناه من أفكارنا ومن حواسنا وثم علما لم نكتسبه بشيء من عندنا بل هبة من الله عز وجل أنزله في قلوبنا وعلى أسرارنا فوجدناه من غير سبب ظاهر وهي مسئلة دقيقة فإنّ أكثر الناس يتخيلون أنّ العوم الحاصلة عن التقوى علوم وهب وليست كذلك وإنما هي علوم مكتسبة بالتقوى فإنّ التقوى جعلها الله طريقا إلى حصول هذا العلم فقال إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال واتقوا الله ويعلمكم الله كما جعل الفكر الصحيح سببا لحصول العلم لكن بترتيب المقدمات كما جعل البصر سببا لحصول نالعلم بالمبصرات والعلم الوهبي لا يحصل عن سبب بل من لدنه سبحانه فاعلم ذلك حتى لا تختلط عليك حقائق الأسماء الإلهية فإنّ الوهاب هو الذي تكون أعطياته على هذا الحدّ بخلاف الإسم الإلهي الكريم والجواد والسحى فإنه من لا يعرف حقائق الأمور لا يعرف حقائق الأسماء الإلهية ومن لا يعرف حقائق الأسماء الإلهية لا يعرف تنزيل الثناء على الوجه اللائق به فلهذا انبهتك لتنتبه فلا تكونن من الجاهلين فالنبّوات كلها علوم وهبية لأن النبّوة ليست مكتسبة فالشرائع كلها من علوم الوهب عند أهل الإسلام الذين هم أهله وأريد بالإكتساب في العوم ما يكون للعبد فيبه تعمل كما أن الوهب ما ليس للعبد فيه تعمل وإنما قلنا هذا من أجل الإستعدادات التي جعلت العالم يقبل هذا العلم الوهبي والكسبي فإنه لابدّ من الإستعداد فإن وجد بعض الأستعدادات مما يتعمل الإنسان في

تحصيلها كان العلم الحاصل عنها مكتسبا كمن عمل بما علم فأورثه ته علم ما لم يكن يعلم وأشباه ذلك فالشرائع كلها علوم وهبية وممن حصل علوم وهب مما ليس بشرع جماعة قليلة من الأولياء منهم الخضر على التعيين فإنه قال من لدنه والذي عرفناه من النبياء عليهم السلام آدم وإلياس وزكريا ويحيى وعيسى وإدريس وإسمعيل وإن كان قد حصله جميع الأنبياء عليهم السلام ولكن ما ذكرنا منهم إلا من حصل لنا التعريف به وسموا لنا من الوجه الذي نأخذ عن الله تعالى منه ففلهذا سمينا هؤلاء و لم نذكر غيرهم فأمّا قوله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فليس بنص في الوهب ولكن له وجهان وجه يطلبه أوتيتم ووجه يطلبه فقليلا من الإستقلال أي ما أعطيتم من العم إلا ما تستقلون بحمله ومالا تطقونه ما أعطينا كموه فإنكم ما تستقلون به فيدخل في هذا العطاء علوم النظر فإنها علوم تستقل العقول بإدراكها واختلف أصحابنا في العلم المحدث هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا فمن منع إن تعرف ذات الله منع من ذلك ومن لم يمنع من ذلك لم يمنع حصوله ولكن ما نقل إلينا أنه حصل لأحد في الدنيا وما أدري في الآخرة ما يكون فإنا قد علمنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد علم علم الأوّلين والآخرين وقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه أنه يحمد الله

غداً يوم القيامة بمحامد عندما يطلب من الله عز وجل فتح باب الشفاعة أخبر أنّ الله تعالى يعلمه إياها في ذلك الوقت لا يعلمها الآن فلو علمها غيره لم يصدق قوله علمت علم الأوّلين والآخرين وهو صلى الله عليه وسلم الصادق في قوله فحصل من هذا أنّ أحداً لم يتعلق علمه بما لا يتناهى ولهذا ما تكلم الناس إلا في إمكانه هل يمكن أم لا وما كل ممكن واقع ووقوع الممكنات من المسائل المغلقة وكيف يكون ثم ممكن ولا يقع وهو المعقول عندنا في كل وقت فإن ترجيح أحد الممكنين أو الممكنات يمنع من وقوع ما ليس بمرجح في الحال فإن كان الذي لم يقع في الوجود من الممكنات مرجحاً عدم وقوعه في الوجود فيكون عدمه مرجحاً فقد وقع الممكن فإنه لا يلزم فيه من حيث الإمكان إلا اتصافه بكونه مرجحاً سواء ترجح عدمه أو وجوده وإذا كان كذلك فقد وقع كل ممكن بلا شك وإن لم تتناه الممكنات فإن الترجيح ينسحب عليها وهي مسئلة دقيقة فإن الممكنات وإن كانت لا تتناهى وهي معدومة فإنها عندنا مشهودة للحق عز وجل من كونه يرى فإنا لا نعلل الرؤية بالوجود وإنما نعلل الرؤية للأشياء بكون المرئيّ مستعدّ القبول تعلق الرؤية به سواء كان معدوماً أو موجوداً وكل ممكن مستعدّ للرّؤية فالممكنات وإن لم تتناه فهي مرئية لله عز وجل لا من حيث نسبة العلم بل من نسبة أخرى تسمى رؤية كانت ما كانت قال تعالى "ألم يعلم بأن الله يرى" و لم يقل هنا ألم يعلم بأن الله يعلم وقال "تجري بأعيننا" أي بحيث نراها وقال أيضاً لموسى وهارون "إنني معكما أسمع وأرى" والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

انتهى الجزء الرابع والعشرون.

الجزء الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع والأربعون في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية ومقاماتها وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته

فيحنّ إليها مع علوّ مقامه وما السرّ الذي يتجلى له حتى يدعوه إلى ذلك:

ولما رأيت الحق بالأول اتصف أتيت إلى بحر البداية اغترف
بلذة ظمئان لا شرب شربة فيشهدني في غاية الحال اعترف
فيا بردها من شربة مستلذة على كبد حراء فاعمل لها وقف
فإن لذاك الشرب في القلب لذة ترى ربها في الوقت بالعجب يتصف
ولا يحجبنه عجبه عن شهوده ولا ما يرى فيه من الزهو والصلف
فإن له فيمن تقدّم أسوة فما خلف إلا ومثل لها سلف
وراثة مختار ونعت محقق بأسماء حق بالحقيقة مكتنف
وإن نهايات الرجال بداية لقوم أتوا من بعدهم ما لهم خلف
كمثل رسول الله في طوره فما له خلف بل عنده الأمر قد وقف

اعلم أن العالم لما كان أكرى الشكل لهذا حنّ الإنسان في نهايته إلى بدايته فكان خروجنا من العدم إلى الوجود به سبحانه وإليه نرجع كما قال عز وجل "وإليه يرجع الأمر كله" وقال "واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله" وقال: "وإليه المصير وإلى الله عاقبة الأمور" ألا تراك إذا بدأت وضع دائرة فإنك عندما تبتدىء بها لا تزال تديرها إلى أن تنتهي إلى أولها وحينئذ تكون دائرة ولو لم يكن الأمر كذلك لكنا إذا خرجنا من عنده خطاً مستقيماً لم نرجع إليه و لم يكن يصدق قوله وهو الصادق وإليه ترجعون وكل أمر وكل موجود فهو دائرة يعود إلى ما كان منه بدوؤه وأنّ الله تعالى قد عين لكل موجود مرتبته في علمه فمن الموجودات من خلقت في مراتبها ووقفت و لم تبرح فلم يكن لها بداية ولا نهاية بل يقال وجدت فإن البدء ما تعقل حقيقته إلا بظهور ما يكون بعده مما ينتقل إليه وهذا ما انتقل فعين بدئه هو عين وجوده لا غير ومن الموجودات ما كان وجودها أولاً في مراتبها ثم نزل بها إلى عالم طبيعتها وهي الأجسام المولدة من العناصر ولا كلها بل أجسام الثقلين وأقام الله لها في تلك المرتبة المعينة لها التي أنزلت منها على غير علم منها بها داعياً يدعو كل شخص إليها فلا يزال يرتقي بالأعمال الصالحة حتى يصل إليها أو يطلبها بالأعمال التي لا يرتضيها الحق فداعى الحق إذا قام بقلب العبد إنما يدعوه من مقامه الذي تكون غايته إليه إذا سلك ولما كان كل وارد ملذوذا لذيذاً فإنه جديد غريب لطيف لهذا يحنّ إليه دائماً ومن ذلك حبّ الأوطان قال ابن الروميّ:

وحبب أوطان الرجال إليهمو مآرب قضاها الشباب هنالكا

ولما لم يتمكن للتائب أن يرد عليه وارد التوبة إلا حتى ينتبه من سنة الغفلة فيعرف ما هو فيه من الأعمال التي مآلها إلى هلاكه وعطبه خاف ورأى أنه في أسر هواه وأنه مقتول بسيف أعماله القبيحة فقال له حاجب الباب قد رسم الملك إنك إذا أقلعت عن هذه المخالفات ورجعت إليه ووقفت عند حدوده ومراسمه أنه يعطيك الأمان من عقابه ويحسن إليك ويكون من جملة إحسانه أن كلّ قبيح أتيته تردّ صورته حسنة ثم أعطاه التوقيع الإلهيّ فإذا فيه مكتوب "بسم الله الرحمن الرحيم الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات" ولما قرأ وحشي هذا التوقيع قال ومن لي بأن أوفق إلى العمل الصالح الذي اشترطه علينا في التبديل فجاء في الجواب توقيع آخر فيه مكتوب إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشيّ ما أدري هل أنا ممن شاء أن يغفر له أم لا فجاء في الجواب توقيع ثالث فيه مكتوب يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم فلما قرأ وحشي هذا التوقيع قال الآن فأسلم رجعنا إلى التوقيع الأوّل فنقول فلما قرأ هذا التوقيع الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال له حاجب الباب وهو الشارع إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له فلما ورد عليه هذا الإمان عقيب ذلك الخوف الشديد وجد للأمان حلاوة ولذة لم يكن يعرفها قبل ذلك وقد قيل في ذلك أحلى من الأمن عند الخائف الوجل فعند ما يحصل له طعم هذه اللذة وشرع في الأعمال الصالحة وتطهر محله واستعدّ لمجالسة الملك فإنه يقول أنا جليس من ذكرني وتفوّت معرفته به سبحانه وعلم ما يستحقه جلاله وعلم قدر من عصاه استحيا كلّ الحياء وذهبت لذته التي وجدها عند ورود وارد توبته عليه واطلع ورأى الحضرة الإلهية تطالبه بالأدب والشكر على ما أولاه من النعم فيكثر همه وغمه وتنتفي لذته ولهذا نرى العلماء بالله لا يرون في نومهم ما يراه المريدون أصحاب البدايات من الأنوار فإن المبتدىء يستحضر مستحسنات أعماله وأحواله فيرى نتائجها والعالمون ينامون على رؤية تقصير وتفريطاً لما يستحقه الجناب العالي فلا يرى في النوم إلا ما يهمهم من ظلمات ورعد وبرق وكل أمر مخوف فإن النوم تابع للحس ولما كانت النفس بطبعها تحبّ الأمور الملذوذة وقد فقدت لذة التوبة في حال معرفتها ونهايتها لذلك حنت إلى بدايتها من أجل ما اقترن بذلك الموطن من اللذة مع علوّ مقامه ويكون هذا الحنان استراحة لهمه وغمه الذي أعطته معرفته بالله فهو مثل الذي يلتذ بالأمانيّ فهذا سبب حنين أصحاب النهايات إلى بدايتهم وأمّا المنازل السفلية فهي ما تعطيه الأعمال البدنية من المقامات العلوية كالصلاة والجهاد والصوم وكلّ عمل حسيّ وما تعطيه أيضاً الأعمال النفسية وهي الرياضات من تحمل الأذى والصبر عليه والرضى بالقليل من ملذوذات النفوس والقناعة بالموجود وإن لم تكن به الكفاية وحبس النفس عن الشكوى فإنّ كلّ عمل من هذه الأعمال الرياضية والمجاهدات له نتائج مخصوصة ولكلّ عمل حال ومقام وقد أبان عن بعض ذلك الشارع ليستدلّ بما ذكره على ما سكت عنه من حيث اختلاف النتائج لاختلاف الصفات وتعريفاً بأن النوافل من كلّ عبادة مفروضة صفتها من صفة فريضتها ولهذا تكمل له منها إذا كانت فريضته ناقصة ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فيقول الله انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامّة كتبت له تامّة وإن كان انتقص منها شيأ قال انظروا

هل لعبدي من تطوّع فإن كان له تطوّع قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوّعنه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم وأمّا الحديث الآخر في صفات العبادات فإنه ورد في الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائغ نفسه فمعتقها أو موبقها فجعل النور للصلاة والبرهان للصدقة وهي الزكاة والضياء للصوم والحج وهو المعبر عنه بالصبر لما فيها من المشقة للجوع والعطش وما يتعلق بأفعال

الحج وجعل لا إله إلا الله في خبر آخر لا يزنها شيء ونوافل كل فريضة من هذه الفرائض من جنسها فصفتها كصفتها ثم أدخل في قوله كلّ الناس يغدو فبائغ نفسه فمعتقها وهو الذي باعها من الله قال تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم" أو موبقها وهو الذي اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فعم بقوله كل الناس يغدو فبائع نفسه جميع أ؛كام الشريعة نافلتها وفريضتها ومباحها ومكروهها فما من عبادة شرعها الله تعالى لعباده إلا وهي مرتبطة باسم إلهيّ أو حقيقة إلهية من ذلك الاسم يعطيه في عبادته تلك ما يعطيه في الدنيا في قلبه من منازله وعلومه ومعارفه وفي أحواله من كراماته وآياته وفي آخرته في جناته في درجاته ورؤية خالقه في الكثيب في جنة عدن خاصة في مراتبه وقد قال الله عز وجل في المصلى أنه يناجيه وهو نور فيناجيه الله تعالى من اسمه النور لا من اسم آخر فكما أنّ النور ينفر كل ظلمة كذلك الصلاة تقطع كل شغل بخلاف سائر الأعمال فإنها لا تعم ترك كل ما سواها مثل الصلاة فلهذا كانت نورا يبشره الله بذلك أنه إذا ناجاه من اسمه النور انفرد به وأزال كلّ كون بشهوده عند مناجاته ثم شرعها في المناجاة سراً وجهراً ليجمع له فيها بين الذكرين ذكر السرّ وهو الذكر في نفسه وذكر العلانية وهو الذكر في الملأ العبد في صلاته يذكر الله في ملأ الملائكة ومن حضر من الموجودات السامعين وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة قال الله تعالى في الخبر الثابت عنه إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه قد يريد بذلك الملائكة المقرّبين الكروبيين خاصة الذين اختصهم لحضرته فلهذا الفضل شرع لهم في الصلاة الجهر بالقراءة والسرّ فكلّ عبد صلى و لم تزل عنه صلاته كل شيء دونها فما صلى وما هي نور في حقه وكل من أسرّ القراءة في نفسه و لم يشاهد ذكر الله له في نفسه فما أسرّ فإنه وإن أسرّ في الظاهر وأحضر في نفسه ما أحضره من الأكوان من أهل وولد وأصحاب من عالم الدنيا وعالم الآخرة وأحضر الملائكة في خاطره فما أسرّ في قراءته ولا كان ممن ذكر الله في نفسه لعدم المناسبة فإنّ الله إذا ذكر العبد في نفسه لم يطلع أحد من المخلوقين على ما في نفس الباري من ذكره عبده كذلك ينبغي أن يكون العبد فيما أسره فإنه ما يناجي في صلاته إلا ربه في حال قراءته وتسبيحاته ودعائه وكذلك إذا ذكره في ملأ في ظاهره وفي باطنه فأما في ظاهره فبين وأما في باطنه فما يحضر معه في نفسه من المخلوقين وهو ما يجهر به من القراءة في الصلاة والتسبيحات والدعاء ثم إنه ليس في العبادات ما يلحق العبد بمقامات المقرّبين وهو أعلى مقام أولياء الله من ملك ورسول ونبيّ ووليّ ومؤمن إلا الصلاة قال تعالى "واسجد واقترب" فإن الله في هذه الحالة يباهي به المقرّبين من ملائكته وذلك أنه يقول لهم يا ملائكتي أنا قرّبتكم ابتداء وجعلتكم من خواص ملائكتي وهذا عبدي جعلت بينه وبين مقام القربة حجباً كثيرة وموانع عظيمة من أغراض نفسية وشهوات حسية وتدبير أهل ومال وولد وخدم وأصحاب وأهوال عظام فقطع كل ذلك وجاهد حتى سجد واقترب فكان من المقرّبين فانظروا ما خصصتكم به يا ملائكتي من شرف المقام حيث ما ابتليتكم بهذه الموانع ولا كلفتكم مشاقها فاعرفوا قدر هذا العبد وراعوا له حق ما قاساه في طريقه من أجلي فيقول الملائكة يا ربنا لو كنا ممن يتنعم بالجنان وتكون محلاً لإقامتنا ألست كنت تعين لنا فيه منازل تقتضيها أعمالنا ربنا نحن نسألك أن تهبها لهذا العبد فيعطيه الله ما سألته فيه الملائكة فانظروا ما أشرف الصلاة وأفضل ما فيها ذكر الله من الأقوال والسجود من الأفعال ومن أقوالها سمع الله لمن حمده فإنه من

أفضل أحوال العبد في الصلاة للنيابة عن الحق فإنّ الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يقول تعالى "إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" الظاهر للتحريم والتحليل الذي فيها ولذكر الله أكبر يعني فيها من أفعالها وينبغي للمحقق أنه لا يذكر الله إلا بالأذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تالياً فيجمع بين الذكر والتلاوة معاً في لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين أعني الفضيلة فيكون فتحه في ذلك من ذلك القبيل وعلمه وسرّه وحاله ومقامه ومترله وإذا ذكره من غير أن يقصد الذكر الوارد في القرآن فهو ذاكر لا غير فينقصه

من الفضيلة على قدر ما نقصه من القصد ولو كان ذلك الذكر من القرآن غير أنه لم يقصد موقد ثبت أن الأعمال بالنيات وإنما لامرىء ما نوى فينبغي لك إذا قلت لا إله إلا الله أن تقصد بذلك التهليل الوارد في القرآن مثل قوله تعالى "فاعلم أنه لا إلا الله" وكذلك التسبيح والتكبير والتحميد وأنت تعلم أنّ أنفاس الإنسان نفيسة والنفس إذا مضى لا يعود فينبغي لك أن تخرجه في الأنفس والأعز فهذا قد نبهتك على نسبة النورية من الصلاة وأما اقتران البرهان بالصدقة فهو أن الله تعالى جبل الإنسان على الشح وقال "إن الإنسان خلق هلوعاً" يعني في أصل نشأته "إذا مسه الشرّ جزوعاً وإذا مسه الخير منوعا" وقال "ومن يوق شح نفسه" فنسب الشح لنفس الإنسان وأصل ذلك أنه استفاد وجوده من الله ففطر على الاستفادة لا على الإفادة فما تعطي حقيقته أن يتصدّق فإذا تصدق كانت صدقته برهاناً على أنه قد وقي شح نفسه الذي جبله الله عليه فلذلك قال "الصدقة برهان" ولما كانت الشمس ضياء يكشف به كل ما تنبسط عليه لمن كان له بصر فإن الكشف إنما يكون بضياء النور لا بالنور فإن النور ما له سوى تنفير الظلمة بالضياء يقع الكشف وإن النور حجاب كما هي الظلمة حجاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ربه تعالى "حجابه النور" وقال "إن الله سبعين حجاباً من نور وظلمة أو سبعين ألفاً" وقيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك فقال صلى الله عليه وسلم "نور أنى أراه" فجعل الصر الذي هو الصوم والحج ضياء أي يكشف به إذا كنت متلبساً به ما تعطيه حقيقة الضوء من إدراك الأشياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى أنه قال "كلّ عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" وقال صلى الله عليه وسلم لرجل "عليك بالصوم فإنه لا مثل له" وقال تعالى "ليس كمثله شيء" فالصوم صفة صمدانية وهو التتره عن التغذي وحقيقة المخلوق التغي فلما أراد العبد أن يتصف مما ليس من حقيقته أن يتصف به وكان اتصافه به شرعاً لقوله تعالى "كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم" قال الله له "الصوم لي لا لك" أي أنا هو الذي لا ينبغي لي أن أطعم وأشرب وإذا كان بهذه المثابة وكان سبب دخولك فيه كوني شرعته لك فأنا أجزي به كأنه يقول وأنا جزاؤه لأن صفة التتره عن الطعام والشراب تطلبني وقد تلبست بها وما هي حقيقتك وما هي لك وأنت متصف بها في حال صومك فهي تدخلك عليّ فإن الصبر حبس النفس وقد حبستها بأمري عما تعطيه حقيقتها من الطعام والشراب فلهذا قال للصائم فرحتان فرحة عند فطره وتلك الفرحة لروحه الحيوانيّ لا غير وفرحة عند لقاء ربه وتلك الفرحة لنفسه الناطقة أي لطيفته الربانية فأورثه الصوم لقاء الله وهو المشاهدة فكان الصوم أتم من الصلاة لأنه أنتج لقاء الله ومشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة والحجاب يصحبها فإنّ الله يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب وكذلك كلم الله موسى ولذلك طلب الرؤية فقرن الكلام بالحجاب والمناجاة مكالمة يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي والصوم لا ينقسم فهو لله لا للعبد بل للعبد أجره من حيث ما هو لله وهنا سر شريف فقلنا إن المشاهدة والمناجاة لا يجتمعان فإن المشاهدة للبهت والكلام للفهم فأنت في حال الكلام مع ما يتكلم به لا مع المتكلم أيّ شيء كان فافهم القرآن تفهم

الفرقان فبهذا قد حصل لك الفرق بين الصلاة والصوم والصدقة وأمّا قولنا إنّ الله جزاء الصائم للقائه ربه في الفرح به الذي قرنه به فسرّ ذلك في قوله في سورة يوسف "من وجد في رحله فهو جزاؤه" وأمّا الحج فلما فيه من الصبر وهو حبس الإنسان نفسه عن النكاح ولبس المخيط والصفرة كما حبس الإنسان نفسه عن الطعام في الصوم والشراب والنكاح ولما لم يعم الحج مسك الإنسان نفسه عن الطعام والشراب إلا عن النكاح والغيبة لذلك تأخر في القواعد التي بني الإسلام عليها فكان حكمه حكم للصائم والمصلي حال صومه وصلاته في التتره عن مباشرة السكن وذلك التتره يقول الله "هو لي لا لك" حيث كان ولما كان النكاح سبباً لظهور المولدات من ذلك أعطاه الله إذ تركه من أجله بدله كن في الآخرة ولأوليائه في الدنيا بسم الله لمن أراد الله أن يظهر على يده أثراً فيقول

العبد في الآخرة للشيء يريده كن فيكون ذلك الشيء وليس قوله إلا من كونه حاجاً أو صائماً ولهذا شرك بين الحج والصوم في لفظة الصبر فقال والصبر ضياء هذا وإن لم يكن فيه صوم واجب فإن ترك الطعام فيه لشغله بالدعاء في ذلك اليوم من الظهر وهو السنة في ذلك اليوم في ذلك الموضع للحاج خاصة فالمشتغل فيه لا شك أن الجوع جوع العادة يلزمه والطائفة تسمي الجوع وموت أحمر وهو مخالفة النفس في هواها وموت أخضر وهو طرح الرقاع في اللباس بعضها على بعض وموت أسود وهو تحمل أذى الخلق بل مظلق الأذى وإنما سميت لبس المرقعات موتاً أخضر لأن حالته حالة الأرض في اختلاف النبات فيه والأزهار فأشبه اختلاف الرقاع وأما الموت الأسود لاحتمال الأذى فإن في ذلك غم النفس والغم ظلمة النفس والظلمة تشبه في الألوان السواد والموت الأحمر مخالفة النفس شبيه بحمرة الدم فإنه من خالف هواه فقد ذبح نفسه وسيأتي إن شاء الله في هذا الكتاب أبواب مفردات في شهادة التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج وهي قواعد الإسلام التي بني عليها ومن أراد أن يعرف من أسرار الصلاة شيأ وما تنتج كل صلاة من المعارف وما لها من الأرواح النبوية والحركات الفلطية فلينظر في كتابنا المسمى بالتترلات الموصلية وهذا القدر في هذا الباب كاف في المقصود ولنذكر بعض أسرار من المعارف كما ترجمنا عليه بطريق الإيجاز

فصل بل وصل

سرّ إلهيّ

قالت الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم وهكذا كل موجود ما عدا الثقلين وإن كان الثقلان أيضاً مخلوقين في مقامهما غير أن الثقلين لهما في علم الله مقامات معينة مقدّرة عنده غيبت عنهما إليها ينتهي كلّ شخص منهما بانتهاء أنفاسه فآخر نفس هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه ولهذا دعوا إلى السلوك فسلكوا علواً بإجابة الدعوة المشروعة وسفلاً بإجابة الأمر الإراديّ من حيث لا يعلمون إلا بعد وقوع المراد فكلّ شخص من الثقلين ينتهي في سلوكه إلى المقام المعلوم الذي خلق له ومنهم شقي وسعيد وكل موجود سواهما فمخلوق في مقامه فلم يترل عنه فلم يؤمر بسلوك إليه لأنه فيه من ملك وحيوان ونبات ومعدن فهو سعيد عند الله لا شقاء يناله فقد دخل الثقلان في قول الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم عند الله ولا يتمكن لمخلوق من العالم أن يكون له علم بمقامه إلا بتعريف إلهي لا بكونه فيه فإن كل ما سوى الله ممكن ومن شأن الممكن أن لا يقبل مقاماً معيناً لذاته وإنما ذلك لمرجحه بحسب

ما سبق في علمه به والمعلوم هو الذي أعطاه العلم به ولا يعلم هو وما يكون عليه وهذا هو سرّ القدر المتحكم في الخلق إذ كان علم المرجح لا يقبل التغيير لاستحالة عدم القديم وعلمه بتعيين المقامات قديم فلذلك لا ينعدم وهذه المسئلة من أغمض المسائل العقلية ومما يدلك على أن علمه سبحانه بالأشياء ليس زائداً على ذاته بل ذاته هي المتعلقة من كونها علماً بالمعلومات على ما هي المعلومات عليه خلافاً لبعض النظار فإن ذلك يؤدّي إلى نقص الذات عن درجة الكمال ويؤدّي إلى أن تكون الذات قد حكم عليها أمر زائد أوجب لها ذلك الزائد حكماً يقتضيه ويبطل كون الذات تفعل ما تشاء وتختار لا إله إلا هو العزيز الحكيم فتحقق هذه المسئلة وتفرّغ إليها فإنها غامضة جداً في مسائل الحيرة لا يهتدي إليها عقل على الحقيقة من حيث فكره بل بكشف إلهي نبوي ثم نرجع ونقول إن جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسئلة لعدم الكشف فقالت بطريق القوّة والفكر الفاسدان الكامل من بني آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقاً و لم تقيد صنفاً ولا مرتبة من المراتب التي تقع عليها الفضلية لمن هو فيها على غيره ثم عللت فقالت إن لبني آدم الترقي مع الأنفاس وليس للملائكة هذا فإنها خلقت في مقامها وما علمت الجماعة القائلة بهذا هذه الحقيقة التي نبهنا عليها والصحيح الترقي إن لنا وللملائكة ولغيرهم وهو لازم للكل دنيا وبرزخاً وآخرة هذا لكل متصف بالموت في العلم ألا ترى الملائكة مع كونها لها مقامات معلومة لا تتعداها وما حرمت مزيد العلم فإن الله قد عرفنا أنه علمهم الأسماء على لسان آدم عليه السلام فزادهم علماً إلهياً لم يكن عندهم بالأسماء الإلهية فسبحوه وقدسوه بها فساوتنا الملائكة في الترقي بالعلم لا بالعمل كما لا نترقى نحن بأعمال الآخرة لزوال التكليف فنحن وإياهم على السواء في ذلك في الآخرة فما ارتقينا نحن في الدنيا إلى المقام الذي قبضنا عليه وهو المقام الذي خلق فيه غيرنا ابتداء لشرفنا على غيرنا وإنما كان ذلك ليبلونا لا غير فلم يفهم القائلون بذلك ما أراده الله مع وجود النصوص في القرآن مثل قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولا يقال كونهم خلقوا على الصورة أدّى إلى ذلك الابتلاء فإن الجان شاركونا في هذه المرتبة وليس لهم حظ في الصورة فاعلم والله الموفق وصل سر إليهي نهاية الدائرة مجاورة لبدايتها وهي تطلب النقطة لذاتها والنقطة لا تطلبها فصح نهاية أهل الترقي من العالم وصح افتقار العالم إلى الله وغنى الله عن العالم وتبين أنه كل جزء من العالم يمكن أن يكون سبباً في وجود عالم آخر مثله لا أكمل منه إلى ما لا يتناهى فإن محيط الدائرة نقط متجاورة في أحياز متجاورة ليس بين حيزين حييز ثالث ولا بين النقطتين المفروضتين أو الموجودتين فيهما نقطة ثالثة لأنه لا حيز بينهما فكل نقطة يمكن أن يكوّن عنها محيط وذلك المحيط الآخر حكمه حكم المحيط الأول إلى ما لا نهاية له والنهاية في العالم حاصلة والغاية من العالم غير حاصلة فلا تزال الآخرة دائمة التكوين عن العالم فإنهم يقولون في الجنان للشيء يريدونه كن فيكون فلا يتوهمون أمراً ما ولا يخطر لهم خاطر في تكوين أمر مّا إلا ويتكوّن بين أيديهم وكذلك أهل النار لا يخطر لهم خاطر خوف من عذاب أكبر مما هم فيه إلا تكوّن

فيهم أو لهم ذلك العذاب وهوعين حصول الخاطر فإن الدار الآخرة تقتضي تكوين العالم عن العالم لكن حساً وبمجرد حصول الخاطر والهم والإرادة والتمني والشهوة كل ذلك محسوس وليس ذلك في الدنيا أعني من الفعل بالهمة لكل أحد وقد كان ذلك في الدنيا لغير الولي كصاحب العين والغرانية بإفريقية ولكن ما يكون بسرعة تكوين الشيء بالهمة في الدار الآخرة وهذا في الدار الدنيا نادر شاذ كقضيب البان وغيره وهو في الدار الآخرة للجميع فصدق قول الإمام أبي حامد ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه ليس أكمل من الصورة التي خلق عليها الإنسان الكامل فلو كان لكان في العالم ما هو أكمل من الصورة التي هي الحضرة الإلهية وصل سر إلهي كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساو لصاحبه وينتهي إلى نقطة من المحيط بذاتها إذ لو كان ما تقابل به نقطة من المحيط غير ما تقابل به نقطة أخرى لانقسمت و لم يصح أن تكون واحدة وهي واحدة فما قابلت النقط كلها على كثرتها إلا بذاتها

فقد ظهرت الكثرة عن الواحد العين و لم يتكثر هو في ذاته فبطل قول من قال إنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد فذلك الخط الخارج من النقطة إلى النقطة الواحدة من المحيط هو الوجه الحاصل الذي لكل موجود من خالقه سبحانه وهو قوله "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فالإرادة هنا هو ذلك الخط الذي فرضناه خارجاً من نقطة الدائرة إلى المحيط وهو التوجه الإلهي الذي عين تلك النقطة في المحيط بالإيجاد لأن ذلك المحيط هو عين دائرة الممكنات والنقطة التي في الوسط المعينة لنقطة الدائرة المحيطة هي الواجب الوجود لنفسه وتلك الدائرة المفروضة دائرة أجناس الممكنات وهي محصورة في جوهر متحيز وجوهر غير متحيز وأكوان وألوان والذي لا ينحصر وجود الأنواع والأشخاص وهو ما يحدث من كل نقطة من كل دائرة من الدوائر فإنه يحدث فيها دوائر الأنواع وعن دوائر الأنواع دوائر أنواع وأشخاص فاعلم ذلك والأصل النقطة الأولى لهذا كله وذلك الخط المتصل من النقطة إلى النقطة المعينة من محيطها يمتد منها إلى ما يتولد عنها من النقط في نصف الدائرة الخارجة عنها وعن ذلك النصف تخرج دوائر كاملة وعلة ذلك الامتياز بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن فلا يتمكن أن يظهر عن الممكن الذي هو دائرة الأجناس دائرة كاملة فإنها كانت تدخل بالمشاركة فيما وقع به الامتيارز وذلك محال فتكوين دائرة كاملة من الأجناس محال ليتبين نقص الممكن عن كمال الواجب الوجود لنفسه وصورة الأمر فيها هكذا صورة شكل الأجناس والأنواع من غير قصد للحصر إذ للأنواع أنواع حتى ينتهي إلى النوع الأخير كما ينتهي إلى جنس الأجناس.

واعلم أن لنفوس الثقلين ونفوس الحيوان قوّتين قوّة علمية وقوّة عملية عند أهل اللكشف وقد ظهر ذلك في العموم من الحيوان كالنحل والعناكب والطيور التي تتخذ الأوكار وغيرهم من الحيوانات ولنفوس الثقلين دون سائر الحيوان قوّة ثالثة ليست للحيوان ولا للنفس الكلية وهي القوّة المفكرة فيكتسب بعض العلوم من الفكر هذا النوع الإنسانيّ ويشارك سائر العالم في بأخذ العلوم من الفيض الإلهيّ وبعض علومها كالحيوان بالفطرة كتلقي الطفل ثدي أمّه للرّضاعة وقبوله للبن وليس لغير الإنسان اكتساب علوم تبقى معه من طريق فكر فالفكر من الإنسان بمنزلة الحقيقة الإلهية المنصوص عليها بقوله تعالى يدبر الأمر يفصل الآيات وقوله تعالى في الخبر الصحيح عنه ما تردّدت في شيء أنا فاعله وليس للعقل الأول هذه الحقيقة ولا للنفس الكلية فهذا أيضاً مما اختص به الإنسان من الصورة التي لم يخلق غيره عليها ونحن نعلم أن الإنسان الكامل موجود على الصورة ونحن نقطع أنه ما أوجد الله غير الإنسان على ذلك فإنه ما ورد وقوع ذلك ولا عدم وقوعه لا على لسان نبيّ ولا في كتاب منزل وإن غلط في ذلك جماعة فإنهم لم يستندوا فيه إلى تعريف إلهيّ وإنما يحتجون بالخبر وليس في الخبر ما يدل على أنّ غير الإنسان الكامل ما خلق على الصورة ويمكن صحة ذلك ويمكن عدم صحته وصل سر إلهيّ الطبيعة بين النفس والهباء وهو رأي الإمام أبي حامد ولا يمكن أن تكون مرتبتها إلا هنالك فكل جسم قبل الهباء إلى آخر موجود من الأجسام فهو طبيعيّ وكل ما تولد من الأجسام الطبيعية من الأمور والقوى والأرواح الجزئية والملائكة والأنوار فللطبيعة فيها حكم إلهيّ قد جعله الله تعالى وقدّره فحكم الطبيعة من الهباء إلى ما دونه وحكم النفس الكلية من الطبيعة فما دونها وما فوق النفس فلا حكم للطبيعة ولا للنفس فيه وفيما ذكرناه خلاف كثير بين أصحاب النظر من غير طريقنا من الحكماء فإن المتكلم لا حظ له في هذا العلم من كونه متكلماً بخلاف الحكيم فإن الحكيم عبارة عمن جمع العلم الإلهيّ والطبيعيّ والرياضيّ والمنطقيّ وما ثم إلا هذه الأربع المراتب من العلوم وتختلف الطريق في تحصيلها بين الفكر والوهب وهو الفيض الإلهيّ وعليه طريقة أصحابنا ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرّق إليه من الفساد والصحة فيه مظنونة فلا يوثق بما يعطيه وأغنى بأصحابنا

أصحاب القلوب والمشاهدات والمكاشفات لا العباد ولا الزهاد ولا مطلق الصوفية إلا أهل الحقائق والتحقيق منهم ولهذا يقال في علوم النبوّة والولاية إنها وراء طور العقل ليس للعقل فيها دخول بفكر لكن له القبول خاصة عند السليم العقل الذي لم يغلب عليه شبهة خيالية فكرية يكون من ذلك فساد نظره وعلوم الأسرار كثيرة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والأربعون في معرفة إنما كان كذا لكذا وهو إثبات العلة والسبب

إنما كان هكذا لكذا علم من حاز رتبة الحكم
لا تعلل وجود خالقنا فيكن سيركم إلى العدم
وهو الأول الذي ماله أول في الحدوث والقدم

أوّل مسئلة من هذا الباب ما السبب الموجب لوجود العالم حتى يقال فيه إنما وجد العالم لكذا وذلك الأمر المتوقف عليه صحة وجوده إمّا أن تكون علة فتطلب معلولها لذاتها وإذا كان هذا فهل يصح أن يكون للمعلول علتان فما زاد أولاً يصح وذلك في النظر العقلي لا في الوضعيات وإذا تعدّدت العلل فهل تعدّدها يرجع إلى أعيان وجودية أو هل هي نسب لأمر واحد وثم أمور يتوقف صحة وجودها على شرط يتقدّمها أو شروط ويجمع ذلك كله اسم السبب وللشرط حكم وللعلة حكم فهل العالم في افتقاره إلى السبب الموجب لوجوده افتقار المعلول إلى العلة أو افتقار المشروط إلى الشرط وأيهما كان لم يكن الآخر فإن العلة تطلب المعلول لذاتها والشرط لا يطلب المشروط لذاته فالعلم مشروط بالحياة ولا يلزم من وجود الحياة وجود العلم وليس كون العالم عالماً كذلك فإن العلم علة في كون العالم عالماً فلو ارتفع العلم ارتفع كونه عالماً فهو من هذا الوجه يشبه الشرط إذ لو ارتفعت الحياة ارتفع العلم ولو ارتفع كونه عالماً ارتفع العلم فتميز عن الشرط إذ لو ارتفع العلم لم يلزم ارتفاع الحياة فهاتان مرتبتان معقولتان قد تميزتا تسمى الواحدة علة وتسمى الأخرى شرطاً فهل نسبة العالم في وجوده إلى الحق نسبة المعلول أو نسبة المشروط محال أن تكون نسبة المشروط على المذهبين فإنا لا نقول في المشروط يكون ولابدّ وإنما نقول إذا كان فلابدّ من وجود شرطه المصحح لوجوده ونقول في العالم على مذهب المتكلم الأشعري أنه لابد من كونه لأن العلم سبق بكونه ومحال وقوع خلاف المعلوم وهذا لا يقال في المشروط وعلى مذهب المخالف وهو الحكماء فلابد من كونه لأنّ الله اقتضى وجود العالم لذاته فلابدّ من كونه مادام موصوفاً بذاته بخلاف الشرط فلا فرق إذن بين المتكلم الأشعري والحكيم في وجوب وجود العالم بالغير فلنسم تعلق العلم بكون العالم أزلاً علة كما يسمي الحكيم الذات علة ولا فرق ولا يلزم مساوقة المعلول علته في جميع المراتب فالعلة متقدمة على معلولها بالمرتبة بلا شك سواء كان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن بون زماني ولا تقدير زماني لأن كلامنا في أول موجود ممكن والزمان من جملة الممكنات فإن كان أمراً وجودياً فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وإن لم يكن أمراً وجودياً وكان نسبة فحدثت النسبة بحدوث الموجود المعلول حدوثاً عقلياً لا حدوثاً وجودياً وإذا لم يعقل بين الحق والخلق بون زماني فلم يبق إلا الرتبة فلا يصح أن يكون أبداً الخلق في رتبة الحق كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها فالذي هرب منه المتكلم في زعمه وشنع به على الحكيم القائل بالعلة يلزمه في سبق العلم بكون المعلوم لأن سبق العلم

يطلب كون المعلوم لذاته ولابدّ ولا يعقل بينهما بون مقدر فهذا قد نبهناك على بعض ما ينبغي في هذه المسئلة فالعالم لم يبرح في رتبة إمكانه سواء كان معدوماً أو موجوداً والحق تعالى لم يبرح في مرتبة وجوب وجوده لنفسه سواء كان العالم أو لم يكن فلو دخل العالم في الوجوب النفسي لزم قدم العالم ومساوقته في هذه الرتبة لواجب الوجود لنفسه وهو الله و لم يدخل بل بقي على إمكانه وافتقاره إلى موجده وسببه وهو الله تعالى فلم يبق معقول البينية بين الحق والخلق إلا التمييز بالصفة النفسية فبهذا نفرق بين الحق والخلق فافهم وأمّا قولنا هل يكون في العقل للأمر المعلول علتان فلا يصح أن يكون للمعلول العقلي علتان بل إن كان معلولا فعن علة واحدة لأنه لا فائدة للعلة إلا أن يكون لها أثر في المعلول وأمّا أن اتفق أن يكون من شرط المعلول أن يكون على صفة بها يقبل أن يكون معلولا لهذه العلة ولا يمكن أن يكون هذا علة لذلك المعلول نفسه إلا أن يكون ذلك المعلول بتلك الصفة النفسية فلا بد منها ولا يلزم من هذا أن تكون تلك الصفة النفسية على له فإنها صفة نفسية والشيء لا يكون على لنفسه فإنه يؤدي إلى أن تكون العلة عين المعلول فيكون الشيء متقدما على نفسه بالرتبة وهذا محال فكون الشيء علة لنفسه محال فإن العالم لو لم يكن في نفسه على صفة يقبل الإتصاف بالوجود والعدم على السواء لم يصح أن يكون كونه ممكنا على له وبطل أن يكون للشيء علتان فإنّ الأثر للعلة في المعلول إنما كان وجوده فما حكم العلة الأخرى

فيه إن كان وجوده فقد حصل من إحداهما فلم يبق للآخر أثر فإن قيل بإجتماعهما كان المعلول عن ذلك الإجتماع فكان عنهما قلنا فكل واحد منهما إذا انفرد لا يكون علة ولا يصح عليه اسم العلية وقد صح فبطل أن يكون كونه علة متوقفا على آخر فإن قال وما المانع أن تكون العلة بالإجتماع قلنا إنما يكون الشيء علة لنفسه لهذا المعلول عنه لا لغيره فيكون معلولا لذلك الغير لأن ذلك الغير كسبه العلية وكل مكتسب لا يكون صفة نفسية ولو قلنا بإجتماعهما كان علة فلا يخلو ذلك الإجتماع تنأن يكون أمرا زائدا على نفس كل واحد منهما أو هو عينهما لا جائز أن يكون عينهما فإنا نعقل عين كل واحد منهما ولا إجتماع فلا بدّ أن يكون زائدا فذلك الزائد لا بد أن يكون وجودا أو عدما أو لا وجودا ولا عدما أو وجودا وعدما معا فهذا القسم الرابع محال بالبديهة ومحال أن يكون وجود التسلسل اللازم له بما يلزمه من ملزومه أو الدور فيكون علة لمن هو نمعلول له وهذا محال ومحال أن يكون عدما لأن العدم نفي محض ولا يتصف النفي المحض بالأثر ومحال أن يكون لا وجود ولا عدم كالنسب إذ لا حقيقة للنسب في الوجود فإنها أمور إضافية تحدث ولا يكون ما يحدث على لما هو عنه حادث فبطل أن يكون للشيء علتان في العقل توأما في الوضعيات فقد يعتبر الشرع أمورا تكون بالمجموع سببا في ترتيب الحكم هذا لا يمنع فإذ وقد علمت هذا فهو أدل دليل على توحيد ذاتي ينتفي معه اشريك بلا شك قال الله عز وجل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ومعنى هذا لم يوجدا يعني العالم العلويّ وهو السماء والسفليّ وهو الأرض فحقق هذه المسئلة في ذهنك فإنها نافعة في نفي الشريك ونفي التحديد عن الله تعالى فلا حد لذاته ولا شريك له في ملكه إلا إله إلا هو العزيز الحكيم

إنما عللوا الذي	عللوه لكونه
هو معلول علمه	ليس معلول عينه
فانظروا ما نصصته	فهو من سرّ بينه
فصل الأمر نفسه	عن سواه ببينه

فيّ سرّ محقق إنني سر سر
فلبست الرداء من طلبي عين صوته

مسئلة أخرى

إنما كان كذا الكذا إنما انقسم العالم شقيّ وسعيد للأسماء الإلهية فإن الرتبة الإلهية تطلب لذاتها أن يكون في العالم بلاء وعافية ولا يلزم من ذلك دوام شيء من ذلك إلا أن يشاء الله فقد كان ولا عالم وهو مسمى بهذه الأسماء فالأمر في هذا مثل الشرط والمشروط ما هو مثل العلة والمعلول فلا يصح المشروط ما لم يصح وجود الشرط وقد يكون الشرط وقد يكون الشرط وإن لم يقع المشروط فلما رأينا البلاء والعافية قلنا لا بد لهما من شرط وهو كون الحق إلها يسمى بالمبلي والمعذب والمنعم وكما إن كل ممكن قابل لأحد الحكمين أعني الضدّين هو قابل أيضا لإنتفاء أحد الضدّين فالعالم كله ممكن فجائز أن ينتفي عنه أحد الحكمين فلا يلزم الخلود في الدار الآخرة في العذاب ولا في النعيم بل ذلك كله ممكن فجائز أن ينتفي عنه أحد الحكمين فلا يلزم الخلود في الآخرة في العذاب ولا في النعيم بل ذلك كله ممكن فإن ورد الخبر الإلهيّ الذي يفيد العلم بالنص الذي لا يحتمل التأويل بخلود الالم في أحد الحكمين أو بوقوع كل حكم في جزء من العالم معين وخلود ذلك الجزء فيه إلى ما لا يتناهى قبلناه وقلنا به وما ورد من الشارع أن العالم الذي هو في جهنم الذين هم أهلها ولا يخرجون منها أن بقاءهم فيها لوجود العذاب فكما ارتفع حكم العذاب عن ممكن ماوهم أهل الجنة كذلك يجوز أن يرتفع عن أهل النار توجود العذاب مع كونهم في النار لقوله وما هم بخارجين من النار وقال سبقت رحمتي غضبي ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط فيكون الله إلها بجميع أسمائه ولا عذاب في العالم ولا ألم لأنه ليس ارتفاعه عن ممكن ما بأولى من ارتفاعه عن جميع الممكنات فلم يبق بأيدينا من طريق العقل دليل على وجود العذاب دائما ولا غيره فليس إلا النصوص المتواترة أو الكشف الذي لا يدخله شبهة فليس للعقل رده إذا ورد من الصادق النص الصريح أو الكشف الواضح

مسئلة أخرى من هذا الباب

إنما صحت الصورة لآدم لخلقه باليدين فاجتمع فيه حقائق العالم بأسره والعالم يطلب الأسماء الإلهية فقد إجتمع فيه الأسماء الإلهية ولهذا خص آدم عليه السلام بعلم الأسماء كلها التي لها توجه إلى العالم و لم يكن ذلك العلم أعطاه الله اللملائكة وهم العالم الأعلى الأشرف قال الله عز وجل وعلم آدم الأسماء كلها و لم يقل بعضها وقال عرضهم و لم يقل عرضها فدل علىأنه عرض المسمين لا االأسماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك فإن كان هذا الدعاء دعا به قبل نزول سورة البقرة عليه فلا معارضة بين الخبر والآية عند من يقول بأن الأسماء هنا هي الأسماء الإلهية فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له علم بما خص الله به آدم على الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم ما أدرى ما يفعل بي ولا بكم أن أتبع إلا ما يوحى بهّ إليّ وإن كان دعا به بعد نزول سورة البقرة فيكون بريد قوله كلها الأسماء الإلهية التي تطلب الآثار في العالم وما تعبد به من أسماء التتريه والتقديس وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة فأحمد ربي

بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن مع قوله في حديث الضربة فعلمت علم الأولين والآخرين ومن علم الأولين علم الأسماء التي علمها الله آدم وربما يكون من علم الآخرين علم هذه المحامد التي يحمد بها ربه يوم القيامة

مسئلة أخرى من هذا الباب

إنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم لكون الله تعالى خلقه على صورته فالخليفة لا بد أن يظهر فيما استخلف عليه بصورة مستخلفة وإلا فليس بخليفة له فيهم فأعطاه المر والنهي وسماه بالخليفة وجعل البيعة له بالسمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر وأمر الله سبحانه عباده بالطاعة لله ولرسوله والطاعة لأولي الأمر منهم فجمع رر الله صلى الله عليه وسلم بين الرسالة والخلافة كداود عليه السلام فإنّ الله نص على خلافته عن الله بقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق وأجمل خلافة آدم عليه السلام وما كل رسول خليفة فمن أمر ونهى وعاقب وعفا وأمر الله بطاعته وجمعت له هذه الصفات كان خليفة ومن بلغ أمر الله ونهيه و لم يكن له من نفسه إذن من الله تعالى أن يأمر وينهي فهو رسول يبلغ رسالات ربه وبهذا بأن لك الفرقان بين الرسول والخليفة ولهذا جاء بالألف واللام في قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال عز وجل يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله أي فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مما قال فيه صلى الله عليه وسلم أنّ الله يأمركم وهو كل أمر جاء في كتاب الله تعالى ثم قال وأطيعوا الرسول ففصل أمر طاعة الله ممن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فلو كان يعني بذلك ما بلغ إلينا من أمر الله تعالى لم تكن ثم فائدة زائدة فلا بد أن يوليه رتبة الأمر والنهي فيأمر وينهي فنحن مأمورون بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله بأمره وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وطاعتنا له فيما أمر به صلى الله عليه وسلم ونهى عنه مما لم يقل هو من عند الله فيكون قرءآنا قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فأضاف النهي إليه صلى الله عليه وسلم فأتى بالألف واللام في الرسول يريد بهما التعريف والعهد أي الرسول الذي استخلفناه عنا فجعلنا له أن يأمر وينهي زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا إلى عبادنا ثم قال تعالى في الآية عينها وأولي الأمر منكم أي إذا ولي عليكم خليفة عن رسولي أو وليتموه من عندكم كما شرع لكم فاسمعوا له وأطيعوا ولو كان عبدا حبشيا مجدّع الأطراف فإن في طاعتكم إياه طاعة رسوله الله صلى الله عليه وسلم ولهذا لم يستأنف في أولي الأمر أطيعوا واكتفى بقوله أطيعوا الرسول و لم يكتف بقوله أطيعوا الله عن قوله أطيعوا الرسول ففصل لكونه تعالى ليس كمثله شيء واستأنف القول بقوله وأطيعوا الرسول فهذا دليل على أنه تعالى قد شرع له صلى الله عليه وسلم أن يأمر وينهي وليس لأولي الأمر أن يشرعوا شريعة إنما لهم الأمر والنهي فيما هو مباح لهم ولنا فإذا أمرونا بمباح أو نهونا عن مباح
وأطعناهم في ذلك أجرنا في ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه عليه من أمر ونهي وهذا من كرم الله بنا ولا يشعر بذلك أهل الغفلة منا إنما أمرت الملائكة والخلق أجمعون بالسجود وجعل معه الفربة فقال واسجد واقترب وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من الله في سجوده ليعلموا أنّ الحق في نسبة الفوق إليه من قوله وهو القاهر فوق عباده ويخافون ربهم من فوقهم كنسبة التحت إليه فإن السجود طلب السفل بوجهه كما إن القيام يطلب الفوق إذا رفع وجهه بالدعاء ويديه وقد جعل الله السجود حالة القرب من الله فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق فإنه خالق الفوق والتحت كما لم يقيده الإستواء على العرش عن النزول إلى السماء الدنيا و لم يقيده النزول إلى السماء الدينا عن الإستواء على العرش كما لم يقيده سبحانه الإستواء والنزول عن أن

يكون معنا أينما كنا كما قال تعالى وهو معكم أينما كنتم بالمعنى الذي يليق به وعلى الوجه الذي أراده كما قال ايضا وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي كما قال عنه هود عليه السلام ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها وقال تعالى أيضا في حق الميت ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فنسب القرب إليه من الميت وقال أيضا عز وجلّ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد يعني الإنسان مع قوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

مسئلة دورية من هذا الباب وهذه صورتها

إنما قلنا اختلفت الشرائع لإختلاف النسب الإلهية لأنه لو كانت النسبة الإلهية لتحليل أمر ما في الشرع كالنسبة لتحريم ذلك المر عينه في الشرع لما يصح تغيير الحكم وقد ثبت تغيير الحكم ولما صح أيضا قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقد صح أن لكل أمّة شرعة ومنهاجا جاءها بذلك نبيها ورسولها فنسخ وأثبت فعلمناه بالقطع إن نسبته تعالى فيما شرعه إلى محمد صلى الله عليه وسلم خلاف نسبته إلى نبيّ آخر وإلا لو كانت النسبة واحدة من كل وجه وهي الموجبة للتشريع الخاص لكان الشرع واحدا من كل وجه فإن قيل فلم اختلفت النسب الإلهية قلنا لإختلاف الأحوال فمن حاله المرض يدعو يا معافي وياشافي ومن حاله الجوع يقول يا رازق ومن حاله الغرق يقول يا مغيث فاختلفت النسب لإختلاف الأحوال وهو قوله كل يوم هو في شأن وسنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله صلى الله عليه وسلم لما وصف ربه تعالى بيده الميزان يخفض ويرفع فلحالة الوزن قيل فيه الخافض الرافع فظهرت هذه النسب فهكذا في إختلاف أحوال الخلق وقولنا إنما اختلفت الأحوال لإختلاف الأزمان فإن إختلاف أحوال الخلق سببها إختلاف الأزمان عليها فحالها في زمان الربيع يخالف حالها في زمان الصيف وحالها في زمان الصيف يخالف حالها في زمان الخريف وحالها في زمان الخريف يخالف حالها في زمان الشتاء وحالها في زمان الشتاء يخالف حالها في زمان الربيع يقول بعض العلماء بما تفعله الأزمان في الأجسام الطبيعية تعرّضوا لهواء زمان الربيع فإنه يفعل في أبدانكم ما يفعل في أشجاركم وتحفظوا من هواء زمان الخريف فإنه يفعل في أبدانكم كما يفعل في أشجاركم وقد نص الله تعالى على أننا من جملة نبات الأرض فقال والله أنبتكم من الأرض نباتا أراد فنبتم نباتا لأن مصدر أنبتكم إنما هو إنباتا كما قال في نسبة التكوين إلى نفس المأمور به فقال تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فجعل التكوين إليه كذلك نسب ظهور النبات إلى النبات فافهم فلذلك قلنا إنما اختلفت الأحوال لإختلاف الأزمان وأما قولنا إنما اختلفت الأزمان لإختلاف الحركات فأعني بالحركات الحركات الفلكية فإنه بإختلاف الحركات الفلكية حدث زمان الليل والنهار وتعينت السنون والشهود والفصول وهذه المعبر عنها بالأزمان وقولنا اختلفت الحركات لإختلاف التوجهات أريد بذلك توجه الحق عليها بالإيجاد لقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه فلو كان التوجه واحدا عليها لما اختلفت الحركات وهي مختلفة فدل أن التوجه الذي حرّك القمر في فلكه ما هو التوجه الذي حرّك الشمس ولا غيرها من الكواكب والأفلاك ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت السرعة أو الإبطاء في الكل على السواء قال تعالى كل في فلك يسبحون فلكل حركة توجه إلهيّ أي تعلق خاص من كونه مريدا وقولنا إنما اختلفت التوجيهات لإختلاف المقاصد فلو كان قصد الحركة القمرية بذلك التوجه عين قصد الحركة الشمسية بذلك التوجه لم يتميز أثر عن أثر والآثار بلا شك مختلفة فالتوجيهات مختلفة لإختلاف المقاصد فتوجهه بالرضى عن زيد غير توجهه بالغضب على عمرو فإنه قصد تعذيب عمرو وقصد تنعيم زيد فاختلفت المقاصد وقولنا إنما

اختلفت المقاصد لإختلاف التجليات فإن التجليات لو كانت في صورة واحدة من جميع الوجوه لم يصح أن يكون لها سوى فقصد واحد وقد ثبت إختلاف القصد فلا بدّ أن يكون لكل في صورة واحدة من جميع الوجوه لم يصح أن يكون لها سوى قصد واحد وقد ثبت إختلاف القصد فلا بدّ أن يكون لكل قصد خاص تجل خاص ما هو عين التجلي للآخر فإن الإتساع الإلهيّ يعطي أن لا يتكررّ شيء في الوجود وهو الذي عولت عليه الطائفة والناس في لبس من خلق جديد يقول الشيخ أبو طالب المكيّ صاحب قوت القلوب وغيره من رجال الله عز وجل إن الله سبحانه ما تجلى قط في صورة واحدة لشخصين ولا في صورة واحيدة مرّتين ولهذا اختلفت الآثار في العالم وكني عنها بالرضى والغضب وقولنا إنما اختلفت التجليات لإختلاف الشرائع فإن كل شريعة طريق موصلة إليه سبحانه وهي مختلفة فلا بدّ أن تختلف التجليات كما تختلف العطايا لا تراه عز وجل إذا تجلى لهذه الأمّة في القيامة وفيها منافقوها وقد اختلف نظرهم في الشريعة فصار كل مجتهد على شرع خاص هو طريقة إلى الله ولهذا اختلفت المذاهب وكل شرع في شريعة واحدة والله قد قرّر ذلك على

لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عندنا فاختلفت التجليات بلا شك فإن كل طائفة قد اعتقدت في الله أمر أمّا إن تجلى لها في خلافة أنكرته فإذا تحوّل لها في العلامة التي قد قرّرتها تلك الطائفة مع الله في نفسها أقرّت به فإذا تجلى للأشعريّ في صورة اعتقاد من يخالفه في عقده في الله وتجلى للمخالف في صورة اعتقادها فيه تعالى وهي العلامة التي ذكرها مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرّوا له بأنه ربهم وهو هو لم يكن غيره فاختلفت التجليات لإختلاف الشرائع وقولنا إنما اختلفت الشرائع لإختلاف النسب الإلهية قد تقدّم ودار الدور فكل شيء أخذته من هذه المسائل صلح أن يكون أولا وآخرا وسطا وهكذا كل أمر دوريّ يقبل كل جزء منه بالفرض الأولية والآخرية وما بينهما وقد ذكرنا مثل هذا الشكل الدوريّ في التدبيرات الإلهية مضاهيا لقول المتقدّم إذ قال العالم بستان سياجه الدولة الدولة سلطان تحجبه السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك راع يعضده الجيش الجيش أعوان يكفلهم المال المال رزق يجمعه الرعية الرعية عبيد تعبدهم العدل العدل مألوف فيه صلاح العالم العالم بستان ودار الدور ويكفي هذا القدر من الإيماء إلى العلل والأسباب مخافة التطويل فإن هذا الباب واسع جدّا إذ كان العالم كله مرتبطا بعضه ببعض أسباب ومسببات وعلل ومعلولات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الخامس والعشرون

الجزء السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع والأربعون في معرفة قوله صلى الله عليه وسلم إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين ومعرفة هذا المنزل ورجاله

نفس الرحمن ليس له في سوي الرحمن مستند

حكمه في كل طائفة مالها ركن ولا سند

يمن الأكوان منزله وهو لا روح ولا جسد

ماله حدّ يعينه وهو المطلوب والصمد

فجميع الخلق يطلبه ثم لم يظفر به أحد

أحد ما مثله أحد بكمال النعت منفرد

اعلم يا وليّ إن لله عبادا من حيث اسمه الرحمن وهو قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يقول تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ولله عباد يأتي إليهم الرحمن من اسمه الرب فإن الله يقول قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيامّا تدعوا فله الأسماء الحسنى فكماله من الإسم الله الأسماء الحسنى كذلك له من الأسم الرحمن الأسماء الحسنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا إلى السماء الدنيا وقال وجاء ربك فثم إتيان عام مثل هذا وهو الإتيان للفصل والقضاء وثم إتيان خاص بالرحمة لمن اعتنى به من عباده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتدّ كربه من المنازعين أني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين وهو ما مشى إلى اليمين لكن النفس أدركه من قبل اليمين وما أدركه حتى أتاه فجاء بالتنفيس من الشدة والضيق الذي كان فيه بالأنصار رضى الله عن جميعهم فتقدم إليه النفس في باطنه وقلبه مبشرا بما يظهره الله من نصرة الدين وإقامته على أيدي الأنصار ولقد جرى لنا في حديث الأنصار ما نذكره إن شاء الله وذلك أنه عندنا بدمشق رجل من أهل الفضل والأدب والدين يقال له يحي بن الأخفس من أهل مراكش كان أبوه يدرس العربية بها فكتب إلي يوما من مترله بدمشق وأنا بها يقول لي في كتابه يا ولي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة بجامع دمشق وقد نزل بمقصورة الخطابة إلى جانب خزانة المصحف المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه والناس يهرعون إليه ويدخلون عليه يبايعونه فبقيت واقفا حت خف الناس فدخلت عليه وأخذت يده فقال لي هل تعرف محمدا قلت له ابن العربي قال فقلت له نعم أعرفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا قد أمرناه بأمر فقل له يقول لك رسول الله انهض لما أمرت به وأصحبه أنت فإنك تنتفع بصحبته وقل له يقول لك رسول الله امتدح الأنصار ولتعين منهم سعد بن عبادة ولا بد ثم استدعى بحسان بن ثابت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حسان حفظه بيتا يوصله إلى محمد بن العربي يبني عليه وينسج على منواله في العروض والرويّ فقال حسان يا يحي خذ إليك وأنشدني بيتا وهو

شغف السهاد بمقلتي ومزاري فعلى الدموع معوّلي ومشاري

وما زال يردده عليّ حتى حفظته ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مدح النصار فاكتبه بخط بين واحمله ليلة الخميس إلى تربة هذا الذي تسموها قبرا لست فستجد عندها شخصا اسمه حامد فادفع إليه المديح فلما أخبرني بذكل هذا الرائي وفقه الله عملت القصيدة من وقتي من غير فكرة ولا روية ولا تثبط ودفعت القصيدة إليه فكتب إليّ أنه لما جاء قبرا لست وصل إليه بعد العشاء الآخرة قال فرأيت رجلا عند القبر فقال لي ابتداء أنت يحيى الذي جاء من عند فلان وسماني قال فقلت له نعم قال فأين القصيد الذي مدح به الأنصار عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هو ذا عندي فناولته إياه فقرب من الشمعة ليقرأ القصيدة فلم أره يخبر ذلك الخط فقلت له تأمرني أنشدتك إياها قال نعم فأنشدته إياها وهذا نص القصيدة

قال ابن ثابت الذي فخرت به فقر الكلام ونشأ الأشعار

شغف السهاد بمقلتي ومزاري فعلى الدموع معوليّ ومشاري

وكانت أمي تنسب إلى الأنصار فقلت

فلذا جعلت الذي فخرت به فقر الكلام ونشأة الأشعار

فأقول مبتدئا لطاعة أحمد في مدح قوم سادة أبرار

إني امرؤ من جملة الأنصار فإذا مدحتهمو مدحت نجاري

بسيوفهم قام الهدى وبهم علت أنواره في رأس كل منار

قاموا بنصر لها شميّ محمد المصطفى المختار من مختار

صحبوا النبيّ بنية وعزائم فازوا بهنّ حميدة الآثار

باعوا نفوسهمو لنصرة دينه ولذاك ما صحبوه بالإيثار

عنهم كنى المختار بالنفس الذي يأتيه من يمن مع الأقدار

سعد سليل عبادة فخرت به يوم السقيفة جملة الأنصار

لله آساد لكل كريهة نزلت بدين الله والأخيار

عزوا بدين الله في أعزازهم دين الهدى بالعسكر الجرّار

فيهم علا يوم القيامة مشهدي وبهم ترى يوم الورود فخارى

لو أنني صغت الكلام قلائدا في مدحهم ما كنت بالمكثار

كرش النبيّ وعيبة لرسوله لحقت بهم أعداؤه بتبار

رهبان ليلا يقرؤن كلامه آساد غاب في الوغى بنهار

وقصة الرؤيا يا طويلة فاقتصرت من ذلك على ما نحتاج إليه في هذا الباب من ذكر الأنصار ثم نرجع فنقول فما جاءت النصار إلا بعد أن نفس الله عن نبيه بما بشره به فلقيته النصار في حال إتساع وإنشراح وسرور تلقاها صلى الله عليه وسلم تلقي الغنيّ بربه فكان معها والمهاجرين عونا على إقامة دين الله كما أمرهم الله قال الله عز وجل والله يقبض ويبسط فلله الأسماء الحسنى ولها آثار وتحكم في خلقه وهي المتوجهة من الله تعالى على إيجاد الممكنات وما تحوي عليه من المعاني التي لا نهاية لها والله من حيث ذاته غنيّ عن العالمين وإنما عرّفنا الله تعالى إنه غنيّ عن العالمين ليعلمنا إنه سبحانه ما أوجدنا إلا لنفسه وما خلقنا لعبادته إلا ليعود ثواب ذلك العلم وفضله إلينا ولذلك ما خص بهذا الخطاب إلا الثقلين فقال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ولا نشك أنّ كل ما خلق من الملائكة وغيرهم من العالم ما خلقهم إلا مسبحين بحمده وما خص بهذه الصفة غير الثقلين أعني صفة العبادة وهي الذلة كما جعلها فينا وذلك أنه ما تكبر أحد من خلق الله على أمر الله غير الثقلين ولا عصى الله أحد من خلق الله سوى الثقلين فأمر إبليس فعصى ونهى آدم عليه السلام أن يقرب الشجرة فكان من أمره ما قال الله لنا في كتابه وعصى آدم ربه وأمّا الملائكة فقد شهد لهم الله بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وفعلون ما يؤمرون ردّا على من تكلم بما لا ينبغي في حق الملكين ببابل من المفسرين بما لا يليق بهم ولا يعطيه ظاهر الآية لكن الإنسان يجترىء على الله تعالى فيقول فيه ما لا يليق بجلاله فكيف لا يقول في الملائكة فكما كذب الإنسان ربه في أمور فيكون هذا القائل قد كذب ربه في قوله في حق الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم وفي صحيح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم و لم يكن ينبغي له ذلك وشتمني ابن آدم و لم يكن ينبغي له ذلك الحديث فلا أحد أصب على أذى من الله كذا ورد أيضا في الخبر وهو سبحانه يرزقهم ويحسن إليهم وهم في حقه بهذه الصفة فاعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون سائر الموجودات أنّ سائر المخلوقات توجه على إيجادهم من الأسماء الإلهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهيّ وتعرّف إليهم حين أوجدهم بهذه السماء فلم يتمكن لمن خلق بهذه المنابة أن يرفع رأسه ولا أن يجد في نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله فكيف على من خلقه وقد أشهده أنه في قبضته وتحت قهره وشهدوا كشفا نواصيهم ونواصي كل دابة بيده في القرآن العزيز ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ثم قال متمما إنّ ربي على صراط مستقيم والأخذ بالناصية عند العرب إذلال هذا هو المقرّر عرفا عندنا فمن كان حاله في شهود نظره إلى ربه أخذ النواصي بيده ويرى ناصيته من جملة النواصي كيف يتصوّر منه عزاء وكبرياء على خالقه مع هذا الكشف وأمّا الثقلان فخلقهم بأسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتترل الإلهيّ فعند ما خرجوا لم بروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء رأوا نفوسهم مستندة في وجودها إلى رحمة وعطف وتترل و لم يبد الله لهم من جلاله ولا كبريائه ولا عظمته في خروجهم إلى الدنيا شيئا يشغلهم عن نفوسهم ألا تراهم في الأخذ الذي عرض لهم من ظهورهم حين قال لهم ألست بربكم هل قال أحد منهم نعم لا والله بل قالوا بلى فأقرّوا له بالربوبية لأنهم في قبضة الأخذ محصورون فلو شهدوا أنّ نواصيهم بيد الله شهادة عين أو إيمان كشهادة عين كشهادة الخذ ما عصوا الله طرفة عين وكانوا مثل سائر المخلوقات يسبحون الليل والنهار لا يفترون فلما ظهروا عن هذه الأسماء الرحمانية قالوا يا ربنا لم خلقتنا قال لتعبدون أي لتكونوا أذلاء بين يديّ فلم يروا صفة قهر ولا جناب عزة تذلهم ولا سيما وقد قال لهم لتذلوا إليّ فأضاف فعل الإذلال إليهم فزادوا بذلك كبراً فلو قال لهم ما خلقتكم إلا لأذلكم لفرقوا وخافوا فإنها كلمة قهر فكانوا يبادرون إلى الذلة من نفوسهم خوفاً من هذه الكلمة كما قال للسموات والأرض "ائتيا طوعاً أو كرها" فلو لم يقل كرها فإنها كلمة قهر

حيثما أتت فلهذا قلنا ما أوجد كل ما عدا الثقلين ولا خاطبهم إلا بصفة القهر والجبروت فلما قال للثقلين عن السبب الذي لأجله أوجدهم وخلقهم نظروا إلى

الأسماء التي وجدوا عنها فما رأوا اسماً إلهياً منها يقتضي أخذهم وعقوبتهم إن عصوا أمره ونهيه وتكبروا على أمره فلم يطيعوه وعصوه فعصى آدم ربه وهو أول الناس وعصى إبليس ربه فسرت المخالفة من هذين الأصلين في جميع الثقلين بقول النبي صلى الله عليه وسلم عن آدم لما جحد ونسي ما وهبه لداود من عمره فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته إلا من رحم ربك فعصمه ولكن من التكبر على الله لا من تكبر بعضهم على بعض وعلى سائر المخلوقين فما عصم أحد من ذلك ابتداء فإن الله قد شاء أن يتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ولكن إذا اعتنى الله بعبده ففي الحالة الثانية يرزقه التوفيق والعناية فيلزم ما خلق له من العبادة فيلحق بسائر المخلوقات وهو عزيز الوجود وأين العبد الذي هو في نفسه مع أنفاسه عبد لله دائماً فلا يدل أحد من الثقلين إلا عن قهر يجده فهو في ذله مجبور فإذا وجد ذلك حينئذ يلتفت إلى الأسماء التي عنها وجد وهي أسماء الرحمة فيطلبها لتزيل عنه ما هو فيه من الضيق والحرج الذي ما اعتاده فيحنّ إلى جهتها ويعرف أنّ لها قوّة وسلطاناً فتنفس عنه ما يجده من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نفس الرحمن فأشار إلى الاسم الذي خلق به الثقلين وقرن معه جهة القوّة فقال من قبل اليمن والقبل الناحية والجهة واليمن من اليمين وهو القوّة قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أراد بالقوة فإن اليمين محل القوة والسموات مطويات بيمينه وكذلك كان لما نظر إليه الاسم الرحمن الذي عنه وجد كان النصر على أيدي الأنصار وكذلك قوله يوم نحشر المتقين فإن المتقي هو الحذر الخائف الوجل ولا يكون أحد يشهد الرحمن الرحيم الرؤف ويتقيه وإنما مشهود المتقي السريع الحساب الشديد العقاب المتكبر الجبار فيتقي ويخاف فيؤمنه الله تعالى بأن يحشره إلى الرحمن فيأمن سطوة الجبار القهار ولهذا قال تعالى فينا إن رحمته سبقت غضبه لأنه بالرحمة أوجدنا لم يوجدنا بصفة القهر وكذلك تأخرت المعصية فتأخر الغضب عن الرحمة في الثقلين فالله يجعل حكمهما في الآخرة كذلك ولو كانت بعد حين ألا ترى الله تعالى إذا ذكر أسماءه لنا يبتدىء بأسماء الرحمة ويؤخر أسماء الكبرياء لأنا لا نعرفها فإذا قدم لنا أسماء الرحمة عرفناها وحننا إليها عند ذلك يتبعها أسماء الكبرياء لنأخذها بحكم التبعية فقال تعالى "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة" فهذا نعت يعم الجميع وليس واحدته بأولى من الآخر ثم ابتدأ فقال هو الرحمن فعرفنا الرحمن الرحيم لأنا عنه وجدنا ثم قال بعد ذلك هو الله الذي لا إله إلا هو ابتداء ليجعله فصلاً بين الرحمن الرحيم وبين العزيز الجبار المتكبر فقال الملك القدّوس السلام المؤمن وهذا كله من نعوت الرحمن ثم جاء وقال العزيز الجبار المتكبر فقبلنا هذه النعوت بعد أن آنسنا بأسماء اللطف والحنان واسماء الاشتراك التي لها وجه إلى الرحمة ووجه إلى الكبرياء وهو الله والملك فلما جاء بأسماء العظمة والمحل قد تأنس بترادف الأسماء الكثيرة الموجبة الرحمة قبلنا أسماء العظمة لما رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها حيث كانت نعوتاً لها فقبلناها ضمناً تبعاً لأسمائنا ثم إنه لما علم الخلق أن صاحب القلب والعلم بالله وبمواقع خطابه إذا سمع مثل أسماء العظمة لابدّ أن تؤثر فيه أثر خوف وقبض نعتها بعد ذلك وأردفها بأسماء تختص بالرحمة على الإطلاق ولاتعري عن العظمة على الإطلاق فقال هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى هذا كله تعلم من الله عباده وتترل إليهم فيمنازل

أصحاب هذا الباب هي هذه الأسماء المذكورة وحضراتها ولهذا قدّم سبحانه في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة إذ كانت السور تحوي على أمور مخوفة تطلب أسماء العظمة والاقتدار فقدّم أسماء الرحمة تأنيساً وبشرى ولهذا قالوا في سورة التوبة أنها والأنفال سورة واحدة حيث لم يفصل بينهما بالبسملة وفي ذلك خلاف منقول بين علماء هذا الشأن من الصحابة ولما علم الله تعالى ما يجري من الخلاف في هذه الأمّة في حذف البسملة من سورة براءة فمن ذهب إلى أنها سورة مستقلة وكان القرآن عنده مائة وثلاث عشرة سورة فيحتاج إلى مائة وثلاث عشرة بسملة أظهر لهم في سورة النمل ببسملة ليكمل العدد وجاء بها كما جاء بها في أوائل السور بعينها فإن لغة سليمان عليه السلام لم تكن عربية وإنما كانت أخرى فما كتب لغة هذا اللفظ في كتابه وإنما كتب لفظة بلغته تقتضي معناها باللسان العربيّ إذا عبر عنها بسم الله الرحمن الرحيم وأتى بها محذوفة الألف كما جاءت في أوائل السور ليعلم أن المقصود بها هو المقصود بها في أوائل السور و لم يعمل ذلك في "باسم الله مجراها" "واقرأ باسم ربك" فأثبت الألف هناك ليفرق ما بين اسم البسملة وغيرها ولهذا تتضمن سورة التوبة من صفات الرحمة والتترل الإلهيّ كثيراً فإن فيها شراء الله نفوس المؤمنين منهم بأن لهم الجنة وأيّ تترل أعظم من أن يشتري السيد ملكه من عبده وهل يكون في الرحمة أبلغ من هذا فلا بدّ أن تكون التوبة والأنفال سورة واحدة أو تكون بسملة النمل السليمانية لسورة التوبة ثم انظر في اسمها سورة التوبة والتوبة تطلب الرحمة ما تطلب التبري وإن ابتهدأ عز وجل بالتبري فقد ختم بآية لم يأت بها ولا وجدت إلا عند من جعل الله شهادته شهادة رجلين فإن كنت تعقل علمت ما في هذه السورة من الرحمة المدرجة ولاسيما في قوله تعالى ومنهم ومنهم وذلك كله رحمة بنا لنحذر الوقوع فيه والاتصاف بتلك الصفات فإن القرآن علينا نزل فلم تتضمن سورة من القرآن في حقنا رحمة أعظم من هذه السورة لأنه كثر من الأمور التي ينبغي أن يتقيها المؤمن ويجتنبها فلو لم يعرّفنا الحق تعالى بها ربما وقعنا فيها ولا نشعر فهي سورة رحمة للمؤمنين وإذ وقد عرفناك بمنازله فاعلم أن رجاله هم كل من كان حاله من أهل الله حال من أحاطت به الأسماء الجبروتية من جميع عالمه العلويّ والسفليّ فيقع منه اللجأ والتضرع إلى أسماء الرحمة فيتجلى له الاسم الرحمن الذي له الأسماء الحسنى والذي به على العرش استوى فيهبه الاقتدار الإلهيّ فيمحو به آثار الأسماء القهرية فيتسع له المجال فينشرح الصدر ويجري النفس ويسري فيه روح الحياة وتأتي إليه وفود الأسماء الرحمانية والحقائق الإلهية بالتهاني والبشائر فمن كانت هذه حالته ويعرفها ذوقاً من نفسه وهو من رجال هذا المقام فلا يغالط نفسه وكل إنسان أعلم بحاله ولا ينفعك أن تترل نفسك عند الناس مترلة ليست لك في نفس الأمر وقد نصحتك وأبنت لك عن طريق القوم فلا تكن من الجاهلين بما عرّفناك به واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فإن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخمسون في معرفة رجال الحيرة والعجز

من قال يعلم إن الله خالقه ... ولم يحركان برهاناً بأن جهلا
لا يعلم الله إلا الله فانتبهوا ... فليس حاضركم مثل الذي غفلا
العجز عن درك الإداة معرفة ... كذا هو الحكم فيه عند من عقلا
هو الإله فلا تحصى محامده ... هو النزيه فلا تضرب له مثلا

اعلم أيدك الله بروح منه أنّ سبب الحيرة في علمنا بالله طلبنا معرفة ذاته جلّ وتعالى بأحد الطريقين إمّا بطريق الأدلة العقلية وإمّا بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقليّ يمنع من المشاهدة والدليل السمعيّ قد أومأ إليها وما صرّح والدليل العقليّ قد منع من إدراك حقيقة ذاته من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو سبحانه في نفسه عليها وما أدرك العقل بنظره إلا صفات السلوك لا غير وسمى هذا معرفة والشارع قد نسب إلى نفسه أموراً وصف نفسه بها تحيلها الأدلة العقلية إلا بتأويل بعيد يمكن أن يكون مقصود للشارع ويمكن أن لا يكون وقد لزمه الإيمان والتصديق بما وصف به نفسه لقيام الأدلة عنده بصدق هذه الأخبار عنه أنه أخبر بها عن نفسه في كتبه أو على ألسنة رسله فتعارض هذه الأمور مع طلبه معرفة ذاته تعالى أو الجمع بين الدليلين المتعارضين أوقعهم في الحيرة فرجال الحيرة هم الذين نظروا في هذه الدلائل واستقصوها غاية الاستقصاء إلى أن أدّاهم ذلك النظر إلى العجز والحيرة فيه من نبيّ أو صديق قال صلى الله عليه وسلم اللهمّ زدني فيك تحيراً فإنه كلما زاده الحق علماً به زاده ذلك العلم حيرة ولاسيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر في الأدلة بما لا يتقارب قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بذل جهده في الثناء على خالقه بما أوحى به إليه لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هذا المقام وكان من رجاله العجز عن درك الإدراك إدراك أي إذا علمت إن ثم من لا يعلم ذلك هو العلم بالله تعالى فكان الدليل على العلم به عدم العلم به والله قد أمرنا بالعلم بتوحيده وما أمرنا بالعلم بذاته بل نهى عن ذلك بقوله ويحذركم الله نفسه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التفكر في ذات الله تعالى إذ من ليس كمثله شيء كيف يوصل إلى معرفة ذاته فقال الله تعالى آمراً بالعلم بتوحيده فاعلم أنه لا إله إلا الله فالمعرفة به من كونه إلهاً والمعرفة بما ينبغي للإله أن يكون عليه من الصفات التي يمتاز بها عن من ليس باله وعن المألوه هي المأمور بها شرعاً فلا يعرف الله لا الله فقامت الأدلة العقلية القاطعة على أنه إله واحد عند أهل النظر وأهل الكشف فلا إله إلا هو ثم بعد هذا الدليل العقليّ على توحيده والعلم الضروريّ العقلي بوجوده رأينا أهل طريق الله تعالى من رسول ونبيّ ووليّ قد جاؤوا بأمور من المعرفة بنعوت الإله في طريقهم إحالتها الأدلة العقلية وجاءت بصحتها الألفاظ النبوية والأخبار الإلهية فبحث أهل الطريق عن هذه المعاني ليحصلوا منها على أمر يتميزون به عن أهل النظر الذين وقفوا حيث بلغت بهم أفكارهم مع تحققهم صدق الأخبار فقالوا نعلم أن ثم طوراً آخر وراء طور إدراك العقل الذي يستقل به وهو للأنبياء وكبار الأولياء به يقبلون هذه الأمور الواردة عليهم في الجناب الإلهيّ فعملت هذه الطائفة في تحصيل ذلك بطريق الخلوات والأذكار المشروعة لصفاء القلوب وطهارتها من دنس الفكر إذ كان المفكر لا يفكر إلا في المحدثات لا في ذات الحق وما ينبغي أن يكون عليه في نفسه الذي هو مسمى الله و لم يجد صفة إثبات نفسية فأخذ ينظر في كل صفة يمكن أن يقبلها المحدث الممكن يسلبها عن الله لئلا يلزمه حكم تلك الصفة كما لزمت الممكن الحادث مثل ما فعل بعض النظار من المتكلمين في أمور أثبتوها وطردوها بزوال الموصوف بها أو تزول هي مع بقاء الممكن كصفات المعاني والأولى كصفات النفس ثم إن كل صفة منها ممكنة فإذا طردوها شاهداً وغائباً فقد وصفوا واجب الوجود لنفسه بما هو ممكن لنفسه والواجب الوجود لنفسه لا يقبل ما يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون فإذا بطل الاتصاف به من حيث حقيقة ذلك الوصف لم يبق إلا الاشتراك في اللفظ إذ قد بطل الاشتراك في الحدّ والحقيقة فلا يجمع صفة الحق وصفة العبد حدّ واحد أصلاً فإذن بطل طرد ما قالوه وطردوه شاهداً وغائباً فلم يكن قولنا في الله أنه عالم على حدّ ما نقول في الممكن الحادث أنه عالم من طريق حدّ العلم وحقيقته فإن نسبة العلم إلى الله تخالف نسبة العلم إلى الخلق الممكن ولو كان

عين العلم القديم هو عين العلم المحدث لجمعهما حد واحد ذاتيّ أعني العلمين واستحال عليه ما يستحيل على مثله من حيث ذاته ووجدنا الأمر على

خلاف ذلك فتعملت هذه الطائفة في تحصيل شيء مما وردت به الأخبار الإلهية من جانب الحق وشرعت في صقالة قلوبها بالأذكار وتلاوة القرآن وتفريغ المحل من النظر في الممكنات والحضور والمراقبة مع طهارة الظاهر بالوقوف عند الحدود المشروعة من غض البصر عن الأمور التي نهي أن ينظر إليها من العورات وغيرها وإرساله في الأشياء التي تعطيه الاعتبار والاستبصار وكذلك سمعه ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه وقلبه وما ثم في ظاهره سوى هذه السبعة والقلب ثامنها ويزيل التفكر عن نفسه جملة واحدة فإنه مفرّق لهمه ويعتكف على مراقبة قلبه عند باب ربه عسى الله أن يفتح له الباب إليه ويعلم ما لم يكن يعلم مما علمته الرسل وأهل الله مما لم تستقل العقول بإدراكه وإحالته فإذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا الباب حصل له تجل إلهيّ أعطاه ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه فينسب إلى الله منه أمراً لم يكن قبل ذلك يجرأ على نسبته إلى الله سبحانه ولا يصفه به إلا قدر ما جاءت به الأنباء الإلهية فيأخذها تقليداً والآن يأخذ ذلك كشفاً موافقاً مؤيداً عنده لما نطقت به الكتب المنزلة وجاء على ألسنة الرسل عليهم السلام فكان يطلقها إيماناً حاكياً من غير تحقيق لمعانيها ولا يزيد عليها والآن يطلق في نفسه عليه تعالى ذلك علماً محققاً من أجل ذلك الأمر الذي تجلى له فيكون بحسب ما يعطيه ذلك الأمر ويعرف معنى ما يطلقه وما حقيقة ذلك فيتخيل في أول تجل أنه قد بلغ المقصود وحاز الأمر وأنه ليس وراء ذلك شيء يطلب سوى دوام ذلك فيقوم له تجل آخر بحكم آخر ما هو ذلك الأول والمتجلي واحد لا يشك فيه فيكون حكمه فيه حكم الأول ثم تتوالى عليه التجليات باختلاف أحكامها فيه فيعلم عند ذلك أن الأمر ماله نهاية يوقف عندها ويعلم أن الأنية الإلهية ما أدركها وأن الهوية لا يصح أن تتجلى له وأنها روح كل تجل فيزيد حيرة لكن فيها لذة وهي أعظم من حيرة أصحاب الأفكار بما لا يتقارب فإن أصحاب الأفكار ما برحوا بأفكارهم في الأكوان فلهم أن يحاروا ويعجزوا وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان وما بقي لهم شهود إلا فيه فهو مشهودهم والأمر بهذه المثابة فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النظار في معارضات الدلالات عليه فقوله صلى الله عليه وسلم أو قول من يقول من هذا المقام زدني فيك تحيراً طلب لتوالي التجليات عليه فهذا الفرق بين حيرة أهل الله وحيرة أهل النظر فصاحب العقل ينشد:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وصاحب التجلي ينشد قولنا في ذلك:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه

فبينهما ما بين كلمتيهما فما في الوجود إلا الله ولا يعرف الله إلا الله ومن هذه الحقيقة قال من قال أنا الله كأبي يزيد وسبحاني كغيره من رجال الله المتقدّمين وهي من بعض تخريجات أقوالهم رضي الله عنهم فمن وصل إلى الحيرة من الفريقين فقد وصل غير أن أصحابنا اليوم يجدون غاية الألم حيث لا يقدرون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه كما أرسلت الأنبياء عليهم السلام فما أعظم تلك التجليات وإنما منعهم أن يطلقوا عليه ما أطلقت الكتب المنزلة والرسل عليهم السلام عدم إنصاف السامعين من الفقهاء وأولى الأمر لما يسارعون إليه في تكفير من يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام في جنب الله وتركوا معنى قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة كما قال له صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل عند ذكره الأنبياء والرسل عليهم السلام أولئك

الذين هدى الله فبهداهم اقتده فأغلق الفقهاء هذا الباب من أجل المدّعين الكاذبين في دعواهم ونعم ما فعلوا وما على الصادقين في هذا من ضرر لأنّ الكلام والعبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب وفي ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك كفاية لهم فيوردونها يستريحون إليها من تعجب وفرح وضحك وتبشش ونزول ومعية ومحبة وشوق وما أشبه ذلك مما لو انفرد بالعبارة عنه الوليّ كفر وربما قتل وأكثر علماء الرسوم عدموا علم ذلك ذوقاً وشرباً فأنكروا مثل هذا من العارفين حسداً من عند أنفسهم إذ لو استحال إطلاق مثل هذا على الله تعالى ما أطلقه على نفسه ولا طلقته رسله عليهم السلام عليه ومنعهم الحسد أن يعلموا إنّ ذلك ردّ على كتاب الله وتحجير على رحمة الله أن تنال بعض عباد الله وأكثر العامّة تابعون للفقهاء في هذا الإنكار تقليداً لهم لا بل بحمد الله أقل العامة وأمّا الملوك فالغالب عليهم عدم الوصول إلى مشاهدة هذه الحقائق لشغلهم بما دفعوا إليه فساعدوا علماء الرسوم فيما ذهبوا إليه إلا القليل منهم و لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزل والله يعصمك من الناس فانظر ما يقاسيه في نفسه العالم بالله فسبحان من أعمى بصائرهم حيث أسلموا وسلموا وآمنوا بما به كفروا فالله يجعلنا ممن عرف الرجال بالحق لا ممن عرف الحق بالرجال والحمد لله رب العالمين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الحادي والخمسون في معرفة رجال من أهل الورع

قد تحققوا بمنزل نفس الرحمن

يا من تحقق بالنفس ... إن الكلام لفي القبس

وكذا الهبات من العلو ... م لدى المحقق في البلس

لله قوم ما لهم ... في نفس نفسهم نفس

و هم الذين هموهم ... أهل المشاهد في الغلس

فهم الخلائف في الغيو ... ب وفي الشهادة كالعسس

أعلى الإله مقامهم ... في سورة تتلى عبس

فيها لطائف سرهم ... فابحث و لا تك تختلس

من كان ذا علم بها ... في حاله لم يبتئس

اعلم أيدك الله بروح القدس إن رجال هذا الباب هم الزهاد الذين كان الورع سبب زهدهم وذلك إن القوم تورّعوا في المكاسب على أشد ما يكون من عزائم الشريعة فكلما حاك له في نفوسهم شيء تركوه عملاً على قوله صلى الله عليه وسلم "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" وقوله "استفت قلبك" وقال بعضهم ما رأيت أسهل عليّ من الورع كل ما حاك له في نفسي شيء تركته إلى أن جعل الله لهم علامات يعرفون بها الحلال من الحرام في المطاعم وغيرها إلى أن ارتقوا عن العلامات إلى خرق العوائد عندهم في الشيء المتورّع فيه فيستعملونه فيظنّ من لا علم له بذلك أنه أتى حراماً وليس كذلك فاتسع عليهم ذلك الضيق والحرج وقد ذقنا

هذا من نفوسنا وزال عنهم ما كانوا يجدونه في نفوسهم من البحث والتفتيش عن ذلك وهذه العلامة وهذا الحال التي ارتقوا إليها لا تكون أبداً إلا من نفس الرحمن رحمهم بذلك الرحمن لما رآهم فيه من التعب والضيق والحرج وتهمة الناس في مكاسبهم وما يؤدّيهم إليه هذا الفعل من سوء الظنّ بعباد الله فنفس الرحمن عنهم بما جعل لهم من العلامات في الشيء وفي حق قوم بالمقام الذي ارتقوا إليه الذي ذكرناه فيأكلون طيباً ويستعملون طيباً فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات واستراحوا إذ كانوا على بينة من ربهم في مطاعمهم ومشاربهم وأدّاهم التحقق بالورع إلى الزهد في الكسب إذ كان مبنى اكتسابهم الورع ليأكلوا مما يعلمون إن ذلك حلال لهم استعماله ثم عملوا على ذلك الورع في المنطق من أجل الغيبة والكلام فيما يخوض الإنسان فيه من الفضول فرأوا أن السببالموجب لذلك مجالسة الناس ومعاشرتهم وربما قدروا على مسك نفوسهم عن الكلام بما لا ينبغي لكن بعضهم أو أكثرهم عجز أن يمنع الناس بحضوره عن الكلام بالفضول وما لا يعنيهم فأدّاهم أيضاً هذا الحرج إلى الزهد في الناس فآثروا العزلة والانقطاع عن الناس باتخاذ الخلوات وغلق بابهم عن قصد الناس إليهم وآخرون بالسياحة في الجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية فنفس الله عنهم من اسمه الرحمن بوجوه مختلفة من الأنس به أعطاهم ذلك نفس الرحمن فأسمعهم أذكار الأحجار وخرير المياه وهبوب الرياح ومناطق الطير وتسبيح كل أمة من المخلوقات ومحادثتهم معه وسلامهم عليه فأنس بهم من وحشته وعاد في جماعة وخلق ما لهم كلام إلا في تسبيح أو تعظيم أو ذكر آلاء إلاهية أو تعريف بما ينبغي وهو جليس لهم ويسمع جوارحه وكل جزء فيه يكلمه بما أنعم الله عليه به فتغمره النعم فيزيد في العبادة ومنهم من ينفس عنه بالأنس بالوحوش رأينا ذلك فتغدو عليه وتروح مستأنسة به وتكلمه بما يزيده حرصاً على عبادة ربه ومنهم من يجالسه الروحانيون من الجان ولكن هو دون الجماعة في الرتبة إذا لم يكن له حال سوى هذا لأنهم قريب من الأنس في الفضول والكيس من الناس من يهرب منهم كما يهرب من الناس فإن مجالستهم رديئة جداً قليل أن تنتج خيراً لأن أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركته كان الفضول أسرع إليه في كل شيء فهم أشد فتنة على جليسهم من الناس فإنهم قد اجتمعوا مع الناس في كشف عورات الناس التي ينبغي للعاقل أن لا يطلع عليها غير أن الأنس لا تؤثر مجالسة الإنسان إياهم تكبراً ومجالسة الجن ليست كذلك فإنهم بالطبع يؤثرون في جليسهم التكبر على الناس وعلى كل عبد لله وكل عبد لله رأى لنفسه شفوفاً على غيره تكبراً فإنه يمقته الله في نفسه من حيث لا يشعر وهذا من المكر الخفيّ وعين مقت الله إياه هو ما يجده من التكبر على من ليس له مثل هذا ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفائت ثم اعلم أن الجان هم أجهل العالم الطبيعيّ بالله ويتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الأكوان وما يجري في العالم مما يحصل لهم من استراق السمع من الملأ الأعلى فيظنّ جليسهم إن ذلك كرامة الله به وهيهات لما ظنوا ولهذا ما ترى أحداً قط جالسهم فحصل عنده منهم علم بالله جملة واحدة غاية الرجل الذي تعتني به أرواح الجنّ أن يمنحوه من علم خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف وهو علم السيمياء فلم يكتسب منهم إلا العلم الذي ذمّته ألسنة الشرائع ومن ادّعى صحبتهم وهو صادق في دعواه فاسألوه عن مسئلة في العلم الإلهيّ ما تجد عنده من ذلك ذوقاً أصلاً فرجال الله يفرّون من صحبتهم أشد فراراً منهم من الناس فإنه لابد أن تحصل صحبتهم في نفس من يصحبهم تكبراً على الغير بالطبع وازدراء بمن ليس له في صحبتهم قدم وقد رأينا جماعة ممن صحبوهم حقيقة وظهرت لهم براهين على صحة ما ادّعوه من صحبتهم وكانوا أهل جد واجتهاد وعبادة ولكن لم يكن عندهم من جهتهم شمة من العلم بالله ورأينا فيهم عزّة وتكبرا فما زلنا بهم حتى حلنا بينهم وبين صحبتهم لأنصافهم وطلبهم الأنفس كما أيضاً رأينا ضد ذلك منهم فما أفلح ولا يفلح من هذه صفته إذا كان صادقاً وأمّا الكاذب فلا نشتغل به ومنهم من نفس الرحمن عنه بمجالسة الملائكة ونعم الجلساء هم هم أنوار خالصة لا

فضول عندهم وعندهم العلم الإلهيّ الذي لا مرية فيه فيرى جليسهم في مزيد علم بالله دائماً مع الأنفاس فمن ادّعى مجالسة الملأ الأعلى و لم يستفد في نفسه علماً بربه فليس بصحيح الدعوى وإنما هو صاحب خيال فاسد ومنهم من ينفس الرحمن عنه بأنس بالله في باطنه وتجليات دائمة معنويات فلا يزال في كل نفس صاحب علم بحال جديد بالله وأنس جديد ومنهم من ينفس الرحمن عنه ذلك الضيق بمشاهدته عالم الخيال يستصحبه ذلك دائماً كما يستصحب الرؤيا النائم فيخاطب ويخاطب ولا يزال في صور دائماً في لذة وفي نكاح إن جاءته شهوة جماع ولا تكليف عليه مادام في تلك الحال لغيبته عن إحساسه في الشاهد فينكح ويلتذ ويولد له في عالم الخيال أولاد فمنهم من يبقى له ذلك في عالمه ومنهم من يخرج ولده إلى عالم الشهادة وهو خيال على أصله مشهود للحس وهذا من الأسرار الإلهية العجيبة ولا يحصل ذلك إلا للأكابر من الرجال وما من طبقة ذكرناها إلا وقد رأينا منهم جماعة من رجال ونساء بإشبيلية وتلمسان وبمكة وبمواضع كثيرة وكانت لهم براهين تشهد بصحة ما يقولونه وأما نحن فلا نحتاج مع أحد منهم لبرهان فيما يدعيه فإن الله قد جعل لكل صنف علامة يعرف بها فإذا رأينا تلك العلامة عرفنا صدق صاحبها من حيث لا يشعروكم رأينا ممن يدعي ذلك كاذباً أو صاحب خيال فاسد فإن علمنا منه أنه يرجع نصحناه وإن رأيناه عاشقاً لحاله محجوبا بخياله الفاسد تركناه وأصدق من رأينا في هذا الباب من النساء فاطمة بنت ابن المثنى بإشبيلية خدمتها وهي بنت خمس وتسعين سنة وشمس أم الفقراء بمرشانة وأم الزهرا بإشبيلية أيضاً وكلبهار بمكة تدعى ست غزالة ومن الرجال أبو العباس بن المنذر من أهل إشبيلية وأبو الحجاج الشبربلي من قرية بشرف إشبيلية تسمى شبربل ويوسف بن صخر بقرطبة وهذا قد أعربنا لك عن أحوال رجال هذا الباب وما أنتج لهم الزهد في الناس وما وجدوه من نفس الرحمن لذلك وعلى هذا الحد تكون أعمال الجوارح كلها يجمعها ترك الفضول في كل عضو بما يستحقه ظاهراً وباطناً فأولها الجوارح وأعلاها في الباطن الفكر فلا يتفكر فيما لا يعينه فإن ذلك يؤديه إلى الهوس والأماني وعدم المسابقة بحضور النية في أداء العباداتت فإن الإنسان لا يخلو فكره في أحد أمرين إمّا فيما عنده من الدنيا وإمّا فيما ليس عنده منها فإن فكر فيما عنده فليس له دواء عند الطائفة إلا الخروج عنه والزهد فيه صرّح بذلك أبو حامد وغيره وإن فكر فيما ليس عنده فهو عند الطائفة عديم العقل أخرق لا دواء له لا المداومة على الذكر ومجالسة أهل الله الذين الغالب على ظواهرهم المراقبة والحياء من الله والله يقول اعلحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والخمسون في معرفة السبب الذي يهرب منه المكاشف إلى عالم الشهادة إذا أبصره

كل من خاف على هيكله لم ير الحق جهاراً علناً
فنراه عند ما يشهده راجعاً للكون يبغي البدنا
وترى الشجعان قدما طلبا للذي يحذر منه الجبنا

اعلم أيدك الله بروح منه أن النفوس الإنسانية قد جبلها الله على الجزع في أصل نشأتها فالشجاعة والإقدام لها أمر عرضي والجزع في

الإنسان أقوى منه في الحيوانات إلا الصرصر تقول العرب أجبن من صرصر وسبب قوّته في الإنسان العقل والفكر الذي ميزه الله بهما على سائر الحيوان وما يشجع الإنسان إلا القوّة الوهمية كما أنه أيضاً بهذه القوّة يزيد جبناً وجزعاً في مواضع مخصوصة فإن الوهم سلطان قوي وسبب ذلك أن اللطيفة الإنسانية متولدة بين الروح الإلهيّ الذي هو النفس الرحمانيّ وبين الجسم المسوّى المعدّل من الأركان المعدّلة من الطبيعة التي جعلها الله مقهورة تحت النفس الكلية كما جعل الأركان مقهورة تحت حكم سلطان الأفلاك ثم إن الجسم الحيوانيّ مقهور تحت سلطان الأركان التي هي العناصر فهو مقهور لمقهور عن مقهور وهو النفس عن مقهور وهو العقل فهو في الدرجة الخامسة من القهر من وجه فهو أضعف الضعفاء قال الله عز وجل الله الذي خلقكم من ضعف فالضعف أصله ثم جعل له قوّة عارضة وهو قوله ثم جعل من بعد ضعف قوّة ثم ردّه إلى أصله من الضعف فقال عز وجل ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً وشيبة فهذا الضعف الأخير إنما أعده لإقامة النشأة الآخرة عليه كما قامت نشأة الدنيا على الضعف ولقد علمتم النشأة الأولى وإنما كان هذا ليلازم ذاته الذلة والافتقار وطلب المعونة والحاجة لي خالقه ومع هذا كله يذهل عن أصله ويتيه بما عرض له من القوّة فيدعي ويقول أنا ويمني نفسه بمقابلة لأهوال العظام فإذا قرصه برغوث أظهر الجزع لوجود الألم وبادر لإزالة ذلك الضرر و لم يقرّبه قرار حتى يجده فيقتله وما عسى أن يكون البرغوث حتى يعتني به هذا الاعتناء ويزلزله عن مضجعه ولا يأخذه نوم فأين تلك الدعوى والأقدام على الأهوال العظام وقد فضحته قرصة برغوث أو بعوضة هذا أصله ذلك ليعلم أن أقدامه على الأهوال العظام إنما هو بغيره لا بنفسه وهو ما يؤيده الله به من ذلك كما قال وأيدناه أي قوّيناه ولهذا شرع وإياك نستعين في كل ركعة ولا حول ولا قوّة إلا بالله ولما علم الإنسان أنه لولا جود الله عز وجل لم يظهر له عين في الوجود وأن أصله لم يكن شيأ مذكوراً قال تعالى "وقد خلقتك من قبل و لم تك شيأ" فللوجود لذة وحلاوة وهو الخير ولتوهم العدم العيني ألم شديد عظيم في النفوس لا يعرف قدر ذلك إلا العلماء ولكن كل نفس تجزع من العدم أن تلحق به كما هو حالها فمهما رأت أمراً تتوهم فيه أنه يلحقها بعدم عينها أو بما يقاربه هربت منه وارتاعت وخافت على عينها وبما كانت أيضاً عن الروح الإلهيّ الذي هو نفس الرحمن ولهذا كنى عنه بالنفخ لمناسبة النفس فقال ونفخت فيه من روحي وكذا جعل عيسى ينفخ في صورة طينية كهيئة الطير فما ظهرت الأرواح إلا من الأنفاس غير أن للمحل الذي تمرّ به أثراً فيها بلا شك ألا ترى الريح إذا مرّت على شيء نتن جاءت ريح منتنة إلى مشمك وإذا مرّت بشيء عطر جاءت بريح طيبة لذلك اختلفت أرواح الناس فروح طيبة لجد طيب ما أشركت قط ولا كانت محلاً لسفساف الأخلاق كأرواح الأنبياء والأولياء والملائكة وروح خبيث لجسد خبيث لم تزل مشركة محلاً لسفساف الأخلاق وذلك إنما كان لغلبة بعض الطبائع أعني الأخلاط على بعض في أصل نشأة الجسد التي هي طيب الروح ووجود مكارم الأخلاق وسفسافها وخبث الروح فصحة الأرواح وعافيتها مكارم أخلاقها التي اكتسبتها من نشأة بدنها العنصريّ فجاءت بكل طيب ومليح ومرض الأرواح سفساف الأخلاق ومذمومها التي اكتسبتها أيضاً من نشأة بدنها العنصري فجاءت بكل خبيث وقبيح لا ترى الشمس إذا أفاضت نورها على جسم الزجاج الأخضر ظهر النور في الحائط أو في الجسم الذي تطرح الشعاع عليه أخضر وإن كان الزجاج أحمر طرح الشعاع أحمر في رأي العين فانصبغ في الناظر بلون المحل وذلك للطافته يقبل الأشياء بسرعة ولما كان الهواء من أقوى الأشياء وكان الروح نفساً وهو شبيه بالهواء كانت القوّة له فكان أصل نشأة الأرواح من هذه القوّة واكتسبت الضعف من المزاج الطبيعيّ البدنيّ فإنه ما ظهر لها عين إلا بعد أثر المزاج الطبيعيّ فيها فخرجت ضعيفة لأنها إلى الجسم أقرب في ظهور عينها فإذا قبلت القوّة إنما تقبلها من أصلها الذي هو النفس الرحمانيّ المعبر عنه بالروح المنفوخ منه المضاف إلى الله فهي قابلة للقوّة كما هي قابلة للضعف وكلاهما

بحكم
الأصل وهي إلى البدن أقرب لأنها أحدث عهداً به فغلب ضعفها على قوّتها فلو تجرّدت عن المادّة ظهرت قوّتها الأصلية التي لها من النفخ الإلهيّ و لم يكن شيء أشد تكبراً منها فالزمها الله الصورة الطبيعية دائماً في الدنيا وفي البرزخ في النوم وبعد الموت فلا ترى نفسها أبداً مجرّدة عن المادة وفي الآخرة لا تزال في أجسادها يبعثها الله من صور البرزخ في الأجساد التي أنشأها لها يوم القيامة وبها تدخل الجنة والنار ذلك ليلزمها الضعف الطبيعيّ فلا تزال فقيرة أبداً ألا تراها في أوقات غفلتها عن نفسها كيف يكون منها التهجم والإقدام على المقام الإلهيّ فتدعى الربوبية كفرعون وتقول في غلبة ذلك الحال عليها أنا الله وسبحاني كما قال ذلك بعض العارفين وذلك لغلبة الحال عليه ولهذا لم يصدر مثل هذا اللفظ من رسول ولا نبيّ ولا وليّ كامل في علمه وحضوره ولزومه باب المقام الذي له وأدبه ومراعاة المادّة التي هو فيها وبها ظهر فهو ردم ملآن بضعفه وفقره مع شهوده أصله علماً وحالاً وكشفاً وعلمه بأصله ومقام خلافته من وجه آخر لو كان حالاً له لادّعى الألوهة فإن الأمر الخارج في النفخ من النافخ له من حكمه بقدر ذلك فلو ادّعاه ما ادّعى محالا وبذلك القدر الذي فيه من القوّة الإلهية التي أظهرها النفخ توجه عليه التكليف فإنه عين المكلف وأضيفت الأفعال إليه وقيل له قل وإياك نستعين ولا حول ولا قوّة إلا بالله فإنه أصلك الذي إليه ترجع فصدقت المعتزلة في إضافة الأفعال إلى العباد من وجه بدليل شرعيّ وصدق المخالف في إضافة الأفعال كلها إلى الله تعالى من وجه بدليل شرعيّ أيضاً وعقليّ وقالت بالكسب في أفعال العباد للعباد بقوله تعالى "لها ما كسبت" وقال في المصوّرين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أين من ذهب يخلق كخلقي فأضاف الخلق إلى العباد وقال في عيسى عليه السلام وإذ تخلق من الطين فنسب الخلق إليه عليه السلام وهو إيجاد صورة الطائرة في الطين ثم أمره أن ينفخ فيه فقامت تلك الصورة التي صوّرها عيسى عليه السلام طائراً حياً وقوله بإذن الله يعني الأمر الذي أمره الله به من خلقه صورة الطائر والنفخ وإبراء الأكمه والأبرص وإحيائه الميت فأخبر أن عيسى عليه السلام لم ينبعث إلى ذلك من نفسه وإنما كان عن أمر الله ليكون ذلك وإحياء الموتى من آياته على ما يدعيه فلولا أن الإنسان من حيث حقيقته من ذلك النفس الرحمانيّ ما صح ولا ثبت أن يكون عن نفخة طائر يطير بجناحيه ولما كانت حقيقة الإنسان هكذا خوّفه الله بما ذكر من صفة المتكبرين ومآلهم واسوداد وجوههم كل ذلك دواء للأرواح لتقف مع ضعف مزاجها الأقرب في ظهور عينها فالإنسان ابن أمّه حقيقة بلا شك فالروح ابن طبيعة بدنه وهي أمه التي أرضعته ونشأ في بطها وتغذى بدمها فحكمه حكمها فلا يستغني عن غذاء في بقاء هيكله تتميم فلما كان الغالب هذا على الإنسان رجعنا إلى المكاشف الذي يهرب إلى عالم الشهادة عندما يرى ما يهوله في كشفه مثل صاحبنا أحمد العصاد الحريري رحمه الله فإنه كان إذا أخذ سريع الرجوع إلى حسه باهتزاز واضطراب فكنت أعتبه وأقول له في ذلك فيقول أخاف وأجبن من عدم عيني لما أراه ولو علم المسكين أنه لو فارق الموادّ رجع النفس إلى مستقره وهو عينه ورجع كل شيء إلى أصله ولكن لو كان ذلك لانعدمت الفائدة في حق العبد فيما يظهر وليس الأمر كذلك ولذلك قلنا وهو عينه أي عين العبد فالبقاء الذي أراده الحق أولى به بوجود هذا الهيكل العنصريّ في الدنيا الطبيعيّ في الآخرة والذي يثبت هنالك أعني عند الوارد إنما يثبت إذا دخل عبداً كما إن الذي لا يثبت إنما دخل وفي نفسه شيء من الربوبية فخاف من زوالها هناك فهرب إلى الوجود الذي ظهرت فيه ربانيته ولهذا تكون فائدته قليلة والثابت يدخل عبداً قابلاً بهمة محترقة إلى أصله ليهبه من عوارفه ما عوّده فإذا خرج خرج نوراً يستضاء به فمثل الداخل إلى ذلك الجناب العالي بربوبيته مثل من يدخل بسراج موقود ومثل الذي يدخل بعبوديته مثل من يدخل بفتيلة لا ضوء فيها أو بقبضة حشيش فيها نار غير مشتعلة فإذا دخلا بهذه المثابة هب عليهما نفس من

الرحمن فطفىء لذلك الهبوب السراج واشتعل الحشيش فخرج صاحب السراج في ظلمة وخرج صاحب الحشيش في نور يستضاء به فانظر ما أعطاه الاستعداد فكل هارب من هناك إنما يخاف على سراجه أن ينطفىء

فهو يخاف على ربوبيته أن تزول فيفرّ إلى محل ظهورها ولكن ما يخرج إلا وقد طفىء سراجه ولو خرج به موقداً كما دخل و لم يؤثر فيه ذلك الهبوب لادّعى الربوبية حقاً ولكن من عصمة الله له كان ذلك ومن دخل عبداً لا يخاف وإذا اشتعلت فتيلته هنالك عرف من أشعلها ورأى المنة له سبحانه في ذلك فخرج عبداً منوراً كما قال تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده" يعني عبداً فكان في خروجه إلى أمّته داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً كما دخل عبداً ذليلاً عارفاً بما دخل وعلى من دخل فمن وفقه الله تعالى ولزم عبوديته في جميع أ؛واله وإن عرف أصليه فيرجح الأصل الأقرب إليه جانب أمّه فإنه ابن أمّه بلا شك ألا ترى إلى السنة في تلقين الميت عند حصوله في قبره يقال له يا عبد الله ويا ابن أمة الله فينسب إلى أمه ستراً من الله عليها فأضيف إلى أمه لأنها أحق به لظهور نشأته ووجود عينه فهو لأبيه ابن فراش وهو ابن لأمه حقيقة فافهم ما أعطيناك من المعرفة بك في هذا الباب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث والخمسون في معرفة ما يلقى المريد على نفسه من الأعمال قبل وجود الشيخ

إذا لم تلق استاذاً	فكن في نعت من لاذا
وقطع نفسه و اللي	ل أفلاذا فأفلاذا
وتسبيحاً وقرآناً	فأسهده بمن حاذى
و أضعفه و أحياه	فلما لم يقل ماذا
فكان له الذي يبغي	ه تلميذاً و استاذا
وجاءته معارفه	زرافات و أفذاذا
فهذا قد أبنت له	فلا ينفك عن هذا

اعلم أيدك الله ونورك أنه أول ما يجب على الداخل في هذه الطريقة الإلهية المشروعة طلب الأستاذ حتى يجده وليعمل في هذه المدّة التي يطلب فيها الأستاذ الأعمال التي أذكرها به وهي أن يلزم نفسه تسعة أشياء فإنها بسائط الأعداد فيكون له في التوحيد إذا عمل عليها قدم راسخة ولهذا جعل الله الأفلاك تسعة أفلاك فانظر ما ظهر من الحكمة الإلهية في حركات هذه التسعة فاجعل منها أربعة في ظاهرك وخمسة في باطنك فالتي في ظاهرك الجوع والسهر والصمت والعزلة فاثنان فاعلان وهما الجوع والعزلة واثنان منفعلان وهما السهر والصمت وأعني بالصمت ترك كلام الناس والاشتغال بذكر القلب ونطق النفس عن نطق اللسان إلا فيما أوجب الله عليه مثل قراءة أمّ القرآن أو ما تيسر من القرآن في الصلاة والتكبير فيها وما شرع من التسبيح والأذكار والدعاء والتشهد والصلاة على

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تسلم منها فتتفرّغ لذكر القلب بصمت اللسان فالجوع يتضمن السهر والصمت تتضمنه العزلة وأما الخمسة الباطنة فهي الصدق والتوكل والصبر والعزيمة واليقين فهذه التسعة أمّهات الخير تتضمن الخير كله والطريقة مجموعة فيها فالزمها حتى تجد الشيخ وصل شارح وأنا أذكر لك من شأن كل واحدة من هذه الخصال ما يحرّضك على العمل بها والدؤب عليها والله ينفعنا وإياك ويجعلنا من أهل عنايته ولنبتدىء بالظاهرة أوّلا ولنقل أمّا العزلة وهي رأس الأربعة المعتبرة التي ذكرناها عند الطائفة أخبرني أخي في الله تعالى عبد المجيد بن سلمة خطيب مرشانة الزيتون من أعمال إشبيلية من بلاد الأندلس وكان من أهل الجدّ والاجتهاد في العبادة فأخبرني سنة ست وثمانين وخمسمائة قال كنت بمترلي بمرشانة ليلة من الليالي فقمت إلى حزبي من الليل فبينا أنا واقف في مصلاي وباب الدار وباب البيت عليّ مغلق وإذا بشخص قد دخل عليّ وسلم وما أدري كيف دخل فجزعت منه وأوجزت في صلاتي فلما سلمت قال لي يا عبد المجيد من تأنس بالله لم يجزع ثم نفض الثوب الذي كان تحتي أصلي عليه ورمى به وبسط تحتي حصيراً صغيراً كان عنده وقال لي صل على هذا قال ثم أخذني وخرج بي من الدار ثم من البلد ومشى بي في أرض لا أعرفها وما كنت أدري أين أنا من أرض الله فذكرنا الله تعالى في تلك الأماكن ثم ردّني إلى بيتي حيث كنت قال فقلت له يا أخي بماذا يكون الأبدال أبدالاًفقال لي بالأربعة التي ذكرها أبو طالب في القوت ثم سماها إلى الجوع والسهر والصمت والعزلة قلباً ثم قال لي عبد المجيد هذا هو الحصير فصليت عليه وهذا الرجل كان من أكابرهم يقال له معاذ بن أشرس فأمّا العزلة فهي أن يعتزل المريد كل صفة مذمومة وكل خلق دنىء هذه عزلته في حاله وأمّا في قلبه فهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله من أهل ومال وولد وصاحب وكل ما يحول بينه وبين ذكر ربه بقلبه حتى عن خواطره ولا يكن له همّ إلا واحد وهو تعلقه بالله وأما في حسه فعزلته في ابتداء حاله الانقطاع عن الناس وعن المألوفات إما في بيته وإمّا بالسياحة في أرض الله فإن كان في مدينة فبحيث لا يعرف وإن لم يكن في مدينة فيلزم السواحل والجبال والأماكن البعيدة من الناس فإن أنست به الوحوش وتألفت به وأنطقها الله في حقه فكلمته أو لم تكلمه فليعتزل من الوحوش والحيوانات ويرغب إلى الله تعالى في أن لا يشغله بسواه وليثابر على الذكر الخفيّ وإن كان من حفاظ القرآن فيكون له منه حزب في كل ليلة يقوم به في صلاته لئلا ينساه ولا يكثر الأوراد ولا الحركات وليردّ اشتغاله إلى قلبه دائماً هكذا يكون دأبه وديدنه وأما الصمت فهو أن لا يتكلم مع مخلوق من الوحوش والحشرات التي لزمته في سياحته أو في موضع عزلته وإن ظهر له أحد من الجنّ أو من الملأ الأعلى فيغمض عينه عنهم ولا يشغل نفسه بالحديث معهم وإن كلموه فإن تفرض عليه الجواب أجاب بقدر أداء الفرض بغير مزيد وإن لم يتفرض عليه سكت عنهم واشتغل بنفسه فإنهم إذا رأوه على هذه الحالة اجتنبوه و لم يتعرضوا له واحتجبوا عنه فإنهم قد علموا أنه من شغل مشغولاً بالله عن شغله به عاقبه الله أشد عقوبة وأمّا صمته في نفسه عن حديث نفسه فلا يحدث نفسه بشيء مما يرجو تحصيله من الله فيما انقطع إليه فإنه تضييع للوقت فيما ليس بحاصل فإنه من الأمانيّ وإذا عوّد نفسه بحديث نفسه حال بينه وبين ذكر الله في قلبه فإنّ

القلب لا يتسع للحديث والذكر معاً فيفوته السبب المطلوب منه في عزلته وصمته وهو ذكر الله تعالى الذي تتجلى به مرآة قلبه فيحصل له تجلي ربه وأمّا الجوع فهو التقليل من الطعام فلا يتناول منه إلا قدر ما يقيم صلبه لعبادة ربه في صلاة فريضته فإن التنفل في الصلاة قاعداً بما يجده من الضعف لقلة الغذاء أنفع وأفضل وأقوى في تحصيل مراده من الله من القوّة التي تحصل له من الغذاء لأداء النوافل قائماً فإن الشبع داع إلى الفضول فإن البطن إذا شبع طغت الجوارح وتصرفت في الفضول من الحركة والنظر والسماع والكلام وهذه كلها قواطع له عن المقصود وأمّا السهر فإنّ الجوع يولده لقلة الرطوبة والأبخرة الجالبة للنوم ولا سيما شرب الماء فإنه

نوم كله وشهوته كاذبة وفائدة السهر التيقظ للاشتغال مع الله بما هو بصدده دائماً فإنه إذا نام انتقل إلى عالم البرزخ بحسب ما نام عليه لا يزيد فيفوته خير كثير مما لا يعلمه إلا في حال السهر وأنه إذا التزم ذلك سرى السهر إلى عين القلب وانجلى عين البصيرة بملازمة الذكر فيرى من الخير ما شاء الله تعالى وفي حصول هذه الأربعة التي هي أساس المعرفة لأهل الله وقد اعتنى بها الحارث بن أسد المحاسبي أكثر من غير موهى معرفة الله ومعرفة النفس ومعرفة الدنيا ومعرفة الشيطان وقد ذكر بعضهم معرفة الهوى بدلاً من معرفة الله وأنشدوا في ذلك:

إني بليت بأربع يرمينني ... بالنبل من قوس لها توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... يا رب أنت على الخلاص قدير

وقال الآخر:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وأمّا الخمسة الباطنة فإنه حدثتني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي قالت رأيت في منامي شخصاً كان يتعاهدني في وقائعي وما رأيت له شخصاً قط في عالم الحس فقال لها تقصدين الطريق قالت فقلت له أي والله أقصد الطريق ولكن لا أدري بماذا قالت فقال لي بخمسة وهي التوكل واليقين والصبر والعزيمة والصدق فعرضت رؤياها عليّ فقلت لها هذا مذهب القوم وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى في داخل الكتاب فإنّ لها أبواباً تخصها وكذلك الأربعة التي ذكرناها لها أيضاً أبواب تخصها في الفصل الثاني من فصول هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء السادس والعشرون.

الجزء السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع والخمسون في معرفة الإشارات

تعلم الإشارة تقريب وإبعاد وسيرها فيك تأويب وإسئاد

فابحث عليه فإنّ الله صيره لمن يقوم به إفك وإلحاد

تنبيه عصمة من قال الإله له كن فاستوى كائناً والقوم إشهاد

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه إن الإشارة عند أهل طريق الله تؤذن بالبعد أو حضور الغير قال بعض الشيوخ في محاسن المجالس الإشارة نداء على رأس البعد وبوح بعين العلة يريد أن ذلك تصريح بحصول المرض فإن العلة مرض وهو قولنا أو حضور الغير ولا يريد بالعلة هنا السبب ولا العلة التي اصطلح عليها العقلاء من أهل النظر وصورة المرض فيها أنّ المشير غاب عنه وجه الحق في ذلك الغير ومن غاب عنه وجه الحق في الأشياء تمكنت منه الدعوى والدعوى عين المرض وقد ثبت عند المحققين أنه ما في الوجود إلا الله ونحن وإن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به ومن كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم والإشارة قد ثبتت وظهر حكمها فلابد من بيان ما هو المراد بها فاعلم أن الله عز وجل لما خلق الخلق خلق الإنسان أطواراً فمنا العالم والجاهل ومنا المنصف والمعاند ومنا القاهر ومنا المقهور ومنا الحاكم ومنا المحكوم ومنا المتحكم ومنا المتحكم فيه ومنا الرئيس والمرؤوس ومنا الأمير والمأمور ومنا الملك والسوقة ومنا الحاسد والمحسود وما خلق الله أشق ولا أشدّ من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهيّ الذين منحهم أسراره في خلقه وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام ولما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم كما ذكرناه عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة فكلامهم رضي الله عنهم في شرح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إشارات وإن كان ذلك حقيقة وتفسير المعانية النافعة ورد ذلك كله إلى نفوسهم مع تقريرهم إياه في العموم وفيما نزل فيه كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم فعم به سبحانه عندهم الوجهين كما قال تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" يعني الآيات المنزلة في الآفاق وفي أنفسهم فكل آية منزلة لها وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه آخر يرونه فيما خرج عنهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم إشارة ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك ولا يقولون في ذلك أنه تفسير وقاية لشرهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق واقتدوا في ذلك بسنن الهدى فإنّ الله كان قادراً على تنصيص ما تأوله أهل الله في كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامّة علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم ولو كان علماء الرسوم ينصفون لاعتبروا في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في الكلام في معنى

تلك الآية ويقرّ القاصر بفضل غير القاصر فيها وكلهم في مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فميا بينهم في ذلك ينكرون على أهل الله إذا جاؤوا بشيء مما يغمض عن إدراكهم وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل إلا بالقلم المعتاد في العرف وصدقوا فإن أصحابنا ما حصل لهم ذلك العلم إلا بالتعلم وهو الإعلام الرحمانيّ الربانيّ قال تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" فإنه القائل "أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون" وقال تعالى "خلق الإنسان علمه البيان" فهو سبحانه معلم الإنسان فلا نشك أنّ أهل الله هم ورثة الرسل عليهم السلام والله يقول في حق الرسول "وعلمك ما لم تكن تعلم" وقال في حق عيسى "ونعلمه الكتاب والحكمة والتوزراة والإنجيل" وقال في حق خضر صاحب موسى عليه السلام "وعلمناه من لدنا علماً" فصدق علماء الرسوم عندنا فيما قالوا إن العلم لا يكون إلا بالتعلم وأخطؤا في اعتقادهم إنّ الله لا يعلم من ليس بنبيّ ولا رسول يقول الله "يؤتي الحكمة من يشاء" وهي العلم وجاء بمن وهي نكرة ولكن علماء الرسوم لما آثروا الدنيا على الآخرة وآثروا جانب الخلق على جانب الحق وتعوّدوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا في زعمهم أنهم من أهل الله بما علموا وامتازوا به عن العامة حجبهم ذلك عن أن يعلموا أنّ لله عباداً تولى الله تعليمهم في سرائرهم بما أنزله في كتبه ولعى ألسنة

رسله وهو العلم الصحيح عن العالم المعلم الذي لا يشك مؤمن في كمال علمه ولا غير مؤمن فإنّ الذين قالوا إنّ الله لا يعلم الجزئيات ما أرادوا نفي العلم عنه بها وإنما قصدوا بذلك أنه تعالى لا يتجدد له علم بشيء بل علمها مندرجة في علمه بالكليات فأثبتوا له العلم سبحانه مع كونهم غير مؤمنين وقصدوا تتريهه سبحانه في ذلك وإن أخطؤا في التعبير عن ذلك فتولى الله بعنايته لبعض عباده تعليمهم بنفسه بإلهامه وإفهامه إياهم "فألهمها فجورها وتقواها" في أثر قوله "ونفس وما سوّاها" فبين لها الفجور من التقوى إلهاماً من الله لها لتجتنب الفجور وتعمل بالتقوى كما كان أصل تتريل الكتاب من الله على أنبيائه كان تتريل الفهم من الله على قلوب بعض المؤمنين به فالأنبياء عليهم السلام ما قالت على الله ما لم يقل لها ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا من أفكارها ولا تعملت فيه بل جاءت به من عند الله كما قال تعالى "تتريل من حكيم حميد وقال فيه أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الإنسان ورويته وعلماء الرسوم يعلمون ذلك فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم فيكون شرحه أيضاً تتريلاً من عند الله على قلوب أهل الله كما كان الأصل وكذا قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا الباب ما هو إلا فهم يؤتيه الله من شاء من عباده في هذا القرآن فجعل ذلك عطاء من الله يعبر عن ذلك العطاء بالفهم عن الله فأهل الله أولى به من غيرهم فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به وألحقهم بالذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وهم في إنكارهم على أهل الله يحسبون أنهم يحسنون صنعاً سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا وصانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق إشارات فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات فإذا كان في غد يوم القيامة يكون الأمر في الكل كما قال القائل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار ... افرس تحتك أم حمار

كما يتميز المحقق من أهل الله من المدّعى في الأهلية غداً يوم القيامة قال بعضهم:

إذا اشتبكت دموع في خدود　　تبين من بكى ممن تباكى

أين عالم الرسوم من قول عليبّ بن أبي طالب رضي الله عنه حين أخبر عن نفسه أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرأ هل هذا إلا من الفهم الذي أعطاه الله في القرآن فاسم الفقيه أولى بهذه الطائفة من صاحب علم الرسوم فإن الله يقول فيهم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون فأقامهم مقام الرسول في التفقه في الدين والإنذار وهو الذي يدعو إلى الله على بصيرة كما يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة لا على غلبة ظنّ كما يحكم عالم الرسوم فشتان بين من هو فيما يفتي به ويقوله على بصيرة منه في دعائه إلى الله وهو على بينة من ربه وبين من يفتي في دين الله بغلبة ظنه ثم إن من شأن عالم الرسوم في الذب عن نفسه أنه يجهل من يقول فهمني ربي ويرى أنه أفضل منه وأنه صاحب العلم إذ يقول من هو من أهل الله إن الله ألقى في سرّي مراده بهذا الحكم في هذه الآية أو يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعتي فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه وبحكمه عنده قال أبو يزيد البسطاميّ رضي الله عنه في هذا المقام وصحته يخاطب علماء الرسوم أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي وأنتم تقولون حدثني فلان وأين هو قالوا مات عن فلان وأين هو قالوا مات وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا قيل له قال فلان عن فلان عن فلان يقول ما نريد نأكل قديداً هاتوا ائتوني بلحم طريّ يرفع همم أصحابه هذا قول فلان أيّ شيء قلت أنت ما خصك الله به من عطاياه من علمه اللدني أي حدثوا عن ربكم واتركوا فلاناً وفلاناً فإن أولئك أكلوه لحماً طرياً والواهب لم يمت وهو أقرب إليكم من حبل الوريد والفيض الإلهيّ والمبشرات ما سد بابها وهي من أجزاء النبوّة والطريق واضحة والباب مفتوح والعمل مشروع والله يهرول لتلقي من أتى إليه يسعى وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وهو معهم أينما كانوا فمن كان معك بهذه المثابة من القرب مع دعواك العلم بذلك والإيمان به لم تترك الأخذ عنه والحديث معه وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه فتكون حديث عهد بربك يكون المطر فوق رتبتك حيث برز إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حين نزل وحسر عن رأسه حتى أصابه الماء فقيل له في ذلك فقال إنه حديث عهد بربه تعلمياً لنا وتنبيهاً ثم لتعلم إن أصحابنا ما اصطلحوا على ما جاؤا به في شرح كتاب الله بالإشارة دون غيرها من الألفاظ إلا بتعليم إلهيّ جهله علماء الرسوم وذلك إن الإشارة لا تكون إلا بقصد المثير بذلك إنه يشير لا من جهة المشار إليه وإذا سألتهم عن شرح مرادهم بالإشارة أجروها عند السائل من علماء الرسوم مجرى الغالب مثال ذلك الإنسان يكون في أمر ضاق به صدره وهو مفكر فيه فينادي رجل رجلاً آخر اسمه فرج فيقول يا فرج فيسمعه هذا الشخص الذي ضاق صدره فيستبشر ويقول جاء فرج الله إن شاء الله يعني من هذا الضيق الذي هو فيه وينشرح صدره كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصالحة المشركين لما صدّوه عن البيت فجاء رجل من المشركين اسمه سهيل فقال رسول صلى الله عليه وسلم سهل الأمر أخذه فألا فكان كما تفاءل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتظم الأمر على يد سهيل وما كان أبوه قصد ذلك حين سماه به وإنما جعله له اسماً علماً يعرف به من غيره وإن كان ما قصد أبوه تحسين اسم ابنه إلا لخير ولما رأى أهل الله أنه قد اعتبر الإشارة استعملوها فيما بينهم ولكنهم بينوا

معناها ومحلها ووقتها فلا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم أو لأمر يقوم في نفوسهم واصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم وسلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم كما سلكت العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات ليفهم بعضهم بعضهم عن بعض فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه في كلامها من التشبيهات والاستعارات ليفهم بعضهم عن بعض فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنص الصريح وإذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطلحوا عليها فلا يعرف الجليس الأجنبي ما هم فيه ولا ما يقولون ومن أعجب الأشياء في هذه الطريقة ولا يوجد إلا فيها أنه ما من طائفة تحمل علماً من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب
والتعليم والمتكلمين والفلاسفة إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهله لابد من ذلك إلا أهل هذه الطريقة خاصة إذا دخلها المريد الصادق وبهذا يعرف صدقه عندهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه فإذا فتح الله له عين فهمه وأخذ عن ربه في أول ذوقه وما يكون عنده خبر بما اصطلحوا عليه و لم يعلم أن قوماً من أهل الله اصطلحوا على ألفاظ مخصوصة فإذا قعد معهم وتكلموا باصطلاحهم على تلك الألفاظ التي لا يعرفها سواهم أو من أخذها عنهم فهم هذا المريد الصادق جميع ما يتكلمون به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم في الكلام بها معهم ولا يستغرب ذلك من نفسه بل يجد علم ذلك ضرورياً لا يقدر على دفعه وكأنه مازال يعلمه ولا يدري كيف حصل له والدخيل من غير هذه الطائفة لا يجد ذلك إلا بموقف فهذا معنى الإشارة عند القوم ولا يتكلمون بها إلا عند حضور الغير أو في تآليفهم ومصنفاتهم لا غير والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والخمسون في معرفة الخواطر الشيطانية

لو أن الله يفهمنا ال ... ذي فيها من الحكم
رأيت الأمر يعلو عن ... مجال الفكر والهمم
يدق فليس تظهره ... إليك جوامع الكلم

الخواطر أربعة لا خامس لها خاطر رباني وخاطر ملكي وخاطر نفسي وخاطر شيطاني ولا خامس هناك وقد ذكرنا معرفة الخواطر في هذا الكتاب وفي بعض كتبنا فلذكر في هذا الباب الخاطر الشيطاني خاصة اعلم إن الشياطين قسمان قسم معنويّ وقسم حسيّ ثم القسم الحسيّ من ذلك على قسمين شيطانيّ أنسيّ وشيطانيّ حتى يقول الله عز وجلّ شياطين الأنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون فجعلهم أهل افتراء على الله وحدث فيما بينهما في الإنسان شيطان معنوي وذلك أن شيطان الجنّ والإنس إذا ألقى من ألقى منهم في قلب الإنسان أمراً ما يبعده عن الله به فقد يلقى أمراً خاصاً وهو خصوص مسئلة بعينها وقد يلقى أمراً عامّا ويتركه فإن كان أمراً عامّاً فتح له في ذلك طريقاً إلى أمور لا يفطن لها الجنيّ ولا الأنسيّ تتفقه فيه النفس وتستنبط من تلك الشبه أموراً إذا تكلم بها تعلم إبليس الغواية فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الأسلوب العام الذي ألقاه إليه أولا شيطان الإنس أو شيطان الجنّ تسمى الشياطين المعنوية لأن كل واحد من شياطين الإنس والجنّ يجهلون ذلك وما قصدوه على التعيين وإنما أرادوا بالقصد الأوّل فتح هذا الباب عليه لأنهم علموا أن في قوّته وفطنته أن يدقق

النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردّها بعد ذلك وسبب ذلك الأصل الأول فإنه اتخذه أصلاً صحيحاً وعوّل عليه فلا يزل التفقه فيه يسرقه حتى خرج به عن ذلك الأصل وعلى هذا جرى أهل البدع والأهواء فإن الشياطين ألقت إليهم أصلاً صحيحاً لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فينسب ذلك إلى الشيطان بحكم الأصل ولو علموا إنّ الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلم منه وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولاسيما في الإمامية منهم فدخلت عليهم شياطين الجنّ أو لا بحب أهل البيت واستفرغ الحب فيهم ورأوا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله وكذلك هو لو وقفوا ولا يزيدون عليه إلا أنهم تعدّوا من حب أهل البيت إلى طريقين منهم من تبدى إلى بغض الصحابة وسبهم حيث لم يقدموهم وتخيلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية فكان منهم ما قد عرف واستفاض وطائفة زادت إلى سب الصحابة القدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي جبريل عليه السلام وفي الله جل جلاله حيث لم ينصوا على رتبتهم وتقديمهم في الخلافة للناس حتى أنشد بعضهم ما كان من بعث الأمين أمينا وهذا كله واقع من أصل صحيح وهو حب أهل البيت أنتج في نظرهم فاسداً فضلوا وأضلوا فانظر ما أدى إليه الغلوّ في الدين أخرجهم عن الحد فانعكس أمرهم إلى الضد قال تعالى "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وطائفة ألفت إليهم الشياطين أصلاً صحيحاً لا يشكون فيه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها" ثم تركتهم بعدما حببت إليهم العمل على هذا فجعل بعض الناس لحرصه على الخير يتفقه لكونه يريد تحصيل أجود من عمل بها فإذا سنّ سنة حسنة يخاف إذا نسبها إلى نفسه لا تقبل منه فيضع لأجل قبولها حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ويتأول أن ذلك داخل في حكم قوله من سنّ سنة حسنة فأجاز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يقول عليه صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ولا فاه به لسانه ويرى أن ذلك خير فإن الأصول تعضده فإذا أخطر له الملك قوله صلى الله عليه وسلم من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وأخطر له أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم "ليس كذب عليّ ككذب على أحد من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار يتأول ذلك كله بإلقاء الشيطان في خاطره فيقول له إنما ذلك إذا دعا إلى صلى الله عليه وسلم وقال عنه أنه صرح بما لم يقله صلى الله عليه وسلم وكذلك إن كان من أهل الخلوات والرياضيات واستعجل الرياسة من قبل أن يفتح الله عليه باباً من أبواب عبوديته فيلزم طريق الصدق ولا يقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما وقف الأول وأنه يجري إلى الافتراء على الله فينسب ذلك الذي سنه إلى الله تعالى ويتأول أنه لا فاعل إلا الله وأنه تعالى المنطق عباده ويصير من وقته لذ أشعر يا مجبورا ويقول هذا كله خير

فإني ما قصدت إلا أن أعضد تلك السنة الحسنة فلم أر أشد في تقويتها من أني أسندها إلى الله تعالى كما هي في نفس الأمر خلق لله تعالى أجراها الله على لساني هذا كله يحدث به نفسه لا يقول ذلك لأحد فإذا كان مع الناس يريهم إن ذلك جاءه من عند الله كما يجيء لأولياء الله على تلك الطريق فإذا أخطر له الملك قول الله تعالى "ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله" يتأول ذلك مع نفسه ويقول ما أنا مخاطب بهذه الآية وإنما خوطب بها أهل الدعوى الذين ينسبون الفعل إلى أنفسهم فإنه قال افترى فنسب فعل الافتراء إلى هذا القائل وأنا أقول إن الأفعال كلها لله تعالى لا إليّ فهو الذي قال على لساني ألا ترى النبيّ صلى الله عليه وسلم قال في الصلاة إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فكذلك هذا ثم قال أو قال أوحى إليّ فأضاف القول إليه وكذلك قوله إليّ ومن أنا حتى أقول إلي إذ الله هو المتكلم وهو السميع ثم قال سأنزل مثل ما أنزل الله وما أقول أنا ذلك بل الإنزال كله من الله فإذا تفقه في نفسه في هذا كله افترى على الله كذباً وزين له سوء عمله فرآه

حسناً فهذا أصل صحيح لهاتين الطائفتين قد ألقاه الشيطان إليهما وتركه عندهما وبقي يتفقه في ذلك فقهاً نفسياً فإن لم يكن الإنسان على بصيرة وتمييز من خواطره حتى يفرق بين إلقاء الشيطان وإن كان خيراً وبين إلقاء الملك والنفس ويميز بينهما ميزاصحيحاً وإلا فلا يفعل فإنه لا يفلح أبداً فإن الشيطان لا يأتي إلى كل طائفة إلا بما هو الغالب عليها وليس غرضه من الصالحين إلا أن يجهلوه في الأخذ عنه فإذا جهلوه ونسبوا ذلك إلى الله و لم يعرفوا على أي طريق وصل إليهم كأنه قنع منهم بهذا القدر من الجهل وعرف أنهم تحت سلطانه فلايزال يستدرجه في خيريته حتى يتمكن منه في تصديق خواطره وأنها من الله فيسلخه من دينه كما تنسلخ الحية من جلدها ألا ترى صورة الجلد المسلوخ منها على صورة الحية كذلك هذا الأمر جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام في صورة شخص شيخ في ظاهر الحس لأن الشيطان ليس له إلى باطن الأنبياء عليهم السلام من سبيل فخواطر الأنبياء عليهم السلام كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية لاحظ للشيطان في قلوبهم ومن يحفظ من الأولياء في علم الله يكون بهذه المثابة في العصمة مما يلقى لا في العصمة من وصله إليه قالوا لي المعتنى به على علامة من الله فيما يلقي إليه الشيطان وسبب ذلك أنه ليس بمشرع والأنبياء مشرعون فلذلك عصمت بواطنهم فقال لعيسى عليه السلام يا عيسى قل لا إله إلا الله ورضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر فقال عيسى عليه السلام أقولها لا لقولك لا إله إلا الله فرجع خاسئاً ومن هنا تعلم الفرق بين العلم بالشيء وبين الإيمان به وأن السعادة في الإيمان وهو أن تقول ما تعلمه وما قلته لقول رسولك الأول الذي هو موسى عليه السلام لقول هذا الرسول الثاني الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم لا لعلمك ولا للقول الأول فحينئذ لك يشهد بالإيمان ومآلك السعادة وإذا قلت ذلك لا لقوله وأظهرت إنك قلت ذلك لقوله كنت منافقاً قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا" يريد أهل الكتاب حيث قالوا ما قالوه لأمر نبيهم عيسى أو موسى أو من كان من أهل الإيمان بذلك من الكتب المتقدمة ولهذا قال لهم يا أيها الذين آمنوا ثم قال لهم آمنوا بأنبيائي قولوا لا إله إلا الله لقول محمد صلى الله عليه وسلم "لا لعلمكم بذلك ولا لإيمانكم بنبيكم الأول فتجمعوا بين الإيمانين فيكون لكم أجران فيقنع الشيطان من الإنسان إن يلبس عليه بهذا القدر فلا يفرق بين ما هو من عند الله من حيث ما هو من عند الله ولا بين طريق الملك والنفس والشيطان فالله يجعل لك علامة تعرف بها مراتب خواطرك ومما تعرف به الخواطر الشيطانية وإن كانت في الطاعة بعدم الثبوت على الأمر الواحد وسرعة الاستبدال من خاطر بأمر مّا إلى خاطر بأمر آخر فإنه حريص وهو مخلوق من لهب النار ولهب النار سريع الحركة فاصل إبليس عدم البقاء على حالة واحدة في أصل نشأته فهو بحكم أصله والإنسان له الثبوت فإنه من التراب فله البرد واليبس فهو ثابت في شغله وكذلك الخواطر النفسية ثابتة ما لم يزلزلها الملك أو الشيطان ومتعلق أصل الخواطر الشيطانية إنما هو المحظور فعلاً كان أوتر كإثم

يليه المكروه فعلاً كان أوتر كافاً الأول في العامة والثاني في العباد من العامة وقد يتعلق بالباح في حق المبتدي من أهل طريق الله ويأتي بالمندوب في حق المتوسطين من أهل الله أصحاب السماع فإنه يستدرج كل طائفة من حيث ما هو الغالب عليها فإنه عالم بمواقع المنكر والاستدراج وبأتي العارفين بالواجبات فلا يزال بهم حتى نووا مع الله فعل أمر ما من الطاعات وهو فينفس الأمر عهد يعهده مع الله فإذا استوثق منه في ذلك وعزم وما لقي إلا الفعل أقام له عبادة أخرى أفضل منها شرعاً فيرى العارف أن يقطع زمانه بالأولى فيترك الأول ويشرع في الثاني فيفرح إبليس حيث جعله ينقض عهد الله من بعد ميثاقه والعارف لا خبر له بذلك فلو عرف من أول أن ذلك من الشيطان عرف كيف يرده وكيف يأخذه كما فعل عيسى عليه السلام وكل متمكن من أهل الله من ورثة الأنبياء فيراها مع كونها حسنة هي خواطر شيطانية وكذا جاء للمنافق من أهل الكتاب قال له ألم تعلم أن نبيك قد بشر بهذا الرجل وقد علمت

أنه هو والنبوة يجمعهما فقل له أنك رسول الله لقول نبيك لا لقوله ولا فرق بينهما فيقول المنافق عند ذلك أنك رسول الله فأكذبهم الله فقال تعالى "إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله" على ما قررهم الشيطان فقال الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون في أنهم قالوا ذلك لقولك لا في قولهم إنك رسول الله ولو أراد ذلك كان نفياً لرسالته صلى الله عليه وسلم فقد أعلمتك بمداخل الشيطان إلى نفوس العالم لتحذره وتسأل الله أن يعطيك علامة تعرفه بها وقد أعطاك الله في العامة ميزان الشريعة وميز لك بين فرائضه يعتدو بأنه ومباحه ومحظوره ومكروهه ونص على ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله فإذا خطر لك خاطر في محظور أو مكروه فتعلم أنه من الشيطان بلا شك وإذا خطر لك خاطر في مباح فتعلم أنه من النفس بلا شك فخاطر الشيطان بالمحظور والمكروه اجتنبه فعلا كان أو تركاً والمباح أنت مخير فيه فإن غلب عليك طلب الأرباح فاجتنب المباح واشتغل بالواجب أو المندوب غير أنك إذا تصرّفت في المباح فتصرف فيه على حضور أنه مباح وأن الشارع لولا ما أباحه لك ما تصرّفت فيه فتكون مأجوراً في مباحك لا من حيث كونه مباحاً إلا من حيث إيمانك به أنه شرع من عند الله فإن الحكم لا ينتقل بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الحكم هو عين الشرع وقد سد ذلك الباب فالمباح مباح لا يكون واجباً ولا محظوراً أبداً وكذلك كل واحد من الأحكام وإن خطر لك خاطر في فرض فقم إليه بلا شك فإنه من الملك وإذا خطر لك خاطر في مندوب فاحفظ أول الخاطر فإنه قد يكون من إبليس فأثبت عليه فإذا خطر لك أن تتركه لمندوب آخر هو أعلى منه وأولى فلا تعدل عن الأول وأثبت عليه واحفظ الثاني وافعل الأول ولابد فإذا فرغت منه أشرع في الثاني فافعله أيضاً فإن الشيطان يرجع خاسئاً بلا شك حيث لم يتفق له مقصوده وبهذا الدواء يذهب مرض الشيطان من نفسك وتكون عمري المقام ما يلقاك الشيطان في فج إلا سلك فجاً غير فجك إذا عاملته بمثل هذا فحافظ على ما نبهتك عليه فإن الله قد أثنى على الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ويكفي هذا القدر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والخمسون في معرفة الاستقراء وصحته من سقمه

للاستقراء حد في المعاني يلازمه القوى من الرجال
له حكم ولا يعطيك علما فصورته كمنزلة الظلال
مزاحمة الدليل بقوم فيها وأين العين من شخص المثال
منازلة الظنون وإن منها لمعطيك النزول إلى سفال
فلا تحكم بالاستقراء قطعا فما عين الغزالة كالغزال
وإن ظهرت بالاستقرار علوم فما حكم التضمر كالهزال

خرّج مسلم في صحيحه إن الله يقول شفعت الملائكة وشفّع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين فسمى نفسه عز وجل أرحم الراحمين وقال إنه خير الغافرين وقال في الصحيح أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً فإذا استقر أنا الوجودان الكرام

الأصول لا يصدر منهم الإمكارم الأخلاق من الإحسان للمحسن والتجاوز عن المسيء والعفو عن الزلة وإقالة العثرة وقبول المعذرة والصفح عن الجاني وأمثال هذا مما هو من مكارم الأخلاق واستقر أنا ذلك فوجدناه لا يخطىء بقول شاعر العرب في ذلك أن الجياد على إعراقها تجري والحق أولى بصفة مكارم الأخلاق من المخلوقين فهنا تكون صحة الاستقراء في الإلهيات وأما سقم الاستقراء فلا يصح في العقائد فإن مبناها على الأدلة الواضحة فإنه لو استقرأنا كل من ظهرت منه صنعة وجدناه جسماً ونقول إن العالم صنعة الحق وفعله وقد تتبعنا الصناع فما وجدنا صانعاً إلا ذا جسم فالحق جسم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وتتبعنا الأدلة في المحدثات فما وجدنا عالماً لنفسه وإنما الدليل يعطى أن لا يكون عالم إلا بصفة زائدة على ذاته تسمى علماً وحكمها فيمن قامت به أن يكون عالماً وقد علمنا أن الحق عالم فلا بدّ أن يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به كلا بل هو الله العالم الحي القادر القاهر الخبير كل ذلك لنفسه لا بأمر زائد على نفسه وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات إلا بها فيكون كماله بزائد على ذاته وتتصف ذاته بالنقص إذا لم يقم به هذا الزائد فهذا من الاستقراء وهذا الذي دعا المتكلمين أن يقولوا في صفات الحق لا هي هو ولا هي غيره وفيما ذكرناه ضرب من الاستقراء الذي لا يليق بالجناب العالي ثم أنه لما استشعر القائلون بالزائد سلكوا في العبارة عن ذلك مسلكاً آخر فقالوا ما عقلناه بالاستقراء وإنما قلنا أعطى الدليل أنه لا يكون عالم إلا من قام به العلم ولا بد أن يكون أمر زائداً على ذات العالم لأنه من صفات المعاني يقدر رفعه مع بقاء الذات فلما أعطا الدليل ذلك طردناه شاهداً وغائباً يعني في الحق والخلق وهذا هرب منهم وعدول عن عين الصواب ثم أنهم أكدوا ذلك بقولهم ما ذكرناه عنهم أن صفاته لا هي هو ولا هي غيره وحدوا الغيرين بحد يمنعه غيرهم وإذا سألتهم هل هي أمر زائد اعترفوا بأنها أمر زائد وهذا هو عين الاستقراء فلهذا قلنا أن الاستقراء في العلم بالله لا يصح وإن الاستقراء على الحقيقة لا يفيد علماً وإنما أثبتناه في مكارم الأخلاق شرعاً وعرفاً لا عقلا فإن العقل يدل عليه سبحانه أنه فعال لما يريد لا يقاس بالمخلوق ولا يقاس المخلوق عليه وإنما الأدلة الشرعية أتت بأمور تقرّر عندنا منها أنه يعامل عباده بالإحسان وعلى قدر ظنهم به قال تعالى "وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون" في الطرفين للوازم قرّرها الشارع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن النائم عن الصلاة إذا استيقظ أو الناسي إذا تذكر وقد خرج وقت الصلاة فيصليها هل يثبتها دائماً في كل يوم في ذلك الوقت فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم فبين أنه سبحانه ما يحمد خلقاً من مكارم الأخلاف إلا والحق تعالى أولى به بأن يعامل به خلقه ولا يذم شيأ من سفساف الأخلاق إلا وكان الجناب الإلهي أبعد منه ففي مثل هذا الفن يسوغ الاستقراء بهذه الدلالات الشرعية وأما غير ذلك فلا يكون فقد أبنت لك صحة الاستقراء من سقمه في هذا الفن يسوغ الاستقراء في التجليات فرأينا أن الهيولى الصناعية تقبل بعض الصور لا كلها فوجدنا الخشب يقبل صورة الكرسي والمنبر والتخت والباب و لم نره يقبل صورة القميص ولا الرداء ولا السراويل ورأينا الشقة تقبل ذلك ولا تقبل صورة السكين والسيف ثم رأينا الماء يقبل صورة لون الأوعية وما يتجلى فيها من المتلونات فيتصف بالزرقة والبياض والحمرة سئل الجنيد رحمه الله عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون إنائه ثم استقرأنا عالم الأركان كلها والأفلاك فوجدنا كل ركن منها وكل فلك يقبل صوراً مخصوصة وبعضها أكثر قبولاً من بعض ثم نظرنا في الهيولى الكل فوجدناها تقبل جميع صور الأجسام والأشكال فنظرنا في الأمور فرأيناها كلما لطفت قبلت الصور الكثيرة فنظرنا في الأرواح فوجدناها أقبل للتشكل في الصور من

سائر ما ذكرناه ثم نظرنا في الخيال فوجدناه يقبل ما له صورة ويصوّر ما ليست له صورة فكان أوسع من الأرواح في التنوّع في

الصور ثم جئنا إلى الغيب في التجليات فوجدنا الأمر أوسع مما ذكرناه ورأيناه قد جعل ذلك أسماء كل اسم منها يقبل صوراً لا نهاية لها في التجليات وعلمنا أن الحق وراء ذلك كله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير فجاء في عدم الإدراك بالاسم اللطيف إذ كانت اللطافة مما ينبو الحس عن إدراكها فتعقل ولا تشهد فتسمى في وصفه الذي تتره أن يدرك فيه باللطيف الخبير أي تلطف عن إدراك المحدثات ومع هذا فإنه يعلم ويعقل أن ثم أمر ليستند إليه فأتى بالاسم الخبير على وزن فعيل وفعيل يرد بمعنى المفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو المراد هنا والأوجه وقد يردّ بمعنى الفاعل كعليم بمعنى عالم وقد يكون أيضاً هو المراد هنا ولكنه يبعد فإن دلالة مساق الآية لا تعطي ذلك فإن مساقها في إدراك الأبصار لا في إدراك البصائر فإن الله قد ندبنا إلى التوصل بالعلم به فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله ولا يعلم حتى ننظر في الأدلة فيؤدّينا النظر فيها إلى العلم به على قدر ما تعطينا القوّة في ذلك فلهذا رجحنا خبير هنا بمعنى المفعول أي أن الله يعلم ويعقل ولا تدركه الأبصار فهذا القدر مما يتعلق بهذا الباب من الاستقراء وأما كونه لا يفيد العلم في هذا الموطن فإنه ما من أصل ذكرناه يقبل صوراً ما لا يجوز بل يقع وقد وقع أنه يتكرر في تلك الصور مراتب عديدة وهذا قد ورد في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل مراراً على صورة دحية الكلبي ولما لم يصح عندنا في التجلي الإلهي أن يتكرر تجل إلهي لشخص واحد مرتين ولا يظهر في صورة واحدة لشخصين علمنا أن الاستقراء لا يفيد علماً فإن جناب التجلي لا يقبل التكرار فخرج عن حكم الاستقراء من وجه عدم التكرار ولحق به من حيث التحوّل في الصور وقد ورد التحوّل في حديث مسلم في حديث الشفاعة من كتاب الإيمان فلا يعوّل على الاستقراء في شيء من الأشياء لا في الأحوال ولا في المقامات ولا في المنازل ولا في المنازلات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والخمسون في معرفة تحصيل علم الإلهام
بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس

لا تحكمنّ بإلهام تجده فقد ... يكون في غير ما يرضاه واهبه

واجعل شريعتك المثلى مصححة ... فإنها تمر بجنيه كاسبه

له الإساءة والحسني معافكما ... تعلى طرائفه تردي مذاهبه

فاحذره إن له في كل طائفة ... حكماً إذا جهلت فينا مكاسبه

لا تطلبن من الإلهام صورته ... فإن وسواس إبليس يصاحبه

في شكله وعلى ترتيب صورته ... وإن تميز فالمعنى يقاربه

قال الله تعالى "ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقوها" من قوله أيضاً كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً فجعل النفس محلاً قابلاً لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور فتجتنبه والتقوى فتسلك طريقه ومن وجه آخر تطلبه الآية وهو أنه بما ألهمها عراها أن يكون لها في الفجور والتقوى كسب أو تعمل وإنما هي محل لظهور الفعل فجوراً كان أو تقوى

شرعاً فهي برزخ وسط بين هذين الحكمين و لم ينسب سبحانه إلى نفسه خاطر المباح ولا إلهامه فيها به وسبب ذلك أن المباح ذاتيّ لها فبنفس ما خلق عينها ظهر عين المباح فهو من صفاتها النفسية التي لا تعقل النفس إلا به فهو على الحقيقة أعني خاطر المباح نعت خاص كالضحك للإنسان وإن لم يكن من الفصول المقوّمة فهو حد لازم رسميّ فإن من خاصية النفس دفع المضار واستجلاب المنافع وهذا لا يوجد في أقسام أحكام الشرع إلا في قسم المباح خاصة فإنه الذي يستوي فعله وتركه فلا أجر فيه ولا وزر شرعاً وهو قوله "وما سوّاها" من التسوية وهو الاعتدال في الشيء "فسوّاك فعدلك" يمتن بذلك على الإنسان وما في أقسام أحكام الشريعة قسم يقتضي العدل ويعطي الاعتدال إلا قسم المباح فهي تطلبه بذاتها وخاصيتها فلذلك لم يصفها بأنها ملهمة فيه وما ذكر سبحانه من الملهم لها بالفجور والتقوى فأضمر الفاعل فالظاهر أن الضمير المضمر يعود على المضمر في سوّاها وهو الله تعالى ومن نظر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ للملك في الإنسان لمة وللشيطان لمّة يعني بالطاعة وهي التقوى والمعصية وهي الفجور فيكون الضمير في ألهمها للملك في التقوى وللشيطان في الفجور و لم يجمعهما في ضمير واحد لبعد المناسبة بينهما وكل بقضاء الله وقدره ولا يصح أن يقال في هذا الموضع أن الله هو الملهم بالتقوى وأن الشيطان هو الملهم بالفجور لما في هذا من الجهل وسوء الأدب لما في ذلك من غلبة أحد الخاطرين والفجور أغلب من التقوى وأيضاً لقوله تعالى "ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك" فإنه في تلك الآية ظاهر الاسم والسيئة فيها ما هي شرعاً فتكون فجوراً وإنما هي مما يسوءه ولا يوافق غرضه وهو في الظاهر قولهم فإنهم كانوا يتطيرون به صلى الله عليه وسلم أعني الكافرين فأمره سبحانه أن يقول كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً أي ما يحدث فيهم من الكوائن يقول الله عنهم أنهم يقولون أن تصبهم حسنة يقولوا هذا من عند الله وإن تصبهم سيئة أي ما يسوءهم فمن عندك قل كل من عند الله وهو قوله "طائركم عند الله" فالفاعل في ألهما مضمر فإن كان الله هنا في الضمير هو الملهم بالتقوى والشيطان هو الملهم بالفجور فقد جمع الله والشيطان ضمير واحد وهذا غاية في سوء الأدب مع الله وما أحسن ما جاء بالواو للعاطفة في قوله وتقواها فتعالى الله الملك القدوس أن يجتمع مع المطرود من رحمة الله في ضمير مع احتمال الأمر في ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت لما سمعه قد جمع بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في ضمير واحد فقال ومن يعصهما وماا قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جمع بين الله وبين نفسه في ضمير واحد إلا بوحي من الله وهو قوله "من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما ينطق عن الهوى ونحن يلزمنا ملازمة الأدب فيما لم نؤمر به ولا نهينا عنه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله بئس الخطيب أنت وكذلك لا يترجح أن تنسب الإلهام بالفجور إلى الله فلم يبق بعد هذا الاستقصاء أن يكون الضمير في ألهمها بالفجور إلا الشيطان وبالواو بالتقولا إلا الملك فمقابلة مخلوق بمخلوق أولى من مقابلة مخلوق بخالق وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب كفاية لمن أبان الله بصيرته فقد أعلمك برتبة نفسك وأنها ليست بأمارة بالسوء من حيث ذاتها وإنما ينسب إليها ذلك من حيث أنها قابلة لإلهام الشيطان بالفجور ولجهلها بالحكم المشروع في ذلك كنفس أمرت صاحبها بارتكاب أمر لم تعلم تحريمه في الشرع أو قامت عندها شبهة بإباحة ذلك فيراه من مذهبه التحريم فيقول إن النفس لأمّارة بالسوء كشرب النبيذ بين محلله ومحرّمه ونكاح الربيبة التي لم يجتمع فيها الشرطان ومثل هذا في الشريعة كثير وكلا المذهبين شرع مقرّر صحيح إذا كانا عن اجتهاد

مع أن أحدهما أخطأ دليل الشارع الذي حكم به تلك المسألة أولو حكم فيها والمجتهدان مأجوران وقد يكون في المسألة أحد المجتهدين مصيباً وقد يكون كل واحد منهما مخطئاً فإن الحكم في تلك المسألة شرعاً ليس بمنحصر ثم إن قول الله تعالى "إن النفس

لأمارة بالسوء فما هو حكم الله عليها بذلك وإنما الله حكى ما قالته امرأة العزيز في مجلس العزيز وهل أصابت في هذه الإضافة أو لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه بل الذي هو لها إنها لوّامة نفسها إذا قبلت من الشيطان ما يأمرها به فهذا الإخبار عن النفس أنها أمارة بالسوء ما هو حكم الله عليها ولا من قول يوسف عليه السلام فبطل التمسك بهذه الآية لما دل عليه الظاهر والدليل إذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به وأما قوله تعالى في هذا المقام "كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك فهو إبانة عن حقيقة صحيحة بما هو الأمر عليه في نفسه من أنه لا حول ولا قوّة إلا بالله وقوله "وما كان عطاء ربك محظورا" أي ممنوعا يقول إن الله يعطي على الدوام والمحال تقبل على قدر حقائق استعداداتها كما تقول أن الشمس تنبسط أنوارها على الموجودات وما تبخل بنورها على أحد وتقبل المحال ذلك النور على قدر استعدادها وكل محل يضيف الأثر إلى الشمس ويغفل عن استعداده فالشخص المبرود يلتذ بحرارتها والجسم المحرور يتألم بحرارتها والنور من حيث ذاته واحد وكل واحد من الشخصين يتألم بما به يتنعم صاحبه فلو كان ذلك للنور وحده لأعطى حقيقة واحدة وكذلك أعطى ما في قوّته غير أنه للقابل حكم في ذلك ولابد فإن النتيجة لا تكون إلا عن مقدمتين فيسود وجه القصار الذي يبيض الثوب فإن استعداد الثوب تعطي الشمس فيه التبيض ووجه القصار تعطي الشمس فيه السواد وكذلك النفخة الواحدة من النافخ وهي الهواء تطفىء السراج وتشعل النار الذي في الحشيش والهواء في نفسه واحد فترد الآية من كتاب الله واحدة العين على الأسماع فسامع يفهم منها أمراً واحداً وسامع آخر لا يفهم منها ذلك الأمر ويفهم منها أمراً آخر وآخر يفهم منها أموراً كثيرة ولهذا يستشهد كل واحد من الناظرين فيها بها لاختلاف استعداد الأفهام وهكذا في التجليات الإلهية فالمتجلي من حيث هو في نفسه واحد العين واختلفت التجليات أعني صورها بحسب استعدادات المتجلي لهم وكذلك في العطايا الإلهية سواء فإذا فهمت هذا علمت أن عطاء الله ليس بممنوع إلا أنك تحب أن يعطيك ما لا يقبله استعدادك وتنسب المنع إليه فيما طلبته منه و لم تجعل بالك إلى الاستعداد فقد يستعد الشخص للسؤال وما عنده استعداد لقبول ما سأل فيه فلو أعطيه بدلاً من المنع ويقول "إن الله على كل شيء قد يرو يصدق في ذلك ولكنك تغفل عن ترتيب الحكمة الإلهية في العالم وما تعطيه حقائق الأشياء والكل من عند الله فمنعه عطاء وعطاؤه منع ولكن بقي لك أن تعلم لكذا ومن كذا فقد عرفتك بالنفس وإنها المحرّكة للجوارح بما يغلب عليها أما من ذاتها أو مما تقبله من الملك أو الشيطان فيما يلهمها به فعلم الإلهام هو أن تعلم أن الله ألهمك بما أوقره في نفسك ولكن بقي عليك أن تنتظر على يدي من ألهمك وعلى أيّ طريق جاءك ذلك الإلهام من ملك أو شيطان وما يخرج من قبيل الأمر والنهي المشروع فهو العلم اللدنيّ ما هو الإلهام فالعلم بالطاعة إلهاميّ والعلم نتائج الطاعة لدنيّ ففرق ما بين العلم اللدني والإلهام فالإلهام عارض طارىء يزول ويجيء غيره والعلم اللدنيّ ثابت لا يبرح فمنه ما يكون في أصل الخلقة والجبلة كعلم الحيوانات والأطفال الصغار ببعض منافعهم ومضارّهم فهو علم ضروريّ لا إلهام وأما قوله "وأوحى ربك إلى النحل" فإنه يريد في أصل نشأتها فطرها الله على ذلك والإلهام هو ما يلهمه العبد من الأمور التي لم يكن يعرفها قبل ذلك والعلم اللدنيّ الذي لا يكون في أصل الخلقة فهو العلم الذي تنتجه الأعمال فيرحم الله بعض عباده بأن يوفقه لعمل صالح فيعمل به فيورثه الله من ذلك علماً من لدنه لم يكن يعلمه قبل ذلك ولا يلزم من العلم اللدنيّ أن يكون في مادّة والإلهام لا يكون إلا في موادّ والعلم يصيب ولا بد والإلهام قد يصيب وقد يخطىء فالمصيب منه يسمى علم الإلهام وما يخطىء منه يسمى إلهاماً لا علماً أي لا علم إلهام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن والخمسون في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين

ومعرفة علم إلهيّ فاض على القلب ففرّق خواطره وشتتها

إذا أعطاك بالإلهام علماً　　تحققه فأنت به سعيد

كمثل النحل مختلف المعاني　　قويّ في مبانيه سديد

فتلقى طيباً عن طيب أصل　　وأنت لحالها أبداً شهيد

وفي الأشجار والشم الرواسي　　لها من فعلها قصر مشيد

فلا تعجزك للعلياء نحل　　وأنت السيد الندب الجليد

فمنك القصد خيراً واختيارا　　كما لك في منازلك القصود

فحقق والتمس علماً وحيداً　　كمثلك إنك الخلق الجديد

اعلم أيدك الله بروح منه أن الله عز وجل أمرنا بالعلم بوحدانيته في ألوهيته غير أن النفوس لما سمعت ذلك منه مع كونها قد نظرت بفكرها ودلت على وجود الحق بالأدلة العقلية بل بضرورة العقل بعلم وجود الباري تعالى ثم دلت على توحيد هذا الموجود الذي خلقها وأنه من المحال أن يوجد واجباً الوجود لنفسه ولا ينبغي أن يكون إلا واحداً ثم استدلوا على ما ينبغي أن يكون عليه من هو واجب الوجود لنفسه من النسب التي ظهر عنه بها ما ظهر من الممكنات ودل على إمكان الرسالة ثم جاء الرسول وأظهر من الدلائل على صدقه أنه رسول من الله إلينا فعرفنا بالأدلة العقلية أنه رسول الله فلم نشك وقام لنا الدليل العقليّ على صدق ما يخبر به فيما ينسب إليه ورآه قد أتى في أخباره عنه تعالى بنسب وأمور كان الدليل العقليّ يحيلها ويرمي بها فتوقف العقل واتهم معرفته وقدح في دليله هذا الإنباء الإلهي بما نسبه لنفسه ولا يقدر على تكذيب المخبر ثم كان من بعض ما قال له هذا الشارع اعرف ربك وهذا العاقل لو لم يعلم ربه الذي هو الأصل المعوّل عليه ما صدق هذا الرسول فلا بد أن يكون العلم الذي طلب منه الرسول أن يعلم به ربه غير العلم الذي أعطاه دليله وهو أن يتعمل في تحصيل علم من الله بالله يقبل به على بصيرة هذه الأمور التي نسبها الله إلى نفسه ووصف نفسه بها التي أحالها العقل بدليله فانقدح له بتصديقه الرسول أن ثم وراء العقل وما يعطيه بفكره أمراً آخر يعطي من العلم بالله ما لا تعطيه الأدلة العقلية بل علة قولاً واحداً فإذا علمه بهذه القوة التي عرف أنها وراء طور العقل هل يبقى له الحكم فيما كان يحيله العقل من حيث فكره أولا على ما كان عليه أم لا يبقى فإن لم يبق له الحكم بأن ذلك محال فلابد أن يعثر على الوجه الذي وقع له منه الغلط بلا شك وإن ذلك الذي اتخذه دليلاً على إحالة ذلك على الله لم يكن دليلاً في نفس الأمر وإذا كان هذا فما الذي نسبه الله لنفسه ووصف به نفسه وقبلته عقول الأنبياء وقبله عقل هذا المكاشف بلا شك ولا ريب ومع هذا فإنه يحكم على الله بأن ذلك الأمر محال عقلاً من حيث فكره لا من حيث قبوله وحينئذ يصح أن يكون ذلك المقام وراء طور العقل من جهة أخذه عن الفكر لا من جهة أخذه عن الله هذا ومن أعجب الأمور عندنا أن يكون الإنسان يقلد فكره ونظره وهو محدث مثله وقوّة من قوى الإنسان التي خلقها الله فيه وجعل تلك القوة خديمة للعقل ويقلدها العقل فيما تعطيه هذه القوّة ويعلم أنها لا تتعدى مرتبتها

وأنها تعجز في نفسها عن أن يكون لها حكم قوّة أخرى مثل القوّة الحافظة معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب فكر تحت حكم هذا الغلط بلا شك إلا من نوّر الله بصيرته فعرف أن الله قد أعطى كل شيء خلقه فأعطى السمع خلقه فلا يتعدى إدراكه وجعل العقل فقيراً إليه يستمد منه معرفة الأصوات وتقطيع الحروف وتغيير الألفاظ وتنوع اللغات فيفرّق بين صوت الطير وهبوب الرياح وصرير الباب وخرير الماء وصياح الإنسان ويعار الشاة وثؤاج الكباش وخوار البقر ورغاء الإبل وما أشبه هذه الأصوات كلها ولبس في قوّة العقل من حيث ذاته إدراك شيء من هذا ما لم يوصله إليه السمع وكذلك القوّة البصرية جعل الله العقل فقيراً إليها فيما توصله إليه من المبصرات فلا يعرف الخضرة ولا الصفرة ولا الزرقة ولا البياض ولا السواد ولا ما بينهما من الألوان ما لم ينعم البصر على العقل بها وهكذا جميع القوى المعروفة بالحواس ثم إن الخيال فقير إلى هذه الحواس فلا يتخيل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوى ثم إن القوة الحافظة إن لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوى لا يبقى في الخيال منها شيء فهو فقير إلى الحواس وإلى القوّة الحافظة ثم إن القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع تحول بينها وبين الخيال فيفوت الخيال أمور كثيرة من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف لوجود المانع فافتقر إلى القوة المذكرة فتذكره ما غاب عنه فهي معينة للقوّة الحافظة على ذلك ثم إن القوّة المفكرة إذا جاءت إلى الخيال افتقرت إلى القوّة المصوّرة لتركب بها مما ضبطه الخيال من الأمور صورة دليل على أمر مّا وبرهان تستند فيه إلى المحسوسات أو الضرورات وهي أمور مركوزة

في الجبلة فإذا تصوّر الفكر ذلك الدليل حينئذ يأخذه العقل منه فيحكم به على المدلول وما من قوّة إلا ولها موانع وأغاليط فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت فانظر يا أخي ما أفقر العقل حيث لا يعرف شيئاً مما ذكرناه إلا بوساطة هذه القوى وفيها من العلل ما فيها فإذا اتفق للعقل أن يحصل شيئاً من هذه الأمور بهذه الطرق ثم أخبره الله بأمر مّا توقف في قبوله وقال إن الفكر يردّه فما أجهل هذا العقل بقدر ربه كيف قلد فكره مقلد لخياله وإن خياله مقلد لحواسه ومع تقليده فهو غير قويّ على إمساك ما عنده ما لم تساعده على ذلك القوّة الحافظة والمذكرة ومع هذه المعرفة بأن القوى لا تتعدى خلقها وما تعطيه حقيقتها وإنه بالنظر إلى ذاته لا علم عنده إلا الضروريات التي فطر عليها لا يقبل قول من يقول له أن ثم قوّة أخرى وراءك تعطيك خلاف ما أعطتك القوّة المفكرة نالها أهل الله من الملائكة والأنبياء والأولياء ونطقت بها الكتب المنزلة فاقبل منها هذه الأخبار الإلهية فتقليد الحق أولى من تقليد أفكارها فمالك أيها العاقل المنكر لها لا تقبلها ممن جاء بها ولا سيما عقول تقول أنها في محل الإيمان بالله ورسله وكتبه ولما رأت عقول أهل الإيمان بالله تعالى إن الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية علمت أن ثم علماً آخر بالله لا تصل إليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات والخلوات والمجاهدات وقطع العلائق والانفراد والجلوس مع الله بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الأفكار إذ كان متعلق الأفكار الأكوان واتخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسل وسمعت أن الحق جل جلاله يترل إلى عباده ويستعطفهم فعلمت أن الطريق إليه من جهته أقرب إليه من الطريق من فكرها ولا سيما أهل الإيمان وقد سمعت قوله تعالى "من أتاني يسعى أتيته هرولة" وإن قلبه وسع جلال الله وعظمته فتوجه إليه بكله وانقطع من كل ما يأخذ عنه من هذه القوى فعند هذا التوجه أفاض الله عليه من نوره علماً إلهياً عرّفه بأن الله تعالى من طريق المشاهدة والتجلي لا يقبله كون ولا يردّه ولذلك قال إن في ذلك يشير إلى العلم بالله من حيث المشاهدة لذكرى لمن كان له قلب و لم يقل غير ذلك فإن القلب معلوم بالتقليب في الأحوال دائماً فهو لا يبقى على حالة واحدة فكذلك التجليات الإلهية فمن لم يشهد التجليات بقلبه ينكرها فإن العقل يقيد وغيره من القوى

إلا القلب فإنه لا يتقيد وهو سريع التقلب في كل حال ولذا قال الشارع إن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاشء فهو يتقلب بتقلب التجليات والعقل ليس كذلك فالقلب هو القوّة التي وراء طور العقل فلو أراد الحق في هذه الآية بالقلب أنه العقل ما قال لمن كان له قلب فإن كل إنسان له عقل وما كل إنسان يعطي هذه القوّة التي وراء طور العقل المسماة قلباً في هذه الآية فلذلك قال لمن كان له قلب فالتقليب في القلب نظير التحوّل الإلهيّ في الصور فلا تكون معرفة الحق من الحق إلا بالقلب لا بالعقل ثم يقبلها العقل من القلب كما يقبل من الفكر فلا يسعه سبحانه إلا أن يقلب ما عندك ومعنى قلب ما عندك هو أنك علقت المعرفة به عز وجل وضبطت عندك في علمك أمراً مّا وأعلى أمر ضبطته في علمك به أنه لا ينضبط سبحانه ولا يتقيد ولا يشبه شيأ ولا يشبهه شيء فلا ينضبط مضبوط لتميزه عما ينضبط فقد انضبط ما لا ينضبط مثل قولك العجز عن درك الإدراك إدراك والحق إنما وسعه القلب ومعنى ذلك أن لا يحكم لي الحق تعالى بأنه لا يقبل ولا يقبل فإن ذات الحق وأنيته مجهولة عند الكون ولا سيما وقد أخبر جلّ جلاله عن نفسه بالنقيضين في الكتاب والسنة فشبه في موضع ونزه في موضع بليس كمثله شيء وشبه بقوله "وهو السميع البصير" فتفرّقت خواطر التشبيه وتشتت خواطر التتريه فإن المتره على الحقيقة قد قيده وحصره في تتريهه وأخلى عنه التشبيه والمشبه أيضاً قيده وحصره في التشبيه وأخلى عنه التتريه والحق في الجمع بالقول بحكم الطائفتين فلا يتره تتريهاً يخرج عن التشبيه ولا يشبه تشبيهاً يخرج عن التتريه فلا تطلق ولا تقيد لتميزه عن التقييد ولو تميز تقيد في إطلاقه ولو تقيد في إطلاقه لم يكن هو فهو المقيد بما قيد به نفسه من صفات الجلال وهو المطلق بما سمى به نفسه من اسماء الكمال وهو الواحد الحق الجليّ الخفيّ لا إله إلا هو العليّ العظيم وصل

وأمّا أسرار أهل الإلهام المستدلين فلا تتجاوز سدرة المتنهى فإن إليها تنتهي أعمال بني آدم وهاية كل أمر إلى ما منه بداا فإن قال لك عارف ممن لا علم له بهذا الأمر إن الكرسيّ موضع القدمين فقل له ذلك عالم الخلق والأمر والتكليف إنما انقسم من السدرة فإنه قطع أربع مراتب والسدرة هي المرتبة الخامسة فترل من قلم إلى لوح إلى عرش إلى كرسيّ إلى سدرة فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والمحظور من العرش والمكروه من الكرسيّ والمباح من السدرة والمباح قسم النفس وإليها تنتهي نفوس عالم السعادة ولأوصولها وهي الزقوم تنتهي نفوس أهل الشقاء وقد بيناها في كتاب التترلات الوصلية في باب يوم الاثنين وإذا ظهرت قسمة الأحكام من السدرة فإذا صعدت الأعمال التي لا تخلو من أحد هذه الأحكام لا بدّ أن تكون هايتها إلى الموضع الذي منه ظهرت إذ لا تعرف من كوها منقسمة إلى ثم يكون من العقل الذي هو القلم ما يرى فيها ويكون من العرش نظر إلى المحظورات وهو مستوى الرحمن فلا ينظرها إلا بعين الرحمة ولهذا يكونن مآل أصحابها إلى ارحمة ويكون من الكرسيّ نظر إلى الأعمال المكروهة فينظر إليها بحسب ما يرى فيها وهو تحت حيطة العرش والعرش مستوى الرحمن والكرسي موضع القدمين فيسرع العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الأعمال ولهذا يؤجر تاركها ولا يؤاخذ فاعلها فكتاب الأبرار في عليين ويدخل فيهم العصاة أهل الكبائر والصغائر وأما كتاب الفجار ففي سجين وفيه أصول السدرة التي هي شجرة الزقوم فهناك تنتهي أعمال الفجار في أسفل سافلين فإن رحمهم الرحمن من عرش الرحمانية بالنظرة التي ذكرناها جعل لهم نعيما في مترلهم فلا يموتون فيه ولا يحبون فهم في نعيم النار دائمون مؤبدون كنعيم النائم بالرؤيا التي يراها في حال نومه من السرور وربما يكون في فراشه مريضا ذا بؤس وفقر ويرى نفسه في المنام ذا سطان ونعمة وملك فإن نظرت إلى النائم من حيث ما يراه في منامه ويلتذ به قلت إنه في نعيم وصدقت وإن نظرت إليه من حيث ما تراه في فراشه الخشن ومرضه وبؤسه وفقره وكلومه قلت إنه في عذاب هكذا يكون أهل النار فلا يموت فيها ولا يحيى أي لا

يستيقظ أبدا من نومته فتلك الرحمة التي يرحم الله عذابهم توهم وقوع العذاب بهم وذلك كله بعد قوله لا يفتر عنهم العذاب وهم فيه مبلسون ذلك زمان عذابهم وأخذهم بجرائهم قبل أن تلحقهم الرحمة التي سبقت الغضب الإلهيّ فإذا اطلع أهل الجنان في هذه الحالة على أهل النار ورأوا منازلهم في النار وما أعد الله فيها وما هي عليه من قبح المنظر قالوا معذبون وإذا كوشفوا على الحسن المعنويّ الإلهيّ في خلق ذلك المسمى قبحا ورأوا ما هم فيه في نومتهم وعلموا أحوال أمزجتهم قالوا منعمون فسبحان القادر على ما يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم فقد فهمت قول الله تعالى لا يموت ففيها ولا يحيى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون ولا يحيون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والخمسون في معرفة الزمان الموجود المقدر

إنّ الزمان إذا حققت حاصله ... محقق فهو بالأوهام معلوم

مثل الطبيعة في التأثير قوّته ... والعين منها تومنه فيه معدوم

به تعينت الأشيا وليس له ... عين يكون عليه منه تحكيم

العقل يعجز عن إدراك صورته ... لذا نقول بأن الدهر موهوم

لولا التنزه ما سمى الإله به ... وجوده فله في القلب تعظيم

أصل الزمان إذا أنصفت من أزل ... فحكمه أزليّ وهو محكوم

مثل الخلاء امتداد ماله طرف ... في غير جسم بوهم فيه تجسيم

اعلم أوّلا أن الله تعالى هو الأول الذي لا أولية لشيء قله ولا أولية لشيء يكون قائما به أو غير قائم به معه فهو الواحد سبحانه في أوليته فلا شيء واجب الوجود لنفسه إلا هو فهو الغنيّ بذاته على الإطلاق عن العالمين قال تعالى والله غنيّ عن العالمين بالدليل العقليّ والشرعيّ فوجود العالم لا يخلوا أما أن يكون وجوده عن الله لنفسه سبحانه ولا مر زائد ما هو نفسه إذ لو كان نفسه لم يكن زائدا ولو كان نفسه أيضا لكان مركبا في نفسه وكانت الأوليه لذلك الأمر الزائد وقد فرضنا أنه لا أولية لشيء معه ولا قبله فإذا لم يكن ذلك الأمر الزائد نفسه فلا يخلو إما أن يكون وجودا أو لا وجودا محال أن يكون لا وجود فإن لا وجود لا يصح أن يكون له أثر إيجاد فيما هو موصوف بأن لا وجود وهو العالم فليس أحدهما بأولى بتأثير الإيجاد من الآخر إذ كلاهما أن لا وجود فإن لا وجود لا أثر له لأنه عدم ومحال أن يكون وجودا فإنه لا يخلو عند ذلك إما أن يكون وجوده لنفسه أو لا يكون محال أن يكون وجوده لنفسه فإنه قد قام الدليل على إحالة أن يكون في الوجود اثنان واجبا لوجود لأنفسهما فلم يبق إلا أن يكون وجوده بغيره ولا معنى لا مكان العالم إلا أن وجوده بغيره فهو العالم إذن أو من العالم ولو كان وجود العالم عن الله لنسبة ما لولاها ما وجد العالم تسمى تلك النسبة ولا معنى للإفتقار إلا هذا وهو محال على الله فإن الله له الغنى على الإطلاق فهو كما قال غنيّ عن العالمين فإن قيل إنّ المراد بالنسبة عين ذاته قلنا فالشيء لا يكون مفتقرا إلى نفسه فإنه غني لنفسه فيكون الشيء الواحد فقيرا من حيث ما هو عنيّ كل ذلك لنفسه وهو محال وقد نفينا المر الزائد فاقتضى ذلك أن يكون وجود العالم من حيث ما هو موجود بغيره مرتبطا بالواجب

الوجود لنفسه وإنعين الممكن محل تأثير الواجب الوجود لنفسه بالإيجاد ولا يعقل إلا هكذا فمشيئته وإرادته وعلمه وقدرته ذاته تعالى الله أن يتكثر في ذاته علوّا كبيرا بل له الوحدة المطلقة وهو الواحد الأحد الله الصمد لم يلد فيكون مقدّمة و لم يولد فيكون نتيجة و لم يكن له كفؤا أحد فيكون به وجود العالم نتيجة عن مقدمتين عن الحق والكفؤ تعالى الله وبهذا وصف نفسه سبحانه في كتابه لما سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن صفة ربه فترلت سورة الإخلاص تخلصت من الإشتراك مع غيره تعالى الله في تلك النعوت المقدسة والأوصاف فما من شيء نفاه في هذه السورة ولا أثبته إلا وذلك المنفيّ أو المثبت مقالة في الله لبعض الناس وبعد أن بينا لك ما ينبغي أن يكون عليه من نحن مفترقون إليه وهو الله سبحانه فلنبين ما بوّبنا عليه فاعلم أن نسبة الأزل إلى الله نسبة الزمان إلينا ونسبة لازل نعت سلبيّ لا عين له فلا يكون عن هذه الحقيقة وجود فيكون الزمان للممكن نسبة متوهمة الوجود لا موجودة لأن كلّ شيء تفرضه يصح عنه السؤال بمتى ومتى سؤال عن زمان فلا بد أن يكون الزمان أمرا متوهما لا وجودا ولهذا أطلقه الحق على نفسه في قوله وكان الله بكل شيء عليما ولله المر من قبل ومن بعد وفي السنة تقرير قول السائل أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ولو كان الزمان أمرا وجوديا في نفسه ما صح تتريه الحق عن التقيد إذ كان حكم لزمان يقيده فعرفنا أن هذه الصيغ ماتحتها أمر وجودي ثم نقول إن لفظة الزمان اختلف الناس في معقولها ومدلولها فالحكماء تطبقه بازاء أمور مختلفة وأكثرهم عل أنه مدّة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك والمتكلمون يطلقونه بإزاء أمر آخر وهو مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمتى والعرب تطلقه وتريد به الليل والنهار وهو مطلوبنا في هذا الباب والليل والنهار فصلا اليوم فمن طلوع الشمس إلى غروبها يسمى نهارا ومن غروب الشمس إلى طلوعها يسمى ليلا وهذه العين المفصلة تسمى يوما وأظهر هذا اليوم وجود الحركة الكبرى وما في لوجود العينيّ إلا وجود المتحرك لا غير وما هو عين الزمان فرجع محصول ذلك إلى أن الزمان أمر متوهم لا حقيقة له وإذا تقرّر هذا فاليوم المعقول المقدر هو المعبر عنه بالزمان الموجود وبه تظهر الجمعات والشهور والسنون والدهور وتسمى أيا وتقدّر بهذا اليوم الأصغر المعتاد الذي فصله الليل والنهار فالزمان المقدّر هو ما زاد على هذا اليوم الأصغر الذي تقدّر به سائر الأيام الكبار فيقال في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون وقال في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقال عليه السلام في أيام الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم فقد يكون هذا لشدة الهول فرفع الأشكال ظاهر إتمام الحديث في قول عائشة فكيف يفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال يقدر لها فلولا أنّ الأمر في حركات الأفلاك على ما هو عليه باق ما اختلّ ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعمل صورتها أهل هذا العلم فيعلمون بها الأوقات في أيام الغيم إذ لا ظهور للشمس فيكون في أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث أن يستوي في رأي العين وجود الليل والنهار وهو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء والحركات كما هي فتظهر الحركات في الصنائع العملية التي عملها أهل صنعة العلماء بالهيئة ومجاري النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلوات بلا شك ولو كان ذلك اليوم الذي هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن نقدر للصلوات فإنا ننتظر زوال الشمس فما لم نزل لا نصلي الظهر المشروع ولو أقامت لا تزول ما مقداره عشرون ألف سنة لم يكلفنا الله غير ذلك فلما قرر الشارع العبادة بالتقدير عرفنا أن حركات الأفلاك على بابها لم يختل نظامها فقد أعلمتك ما هو الزمان وما معنى نسبة الوجود إليه ونسبة التقدير فالأيام كثيرة ومنها كبير وصغير فاصغرها الزمن الفرد وعليه يخرج كل يوم هو في شأن فسمي الزمن الفرد يوما لأن الشأن يحدث فيه فهو أصغر الأزمان وأدقها ولا حد لأكبرها يوقف عنده وبينهما أيام متوسطة أولها اليوم المعلوم في العرف وتفصله الساعات والساعات تفصلها الدرج والدرج تفصله الدقائق وهكذا إلى ما لا يتناهى عند بعض الناس فإنهم يفصلون الدقائق إلى ثوان

فلما دخلها حكم العدد كان حكمها العدد والعدد لا يتناهى فالتفصيل في ذلك لا ينتهي وبعض الناس يقولون بالتناهي في ذلك وينظرونه من حيث المعدود وهم الذين يثبتون أن للزمان تعينا موجودة ولك ما دخل في الوجود فهو متناه بلا شك والمخالف يقول المعدود من كونه يعد ما دخل في الوجوه فلا يوصف بالتناهي فإن العدد لا يتصف بالتناهي وبهذا يحتج منكر الجوهر الفرد وإن الجسم ينقسم إلى مالا نهاية له في العقل وهي مسئلة خلاف بين أهل النظر حدثت من عدم الإنصاف والبحث عن مدلول الألفاظ وقد ورد في الخبر الصحيح أن من أسماء الله الدهر ومعقولية الدهر معلومة نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء السابع والعشرون

الجزء الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الستون في معرفة العناصر وسلطان العالم العلويّ على العالم السفليّ
وفي أي دورة كان وجود هذا العالم الإنسانيّ من دورات الفلك الأقصى وأية روحانية لنا

إن لعناصر أمّهات أربع وهي البنات لعالم الأفلاك
عنها تولدنا فكان وجودنا في عالم الأركان والأملاك
جعل الإله غذاءنا بسنابل من حكم سنبلة بلا إشراك
وكذاك ضاعف أجرنا بسنابل سبع بقول ليس من أفاك
وزماننا سبع من الآلاف جا بتكرّر الأضواء والأحلاك
فنظر بعقلك سبعة في سبعة من سبعة ليسوا من الأملاك
وانظر بفكرك في تناسب حكمها واضرب بسيف صارم بتاك

أراد بالأملاك الأوّل من الملائكة جمع ملك وأراد بالأملاك الثاني من الملوك جمع ملك يقول هم مسخرون والمسخر لا يستحق اسم الملك والسبعة المذكورة هي السبعة الدراري في السبعة الأفلاك الموجودة من السبعة الأيام التي هي أيام الجمعة وهي للحركة التي فوق السموات وهي حركة اليوم للفلك الأقصى اعلم أن كل شيء من الأكوان لا بد أن يكون استناده إلى حقائق إلهية فكل علم مدرج في العلم الإلهيّ ومنه تفرّعت العوم كلها وهي منحصرة في أربع مراتب وكل مرتبة تنقسم إلى أنواع معلومة محصورة عند العلماء وهو العم المنطقيّ والعلم الرياضيّ والعم الطبيعيّ والعم الإلهيّ والعالم يطلب من الحقائق الإلهية أربع نسب الحياة والعلم والإرادة والقدرة إذا ثبتت هذه الأربع النسب للواجب الوجود صح أنه الموجد للعالم بلا شك فالحياة والعلم أصلان في النسب والإرادة والقدرة دونهما والأصل الحياة فإنها اشرط في وجود العلم والعلم له عموم التعلق فإنه يتعلق بالواجب الوجود وبالممكن وبالمحال والإرادة دونه في التعلق فإنه لا تعلق لها إلا بالممكن في ترجيحه بإحدى الحالتين من الوجود والعدم فكأن الإرادة تطلبها الحياة فهي كالمنفعلة عنها فإنها أعم تعلقا من القدرة والقدرة أخص تعلقا فإنها تتعلق بإيجاد الممكن لا بإعدامه فكأنها كالمنفعلة عن العلم لأنها من الإرادة بمنزلة العلم من الحياة فلما تميزت المراتب في هذه النسب الإلهية تميز الفاعل عن المنفعل خرج العالم على هذه الصورة فاعلا ومنفعلا فالعالم بالنسبة إلى الله من حيث الجملة منفعل محدث وبالنظر إلى نفسه فمنه فاعل ومنفعل فأوجد الله سبحانه العقل الأول من نسبة الحياة وأوجد النفس من نسبة العلم فكان العقل شرطا في وجود النفس كالحياة شرط في وجود العلم وكان المنفعلان عن العقل والنفس والهباء والجسم الكل فهذه الأربعة أصل ظهور الصور في العالم غير أن بين النفس والهباء مرتبة الطبيعة

وهي على أربع حقائق منها اثنان فاعلان واثنان منفعلان وكلها في رتبة لإنفعال بالنظر إلى من صدرت عنه فكانت الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فاليبوسة منفعلة عن الحرارة والرطوبة منفعلة عن البرودة فالحرارة من العقل والعقل عن الحياة ولذلك طبع الحياة في الأجسام العنصرية الحرارة والبرودة من النفس والنفس من العم ولهذا يوصف العلم إذا استقر ببرد اليقين وبالثلج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حين وجد برد الأنامل بين ثدييه فعلم علم الأولين والآخرين ولما انفعلت اليبوسة والرطوبة عن الحرارة والبرودة طلبت الإرادة اليبوسة لأنها في مرتبتها وطلبت القدرة الرطوبة لأنها في مرتبتها ولما كانت القدرة مالها تعلق إلا بإيجاد خاصة كان الأحق بها طبع الحياة وهي الحرارة والرطوبة في الأجسام وظهرت الصور والأشكال في الهباء والجسم الكل فظهرت السماء والأرض مرتوقة غير متميزة ثم إن الله تعالى توجه إلى فتق هذا الرتق ليميز أعيانها وكان الأصل الماء في وجودها ولهذا قال وجعلنا من الماء كل شيء حي ولحياته وصف بالتسبيح فنظم أولا هذه الطبائع الأربع نظما مخصوصا فضم الحرارة إلى اليبوسة فكانت النار البسيطة المعقولة فظهر حكمها في جسم العرش الذي هو الفلك الأقصى والجسم الكل في ثلاثة أماكن منها المكان الواحد سماه حملا والمكان الثاني وهو الخامس من الأمكنة المقدرة فيه سماه أسدا والمكان الثالث وهو التاسع من الأمكنة المقدرة فيه سماه قوسا ثم ضم البرودة إلى اليبوسة وأظهر سلطانهما في ثلاثة أمكنة من هذا الفلك وهو التراب البسيط المعقول فسمى المكان الواحد ثورا والآخر سنبلة والثالث جديا ثم ضم الحرارة إلى الرطوبة فكان الهواء البسيط وأظهر حكمه في ثلاثة أمكنة من هذا الفلك الأقصى سمى المكان الواحد الجوزاء والآخر الميزان والثالث الدالي ثم ضم البرودة إلى الرطوبة فكان الماء البسيط وأظهر حكمه في ثلاثة مكنة من الفلك الأقصى سمى المكان الواحد السرطان وسمى الاخر بالعقرب وسمي الثالث بالحوت فهذا تقسيم فلك البروج على اثني عشر قسما مفروضة تعينها الكواكب الثمانية والعشرون وذلك بتقدير العزيز العليم ما أحكم صنعتها وتربيتها وأدارها فظهر الوجود مرثوقا فاراد الحق فتقه ففصل بين السماء والأرض كما قال تعالى كانتا رتقا ففتقناهما أي ميز بعضها عن بعض فأخذت السماء علوا دخانا فحدث فيما بين

السماء والأرض ركنان من المركبات الركن الواحد الماء المركب ممايلي الأرض لنه بارد رطب فلم يكن له قوة الصعود فبقي على الأرض تمسكه بما فيها من اليبوسة عليها والآخر النار وهي أكرة الأثير ممايلي السماء لأنه حار يابس فلم يكن له طبع النزول إلى الأرض فبقي مما يلي السماء من أجل حرارته واليبوسة تمسكه هناك وحدث ما بين النار والماء ركن الهواء من حرارة النار ورطوبة الماء فلا يستطيع أن يلحق بالنار فإن ثقل الرطوبة يمنعه أن يكون بحيث النار وإن طلبت الرطوبة تنزله إلى أن يكون بحيث الماء تمنعه الحرارة من النزول فلما تمانعا لم يبق إلا أن يكون بين الماء والنار لأنهما يتجاذبانه على السواء فذلك المسمى هواء فقد بان لك مراتب العناصر وما هيتها ومن أين ظهرت وأصل الطبيعة ولما دارت الأفلاك ومخضت الأركان بما حملته مما ألقت فيها في هذا النكاح المعنوي وظهرت المولدات من كل ركن بحسب ما يقتضيه حقيقة ذلك الركن فظهرت أمم العالم وظهرت الحركة المنكوسة والحركة الأفقية فلما انتهى الحكم لي السنبلة ظهرت النشأة الإنسانية بتقدير العزيز العليم فأنشأ الله عز وجل الإنسان من حيث جسمه خلقا سويا وأعطاه الحركة المستقيمة وجعل الله لها من الولاية في العالم العنصري سبعة آلاف سنة وينتقل الحكم إلى الميزان وهو زمان نالقيامة وفيه يضع الله الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ولما لم يكن الحكم له بما أودع الله فيه من العدل في الدنيا شرع الموازين فلم يعمل بها إلا القليل من الناس وهم النبيون خاصة ومن كان محفوظا من الأولياء ولما كانت القيامة محل سلطان الميزان لم تظلم نفس شيئا قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من

خردل يعني من العمل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولما كان للعذراء السبعة من الأعداد كانت لها السبعة والسبعون والسبعمائة من الأعداد في تضاعف الأجو وضرب الأمثال في الصدقات فقال تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء إلى سبعة آلاف إلى سبعين ألفا إلى سبعمائة ألف إلى ما لا نهاية له ولكن من حساب السبعة وإنما كانت الفروض المقدّرة في الفلك الأطلس اثني عشر وهو الثاني عشر وليس وراءه مرتبة أخرى ويكون التركيب فيها بالتضعيف إلى ما لا نهاية له بهذه الأسماء خاصة ويدخل الناس الجنة والنار وذلك في أول الحادية إحدى عشرة درجة من الجوزاء وتستقرّ كل طائفة في دارها ولا يبقى في الدار من يخرج بشفاعة ولا بعناية إلهية ويذبح الموت بين الجنة والنار ويرجع الحكم في أهل الجنة بحسب ما يعطيه الأمر الإلهيّ الذي أودعه الله تعالى في حركات الفلك الأقصى وفي الكواكب الثابتة وفي سباحة الدراريّ السبعة المطمموسة الأنوار فهي كواكب لكنها ليست بثواقب فالحكم في النار خلاف الحكم في الجنة فيقرب حكم النار من حكم الدنيا فليس بعذاب خالص ولا بنعيم خالص ولهذا قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيا فلم يخلصه إلى أحد الوجهين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم أمّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وقد قدّمنا في الباب الذي قبل هذا صورة النعيم والعذاب وسبب ذلك أنه بقي ما أودع الله عليهم في الأفلاك وحركات الكواكب من المر الإلهيّ وتغير منه على قدر ما تغير من صور الأفلاك بالتبديل ومن الكواكب بالطمس والإنتثار فاختلف حكمها بزيادة ونقص لأن التغيير وقع في الصور لا في الذوات واعلم أن الله تعالى لما تسمى بالملك رتب العالم ترتيب المملكة فجعل له خواص من عباده وهم الملائكة المهمة جلساء الكرويين واحدا أعطاه علمه في خلقه وه علم مفصل في إجمال فعلمه سبحانه كان فيه مجلى له وسمي ذلك الملكنونا فلا يزال معتكفا في حضرة علمه عز وجل وهو رأس الديوان الإلهي والحق من كونه عليما لا يحتجب عنه ثم عين من ملائكته ملكا آخر دونه في المرتبة سماه القلم وجعل منزلته دون النون واتخذه كاتبا فيعلمه الله سبحانه من علمه ما شاءه في خلقه بوساطة النون ولكن من العم الإجمالي ومما يحوي عليه العلم الإجماليّ علم التفصيل وهو من بعض علوم افجمال لأن العلوم لها مراتب من جملتها علم التفصيل فما عند القلم الإلهيّ من مراتب العلوم المجملة إلا علم التفصيل مطلقا وبعض

العلوم المفضلة لا غير واتخذ هذا الملك كاتب ديوانه وتجلى له من اسمه القادر فأمده من هذا التجلي الإلهي وجعل نظرة إلى جهة عالم التدوين والتسطير فخلق له لوحا وأمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصة وأنزله منه منزلة التلميذ من الأستاذ فتوجهت عليه هنا الإرادة الإلهية فخصصت له هذا القدر من العلوم المفصلة وله تجليان من الحق بلا واسطة وليس للنون سوى تجل واحد في مقام أشرف فإنه لا يدل تعدد التجليات ولا كثرتها على الأشرفية وإنما الأشرف من له المقام الأعم فأمر الله النون أن يمد القلم بثلاثمائة وستين علما من علوم الإجمال تحت كل علم تفاصيل ولكن معينة منحصرة لم يعطه غيرها يتضمن كل علم إجمالي من تلك العلوم ثلاثمائة وستين علما من علوم التفصيل فإذا ضربت ثلاثمائة وستين في مثلها فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصة ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من هذا لا يزيد ولا ينقص ولهذه الحقيقة الإلهية جعل الله الفلك الأقصى ثلاثمائة وستين درجة وكل درجة مجملة لما تحوي عليه من تفصيل الدقائق والثواني والثوالث إلى ما شاء الله سبحانه مما يظهره في خلقه إلى يوم القيامة وسمي هذا القلم الكاتب ثم إن الله سبحانه وتعالى أمر أن يولى على عالم الخلق اثني عشر واليا يكون مقرّهم في الفلك الأقصى منافي بروج فقسم الفلك الأقصى اثني عشر قسما جعل كل قسم منها برجا لسكنى هؤلاء الولاة مثل أبراج سور المدينة فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها كل وال على تخت نفي برجه ورفع الله

الحجاب الذي بينهم وبين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطرا أسماءهم ومراتبهم وما شاء الحق أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة فارتقم ذلك كله في نفوسهم وعلموه علما محفوظا لا يتبدّل ولا يتغير ثم جعل الله لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان أوامرهم إلى نوّابهم وجعل بين كل حاجبين سفيرا يمشي بينهما بما يلقى إليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم الله حجبا بالهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها وأنزلهم إليها وهي الثمانية والعشرون منزلة التي تسمى المنازل التي ذكرها الله في كتابه فقال والقمر قدّرناه منازل يعني في سيره ينزل كل ليلة منزلة منها إلى أن ينتهي إلى آخرها ثم يدور دورة أخرى لتعلموا بسيره وسير الشمس فيها والخنس عدد السنين والحساب وكل شيء فصله الحق لنا تفصيلا فأسكن في هذه المنازل هذه الملائكة وهم حجاب أولئك الولاة الذين في الفلك الأقصى ثم إن الله تعالى أمر هؤلاء الولاة أن يجعلوا نوّابا لهم ونقباء في السموات السبع في كل سماء نقيبا كالحاجب لهم ينظر في مصالح العالم العنصريّ بما يلقون إليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم به وهو قوله وأوحى في كل سماء أمرها فجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء أجساما نيرة مستديرة ونفخ فيها أرواحها وأنزلها في السموات السبع في كل سماء واحد منهم وقال لهم قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الإثني عشر واليا بوساطة الحجاب الذين هم ثمانية وعشرون كما يأخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء السبعة النقباء فلكا يسبح فيه هوله كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم أفلاك يسبحون فيها إذ كان لهم التصرّف في حوادث العالم والإستشراف عليه ولهم سدنة وأعوان يزيدون على الألف وأعطاهم الله مراكب سماها أفلاكا فهم أيضا يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كل يوم مرة فلا يفوتهم من المملكة شيء أصلا من ملك السموات والأرض فيدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم في خدمة هؤلاء الولاه والكل مسخرون في حقنا إذ كنا المقصود من العالم قال تعالى وسخر لكم ما في السموات ما في الأرض جميعا منه وأنزل الله في التوراة يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي وهكذا ينبغي أن يكون الملك يستشرف كل يوم على أحوال أهل ملكه يقول تعالى كل يوم هو في شأن لأنه يسأله من في السموات والأرض بلسان حال ولسان مقال ولا يؤوده حفظ العالم وهو العليّ العظيم فماله شغل إلا بها يقول تعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض يدبر الأمر يفصل الآيات وللولا وجود الملك ما سمى الملك ملكا فحفظه لملكه حفظه لبقاء اسم الملك عليه وإن كان كما قال والله

غنيّ عن العالمين فما جاء باسم الملك فإن أسماء الإضافة لا تكون إلا بالمضاف فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي بالعدل فيهم ولا يعاملهم بالإحسان الذي يليق بهم فقد عزل نفسه في نفس الأمر ويقول الفقهاء إن الحاكم إذا فسق أو جار فقد انعزل شرعا ولكن عندنا انعزل شرعا فيما فسق فيه خاصة لأنه ما حكم بما شرع له أن يحكم به فقد أثبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاة مع جورهم فقال عليه السلام فينا وفيهم فإن عدلوا فلكم و لم وإن جاروا فلكم وعليهم نهى أن نخرج يدا من طاعة وما خص بذلك واليا من وال فلذلك زدنا في عزله شرعا إنما ذلك فيما فسق فيه فالملك مأمور أن يحفظ نفسه من الخروج مما حدّله من الأحكام في رعاياه وفي نفسه فإنه وال على نفسه "كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته" فالإنسان راع على نفسه فما زاد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "إنّ لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً" الحديث فمن لم في لمن بايعه بما بايعه عليه فقد عزل نفسه وليس بملك وإن كان حاكماً فما كل حاكم يكون سلطاناً فإن السلطان من تكون له الحجة لا عليه ولهذا جعل الله الأفلاك تدور علينا كل يوم دورة لتنظر الولاة ما تدعو حاجة الخلق إليهم فيسدّون الخلل وينفذون أحكام الله تعالى من كونه مريداً في خلقه لا من كونه آمراً فينفذون أحكامه التي أمرهم سبحانه أن ينفذوها فيهم وهو القضاء والقدر في أزمان مختلفة فكل شيء بقضاء وقدر

حتى العجز والكيس وكل صغير وكبير مستطر في اللوح المحفوظ فما فيه إلا ما يقع ولا ينفذ هؤلاء الولاة في العالم إلا ما فيه والله على كل شيء رقيب ومع هذا كله فإنّ الله له مع كل واحد من المملكة أمر خاص في نفسه يعلمه الولاة والحجاب والنقباء فهم لا يفقدون مشاهدة ذلك الوجه ذلك ليعلموا أن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأنه رقيب على كل نفس بما كسبت وأنه بكل شيء محيط ولما جعل الله زمان هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة وأقعد منهم في برجه ومسكنه الذي فيه تحت ملكه وأنزل من أنزل من الحجاب والنقباء إلى منازلهم في سمواتهم وجعل في كل سماء ملائكة مسخرة تحت أيدي هؤلاء الولاة وجعل تسخيرهم على طبقات فمنهم أهل العروج بالليل والنهار من الحق إلينا ومنا إلى الحق في كل صباح ومساء وما يقولون إلا خيراً في حقنا ومنهم المستغفرون لمن في الأرض ومنهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الإلهية عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الأرض ومنهم الموكلون بإيصال الشرائع ومنهم أيضاً الموكلون باللمات ومنهم الموكلون بالإلهام وهم الموصلون العلوم إلى القلوب ومنهم الموكلون بالأرحام ومنهم الموكلون بتصوير ما يكوّن الله في الأرحام ومنهم الموكلون بنفخ الأرواح ومنهم الموكلون بالأرزاق ومنهم الموكلون بالأمطار ولذلك قالوا وما منا إلا له مقام معلوم وما من حادث يحدث الله في العالم إلا وقد وكل الله بإجرائه ملائكة ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة كما منهم أيضاً الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات ومع هذا فما يزالون تحت سلطان هؤلاء الولاة إلا الأرواح المهيمة فهم خصائص الله ومن دونهم فإنهم ينفذون أوامر الله في خلقه ثم إن العامة ما تشاهد إلا منازلهم والخاصة يشهدونهم في منازلهم كما أيضاً تشاهد العامة أجرام الكواكب ولا تشاهد أعيان الحجاب ولا النقباء وجعل الله في العالم العنصريّ خلقاً من جنسهم فمنهم الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة أمور العالم وجعل الله بين أرواح هؤلاء الذين جعلهم الله ولاة في الأرض من أهلها بينهم وبين هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات ورقائق تمتدّ إليهم من هؤلاء الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين منهم بحسب استعداداتهم فمن كان استعداده قوياً حسناً قبل ذلك الأمر على صورته طارهاً مطهراً فكان والي عدل وإمام فضل ومن كان استعداده رديئاً قبل ذلك الأمر الظاهر وردّه إلى شكله من الرداءة والقبح فكان وإلى جور ونائب ظلم وبخل فلا يلومن إلا نفسه فقد أبنت لك سلطنة العالم العلويّ على العالم السفليّ وكيف رتب الله ملكه هذا الترتيب العجيب وما ذكرنامن ذلك إلا الأمهات لا غير يقول الله تعالى وأوحى في كل سماء أمرها وقال يتنزل الأمر بينهنّ ويكفي هذا القدر من هذا الباب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وفي كتاب التنزلات الموصلية ذكرنا حديث هؤلاء الولاة والنوّاب والحجاب وما ولاهم الله عليه من التأثير في العالم العنصريّ الروحانيّ من ذلك ما تعرضنا لما تعطيه من الطبيعة والأمور البدنية وتكلمنا فيها على كل ما ذكرناه مفصلاً في باب يوم الأحد وهو باب الإمام وبينا ما بيد كل نائب من السبعة النقباء في باب يوم الأحد وسائر الأيام إلى يوم السبت وبينا مقامات أرواح الأنبياء عليهم السلام في ذلك وجعلنا هذه الألقاب الروحانية الأرواح الأنبياء عليهم السلام وبينا مراتبهم في الرؤية والحجاب يوم القيامة وما يتكلمون به في اتباعهم من أهل السعادة والشقاء وذلك منه في باب يوم الاثنين بلسان آدم وترجمة القمر وجاء بديعاً في شأنه والله المؤيد والموفق لا رب غيره.

الباب الحادي والستون في معرفة جهنم وأعظم المخلوقات فيها عذاباً ومعرفة بعض العالم العلوي

إن السماء تعود رتقاً مثل ما | كانت وأنجمها يزول ضياؤها
هذا لينصفك المقيم بأرضها | وعليه قام عمادها وبناؤها
فأشدّ خلق الله آلاماً بها | من كان منها خلقه فسماؤها
تكسوه حلة ناره من نورها | فلذاك يعظم في النفوس بلاؤها

اعلم عصمنا الله وإياك إن جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطلة والمشركون وهي لهاتين الطائفتين دار مقامة والكافرون والمنافقون وأهل الكبائر من المؤمنين قال تعالى "وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا" ثم يخرج بالشفاعة ممن ذكرنا وبالامتنان الإلهيّ من جاء النص الإلهي فيه وسميت جهنم جهم لبعد قعرها يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر وهي تحوي على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته والحرور على أقصى درجاته وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين واختلف الناس في خلقها هل خلقت بعد أم لم تخلق والخلاف مشهور فيها وكل واحد من الطائفتين يحتج فيما ذهب إليه بما يراه حجة عنده وكذلك اختلفوا في الجنة وأما عندنا وعند أصحابنا أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين فأما قولنا مخلوقة فكرجل أراد أن يبني داراً فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال قد بنى داراً فإذا دخلها لم ير إلا سوراً دائراً على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشيء بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت وغرف وسراديب ومهالك ومخازن وما ينبغي أن يكون فيها مما يريده الساكن أن يجعل فيها من الآلات التي تستعمل في عذاب الداخل فيها وهي دار حرورها هواء محترق لا جمر لها سوى بني آدم والأحجار المتخذة آلهة والجنّ لهبها قال تعالى "وقودها الناس والحجارة" وقال "إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم" وقال تعالى "فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجنّ والإنس الذين يدخلونها وأوجدها الله بطالع النور ولذلك كان خلقها في الصورة صورة الجاموس سواء هذا الذي يعوّل عليه عندنا وبهذه الصورة رآها أبو الحكم بن برجان في كشفه وقد تمثل لبعض الناس من أهل الكشف في صورة حية فيتخيل أن تلك الصورة هي التي خلقها الله عليها كأبي القاسم بن قسي وأمثاله ولما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور وكانت الشمس والأحمر في القوس وكان سائر الدراري في الجدي وخلقها الله تعالى من تجلي قوله في حديث مسلم "جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني" وهذا أعظم نزول نزله الحق إلى عباده في اللطف بهم فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم أعاذنا الله وإياكم منها فلذلك تجبرت على الجبابرة وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهيّ ولا يكون ذلك لا عند دخول الخلق فيها من الجنّ والأنس متى دخلوها وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله منغمسون ملتذون يسبحون لا يفترون يقول تعالى "ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى" أي يترل بكم غضبي فأضاف الغضب إليه وإذا نزل بهم كانوا محلاله وجهنم إنما هي مكان لهم وهم النازلون فيها وهم محل الغضب وهو النازل بهم فإن الغضب هنا هو عين الألم فمن لا معرفة له ممن يدعى طريقتنا ويريد أن يأخذ الأمر بالتمثيل والقوّة والمناسبة في الصفات فيقول إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهيّ وإن الاسم القاهر هو ربها والمتجلي لها ولو كان الأمر كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عما وجدت له من التسلط على الجبابرة و لم يتمكن لها أن تقول هل من مزيد ولا أن تقول أكل بعضي بعضا فترول

الحق برحمته إليها التي وسعت كل شيء وحنانه وسع لها المجال في الدعوى والتسلط على من تجبر على من أحسن إليها هذا الإحسان وجميع ما تفعله بالكفار من باب شكر المنعم حيث أنعم عليها فما تعرف منه سبحانه إلا لنعمه المطلقة التي لا يشوبها ما يقابلها فالناس عالطون في شأن خلقها ومن أعجب ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أتعرفون ما هذه الهدة قالوا الله ورسوله أعلم قال حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها" فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ من كلامه صلى الله عليه وسلم إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فعلم علماء الصحابة أن هذا الحجر هو ذاك المنافق وأنه منذ خلقه الله يهوي في

نار جهنم وبلغ عمره سبعين سنة فلمات مات حصل في قعرها قال تعالى "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار" فكان سماعهم تلك الهدة التي أسمعهم الله ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوّة وما ألطف تعريفه وما أحسن إشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه وسلم ولقد سألت الله أن يمثل لي من شأنها ما شاء فمثل لي حالة خصامهم فيها وهو قوله تعالى "إن ذلك لحق تخاصم أهل النار" وقوله تعالى "قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين" لضلاّلهم وآلهتهم إذ نسوّينكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون وهم أهل النار الذين هم أهلها الذين يقول الله فيهم "وامتازوا اليوم أيها المجرمون" يريد بالمجرمين أهل النار الذين يعمرونها ولا يخرجون منها يمتازون عن الذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين وسابق العناية الإلهية في الموحدين فهذا مثل لي في وقت منها فما شبهت خصامهم فيها إلا كخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم إذا استدل أحدهم فإذا رأيت ذلك تذكرت الحالة التي أطلعني الله عليها ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النوّة والوقوف عند الكتاب والسنة ولقد نهى الناس عن قوله صلى الله عليه وسلم عند نبيّ لا ينبغي تنازع وحضور حديثه صلى الله عليه وسلم كحضوره لا ينبغي أن يكون عبداً يراده تنازع ولا يرفع السامع صوته عند سرد الحديث النبويّ فإن الله يقول "لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ" ولا فرق عند أهل الله بين صوت النبي أو حكاية قوله فمالنا إلا التهيء لقبول ما يرد به المحدث من كلام النبوّة من غير جدال سواء كان ذلك الحديث جواباً عن سؤال أو ابتداء كلام فالوقوف عند كلامه في المسئلة أو في النازلة واجب فني ما قيل قال الله أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ينبغي أن يقبل ويتأدّب السامع ولا يرفع صوته على صوت المحدّث" إذا قال ما قال الله أو سرد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وما تلاه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سمعه السامع إلا منه ثم إذا شاركه السامع في حال كلامه فهو ليس بسامع فإنه من الآداب التي أدّب الله نبيه صلى الله عليه وسلم قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه والله يقول لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وتوعد على ذلك بحبط العمل من حيث لا يشعر الإنسان فإنه يتخيل في ردّه وخصامه أنه يذب عن دين الله وهذا من مكر الله الذي قال فيه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال "ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون" فالعاقل المؤمن الناصح نفسه إذا سمع من يقول قال الله تعالى أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينص ويصغ ويتأدّب ويتفهم ما قال الله أو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله "وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون فأوقع الترجي مع هذه الصفة وما قطع بالرحمة فكيف حال من خاصم ورفع صوته وداخل التالي وسارد الحديث النبويّ في الكلام وارجو أن يكون الترجي أجب الإشياء في عمارة إلا حياز وإن جوهرين لا يكونان في حيز واحد وإن الحيز لن شغله وفي هذه الرؤية علمت أبطال التوالد وإن المحرك للأشياء هو الله تعالى وإن السبب لا أثر له في

الفعل جملة واحدة وفي هذه الرؤية علمت إن الألطف أقوى من الأكثف فإنّ لهواء ألطف من الماء بلا شك وقد منعه و لم يقاومه الماء في القوّة ومنعه من الترول فإني رأت نفسي في الهواء والماء فوقي ويمنعه لهواء من الترول إلى الأرض وفي هذه الرؤية علمت علوماً جمة كثيرة وفي هذه الرؤية رأيت من دركات أهل النار من كونها جهنم لا من كونها ناراً ما شاء الله أن يطلعني منها ورأيت فيها موضعاً يسمى المظلمة نزلت في درجه نحو خمسة أدراج ورأيت مهالكها ثم زج بي في الماء علواً فاخترقته وقد رأيت عجباً وعلمت في أحوال مخاصمتهم حيث يختصمون في الجحيم وإن ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال وإن عذابهم في جهنم ما هو من جهنم وإنما جهنم دار سكناهم وسجنهم والله يخلق الآلام فيهم متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له وخلق الله لجهنم سبعة أبواب لكل باب جزء من العالم ومن العذاب مقسوم وهذه الأبواب السبعة مفتحة وفيها باب ثامن مغلق لا يفتح وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى وعلى كل باب ملك من الملائكة ملائكة السموات السبع عرفت

أسماءهم هنالك وذهبت عن حفظي إلا إسماعيل فهو بقي على ذكري وأمّا الكواكب كلها فهي في جهنم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائماً فشمسها شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار من الكائنات وما تغير فيها من الصور في التبديل والانتشار ولهذا قال تعالى النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا والحالة مستمرة ففي البرزخ يكون العرض وفي الدار الآخرة يكون الدخول فذوات الكواكب فيها صورها صورة الكسوف عندنا سواء غير أن وزن تلك الحركات في تلك الدار خلاف ميزانها اليوم فإن كسوفها ما ينجلي وهو كسوف في ذاتها لا في أعيننا والهواء فيها فيه تطفيف فيحول بين الأبصار وبين إدراك الأنوار كلها فتبصر الأعين الكواكب المنتثرة غير نيرة الأجرام كما يعلم قطعاً إن الشمس هنا في ذاتها نيرة وإن الحجاب القمري هو الذي منع البصر أن يدركها أو يدرك نور القمر أو ما كان مكسوفاً ولهذا في زمان كسوف شيء منها في موضع يكون في موضع آخر أكثر من ذلك وفي موضع آخر لا يكون منه شيء فلما اختلفت الأبصار في إدراك ذلك لاختلاف الأماكن علمنا قطعاً أن ثم أمراً عارضاً عرض في الطريق حال بين البصر وبينها أو بين نورها كالقمر يحول بينك وبين إدراك جرم الشمس وظل الأرض يحول بينك وبين نور القمر لا بينك وبين جرمه مثل ما حال القمر بينك وبين جرم الشمس وذلك بحسب ما يكون منك ويكون منه وهكذا سائر الكواكب ولكن أكثر الناس لا يعلمون كما أن أكثر الناس لا يؤمنون فإن ذلك الكسوف كله على اختلاف أنواعه خشوع من المكسوف عن تجل إلهيّ حصل له وحدّ جهنم بعد الفراغ من الحساب ودخول أهل الجنة الجنة من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين فهذا كله يزيد في جهنم مما هو الآن ليس مخلوقاً فيها ولكن ذلك معدّ حتى يظهر الأماكن التي قد عينها الله من الأرض فإنها ترجع إلى الجنة يوم القيامة مثل الروضة التي بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبره صلى الله عليه وسلم وكل مكان عينه الشارع وكل نهر فإن ذلك كله يصير إلى الجنة وما بقي فيعود ناراً كله وهو من جهنم ولهذا كان يقول عبد الله بن عمر إذا رأى البحر يقول يا بحر متى تعود ناراً وقال تعالى "وإذا البحار سجرت" أي أججت ناراً من سجرت التنور إذا أوقدته وكان ابن عمر يكره الوضوء بماء البحر ويقول التيمم أعجب إليّ منه ولو كشف الله عن أبصار الخلق اليوم لرأوه يتأجج ناراً ولكن الله يظهر ما يشاء ويخفي ما يشاء ليعلم إن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علما وأكثر ما يجري هذا لأهل الورع فيرى الطعام الحرام صاحب الورع المحفوظ خترياً أو عذرة والشراب خمراً لا يشك فيما يراه ويراه جليسه قرصة خبز طيبة ويرى الشراب ماء عذباً فيا ليت شعري من هو صاحب الحس الصحيح من صاحب الخيال هل الذي أدرك الحكم الشرعيّ صورة أو هل الذي أدرك المحسوس في العادة على حاله وهذا مما يقوي

مذهب المعتزلة في أن القبيح قبيح لنفسه والحسن حسن لنفسه وإن الإدراك الصحيح إنما هو لمن أدرك الشراب الحرام خمراً فلولا أنه قبيح لنفسه ما صح هذا الكشف لصاحبه ولو كان فعله عين تعلق الخطاب بالحرمة والقبح ما ظهر ذلك الطعام خنزيراً فإن الفعل ما وقع من المتكلف فإن الله أظهر له صورته وأنه قبيح حتى لا يقدم على أكله وهذا بعينه يتصوّر فيمن يدركه طعاماً على حاله في العادة ولكن هذا أحق في الشرع فعلم قطعاً أن الذي يراه طعاماً على عادته قد حيل بينه وبين حقيقة حكم الشرع فيه بالقبح ولو كان الشيء قبيحاً بالقبح الوضعيّ لم يصدق قول الشارع في الأخبار عنه أنه قبيح أو حسن فإنه خبر بالشيء على خلاف ما هو عليه فإن الأحكام أخبار بلا شك عند كل عاقل عارف بالكلام فإن الله أخبرنا أن هذا حرام وهذا حلال ولذا قال تعالى في ذم من قال عن الله ما لم يقل "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب" فإنه ألحق الحكم بالخبر لأنه خبر بلا شك إلا أنه ليس في قوّة البشر في أكثر الأشياء إدراك قبح الأشياء ولا حسنها فإذا عرّفنا الحق بها عرفناها ومنها ما يدرك قبحه عقلاً في عرفنا مثل كالكذب وكفر المنعم وحسنه عقلاً مثل الصدق وشكر المنعم وكون الإثم يتعلق ببعض أنواع الصدق والأجر يتعلق ببعض أنواع الكذب فذلك لله

يعطي الأجر على ما شاءه من قبح وحسن ولا يدل ذلك على حسن الشيء ولا قبحه كالكذب في نجاة مؤمن من هلاك يؤجر عليه الإنسان وإن كان الكذب قبيحاً في ذاته والصدق كالغيبة يأثم بها الإنسان وإن كان الصدق حسناً في ذاته فذاك أمر شرعيّ يعطي فضله من شاء ويمنعه من شاء كما قال يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم واعلم أن أشد الخلق عذاباً في النار إبليس الذي سنّ الشرك وكل مخالفة وسبب ذلك أنه مخلوق من النار فعذابه بما خلق منه ألا ترى النفس به تكون حياة الجسم الحساس فإذا منع بالشنق أو الخنق خروج ذلك النفس انعكس راجعاً إلى القلب فأحرقه من ساعته فهلك لحينه فبالنفس كانت حياته وبه كان هلاكه وهلاكه على الحقيقة بالنفس من كونه متنفساً لا من كونه ذا نفس ولا من كونه متنفساً فقط بل من كونه يجذب بالقوّة الجاذبة نفس الهواء البارد إلى قلبه ويخرج بالقوّة الدافعة النفس الحار المحرق أمن قلبه فسبب هذه الأحوال بها تكون حياته فإن الذي يرمي في النار هو متنفس ولكن لا يخلو من أحد الوجهين إمّا أنه لا يتنفس في النار فتكون حالته حالة المشنوق الذي يخنق بالحبل فيقتله نفسه وأمّا أن يتنفس فيجذب بالقوّة الجاذبة هواء نارياً محرقاً إذا وصل إلى قلبه أحرقه فلهذا قلنا في سبب الحياة هذه الأمور كلها فعذاب إبليس في جهنم بما فيها من الزمهرير فإنه يقابل النار الذي هو أصل نشأة إبليس فيكون عذابه بالزمهرير وبما هو الغالب عليه في أصل خلقه والنار ناران حسية وهي المسلطة على إحساسه وحيوانيته وظاهر جسمه وباطنه ونار معنوية وهي التي تطلع على الأفئدة وبها يتعذب روحه المدير لهيكله الذي أمر فعصى فمخالفته عذبته وهي عين جهله بمن استكبر عليه فلا عذاب على الأرواح أشدّ من الجهل فإنه غبن كله ولهذا سمي يوم التغابن يريد يوم عذاب النفوس فيقول يا ولتا على ما فرّطت وهو يوم الحسرة يقول يوم الكشف من حسرت عن الشيء إذا كشفت عنه فكأنه يقول يا ليتني حسرت عن هذا الأمر في الدنيا فأكون على بصيرة من أمري فيغتبن في نفسه والتغابن يدرك في ذلك اليوم الكل الطائع والعاصي فالطائع يقول يا ليتني بذلت جهدي ووفيت حق استطاعتي وتدبرت كلام ربي فعملت بمقتضاه مع كونه سعيداً والمخالف يقول يا ليتني لم أخالف ربي فيما أمرني به ونهاني فذلك يوم التغابن وسيأتي هذا في باب يوم القيامة إن شاء الله ولما أعلمناك بمرتبة النفس والتنفس إنما جئنا به لتعلم أن جهنم لما اختص بآلام أهلها صفة الغضب الإلهيّ واختص بوجودها التترل الرحمانيّ الإلهيّ وجاء في الخبر الصحيح نفس الرحمن مشعراً بصفة الغضب فكان التنفس ملحقاً صفة الغضب بمن حل به ولهذا لما أتى نفس الرحمن من قبل اليمن حل الغضب الإلهيّ بالكفار بالقتل والسيف الذي

أوقعت بهم الأنصار فنفس الله بذلك عن دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم فإن ذا الغضب إذا وجد على من يرسل غضبه ينفس عنه ما يجده من ألم الغضب وأكمل الصورة في محمد صلى الله عليه وسلم فقام به على الكفار لأجل ردّهم كلمة الله صفة الغضب فنفس الرحمن عنه بما أمره به من السيف ونفس عنه بأصحابه وأنصاره فوجد الراحة فإنه وجد حيث يرسل غضبه فأفهم من هذا آلام أهل النار والصورة الحجابية المحمدية على الغضب الإلهيّ على أعداء الله وإن الآلام أرسلت على الأعداء فقامت بهم ونفس الله عن دينه وهو أمره وكلامه وهو عين علمه في خلقه وعلمه ذاته جل وتعالى وقد بينا لك أمر جهنم من حيث ما هي دار فلنبين إن شاء الله في الباب الذي يلي هذا الباب مراتب أهل النار ثم اعلم أن الله قد جعل فيها مائة درك في مقابلة درج الجنة ولكل درك قوم مخصوصون لهم من الغضب الإلهي الحال بهم آلام مخصوصة وإن المتولي عذابهم من الولاة الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا من هذا الكتاب القائم والإقليد والحامد والنائب والسادن والجابر فهؤلاء الأملاك من الولاة هم الذين يرسلون عليهم العذاب بإذن الله تعالى ومالك هو الخازن وأمّا بقية الولاة مع هؤلاء الذين ذكرناهم وهم الحائر والسائق والماتح والعادل والدائم والحافظ فإن جميعهم يكونون مع أهل الجنان وخازن الجنان رضوان وأمدادهم إلى أهل الدارين منهم بحسب ما تعطيهم نشأتهم فيقع العذاب بما به يقع النعيم من أجل المحل كما قلنا في المبرود أنه يتنعم بحرّ الشمس والمحرور يتعذب بحر الشمس فنفس ما وقع به

النعيم به عينه وقع به الألم عند الآخر فالله ينشئنا نشأة النعماء كما قال تعالى في حق الأبرار تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي هم في خلقهم على هذه الصفة ونشأة أهل النار تخالف نشأة أهل الجنان فإن نشأة الجنة إنما هو من الحق سبحانه على أيدي الولاة خاصة ونشأة أهل النار على أيدي الولاة والحجاب والنقباء والسدية على كثرتهم فإنه لا يحصي عددهم إلا الله ولكل ملك منهم في هذه النشأة الدنياوية ونشأة النار ونشأة أهلها حكم سخره الله في ذلك فهم كالفعلة في المملكة وإنشاء الدار المبنية وسيأتي إن شاء الله ذكر الجنة وما فيها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني والستون في مراتب أهل النار

مراتب النار بالأعمال تمتاز ... وليس فيها اختصاصات وانجاز
بوزن أفعال قد جاء العذاب له ... بشرى وإن عذبوا فيها بما حازوا
لا يخرجون من النار ولو خرجوا ... تعذبوا فلهم ذل وإعزاز
فذلهم كونهم في النار ما برحوا ... وعزهم ما لهم حد إذا جازوا
في قولنا إن تأملتم الذي نظر ... محقق في علوم الوهب إعجاز
فيه اختصار بديع لفظه حسن ... فيه لطائف آيات وإيجاز
قال الجليل لأهل الحق بينهمو ... يا أيها المجرمون اليوم فامتازوا
مثل الملوك تراهم في نعيمهم ... ولبسهم عند أهل الكشف أخزاز
ومن جسومهمو في النار تحسبهم ... كأنهم مثل ما قد قال إعجاز

قولنا بوزن أفعال أريد قوله تعالى لابثين فيها أحقابا وهو من أوزان جمع القلة فإن أوزان جمع القلة أربعة افعل مثل أكلب وأفعال مثل أحقاب وفعلة مثل فتية وأفعلة مثل أحمة وجمع ذلك بعض الأدباء في بيت من الشعر فقال:

بأفعل وبأفعال وأفعلة وفعلة يجمع الأدنى من العدد

يقول الله تعالى من كرمه لإبليس وعموم رحمته حين قال له أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ لأحتنكنّ ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن اتبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم فما جاء إبليس إلا بأمر الله تعالى فهو أمر إلهي يتضمن وعيداً وتمديداً وكان ابتلاء شديداً في حقنا ليريه تعالى أن في ذريته من ليس لإبليس عليه سلطان ولا قوّة ثم إنّ الذين خذلهم الله من العباد جعلهم طائفتين طائفة لا تضرّهم الذنوب التي وقعت منهم وهو قوله والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فلا تمسهم النار بما تاب الله عليهم واستغفار الملأ الأعلى لهم ودعائه لهذه الطائفة وطائفة أخرى أخذهم الله بذنوبهم والذين أخذهم الله بذنوبهم قسمهم بقسمين قسم أخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين وهم أهل الكبائر من المؤمنين وبالعناية الإلهية وهم أهل التوحيد بالنظر العقليّ وقسم آخر أبقاهم الله في النار وهذا القسم هم أهل النار الذين هم أهلها وهم المجرمون خاصة الذين يقول الله فيهم وامتازوا اليوم أيها المجرمون أي المستحقون بأن يكونوا أهلاً لسكنى هذه الدار التي هي جهنم يعمروها ممن يخرج منها إلى الدار الآخرة التي هي الجنة وهؤلاء المجرمون أربع طوائف كلها في النار لا يخرجون منها وهم المتكبرون على الله كفرعو ن وأمثاله ممن ادّعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله فقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري وقال أنا ربكم الأعلى يريد أنه في السماء إله غيري وكذلك نمرود وغيره والطائفة الثانية المشركون وهم الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب والطائفة الثالثة المعطلة وهم الذين نفوا الإله جملة واحدة فلم يثبتوا إلهاً للعالم ولا من العالم والطائفة الرابعة المنافقون وهم الذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف الثلاثة للقهر الذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهم في نفوسهم على ما هم عليه من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث فهؤلاء أربعة أصناف هم الذين هم أهل النار لا يخرجون منها من جن وأنس وإنما كانوا أربعة لأن الله تعالى ذكر عن إبليس أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن ايماننا وعن شمائلنا فيأتي للمشرك من بين يديه ويأتي للمعطل من خلفه ويأتي إلى المتكبر من عن يمينه ويأتي إلى المنافق من عن شماله وهو الجانب الأضعف فإنه أضعف الطوائف كما أن الشممال أضعف من اليمين وجعل المتكبر من اليمين لأنه محل القوّة فتكبر لقوّته التي أحسها من نفسه وجاء للمشرك من بين يديه فإنه رأى إذ كان بين يديه جهة عينية فأثبت وجود الله و لم يقدر على إنكاره فجعله إبليس يشرك مع الله في ألوهيته وجاء للمعطل من خلفه فإن الخلف ما هو محل النظر فقال له ما ثم شيء أي ما في الوجود إله ثم قال الله تعالى في جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فهذه أربع مراتب لهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم فإذا ضربت الأربعة التي هي المراتب التي دخل عليهم منها إبليس في السبعة الأبواب كان الخارج ثمانية وعشرين مترلاً وكذلك جعل الله المنازل التي قدّرها الله للإنسان المفرد وهو القمر وغيره من السيارة الخنس الكنس تسير فيها وتترلها لإيجاد الكائنات فيكون عند هذا السير ما يتكون من الأفعال في العا لم العنصريّ فإن هذه السيارة قد انحصرت في أربع طبائع مضروبة في ذواتها وهن سبعة فخرج منها منازلها الثمانية والعشرون ذلك

بتقدير العزيز العليم كما قال كل في فلكه يسبحون وكان مما ظهر عن هذا التسيير الإلهي في هذه الثمانية والعشرين وجود ثمانية وعشرين حرفاً ألف الله الكلمات منها وظهر الكفر في العالم والإيمان بأن تكلم كل شخص بما في نفسه من إيمان وكفر وكذب وصدق لتقوم الحجة لله على عباده ظاهراً بما تلفظوا به ووكل بهم ملائكة يكتبون ما تلفظوا به قال تعالى "كراماً كاتبين" وقال "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" فجعل منازل النار ثمانية وعشرين منزلاً وجهنم كلها مائة درك من أعلاها إلى أسفلها نظائر درج الجنة التي ينزل فيها السعداء وفي كل درك من هذه الدركات ثمانية وعشرون منزلا فإذا ضربت ثمانية وعشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفين وثمانمائة منزل فهي الثمانية والعشرون مائة فما برحت الثمانية والعشرون تصحبنا وهذه منازل النار فلكل طائفة من الأربع سبعمائة نوع من العذاب وهم أربع طوائف فالمجموع ثمان وعشرون مائة نوع من العذاب كما لأهل الجنة سواء من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فالمجموع سبعمائة وهم أربعة طوائف رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون فلكل متصدق من هؤلاء الأربعة سبعمائة ضعف من النعيم في عملهم فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي وموازنته في خلقه في الدارين الجنة والنار لإقامة العدل على السواء في باب جزاء النعيم وجزاء العذاب فبهذا القدر يقع الاشتراك بين أهل الجنة وأهل النار للتساوي في عدد الدرج والدرك ويقع الامتياز بأمر آخر وذلك أن النار امتازت عن الجنة بأنه ليس في النار دركات اختصاص إلهيّ ولا عذاب اختصاص إلهيّ من الله فإن الله ما عرّفنا قط أنه اختص بنقمته من يشاء كما أخبرنا أنه يختص برحمته من يشاء وبفضله فالجنة في نعيمها مخالف لميزان عذاب أهل النار فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير أعمالهم في جنات الاختصاص فلأهل السعادة ثلاث جنات جنة أعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث وذلك أنه ما من شخص من الجنّ والأنس إلا وله في الجنة موضع وفي النار موضع وذلك لإمكانه الأصليّ فإنه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم أو يوجد فمن هذه الحقيقة له قول النعيم وقبول العذاب فالجنة تطلب الجميع والجميع يطلبها والنار تطلب الجميع والجميع يطلبها فإن الله يقول ولو شاء لهداكم أجمعين أي أنتم قابلون لذلك ولكن حقت الكلمة وسبق العلم ونفذت المشيئة فلا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه فينزل أهل الجنة في الجنة على أعمالهم ولهم جنات الميراث وهي التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة ولهم جنات الاختصاص يقول الله تعالى "تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً فهذه الجنة التي حصلت لهم بطريق الورث من أهل النار الذين هم أهلها إذ لم يكن في علم الله أن يدخلوها ولم يقل في أهل النار أنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنة لو دخلوا النار وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه فما نزل من نزل في النار من أهلها إلا بأعمالهم ولهذا يبقى فيها أماكن خالية وهي الأماكن التي لو دخلها أهل الجنة عمروها فيخلق الله خلقاً يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي حسبي حسبي فإنه تعالى يقول لها "هل امتلأت فتقول هل من مزيد فإنه قال للجنة والنار لكل واحدة منكما مارها فما اشترط لهما إلا أن يملأهما خلقاً وما اشترط عذاب من يملأها بهم ولا نعيمهم وإن الجنة أوسع من النار بلا شك فإن عرضها السموات والأرض فما ظنك بطولها فهي للنار كمحيط الدائرة مما يحوي عليه وفي التنزلات الموصلية رسمناها وبيناها على ما هي عليه في نفسها في باب يوم الاثنين والنار عرضها قدر الخط البذي يميز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة فأين هذا الضيق من تل السعة وسبب هذا الاتساع جنات الاختصاص الإلهيّ فورد في الخبر أنه يبقى أيضاً في الجنة أماكن ما فيها أحد فيخلق الله خلقاً للنعيم يعمرها بهم وهو أن يضع الرحمن فيها قدمه وليس ذلك إلا في جنات الاختصاص فالحكم لله العليّ الكبير يختص من يشاء برحمته والله ذو الفضل العظيم فمن كرمه أنه تعالى ما أنزل أهل النار إلا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى

"زدناهم عذاباً فوق العذاب" فذلك لطائفة مخصوصة وهم الأئمة المضلون يقول تعالى "وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وهم الذين أضلوا العباد وأدخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا بها عن سواء السبيل فضلوا وأضلوا وقالوا لهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يقول الله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وإنهم لكاذبون في هذا القول بل هم حاملون خطاياهم والذين أضلوهم يحملون أيضاً خطاياهم وخطايا هؤلاء مع خطاياهم ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء يقول صلى الله عليه وسلم من سنّ سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً فهو قوله "ثم ازدادوا كفرا" فهرؤلاء قيل فيهم زدناهم عذاباً فوق العذاب فما أنزلوا من النار إلا منازل استحقاق بخلاف الجنة فإن أهل الجنة
أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفار في النار بأعمالهم وأنزلوا أيضاً منازل وراثة ومنازل اختصاص وليس ذلك في أهل النار ولا بدّ لأهل النار من فضل الله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدّة موازنة أزمان العمل فيفقدون الإحساس بالآلام في نفس النار لأنهم ليسو بخارجين من النار أبداً فلا يموتون فيها ولا يحيون فتتخدّر جوارحهم بإزالة الروح الحساس منها وثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب والعمل نعيماً خيالياً مثل ما يراه النائم وجلده كما قال تعالى "كلما نضجت جلودهم" هو كما قلنا خدرها فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلم لأنه إذا انقضى زمان الإنضاج خمدت النار في حقهم فيكونون في النار كالأمّة التي دخلتها وليست من أهلها فأماتهم الله فيها أمانة فلا يحسون بما تفعله النار في أبدانهم الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحه وهذا من فضل الله ورحمته وأما أبواب جهنم فقد ذكر الله من صفات أصحابها بعض ما ذكر ولكن من هؤلاء الأربع الطوائف الذين هم أهلها ومن خرج بالشفاعة أو العناية ممن دخلها فقد جاء ببعض ما وصف الله به من دخلها من الأسباب الموجبة لذلك وهي باب الجحيم وباب سقر وباب السعير وباب الحطمة وباب لظى وباب الحامية وباب الهاوية وسميت الأبواب بصفات ما وراءها مما أعدّت له ووصف الداخلون فيها بما ذكر الله تعالى في مثل قوله في لظى أنها تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى وقال ما يقول أهل سقر إذا قيل لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين و لم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وقال في أهل الجحيم أنه يكذب بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم فوصفه بالأثم والاعتداء ثم قال فيهم ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال لهم هذا الذي كنتم به تكذبون وهكذا في الحطمة والسعير وغير ذلك مما جاء به القرآن أو السنة فهذا قد ذكرنا الأمهات والطبقات وأمامنا سبات الأعمال لهذه المنازل فكثيرة جدّا يطول الشرح فيها ولو شرعنا في ذلك طال علينا المدى فإن المجال رحب ولكن الأعمال مذكورة والعذاب عليها مذكور فمتى وقفت على شيء من ذلك وكنت على نور من ربك وبيّنة فإن الله يطلعك عليه بكرمه والذي شرطه في هذا الباب وترجمنا عليه إنما كان ذكر المراتب وقد ذكرناها وبيناها ونبهنا على مواضع يجول فيها نظر الناظر من كتابي هذا من الآيات التي استشهدنا بها في هذا الباب من أوله من أمر الله إبليس بما ذكر له فهل له من امتثال ذلك الأمر الإلهيّ أمر يعود عليه منه من حيث ما ممتثل أم لا وأشباه هذه التنبيهات إن وفقت لذلك عثرت على علوم جمة إلهية مما يختص بأهل الشقاء والنار وهذا القدر في هذا الباب كاف والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث والستون في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا والبعث

بين القيامة والدنيا لذي نظر مراتب برزخيات لها سور
تحوي على حكم ما قد كان صاحبها قبل الممات عليه اليوم فاعتبروا
لها على الكل أقدام وسلطنة تبدي العجائب لا تبقي ولا تذر
لها مجال رحيب في الوجود بلا تقيد وهي لا عين ولا أثر
تقول للحق كن والحق خالقها فكيف يخرج عن أحكامها بشر
فيها العلوم وفيها كل قاصمة فيها الدلائل والإعجاز والعبر
لولا الخيال لكنا اليوم في عدم ولا انقضى غرض فينا ولا وطر
كأن سلطانها إن كنت تعقلها الشرع جاء به والعقل والنظر
من الحروف لها كاف الصفات فما تنفك عن صور إلا أتت صور

قولنا كأنّ سلطانها برفع سلطانها أي سلطان الخيال هو عين كأنّ وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه فهي خبر وسلطانها مبتدأ تقدير الكلام سلطان حضرة الخيال من الألفاظ هو كأن اعلم أن البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين لا يكون متطرفاً أبداً كالخط الفاصل بين الظل والشمس وكقوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ومعنى لا يبغيان أي لا يختلط أحدهما بالآخر وإن عجز الحس عن الفصل بينهما والعقل يقضي أن بينهما حاجزاً يفصل بينهما فذلك الحاجز المعقول هو البرزخ فإن أدرك بالحس فهو أحد الأمرين ما هو البزخ وكل أمرين يفتقران إذا تجاورا إلى برزخ ليس هو عين أحدهما وفيه قوّة كل واحد منهما ولما كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم وبين معدوم وموجود وبين منفيّ ومثبت وبين معقول وغير معقول سمي برزخاً اصطلاحاً وهو معقول في نفسه وليس إلا الخيال فإنك إذا أدركته وكنت عاقلاً تعلم أنك أدركت شيئاً وجودياً وقع بصرك عليه وتعلم قطعاً بدليل أنه ما ثم شيء رأساً وأصلاً فما هو هذا الذي أثبت له شيئية وجودية ونفيتها عنه في حال اثباتك إياها فالخيال لا موجود ولا معدوم ولا معلوم ولا مجهول ولا منفيّ ولا مثبت كما يدرك الإنسان صورته في المرآة يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجه ويعلم قطعاً أنه ما أدرك صورته بوجه لما يرى فيها من الدقة إذا كان جرم المرآة صغيراً ويعلم أن صورته أكبر من التي رأى بما لا يتقارب وإذا كان جرم المرآة كبيراً فيرى صورته في غاية الكبر ويقطع أن صورته أصغر مما رأى ولا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته ويعلم أنه ليس في المرآة صورته ولا هي بينه وبين المرآة ولا هو انعكاس شعاع البصرة إلى الصورة المرئية فيها من خارج سواء كانت صورته أو غيرها إذ لو كان كذلك لأدرك الصورة على قدرها وما هي عليه وفي رؤيتها في السيف من الطول أو العرض يتبين لك ما ذكرنا مع علمه أنه رأى صورته بلا شك فليس بصادق ولا كاذب في قوله أنه مجهولة أظهر الله سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب مثال ليعلم ويتحقق أنه إذا عجز وحار في درك حقيقة هذا وهو من العالم و لم يحصل عنده علم بحقيقته فهو بخالقها أعجز وأجهل وأشدّ حيرة ونبهه بذلك أن تجليات الحق له أرق وألطف معنى من هذا الذي قد حارت العقول فيه وعجزت عن إدراك حقيقته إلى أن بلغ عجزها أن تقول هل لهذا ماهية أو لا ماهية له فإنها لا تلحقه بالعدم المحض وقد أدرك البصر شيأ ما ولا بالوجود المحض وقد علمت أنه ما ثم شيء ولا بالإمكان المحض وإلى مثل هذه الحقيقة يصير الإنسان في نومه وبعد موته فيرى

الإعراض صوراً قائمة بنفسها تخاطبه ويخاطبها أجساداً لا يشك فيها والمكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه والميت بعد موته كما يرى في الآخرة صوراً لأعمال توزن مع كونها أعراضاً ويرى الموت كبشاً أملح يذبح والموت نسبة مفارقة عن اجتماع فسبحان من يجهل فلا يعلم ويعلم فلا يجهل لا إله إلا هو العزيز الحكيم ومن الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس ومن الناس من يدركه بعين الخيال وأعني في حال اليقظة وأمّا في النوم فبعين الخيال قطعاً فإذا أراد الإنسان أن يفرّق في حال يقظته حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة فلينظر إلى المتخيل وليقيده بنظره فإن اختلفت عليه أكوان المنظور إليه لاختلافه في التكوينات وهو لا ينكر أنه ذلك بعينه ولا يقيده النظر عن اختلاف التكوينات فيه كالناظر إلى الحرباء في اختلاف الألوان عليها فذلك عين الخيال بلا شك ما هو عين الحس فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس وقليل من يتفطن إلى هذا ممن يدعي كشف الأرواح النارية والنورية إذا تمثلت لعينه صوراً مدركة لا يدري بما أدركها هل بعين الخيال أو بعين الحس وكلاهما أعني الإدراكين بحاسة العين فإنها تعطي الإدراك بعين الخيال وبعين الحس وهو علم دقيق أعني العلم بالفصل بين العينين وبين حاسة العين وعين الحس وإذا أدركت العين المتخيل و لم تغفل عنه ورأته لا تختلف عليه التكوينات ولا رأته في مواضع مختلفات معاً في حال واحدة والذات واحدة لا يشك فيها ولا انتقلت ولا تحوّلت في أكوان مختلفة فتعلم أنها محسوسة لا متخيلة وأنه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال ومن هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربه تعالى وهو متره عن الصورة والمثال وضبط الإدراك

إياه وتقييده ومن هنا تعرف ما ورد في الخبر الصحيح من كون الباري يتحلى في أدنى صورة من التي رأوه فيها وفي تحوّله في صورة يعرفونها وقد كانوا أنكروه وتعوّذوا منه فيعلم بأي عين تراه فقد أعلمتك أن الخيال يدرك بنفسه نريد بعين الخيال أو يدرك بالبصر وما الصحيح في ذلك حتى نعتمد عليه ولنا في ذلك:

إذا تجلى حبيبي	بأيّ عين أراه
بعينه لا بعيني	فما يراه سواه

تتريهاً لمقامه وتصديقاً بكلامه فإنه القائل لا تدركه الأبصار و لم يخص داراً من درا بل أرسلها آية مطلقة ومسئلة معينة محققة فلا يدركه سواه فبعينه سبحانه أراه في الخبر الصحيح كنت برصه الذي يبصر به فتيقظ أيها الغافل النائم عن مثل هذا وانتبه فلقد فتحت عليك باباً من المعارف لا تصل إليه الأفكار لكن تصل إلى قبوله العقول أمّا بالعناية الإلهية أو بجلاء القلوب بالذكر والتلاوة فيقبل العقل ما يعطيه التجلي ويعلم أن ذلك خارج عن قوّة نفسه من حيث فكره وإن فكره لا يعطيه ذلك أبداً فيشكر الله تعالى الذي أنشأه نشأة يقبل بها مثل هذا وهي نشأة الرسل والأنبياء وأهل العناية من الأولياء وذلك ليعلم أن قبوله أشرف من فكره فتحقق يا أخي بعد هذا من يتجلى لك من خلف هذا الباب فهي مسئلة عظيمة حارت فيها الألباب ثم إن الشارع وهو الصادق سمى هذا الباب الذي هو الحضرة البرزخية التي تنتقل إليها بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها بالصور والناقور والصور هنا جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو هو بعينه واختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال والصفات واختلفت الصفات فاختلفت الأسماء فصارت أسماؤه كهو يحار فيها من عادته يفلي الحقائق ولا يرمي منها بشيء فإنه لا يتحقق له أن النقر أصل في وجود اسم الناقور أو الناقور أصل في وجود اسم النقر كمسئلة النحويّ هل الفعل مشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل ثم فارق مسئلة

النحويّ بشيء آخر حتى لا يشبه مسئلة النحويّ في الاشتقاق بقوله نفخ في الصور و لم يقل في المنفوخ فيه فهل كونه صوراً أصل في وجود النفخ أو وجود نفخ أصل في وجود اسم الصور ولما ذكر الله تعديل صورة الإنسان قال ونفخت فيه وقال في عليه السلام عليه السلام قبل خلق صورته فنفخنا فيها من روحنا فظهرت الصورة فوقعت الحيرة ما هو الأصل هل الصورة في وجود النفخ أو النفخ في وجود الصورة فهذا من ذلك القبيل ولاسيما وجبريل عليه السلام في الوقت المذكور في حال التمثل بالبشر ومريم قد تخيلت أنه بشر فهل أدركته بالبصر الحسيّ أو بعين الخيال فتكون ممن أدرك الخيال بالخيال وإذا كان هذا فينفتح عليك ما هو أعظم وهو هل في قوّة الخيال أن تعطي صورة حسية حقيقة فلا يكون للحس فضل على الخيال لأنّ الحس يعطي الصور للخيال فكيف يكون المؤثر فيه مؤثراً فيمن هو مؤثر فيه فما هو مؤثر فيه وهذا محال عقلاً فتفطن لهذه الكنوز فإن كنت حصلتها ما يكون في العالم أعني منك إلا من يساويك في ذلك واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الصور ما هو فقال صلى الله عليه وسلم "هو قرن من نور ألقمه إسرافيل فأخبر أن شكله شكل القرن فوصف بالسعة والضيق فإن القرن واسع ضيق وهو عندنا على خلاف ما يتخيله أهل النظر في الفرق بين ما هو أعلى القرن وأسفله ونذكره إن شاء الله بعد هذا في هذا الباب فاعلم أن سعة هذا القرن في غاية السعة لا شيء من الأكوان أوسع منه وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما لبس بشيء ويتصوّر العدم المحض والمحال والواجب والإمكان ويجعل الوجود عدماً والعدم وجوداً وفيه يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم أي من حضرة هذا "اعبد الله كأنك تراه والله في قبلة المصلى" أي تخيله في قبلتك وأنت تواجهه لتراقبه وتستحي منه وتلزم الأدب معه في صلاتك فإنك إن لم تفعل هذا أسأت الأدب فلولا أن الشارع علم أن عندك حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال لك كأنك تراه ببصرك فإنّ الدليل العقليّ يمنع من كان فإنه يحيل بدليله التشبيه والبصر فما أدرك شيأ سوى الجدار فعلمنا أنّ الشارع خاطبك أن تتخيل أنك تواجه الحق في قبلتك المشروع لك استقبالها والله يقول فأينما تولوا فثم وجه الله ووجه الشيء حقيقته وعينه فقد صوّر الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقليّ الصورة والتصوّر فلهذا كان واسعاً وأما ما فيه من الضيق فإنه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمراً من الأمور الحسية والمعنوية والنسب والإضافة وجلال الله وذاته إلا بالصورة ولو رام أن يدرك شيأ من غير صورة لم تعط حقيقته ذلك لأنه عين الوهم لا غيره فمن هنا هو ضيق في غاية الضيق فإنه لا يجرّد المعاني عن الموادّ أصلاً ولهذا كان الحس أقرب شيء إليه فإنه من الحس أخذ الصور وفي الصور الحسية يجلي المعاني فهذا من ضيقه وإنما كان هذا حتى لا يتصف بعدم

التقييد وبإطلاق الوجود وبالفعال لما يريد إلا الله تعالى وحده ليس كمثله شيء فالخيال أوسع المعلومات ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء قد عجز أن يقبل المعاني مجردة عن الموادّ كما هي في ذاتها فيرى العلم في صورة لبن أو عسل وخمر ولؤلؤ ويرى الإسلام في صورة قبة وعمد ويرى القرآن في صورة سمن وعسل ويرى الدين في صورة قيد ويرى الحق في صورة إنسان وفي صورة نور فهو الواسع الضيق والله واسع على الإطلاق عليم بما أوجد الله عليه خلقه كما قال تعالى "أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي بين الأمور على ما هي عليه بإعطاء كل شيء خلقه وأمّا كون القرن من نور فإنّ النور سبب الكشف والظهور إذ لولا النور ما أدرك البصر شيأ فجعل الله هذا الخيال نوراً يدرك به تصوير كل شيء أيّ أمر كان كما ذكرناه فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوّره وجوداً فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية فنوره لا يشبه الأنوار وبه تدرك التجليات وهو نور عين الخيال لا نور عين الحس فافهم فإنه ينفعك معرفة كونه نوراً فتعلم الإصابة فيه ممن لا يعلم ذلك وهو الذي يقول هذا خيال فاسد وذلك لعدم معرفة هذا القائل بإدراك النور الخياليّ الذي أعطاه الله تعالى كما أن هذا القائل يخطيء الحس في بعض مدركاته

وإدراكه صحيح والحكم لغيره لا إليه فالحاكم أخطأ لا الحس كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك وما له حكم وإنما الحكم لغيره وهو العقل فلا ينسب إليه الخطأ فإنه ما ثم خيال فاسد قط بل هو صحيح كله وأمّا أصحابنا فغلطوا في هذا القرن فأكثر العقلاء جعل أضيقه المركز وأعلاه الفلك الأعلى الذي لا فلك فوقه وإن الصور التي يحوي عليها صور العالم فجعلوا واسع القرن الأعلى وضيقه الأسفل من العالم وليس الأمر كما زعموا بل لما كان الخيال كما قلنا يصوّر الحق فمن دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق وأسفله الواسع وهكذا خلقه الله فأوّل ما خلق منه الضيق وآخر ما خلق منه ما اتسع وهو الذي يلي رأس الحيوان ولا شك أن حضرة الأفعال والأكوان أوسع ولهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم إلا بقدر ما يعلمه من العالم ثم إنه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة إلى الضيق قليلاً قليلاً فتقل علومه كلما رقي في العلم بذات الحق كشفاً إلى أن لا يبقى له معلوم إلا الحق وحده وهو أضيق ما في القرن فضيقه هو الأعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الأوّل الذي نظهر منه إذا أنبته الله في رأس الحيوان فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الأول ألا ترى الحق سبحانه أول ما خلق القلم أو قل العقل كما قال فما خلق إلا واحداً ثم أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد ثم الذي يقبل الثاني لا من الواحد الوجود ثم يقبل التضعيف والتركيب في المراتب فيتسع اتساعاً عظيماً إلى ما لا يتناهى فإذا أنهيت فيه من الاتساع إلى حد مّا من الآلاف وغيرها ثم تطلب الواحد الذي نشأ منه العدد لا يزال في ذلك تقلل العدد ويزول عنك ذلك الاتساع الذي كنت فيه حتى تنتهي إلى الاثنين التي بوجودها ظهر العدد إذ كان الواحد أولاً لها فالواحد أضيق الأشياء وليس بالنظر إلى ذاته بعدد في نفسه ولكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فلا يجمع بين اسمه وعينه أبداً فاعلم ذلك والناس في وصف الصور بالقرن على خلاف ما ذكرناه وبعد ما قرّرناه فلتعلم أن الله سبحانه إذا قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية حيث كانت والعنصرية أودعها صوراً جسدية في مجموع هذا القرن النوريّ فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن وبنورها وهو إدراك حقيقي ومن الصور هنالك ما هي مقيدة عن التصرّف ومنها ما هي مطلقة كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه وهو الذي تصدق رؤياه أبداً وكل رؤيا صادقة ولا تخطىء فإذا أخطأت الرؤيا فالرؤيا ما أخطأت ولكن العابر الذي يعبرها هو المخطىء حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة ألا تراه صلى الله عليه وسلم ما قال لأبي بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً وكذلك قال في

الرجل الذي رأى في الله صلى الله عليه وسلم صورة ما رآه وما قال له خيالك فاسد فإنه رأى حقاً ولكن أخطأ في التأويل فأخبره صلى الله عليه وسلم بحقيقة ما رآه ذلك النائم وكذلك قوم فرعون يعرضون على النار في تلك الصور غدوة وعشية ولابد خلوها فإنهم محبوسون في ذلك القرن وفي تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشدّ العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذي كان لهم في حال موتهم بالعرض فتدرك بعين الخيال الصور الخيالية والصور المحسوسة معاً فيدرك المتخيل الذي هو الإنسان بعين خياله وقتاً ما هو متخيل كقوله صلى الله عليه وسلم مثلت لي الجنة في عرض هذا الحائط فأدرك ذلك بعين حسه وإنما قلنا بعين حسه لأنه تقدّم حين رأى الجنة ليأخذ قطفاً منها وتأخر حين رأى النار وهو في صلاته ونحن نعرف أن عنده من القوّة بحيث أنه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسه ما أثر في جسمه تقدّماً ولا تأخراً فإنا نجد ذلك وما نحن في قوّته ولا في طبقته صلى الله عليه وسلم وكل إنسان

في البرزخ مرهون بكسبه محبوس في صور أعماله إلى أن يبعث يوم القيامة من تلك الصور في النشأة الآخرة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثامن والعشرون.

الجزء التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع والستون في معرفة القيامة ومنازلها وكيفية البعث

يوم المعارج من خمسين ألف سنة — يطير عن كل نوّام به وسنة
والأرض من حذر عليه ساهره — لا تأخذنها لما يقضي الإله سنه
فكن غريباً ولا تركن لطائفة — من الخوارج أهل الألسن اللسنه
وإن رأيت امرأ يسعى لمفسدة — فخذ على يده تجزى به حسنة
ولتعتصم حذراً بالكهف من رجل — تريك فتنته يوماً كمثل سنه
قد مدّ خطوته في غير طاعته — ولم يزل في هواه خالعاً وسنه

اعلم أنه إنما سمى هذا اليوم يوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم لربّ العالمين في النشأة الآخرة التي ذكرناها في البرزخ في الباب الذي قبل هذا الباب ولقيامهم أيضاً إذا جاء الحق للفصل والقضاء والملك صفاً صفاً قال الله تعالى "يوم يقوم الناس لربّ العالمين" أي من أجل ربّ العالمين حين يأتي وجاء بالاسم الربّ إذ كان الربّ المالك فله صفة القهر وله صفة الرحمة و لم يأت بالاسم الرحمن لأنه لابدّ من الغضب في ذلك اليوم كما سيرد في هذا الباب ولابدّ من الحساب والإتيان بجهنم والموازين وهذه كلها ليست من صفات الرحمة المطلقة التي يطلبها الاسم الرحمن غير أنه سبحانه أتى باسم إلهيّ تكون الرحمة فيه أغلب وهو الاسم الربّ فإنه من الإصلاح والتربية فتقوى ما في المالك والسيد من فضل الرحمة على ما فيه من صفة القهر فتسبق رحمته غضبه ويكثر التجاوز عن سيئات أكثر الناس فأول ما أبين وأقول ما قال الله في ذلك اليوم من امتداد الأرض وقبض السماء وسقوطها على الأرض ومجيء الملائكة ومجيء الرب في ذلك اليوم وأين يكون الخلق حين تمدّ الأرض وتبدل صورتها وتجيء جهنم وما يكون من شأنها ثم أسوق حديث مواقف القيامة في خمسين ألف سنة وحديث الشفاعة اعلم يا أخي أن الناس إذا قاموا من قبورهم على ما سنورده إن شاء الله وأراد الله أن يبدّل الأرض غير الأرض وتمدّ الأرض بإذن الله ويكون الجسر دون الظلمة فيكون الخلق عليه عندما يبدّل الله الأرض كيف يشاء إمّا بالصورة وإمّا بأرض أخرى ما نيم عليها تسمى الساهرة فيمدّها سبحانه مدّ الأديم يقول تعالى وإذا الأرض مدّت ويزيد في سعتها ما شاء أضعاف ما كانت من أحد وعشرين جزأ إلى تسعة وتسعين جزأ حتى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ثم إنه سبحانه يقبض السماء إليه فيطويها بيمينه كطيّ السجلّ للكتب ثم يرميها على الأرض التي مدها واهية وهو قوله وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ويرد الخلق إلى الأرض التي مدها فيقفون منتظرين ما يصنع الله بهم فإذا وهت السماء نزلت ملائكتها على أرجائها فيرى أهل الأرض خلقاً عظيماً أضعاف ما هم عليه عدداً يتخيلون أنّ الله نزل فيهم لما يرون من عظم الملائكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فتصطف الملائكة صفاً مستديراً على نواحي الأرض محيطين بالعالم الأنس والجن

وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم يترل أهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله أيضاً ويرمي بكوكبها في النار وهو المسمى كاتباً وهم أكثر عدداً من السماء الأولى فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتفزع الملائكة من قولهم فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الأولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفاً ثانياً مستديراً ثم تترل أهل السماء الثالثة ويرمي بكوكبها المسمى الزهرة في النار ويقبضها الله بيمينه فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فلا يزال الأمر هكذا سماء بعد سماء حتى يترل أهل السماء السابعة فيرون خلقاً أكثر من جميع من نزل فتقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا قد جاء ربنا وإن كان وعد ربنا لمفعولا فيأتي الله في ظلل من الغمام والملائكة وعلى المجنة اليسرى جهنم ويكون إتيانه إتيان الملك فإنه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فسمى بالملك ويصطف الملائكة عليهم السلام سبعة صفوف محيطة بالخلائق فإذا أبصر الناس جهنم لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين فيفرّون الخلق بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفاً وفزعاً وهو الفزع الأكبر إلا الطائفة التي لا يحزنهم الفزع الأكبر فتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على أنفسهم غير أنّ النبيين تفزع على أممها للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك اليوم سلم سلم وكان الله قد أمر أن تنصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجيء الربّ تعالى فإذا فرّ الناس خوفاً من جهنم وفرقاً لعظيم ما يرون من الهول في ذلك اليوم يجدون الملائكة صفوفاً لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى إلى المحشر وتناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا فينادي بعضهم بعضاً فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني أخاف عليكم يوم التنادي يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم والرسل تقول اللهمّ سلم سلم" ويخافون أشد الخوف على أممهم والأمم يخافون على أنفسهم والمطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهر هم أيضاً بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون في الذي هم عليه من الأمن لما هم النبيون عليه من الخوف على أممهم فينادي مناد من قبل الله يسمعه أهل الموقف لا يدرون أو لا أدري هل ذلك نداء الحق سبحانه بنفسه أو نداء عن أمره سبحانه يقول في ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم فإنه قال لنا يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم تعليماً له وتنبيهاً ليقول كرمك ولقد سمعت شيخنا الشنختة يقول يوماً وهو يبكي يا قوم لا تفعلوا بكرمه أخرجنا و لم نكن شيأ وعلمنا ما لم نكن نعلم وامتن علينا ابتداء بالإيمان به وبكتبه ورسله ونحن لا نعقل افتراه يعذبنا بعد أن عقلنا وآمنا حاشى كرمه سبحانه من ذلك فأبكاني بكاء فرح وبكي الحاضرون ثم نرجع ونقول فيقول الحق في ذلك النداء أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فيؤتى بهم إلى الجنة ثم يسمعون من قبل الحق نداء ثانياً لا أدري هل ذلك نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فيؤتى بهم إلى الجنة ثم يسمعون من قبل الحق نداء ثانياً لا أدري هل ذلك نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله وتلك الزيادة كما قلنا من جنات الاختصاص فيؤمر بهم إلى الجنة ثم يسمعون نداء ثالثاً لا أدري هل هو نداء الحق بنفسه أو نداء عن أمر الحق يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليجزي الصادقين بصدقهم فيؤمر بهم إلى الجنة فبعد هذا النداء يخرج عنق من النار فإذا أشرف على الخلائق وله عينان ولسان فصيح يقول يا أهل الموقف إني وكلت منكم بثلاث كما كان النداء الأوّل ثلاث مرّات لثلاث طوائف من أهل السعادة وهذا كله قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد

الخوف وتصدعت القلوب لهول المطلع فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم إني وكلت بكل جبار عنيد فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فإذا لم يترك أحداً منهم في الموقف نادى نداء ثانياً يا أهل الموقف إني وكلت بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم كما يلقط الطائر حب السمسم من بين الخلائق فإذا لم يترك منهم أحد نادى ثالثة يا أهل الموقف إني وكلت بمن ذهب يخلق كخلق الله فيلقط أهل التصاوير وههم الذين ييصوّرون صوراً في الكنائس لتعبد تلك الصور والذين يصوّرون الأصنام وهو قوله تعالى "أتعبدون ما تنحتون" فكانوا ينحتون لهم الأخشاب والأحجار ليعبدوها من دون الله فهؤلاء هم المصوّرون فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطير حب السمسم فإذا أخذهم الله عن آخرهم بقي الناس وفيهم المصوّرون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصدها أولئك من عباداتها حتى يسئلوا عنها لينفخوا فيها أرواحاً تحيا بها وليسوا بنافخين كما ورد في الخبر في المصوّرين فيقفون ما شاء الله ينتظرون ما فعل الله بهم والعرق قد ألجمهم فحدثنا شيخنا القصار بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة تجاه الركن اليمانيّ من الكعبة المعظمة وهو يونس ابن يحيى بن الحسين بن أبي البركات الهاشميّ العباسيّ من لفظه وأنا أسمع قال حدّثنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرمويّ قال حدّثنا أبو بكر محمد بن عليّ بن محمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الخياط المغربيّ قال قرىء على أبي سهل محمود بن عمر بن إسحق العكبري وأنا أسمع قيل له حدثكم رضي الله عنكم أبو بكر محمد بن الحسن النقاش فقال نعم حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ الطبريّ المزوري قال حدثنا محمد بن حميد الرازيّ أبو عبد الله قال حدثنا سلمة بن صالح قال أنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل عن غياث بن المسيب عن عبد الرحمن بن غنم وزيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال كنت جالساً عند عليّ بن أبي طالب رضي الله

عنه وعنده عبد الله بن عباس رضي الله عنه وحوله عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليّ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في القيامة لخمسين موقفاً كل موقف منها ألف سنة فأوّل موقف إذا خرج الناس من قبورهم يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة عراة حفاة جياعاً عطاشاً فمن خرج من قبره مؤمناً بربه مؤمناً بنبيه مؤمناً بجنته وناره مؤمناً بالبعث والقيامة مؤمناً بالقضاء والقدر خيره وشره مصدّقاً بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه نجا وفاز وغنم وسعد ومن شك في شيء من هذا بقي في جوعه وعطشه وغمه وكربه ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يساقون من ذلك المقام إلى المحشر فيقفون على أرجلهم ألف عام في سرادقات النيران في حرّ الشمس والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم والنار من بين أيديهم والنار من خلفهم والشمس من فوق رؤسهم ولا ظل إلا ظل العرش فمن لقي الله تبارك وتعالى شاهداً له بالإخلاص مقراً بنبيه صلى الله عليه وسلم بريئاً من الشرك ومن السحر وبريئاً من إهراق دماء المسلمين ناصحاً لله ولرسوله محباً لمن أطاع الله ورسوله مبغضاً لمن عصى الله ورسوله استظل تحت ظل عرش الرحمن ونجا من غمه ومن حاد عن ذلك ووقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة أو تغير قلبه أو شك في شيء من دينه بقي ألف سنة في الحر والهم والعذاب حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثم يساق الخلق إلى النور والظلمة فيقيمون في تلك الظلمة ألف عام فمن لقي الله تبارك وتعالى لم يشرك به شيأ و لم يدخل في قلبه شيء من النفاق و لم يشك في شيء من أمر دينه وأعطى الحق من نفسه وقال الحق وانصف الناس من نفسه وأطاع الله في السرّ والعلانية ورضي بقضاء الله وقنع بما أعطاه الله خرج من الظلمة إلى النور في مقدار طرفة العين مبيضاً وجهه قد نجا من الغموم كلها ومن خالف في شيء منها بقي في الغم والهم ألف سنة ثم خرج منها مسودّا وجهه وهو في مشيئة الله يفعل به ما يشاء ثم يساق الخلق إلى سرادقات الحساب وهي عشر سرادقات يقفون في كل سرادق منها ألف سنة فيسأل ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم فإن لم يكن

وقع في شيء منها جاز إلى السرادق الثاني فيسأل عن الأهواء فإن كان نجا منها جاز إلى السرادق الثالث فيسأل عن عقوق الوالدين فإن لم يكن عاقاً جاز إلى السرادق الرابع فيسأل عن حقوق من فوّض الله إليه أمورهم وعن تعليمهم القرآن وعن أمر دينهم وتأديبهم فإن كان قد فعل جاز إلى السرادق الخامس فيسأل عما ملكت يمينه فإن كان محسناً إليهم جاز إلى السرادق السادس فيسأل عن حق قرابته فإن كان قد أدّى حقوقهم جاز إلى السرادق السابع فيسأل عن صلة الرحم فإن كان وصولاً لرحمه جاز إلى السرادق الثامن فيسأل عن الحسد فإن كان لم يكن حاسداً جاز إلى السرادق التاسع فيسأل عن المكر فإن لم يكن مكر بأحد جاز إلى السرادق العاشر فيسأل عن الخديعة فإن لم يكن خدع أحداً نجا ونزل في ظل عرش الله تعالى قارة عينه فرحاً قلبه ضاحكاً فوه وإن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كل موقف منها ألف عام جائعاً عطشاناً حزناً مغموماً ومهموماً لا ينفعه شفاعة شافع ثم يحشرون إلى أخذ كتبهم بأيمانهم وشمائلهم فيحبسون عند ذلك في خمسة عشر موقفاً كل موقف منها ألف سنة فيسألون في أول موقف منها عن الصدقات وما فرض الله عليهم في أموالهم فمن أدّاها كاملة جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن قول اعلحق والعفو عن الناس فمن عفا عفا الله عنه وجاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الأمر بالمعروف فإن كان آمراً بالمعروف جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن النهي عن المنكر فإن كان ناهياً عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن حسن الخلق فإن كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الحب في الله والبغض في الله فإن كان محباً في الله مبغضاً في الله جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن مال الحرام فإن لم يكن أخذ شيأ جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن شرب الخمر فإن لم يكن شرب من الخمر شيأ جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن الفروج الحرام فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن قول الزور فإن لم يكن قاله جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأيمان الكاذبة فإن لم يكن حلفها جاز إلى الموقف الثاني عشر فيسأل عن أكل الربا فإن لم يكن أكله جاز إلى

الموقف الثالث عشر فيسأل عن قذف المحصنات فإن لم يكن قذف المحصنات فيسأل عن البهتان فإن لم يكن بهت مسلماً مرّ فترل تحت لواء الحمد وأعطيَ كتابه بيمينه ونجا من غمّ الكتاب وهوله وحوسب حساباً يسيراً وإن كان قد وقع في شيء من هذه الذنوب ثم خرج من الدنيا غير تائب من ذلك بقي في كل موقف من هذه الخمسة عشر موقفاً ألف سنة في الغم والهول والهم والحزن والجوع والعطش حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء ثم يقام الناس في قراءة كتبهم ألف عام فمن كان سخياً قد قدم ماله ليوم فقره وحاجته وفاقته قرأ كتابه وهوذن عليه قراءته وكسي من ثياب الجنة وتوّج من تيجان الجنة وأقعد تحت ظل عرش الرحمن آمناً مطمئناً وإن كان بخيلاً لم يقدم ماله ليوم فقره وفاقته أعطي كتابه بشماله ويقطع له من مقطعات النيران يقاوم على رؤس الخلائق ألف عام في الجوع والعطش والعري والهمّ والغم والحزن والفضيحة حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء ثم يحشر الناس إلى الميزان فيقومون عند الميزان ألف عام فمن رجح ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفة عين ومن خف ميزانه من حسناته وثقلت سيئاته حبس عند الميزان ألف عام في الغم والهمّ والحزن والعذاب والجوع والعطش حتى يقضي الله فيه بما يشاء ثميدعي بالخلق إلى الموقف بين يدي الله في اثني عشر موقفاً كل موقف منها مقدار ألف عام فيسأل في أول موقف عن عتق الرقاب فإن كان أعتق رقبة أعتق الله رقبته من النار وجاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن القرآن وحقه وقراءته فإن جاء بذلك تاماً جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الجهاد فإن كان جاهد في سبيل الله محتسباً جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن الغيبة فإن لم يكن اغتاب جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن النميمة فإن لم يكن تماماً جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الكذب فإن لم يكن كذاباً جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن طلب

العلم فإن كان طلب العلم وعمل به جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن العجب فإن لم يكن معجباً بنفسه في دينه ودنياه أو في شيء من عمله جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن التكبر فإن لم يكن تكبر على أحد جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن القنوط من رحمة الله فإن لم يكن قنط من رحمة الله جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأمن من مكر الله فإن لم يكن أمن من مكر الله جاز إلى الموقف الثاني عشر فيسأل عن حق جاره فإن كان أدّى حق جاره أقيم بين يدي الله تعالى قريراً عينه فرحاً قلبه مبيضاً وجهه كاسياً ضاحكاً مستبشراً فيرحب به ربه ويبشره برضاه عنه فيفرح عند ذلك فرحاً لا يعلمه أحد إلا الله فإن لم يأت بواحدة منهنّ تامة ومات غير تائب حبس عند كل موقف ألف عام حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء ثم يؤمر بالخلائق إلى الصراط فينتهون إلى الصراط وقد ضربت عليه الجسور على جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف وقد غابت الجسور في جهنم مقدار أربعين ألف عام ولهيب جهنم بجانبها يلتهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف وهي سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعود وألف عام استواء وألف عام هبوط وذلك قول الله عز وجل "إن ربك لبالمرصاد" يعني على تلك الجسور وملائكة يرصدون الخلق عليها ليسأل العبد عن الإيمان بالله فإن جاء به مؤمناً مخلصاً لا شك فيه ولا زيغ جاز إلى الجسر الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الرابع فيسأل عن الصيام فإن جاء به تامّا جاز إلى الجسر الخامس فيسأل عن حجة الإسلام فإن جاء بها تامة جاز إلى الجسر السادس فيسأل عن الطهر فإن جاء به تامّا جاز إلى الجسر السابع فيسأل عن المظالم فإن كان لم يظلم أحداً جاز إلى الجنة وإن كان قصر في واحدة منهنّ حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء وذكر الحديث إلى آخره وسيأتي بقية الحديث إن شاء الله في باب الجنة فإنه يختص بالجنة و لم نذكر النشأة الأخرى التي يحشر فيها الإنسان في باب البرزخ لأنها نشأة محسوسة غير خيالية والقيامة أمر محقق موجود حسيّ مثل ما هو الإنسان في الدنيا فلذلك أخرنا ذكرها إلى هذا الباب وصل اعلم أن الناس اختلفوا في الإعادة من المؤمنين القائلين بحشر الأجسام و لم تتعرض لمذهب من يحمل الإعادة والنشأة الآخرة على أمور عقلية غير محسوسة فإن ذلك على خلاف ما هو الأمر عليه لأنه جهل أن ثم نشأتين نشأة الأجسام ونشأة الأرواح وهي النشأة المعنوية فاثبتوا المعنوية و لم يثبتوا المحسوسة ونحن نقول بما قاله هذا المخالف من إثبات النشأة الروحانية المعنوية لا بما خالف فيه وإن عين موت الإنسان هو قيامته لكن القيامة الصغرى فإنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول من مات فقد قامت قيامته وإن الحشر جمع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية هذا كله أقول به كما يقول المخالف وإلى هنا ينتهي حديثه في القيامة ويختلف في ذلك بعينه من يقول بالتناسخ ومن لا يقول به وكلهم عقلاء أصحاب نظر ويحتجون في ذلك كله بظواهر آيات من الكتاب وأخبار من السنة إن أوردناها وتكلمنا عليها طال الباب في الخوض معهم في تحقيق ما قالوه وما منهم من نحل نحلة في ذلك إلا وله وجه حق صحيح وإن القائل به فهم بعض مراد الشارع ونقصه علم ما فهمه غيره من إثبات الحشر المحسوس في الأجسام المحسوسة والميزان المحسوس والصراط المحسوس والنار والجنة المحسوستان كل ذلك حق وأعظم في القدرة وفي علم الطبيعة بقاء الأجسام الطبيعية في الدارين إلى غير مدّة متناهية بل مستمرّة الوجود وإن الناس ما عرفوا من أمر الطبيعة إلا قدر ما أطلعهم الحق عليه من ذلك مما ظهر لهم في مدد حركات الأفلاك والكواكب السبعة ولهذا جعلوا العمر الطبيعيّ مائة وعشرين سنة الذي اقتضاه هذا الحكم فإذا زاد الإنسان على هذه المدّة وقع في العمر المجهول وإن كان من الطبيعة و لم يخرج عنها ولكن ليس في قوّة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص فكما زاد على العمر الطبيعيّ سنة وأكثر جاز أن يزيد على ذلك آلافاً من السنين وجاز أن يمتد عمره دائماً ولولا أن الشرع عرّف

بانقضاء مدة هذه الدار وإن كل نفس ذائقة الموت وعرّف بالإعادة وعرّف بالدار الآخرة وعرّف بأنّ الإقامة فيها في النشأة الآخرة إلى غير نهاية ما عرفنا ذلك وما خرجنا في كل حال من موت وإقامة وبعث أخرويّ ونشأة أخرى وجنان ونعيم ونار وعذاب بأكل محسوس وشرب محسوس ونكاح محسوس ولباس على المجرى الطبيعيّ فعلم الله أوسع وأتم والجمع بين العقل والحس والمعقول والمحسوس أعظم في القدرة وأتم في الكمال الإلهيّ ليستمر له سبحانه في كل صنف من الممكنات حكم عالم الغيب والشهادة ويثبت حكم الاسم الظاهر والباطن في كل صنف فإن فهمت فقد وفقت وتعلم أن العلم الذي أطلع عليه النبيون والمؤمنون من قبل الحق أعم تعلقاً من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجرّدة عن الفيض الإلهيّ فالأولى بكل ناصح نفسه الرجوع إلى ما قالته الأنبياء والرسل على الوجهين المعقول والمحسوس إذ لا دليل للعقل يحيل ما جاءت به الشرائع على تأويل مثبتي المحسوس من ذلك والمعقول فالإمكان باق حكمه والمرجح موجود فبماذا يحيل وما أحسن قول القائل:

زعم المنجم والطبيب كلاهما — لا تبعث الأجسام قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر — أو صح قولي فالخسار عليكما

فقوله فالخسار عليكما يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ما جاءتهم به الرسل عليهم السلام وقوله فلست بخاسر فإني مؤمن أيضاً بالأمور المعنوية المعقولة مثلكم وزدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أنتم به و لم يرد القائل به أنه يشك بقوله إن صح وإنما ذلك على مذهبك أيها المخاطب وهذا يستعمل مثله كثيراً فتدبر كلامي هذا وألزم الإيمان نفسك تربح وتسعد إن شاء الله تعالى وبعد أن تقرّر هذا فاعلم إن الخلاف الذي وقع بين المؤمنين القائلين في ذلك بالحس والمحسوس إنما هو راجع إلى كيفية الإعادة فمنهم من ذهب إلى أن الإعادة تكون في الناس مثل ما بدأهم بنكاح وتناسل وابتداء خلق من طين ونفخ كما جرى من خلق آدم وحوّاء وسائر البنين من نكاح واجتماع إلى آخر مولود في العالم البشريّ الإنسانيّ وكل ذلك في زمان صغير ومدّة قصيرة على حسب ما يقدّره الحق تعالى هكذا زعم الشيخ أبو القاسم بن قسي في خلع النعلين له في قوله تعالى "كما بدأكم تعودون" فلا أدري هل هو مذهبه أو هل قصد شرح المتكلم به وهو خلف الله الذي جاء بذلك الكلام وكان من الأميين ومنهم من قال بالخبر المروي إنّ السماء تمطر مطراً شبه المني تمخض به الأرض فتنشأ منه النشأة الآخرة وأمّا قوله تعالى عندنا "كما بدأكم تعودون" هو قوله "ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون" وقوله "كما بدأت أوّل خلق نعيده وعداً علينا" وقد علمنا أن النشأة الأولى أوجدها الله تعالى على غير مثال سبق فهكذا النشأة الآخرة يوجدها الله تعالى على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفة نشأة أهل الجنة والنار ما يخالف ما هي عليه هذه النشأة الدنيا فعلمنا إن ذلك راجع إلى عدم مثال سابق ينشئها عليه وهو أعظم في القدرة وأمّا قوله وهو أهون عليه فلا يقدح فيما قلنا فإنه لو كانت النشأة الأولى عن اختراع فكر وتدبر ونظر إلى أن خلق أمراً فكانت إعادته إلى أن يخلق خلقاً آخر مما يقارب ذلك ويزيد عليه أقرب للاختراع والاستحضار في حق من يستفيد الأمور بفكره والله منزه عن ذلك ومتعال عنه علوّاً كبيراً فهو الذي يفيد العالم ولا يستفيد ولا يتجدد له علم بشيء بل هو عالم بتفصيل ما لا يتناهى بعلم كليّ فعلم التفصيل في عين الإجمال وهكذا ينبغي لجلاله أن يكون فينشىء الله النشأة الآخرة على عجب الذنب الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا وهو أصلها فعليه تركب النشأة الآخرة فأمّا أبو حامد فرأى أن العجب المذكور في الخبر أنه النفس

وعليها تنشأ النشأة الآخرة وقال غيره مثل أبي زيد الرقراقي هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغير عليه تنشأ النشأة الأخرى وكل ذلك محتمل ولا يقدح في شيء من الأصول بل كلها توجيهات معقولة يحتمل كل توجيه منها أن يكون مقصوداً والذي وقع لي به الكشف الذي لا أشك فيه أن المراد بعجب الذنب هو ما تقوم عليه النشأة وهو لا يبلى أي لا يقبل البلى فإذا أنشأ الله النشأة الآخرة وسوّاها وعدّلها وإن كانت هي الجواهر بأعيانها فإن الذوات الخارجة إلى الوجود من العدم لا تنعدم أعيانها بعد وجودها ولكن تختلف فيها الصور بالامتزاجات والامتزاجات التي تعطي هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم فإذا تهيأت هذه الصور كانت كالحشيش المحرق وهو الاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالنارية التي فيه لقبول الاشتعال والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة فتمر تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها وتمر النفخة التي تليها وهي الأخرى إلى الصورة المستعدة للاشتعال وهي النشأة الأخرى فتشتعل بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة بما ينطقها الله به فمن ناطق بالحمد لله ومن ناطق بقول من بعثنا من مرقنا ومن ناطق بقول سبحان من أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور وكل ناطق ينطق بحسب علمه وما كان عليه ونسي حاله في البرزخ ويتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام كما تخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل إلى البرزخ كان كالمستيقظ هناك وإن الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ إنه منام في منام وإن اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة وهو في ذلك الحال يقول إن الإنسان في الدنيا كان في منام ثم انتقل بالموت إلى البرزخ

فكان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام أنه استيقظ من النوم ثم بعد ذلك في النشأة الآخرة هي اليقظة التي لا نوم فيها ولا نوم بعدها لأهل السعادة لكن لأهل النار وفيها راحتهم كما قدمنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا" فالدنيا بالنسبة إلى البرزخ نوم ومنام فإن البرزخ أقرب إلى الأمر الحق فهو أولى باليقظة والبرزخ بالنظر إلى النشأة الأخرى يوم القيامة منام فاعلم ذلك فإذا قام الناس ومدت الأرض وانشقت السماء وانكدرت النجوم وكوّرت الشمس وخسف القمر وحشر الوحوش وسجرت البحار وزوجت النفوس بأبدانها ونزلت الملائكة على أرجائها أعني أرجاء السموات وأتى ربنا في ظلل من الغمام ونادى المنادي يا أهل السعادة فأخذ منهم الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم وخرج العنق من النار فقبض الثلاث الطوائف الذين ذكرناهم وماج الناس واشتد الحرّ وألجم الناس العرق وعظم الخطب وجلّ الأمر وكان البهت فلا تسمع إلا همساً وجيء بجهنم وطال الوقوف بالناس و لم يعلموا ما يريد الحق بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول الناس بعضهم لبعض تعالوا ننطلق إلى أبينا آدم فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه فقد طال وقوفنا فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك فيقول آدم إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وذكر خطيئته فيستحي من ربه أن يسأله فيأتون إلى نوح بمثل ذلك فيقول لهم مثل ما قال آدم ويذكر دعوته على قومه وقوله ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً فموضع المؤاخذة عليه قوله ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاء ثم يأتون إلى إبراهيم عليه السلام بمثل ذلك فيقولون له مثل مقالتهم لمن تقدم فيقول كما قال من تقدم ويذكر كذباته الثلاث ثم يأتون إلى موسى وعيسى ويقولون لكل واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم فيجيبونهم مثل جواب آدم فيأتون إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الناس يوم القيامة فيقولون له مثل ما قالوا للأنبياء فيقول محمد صلى الله عليه وسلم أنا لها وهو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة فيأتي ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى إياها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك ثم يشفع إلى ربه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء

والمؤمنين فبهذا يكون سيد الناس يوم القيامة فإنه مشفع عند الله أن تشفع الملائكة والرسل ومع هذا تأدّب صلى الله عليه وسلم وقال أنا سيد الناس و لم يقل سيد الخلائق فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع وذلك أنه صلى الله عليه وسلم جمع له بين مقامات الأنبياء عليهم السلام كلهم و لم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السلام عليهم من اختصاصه بعلم الأسماء كلها فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة والناس من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة وإظهار ماله من الجاه عند الله إذ كان القهر الإلهي والجبروت الأعظم قد أخرس الجميع وكان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السلام وأعظم في يوم اشتدّت الحاجة فيه مع ما ذكر من الغضب الإلهيّ الذي تجلى فيه الحق في ذلك اليوم و لم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قضية آدم فدل المجموع على عظيم قدره صلى الله عليه وسلم حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبية الإلهية على مناجاة الحق فيما سأل فيه فأجابه الحق سبحانه فعلقت الموازين ونشرت الصحف ونصب الصراط وبدىء بالشفاعة فأول ما شفعت الملائكة ثم النبيون ثم المؤمنون وبقي أرحم الراحمين وهنا تفصيل عظيم يطول الكلام فيه فإنه مقام عظيم غير أن الحق يتجلى في ذلك اليوم فيقول لتتبع كل أمّة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الأمّة وفيها منافقوها فيتجلى لهم الحق في أدنى صورة من الصور التي كان تجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ها نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جلّ وتعالى هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحوّل لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون أنت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله إلا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل الله ظهره طبقة نحاس كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه وذلك قوله "يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون

وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون" يعني في الدنيا والساق التي كشفت لهم عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدّ الحرب وعظم أمرها وكذلك التفت الساق بالساق أي دخلت الأهوال والأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة فإذا وقعت الشفاعة و لم يبق في النار مؤمن شرعيّ أصلاً ولا من عمل عملاً مشروعاً من حيث ما هو مشروع بلسان نبيّ ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك في الصغر إلا خرج بشفاعة النبيين والمؤمنين وبقي أهل التوحيد الذين علموا التوحيد بالأدلة العقلية و لم يشركوا بالله شيأ ولا آمنوا إيماناً شرعياً و لم يعملوا خيراً قط من حيث ما اتبعوا فيه نبياً من الأنبياء فلم يكن عندهم ذرّة من إيمان فما دونها فيخرجهم أرحم الراحمين وما عملوا خيراً قط يعني مشروعاً من حيث ما هو مشروع ولا خير أعظم من الإيمان وما عملوه وهذا حديث عثمان بن عفان في الصحيح لمسلم بن الحجاج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من مات وهو يعلم و لم يقل يؤمن أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" ولا قال يقول بل أفرد العلم ففي هؤلاء تسبق عناية الله في النار فإن النار بذاتها لا تقبل تخليد موحد لله بأيّ وجه كان وأتم وجوهه الإيمان عن علم فجمع بين العلم والإيمان فإن قلت فإن إبليس يعلم أن الله واحد قلنا صدقت ولكنه أوّل من سنّ الشرك فعليه اثم المشركين وإثمهم أنهم لا يخرجون من النار هذا إذا ثبت أنه مات موحداً وما يدريك لعله مات مشركاً لشبهة طرأت عليه في نظره وقد تقدّم الكلام على هذه المسئلة فيما مضى من الأبواب فإبليس ليس بخارج من النار فالله يعلم أيّ ذلك كان وهنا علوم كثيرة وفيها طول يخرجنا عن المقصود من الاختصار إيرادها ولكن مع هذا فلا بدّ أن نذكر نبذة من كل موطن مشهور من مواطن القيامة كالعرض وأخذ الكتب والميزان والصراط والأعراف وذبح الموت والمأدبة التي تكون في ميدان الجنة فهذه سبعة مواطن لا غير وهي أمّهات للسبعة الأبواب التي للنار والسبعة الأبواب التي للجنة فإنّ الباب الصامن هو لجنة الرؤية وهو الباب المغلق الذي فيه النار وهو باب الحجاب فلا يفتح أبداً فإن أهل النار محجوبون عن

ربهم الأول وهو العرض اعلم أنه قد ورد في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى "فسوف يحاسب حساباً يسيرا" فقال ذلك العرض يا عائشة من نوقش الحساب عذب وهو مثل عرض الجيش أعني عرض الأعمال لإنمازيّ أهل الموقف والله الملك فيعرف المجرمون بسيماهم كما يعرف الأجناد هنا بزيهم الثاني الكتب قال تعالى "اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً" وقال فأما من أوتي كتابه بيمينه وهو المؤمن السعيد وأمّا من أوتي كتابه بشماله وهو المنافق فإن الكافر لا كتاب له فالمنافق سلب عنه الإيمان وما أخذ منه الإسلام فقيل في المنافق أنه كان لا يؤمن بالله العظيم فيدخل فيه المعطل والمشرك والمتكبر على الله و لم يتعرض للإسلام فإن المنافق ينقاد ظاهراً ليحفظ ماله وأهله ودمه ويكون في باطنه واحداً من هؤلاء الثلاثة وإنما قلنا إن هذه الآية تعم الثلاثة فإن قوله لا يؤمن بالله العظيم معناه لا يصدق بالله والذين لا يصدقون بالله هم طائفتان طائفة لا تصدق بوجود الله وهم المعطلة وطائفة لا تصدق بتوحيد الله وهم المشركون وقوله العظيم في هذه الآية يدخل فيها المتكبر على الله فإنه لو اعتقد عظمة الله التي يستحقها من يسمى بلاالله لم يتكبر عليه وهؤلاء الثلاثة مع هذا المنافق الذي تميز عنهم بخصوص وصف هم أهل النار الذين هم أهلها وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فإذا كان يوم القيامة قيل له خذه من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا فهو كتابهم المترل عليهم لا كتاب الأعمال فإنه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أي تيقن قال الشاعر فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج أي تيقنوا ورد في الصحيح يقول الله له يوم القيامة "أظننت أنك ملاقيّ" وقال تعالى "وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم الثالث الموازين فتوضع الموازين لوزن الأعمال فيجعل فيها الكتب بما عملوا وآخر ما يوضع في الميزان قول الإنسان الحمد لله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله تملأ الميزان فإنه يلقي في الميزان جميع أعمال العباد

إلا كلمة لا إله إلا الله فيبقى من ملئه تحميدة فتجعل فيمتليء بها فإن كفة ميزان كل أحد بقدر عمله من غير زيادة ولا نقصان وكل ذكر وعمل يدخل الميزان إلا لا إله إلا الله كما قلنا وسبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضدّه فيجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان أحد لأنه إن قال لا إله إلا الله معتقد إلهاً فما أشرك وإن أشرك فما اعتقد لا إله إلا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم يكن لكلمة لا إله إلا الله من يعادلها في الكفة الأخرى ولا يرجحها شيء فلهذا لا تدخل الميزان وأمّا المشركون فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً أي لا قدر لهم ولا يوزن لهم عمل ولا من هو من أمثالهم ممن كذب بلقاء الله وكفر بآياته فإن أعمال خير المشرك محبوطة فلا يكون لشرّهم ما يوازنه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وأما صاحب السجلات فإنه شخص لم يعمل خير قط إلا أنه تلفظ يوماً بكلمة لا إله إلا الله مخلصاً فتوضع له في مقابلة التسعة والتسعين سجلاً من أعمال الشر كل سجل منها كما بين المغرب والمشرق وذلك لأنه ماله عمل خير غيرها فترجح كفتها بالجميع وتطيش السجلات فيتعجب من ذلك ولا يدخل الموازين إلا أعمال الجوارح شرّها وخيرها السمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل وأما الأعمال الباطنة فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمي المعنوي محسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل شيء بمثله فلهذا توزن الأعمال من حيث ما هي مكتوبة الرابع الصراط وهو الصراط المشروع الذي كان هنا معنى ينصب هنالك حساً محسوساً يقول الله لنا وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية خطاً خطاً وخط عن جنبتيه خوطاً هكذا وهذا هو صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام

وحسابهم على الله أراد بقوله وحسابهم على الله أنه لا يعلم أنهم قالوها معتقدين لها إلا الله فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجودوالمعطل لا قدم له على صراط الوجود فالمشرك ما وحد الله هنا فهو من الموقف إلى النار مع المعطلة ومن هو من أهل النار الذين هم أهلها إلا المنافقين فلا بد لهم أن ينظروا إلى الجنة وما فيها من النعيم فيطمعون فذلك نصيبهم من نعيم الجنان ثم يصرفون إلى النار وهذا من عدل الله فقوبلوا بأعمالهم والطائفة التي لا تخلد في النار إنما تمسك وتسأل وتعذب على الصراط والصراط على متن جهنم غائب فيها والكلاليب التي فيه بها يمسكهم الله عليه ولما كان الصراط في النار وما ثم طريق إلى الجنة إلا عليه قال تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ومن عرف معنى هذا القول عرف مكان جهنم ما هو ولو قاله النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه لقلته فما سكت عنه وقال في الجواب في علم الله إلا بأمر إلهيّ فإنه ما ينطق عن الهوى وما هو من أمور الدنيا فسكوتنا عنه هو الأدب وقد أتى في صفة الصراط أنه أدق من الشعر وأحد من السيف وكذا هو علم الشريعة في الدينا لا يعلم وجه الحق في المسئلة عند الله ولا من هو المصيب من المجتهدين بعينه ولذلك تعبدنا بغلبات الظنون بعد بذل المجهود في طلب الدليل لا في المتواتر تولا في خبر الواحد الصحيح المعلوم فإن المتواتر وإن أفاد العلم فإن العلم المستفاد من التواتر إنما هو عين هذا اللفظ أو العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله أو عمل به ومطلوبنا بالعلم ما يفهم من ذلك القول والعمل حتى يحكم في المسئلة على القطع وهذا لا يوصل إليه إلا بالنص الصريح المتواتر وهذا لا يوجد إلا نادرا مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة في كونها عشرة خاصة فحكمها بالشرع أحد من السيف وأدق من الشعر في الدنيا فالمصيب للحكم واحد لا بعينه والكل مصيب للأجر فالشرع هنا هو الصراط المستقيم ولا يزال في كل ركعة من الصلاة يقول إهدنا الصراط المستقيم فهو أحد من السيف وأدق من الشعر فظهوره في الآخرة محسوس أبين وأوضح من ظهوره في الدينا إلا لمن دعا لي الله بصيرة كالرسول وأتباعه فألحقهم الله بدرجة الأنبياء في الدعاء

إلى الله على بصيرة أي على علم وكشف وقد ورد في خبر أن الصراط يظهر يوم القيامة متنه للأبصار على قدر نور المارّين عليه فيكون دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين يصدق هذا الخبر قوله تعالى نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم والسعي مشى وما ثم طريق إلا الصراط وإنما قال بأيمانهم لأن المؤمن في الآخرة لا شمال له كما أن أهل النار لا يمين لهم هذا بعض أحوال ما يكون على الصراط وإمّا الكلاليب والخطاطيف والحسك كما ذكرنا هي من صور أعمال بني آدم تمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينتهضون إلى الجنة ولا يقعون في النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الإلهية كما قررنا فمن تجاوز هنا تجاوز الله عنه هناك ومن أنظر معسرا أنظره الله ومن عفا عفا الله تعنه ومن استقصى حقه هنا من عباده استقصى الله حقه منه هناك ومن شدّد على هذه الأمة شدد الله عليه وإنما هي أعمالكم ترد عليكم فالتزموا مكارم الأخلاق فإن الله غدا يعاملكم بما عاملتم به عباده كان ما كان وكانوا ما كانوا الخامس الأعراف وأما الأعراف فسور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وهو مايلي الجنة منه وظاهره من قبله العذاب وهو مايلي النار منه يكون عليه من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة بما لهم من الحسنات ويرون رحمة الله فيطمعون وسبب طمعهم أيضا أنهم من أهل لا إله إلا الله عناية بصاحبها يظهر لها أثر عليهم يقول عز وجل فيهم وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا تأصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون كما نادوا أيضا إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والظلم هنا الشرك لا غير السادس ذبح الموت الموت وإن كان نسبة فإن الله يظهره يوم القيامة في صورة كبش أملح وينادي يا أهل الجنة فيشرئبون وينادي يا أهل النار فيشرئبون وليس في النار في ذلك الوقت

إلا أهلها الذين هم أهلها فيقال للفريقين أتعرفون هذا وهو بين الجنة والنار فيقولون هو الموت ويأتي يحيى عليه السلام وبيده الشفرة فيضجعه ويذبحه وينادي مناديا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وذلك هو يوم الحسرة فأمّا أهل الجنة إذا رأوا الموت سرّوا برؤيته سرورا عظيما ويقولون له بارك الله فيك لقد خلصتنا من نكد الدنيا وكنت خير وارد علينا وخير تحفة أهداها الحق إلينا فإنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول الموت تحفة المؤمن وأمّا أهل النار إذا أبصروه يفرقون منه ويقولون له لقد كنت شرّ وارد علينا حلت بيننا وبين ما كنا فيه من الخير والدعة ثم يقولون له عسى تميتنا فنستريح مما نحن فيه وإنما سمى يوم الحسرة نلأنه حسر للجميع أي ظهرعن صفة الخلود الدائم للطائفتين ثم تغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده وتنطبق النار على أهلها ويدخل بعضها في بعض ليعظم انضغاط أهلها فيها ويرجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها وترى الناس والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر إذ كان تحتها النار العظيمة تغلي كغلي الحميم فتدور بمن فيها علوا وسفلا كلما خبت زدناهم سعيرا بتبديل الجلود السابع المأدبة وهي مأدبة الملك لهل الجنة وفي ذلك الوقت يجتمع أهل النار في مندبة فأهل الجنة في المآدب وأهل النار فيأكل أهل الجنة من زيادة كبد النون وهو حيوان بحريّ مائيّ فهو من عنصر الحياة المناسبة للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبخار ذلك الدم هو النفس المعبر عنه بالروح الحيوانيّ الذي به حياة البدن فهو بشارة لأهل الجنة ببقاء الحياة عليهم وأما الطحال في جسم الحيوان فهو بيت الأوساخ فإن فيه تجتمع أوساخ البدن وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد فيعطي لأهل النار يأكلونه وهو من الثور والثور حيوان ترابيّ طبعه البرد واليبس وجهنم على صورة الجاموس والطحال من الثور لغذاء أهل النار أشدّ مناسبة فيما في الطحال من الدميمة لا يموت أهل النار بما فيه من أوساخ البدن ومن الدم الفاسد المؤ لم لا يحيون ولا ينعمون فيورثهم أكله سقما ومرضا ثم يدخل أهل الجنة الجنة فما هم منها بمخرجين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء

الجزء الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس والستون في معرفة الجنة ومنازلها ودرجاتها وما يتعلق بهذا الباب

مراتب الجنة المحسوسة انقسمت إلى منازل والأعمال تطلبها
فكل ذي عمل تجري ركائبه به إليها ورسل الله تحجبها
وجنة الأختصاصات التي انفهقت للمكرمين جنان الورث تعقبها
نور لكواكب كنا نستضيء بها ونورنا اليوم في عدن مكوكبها
لو أن غير صراط العرش مركبنا لزال عند ورود الشرع مركبها
فصالح العمل المشروع يظهرها نورا ومن ذاته تالإجلال يكسبها

اعلم أيدنا الله وإياك أن الجنة جنتان جنة محسوسة وجنة معنوية والعقل يعقلهما معا كما أن العالم عالمان عالم لطيف وعالم كثيف وعالم غيب وعالم شهادة والنفس الناطقة المخاطبة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت إليه من ذلك بالأدلة العقلية ونعيم بما تحمله من اللذات والشهوات مما يناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة تتعلق بها الأسماع وجمال حيّ في صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر في نساء كاعبات ووجوه حسان وألوان متنوّعة وأشجار وأنهار كل ذلك تنقله الحواس إلى النفس الناطقة فتلتذ به من جهة طبيعتها ولو لم يلتذ به إلا الروح الحساس الحيواني لا النفس الناطقة لكان الحيوان يلتذ بالوجه الجميل من المرأة المستحسنة والغلام والحسن الوجه والألوان والمصاغ فلما لم نر شيئا من الحيوان يلتذ بشيء من ذلك علمنا قطعا أن النفس الناطقة هي التي تلتذ بجميع ما تعطيه القوّة الحسية مما تشاركها في إدراطه الحيوانات ومما لا تشاركها فيه واعلم أن الله خلق هذه الجنة المحسوسة من الفرح الإلهيّ من صفة الكمال والإبتهاج والسرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم والجنة المعقولة كالروح وقواه ولهذا سماها الحق تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها يتنعمون فيها حسا ومعنى فالمعنى الذي هو اللطيفة الإنسانية والجنة أيضا أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها ولهذا تطلب ملأها من الساكنين وقد ورد في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الجنة اشتاقت إلى بلال وعليّ وعمار وسلمان فوصفها بالشوق إلى هؤلاء وما أحسن موافقة هذه الأسماء لما في شوقها من المعاني فإن الشوق من المشتاق فيه ضرب ألم لطلب اللقاء وبلال من أبلّ الرجل من مرضه واستبلّ ويقال بلّ الرجل من دائه وبلال معناه وسلمان من السلامة من الآلام والأمراض وعمار أي بعمارتها بأهلها يزول ألمها فإنّ الله سبحانه يتجلى لعباده فيها فعليّ يعلو بذلك التجلي شأنها على النار التي هي أختها حيث فازت بدرجة التجلي والرؤية إذ كانت النار دار حجاب فانظر في موافقة هذه الأسماء الأربعة لصورة حال الجنة حين وصفها بالشوق إلى هؤلاء الأصحاب من المؤمنين والناس على أربع مراتب في هذه المسئلة فمنهم من يشتهي تويشتهي وهم الأكابر من رجال الله من رسول

ونبيّ ووليّ كامل ومنهم من يشتهي ولا يشتهي وهم أصحاب الأحوال من رجال الله المهيمون في جلال الله الذين غلب معناهم على حسهم وهم دون الطبقة الأولى فإنهم أصحاب أحوال ومنهم من يشتهي ولا يشتهى وهم عصاة المؤمنين ومنهم من لا يشتهي ولا يشتهى وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة ولا خامس لهؤلاء الأربعة الصناف واعلم أن الجنات ثلاث جنات جنة اختصاص إلهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حدّ العلم وحدّهم من أوّل ما يولد إلى أن يستهل صارخا إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الأختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلميّ ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليهم دعوة رسول والجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها والجنة الثالثة جنة الأعمال وهي التي يترل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن نتغير أنه فضله في هذا المقام بهذه الحالة فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم ورد في الحديث الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لبلال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما وطئت منها موضعا إلا سمعت خشخشتك أمامي فقال يا رسول الله ما أحدثت قط إلا توضأت ولا توضأت إلا صليت ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبلال بم نلت أن تكون مطرقا بين يديّ تحجبني من أين لك هذه المسابقة إلى هذه المرتبة فلما ذكر له ذلك قال له صلى الله عليه وسلم بهما فما من نفريضةة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرّم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها والتفاضل

على مراتب فمنها بالسنّ فإنه أقدم منه فيه ويفضل أيضا بالزمان فإن العمل في رمضان وفي الصلاة في المسجد الأقصى وهكذا فضل الصلاة في المسجد الأقصى على سائر المساجد يتفاضلون أيضا بالأحوال فإن الصلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشخص وحده وأشباه هذا ويتفاضلون بالأعمال فإن الصلاة أفضل من إماطة لأذى وقد فضل الله الأعمال بعضها على بعض ويتفاضلون أيضا في نفس العمل الواحد كالمتصدّق على رحمه فيكون صاحب صلة رحم وصدقة والمتصدّق على غير رحمه دونه في نفس العمل الواحد كالمتصدّق على رحمه فيكون صاحب صلة رحم وصدقة والمتصدّق على غير رحمه دونه في الأجر وكذلك من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل ممن أهدى لغير شريف أو برّه أو أحسن إليه ووجوه المفاضلة والرسل عليهم السلام إنما ظهر فضلها في الجنة على غيرها بجنة الإختصاص وأما بالعمل فهم في جنات الأعمال ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالا كثيرة فيصرف سمعه فيما ينبغي في زمان تصريفه بصره في زمان تصريفه يده في زمان صومه في زمان صدقته في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك ولذلك لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الثمانية الأبواب من الجنة أن يدخل من أيها شاء قال أبو بكر يا رسول الله وما على الإنسان أن يدخل من الأبواب كلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر فأراد أبو بكر بذلك القول ما ذكرنا أن يكون الإنسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تعم أبواب الجنة ومن هنا أيضا تعرف النشأة الآخرة فكما لا تشبه الجنة الدنيا في أحوالها كلها وإن اجتمعت في الأسماء كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا وإن اجتمعتا في الأسماء والصورة الشخصية فإن الروحانية على نشأة الآخرة أغلب من الحسية وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا وإن اجتمعتا في الأسماء والصورة الشخصية فإنالروحانية على نشأة الآخرة أغلب من الحسية وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا مع كثافة هذه النشأة فيكون الإنسان بعينه

في أماكن كثيرة وأمّا عامة الناس فيدركون ذلك في المنام ولقد رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع وأخذتها بشرى من الله فإنها مطابقة لحديث نبويّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام فقال صلى الله عليه وسلم مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطا فأكمله إلا لبنة واحدة فكنت أنا تلك اللبنة فلا رسول بعدي ولا نبيّ فشبه النبوّة بالحائط والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط وهو تشبيه في غاية الحسن فإنّ مسمى الحائط هنا المشار إليه لم يصح ظهوره إلا باللبن فكان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة أرى فيما يرى النائم الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب لبنة فضة ولبنة ذهب وقد كملت بالنباء وما بقي فيها شيء وأنا أنظر إليها وإلى حسنها فالتفت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي هو إلى الركن الشامي أقرب فوجدت موضع لبنتين لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين فكنت أنا عين تينك اللبنتين وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينقص وأنا واقف أنظر واعلم أني واقف واعلم أني عين تينك اللبنتين لا أشك في ذلك وأنهما عين ذاتي واستيقظت فشكرت الله تعالى وقلت متأوّلا أني في الأتباع في صنفي كرسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنبياء عليهم السلام وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي وما ذلك على الله بعزيز وذكرت حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم في ضربه المثل بالحائط وأنه كان تلك اللبنة فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل توزر نفأخبرني في تأويلها بما وقع لي وما سميت له الرائي من هو فالله أسأل أن يتمها عليّ بكرمه فإن الأختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل وإن ذلك من فضل الله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم واعلم أن جنة الأعمال مائة درجة لا غير كما أن النار مائة درك غير أن كل درجة تنقسم إلى منازل فلنذكر من منازلها ما يكون لهذه الأمّة المحمدية وما تفضل به على سائر الأمم فإنها خير أمّة أخرجت للناس بشهادة

الحق في القرآن وتعريفه وهذه المائة درجة في كل جنة من الثمان الجنات وصورتها جنة في جنة وأعلاها جنة عدن وهي قصبة الجنة فيها الكثيب الذي يكون اجتماع الناس فيه لرؤية الحق تعالى توهي أعلى جنة في الجنات هي في الجنات بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن إنما هي جنة الفردوس وهي أوسط الجنات التي دون جنة عدن وأفضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة وأمّا الوسيلة فهي أعلى درجة في جنة عدن وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصلت له بدعاء أمّته فعل ذلك الحق سبحانه حكمة أخفاها فإنا بسببه نلنا السعادة نمن الله وبه كنا خير أمّة أخرجت للناس وبه ختم الله بنا الأمم كما ختم به النبيين وهو صلى الله عليه وسلم بشر كما أمر أن يقول ولنا وجه خاص إلى الله عز وجل نناجيه منه ويناجينا وهكذا كل مخلوق له وجه خاص إلى ربه فأمرنا عن أمر الله أن ندعو له بالوسيلة حتى يترل فيها وينالها بدعاء أمّته فافهم هذا الفضل العظيم وهذا من باب الغيرة الإلهية إن فهمت فلقد كرّم الله هذا النبيّ وهذه الأمّة فتحوي درجات الجنة من الدرج فيها على خمسة آلاف درج ومائة درج وخمسة أدراج لا غير وقد تزيد على هذا العدد بلا شك ولكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف مما يجري مجرى الأنواع من الجناس والذي اختصت به هذه الأمّة المحمدية على سائر الأمم من هذه الأدراج اثنا عشر درجا لا غير لا يشاركها فيها أحد من الأمم كما فضل صلى الله عليه وسلم غيره من الرسل في الآخرة بالوسيلة وفتح باب الشفاعة وفي الدنيا بست لم يعطها نبيّ قبله كما ورد في الحديث الصحيح من حديث مسلم بن الحجاج فذكر منها عموم رسالته وتحليل الغنائم والنصر بالرعب وجعلت له الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها له طهورا وأعطى مفاتيح خزائن الأرض ثم اعلم أن

أهل الجنة أربعة أصناف الرسل وهم الأنبياء والأولياء وهم أتباع الرسل على بصيرة وبينة من ربهم والمؤمنون وهم المصدّقون بهم عليهم السلام والعلماء بتوحيد الله أنه لا إله إلا هو من حيث الأدلة العقلية قال الله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم وهؤلاء هم الذين أريده بالعلماء وفيهم يقول الله تعالى يرفع نه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والطريق الموصلة إلى العلم بالله طريقان لا ثالث لهما ومن وحد الله من غير هذين الطريقين فهو مقلد في توحيده الطريق الواحدة طريق الكشف وهو علم ضروري يحصل عند الكشف يجده الإنسان في نفسه لا يقبل معه شبهة ولا يقدر على دفعه ولا يعرف لذلك دليلا يستند إليه سوى ما يجده في نفسه إلا أن بعضهم قال يعطي الدليل والمدلول في كشفه فإنه ما لا يعرف إلا بالدليل فلا بدّ أن يكشف له عن الدليل وكان يقول بهذه المقالة صاحبنا أبو عبد الله بن الكتانيّ بمدينة فاس سمعت ذلك منه وأخبر عن حاله وصدق وأخطأ في أن الأمر لا يكون إلا كذلك فإن غيره يجد ذلك في نفسه ذوقا من غير أن يكشف له عن الدليل وأما أن يحصل له عن تجل إلهيّ يحصل له وهم الرسل والأنبياء وبعض الأولياء والطريق الثاني طريق الفكر والإستدلال بالبرهان العقليّ وهذا الطريق دون الطريق الأوّل فإن صاحب النظر في الدليل قد تدخل عليه الشبه القادحة في دليله فيتكلف الكشف عنها والبحث عن وجه الحق في الأمر المطلوب وما ثم طريق ثالث فهؤلاء هم أولو العلم الذين شهدوا بتوحيد الله ولفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد الله دلالة ونظر زيادة علم على التوحيد بتوحيد في الذات بأدلة قطعية لا يعطاها كل أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها وهؤلاء إلا ربع الطوائف يتميزون في جنات عدن عند رؤية الحق في الكثيب الأبيض وهم فيه على أربعة مقامات طائفة منهم أصحاب منابر وهي الطبقة العليا الرسل والأنبياء والطائفة الثانية هم الولياء ورثة النبياء قولا وعملا وحالا وهم على بينة من ربهم وهم أصحاب الأسرة والعرش والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر البرهانيّ العقليّ وهم أصحاب الكراسي والطبقة الرابعة وهم المؤمنون المقلدون في توحيدهم ولهم المراتب وهم في الحشر مقدّمون على أصحاب النظر العقليّ وهم في الكثيب عند النظر يتقدمون على المقلدين فإذا أراد الله أن يتجلى لعباده في الزور العام نادى منادي الحق في الجنات كلها

يأهل الجنان حي على المنة العظمى والمكانة الزلفى والمنظر الأعلى هلمو إلى زيارة ربكم في جنة عدن فيبادرون إلى جنة عدن فيدخلونها وكل طائفة قد عرفت مرتبتها ومنزلتها فيجلسون ثم يؤمر بالموائد فتنصب بين أيديهم موائد اختصاص ما رأوا مثلها ولا تخيلوه في حياتهم ولا في جناتهم جنات الأعمال وكذلك الطعام ماذاقوا مثله في منازلهم وكذلك ما تناولوه من الشراب فإذا فرغوا من ذلك خلعت عليهم من الخلع ما لم يلبسوا مثلها فيما تقدم ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإذا فرغوا من ذلك قاموا إلى كثيب من المسك الأبيض فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم بالله لا على قدر عملهم فإنّ العمل مخصوص بنعيم الجنان لا بمشاهدة الرحمن فبيناهم على ذلك إذا بنور قد بهرهم فيخرّون سجدّا فيسرى ذلك النور في أبصارهم ظاهرا وفي بصائرهم باطنا وفي أجزاء أبدانهم كلها وفي الطائف نفوسهم فيرجع كل شخص منهم عينا كله وسمعا كله فيرى بذاته كلها لا تقيده الجهات ويسمع بذاته كلها فهذا يعطيهم ذلك النور فيه تطيقون المشاهدة والرؤية وهي أتم من المشاهدة فيأتيهم رسول من الله يقول لهم تأهبوا لرؤية ربكم جل جلاله فها هو يتجلى لكم فيتأهبون نفيتجلى الحق جل جلاله لا عظم الحجبة عنده ارفعوا الحجب بيني وبين عبادي حتى يروني فترفع الحجب فيتحلى لهم الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف إلى أبصارهم وكلهم بصر واحد فينفهق عليهم عبادي نور يسري في ذواتهم فيكونون به سمعا كلهم وقد أبهتهم جمال الرب وأشرقت ذواتهم بنور ذلك الجمال إلا قدس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث

النقاش في مواقف القيامة وهذا تمامه فيقول الله جل جلاله سلام عليكم عبادي ومرحباً بكم حياكم الله سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحيّ القيوم طبتم فادخلوها خالدين طابت لكم الجنة فطيبوا أنفسكم بالنعيم المقيم والثواب من الكريم والخلود الدائم أنتم المؤمنون الآمنون وأنا الله المؤمن المهيمن شققت لكم اسماً من أسمائي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون أنتم أوليائي وجيراني وأصفيائي وخاصتي وأهل محبتي وفي داري سلام عليكم يا معشر عبادي المسلمين أنتم المسلمون وأنا السلام وداري دار السلام سأريكم وجهي كما سمعتم كلامي فإذا تجليت لكم وكشفت عن وجهي الحجب فاحمدوني وادخلوا إلى داري غير محجوبين عني بسلام آمنين فردوا عليّ واجلسوا حولي حتى تنظروا إليّ وتروني من قريب فأتحفكم بتحفي وأجيزكم بجوائزي وأخصكم بنوري وأغشيكم بجمالي وأهل لكم من ملكي وأفاكهكم بضحكي وأغلفكم بيدي وأشمكم روحي أنا ربكم الذي كنتم تعبدوني ولم تروني وتحبوني وتخافوني وعزتي وجلالي وعلوّي وكبريائي وبهائي وسناي إني عنكم راض وأحبكم وأحب ما تحبون ولكم عندي ما تشتهي أنفسكم وتلذ أعينكم ولكم عندي ما تدّعون وما شئتم وكل ما شئتم أشاء فاسألوني ولا تحتشموا ولا تستحيوا ولا تستوحشوا وإني أنا الله الجواد الغنيّ المليّ الوفيّ الصادق وهذه داري قد أسكنتكموها وجنتي قد أبحتكموها ونفسي قد أريتكموها وهذه يدي ذات الندى والطل مبسوطة ممتدّة عليكم لا أقبضها عنكم وأنا أنظر إليكم لا أصرف بصري عنكم فاسألوني ما شئتم واشتهيتم فقد آنستكم بنفسي وأنا لكم جليس وأنيس فلا حاجة ولا فاقة بعد هذا ولا بؤس ولا مسكنة ولا ضعف ولا هرم ولا سخط ولا حرج ولا تحويل أبداً سرمداً نعيمكم نعيم الأبد وأنتم الآمنون المقبعون الماكثون المكرمون المنعمون وأنتم السادة الأشراف الذين أطعتموني واجتنبتم محارمي فارفعوا إليّ حوائجكم أقضها لكم وكرامة ونعمة قال فيقولون ربنا ما كان هذا أملنا ولا أمنيتنا ولكن حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكرم أبدا أبدا ورضى نفسك عنا فيقول لهم العليّ الأعلى مالك الملك السخيّ الكريم تبارك وتعالى فهذا وجهي بارز لكم أبدا سرمدا فانظروا إليه وأبشروا فإن نفسي عنكم راضية فتمتعوا وقوموا إلى أزواجكم فعانقوا وانكحوا وإلى ولائدكم ففاكهوا وإلى غرفكم فادخلوا وإلى بساتينكم فتنزهوا وإلى دوابكم فاركبوا وإلى فرشكم فاتكئوا وإلى جواريكم وسراريكم في الجنان فاستأنسوا وإلى هداياكم من ربكم فاقبلوا وإلى كسوتكم فالبسوا وإلى مجالسكم فتحدثوا ثم قيلوا قائلة لا نوم فيها ولا غائلة في ظل ظليل وأمن مقيل ومجاورة الجليل ثم

روحوا إلى نهر الكوثر والكافور والماء لمطهر والتسنيم والسلسبيل والزنجبيل فاغتسلوا وتنعموا طوبى لكم وحسن مآب ثم روحوا فاتكئوا على الرفارف الخضر والعبقريّ الحسان والفرش المرفوعة في الظلل الممدود والماء المسكوب والفاكهة الكثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم ثم تلا هذه الآية أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا إلى هنا انتهى حديث أبي بكر النقاش الذي أسندناه في باب القيامة قبل هذا في حديث المواقف ثم إن الحق تعالى بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب ويتجلى لعباده فخرّون سجداً فيقول لهم ارفعوا رؤسكم فليس هذا موطن سجود يا عبادي ما دعوتكم إلا لتنعموا بمشاهدتي فيمسكهم في ذلك ما شاء الله فيقول لهم هل يبقى لكم شيء بعد هذا فيقولون يا ربنا وأيّ شيء بقي وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا دار رضوانك وأنزلتنا بجوارك وخلعت علينا ملابس كرمك وأريتنا وجهك فيقول الحق جل جلاله بقي لكم فيقولون يا ربنا وما ذاك الذي بقي فيقول دوام رضاي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً فما أحلاها من كلمة وما ألذها من بشرى فبدأ سبحانه بالكلام خلقنا فقال كن فأوّل شيء كان لنا منه السماع فختم بما به بدأ فقال هذه المقالة فختم بالسماع وهو هذه البشرى

وتتفاضل الناس في رؤيته سبحانه ويتفاوتون فيها تفاوتاً عظيماً على قدر علمهم فمنهم ومنهم ثم يقول سبحانه لملائكته ردّوهم إلى قصورهم فلا يهتدون لأمرين لما طرأ عليهم من سكر الرؤية ولما زادهم من الخير في طريقهم فلم يعرفوها فلولا أن الملائكة تدل بهم ما عرفوا منازلهم فإذا وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور والولدان فيرون جميع ملكهم قد كسي بهاء وجمالاً ونوراً من وجوههم أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم لقد زدتم نوراً وبهاء وجمالا ما تركناكم عليه فيقول لهم أهلهم وكذا كم أنتم قد زدتم من البهاء والجمال ما لم يكن فيكم عند مفارقتكم إيانا فينعم بعضهم ببعض واعلم أنّ الراحة والرحمة مطلقة في الجنة كلها وإن كانت الرحمة ليست بأمر وجوديّ وإنما هي عبارة عن الأمر الذي يلتذ ويتنعم به المرحوم وذلك هو الأمر الوجودي فكل من في الجنة متنعم وكل ما فيها نعيم فحركتهم ما فيها نصب وأعمالهم ما فيها لغوب إلا راحة النوم ما عندهم لأنهم ما ينامون فما عندهم من نعيم النوم شيء ونعيم النوم هو الذي يتنعم به أهل النار خاصة فراحة النوم محلها جهنم ومن رحمة الله بأهل النار في أيام عذابهم خمود النار عنهم ثم تسعر بعد ذلك عليهم فيخف عنهم بذلك من آلام العذاب على قدر ما خبت النار قال تعالى "كلما خبت زدناهم سعيرا" وهذا يدلك إن النار محسوسة بلا شك فإن النار ما تتصف بهذا الوصف إلا من كون قيامها بالأجسام لأن حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا الزيادة ولا النقص وإنما هو الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنارية وإن حلمنا هذه الآية على الوجه الآخر قلنا قوله تعالى "كلما خبت يعني النار المسلطة على أجسامهم زدناهم يعني المعذبين سعيرا فإنه لم يقل زدناها ومعنى ذلك إنّ العذاب ينقلب إلى بواطنهم وهو أشد العذاب الحسيّ يشغلهم عن العذاب المعنويّ فإذا خبت النار في ظواهرهم ووجدوا الراحة من حيث حسهم سلط الله عليهم في بواطنهم التفكر فيما كانوا فرّطوا فيه من الأمور التي لو عملوا بها لنالوا السعادة وتسلط عليهم الوهم بسلطانه فيتوهمون عذاباً أشد مما كانوا فيه فيكون عذابهم بذلك التوهم في نفوسهم أشد من حلول العذاب المقرون بتسلط النار المحسوسة على أجسامهم وتلك النار التي أعطاها الوهم هي النار التي تطلع على الأفئدة وهي التي قلنا فيها:

النار ناران نار كلها لهب — ونار معنى على الأرواح تطلع

وهي التي ما لها سفع ولا لهب — لكن لها ألم في القلب ينطبع

وكذلك أهل الجنة يعطيهم الله من الأماني والنعيم المتوهم فوق ما هم عليه فما هو إلا أن الشخص منهم يتوهم ذلك أو يتمناه فيكون فيه بحسب ما يتوهمه إن تمناه معنى كان معنى أو توهمه حساً كان محسوساً أيّ ذلك كان وذلك النعيم من جنات الاختصاص ونعيمها وهو جزاء لمن كان يتوهم هنا ويتمنى أن لو قدر وتمكن أن يكون ممن لا يعصي الله طرفة عين وأن يكون من أهل طاعته وأن يلحق بالصالحين من عباده ولكن قصرت به العناية في الدنيا فيعطي هذا التمني في الجنة فيكون له ما تمناه وتوهمه وأراحه الله في الدنيا من تلك الأعمال الشاقة ولحق في الآخرة بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات العلى وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي لا قوّة له ولا مال له فيرى ربّ المال الموفق يتصدق ويعطي في فك الرقاب ويوسع على الناس ويصل الرحم ويبني المساجد ويعمل أعمالاً لا يمكن أن يصل إليها إلا ربّ المال ويرى أيضاً من هو أجلد منه على العبادات التي ليس في قوّة جسمه أن يقوم بها ويتمنى أنه لو كان له مثل صاحبه من المال والقوّة لعمل مثل عمله قال صلى الله عليه وسلم فهما في الأجر سواء ومعنى ذلك أنه يعطى في الجنة مثل ذلك التمني من النعيم الذي أنتجته تلك الأعمال فيكون له ما تمنى وهو أقوى في اللذة والتنعم مما

لو وجده في الجنة قبل هذا التمني فلما انفعل عن تمنيه كان النعيم به أعلى فمن جنات الاختصاص ما يخلق الله له من همته وتمنيه فهو اختصاص عن عمل معقول متوهم وتمنّ لم يكن له وجود ثمرة في الدنيا وهو الذي عنينا بالاختصاص في قولنا:

مراتب الجنة مقسومة ما بين أعمال وبين اختصاص

فيا أولي الألباب سبقاً على نجب من أعمالكم لا مناص

إنّ بلى لم تعط أطفالنا من أثر الأعمال غير الخلاص

لأنه لم يك شرعاً لهم فهو اختصاص ما لديه انتقاص

فأردنا بالاختصاص الثاني ما لا يكون عن تمنّ ولا توهم وأردنا بالاختصاص الأول ما يكون عن تمنّ وتوهم الذي هو جزاء عن تمنّ وتوهم في الدنيا وأمّا الأمانيّ المذمومة فهي التي لا يكون لها ثمرة ولكن صاحبها يتنعم بها في الحال كما قيل:

أمانيّ أن تحصل تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

ولكن تكون حسرة في المآل وفيها قال الله تعالى "وغرّتكم الأمانيّ حتى جاء أمر الله" وفيها يقال "أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا" لأنه لا مفاضلة بين الخير والشر فما كان خير أصحاب الجنة أفضل وأحسن إلا من كونه واقعاً وجودياً محسوساً فهو أفضل من الخير الذي كان الكافر يتوهمه في الدنيا ويظنّ أنه يصل إليه بكفره لجهله فلهذا قال فيه خير وأحسن فأتى ببنية المفاضلة وهي أفعل من كذا فافهم هذا المعنى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والستون في معرفة سر الشريعة ظاهراً وباطناً

وأيّ اسم إلهيّ أوجدها

طلب الجليل من الجليل جلالا فأبى الجليل يشاهد إلا جلالا

لما رأى عز الإله وجوده عبد الإله يصاحب الإدلالا

وقد اطمأن بنفسه متعززاً متجبراً متكبراً مختالا

أنهى إليه شريعة معصومة فأذله سلطانها إذلالا

نادى العبيد بفاقة وبذلة يا من تبارك جده وتعالى

قال الله عز وجل "قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لترلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا" وقال تعالى "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاعلم أن الأسماء الإلهية لسان حال تعطيها الحقائق فاجعل بالك لما تسمع ولا تتوهم الكثرة ولا الاجتماع الوجوديّ وإنما أورد في هذا الباب ترتيب حقائق معقولة كثيرة من جهة النسب لا من جهة وجود عينيّ فإن ذات الحق واحدة من حيث ما هي ذات ثم إنه لما علمنا من وجودنا وافتقارنا وإمكاننا إنه لابد لنا من مرجح نستند إليه وإنّ ذلك المستند لابد أن يطلب وجودنا منه نسباً مختلفة كنى الشارع عنها بالأسماء الحسنى فسمي بها من كونه متكلماً في مرتبة وجوبية وجوده الإلهيّ الذي لا يصح

أن يشارك فيه فإنه إله واحد لا إله غيره فأقول بعد هذا التقرير في ابتداء هذا الأمر والتأثير والترجيح في العالم الممكن إن الأسماء اجتمعت بحضرة المسمى ونظرت في حقائقها ومعانيها فطلبت ظهور أحكامها حتى تتميز أعيانها بآثارها فإن الخالق الذي هو المقدّر والعالم والمدبر والمفصل والباري والمصوّر والرزاق والمحيي والمميت والوارث والشكور وجميع الأسماء الإلهية نظروا في ذواتهم و لم يروا مخلوقاً ولا مدبراً ولا مفصلاً ولا مصوّراً ولا مرزوقاً فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان التي تظهر أحكامنا فيها فيظهر سلطاننا فلجأت الأسماء الإلهية التي تطلبها بعض حقائق العالم بعد ظهور عينه إلى الاسم الباري فقالوا له عسى توجه هذه الأعيان لتظهر أحكامنا ويثبت سلطاننا إذا لحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال الباري ذلك راجع إلى الاسم القادر فإني تحت حيطته وكان أصل هذا إن الممكنات في حال عدمها سألت الأسماء الإلهية سؤال حال ذلة وافتقار وقالت لها إن العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضاً وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو أنكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود أنعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الإجلال والتعظيم وأنتم أيضاً كانت السلطنة تصح لكم في ظهورنا بالفعل واليوم أنتم علينا سلاطين بالقوّة والصلاحية فهذا الذي نطلبه منكم هو في حقكم أكثر منه في حقنا فقالت الأسماء أنّ هذا الذي ذكرته الممكنات صحيح فتحرّكوا في طلب ذلك فلما لجؤا إلى الاسم القادر قال القادر أنا تحت حيطة المريد فلا أوجد عينا منكم إلا باختصاصه ولا يمكنني الممكن من نفسه إلا أن يأتيه أمر الآمر من ربه فإذا أمره بالتكوين وقال له كن مكنني من نفسه وتعلقت بإيجاده فكوّنته من حينه فلجؤا إلى الاسم المريد فقالوا له إن الاسم القادر سألناه في إيجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن ما عندي خبر ما حكم الاسم العالم فيكم هل سبق علمه بإيجادكم فتخصص أو لم يسبق فأنا تحت حيطة الاسم العالم فسيروا إليه واذكروا له قضيتكم فساروا إلى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد وقد سبق علمي بإيجادكم ولكن الأدب أولى فإن لنا حضرة مهيمنة علينا وهي الاسم الله فلا بدّ من حضورنا عنده فإنها حضرة الجمع فاجتمعت الأسماء كلها في حضرة الله فقال ما بالكم فذكروا له الخبر فقال أنا اسم جامع لحقائقكم وإني دليل على مسمى وهو ذات مقدّسة له نعوت الكمال والتتريه فقفوا حتى أدخل على مدلولي فدخل على مدلوله فقال له ما قالته الممكنات وما تحاولت فيه الأسماء فقال اخرج وقل لكل واحد من الأسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فإني الواحد لنفسي من حيث نفسي والممكنات إنما تطلب مرتبتي وتطلبها مرتبتي والأسماء إلهية كلها للمرتبة لا لي إلا الواحد خاصة فهو اسم خصيص بي لا يشاركني في حقيقته من كل وجه أحد لا من والأسماء ولا من المراتب ولا من الممكنات فخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والأسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والمريد والقائل والقادر فظهر الممكن الأول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الأعيان والآثار في الأكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بحسب ما تستند إليه من الأسماء فأدّى إلى منازعة وخصام فقالوا إنا نخاف علينا أن يفسد نظامنا ونلحق بالعدم الذي كنا فيه فنبهت الممكنات الأسماء بما ألقى إليها لاسم العليم والمدبر وقالوا أنتم أيها الأسماء لو كان حكمكم على ميزان معلوم وحدّ

مرسوم بإمام ترجعون إليه يحفظ علينا وجودنا ونحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم فالجؤا إلى الله عسى يقدّم من يحدّ لكم حداً تقفون عنده وإلا هلكنا وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا إن الاسم المدبر هو ينهي أمركم فانهوا إلى المدبر الأمر فقال أنا لها فدخل وخرج بأمر الوزير الواحد الاسم المدبر والوزير الآخر المفصل قال تعالى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون الذي هو الإمام فانظر ما أحكم كلام الله تعالى حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن

يكون الأمر عليه فحدّ الاسم الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لإصلاح المملكة وليبلوهم أيهم أحسن عملاً وجعل الله ذلك على قسمين قسم يسمى سياسة حكمية ألقاها في فطر نفوس الأكابر من الناس فحدّوا حدوداً ووضعوا نواميس بقوّة وجدوها في نفوسهم كل مدينة وجهة وإقليم بحسب ما يقتضيه مزاج تلك الناحية وطباعهم لعلمهم بما تعطيه الحكمة فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم وسموها نواميس ومعناها أسباب خير لأن الناموس في العرف الاصطلاحيّ هو الذي يأتي بالخير والجاسوس يستعمل في الشر فهذه هي النواميس الحكمية التي وضعها العقلاء عن إلهام من الله من حيث لا يشعرون لمصالح العالم ونظمه وارتباطه في مواضع لم يكن عندهم شرع إلهيّ متزل ولا علم الواضع هذه النواميس بأن هذه الأمور مقرّبة إلى الله ولا تورث جنة ولا ناراً ولا شيأ من أسباب الآخرة ولا علموا أن ثم آخرة هذه النواميس بأن هذه الأمور مقرّبة إلى الله ولا تورث جنة ولا ناراً ولا شيأ من أسباب الآخرة ولا علموا أن ثم آخرة وبعثاً محسوساً بعد الموت في أجسام طبيعية وداراً فيها أكل وشرب ولباس ونكاح وفرح وداراً فيها عذاب وآلام فإن وجود ذلك ممكن وعدمه ممكن ولا دليل لهم في ترجيح أحد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميسهم ومصالحهم على إبقاء الصلاح في هذه الدار ثم انفردوا في نفوسهم بالعلوم الإلهية من توحيد الله وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس وصفات التتريه وعدم المثل والشبيه ونبه من يدري ومن علم ذلك من لا يدري وحرّضوا الناس على النظر الصحيح وأعلموهم أن للعقول من حيث أفكارها حدّا تقف عنده لا تتجاوزه وأن لله على قلوب بعض عباده فيضاً إلهياً يعلمهم فيه من لدنه علماً و لم يبعد ذلك عندهم وإن الله قد أودع في العالم العلويّ أموراً استدلوا عليها بوجود آثارها في العالم العنصريّ وهو قوله تعالى "وأوحى في كل سماء أمرها فبحثوا عن حقائق نفوسهم لما رأوا أن الصورة الجسدية إذا ماتت ما نقص من أعضائها شيء فعلموا أن المدرك والمحرّك لهذا الجسد إنما هو أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الأمر الزائد فعرفوا نفوسهم ثم رأوا أنه يعلم بعدما كان بجهل فعلموا أنها وإن كانت أشرف من أجسادها فإن الفقر والفاقة يصحبها فاعتلوا بالنظر من شيء إلى شيء وكلما وصلوا إلى شيء رأوه مفتقراً إلى شيء آخر حتى انتهى بهم النظر إلى شيء لا يفتقر إلى شيء ولا مثله شيء ولا يشبه شيأ ولا يشبهه شيء فوقفوا عنده وقالوا هذا هو الأول وينبغي أن يكون واحد لذاته من حيث ذاته وأن أوّليته لا تقبل الثاني ولا أحديته لأنه لا شبه له ولا مناسب فوحدوه توحيد وجود ثم لما رأوا أن الممكنات لأنفسها لا تترجح لذاتها علموا أن هذا الواحد أفادها الوجود فافتقرت إليه وعظمته بأن سلبت عنه جميع ما تصف ذواتها به فهذا حد العقل فبيناهم كذلك إذ قام شخص من جنسهم لم يكن عندهم من المكانة في العلم بحيث أن يعتقدوا فيه أنه ذو فكر صحيح ونظر صائب فقال لهم أنا رسول الله إليكم فقالوا الإنصاف أولى انظروا في نفس دعواه هل ادّعى ما هو ممكن أو ادّعى ما هو محال فقالوا إنه قد ثبت عندنا بالدليل إن لله فيضاً إلهياً يجوز أن يمنحه من يشاء كما أفاض ذلك على أرواح هذه الأفلاك وهذه العقول والكل قد اشتركوا في الإمكان وليس بعض الممكنات بأولى من بعض فيما هو ممكن فما بقي لنا نظر إلا في صدق هذا المدّعي أو كذبه ولا نقدم على شيء من هذين الحكمين بغير دليل فإنه سوء أدب مع علمنا فقالوا هل لك دليل على صدق ما تدعيه فجاءهم بالدلائل فنظروا في دلالته وفي أدلته ونظروا إن هذا الشخص ما عنده خير مما تنتجه الأفكار ولا عرف منه فعلموا أن الذي أوحى في كل سماء
أمرها كان مما أوحاه في كل سماء وجود هذا الشخص وما جاء به فأسرعوا إليه بالإيمان به وصدقوه وعلموا أن الله قد أطلعه على ما أودعه في العالم العلويّ من المعارف ما لم تصل إليه أفكارهم ثم أعطاه من المعرفة بالله ما لم يكن عندهم ورأوا نزوله في المعارف بالله إلى العامي الضعيف الرأي بما يصلح لعقله من ذلك وإلى الكبير العقل الصحيح النظر بما يصلح لعقله من ذلك فعلموا أن الرجل عنده

من الفيض الإلهيّ ما هو وراء طور العقل وإن الله قد أعطاه من العلم به والقدرة عليه ما لم يعطه إياهم فقالوا بفضله وتقدمه عليهم وآمنوا به وصدّقوه واتبعوه فعين لهم الأفعال المقرّبة إلى الله تعالى وأعلمهم بما خلق الله من الممكنات فيما غاب عنهم وما يكون منه سبحانه فيهم في المستقبل وجاءهم بالبعث والنشور والحشر والجنة والنار ثم أنه تتابعت الرسل على اختلاف الأزمان واختلاف الأحوال وكل واحد منهم يصدق صاحبه ما اختلفوا قط في الأصول التي استندوا إليها وعبروا عنها وإن اختلفت الأحكام فنزلت الشرائع ونزلت الأحكام وكان الحكم بحسب الزمان والحال كما قال تعالى "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" فاتفقت أصولهم من غير خلاف في شيء من ذلك وفرقوا في هذه السياسات النبوية المشروعة من عند الله بينها وبين ما وضعت الحكماء من السياسات الحكمية التي اقتضاها نظرهم وعلموا أن هذا الأمر أتم وإنه من عند الله بلا شك فقبلوا ما أعلمهم به من الغيوب وآمنوا بالرسل وما عاند أحد منهم إلا من لم ينصح نفسه في علمه واتبع هواه وطلب الرياسة على أبناء جنسه وجهل نفسه وقدره وجهل ربه فكان أصل وضع الشريعة في العالم وسببها طلب صلاح العالم ومعرفة ما جهل من الله مما لا يقبله العقل أي لا يستقل به العقل من حيث نظره فنزلت بهذه المعرفة للكتب المنزلة ونطقت بها ألسنة الرسل والأنبياء عليهم السلام فعلمت العقلاء عند ذلك أنها نقصها من العلم بالله أمور تممتها لهم الرسل ولا أعني بالعقلاء المتكلمين اليوم في الحكمة وإنما أعني بالعقلاء من كان على طريقتهم من الشغل بنفسه والرياضات والمجاهدات والخلوات والتهيء لواردات ما يأتيهم في قلوبهم عند صفائها من العالم العلويّ الموحى في السموات العلى فهؤلائك أعني بالعقلاء فإن أصحاب اللقلقة والكلام والجدل الذين استعملوا أفكارهم في موادّ الألفاظ التي صدرت عن الأوائل وغابوا عن الأمر الذي أخذها عنه أولئك الرجال وأمّا أمثال هؤلاء الذين عندنا اليوم لا قدر لهم عند كل عاقل فإنهم يستهزئون بالدين ويستخفون بعباد الله ولا يعظم عندهم إلا من هو معهم على مدرجتهم قد استولى على قلوبهم حب الدنيا وطلب الجاه والرياسة فأذلهم الله كما أذلوا العلم وحقرهم وصغرهم وألجأهم إلى أبواب الملوك والولاة من الجهال فأذلتهم الملوك والولاة فأمثال هؤلاء لا يعتبر قولهم فإن قلوبهم قد ختم الله عليها وأصمهم وأعمى أبصارهم مع الدعوى العريضة أنهم أفضل العالم عند نفوسهم فالفقيه المفتي في دين الله مع قلة ورعه بكل وجه أحسن حالا من هؤلاء فإن صاحب الإيمان مع كونه أخذه تقليداً هو أحسن حالاً من هؤلاء العقلاء على زعمهم وحاشى العاقل أن يكون بمثل هذه الصفة وقد أدركنا ممن كان على حالهم قليلاً وكانوا أعرف الناس بمقدار الرسل ومن أعظمهم تبعاً لسنن الرسول صلى الله عليه وسلم وأشدّهم محافظة على سننه عارفين بما ينبغي لجلال الحق من التعظيم عالمين بما خص الله عباده من النبيين وأتباعهم من الأولياء من العلم بالله من جهة الفيض الإلهيّ الاختصاصيّ الخارج عن التعلم المعتاد من الدرس والاجتهاد ما لا يقدر العقل من حيث فكره أن يصل إليه ولقد سمعت واحداً من أكابرهم وقد رأى مما فتح الله به عليّ من العلم به سبحانه من غير نظر ولا قراءة بل من خلوة خلوت بها مع الله و لم أكن من أهل الطلب فقال الحمد لله الذي أنا في زمان رأيت فيه من آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً فالله يختص من يشاء برحمته والله ذو الفضل العظيم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والستون في معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو الإيمان

شهد الله لم يزل أزلا	إنه لا إله إلا هو الله
ثم أملاكه بذا شهدت	إنه لا إله إلا هو الله
وأولو العلم كلهم شهدوا	إنه لا إله إلا هو الله
ثم قال الرسول قولوا معي	إنه لا إله إلا هو الله
أفضل ما قلته وقال به	من قبلنا لا إله إلا هو الله
ما عدا الأنس كلهم شهدوا	إنه لا إله إلا هو الله

قال الله جل ثناؤه في كتابه العزيز "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم" ثم قال "إن الدين عند الله الإسلام" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" الحديث فقال سبحانه "وأولوا العلم" لم يقل وأولوا الإيمان فإن شهادته بالتوحيد لنفسه ما هي عن خبر فيكون إيماناً ولهذا الشاهد فيما يشهد به لا يكون إلا عن علم وإلا فلا تصح شهادته ثم إنه عز وجل عطف الملائكة وأولي العلم على نفسه بالواو وهو حرف يعطي الاشتراك ولا اشتراك هنا إلا في الشهادة قطعاً ثم أضافهم إلى العلم لا إلى الإيمان فعلمنا أنه أراد من حصل له التوحيد من طريق العلم النظريّ أو الضروريّ لا من طريق الخبر كأنه يقول وشهدت الملائكة بتوحيدي بالعلم الضروريّ من التجلي الذي أفادهم العلم وقام لهم مقام النظر الصحيح في الأدلة فشهدت لي بالتوحيد كما شهدت لنفسي وأولو العلم بالنظر العقليّ الذي جعلته في عبادي ثم جاء بالإيمان بعد ذلك في الرتبة الثانية من العلماء وهو الذي يعوّل عليه في السعادة فإن الله به أمر وسميناه علماً لكون المخبر هو الله فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله وقال تعالى "وليعلموا إنما هو إله واحد" حين قسم المراتب في آخر سورة إبراهيم من القرآن العزيز وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة و لم يقل هنا يؤمن فإن الإيمان موقوف على الخبر وقد قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وقد علمنا أن لله عباداً كانوا في فترات وهم موحدون علماً وما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عامّة فيلزم أهل كل زمان الإيمان فعم بهذا الكلام جميع العلماء بتوحيد الله المؤمن منهم من حيث ما هو عالم به من جهة الخبر الصدق الذي يفيد العلم لا من جهة الإيمان وغير المؤمن فالإيمان لا يصح وجوده إلا بعد مجيء الرسول والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ثم إلهاً وإن ذاك الإله واحد لا بدّ من ذلك لأن الرسول من جنس من أرسل إليهم فلا يختص واحد من الجنس دون غيره إلا لعدم المعارض وهو الشريك فلا بدّ أن يكون عالماً بتوحيد من أرسله وهو الله تعالى ولابد أن يتقدّمه العلم بأنه هذا الإله هو على صفة يمكن أن يبعث رسولاً بنسبة خاصة ما هي ذاته وحينئذ ينظر في صدق دعوى هذا الرسول إنه رسول من عند الله لإمكان ذلك عنده وهذه في العلم مراتب معقولة يتوقف العلم ببعضها على بعض وليس هذا كله حظ المؤمن فإن مرتبة الإيمان وهو التصديق بأن هذا رسول من عند الله لا تكون إلا بعد حصول هذا العلم الذي ذكرناه فإذا جاءت الدلالات على صدقه بأنه رسول الله لا بتوحيد مرسله حينئذ تتأهب العقلاء أولو الألباب والأحلام والنهي لما يورده في رسالته هذا الرسول فأول شيء قال في رسالته إن الله الذي أرسلني يقول لكم قولوا لا إله إلا الله فعلم أولو الألباب أن العالم بتوحيد الله لا يلزمه أن يتلفظ به فلما سمع من الرسول الأمر بالتلفظ به وإن ذلك ليس من مدلول

دليل العلم بتوحيد الله تلفظ به هذا العالم الموحد إيماناً وتصديقاً بهذا الرسول فإذا قال العالم لا إله إلا الله لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له" قل لا إله إلا الله" عن أمر الله سمي مؤمناً فإن الرسول أوجب عليه أن يقولها وقد كان في نفسه عالماً بها ومخبراً في نفسه في التلفظ بها وعدم التلفظ بها فهذه مرتبة العالم بتوحيد الله من حيث الدليل فمن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة بلا شك ولا ريب وهو من السعداء فأمّا من كان في الفترات فيبعثه الله أمّة وحده كقس بن ساعدة لا تابع لأنه ليس بمؤمن ولا هو متبوع لأنه ليس برسول من عند الله بل هو عالم بالله وبما علم من الكوائن الحادثة في العالم بأي وجه علمها وليس لمخلوق أن يشرع ما لم يأذن به الله ولا أن يوجب وقوع ممكن من عالم الغيب يجوز خلافه في دليله على جهة القربة إلى الله إلا بوحي من الله وإخبار وهنا نكت لمن له قلب وفطنة لقوله تعالى وأوحى في كل سماء أمرها وقوله أنه أودع اللوح المحفوظ جميع ما يجريه في خلقه إلى يوم القيامة ومما أوحى الله في سمواته وأودعه في لوحه بعثة الرسل فتؤخذ من اللوح كشفاً وإطلاعاً وتؤخذ من السماء نظراً واختباراً وعلمهم ببعثة الرسل علمهم بما يجيئون به من القربات إلى الله وبأزمانهم وأمكنتهم وحلاهم وما يكون من الناس بعد الموت وما يكون منهم في البعث والحشر ومآلهم إلى السعادة والشقاء من جنة ونار وإنّ الله جعل بروج الفلك ومنازله وسباحة كواكبه أدلة على حكم ما يجريه الله في العالم الطبيعيّ والعنصريّ من حرّ وبرد ويبس ورطوبة في حار وبارد ورطب ويابس فمنها ما يقتضي وجود الأجسام في حركات معلومة ومنها ما يقتضي وجود الأرواح ومنها ما يقتضي بقاء مدّة السموات وهو العلم الذي أشار إليه أبو طالب المكي من أن الفلك يدور بأنفاس العالم ومع رؤيتهم لذلك كله هم فيه متفاضلون بعضهم على بعض فمنهم الكامل المحقق المدقق ومنهم من يترل عن درجته بالتفاضل في الترول وقد رأينا جماعة من أصحاب خط الرمل والعلماء بتقادير حركات الأفلاك وتسيير كواكبها والاقترانات ومقاديرها ومنازل اقترانالها وما يحدث الله عند ذلك من الحكم في خلقه كالأسباب المعتادة في العامة التي لا يجهلها أحد ولا يكفر القائل بها فهذه أيضاً معتادة عند العلماء بها فإنها تعطي بحسب تأليف طباعها مما لا يعطيه حالها في غير اقترانها بغيرها فيخبروتن بأمور جزئية تقع على حدّ ما أخبروا به وإن كان ذلك الأمر واقعاً بحكم الاتفاق بالنظر إليه وإن كان علماً في نفس الأمر فإن الناظر فيه ما هو على يقين وإن قطع به في نفسه لغموض الأمر فما يصح أن يكون مع الإنصاف على يقين من نفسه إنه ما فاتته دقيقة في نظره ولا فات لمن مهد له السبيل قبله من غير نبيّ يخبر عن الله فإن المتأخر على حساب المتقدّم يعتمد فلما رأينا ذلك علمنا أن لله أسراراً في خلقه ومن حصل في هذه المرتبة من العلم لم يكن أحد أقوى في الإيمان منه بما جاءت به الرسل وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله إلا من يدعو إلى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه وإن كلامنا في المفاضلة إنما هو بين هؤلاء وبين المؤمنين أهل التقليد لا بين الرسل وأولياء الله وخاصته الذين تولى الله تعليمهم فآتاهم رحمة من عنده وعلمهم من لدنه علماً فهم فيما علموه بحكم القطع لا بحكم الاتفاق يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الخط أن نبياً من الأنبياء بعث به قيل هو إدريس عليه السلام فأوحى الله إليه في تلك الأشكال التي أقامها الله له مقام الملك لغيره وكما يجيء الملك من غير قصد من النبيّ لمجيئه كذلك يجيء شكل الخط من غير قصد الضارب صاحب الخط إليه وهذه هي الأمّهات خاصة ثم شرع له أن يشرع وهي السنة التي يرى الرسول أن يضعها في العالم وأصلها الوحي كذلك ما يولد صاحب الخط عن الأمّهات من الأولاد وأولاد الأولاد فتفصح له تلك الأشكال عن الأمر المطلوب على ما هو عليه والضمير فيه كالنية في العمل فلا يخطىء قال عليه السلام في العلماء العالمين بالخط فمن وافق خطه يعني خط ذلك النبيّ فذاك يقول فقد أصاب الحق فهذا مثل من يدعو إلى الله على بصيرة من اتباع الرسل فقوله فإن وافق فما جعله علماً عنده لكونه لا يقطع به وإن كان علماً في نفس الأمر فهذا الفرق بين هؤلاء

وبين من يدعو إلى الله على بصيرة ومن هو على بينة من ربه فاعلم العلماء بالله بعد ملائكة الله رسل الله وأولياؤه ثم العلماء بالأدلة ومن دونهم وإن وافق العلم في نفس الأمر فليس هو عند نفسه بعالم للتردّد الإمكانيّ الذي يجده في نفسه المنصف فما هو مؤمن إلا بما جاء في كتاب الله على التعيين وما جاء عن رسوله على الجملة لا على التفصيل إلا ما حصل له من ذلك تواتراً ولهذا قيل للمؤمنين آمنوا بالله ورسوله فقد بانت لك مراتب الخلق في العلم بالله فإذا جاء الرسول وبين يديه العلماء بالله وغير العلماء بالله وقال للجميع قولوا لا إله إلا الله علمنا على القطع أنه صلى الله عليه وسلم في ذلك القول معلم لمن لا علم له بتوحيد الله من المشركين وعلمنا أنه في ذلك القول أيضاً معلم للعلماء بالله وتوحيده إن التلفظ به واجب وإنه العاصم لهم من سفك دمائهم وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله و لم يقل حتى يعلموا فإن فيهم العلماء فالحكم هنا للقول لا للعلم والحكم يوم تبلى

السرائر في هذا للعلم لا للقول فقالها هنا العالم والمؤمن والمنافق الذي ليس بعالم ولا مؤمن فإذا قالوا هذه الكلمة عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها في الدنيا والآخرة وحسابهم على الله في الآخرة من أجل المنافق ومن ترتب عليه حق لأحد فلم يؤخذ منه وأمّا في الدنيا فمن أجل الحدود الموضوعة فإن قول لا إله إلا الله لا يسقطها في الدنيا ولا في الآخرة وأما حسابهم على الله في الآخرة يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فيعلمون بقرينة الحال أنه سؤال واستفهام عن إجابتهم بالقلوب فيقولون لا علم لنا أي لم نطلع على القلوب إنك أنت علام الغيوب تأكيد وتأييد لما ذكرنا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اسمه الملك بني الإسلام على خمس فصيره ملكاً شهادة أن لا إله إلا الله وهي القلب وأن محمداً رسول الله حاجب الباب وأقام الصلاة المجنبة اليمنى وإيتاء الزكاة المجنبة اليسرى وصيام رمضان التقدمة والحج الساقة وربما كانت الصلاة التقدمة لكونها نوراً فهي تحجب الملك وقد ورد في الخبر إن حجابه النور وتكون الزكاة الميمنة لأنها إنفاق يحتاج إلى قوّة لإخراج ما كان يملكه عن ملكه ويكون الحج الميسرة لما فيه من الإنفاق والقرابين حيث تجتمع بالزكاة في الصدقة والهدية وكلاهما من أعمال الأيدي ويكون الصوم في الساقة فإن الخلف نظير الأمام وهو ضياء فإن الصبر ضياء يريد الصوم والضياء من النور فهو أولى بالساقة للموازنة فإن الآخر يمشي على أثر الأوّل وهكذا يكون الإيمان الإلهيّ يوم القيامة فيأتي الإيمان يوم القيامة في صورة ملك على هذه الصفة فأهل لا إله إلا الله في القلب وأهل الصلاة في التقدمة وأهل الزكاة وهي الصدقة في الميمنة وأهل الحج في الميسرة وأهل الصيام في الساقة جعلنا الله ممن قام بناء بيته على هذه القواعد فكان بيته الإيمان وحدّه من القبلة الصلاة ومن الشمال الصوم ومن الغرب صدقة السرّ ومن الشرق الحج فلقد سعد ساكنه واعلم أن لا إله إلا الله كلمة نفي وإثبات وهي أفضل كلمة قالها الأنبياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل دعاء دعاء يوم عرفة فيه إشارة لدعاء العارفين بالله وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهو حديث صحيح رواية ومعنى فالنفي لابدّ أن يرد على ثابت فينفيه فإنه إن ورد النفي على ما ليس بثابت وهو النفي أثبته لأن ورود النفي على نفي إثبات كما أن عدم العدم وجود فما نفي هذا النافي بقوله لا إله أخبرونا فقد استفهمناكم والثبت أيضاً هل حكمه حكم النفي من أنه لا يثبت إلا المنفي أو حكمه حكم آخر يتميز به عن حكم النفي فأيّ شيء نفى هذا النافي وأيّ شيء أثبت هذا المثبت هذا كله لابدّ من تحقيقه إن شاء الله فاعلم أن النفي ورد على أعيان من المخلوقات لما وصفت بالألوهية ونسبت إليها قيل فيها آلهة ولهذا تعجب من تعجب من المشركين لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله الواحد فأخبرنا بقية عنه أنه قال أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب فسموها آلهة

وهي ليست بهذه الصفة فورد حكم نفي على هذه النسبة الثابتة عندهم إليها لا في نفس الأمر لا على نفي الألوهية لأنه لو نفي النفي لكان عين الإثبات لما زعمه مشرك فكأنه يقول للمشرك هذا القول الذي قلت لا يصح أي ما هو الأمر كما زعمت ولابد من إله وقد انتفت الكثرة من الآلهة بحرف الإيجاب الذي هو قوله إلا وأوجبوا هذه النسبة إلى المذكور بعد حرف الإيجاب وهو مسمى الله فقالوا لا إله إلا الله فلم تثبت نسبة الألوهة لله بإثبات المثبت لأنه سبحانه إله لنفسه فأثبت المثبت بقوله إلا الله هذا الأمر في نفس من لم يكن يعتقد انفراده سبحانه بهذا الوصف فإنّ ثبت الثبت محال وليس نفي المنفي بمحال فعلى الحقيقة ما عبد مشرك إلا الله لأنه لو لم يعتقد الألوهة في الشريك ما عبده وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ولذلك غار الحق لهذا وصف فعاقبهم في الدنيا إذ لم يحترموه ورزقهم وسمع دعاءهم وأجابهم إذا سألوا إلههم في زعمهم لعلمه سبحانه إنهم ما لجؤا إلا لهذه المرتبة وإن أخطؤا في النسبة فشقوا في الآخرة شقاء الأبد حيث نبههم الرسول على توحيد من تجب له هذه النسبة ينظروا ولا نصحوا نفوسهم ولهذا كانت دلالة كل رسول بحسب ما كان الغالب على أهل زمانه لتقوم عليهم الحجة ليكون لله الحجة البالغة فعمت هذه الكلمة مرتبة العدم والوجود فلم تبق مرتبة إلا وهي داخلة تحت النفي والإثبات فلها شمول فمن قائل لا إله إلا الله بنفسه ومن قائل لا إله إلا الله بنعته ومن قائل لا إله إلا الله بربه ومن قائل لا إله إلا الله بنعت ربه ومن قائل لا إله إلا الله بحاله ومن قائل لا إله إلا الله بحكمه وهو المؤمن خاصة والخمسة الباقون ما لهم في الإيمان مدخل أما من قال لا إله إلا الله بنفسه فهو الذي قالها من تجليه لنفسه فرأى استفادة وجوده من غيره فأعطته رؤية نفسه أن يقول لا إله إلا الله وهو التوحيد الذاتيّ الذي أشارت إليه طائفة من المحققين وأما القائل لا غله إلا الله بنعته فهو الذي وحده بعلمه من نعته العلم بتوحيد الله وأحديته فنطقه علمه والفرق بينه وبين الأول أن الأول عن شهود وهذا الثاني عن وجود والوجود قد يكون عن شهود وقد لا يكون وأما القائل لا إله إلا الله بربه فهو الذي رأى أن الحق عين الوجود لا أمر آخر وأن اتصاف الممكنات بالوجود هو ظهور الحق لنفسه بأعيانها وذلك إن استفادتها الوجود لها من الله إنما هو من حيث وجوده فإن الوجود المستفاد وهو الظاهر وهو عين الحكم به على هذه الأعيان فقال لا إله إلا الله بربه وأما القائل لا إله إلا الله بنعت ربه فإنه رأى أن الحق سبحانه من حيث أحديته وذاته ما هو مسمى الله والرب فإنه لا يقبل الإضافة رأى أن مسمى الرب يقتضي المربوب ومسمى الله يطلب المألوه ورأى أنهم لما استفادوا منه الوجود ثبت له اسم الرب إذ كان المربوب يطلبه فالمربوب أصل في ثبوت الاسم الرب ووجود الحق أصل في وجود الممكنات ورأى أن لا إله إلا الله عرف نفسه عرف ربه فوجودنا موقوف على وجوده والعلم به موقوف على العلم بنا فهو أصل في وجه ونحن أصل في وجه أمّا القائل لا إله إلا الله بحاله فهو الذي يستند في أموره إلى غير الله فإذا لم يتفق له حصول ما طلب تحصيله ممن استند إليه سدت الأبواب في وجهه من جميع الجهات رجع إلى الله اضطراراً فقال لا إله إلا الله بحاله وهؤلاء الأصناف كلهم لا يتصفون بالإيمان لأنه ما فيهم من قالها عن تقليد وأما من قال لا إله إلا الله بحكمه فهو الذي قالها لقول الشارع حيث أوجب عليه أن يقولها وحكم عليه أن يقولها ولولا هذا الحكم ما قالها على جهة القربة إلى الله وربما لو قالها قالها معلماً أو معلماً دخلت على شيخنا أبي العباس العريبيّ من أهل العليا وكان مستهتراً بذكر الاسم الله لا يزيد عليه شيأ فقلت له يا سيدي لم لا تقول لا إله إلا الله فقال لي يا ولدي الأنفاس بيد الله ما هي بيدي فأخاف أن يقبض الله روحي عند ما أقول لا إله فأقبض في وحشة النفي وسألت شيخاً آخر عن ذلك فقال لي ما رأت عيني ولا سمعت أذني من يقول أنا الله غير الله فلم أجد من أنفي فأقول كما سمعته بقول الله الله وإنما تعبدنا بهذا الاسم في التوحيد لأنه الاسم الجامع للنعوت بجميع الأسماء الإلهية وما نقل أنه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركة بخلاف غيره من الأسماء مثل إله وغيره وبهذا القدر من القول إذا

قيل لقول الشارع يثبت الإيمان وإنما قال الشارع حتى يقولوا لا إله إلا الله و لم يقل محمد رسول الله لتضمن هذه الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة فإن القائل لا إله إلا الله لا يكون مؤمناً إلا إذا قالها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لهذا لم يقل قولا محمد رسول الله وقال في غير القول وهو الإيمان والإيمان معنى من المعاني ما هو مما يدرك بالحس فقرن بالإيمان بالله الإيمان به وبما جاء به يعني من عنده مما له أن يشرعه من غير نقل عن الله فقال في حديث ابن عمر لما ذكر الإيمان بالله وبالصلاة والزكاة والحج والصوم وكل هذا جاء من عند الله قال في حديث ابن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به من أجل المنافق المقلد فإنه يقولها من غير إيمان بقلبه ولا اعتقاد والجاحد المنافق يقولها لا لقوله مع علمه بأنه رسول الله من كتابه لا من دليله العقليّ واعلم أن التلفظ بشهادة الرسالة المقرونة بشهادة التوحيد فيه سرّ إلهيّ عرفنا به الحق سبحانه وهو أن الإله الواحد الذي جاء بوصفه ونعته الشارع ما هو التوحيد الإلهيّ الذي أدركه العقل فإنّ ذلك لا يقبل اقتران

الشهادة بالرسالة مع الشهادة بالتوحيد فهذا التوحيد من حيث ما يعلمه الشارع ما هو التوحيد من حيث ما أثبته النظر العقليّ وإذا كان الإله الذي دعانا الشرع إلى عبادته وتوحيده إنما هو في رتبة كونه إلهاً لا في ذاته صح أن تنعته بما نعته به من النزول والأستواء والمعية والتردّد والتدبر وما أشبه ذلك من الصفات التي لا يقبلها توحيد العقل المحض المجرّد عن الشرع فهذا المعبود ينبغي أن تقرن شهادة الرسول برسالته بشهادة توحيد مرسله ولهذا يضاف إليه فيقال أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أنّ محمداً رسول الله كل يوم ثلاثين مرّة في أذان الخمس الصلوات وفي الإقامة والمتلفظون بهذه الشهادة الرسالية التفصيل فيهم كالتفصيل في شهادة التوحيد فلنمش بها على ذلك الأسلوب من المراتب وفي الإيمان بالله وبرسوله الإيمان بكل ما جاء به من عند الله ومن عنده مما سنه بها على ذلك الأسلوب من المراتب وفي الإيمان بالله وبرسوله الإيمان بكل ما جاء به من عند الله ومن عنده مما سنه وشرعه ويدخل فيما سنه الإيمان بسنة من سنّ سنة حسنة فاستمرّ الشرع وحدوث العبادة المرغب فيها مما لا ينسخ حكماً ثابتاً إلى يوم القيامة وهذا الحكم خاص بهذه الأمّة وأعني بالحكم تسميتها سنة تشريفاً لهذه الأمّة وكانت في حق غيرهم من الأمم السالفة تسمى رهبانية قال تعالى ورهبانية ابتدعوها فمن قال بدعة في هذه الأمة مما سماها الشارع سنة فما أصاب السنة إلا أن يكون ما بلغه ذلك والاتباع أولى من الابتداع والفرق بين الاتباع والابتداع معقول ولهذا جنح لاشارع إلى تسميتها سنة وما سماها بدعة لأن الابتداع إظهار أمر على غير مثال هذا أصله ولهذا قال الحق تعالى عن نفسه بديع السموات والأرض أي موجدها على غير مثال سبق فلو شرع الإنسان اليوم أمراً لا أصل له في الشرع لكان ذلك إبداعاً و لم يكن يسوغ لنا الأخذ به فعدل الشارع عن لفظ الابتداع إلى لفظ السنة إذ كانت السنة مشروعة وقد شرع الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الاقتداء بهدي الأنبياء عليهم السلام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الثلاثون.

الجزء الحادي والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثامن والستون في أسرار الطهارة

تبصر ترى سرّ الطهارة واضحا يسيراً على أهل التيقظ والذكا

فكم طاهر لم يتصف بطهارة إذا جانب البحر اللدنيّ واحتمى

ولو غاص في البحر الأجاج حياته ولم يفن عن بحر الحقيقة ما زكا

إذا استجمر الإنسان وتراً فقد مشى على السنة لمثلي حليفاً لمن مضى

فإن شفع استجماره عاد خاسراً وفارق من يهواه من باطن الردا

وإن غسل الكفين وتراً ولم يزل بخيلاً بما يهوى على فطرة الأولى

فما غسلت كف خضيب ومعصم إذا لم يلح سيف التوكل منتضى

إذا صح غسل الوجه صح حياؤه وصح له رفع الستور متى يشا

وإن لم يمس الماء لمة رأسه ولا وقفت كفاه في ساحة القفا

فما انفك من رق العبودية التي تسخرها الأغيار في منزل التوى

وإن لم ير الكرسيّ في غسل رجله تناقص معنى الطهر للحين وانتفى

إذا مضمض الإنسان فاه ولم يكن بريئاً من الدعوى وفيا بما أدعى

ومستنشق ما شم ريح اتصاله ومستنثر أودى به كبره الردى

صماخاه ما تنفك تطهر إن صغا إلى أحسن الأقوال واكتف واقتفى

وإن لبس الجرموق وهو مسافر على طهره يمسح وفي سره خفا

ثلاثة أيام وإن كان حاضراً بمنزله فالمسح يوم بلا قضا

وفي المسح سرّ لا أبوح بذكره ولو قطعت مني المفاصل والكلى

ويتلوه مسح في الجبائر بين لكل مريد لم يرد ظاهر الدنا

وإن عدم الماء القراح فإنه تيممه يكفيه من طيب الثرى

ويوتره وجهاً وكفا فإن أبى وصيره شفعاً فنعم الذي أتى

إذا أجنب الإنسان عم طهوره كما عمت اللذات أجزاءه العلى

ألم تر أن الله نبه خلقه بإخراجه بين الترائب والمطا
فذاك الذي أجنى عليه طهوره ولو غاب بالذات النزيهة ما جنا
فإن نسي الإنسان ركناً فإنه يعيد ويقضي ما تضمن واحتوى
وإن لم يكن ركناً وعطل سنة فلم يأنس الزلفى وما بلغ المنى
وذلك في كل العبادات شائع وليس جهول بالأمور كمن درى
فهذا طهور العارفين فإن تكن من أحزابهم تحظى بتقريب مصطفى
إذا كان هذا ظاهر الأمر فالذي توارى عن الأبصار أعظم منتشا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أنه لما كانت الطهارة النظافة علمنا أنها صفة تتريه وهي معنوية وحسية طهارة قلب وطهارة أعضاء معينة فالمعنيوة طهارة النفس من سفساف الأخلاق ومذمومها وطهارة العقل من دنس الأفكار والشبه وطهارة السرّ من النظر إلى الأغيار وطهارة الأعضاء فاعلم أن لكل عضو طهارة معنوية ذكرناها في كتاب التترلات الموصلية في أبواب الطهارة منه وطهارة الحس من الأمور المستقذرة التي تستخبثها النفوس طبعاً وعادة وهاتان الطهارتان مشروعتان فالطهارة الحسية الظاهرة نوعان النوع الواحد قد ذكرناه وهو النظافة والنوع الآخر أفعال معينة مخصوصة في محال معينة مخصوصة لأحوال موجبة مخصوصة لا يزاد فيها ولا ينقص منها شرعاً ولهذه الطهارة المذكورة ثلاثة أسماء شرعاً وضوء وغسل وتيمم وتكون هذه الطهارة بثلاثة أشياء اثنان مجمع عليهما وواحد مختلف فيه فالمجمع عليهما الماء الطلق والتراب سواء فارق الأرض أو لم يفارقها والواحد المختلف فيه في الوضوء خاصة نبيذ التمر وما فارق الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض إذا كان في الأرض فإنه مختلف فيه ما عدا التراب كما ذكرنا وهذه الطهارة قد تكون عبادة مستقلة كما قال صلى الله عليه وسلم فيها نور على نور وقد تكون شرطاً في صحة عبادة مشروعة مخصوصة لا تصح تلك العبادة شرعاً إلا بوجودها أو الأفضلية فالأوّل كالوضوء على الوضوء نور على نور والثاني لرفع المانع عن فعل العبادة التي لا تصح إلا بهذه الطهارة واستباحة فعلها وهو الأصل في تشريعها ومما تقع به هذه الطهارة ما يكون رافعاً للمانع مبيحاً للفعل معاً وهو الماء بلا خلاف ونبيذ التمر في الوضوء بخلاف ومنه ما تقع به الإباحة للفعل المعين في الوقت المفروض وقوعه ولا يرفع المانع بخلاف وهو التراب وعندي أنه يرفع المانع في الوقت ولابد وكون الشارع حكم بالطهارة إذا وجد الماء حكم آخر منه كما عاد حكم المانع بعدما كان ارتفع وما عدا التراب مما فارق الأرض بخلاف قال الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم" بنصف اللام وخفضه "إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط و لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وقال تعالى ويترل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وزاي الرجز هنا بدل من السين على قراءة من قرأ الزراط بالزاي وهي لغة قرأ ابن كثير بها أعني بالسين وحمزة بالزاي وباقي القراء بالصاد سمعت شيخاً وكنت أقرأ عليه القرآن يقال له محمد بن خلف بن صاف اللخمي بمسجده المعروف به بقوس الحنية بإشبيلية من بلاد الأندلس سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فقرأت السراط بالسين لابن كثير فقال لي سأل

بعض ناقلي اللغة بعض الأعراب كيف تقولون صقر أو سقر فقال له ما أدري ما تقول ولكنني أظنك تسأل عن الزقر فقال فزادني لغة ثالثة ما كنت أعرفها قال الفراء الرجس القذر ولا شك أن الماء يزيل القذر والطهور الشرعي يذهب قدر الشيطان قال تعالى "وثيابك فطهر" قال امرؤ القيس:

وإن كنت قد ساءتك مني خليقة
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

فكنى بالثوب عن الود والوصلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر عن ربه سبحانه ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ومن أسمائه سبحانه المؤمن فمن تخلق به فقد طهر قلبه لأن القلب محل الإيمان وكانت السعة الإلهية والتجلي الربانيّ والطهارة عامة وهي الغسل للفناء الذي عم ذاته لوجود اللذة بالكون عند الجماع أريها السهى وتريني القمر وخاصة وهي الوضوء المخصص بعض الأعضاء بالاغتسال والمسح وهو تنبيه على مقامات مغلومة وتجليات شريفة منها القوّة والكلام والأنفاس والصدق والتواضع والحياء والسماع والثبات فهذه أعضاء الوضوء وهي مقامات شريفة لها نتائج في القرب إلى الله وهذه الظاهرة الروحانية بأحد أمرين إما سرّ الحياة أو بأصل النشء الطبيعيّ العنصريّ فالوضوء بسر الحياة الشاهدة الحيّ القيوم أو بأصل النشء في الأب الذي هو أصل الأبناء وهو الأرض والتراب وليس إلا النظر والتفكر في ذاتك لتعرف من أوجدك فإنه أحالك عليك في قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي قول رسوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه أحالك عليك بالتفصيل وأخفاك عنك بالإجمال لتنظر وتستدل فقال في التفصيل ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام هنا ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وهي نشأة الأبناء في الأرحام مساقط النطف ومواقع النجوم فكنى عن ذلك بالقرار المكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً وقد تم البدن على التفصيل فإن اللحم يتضمن العروق والأعصاب:

وفي كل طور له آية
تدل على أنني مفتقر

ثم أجمل خلق النفس الناطقة الذي هو بها إنسان في هذه الآية فقال ثم أنشأناه خلقاً آخر عرّفك بذلك أن المزاج لا أثر له في لطيفتك وإن لم تكن نصاً لكن هو ظاهر وأبين منه قوله فسوّاك فعدلك وهو ما ذكره في التفصيل من التقلب في الأطوار فقال في أي صورة ما شاء ركبك فقرنه بالمشيئة فالظاهر أنه لو اقتضى المزاج روحاً خاصاً معيناً ما قال في أيّ صورة ما شاء وأيّ حرف نكرة مثل حرف ما فإنه حرف يقع على كل شيء فأبان لك أن المزاج لا يطلب صورة بعينها ولكن بعد حصولها تحتاج إلى هذا المزاج وترجع به فإنه بما فيه من القوى التي لا تدبره إلا بها فإنه بقواه لها كالآلات لصانع النجارة أو البناء مثلاً إذا هيئت وأتقنت وفرغ منها تطلب بذاتها وحالها صانعاً يعمل بها ما صنعت له وما تعين زيداً ولا عمراً ولا خالداً ولا واحداً بعينه فإذا جاء من جاء من أهل الصنعة مكنته الآلة من نفسها تمكيناً ذاتياً لا تتصف بالاختيار فيه فجعل يعمل بها صنعته بصرف كل آلة لما هيئت له فمنها مكملة وهي المخلقة يعني التامّة الخلقة ومنها غير مكملة وهي غير المخلقة فينقص العامل من العمل على قدر ما نقص من جودة الآلة ذلك ليعلم أن الكمال الذاتيّ لله سبحانه فبين لك الحق مرتبة جسدك وروحك لتنظر وتفكر فتعتبر أن الله ما خلقك سدى وإن طال المدى وأمّا القصد الذي هو النية شرط في صحة هذا النظر بخلاف قال تعالى فتيمموا صعيداً طيباً أي اقصدوا التراب الذي ما فيه ما يمنع من

استعماله في هذه العبادة من نجاسة و لم يقل ذلك في طهارة الماء فإنه أحال على الماء المطلق لا المضاف فإن الماء المضاف مقيد بما أضيف إليه عند العرب فإذا قلت للعربيّ أعطني ماء جاء إليك بالماء الذي هو غير مضاف ما يفهم العرب منه غير ذلك وما أرسل رسول ولا أنزل كتاب إلا بلسان قومه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين يقول تعالى إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون فلهذا لم يقل بالقصد في الماء لأنه سرّ الحياة فيعطي الحياة بذاته سواء قصد أم لم يقصد بخلاف التراب فإنه إن لم يقصد الصعيد الطيب فليس بنافع لأنه جسد كثيف لا يسري فروحه القصد فإن القصد معنى روحانيّ فافتقر المتيمم للقصد الخاص في التراب أو الأرض بخلاف أيضاً و لم يفتقر المتوضىء بالماء بخلاف فقال اغسلوا و لم يقل تيمموا ماء طيباً فإن قالوا إنما الأعمال بالنيات وهي القصد والوضوء عمل قلنا سلمنا ما تقول ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنالك للصعيد فيفتقر الوضوء بهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل لا من حيث ما هو عمل بماء فالماء هنا تابع للعمل والعمل هو المقصود بالنية وهنالك القصد للصعيد الطيب والعمل به تبع يحتاج إلى نية أخرى عند الشروع في الفعل كما يفتقر العمل بالماء في الوضوء والغسل وجميع الأعمال المشروعة إلى الإخلاص المأمور به وهو النية بخلاف قال تعالى "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفي هذه الآية نظر وهذه مسئلة ما حققها الفقهاء على الطريقة التي سلكنا فيها وفي تحقيقها فافهم و لم يقل في الماء تيمموا الماء فيفتقر إلى روح من النية والماء في نفسه روح فإنه يعطي الحياة من ذاته قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حيّ فإن كل شيء يسبح بحمد الله ولا يسبح إلا حي فالماء أصل الحياة في الأشياء ولهذا وقع الخلاف بين علماء الشريعة في النية في الوضوء هل هي شرط في صحته أو ليست بشرط في صحته والسرّ ما ذكرناه فإن قيل إن الإمام الذي لا يرى النية في الوضوء يراها في غسل الجنابة وكلا العبادتين بالماء وهو سرّ الحياة فيها قلنا لما كانت الجنابة ماء وقد اعتبر الشرع الطهارة منها لدنس حكميّ فيها لامتزاج ماء الجنابة بما في الأخلاط وكون الجنابة ماء مستحيلاً من دم فشاركت الماء في سرّ الحياة فتمانعاً فلم يقو الماء وحده على إزالة حكم الجنابة لما ذكرنا فافتقر إلى روح مؤيد له عند الاغتسال فاحتاج إلى مساعدة النية فاجتمع حكم النية وهي روح معنويّ وحكم الماء فأزالا بالغسل حكم الجنابة بلا شك كأبي حنيفة ومن قال بقوله في هذه المسئلة ومن راعى كون ماء الجنابة لا يقوى قوّة الماء المطلق لأنه ماء استحال من دم كماء الجنابة إلى ممازجته بالأخلاط ومفارقته إياه بالكثافة واللونية قال

قد ضعف ماء الجنابة عن مقاومة الماء المطلق فلم يفتقر عنده إلى نية كالحسن بن حي والمخالف لهما من العلماء ما تفطنوا لما رأياه هذان الإمامان ومن ذهب مذهبهما فاجعل بالك لما بينته لك ورجح ما شئت وصل وبعد أن تحققت هذا فاعلم أن الماء ما آن ماء ملطف مقطر في غاية الصفاء والتخليص وهو ماء الغيث فإنه ماء مستحيل من أبخرة كثيفة قد أزال التقطير ما كان تعلق به من الكثافة وذلك هو العلم الشرعي اللدني فإنه عن رياضة ومجاهدة وتخليص فطهر به ذاتك لمناجاة ربك والماء الآخر ماء لم يبلغ في اللطافة هذا المبلغ وهو ماء العيون والأنهار فإنه ينبع من الأحجار ممتزجاً بحسب البقعة التي ينبع بها ويجري عليها فيختلف طعمه فمنه عذب فرات ومنه ملح أجاج ومنه مرّزعاق وماء الغيث على حالة واحدة ماء نمير خالص سلسال سائغ شرابه وهذه علوم الأفكار الصحيحة والعقول فإن علوم العقل المستفادة من الفكر يشوبها التغير لأنها بحسب مزاج المتفكر من العقلاء لأنه لا ينظر إلا في موادّ محسوسة كونية في الخيال وعلى مثل هذا تقوم براهينها فتختلف مقالاتهم في الشيء الواحد أو تختلف مقالة الناظر الواحد في الشيء الواحد في أزمان مختلفة لاختلاف الأمزجة والتخليط والأمشاج الذي في نشأتهم فاختلفت أقاويلهم في الشيء الواحد وفي الأصول التي يبنون عليها فروعهم والعلم اللدني الإلهيّ المشروع ذو طعم واحد وإن اختلفت مطاعمه فما اختلفت في الطيب فطيب وأطيب

فهو خالص ما شابه كدر لأنه تخلص من حكم المزاج الطبيعي وتأثير المنابيع فيه فكانت الأنبياء والأولياء وكل مخبر عن الله على قول واحد في الله إن لم يزد فلا ينقص ولا تخالف يصدق بعضهم بعضاً كما لم يختلف ماء السماء حال النزول فليكن اعتمادك وطهورك في قلبك بمثل هذا العلم وليس إلا العلم بالشرع المشبه بماء الغيث وإن لم تفعل فما نصحت نفسك وتكون في ذاتك وطهورك بحسب ما تكون البقعة التي نبع منها ذلك الماء فإن فرقت بين عذبه وملحه فاعلم أنك سليم الحاسة وهذه مسئلة لم أجد أحداً نبه عليها فإن آكل السكر بالحلاوة في السكر كذلك وفي مرارة الصبر ليس بصحيح ولا يقتضيه الدليل العقلي وقد نبهناك إن تنبهت فانظر ثم يا وليي استدرك استعمال علوم الشريعة في ذاتك وعلوم الأولياء والعقلاء الذين أخذوها عن الله بالرياضات والخلوات والمجاهدات والاعتزال عن فضول الجوارح وخواطر النفوس وإن لم تفرّق بين هذه المياه فاعلم أنك سيء المزاج قد غلب عليك خلط من أخلاطك فما لنا فيك من حيلة إلا أن يتدارك الله برحمته نفسك فإذا استعملت من ماء هذه العلوم في طهارتك ما دللتك عليه وهو العلم المشروع طهرت صفاتك وروحانيتك به كما طهرت أعضاءك بالماء ونظفتها فأوّل طهارتك غسل يديك قبل ادخالهما في الإباء عند قيامك من نوم الليل بلا خلاف ووجوب غسلهما من نوم النهار بخلاف واليد محل القوّة والتصريف فطهورهما بعلم لا حول في اليسرى ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم في اليمنى واليدان محل القبض والإمساك بخلاً وشحاً فطهرهما بالبسط والانفاق كرماً وجوداً وسخاء ونوم الليل غفلتك عن علم عالم غيبك ونوم النهار غفلتك عن علم عالم شهادتك فهذا عين تخلقك وتحققك بعالم الغيب والشهادة من الأسماء الحسنى المضافة ثم بعد هذا الاستنجاء والاستجمار والجمع بينهما أفضل من الإفراد فهما طهارتان نور في نور مرغب فيهما سنة وقرآناً فإن استنجيت وهو استعمال الماء في طهارة السوأتين لما قام بهما من الأذى وهما محل الستر والصوم كما هما محل إخراج الخبث والأذى القائم بباطنك وهو ما تعلق بباطنك من الأفكار الرديئة والشبه المضلة كما ورد في الصحيح إن الشيطان يأتي إلى الإنسان في قلبه فيقول له من خلق كذا من خلق كذا حتى نقول فمن خلق الله فطهارة هذا القلب من هذا الأذى ما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستعاذة والانتهاء وهما عورتان أي مائلتان إلى ما يوسوس به نفسه من الأمور القادحة في الدين أصلاً وفرعاً فإنّ الدبر هو الأصل في الأذى فإنه ما وجد إلا لهذا والفرجان الآخران في الرجل والمرأة فرعان عن هذا الأصل ففيهما وجه إلى الخير ووجه إلى الشر وهو النكاح والسفاح ألا ترى النجاسة إذا وردت على الماء القليل أثرت فيه فلم يستعمل وإذا ورد الماء على النجاسة أذهب حكمها كذلك الشبه إذا وردت على القلوب الضعيفة الإيمان

االضعيفة الرأي أثرت فيها وإذا وردت على البحر استهلكت فيه كذلك القلوب القوية المؤيدة بالعلم وروح القدس كذلك الشبه إذا جاء بها شيطان الإنس والجنّ إلى المتضلع من العلم الإلهيّ الريان منه قلب عينها وعرف كيف يردّ نحاسها ذهباً وقزديرها فضة يا كسير العلم اللدنيّ الذي عنده من عناية الرحمة الإلهية التي أتاه الله بها وعرف وجه الحق منها وآثر فيها فهذا سر الاستنجاء الروحانيّ فإن استجمر هذا المتوضي و لم يستنج فاعلم أن ذلك طهور المقلد فإن الجمرة الجماعة ويد الله مع الجماعة ولا يأكل الذئب إلى القاصية وهي التي بعدت عن الجماعة وخرجت عنها وذلك مخالفة الإجماع والاستجمار معناه جمع أحجار أقلها ثلاثة إلى ما فوقها من الأوتار لأن الوتر هو الله فلا يزال الوتر مشهودك والوتر طلب الثار وهو هنا ما ألقاه الشيطان من الشبه في إيمانك فتجمع الأحجار للإنقاء من ذلك الخبث القائم بالعضو فالمقلد إذا وجد شبهة في نفسه هرب إلى الجماعة أهل السنة فإنّ يد الله كما جاء مع الجماعة ويد الله تأييده وقوّته وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مفارقة الجماعة ولهذا قام الإجماع في الدلالة على الحكم المشروع مقام النص من الكتاب أو السنة المتواترة التي تفيد العلم فهذا يكون استجمارك في هذه الطهارة ثم مضمض بالذكر الحسن

لتزيل به الذكر القبيح من النميمة والغيبة والجهر بالسوء من القول فلتكن مضمضتك بالتلاوة وذكر الله وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وقال مشاء بنميم وقال لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وما أشبه ذلك فهذه طهارة فيك وقد فتحت لك الباب فأجر في وضوئك وغسلك وتيممك في أعضائك على هذا الأسلوب فهو الذي طلبه الحق منك وقد استوفينا الكلام على هذه الطهارة في التنزلات الموصلية فانظرها هنالك نثراً ونظماً وقد رميت بك على الطريق ولتصرف هذه الطهارة بكمالها في كل مكلف منك فإن كل مكلف منك مأمور بجميع العبادات كلها من طهور وصلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد وغير ذلك من الأعمال المشروعة وكل مكلف فيك تصرفه في هذه العبادات بحسب ما تطلبيه حقيقته لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها وقد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي بين كيف تستعمله فيها وهم ثمانية أصناف لا يزيدون لكن قد ينقصون في بعض الأشخاص وهم العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب لا زائد في الإنسان عليهم لكن قد ينقصون في بعض أشخاص هذا النوع الإنساني كالأكمه والأخرس والأصم وأصحاب العاهات فمن بقي من هؤلاء المكلفين منك فالخطاب يترتب عليه ومن خطاب الشارع تعلم جميع ما يتعلق بكل عضو من هؤلاء الأعضاء من التكاليف وهم كالآلة للنفس المخاطبة المكلفة بتدبير هذا البدن وأنت المسؤول عنهم في إقامة العدل فيهم فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انقطع شسع نعله خلع الأخرى حتى يعدل بين رجليه ولا يمشي في نعل واحد وقد بيناها بكمالها وما لها من الأنوار والكرمات والمنازل والأسرار والتجليات في كتابنا المسمى مواقع النجوم ما سبقنا في علمنا في هذا الطريق إلى ترتيبه أصلاً وقيدته في أحد عشر يوماً في شهر رمضان بمدينة المرية سنة خمس وتسعين وخمسمائة يغني عن الأستاذ بل الأستاذ محتاج إليه فإن الأستاذين فيهم العالي والأعلى وهذا الكتاب على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه ليس وراءه مقام في هذه الشريعة التي تعبدنا بها فمن حصل لديه فليعتمد بتوفيق الله عليه فإنه عظيم المنفعة وما جعلني أن أعرفك بمنزلته إلا أني رأيت الحق في النوم مرّتين وهو يقول لي انصح عبادي وهذا من أكبر نصيحة نصحتك بها والله الموفق وبيده الهداية وليس لنا من الأمر شيء ولقد صدق الكذوب إبليس رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اجتمع به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندك فقال إبليس لتعلم يا رسول الله أن الله خلقك للهداية وما بيدك من الهداية شيء وإن الله خلقني للغواية وما بيدي من الغواية شيء لم يزده على ذلك وانصرف وحالت الملائكة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل وبعد أن نبهتك على ما نبهتك عليه مما تقع لك به الفائدة فاعلم أن الله خاطب الإنسان بجملته وما خص ظاهره من باطنه ولا باطنه من ظاهره فتوفرت دواعي الناس أكثرهم

إلى معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم وغفلوا عن الأحكام المشروعة في بواطنهم إلا القليل وهم أهل طريق الله فإنهم بحثوا في ذلك ظاهراً وباطناً فما من حكم قرّروه شرعاً في ظواهرهم إلا ورأوا أن ذلك الحكم له نسبة إلى بواطنهم أخذوا على ذلك جميع أحكام الشرائع فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهراً وباطناً ففازوا حين خسر الأكثرون ونبغت طائفة ثالثة ضلت وأضلت فأخذت الأحكام الشرعية وصرفتها في بواطنهم وما تركت من حكم الشريعة في الظواهر شيأ تسمى الباطنية وهم في ذلك على مذاهب مختلفة وقد ذكر الإمام أبو حامد في كتاب المستظهري له في الردّ عليهم شيأ من مذاهبهم وبين خطأهم فيها والسعادة إنما هي مع أهل الظاهر وهم في الطرف والنقيض من أهل الباطن والسعادة كل السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر والباطن وهم العلماء بالله

وبأحكامه وكان في نفسي أن أخر الله في عمري أن أضع كتاباً كبيراً أقرر فيه مسائل الشرع كلها كما وردت في أماكنها الظاهرة وأقرّرها فإذا استوفينا المسئلة المشروعة في ظاهر الحكم جعلنا إلى جانبها حكمها في باطن الإنسان فيسري حكم الشرع في الظاهر

والباطن فإن أهل طريق الله وإن كان هذا غرضهم ومقصدهم ولكن ما كل أحد منهم يفتح الله له في الفهم حتى يعرف ميزان ذلك الحكم في باطنه فقصدنا في هذا الكتاب إلى الأمر العام من العبادات وهي الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والتلفظ بلا إله إلا الله محمد رسول الله فاعتنيت بهذه الخمسة لكونها من قواعد الإسلام التي بني الإسلام عليها وهي كالأركان للبيت فالإيمان هو عين البيت ومجموعه وباب البيت الذي يدخل منه إليه وهذا الباب له مصراعان وهما التلفظ بالشهادتين وأركان البيت أربعة وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج فجردنا العناية في إقامة هذا البيت لنسكن فيه ويقيناً من زمهرير نفس جهنم وحرورها قال النبي صلى الله عليه وسلم اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فما كان من سموم وحرور فهو من نفسها وما كان من برد وزمهرير فهو من نفسها فاتخذ الناس البيوت لتقيهم حرّ الشمس وبرد الهواء فينبغي للعاقل أن يقيم لنفسه بيتاص يكنه يوم القيامة من هذين النفسين في ذلك اليوم لأن جهنم في ذلك اليوم تأتي بنفسها تسعى إلى الموقف تفور تكاد تميز من الغيظ على أعداء الله فمن كان في مثل هذا البيت وقاه الله من شرّها وسطوتها ولما كانت الطهارة شرطاً في صحة الصلاة أفردنا لها باباً قدّمناه بين يدي باب الصلاة ثم يتلوها الزكاة ثم الصوم ثم الحج ويكفي في هذا الكتاب هذا القدر من العبادات فأتتبع أمهات مسائل كل باب منها وأقرّرها بالحكم الكلي باسمها في الظاهر ثم انتقل إلى حكم تلك المسئلة عينها في الباطن إلى أن أفرغ منها والله يؤيد ويعين بيان وإيضاح فأوّل ذلك تسميتها طهارة وقد ذكرنا ذلك في أوّل الباب ظاهراً وباطناً فلنشرع إن شاء الله في أحكامها وهو أن ننظر في وجوبها وعلى من تجب ومتى تجب وفي أفعالها وفيما به تفعل وفي نواقضها وفي صفة الأشياء التي تفعل من أجلها كما فعلته علماء الشريعة وقرّرته في كتبها وقد انحصر في هذا أمر الطهارة ولننظر ذلك ظاهراً وباطناً وإنما نومىء إليه ظاهراً حتى لا يفتقر الناظر فيها إلى كتب الفقهاء فيغنيه ما ذكرناه ولا نتعرّض للأدلة التي للعلماء على ثبوت هذا الحكم من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس في مذهب من يقول به لطرد علة جامعة يراها بين المنطوق عليه والسكوت عنه لا أتعرض إلى أصول الفقه في ذلك ولا إلى الأدلة إذ العامّة ليس منصبها النظر في الدليل فنحن نذكر أمهات فروع الأحكام ومذاهب الناس فيها من وجوب وغير وجود وصل نقول أوولاً أجمع المسلمون قاطبة من غير مخالف على وجوب الطهارة على كل من لزمته الصلاة إذا دخل وقتها وأنها تجب على البالغ حدّ الحلم العاقل واختلف الناس هل من شرط وجوبها الإسلام أم لا هذا حكم الظاهر فأمّا الباطن في ذلك وهي الطهارة الباطنة فنقول إن باطن الصلاة وروحها إنما هو مناجاة الحق تعالى حيث قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث فذكر المناجاة يقول العبد كذا فيقول الله كذا فمتى أراد العبد مناجاة ربه في أيّ فعل كان تعينت عليه طهارة قلبه من كل شيء يخرجه عن مناجاة ربه في ذلك الفعل ومتى لم يتصف بهذه

الطهارة في وقت مناجاته فما ناجاه وقد أساء الأدب فهو بالطرد أحق وسأذكر في أفعالها تقاسيم هذه الطهارة في الحكم إن شاء الله وأمّا قول العلماء إنها تجب على البالغ العاقل بالإجماع واختلفوا في الإسلام فكذلك عندنا تجب هذه الطهارة على العاقل وهو الذي يعقل عن الله أمره ونهيه وما يلقيه الله في سرّه ويفرّق بين خواطر قلبه فيما هو من الله أو من نفسه أو من لمة الملك أو من لمة الشيطان وذلك هو الإنسان فإذا بلغ في المعرفة والتمييز لي هذا الحدّ وعقل عن الله ما يريد منه وسمع قول الله تعالى وسعني قلب عبدي وجب عليه عند ذلك استعمال هذه الطهارة في قلبه وفي كل عضو يتعلق به على الحدّ المشروع فإن طهارة البصر مثلاً في الباطن هو النظر في الأشياء بحكم الاعتبار وعينه فلا يرسل بصره عبثاً ولا يكون مثل هذا إلا لمن تحقق باستعمال الطهارة المشروعة في محلها كلها قال تعالى إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار فجعلها للأبصار والاعتبار إنما هو للبصائر فذكر الأبصار لأنها الأسباب

المؤدّية إلى الباطن ما يعتبر فيه عين البصيرة وهكذا جميع الأعضاء كلها وأمّا قول العلماء في هذه الطهارة هل من شرط وجوبها الإسلام فهو قولهم هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وإنّ المنافق إذا توضأ هل أدّتى واجباً أم لا وهي مسئلة خلاف تعم جميع الأحكام المشروعة فمذهبنا أن جميع الناس كافة من مؤمن وكافر ومنافق مكلفون مخاطبون بأصول الشريعة وفروعها وأنهم مؤاخذون يوم القيامة بالأصول وبالفروع ولهذا كان المنافق في الدرك الأسفل من النار وهو باطن النار وإن المنافق معذب بالنار التي تطلع على الأفئدة إذ أتى في الدنيا بصورة ظاهر الحكم المشروع من التلفظ بالشهادة وإظهار تصديق الرسل والأعمال الظاهرة وما عندهم في بواطنهم من الإيمان مثقال ذرة فبهذا القدر تميزوا من الكفار وقيل فيهم إنهم منافقون قال تعالى "إن المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً" فذكر الدار فالمنافقون يعذبون في أسفل جهنم والكافرون لهم عذاب في الأعلى والأسفل فإن الله قد رتب مراتب وطبقات للعذاب في نار جهنم لأعمال مخصوصة بأعضاء مخصوصة على ميزان معلوم لا يتعداه فالمؤمن ليس للنار اطلاع على محل إيمانه البتة فما له نصيب في النار التي تطلع على الأفئدة وإن خرج عنه هناك فإن عنايته سارية في محله من الإنسان وإنما يخرج عنه ليحميه ويردّ عنه من عذاب الله ما شاء الله كما خرج عنه في الدنيا إذا أوقع المعصية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤمن يشرب الخمر ويسرق ويزني إنه لا يفعل شيأ من ذلك وهو مؤمن حال فعله وقال إن الإيمان يخرج عنه في ذلك الوقت حال الفعل وتأوّل الناس هذا الحديث على غير وجهه لأنهم ما فهموا مقصود الشارع وفسروا الإيمان بالأعمال فقالوا إنه أراد العمل فأبان النبيّ صلى الله عليه وسلم مراده بذلك في الحديث الآخر فقال صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا زنى خرج عنه الإيمان حتى يصير عليه كالظلة فإذا أقلع رجع إليه الإيمان فاعلم أن اعلحكمة الإلهية في ذلك أن العبد إذا شرع في المخالفة التي هو بها مؤمن إنها مخالفة ومعصية فقد عرض نفسه بفعله إياها لنزول عذاب الله عليه وإيقاع العقوبة به وإن ذلك الفعل يستدعي وقوع البلاء به من الله فيخرج عنه إيمانه الذي في قلبه حتى يكون عليه مثل الظلة فإذا نزل البلاء من الله يطلبه تلقاه إيمانه فيردّه عنه فإن الإيمان لا يقاومه شيء ويمنعه من الوصول إليه رحمة من الله وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ولهذا قلنا إن العبد المؤمن لا يخلص له أبداً معصية لا تكون مشوبة بطاعة وهي كونه مؤمناً بها إنها معصية فهو من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فقال الله عسى الله أن يتوب عليهم والتوبة الرجوع فمعناه أن يرجع عليهم بالرحمة فإنه تعالى تمم الآية بقوله إن الله غفور رحيم وقال العلماء إن عسى من الله واجبة فإنه لا مانع له ثم نرجع ونقول إنه لما كان الإيمان عين طهارة الباطن لم يتمكن أن يتصوّر الخلاف فيه كما تصوّر في الطهارة الظاهرة إلا بوجه دقيق يكون حكم الظاهر فيه في الباطن حكم الباطن في طهارة الظاهر فنقول من ذلك الوجه هل من شرط طهارة الباطن بالإيمان التلفظ به فينطق اللسان بما يعتقده القلب من ذلك أم لا فيكون في عالم الغيب إذا لم يظهر بما يعتقده في الباطن

منافقاص كمنافق الظاهر في عالم الشهادة فإن المؤمن يعتقد وجوب الصلاة مثلاً ولا يصلي ولا يتطهر كما أن المنافق يصلي ويتطهر ولا يؤمن بوجوبها عليه بقلبه ولا يعتقده أو لا يفعله لقول ذلك الرسول الذي شرعه له فهذا معنى ذلك إذا حققت النظر فيه حتى يسري الحكم في الظاهر والباطن على صورة ما هو في الظاهر من الخلاف والإجماع فاعلم ذلك وصل وأما أفعال هذه الطهارة فقد ورد بها الكتاب والسنة وبين فرضها من سننها من استحباب أفعال فيها ولهذه الطهارة شروط وأركان وصفات وعدد وحدود معينة في محالها فمن شروطها النية وهي القصد بفعلها على جهة القربة إلى الله تعالى عند الشروع في الفعل فمن الناس من ذهب إلى أنها شرط في صحة ذلك الفعل الذي لا يصح إلا بوجودها وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب ولابدّ وهو مذهبنا وبه نقول

في الطهارة الظاهرة والباطنة وهي عندنا في الباطن آكد وأوجب لأن النية من صفات الباطن أيضاً فحكمها في طهارة الباطن أقوى لأنها تحكم في موضع سلطانها والظاهر غريب عنها فلهذا لم يختلف في علمنا في الباطن واختلف في ذلك في الظاهر وقد تقدّم من الكلام في النية طرف يغني وذهب آخرون إلى أنها ليست بشرط صحة وأغنى ما ذكرناه في طهارة الوضوء بالماء وصل اختلف علماء الشريعة في غسل اليد قبل إدخالها في الإناء الذي تريد الوضوء منه على أربعة أقوال فمن قائل إن غسلهما سنة بإطلاق ومن قائل إن ذلك مستحب لمن يشك في طهارة يده ومن قائل إن غسل اليد واجب على القائم من النوم في الإناء الذي يريد الوضوء منه ومن قائل إن ذلك واجب على المنتبه من نوم الليل خاصة وهذا حصر مذاهب العلماء في علمي في هذه المسئلة ولكل قائل حجة من الاستدلال يدل بها على قوله وليس كتابنا هذا موضع إيراد أدلتهم وتتميم حكم هذه المسئلة في الباطن غسل اليد هو طهارتها بما كلفه الشارع فيها بتركه وذلك على قسمين منه ما هو واجب ومنه ما هو مندوب إليه والواجب عندنا والفرض على السواء لفظان متواردان على معنى واحد فلا فرق عندنا إذا قلت أوجب أو فرض ثم نقول فالواجب إذا كانت اليد على شيء يحكم الشرع فيه عليها أنها غاصبة أو بكونه مسروقاً أو بكونه وقعت فيه خيانة وكل ما لم يجوّز لها الشارع أن تتصرف فيه والفروق في هذه الأحوال بينة فواجب طهارتها عن هذا كله وسيرد بماذا تطهر في موضعه إن شاء الله فواجبة عليها هذه الطهارة وأمّا الطهارة المندوب إليها فهي ترك ما في اليد من الدنيا مما هو مباح له إمساكه فندبه الشرع إلى إخراجه عن يده رغبة فيما عند الله وذلك هو الزهد وهي تجارة فإن لها عوضاً عند الله على ما تركته والترك أعلى من الإمساك وهذه مسئلة إجماع في كل ملة ونحلة شرعاً وعقلاً فإن الناس مجمعون على أن الزهد في الدنيا وترك جمع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل هذا هو المندوب إليه في طهر اليد وهو السنة وأما المذهب في الاستحباب في طهارة اليد عند الشاك في طهارتها فهو الخروج عن المال الذي في يده لشبهة قامت له فيه قدحت في حله فليس له إمساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد وإن كان له وجه إلى الحل فالمستحب تركه ولابدّ فإن مراعاة الحرمة أولى فإنك في إمساكه مسؤول وفي تركه للشبهة التي قامت عندك فيه غير مسؤول بل أنت إلى المثوبة على ذلك أقرب وهذا في الطهارة المندوب إليها أولى والاستحباب في الترك للمباح أولى وأما اختلافهم في وجوب غسلها من النوم مطلقاً وفيمن قيد ذلك بنوم الليل فاعلم أن الليل غيب لأنه محل الستر ولذلك جعل الليل لباساً والنهار شهادة لأنه محل الظهور والحركة ولذلك جعله معاشاً لابتغاء الفضل يعني طلب الرزق هنا من وجهه فالفضل المبتغي فيه من الزيادة ومن الشرف وهو زيادة الفضائل فإنه يجمع ما ليس له برزق فهو فضول لأنه يجمعه لوارثه أو لغيره فإن رزق الإنسان ما هو ما يجمعه وإنما هو ما يتغذى به فاعلم أن النائم في عالم الغيب بلا شك وإذا كان النوم بالليل فهو غيب في غيب فيكون حكمه أقوى والنوم بالنهار غيب في شهادة فيكون حكمه أضعف ألا تراه جعل النوم سباتاً فهو راحة بلا شك وهو بالليل أقوى فإنه فيه أشدّ استغراقاً من نوم النهار والغيب أصل فالليل أصل والشهادة فرع فالنهار فرع وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فالنهار مسلوخ من الليل فالليل لما كان يستر الأشياء ولا يبين حقائق صورها للأبصار أشبه الجهل فإنّ الجهل بالشيء لا يبين حكمه فمن جهل الشرع في شيء لم يعلم حكمه فيه ولما كان النائم في حال نومه لا يعلم شيأ من أمور الظاهر في عالم الشهادة في حق الناس كان النوم جهلاً محضاً إلا في حق من تنام عينه ولا ينام قلبه كرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله من ورثته في الحال ولما كان النهار يوضح الأشياء ويبين صور ذواتها ويظهر للمتقي ما يتقي من الأمور المضرة وما لا يتقيه أشبه العلم فإن العلم هو المبين حكم الشرع في الأشياء ولما كان النائم بالنهار متصفاً بالجهل لأجل نومه لأن النوم من أشداد العلم ربما مدّ يده وهو لا علم له أو رجله فيفسد شيأ مما لو كان مستيقظاً لم يتعرّض إلى فساده

أوجب عليه الشرع الطهارة بالعلم من نوم الجهل إذا استيقظ فيعلم بيقظته حكم الشرع في ذلك فإنه ما كان يدري في حال نوم جهالته حيث جالت يده هل فيما أبيح له ملكه أو في ما لم يبح له ملكه كالمغصوب وأمثاله كما ذكرنا كما راعى المخالف قوله أين باتت يده واشتركا في النوم وإنما ذكر الشارع المبيت لأن غالب النوم فيه وهو أبداً يراعي الأغلب فجعل هذا الحكم في نوم الليل ومراعاة النوم أولى من مراعاة نوم الليل ويقول مراعي نوم الليل لذكر المبيتفإنه لما كان الإنسان إذا نام بالنهار قد يكون هناك إنسان أو جماعة إذا رأوا النائم يتحرك بيده أو برجله فتؤدّيه حركته تلك إلى كسر جرة أو غيرها أو صبيّ صغير رضيع تحصل يدهل على فمه فتؤذيه أو يمسك عنه خروج النفس فيموت وقد رأينا ذلك فيكون المستيقظ الحاضر يمنع من ذلك بإزالة الطفل القريب منه أو الجرّة أو ما كان من أجل ضوء النهار الذي كشفه به ويقظته كذلك العالم مع الجاهل إذا رآه يتصرّف بما لا علم له به بحكم الشرع فيه نبهه أو حال الشرع بينه وبين ذلك الفعل فوجب غسل اليد عندنا ولابدّ باطناً على الغافل وهو النائم بالنهار الجاهل وهو النائم بالليل وأما اعتبارنا بالطهارة قبل إدخالها في الإناء فإنه بالعلم والعمل خوطبنا فالعلم الماء والعمل الغسل وبهما تحصل اعلطهارة فغسلها قبل إدخالها في إناء الوضوء هو ما يقرّره في نفسه من القصد الجميل في ذلك الفعل إلى جناب الحق الذي فيه سعادته عند الشروع في الفعل على التفصيل فهذا معنى غسل اليد قبل إدخالها في إناء الوضوء في طهارة الباطن وصل المضمضة والاستنشاق اختلف علماء الشريعة فيهما على ثلاثة أقوال فمن قائل إنهما سنتان ومن قائل إنهما فرض ومن قائل إن المضمضة سنة والاستنشاق فرض هذا حكمهما في الظاهر قد نقلناه فأما حكمهما في الباطن فمنهما ما هو فرض ومنهما ما هو سنة فأما المضمضة فالفرض منها التلفظ بلا إله إلا الله فإنّ بها يتطهر لسانك من الشرك وصدرك فإنّ حروفها من الصدر واللسان وكذلك في كل فرض أوجب الله عليك التلفظ به مما لا ينوب فيه عنك غيرك فيسقط عنك كفرض الكفاية كرجل أبصر أعمى على بعد يريد السقوط في حفرة يتأذى بالسقوط فيها أو يهلك فيتعين عليه فرضاً أن ينادي به يحذره من السقوط بما يفهم عنه لكونه لا يلحقه فإن سبقه إنسان إلى ذلك سقط عنه ذلك الفرض الذي كان تعين عليه فإن تكلم به فهو خير له وليس بفرض عليه فإذا تمضمض في باطنه بهذا أو أمثاله فقد أصاب خيراً وقال خيراً وهو حسن القول وصدق اللسان طهور من الكذب والجهر بالقول الحسن طهور من الجهر بالسوء من القول وإن كان جزاء بقوله إلا من ظلم ولكن السكوت عنه أفضل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طهور من نقيضيهما فمثل هذا فرض المضمضة وسننها وكذلك الاستنشاق فاعلم إن الاستنشاق في الباطن لما كان الأنف في عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه وقد اتفق هذا على رغم أنفه والرغام التراب أي حطك الله من كبريائك وعزك إلى مقام الذلة والصغار فكنى عنه بالتراب فإن الأرض سماها الله ذلولاً على المبالغة فإن أذل الأذلاء من وطئه الذليل والعبيد أذلاء وهم يطأون الأرض بالمشي عليها في مناكبها فلهذا سماها ببنية المبالغة ولا يندفع هذا ولا تزول الكبرياء من الباطن إلا باستعمال أحكام العبودية والذلة والافتقار ولهذا شرع الاستنثار في الاستنشاق فقيل له اجعل في أنفك ماء ثم استنثر والماء هنا علمك بعبوديتك إذا استعملته في محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار ومنه فرض

واستعماله في الباطن فرض بلا شك وأما كونه سنة فمعناه أنك لو تركته صح وضوءك ومحله في هذا القدر أنك لو تركت معاملتك لعبدك أو لمن هو تحت أمرك وهنا سر خفي يتضمنه رب اعطني كذا أو لمن هو دونك بالتواضع وأظهرت العزة وحكم الرياسة لمصلحة تراها أباحها لك الشارع فلم تستنشق جاز حكم طهارتك دون استعمال هذا الفعل وإن كان استعمالها أفضل فهذا موضع سقوط فرضها فلهذا قلنا قد يكون سنة وقد يكون فرضاً لعلمنا أنه لو أجمع أهل مدينة على ترك سنة وجب قتالهم ولو تركها واحد

لم يقتل فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يغير على مدينة إذا جاءها ليلاً حتى يصبح فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار وكان يتلو إذا لم يسمع أذاناً إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنظرين وما من حكم من أحكام فرائض الشريعة وسننها واستحباباتها إلا ولها في الباطن حكم أو أزيد على قدر ما يفتح للعبد في ذلك فرضاً كان أو سنة أو مستحباً لا بد من ذلك وحد ذلك في سائر العبادات المشروعة كلها وبهذا يتميز حكم الظاهر من الباطن فإن الظاهر يسري في الباطن وليس في الباطن أمر مشروع يسري في الظاهر بل هو عليه مقصور فإن الباطن معان كلها والظاهر أفعال محسوسة فينتقل من المحسوس إلى المعنى ولا ينتقل من المعنى إلى الحس.

باب التحديد في غسل الوجه

لا خلاف أن غسل الوجه فرض وحكمه في الباطن المراقبة والحياء من الله مطلقاً وذلك أن لا تتعدّى حدود الله تعالى واختلف علماء الرسوم في تحديد غسل الوجه في الوضوء في ثلاثة مواضع منها البياض الذي بين العذراء والأذن والثاني ما سدل من اللحية والثالث غسل اللحية فأمّا البياض المذكور فمن قائل أنه من الوجه ومنقائل أنه ليس من الوجه وأمّا ما انسدل من اللحية فمن قائل بوجوب إمرار الماء عليه ومن قائل بأن ذلك لا يجب وأمّا تخليل اللحية فمن قائل بوجوب تخليلها ومن قائل أنه لا يجب وصل في حكم ما ذكرناه في الباطن أما غسل الوجه مطلقاً من غير نظر إلى تحديد الأمر في ذلك فإن منه ما هو فرض ومنه ما ليس بفرض فأما الفرض فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك وأما السنة منه الحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك فالله أولى أن تستحي منه مع علمك أنه ما من جزء فيك إلا وهو يراه منك ولكن حكمه في أفعالك من حيث أنت مكلف ما ذكرناه وقد ورد به الخبر وكذلك النظر إلى عورة امرأتك وإن كان قد أبيح لك ذلك ولكن استعمال الحياء فيها أفضل وأولى فيسقط الفرض فيه أعني في الحياء في مثل قوله لا يستحي من الحق فما يتعين منه فهو فرض عليك وما لا يتعين عليك فهو سنة واستحباب فإن شئت فعلته وهو أولى وإن شئت لم تفعله فيراقب الإنسان أفعاله وترك أفعاله ظاهراً وباطناً ويراقب آثار ربه في قلبه فإن وجه قلبه هو المعتبر ووجه الإنسان وكل شيء حقيقته وذاته وعينه يقال وجه الشيء ووجه المسئلة ووجه الحكم ويريد بهذا الوجه حقيقة المسمى وعينه وذاته قال تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظنّ أن يفعل بها فاقرة والوجوه التي هي في مقدم الإنسان ليست توصف بالظنون وإنما الظنّ لحقيقة الإنسان فالحياء خير كله والحياء من الإيمان والحياء لا يأتي إلا بخير وأما البياض الذي بين العذار والأذن وهو الحدّ الفاصل بين الوجه والأذن فهو الحد بين ما كلف الإنسان من العمل في وجهه والعمل في سمعه فالعمل في ذلك إدخال الحد في المحدود فالأولى بالإنسان أن يصرف حياءه في سمعه كما صرفه في بصره فكما أنه من الحياء غض البصر عن محارم الله قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ" باطن هاتين الآيتين خطاب النفس والعقل كذلك يلزمه الحياء من الله أن يسمع ما لا يحل له سماعه من غيبة وسوء قول من متكلم بما لا ينبغي ولا يحل له التلفظ به فإن ذلك البياض بين العذار والأذن وهو محل الشبهة وصورة الشبهة في ذلك أن يقول إنما أصغيت إليه لأردّ عليه وعن الشخص الذي اغتيب وهذا من فقه النفس فقوله هذا هو من العذار فإنه من العذر أي الإنسان إذا عوتب في ذلك يعتذر بما ذكرناه وأمثاله ويقول إنما أصغيت لأحقق سماعي قوله حتى أنهاه عن ذلك على يقين فكنى عنه بالعذار ويكون فيمن لا عذار له موضع العذار فمن رأى وجوب ذلك عليه غلة بما قال تعالى "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم ه"

أي بين لهم الحسن من ذلك من القبيح وأولئك هم أولوا الألباب أي عقلوا ما أردنا وهو من لب الشيء المصون بالقشر ومن لم ير وجوب ذلك عليه إن شاء عسل وإن شاء ترك كمن يسمع ممن لا يقدر على ردّ الكلام في وجهه من ذي سلطان يخاف من تعديه عليه فإن قدر على القيام من مجلسه انصرف فذلك غسله إن شاء وإن ترجح عنده الجلوس لأمر يراه مظنوناً عنده جلس و لم يبرح وهذا عند من لا يرى وجوب ذلك عليه وأما غسل ما انسدل من اللحية وتخليلها فهي الأمور العوارض فإن اللحية شيء يعرض في الوجه ما هي من الوجه ولا تؤخذ في حده مثل ما يعرض لك في ذاتك من المسائل الخارجة عن ذاتك فأنت فيها بحكم ذلك العارض فإن تعين عليك طهارة نفسك من ذلك العارض فهو اعتبار قول من يقول بوجوب غسل ذلك وإن لم يتعين عليك طهارته فطهرته استحباباً أو تركته لكونه ما تعين عليك ولكن هو نقص في الجملة فهذا قول من يقول ليس بواجب وهو مذهب الآخرين وقد بينا لك فيما تقدم من مثل هذا الباب إن حكم الباطن في هذه الأمور بخلاف حكم الظاهر فيما فيه وجه إلى الفرضية ووجه إلى السنة والاستحباب فالفرض لابد من العمل به فعلاً كان أو تركاً وغير الفرض فيه أن تتزله في الامتثال متزلة الفرض وهو أولى فعلاً وتركاً وذلك سار

في سائر العبادات.ي سائر العبادات.

باب في غسل اليدين والذراعين في الوضوء إلى المرافق

أجمع العلماء بالشريعة على غسل اليدين والذراعين في الوضوء بالماء واختلفوا في إدخال المرافق في الغسل ومذهبنا الخروج إلى محل الإجماع في الفعل فإن الإجماع في الحكم لا يتصوّر فمن قائل بوجوب إدخالها في الغسل ومن قائل بترك الوجوب ولا خلاف عند القائلين بترك الوجوب في استحباب إدخالها في الغسل وصل حكم الباطن في ذلك أقول بعد تقرير حكم الظاهر الذي تعبدنا الله إن غسل اليدين والذراعين وهما المعصمان فغسل اليدين بالكرم والجود والسخاء والإيثار والهبات وأداء الأمانات وهو الذي لا يصح عنده الإيثار كما يغسلهما أيضاً مع الذراعين بالاعتصام إلى المرافق بالتوكل والاعتضاد فإن المؤمن كثير بأخيه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غسل ذراعيه في الوضوء يجوز المرفقين حتى يشرع في العضد وإن هذا وأشباهه من نعوت اليدين والخلاف في حد اليدين أكثره إلى الآباط وأقله إلى الفصل الذي يسمى منه الذراع فبقي إدخال المرافق والمرافق في الباطن هي رؤية الأسباب التي يرتفق بها العبد وتأنس بها نفسه فإن الإنسان في أصل خلقه خلق هلوعاً يخاف الفقر الذي تعطيه حقيقته من حيث إمكانه فيجنح إلى ما يرتفق به ويميل إليه فمن رأى إدخال المرافق في غسله وإجبار أي أن الأسباب إنما وضعها لله حكمة منه في خلقه لما علم من ضعف يقينهم فيريد أن لا يعطل حكمة الله لا على طريق الاعتماد عليها فإن ذلك يقدح في اعتماده على الله ومن رأى أنه لا يوجها في الغسل رأى سكون النفس إلى الأسباب أنه لا يخلص له مقام الاعتماد على الله حالا مع وجود رؤية الأسباب وكل من يقول أنها لا تجب يستحب إدخالها في الغسل كذلك رؤية الأسباب مستحبة عند الجميع وإن اختلفت أحكامهم فيها فإن الله ربط الحكمة بوجودها

باب في مسح الرأس

اتفق علماء الشريعة على أن مسحه من فرائض الوضوء واختلفوا في القدر الواجب منه فمن قائل بوجوب مسحه كله ومن قائل بوجوب مسح بعضه واختلفوا في حد البعض فمن قائل بوجوب الثلث ومن قائل بوجوب الثلثين ومن قائل بالربع ومن قائل لا حد للبعض وتكلم بعض هؤلاء في حد القدر الذي يمسح به من اليد فمن قائل أن مسحه بأقل من ثلاثة أصابع لم يجزه ومن قائل لا حد للبعض لا في الممسوح ولا فيما يمسح به وأصل هذا الخلاف وجود الباء في قوله تعالى "برؤسكم" وصل حكم المسح في الباطن فأما حكم مسح الرأس في الباطن اعتباراً فإن لرأس من الرياسة وهي العلوّ والارتفاع ومنه رئيس القوم أي سيدهم الذي له الرياسة عليهم ولما كان أعلى ما في البدن في ظاهر العين وجميع البدن تحته سمى رأساً إذ كان الرئيس فوق المرؤس بالمرتبة وله جهة فوق وقد وصف الله نفسه بالفوقية لشرفها قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال وهو القاهر فوق عباده فكان الرأس أقرب عضو في البدن إلى الحق لمناسبة الفوق ثم له شرف آخر بالمعنى الذي رأس به على أجزاء البدن كلها وهو كونه محلاً جامعاً حاملاً لجميع القوى كلها المحسوسة والمعقولة المعنوية فلما كانت له أيضاً هذه الرياسة من هذه الجهة سمى رأساً ثم إن العقل الذي جعله الله أشرف ما في الإنسان جعل محله أعلى ما في الرأس وهو اليافوخ فجعله مما يلي جهة الفوقية ولما كان الرأس محلاً لجميع القوى الظاهرة والباطنة ولكل قوّة منها حكم وسلطان وفخر يورثه ذلك عزة على غيره كقصر لذلك على سائر دور السوقة وجعله الله محال هذه القوى من الرأس مختلفة حتى عمت الرأس كله أعلاه ووسطه ومقدّمه ومؤخره وكل قوّة كما ذكرنا لها عزة وسلطان وكبرياء في نفسها ورياسة فوجب أن يمسحه كله وهو اعتبار من يقول بوجوب مسح الرأس كله لهذه الرياسة السارية فيه كله من جهة حمله لهذه القوى المختلفة الأماكن فيه بالتواضع والإقناع لله فيكون لكل قوّة إذا عمّ المسح مسح مخصوص من مناسبة دعواها فيردعها بما يخصها من المسح فيعم بالمسح جميع الرأس ومن يرى أن للرأس رأساً عليه كما أن الولاة من جهة السلطان يرجع أمرهم إليه فإنه الذي ولاهم رأي كل وال إن فوقه وال عليه هو أعلى منه له سلطان على سلطانه كالقوّة المصوّرة لها سلطان على القوّة الخيالية فهي رئيسة عليها وإن كانت لها رياسة أعني القوّة الخيالية فمن رأى هذا من العلماء قال بمسح بعض الرأس وهو التهمم بالأعلى ثم اختلف أصحابنا في هذا البعض فكل عارف قال بحسب ما أعطاه الله من الإدراك في مراتب هذه القوى فهو بحسب ما يراه ويعتبره فأخذ يمسح في المصلى في مقام مناجاة ربه وهي الوصلة المطلوبة بالطهارة والعزيز الرئيس إذا دخل على من ولاه تلك العزة والرياسة نزل عن رياسته وذله عن عزه بعز من دخل عليه وهو سيده الذي أوجده فيقف بين يديه وقوف غيره من العبيد الذين أنزلوا نفوسهم بطلب الأجرة منزلة لا جانب فوقف هذا العبد في محل الإذلال لا بصفة الأدلال بالدال اليابسة فمن غلب على خاطره رياسة بعض القوى على غيرها وجب عليه مسح ذلك البعض من أجل الوصلة التي يطلبها بهذه العبادة ولهذا لم يشرع مسح الرأس في التيمم لأن وضع التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى إذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه فلما كان المطلوب بهذه العبادة الوصلة لا الفرقة لهذا لم يشرع مسح الرأس في التيمم فامسح على حدّ ما ذكرناه لك ونبهناك عليه وتفصيل رياسات القوى معلوم عند الطائفة لا احتاج إلى ذكره وأمّا التبعيض في اليد التي يمسح بها واختلافها في ذلك فاعمل فيه كما تعمل في المسموح سواء فإن المزيل لهذه الرياسة أسباب مختلفة في القدرة على ذلك ومحل ذلك اليد فمن مزيل بصفة القهر ومن مزيل بسياسة وترغيب كما يمسح الإنسان بيده رأس اليتيم جبراً لانكساره بلطف وحنان فلهذا ترجع بعضية اليد في المسح وكليته فاعلم ذلك ولما كان الموجب لهذا الخلاف عند العلماء وجود الباء في قوله برؤسكم فمن جعلها للتبعيض بعض المسح ومن جعلها

زائدة للتوكيد في المسح عم بالمسح جميع الرأس وإن الباء في هذا الموضع هو وجود القدرة الحادثة فلا يخلوا ما أن يكون لها أثر في المقدور فتصح البعضية وهو قول المعتزليّ وغيره وأمّا أن لا يكون لها أثر في المقدور بوجه من الوجوه فهي زائدة كما يقول الأشعريّ

فيسقط حكمها فتعم القدرة القديمة مسح الرأس كله لم تبعض مسحه القدرة الحادثة ويكون حدّ مراعاة التوكيد من كونها زائدة للتوكيد هو الاكتساب الذي قالت به الأشاعرة وهو قوله تعالى في غير موضع من كتابه بإضافة الكسب والعمل إلى المخلوق فلهذا جعلوا زيادتها لمعنى يسمى التوكيد ألا ترى العرب تقابل الزائد بالزائد في كلامها تريد بذلك التوكيد وتجيب به القائل إذا أكد قوله يقول القائل إن زيداً قائم أو يقول ما زيد قائماً فيقول السامع في جواب إن زيداً قائم ما زيد قائماً وفي جواب ما إن زيداً قائم فيثبت ما نفاه القائل أو ينفي ما أثبته القائل فإن أكد القائل إيجابه فقال إن زيداً لقائم فأدخل اللام لتأكيد ثوبت القيام أدخل المجيب الباء في مقابلة اللام لتأكيد نفي ما أثبته القائل فيقول ما زيد بقائم ويسمى مثل هذا زائداً لأن الكلام يستقل دونه ولكن إذا قصد المتكلم خلاف التبعيض وأتى بذلك الحرف للتأكيد فإن قصد التبعيض لم يكن زائداً ذلك الحرف جملة واحدة والصورة واحدة في الظاهر ولكن تختلف في المعنى والمراعاة إنما هي لقصد المتكلم الواضع لتلك الصورة فإذا جهلنا المعنى الذي لأجله خلق سبحانه لتمكن من فعل بعض الأعمال نجد ذلك من نفوسنا ولا ننكره وهي الحركة الاختيارية كما جعل سبحانه فينا المانع من بعض الأفعال الظاهرة فينا ونجد ذلك من نفوسنا كحركة المرتعش الذي لا اختيار للمرتعش فيها لم ندر لما يرجع ذلك لتمكن الذي نجده من نفوسنا هل يرجع إلى أن يكون للقدرة الحادثة فينا أثر في تلك العين الموجودة عن تمكننا أو عن الإرادة المخلوقة فينا فيكون التمكن أثر الإرادة لا أثر القدرة الحادثة من هنا منشأ الخلاف بين أصحاب النظر في هذه المسئلة وعليه ينبني كون الإنسان مكلفاً لعين التمكن الذي يجده من نفسه ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكن هل لكونه قادراً أو لكونه مختاراً وإن كان مجبوراً في اختياره ولكن بذلك القدر من التمكن الذي يجده من نفسه يصح أن يكون مكلفاً ولهذا قال تعالى "لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها فقد أعطاها أمراً وجودياً ولا يقال أعطاها لا شيء وما رأينا شيأ أعطاها بلا خلاف إلا التمكن الذي هو وسعها لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وما يدري لماذا يرجع هذا التمكن وهذا الوسع هل لأحدهما أعني الإرادة أو القدرة أو لأمر زائد عليهما أو لهما ولا يعرف ذلك إلا بالكشف ولا يتمكن لنا إظهار الحق في هذه المسئلة لأن ذلك لا يرفع الخلاف من العالم فيه كما ارتفع عندنا الخلاف فيها بالكشف وكيف يرتفع الخلاف من العالم والمسئلة معقولة وكل مسئلة معقولة لابدّ من الخلاف فيها لاختلاف الفطر في النظر فقد عرفت مسح الرأس ما هو في هذه الطريقة وبقي من حكمه المسح على العمامة وما في ذلك من الحكم وصل في المسح على العمامة فمن علماء الشريعة من أجاز المسح على العمامة ومنع من ذلك جماعة فالذي منع لأنه خلاف مدلول الآية فإنه لا يفهم من الرأس العمامة فإن تغطية الرأس أمر عارض والمجيز ذلك لأجل ورود الخبر الوارد في مسلم وهو حديث قد تكلم فيه وقال فيه أبو عمر بن عبد البر أنه معلول وصل مسح العمامة في الباطن وأما حكم المسح على العمامة في الباطن فاعلم أن الأمور العوارض لا يعارض بها الأصول ولا تقدح فيها فالذي ينبغي لك أن تنظر ما السبب الموجب لطرد ذلك العارض فلا يخلوا ما أن يكون مما يستغنى عنه أو يكون مما يحصل الضرر بفقده فلا يستغنى عنه فإن استغنى عنه فلا حكم له في إزالة حكم الأصل وإن لم يستغن عنه وحصل الضرر بفقده كان حكمه حكم الأصل وباب منابه وإن بقي من الأصل جزء ما ينبغي أن يراعى ذلك الجزء الذي بقي ولابد ويبقى ما بقي من الأصل ينوب عنه هذا الأمر العارض الذي يحصل الضرر بفقده هذا مذهبنا فيه ولهذا ورد في

الحديث الذي ذكرنا أنه معلول عند بعض علماء هذا الشأن إن المسح وقع على الناصية والعمامة معاً فقد مس الماء الشعر فقد حصل حكم الأصل في مذهب من يقول بمسح بعض الرأس فلو لبس العمامة للزينة لم يجز له المسح عليها بخلاف المريض الذي يشد العمامة على رأسه لمرضه فما ورد ما يقاوم نص القرآن في هذه المسئلة إيضاح فإذا عرض لأهل هذه الطريقة عارض يقدح في الأصل كفعل السبب للمتجرد عن الأسباب أو التبختر والرياسة في الحرب فإن كلامنا في مسح الرأس وله التواضع والتكبر ضرب المثل به أولى ليصل فهم السامع إلى المقصود مما يريده في هذه البعادة فإن أثر ذلك الزهو إظهار الكبر في عبودية الإنسان فنسيان كبرياء ربه عليه وعزته سبحانه وحجبه عن ذلك فلا يفعل ويطرح الكبرياء عن نفسه ولابد ولا يجوز له التكبر في ذلك الموطن لقدحه في الأصل وإن لم يؤثر في نفسه بل ذلك أمر ظاهر في عين العدوّ وهو في نفسه في ذلته وافتقاره جاز له صورة التكبر في الظاهر لقرينة الحال بحكم الموطن فإنه لم يؤثر في الأصل هكذا حكم المسح على العمامة وهو إن قدح أخذك للسبب في اعتمادك على الله بقلبك فلا تأخذه ولا تستعمله ما لم يؤدّ إلى ما هو أعظم منه في البعد عن الله وإن لم يؤثر في الاعتماد عليه فامسح ببعض يدك ولا حرج عليك فإن طرح السبب من اليد بعض أفعال اليد لأن مجموع اليد في المعنى أمور كثيرة فإنها تتصرّف تصرّفات كثيرة مختلفات المعاني في الأمور المشروعة والأحكام فإن لها القبض والبسط والاعتدال قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك وهو كناية عن البخل ولا تبسطها كل البسط وهو كناية عن السرف وكذلك مدح قوماً بمثل هذا فقال تعالى "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا وكان بين ذلك قواماً" وهو العدل في الإنفاق وكذلك قال تعالى "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" وهو هنا البخل فنسب ذلك كله إلى الأيدي فلهذا قلنا لها أفعال كثيرة ولولا وجود الكثرة ما صحت البعضية لأن الواحد لا يتبعض وصل في توقيت المسح على الرأس بقي من تحقيق هذه المسئلة التوقيت في المسح على الرأس هل في تكراره فضيلة أم لا فمن الناس من قال أنه لا فضيلة فيه ومنهم من قال إن فيه فضيلة وهذا يستحب في جميع أفعال الوضوء في جملة أعضائه سواء غير أنه يقوي في بعض الأعضاء ويضعف في بعض الأعضاء أعني التكرار ولا خلاف في وجوب الواحدة إذا عمت العضو فأمّا مذهبنا في الأصل فلا تكرار في العالم للاتساع الإلهيّ فنمنع هذا اللفظ ولا نمنع وجود الأمثال بالتشابه الصوريّ فنعلم قطعاً أن الحركات يشبه بعضها بعضاً في الصورة وإن كانت كل واحدة منها ليست عين الأخرى فمذهبنا أن ننظر حكم الشارع في ذلك فإن عدد بالأمثال عددنا بالأمثال كما نقول عقيب الصلاة سبحان الله ثلاثاً وثلاثين فمثل هذا لا نمنعه فقد يقع التعدد في عمل الوضوء تأكيد الإزالة حكم الغفلات السريعة الحكم في الإنسان فعلى فهذا يكون في التكرار فضيلة فإن تيقن بالحضور فلا فضيلة فإن الفضل هو الزائد وما زاد هذا المتوضي حكماً بوجود غفلة أو سهو فيكرر فلم تصح الزيادة ولكن الصحيح عندنا إن التكرار فيه فضيلة لأنه نور على قدر ما حده الشارع المبين للأحكام وقد ورد في الكتاب والسنة في تشبيه نور الله بالمصباح في الزجاجة في المشكاة الآية بكمالها وقال في آخرها نور على نور أي ورد في نرو على نور كالدليلين والثلاثة على المدلول الواحد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوضوء على الوضوء نور على نور ولا فرق بين ورود الوضوء على الوضوء وبين ورود الغرفة الثانية الواردة على الأولى في الوضوء وتكرار العمل من العامل يوجب تكرار الثواب والتجلي فأما في الأعضاء كلها فالثابت التكرار وما كان الخلاف إلا في الرأس والأذنين والرجلين وقد أومأنا إلى ما ينبغي في ذلك.

باب مسح الأذنين وتجديد الماء لهما

فمن قائل إنه سنة ومن قائل إنه فرض ومن قائل بتجديد الماء لهما ومن قائل لا يجدد لهما الماء وهل تفرد بالمسح وحدها أو تمسح مع الرأس خاصة أو تمسح مع الوجه خاصة أو يمسح ما أقبل منهما مع الوجه وما أدبر منهما مع الرأس ولكل حالة من هذه الأحوال قائل بها وصل في حكمهما في الباطن فأما حكمهما في الباطن فإنه عضو مستقل يجب تجديد الماء له فيمسح باستماع القول الأحسن ولا بد ويقع التفاضل في الأحسن فثم حسن وأحسن وأعلاه حسناً ذكر الله بالقرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله من القرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها إلا الله هذا أسنى بذكر الله من القرآن وما كل آي القرآن يتضمن ذكر الله فإن فيه الأحكام المشروعة وفيه قصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان فيه الأجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالإصغاء إلى القارىء إذا قرأه أو بإصغاء الإنسان إلى نفسه إذا تلاه ولكن ذكر الله في القرآن أحسن وأتم من حكاية قول الكافر في الله ما لا ينبغي له في القرآن أيضاً وأما ما أقبل من ظاهر الأذن وما أدبر فهو ما ظهر من حكم ذلك الذكر من القرآن وما بطن وما أسرّ منه وما أعلن وما فهم منه وما جهل فسلم كلمات المتشابه في حق الله إلى الله فهي مما أدبر من باطن الأذن فتسلم إلى مراد الله تعالى فيها حين تسمعها الأذن تتلى وما علم كالآيات المحكمات في حق الله وما تدل عليه من الأكوان فهي مما أقبل من ظاهر الأذن فيعلم مراد الله بها فيكون الحكم بحسب ما تعلق به العلم فاعمل بحسب ما أشرنا به إليك في هذا التفصيل والأولى أن يكون حكم الأذنين حكم المضمضة والاستنشاق والاستنثار.

باب غسل الرجلين

اعلم أن صورتها في توقيت الغسل بالأعداد صورة الرأس وقد ذكرنا ذلك اتفق العلماء على أن الرجلين من أعضاء الوضوء واختلفوا في صورة طهارتها هل ذلك بالغسل أو بالمسح أو بالتخيير بينهما فأيّ شيء فعل منهما فقد سقط عنه الآخر وأدّى الواجب هذا إذا لم يكن عليهما خف ومذهبنا التخيير والجمع أولى وما من قول إلا وبه قائل فالمسح بظاهر الكتاب والغسل بالسنة ومحتمل الآية بالعدول عن الظاهر منها وصل حكم الرجلين في الباطن وأما حكم ذلك في الباطن فاعلم أن السعي إلى الجماعات وكثرة الخطى إلى المساجد والثبات يوم الزحف مما تطهر به الأقدام فلتكن طهارتك رجليك بما ذكرناه وأمثاله ولا تمش بالنميمة بين الناس ولا تمش في الأرض مرحاً واقصد في مشيك ومن هذا ما هو فرض أعني من هذه الأفعال بمنزلة المرة الواحدة في غسل عضو الوضوء الرجل وغيره ومنه ما هو سنة وهو ما زاد على الفرض وهو مشيك فيما يدلك الشرع إلى السعي فيه وما أوجبه عليك فالواجب عليك نقل الأقدام إلى مصلاك والمندوب والمستحب والسنة وما شئت فقل من ذلك مثل نقل الأقدام إلى المساجد من قرب وبعد فإن ذلك ليس بواجب وإن كان الواجب من ذلك عند بعض الناس مسجد إلا بعينه وجماعة لا بعينها فعلى هذا يكون غسل رجليك في الباطن من طريق المعنى واعلم أن الغسل يتضمن المسح بوجه فمن غسل فقد اندرج المسح فيه كاندراج نور الكواكب في نور الشمس ومن مسح فلم يغسل إلا في مذهب من يرى وينقل عن العرب إن المسح لغة في الغسل ولغسل فيما يقتضي العموم هذه هي الطريقة المثلى ولهذا ذهبنا إلى التخيير بحسب الوقت فإنه قد يكون يسعى إلى فضيلة خاصة في حاجة معينة لشخص بعينه فذلك

بمنزلة المسح وقد يسعى إلى الملك في حاجة تعم جميع الرعايا أو حاجات فيدخل ذلك الشخص في هذا العموم فهذا بمنزلة الغسل الذي اندرج فيه المسح بيان وإتمام وأما القراءة في قوله وأرجلكم بفتح اللام وكسرها من أجل حرف الواو على أن يكون عطفاً على الممسوح بالخفض وعلى المغسول بالفتح فمذهبنا أن الفتح في اللام لا يخرجه عن الممسوح فإن هذه الواو قد تكون واو مع وواو المعية تنصب تقول قام زيد وعمر أو استوى الماء والخشبة وما أنت وقصة من ثريد ومررت بزيد وعمر أتريد مع عمرو وكذلك من قرأ وامسحوا برؤسكم وأرجلكم بفتح اللام فحجة من يقول بالمسح في هذه الآية أقوى لأنه يشارك القائل بالغسل في الدلالة التي اعتبرها وهي فتح اللام و لم يشاركه من يقول بالغسل في خفض اللام فمن أصحابنا من يرجح الخاص على العام ومنهم م يرجح العام على الخاص كل ذلك مطلقاً ومذهبنا نحن على غير ذلك إنما نمشي مع الحق بحكم الحال فتعمم حيث عمم وتخصص حيث خصص ولا تحدث حكماً فإنه من أحدث حكماً فقد أحدث في نفسه ربوبية ومن أحدث في نفسه ربوبية فقد انتقص من عبوديته بقدر تلك المسئلة وإذا انتقص من عبودته بقدر ذلك ينقص من تجلى الحق له وإذا انتقص من تجلى الحق له انتقص علمه بربه وإذا انتقص علمه بربه جهل منه سبحانه وتعالى بقدر ما نقصه فإن ظهر لذلك الذي نقصه حكم في العالم أو في عالمه لم يعرفه فلهذا كان مذهبنا أن لا نحدث حكماً جملة واحدة.

باب في ترتيب أفعال الوضوء

اختلف العلماء في ترتيب أفعال الوضوء على ما ورد في نسق الآية فمن قائل بوجوب الترتيب ومن قائل بعدم وجوبه وهذا في الأفعال المفروضة وأمّا في ترتيب الأفعال المفروضة مع الأفعال المسنونة فاختلافهم في ذلك بين سنة واستحباب وصل في حكم ذلك في الباطن وأما حكم ذلك في الباطن فلا ترتيب إنما تفعل من ذلك بحسب ما تعين عليك في الوقت فإن تعين عليك ما يناسب رأسك فعلت به وبدأت به وكذلك ما بقي وسواء كان ذلك في السنن من الأفعال أو في الفرائض فالحكم للوقت.

باب في الموالاة في الوضوء

فمن قائل إن الموالاة فرض مع الذكر وعدم العذر ساقط مع النسيان ومع الذكر عند العذر ما لم يتفاحش التفاوت ومن قائل إن الموالاة ليست بواجبة وهذا كله من حقيقة في نسق الآية فقد يعطف بالواو في الأشياء المتلاحقة على الفور وقد يعطف بها الأشياء المتراخية وقد يعطف بها ويكون الفعلان معاً وهذا لا يسوغ في الوضوء إلا أن ينغمس في نهر أو يصب عليه أشخاص الماء في حال واحدة لكل عضو وصل المولاة في الباطن ومذهبنا في حكم الموالاة في الباطن إنها ليست بواجبة وذلك مثل الترتيب سواء فإنا نفعل من ذلك بحسب ما يقتضيه الوقت وقد ذكرنا نظير هذه المسئلة في رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار فأعمالنا في هذه الطريق بحسب حكم الوقت وما يعطي فإن الإنسان قد كتبت عليه الغفلات فلا يتمكن له مع ذلك الموالاة ولكن ساعة وساعة فليس في مقدور البشر مراقبة الله في السرّ والعلن مع الأنفاس فالموالاة على العموم لا تحصل إلا أن يبذل المجهود من نفسه في الاستحضار والمراقبة في جميع أفعاله قال تعالى "والذين هم على صلاتهم دائمون والمراد بها أنهم كلما جاء وقتها فعلوها وإن كان بين الصلاتين أمور فلهذا حصل الدوام في فعل خاص مربوط بأوقات متباينة وأما مع استصحاب الأنفاس فذلك من خصائص الملأ الأعلى الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فهذه هي الموالاة وإن حصلت لبعض رجال الله فنادرة الوقوع وأما قول عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه فإن كانت نقلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نشك فيه وإن

كانت أرادت بذلك أن أفعاله الظاهرة كلها ما وقع منه مباح قط وإنه لم يزل في واجب أو مندوب فذلك ممكن وهو ظاهر من مرتبته فإنه معلم أمّته بحركاته وسكناته للاقتداء فهو ذاكر على الدوام وأمّا باطنه عليه السلام فلا علم لها به إلا بإخباره صلى الله عليه وسلم ومع هذا يتصوّر تحصيله عندنا مع التصرّف في المباح مع حضوره فيه أنه مباح وكذا إذا أحضر حكم الشرع في جميع حركاته وسكناته بهذه المثابة فيكون ممن حصل الموالاة في عبادته انتهى الجزء الحادي والثلاثون.

الجزء الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

باب في المسح على الخفين

أما المسح على الخفين فاختلف علماء الشريعة فيه فمن قائل بجوازه على الإطلاق ومن قائل بمنع جوازه على الإطلاق كابن عباس ورواية عن مالك ومن قائل بجواز المسح عليهما في السفر دون الحضر وصل في حكم الباطن فيه فأما حكم الباطن في المسح علىالخفين فاعلم أنه أمر يعرض للشخص يشق على من عرض له انتزاعه كما يشق انتزاع الخف على لابسه فانتقل حكم الطهارة إليه فمسح عليه ولما كانت الطهارة تتريها وكان الحق هو الذي يقصده المتره بالتتريه كما قال الملحدون فالحق متره الذات لنفسه ما تتره بتتريه عبده إياه فتتريه العلماء بالله الحق سبحانه إنما هو علم لا عمل إذ لو كان التتريه من الحق الههم عملا لكان الله الذي هو المتره سبحانه محلا لأثر هذا العمل فتفطن لهذه الإشارة فإنها في غاية اللطف والحسن فهو سبحانه لا يقبل تتريه عباده من حيث أنهم عاملون فإنه لا يرى التتريه عملا إلا الجاهل من العباد فإن العالم نراه علما وإذا تكلم به إنما تكلم به على جهة التعريف بما هو الأمر عليه في نفسه الذي هو قوله وذكره فأثر عمله إنما هو في علمه بتتريه خالقه فأخرجه بالقول من القوة إلى الفعل فربما أثر ذلك في نفوس السامعين ممن كان لا يعتقد في الله أنه بذلك النعت من التتريه فالعبد حجاب على الحق فإن ظاهر الآثار إنما تدرك في العموم وتنسب للأسباب التي وضعها الحق ولهذا يقول العبد فعلت وصنعت وصمت وصليت ويضيف إلى نفسه جميع أفعاله كلها لحجابه عن خالقها فيه ومنه ومجريها فكما صار الخف حجابا بين المتوضيء وبين إيصال الوضوء إلى الرجل انتقل حكم الطهارة إلى الخف كذلك تتريه الإنسان خالقه وهو الطهارة والتقديس لما لم يتمكن في نفس الأمر إيصال أثر ذلك التتريه العمليّ أثرا في المتره وقبله الإنسان كما قبل الخف الطهارة بالمسح المشروع فيكون العبد هو الذي نزه نفسه عن الجهل الذي قام بنفس الجاهل الذي نسب إلى الحق ما لا يليق به ولا تقبله ذاته يقول الله في الخبر الصحيح أنه رجل العبد التي يسعى بها والحس إنما يبصر العبد يسعى برجله فلما لبس الخف وهو عين ذات العبد انتقل حكم الطهارة إليه إنما هي أعمالكم ترد عليكم فمتعلق الحكم الخف ومن هذا الباب كان جواز المسح على الإطلاق سفرا أو حضرا فالحضر منه هو التتريه الذي يعود عليك فتقول سبحاني في هذه الحالة كما نقل عن رجال الله فكان مشهد من قال سبحاني هذا المقام الذي ذكرناه والسفر هو التتريه الذي ينتقل من تلفظك به في التعليم إلى سمع المتعلم السامع فيؤثر في نفس السامع حصول ذلك العلم فتطهر محله من الجهل الذي كان عليه في تلك المسئلة هذا القدر من انتقاله من العالم المعلم إلى المتعلم يسمى سفرا لأنه أسفر له بهذا التعليم بما هو الأمر عليه فطهر محله ومن هذا الباب أيضا أن لباس الخف وما في معناه من جرموق وجورب مما يلبس ويستر حدّ الوضوء من الرجل عرفا وعادة ولما كان من أسماء الرجل في اللسان القدم كان هذا مما يقوى القدمية في القدم إذ كان القدم يقال في اللسان بالإشتراك إذ هو عبارة عن الثبوت يقال لفلان في هذا الأمر سابقة قدم يريد أن له أساسا ثابتا قديما في هذا الأمر كما يقال في الرجل بالإشتراك أيضا أعني إطلاق هذه اللفظة في اللسان يقال رجل من جراد أي قطعة وجماعة من جراد فإذا قال قائل إنّ الرجل يسخن بالخف يعلم قطعا أنه يريد العضو الخاص المعروف فقرائن الأحوال

ودلالات الألفاظ بالصفات تعين ما كان مبهما بالإشتراك فانتقل حكم الطهارة إلى الخف بعدما كان متعلقها الرجل ولكن إذا كان ملبوسا فيطهر مما يمكن أن يتعلق به مما يمنع من ذلك حكما وعينا وكذلك لما نسب القدم إلى الله تعالى في حديث يضع الجبار فيها قدمه ربما وقع في نفس بعض العقلاء أن نسبة القدم إلى الله تعالى ما هو على حدّ ما ينسب إلى الإنسان أو لكل ذي رجل وقدم وأن المراد به مثلا أمر آخر وغفلوا عن أقدام المتجسدين من الأرواح فأزال الله سبحانه هذا التوهم من القائل به بما ينسب إلى نفسه من الهرولة التي هي الإسراع في المشي مع تقدّم وصف القدم فألحق بمن يمشي على رجلين لا بمن يمشي على البطن مع التحقيق بليس كمثله شيء لا بدّ من ذلك فلا نصفه ولا ننسب إليه إلا ما نسبه إلى نفسه أو وصف نفسه به فما نسب الهرولة إليه إلا ليعلم أنه أراد القدم الذي يقبل صفة السعي وحكمه على ما يليق

بجلاله لأنه المجهول الذي لا يعرف ولا يقال هو النكرة التي لا تتعرّف قال تعالى ولا يحيطون به علما وما نقول أراد بنسبة القدم ما عينته المترهة على زعمها واقتصرت عليه فجاء بالهرولة لإثبات القدمية وأقامه مقام الخف للقدم في إزالة الإشتراك المتوهم فانتقل التتريه إلى الهرولة من القدم وقد كان القائل بالتتريه مشتغلا بتتريه القدم فلما جاءت الهرولة انتقل التتريه إليها كما انتقل حكم طهارة القدم إلى الخف فتره العبد ربه عن الهرولة المعتادة في العرف وإنها على حسب ما يليق بجلاله سبحانه فإنه لا يقدر أن لا يصفه بها إذا كان الحق أعلم بنفسه وقد أثبت لنفسه هذه الصفة فمن ردّ نسبتها إليه فليس بمؤمن ولكن الذي يجب عليه أن يردّ العلم بها إلى الله أعني علم النسبة وأمّا معقولية الهرولة فما خاطب أهل اللسان إلا بما يعقلونه فالهرولة معقولة وصورة النسبة مجهولة وكذلك جميع ما وصف به نفسه مما توصف به المحدثات وليس الغرض مما ذكرنا إلا جواز انتقال الطهارة من محل إلى محل آخر بضرب من المناسبة والشبه وإنما قلنا بالجواز لا بالوجوب يناقض الجواز ولصاحب الخف أن يجرّد خفه ويغسل رجليه شرعا أو يمسحها بالماء على ما يقتضيه مذهبه في ذلك ولا مانع له من وكذلك هذا العاقل قد يبقى على تتريهه للقدم ولا ينتقل إلى الهرولة ويزيلها عن هذه القدم بحكم ما يسبق إلى الفهم إذا بين أن القدم ما تشبه نسبتها إلى الحق نسبة أقدامنا إلينا من كل الوجوه فلهذا لم يتعلق الوجوب بالمسح وكان حكمه الجواز وصل وأمّا من أجازه سفرا ومنعه في الحضر فذلك إذا كان التتريه عملا فلا أثر له إلا في المتعلم السامع القابل فيسافر التتريه من العالم المعلم إلى المتعلم على راحلة التلفظ والكلام بعبارة أو إشارة من المعلم إلى المتعلم وصل وأمّا من منع جوازه على الإطلاق فإن حقيقة التتريه إنما هي لله سبحانه فإنه المتره لذاته والعبد لا يكون مترها أبدا ولا يصح وأن تتره عن شيء ما لم يتتره عن شيء آخر فمن حقيقته أنه لا يقبل التتريه على الإطلاق وإذا كان بهذه الصفة لا يجوز تتريهه فإنه خلاف العلم والأمور العارضة لا أثر لها في الحقائق فإن قبول العبد لآثار التتريه يدل على عدم التتريه عن قبول الآثار فيه فهذا وجه منع جواز المسح على الخف وما في معناه على الإطلاق إن فهمت وصل وتتميم وأمّا الإشارة بالخفين فإن المراد بهما النشأتان نشأة الجسم ونشأة الروح ولكل نشأة ما يليق بها من الطهارة فافهم

باب تحديد محل المسح من الخف وما في معناه

اختلف علماء الشريعة في تحديد المسح على الخف فمن قائل إن القدر الواجب من ذلك مسح أعلى الخف وما زاد على ذلك فمستحب وهو مسح أسفل الخف يقول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه "لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه" وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح أعلى الخف ومن قائل بوجوب مسح ظهورهما وبطونهما ومن قائل بوجوب

مسح ظهورهما فقط ولا يستحب صاحب هذا القول مسح بطونهما ومن قائل أن الواجب مسح باطن الخف ومسح الأعلى مستحب وهو قول أشهب وصل في حكم الباطن في ذلك اعلم أن التتريه المعبر عنه هنا بطهارة المسح متعلقة أمّا الحق كما قدمنا وأمّا العبد الذي نزهه والقسمة منحصرة فما ثم إلا عبد ورب وخالق ومخلوق ولنا في هذه المسئلة لفظة أعلى وأسفل وصفة العلو لله تعالى لأنه رفيع الدرجات لذاته قال تعالى سبح اسم ربك الأعلى وما في القرآن أقرب نسبة إلى مسح أعلى الخف من هذه الآية والسفل لنا وكذلك أيضا ظاهر الخف وباطنه أعني هاتين اللفظتين قد يكون الحق له حكم الظاهر والباطن وقد يكون حكم الظاهر له في خرق العوائد وحكم الباطن له في نفس العوائد وهي أكثر الآيات الدالة على الله لقوم يعقلون فتارة يعلق التتريه بالأعلى سبحانه وتعالى حقيقة وهو حد الواجب مسح أعلى الخف ويستحب إطلاق التتريه على العبد من حيث أن عمله لذلك يعود عليه وهذا على مذهب من يرى أن الواجب مسح أعلى الخف ويستحب مسح أسفله وتارة يعلق التتريه بالحق سبحانه ظاهرا وباطنا وهو الذي لا يرى في الوجود إلا الله لغلبة سلطان المشاهدة والتجليات عليه فيرى الحق ظاهرا وباطنا فلا يقع منه تتريه الأعلى الحق سبحانه والتتريه نسبة عدمية لا وجودية وهو الذي يوجب مسح ظهور الخفين وبطونهما وتارة يعلق التتريه بالله تعالى لكماله في ذاته تولا يستحب تتريه الخلق للنقص الذاتيّ الذي هو له فيقع في الكذب أن نزهه فيرى أنه لو تتره الممكن يوما مّا من جهة مّا لصفة كمال هو عليها لكان من حيث تلك الصفة غنيا عن الله ومقاوما له ومحال على الخلق أن يكونوا على صفة يكون لهم بها الغنى عن الله فإنهم من جميع الوجوه فقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد فمنع من استحباب مسح أسفل الخف وقال ما ثم متره إلا الله العليّ الظاهر إلى عباده بنعوت الجلال وهذا كما قلنا مذهب من يرى مسح أعلى الخف ولا يستحب مسح أسفله وتارة يعلق التتريه أعني وجوبه من اسمه الباطن ويقول أن الباطن محل يبعد العثور على ما يستحقه من نعوت الجلال لبطونه فيكون الواجب تتريه الحق في اسمه الباطن من أثر الحجاب الذي حكم عليه أن يكون باطنا لا يدرك والله أعلى وأجل أن يحوطه حجاب فوجب تتريهه من حيث اسمه الباطن من أثر الحجاب الذي حكم عليه أن يكون باطنا لا يدرك والله أعلى وأجل أن يحوطه حجاب فوجب تتريهه من حيث اسمه الباطن فهذا وجه من أوجب مسح الباطن من الخف كاشهب واستحب مسح أعلاه وهو الاسم الظاهر فيقول واستحب تتريه الحق في اسمه الظاهر وهو تجليه في الصورة لعباده فيتزهه عن التقييد بها ولكن التتريه الذي لا يخرجه عن العلم أنه عين تلك الصورة فإنه أعلم بنفسه من العقل به ومن كل عالم سواه به وقد قال عن نفسه أنه هو الذي يتجلى لعاده في تلك الصورة كما ذكر مسلم في صحيحه فيكون تتريهه عند ذلك أنه لا يتقيده صورة بل يتجلى في أيّ صورة يظهر بها لعباده ومن هذه الحقيقة التي هو عليها في نفسه ذكر لنا في خلقنا بعد تسويتنا وتعديلنا في أيّ صورة ما شاء ركبنا كما أنه في أي صورة شاء تجلى لعباده وهنا سرّ إلهيّ نبهك عليه لتعرفه به فتزهه صاحب هذا المذهب في ظهوره استحبابا عن دوام التجلي في تلك الصورة بالإقامة فيها في عينك فافهم فهذا حكم الباطن في تحديد المحل

باب في نوع محل المسح

وهو ما يستر به الرجل من خف أو جورب

العم أن القائلين بالمسح على الخفين متفقون على المسح عليهما بلا شك واختلفوا في المسح على الجوربين فمن قائل بالمنع على الإطلاق ومن قائل بالجواز على الإطلاق ومن قائل بالجواز إذا كان على صفة خاصة فأما أن يكون من الكثافة والثخانة بحيث أن لا يصل ماء المسح إلى الرجل أو يكون مبطنا بجلد يجوز المشي فيه أي يمكن المشي فيه وصل حكمه في الباطن فأما حكم الباطن في ذلك فقد تقدم في الخوف وبقي حكم الجورب فالمقرّر أن الجورب مثل الخف في الصفة الحجابية فإن العبد حجاب دون خالقه ولهذا ورد من عرف نفسه عرف ربه فإنه الدليل عليه والدليل والمدلول وإن ارتبطا بالوجه الخاص فهما ضدّان لا يجتمعان وقد قلنا فيما تقدم أن الخف هو أدل على الرجل لا يقوى قوّة الخف للتخلل الذي فيه فإن الماء ينفذ ويتخلل مسامه سريعا والخف ليس كذلك وحكمه في الباطن أن من العباد عباد الله من يكون في الدلالة على الله أقوى من غيره فهو بمنزله الجورب كما ثبت في الأثر عن الله في صفة أولياء الله حدثني غير واحد عمن حدثه يبلغ به النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من أولياء الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله ذكره الحافظ أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء له وذلك لما قلناه مما يرى عليهم من قوة الدلالة على الله تعالى من الاستهتار بذكره سبحانه وما هم عليه من الذلة والطاعة والإفتقار مع الأنفاس إلى الله فإذا أراد الناس أن يترهوهم لم يتمكن لهم تتريههم إلا بتتريه الله فإنهم ما يذكرونهم إلا بالله لما تعطيهم أحوالهم الصادقة مع الله فإن كان الخف مبطنا بجلد فهو الملامي الذي يستر نفسه وحاله مع الله عن العالم السفليّ أن يدركوا مرتبة ولايته عند الله كما يستتر الجورب عن الأرض أن تدركه وتصيبه بالجلد الذي حال بين الأرض وبينه وهو الصفة التي استتر بها هذا الملامي من المباحثات عن العالم الأسفل المحجوب فلم يدركوا منه إلا تلك فالصفة التي لم يتميز بها عن عامّة المؤمنين وهو من خلف تلك الصفة في مقام الولاية مع الله وبقى أعلى الجورب من جانب الأعلى مع الله سبحانه بلا حائل بينه وبين ربه عز وجل وقد فتحت لك باب الاعتبار شرعا وهو الجواز من الصورة التي ظهر حكمها في الحس إلى ما يناسبه في ذاتك أو في جناب الحق مما يدل على الحق هذا معنى الاعتبار فإنه من عبرت الوادي إذا قطعته وجزته

باب في صفة الممسوح عليه

أجمع من يقول بجواز المسح على جواز المسح على الخف الصحيح واختلفوا في المخرق فمن قائل بجوازه إذا كان الخرق يسيرا من غير حدّ ومن قائل بتحديد الخرق اليسير بثلاثة أصابع ومن قائل بجوازه ما دام ينطلق عليه اسم الخف وأن تفاحش خرقه وهو إلا وجه عندي ومن قائل بمنع المسح إذا كان الخرق في مقدّم الخف وإن كان يسيرا والذي أقول به أن هذه المسئلة لا أصل لها ولا نص فيه في كتاب ولا سنة فكان الأولى إهمالها وأن لا نشتغل بها وأن الحق ففي ذلك إذ وقد وقع تنفي ذلك من الخلاف بين علماء الشريعة ما أحوجنا إلى الكلام فيها وإن الحق في ذلك عندنا إنما هو مع من قال يجوز ما دام يسمى خفا وصل في حكم الباطن في ذلك وهو أن نقول إنما سمي الخف خفا من الخفاء لأنه يستر الرجل مطلقا فإذا انخرق وظهر من الرجل شيء مسح على ما ظهر منه ومسح على الخف وذلك ما دام يسمى خفا لا بدّ من هذا الشرط وفيه سر عجيب للفطن المصيب أن الحافي هو الظاهر أيضا يقول امرؤ القيس خفاهنّ من أنفاقهنّ أي أبرزهنّ وأظهرهنّ وإنما قلنا بمسح ما ظهر لأنا قد أمرنا في كتاب الله بمسح الأرجل فإذا ظهر

مسحناه وأمّا في الباطن فظاهر الشريعة ستر على حقيقة حكم التوحيد بنسبة كل شيء إلى الله فالطهارة في الشريعة متعلقها وهي أن تصحبها التوحيد بأن تراها حكم الله في خلقه لا حكم الخلوق مثل السياسات الحكمية فالشرع حكم الله لا حكم العقل كما يراه بعضهم فطهارة الشريعة رؤيتها من الله الواحد الحق ولهذا لا ينبغي لنا أن نطعن في حكم مجتهد لأن الشرع الذي هو حكم الله قد قرر ذلك الحكم فهو شرع الله بتقريره إياه وهي مسئلة يقع في محظورها أصحاب المذاهب كلهم لعدم استحضارهم لما نبهنا عليه مع كونهم عالمين به ولكنهم غفلوا عن استحضاره فأساؤا الأدب مع الله في ذلك حين فاز بذلك الأدباء من عباد الله فمن خطأ مجتهدا بعينه فقد خطأ الحق فيما قرّره حكما فإذا انخرق الشرع فظهر في مسئلة ما حكم من أحكام التوحيد مما تزيل حكم الشرع مطلقا انتقل الحكم لطهارة ذلك التوحيد المؤثر في إزالة حكم الشريعة كمن ينسب الأفعال كلها إلى الله من جميع الوجوه فلا يبالي فيما يظهر تعليه من مخالفة أو موافقة فمثل هذا التوحيد يجب التتريه منه لظهور هذا الأثر فإنه خرق للشريعة وترفع لحكم الله كما لا يجوز المسح مع زوال اسم الخف فإن كان الخرق يبقى اسم الخف عليه كان الحكم كما قرّرناه من المسح على الخف ومسح ما ظهر من الرجل وهو أن يبين في ذلك التوحيد المعين في هذه المسئلة اللوجه المشروع وهو أن نقول والله خلقكم وما تعملون فالأعمال خلق لله مع كونها منسوبة إلينا فلم ينسبها من جميع الوجوه فلم يؤثر في المسح ويكون الحكم في ذلك كما قررناه وأهل طريقنا اختلفوا في هذه المسئلة اختلافا كثيرا على صورة ما اختلف فيه أهل المسح على الخف سواء فأما من حده بثلاثة أصابع فراعي ظهور التوحيد في ثلاث منازل وهو حكم الشرع في الإنسان في معناه وفي حسه وفي خياله فاداعمّ التوحيد هذه الثلاثة لم يجز منه فحكم حكم من زال عنه اسم الخف.

باب في توقيت المسح

اختلف في ذلك فمن قائل بالتوقيت فيه ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم ومن قائل بأن لا توقيت وليمسح ما بدا له مالم يقم مانع كالجنابة وصل حكمه في الباطن فأمّا الحكم في ذلك في الباطن على مذهب القائل بالتوقيت فقد قرّرنا في المسح على الخف في باب العالم والمتعلم أن ذلك سفر حيث انتقل الأمر من المعلم إلى المتعلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا علم الناس شرائعهم كرّر الكلمة ثلاث مرات حتى تفهم عنه لأنه مأمور بالبيان والإبلاغ هذا معنى مسح المسافر ثلاثا وأما توقيت الحاضر بيوم وليلة فإنه ليس فينفسه نإلا قيام ذلك الأمر فيعلمه فلا يعيد عليه نفسه لأنه قد ظهر له وهو من نفسه على يقين وما هو على يقين من قبول غيره لذلك عند التعليم فيكرّر ثلاث مرّات ليتيقن أن قد فهم عنه ومن لم يقل بالتحديد نظر إلى فطر المتعلمين فمنهم من يفهم بأوّل مرّة ومنهم من لا يفهم إلا بعد تفصيل وتكرار المرّة بعد المرّة حتى يفهم فلا يوقت عددا بعينه في حال تعليمهه غيره الذي هو بمترلة السفرر ولا ينظره في نفسه الذي هو بمترلة الحضر فإنه في نفسه فقد يمكن أن يتصور فيما ظهر له أنه ربما يكون شبهة فيحقق النظر فيه مرارا فلا توقيت وأما حكم الجنابة في إزالة الخف فالجنابة هي الغربة والجنيب نالغريب فإذا وقع في القلب أمر غريب يقدح في الشرع جرد النظر في ذلك بالعقل دون الإستدلال بالشرع مثل أن يخطر له خاطر البرهمي المنكر للشريعة نفلا يقبل دليل الشرع على إبطال هذا القول الذي خطر له فإنه محل التزاع فلا بدّ أن يترع من الإستدلال بالشرع إلى الإستدلال بما تعطيه أدلة النظر وسواء وقع ذلك له كالحضر تأو لغيره كالسفر كما أن الجنب سواء كان مسافرا أو حاضرا لابدّ من إزالة الخف

باب في شرط المسح على الخفين

فمن قائل أن من شرط المسح أن يكون الرجلان طاهرتين بطهر الوضوء ومن قائل أنه ليس من شرطه إلا طهارتهما من النجاسة وبه أقول والقول الأوّل أحوط وبقي شرطا آخر أن لا يكون خف على خف فمن قائل بجواز المسح عليهما وبه أقول ومن قائل بالمنع وهكذا حكم الجموق وصل في حكم الباطن نفي ذلك وأما حكم الباطن في ذلك فإ، الطهر المعقول في الباطن هو التتريه كما قرّرناه عقلا وشرعا وهذه الطهارة الخاصة للرجلين طهارة شرعية وقد وصف نفسه تعالى بأن له الهرولة لمن أقبل إليه يسعى والسعي والهرولة من صفات الأرجل فمن نزه الحق عن الهرولة فقد أكذب الحق فما وصف به نفسه وإن كان العقل لا يقبل من حيث دليله هذه النسبة إليه تعالى والإيمان يقبلها وينفي التشبيه بقوله تعالى ليس كمثله شيء وبالدليل النظريّ ولا تتأول الهرولة الإلهية بتضعيف الإقبال الإلهيّ على العبد وتأكيده ولا غير ذلك من ضروب التأويلات المترهة وإنما تأول ذلك من تأوله من العقلاء بتضاعف الإقبال الإلهيّ بجزيل الثواب على العبد إذا أتى إلى ربه يسعى بالعبادات تنالتي فيها المشي كالسعي إلى المساجد والسعي في الطواف وإلى الطواف وإلى الحج وإلى عيادة المرضى وإلى قضاء حوائج الناس وتشييع الجنائز وكل عبادة فيها سعي قرب محلها أو بعد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله فطهر الوضوء وصف الحق بأنه يهرول والطهر الذي هو النظافة هو تتريه الحق أن لا يرفع عنه ما وصف به نفسه وأمّا ما لم يصف به نفسه مما هو من نعوت الممكنات فتتريهه عن أن يوصف بشيء من ذلك هو للعقل فالعقل تحت حكم الشرع إذا نطق الشرع في صفات الحق بما نطق فليس له ردّ ذلك أن كان مؤمنا ويكون المنطوق والموصوف بتلك الصفة قابلا أي جائز القبول أو مجهول فيلزم العقل قبول الوصف المشروع وإن جهل قبول الموصوف له ولهذا ذهبنا في طهر الرجلين إلى الطهر اللغويّ الذي هو النظافة والتتريه منالنجاسة تفلا يلزمنا شيء مما يتفرّع من هذه المسئلة من المسائل على مذهب القائلين بطهر الوضوء وأمّا إذا لبس خفا على خف فهو وصف الحق نفسه بالهرولة فإن الهرولة صفة للسعى والسعي صفة للرجل فقد يكون السعي بهرولة وقد لا يكون وإذا هذا فالهرولة من صفات السعي فبين الهرولة وبين القدم أمر آخر وهو السعي فهو كالخف على الخف وقد تقدّم الكلام عليه فافهم

باب في معرفة ناقض طهارة المسح على الخف

الإنفاق على أن نواقضها نواقض الوضوء كلها وسيأتي بابه في هذا الباب فيما بعد اختلف العلماء في نزع الخف هل هو ناقض للطهارة أم لا فمن قائل إن الطهارة تبطل ويستأنف الوضوء ومن قائل تبطل طهارة القدمين خاصة فيغسلهما ولا بد على ما تقدم من الإختلاف في الموالاة ومن قائل لا يؤثر نزع الخف في طهارة القدم نوبه أقول وإن استأنف الوضوء فهو أحوط لا يؤثر في طهارته كلها إلا أن يحدث ما ينقض كما سيأتي وصل في حكم الباطن في ذلك أمّا حكم الباطن فيمن قال تبطل الطهارة كلها فهو سريان التتريه في الموصوف فإذا قبل تتريها بعينه قبل سائر ما يعقل فيه التتريه كذلك إن بطل تتريه ما في حق الموصوف سرى البطلان في النعوت كلها نعوت التتريه ومن قال تبطل طهارة الرجل خاصة هو أن يزيل الشرع عن الحق وصفا ما على التعيين فلا يلزم منه إزالة كل وصف يقتضى التشبيه فإن الله سبحانه نزه نفسه عن الغضب ومن قائل بأنه على طهره وإن نزع الخف لا حكم

له ولا تأثير في الطهارة التي كان موصوفا بها في حال لبسه خفه يقول نوإن نزه الحق نفسه عن أن يلد فالوصف له باق فإنه قال لو أراد الله تأن يتخذو ولد لاصطفى مما يخلق ما يشاء فأبقى الأمر على حكمه بقوله تعالى لو أراد وهذا مثل قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق وقوله ما يبدّل القول لديّ وهذا ردّ على من يقول أن لا إله لذاته أوجد الممكن لا لنسبة إرادة ولا سبق علم والصحيح ما قاله الشارع توإن لم تكن تلك النسبة أمرا وجودنا يا زائدا فاعلم ذلك

أبواب المياه

قد تقدم الكلام في أوّل الباب في الفرق بين ماء الغيث وماء العيون وبينا من ذلك ما فيه غنية فلنذكر في هذه الأبواب حكم ما نزعت إليه نعلماء الشريعة في الظاهر بما يناسبه من طهارة الباطن

باب في مطلق المياه

أجمع العلماء على أن جميع المياه طاهرة في نفسها مطهرة غيرها إلا ماء البحر فإن فيه خلافا وكذلك أيضا اتفقوا على أن ما يغير الماء مما لا ينفك عنه غالبا أنه لا يسلب عنه صفة التطهير إلا الماء الآجن فإن ابن سيرين خالف فيه والذي أذهب إليه أن كل ما ينطلق عليه اسم الماء مطلقا فإنه طاهر مطهر سواء كان ماء البحر أو الآجن واتغقوا أيضا على أن الماء الذي غيرت النجاسة لونه أو طعمه أو ريحه أو كل هذه الأوصاف أنه لا تجوز به الطهارة فإن لم يتغير الماء ولا واحد من أوصافه بقي على أصله من الطهارة والتطهير و لم يؤثر ما وقع فيه من النجاسة إلا أني أعف في هذه المسئلة خلافا في قليل الماء يقع فيه قليل النجاسة بحيث أن لا يتغير من أوصافه شيء وصل حكم الباطن في ذلك فأمّا حكم الباطن فيما ذكرناه فاعلم أن الماء هو الحياة التي تحيا بها لاقلوب فيحصل به الطهارة لكل قلب من الجهل قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها هذا ضرب مثل في الكفر والإيمان والعلم والجهل وأمّا ماء البحر الذي وقع فيه لخلاف لشذ فكونه محلوق من صفة الغضب والغضب يكون عنه لطرد ولبعد في حق المغضوب عليه والطهارة مؤدية إلى القرب من الله والوصلة به رأى الوضوء بماء البحر وإليه أذهب ومن اتسع في علم التوحيد و لم يلزم الأدب الشرعيّ فلم يغضب لله ولا لنفسه لم ير الوضوء بماء البحر لأنه مخلوق من الغضب فيخاف أن يؤثر فيه غضبا فتقوم به صفة الغضب وحاله لا تعطى ذلك فإن التوحيد يمنعه من الغضب لأنه في نظره ما ثم من يغضب عليه لا حدية العين عنده في جميع الأفعال المنسوبة إلى العالم إذ لو كان عنده مغضوب عليه لم يكن توحيد فإن موجب الغغضب إنما هو الفعل ولا فاعل إلا الله وهذه المسئلة من أشكل المسائل عند القوم وإن كانت عندنا هينة الخطب لمعرفتنا بمواضع الآدب الإلهيّ الذي شرعه لنا ثم التخلق بالأخلاق الإلهية ومنها الغضب الذي وصف به نفسه في كتابه فقال تعالى وغضب الله عليه ولعنه وقوله في آية اللعان والخامسة أنغغضب الله عليها وقد جاءت السنة بأن الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فهذا الذي لا يغضب لا يرى إلا الله فيحكم عليه حاله وهذا مقام الحيرة فالويل له إن غضب هنا والويل به إن لم يغضب في الآخرة فهو محجوج بكل حال دنيا وآخرة والغضب لله أسلم وأنجى وأحسن بالإنسان فإنّ فيه لزوم الدب المشروع ولما كان الغضب في أصل نجبلة الإنسان كالجبن والحرص والشره بين الحق له مصارف إذ وقع من العبد واتصف به وللتسليم محال ومواضع

قد شرعت التزم بها الأدباء حالا وغاب عنها أصحاب الأحوال ولعدم التسليم محال ومواضع قد شرعت فالأديب هو الواقف من غير حكم حتى يحكم الشارع الحق وهو خير الحاكميمن فإذا حكم وقف الأديب حيث حكم لا يزيد ولا ينقص والغضب صفة باطنة في الإنسان قد يكون لها أثر في الظاهر وقد لا يكون نفإن الحال أغلب والأحوال يعلو بعضها على بعض في القهر والغلبة على من قامت بهم فإن جمع بين وجود تالرحمة على المغضوب عليه في قلبه وحكم الغضب لله في حسه وظاهره فإن أهل طريق الله نظروا أيّ الطريقين أعلى وأحق فمنا من قال بأنّ الغضب القائم بالنفس أعلى ومنا من قال وجود الرحمة في القلب وإرسال حكم الغضب لله في الظاهر أعلى وليس بيد العبد فيه شيء وإنما العبد مصرّف فهو بحسب ما يقام فيه ويرد الله وما للإنسان في تركه وعدم تركه للشيء فعل بل هو مجبور في اختياره إذا كان مؤمنا تفإنا قيدنا الغضب أن يكون لله وأا الغضب لغير الله فالطبع البشريّ يقتضي الغضب والرضى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر الحديث وقد علمنا به حالا وخلق الله الحمد على ذلك وأما حكم الماء الآجن في الباطن دون غيره مما يغير الماء مما لاينفك عنه غالبا فاعلم أن الله سبحانه ما نزه الماء عن شيء يتغير الله مما لا ينفك عنه غالبا إلا الماء الآجن فقال تعالى في صفة أهل الجنة الموصوفة بالطهارة فيها أنهار من ماء غير آسن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير وهو الماء المخزون في الصهاريج وكل ماء مخزون يتغير بطول المكث فإذا عرض للعلم الذي به حياة القلوب من المزاج الطبيعيّ أمر أثر فيه كالعلم بأن الله رحيم

فإذا رأى رحمته بعباد الله كما يراها من نفسه من الرقة والشفقة التي يجد ألمها في نفسه فيطلب العبد إزالة ذلك الألم الذي يجده في نفسه برحمة هذا الذي أدركته الرحمة عليه من المخلوقين قام له قيام الرقة به وحمل ذلك على رحمة الله فتغيرت تعنده رحمة الله بالقياس على رحمته فالحق يقول لك هنا لاتجعل طبيعتك حاكمة على حياتك الإلهية ومن يرى الوضوء بالماء الآجن لم يفرق فإن الحق قد وصف نفسه في مواضع بما يقتضيه الطبع البشري فيجري الكل مجرى واحد أو الأولى ما ذكرناه أوّلا أن لا نزيد على حكم الله شيئا فيما ذكرعن نفسه وأما حكم الباطن في العلم القليل إذا وردت عليه الشبه المضلة وأثرت فيه التغير فإنه لا يجوز له استعمال ذلك العلم فإنه غير واثق به وإن كان عارفا بأن لذلك العلم وجها إلى الحق ولكن ليس في قوّته لضعف علمه معرفة تعيين ذلك الوجه فيعدل عند ذلك إلى العلم الذي يستهلك الشبه وهو العلم الذي يأخذه عن الإيمان من طريق الشرع والعمل به فإنه العلم الواسع الذي لا يقبل الشبع لأنه يقلب عينها بالوجه الحق الذي تحمله فيصرفها في موضعها فتكون علماً بعدما كانت بكونها شبهة جهلاً فإنّ نور الإيمان تندرج فيه أنوار العلوم اندراج أنوار الكواكب في نور الشمس وطريقه واضحة أيضاً في رجوع الشبه علماً لأنه يزيل حكمها ويريه نور الإيمان وجه الحق فيها فيراها عدماً والعدم لا أثر له ولا تأثير في الوجود فاعلم ذلك واعلم أن نور الإيمان هنا عبارة عن أمر الشرع أي الزم ما قلت لك وأمرتك به سواء وجدت عليه دليلاً عقلياً أو لم تجد كالإيمان في الجناب الإلهيّ بالهرولة والضحك والتبشش والتعجب من غير تكييف ولا تشبيه مع معقولية ذلك من اللسان لكن نجهل النسبة لاستنادنا إلى قوله تعالى "ليس كمثله شيء" وهي أعني هذه الآية أصل في التتريه لأهله واصل في التشبيه لأهله.

باب في الماء تخالطه النجاسة

ولم تغير أحد أوصافه

اختلف علماء الشريعة في الماء تخالطه النجاسة و لم تغير أحد أوصافه فمن قائل إنه طاهر مطهر سواء كان قليلاً أو كثيراً وبه أقول إلا أني أقول إنه مطهر غير طاهر في نفسه لأنا نعلم قطعاً أن النجاسة خالطته لكن الشرع عفا عنها ولا أعرف هذا القول لأحد وهو معقول وما عندنا من الشرع دليل أنه طاهر في نفسه لكنه طهور وإن احتجوا علينا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء قلنا ما قال إنه طاهر في نفسه وإنما قال فيه إنه طهور والطهور هو الماء والتراب الذي يطهر غيره فإنا كما قلنا نعلم قطعاً أن الماء حامل النجاسة عقلاً ولكن الشارع ما جعل لها أثراً في طهارة الإنسان به ولا سماه نجساً فقد يريد الشارع التعريف بحقيقة الأمر وهو أن الماء في نفسه طاهر بكل وجه أبداً لم يحكم عليه بنجاسة أي أن النجاسة ليست بصفة له وإنما أجزاء النجس تجاور أجزاءه فلما عسر الفصل بين أجزاء البول مثلاً وبين أجزاء الماء وكثرت أجزاء النجاسة على أجزاء الماء فغيرت أحد أوصافه منع من الوضوء به شرعاً على الحدّ المعتبر في الشرع وإذا غلبت أجزاء الماء على أجزاء النجاسة فلم يتغير أحد أوصافه لم يعتبرها الشارع ولا جعل لها حكماً في الطهارة بها فإنا نعلم قطعاً أنّ المتطهر استعمل الماء والنجاسة معاً في طهارته الشرعية والحكم للشرع في استعمال الأشياء لا للعقل و لم يرد شرع قط بأنه طاهر ليست فيه نجاسة إلا باعتبار ما ذكرناه من عدم تداخل الجواهر وهو أمر معقول فما بقي إلا تجاورها فاعتبر الشرع تلك المجاورة في موضع و لم يعتبرها في موضع فلذلك لم يجز الطهارة به في الموضع الذي اعتبرها وأجاز الطهارة به في الموضع الذي لم يعتبرها و لم يقل فيه أنه ليس فيه نجاسة فالحكم في الماء على ما ذكرناه على أربع مراتب إذا خالطته النجاسة أو لم تخالطه حكم بأنه طاهر مطهر وحكم بأنه طاهر غير مطهر وحكم بأنه غير طاهر ولا مطهر وهو الماء الذي غيرت النجاسة أحد أوصافه وصاحب هذا الحكم يردّ الحديث الذي احتج به علينا فإن الشارع قال لا ينجسه شيء فكيف اعتبره هذا المحتج به هنا و لم يعتبره في الوجه الذي ذهبنا إليه في أنه مطهر غير طاهر ويلزمه ذلك ضرورة وليس عنده دليل شرعيّ بردّه والحكم الرابع مطهر غير طاهر وهو الفصل الذي نحن بسبيله فإنه الماء الذي خالطته النجاسة و لم تغير أحد أوصافه ومن قائل بالفرق بين القليل والكثير فقالوا إن كان كثيراً لم ينجس وإن كان قليلاً كان نجساً و لم يحد فيه حداً بل قال بأنه ينجس ولو لم يتغير أحد أوصافه ثم اختلف هؤلاء في الحد بين القليل والكثير والخلاف في نفس الحد مشهور في المذاهب لا في نص الشرع الصحيح فإن الأحاديث في ذلك قد تكلم فيها مثل حديث القلتين وحديث الأربعين قلة ثم الخلاف بينهم في حد القلة ويتفرع على هذا الباب مسائل كثيرة مثل ورود الماء على النجاسة وورود النجاسة على الماء والبول في الماء الدائم وغير ذلك وللناس في ذلك مذاهب كثيرة ليس هذا الكتاب موضعها فإنا ما قصدنا استقصاء جميع ما يتعلق من الأحكام بهذه الطهارة من جهة تفريع المسائل وإنما القصد الأمّهات منها لأجل الاعتبار فيها بحكم الباطن فجرّدنا في هذا الباب نحواً من ثمانين باباً نذكرها إن شاء الله كلها باباً باباً وهكذا أفعل إن شاء الله في سائر العبادات التي عزمنا على ذكرها في هذا الكتاب من صلاة وزكاة وصيام وحج والله المؤيد لا رب غيره وصل في حكم الباطن وأما حكم الباطن فيما ذكرناه في هذا الباب وهو الماء الذي تخالطه النجاسة و لم تغير أحد أوصافه فهو العلم الإلهيّ الذي يقتضي التتريه عن صفات البشر فإذا خالطه من علم الصفات التي تتوهم منها المناسبة بينه وبين خلقه فوقع في نفس العالم به من ذلك نوع تشويش فاستهلك ذلك القدر من العلم بالصفات التي يقع بها الاشتراك في العلم الذي يقتضي التتريه من جهة دليل العقل ومن ليس كمثله شيء في دليل السمع فيبقى العلم بالله على أصله من طهارة التتريه عقلاً وشرعاً مع كوننا نصفه بمثل هذه الصفات التي توهم التشبيه فإنه ما غيرت أوصافه تعالى فيثبت كل ذلك له مع تحقق ليس كمثله شيء وأما

حكم القليل والكثير في ذلك واختلاف الناس في النجاسة إن كان الماء قليلاً فالقلة والكثرة في الماء الطهور هو راجع إلى الأدلة الحاصلة عند العالم بالله

فإن كان صاحب دليل واحد وطرأت عليه في علمه بتتريه الحق في أيّ وجه كان شبهة أثرت في دليله زال كونه علماً كما زال كون هذا الماء طاهراً مطهراً وإن كان صاحب أدلة كثيرة على مدلول واحد فإن الشبهة تستهلك فيه فإنها إذا قدحت في دليل منها لم يلتفت إليها واعتمد على باقي أدلته فلم تؤثر هذه الشبهة في علمه وإنما أثرت في دليل خاص لا في جميع أدلته فهذا معنى الكثرة في الماء الذي لا تغير النجاسة حكمه وأمّا من قال بترك الحدّ في ذلك وإن الماء يفسد فإنه يعتبر أحدية العين لا أحدية الدليل فيقول إن العلم تقدح فيه هذه الشبهة في زمان تصوّره إياها والزمان دقيق فربما مات في ذلك الزمان وهو غير مستحضر سائر الأدلة لضيق الزمان فيفسد عنده وفي هذا الباب تفريع كثير لا يحتاج إلى إيراده وهذا القدر قد وقع به الاكتفاء في المطلوب.

باب الماء يخالطه شيء طاهر

مما ينفك عنه غالباً متى غير أحد أوصافه الثلاثة

أما الماء الذي يخالطه شيء طاهر مما ينفك عنه غالباً متى غير أحد أوصافه الثلاثة فإنه طاهر غير مطهر عند الجميع إلا بعض الأئمة فإنه عنده مطهر ما لم يكن التغير عن طبخ وصل حكم الباطن فأما حكم الباطن في ذلك فهو أن العلم بالله من حيث العقل الذي حصل له من طريق الفكر إذا خالطه وصف شرعيّ مما جاء الشرع به فإن ذلك العلم بالله طاهر في نفسه غير مطهر لما دل عليه من صفة التشبيه كقولهم في صفة كلام الله إنه كسلسلة على صفوان فأتى بكاف الصفة والشرع كله ظاهر مقبول ما جاء به فلم يقدر العقل ينفك عن دليله في نفي التشبيه وسلم للشرع ما جاء به من غير تأويل ومن رأى أنه مطهر على أصله ما لم يطبخ فأراد بالطبخ الأمر الطبيعيّ وهو أن لا يأخذ ذلك الوصف من الشارع الذي هو مخبر عن الله وأخذه عن فهمه ونظره بضرب قياس على نفسه من حيث إمكانه وطبيعته فهو طاهر غير مطهر فاعلم ذلك.

باب في الماء المستعمل في الطهارة

الماء المستعمل في الطهارة اختلف فيه علماء الشريعة على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا تجوز الطهارة به ومن قائل تجوز الطهارة به وبه أقول ومن قائل بكراهة الطهارة به ولا يجوز التيمم بوجوده وقول رابع شاذ وهو أنه نجس وصل حكم الباطن في ذلك فأمّا حكم الباطن فيه فاعلم أن سبب هذا الخلاف هو أنه لا يخلو أن ينطلق على ذلك الماء اسم الماء المطلق أو لا ينطلق فمن رأى أنه ينطلق قال بجواز الطهارة به ومن رأى أنه قد أثر في إطلاقه استعماله لم يجز ذلك أو كرهه على قدر ما يقوى عنده وأمّا من قال بنجاسته فقول غير معتبر وإن كان القائل به من المعتبرين وهو أبو يوسف فاعلم أن العلم بتوحيد الله هو الطهور على الإطلاق فإذا استعملته في أحدية الأفعال ثم بعد هذا الاستعمال رددته إلى توحيد الذات اختلف العلماء بالله بمثل هذا الاختلاف في الماء المستعمل فمن العارفين من قال إن هذا التوحيد لا يقبله الحق من حيث ذاته فلا يستعمل بعد ذلك في العلم بالذات ومن العارفين من قال يقبله لإنا ما أثبتنا عيناً زائدة والنسب ليست بأمر وجوديّ فتؤثر في توحيد الذات فبقي العلم بالتوحيد على أصله من الطهارة وأما من قال بأنه نجس

فإن التوحيد المطلق لا ينبغي إلا لله تعالى فإذا استعملت هذا التوحيد في أحدية كل أحد التي بها يقع له التمييز عن غيره فقد صار لها حكم الكون الممكن فهذا معنى النجاسة فلا ينبغي أن ينسب إلى الله مثل هذا التوحيد لأن تمييزه في أحد يته عن خلقه ليس عن اشتراك كما تتميز الممكنات بعضها عن بعض بخصوص وصفها وهي أحديتها.

باب في طهارة أسآر المسلمين وبهيمة الأنعام

اتفق العلماء بالشريعة على طهارة أسئار المسلمين وبهيمة الأنعام واختلفوا فيما عدا ذلك فمن قائل بطهارة كل حيوان ومن قائل استثنى واختلف أهل الاستثناء خلافاً كثيراً وصل حكم الباطن في ذلك فأما حكم الباطن في ذلك فإن سؤر المؤمن وكل حيوان فهو طاهر فإن الإيمان والحياة عين الطهارة في الحيّ والمؤمن إذ بالحياة كان التسبيح من الحيّ لله تعالى وإذ بالإيمان كان قبول ما يرد به الشرع مما يحيله العقل أو لا يحيله من المؤمن بلا شك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربّه فما بقي للعبد من العلم بعد معرفته بنفسه الذي هو سؤره وكل حيوان فإنه مشارك للإنسان المؤمن في الدلالة فسؤره مثل ذلك بذلك القدر مما بقي يعرف ربّه وأمّا أصحاب الخلاف في الاستثناء فما نظروا في المؤمن ولا في الحيوان من كونه حيواناً ولا مؤمنا فهو بحسب ما نظر فيه هذا المستثنى ويجري معه الحكم والتفصيل فيه يطول وإنما اشترطنا المؤمن دون الإنسان وحده إذ كان الإيمان يعطي من المعرفة بالله ما يعطيه الحيوان والإنسان وزيادة مما لا يدركه الإنسان من حيث إنسانيته ولا حيوانيته بل من كونه

باب في الطهارة بالأسئار

اختلف العلماء بالشريعة في الطهارة بالأسئار على خمسة أقوال فمن قائل إنها طاهرة بإطلاق وبه نقول ومن قائل إنه لا يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ومن قائل إنه يجوزر للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ما لم تكن جنباً أو حائضاص ومن قائل لا يجوز لكل واحد منهما أن يتطهر بفضل طهور صاحبه ولكن يشرعان معاً ومن قائل إنه لا يجوز أصلاً ومن قائل يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة ما لم تخل به وصل حكم الباطن في ذلك فأما حكم الباطن في ذلك فاعلم أن الرجل يزيد على المرأة درجة فإذا اتخذا دليلاً على العلم بالله من حيث ما هما رجل وامرأة لا غير فمن رأى أن لزيادة الدرجة في الدلالة فضلاً على من ليس لها تلك الدرجة نقصه م العلم بذلك القدر فمن لم يجز الطهارة بذلك قال إنما يدل من كونه رجلاً وامرأة أي من كونهما فاعلاً ومنفعلاً على علم خاص في الإله وهو العلم بالمؤثر والمؤثر فيه وهذا يوجد في كل فاعل ومنفعل فلا يجوز أن يوجد مثل هذا في العلم بالله ولا يتطهر به القلب من الجهل بالله ومن أجازه قال جل المعرفة بالله أن يكون خالقنا وخالق الممكنات كلها وإذا ثبت افتقارنا إليه وغناه عنا فلا تبالي بما فاتنا من العلم به فهذان قولان بالجواز وبعدم الجواز وبهذا الاعتبار نأخذ ما بقي من الأقسام مثل الشروع معاً غير أن في الشروع معاً زيادة في المعرفة وهي عدم التقييد بالزمان وهو حال الوقوف على وجه الدليل وهو أيضاً كالنظر في دلالتهما من حيث ما يشتركان فيه وليس إلا الإنسانية ومثل طهارة المرأة بفضل الرجل فإنه يعطي في الدلالة ما تعطي المرأة وزيادة ومثل طهور الرجل بفضل المرأة ما لم تكن جنباً بالتغرّب عن موطن الأنوثة وهو منفعل فقد اشترك مع الأنثى التي انفعلت عنه فإنه منفعل عن موجده ومن تغرّب عن موطن الأنوثة من تشبيهها بالرجل فإن ذلك يقدح في أنوثتها أو حائضاً وهي صفة تمنع من مناجاة الحق في الصلاة والمطلوب

من العلم بالله القربة والحال في الحيض البعد من الله من حيث تناجيه فالمعرفة بهذه الصفة تكون معرفة حجابية من الاسم البعيد وأما قول القائل ما لم تخل به فإن لم تخل به جازت الطهارة وإن خلت به لم تجز فاعلم إن العالم بالله كما يعلم إن ذاته منفعلة في وجود عينها عن الله ولا يعرف إنه يرضي الله ويغضبه بأفعاله إذ قد وقع التكليف فما عرفه معرفة تامة فقد خلى بالمعرفة وهذا يقدح في طهارة تلك المعرفة وإذا عثر على أن له أثراً في ذلك الجناب مثل قوله تعالى أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فأعطى الدعاء من الداعي في نفس المدعو الإجابة ولا معنى للانفعال الأمثل هذا فهذا حقيقة قوله ما لم تخل به.

باب الوضوء بنبيذ التمر

اختلف علماء الشريعة في الوضوء بنبيذ التمر فأجاز الوضوء به بعضهم ومنع به الوضوء أكثر العلماء وبالمنع أقول لعدم صحة الخبر النبويّ فيه الذي اتخذوه دليلاً ولو صح الحديث لم يكن قوله نصاً في الوضوء به فإنه قال صلى الله عليه وسلم فيه تمرة طيبة وماء طهور أي جمع النبيذ بين التمر والماء فسمي نبيذاً فكان الماء طهوراً قبل الامتزاج وإن صح قوله فيه شراب طهور لم يكن نصاً في الوضوء به ولابد فقد يمكن أن يطهر به الثوب من النجاسة فإن الله ما شرع لنا في الطهارة للصلاة عند عدم الماء إلا التيمم بالتراب خاصة وصل حكم الباطن في ذلك وأما حكم الباطن في ذلك فإن الواقف في معرفته بالله على الدليل المشروع الذي هو فرع في الدلالة عن الدليل العقلي الذي هو الأصل وليس عند صاحب الدليل المشروع علم بما ثبت به كون الشرع دليلاً في العلم بالإله فضعف في الدلالة وإن سماه ماء طهورا وتمرة طيبة فذلك لامتزاج الدليلين والمقلد لا يقدر على الفصل بين الدليلين فمن حيث يتضمن ذلك الامتزاج الدليل العقليّ يجوز الأخذ به في الدلالة فيجيز الوضوء بنبيذ التمر ومن حيث الجهل بما فيه من تضمنه الدلالة العقلية لا يجوز الأخذ به وهو على غير بصيرة في ثبوت هذا الفرع فلم يجز الوضوء نبيذ التمر فإنه سماه شراباً وأزال عنه اسم الماء فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

أبواب نواقض الوضوء

حكم ذلك في الباطن أعني ناقض الوضوء أنه كل ما يقدح في الأدلة العقلية والأدلة الشرعية في المعرفة بالله أما في العقلية فمن الشبه الواردة وأما في الشرعية فمن ضعف الطريق الموصل إليها وهو عدم الثقة بالرواة أو غرائب المتون فإن ذلك مما يضعف به الخبر فكل ما يخرجك عن العلم بالله وبتوحيده وبأسمائه الحسنى وما يجب لله أن يكون عليه وما يجوز وما يستحيل عليه عقلاً إلا أن يرد به خبر متواتر في كتاب أو سنة فإن ذلك كله ناقض لطهارة القلب بمعرفة الله وتوحيده وأسمائه فلنذكرها مفصلة كما وردت في الوضوء الظاهر إن شاء الله.

باب انتقاض الوضوء

بما يخرج من الجسد من النجس

اختلف علماء الشريعة في انتقاض الوضوء بما يخرج من الجسد من النجس على ثلاثة مذاهب فاعتبر قوم في ذلك الخارج وحده من أيّ موضْع خرج وعلى أيّ وجه خرج وبين هؤلاء اختلاف في أمور واعتبر قوم المخرجين القبل والدبر من أيّ شيء خرج وعلى أيّ وجه خرج من صحة ومرض واعتبر آخرون الخارج والمخرج وصفة الخروج وبه أقول وصل حكم الباطن في ذلك فأمّا حكم هذه المذاهب في المعاني في الباطن فمن اعتبر الخارج وحده وهو الذي ينظر في اللفظ الخارج من الإنسان فهو الذي يؤثر في طهارة إيمانه مثل أن يقول في يمينه برئت من الإسلام إن كان كذا وكذا أو ما كان إلا كذا وكذا فإن هذا وإن صدق في يمينه وبر و لم يحنث فإنه لا يرجع إلى الإسلام سالماً كذا قال صلى الله عليه وسلم ومثل من يتكلم بالكلمة من سخط الله ليضحك بها الناس ما يظنّ أن تبلغ ما بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفاً ولا يراعي من خرجت منه من مؤمن وكافر ومن اعتبر المخرجين فهو المنافق والمرتاب فكل ما خرج منهما لا ينفعهما في الآخرة فإن الخارج قد يكون نجساً كالكفر من التلفظ به وقد يكون غير نجس كالإيمان وما كان مثل هذا من المخرجين المنافق والمرتاب لأن المخرجين خبيثان لم ينفع ما ليس بنجس كظهور الإيمان وما في القلب منه شيء وهو قوله تعالى عنهم حيث قالوا نؤمن ببعض وهو كخروج الطاهر أعني الذي ليس بنجس ونكفر ببعض وهو كخروج ما هو نجس فقال تعالى فيهم أولئك هم الكافرون حقاً فأثر في الطهارة وأمّا من اعتبر الخارج والمخرجين وصفة الخروج فقد عرفت الخارج والمخرجين وما بقي إلا صفة الخروج فصفة الخروج في الطهارة كالخروج على صفة المرض كالمقلد في الكفر أو الصحة وهو العالم بالحق الصحيح ويجحده فلا يؤمن قال تعالى في مثل هؤلاء الذين عرفوا الحق وجحدوا بما دلهم عليه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ثم ذكر العلة فقال ظلماً وعلوّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين انتهى الجزء الثاني والثلاثون.

الجزء الثالث والثلاثون.

تكملة

بسم الله الرحمن الرحيم

باب حكم النوم في نقض الوضوء

اختلف العلماء في النوم على ثلاثة مذاهب فمن قائل إنه حدث فأوجبوا الوضوء في قليله وكثيره ومن قائل إنه ليس بحدث فلم يوجب منه وضوء إلا أن تيقن بالحدث فالناقض للوضوء هو الحدث لا النوم وإن شك في الحدث فالشك غير مؤثر في الطهارة فإن الشرع لم يعتبر الشك في هذا الموضع وبه أقول ومن قائل بالفرق بين النوم القليل الخفيف كالسنة فلم يوجب منه وضوء وبين الكثير المستثقل فأوجب منه الوضوء وصل حكم الباطن اعلم أن القلب له حالة غفلة فذلك النوم القليل وحالة موت ونوم عن التيقظ والانتباه لما كلفه الله به من النظر والاستدلال والذكر والتذكر وهاتان الحالتان مزيلتان طهارة القلب التي هي العلم بالله ولنا في ذلك ما ينبه الغافل والسالك

يا نائماً كم ذا الرقا ... د وأنت تدعى فانتبه
كان الإله يوقم عن ... ك بما دعا لو نمت به
لكن قلبك غافل ... عما دعاك ومنتبه
في عالم الكون الذي ... يرديك مهما مت به
فانظر لنفسك قبل سي ... رك إن زادك مشتبه

باب الحكم في لمس النساء

اختلف علماء الشريعة في لمس النساء باليد أو بغير ذلك من الأعضاء الحساسة فمن قائل إنه من لمس امرأته دون حجاب أو قبلها على غير حجاب فعليه الوضوء سواء التذ أو لم يلتذو اختلف قول صاحب هذا المذهب في الملموس فمرّة سوّى بينهما في إيجاب الوضوء ومرّة فرّق بينهما وفرّق أيضا صاحب هذا القول بين أن يلمس ذوات المحارم والزوجة ومن قائل بإيجاب الوضوء من اللمس إذا قارنته اللذة وعند أصحاب هذا القول تفصيل كثير ومن قائل بأن لمس النساء لا ينقض الوضوء وبه أقول والإحتياط أن يتوضأ للخلاف الذي في هذه المسئلة اللامس والملموس وصل حكم اللمس في الباطن فأمّا حكم اللمس في القلب فالنساء عبارة وكناية عن الشهوات فإذا لمست الشهوة القلب ولمسها والتبس بها والتبست به وحالت بينه وبين ما يجب عليه من مراقبة الله فيها فقد انتقض وضوء وإن لم تحل بينه وبين مراقبة الله فيها فهو على طهارته فإن طهارة القلب الحضور مع الله ولا يبالي في متعلق الشهوة من حرام أو حلال إذا اعتقد التحريم في الحرام والتحليل في الحلال فلا تؤثر في طهارته فإذا اعتقد التحريم في الحلال المنصوص عليه بالحل أو

التحليل المنصوص عليه بالتحريم من أجل الشهوة بالنظر إلى الرجوع في ذلك إلى قول إمام يرى ذلك مع علمه أن الشارع قرّر حكم المجتهد وقرّر قبول عمل القلب له إذا عمل به وقد كان قبل الشهوة يعرف ذلك القول ولا يعمل عليه ولا يقول به وإنما رجع إليه بسبب لمس الشهوة قلبه فمثل هذا تؤثر في طهارته فعليه الوضوء بلا خلاف عند أهل القلوب وأمّا الظاهر فلنا في هذه المسئلة نظر وقد تصدّعنا فيها مع علماء الرسوم

باب في لمس الذكر

اختلف العماء فيه على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا وضوء عليه وبه أقول والإحتياط الوضوء في كل مسئلة مختلف فيها فإن الإحتياط التروح إلى موطن الإجماع والإتفاق مهما قدر على ذلك ومن قائل فيه الوضوء وقوم فرّقوا بين مسه بحال لذة أو باطن اليد وبين من مسه بطاهر كفه ولغير لذة وفصلوا في ذلك وصل حكم ذلك في الباطن اعلم أن الله ما جعل سبب إيجاد الكائنات الممكنات سبحانه وتعالى إلا الإرادة والأمر الإلهيّ ولأجل هذا أخذ من أخذ الإرادة في حدّ الأمر قال الله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فأتى في الإرادة والأمر و لم يذكر معنى ثالثا يسمى القدرة فيخرّج قوله والله على كل شيء قدير علىأنه عين قوله للأشياء كن إذا أراد تكوينها ولا شك أن اليد محل القدرة ولما كان النكاح سبب ظهور المولدات فمن نسب القدرة إليه في إيجاد العين الممكنة التي ظهرت وهو مس الذكر باليد ففلا يخلو أمّا أن يغفل عن الإقتدار الإلهيّ في قول كن أو لا يغفل فإن غفل انتقضت طهارته حيث نسب وجود الولد للنكاح وإن لم يغفل بقي على طهارته

باب الوضوء مما مست النار

اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوضوء مما مست النا وما عدا الصدر الأوّل فلم يختلفوا في أنّ ذلك لا يوجب الوضوء إلا في لحوم الإبل وبالوضوء من لحوم الإبل أقول تعبد أو هو عبادة مستقلة مع كونه ما انتقضت طهارته بأكل لحوم الإبل فالصلاة بالوضوء المتقدّم جائزة وهو عاص إن لم يتوضأ من لحوم الإبل فمن قائل بإيجاب الوضوء منه ومن قائل لا يجب وصل حكم الباطن في ذلك النار الذي يجد الإنسان في نفسه وهي التي تنضج كبده هي مما يجري عليه من الأمور التي لا توافق غرضه الطبيعيّ فإن تلقاها بالتسليم والرضى أو الصبر مع الله فيها كما تسمى الله تعالى بالصبور لقوله إن الذين يؤذون الله ورسوله وأمهلهم و لم يؤاخذهم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شخص اصبر على أذى من الله حلما منه وإذا كان العبد بهذه المثابة لم تؤثر في طهارته فإن تسخط وأثر فيه ولا سيما لحوم الإبل فإن الشارع سماها شياطين فتلك لمة الشيطان في القلب فانتقضت طهارته لأن محل اللمة القلب كما يطهر منها بلمة الملك وإنما لحوم الإبل بلمة الشيطان لأن الشيطان خلق من مارج من نار والمارج لهب النار والشارع كما قلنا سمى الإبل شياطين ونهى عن الصلاة في معاطنها وما علل إلا بكونها شياطين وهم البعداء والصلاة حال قربة ومناجاة فاعتبرنا في الباطن حكم الوضوء من لحوم الإبل ونقض الطهارة بهذا ولو كانت لمته بخير فإنه اضمر في ذلك الخير شرّ إلا يتفطن له إلا العالم المحقق العارف بالأمور الآلهية كيف ترد على القلوب

باب الضحك في الصلاة من نواقض الوضوء

اعلم أن الضحك في الصلاة أوجب منه الوضوء بعضهم ومنعه بعضهم وبالمنع أقول وصل حكم الباطن فيه أنّ الإنسان في صلاته تختلف عليه الأحوال مع الله في تلاوته إذا كان من أهل الله ممن يتدبر القرآن فآية تحزنه فيبكي وآية تسرّه فيضحك وآية تبهته فلا يضحك ولا يبكي وآية تفيده علما وآية تجعله مستغفرا وداعيا فطهارته باقية على أصلها وقد رأينا من أحواله دائما الضحك في صلاة غير صلاة كالسلاوي وأمثاله نفعنا الله به وكأبي يزيد طيفور بن عيسى ابن شروشان البسطامي روى عنه أبو موسى الديبلي أنه قال ضحكت زمانا وبكيت زمانا وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي وأما إذا غفل عن تلاوته وتدبرها ومناجاة ربه بزكائه ولهوه وأمثال ذلك مما يخرجه عن الحضور مع الله في صلاته فهذا ضحكه في الباطن في الصلاة في مذهب من يقول بنقض طهارته ومن هذه حاله فقد انتقضت طهارته ووجب عليه استئناف طهارة قلبه مرّة أخرى

باب الوضوء من حمل الميت

قالت به طائفة من العماء ومنع أكثر العلماء من ذلك وبالمنع أقول وصل حكم الباطن نفيه أمّا حكم الباطن في ذلك فإنه يتعلق بعلم المناسبة فلا يجتمع شيء مع شيء إلا لمناسبة بينهما قال أبو حامد الغزاليّ رأى بعض أهل هذا الشأن بالحرم غرابا وحمامة وراى أن المناسبة بينهما تبعد فتعجب وما عرف سبب أنس كل واحد منهما بصاحبه فأشار إليهما فدرجا فإذا بكل واحد منهما عرج فعرفف أن العرج جمع بينهما وكان رجل من التجار يقول لشيخنا أبي مدين أريد منك إذا رأيت فقيرا يحتاج إلى شيء تعرّفني حتى يكون ذلك على يدي فجاءه يوما فقير عريان يحتاج إلى ثوب وكان مقام الشيخ وحاله في ذلك عدم الإعتماد على غير الله في جميع أموره في حق نفسه وفي حق غيره فإن الشيوخ قد أجمعوا على أنه من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره فتذكر أبو مدين رغبة التاجر فخرج مع الفقير إلى دكان التاجر ليأخذ منه ثوبا فما شاه إنسان أنكره الشيخ فسأله عن دينه نفإذا هو مشرك فعرف المناسبة وتاب إلى الله من ذلك الخاطر فالتقت فإذا بالرجل قد فارقه و لم يعرف حيث ذهب فلما أخبرت بحكايته وأنا أعرف بلادنا ما في بلاد نالإسلام منها دينان أصلا فعلمت أن الله أرسل إليه من خاطره ذلك شخصا ينبهه فإن الله علمنا منه أنه يخلق من أنفاس العالم خلقا فكذلك من هذا الباب من حمل ميتا فلمناسبة بينهما وهو الموت فأما موت عن الأكوان وأما موت عن الحق فالميت عن الحق يتوضأ والميت عن الأكوان باق على وضوئه

باب نقض الوضوء من زوال العقل

اتفق علماء الشريعة أن زوال العقل ينقض الطهارة وصل حكم الباطن فيه أن العقل إذا كانن المزيل لحكمه في الإلهيات النص المتواتر من الشرع الذي لا يدخله احتمال لا إشكال فيه فهو على أكمل الطهارة لأن طهارة الإيمان مع وجود النص تعطى العلم الحق ولكشف وإذا زال عقله بشبهة فقد انتقضت طهارته ويستأنف النظر في دليل آخر أو في إزالة تلك الشبهة

أبواب الأفعال التي تشترط هذه الطهارة في فعلها

اتفق العلماء على ان الوضوء شرط من شروط الصلاة واختلفوا هل هو شرط صحة أو شرط وجوب وأعني بالوضوء الطهارة المشروعة وهي عندنا شرط وجوب والطهارة عندنا عبادة مستقلة وقد تكون شرطا في عبادة أخرى شرط صحة أو شرط وجوب وقد تكون مستحبة وسنة في عبادة أخرى وصل حكم الباطن في ذلك طهارة القلب شرط في مناجاة الحق أو مشاهدته شرط وجوب وشرط صحة معا وسبب ذلك أننا في موطن التكليف ويطلب الإيمان منا بالله وبما جاء من عنده وبالرسول والرسل وهذه إشارة أن الأمر ليس بمقصور إلا أنه عال وأعلى وفوق كل ذي علم عليم رفيع الدرجات يرفع درجات من يشاء وتارة يكون العلم شرطا في صحةة الإيمان وشرط وجوب فيه وتارة يكون الإيمان شرطا في صحة علم الكشف وشرط وجوب فيه إلا أن الإيمان نفيه طهارة للقلب من الحجاب والعم طهارة للقلب من الجهل والشك والنفاق فطهر قلبك بالطهارتين تسم بذلك في العالمين وتحوز به علم القبضتين فإن الله قد أوجب الإيمان علنا بنفسه ومن نفسه أسماؤه ووملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله مع علمنا بأن الله فضل بعضهم على بعض رسلا وأنبياء ثم نهانا أن نفضل بين الأنبياء قياسا أو نظرا فإن العبد لا يحكم على الله بشيء

باب طهارة لصلاة الجنائز ولسجود التلاوة

اختلف أهل العلم رضي الله عنهم في الطهارة للصلاة على الجنائز ولسجود التلاوة فمن قائل أنها شرط من شروطها ومن قائل ليست بشرط وبه أقول وصل في حكم مالباطن في ذلك أما حكم الاطن في ذلك كله فأنا نقول كل عمل مشروع لا تتقدمه طهارة الإيمان لا يصح ذلك العمل بفقده فيجب وجود الإيمان في كل عمل مشروع فمن قال لا يجب الوضوء لصلاة الجنازة وسجود التلاوة و لم ير استحضار للموتى والسجود للتلاوة لا في الإيمان في الدعاء واكتفى بالإيمان الأصليّ عن استحضاره عند الشروع في الفعل وهذا سبب عدم الإجابة ومن رأى أن الطهارة شرط كانت الإجابة ولا بدّ فيما يدعونيه

باب الطهارة لمس المصحف

اختلف أهل العلم في الطهارة هل هي شرط في مس المصحف أم لا فأوجبها قوم ومنعها قوم وبالمنع أقول إلا أن فعلها بالطهارة أفضل أعني مس المصحف وصل في حكم الباطن في ذلك هل يحترم الدليل لإحترام المدلول فلا يجتمعان فإن احترام الدليل فلأمر آخر لا لكونه دليلا على محتم والمصحف دليل على كلام الله وقد أمرنا باحترامه ومسه على الطهارة من احترامه فالعم أنا قد ناخذ العالم دليلا على الله ونذهل عما يتضمن مسمى العالم من محمود ومذموم وقد نأخذ فرعون وأمثاله من المتكبرين دليلا على وجود الصانع لأنه صنعة واتفق أن عينته في الدلالة على الخصوص ولا يجب احترامه بل يجب مقته وعدم حرمته وقد ناخذ موسى عليه السلام من حيث أنه صنعته دليلا على وجود الصانع واتفق أن عينته في الدلالة على الخصوص وقد وجب علينا احترامه وتعظيمه من وجه كونه دليلا فلهذا عظمنا المصحف لكون الشارع أمرنا باحترامه وتعظيمه لا لكونه دليلا ثم له حرمة أخرى لكونه دليلا وبه نعلل احترامه في وقت ما فإنه نقول فيه أنه كلام الله وأن كنا نحن الكاتبين له بأيدينا

باب إيجاب الوضوء على الجنب

عند إرادة النوم أو معاودة الجماع أوالأكل أو الشرب

اختلف علماء الشريعة فيما ذكرناه في هذه الترجمة فمن قائل بإيجابه ومن قائل باستحبابه وبه أقول وصل حكم الباطن في ذلك وأما حكم الباطن في ذلك احضار النية للذي انقضت طهارته الشرعية لشهوة أغفلته عن رؤية الحق عند ناستحكامها فإذا أراد أن ينام نوى في النوم إعطاء حق العين فتلك طهارة الجنب إذا أراد أن ينام فإن الجنابة نقضت طهارته نوهي الغربة عن موطن الإيمان الذي كان يجب عليه الحضور مع لولا استحكام سلطان الشهوة الذي أفناه عن نفسه وعن كل ما سواه وكذلك إذا أراد أن يعاود الجماع ينوي الولد المؤمن لكثرة أبتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليكثر الذاكرين الله بهذا الجماع وكذلك إذا أراد أن يأكل أو شرب ينوي إعطاء النفس نحقها وهذه النية فيما ذكرناه هي طهارة لكل ذلك

باب الوضوء للطواف

اعلم أن الوضوء للطواف اشترطه قوم و لم يشترطه قوم وبه أقول وإن كان الطواف بالطهارة أفضل وصل حكم الباطن في ذلك وذلك أنه من رأى أن الطواف بالبيت لكونه منسوبا الله كالعرش المنسوب إلى استواء الرحمن ورأى الملائكة حافين به وهم المطهرون الكرام البررة اشترط الوضوء في الطواف بكعبة قلبه الذي وسع الحق جل جلاله نيقول تعالى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي وهو نزوله في تجليه تعالى إلى قلب عبده وقد بيناه في مواقع النجوم في مترل التترل الذاتي من فلك القلب ومن رأى أن الحق لا يتقيد بما أضاف إليه وإنما قصده بذلك التشريف منفعة المكلف لم يشترط الطهارة للطواف وأما في القلب فعدم اشتراط الطهارة في وقت نظر العقل في إثبات الشرع في المعرفة الأولى أمّا ابتداء وأمّا إذا نزل إليها بالتعليم لمن أراد أن يعرف الله بالأدلة النظرية

باب الوضوء لقراءة القرآن

اختلف العماء في الوضوء لقراءة القرآن فمن قائل أنه تجوز قراءة القرآن لمنهو على غير طهارة وبه أقول ومن قائل لا يجوز أن يقرأ القرآن الأعلى وضوء وهو الأفضل بلا خلاف وكذلك كل ماذكرناه مما يجوز فعله عندنا وعند غيرنا على غير وضوء أن الأفضل أ ن لا يفعل شيئا من ذلك الأعلى وضوء وصل حكم الباطن في ذلك أما حكم الباطن في ذلك فإن قارىء القرآن نائب الحق سبحانه في الترجمة عنه بكلامه ومن صفاته سبحانه القدّوس ومعناه الطاهر فينبغي للعبد إذا ناب مناب الحق في كلامه بتلاوته أن يكون مقدّسا أي طاهرا في ظاهره بالوضوء المشروع وفي باطنه بالإيمان والحضور والتدبر وشبه ذلك وأن يقدّم تلاوة الحق عليه ابتداء ثم يتلوه مترجما عن الحق ما تلاه عليه وكلمه به فأما يترجم في تلاوته تلك للحاضر عنده ليذكره وأما أن يترجم بلسانه ليسمعه فيحصل الآخر للسمع كما لو كان المصحف بيده يتلو فيه أخذ البصر حقه من النظر إلى كلام الله من حيث ما هو مكتوب كما أخذه السمع من حيث ما هو اللسان ناطق به مصوّت وكذلك لو ألقى المصحف في حجره ومشى بيده على الحروف لأخذت هذه الأعضاء حظها من ذلك وهكذا كان يتلو شيخنا أبو عبد الله ابن المجاهد وأبو عبد الله ابن قيسوم وأبو الحجاج الشيربلي لم أر من أشياخنا من يحافظ على مثل هذه التلاوة إلا هؤلاء الثلاثة

أبواب الإغتسال أحكام طهارة الغسل

هذا الغسل المشروع في هذا الباب هو تعميم الطهارة بالماء لجميع ظاهر البدن بغير خلاف وفيما يمكن إيصال الماء إليه من البدن وإن لم يكن ظاهرا بخلاف كداخل الفم وما أشبهه وسيأتي تذكره وذكر أسباب هذه الطهارة ومنها واجب وسنة ومستحب الأعتبار في ذلك فأمّا اعتبار هذه الطهارة تعميم طهارة نالنفس من كل ما أمرت بالطهارة منه وبه من الأعمال ظاهرا مما يتعلق بالأعضاء وباطنا بما يتعلق بالنفس من مصارف صفاتها لا من صفاتها وإنما قلنا من مصارف صفاتها فإن صفاتها لازمة لها في أصل خلقتها لا تنفك عنها حتى أن بعض أصحابنا قد جعلها عين ذاتها وأنها صفات نفسية لها كالحرص والبخل والنميمة وكل وصف مذموم فمتعلق الذم الذي أمرا بالطهارة منه ما هو عين الصفة وإنما هو عين المصرف فالإنسان لا يتطهر من الحرص وإنما يتطهر من صرف الحرص على جمع حطام الدنيا وحرامها فيتطهر بالحرص عينه على حكم ما تطهر منه بالمصرف أيضا وهو أن يتطهر بالحرص على طلب العلم وتحصيل أسباب الخير والأعمال الصالحة والحرص على جمع أسباب سعادته فإن عين الحرص ما يتمكن زواله فالحرص بوجه تكون سعادة الحريص بالحرص وبوجه تكون شقاوة الحريص فلهذا قلنا بالمصرف لا بعين الصفة وعلى هذا نأخذ جميع الصفات تالتي علق الذم بها إنما علق الذم بمصارفها لا بأعيانها فعموم طهارة الباطن والظاهرر في هذا الإعتسال إنما متعلقه مصارف الصفات ولا يعلم مصارف الصفات إلا من يعلم مكارم الأخلاق فيتطهر بها ويعلم سفساف الأخلاق فيتطهر منها وما خفى منها مما لا يدركه يتلقاه من اللشارع وهو كل عمل يرضى الله فيتطهر به من كل علم لا يرضيه فيتطهر منه قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولهذا سقنا في هذا الكتاب أبوابا متقابلة كالتوبة وتركها والورع وتركه والزهد وتركه والزهد مما سيأتي أبوابه إن شاء الله تعالى وهي كثيرة وهذه الطهارة نأيضا واجبة كالتطهير بإيتاء الزكاة مثلا فهو غسل واجب وكإعطائها للفقراء من ذوي الأرحام وهو مندوب إليه وكتخصيص أهل الدين منهم دون غيرهم من ذوي الأرحام وهو مستحب وهكذا يسري حكم هذه الطهارة في جميع باطن الإنسان نوظاهره من العلم والجهل والكفر والإيمان والشرك والتوحيد والإثبات والتعطيل وهكذا في الأعمال كلها المشروعة يطهرها بالموافقة من المخالفة فهذا معنى الإغتسال الواجب منه وغير الواجب وسأورد من تفصيل مسائل هذه الطهارة ما يجري مجرى الأمهات على حسب ما يذكر منها في ظاهر حكم الشرع في الأغتسال بالماء وإنما تفريع هذه الطهارة لا يحصى ولا يسعه كتاب لو ذكرناها مسئلة مسئلة وقد أعطينا فيها وبينا طريقة الأخذ بها فخذها على ذلك الأنموذج إن أردت أن تكون من عباد الله الذين اختصهم لخدمته واصطنعهم لنفسه ورضي عنهم فرضوا عنه جعلنا الله من العلماء العمال ولا حال بيننا وبين الإستعمال بما يرضيه سبحانه من الأعمال في الأقوال والأفعال والأحوال فأما الإغتسالات المشروعة فمنها ما اتفق على وجوبه ومنها ما اختلف في وجوبه ومنها ما اتفق على استحبابه وهي اغتسالات كثيرة كالغسل منالتقاء الختانين والغسل من إنزال الماء الدافق على علم والغسل من إنزاله على غير علم كالذي يجد الماء ولا يذكر إحتلاما والغسل من إنزال الماء الدافق على غير وجه الإلتذاذ والغسل من الحيض وغسل المستحاضة عند الصلوات وغسل يوم الجمعة والغسل لصلاة الجمعة والغسل عند الإسلام والغسل للإحرام والإغتسال لدخول مكة والإغتسال للوقوف من غسل الميت وأما الإعتبارات في هذه الأغسال فأنا أذكرها قبل ذكر تفصيل أمهات المسائل المشروعة في الإغتسال بالماء واعتباراتها في ذلك

باب الإغتسال من غسل الميت

لما كان الميت شرع غسله وهو لا فعل له إذ كان غيره المكلف بغسله تنبيهاً لغاسله أن يكون بين يدي ربه في تطهيره بتوفيقه واستعماله في طاعته وما يجري عليه من أفعال خالقه به وفيه كالميت بين يدي غاسله فلا يرى غسله بهذا الاعتبار بغسله للميت وإنما يرى أن الله هو مطهره ويرى نفسه كالآلة يفعل بها الله ذلك الفعل كما يرى الغاسل الماء آلة في تحصيل غسل الميت إذ لولا الماء ما صح اسم الغاسل لهذا الذي يغسله والماء لا يتصور منه الدعوى في أنه غسل الميت فإن الماء ما تحرّك إليه ولا قصد غسله وإنما قصد بالماء غسل الميت غاسله كذلك الغاسل لا يرى في قصده إنه قصد غسل الميت بالماء وإنما يرى نفسه مع الماء آلتين قصد الله بهما غسل هذا الميت فالله المطهر لا هو ولا الماء ولكن الله طهر الميت بالغاسل وبالماء فمثل هذا لا يغتسل من غسل الميت فهذا اعتبار من يرى أنه لا يجب الغسل من غسل الميت وأمّا من غسل ميتاً وغاب في غسله عن أن الله هو مطهره وادّعى ذلك الفعل لنفسه وأضافه إليها ورأى أنه لولاه ما طهر هذا الميت وجب عليه أن يغتسل ويتطهر من هذه الدعوى بالتوجه والحضور مع الله في المستأنف والتذكر لما غفل عنه من تطهير الله هذا أن يغتسل ويتطهر من هذه الدعوى بالتوجه والحضور مع الله في المستأنف والتذكر لما غفل عنه من تطهير الله هذا الميت على يده فمن اعتبر هذا أوجب الاغتسال من غسل الميت وأما حكم الاغتسال من غسل الميت بالماء في ظاهر حكم الشرع فليس مذهبي القول بوجوبه ولكن إن غتسل من ذلك فهو أولى وأفضل بلا خلاف.

باب الاغتسال للوقوف بعرفة

لما كان الوقوف بعرفة بصفة الذل والافتقار والدعاء والابتهال بالتعرّي من لباس المخيط والموضع الذي يقف فيه الحاج يسمى عرفة علمنا اعتباراً أن ذلك موقف العلماء العارفين بالله فإن الله يقول "إنما يخشى الله من عباده العلماءُ" وقال "ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق" وسيأتي الكلام إن شاء الله على هذا النوع في باب الحج من هذا الكتاب ولما رأى هذا المعتبر العالم تجرّده عن المخيط اعتبر في تأليف الأدلة وتركيبها لحصول المعرفة بالله من طريق النظر الفكري بتركيب المقدمات وتأليفها فتظهر من ذلك صورة المعرفة بربه كالخائط الذي يؤلف قطع القميص بعضها إلى بعض فتظهر صورة القميص قيل له بتجريده المخيط حصل المعرفةبربك أو العلم بالله من التجلي الإلهي أو الربانيّ واطرح عنك في هذا الموقف وهذا اليوم النظر العقلي بتأليف المقدمات واشتغل اليوم بتحصيل المعرفة بربك من الامتنان الإلهيّ والوهب الربانيّ من الواهب الذي يعطي لينعم فإنه الذي يقذف في نفسك العلم به على كل حال سواء نظرت في تأليف المقدمات أو لم تنظر فعامله سبحانه بالتجريد فإنه أولى بك ولا تلتفت إلى تأليفك المقدمات النظرية في العلم بالله فإن ذلك ظلمة في المعرفة لا يراها إلا البصير إذ لا مناسبة بين ما تؤلفه من ذلك وبين ما تستحقه ذاته جل وتعالى علوّاً كبيراً ومن كان يطلب منه هذه الحالة في ذلك الموقف الكريم والمشهد الخطير العظيم كيف لا يغتسل ويتطهر في باطنه وقلبه عن التعلق في معرفته بربه بغيره فيزيل عنه قذر مشاهدة الأغيار ودرنها بعلم الحق بالحق دون علمه بنفسه إذ لا دليل عليه إلا هو لأن المعرفة تتعدى إلى مفعول واحد وأنت في عرفة والعلم يتعدى إلى مفعولين ولهذا يحصل لصاحب هذا المشهد عند العلمين إذا خرج من عرفة يريد المزدلفة وهي جمع يحصل له علم آخر يكون معلومه الله كما كان معلومه في عرفات الرب تعالى وهذا المفعول الواحد الحاصل لك في هذا اليوم هو علمك بربك لا بنفسك فتعرف الحق بالحق فيكون الحق الذي اغتسلت به يعطي تلك

المعرفة به ويكون المغتسل منه اسم مفعول عين نفسك في دعواها في معرفة ربها بنفسها من طريق التعمل في تحصيلها وأين الدليل من الدليل هيهات وعزته ما تعرفه إن عرفته إلا به فافهم فهذا غسلك للوقوف بعرفة إن وفقت له والله المؤيد والملهم.

باب الاغتسال لدخول مكة زادها الله تشريفاً

اعلم أن دخول مكة هو القدوم على الله في حضرته فلابد من تجديد طهارة لقلبك مما اكتسبه من الغفلات من زمان إحرامك من الميقات ظاهراً بالماء وباطناً بالعلم والحضور فطهارة الظاهر الاغتسال بالماء عبادة وتنظيفاً وطهارة الباطن وهو القلب بالتبرّي طلباً للولاء فإنه لا ولاء للحق إلا بالبراءة من الخلق حيث كان نظرك إليهم بنفسك لا بالله من كان حاله الحضور الدائم مع الله لم يغتسل لدخول مكة إلا الغسل الظاهر بالماء لإقامة السنة وأما الباطن فلا إلا عند رؤية البيت فإنه يتطهر باطناً بحياء خاص لمشاهدة بيته الخاص كذا والطواف به الذين هم الطائفون كالحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم إذ كان بيت الله بلا وساطة منذ خلق الله الدنيا ما جرت عليه يد مخلوق بكسب وليكن الاسم الإلهي الذي يتطهر به الاسم الأوّل من الأسماء الحسنى فإنه من نعوت البيت فتحصل المناسبة قال تعالى إن أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً أي جعلت فيه البركة لعبادي والهدى فمن رأى البيت و لم يجد عنده زيادة إلهية فما نال من بركة البيت شيأ لأن البركة الزيادة فما أضافه الحق فدل على أن قصده غير صحيح فإن تعجيل الطعام للضيف سنة فليجعل اغتساله أولاً لا يجعله ثانياً لما تقدمه من غسل الإحرام فإنه طهارة خاص تليق بمشاهدة البيت والطواف به لامناسبة بينه وبين الاغتسال للإحرام إلا من وجه ما فإذا زعم أنه تطهر بهذا الطهر وفرغ من طوافه يتفقد باطنه فإن الله ما جعل البركة للطائف به القادم عليه من خلع البركة والقرب والعناية والبيان الذي هو الهدى في الأمور المشكلة في الأحوال والمسائل المبهمات الإلهية في العلم بالله ما يليق بمثل ذلك البيت المصطفى محل يمين الحق المبايع المقبل المسجود عليه فإن هذا البيت خزانة الله من البركات والهدى وقد نبه الشارع إشارة بذكر الكتز الذي فيه وأي كتز أعظم مما ذكر الله من البركة والهدى حيث جعلهما عين البيت فكتزه من أضيف إليه وهو الله فلينظر الطائف القادم إذا فرغ من طوافه إلى قلبه فإن وجد زيادة من معرفة ربه وبياناً في معرفته لم تكن عنده فيعلم عند ذلك صحة اغتساله لدخول مكة وإن لم يجد شيأ من ذلك فيعلم أنه ما تطهر وما قدم على ربه ولا طاف ببيته فإنه من المحال أن يترل أحد على كريم غني ويدخل بيته ولا يضيفه فإذا لم يجد الزيادة فما زاد على غسله بالماء وقدومه على الأحجار المبنية فهو صاحب عناء وخيبة في قلبه وماله سوى أجر الأعمال الظاهرة في الآخرة في الجنان وهو الحاصل لعامة المؤمنين فإن جاور جاور الأحجار لا العين وإن رجع إلى بلده رجع بخفي حنين جعلنا الله من أصحاب القلوب أهل الله وخاصته آمين بعزته فإن اعترف المصاب بعدم الزيادة وما رزىء به كان له أجر المصاب من الأجور في الآخرة وحرم المعرفة في العاجل.

باب الاغتسال للإحرام

اعتباره تطهير الجوارح مما لا يجوز للمحرم أن يفعله وتطهير الباطن من كل ما خلف وراءه فكما تركه حساً من أهل ومال وولد وقدم على بيت الله بظاهره فلا يلتفت بقلبه إلا إلى ما توجه إليه ويمنع أن يدخل قلبه أو يخطر له شيء مما خلفه وراءه بالتوبة والرجوع إلى الله ولهذا سمي غسل الإحرام لما يحرم عليه ظاهراً وباطناً فإن لم تكن هذه حالته فليس بمحرم باطناً فإن البواب قد نام

وغفل وبقي الباب بلا حافظ فلم تجد خواطر النفوس ولا خواطر الشياطين من يمنعها من الدخول إلى قلبه فهو يقول لبيك بلسانه ويتخيل أنه يجيب نداء ربه بالقدوم عليه وهو يجيب نداء خاطر نفسه أو شيطانه الذي يناديه في قلبه يا فلان فيقول لبيك فيقول له الخاطر بحسب ما بعثه به صاحبه من نفس أو شيطان وما جاءه به من غير ما شرع له من الإقبال عليه في تلك الحالة فيقول له صاحب ذلك الخاطر عند قوله لبيك اللهم لبيك أهلاً وسهلاً لبيت من يعطيك الحرمان والخيبة والخسران المبين ويفرح بأن جعله إلهاً ولباه فلولا فضل الله ورحمته بلسان الباطن والحال وما تقدم من النية لمسكم فيما أفضتم فيه من وجودكم بقلوبكم إلى ما خلفتموه حساً وراء ظهوركم عذاب عظيم فيغفر الله لهم ما حد ثوابه أنفسهم وما أحرط لهم الشيطان في تلك الحالة بعناية التلبية الظاهرة لا غير وما أعطاهم في قلوبهم ما أعطاه لأهل الاغتسال الباطن من المحرمين.

باب الاغتسال عند الإسلام وهو سنة بل فرض

الاغتسال عند الإسلام مشروع وقد ورد به الخبر النبويّ وأما اعتباره في الباطن فإن الإسلام الإنقياد فإذا أظهر الإنسان انقياد الظاهر كان مسلماً ظاهراً فيجب عليه الانقياد بباطنه حتى يكون مسلماً باطناً كما كان ظاهراً فهو هنا تطهير الباطن عند الإسلام بالإيمان قال تعالى في حق طائفة قالت آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وهو الطهارة الباطنة النافعة المنجية من التخليد في النار.

باب الاغتسال لصلاة الجمعة

اعتباره في الباطن طهارة القلب لاجتماعه بربه واجتماع همته عليه لمناجاته برفع الحجاب عن قلبه ولهذا قال من يرى أن الجمعة تصح بالاثنين وتقام وبه أقول يقول تعالى "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث وما ذكر ثالثاً يقول العبد كذا فأقول له كذا فلا بدّ من طلب منه هذه الحالة أن يتطهر لها طهراً خاصاً بل أقول أن لكل حالة للعبد مع الله تعالى طهارة خاصة فإنه مقام وصلة ولهذا شرعت الجمعة ركعتين فالأولى من العبد لله بما يقول والثانية من الله للعبد بما يخبر به في إجابته قول عبده أو يخبر به الملأ الأعلى بحسب ما يفوه به العبد في صلاته غير أنه في صلاة الجمعة بمقتضى ما شرع له أن يجهر بالقرىءة ولابدّ فيقول الله للملأ الأعلى حمدني عبدي أو ما قال من إجابة وثناء وتفويض وتمجيد.

باب الاغتسال ليوم الجمعة

الاعتبار الطهارة بالأزل للزمان اليوميّ من السبعة الأيام التي هي أيام الجمعة فإن الله قد شرع حقاً واجباً على كل عبد أن يغتسل في كل سبعة أيام فغسل يوم الجمعة لليوم لا للصلاة فكانت الطهارة لصلاة الجمعة طهارة الحال وهذه طهارة الزمان فإن العلماء اختلفوا فمن قائل إن الغسل إنما هو ليوم الجمعة وهو مذهبنا فإن أوقعه قبل صلاة الجمعة ونوى أيضاً الاغتسال لصلاة الجمعة فهو أفضل ومن قائل إنه لصلاة الجمعة في يوم الجمعة وهو الأفضل بلا خلاف حتى لو تركه قبل الصلاة وجبت عليه أن يغتسل ما لم تغرب الشمس ولما قلنا إن جمع العبد على الحق في هذا اليوم الزمانيّ كانت نسبة هذا اليوم إلى جناب الحق ما يدخل الأزل من

التقديرات الزمانية فيه بتعيين توجهات الحق لإيجاد الكائنات في الأزمان المختلفات التي يصحبها القبل والبعد والآن لله الأمر من قبل ومن بعد فاعلم ذلك فإنه دقيق جداً فمن اغتسل لصلاة الجمعة فقد جمع بين الغسل للحال والزمان ومن اغتسل ليوم الجمعة بعد الصلاة فقد أفرد وهو قدح في مسمى الجمعة فالأظهر أنه شروع في يوم الجمعة ولصلاة الجمعة وهو الأوجه وما يبعد أن يكون مقصود الشارع به ذلك.

باب غسل المستحاضة وسيرد ونبين فيه مذهبنا

وأما اعتباره فالاستحاضة مرض والعبد مأمور بتصحيح عباداته لا يدخلها شيء من المرض فمهما اعتل في عبادة ما من عباداته تطهر من تلك العلة وأزالها حتى يعبد الله عبداً خالصاً محضاً لا تشوبه علة ولا مرض في عبادته ولا عبودته.

باب الاغتسال من الحيض

الحيض ركضة شيطان فيجب الاغتسال منه قال تعالى إنه رجس من عمل الشيطان فيجب تطهير القلب من لمة الشيطان إذا نزلت به ومسه في باطنه وتطهيرها بلمة الملك والقصة البيضاء هي العلامة أو من بعض العلامات على عناية الله بهذا القلب حيث طرد عنه وأزال ركضة الشيطان فيستعمل لمة الملك عند ذلك وهو تطهير القلب وإن كنيت عن ذلك بالأصبعين وكلاهما رحمة فإنه أضافهما إلى الرحمن فلولا رحم الله عبده بتلك اللمة الشيطانية ما حصل له ثواب مخالفته بالتبديل في العدول عنه إلى العمل بلمة الملك فله أجران فلهذا قلنا إنه أضافهما إلى الاسم الرحمن فإذا أزاغه جاهد نفسه أن لا يفعل ما أماله إليه فجوزي أجر المجاهد فإن عمل وتاب أثر الفعل بعد مجاهدة فساعد الشيطان عليه القدر السابق بالفعل فوقع منه الفعل ورأى أن ذلك من الشيطان مؤمناً بذلك مصدّقاً كما قال موسى عليه السلام إنه من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين وتاب عقيب وقوع الفعل وأعني بالتوبة هنا الندم فإنه معظم أركان التوبة وقد ورد أن الندم توبة كان له أجر شهيد لوقوع الفعل منه والشهيد حيّ ليس بميت وأي حياة أعظم أو أكمل من حياة القلوب مع الله في أي فعل كان فإن الحضور مع الإيمان عند وقوع المخالفة يردّ ذلك العمل حيا بحياة الحضور يستغفر له إلى يوم القيامة فهذا من عناية الاسم الرحمن الذي أضاف الأصبعين إليه فالشيطان يسعى في تضعيف الخير للعبد وهو لا يشعر فإن الحرص أعماه ويحور الوبال وإثم تلك المعصية عليه وهذا من مكر الله تعالى بإبليس فإنه لو علم أن الله يسعد العبد بتلك اللمة من الشيطان سعادة خاصة ما ألقى إليه شيأ من ذلك وهذا المكر الإلهيّ الذي مكر به في حق إبليس ما رأيت أحداً نبه عليه ولولا علمي بإبليس ومعرفتي بجهله وحرصه على التحريض على المخالفة ما نبهت على هذا لعلمي بأنه لولا هذا المانع لاجتنب لمة المخالفة فهذا هو الذي حملني على ذكرها لأن الشيطان لا يقف عندها لحجابه بحرصه على شقاوة العبد وجهله بأن الله يتوب على هذا العبد الخاص فإن كل ممكور به إنما يمكر الله به من حيث لا يشعر وقد يشعر بذلك المكر غير الممكور به.

باب الاغتسال من المنيّ الخارج على غير وجه اللذة

اختلف فيه فمن قائل بوجوبه ومن قائل لا يجب عليه غسل وبه أقول وصل حكم الباطن فيه اعتبار الجنابة الغربة والغربة لا تكون إلا بمفارقة الوطن وموطن الإنسان عبوديته فإذا فارق موطنه ودخل في حدود الربوبية فاتصف بوصف من أوصاف السيادة على أبناء موطنه وأمثاله و لم يجد لذة لذلك فما وفى صفة السيادة حقها فإن الكامل لذة كماله لا تقارنها لذة أصلاً والابتهاج الكماليّ لا

يشبهه ابتهاج فلما لم يوف الصفة حقها تعين عليه الاغتسال وهو الاعتراف بما قصر به في حق تلك الصفة الإلهية فمن هنا أوجب الغسل من أوجبه على من خرج منه المنيّ في اليقظة من غير التذاذ ومن رأى أن صفة الكمال التي تنبغي للواجب الوجود بنفسه إذا اتصف بها العبد في غربته لم يكن لها حكم فيه لأنه ليس بمحل لها لم يوجب عليه غسلاً.

باب الاغتسال من الماء

يجده النائم إذا هو استيقظ ولا يذكر احتلاماً

في مثل هذا بقي حكم قوله صلى الله عليه وسلم إنما الماء من الماء فهو مخصص ما هو منسوخ كما يراه بعضهم وصل اعتباره في الباطن العارف يجد قبضاً أو بسطاً في حال من الأحوال لا يعرف سببه وهو أمر خطر عند أهل الطريق فيعلم أن ذلك لغفلة منه عن مراقبة قلبه في وارداته وقلة نفوذ بصيرته في مناسبة حاله مع الأمر الذي أورثه تلك الصفة فيتعين عليه التسليم لموارد القضاء حتى يرى ما ينتج له ذلك في المستقبل فإذا عرفه وجب عليه الاغتسال بالحضور التام مع الحق في علم المناسبات حتى لا يجهل ما يرد عليه من الحق من واردات التقديس وما الاسم الذي جاءه بذلك وما الاسم الذي جيء به من عنده وما الاسم الإلهيّ الذي هو في الحال حاكم عليه وهو الذي استدعى ذلك الوارد فهذه ثلاثة الاسم المستدعي والاسم المستدى منه والاسم الوارد به فإن الحق من حيث ذاته لا سبيل لمناسبة تربطنا به أو تربطه بنا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فبأسمائه تتعلق وبها تتخلق وبها تتحقق والله الموفق.

باب الاغتسال من التقاء الختانين من غير إنزال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا التقى الختان الختان فقد وجب الغسل" واختلف العلماء في هذه المسئلة فمن قائل بأنه يجب الغسل من التقاء الختانين ومن قائل بأنه لا يجب الغسل من التقاء الختانين وبه أقول وصل الاعتبار في ذلك إذا جاوز العبد حده ودخل في حدود الربوبية وأدخل ربه في الحدّ معه بما وصفه به مما هو من صفات الممكنات فقد وجب عليه الطهر من ذلك فإن تتريه العبد أن لا يخرج عن إمكانه ولا يدخل الواجب لنفسه في إمكانه فلا يقول يجوز أن يفعل الله كذا أو يجوز أن لا يفعله فإن ذلك يطلب المرجح والحق له الوجوب على الإطلاق والذي ينبغي أن يقال يجوز أن توجد الحركة من المتحرّك ويجوز أن لا توجد فيفتقر إلى المرجح فإذا كان العالم بالله تعالى بهذه المثابة وجب عليه الاغتسال وهو الطهر من هذا العلم بالعلم الذي لا يدخله تحت الجواز وسترد هذه المسئلة إن شاء الله.

باب الاغتسال من الجنابة على وجه اللذة

قد قرّرنا أنّ الجنابة هي الغربة وهي هنا غربة العبد عن موطنه الذي يستحقه وليس إلا العبودية أو تغريب صفة ربانية عن موطنها فيتصف بها أو يصف بها ممكناً من الممكنات فيجب الطهر في هذه المسئلة بلا خلاف واعلم إن هذا الغسل الواحد المذكور في هذا الباب يتفرّع منه مائة وخمسون حالاً يجب الاغتسال على العبد في قلبه من كل حال منها ونحن نذكر لك أعيانها كلها إن شاء الله تعالى في عشرة فصول كل فصل منها يتضمن خمسة عشر حالاً لتعرف كيف تلقاها إذا وردت على قلب العبد لأنه لابدّ من

ورودها على كل قلب من العوام والخصوص والله المؤيد والملهم لا قوّة إلا به فمن ذلك: الفصل الأوّل: الجبروت والألوهية والعزة والمهيمنية والإيمان والقيام والشوق والولاء والظلمة والسحر وعموم الرحمة وخصوصها والسلامة والطهارة والملك.

الفصل الثاني: الكبرياء والستر والصورة والخلق والبراءة والإخلاص والإقرار والبرا والنصيحة والحب والقهر والهبة والرزق والفتوح والعلم.

الفصل الثالث: البسط والقبض والإعزاز ورفع الدرج وخفض الميزان والشرك والإنصاف والطاعة والرضى والقناعة والإذلال والأصوات والرؤية والقضاء والعدالة.

الفصل الرابع: اللطف والاختبار ورفع الستور والعظمة والحلم والشكر والاعتلاء والمحافظة والتقدير والزيادة والحدود والهوى والمنازعة والولاية والتمليك.

الفصل الخامس: الرحم وإدخال السرور والقطيعة والخداع والاستدراج والحسبان والجلالة والكرم والمراقبة والإجابة والاتساع والحكمة والوداد والبعث والشرف.

الفصل السادس: الشهادة والحق المحلوف به والوكالة والقوّة والصلابة في كل شيء والنصرة والثناء والإحصاء والابتداء والإعادة والصدقة والقول والعفو والأمر والنهي.

الفصل السابع: الأخلاق والمال والجاه والزيادة والإيمان والحياة والموت والإحياء والقيومية والوجدان والاستشراف والوحدة والصمداني والقدرة والاقتدار.

الفصل الثامن: التقديم والتأخير والدار الأولى والآخرة والاختفاء وإشالة الحجب والإحسان والرجوع والانتقام والصفح والحجر والنكاح والرياء والاختلاق والبهت.

الفصل التاسع: الرأفة وملك الملك والكرامات والآجال والتعالي والمغالطة والجمع والاستغناء والتعدّي والكفاية والسخاء والكذب والتكذيب والسياسة والنواميس.

الفصل العاشر: المنع والهداية والانتفاع والضرر والنور والابتداع والبقاء والتوارث والرشد والإيناس والأذى والامتنان والحماسة والمقاومة والجاسوس.

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن جميع ما ذكرنا في هذه الفصول وما تتضمنه كل حالة منها مما لم نذكره مخافة التطويل يجب على الإنسان طهارة باطنه وقلبه منه في مذهب أهل الله وخاصته من أهل الكشف بلا خلاف بين أهل الأذواق في ذلك ولكن يحتاج المتطهر من أكثرها إلى علم غزير في كيفية الطهارة مما ذكرنا وقد يكون بعضها طهور البعض ثم نرجع إلى مقصودنا من إيراد الأحكام المشروعة في هذه الطهارة التي هي الاغتسال بالماء واعتباراتها وأحكامها في الباطن فأقول قد ذكرنا في الوضوء على من تجب طهارته ومتى يكون وجوبها فلا نحتاج إلى ذكر ما يشترك فيه الطهارتان.

باب التدلك باليد في الغسل في جميع البدن

اختلف الناس من علماء الشريعة في التدلك باليد في جميع الجسد فمن قائل إن ذلك شرط في كمال الطهارة ومن قائل ليس بشرط

وأمّا مذهبنا فإيصال الماء إلى الجسد حتى يعمه بأي شيء كان يمكن إيصاله وصل حكم ذلك في الباطن الاستقصاء في طهارة الباطن لما فيها من الخفاء الذي تضمنره النفوس من حب المحمدة عند الناس بما يظهر عنها من الخير فبأيّ وجه أمكن إزالة هذه الصفة وكل مانع يمنع من عموم طهارة الباطن فلم تحصل الطهارة.

باب النية في الغسل

اختلف العلماء في شرط النية في الغسل فمن العلماء من اشترطها وبه أقول ومنهم من لم يشترطها وصل اعتبارها في الباطن لا بدّ من شرطها في طهارة الباطن فإنها روح العمل وحياته والنية من عمل الباطن فلابدّ منها وقد تقدّم الكلام عليها في أول الباب ظاهراً وباطناً.

باب المضمضة والاستنشاق في الغسل

اختلف العلماء علماء الشريعة في المضمضة والاستنشاق في الغسل فمن قائل بوجوبها ومن قائل بعدم وجوبها والذي نذهب إليه في ذلك أن الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمها من حيث أنه متوضيء في اغتساله لا من حيث أنه مغتسل فإنه ما ورد أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ما تمضمض ولا استنشق في غسله إلا في الوضوء فيه وما رأيت أحداً نبه على مثل هذا في اختلافهم في ذلك فالحكم فيها عندي راجع إلى حكم الوضوء والوضوء عندنا لابدّ منه في الاغتسال من الجنابة وعندنا في هذه المسئلة نظر في حالتين الحالة الواحدة فيمن جامع و لم يترل فعليه وضوآن في اغتساله فإن جامع وأنزل فعليه وضوء واحد إلا أن مذهبنا إن التقاء الختانين دون إنزال لا يوجب الغسل ويوجب الوضوء وبه قال أبو سعيد الخدريّ وغيره من الصحابة والأعمش وقد تقدّم الكلام في شرط الترتيب والفور في الوضوء واعتباره.

باب في ناقض هذه الطهارة التي هي الغسل

فناقضها الجنابة والحيض والاستحاضة والتقاء الختانين فالحيض بلا خلاف وكذلك إنزال الماء عىل وجه اللذة في اليقظة بلا خلاف وما عدا هذين بخلاف فإنّ بعض الناس من المتقدّمين لا يرى على المرأة غسلاً إذا وجت الماء من الاحتلام مع وجود اللذة.

باب في إيجاب الطهر من الوطء

فمن قائل بوجوبه أنزل أو لم يترل إذا التقى الختانان ومن قائل بوجوبه مع إنزال الماء وبه أقول وبإنزال الماء من غير وطء وبه قال جماعة من أهل الظاهر إنه يجب الطهر من الإنزال فقط وصل في اعتبار الله في الباطن الوطء توجه المؤثر على المؤثر فيه بضر من الوهب فلا يخلوا المؤثر فيه أن يكون حاضراً عارفاً بخصوص ذلك المؤثر من الأسماء الإلهية فلا يجب عليه الطهر أو لا يكون فيجب عليه الطهر وقد يعطي ذلك المؤثر نومة القلب ثم لا يخلو هذا الاسم الإلهيّ أن يؤثر علم كون من الأكوان أو علماً يتعلق بالله وعلى الحالتين فإن رأى نفسه سوطاً و لم يأخذ بالله كالصدقة تقع بيد الرحمن وإن أخذها السائل والله المعطي فيكون سبحانه المعطي والآخذ فلا طهارة عليه في الباطن فإن بالحق تكون طهارة الأشياء فإن غاب عن هذا الشهود ورأى نفسه أنه هو الآخذ ما أنزله الله على قلبه من العلوم وجبت عليه الطهارة من رؤية نفسه وكذلك إذا وطىء غيره بمسئلة يعلمه إياها بالحال أو بالقول فإن كان عن

حضور فلا طهارة عليه فإنه ما زال على طهارته وإن رأى نفسه في تعليمه غيره بالحال أو بالقول وجبت عليه الطهارة من رؤية نفسه لابدّ من ذلك فإن رجال الله في هذه الطريق بالله يتحركون وبه يسكنون عن مشاهدة وكشف وعامتهم عن حضور اعتقاد وإيمان بما ورد بأن الأمر بيده وإن نواصي عباده وكل دابة بيده.

باب في الصفة المعتبرة في كون خروج المنيّ موجباً للاغتسال

اختلفت العلماء في الصفة المعتبرة في كون خروج المنيّ موجباً للاغتسال فمن قائل باعتبار اللذة ومن قائل بنفس الخروج سواء كان عن لذة أو بغير لذة وصل الاعتبار في هذا الباب اللذة من الملتذ بها إمّا أن تكون نفسية أو إلهية فإن كانت نفسية طبيعية فقد وجب الغسل وإن كانت غير نفسية فلا يخلو ذلك العلم الذي هو بمنزلة الجنابة إمّا أن يتعلق بالله أو يتعلق بكون من الأكوان فإن تعلق بالله ولذته غير نفسية فلا طهر عليه وإن تعلق بالأكوان فعليه الطهر سواء التذ أو لم يلتذ ومعنى قولنا اللذة الإلهية أعني لذة الكمال لا لذة الوارد ولذة الكمال في العبد أن يكون عبداً محضاً لا يتصف بالغربة عن موطنه في باطنه ولو خلع عليه الحق من صفات السيادة ما شاء من حضرته لا يخرجه ذلك عن موطنه وإذا كان كذلك فما هو ذو جنابة إذ لا غربة عنده فإنه ما برح في موطنه وهو غاية الكمال والطهارة معرفة للنقص.

باب في دخول الجنب المسجد

فمن قائل بالمنع بإطلاق ومن قائل بالمنع إلا لعابر فيه غير مقيم ومن قائل بإباحة ذلك للجميع وبه أقول وصل الاعتبار في ذلك العارف من كونه عارفاً لا يبرح عند الله دائماً في الحديث جعلت لي الأرض كلها مسجداً وةلا ينفك الجنب أن يكون في الأرض وإذا كان في الأرض فهو في المسجد العام المشروع الذي لا يتقيد بشروط المساجد المعلومة بالعرف ثم إن العارف بل العالم كله علوه وسفله لا تصح في حاله الإقامة له فهو عابر أبداً مع الأنفاس فالعلماء بالله يشاهدون هذا العبور وغير العلماء بالله يتخيلون أنهم مقيمون والوجود على خلاف ذلك فإن الإله الموجد في كل نفس موجد يفعل فلا يعطل نفساً واحداً تتصف منه بالإقامة كما قال كل يوم هو في شأن وقال تعالى "سنفرغ لكم أيها الثقلان وقال بيده الميزان يخفض ويرفع ومن قال بالمنع من ذلك غلب عليه رؤية نفسه أنه ليس بمحل طاهر حيث لم يتخلق بالأسماء الإلهية ولو تخلق بها و لم يغن عن تخلقه عنده فما تخلق بها وعندنا إن المتخلق بالأسماء مهما فنى عن تخلقه بها فليس بمتخلق فإنّ المعنى بكونه متخلقاً بها أي تقوم به كما يوقم الخلوق بالممتخلق به وقد يخلقه غيره فيكون عند ذلك مخلقاً بالأخلاق الإلهية متخلقاً مكلفاً وإن كان الحق سمعه وبصره أليس الحق قد أثبت عين عبده بالضمير في سمعه وبصره فأين يذهب هذا العبد والعين موجودة وغايته أن يكون صورة في هيولى الوجود المطلق مقيدة وليس له بعد هذا مرتبة إلا العدم والعدم لا يقبل الصورة فافهم انتهى الجزء الثالث والثلاثون.

الجزء الرابع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

باب مس الجنب المصحف

اختلف علماء الشريعة في مس الجنب المصحف فذهب قوم إلى إجازة مس الجنب المصحف ومنع قوم من ذلك وصل في اعتبار ذلك العالم كله كلمات الله في الوجود قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام وكلمته ألقاها إلى مريم وقال تعالى "ما نفدت كلمات ه" وقال تعالى "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" والكلم جمع كلمة ويقول تعالى للشيء إذا أراده كن فيكسو ذلك الشيء التكوين فيكون فالوجود فيه رق منشور والعالم فيه كتاب مسطور بل هو مرقوم لأن له وجهين وجه يطلب العلوّ والأسماء الإلهية ووجه يطلب السفل وهو الطبيعة فلهذا رجحها اسم المرقوم على المسطور فكل وجه من المرقوم مسطور وفي ذلك أقول:

إن الكيان عجيب في تقلبه — فيه لناظره نقش وتحبير

انظر إليه ترى ما فيه من بدع — إذ كل وجه من المرقوم مسطور

إن الوجود لسرّ حار ناظره — الكون مرتقم والرق منشور

فالأمر كما قلنا رق منشور والأعيان فيه كتاب مسطور فهو كلمات الله التي لا تنفد فبيته معمور وسقفه مرفوع وحرمه ممنوع وأمره مسموع فأين يذهب هذا العبد وهو من جملة حروف هذا المصحف أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون هل تدعون الشريك لعينه لا والله إلا لكونه في اعتقادكم إلهاً فالله دعوتم لا تلك الصورة ولهذا أجيب دعاؤكم والصورة لا تضرّ ولا تنفع انظر في قوله قل سموهم فإن سموهم بهم فهم عينهم فلا يقولون في معبودهم حجر ولا شجر ولا كوكب ينحته بيده ثم يعبده فما عبد جوهره والصورة من عمله وإن سموهم بالإله عرفت أن الإله عبدوا هذا تحقيق الأمر في نفسه وقد أشارت الآية الواردة في القرآن إلى ما ذهبنا إليه بقوله تعالى "وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه فهو عندنا بمعنى حكم وعند من لا علم له من علماء الرسوم بالحقائق بمعنى أمر وبين المعنيين في التحقيق بون بعيد وفي قول محمد صلى الله عليه وسلم معلماً لنا "أعبد الله كأنك تراه وفي حديث جبريل معه صلى الله عليه وسلم حين سأله عن الإحسان بحضور جماعة من الصحابة ما هو فقال صلى الله عليه وسلم "أن تعبد الله كأنك تراه" فجاء بكأنّ وقد علمت أن الخيال خزانة المحسوسات وأن الحق ليس بمحسوس لنا وما نعقل منه إلا وجوده فجاء بكأن لندخله تحت قوّة البصر فنلحقه بالوهم بالمحسوسات فقربنا من هؤلاء الذين عبدوه فيما نحتوه فتدبر ما أشرنا إليه فإن الأمر لا يكون إلا كما قررّه الشارع فقرّر في موضع ما أنكره في موضع آخر فالعالم منا إن يقرر ما قرّره الحق في الموضع الذي قرّره الحق ولينكر ما أنكره الحق في الموضع الذي أنركه الحق مما ثم إلا الإيمان الصرف فلا تأخذ من سلطان عقلك إلا القبول فانظر ما أشرف حرف التمثيل الذي هو كأنّ.

كأنّ سلطاننا فانظر له خبراً — فإنه خبر عنها مع الخبر

كأنّ حرف له في الكون سلطنة إن كنت تعلم أن العلم في النظر

هو الإمام الذي فيه نصرّفه ولا يقاومه خلق من البشر

ولا شك أن أهل الله جعلوا القلب كالمصحف الذي يحوي على كلام الله كما أن القلب قد وسع الحق جل جلاله حين ضاق عنه السماء والأرض فكما أمرنا بتتريه القلب عن أن يكون فيه دنس من دخول الأغيار فيه ورأينا أن المصحف قد حوى على كلام الله وهو صفته والصفة لا تفارق الموصوف فمن نزه الصفة نزه الموصوف ومن راعى الدليل على أمر مّا فقد راعى المدلول الذي هو ذلك الأمر فعلى كلا المذهبين ينبغي أن يتره المصحف أن يمسه جنب وقد نهينا أن نسافر بالقرآن إلى أرض العدوّ فسمى المحصف قرآناً لظهوره فيه وما نهى عن حملة القرآن عن السفر إلى أرض العدوّ وإن كان القرآن في أجوافهم محفوظاً مثل ما هو في المصحف وذلك لبطونه فيهم ألا ترى النبيّ صلى الله عليه وسلم كان لا يحجزه شيء عن قراءة القرآن ليس الجنابة لظهور القرآن عند القراءة بالحروف التي ينطق بها التي أخبرنا الحق أنها كلامه تعالى فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي للجنب وهو الغريب عما يستحقه الحق فإن البعد بالحقائق والحدود ما يكون فيه قرب أبداً وبعد المسافة قد يقرب صاحبها من صاحبه الذي يريد قربه فكما لا يكون الرب عبداً كذلك لا يكون العبد رباً لأنه لنفسه هو عبد كما أنّ الرب لذاته هو رب فلا يتصف العبد بشيء من صفات الحق بالمعنى الذي اتصف بها الحق ولا الحق يتصف بما هو حقيقة للعبد فالجنب لا يمس المصحف أبداً بهذا الاعتبار ولا ينبغي أن يقرأه في هذه الحال وينبغي للعبد أن لا تظهر عليه إلا العبادة المحضة فإنه جنب كله فلا يمس المصحف فإن تخلق فحينئذ تكون بدا لحق تمس المصحف فإنه قال عن نفسه في العبد إذا أحبه أنه يده التي يبطش بها فانظر في هذا القرب المفرط وهذا الاتحاد أين هو من بعد الحقائق والله ما عرف الله إلا الله فلا تتعب نفسك يا صاحب النظر ودر مع الحق كيفما دار وخذ منه ما يعرّفك به من نفسه ولا تقس فتفتلس لا بل تبتئس وتعلم أن يد الحق طاهرة على أصلها مقدّسة كطهارة الماء المستعمل في العبادة فتنبه لما عرّفتك به في هذا الفصل.

باب قراءة القرآن للجنب

اختلف علماء الشريعة في ذلك فمن الناس من منع قراءة القرآن للجنب بحدّ وبغير حدّ ومن الناس من أجاز ذلك وأما الوارث عندي فلا يقرأ القرآن جنباً اقتداء بمن ورثه لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة و لم يكن يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنابة ولكن الغالب عندي من قرينة الحال أنه كره أن يذكر الله تالياً إلا على طهارة كاملة فإنه تيمم لردّ السلام وقال إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر أو قال على طهارة ومن الناس من أجاز للجنب قراءة القرآن بحدّ وبغير حدّ وبه أقول بغير حد أيضاً ولكن أكرهه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وصل الاعتبار في ذلك المقتدي بأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنع من قراءة القرآن في الجنابة بغير حدّ وقد أعلمناك أن الجنابة هي الغربة والغربة نزوح الشخص عن موطنه الذي ربى فيه وولد فيه فمن اغترب عن موطنه حرم عليه الاتصاف بالأسماء الإلهية في حال غربته قال تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم كما كان عند نفسه في زعمه فإنه تغرّب عن موطنه فهو صاحب دعوى والذي أقول في هذه المسئلة لأهل التحقيق أن القرآن ما سمى قرآناً إلا لحقيقة الجمعية التي فيه فإنه يجمع ما أخبر الحق به عن نفسه وما أخبر به عن مخلوقاته وعباده مما حكاه عنهم فلا يخلو هذا الجنب في تلاوته إذا أراد أن

يتلوا ما أن ينظر ويحضر في أن الحق يترجم لنا بكلامه ما قال عباده أو ينظر فيه من حيث المترجم عنه فإن نظر من حيث المترجم عنه فيتلو وبالأوّل فلا يتلو حتى يتطهر في باطنه وصورة طهارة باطنه أن يكون الحق لسانه الذي يتكلم به كما كان الحق يده في مس المصحف فيكون الحق إذ ذاك هو يتلو كلامه لا العبد الجنب ثم إنه للعارف فيما يتلوه الحق عليه من صفات ذاته مما لا يخبر به عن أحد من خلقه ومن كونه كلم عبده بهذا القرآن فليس المقصود من ذلك التعريف إلا قبوله وقبوله لا يكون إلا بالقلب فإذا قبله الإيمان لم يمتنع من التلفظ به فإن القرآن في حقنا نزل ولهذا هو محدث الإتيان والنزول قديم من كونه صفة المتكلم به وهو الله وإنما قول من قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنابة فما هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو قول الراوي وما هو معه في كل أحيانه فالحاصل منه أن يقول ما سمعته يقرأ القرآن في حال جنابته أي ما جهر به ولا يلزم قارىء القرآن الجهر به إلا فيما شرع الجهر به كتلقين المتعلم وكصلاة الجهر والنهي ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما ورد والخبر لا يمنع منه.

باب الحكم في الدماء

اعلم أن الدماء ثلاثة دم حيض ودم استحاضة ودم نفاس وهذه كلها مخصوصة بالمرأة لا حكم للرجل فيها فليكن الاعتبار في ذلك للنفس فإن الغالب عليها التأنيث فإن الله قال فيها النفس اللوّامة والمطمئنة فأنثها ولاحظ للقلب في هذه الدماء ولا للروح فنقول إن أهل الطريق من المتقدمين وجماعة من غيرهم ممن اشترك مع أهل الله في الرياضات والمجاهدات من العقلاء قد أجمعوا على أن الكذب حيض النفوس فليكن الصدق على هذا طهارة النفس من هذا الحيض فدم الحيض ما خرج على وجه الصحة ودم الاستحاضة ما خرج على وجه المرض فإنه خرج لعلة وهذا حكم ولهذا حكم فاعتباره أن حيض النفس وهو الكذب وهو كما قلنا دم يخرج على وجه الصحة فهو الكذب على الله الذي يقول الله تعالى فيه "ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ و لم يوح إليه شيء وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فقوله متعمداً هو خروجه على وجه الصحة وأما صاحب الشبهة فلا فهذا يكذب ويعرف أنه يكذب وصاحب الشبهة يقول أنه صادق عند نفسه وهو كاذب في نفس الأمر وأما اعتبار دم الاستحاضة وهو الكذب لعلة فلا يمنع من الصلاة ولا من الوطء وهذا يدلك على أنه ليس بأذى فإن الحيض هو أذى فيتأذى الرجل بالنكاح في دم الحيض ولا يتأذى به في دم الاستحاضة وإن كان عن مرض فإن هذا الكذب وإن كان يدل على الباطل وهو العدم فإن له رتبة في الوجود وهو التلفظ به وكان المراد به دفع مضرة عما ينبغي دفعها بذلك الكذب أو استجلاب منفعة مشروعة مما ينبغي أن يظهر مثل هذا فيها وبسببها فيكون قربة إلى الله حتى لو صدق في هذا الموطن كان بعداً عن الله ألا ترى المستحاضة لا تمتنع من الصلاة مع سيلان دمها وأما دم النفاس فهو عين دم الحيض فإزا زاد على قدر زمان الحيض أو خرج عن تلك الصفة التي لدم الحيض خرج عن حكم الحيض والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس فإن الله ما أمسكه في الرحم ثم أرسله إلا ليزلق به سبيل خروج الولد رفقاً بأمه فيسله على المرأة به خروج الولد وخروج الولد هو النشىء الطاهر الخارج على فطرة الله والإقرار بربوبيته التي كانت له في قبض الذر فكان الدم النفاس بهذا القصد خصوص وصف كالمعين

لبقاء ذكر الله بإبقاء الذاكر من جهة وصف خاص ولدم النفاس زمان ومدّة في الشرع كما لدم الحيض ودم الاستحاضة ما له مدة يوقف عندها.

باب في أكثر أيام الحيض وأقلها
وأقل أيام الطهر

اختلف العلماء في هذا فمن قائل أكثر أيام الحيض خمسة عشر يوماً ومن قائل أكثرها عشرة أيام ومن قائل أكثر أيام الحيض سبعة عشر يوماً وأما أقل أيام الحيض فمن قائل لا حد له في الأيام وبه أقول فإن أقل الحيض عندنا دفعة ومن قائل أقله يوم وليلة ومن قائل أقله ثلاثة أيام وأمّا أقل أيام الطهر فمن قائل عشرة أيام ومن قائل ثمانية أيام ومن قائل خمسة عشر ومن قائل سبعة عشر ومن قائل ساعة وبه أقول ولا حد لأكثره وصل اعتبار هذا الباب زمان كذب النفس النية فيمتد بامتداد ما نوته حتى يطهر بالتوبة من ذلك فلا حد لأكثره ولا لأقله وكذلك زمان الطهر لا حد له جملة واحدة فإنه لا حد للصدق غير أنه تحكم عليه المواطن الشرعية بالحمد والذم وأصله الحمد كما أن الكذب تحكم عليه المواطن بالحمد والذم وأصله الذم فالواجب عليه أن يصدق دائماً إلا أن يحكم الحال والواجب عليه ترك الكذب دائماً إلا أن يحكم عليه حال مّا وهو الكذب للعلة فأشبه دم الاستحاضة.

باب في دم النفاس في أقله وأكثره

اختلف العلماء في هذه المسئلة فمن قائل لا حد لأقله وبه أقول ومن قائل حده خمسة وعشرون يوماً ومن قائل حده أحد عشر يوماً ومن قائل عشرون يوماً وأما أكثر زمانه فمن قائل ستون يوماً ومن قائل سبعة عشر يوماً ومن قائل أربعون يوماً ومن قائل للذكر ثلاثون يوماً وللأنثى أربعون يوماً والأولى أن يرجع في ذلك إلى أحوال النساء فإنه ما ثبتت فيه سنة يرجع إليها وصل اعتباره في الباطن لا حد للنية من الزمان كما قلنا في اعتبار دم الحيض فإن دم الحيض هو عين دم النفاس وقد اعتبرناه فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال للحائض أنفست بهذا اللفظ.

باب في الدم تراه الحامل

اختلف فيه هل هو دم حيض أو هو دم استحاضة وحكم كل قائل فيه بحكم ما ذهب إليه وصل اعتبار حكمه في الباطن الحامل صفة النفس إذا امتلأت بالأمر الذي تجده فتبديه على غير وجهه وهو الكذب وقد يكون ذلك عن عادة اعتادها كما قال بعضهم:

لا يكذب المرء إلا من مهانته ... أو عادة السوء أو من قلة الأدب

أمّا قوله من مهانته فإن الملوك لا تكذب وقوله من قلة الأدب لما جاء في الخبر أن الشخص إذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلاً من نتن ما جاء به فالكاذب فيما لا يجوز له الكذب فيه أساء الأدب مع الملك فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم والإنسان يتأذى بالنتن كذلك الملك لقرب الشبه بين نشء الملك ونشء روح الإنسان.

باب في الصفة والكدرة
هل هي حيض أم ليست بحيض

اختلف العلماء في الصفرة والكدرة هل هي حيض أم لا فمن قائل أنها حيض في أيام الحيض ومن قائل لا تكون حيضاً إلا بأثر الدم ومن قائل ليست حيضاً وبه أقول وصل اعتباره في الباطن الكذب بشبهة ليس صاحبه ممن تعمد الكذب والأولى تركه إذا عرف أن ذلك شبهة فإنها ما سميت شبهة إلا لكونها تشبه الحق من وجه وتشبه الباطل من وجه فالأولى ترك مثل هذا إلا أن يقترن معها دفع مضرة أو حصول منفعة دينية أو دنياوية بخلاف الكذب المحض الذي هو لعينه وهذا لا يقع فيه عاقل أصلاً وأما الكذب الذي هو بمنزلة دم الاستحاضة فيعتبر فيه صلاح الدين لصلاح الدنيا.

باب فيما يمنع دم الحيض في زمانه

اعلم أن الحيض في زمانه يمنع من الصلاة والصيام والوطء والطواف وصل اعتبار ذلك في الباطن الكذب في المناجاة وهو أن تكون في الصلاة بظاهرك وتكون مع غير الله في باطنك من محرّم وغيره اعتباره في الصوم فالصوم هو الإمساك وأنت ما مسكت نفسك عن الكذب كالحائض لا تمسك عن الأكل والشرب وهو الكذب الواجب إتيانه شرعاً وهو محمود واعتباره في الطواف بالبيت وهو المشبه بأفضل الأشكال وهو الدور فهو كذب إلى غير نهاية فهو الإصرار على الكذب واعتباره في الجماع أما الجماع فقصد المؤمن به كون الولد والمقدّمات إذا كانت كاذبة خرجت النتيجة عن أصل فاسد وقد تصدق النتيجة وقد تكون مثل مقدماتها فالأذى يعود على فاعل الجماع يقول في زمان الكذب لا تحضر الله تعالى بخاطرك فإنه سوء أدب مع الله وقلة حياء منه وجراءة عليه وكيف ينبغي للعبد أن يجرأ على سيده ولا يستحي منه مع علمه وتحققه أنه يراه قال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى.

باب في مباشرة الحائض

اختلف العلماء في صورة مباشرة الحائض فقال قوم يستباح من الحائض ما فوق الإزار وقال قوم لا يجتنب من الحائض إلا موضع الدم خاصة وبه أقول وصل اعتباره في الباطن قلنا أن الحيض كذب النفوس قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيزني المؤمن قال نعم قيل أيشرب المؤمن قال نعم قيل أيسرق المؤمن قال نعم قيل له أيكذب المؤمن قال لا فإذا رأت نفسك نفساً أخرى تفعل ما لا ينبغي فأكد أن تجتنب من أفعالها الكذب على الله وعلى رسوله والراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ومن عوّد نفسه الكذب على الناس يستدرجه الطبع حتى يكذب على الله فإن الطبع يسرقه يقول تعالى "ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فتوعد عباده أشدّ الوعيد إذا هم افتروا على الله الكذب وهذا الحكم سار في كل من كذب على الله وقد ورد فيمن يكذب في حلمه أنه يكلف أن يعقدد بين شعيرتين من نار لمناسبة ما جاء به من تأليف ما لا يصح ائتلافه فلم يأتلف في نفس الأمر وكذلك لا يقدر أن يعقد تلك الشعيرتين أبداً وهذا تكليف ما لا يطاق فما عذبه الله يوم القيامة إلا بفعله لا بغير ذلك.

باب وطء الحائض قبل الاغتسال
وبعد الطهر المحقق

قال تعالى "ولا تقربوهن حتى يطهرن بسكون الطاء وضم الهاء مخففاً وقرىء بفتح الطاء والهاء مشدّداً فمن قائل بجوازه على قراءة

من خفف ومن قائل بعدم جوازه على قراءة من شدّد وهو محتمل وبالأوّل أقول ومن قائل أن ذلك جائزاً إذا ظهرت لأكثر أمد الحيض في مذهبه ومن قائل إن ذلك جائزاً إذا غسلت فرجها بالماء وبه أقول أيضاً وصل اعتباره في الباطن ما يلقيه المعلم من العلم في نفس المتعلم إذا كان حديث عهد بصفة الدعوى الكاذبة لرعونة نفسه فله أن يلقي إليه من العلم المتعلق بالتكوين ما يؤدّيه إلى استعمال غسل واحد فرد بنيتين فيكون له الأجر مرّتين وإن لم يتب من تلك الدعوى إلا أنه غير قائل بها في الحال فهو طاهر المحل بالغفلة في ذلك الوقت فإن خطر له خاطر الرجوع عن تلك الدعوى فهو بمترلة المرأة تغسل فرجها بعد رؤية الطهر وإن لم تغتسل فإن تاب من الدعوى بالعمل بذلك الخاطر كان كالاغتسال للمرأة بعد الطهر.

باب من أتى امرأته وهي حائض هل يكفر

فمن قائل لا كفارة عليه وبه أقول ومن قائل عليه الكفارة وصل اعتباره في الباطن العالم يعطي الحكمة غير أهلها فلا شك أنه قد ظلمها فمن رأى أن لهذا الفعل كفارة فكفارته أن ينظر من فيه أهلية العلم من العلوم النافعة عند الله الدينية وهو متعطش لذلك فيبادر من نفسه إلى تعليمه وتبريد غلة عطشه فيضع في محلها وعند أهلها فيكون ذلك كفارة لما فرط في الأوّل ومن لم ير لذلك كفارة قال يتوب ويستغفر الله وليس عليه طلب تعليم غيره على جهة الكفارة.

باب حكم طهارة المستحاضة

اختلف علماء الشريعة في طهر المستحاضة ما حكمها فمن قائل ليس عليها سوى طهر واحد إذا عرفت أن حيضتها انقضت ولا شيء عليها لا وضوء ولا غسل وحكمها حكم غير المستحاضة وبه أقول وقسم آخر ممن يقول إنه ما عليها سوى طهر واحد إن عليها الوضوء لكل صلاة وهو أحوط ومن قائل أنها تغتسل لكل صلاة ومن قائل إنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد وصل اعتبار الباطن في ذلك في مذهبنا أنه ليس على المستحاضة من كونها مستحاضة ظهر كذلك النفس إذا كذبت لمصلحة مشروعة أوجب الشرع عليها فيها الكذب أو أباحه لا بل يكون عاصياً إن صدق في تلك الحالة فلا توبة عليها من تلك الكذبة فكما أن دم الاستحاضة ليس عين دم الحيض وإن اشتركا في الدمية والمحل كذلك الكذب المشروع إباحته الحلال ليس عين الكذب المحرّم وقوعه منه وإن اشتركا في كونه كذباً وهو الإخبار بما ليس الأمر عليه في نفسه فمن رأى التوبة من كون إطلاق اسم الكذب عليه بالحقيقة وإن كان مباحاً أو واجباً كحبيب العجميّ في حديثه مع الحسن البصريّ لما طلبه الحجاج للقتل والحكاية مشهورة قال بالتوبة منه كما قال بغسل المستحاضة للاشتراك في اسم الحيض فإن الاستحاضة استفعال من الحيض.

باب في وطء المستحاضة

اختلف علماء الشريعة فيه على ثلاثة أقوال قول بجوازه وبه أقول وقول بعدم جوازه وقول بعدم جوازه إلا أن يطول ذلك بها وصل اعتباره في الباطن لا يمتنع تعليم من تعلم منه أنه لا يكذب إلا لسبب مشروع وعلة مشروعة فإن ذلك لا يقدح في عدالته بل هو نص في عدالته وقد وقع مثل هذا من الأكابر الكمل من الرجال.

أبواب التيمم

التيمم القصد إلى الأرض الطيبة كان ذلك الأرض ما كان مما يسمى أرضاً تراباً كان أو رملاً أو حجراً أو زرنيخاً فإن فارق الأرض شيء من هذا كله وأمثاله لم يجز التيمم بما فارق الأرض من ذلك إلا التراب خاصة لورود النص فيه وفي الأرض سواء فارق الأرض أو لم يفارق وصل اعتباره في الباطن القصد إلى الأرض من كونها ذلولا وهو القصد إلى العبودية مطلقاً لأن العبودية هي الذلة والعبادة منها فطهارة العبد إنما تكون باستيفاء ما يجب أن يكون العبد عليه من الذلة والافتقار والوقوف عند مراسم سيده وحدوده وامتثال أوامره فإن فارق النظر من كونه أرضاً فلا يتيمم إلا بالتراب من ذلك لأنه من تراب خلق من نحن أبناؤه وبما بقي فيه من الفقر ولافاقة من قول العرب تربت يد الرجل إذا افتقر ثم أن التراب أسفل العناصر فوقوف العبد مع حقيقته من حيث نشأته طهوره من كل حدث يخرجه من هذا المقام وهذا لا يكون إلا بعدم وجدان الماء والماء العلم فإن بالعلم حياة القلوب كما بالماء حياة الأرض فكأنه حالة المقلد في العلم بالله والمقلد عندنا في العلم بالله هو الذي قلد عقله في نظره في معرفته بالله من حيث الفكر فكما أنه إذا وجد المتيمم الماء أو قدر على استعماله بطل التيمم كذلك إذا جاء الشرع بأمر ما من العلم الإلهيّ بطل تقليد العقل لنظره في العلم بالله في تلك المسئلة ولا سيما إذا لم يوافقه في دليله كان الرجوع بدليل العقل إلى الشرع فهو ذو شرع وعقل معاً في هذه المسئلة فاعلم ذلك.

باب كون التيمم بدلاً من الوضوء
باتفاق ومن الكبرى بخلاف

اتفق العلماء بالشريعة أنّ التيمم بدل من الطهارة الصغرى واختلفوا في الكبرى ونحن لا نقول فيها إنها بدل من شيء وإنما نقول إنها طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع فإنه ما ورد شرع من النبي صلى الله عليه وسلم ولا من الكبير العزيز أن التيمم بدل فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة مشروعة وإنما قلنا مشروعة لأنها ليست بطهارة لغوية وسيأتي التفصيل في فصول هذا الباب إن شاء الله تعالى فمن قائل إن هذه الطهارة أعني طهارة التراب يدل من الكبرى ومن قائل إنها لا تكون بدلاً من الكبرى وإنما نسب لفظة الصغرى والكبرى الطهارة لعموم الطهارة في الاغتسال لجميع لابدن وخصوصها ببعض الأعضاء في الوضوء فالحدث الأصغر هو الموجب للوضوء والحدث الأكبر هو كل حدث يوجب الاغتسال وصل اعتباره في الباطن إن كل حدث يقدح في الإيمان يجب منه الاغتسال بالماء الذي هو تجديد الإيمان بالعلم إن كان من أهل النظر في الأدلة العقلية فيؤمن عن دليل عقلي فهو كواجد الماء القادر على استعماله وإن لم يكن من أهل النظر في الأدلة وكان مقلد ألزمته الطهارة بالإيمان من ذلك الحدث الذي أزال عنه الإيمان بالسيف أو حسن لظن فهو المتيمم بالتراب عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعمال الماء وهذا على مذهب من يرى أن التيمم بدل أيضاً من الطهارة الكبرى فيرى التيمم للجنب وأما على مذهب من يرى أن الجنب لا يتيمم كابن مسعود وغيره هو الذي لا يرى التقليد في الإيمان بل لابد من معرفة الله وما يجب له ويجوز ويستحيل بالدليل النظري وقال به جماعة من المتكلمين وأما كونه أعني التيمم بدلاً من الطهارة الصغرى فهو أن يقدح له حدث في مسئلة معينة لا في الإيمان لعدم النص من الكتاب أو السنة أو الإجماع في ذلك فكما جاز له التيمم في هذه الطهارة الصغرى على البدل جاز له القياس في الحكم في تلك المسئلة لعلة

جامعة بين هذه المسئلة التي لا حكم فيها منطوقاً به وبين مسئلة أخرى منطوق الحكم فيها من كتاب أو سنة أو إجماع ومذهبنا في قولنا إن التيمم ليس بدلاً بل هو طهارة مشروعة مخصوصة معينة لحال مخصوص شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فما هي بدل وإنما هو عن استخراج الحكم في تلك المسئلة من نص ورد في الكتاب أو في السنة يدخل اعلحكم في هذه المسئلة في مجمل ذلك الكلام وهو الفقه في الدين قال تعالى ليتفقهوا في الدين ولا يحتاج إلى قياس في ذلك مثال ذلك رجل ضرب أباه بعصا أو بما كان فقال أهل القياس لا نص عندنا في هذه المسئلة ولكن لما قال تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما قلنا فإذا ورد النهي عن التأفيف وهو قليل فالضرب بالعصا أشدّ فكان تنبيهاً من الشارع بالأدنى على الأعلى فلابد من القياس عليه فإن التأفيف والضرب بالعصا يجمعهما الأذى فقسنا الضرب بالعصا المسكوت عنه على التأفيف المنطوق به وقلنا نحن ليس لنا التحكم على الشارع في شيء مما يجوز أن يكلف به ولا التحكم ولا سيما في مثل هذا لو لم يرد في نطق الشرع غير هذا لم يلزمنا هذا القياس ولا قلنا به ولا ألحقناه بالتأفيف وإنما حكمنا بما ورد وهو قوله تعالى "وبالوالدين إحسانا" فأجمل الخطاب فاستخرجنا من هذا المجمل الحكم في كل ما ليس بإحسان والضرب بالعصا ما هو من الإحسان المأمور به من الشرع في معاملتنا لآبائنا فما حكمنا إلا بالنص وما احتجنا إلى قياس فإن الدين قد كمل ولا تجوز الزيادة فيه كما لم يجز النقص منه فمن ضرب أباه بالعصا فما أحسن إليه ومن لم يحسن لأبيه فقد عصى ما أمره الله به أن يعامل به أبويه ومن رد كلام أبويه وفعل ما لا يرضي أبويه مما هو مباح له تركه فقد عقهما وقد ثبت أن عقوق الولدين من الكبائر فلهذا قلنا أن الطهارة بالتراب وهو التيمم ليس بدلاً بل هي مشروعة كما شرع الماء ولها وصف خاص في العمل فإنه بين أنا لا نعمل به إلا في الوجوه والأيدي والوضوء والغسل ليسا كذلك وينبغي للبدل أن يحل محل المبدل منه وهذا ما حل محل المبدل منه في الفعل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

باب فيمن تجوز له هذه الطهارة

اتفق علماء الشريعة على أن التيمم يجوز للمريض والمسافر إذا عدما الماء وعندنا أو عدم استعمال الماء مع وجوده لمرض قام به يخاف أن يزيد به المرض أو يموت لورود النص في ذلك وصل اعتباره في الباطن المسافر صاحب النظر في الدليل فإنه مسافر بفكره في منازل مقدماته وطريق ترتيبها حتى ينتج له الحكم في المسئلة المطلوبة والمريض هو الذي لا نعطي فطرته لنظر في الأدلة لما يعلم من سوء فطرته وقصوره عن بلوغ المقصود من النظر بل الواجب أن يزجر عن النظر ويؤمر بالإيمان تقليد أو قد قلنا فيما قبل أن المقلد في الإيمان كالتيمم بالتراب لأن التراب لا يكون في الطهارة أعني النظافة مثل الماء ولكن نسميه طهوراً شرعاً أعني التراب خاصة بخلاف الماء فإني أسميه طهوراً شرعاً وعقلاً فصاحب النظر وإن آمن أوّلا تقليداً فإنه يريد البحث عن الأدلة والنظر فيما آمن به لا على الشك ليحصل له العلم بالدليل الذي نظر فيه فيحرج من التقليد إلى العلم أو يعمل على ما قلد فيه فينتج له ذلك العمل العلم بالله فيفرق به بين الحق والباطل عن بصيرة صحيحة لا تقليد فيها وهو علم الكشف قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وهو عين ما قلناه وقال واتقوا الله ويعلمكم الله وقال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان وقال آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقد ورد أن العلماء ورثة الأنبياء فسماهم علماء وأن الأنبياء ما ورثوا دينارا تولا درهما وإنما ورثوا العلم والأخذ للعلم بالمجاهدة والأعمال أيضا سفر فكما سافر العقل بنظره الفكري في العالم سافر العامل بعمله واجتمعا في النتيجة

وزاد صاحب العمل إنه على بصيرة فيما علم لا يدخله شبهة وصاحب النظر ما يخلو عن شبهة تدخل عليه في دليله فصاحب العمل أولى باسم العالم من صاحب النظر وسيأتي الكلام فيما يجوز من السفر فيما لا يجوز في صلاة المسافر من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

باب في المريض يجد الماء ويخاف من استعماله

اختلف العلماء بالشريعة في المريض يجد الماء ويخف من استعماله فمن قائل بجواز التيمم له وبه أقول ولا إعادة عليه ومن قائل لا يتيمم مع وجود الماء سواء في ذلك المريض والخائف ومن قائل في حقهما يتيم ويعيد الصلاة إذا وجد الماء ومن قائل يتيمم وإن وجد الماء قبل خروج الوقت توضأ وأعاد وإن وجده بعد خروج الوقت لا إعادة عليه وصل اعتبار ذلك في الباطن المريض هو الذي لا تعطى فطرته النظر وأنه مرض مزمن مع وجود الأدلة لا أنه يخاف عليه من الهلاك والخروج عن الدين أن نظر فيها لقصوره وقد رأينا جماعة منهم خرجوا عن الدين بالنظر لما كانت فطرتهم معلولة وهم يزعمون أنهم في ذلك على علم صحيح فهم كما قال الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فيأخذ مثل هذا أن أراد النجاة العقائد تقليدا كما أخذ الأحكام وليقلد أهل الحديث دون غيرهم ووهذا تقليد الحديث النبوي في الله على علم الله فيه من غير تأويل فيه تتريه معين ولا تشبيه وعلى هذا أكثر العامة وهم لا يشعرون فهذا هو المريض الذي يجد الماء ويخاف من استعماله في الأعتبار

باب الحاضر يعدم الماء ما حكمه

فمن قائل بجواز التيمم له وبه أقول ومن قائل لا يجوز التيمم للحاضر الصحيح إذا نعدم الماء وصل اعتبار ذلك في الباطن الحاضر هوالمقيم على عقده الذي ربط عليه من آبائه ومربيه ثم عقل ورجع إلى نفسه واستقل هل يبقى على عقده ذلك أو ينظر في الدليل حتى يعرف الحق فمن قائل يكفيه ما رباه عليه أبواه أو مربيه ويشتغل بالعمل فإن النظر قد يخرجه إلى الحيرة فلا يؤمن عليه فهو الذي قال بالتيمم عند عدم الماء وقد قدمنا أن الماء هو العلم للإشتراك في الحياة به فإن هذا الحاضر الدليل معدوم عنده على الحقيقة فإنه لا يرى مناسبة بين الله وبين خلقه فلا يكون الخلق دليلا سادا على معرفة ذات الحق فبقاؤه عنده على تقليده أولى ومن قال لا يجوز له التيمم وإن عدم الماء يقول لا يقلد وإن لم ينظر في الدليل فإن الإيمان إذا خالط بشاشة القولب لزمته واستحال رجوعها عنه ولا يدري كيف حصل ولا كيف هو فهو علم ضروري عنده فقد خرج عن حكم ما يعطيه التقليد مع كونه ليس بناظر ولا صاحب دليل وعلى هذا أكثر الناس في عقائدهم فعدم الماء في حق هذا الحاضر هو عدم الأمان على نفسه أن يوقعه النظر في شبهة تخريجه عن الإيمان

باب في الذي يجد الماء

ويمنعه من الخروج إليه خوف عدوّ

اختلف العلماء فيمن هذه حالته فمن قائل يجوز له التيمم وبه أقول ومن قائل لا يتيمم وصل اعتباره في الباطن الخوف من البحث عن الدليل لينظر فيه ليؤديه إلى العلم بالمدلول جهل بعين الدليل أنه دليل فلا بد من أحد الأمرين أما أن يقلد أحدا في أن هذا دليل على أمر ماا يعنيه له أو يفتقر إلى نظر وفكر فيما ينبغي أن يتخذه دليلا على معرفة الله فإن كان الأوّل فيبق على تقليده في معرفة الله وهو الذي يقال له تيمم ومن قال لا يجوز له التيمم قال أن هذا الخوف لا يلزمه أن لا ينظر فلينظر ولا بد

باب الخائف من البرد في استعمال الماء

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل بجواز التيمم إذا غلب على ظنه أنه يمرض أن استعمل الماء ومن قائل لا يجوز له التيمم وبالأوّل أقول وصل اعتبار ذلك في الباطن الصوفي ابن وقته فإن كان وقته الصحة فهو غير مريض أو غير شديد المرض فلا يتيمم فإن الوهم لا ينبغي أن يقضي على العلم والخوف هنا قد يكون وهما فلا يبقى مع تقليده ولينظر في الأدلة ولا بدّ ومن قال لا يجوز له التيمم وإن كان وقته الخوف فليس بصحيح فإن الخوف علة ومرض فليبق على تقليده ولابد

باب النية في طهارة التيمم

اختلف العلماء في النية في طهارة التيمم فمن قائل أنها تحتاج إلى نية ومن قائل لا تحتاج إلى نية وبالأوّل أقول فإن الله قال لنا وما أمروا إلا ليعبدو الله مخلصين له الدين والتيمم عبادة الإخلاص عين النية وصل اعتبار ذلك في الباطن إذا كان العقد عن علم ضروري أو عن حسن ظن بعالم أو بوالد فلا يحتاج إلى نية فإن شرط النية أن توجد منه عند الشروع في الفعل مقارنة للشروع ومن كانت عقيدته بهذه المثابة فما هو صاحب فعل حتى يفتقر إلى نية فإن إرادة الحق تعالى الذي هو الخالق لذلك الفعل كافية في الباب فإنه لا يوجد شيئا لا عن تعلق إرادة منه سبحانه لإيجاده ولا يكوّنه إلا بها قال تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن وهذا فعل يوجده في العبد فلا بد من حكم ما ذكر فيه فكان مذهب زفر في هذه المسئلة أوجه في باطن الأمر من مذهب الجماعة إلا أن يكون كافر أسلم فهذا يفتقر إلى نية لأنه ما استصحبه شيء من القربة إلى الله بهذا الشرع الخاص المسمى إسلاما ولا كان عنده قبل إسلامه بل كان يرى أن ذلك كفر والدخول فيه يبعد عن الله

باب من لم يجد الماء

هل يشترط فيه الطلب أم لا يشترط

اختلف العلماء فيمن هذه صفته فمن قائل يشترط الطلب ولا بد ومن قائل لا يشترط الطلب وبه أقول وصل اعتبار ذلك في الباطن لا يلزم المقلد البحث عن دليل من قلد في الفروع ولا في الأصل وإنما الذي يتعين علىالمقلد إذا لم يعلم السؤال عن الحكم في الواقعة لمن يعلم أنه يعلم من أهل الذكر فيفتيه قال تعالى فاسألو أهل الذكران كنتم لا تعلمون ومن رأى أنه يشترط طلب الماء فهو الذي يطلب من المسؤل دليله على ما أفتاه به في مسئلته هل هو من الكتاب أوالسنة أو يطلب منه أن يقول له هذا حكم الله أو حكم

رسوله أخذ به وإن قال له هذا رأيي كما يقول أصحاب الرأي في كتبهم فإنه يحرم عليه اتباعه فيه فإن الله ما تعبده إلا بما شرع له في كتاب أو سنة وما تعبد الله أحدا برأي أحد

باب في حدّ الأيدي التي ذكر الله في هذه الطهارة

فإن اه يقول فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه فاختلف أهل العلم رضوان الله عليهم في حد الأيدي في هذه الطهارة فمن قائل حدها مثل حدها في الوضوء ومن قاائل هو مسح الكف فقط ومن قائل أن الإستحباب إلى المرفقين والفرض الكفان ومن قائل أن الفرض إلى المناكب والذي أقول به أن أقل ما يسمى يدا في لغة العرب يجب فما زاد على أقل مسمى اليد إلى غايته فذلك له وهو نمستحب عندي وصل اعتبار الباطن في ذلك لما كان التراب والأرض أصل نشأة الإنسان وهو تحقيق عبوديته وذلته ثم عرض له عارض الدعوى بكون الرسول قال فيه صلى الله عليه وسلم أنه مخلوق على الصورة وذلك عندنا لإستعداده الذي خلقه الله عليه من قبوله للتخلق بالأسماء الإلهية على ما تعطيه حقيقته فإن في مفهوم الصورة والضمير خلافا فما هو نص في الباب فاعتز لهذه النسبة وعلا وتكبر فأمر بطهارة نفسه من هذا التكبر بالأرض بالتراب وهو حقيقة عبوديته فتطهر بنظره في أصل خلقه مم خلق كما قال تعالى فيمن هذه صفته في معرض الدواء لهذا لخاطر الذي أورثه التكبر فلينظر الإنسان مم خلق وهم البنون خلق من ماء دافق وهو الماء المهين فإنه من جملة ما ادعاه الأقتدار والعطاء وهو مجبول على العجز والبخل وهذه الصفات من صفات الأبدي فقيل له عند هذه الدعوى ورؤية نفسه في الأقتدار الظاهر منه والجود ولكرم والعطاء طهر نفسك من هذه الصفات بنظرك ما جبلت عليه من الضعف والبخل يقول تعالى ومن يوق شح نفسه وقال وإذا مسه الخير منوعا وإذا نظر في هذا الأصل زكت نفسه وتطهر من الدعوى

باب في عدد الضربات على الصعيد للمتيمم

اختلف العلماء رضي الله عنهم في عدد الضربات على الصعيد للمتيمم فمن قائل واحدة ومن قائل اثنين والذين قالوا اثنين منهم من قال ضربة للوجه وضربة لليدين ومنهم من قال ضربتان لليدين للوجه ومذهبنا من ضرب واحدة أجزأت عنه ومن ضرب اثنين لا جناح عليه وحديث الضربة الواحدة أثبت فهو أحب إليّ وصل اعتبار الباطن في ذلك التوجه إلى ما تكون به هذه الطهارة فمن غلب التوحيد في الأفعال قال بالضربة الواحدة ومن غلب حكمة السبب الذي وضعه الله ونسب سبحانه الفعل إليه مع تعريته عنه مثل قوله والله خلقكم وما تعملون فأثبت ونفي قال بالضربتين ومن رأى ذلك في كل فعل قال بالضربتين لكل عضو والله أعلم

باب في إيصال التراب إلى أعضاء التيمم

اختلف العلماء رضي الله عنهم في ذلك فمن قائل بوجوبه ومن قائل بأنه لا يحب وإنما يجب إيصال اليد إلى عضو المتيمم بعد ضربه الأرض بيده أو التراب والظاهر الإيصال لقوله منه وصل اعتبار ذلك في الباطن إذا قلنا بتطهير النفس بالذلة التي هي أصلها من العزة التي ادّعتها حين اكتسبتها لم يجب الإيصال فإن الذلة ونقلناها إلى محل العزة لامتنع حصول الذلة في ذلك المحل لأن الذي في المحل

أقوى في الدفع من الذي جاء يذهبه ولو شاركه في المحل لاجتمع الضدّان و لم يكن أحدهما أولى بالإزالة من الآخر وإنما الصحيح في ذلك أن النفس مصروفة الوجه إلى حضرة العز فاكتست من نور العزة ما أدّاها إلى ما ادّعته فقيل لها اصرف وجهك إلى ذلتك وضعفك الذي خلقت منه فإن بقيت عليك أنوار هذه العزة فأنت أنت فقام عندها أنه ربما يبقى عليها ذلك فلما صرفت وجهها إلى ذلتها وضعفها زالت عنها أنوار العزة بالذات فافتقرت إلى بارئها وذلت تحت سلطانه فلهذا قال من قال أنه لا يجب إيصال التراب إلى عضو التيمم ومن قال أن كلمة من هنا للتبغيض وأنه لا بدّ من إيصال التراب إلى العضو قال أن الصفة لا تقوم بنفسها فلا بدّ لها ممن تقوم به وليس إلا حقيقة الإنسان فلا بدّ أن تكون صفته الذلة وحينئذ تصح طهارته وهو قول من يقول بوجوب إيصال التراب إلى عضو التيمم

باب فيما يصنع به هذه الطهارة

اختلف العلماء فيما عدا التراب فمن قائل لا يجوز التيمم إلا بالتراب الخالص ومن قائل يجوز بكل ما صعد على وجه الأرض من رمل وحصى وتراب ومن قائل بمثل هذا وزاد وما تولد من الأرض من نورة وزرنيخ وجص وطين ورخام ومن قائل باشتراط كون التراب على وجه الأرض ومن قائل بغبار الثوب واللبن وأمّا مذهبنا فإنه يجوز التيمم بكل ما يكون في الأرض مما ينطلق عليه اسم الأرض فإذا فارق الأرض لم يجز من ذلك إلا لتراب خاصة وصل اعتبار ذلك في الباطن قد تقدم أنه قد زال عنه بالأنتقال اسم الأرض وسمي زرنيخاً أو حجرا أو رملا أو ترابا ولما ورد النص باسم التراب في التيمم فوجدنا هذا الاسم يستصحبه مع الأرض ومع مفارقة الأرض و لم نجد غيره كذلك أوجبنا التيمم بالتراب سواء فارق الأرض أو لم يفارق والأحكام الشرعية تابعة للأسماء والأحوال وينتقل الحكم بانتقال الاسم أو الحال

باب في ناقض هذه الطهارة

اتفق العلماء رضي الله عنهم أنه ينقضها كل ما ينقض الوضوء والطهر واختلفوا في أمرين الأمر الواحد إذا أراد التيمم صلاة مفروضة بالتيمم الذي صلى به غيرها فمن قائل أن إرادة لصلاة الثانية تنقضها ومن قائل لا تنقضها وبه أقول والأولى عندي أن تيمم ولا بدّ لأن مذهبنا أن التيمم ليس بدلا من الوضوء وإنما هو طهارة أخرى عينها الشارع بشرط خاص لأعلى وجه البدل وقد قلنا أن الحكم يتبع الحال وينتقل الحكم بانتقال الأحوال والأسماء وصل اعتبار ذلك في الباطن كما لا يتكرر التجلي كذلك لا تتكرر هذه الطهارة بل لكل تجل طهارة فلكل صلاة تيمم ومن نظر إلى التجلي نفسه من حيث ما هو تجل لا من حيث ما هو تجل في كذا قال يصلي بالتيمم الواحد ما شاء كالمتوضيء لا فرق وهو قولنا

حتى بدت للعين سبحة وجهه   وإلى هلم فلم تكن إلا هي

باب في وجود الماء لمن حاله التيمم

فمن قائل إن وجود الماء ينقضها ومن قائل أن لناقض لها هو الحدث وصل اعتبار ذلك في الباطن قلنا المقلد يقوم له دليل في مسئلة خاصة من الإلهيات يناقض ما أعطاه تقليده للشرع فلا يخرجه ذلك الدليل عن تقليده وإنما يخرجه عن تقليده دليل العقل الذي ثبت

به الشرع عنده لا هذا الدليل الخاص فإذا ظهر له نفس الحدث فيما كان يعتقده في تقليده في تلك المسئلة يعلم لذلك أن الشارع لم يكن مقصوده هذا الظاهر في هذه المسئلة وقد نبهه على ذلك وجود هذا الدليل الطارىء الذي هو بمنزلة وجود الماء فهكذا هي المسئلة إذا حققتها

باب في أن جميع ما يفعل بالوضوء يستباحبهذه الطهارة

اختلف العلماء رضي الله عنهم هل يستباح بها أكثر من صلاة واحدة فقط فمن قائل يستباح وهو مذهبنا والأولى عندنا أنه لا يستباح ومن قائل لا يستباح على خلاف يتفرّع في ذلك وصل اعتبار ذلك في الباطن قد تقدم في تكرار التجلي وقد انتهى الكلام في أمهات مسائل التيمم على ألا يجاوز الإختصار وما ذهبت العلماء في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى النصف الأول من الجزء الأول من الفتوحات المكية ويليه النصف الثاني أوله أبواب الطهارة من النجس

النصف الثاني من الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

أبواب الطهارة من الجس

اعلم أن الطهارة طهارتان غير معقولة المعنى وهي الطهارة من الحدث المانع من الصلاة وطهارة من النجس وهي معقولة المعنى فإن معناها لنظافة وهل هي شرط في صحة الصلاة كطهارة المحدث من الحدث أم نهي غير شرط فمن قائل أن الطهارة من النجس فرض مطلق وليست شرطا في صحة الصلاة ومن قائل أنها واجبة كالطهارة من الحدث التي هي شرط في صحة الصلاة ومن قائل أنها سنة مؤكدة ومن قائل أن إزالتها فرض مع الذكر ساقط مع النسيان وصل اعتبار ذلك في الباطن اعلم أن الطهارة في طريقنا طهارتان طهارة غير ممعقولة المعنى وهي الطهارة من الحدث والحدث وصف نفسي للعبد فكيف يمكن أن يتطهر الشيء من حقيقته فإنه لو تطهر من حقيقته انتفت عينه وإذا انتفت عينه فمن يكون مكلفا بالعبادة وما ثم إلا الله فلهذا قلنا أن الطهارة من الحدث غير معقولة المعنى فصورة الطهارة من الحدث عندنا أن يكون الحق سمعك وبصرك وكلك في جميع عباداتك فأثبتك ونفاك فتكون أنت من حيث ذاتك ويكون هو من حيث تصرفاتك وإدراكاتك فأنت مكلف منحيث وجود عينك محل للخطاب وهو العامل بك من حيث أنه لا فعل لك إذ الحدث لا أثر له في عين الفعل ولكن له حكم في الفعل إذ كان ما كلفه الحق من حركة وسكون لا يعلمه الحق إلا بوجود المتحرك والساكن إذ ليس إذا لم يكن العبد موجود لا الحق والحق تعالى عن الحركة والسكون أو يكون محلا لتأثيره في نفسه فلا بدّ منحدوث العبد حتى يكون محلا لأثر الحق فمن كونه حدثا وجبت الطهارة علىالعبد منه فإن الصلاة التي هي عين الفعل الظاهر فيه لا يصح أن تكون منه لأنه لا أثر له بل هو سبب من حيث عينيته لظهور الأثر الإلهي فيه فبالطهارة من نظر الفعل لحدثه صحت الأفعال أنها لغيره مع وجود العين لصحة الفعل الذي لا تقبله ذات الحق وليست هكذا الطهارة من النجس فإن النجس هو سفساف الأخلاقوهي معقولة المعنى فإنها النظافة فالطهارة من النجاسات هي الطهارة بمكارم الأخلاق وإزالة سفسافها من النفوس فهي طهارة النفوس وسواء قصدت بذلك العبادة أو لم تقصد فإن قصدت العبادة ففضل على فضل ونور على نور وإن لم تقصد ففضل لا غير فإن مكارم الأخلاق مطلوبة لذاتها وأعلى منزلتها استعمالها عبادة بالطهارة من النجاسات وإزالة النجاسات من النفوس التي قلنا هي الأخلاق المذمومة فرض عندنا ما هي شرط في صحة لعبادة فإن الله قد جعلها عبادة مستقلة مطلوبة لذاتها فهي كسائر الواجبات فرض مع الذكر ساقطة مع النسيان فمتى ما تذكرها وجبت كالصلاة المفروضة قال تعالى أقم الصلاة لذكري ثم نذكر الكلام في الأحكام المتعلقة بأعيانها فنقول

باب في تعداد أنواع النجاسات

اتفق العلماء رضي نه عنهم من أعيانهم على أرع على ميتة الحيوان ذي الدم الذي ليس بمائي وعلى لحم الختزير بأي سبب اتفق أن تذهب حياته وعلى الدم نفسه من الحيوان لذي ليس بمائي انفصل من الحيّ أو من الميت إذا كان مسفوحاً أعني كثيرا وعلى بول ابن

آدم ورجيعه إلا لرضيع واختلفوا في غير ذلك وصل اعتبار الباطن في ميتة الحيوان ذي الدم البريّ اعلم أن الموت موتان موت أصليّ لا عن حياة متقدمة في الموصوف بالموت وهو قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فهذا هو الموت الأصليّ وهو لعدم الذي للمكن إذ كان معلوم العين لله ولا وجود له في نفسه ثم قال تعالى فأحياكم وموت عارض وهو الذي يطرأ على الحيّ فيزيل حياته وهو قوله تعالى ثم يميتكم وهذا الموت العارض هو المطلوب في هذه المسئلة ثم زاد وصفا آخر فقال ذي الدم الذي له دم سائل يقول أي الحيوان الذي له روح سائل أي سار في جميع أجزائه لا يريد من هي حياته عين نفسه التي هي لجمع الموجودات ثم زاد وصفا آخر فقال الذي ليس بمائي يريد الحيوان البريّ أي الذي في البرّ ما هو حيوان البحر إذا البحر عبارة عن العلم فيقول لا أريد بالحيوان الموجود في علم الله فإن في ذلك يقع الخلاف ونما أريد الحيوان الذي ظهرت عينه وكانت حياته بالهواء فبهذه فينبغي أن لايزهو بها ولا يدعي فلما ادّعى وقال أنا وغاب عن شهود من أحياه عرض له الموت العارض أي هذا أصلك بريّا فقلنا ما معنى كونه بريّا فقال حياته من الهواء فعلمنا أن الهوى هو الذي أراده كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فكل متردّد بين هواءين لا بد من هلاكه كما قال صاحبنا أبو زيد عبد الرحمن الفازازي رحمه الله

هوى صحيح وهواء عليل صلاح حالي بهما مستحيل

أنشدنيها لنفسه بتلمسان سنة تسعين وخمسمائة فكل عبد اجتمعت فيه هذه الشروط اتفق العلماء علىأنه نجس وأمّا اعتبار لحم الختزير فإنّ لحمه مسى الحياة الدمية فإنّ اللحم دم جامد وصفة الختزيرية وهي التولع بالقاذورات التي تستخبثها النفوس وهي مذام الأخلاق إذا ذهبت الحياة من ذلك للحم كان نجسا وذلك إذا اتفق أن يكون صاحب الخلق المذموم يغيب عن حكم الشرع فيه الذيي هو روحه كان في حقه ميتة قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال مثلها و لم يقيد من وجه كذا فإلحقها بمذام الأخلاق ثم قال فيمن لم يفعلها فمن عفا وأصلح فنبه علىأن ترك الجزاء على السيئة من مكارم الأخلاق ولهذا قلنا بأي شيء ذهبت حياته إذ كانت التذكية لا تؤثر فيه طهارة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي طلب القصاص من قائل من هو وليه فطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنه أو يقبل الدية فأبى فقال خذه فأخذه فلما قفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنه إن قتله وينبني على هذا مسئلة القبح والحسن وهي مسئلة كبيرة خاض الناس فيها وليس هذا الباب موضع الكشف عن حقيقة ذلك وإن كنا قد ذكرناها في هذا الكتاب والثالث من النجاسات المتفق عليها الدم نفسه من الحيوان البرّي إذا انفصل عن الحي أو عن الميت وكان كثيرا أعني بحيث أن يتفاحش فقد أعلمناك أن الحيوان البرّي هو لعين الموجودة لنفسها ما هي الموجود في علم الله كحيوان البحر وإن حياتها بالهواء وأن الدم هو الأصل الذي يخرج من حرارته ذلك البخار الذي تكون منه حياة ذلك الحيوان وهو الروح الحيوانيّ فلما كان الدم أصلا في هذه النجاسة كان هو أولى بحكم النجاسة مما تولد عنه فالذي أورث العبد الدعوى هو العزة التي فطر الإنسان عليها حيث كان مجموع العالم ومضاهيا لجميع الموجودات على الإطلاق فلما غاب عن العناية الآلهية به في ذلك والموت الأصلي الذي نبه الله عليه في قله وكنتم أمواتا وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل و لم تك شيئا وقوله لم يكن شيئا مذكورا لذلك اتفق العلماء على نجاسته إذا تفاحش أي كثرت منه الغفلة عن هذا المقام فإن لم يتفاحش لم يقع عليه الإتفاق في هذا الحكم الرابع بول ابن آدم ورجعيه اعتباره اعلم أنه من شرفت مرتبته وعلت متزلته كبرت صغيرته ومن كان وضيع المتزلة خسيس المرتبة

صغرت كبيرته والإنسان شريف المنزلة رفيع المرتبة نائب الحق ومعلم الملائكة فينبغي أن يطهر من عاشره ويقدس من خالطه فلما غفل عن حقيقته اشتغل بطبيعته فصاحبته الأشياء الطاهرة من المشارب والمطاعم أخذ طيبها بطبيعته لا بحقيقته وأخرج خبثها بطبيعته لا بحقيقته فكان طيبها نجسا وهو الدم وكان خبيثها نجسا وهو البول والرجيع وكان الأولى أن لا يكسبه خبث الروائح فإنه من عالم الأنفاس فكانت نجاسته من حيث طبيعته وكذلك هي من كل حيوان غير أن حقائق الحيوانات وأرواحها ليست في علو الشرف والمنزلة مثل حقيقة الإنسان فكانت زلته كبيرة فاتفقوا بلا خلاف على نجاسته من مثل هذا واختلفوا في سائر أبوال الحيوانات ورجيعها وإن كان الكل من الطبيعة فمن راعى الطبيعة قال بنجاسة الكل ومن راعى منزلة الشرف والإنحطاط قال بنجاسة بول الإنسان ورجيعه و لم يعف عنه لعظم منزلته وعفى عمن هو دونه من الحيوانات فقد أبنت لك عن سبب الإتفاق والإختلاف والحمد لله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

باب في ميتة الحيوان الذي لا دم له

وفي ميتة الحيوان البحري

اختلف العلماء في هاتين الميتتين فمن قائل أنها طاهرة وبه أقول ومن قائل بطهارة ميتة البحر ونجاسة ميتة البر التي لا دم لها إلا ما وقع الإتفاق على طهارتها لكونها ليست ميتة كدود الخل وما يتولد في المطعومات ومن قائل بنجاسة ميتة البر والبحر إلا ما دام له وصل اعتباره في الباطن قد أعلمناك فيما تقدم آنفا من هذه الطهارة اعتبار الدم فمن قائل بطهارة ميتة الحيان الذي لا دم له فهو البراءة من الدعوى لأن الحياة المتولدة من الدم فيها تقع الدعوى لا في الحياة التي لجميع الموجودات التي يكون بها التسبيح لله بحمده فإن تلك الحياة طاهرة على الأصل لأنها عن الله من غير سبب يحجبها عن الله ومن قال بطهارة ميتة البحر وإن كان ذا دم فإنه في علم الله ولا حكم على الأشياء في علم الله وإنما تتعلق بها الأحكام إذا ظهرت في أعيانها وهو بروزها من العلم إلى الوجود الحسي وعلى مثل هذا تعتبر بقية ما اختلفوا فيه من ذلك في هذه المسألة انتهى الجزء الرابع والثلاثون

الجزء الخامس والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

باب الحكم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنه ميتة

اختلف العلماء رضي الله عنهم في أجزاء ما اتفقوا عليه أنه ميتة مع اتفاقهم على أن اللحم من أجزاء الميتة ميتة وقد بينا اعتبار اللحم في لحم الخنزير اختلفوا في العظام والشعر لفمن قائل أنهما ميتة ومن قائل أنهما ليستا بميتة وبه أقول ومن قائل أن العظم ميتة وأن الشعر ليس بميتة وصل اعتبار الباطن في ذلك لما كان الموت المعتبر في هذه المسئلة هو الطارىء المزيل للحياة التي كانت في هذا المحل نظرنا إلى مسمى الحياة فمن جعل الحياة النموّ قال أنهما ميتة ومن جعل الحياة الإحساس قال أنهما ليستا بميتة ومن فرق قال أن العظم يحس فهو ميتة والشعر لا يحس فليس بميتة فمن رأى نموّه بالغذاء وحسه بالروح الحيواني فهما ميتة سواء عبر بالحياة عن النموّ وعن الحس ومن كان يرى نموّه بربه لا بالغذاء وإدركه المحسوسات به لا بالحواس لم يلتفت إلى الواسطة لفنائه بشهود الأصل الذي هو خالقه وإن رأى أن الحق سمعه وبصره وهو عين حسه لم يصح عنده أنه ميتة أصلا وسواء كانت الحياة عبارة عن النموّ أو عن الحس

باب الإنتفاع بجلود الميتة

فمن قائل بالإنتفاع بها أصلا دبغت أم لم تدبغ ومن قائل بالفرق بين أن تدبغ وبين أن لا تدّبغ وفي طهارتها خلاف فمن قائل أن الدباغ مطهر لها ومن قائل أن الدباغ لا يطهرها ولكن تستعمل في اليابسات ثم إن الذين ذهبوا إلى أن الدباغ مطهر اتفقوا على أنه مطهر لما تعمل فيه الذكاة يعني المباح إلا كل من الحيوان واختلفوا فيما لا تعمل فيه الذكاة فمن قائل أن الدباغ لا يطه إلا ما تعمل فيه الذكاة فقط وأن الدباغ بدل من الذكاة في إفادة الطهارة ومن قائل أن الدباغ يعمل في طهارة ميتات الحيوانات ما عدا الخنزير ومن قائل بأن الدباغ يطهر ميتات الحيوان الخنزير وغيره والذي أذهب إليه وأقول به أن الإنتفاع بجائز بجلود الميتات كلها وإن الدباغ يطهرها كلها لا أحاشي شيئا من ميتات الحيوان وصل الإعتبار في ذلك في الباطن قد عرفناك مسمى الميتة فالإنتفاع لا يحرم بجلدها وهو استعمال الظاهر فمن أخذ في الأحكام بالظاهر من غير تأويل ولا عدول عن ظاهر الحكم الذي يدل عليه اللفظ فلا مانع له من ذلك ولا حجة علينا لمن يقول بما يدل عليه بعض الألفاظ من التشبيه فنقول ما وقفت مع الظاهر فإنه ما جاء الظاهر بالتشبيه لأن المثل وكاف الصفة ليست في الظاهر فما ذلك الخطأ في المسئلة إلا من التأويل واللفظ إذا كان بهذه النسبة مع اللفظ الصريح الذي لا يحتمل التأويل كان إذا قرنته به بمنزلة الميتة من الحي فلما لم نجد من الشارع مانعا من الإنتفاع بقينا على الأصل وهو نقوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا و لم يفصل طاهرا من غير طاهر فلا نحكم بطهارته وإن انتفعنا به لا إذا دبغ فهو إذ ذاك طاهر واعتباره أن اللفظ الوارد من الشارع المحتمل فنحكم بظاهره ولا نقطع به أن ذلك هو المراد فإذا اتفق أن نجد نصا آخر في ذلك المحكوم به يرفع الأحتمال الذي أعطاه ذلك اللفظ الآخر طهر ذلك اللفظ الأوّل من ذلك الإحتمال وكان له هذا الخبر

الثاني ما كنا ننتفع به قبل أن يكون طاهرا من حيث انتفاعنا به لا من حيث انتفاعنا من نوجه خاص فإنه قد يكون ذلك الخبر منتفع به في وجه خاص إذ كان غيرنا لا يرى الإنتفاع به أصلا

باب في دم الحيوان البحريّ

وفي القليل من دم الحيوان البريّ

اختلف العلماء رضي الله عنهم في دم الحيوان البحريّ وفي القليل من دم الحيوان البريّ فمن قائل دم السمك طاهر ومن قائل أنه نجس على أصل الدماء ومن قائل أن القليل من الدماء والكثير واحد في الحكم ومن قائل أن القليل معفوّ عنه والذي أذهب إليه أن التحريم ينسحب على كل دم مسفوح من أي حيوان كان ويحرم أكله وأما كونه نجاسة فلا أحكم بنجاسة المحرّمات تإلا أن ينص الشارع على نجاستها على الإطلاق أو يقف على القدر الذي نص على نجاسته وليس النص بالإجتناب نصافي كل حال فيفتقر إلى قرينة ولا بد فما كل محرم نجس وإن اجتنبنا فما اجتنبناه لنجاسته فإن كونه نجاسة حكم شرعي وقد يكون غير مستقذر عقلا تولا مستخبث وصل اعتباره في الباكن الحكم على الشيء الذي يقتضيه لنفسه لا يشترط فيه وجود عينه ولا تقدير وجود عينه فسواء كان معدوم العين أو موجودا الحكم فيه على السواء سواء كان بطهارته أو عدم طهارته فلا يؤثر كونه في علم الله أو كونه موجودا في عينه ألا ترى إلى واجب له لذاته كما أنن الإحالة للمحال واجبة له لذاته كما أن الوجوب للواجب واجب له لذاته فينسحب معقول الوجوب على الواجب لنفسه وكذلك حكم الممكن والمحال لا يتغير حكمه وإن اختلفت المراتب

باب حكم أهل العلم في أبوال الحيوانات

كلها وبول الرضيع من الإنسان

اختلف أهل العلم في أبوال الحيوانات كلها وأرواثها ما عدا الإنسان إلا بول الرضيع فمن قائل أنها كلها نجسة ومن قائل بطهارتها كلها على الإطلاق ومن قائل أن حكمها لحومها فما كان منها أكله حلالا كان بوله وروثه طاهر وأما كان منها أكله حراما كان بوله وروثه نجسا وما كان منها لحمه مكروها أكله كان بوله وروثه مكروها وصل اعتباره في الباطن الطهارة في الأشياء أصل والنجاسة أمر عارض فنحن مع الأصل ما لم يأت ذلك العارض وهذا مذهبنا فالعبد طاهر الأصل في عبوديته لأنه مخلوق على الفطرة وهي الإقرار بالعبودية للرب سبحانه قال الله تعالى وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنغسهم ألست بربكم قالوا بلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أإن الله لما خلق آدم قبض على ظهره فاستخرج منه كأمثال الذر فأشهدهم على أنفسهم وكذلك العلم طاهر في تعلقه بمعلومه فمهما عرض تحجير من الحق في أمر ما وعلم ما وقفنا عنده وكذلك الحياة لذاتها طاهرة مطهرة وكل ما في تعلقه بمعلومه فمهما عرض تحجير من الحق في أمر ما وعلم ما وقفنا عنده وكذلك الحياة لذاتها طاهرة مطهرة وكل ما سوى الله حي فكل ما سوى الله طاهر بالأصل فباسمه القدوس خلق العالم كله وإنما قلنا كل ما سوى الله جيّ فإنه ما من شيء والشيء أنكر النكرات إلا وهو يسبح بحمد الله ولا يكون التسبيح إلا من حي وإن كان الله قد أخذ بأسماعنا عن تسبيح الجمادات والنبات والحيوان الذي لا يعقل كما تأخذ بأبصارنا عن إدراك حياة الجماد والنبات إلا لمن خرق الله

له العادة كرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه حين أسمعهم الله تسبيح الحصى فما كان خرق العادة في تسبيح الحصى وإنما انخرقت العادة في تعلق أسماعهم به وقد سمعنا بحمد الله في بدء أمرنا تسبيح حجر ونطقه بذكر الله فمن الموجودات ما هو حيّ بحياتين حياة مدركة بالحس وحياة غير مدركة بالحس ومنها ما هو حيّ بالحياة الأصلية التي لا يدركها بالحس عادة وهو أيضا حيّ بحياة روحه الحيوانيّ وهو الذي يكون به الحس وهو حيّ أيضا بنفسه الناطقة فالعالم كله طاهر فإن عرض له عارض إلهيّ يقال له نجاسة حكمنا بنجاسة ذلك المحل على الحدّ المقدر شرعا خاصة في عين تلك النسبة الخاصة فالنجاسة في الأشياء عوارض نسب وأعظم النجاسات الشرك بالله قال تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فالمشرك نجس العين فإذا آمن فهو طاهر العين أي عين الشرك وعين الإيمان فافهم فإنه ما يصدر عن القدوس إلا مقدس ولذا قلنا في النجاسة إنها عوارض نسب والنسب أمور عدمية فلا أصل للنجاسة في العين إذ لا عيان طاهرة بالأصل الظاهرة منه وهنا أسرار لا يمكن ذكرها إلا شفاها لأهلها فإن الكتاب يقع في يد أهل وغير أهله فمن فهم ما أشرنا إليه فقد حصل على كنز عظيم ينفق منه ما بقيت الدينا والآخرة أي إلى ما لا يتناهى وجوده والله المؤيد معلم الإنسان البيان

باب حكم قليل النجاسات

اختلف أهل العلم في قليل النجاسات فمن قائل أن قليلها أو كثيرها سواء ومن قائل أن قليلها معفو عنه وهؤلاء اختلفوا في حد القليل ومن قائل أن القليل والكثير سواء إلا الدم وقد تقدم الكلام في الدم وعندنا أن القليل والكثير سواء إلا ما لا يمكن الإنفكاك عنه ولا يعتبر في ذلك منع وقوع الصلاة بها أو وقوعها فإن ذلك حكم آخر والتفصيل في ذلك قد ورد في الشرع فيوقف عنده ولا يتعدى فإنه لا يلزم من كونه نجاسة عدم صحة الصلاة بها فقد يعفو الشرع عن بعض ذلك في موضع وق لا يعفو في موضع وللأحوال في ذلك تأثير فقد أزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في الصلاة من دم حلمة أصاب نعله و لم يبطل صلاته ولا أعاد ما صلى به وصل إعتباره في الباطن أما إعتباره في الباطن فمذام الأخلاق والجهالات وإساءة الظنون في بعض المواطن قليل ذلك وكثيره سواء وفي ذلك حكايات وأقوال لأهل الله والتفصيل الوارد في الخلاف في الطاه يعتبر بحسبه فإنه قد تقدّم في الفصول قبل هذا كيف تؤخذ وجوه الإعتبار فيه في الباطن

باب حكم المنيّ

اختلف علماء الشريعة في المنيّ هل هو طاهر أو نجس فمن قائل بطهارته ومن قائل بنجاسته وصل اعتباره في الباطن التكوين منه طبيعيّ ومنه غير طبيعيّ وبينهما فرقان إن شئنا اعتبرنا وإن شئنا لم نعتبره فإن التكوين الطبيعيّ لا فرق عندنا بينه وبين التكوين غير الطبيعيّ فإنّ التكوين الطبيعي من حيث الوجه الخاص المعلوم عند أهل الله المنصوص عليه في القرآن صادر عن حضرة التقديس والاسم القدّوس ومن غير ذلك الوجه الخاص فهو صادر عن مثله وهو الذي أيضاً نقول فيه عالم الخلق وعالم الأمر فكل موجود عند سبب مخلوق مما سوى الله هو عالم الخلق وكل ما لم يوجد عند سبب مخلوق فهو عالم الأمر والكل على الحقيقة عالم الأمر إلا أنا لا يمكننا رفع الأسباب من العالم فإن الله قد وضعها ولا سبيل إلى رفع ما وصفه الله فأقول إنه من احتجب بنفسه عن ربّه فليس

بطاهر ولما كان خروج المني غالباً يستغرق لذته الإنسان بل الحيوان كله حتى يفني عن ربّه إلا عن حكم الخارج منه وهو المنيّ كان المنيّ غير طاهر ولهذا أمرنا بالتطهير منه أي التطهير العام لجميع أجزاء البدن لأنه يخرج من بين الصلب والترائب ومن راعى أن الحق ما تولى التكوين الطبيعي إلا به حكم بطهارته لأن الحال اختلف عليه فإنه دم مقصور قصرته المثانة فتغير عن الدمية فتغير الحكم وهو أولى فالمني عدنا طاهر إلا أن يخالطه شيء نجس لا يتمكن تخليصه منه وحينئذ نحكم به أنه نجس بما طرأ عليه كما كان أصله وعينه دماً فلو بقي على صورته في أصله من الدمية إذا خرج حكمنا بنجاسته شرعاً.

باب في المحال التي تزال عنها النجاسة

أما المحال التي تزال عنها النجاسة شرعاً فهي ثلاثة الثياب والأبدان أبدان المكلفين والمساجد وصل اعتباره في الباطن فالثياب الباطنة الصفات فإن لباس الباطن صفاته يقول امرؤ القيس لعنيزة:

وإن كنت قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

أراد ما لبسه من ثياب مودها في قلبه يقول الله "ولباس التقوى ذلك خير" وهو موجه عندي لقرائن الأحوال مثل قوله تعالى فإن خير الزاد التقوى سواء إن تفطنت لما أراد هنا بالتقوى واعتبار الأبدان القلوب والأرواح فاعلم واعتبار المساجد مواطن المناجاة وأحوالها الإلهية.

باب في ذكر ما تزال به هذه النجاسات

من هذه المحال

اتفق العلماء بالشريعة على أن الماء الطاهر المطهر يزيلها من هذه المحال الثلاثة وعندنا كل ما يزيل عينها فهو مزيل من تراب وحجر ومائع ويعتبر اللون في بقاء عينها إن كانت ذات لون يدركه البصر ولا يعتبر بقاء الرائحة مع ذهاب العين لعلم عندنا آخر وصل الاعتبار في ذلك إن العلم الذي أنتجته التقوى في قوله تعالى "واتقوا الله ويعلمكم الله وقوله "إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً" فذلك العلم هو المزيل المطهر هذه المحال الثلاثة التي ذكرناها وهي في الباطن الصفات والقلوب والأحوال التي قلنا أنها الثياب والأبدان والمساجد واتفق العلماء أيضاً أن الحجارة تزيلها من المخرجين وهو المعبر عنه في الشرع بالاستجمار ولا سح عندي الاستجمار بحجر واحد فإنه نقيض ما سمي به الاستجمار فإن الجمرة الجماعة وأقل الجماعة اثنان والاعتبار هنا في محل الاتفاق إن الحجارة لما أوقع الله النسبة بينها وبين القلوب في أمور منها ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو شد قسوة والقسوة مما ينبغي أن يتطهر منها كانت ما كانت فإنها من نجاسات القلوب المأخوذ بها والمعفو عنها وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وهي من القلوب العلوم الغزيرة الواسعة المحيطة بأكثر المعلومات وتفجرها خروجها عن ألسنة العلماء للتعليم في الفنون المختلفة وإن من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء وهي القلوب التي تغلب عليها الأحوال فتخرج في الظاهر على ألسنة أصحابها بقدر ما يشقق منها وبقدر العلم الذي فيها فينتفع بها الناس وإن من الحجارة لما يهبط من خشية الله وهبوط القلوب المشبهة بالحجارة في هبوطها هو نزولها من عزها إلى عبوديتها ونظرها في عجزها وقصورها بالأصالة وقد قلنا إن الماء هو المطهر المزيل للنجاسات من هذه المحال

فالأحجار التي هي منابع هذا الماء حكمها في إزالة النجاسة من المخرجين حكم ما خرج منها وهو العلم في الاعتبار كما أن الخشية مما يتطهر بها فإن الخشية من خصائص العلماء بالله المرضيين عنهم المطلوب منهم الرضى عن الله قال تعالى "إنما يخشى الله من عباده العلماء" وقال "رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه" والعلم طاهر مطهر ولا سيما العلم الذي هو تنتجه التقوى فإن غيره من العلوم وإن كان طاهراً مطهراً فما هو في القوة مثل هذا العلم الذي نشير إليه فالخشية المنعوت بها الأحجار هي التي أدّتها إلى الهبوط وهو التواضع من الرفعة التي أعطاها الله فإنه لما وصفها بالهبوط علمنا أن الأحجا رالتي في الجبال يريدوا الجبال الأوتاد التي سكن الله بها ميد الأرض فلما جعلها أوتاداً أورثها ذلك فخر العلو منصبها فترلت هذه الأحجار هابطة من خشية الله لما سمعت الله يقول تكل الدار الآخرة نجعلها للذينن لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين والإرادة من صفات القلوب فترلت من علوها وإن كان بربها هابطة من خشية الله حذراً أن لا يكون لها حظ في الدار الآخرة التي تنتقل إليها وأعني بالدار الآخرة هنا دار سعادتها فإن في الآخرة مترل شقاوة وسعادة فكانت لهذا طاهرة مطهرة وأما اختصاص تطهيرها المخرجين واعتبر المخرجين اللذين هما مخرج الكثيف وهو الرجيع واللطيف وهو البول فاعلم أن للحق سبحانه فى القلوب تجليين التجلى الأول في الكثائف وهو تجليه في الصور التى تدركها الأبصار والخيال مثل رؤية الحق في النوم فأراه في صورة تشبه الصور المدركة بالحس وقد قال ليس كمثله شيء فيزيل هذا العلم من قلبك تقيد الحق بهذه الصور التي تجلى لك فيها في حال نومك أو في حال تخيلك في عبادتك إذ قال لك رسوله صلى الله عليه وسلم عنه تعالى لا عن هواه فإنه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى "اعبد الله كأنك تراه" فجاء بكانّ وهي تعطي الحقائق فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لمن قال أنا مؤمن حقاً فما حقيقة إيمانك فقال كأني أنظر الى عرش ربي بارزاً فأتى بكانّ والرؤية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عرفت فالزم" فشهد له بالمعرفة وهذا هو التجلي الآخر فإن تجلي الخيال ألطف من تجلي الحس.بما لايتقارب ولهذا يسرع إليه التقلب من حال إلى حال كما هو باطن الإنسان هنا كذلك يكون ظاهره في النشأة الآخرة وقد ورد أن في الجنة سوقاً لا يباع فيه ولا يشترى لكنه مجلى الصور فمن اشتهى صورة دخل فيها كالذى هو باطن الإنسان

اليوم فإذا جعل العابد معبوده بحيث يراه كأنه أنزله من قلبه مترلة من يراه ببصره من غير أن يكون هناك صورة من خارج كما كانت في تجلي المنام فإذا حدده هذا التخيل والحق لا حد له سبحانه يتقيد به فطهره علم الخشية وهو الحجر الذي ذكرناه من تقييد الحدود فطهر القلب إنما هو بالخشية من مثل هذا التشبيه والتقيد إذ ليس كمثله شيء فهذا اعتبار اتفاق العلماء بأن الحجارة تطهر المخرجين واختلفوا فيما عدا ما ذكرناه من الاتفاق عليه من المائعات والجامدات التي تزيل النجاسات من المحال التي ذكرناها فمن قائل أن كل مائع وجامد في أي موضع كان إذا كان طاهراً فإنه يزيل عين النجاسة وبه أقول ومن قائل بالمنع على الاطلاق إلا ما وقع عليه الاتفاق من الماء والاستجمار وقد ذكرناهما.

باب منه

اختلفوا في الاستجمار بالعظم والروث اليابس فمنع من ذلك قوم وأجازوا الاستجمار بغير ذلك مما ينقي واستثني من ذلك قوم ما هو مطعوم ذو حرمة كالخبز وقد جاء في العظم أنه طعام إخواننا من الجن واستثنت طائفة ان لايستجمر بما في استعماله سرف كالذهب والياقوت أما تقييدهم بأن في ذلك سرفاً فليس بشيء فلو عللوه بأمر آخر يعقل كان أحسن ولكن ينبغي أن ينظر في مثل

هذا فإن كان الذهب مسكوكاً وعليه اسم الله أو اسم من الأسماء المجهولة عنده من طريق لسان أصحابها خوفاً من أن يكون ذلك من أسماء الله بذلك اللسان أو يكون عليه صورة فيجتنب الاستجمار به لأجل هذا لا لكونه ذهباً ولا ياقوتاً وقوم قصروا الإنقاء على الأحجار فقط وقوم أجازوا الاستجمار بالعظم دون الروث وإن كان مكروها عندهم ومن قائل بجواز الاستجمار بكل طاهر ونجس انفرد به الطبري دون الجماعة وصل في اعتبار ما ذكرناه في الباطن إذا صح الإنقاء من الأخلاق المذمومة والجهالات بأي شيء صح بخلق حسن أو بخلق آخر سفساف وبعلم شريف لشرف معلومة أو بعلم دون ذلك مما لا أثر له في المحل إلا الإنقاء جاز استعماله في إزالة هذه النجاسة وإلى هذا مترع الطبري فيما شذ فيه دون الجماعة ومن راعي في الإزالة ما يزال به لا ما يزال وتتبع الشرع وما فصله في ذلك المشرع فهو على حسب ما يفهم من الشارع في تفقهه في دين الله فإن فطر الناس مختلفة في الفهم عن الله وهو محل الاجتهاد فلا يزيل عين النجاسة إلا بالذي يغلب على فهمه من مقصود الشارع ما هو وهو الأولى وهذا يسري في الحكم الظاهر والباطن سواء فأغنى عن التفصيل.

باب في الصفة التي بها تزال هذه النجاسات

وهي غسل ومسح ونضح وصب وهو صب الماء على النجاسة كما ورد في الحديث لما بال الأعرابي في المسجد فصاح به الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه حتى إذا فرغ من بوله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دعا بذنوب من ماء فصبه عليه فهذه حالة لا تسمى غسلا ولا مسحا ولا نضحا فلهذا زدنا الصب و لم يأت بهذه اللفظة العلماء وأدخلوا هذا الفعل تحت الغسل فاكتفوا بلفظ الغسل عن الصب فرأينا أن الإفصاح بلفظ الصب أولى لأن الراوي ذكره بلفظ الصب و لم يسمه غسلا واعلم أنه ما اختلفت هذه المراتب إلا لإختلاف النجاسات تخفيفا عن هذه الأمة فإن المقصود زوال عينها الموجود المعين أو المتوهم فبأي شيء زال الوهم أو العين من هذه الصفات استعملت في إزالته واستعمال الأعمّ منها يدخل فيه الأخص فيغني عن إستعمال الأخص إن فهمت كالغسل فإنه أعمها فيغني عن الكل والشارع قد صب وغسل ومسح ونضح وهو الرش وقد وردت في ذلك كله أخبار محلها كتب الفقه وصل اعتبار الباطن في ذلك أن الخلق المذموم إن وجدنا صفة إذا استعملناها أزالت جميع الأخلاق المذمومة استعملناها فهي كالغسل الذي يعم جميع الصفات المزيلة لأعيان النجاسات وتوهمها وهو الأولى والأيسر وإن تعذر ذلك فينظر في كل خلق مذموم وينظر إلى الصفة المزيلة لعينه فيستعملها في إزالة ذلك الخلق لا غير هذا هو ربط هذا الباب وفي هذا الباب إختلاف كثير في المسح والنضح والعدد ليس هذا موضعه إلا أن فتح الله ويؤخر في الأجل فيعمل كتابا في إعتبارات أحكام الشرع كلها في جميع الصور واختلاف العلماء فيه ليجمع بين الطريقتين ونظهر حكمة الشرع في النشأتين والصورتين أعني الظاهر والباطن ليكون كتابا جامعا لأهل الظاهر وأهل الأعتبار في الباطن والموازين الباحثين عن النسب والله المؤيد لا رب غيره

باب في آداب الإستنجاء ودخول الخلاء

وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة وأوامر مثل النهي عن الإستنجاء باليمين ومس الذكر باليمين عند البول وعدم الكلام على الحاجة

والتعوّذ عند دخول الخلاء وهي كثيرة جدّا فمن قائل بأنها كلها محمولة على الندب وعليه جماعة الفقهاء وأمّا في الأعتبار فهي كلها واجبة فإن الباطن ما حكمه في أوامر الحق حكم الظاهر فإن الله ما ينظر من الإنسان إلا إلى قلبه فيجب على العبد أن لا يزال قلبه طاهرا أبدا لأنه محل نظر الله منه والشرع ينظر إلى ظاهر الإنسان ويراعيه في الدار الدنيا دار التكليف أكثر من باطنه وفي الآخرة بالعكس هنالك تبلى السرائر وهنا يراعى الشرع أيضا الباطن في أفعال مخصوصة أوجب الشعر عليه فعلها وأفعال مخصوصة ندبه الشرع إليها وأفعال مخصوصة خيره الشرع بين فعلها وتركها وأفعال مخصوصة حرم الشرع عليه فعلها وأفعال مخصوصة كره الشرع له فعلها والحكم في الترك كذلك واختلفوا من هذه الآداب في استقبال القلبة بالغائط والبول واستدبارها فكانوا فيها على ثلاثة مذاهب فمن قائل إلى أنه لا يجوز استقبال القبلة لغائط أو بول أصلا في أي موضع كان ومن قائل أنه يجوز ذلك بإطلاق وبه أقول والتنزه عن ذلك أولى وأفضل ومن قائل أنه يجوز ذلك في الكيف المبينة ولا يجوز في الصحارى ولكل قائل حجة من خبر يستند إليه ذكر ذلك علماء الشريعة في كتبهم وصل اعتبار الباطن في ذلك لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله في قبلة المصلى خاصة فمن فهم أن المراد القبلة بتلك النسبة لم يجز استقبال القبلة عند الحاجة لسوء الأدب ومن فهم أن المراد حال المصلى أجاز ااستقبال القبلة تعند الحاجة فإنه غير مصل الصلاة المخصوصة بالصفة المعلومة ومن رأى روح الصلاة وهو الحضور مع الله دائما ومناجاته كانت جميع أفعاله صلاة فلم يقل بالمنع من استقبال القبلة عند الحاجةفإنه في روح الصلاة لا ينفك دائما وهم أهل الحضور مع الله إلا في وقت الحاجة فذلك خاطر شيطاني لا يعوّل عليه ويجتنب استقبال القبلة ولا بدّ عندنا من هذه حالته فإنه من عمل الشيطان وقد أمرنا باجتناب عمل الشيطان في قوله أنه رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وأما من برى الأستقبال في الكنف المبينة دون الصحارى فإن الكنف المبنية والمدن حال الجمعية فتشبه جمعية الأسماء الإلهية فما من نشيء إلا وهو مرتبط بحقيقة إلهية به كانت معقوليته فإنّ المعدوم مرتبط بالتتريه فلا يخلو صاحب هذا الحال عن مشاهدة ربه من حيث تلك الحقيقة فإنّ البناء والمدن دلتاه على ذلك فجاز له أن يستقبل القبلة وأن يكون بحكم الموطن وأما في الصحراء فهو وحده فلا مانع له من ترك استقبال القبلة بالحاجة فيتأدّب ولا يستقبل احتراما لقول الشارع فإنه ما في الصحراء حالة تقيده لرؤية حقيقية إلهية إلا اخياره ولا ينبغي للعبد أن يكون له اختيار مع سيده قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار فما اختار المدن والكيف المبنية ما كان لهم الخيرة فيما لم يختره لهم فليس لهم أن يختاروا بل يقفون عند المراسم الشرعية فإن الشارع هو الله تعالى فيستعمل بهذا النظر جميع الأخبار الواردة في استقبال القبلة بالحاجة واستدبارها والنهي عن ذينك فقد أثبتنا في هذا الباب من فصول الطهارة ما يجري مجرى الأصول والقول الجامع في الطهارة هو ا، نقول الطهارة من الإنسان المعقولة المعنى بما يزيلها أي شيء كان من البراهين جدليّة كانت أو وجودية فإن الغرض إزالتها لا بما نزال ما لم يكن الذي تزال به يؤثر نجاسة في المحل فإذن ما زالت النجاسة وأمّا التي هي غير معقولة المعنى فطهارتها موقوفة على ما ينص الله تعالى في ذلك أو رسوله فيزيلها بذلك فإن شاء الحق عرفك بمعناه ونسبته فتكون إزالتها في حقك عن علم محقق وإذ لم يكن ذلك فهو المسمى بالتعبد وهو المعنى المطلق في جميع التكاليف وهو العلة الجامعة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الخامس والثلاثون

الجزء السادس والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع والستون في معرفة أسرار الصلاة وعمومها

وكم من مصل تماله من صلاته — سوى رؤية المحراب والكدّ والعنا
وآخر يحظى بالمناجاة دائما — وإن كان قد صلى الفريضة وابتدى
وكيف وسرّ الحق كان أمامه — وإن كان مأموما فقد بلغ المدى
تحريمها التكبير إن كنت كابرا — وإلا فحل المرء أو حرمه سوا
وتحليلها التسليم إن كنت تابعا — لرجعته العلياء في ليلة السرى
وما بين هذين المقامين غاية — وأسرار غيب ما تحس وما ترى
فمن نام عن وقت الصلاة فإنه — وحيد فريد الدهر قطب قد استوى
وإن حل سهو في الصلاة وغفلة — وذكره الرحمن يجبر ماسها
صلاة انفجار الصبح حقا ومغرب — لسر خفيّ في الصباح وفي المسا
وحافظ على الشفع الكريم لوتره — تفز بالذي فازا لحضارمة الأولى
وبين صلاة الفذ والجمع سبعة — وعشرون إن كان المصلي على طوى
ولا تنس يوم العيد واشهد صلاته — لدى مطلع اللشمس المنيرة والسنا
وبادر لتهجير العروبة رائحا — تحز قصب السباق في حلبة العلى
وإن حل خسف النيرين فإنه — حجاب وجود النفس دونك يا فتى
ومن كان يستسقى يحوّل رداءه — تحوّل عن الأحوال علك ترتضي
فهذي عبادات المراد تخلصت — وإن ليس للإنسان غير الذي سعى

اعلم أيدك الله بروح القدس إن مسمى الصلاة يضاف إلى ثلاثة وإلى رابع ثلاثة بمعنيين بمعنى شامل وبمعنى غير شامل فتضاف الصلاة إلى الحق بالمعنى الشامل والمعنى الشامل هو الرحمة فإن الله وصف نفسه بالرحيم ووصف عباده بها فقال ارحم الراحمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يرحم الله من عباده الرحماء قال تعالى هو الذي يصلى عليكم فوصف نفسه بأنه يصلي أي يرحمكم بأن يخرجكم من الظلمات إلى النور يقول من الضلالة إلى الهدى ومن الشقاوة إلى السعادة وتضاف الصلاة إلى الملائكة بمعنى الرحمة والإستغفار والدعاء للمؤمنين قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته فصلاة الملائكة ما ذكرناها قال الله عز وجل في حق

الملائكة ويستغفرون للذين آمنوا يقولون فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وقهم السيئات اللهم استجب فينا صالح دعاء الملائكة وتضاف الصلاة إلى البشر بمعنى الرحمة والدعاء والأفعال المخصوصة المعلومة شرعا على سنذكره فجمع البشر هذه الثلاث المراتب المسماة صلاة قال تعالى آمرا لنا وأقيموا الصلاة وتضاف الصلاة إلى كل ما سوى الله من جميع المخلوقات ملك وإنسان وحيوان ونبات ومعدن بحسب ما فرضت عليه وعينت له قال تعالى ألم أن الله يسبح له من في السموات ومن في الأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فأضاف الصلاة إلى الكل والتسبح في لسان العرب الصلاة قال عبد الله بن عمر وهو من العرب وكان لا يتنفل في السفر فقيل له في ذلك فقال لو كنت مسبحا أتممت وقال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال خطابا بالمحمدد صاحب الكشف حيث يرى ما لا نرى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب فانظر إلى فقه عبد الله بن عمر رضي الله عنه لما تحقق أن الله يريد التخفيف عن عبيده بوضع شطر الصلاة عنهم لم ير أن يتنقل موافقة لمقصود الحق في ذلك فهذا تفقه روحانيّ وأمّا من تنفل في السفر فرأى أن مقصود الحق إسقاط الفرضية لا إسقاط الصلاة التي يتطوّع الإنسان نفلو أتم المسافر لكان الغرض منها ركعتين والباقي نافلة فإن الله ما فرض عليه إلا ركعتين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم ير هذا المتنفل إلا إسقاط الفرضية عنه لا التطوع بالصلاة تنفل في السفر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنفل في السفر على الراحلة فعلم القائل بهذا أن الغرض هو الذي قصد إسقاطه عنه واقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في التنفل في السفر على فإن الله قال لنا لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فالعم أن الصلوات المشروعة فرضا وسننا مؤكدة بين النافلة توالفريضة ثمانية كما أن الأعضاء المكلفة أعني التي بفعل الإنسان بها ما كلف أن يفعله أو يتركه فهي ثمانية الأذن والعين واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب وأما الصلوات الثمانية المشروع الفعل بها فرضا وسنة مؤكدة فالصلوات الخمس والوتر من الليل والجمعة والعيدان والكسوف

والإستسقاء والإستخارة والصلاة على الجنائز وأما الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت في الدعاء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمنا كيف نصلي عليه أي كيف ندعو له وقد أمرنا أن ندعو له بالوسيلة والمقام المحمود ونحن إن شاء الله نذكر في هذا الباب فصول تجري مجرى الأمهات كما علمنا في الطهارة إلى أن نستوفيها إن شاء الله والصلاة وقعت في الرتبة الثانية من قواعد الإيمان التي بني الإسلام عليها في الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج فعلم الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم راعى الترتيب لما يدخل الواو من الإحتمال ولهذا لما قال بعض رواة هذا الحديث من الصحابة لما سرده فقال والحج وصم رمضان أنكر عليه وقال له وصوم رمضان والحج فقدمه وعلمنا أنه أراد الترتيب ونبه على أن لا ننقل عنه صلى الله عليه وسلم إلا عين ما تلفظ به فإنه من العلماء من يرى نقل الحديث المتلفظ به من النبي صلى الله عليه وسلم على المعنى فالصلاة ثانية في القواعد مشتقة من المصلى في الخيل وهو الذي يلي السابق في الحلبة والسابق في القواعد الشهادة والمصلى هي الصلاة وجعل

الزكاة تلي الصلاة لأن الزكاة التطهير فما سبت الصلاة فإن الصلاة لا يقبلها الله بغير طهور والزكاة تطهير الأموال قال تعالى قد أفلح من زكاها يعني النفس التي سواها يريد قد أفلح من طهرها بامتثال أوامر الله ومن شرط الصلاة طهارة الثياب والأبدان والبقعة التي توقع الصلاة عليها وفيها كانت ما كانت وجعل الصوم يلي الزكاة لما شرع الله في صوم رمضان عند انقضائه من زكاة الفطر فلم يبق الحج إلا أن يكون آخر أو قد ذكرنا الشهادة التوحيدية وذكرنا من الصلاة الطهارة التي لا تصح الصلاة إلا بها فلنذكر

الطهارة إن شاء الله بهذا الباب ولنبدأ بالصلاة المفروضة وما يلزمها ويتبعها من اللوازم والشروط والأركان في أفعالها وأقوالها ثم بعد ذلك أشرع في ذكر الصلوات التي تطلبها الأحوال ومن الله نسأل التأييد والعون

فصل في الأوقات

ولا أعني بالكلام هنا في الأوقات أوقات الصلوات فقط وإنما أريد الوقت من حيث ما هو وقت سواء كان لعبادة أو غير عبادة فاذا عرفناك بمعناه واعتباره حينئذ نشرع في ذكر الأوقات المشروعة للعبادات فنقول الوقت تنعبارة عن التقدير في الأمر الذي لا يقبل وجود عين ما يقدّر هو الفرض كما تقدّر أو نفرض في الشكل الكري أولا ووسطا أو نهاية وهو في نفسه وعينه لا يقبل الأولية بالفعل ولا الوسط ولا لآخرية فيجعل له من ذلك ما نجعله بحكم الفرض فيه والتقدير فالوقت فرض مقدر في الزمان لما كان الزمان مستديرا كما خلقه الله في ابتدائه فهو كالأكرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار كهيئته نيوم خلقه الله فذكر أن الله خلقه نمستديرا والأوقات فيه مقدرة فلما خلق الله الفلك الأطلس ودار لم يتعين اليوم ولا ظهر له عين فإنه مثل ماء الكوز في النهر قبل أن يكون في الكوز فلما فرض فيه لإثني عشر فرضا ووقت معينة وسماها بروجا في ذلك الفلك وهو قوله تعالى نوالسماء لعلوها علينا ذات البروج وهي هذه الفروض الموقتة ووقف شخص يدور عليه هذا الفلك وجعل لهذا الشخص بصر عاين بها تلك الفروض بعلامات جعلت له فيها فتميز عنده بعضها عن بعض بتلك العلامات المجعولة دلالات عليها فجعل عينه في فرض منها أعني في العلامة ثم دار الفلك بتلك العلامة المفروضة التي جعل عينه عليها هذا الناظر وغابت عنه وما برح واقفا في موضعه ذلك حتى انتهت إليه تلك العلامة فعلم عند ذلك أن الفلك قد دار دورة واحدة بالنسبة إلى هذا الناظر لا بالنسبة إلى الفلك فسمينا تلك الدورة يوما ثم بعد ذلك خلق الله في السماء الرابعة من السبع السموات كوكبا نيرا عظيم الجرم سماه باللسان العربي شمسا فطلع له به في نظره ذلك الفلك من خلف حجاب الأرض الذي هذا الناظر عليها فسمى ذلك المطلع مشرقا والطلوع شروقا لكون ذلك الكوكب المنير طلع منه وأضاء به الجو الذي هذا الناظر عن الإستواء زوالا ودلوكا ثم مازال هذا الناظر يتبعه بصره إلى أن غاب جرم ذلك الكوكب فسمى مغيبه غروبا الموضع الذي رأى بصره أنه غاب فيه مغربا وأظلم عليه الجو فسمى مدة استنارة الجو من مشرق ذلك الكوكب إلى مغربه نهار الإتساع النور فيه مأخوذ من النهر الذي هو اتساع الماء في المسيل الذي يجري فيه فما زال الناظر في ظلمة إلى أن طلع الكوكب المسمى درجة فسمى مدة تلك الظلمة التي بقي فيها من وقت غروب الشمس إلى طلوعها ليلا فكان اليوم مجموع الليل والنهار ومعا وسمى المواضع التي يطلع منها هذا الكوكب كل يوم درجا ثم نظر إلى هذا الكوكب النير المسمى شمسا ينتقل في تلك الفروض المقدرة في الفلك المحيط درجة درجة حتى يقطع ذلك بشروق تسمى أياما فكلما أكمل قطع فرض من تلك الفروض شرع في قطع كل فرض آخر إلى أن أكمل الإثني عشر فرضا بالقطع ثم شرع يبتدىء كرة أخرى في قطع تلك الفروض فسمى ابتدأ قطع كل فرض إلى انتهاء قطع ذلك الفرض شهرا وسمى قطع تلك الفروض كلها سنة فتبين لك أن الليل والنهار واليوم والشهير والسنة هي هذه المعبر عنها بالأوقات وتدق إلى مسمى الساعات ودونها وأن ذلك كله لا وجود له في عينه وأنه نسب وإضافات وأن الموجود إنما هو عين الفلك والكوكب لا عين الوقت والزمان وأنها مقدرات فيها أعنى الأوقات وتبين لك أن الزمان عبارة عن الأمر المتوهم الذي فرضت فيه هذه الأوقات فالوقت فرض متوهم في عين موجودة وهو الفلك والكوكب

يقطع حركة ذلك الفلك والكوكب بالفرض المفروض فيه في أمره متوهم لا وجود له يسمى الزمان وقد أبنت لك حقيقة لزمان الذي جعله الله ظرفا للكائنات المتحيزات الداخلة تحت هذا الفلك الموقت فيه المفروض في عينه تعيين الأوقات ليقال خلق كذا وظهر كذا في وقت كذا ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه نفصيلا سبحانه لا إله إلا هو الحكيم القدير وبعد أن علمت ما معنى الزمان لك بهذه النسبة أمرا نسبيا لا حقيقة له في عينه وأنت محدود مخلوق فالأزل أبعد وأبعد أن يكون حدّ لوجود الله في قولك وقول من قال أن الله تلكم في لازل وقال في الآزل وقدّر في أزله كذا وكذا ويتوهم بالوهم فيه أنه امتداد كما تتوهم امتداد الزمان في حقك فهذا من حكم الوهم لا من حكم العقل والنظر الصحيح فإن مدلول لفظة لأزل إنما هو عبارة عن نفي لا ولية لله تعالى أي لا أوّل

نلوجوده بل هو عين الأول سبحانه لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت إحاطتها ومعلولا عنها وفرّق بين ما يعطيه وهمك وعقلك وأكثر من هذا البسط في هذه المسئلة ما يكون فالحق سبحانه يقدّر الأشياء أزلا ولا يقال يوجد أزلا فإنه محال من وجهين فإن كونه موجدا إنما هو بأن يوجد ولا يوجد ما هو موجود وإنما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه بالوجود وهو المعدوم فمحال أن يتصف الموجود الذي كان معدوما بأنه موجود أزلا فإنه موجود عن موجود أوجده والأزل عبارة عن نفي الأولية عن الموصوف به فمن المحال أن يكون العلام أزلي الوجود ووجوده مستفاد من موجده وهو الله تعالى والوجه الآخر من المحال الذي يقال في العلا لم أنه موجود أزلا لأن معقول الأزل نفي الأوّلية والحق هو الموصوف به فيستحيل توصف وجود العلامل بالأزل لأنه راجع إلى قولك العلام مستفيد الوجود من الله غير مستفيد الوجود من الله لأن الأولية قد انتفت عنه بكونه أزلا فيستحيل على العا لم أن يتصف بهذا لوصف السلبيّ الذي هو الأزل ولا يستحيل الموصوف به وهو الحق أن يقال خلق الخلق أزلا بمعنى قدر فإن التقدير راجع إلى العلم وإنما يستحيل إذا كان خلق بمعنى أوجد فإن الفعل لا يكون نأزلا فقد ثبت لك التقدير في الأزل كما ثبت لك التقدير في الزمان وإن الزمان متوهم لا وجود له وكذلك الأزل وصف سلبيّ لا وجود له فإنه ماهو عين الله وما ثم إلا الله وما هو أمر وجوديّ يكون غير الحق ويكون الحق مظروفا له فيحصره من كونه ظرفا كما يحصرنا الزمان من كونه ظرفا لنا على الوجه الذي ذكرناه فافهم وبعد أن عرّفتك معنى الأوقات فلنرجع ونبين المراد بأوقات العبادات ومن العبادات أوقات الصلوات

فصل في أوقات الصلوات

فنقول: أوقات الصلاة منها معين وغير معين فغير المعين وقت تذكر الناسي واستيقاظ النائءم فإن وقته عندما يتذكران كان ناسيا أو يستيقظ إن كان نائما والوقت المعين على قسمين قسم مخلص وقسم مشترك فالمخلص وسط الوقت الموسع في الصلوات كلها وآخر وقت الصبح وأول وقت الظهر فإنه لا يقع فيما ذكرناه اشتراك لصلاة أخرى كما يقع في أواخر الصلوات الأربع والمشترك هو الوقت الذي بين الصلاتين كالظهر والعصر وغيرهما بالخلاف المذكور المعلوم في ذلك عند علمائنا من علماء الشريعة نذكر ذلك في موضعه إن شاء الله عند كلامنا في أوقات الصلوات كلها صلاة صلاة تعلى التفصيل اعتباره قلنا المصلى هو الثاني من السابق في الحلبة وإن الصلاة ثانية في المرتبة من شهادة التوحيد وقد قال الحق سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فجعله في حال الصلاةة ثانيا له في القسمة الإلهية فقال في الصلاة مطلقا وما قيد فرضا من تطوّع وقد قلنا أن الوقت منه معين وهو في الإعتبار

الفرض وغير معين وهو في الإعتبار التطوّع فالعارف الذي هو على صلاته دائم وفي مناجاته بين يدي ربه قائم في حركاته وسكناته فما عنده وقت معين ولا غير معين بل هو صاحب الوقت ومن ليس له هذا المشهد فهو بحسب ما يذكره ربه من الحضور معه غير أن العارف الدائم الحضور إذا لم يفرّق بين الأوقات بما يجده من المزيد والفضل بين ما هو مفروض من ذلك الحضور وبين ماتطوّع به من نفسه فهو ناقص المقام كامل الحال لإستصحابه الحضور الدائم فإن الحضور من الأحوال لا الحضور من وجه كذا فإن الحضور من وجه كذا للكمل من الرجال فالأول من أهل الحضور لا فرق عنده بين الوجوه لأنه مستغرق في الحال كاللذة المجهولة عند الإنسان التي لا يعرف سببها والثاني من أهل الحضور وهو الكامل الدائم الحضور بحكم لوجوه كالواجد للذة بما هي لذة فهو ملتذ دائما وبما هي لذة عن طعم علم أو طعم جماع أو طعم شيء ملائم للمزاج يعلم الذائق ذلك ما بينهنّ من التمييز والفرقان فإن أسماء الحق تعالى تختلف على قلوب الأولياء بفنون المعارف مع الآيات والأنفاس فيجد في كل نفس وزمان علما لم يكن عنده بربه من حيث ما يعطيه ذلك النفس والزمان من تجلى ذلك الاسم الخاص به ولما قسمنا الأوقات إلى مخلص ومشترك فاعلم أن الوقت في هذا الطريق هو ما أنت لبه في حالك أيّ شيء كنت به من حسن وسيء ومعرفة وجهل فلا يرتبط وكذلك الأوقات الزمانية بحسب ما يحدث الله فيها في حقق كل شخص فالمخلص من الأوقات كل اسم إذا ورد عليك لم يقع في حكمه اشتراك والمشترك كل اسم له وجهان فصاعدا فالأوّل كالحيّ فإنه مخلص للحياة وكذلك العلام مخلص للعلم والثاني الذي هو المشترك نظير الوقت المشترك كالاسم الحكيم فإن له وجها إلى العالم ووجها إلى المدبر فإن للاسم الحكيم حكمين حكما على مواضع الأمور وحكم وضعها في مواضعها بالفعل فكم من عالم لا يضع الشيء في موضعه وكم واضع للأشياء في مواضعها بحكم الإتفاق لا عن علم فالحكيم ههو العالم بمواضع الأمور ووضعها في أماكنها على بصيرة فمن كان وقته الحكمة كان في الوقت المشترك ومن كان في اسم لا يدل إلا على أمر واحد كالقادر وأمثاله كان في الوقت المخلص فهذه أوقات العارفين في صلواتهم المعنوية على مثال أوقاتهم الظاهرة في صلواتهم البدنية

فصل في وقت صلاة الظهر

قال تعالى إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي مفروضة في وقت معين سواء كان موسعا أو مضيقا فإنه معين ولابدّ بقوله موقوتا فمن أخرج صلاة مفروضة عن وقتها المعين له كان ما كان من ناس أو متذكر فإنه لا يقضيها أبدا ولا تبرأ ذمّته فإننه ما صلى الصلاة المشروعة إذ كان الوقت من شورط صحة تلك الصلاة فليكثر النوافل بعد التوبة ولا قضاء عليه عندنا لخروج وقتها الذي هو شرط في صحتها ووقت الناسي والنائم وقت تذكره واستيقاظه من نومه وهو مؤدّ ولا بدّ لا يسمى قاضيا على الإعتبار الذي يراه الفقهاء لا على ما تعطيه اللغة فإن القاضي والمؤدي لا فرق بينهما في اللسان فكل مؤد للصلاة فقد قضى ما عليه فو قاض بأدائه ما تعين عليه أداؤه من الله فلنقل أمّا وقت صلاة الظهر فاتفق العلماء بالشريعة أن وقت الظهر الذي لا تجوز قبله هو الزوال واختلفوا منها في موضعين في آخر وقتها الموسع وفي وقتها المرغب فيه فأمّا آخر وقتها الموسع فمن قائل هو أن يكون ظل كل شيء مثله ومن أصحاب هذا القول من يقول أن ذلك المثل الذي هو آخر وقت الظهر هو أول وقت العصر ومن قائل منهم أنه آخر وقت الظهر خاصة فإن أوّل وقت العصر إنما هو المثلان وإن ما بين المثل والمثلين لا يصلح لصلاة الظهر وأمّا وقتها المرغب فيه فمن قائل

أوّل الوقت للمنفرد أفضل ومن قائل أوّل الوقت أفضل للمنفرد والجماعات إلا في شدّة الحر ومن قائل أوّل الوقت أفضل بإطلاق في انفراد وجماعة وحرّ وبرد ولكل قائل استدلال ليس هذا موضعه اعتباره الإستواء هو وقوف العبد المربوب في محل النظر من غير ترجيح فيما يعمل أي بأي نية يقصد العبادة هل يعتبر بذلك أداء ما يلزمه من حيق العبودية وكونه مربوبا أو يعتبر ما يلزمه بذلك من أداء حق سيده وربه فهوفي حال الإستواء من غير ترجيح فإذا زالت الشمس ترجح عند ذلك الزوال عنده أن يعبده لما تستحقه الربوبية على العبودية من الأنعام على هذا العبد من وقت الطلوع إلى وقت الإستواء فيعبده شكرا لهذه النعمة وإن نظر إلى زوالها بعين المفارقة لطلب الغروب عنه وإسدال الحجاب دونه عبده ذلة وفقرا وإنكسارا وطلبا للمشاهدة فلا يزال يرقبها إلى الغروب ومن الغروب يرقب آثارها بصلاة المغرب والتنفل بعدها إلى مغيب الشفق فيغيب أثرها فيبقى في ظلمة الليل سائلا باكيا متضرّعا يراعي نجوم الليل لاستنارتها بنور الشمس ويسأ ل ويتضرع إلى طلوع الفجر فيرى آثار المجيء وقبول دعائه فيعبده شكرا على ذلك وهو يشاهد آثار القبول فيؤدّي فرض الصبح ولا يزال مراقبا بالذكر إلى أن تنجلي طالعة فإذا ابيضت وزال عنها التغير الذي يحول بين البصر وبين بياضها من حجب أبخرة الأرض وهي الأنفاس الطبيعية قام إجلالا على قدم الشكر إلى حد الإستواء فلا يزال في عبادة الفرح والشكر إلى أن تزول فيرجع إلى عبادة الصبر والإفتقار وتوقع المفارقة ما دام حيا فهو بين عبادتين وذلك أنه لما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ترون ربكم كما ترون الشمس فاعتبر ذلك في عبادته في صلواته المفروضة والتطوع شكرا وفقرا بين نعمة وبلاء وشدة ورخاء فإن المؤمن من استوى خوفه ورجاؤه فهو يدعو ربه خوفا من حد الزوال إلى الغروب الشفقي وطمعا بقية ليلته إلى طلوع الفجر إلى طلوع الشمس إلى حد الإستواء طمعا أن لا يكون حجاب بعد ذلك هكذا هي عبادات العارفين فافهم فأما آخر الوقت الموسع فهو آخر أحكام الاسم الإلهي المخصوص بذلك الوقت وهو الاسم الظاهر كما أن أول الزوال حكم الاسم الإلهي الأول في الظهور الخاص بالعبادة المشروعة إلى أن يكون ظل كل شيء مثله وهو آخر الوقت كذلك حكم الاسم الإلهي إذا قام به هذا العبد في عبادته الخاصة به في هذا الوقت واستوفاه بحيث أن يكون إذا قابله به كان مثله أي لم يبق في الاسم الإلهي حكم يختص به بهذا الوقت إلا وأثره ظاهر في هذا العبد فقد انقضى حكم هذا الاسم الإلهي في هذا العبد فخرج وقت الظهر ودخل وقت العصر وهو حكم اسم آخر بين الإسمين فرقان متوهم لا ينقسم معقول غير موجود وهو برزخ بينهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت عنه لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت الأخرى يعني في الأربع الصلوات لدليل آخر فإنه إذا خرج وقت الصبح لم يدخل وقت الظهر حتى تزول الشمس بخلاف الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح فاعلم ذلك فإن

اليوم أربع وعشرون ساعة وهو أربعة أرباع كل ربع ست ساعات فمن طلوع الشمس إلى الظهر ربع اليوم ست ساعات وليس بمحل لصلاة مفروضة بحكم التعيين وإنما قلنا بحكم التعيين من أجل الناسي والنائم فإن الوقت مما عين إيقاع الصلاة في ذلك الوقت. وإنما عينه للناسي تذكره وللنائم تيقظه شرعا فسواء كان في ذلك الوقت أو في غيره فلهذا حررنا القول في ذلك وقلنا بحكم التعيين فإن مذهبي في كل ما أورده أني لا أقصد لفظة بعينها دون غيرها مما يدل على معناها إلا لمعنى ولا أزيد حرفا إلا لمعنى فما في كلامي بالنظر إلى قصدي حشو وإن تخيله الناظر فالغلط عنده في قصدي لا عندي وكان من زوال الشمس إلى طلوعها من اليوم الثاني وقتا مستصحبا لصلوات معينة مفروضة فيها متى وقعت وقعت في وقتها المعين لها كذلك الإنسان مقسم على أربعة أرباع الثلاثة لأرباع منه متعبدة لله بأعمال مخصوصة كالثلاثة الأرباع من اليوم فأرباع الإنسان ظاهره وباطنه الذي هو قلبه ولطيفته التي هي روحه المخاطب منه وطبيعته فظاهره وقلبه وروحه لا ينفك عن عبادة أصلا تتعلق به فأما أن يطيع وإما أن يعصي والربع الواحد طبيعته

وهو مثل زمان طلوع الشمس إلى الزوال من اليوم فهو يتصرف بطبعه مباحا له ذلك لا حرج عليه إلا أن شاء أن يلحقها بسائر أرباعه في العبادات فيعمل المباح له عمله من كونه مباحا شرعا ويحضر مع الإيمان به كالمصلي من طلوع الشمس وإضاءتها إلى أول الزوال أعني الإستواء فلا يمنع من ذلك وهو ليس بوقت وجو لشيء من الصلوات الخمس معين فافهم وأما اعتبار الوقت المرغب فيه على ما ذكرناه من الإختلاف واتفق الكل على الأولية أو الأكثر واختلفوا في الأحوال فاعلم أن الأول أفضل الأشياء وأعلاها لأنه لا يكون عن شيء بل تتكون الأشياء عنه فلو كان عن شيء لم تصح له الأولية على الإطلاق فكذلك العبد يسعى في أن يعبد ربه من حيث أولية ربه لا من حيث أولية عينه فإن أولية عينه عن أوليات كثيرة قبله وأعني بذلك الأسباب فهو سبحانه السبب الأول الذي لا سبب لأوليته فإذا عبده العارف في تلك الأولية المتزهة عن أن يتقدمها أولية انسحبت عبادة هذا العارف من هناك على عبادة كل مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات إلى حين وجوده وهي الأولية المؤثرة في إيجاد الكائنات فقد عبده في الوقت المرغب فيه سواءء عبده بصفة خاصة من أعضائه المكلفة كصلاة الفذ المنفرد أو عبده بجميع أعضائه كصلاة الجماعة أو في زمان الحرّ أي في شدة خوفه ومجاهدته وحرقة اشتياقه ووجده وولهه وكلفه أو في برد أي في حال علمه وثلج يقينه وبرده على أي حالة كان فالأولية أفضل له فإن الله يقول آمرا سارعوا وسابقوا وأثنى على من هذه حالته فقال أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فالمبادرة إلى أول الأوقات في العبادات هو الحوط والمطلوب من العباد في حال التكليف ولهذا الإحتراز والإحتياط يحمل الأمر الإلهي إذا ورد معرى عن قرائن الأحوال التي يفهم منها الندب أو الإباحة على الوجوب ويحمل النهي كذلك على الخطر إذا تعرى عن قرينة حال تعطيك الكراهة ولا تتوقف عن حمل الأمر والنهي على ما قلناه إلا بقرينة حال تخرجهما عن حكم الوجوب في الأمر وحكم الخطر في النهي فقد بان لك يا أخي اعتبار الأوقات مطلقا واعتبار الوقت المرغب فيه بعد أن عرفناك بمذاهب علماء الشريعة فيه للجمع بين العبادتين الظاهرة في حسك والباطنة في عقلك فنكون من أهل الجمع والوجود فإنك إذا طلبت الطريق إلى الله من حيث ما شرعه الله كان الحق الذي هو المشرع غايتك وإذا طلبته من حيث ما تعطيه نفسك من الصفاء والإلتحاق بعالمها من التتره عن الحكم الطبيعي عليها كان غايتها الإلتحاق بعالم الروحاني خاصة ومن هناك تنشأ لها شرايع الأرواح تسلك عليها وبها حتى يكون الحق غايتها هذا إن فسح الله له في الأجل وإن مات فلن يدرك ذلك أبدا وقد أفردنا لهذه الطريقة خلوة مطلقة غير مقيدة في جزء يعمل عليها المؤمن فيزيد إيمانا ويعمل بها وعليها غير المؤمن من كافر ومعطل ومشرك ومنافق فإذا وفي العمل عليها وبها كما شرطناه وقررناه فإنه يحصل له العلم بما هو الأمر عليه في نفسه ويكون ذلك سبب إيمانه بوجود الله إن كان معطلا وبتوحيد الله إن كان مشركا وبحصول إيمانه إن كان كافرا وبإخلاصه إن كان منافقا أو مرتابا فمن دخل تلك الخلوة وعمل بتلك الشرائط

كما قررنا أثمرت له ما ذكرنا وما سبقني إليها أحد في علمي إلا أن كان وما وصل إلي فإن الله لا تحجير عليه يؤتي الحكمة من يشاء فإني أعلم أن أحدا من أهل الطريق ما يجهلها إن كان صاحب كشف تام ولكن ما ذكروها ولا رأيت أحدا منهم نبه عليها إلا الخلوات المقيدة ولولا ما سألني فيها أخونا وولينا أبو العباس أحمد بن علي ابن ميمون بن آب التوزري تم المصري المعروف بالقسطلاني المجرور والان بمكة ما خطر لنا الإبانة عنها فربما اتفق لمن تقدمنا مثل هذا فلم نبهوا عليها لعدم السائل

فصل بل وصل في وقت صلاة العصر

اختلف علماء الشريعة في أول وقتها مع آخر وقت صلاة الظهر وفي آخر وقت صلاة العصر فمن قائل أن أول وقت العصر هو بعينه آخر وقت الظهر وهو إذا صار ظل كل شيء مثله واختلف القائلون بهذا القول فمن قائل أن ذلك الوقت مشترك للصلاتين معا ومقداره أن يصلي فيه أربع ركعات إن كان مقيما أو ركعتين إن كان مقصرا ومن قائل آخر وقت الظهو هو الآن الذي هو أول وقت العصر وهو زمان لا ينقسم جاء الحديث الثابت في إمامة جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الظهر في اليوم الثاني في الوقت الذي صلى فيه العصر في اليوم الأول وفي الحديث الثابت الآخران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر وقت الظهر مالم يدخل وقت العصر وحديث آخر ثابت لا يخرج وقت صلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى فالحديث الأول يعطي الإشتراك في الوقت والحديثان الآخران يعطي الزمان الذي لا ينقسم فيرفع الإشتراك والقول هنا أقوى من الفعل لأن الفعل يعسر الوقوف على تحقيق الوقت به وهو من قول الصاحب على ما أعطاه نظره وقول النبي صلى الله عليه وسلم يخالف ما قال الصاحب وحكم به على فعل صلاة جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم للفعل الذي فسره الراوي والأخذ بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أمرنا الله أن نأخذ به قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه فكان ينبغي في هذه المسئلة وأمثالها أن لا يتصور خلاف ولكن الله جعل هذا الخلاف رحمة لعباده واتساعا فيما كلفهم به من عبادته لكن فقهاء زماننا حجر وأوضيقوا على الناس المقلدين للعلماء ما وسع الشرع عليهم فقالوا للمقلد إذا كان حنفي المذهب لا تطلب رخصة الشافعي فيما نزل بك وكذلك لكل واحد منهم وهذا من أعظم الرزايا في الدين والحرج والله يقول ما عليكم في الدين من حرج والشرع قد قرر حكم المجتهد له في نفسه ولمن قلده فأبوا فقهاء زماننا ذلك وزعموا أن ذلك يؤدي إلى التلاعب بالدين وهذا غاية الجهل منهم فليس الأمر والله كما زعموا مع إقرارهم على أنفسهم أنها ليسوا بمجتهدين ولا حصلوا في رتبة الإجتهاد ولا نقلوا عن أئمتهم أنهم سلكوا هذا المسلك فاكذبوا أنفسهم أنهم ما عندهم استعداد الإجتهاد ولذي حجروه على المقلدين ما يكون إلا بالإجتهاد نعوذ بالله من العمى والخذلان فما أرسل الله رسوله إلا ترحمة للعالمين وأي رحمة أعظم من تنفيس هذا الكرب المهم والخطب الملم وأما آخر وقت العصر فمن قائل أن آخر وقتها أن يصير ظل كل شيء مثليه ومن قائل أن آخر وقتها مالم تصفر الشمس ومن قائل أن آخر وقتها قبل أن تغرب الشمس بركعة وبه أقول الإعتبار قد تقدم الإعتبار في الوقت المشترك بالإسماء الإلهية في حق المتخلق بها من أهل الله وغير المشترك فليؤخذ في كل الصلوات مطلقا وما بقي من الإعتبار في هذا الفصل إلا الإعتبار في الآن الذي لا يقسم وفي الإصفرار ما اعتبار الآن الفاصل بين الوقتين فهو العين الفاصل بين الإسمين اللذين لا يفهم من كل واحد منهما اشتراك فطهر حكم كل اسم منهما على الانفراد وهو حد الواقف عندنا فإن الإنسان السالك إذا انتقل من مقام قد احتكمه وحصله تخلقاً وذوقاً وخلقاً إلى مقام آخر يريد تحصيله أيضاً يوقف بين المقامين وقفة يخرج حكم تلك الوقفة عن حكم المقامين عن حكم المقام الذي انتقل عنه وعن حكم المقام الذي يريد الانتقال إليه يعرف في تلك الوقفة بين المقامين وهو كالآن بين الزمانين آداب المقام الذي ينتقل إليه وما ينبغي أن يعامل به الحق فإذا أبين له عنه دخل في حكم المقام الذي انتقل إليه على علم فإن المقامات في هذا الطريق كأنواع الأعمال في الشريعة مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك فكما أن لكل نوع من هذه الأعمال علم يخصه كذلك لكل مقام آداب ومعاملة تخصه وقد بين ذلك محمد بن عبد الجبار النفري في كتابه الذي سماه بالمواقف والقول وقفت على أكثره وهو كتاب شريف يحوي على علوم آداب المقامات يقول في ترجمة الموقف اسم الموقف يقول في انتقاله

إلى موقف العلم مثلاً وهو من جملة مواقفه في ذلك الكتاب فقال موقف العلم ثم قال أوقفني في موقف العلم وقال لي يا عبدي لا تأتمر للعلم ولا خلقتك لتدل على سواي ثم قال قال لي الليل لي لا للقرآن يتلى الليل لي لا للمحمدة والثناء إلى أن ينتهي إلى جميع ما يوقفه الحق عليه فإذا عرف حينئذ يدخل إلى ذلك المقام وهو يعرف كيف يتأدب مع الحق في ذلك المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أدبني فحسن أدبي فهذا هو الآن الذي بين الصلاتين فأهل الأذواق من أهل الله يوقفون فيه فيعطون آداب الصلاة التي ينبغي أن يعامل الله بها في ذلك اليوم الخاص هكذا في صلوات كل يوم مع الله في مقام العلم فهذا هو الآن الذي بين الصلاتين وأمّا اعتبار الاصفرار في أنه الحد الآخر وقت العصر فاعلم أولاً أن الاصفرار تغيير يطرأ في عين الناظر فيحكم به أنه في نور الشمس من أبخرة الأرض الحائلة بين البصر وبين أدراك خالص نور الشمس فاعتباره ما يطرأ في نفس العبد في حكم لاسم الإلهيّ الحق من الخواطر النفسية العرضية في نفس ذلك الحكم فينسبه إلى الحق بوجه غير مخلص وينسبه إلى نفسه بوجه غير مخلص ويقع مثل هذا في الطريق من الأديب ومن غير الأديب فأمّا وقوعه من الأديب فهو الذي يعرف أن الور في نفسه لم يصفرّ ولا تغير وهو أن يعلم أن الحكم للاسم الإلهيّ مخلص لا حكم النفس معه وإنما هو ذلك الحكم ربما تعلق عنده اسم عيب عرفاً أو شرعاً فينزه جناب الحق تعالى عن ذلك الحكم بأن ينسبه إليه ولكن بمشيئة الله ويقول "وإذا مرضت فهو يشفين" هذا هو العيب عرفاً فأضيف المرض إلى نفسه إذ كان عيباً عنده وأضاف الشفاء إلى ربه إذ كان حسناً ومع هذا القصد فإن الظاهر في اللفظ إزالة حكم الاسم الإلهيّ الذي أمرضه فلما علم الخليل عليه السلام هذا القدر نادى ذلك الاسم الذي أمرضه بقوله "رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين" يقول إنه أخطأ وإن كان قصد الأدب حيث نسب المرض لنفسه وما نسبه إلى حكم الاسم إلهيّ الذي أمرضه وللقد إلا الأدب معه حتى لا يضيف ما هو عيب عندهم عرفاً إلى حكم الاسم الإلهي فيفهم من هذا الاعتراف أن الحكم كان للاسم الإلهي وهو كان مقصود الاسم فجمع هذا العارف بين أدبين في هذه المسئلة بين أدب نسبة المرض إلى نفسه وبين الأدب في التعريف إن ذلك المرض حكم ذلك الاسم الإلهيّ من غير تصريح لكن بالتضمين والإجمال في قوله "رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين" ولم يسم الخطيئة ما هي يوم الدين يقول يوم الجزاء وهكذا في قوله "وما أنسانيه إلا الشيطان" وهو قول يوشع فتى موسى لموسى عليهما السلام وفي الحقيقة ما أنساه إلا اسم إلهيّ حكم عليه بذلك فأضافه لي الشيطان أدباً مع ذلك الاسم الإلهي الذي أنساه أن يعرّف موسى عليه السلام بحياة الحوت لما أراد الله من تمام ما سبق به العلم الإلهيّ من زيادة الأقدام التي قدر له أن يقطع بها تلك المسافة ويجاوز بها المكان الذي كان فيه خضر فارتدّا على آثارهما قصصاً أي يتبعان الأثر إلى أن عادا إلى المكان فوجداه تنبيهاً من الله وتأديباً لما جاوزه من الحدّ في إضافته العلم إلى نفسه بأنه أعلم من في الأرض في زمانه فلو كان عالماً لعلم دلالة الحق التي هي عين اتخاذ الحوت سرباً وما علم ذلك وقد علمه يوشع ونساه الله التعريف بذلك ليظهر لموسى تجاوزه الحدّ في دعواه ولم يردّ ذلك إلى الله في علمه في خلقه القصة إلى آخرها وفيها ما يتعلق باعتبار الصفرة التي دخلت على نور الشمس في قوله في قتل الغلام فأردنا فجعل الضمير يعود على الاسم الإلهيّ وعليه على الاسم الإلهيّ بما كان في ذلك القتل من الرحمة بالأبوين وبالغلام وعليه بقتل نفس زكية بغير نفس فظاهره جور فشرّك في الضمير بينه وبين الله فدخل في نسبة الفعل إلى الله في الظاهر اصفرار أي تغيير باشتراك اسم الخضر في الضمير معه مع قصد الأدب ثم قال "وما فعلته عن أمري" أي الحق علمني الأدب معه فهذا قد أبنت لك اعتبار الآن واصفرار الشمس فأطرده حيث وجدت معنى الآن الفاصل بين الزمانين والصفرة التي دخل على النور الخالص من اسمه النور سبحانه مثل قوله تعالى بأنه "نور السموات والأرض" فلما لم يطلق على نفسه اسم النور المطلق الذي لا يقبل الإضافة وقال "نور السموات والأرض" ليعلمنا ما أراد

بالنور هنا فأثر حكم التعليم والإعلام في النور المطلق الإضافة فقيدته عن إطلاقه بالسموات والأرض فلما أضافه نزل عن درجة النور المطلق في الصفة فقال "مثل نوره" أي صفة نوره يعني المضاف إلى السموات والأرض كمشكاة إلى أن ذكر المصباح ومادّته وأين صفة نور السراج وإن كان بهذه المثابة من صفة النور الذي أشرقت به

السموات والأرض فعلمنا سبحانه في هذه الآية الأدب في النظر في اسمائه إذا أطلقناها عليه بالإضافة كيف نفعل وإذا أطلقناها عليه بغير الإضافة كيف نفعل مثل قوله "يهدي الله لنوره من يشاء" فأضاف النور هنا إلى نفسه لا إلى غيره وجعل النور المضاف إلى السموات والأرض هادياً إلى معرفة نوره المطلق كما جعل المصباح هادياً إلى نوره المقيد بالإضافة وتم ذلك بقوله كذلك يضرب الله الأمثال ثم نهانا عن مثل هذا فقال "فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون" والله اسم جامع لجميع الأسماء الإلهية محيط بمعانيها كلها وضرب الأمثال يخص اسماً واحداً معيناً فإن ضربنا الأمثال لله وهو اسم جامع شامل فما طبقنا المثال على الممثل فإن المثال خاص والممثل به مطلق فوقع الجهل بلا شك فنهينا أن نضرب المثل من هذا الوجه إلا أن نعين اسماً خاصاً ينطبق المثل عليه فحينئذ يصح ضرب المثل لذلك الاسم الخاص كما فعل الله في هذه الآية فقال الله وما ضرب المثل للاسم الله وإنما عين سبحانه اسماً آخر وهو قوله "نور السموات والأرض" فضرب المثل بالمصباح لذلك الاسم النور المضاف أي هكذا فافعلوا ولا تضربوا الأمثال لله فإني ما ضربتها فافهموا فهمنا الله وإياكم مواقع خطابه وجعلنا ممن تأدّب بما عرفناه من آدابه إنه اللطيف بأحبابه.

فصل بل وصل في وقت صلاة المغرب الشاهد

اختلف علماؤنا في وقت صلاة المغرب هل لها وقت موسع كسائر الصلوات أم لا فمن قائل إن وقتها واحد غير موسع ومن قائل إن وقتها موسع وهو ما بين غرووب الشمس إلى مغسب الشفق وبه أقول اعتبار الباطن في ذلك اعلم أنه إنما كان الاختلاف لما كانت صلاة المغرب وتراً والوتر أحديّ الأصل فينبغي أن يكون لها وقت واحد من أجل المناسبة في نقوله لذلك ورد في إمامة جبريل عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صلى المغرب في اليومين في وقت واحد في أوّل فرض الصلوات لأن الملك أقرب إلى الوترية من البشر والمغرب وتر صلاة النهار كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل إن الله قد زادكم صلاة إلى صلاتكم وذكر صلاة الوتر فأوتروا يا أهل القرآن فشبهها بالفرائض وأمر بها ولهذا جعلها من جعلها واجبة دون الفرض وفوق السنة وأثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه ولما رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن الله قد شرع وتر صلاة الليل وزاده إلى الصلاة المفروضة وفيها المغرب وهو وتر صلاة النهار وقال إن الله وتر يحب الوتر فقيد المغرب بوترية صلاة النهار وقيد الوتر بوترية صلاة الليل وقال إن الله وتر يحب الوتر يعني يحب الوتر لنفسه فشرع لنا وترين ليكون شفعاً لأن الوترية في حق المخلوق محال قال تعالى "ومن كل شيء خلقنا زوجين" حتى لا تنبغي الأحدية إلا لله ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد شرع وتر صلاة الليل ليشفع به وتر صلاة النهار لينفرد سبحانه بحقيقة الوترية التي لا تقبل الشفعية فإنه ما ثم في نفس الأمر إله آخر يشفع وترية الحق تعالى كما شفعت وترية صلاة الليل وترية صلاة النهار فكان مما قال فيه ومن كل شيء خلقنا زوجين فحق وترين فكان كل واحد منهما يشفع وترية صاحبه ولهذا لم يلحقها رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة النافلة بل قال زادكم صلاة إلى صلاتكم يعني الفرائض ثم أمر بها أمّته فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إمامة جبريل عليه السلام به صلى الله عليه

وسلم عن وقت الصلاة صلى بالناس يومين صلى في اليوم الأول في أول الأوقات وصلى في اليوم الثاني في آخر الأوقات الصلوات الخمس كلها وفيها المغرب ثم قال للسائل الوقت ما بين هذين فجعل للمغرب وقتين كسائر الصلوات وألحقها بالصلاة الشفعية وإن كانت وتراً ولكنها وتر مفيد شفعية وتر صلاة الليل فوسع وقتها كسائر الصلوات وهو الذي ينبغي أن يعوّل عليه فإنه متأخر عن إمامة جبريل فوجب الأخذ به فإن الصحابة كانت تأخذ بالأحدث فالأحدث من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان صلى الله عليه وسلم كان يثابر على الصلاة في أول الأوقات فلا يدل ذلك على أن الصلاة ما لها وقتان وما بينهما فقد أبان عن ذلك وصرّح به وما عليه صلى الله عليه وسلم إلا البلاغ والبيان وقد فعل صلى الله عليه وسلم فهذا اعتبار وتعليل يهدي إلى الحق وإلى سواء السبيل.

فصل بل وصل في وقت صلاة العشاء الآخرة

اختلفت علماء الشريعة في وقتها في موضعين في أول وقتها وآخر وقتها فمن قائل إن أول وقتها مغيب حمرة الشفق وبه أقول ومن قائل إن أول وقتها مغيب البياض الذي يكون بعد الحمرة والشفق شفقان وهو سبب الخلاف فالشفق الأول صادق البياض الذي بعده هو الشفق الثاني تقع فيه الشبهة فإنه قد يشبه أن يكون شبه الفجر الكاذب الذي هو ذنب السرحان وهو المستطيل وجعله الشارع من الليل ولا يجوز بظهوره صلاة الصبح ولا يمنع مريد الصوم من الأكل ويشبه أن يكون شبيه الفجر المستطير الذي يصلى بظهوره صلاة الصبح ولا يجوز للصائم أن يأكل بظهوره إلا أن الأظهر عندي أنه شبيه الفجر المستطير الذي يصلى بظهوره الصبح وذلك لاتصاله بالحمرة إلى طلوع الشمس لا ينقطع بظلمة كما ينقطع الفجر الكاذب كذلك البياض الذي في أول الليل متصل بالحمرة فإذا غابت الحمرة بقي البياض فلو كانت بين البياض والحمرة ظلمة قليلة كما يكون بين الفجر المستطيل وحمرة أسفار الصبح كنا نلحقها بالفجر الكاذب ونلغي حكمها فكان والله أعلم أن الذي يراعي مغيب البياض في أول وقت العشاء أوجه ولكن إذا ثبت أن الشارع صلى في البياض بعد مغيب الشفق الأحمر فنقف عنده فللشارع أن يعتبر البياض والحمرة التي تكون في أول الليل بخلاف ما نعتبرها في آخر الليل وإن كان ذلك عن آثار الشمس في غروبها وطلوعها وأمّا قوله تعالى "والصبح إذا تنفس" فالأوجه عندي في تفسيره أنه الفجر المستطيل لانقطاعه كما ينقطع نفس المتنفس ثم بعد ذلك تتصل أنفاسه وأمّا آخر وقتها فمن قائل إنه ثلث الليل ومن قائل إنه إلى نصف الليل ومن قائل إنه إلى طلوع الفجر وبه أقول ولقد رأيت قولاً ولا أدري من قاله ولا أين رأيته إن آخر وقت صلاة العشاء ما لم تنم ولو سهرت إلى طلوع الفجر الاعتبار في الباطن في ذلك الاعتبار في أول وقت هذه الصلاة وآخره اعلم أن العالم قد قسمه الحق على ثلاث مراتب وقسم الحق أوقات الصلوات على ثلاث مراتب فجعل عالم الشهادة وهو عالم الحس والظهور هو بمنزلة صلاة النهار فأناجي الحق بما يعطيه عالم الشهادة والحس من الدلالة عليه وما ينظر إليه من الأسماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يعني في الصلاة فناب العبد هنا مناب الحق وهذا من الاسم الظاهر فكان الحق ظهر بصورة هذا القائل سمع الله لمن حمده وكذلك قوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في حق الأعرابيّ فأجره حتى يسمع كلام الله وهو ما سمع إلا الأصوات والحروف من فم النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال الله إن ذلك كلامي وأضافه إلى نفسه فكان الحق ظهر في عالم الشهادة بصورة التالي لكلامه فافهم وجعل عالم الغيب وهو عالم العقل

وهو بمنزلة صلاة العشاء وصلاة الليل من مغيب الشفق إلى طلوع الفجر فيناجي المصلى ربه في تلك الصلاة بما يعطيه عالم الغيب والعقل والفكر من الأدلة والبراهين عليه سبحانه وتعالى وهو خصوص دلالة لخصوص معرفة يعرفها أهل الليل وهي صلاة المحبين أهل الأسرار وغوامض العلوم المكتنفين بالحجب فيعطيهم من العلوم ما يليق بهذا الوقت وفي هذا العالم وهو وقت معارج الأنبياء والرسل والأرواح البشرية لرؤية الآيات الإلهية المثالية والتقريب الروحانيّ وهو وقت نزول الحق من مقام الاستواء إلى السماء الأقرب إلينا للمستغفرين والتائبين والسائلين والداعين فهو وقت شريف ومن صلى هذه الصلاة في جماعة فكأنما قام نصف ليله وفي هذا الحديث رائحة لمن يقول إن آخر وقتها إلى نصف الليل وجعل سبحانه عالم التخيل والبرزخ الذي هو تنزل المعاني في الصور الحسية فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية وليست من عالم الشهادة لأنها معاني مجرّدة وإن ظهورها بتلك الصور أمر عارض عرض للمدرك لها لا للمعنى في نفسه كالعلم في صورة للبن والدين في صورة القيد والإيمان في صورة العروة وهو من أوقات الصلوات وقت المغرب ووقت صلاة الصبح فإنهما وقتان ما هما من الليل ولا من النهار فهما برزخان بينهما من الطرفين لكون زمان الليل والنهار دورياً ولهذا قال تعالى يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل من كوّر العمامة فيخفي كل واحد منهما بظهور الآخر كما قال يغشى الليل النهار أي يغطيه وكذلك النهار يغشى الليل فيناجي المصلي ربه في هذا الوقت بما يعطيه

عالم البرزخ من الدلالات على الله في التجليات وتنوّعاتها والتحوّل في الصور كما ورد في الأخبار الصحاح غير أن برزخية صلاة المغرب هو خروج العبد من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فيمرّ بهذا البرزخ الوتري فيقف منه على أسرار قبول عالم الغيب لعالم الشهادة وهو بمنزلة الحس الذي يعطي للخيال صورة فيأخذها الخيال بقوّة الفكر فيلحقها بالمعقولات لأن الخيال قد لطف صورتها التي كانت لها في الحس من الكثافة فتروحنت بوساطة هذا البرزخ وسببه وتر صلاة المغرب فإن الفعل للوتر فهو الذي لطف صورتها على الحقيقة ليقبلها عالم الغيب والعقل لأن العقل لا يقبل صور الكثيف والغيب لا يقبل الشهادة فلا بدّ أن يلطف البرزخ صورتها حتى يقبلها عالم الغيب وكذلك برزخ الفجر وهو خروج عالم الغيب إلى عالم الشهادة والحس فلا بد أن يمر ببرزخ الخيال وهو وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فما هو من عالم الغيب ولا من عالم الشهادة فيأخذ البرزخ الذي هو الخيال المعبر عنه بوقت الفجر إلى طلوع الشمس المعاني المجرّدة المعقولة التي لها الليل فيكثفها الخيال في برزخه فإذا كساها كثافة من تخيله بعد لطافتها حينئذ وقعت المناسبة بينها وبين عالم الحس فتظهر صورة كثيفة في الحس بعدما كانت صورة روحانية لطيفة غيبية فهذا من أثر البرزخ بردّ المعقول محسوساً في آخر الليل ويردّ المحسوس معقولاً في أول الليل مثاله أن لصورة الدار في العقل صورة لطيفة معقولة إذا نظر إليها الخيال صوّرها بقوّته وفصلها وكثفها عن لطافتها في العقل ثم صرف الجوارح في بنائها بجمع اللبن والطين والجص وجميع ما تخيله البناء المهندس فأقامها في الحس صورة كثيفة يشهدها البصر بعدما كانت معقولة لطيفة تتشكل في أيّ صورة شاءت فزالت عنها في الحس تلك القوّة بما حصل لها من التقييد فتلقى النهار كله مقيدة بتلك الصورة على قدر طول النهار فإن كان النهار لا انقضاء له كيوم الدار الآخرة فتكون الصورة لا ينتهي أمدها وإن كان النهار ينقضي كيوم الدنيا وأيامها متفاضلة فيوم من أربع وعشرين ساعة ويوم من شهر ويوم من سنة ويوم من ثلاثين سنة ودون ذلك وفوق ذلك فتبقى الصورة مقيدة بتلك المدّة طول يومها وهو المعبر عنه بعمرها إلى الأجل المسمى إلى أن يجيء وقت المغرب فيلطف البرزخ صورتها وينقلها من عالم الحس ويؤدّيها إلى عالم العقل فترجع إلى لطافتها من حيث جاءت هكذا حركة هذا الدولاب الدائر فإن فهمت وعقلت هذه المعاني التي أوضحنا لك أسرارها علمت علم الدنيا وعلم الموت وعلم الآخرة والأزمنة المختصة بكل محل وأحكامها والله يفهمنا وإياك حكمه

ويجعلنا ممن ثبت في معرفته قدمه فالليل ثلاثة أثلاث والإنسان ثلاثة عوالم عالم الحس وهو الثلث الأول وعالم خياله وهو الثاني وعالم معناه وهو الثلث الآخر من ليل نشأته وفيه يترل الحق وهو قوله وسعني قلب عبدي وقوله إن الله لا ينظر إلى صوركم وهو الثلث الأول ولا إلى أعمالكم وهو الثلث الثاني ولكن ينظر إلى قلوبكم وهو الثلث الآخر فقد عمّ الليل كله فمن قال إن آخر الوقت الثلث الأول فباعتبار ثلث الحس ومن قال آخره إلى نصف الليل وهو وسط الثلث الثاني فباعتبار الثلث الثاني وهو عالم خياله لأنه محل العمل في التلطيف أو التكثيف ومن قال إلى طلوع الفجر فباعتبار عالم المعنى من الإنسان وكل قائل بحسب ما ظهر له وقد وقع الإجماع بطلوع الفجر إنه يخرج وقت صلاة العشاء فالظاهر أن آخر الوقت إلى طلوع الفجر لمحل الإجماع والاتفاق على خروج الوقت بطلوع الفجر وبقولنا يقول ابن عباس إن آخر وقتها إلى طلوع الفجر.

فصل بل وصل في وقت صلاة الصبح

اتفق الجميع على أن أول وقت الصبح طلوع الفجر وآخره طلوع الشمس واختلفوا في وقتها المختار فمن قائل إن الأسفار بها أفضل ومن قائل إن التغليس بها أفضل وبه أقول الاعتبار في الباطن في ذلك اعلم أنه من غلب على فهمه من قوله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى في رؤية الله إن ذلك راجع إلى العلم والعقل لا إلى البصر وبه قال جماعة من العقلاء النظار من أهل السنة فهم بمترلة من يرى التغليس ومن غلب على فهمه مما ورد في الشرع من الرؤية إن ذلك بالبصر وإنه لا يقدح في الجناب الإلهيّ وإن الجهة لا تقيد البصر وإنما تقيد الجارحة فهو بمترلة من يرى الأسفار بصلاة الصبح بحيث أن يبقى لطلوع الشمس قدر ركعة أو يسلم مع ظهور حاجب الشمس والعجب من هذا إن الذي ذهب إلى أن الرؤية الواردة في الشرع محمولة على العلم لا على البصر يرى الأسفار بالصبح وإن الأكثر من الذين يرون إن الرؤية الواردة في الشرع يوم القيامة محمولة على البصر لا على العلم يرون التغليس بالصبح فهذا أحسن وجه في اعتبار هذا الوقت وأعمه وأسلاه وله اعتبارات غير هذا ولكن يجمعها كلها ما ذكرناه ولا يجمع تلك الاعتبارات التي تركناها حقيقة هذا الاعتبار الذي ذكرناه فلهذا اقتصرنا عليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء السادس والثلاثون.

الجزء السابع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل بل وصل في أوقات الضرورة والعذر فقوم أثبتوها وقوم نفوها

والخلاف مشهور بينهم في ذلك اعتبار الباطن في ذلك من نسب الأفعال إلى الله نفاها ومن أثبت الفعل للعبد كسباً أو خلقاً بأيّ وجه كان من هذين أثبتها.

فصل بل وصل في أوقات الضرورة عند مثبتيها

اتفق العلماء بالشريعة على أنها لأربع للحائض تطهر في هذه الأوقات أو تحيض في هذه الأوقات وهي لم تصل والمسافر يذكر الصلوات في هذه الأوقات وهو حاضر أو الحاضر يذكرها فيها وهو مسافر والصبي يحتلم فيها والكافر يسلم واختلفوا في المغمى عليه فمن قائل هو كالحائض لا يقضي الصلاة ومن قائل يقضي فيما دون الخمس الاعتبار في الحائض تطهر في وقت الضرورة التائب من الكذب لضرورة والطاهر تحيض الصادق يكذب للضرورة اعتبار الباطن في ذلك المسافر والحاضر المسافر بفكره أو بذكره يذكر ما فاته في وقت سفره في حصوله في المقام لنقص يشاهده فيه يعلم أنه نسي ذلك في وقت سفره والحاضر يعني صاحب المقام يذكر في حال سفره ما فاته في وقت إقامته من الأدب مع الحق كقولهم اقعد على البساط وإياك والانبساط لخلل يراه في سفره فيعلم إن ذلك من آثار ما فاته من الأدب في مقامه قال تعالى "لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" و لم يكن قبل ذلك أصابه نصب ليتذكر دلالة الحوت اعتباره في الصبي يبلغ فيها العبد يكون تحت الحجر فإذا كان الحق سمعه وبصره ويده وقواه وجوارحه كما ورد فقد خرج عن الحجر فإذا أدركه هذا الحال وهو في حكم اسم إلهيّ لماذا يكون الحكم فيه هل للاسم الذي كان تحت حكمه أو للاسم الذي انتقل إليه فإن الوقت مشترك وكذلك الاعتبار في الكافر يسلم في وقت الضرورة والكافر هو صاحب الستر والغيرة تغلب عليه والغيرة على الحق لا تصح وفي الحق تصح وللحق تصح ويغلب عليه أن لا غير ولا سيما أن عرف معنى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وما ثم إلا هذه الأحوال وهو الكل إذ هو عينها فمن يغار أو ممن يغار أو على من يغار أو فيمن يغار أخبروني أخبروني إنني حرت في الله فما أصنعه وأمّا اعتبار المغمى عليه فهو صاحب الحال ما حكمه إذا أفاق في هذا الوقت أو أخذه الحال في هذا الوقت هو مع الاسم المهيمن على ذلك الوقت الحاكم فيه.

فصل بل وصل في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها هي بالاتفاق والاختلاف خمسة أوقات وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ووقت الاستواء وبعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر اعتبار ذلك في الباطن ولله المثل الأعلى الشمس الحق والصلاة المناجاة فإذا تجلى الحق كان البهت والفناء فلم يصح الكلام ولا المناجاة فإن هذا المقام الإلهيّ يعطي أنه تعالى إذا أشهدك لم يكلمك وإذا كلمك لم يشهدك إلا أن

يكون التجلي في الصورة عند ذلك تجمع بين الكلام والمشاهدة وإذا غاب المشاهد عن نفسه لم تصح المناجاة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" بلا شك وقد علمت أن العبد غائب عند الشهود لاستيلاء المشهود عليه فلا مناجاة وفي وقت الاستواء يغيب عنك ظلك فيك وظلك حقيقتك والنور قد صف بك من جميع الجهات وغمرك فلا يتعين لك أمر تسجد له إلا وعينه من خلفك كما هو من أمامك ومن عن يمينك وشمالك وفوقك فلا يجذبك من جميع جهاتك لأنك نور من جميع جهاتك واصلاً بنور فاندرجت الأنوار في الأنوار والصلاة لا تصلى لها وأما بعد الصبح إلى طلوع الشمس فهو وقت خروجك من عالم البرزخ إلى عالم الشهادة والصلاة لم يفرض وقتها إلا في الحس لا في البرزخ وكذلك بعد صلاة العصر فإنّ السفل بضم الحبيب يغني عن مخاطبته لسريان اللذة في ذلك الضم.

فصل في الصلوات التي لا تجوز في هذه الأوقات المنهيّ عن الصلاة فيها

فمن قائل هي الصلاة كلها بإطلاق ومن قائل هي ما عدا المفروض من سنة أو نفل ومن قائل هي النفل دون السنن ومن قائل هي النفل فقط بعد الصبح والعصر والنفل والسنن معاً عند الطلوع والغروب وأما عندنا من هذه الأوقات هي للقرائض للنائم والناسي يتذكر أو يستيقظ فيها ولقضاء النوافل إذا شغل عنها أن يصليها في الوقت الذي كان عينه لها اعتبار الباطن في ذلك المناجاة الإلهية بين الله وبين عبده على أربعة أقسام مناجاة من حيث أنهي راك ومناجاة من حيث أنك تراه ومناجاة من حيث أنه يراك وتراه ومناجاة لبعض أهل النار في الاعتقادات بالأدلة من حيث أنك لا تراه علماً في اعتقاد ولا تراه بصراً في اعتقاد ولا يراك بصراً في اعتقاد ولا علماً في اعتقاد من نفى عنه العلم بالجزئيات لكن تراه علماً لاندراج الجزء في الكل وهذا ما هو اعتقادنا ولا اعتقاد أهل السنة بل هو سبحانه بكل شيء عليم وقال ألم يعلم بأن الله يرى وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح عنه أنه يراك وقد نبهناك على مأخذ الاعتبارات في هذه الأقسام وأنت تعرف قسمك منها ومن عرف قسمه فمن هناك يثبت مناجاته أو يحيلها.

فصول بل وصول في الأذان والإقامة

الأذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء للاجتماع إلى الصلاة في المساجد والإقامة لدعاء إلى المناجاة الإلهية الاعتبار في الباطن في ذلك الأذان الإعلام بالتجلي الإلهيّ لتتطهر الذوات لمشاهدته والإقامة للقيام لتجليه إذا ورد يوم يقوم الناس لرب العالمين.

فصل بل وصل في صفات الأذان

اعلم أن الأذان على أربع صفات الصفة الأولى تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وبعض القائلين بهذه الصفة يرون الترجيع في الشهادتين وذلك أن يثني الشهادتين أوّلاً خفياً ثم يثنيها مرة ثانية مرفوع الصوت بها وهذا الأذان أذان أهل المدينة الصفة الثانية تربيع التكبير الأول والشهادتين وتثنية باقي الأذان وهذا أذان أهل مكة لصفة الثالثة تربيع التكبير الأول وتثنية باقي الأذان وهذا أذان أهل الكوفة الصفة الرابعة تربيع التكبير الأول وتثليث الشهادتين وتثليث الحيعلتين يبتدىء بالشهادة إلى أن يصل إلى حيّ على الفلاح ثم يعيد ذلك على هذه الصفة ثانية ثم يعيدها أيضاً على تلك الصورة ثالثة الأربع الكلمات نسقاً ثلاث مرات وهذا أذان أهل البصرة

اعتبار الباطن في ذلك تثنية التكبير للتكبير والأكبر وتربيعه للتكبير والأكبر ولمن تكبر نفساً وحساً مشروعاً كان ذلك التكبير كحديث أبي دجانة أو غير مشروع والتربيع في الشهادتين للأوّل والآخر والظاهر والباطن وتثنية ما بقي لك وله تعالى وتثليث الأربع الكلمات على نسق واحد في كل مرة وهو كما قلنا مذهب البصريين إعلام بالمرّة لواحدة لعالم الشهادة وبالثانية لعالم الجبروت وبالثالثة لعالم الملكوت وعند أبي طالب المكيّ الثانية لعالم الملكوت والثالثة لعالم الجبروت تحقيق ذلك هو أن الإنسان إذا نظر بعين بصره وعين بصيرته إلى الأسباب التي وضعها الله تعالى شعائر وإعلاماً لما يريد تكوينه وخلقه من الأشياء لما سبق في علمه أن يربط الوجود بعضه ببعضه ودل الدليل على توقف وجود بعضه على وجود بعضه وسمع ثناء الحق تعالى على من عظم شعائر الله وإن ذلك التعظيم لها من تقوى القلوب في قوله تعالى في كتابه العزيز "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" قال عند ذلك الله أكبر يقول وإن كانت عظيمة في نفسها بما تدل عليه وعظيمة من حيث أنّ الله أمر بتعظيمها فموجدها وخالقها الآمر بتعظيمها أكبر منها وهذه هي أكبر للمفاضلة وهي أفعل من فلما أتمها كوشف هذا الإنسان الناطق بها على حقارة الأسباب في أنفسها لأنفسها وافتقارها إلى موجدها لإمكانها افتقار المسببات على السواء ورآها عيناً وكشفاً عند كشف الغطاء عن بصره ناطقة بتسبيح خالقها وتعظيمه فإنه القائل وإن من شيء إلا يسبح بحمده تسبيح نطق يليق بذلك الشيء لا تسبيح حال ولهذا قال لا تفقهون تسبيحهم لاختلاف ما يسبحون به إلا لمن سمعه إنه كان حليماً حيث لم يؤاخذ و لم يعجل عقوبة من قال إنه تسبيح حال غفوراً ساتراً نطقهم عن أن تتعلق به الأسماع إلا لمن خرق الله له العادة فقد ورد أن الحصى سبح بحضور من حضر من الصحابة في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازال الحصى مسبحاً وما خرق اسم العادة إلا في أسماع السامعين ذلك بتعلقها بالمسموع وما قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم إلا في معرض الردّ على من يقول أنه تسبيح حال فإن البكاء قد تلوي في الدلالة فمن يقول بتسبيح الحال فقد أكذب الله في قوله تعالى لا تفقهون وأما قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه يعني خيراً له ممن يعظم شعائر الله إذا جعلنا خير بمعنى أفعل من ليميز بين تعظيم الشعائر وتعظيم حرمات الله فإن حرمة الله ذاتية فهو يقتضي التعظيم لذاته بخلاف الأسباب المعظمة فإن الناظر في الدليل ما هو الدليل له مطلوب لذاته فينتقل عنه ويفارقه إلى مدلوله فلهذا العالم دليل على الله لأنا نعبر منه إليه تعالى ولا نبغي أن نتخذ الحق دليلا على العالم فكنا نجوز منه إلى العالم وهذا لا يصح فما أعلى كلام النبوّة حيث قال "من عرف نفسه عرف ربه" وقال تعالى "أفلا ينظرون إلى" كذا وعدد المخلوقات لتتخذ أدلة عليه لا ليوقف معها فهذا الفرق بين حرمات الله وشعائر الله فنقول ثاني مرّة الله أكبر تعظيماً لحرمة الله لا بمعنى المفاضلة وذلك معروف في اللسان فعناه الله الكبير لا أفعل من فهو الكبير واضع الأسباب وأمرنا بتعظيمها ومن لا عظمة له ذاتية لنفسه فعظمته عرض في حكم الزوال فالكبير على الإطلاق من غير تقييد ولا مفاضلة هو الله فهذه التكبيرة الواحدة على الحدّ الذي ذكرناه حساً وعقلاً أي كما كبره اللسان بلفظ المفاضلة كذلك كبره عقلاً كأنه يقول الله أكبر باللسان كما هو أكبر بالعقل أي هو أكبر بدليل الحس ودليل العقل ثم يثني التكبيرة الأخرى

أيضاً حساً وعقلاً فيقول الله أكبر أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة حساً الله أكبر أي هو الكبير لا بطريق المفاضلة عقلاً حرمة وشرعاً فهذا مشهد من ربع التكبير في الأذان الذي هو الإعلام بالإعلان ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله الله خفياً يسمع نفسه وهو بمترلة من يتصور الدليل أولاً في نفسه ثم بعد ذلك يتلفظ به وينطق معلناً في مقابلة خصمه أو ليعلم غير مساق ذلك الدليل وذلك أن يشهد هذا المؤذن في هذه الشهادة أنه يرى الأسباب المحجوبة عن المعرفة بالله التي أعطيت قوّة النطق وحجبت

عن إدراك الأمر في نفسه بالجهل أو عن إدراك ما ينبغي لجلال الله من إضافة الكل إليه بحجاب الغفلة فيقول الجاهل أنا ربكم الأعلى أو المستخف وهو ضرب من الجهل أو يقول ما علمت لكم من إله غيري وقد يمكن أن يكون كذباً عند نفسه عالماً بأنه كاذب لكنه شيأ مما علمه وسمع الله يقول أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وقال "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم" وهي الأسباب التي وجدتم عندها ثم قال لمن يرى أنا وجدنا بالأسباب لا عندها فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون إنه أوجد الأسباب وأوجدكم عندها لا بها فيقول عند ذلك أشهد أن لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله فينفي ألوهية كل من ادعاه لنفسه من دون الله وأثبتها لمستحقها لو ادعاها مع الله كالمشرك فهشهد بذلك لله عقلاً وشرعاً وحساً ومعنى هذا كله مع نفسه كمنصور الدليل أولاً ثم يرفع بها صوته ليسمع غيره من متعلم ومدّع وجاهل وغافل من قوله تعالى "الرحمن علم القرآن" وأمثاله مثل "خلق الإنسان علمه البيان" فقطع حكم الأسباب فهذا معنى الشهادة وتثنيتها وتربيعها وكذلك قوله أشهد أن محمداً رسول الله وهو أنه لما تشهد بالتوحيد بما أعطاه الدليل شهد به علماً لا على طريق القربة لأن الإنسان من حيث عقله لا يعلم أن التلفظ بذلك وأن النظر في معرفة قذ يقرب من الله وإنما حظه أن يعلم أن نفسه تشرف بصفة العلم على من يجهل ذلك وأن التصريح به وبكل دليل على مثل هذا العلم على جهة تعليم من لا يعلم وإرداع المعاند تشريفاً لهذا النفس على نفس من ليس له ذلك لأنه لا حكم للعقل في اتخاذ شيء قربة إلى الله فجاء الرسول من عند الله فأخبره أن يقول ذلك وأن ينظر في ذلك أن يخفيه في نفسه ويسره في التعليم والإرداع للغير إذا أعلن به أن يكون ذلك على طريق القربة إلى الله فيكون مع كونه علماً عبادة فيقول العالم المؤمن إذا أذن أو قال مثل ما يقول المرذن أشهد أن محمداً رسول الله علماً وعبادة ويقولها العاميّ تقليداً وتعبداً والتثنية في هذه الشهادة الرسالية والتربيع والحكم فيها على حكم شهادة التوحيد سواء في المراتب التي ذكرناها سواء فإن ثلث كأذان البصريين الأربع الكلمات على نسق واحد في كل مرة فهو أن يقولها في المرة الأولى علماً وفي المرّة الثانية تعليماً لأنه معلن وفي المرّة الثالثة عبادة فهي كلها علم وتعليم وعبادة فافهم وما خاللف البصريون الكيوفيين والحجاريين والمدنيين إلا في هذا أعني التثليث والنسق وكل سنة والإنسان مخبر يؤذن بأي صفة شاء من ذلك كله وهو مذهبنا كالروايات المختلفة في صلاة الكسوف وغير ذلك ثم أن الله شرع لنا في الأذان بعد الشهادتين أن نقول حيّ على الصلاة مثنى ندعو بالواحدة نفسي وندعو بالثانية غيري ومعناه اقبلوا على مناجاة ربكم فتطهروا وائتوا المساجد بالمرّة الواحدة تومن كان في المسجد يقول له في المرة الثانية حين يثنيها طهروا قلوبكم وأحضروا بين يدي ربكم فإنكم في بيته قصدتموه من أجل مناجاته وكذلك قوله حيّ على الفلاح بالأعتبارين أيضا والتفسير في المرتين يقول للخارج والكائن في المسجد ولنفسه ولغيره اقبلوا على ما ينجيكم فعله من عذابه بنعيمه ومن حجابه بتجلية ورؤيته وأقبلوا بالثانية من حيّ على القلاح على ما يبقيكم في نعيمكم ولذة مشاهدتكم ثم يقول الله أكبر الله أكبر لنفسه ولغيره ولمن هو ينتظر الصلاة كالحاضر في المسجد ومن هو خارج في اشغاله يقول الله أكبر مما أنتم فيه أي الله أولى بالتكبير من الذي يمنعكم من الإقبال الذي أمرناكم به على الصلاة وعلى الفوز والبقا في الحيعلتين وإنما لم يربع الثاني فإنه ليس مثل الأول فإن الثاني أعني التكبير والحيعلتين إنما المقصود بذلك القربة والعقل

لا يستقل بادركها قهي للشرع خاصة فلهذا لم يربع الحيعلتين ولا التكبير الثاني وثنى لكونه خاطب نفسه وغيره والكائن في المسجد وغير الكائن ثم قال لا إله إلا الله فختم الأذان بالتوحيد المطلق لما كان الأذان يتضمن أمورا كثيرة فيها أفعال منسوبة إلى العبد فربما يقع في نفس المدّعو أنه ما دعى إلى أن يفعلها إلا والفعل له حقيقة والداعي ايضا كذلك فيخاف عليه أن يضيف الفعل إلى نفسه

خلقا كما يراه بعضهم وما جعله الله دليلا عليه من جملة الأدلة على توحيده إلا انفراده بالخلق مثل قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون فهي ألوهية خفية في نفس كل إنسان وهو الشرك الخفي المعفو عنه فختم الأذان بالتوحيد من غير تثنية ولا تثليث ولا تربيع نوهذا هو التوحيد المطلق الذي جاءت به الأنبياء من عند الله عن الله وهي أفضل كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله فيتنبه السامعون كلهم أنه لا إله إلا الله فوجد لطلبه التوحيد على الإطلاق وما زاد على التوحيد في كل أذان مشروع من الأربعة مذاهب في ذلك وأمّا التثويب في أذان صلاة الصبح وهو قولهم الصلاة خير من النوم من الناس من يراه من الأذن المشروع فيعتبره ومن الناس من يراه من فعل عمر فلا يعتبره ولا يقول به وأما مذهبنا فإنا نقول به شرعا وهي بهذا الإعتبار من الأذان المسنون إلا في مذهب من يقول أن المسنون هو الذي فعل في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وعرفه وقرره أو يكون هو الذي سنه صلى الله عليه وسلم فيكون حاصله عند صاحب هذا القول أنه لا يسمى سنة إلا ما كان بهذه الصفة فما هو نخلاف يعتبر ولا يقدح وأما من زاد حي على خير العلمل فإن كان فعل في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى أن ذلك دعابة في غزوة الخندق إذ كان لناس يحفرون الخندق فجاء وقت الصلاة وهي خير موضوع كما ورد في الحديث فنادى المنادى أهل الخندق إذ كان الناس يحفرون الخندق فجاء وقت الصلاة وهي خير موضوع كما ورد في الحديث فنادى المنادي أهل الخندق حيّ على خير العمل فما أخطأ من جعلها في الأذان بل اقتدى أن صح هذا الخبر أو سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وما كرهها من كرهها إلا تعصبا فما أنصف القائل بها نعوذ بالله من غوائل النفوس

فصل بل وصل في حكم الأذان

فمن قائل أنه واجب ومن قائل أنه سنة مؤكدة والقائل بوجوبه منهم من يراه فرضا على الأعيان ومنهم من يراه فرض كفاية ومن قائل أن الأذان فرض على مساجد الجماعات وهو مذهب مالك وفي رواية عنه أنه سنة مؤكدة و لم يره على المنفرد لا فرض ولا سنة ومن قائل أنه هو واجب على الأعيان ومن قائل أنه واجب على الأعيان على الجماعات سفرا وحضرا ومن قائل سفر إلا غير ومن قائل أنه سنة للمنفرد والجماعة إلا أنه آكد في حق الجماعة واتفق الجميع على أنه سنة مؤكدة أو فرض على المضروبة كان يقول شيخنا أبو عبد الله بن العاص الدلال بإشبيلية سمعته من لفظه غير مرة وكان يقول إذا اجتمع أهل مصر على ترك الأذان أو ترك سنة وجب غزوهم واحتج بالحديث الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزقوا ما صحبهم فإن سمع نداء لم يغرو إن لم يسمع نداء أغار الإعتبار في الباطن في ذلك حق كل نفس أن تدعو نفسها وغيرها إلى طاعة الله بعد وضع الشريعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الحويرث ولصاحبه إذا كنتما في سفر فأذنا وأقيما الحديث والإنسان مسافر مع الإنفاس منذ خلقه الله الدينا وآخرة لا يصح له أن يكون مقيما أبدا ولو قام زائدا على نفس واحد لتعطل فعل الإله في حقه فالحق سبحانه في كل نفس في الخلق في شأن وهو اثره في كل عين موجودة بكيفية خاصة أشهدنا الله دقيقها أو جليلها فما أعز صاحبها عند الله فمن فاته مراعاة أنفاسه في الدينا والآخرة لقد فاته خير كثير

فصل بل وصل في وقت الأذان

اتفق العلماء على أنه لا يؤذن للصلاة قبل دخول وقتها ما عدا الصبح فإن فيه خلافا فمن قائل بجواز ذلك أنه يؤذن لها قبل الفجر ومن قائل بالمنع وبه أقول فإن الأذان قبل الوقت إنما هو عندي ذكر بصورة الأذان ما هو الأذان على جهة الأعلام بدخول وقت الصلاة فقد كان بلال يؤذن بليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يمنعكم أذان بلال عن الأكل والشرب يعني في رمضان ولمن يريد الصوم فإنه يؤذن بليل فكلواا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم وكان رجلا أعمى فكان لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت فالمؤذن عندي لا يجب إلا بعد دخول الوقت ومن قائل لا بد للصبح من أذانين أذان ققبل الوقت وأذان بعده وقال أبو محمد بن حزم لا بد للصبح من أذان بعد الوقت اعتبار الباطن في ذلك دعاء النفوس إلى الله من الله في نفس الأمر ودعاؤها من الأكوان بالنظر إلى الغافلين أو الجهلاء الذين هم تحت حكم الأسماء الإلهية أو التصريف الإلهي وهم لا يشعرون فلهذا قلنا في نفس الأمر فاعلم أن للوقت سلطانا لا يحكم نفيه غيره فلا بدّ أن يتعين عند المحكوم عليه سلطان الوقت وعلم هو الاسم الإلهي الخاص بذلك الوقت فلا يمكن أن يدعي لها بطريق الوجوب إلا بعد دخول الوقت فعند ذلك يكون ممن دعا إلى الله على بصيرة فإنه خاص في كل وقت بما يليق بذلك الوقت فإن دعا في غير وقته وقع الإنسان في الجهل فإننه يدعوه بما يخرجه عن سلطان حكمه الذي يرتقبه السامع في نفسه فلا بد من الدعاء بعد دخول وقته حتى يتعين من هو صاحب الوقت من هذه الأسماء الإلهية انظر هل يصح منك الشكر قبل دخول حكم الاسم المنعم فإذا كان وقتك النعمة ودخل وقتها بوجودها عندك دعيت إى شكر المنعم وإنما دخل الخلاف في الصبح لجهل السامع بمقصود الشارع بذلك الذكر فإنه دعاء لصاحب الوقت بخلاف سائر الصلوات فإن الليل لما كان محلا للنوم ونام الناس شرع النداء الآخر الذي هو الأول لإيقاظ النائمين فهو دعاء للإنتباه والإستعداد لإيقاع صلاة الصبح في أول الوقت فهو نداء تحضيض وتحريض وجعل بصورة الأذان المشروع للصلاة أي من أجل الصلاة دعوناكم لتتذكروها فتتأهبوا لها فإذا دخل وقتها وجب الإعلام بدخول الوقت لجهل السامعين بدخول أول نتالوقت فإنه يخفى على أكثر الناس فإن أكثر الناس لا يعلمون فيعلمون بالأذان المشروع لدخول الوقت إن الوقت قد دخل وكذلك الحكم في الإعتبار الغافل عن حكم الاسم الإلهي فيه ينبهه الداعي من نومة الغفلة بأنه تحت حكم اسم إلهي يصرّفه وأنه لا حول ولا قوة له إلا به فإذا انتبه من نوم غفلته وتذكر بعقله عرف عند ذلك أي اسم هو صاحب الوقت فأذعن له بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي في حق هذا الشخص قال تعالى وليتذكر أولوا الأباب وقال وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وإنما ذهبنا إلى أن الأذان قبل الصبح هو ذكر ونداء بصورة الأذان ما هو الأذان المشروع بالإعلام لدخول الوقت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن بلا لا ينادي بليل و لم يقل يؤذن وكذا قال في ابن أم مكتوم ينادي لموضع الشبهة فإنه كان أعمى فكان لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت أي قاربت الصباح قال الراوي وكان بين نداء بلال ابن أم مكتوم قدر ما يترل هذا ويصعد هذا فسماه نداء لهذا الإحتمال أعني أذان ابن أم مكتوم فإن الفصاحة في لسان العرب تطابق الألفاظ في سبق لما قال في بلال أنه ينادي بليل ويؤيد ما ذهبنا إليه حديث ابن عمر أن بلالا أذن قبل طلوع الفجر فسماه ابن عمر أذانا لما عرف من قرينة الحال فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع فينادى ألا أن العبد نام ليعرف الناس إن وقت الصلاة ما دخل فإن الأذان المشروع إنما هو لدخول وقت الصلاة فلما عرف من بلال أنه قصد الأذان وإن السامعين ربما أوقعوا الصلاة في غير وقتها أمره أن يعرّف الناس أنه قد غلط في أذانه ولهذا يكون من المؤذنين بالليل الدعاء والتذكير وتلاوة آيات من القرآن والمواعظ وإنشاد الشعر المزهد في الدينا المذكر الموت والدار الآخرة ليعلم الناس إذا سمعوا الأذان منهم أنهم يريدون بذلك

ذكر الله كما تقدم وأنه لإيقاظ النائمين لا لدخول الوقت ويكون لدخول الوقت مؤذن خاص يعرف بصوته وكذا هو نفي الإعتبار لتنوع الأحوال على أهل الله لا بد لهم من علامات يفرقون بها بين الأحوال التي تعطيها الأسماء الإلهية فافهم

فصول في الشروط في هذه العبادة

قال بعض العلماء وهي ثمانية شروط وعددها فقال أن منها هل من شرط من أذن أن يكون هو الذي يقيم أم لا الثاني هل من شرط الأذان أن لا يتكلم المؤذن في أثنائه أم لا الثالث هل من شرطه أن يكون المؤذن على طهارة أم لا الرابع هل من شرطه أن يتوجه المؤذن إلى القبلة أم لا الخامس هل ممن شرطه أن يكون المؤذن قائما أم لا يكون السادس هل يكره الأذان للراكب أم ليس يكره السابع هل من شرطه البلوغ أم لا الثامن هل من شرطه أن لا يأخذ أجرا على الأذاان أم يأخذ الأجر اختلف علماء الشرعية في هذه الشروط وأدلتهم ما بين قياس ومعارضة أخبار بين صحيح وسقيم ومذهبنا أن الأذان يصح بوجودها وعدمها والعمل بها أولى أن اتفق ولا يمنع من ذلك مانع وأما الإعتبار في ذلك في الشروط كلها التي ذكرناها فاعلم أن الداعي قد يكون الاسم الإلهي الذي يدعو به الحق إلى الحق وهو عين الداعي الذي يقوم به بين يدي الحق في أي شيء دعا إلى الحق لحال يطلبه بذلك لا يجوز له التأخر عنه إما لأدب إلهي أو لفرض تعين عليه وقد لا يتكلم ما لم يقدح في فهم السامع ما يخرجه عن أن يكون داعيا له وهذا اعتبار الشرط الثاني الداعي قد يدعو بحاله وهو طهارته وهو أفضل وقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله وهو خير بكل وجه كما قال الحسن ابن أبي الحسن البصري وكان من أهل طريق الله العلية منهم لو لم يعظ أحد أحدا حتى يعظ نفسه ما وعظ أحد أحدا أبدا ولفاعل المنكر أن ينهى عن المنكر وإن لم يفعل اجتمع عليه أثمان فاعلم ذلك وهذا هو اعتبار الشرط الثالث الداعي أن قصد بدعائه وجه الله فهو أولى وإن قصد بذلك دنيا فلا يمنعه ذلك من الدعاء إى الله والول أفضل ويرجى للآخر أن ينتفع بدعوته سامع فيدعو له فيسعد بدعائه فهذا بمنزلة استقبال القبلة بالأذان وهو الشرط الرابع الداعي إن كان قائما بحقوق ما يدعو إليه فهو أولى من قعوده عن ذلك في دعائه وهذا اعتبار الشرط الخامس الداعي إن كان قائما بحقوق ما يدعو إليهه فهو أولى وإن قصد بذلك دنيا فلا يمنعه ذلك من الدعاء إلى الله والأول أفضل ويرجى للآخر أن ينتفع بدعوته سامع فيدعو له فيسعد بدعائه فهذا بمنزلة استقبال القبلة بالأذان وهو الشرط الرابع الداعي إن كان قائما بحقوق ما يدعو إليه فهو أولى من قعوده عن ذلك في دعائه وهذا اعتبار الشرط الخامس الداعي هل يكون في دعائه حاضرا مع عبوديته وذلته أو يكون في حال نظره لعزة نفسه وتكبرها وعجبها وهو الذي يؤذن راكبا وحضوره مع ذلته أولى وهو اعتبار الشرط السادس الداعي هل ينبغي له أن يدعو قبل بلوغه إلى المعرفة بمن يدعو إليه كدعاء المقلد أولا يدعو حتى يعرف من يدعو إليه وهو اشتراط البلوغ في الأذان وهذا اعتبار الشرط السابع الداعي إلى الله هل من شرطه أن لا يأخذ أجرا على دعائه فهو عندنا أفضل أنه لا يأخذ وإن أخذ جاز له ذلك فإن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الأجر فإنه ما من نبيّ دعا قومه غلا قيل له قل ما أسألكم عليه من أجران أحرى إلا على الله فأثبت الأجرة على دعائه وسألها من الله لا من المدعو حتى أنّ نر الله صلى الله عليه وسلم ما سأل منا في الأجر إلا على تبليغ الدعاء إلا المودة في القربى وهو حب أهل البيت وقرابته صلى الله عليه وسلم وأن يكرموا من أجله كانوا ما كانوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحق ما أخذتم عليه كتاب الله في حديث الذي رقى اللديغ بفاتحة الكتاب واستراح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضربوا فيها بسهم يعني في الغنم الت أخذوها أجرا على ذلك

فالإنسان الداعي بوعظه وتذكيره عباد الله أن آخذ أجرا فله ذلك فإنه في عمل يقتضى الجر بشهادة كل رسول وإن ترك أخذه من الناس وسأله من الله فله ذلك وسبب ترك الرسل لذلك وسؤالهم من الله الأجر كون الله هو الذي استعملهم في التبليغ فكان الأجر عليه تعالى لا على المدعو وإنما أخذ الراقي الأجر ممن اللديغ لأنن اللديغ استعمله في ذلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اضربوا بسهم لأن الرسول عليه السلام هو الذي أفاد الراقي ما رقى به ذلك اللديغ وينظر إلى قريب من هذا حديث بريرة في قوله هو لها صدقة ولنا هدية لأنها بلغت محلها وهذا هو الشرط الثامن واعلم أن هذا الأجر تفضل إلهيّ عينه السيد لعبده فإن العبد لا ينبغي له استحقاق الأجر على سيده فيما يستعمله فيه فإنه ملكه وعين ماله

ولكن تفضل سيده عليه بأن عين له على عمله أجرا وسره خلقه على الصورة فإن عبيدنا أخواننا فافهم وأما العلماء بالله عز وجل فأجرهم مشاهدة سيدهم إذا رجعوا إليه من التبليغ الذي أمرهم به فإنهم حزنوا المفارقة ذلك المشهد الأقدس ومشاهدة الأكوان فوعدهم بأنهم إذا رجعوا إليه كان لهم المزيد في المشاهدة فاخبروا الناس أن أجرهم على الله

فصل بل وصل فيمن يقول مثل ما يقول من يسمع الأذان

واختلف علماء الشريعة في ذلك فمن قائل أنه يقول نمثل ما يقول المؤذن كلمة بكلمة إلى آخر النداء ومن قائل أنه يقول مثل ما يقول المؤذن إلا إذا جاء بالحيعلتين فإن السامع يقول لا حول ولا قوّة إلا بالله وبالقول الأول فإنه أولى إلا أن يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الحوقلة في ذلك فأنا أقول به ولا أشترط أن يمشي السامع مع المؤذن في كل كلمة ولكن إن شاء قال مثل ما يقول المؤذن في أثر كل كلمة وإن شاء إذا فرغ يقول مثله وذلك في المؤذن الذي يؤذن للأعلام في المنارة أو على باب المسجد أو في نفس المسجد ابتداء عند دخول الوقت من قبل أن يعلم من في المسجد أن وقت الصلاة دخل فهذا هو المؤذن الذي شرع له الأذان وأما المؤذنين في المسجد بين الجماعة الذين يسمعون الأذان فهم ذاكرون الله بصورة الأذان فلا يجب على السامع أن يقول مثله فإن ذلك عندنا بمنزلة السامع يقول مثل ما قال المؤذن و لم يشرع لنا ولا أمرنا أن نقول مثل ما يقول السامع إذا قال ما يقول المؤذن اعتبار ذلك في الباطن قال تعالى فيما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني والمؤذن داع إلى الله بلا شك ثم قال ومن اتبعني وهو غير النبيّ يدعو بمثل دعوة عليه السلام عباد الله إلى توحيد الله والعمل بطاعته وهو بمنزلة السامع للمؤذن الذي أمره الشارع أن يقول مثل ما يقول المؤذن لا يزيد على ذلك ولا ينقص كذلك ينبغي للداعي إلى الله أن يدعو بشرعه المترل المنطوق به حاكيا لا يزيد على دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم نضر الله أمرا أسمع مني كلمة فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع وهذه مسئلة اختلف الناس فيها أعني في هذا الخبر في نقله على المعنى الصحيح عندي أن ذلك لا يجوز جملة واحدة إلا أن يبين الناقل أنه نقل على المعنى فإن الناقل على املعنى إنما ينقل إلينا فهمه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعبدنا الله بفهم غيرنا إلا بشرط في الاخبار بالإتفاق وفي القرآن بخلاف في حق الأعجميّ الذي لا يفهم اللسان العربيّ فإن هذا الناقل على المعنى ربما لو نقل إلينا عين لفظه صلى الله عليه وسلم ربما فهمنا مثل ما فهم أو أكثر أو أقل أو نقيض ما فهم فالأولى نقل الحديث كما ننقل القرآن فالداعي إلى الله لا يزيد على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبار بالأمور المغيبة إلا أن أطلعه الله على شيء من الغيب مما علمه فله أن يدعو به مما لا يكو مزيلا لما قرّره الشرع

بالتواتر عندنا أي على طريق يفيد العلم لا بدّ من هذا فعلي هذا الحد يكون الإعتبار في القول مثل ما يقول المؤذن حتى لو قال السامع سبحان الله عند قول المؤذن الله أكبر لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتثل أمر الله فإن الله يوقل وأطيعوا الرسول وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول مثل ما يقول المؤذن وإن كاان قال هذا السامع خيرا وكذلك لو قال الله الكبير لم يقل مثله إلا أن يقول مثله إلا أن قال المؤذن الله الكبير وفيه خلاف في حق المؤذن بهذا اللفظ فمن أجاز ذلك أوجب على السامع أن يقول مثله فلو قال السامع الله أكبر فقد قال الأذان المشروع المنصوص عليه المنقول بالتواتر وبين قول الإنسان الله الكبير وقوله الله أكبر فرقان عظيم فاذن لا ينبغي أن تنقل الأخبار إلا كما تلفظ بها قائلها إلا في مواضع الضرورة وذلك في الترجمة لمن ليس من أهل ذلك اللسان فامّا في القرآن فينبغي أن ينقل المسطور ويقرر لفظه كما ورد بعد ذلك يترجم عنه حتى يخرج من الخلاف ويكون في الترجمة مفسرا لا تاليا في غير القرآن فله أن يترجم على المعنى بأقرب لفظ يكون يحكم المطابقة على المعنى كما كان في الخبر النبوي

فصل بل وصل في الإقامة

للإقامة حكم وصفة أمّا حكمها فاختلف الناس فيها فقوم قالوا أنها سنة مؤكدة في حق الأعيان والجماعات أكثر من الأذان وقوه قالوا هي فرض وهو مذهب بعض أهل الظاهر فإن أرادوا أنها فرض من فروض الصلاة تبطل الصلاة بسقوطها وإن لم يقولوا ذلك صحت الصلاة ويكون عاصيا بتركها على أني رأيت لبعضهم أن الصلاة فتبطل بتركها ومن قائل أنه من تركها عامدا بطلت صلاته وهو مذهب ابن كنانة اعتبار ذلك في الحكم الإقامة لأجل الله فرض تلا بد منه والإقامة لما أمرنا الله أن أقيم له فنحن فيه بحسب قرائن الأحوال فإذا أعطت قرينة الحال إن ذلك الأمر على الوجوب أوجبناها مثل قوله أقيموا الدين ولا تتقفرقوا فيه ومثل قوله أقيموا الصلاة ومثل قوله أقيموا الوزن بالقسط فهذا هو حد الواجب فإن رجحت الوزن في القضاء فهو أفضل فإنك قد امتثلت أمر الله فإنه ما رجح الميزانن حتى اتصف بالإقامة التي هي حد الواجب ثم رجح والذي يخسر الميزان ما بلغ بالوزن حد الإقامة حتى يحصل الواجب مثل ما فعل المرجح فما حمدنا المرجح إلا لحصول إقامة الوزن لا للترجيح ثم أثنينا عليه أثناء آخر بالترجيح فالمرجح محمود من وجهين فاعلم وحمده من جهة الإقامة أعلى لأنه الحمد الوجوبي فحمد الترجيح نافلة إلا فيمن يحمل الأمر في ذلك على الوجوب وهو قوله صلى الله عليه وسلم في القاضي ما عليه إذا وزنت فأرجح فأمره بالرجحان وأكد في ذلك قولا وفعلا وإذا لم يكن الأمر على الوجوب لقرينة حال كانت الإقامة بحسب ذلك فهذا اعتبار حكم الإقامة بوجه ينفع في دين الله من وقف على هذا الكتاب وعمل بما قررناه فيه فإنه ما قررناه فيه أمرا غير مشروع لله الحمد وإن كنا لم نتعرض لذكر الأدلة مخافة التطويل فما خرجنا بحمد الله عن الكتاب والسنة فيه كما قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وأما صفة الإقامة فعند قوم التكبير الذي في أولها مثنى وما بقي فيها فرد والتكبير الذي بعد الإقامة مثنى وعند قوم مثل ذلك إلا الإقامة فإنها مثنى وقوم خيروا بين التثنية والإفراد وقوم قالوا بالتثنية في الكل وتربيع والتكبير الأول مع الإتفاق في توحيد التهليل الآخر الإعتبار أما من ثنى أي من زاد على الواحدة فللمراتب التي ذكرناها في الأذان على السواء و لم نعدلل لإعتبار آخر لأنها جاءت في ظاهر الشريعة بلفظ الأذان لا بلفظ آخر إلا الإقامة فانفردت بها الإقامة عن الأذان وهي قوله قد قامت الصلاة فهو اختبار عن ماض والصلاة مستقبلة فهي بشرى من الله

لعبادهه لمن جاء إلى المسجد ينتظر الصلاة أو كان في الطريق يأتي إليها أو كان في حال الوضوء بسببها أو كان في حال القصد إلى لوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواكن كلها فله أجر من صلاها وإن كانت ما وقعت منه فجاء بلفظ الماضي لتحقق الحصول فإذا حصلت بالفعل فله أجر الحصول بالفعل وأجر الحصول الذي يحصل لمنن مات في هذه المواطن قبل أن يدخل في الصلاة وقد ورد في الخبر أن الإنسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة فلهذا جاء بلفظ الماضي وهو الحاصل في قوله قد قامت الصلاة وإقامة الصلاة تمام نشأتها وكمالها أي هي لكم قائمة النشأة كاملة الهيئة على حسب ما شرعت فإذا دخلتم فيها وأجرتم الإجر الثاني فقد يكون مثل الأول في إقامة نشأتها وقد لا يكون فإن المصلي قد يأتي بها خداجا غير كاملة فتكتب له خداجا من حيث فعله بخلاف ما تكتب له قبل الفعل فانظر ما أعظم فضل الله على عباده وسبب ذلك قول الله تعالى قل فالله الحجة البالغة فإنه لو أثابه عليها قبل وقوعه بحسب علمه به فيها من أخداجهار بما قال العبد لو أحييتني حتى أؤديها لأقمت نشأتها على أكمل الوجوه فأعطى الله جل وعز سبحانه عبده ذلك الثواب على أكمل الأداء لله الحمد والمنة على ذلك

فصل بل وصل في القبلة

اتفق المسلمون على أن التوجه إلى القبلة أعني الكعبة شرط من شروط صحة الصلاة لولا أن الإجماع سبقني في هذه المسئلة لم أقل به أنه شرط فإن قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله نزلت بعده وهي آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الإجماع على هذا وعلى قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله محكما في الحائر الذي جهل القبلة فيصلي حيث يغلب على ظنه بإجتهاده بلا خلاف وإن ظهر له بعد ذلك أنه صلى لغير القبلة لم يعد بخلاف في ذلك من لم يجد سبيلا إلى الطهارة فإنه قد وقع الخلاف فيه هل يصلي أم لا ثم أنه لا خلاف أن الإنسان إذ عاين البيت أن الفرض عليه هو ااستقبال عينه وأما إذا لم ير البيت فاختلف علماؤنا في موضعين من هذه المسئلة الموضع الواحد هل الفرض هو العين أو الجهة والموضع الثاني هل فرضه الإصابة أو الإجتهاد أعني إصابة العين أو الجهة عند من أوجب العين فمن قائل أن الفرض هو العين ومن قائل أن الفرض هو الجهة وبالجهة أقول لا بالعين فإن في ذلك حرجا والله يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج وأعني بالجهة إذا غابت الكعبة عن الأبصار والصف الطويل قد صحت صلاتهم مع القطع بأن الكل منهم ما استقبلوا العين هذا معقول الإعتبار التحديد في القبلة إخراج العبد عن إختياره فإن أصله وأصل كل ما سوى الله الإضطرار والإجبار حتى اختيار العبد هو مجبور في إختياره ومع أن الله فاعل مختار فإن ذلك من أجل قوله ويختار وقوله ولو شئنا ولا يفعل إلا ما سبق به علمه وتبدل العلم محال يقول تعالى ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد وقال فالله الحجة البالغة وما رأيت أحدا تفطن لهذا القول الإلهي فإن معناه في غاية البيان ولشدة وضوحه خفي وقد نبهنا عليه في هذا الكتاب وبيناه فإنه سر القدر من وقف على هذه المسئلة لم يعترض على الله نفي كل ما يقتضيه ويجريه على عباده وفيهم ومنهم ولهذا قال بصدده فنقول أن الصلاة دخول على الحق وجاء في الخبر الصحيح أن الصلالة نور والإنسان ذو بصر في باطنه كما هو في ظاهره فلا بد له من الكشف في صلاته فمن جملة ما يكشفه في صلاته كونه مجبورا في اختياره الذي ينسبه إليه فشرع له موجود ولا أحاشي موجودا من موجود لمن كان ذا بصر حديد وألقى السمع وهو شهيد حتى في حكم المباح هو فيه غير مختار لأنه من المحال أن يحكم عليه بحكم غير الإباحة من وجوب أو ندب أو حظرا وكراهة فلهذا شرع له استقبال البيت إذا أبصره حين صلاته واستقبال جهته إذا تغاب عنه وفرضه

في اجتهاده تبالغيبة إصابة الإجتهاد لا إصابة العين وذلك لو كان فرضه إصابة العين فإن العبد مأمور بأن يستقبل ربه بقلبه في صلاته بل في جميع حركاته وسكناته لا يرى إلا الله وقد علمنا أن ذات الحق وعينه يستحيل على المخلوق معرفتها فمن المحال استقبال عين ذاته بقلبه أي من المحال أن يعلم العاقل ربه من حيث عينه وإنما يعلمه من حيث جهة الممكن في افتقاره إليه وتميزه عنه بانه لا يتصف بصفات المحدثات على الوجه الذي يتصف به المحدث الممكن لأنه لييس كمثله شيء فلا يعرفه إلا بالسلوب وهذا سبب قولنا بالجهة لا بالعين والإصابة إصابة الإجتهاد لا إصابة العين ولهذا كان المجتهد مأجورا على كل حال ولا سيما والإجتهاد في مذهبنا في الأصول كما هو في فروع الأحكام لا فرق وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجتهد أنه مصيب ومخطيء فمعناه عندنا في هذه المسئلة وأمثالها أن المجتهد في الإصابة ما هي إصابة العين أو إصابة الجهة أن المصيب من قال إصابة الجهة والمخطيء من قال إصابة العين فإن إصابة الجهة في غير الغيم المتراكم ليلا أو نهارا في البراري لا يقع إلا بالحكم الإتفاق فأحرى أصابة العين لا بحكم العلم وما تعبدنا الله بالإرصاد ولا بالهندسة المنبئة على الأرصاد المستنبط منها أطوال البلاد وعرضوها فأنا بكل وجهه إذا أخذنا نفوسنا بها على غير يقين فتبين أن الفرض على المكلف الإجتهاد لا الإصابة فلا إعادة على من صلى و لم يصب الجهة إذا تبين له ذلك بعدما صلى كذلك الإعتبار في الباطن إذا وفى الناظر النظر حقه أصاب العجز عن الإدراك فاعتقده وما ثم إلا العجز منفالحق عند اعتقاد كل معتقد بعد اجتهاده يقول تعالى ومن يدع مع الله إلها أخر لا برهان له به فافهم كما هو عند ظن عبده به إلا أن المراتب تتفاضل والله أوسع وأجل وأعظم أن

ينحصر في صفة تضبطه فيكون عند واحد من عباده ولا يكون عند الأخر يأبى الإتساع الإلهي ذلك فإن الله يقول وهو معكم أينما كنتم وأينما تولوا فثم وجه الله ووجه كل شيء حقيقته وذاته فإنه سبحانه لو كان عند واحد أو مع واحد ولا يكون عند آخر ولا معه كان الذي ليس هو عنده ولا معه يعبد وهمه لا ربه والله يقول وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه أي حكم ومن أجله عبدت لإلهة فلم يكن المقصود بعبادة كل عابد إلا الله فما عبد شيء لعينه إلا الله وإنما أخطأ المشرك حيث نصب لنفسه عبادة بطريق خاص لم يشرع له من جانب الحق فشقي لذلك فإنهم قالوا في الشركاء ما نعبدهم إلا ليقربوا إلى الله فليعترفوا به وما يتصور في العالم من أدنى من له مسكة من عقل التعطيل على الإطلاق وإنما معتقدوا التعطيل إنما هو يعطل صفة ما اعتقدها المثبت فمن استقبل عين البيت إن كان يبصره أو الجهة إن غاب عنه بوجهه واستقبل ربه في قبلته كما شرع له في قلبه وحسه في خياله إن ضعف عن تعليق العلم به من حيث ما يقتضيه جلاله فإن المصلي وإن واجه الحق في قبلته كما ورد في النص فإنه كما قال من ورائه محيط فهو السابق والهادي فهو سبحانه الذي نواصي الكل بيده الهادي إلى صراط مستقيم والذي يسوق المجرمين إلى جهنم وردا وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

فصل بل وصل في الصلاة في داخل البيت

فمن قائل بمنع الصلاة في داخل الكعبة على الإطلاق ومن قائل بإجازة ذلك على الإطلاق ومن العلماء من فرق في ذلك بين النفل والفرض وكل له مستند في ذلك يستند إليه اعتبار ذلك في الباطن وبعد تقرير الححكم في الظاهر الذي شرع لنا وتعبدنا به و لم نمنع من الإعتبار بعد هذاا التقرير فنقول هذه حالة تمن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله لكن في حال إجالة كل جارحة فيما

خلقت له هكذا قيد الصادق في خبره وفي ذلك ذكرى لمن كان له قلب ولما كانت هذه الحالة الواردة من الشارع في الخبر الصحيح عنه وتأيد الكشف بذلك الخبر عند السامع حالة النوافل ونتيجتها لهذا تنفل في الكعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلها كما ورد وكان يصلي الفريضة خارج البيت كما كان يتنفل على الراحلة حيث توجهت به فأينما تولوا فثم وجه الله وقد علمنا أن الأمر في نفسه قد يكون كما نراه ونشهده وهذا هو الذي أعطى مشاهدة هذا المقام فهو يراه سمع غيره كما يراه سمع نفسه فالكرامة التي حصلت لهذا الشخص إنما هي الكشف والإطلاع لا أنه لم يكن الحق سمعه ثم كان غلا أن يتعالى الله عن العوارض الطارئة وهذه المسئلة من أعز المسائل الإلهية فمن استصحب هذا الحكم في الظاهر تأجاز الصلاة كلها فرضها ونفلها داخل الكعبة فإن كل ما سوى الله لا يمكنه الخروج عن قبضة الحق فهو موجدهم بل وجودهم ومنه استفادوا الوجود وليس الوجود خلاف الحق ولا خارجا عنه يعطيهم منه هذا محال بل هو الوجود وبه ظهرت الأعيان يقول القائل بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتجزا وهو يسمع

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك ويصدقه في قوله فنحن به سبحانه وله كما ورد في الخبر الصحيح فإذا نظرنا إلى ذواتنا ومكانتنا فقد خرجنا عنه وإمكاننا يطلبنا بالنظر والإفتقار إليه فإنه الموجد أعياننا بجوده من وجوده وهو إعتبار قوله ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام فتفسيره من كل جهة خرجت مصليا فاستقبل المسجد الحرام وفي الإشارة من حيث خرجت إلى الوجود أي من زمان خروجك منالعدم إلى الوجود وفي الإعتبار يقول بأي وجه خرجت من الحق إلى إمكانك ومشاهدة ذاتك فول وجهك شطر المسجد الحرام يقول فارجع بالنظر والإستقبال مفتقرا مضطرا إلى ما منه خرجت فإنه لا أين لك غيره فانظر فيه تجده محيطا بك مع كونه مستقبلك فقد جمع بين الإطلاق والتقييد فأنت تظن أنك خرجت عنه وما استقبلت إلا هو وهو من ورائك محيط وحيثما كنتم من الأسماء الإلهية والأحوال فولوا وجوهكم ذواتكم شطره أي لا تعرضوا عنه ووجه الشيء عينه وذاته فإن الإعراض عن الحق وقوع في العدم وهو الشر الخالص كما أن الوجود هو الخير الخالص والحق هو الوجود والخلق هو العدم قال لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القول إنه أصدق بيت قالته العرب ولا شك إن الباطل عبارة عن العدم وأما حكم هذه الآية في الظاهر إن صلاة الفرض تجوز داخل الكعبة إذ لم يرد نهي في ذلك ولا منع وقد ورد وثبت حيثما أدركتك الصلاة فصل إلا الأماكن التي خصصها الدليل الشرعي من ذلك لا لأعيانها وإنما ذلك لوصف قام بها فيخرج بنصه ذلك القدر لذلك الوصف وقوله ومن حيث خرجت أي وإذا خرجت من الكعبة أو من غيرها وأردت الصلاة فول وجهك شطرها أي لا تستقبل بوجهك في صلاتك جهة أخرى لا تكون الكعبة فيها فقبلتك فيها ما استقبلت منها وكذلك إذا خرجت منها ما قبلتك إلا ما يواجهك منها سواء أبصرتها أو غابت عن بصرك وليس في وسعك أن تستقبل ذاتها كلها بذاتها لكبرها وصغر ذاتك جرماً فالصلاة في داخلها كالصلاة خارجاً عنها ولا فرق فقد استقبلت منها وأنت في داخلها ما استقبلت ولا تتعرض بالوهم لما استدبرت منها إذا كنت فيها فإن الاستدبار في حكم الصلاة ما ورد وإنما ورد الاستقبال وما نحن مع المكلف إلا بحسب ما نطق به من الحكم فلا يقتضي عندنا الأمر بالشيء النهي عن ضده فإنه ما تعرض في النطق لذلك فإذا تعرّض ونطق به قبلناه فإذا لم تعمل بما أمرك الله به فقد عصيته ولو كان الأمر بالشيء نهياً عن ضدّه لكان على الإنسان خطيئتين أو خطايا كثيرة بقدر ما

لذلك المأمور به من الأضداد وهذا إلا قائل به فإنما يؤاخذ الإنسان بترك ما أمر بفعله أو فعل ما أمر بتركه لا غير فهو ذو وزر واحد وسيئة واحدة فلا يجزى إلا مثلها وقد أخذت المسئلة حقها ظاهراً وباطناً حقاً وخلقاً شرعاً واعتباراً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فصل بل وصل في ستر العورة

اتفق العلماء على أن ستر العورة فرض بلا خلاف وعلى الإطلاق أعني في الصلاة وفي غيرها وسأذكر حدها في الرجل والمرأة اعتبار ذلك في الباطن وجب على كل عاقل ستر السرّ الإلهيّ الذي إذا كشفه أدّى كشفه من ليس بعالم ولا عاقل إلى عدم احترام الجناب الإلهيّ الأعز الأحمى فإن حقيقة العورة الميل ولهذا قال من قال أن بيوتنا عورة أي مائلة تريد السقوط لما استنفروا فأكذبهم الله عند بغيه بقوله وما هي بعورة إن يريدون الإفرار أيعني بهذا القول مما دعوتهم إليه ومنه الأعور فإن نظره مال إلى جهة واحدة وكذلك ينبغي أن يستر العالم عن الجاهل أسرار الحق في مثل قوله "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" وقوله "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" وقوله "كنت سمعه وبصره ولسانه" فإن الجاهل إذا سمع ذلك أدّاه إلى فهم محظور من حلول أو تحديد فينبغي أن يستر ما تعطف الحق به على قلوب العلماء ومال عز وجل سبحانه وتقدس بخطابه مما يقتضيه جلاله من الغنى على الإطلاق عن العالمين إلى قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم "جعت فلم تطعمني مرضت فلم تعدني ظمئت فلم تسقني فليستر علم هذا عن الجاهل ولا يزيد على ما فسره به قائله سبحانه شيأ كما ستره الحق بقوله "أما إن فلاناً مرض فلو عدته وجدتني عنده وهذا أشكل من الأوّل لكنه أعطى في هذا التفسير للعلماء بالله علماً آخر به تعالى لم يكن عندهم وذلك أنه في الأول جعل نفسه سبحانه عين المريض والجائع وفي تفسيره تعالى جعل نفسه عائد المريض بكونه عنده فإن من عاد مريضاً فهو عنده وأين هذا من جعله نفسه عين المريض وكل قول من ذلك حق ولكل حق حقيقة وأما الستر الذي في ذلك للعامي أن يقال له في قوله لوجدتني عنده إن حال المريض أبداً الافتقار والاضطرار إلى من بيده الشفاء وليس إلا الله فالغالب عليه ذكر الله مع الأنات في دفع ما نزل به بخلاف الأصحاء وهو سبحانه قد قال "أنا جليس من ذكرني" وهذا وجه صحيح ويقنع العامي به ويبقى العالم بما يعلمه من ذلك على علمه فهذا هو سر الميل الإلهيّ عن نظر العامي.

فصل بل وصل في ستر العورة في الصلاة

اختلف العلماء هل هي شرط في صحة الصلاة أم لا فمن قائل إن ستر العورة من سنن الصلاة ومن قائل إنها من فروض الصلاة وأما اعتبار ذلك في النفس فقد أعلمناك ما مفهوم العورة آنفاً وفي هذه المسئلة لما ثبت أن المصلي يناجي ربه وإن الصلاة قد قسمها الله نصفين بينه وبين عبده فمن غلب أن الحق هو المصلي بأفعال عبده أعني الأفعال الظاهرة من العبد في الصلاة كما ثبت أن الله قال على لسان عبده في الصلاة سمع الله لمن حمده عند الرفع من الركوع والعبد هو القائل بلا شك وقال فأجره حتى يسمع كلام الله والرسول صلى الله عليه وسلم هو التالي بلا شك قال إن ستر العورة من فروض الصلاة أي مثل هذا لا يظهر في العامّة يريد معناه وسرّه الذي يعرفه العالم بل يؤمن به العامّيّ كما جاء وما يعقلها إلا العالمون ومن رأى أن لا مرتبة في هذه المسئلة بين العالم والعاميّ

وأنه ما فيها إلا ما ورد النص به ولو أدّى عند السامع إلى ما أدّاه إذا لم يخرج عن مقتضى اللسان في ذلك وإن تفاضلت درجاهم كان ستر العورة عنده من سنن الصلاة لا من فروضها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فصل بل وصل في حدّ العورة

فمن قائل إن العورة في الرجال هي السوءتان ومن قائل هي من الرجال من السرّة إلى الركبة وهي عندنا السوءتان فقط الاعتبار في ذلك في النفس ما يذم ويكره ويخبث من الإنسان هو العورة على الحقيقة والسوءتان محل لما ذكرناه فهو بمنزلة الحرام وما عدا السوءتين مما يجاوزهما من السرّة علواً ومن الركبة سفلاً هو بمنزلة الشبهات فينبغي أن يتقي فإن الراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

فصل بل وصل في حدّ العورة من المرأة

فمن قائل إنها كلها عورة ما خلا الوجه والكفين ومن قائل بذلك وزاد أن قدميها ليستا بعورة ومن قائل أنها كلها عورة وأما مذهبنا فليست العورة في المرأة أيضاً إلا السوءتين كما قال تعالى "وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة" فسوّى بين آدم وحوّاء في ستر السوأتين وهما العورتان وإن أمرت المرأة بالستر فهو مذهبنا لكن لا من كونها عورة وإنما ذلك حكم مشروع ورد بالستر ولا يلزم أن يستر الشيء لكونه عورة اعتبار ذلك في النفس المرأة هي النفس والخواطر النفسية كلها عورة فمن استثنى الوجه والكفين والقدمين فلأنّ الوجه محل العلم لأن المسئلة إذا لم تعرف وجهها فما علمتها وإذا استتر عنك وجه الشيء فما علمته وأنت مأمور بالعلم بالشيء فأنت مأمور بالكشف عن وجه ما أنت مأمور بالعلم به فلا يستر الوجه من كونه عورة فإنه ليس بعورة وأمّا اليدان وهما الكفان بهما محل الجود والعطاء وأنت مأمور بالسؤال فلا بد للمعطي أن يمدّ يده بما يعطي فلا يستر كفه فإنه المالك للنعمة التي تطلبها منه فلا بدّ أن تتناولها إذا جاد عليك بها والجود والكرم مأمور بهما شرعاً وقد ورد أن اليد العليا خير من اليد السفلى فعم يد السائل والمعطي فلا بدّ للمعطي أن يناول وللسائل أن يتناول وأمّا القدمان فلا يجب سترهما وإنهما ليستا بعورة لأنهما الحاملتان للبدن كله ونقلاته من مكان إلى مكان ومن كان حكمه التصريف فيتعذر ستره واحتجابه فلابدّ أن يظهر ويبرز ضرورة فيبعد أن يكون عورة تستر.

فصل بل وصل في اللباس في الصلاة

اتفق العلماء على أنه يجزي الرجل من اللباس في الصلاة الثوب الواحد اعتباره في النفس الموحد في الصلاة هو الذي لا يرى نفسه فيها بل يرى أن الحق يقيمه ويقعده وهو كالميت بين يدي الغاسل فهذا معنى الثوب الواحد.

فصل بل وصل في الرجل يصلي مكشوف اللظهر والبطن

فذهب قوم إلى جواز صلاته وذهب قوم إلى أنه لا تجوز صلاته اعتبار النفس في ذلك الظاهر والباطن وهو عمر القلب في الصلاة وعمل الجوارح فالرجل المصلي إذا انكشف له ظاهر أمره في صلاته وباطنه لم ير نفسه مصلياً وإنما رأى نفسه يصلي بها فهذا بمترلة من قال بإبطال صلاته فإن صاحب هذا الكشف على هذا النظر بطلت إضافة الصلاة إليه مع وقوع الصلاة منه ومن حصل له هذا الكشف وقال لا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا وبهذا القدر من الفعل يسمى مصلياً قال بجواز صلاته.

فصل بل وصل فيما يجزي المرأة من اللباس في الصلاة

اتفق الجمهور على الدرع والخمار فإن صلت مكشوفة فمن قائل تعيد في الوقت وبعده ومن قائل تعيد في الوقت وأمّا المرأة المملوكة فمن قائل أنها تصلي مكشوفة الرأس والقدمين ومن قائل بوجوب تغطية رأسها ومن قائل باستحباب تغطية رأسها اعتبار النفس في ذلك لا فرق بين المملوكة والحرّة فإن الكل ملك لله فلا حرّية عن الله فإذا أضيفت الحريّة إلى الحلق فهو خروجهم عن رق الغير لا عن رق الحق أي ليس لمخلوق على قلوبهم سبيل ولا حكم فهذا معنى الحرّية في الطريق وقد تقدم الكلام في الثوب الواحد وبقي الاعتبار في تغطية الرأس هنا واعلم أن المرأة لما كانت في الاعتبار النفس والرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور في العالم برياستها لحجابها عن رياسة سيدها عليها وطلب شفوفها على أمثالها ولهذا قيل آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حب الرياسة أمرت النفس أن تغطي رأسها أي تستر رياستها فإنها في الصلاة بين يدي ربها ولا شك أن الرئيس بين يدي الملك في محل الافتقار فإذا خرج إلى من هو دونه أظهر رياسته عليه فلهذا أمرت النفس المملوكة أن تغطي رأسها في الصلاة.

فصل بل وصل في لباس المحرم في الصلاة

فمن قائل بجواز صلاته وهو مذهبنا وإن كنت أكره له ذلك ومن قائل لا تجوز ومن قائل باستحباب الإعادة في الوقت وهو عندنا عاص بلباس ما لا يحل له وإن جازت صلاته فإنه عندنا من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً اعتبار النفس في ذلك ما في كل موطن برزق الإنسان العصمة في أحواله والتوفيق في جميع أموره فهو فيما يوفق فيه موفق وفيما يخذل فيه مخذول في الوقت الواحد كالذاكر لله بقلبه ولسانه وهو يضرب بيده في تلك الحالة من يأثم بضربه ومن حرم عليه ضربه فلا يقدح ذلك في ذكره كما لا يرفع ذلك الذكر إثمه أو حكم أنه أتى حراماً فإن الذكر لا يحلله ولهذا عندنا تصح الصلاة في الدار المغصوبة فهو مأثوم من وجه مأجور من وجه.

فصل بل وصل في الطهارة من النجاسة في الصلاة

فمن قائل إنها من فروض الصلاة وأنها لا تصح إلا بإزالتها ومن قائل إنها سنة وقد مضى الكلام فيها في الطهارة ومن قائل إن إزالة النجاسة فرض على الإطلاق ومن هذا مذهبه لا يلزم منه أن يقول إن إزالتها شرط في صحة الصلاة بل يكون مصلياً صحيح الصلاة وعاصياً من حمله النجاسة في الصلاة اعتبار ذلك في النفس النجاسة عند من يرى إزالتها فرضاً تقتضي البعد عن الله والصلاة تقضي بالقرب للمناجاة فمن غلب القرب على البعد أزال حكمها ومن غلب البعد على القرب لم تصح عنده الصلاة والأولى أن يقال إن

العبد متنوّع الأحوال وأنه بكله لله وأنه بما كان منه لله لله فإن الله لا يظلم مثقال ذرّة فصلاته مقبولة سواء صلى بالنجاسة أو لم يصل والأولى إزالتها بلا خلاف قل ذلك أو كثر ومترلها أن الإنسان لا يحضر مع الله في كل حال لما جبل عليه من الغفلة والضيق فاعلم ذلك وبالله التوفيق.

فصل بل وصل في المواضع التي يصلى فيها

فمن الناس من ذهب إلى إجازة الصلاة في كل موضع لا تكون فيه نجاسة ومنهم من استثنى من ذلك سبعة مواضع المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق والحمام ومعاطن الإبل وفوق ظهر الكعبة ومنهم من استثنى من ذلك المقبرة والحمام ومنهم من استثنى المقبرة فقط ومنهم من كره الصلاة في هذه المواضع المنهي عنها وإن لم تبطلها اعتبار النفس في ذلك قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والمصلي يناجي ربه وقوله والذين هم على صلاتهم دائمون وقول عائشة رضي الله عنها في رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما علمت من أحواله أنه كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وليس للأماكن أثر في حجاب القلب عن ربه إلا لأصحاب الأحوال وإنما الأثر في ذلك للغفلة أو للجهل في العموم أو للحال في أصحاب الأحوال وأمّا ذكر هذه الأماكن المنهيّ عنها فإنها كلها تناقض الطهارة وقد تقدّم الكلام في الطهارة من النجس واعتباره وما بقي من هذه السبعة إلا الصلاة فوق ظهر البيت وذلك أنك مأمور بالاستقبال إليه في الصلاة وأنت في هذه الحالة لا فيه ولا مستقبله فلم تصل الصلاة المشروعة فإن شطر المسجد الحرام لا يواجهك ومن أجاز ذلك حمل في الاعتبار الوجه على الذات ولا شك أنك بذاتك شطر المسجد الحرام فإنك على ظهره والأرض كلها مسجد.

فصل بل وصل في البيع والكنائس

اختلف الناس في البيع والكنائس أعني في الصلاة فيها فكرهها قوم وأجازها قوم وفرّق قوم بين أن تكون فيها صور أم لا تكون اعتبار النفس في ذلك هل يناجي الحق شخصان من مرتبة واحدة ذلك عندنا لا يصح للتوسع الإلهيّ قال تعالى "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" تفسيراً وإشارة فإن صلينا في مثل هذه الأماكن فمن شرعنا لا من شرعهم فافهم والله الملهم.

فصل بل وصل في الصلاة على الطنافس وغير ذلك مما يقعد عليه

اتفق العلماء على الصلاة على الأرض واختلفوا في الصلاة على الطنفسة وغير ذلك مما يقعد عليه على الأرض فالجمهور على إباحة السجود على الحصير وما يشبهه مما تنبته الأرض والكراهة في السجود على غير ذلك الاعتبار في النفس في ذلك لما قال الحق تعالى "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين فأثبتك في الصلاة وما نفاك وله الوصف الأعلى الأنزه ولك الوصف الأنزل الأدنى فكل نزول منك إلى أرض عبوديتك أو لوازمها فإنه قادح فيما أمرت بتعميمه فإنه سماك عبداً في الصلاة والعبودة هي الذلة وقال تعالى في وصف الأرض أنه جعلها لنا ذلولاً فنمشي في مناكبها فهي تحت أقدامنا وهذا غاية الذلة من يكون يطؤها الذليل ولما كانت بهذه المترلة من الذلة أمرنا أن نضع عليها أشرف ما عندنا في ظاهرنا وهو الوجه وأن نمرّغه في التراب فعل ذلك جبر الانكسار الأرض

بوطء الذليل عليها الذي هو العبد فاجتمع بالسجود وجه العبد ووجه الأرض فانجبر كسرها فإن الله عند المنكسرة قلوبهم فكان العبد في ذلك المقام بتلك الحالة أقرب إلى الله سبحانه من سائر أحوال الصلاة لأنه سعى في حق الغير لا في حق نفسه وهو جبر انكسار الأرض من ذلتها تحت وطء الذليل لها فتنبه لما أشرت إليك فإن الشرع ما ترك شيأ إلا وقد أشار إليه بإيماء علمه من علمه وجهله من جهله ولهذا لم يعلم أسرار هذه الأمور إلا أهل الكشف والوجود فإن جميع العالم يخاطبونهم ويعرفونهم بحقائقهم ولقد أخبرني أبو العباس الحريريّ بمصر سنة ثلاث وستمائة عن أبي عبد الله القرياقيّ أنه كان يمشي معه في سويقة وردان وكان قد اشترى قصرية صغيرة لابن صغير كان عنده ليبول فيها فضمهم مترل والقصرية عنده جديدة ومعهم رجال صالحون فأرادوا أكل شيء فطلبوا إداماً يأتدمون به فاتفق رأيهم على أن يشتروا قطارة السكر فقالوا هذه القصرية ما مسها قذر وهي جديدة على حالها فملؤها قطارة وقعدوا يأكلون إلى أن فرغوا وانصرف الناس ومشى صاحب القصرية بها مع أبي العباس قال أبو العباس فوالله لقد سمعت بأذني هذه وسمع معي الشيخ أبو عبد الله القرياقيّ القصرية وهي تقول بعد أن أكل فيّ أولياء الله أكون وعاء للقذر والله لا كان ذلك وانتفضت من يده وسقطت على الأرض فتكسرت قال أبو العباس فأخذنا من كلامها حال فلما قال لي ذلك قلت له إنكم غبتم عن وجه موعظة القصرية إياكم ليس الأمر كما زعمتم وكم من قصرية أكل فيها من هو خير منكم وبعد ذلك استعملت في القذر وإنما قالت لكم يا إخواني لا ينبغي لكم بعد أن جعل الله قلوبكم أوعية لمعرفته وتجليه أن تجعلوها وعاء للأغيار وما نهاكم الله أن تكون قلوبكم وعاء له ثم تكسرت أي هكذا فكونوا مع الله فقال لي ما جعلنا بالنا لما نبهتنا عليه.

فصل بل وصل في اشتمال الصلاة على أقوال وأفعال

أمّا الشروط المشترطة في الصلاة فمنها أقوال ومنها أفعال أما الأفعال فجميع الأفعال المباحة التي ليست أفعال الصلاة إلا قتل الحية والعقرب في الصلاة فإنهم اختلفوا في ذلك واتفقوا على أن الفعل الخفيف لا يبطل الصلاة الاعتبار في النفس في ذلك عقرب الهوى وحية الشهوة تخطر للمناجي ربه فهل يقتلهما أو يصرفهما في مصرفهما الذي عين لهما الشارع لما علم العارف أن قتلهما محال فيهوى ما عند الله بهواه ويشتهي دوام مناجاته بشهوته فيرى بأن لا يقتلهما من هذا مذهبه ويرى قتلهما من يرى أنهما قد حالا بينه وبين مناجاته ربه وأما الأقوال فإنها أيضاً التي ليست من أقوال الصلاة فلم تختلف العلماء في أنها تفسد الصلاة عمداً إلا أن العلماء اختلفوا من ذلك في موضعين الموضع الواحد إذا تكلم ساهياً والموضع الآخر إذا تكلم عامداً لإصلاح الصلاة ومن قائل وهو قول شاذان من تكلم في الصلاة عامداً لإحياء نفس أو أمر كبير أنه يبني على ما مضى من صلاته ولا يفسدها ذلك وهو مذهب الأوزاعيّ ومن قائل إن الكلام عمداً لإصلاح الصلاة لا يفسدها ومن قائل إن الكلام يفسدها كيف كان إلا مع النسيان ومن قائل إن الكلام يفسدها مع النسيان ومع غير النسيان الاعتبار المصلي يناجي ربه فإذا ناجى غيره من أجله مازال من مناجاة ربه وإذا ناجى غيره لا من أجل ربه فقد خرج عن صلاته والنسيان في مناجاة الحق غير معتبر إلا من غلب من أصحابنا على المناجي مشاهدة الحجاب فإن الله لا يناجي عبده إلا من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب وأقرب الحجب الصورة التي يقع فيها التجلي هذا أقرب الحجب فإنه ما هو الصورة ولا غيرها فمن شغلته الصورة عن نسبة ما هو

الصورة أو شغله ما هو الصورة عن نسبة هو الصورة فهو الناسي في الحالتين فيكون حكمه في الاعتبار كحكمه في الظاهر من الخلاف الواقع بين العلماء فافهم.

فصل بل وصل في النية في الصلاة

فمن قائل إنها شرط في صحة الصلاة بل قد اتفق العلماء عليها إلا من شذ اعتبار النفس في ذلك قد يقصد العبد مناجاة ربه وقد يأتيه الأمر بغتة فإن موسى مشى ليقبس ناراً فكلمه ربه و لم يكن له قصد في ذلك والأصل في العبادات كلها أنها من الله ابتداء لا مقصودة للمكلفين إلا ما شذ من ذلك كآية الحجاب وغيرها في حق عمر بن الخطاب وإنما يمنع القصد في الباطن المعتبر لأن الحقيقة تعطي أن ما ثم شيء خارج عن الحق أو تخلى الحق عنه حتى يقصده في أمر يكون فيه بل هو في نسبة الكل إليه نسبة واحدة فإلى أين أقصد وهو معي حيث كنت وعلى أيّ حال كنت فما بقي القصد جهة القربة إلى الله وإنما متعلق القصد حال مخصوص مع الله قصدته عن حال مخصوص مع الله خرجت منه به إليه والأحوال مختلفة فمن راعي اختلاف الأحوال قال بوجوب النية وعلى هذا النحو تنوّعت الشرائع وجاءت ومن راعى الحضور و لم ينظر إلى الأحوال كان صاحب حال فلم يعرف النية فإنه في العين قال تعالى في حق من هذا حاله من باب الإشارة لا التفسير فأين تذهبون ومثله إنني معكما أسمع وأرى انتهى الجزء السابع والثلاثون.

الجزء الثامن والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل بل وصل في نية الإمام والمأموم

اختلف علماء الشريعة في نية الإمام والمأموم هل من شرط نية المأموم أن توافق نية الإمام في الصلاة أعني في تعيين الصلاة وفي الوجوب فمن قائل إنه يجب ومن قائل إنه لا يجب ولكل قائل حجة ليس هذا موضعها اعتبار النفس في ذلك الصحيح أنه لا يجب لأنه أمر غيبي ولا يكون الائتمام إلا بما يتعلق به الحس من سماع أو مشاهدة ولهذا فصل الشارع ما أجمله في الائتمام فذكر الأفعال المدركة بالحس بأي حس أدركها وما ذكر النية فإنها من عمل القلب فإنه تكليف ما لا يوصل إلى معرفته ومن علم أن الاتساع الإلهيّ يحيل أن يكرر الحق التجلي لشخص أو يتجلى لشخصين في صورة واحدة علم أن نية المأموم لا ترتبط بنية الإمام إلا في الصلاة من كونها ذات أفعال ولكل امرىء ما نواه فإن القصد بالتجلي الامتنان من المتجلي على المتجلي له والقصد من المتجلي له العلم والالتذاذ بذلك التجلي.

فصل بل وصل في حكم الأحوال في الصلاة

اعلم أن الصلاة تشتمل على أقوال وأفعال ويكون حكمها بحسب الأحوال فإن جميع العبادات تنبني على الأحوال وهي المتعبرة للشارع فيكون الحكم يتوجه على المكلف من جهة الحال التي يكون عليها والأسماء تابعة للأحوال ولهذا يراعيها الشارع في الحكم على المكلف قيل لمالك بن أنس ما تقول في خنزيل الماء فأفتى بتحريمه فقيل له أليس هو من سمك البحر فقال رضي الله عنه أنتم سميتموه خنزيراً ما زادهم على ذلك كذلك الخمر المحرم شربها إذا تخللت زال عنها اسم الخمر لزوال الحال الذي أوجب له اسم الخمر فسمي خلاً لحال آخر طرأ عليه والجوهر عين الجوهر فانتقل الحكم من التحرم إلى الحل والظاهر والباطن في هذا على السواء في الحكم فإن الاعتبار إنما هو من الشرع لمن عقل عنه.

فصل بل وصل في التكبير في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في التكبير في الصلاة على ثلاثة مذاهب فمن ذاهب إلى أنه كله واجب في الصلاة ومن ذاهب إلى أنه كله ليس بواجب نقيض الأول ومن ذاهب إلى أنه ليس بواجب إلا تكبيرة الإحرام فقط اعتبار النفس في ذلك تكبير الله واجب على كل حال ولكن من شرطه مشاهدة الإنسان نفسه فإن لم يشاهد إلا الله و لم ير لغير الله عيناً فلا يجب التكبير لأنه ما ثم على من فإن الله لا يجب عليه شيء وأن التكبير لا يعقل إلا بوجود الأغيار أو تقدير وجود الأغيار ثم إن القائلين لا مشهود لهم إلا الله شاهداً ومشهوداً وشهادة وأعمّ من هذه الحالة في الفناء ما يكون فإن شاهده من حيث أسماؤه الإلهية الحسنى أوجب التكبير من حيث نسبها أي من نسب بعضها لبعض فإن الاسم الحي له مهيمنية على جميع الأسماء والاسم العالم أعمّ في التعلق من الاسم المريد

والقادر فالتكبير لابد منه فإن حقائق الأسماء تطلبه لتفاضلها وإن نظر في الأسماء الإلهية من حيث ما تجتمع فيه وهو المسمى بها فإنها موضوعة من المتكلم للدلالة على عين المسمى وإن كان لها حقائق في نفوسها مما يكون متعلقه التتريه أو الأغيار لم ير التكبير ومن فرّق بين الصلاة وغيرها من العبادات رأى وجوب تكبيرة الإحرام فقط ينبه بها نفسه أنها ممنوعة محجور عليها التصرّف فيما يخرجها عن هذه العبادة المختصة المسماة صلاة وقد انحصرت المذاهب في الاعتبار والحمد لله.

فصل بل وصل في لفظ التكبير في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في صفة لفظ التكبير في الصلاة فمن قائل لا يجزىء إلا لفظة الله أكبر ومن قائل يجزىء بغير الصيغة ولكن فيه لابدّ من حروف التكبير وهي الكاف والباء والراء ومن قائل يجوز التكبير على المعنى كالأجل والأعظم ومذهبنا في ذلك أن اتباع السنة أولى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صلوا كما رأيتموني أصلي وما نقل إلينا قط إلا هذا اللفظ الله أكبر تواتر ذلك عندنا الاعتبار في ذلك ما عين الشرع لفظاً في عبادة نطقية دون غيره من الألفاظ مما في معناه إلا وقد أراد ما يمتاز به ذلك اللفظ من طريق المعنى عند العلماء بالله عما يقع فيه الاشتراك فالأولى بنا مراعاة الاقتداء ومراعاة المعنى الذي يقع به الامتياز علمنا ذلك المعنى أو جهلناه فإن علمناه فوجب أن لا نعدل عنه وإن لم نعلمه فنأتي به على علم الذي شرعه فيه ولا نتحكم بسياق لفظ آخر والله قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فقال له "قل رب زدني علما" والعالم إذا كان حكيماً لا يعدل إلى أمر دون غيره مما يقارب معناه إلا لخصوص وصف فيعتبر ذلك ولا يعدل عنه فعلاً كان أو قولاً فإنه لابدّ لمن يعدل عنه أن يحرم فائدة ذلك الاختصاص ويتصف بالمخالفة بلا شك.

فصل بل وصل في التوجيه في الصلاة

فمن قائل بوجوبه ومن قائل بعدم وجوبه وصورته أن يقول بعد التكبير وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين الحديث ومن قائل له أن يسبح وإن لم يقل هذا اللفظ بعينه ومن قائل يجمع بينهما بين التسبيح والتوجيه وأمّا الذي أذهب إليه فهو التوجيه في صلاة الليل في التهجدد لا في الفرائض وأما في الفرائض فينبغي أن يقول بين التكبير والقراءة في نفسه لا يسمع غيره إذا كبر اللهمّ باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهمّ نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهمّ اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد هذا هو الذي اختاره وبه وردت السنة ومذهبنا الوقوف عندها والعمل بها وإن لم نوجب ذلك إذ لم يوجبه الله ولكن الاتباع أولى الاعتبار في ذلك عند أهل الله التوجيه في حال من حال إلى حال من الله بالله إلى الله مع الله في الله لله على الله من الله ابتداء بالله إعانة وتأييد إلى الله غاية وانتهاء مع الله صحبة ومراقبة في الله رغبة لله قربة من أجله على الله توكلاً واستمداداً ثم يعتبر ألفاظ ما ورد في التوجيه وكذلك تعتبر ما ذكرناه من الدعاء بين التكبير والقراءة والماء الحياة فإنه جعل من الماء كل شيء حيّ أي مما تحيى به قلبي بذكرك وجوارحي بطاعتك حتى لا تتصرف إلا فيها فإنها شاهد مصدق يوم القيامة لمن تشهد عليه أوله كما ورد في القرآن العزيز من شهادة الجوارح واعتبر البرد من برد اليقين كبرد الأنامل الوارد في الخبر الصحيح فحصل به

من العلم على يقين فيبرد به ما يجده العبد المصطفى من حرارة الشوق إلى المراتب العلى عند المسبح الأعلى من العلم بالله والثلج من ثلج القلب الذي هو سروره بما أكرمه الله به من تجليه وشهوده.

فصل بل وصل في سكتات المصلي في الصلاة

وهي بعدما يكبر تكبيرة الإحرام وقبل الشروع في القراءة هذه السكتة الأولى وأما السكتة الثانية فعند الفراغ من قراءة الفاتحة وأما السكتة الثالثة فبعد الفراغ من القراءة وقبل الركوع صوى السكتات التي هي الوقوف على كل آية ليترادّ إليه نفسه أو ليتدبر فيما قرأ وهذه السكتة الثالثة إنما هي لمن يقرأ قرآناً سوى الفاتحة بعد الفاتحة فإن اكتفى بالفاتحة فما هما إلا سكتتان فاعلم اعتبار أهل الله في ذلك من الناس من أنكر سكتات الإمام ومنهم من استحبها ولا شك أن السكتات هي السنة فأما اعتبارها فالله يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين وقال صلى الله عليه وسلم "اعبد الله كأنك تراه" فالمصلي يتأهب لمناجاة ربه ويجعله نصب عينيه في قبلته وكذلك هو الأمر في نفسه لكن من غير تحديد ولا تشبيه بل كما يليق بجلاله فإن المصلي يواجه ربه في قبلته كذا ورد عن الصادق صلى الله عليه وسلم والمناجاة مفاعلة والمفاعلة فعل فاعلين في بعض المواطن هذا منها فإذا قال العلد الحمد الله رب العالمين فالله عند هذا القول من العبد سميع فينبغي للعبد إذا فرغ من الآية أن يلقي السمع وهو شهيد فيسكت حتى يرى ما يقول له الحق جل جلاله في ذلك أدباً مع الحق لا ينبغي له أن يداخله في الكلام فإن ذلك من الأدب في المحاورات والحق أحق أن يتأدب معه فيقول الله حمدني عبدي فمن عبيد الله من يسمع ذلك القول بسمعه فإن لم تسمعه بسمعك فاسمعه إيماناً به فإنه أخبر بذلك وهكذا يقول لك في كل آية بحسب ما تقتضيه تلك الآية فمن الأدب الإصغاء لما يقوله القائل لك من ناجيته فإذا داخلته في كلامه أي في حال ما يكلمك فقد أسأت الأدب هذا عام في كل متكلم مع من يكلمه فالأمر بين سامع ومتكلم لتحصيل الفائدة واعلم أنه من لا أدب له لا تتخذه الملوك جليساً ولا سميراً ولا أنيساً.

فصل بل وصل في البسملة في افتتاح القراءة في الصلاة

اختلف علماء الشريعة في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في افتتاح القراءة في الصلاة فمن قائل بالمنع سرّاً وجهراً لا في أمّ القرآن ولا في غيرها من السور وذلك في المكتوبة وأجازها في النافلة ومن قائل تقرأ مع أمّ القرآن في كل ركعة سرّاً ومن قائل يقرأ بها ولابدّ في الجهر جهراً وفي السرّ سراً والذي أقول به أن التعوّذ بالله من الشيطان الرجيم عند افتتاح قراءة القرآن في صلاة وفي غيرها فرض للأمر الإلهيّ الوارد في قوله تعالى "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" وقراءة البسملة في القراءة في الصلاة فرضاً كانت الصلاة أو نفلاً في الفاتحة والسورة أولى من تركها فإن الفرض على المصلي أن يقرأ ما تيسر من القرآن وقد عين الله الذي أراد من القرآن في الصلاة وهو الذي تيسر فقد عرف بعد ما نكر وذلك هو الفاتحة فإن تيسر له قراءة البسملة قرأها وإن لم تتيسر قراءتها في الفاتحة وغيرها فلا حرج وأما الفاتحة فلابد منها في الصلاة وإن لم يقرأ الفاتحة فما هي الصلاة التي قسمها الحق بينه وبين عبده والبسملة عندنا آية من القرآن حيثما وردت من القرآن وهي آية إلا في سورة النمل في كتاب سليمان فإنها جزء من آية ما هي آية كاملة والله أعلم الاعتبار عند أهل الله في ذلك فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والقرآن

كلام الله وقد ورد إذا استطعم الإمام من خلفه فليطعمه فسماه طعاماً فناسب الأكل فلهذا أتينا بآيات الأكل في الاعتبار ومن قرأ القرآن معتقداً أنه كلام الله فقد سمى الله متكلماً وإن كان هذا الاسم ما ورد فافهم فهمنا الله وإياك مواقع خطابه.

فصل بل وصل

القراءة في الصلاة وما يقرأ به من القرآن فيها

من الناس من أوجب القراءة في الصلاة وعليه إلا أكثر ومن الناس من لم ير وجوب القراءة ومن الناس من أوجبها في بعض الصلاة و لم يوجبها في بعض والذي أذهب إليه وجوب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة وإن تركها لم تجزه صلاته ثم اختلفوا أيضاً فيما يقرأ به من القرآن في الصلاة فمنهم من أوجب قراءة أمّ القرآن في الصلاة إن حفظها وبه أقول وما عداها من القرآن ما فيه توقيت ومن هؤلاء من أوجها في كل ركعة ومنهم من أوجها في أكثر الصلاة إن حفظها وبه أقول وما عداها من القرآن ما فيه توقيت ومن هؤلاء من أوجها في كل ركعة ومنهم من أوجها في أكثر الصلاة ومنهم من أوجها في نصف الصلاة ومنهم من أوجبها في ركعة من الصلاة ومنهم من أوجب قراءة القرآن أي آية اتفقت ومن هؤلاء من حدّ ثلاث آيات من قصار الآي وآية واحدة من طوال الآي كآية الدين وهذا في الركعتين الأولين وأمّا في الركعتين الأخريين فاستحب قوم التسبيح دون القراءة واتفق الجمهور وهم الأكثرون على استحباب القراءة في الصلاة كلها وبه أقول اعتبار أهل الله في ذلك المصلى يناجي ربه والمناجاة كلام والقرآن كلام الله والعبد قاصر أن يعرف من نفسه ما ينبغي أن يكلم به ربه في وقت مناجاته التي دعاه إليها في صلاته فعلمه ربه كيف يناجيه وبماذا يناجيه به لما قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين ثم قال يقول العبد الحمد لله رب العالمين فهذا إخبار من الحق يتضمن تعليم العبد ما يناجيه به فيقول الله حمدني عبدي الحديث فما ذكر في حق المصلي إذا ناجاه أن يناجيه بغير كلامه ثم إنه تعالى عين له من كلامه أمّ القرآن إذا كان لا ينبغي أن يناجي إلا بكلامه وبالجامع من كلامه ولأمّ هي الجامعة وهي أمّ القرآن وبعد أن علمنا كيف نناجيه سبحانه وبماذا نناجيه فالعالم العاقل الأديب مع الله إذا دخل في الصلاة أن لا يناجيه إلا بقراءة أمّ القرآن فكان هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه عن ربه تعالى مفسراً لما تيسر من القرآن وإذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجهاً خاصاً مما يكون تفسيراً لذلك المجمل كان الواجب عند الأدباء من العلماء أن لا يتعدوا في تفسير ذلك المجمل ما فسره به قائله وهو الله تعالى وأن يقفوا عنده وشرع المناجاة بالكلام الإلهيّ في حال القيام في الصلاة خاصة دون غيره من الأحوال لوجود صفة القيومية من كون العبد قائماً في الصلاة والله قائم على كل نفس بما كسبت وهنا علم كبير في قيام العبد بكلام الرب وماله حديث إلا مع ربه بكلام ربه مادام قائماً فلمن يترجم وعمن يترجم ومن هو المترجم وما تكسب النفس اتلي هو قائم عليها ومن هو العبد حتى يقول السيد جل جلاله يقول العبد كذا فيقول الله كذا لولا العناية الإلهية والتفضل الرباني فإن قيل قد فهمنا ما أشرت به من صفة القيام والرفع من الركوع قيام ولا قراءة فيه قلنا الرفع من الركوع إنما شرع للفصل بينه وبين السجود فلا يسجد إلا من قيام فلو سجد من ركوع لكان خضوعاً من خضوع ولا يصح خضوع من خضوع لأنه عين الخروج عما يوصف بالدخول فيه فإن التواضع لا يكون إلا من رفعة فإن المهين النفس إذا ظهر منه التواضع فيما يرى فليس بتواضع وإنما ذلك

مهانة نفس فيكون لا خضوع مثل عدم العدم هو عين الوجود فلهذا فصل بين السجدتين برفع ليفصل بين السجدتين حتى تتميز كل واحدة منهما بالفاصل الذي فصل بينهما فيعلم أن ثم أمراً آخر وإن اشتركنا في الصورة مثل قوله وأتوا به متشابهاً كما لا نشك في حقيقة كلمة لا إله إلا الله من حيث ما هي لا إله إلا الله وقد ظهرت بالصورة في ستة وثلاثين موضعاً من القرآن ويعلم صاحب الذوق أن حكمها يختلف في الطعم باختلاف الموضع الذي ظهرت فيه في ستة وثلاثين موضعاً من القرآن ويعلم صاحب الذوق أن حكمها يختلف في الطعم باختلاف الموضع الذي ظهرت فيه فإن كنت تفهم كتشابه ركعات الصلاة في الصورة ولكل ركعة طعم ومذاق ما هو للأخرى كانت ما كانت ولا شك إذا فصل بين المثلين بالنقيض تميزاً ومن الآداب مع الملوك إذا حيوا حيوا بالأنحناء وهو الركوع أو بوضع الوجه على الأرض وهو السجود تعظيماً لهم وإذا توجهوا أو أثني عليهم قام المثنى أو المكلم لهم بين أيديهم لا يكلمهم جالساً ولا في غير حال من أحوال القيام هذا هو الأدب المعروف من إطلاق هذا اللفظ الجامع

والصلاة حالة يجتمع العبد فيها على سيده كما هي حالة أيضاً جامعة بين الله وبين عبده حيث قسمها الله بينه وبين عبده في الصلاة وقعت المناسبة بين القرآن وبين الصلاة فلم ينبغ أن يقرأ فيها بغير القرآن ولما كان القيام يشبه الألف من الحروف الرقمية وهو أصل الحروف اللفظية وعنه ظهرت جميع الحروف بانطقاعه في مخارجها من الصدر إلى الشفتين فهو الجامع لأعيان الحروف وأعيان الحروف مراتبه ومنازله في خروجه وسفره من القلب الذي هو عالم الغيب إلى الشهادة كان القيام جامعاً لأنواع الهيئات وأصولها من ركوع وسجود وجلوس وإن كان الجلوس له من وجه شبه بالقيام لأنه نصف قيام فكانت قراءة القرآن من كونها جمعاً في القيام أولى فإن القيام هو الحركة المستقيمة والاستقامة هي المطلوبة من الله أن يوفق لها العبد فالعبد يقول اهدنا الصراط المستقيم لكون الله تعالى قال له فاستقم كما أمرت فتعين بما ذكرناه في مجموعه وجوب قراءة أمّ القرآن في الصلاة في ركعة إذ كانت أقل ما ينطلق عليه اسم صلاة شرعاً وهي الوتر وقد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بواحدة أو ترجيحها على غيرها من آي القرآن وإذا كان المتعين على المصلي في القيام قراءة أمّ القرآن إما بالوجوب وإما بالأولوية فلنبين في ذلك صورة قراءة العلماء بالله لها في مناجاتهم في الصلاة وصل في وصف هذه الحال اعلم أن المصلي لما كان ثانياً كما قرّرناه في الاشتقاق وإن كونه ثانياً ليس بأمر حقيقيّ وإنما كان ذلك بالإضافة إلى شهادة التوحيد في الإيمان فتلك تثنية الإيمان أي ظهوره في موطنين في موطن الشهادة وموطن الصلاة كما نثلثه مع الزكاة فما زاد ولهذا ذكر الله الزيادة في الإيمان فقال "فزادهم إيماناً" وهو عين واحدة والكثرة إنما هي في ظهوره في المواطن كالواحد المظهر للأعداد المكثر لها وهو في نفسه لا يتكثر ألا تراه إذا خلت مرتبة عنه لم يبق لتلك المرتبة حكم ولا عين وفي معنى هذا يقول الله فيمن قال نؤمن ببعض ونكفر ببعض أولئك هم الكافرون حقاً فنفى عنهم الإيمان كله إذ نفوه من مرتبة واحدة فهم أولى باسم الكفر الذي هو الستر فإن الكافر الأصلي هو الذي استتر عنه الحق وهذا عرف الإيمان وستره فإنه قال نؤمن ببعض فهو أولى باسم الكفر من الذي لم يعرفه ولما لم تكن أوّلية الحق تقبل الثاني قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فذكر نفسه وذكر العبد وما ذكر الأوّلية هنا لا له ولا لعبده بل ذكر البين له بالضمير ولعبده بالصريح وهو الحدّ الذي ينبغي أن يتميز به العبد من ربه إلا أنه تعالى قدّم نفسه في البينية فقال بيني ثم أخر عن هذا التقدم بينية عبده فقال وبين عبدي فأضافه إليه تعالى ليعرفه أنه عبد له لا لهواه فإنه القائل أفرأيت من اتخذ إلهه هواه فكان عنده عبدا لهواه وهو في نفس الأمر عبد ربه سبحانه فالعبد ماله إرادة مع سيده بل هو بحكم ما يراد به فالحق سبحانه هو الواجب الوجود لذاته والعبد هو الذي منه استفاد الوجود فإن أصله العدم فالحق يعطيه التقدّم في هذه المرتبة إذ البينية لا تعقل إلا بين أمرين والأمران هنا الرب والعبد ثم إن الحق جعل في مقابلة تقديم نفسه من قوله بيني تقديم

العبد في القول على قول الحق فقال سبحانه يقول العبد الحمد لله رب العالمين فقدم قول العبد ثم قال فيقول الله فجاء بقوله بعد قول العبد وذلك ليتبين لنا أن له الأمر من قبل في قوله بيني فقدّم ومن بعد في قوله فيقول الله فهو الأول والآخر فأثبت للعبد الأولية في القول ليعلم أن الأولية الإلهية في قوله بيني لا تقتضي قبول الثاني فهذا الذي قد تخيل أنه ثان قد رجع أولاً في القول في المناجاة فعرّفناك أن المقصود التعريف بالمراتب لا التركيب المولد فإنه لم يلد سبحانه في قوله وبين عبدي و لم يولد في قوله فيقول الله حمدني عبد ولو أن العقل يدركه حقيقة بنظره ودليله ويعرف ذاته لكان مولداً عن عقله بنظره فلم يولد سبحانه للعقول كما لم يولد في الوجود و لم يلد بإيجاده الخلق لأن وجود الخلق لا مناسبة بينه وبين وجود الحق والمناسبة تعقل بين الوالد والولد إذ كل مقدمة لا تنتج غير مناسبها ولا مناسبة بين الله وبين خلقه إلا افتقار الخلق إليه في إيجادهم وهو الغني عن العالمين فكما ثبت أن أولية الحق لا تقبل الثاني كذلك أولية العبد في القول لا يكون الحق ثانياً لها إذ

ليست بأولية عدد إذ كان الذي في مقابلة العبد هو الحق فإنه الذي يناجيه وما تعرض لذكر الغير فمن كان في صلاته يشهد الغير معرى عن شهود الحق فيه أو شهوده في الحق أو شهود صدوره عن الحق وهو قول أبي بكر الصديق ما رأيت شيأ إلا رأيت الله قبله فما هو بمصل من ليست حالته ما ذكرناه من أنواع المشاهدة وإذا لم يكن مصلياً لم يكن مناجياً والحق لا يناجى بالألفاظ في هذه الحالة وإنما يناجى بالحضور معه فيكون القائل الحمد لله رب العالمين إذا لم يكن حاضراً مع الله لسان العبد لا عينه وحقيقته فيقول الحق عند ذلك حمدني لسان عبدي لا عبدي المفروضة عليه مناجاتي وإذا حضر القائل في قوله يقول الله حمدني عبدي جبر له ما مضى بفضل الله فإن العبد إذا حضر تضمن حضوره حضور اللسان وسائر الجوارح لأن العين تجمعهم وإذا لم يحضر عينه لم تقم عنه جارحة من جوارحه ولا عن غير نفسها ولما تقدم نداء الحق عبده في الإقامة حي على الصلاة لهذا ابتدأ العبد بتكبيرة الإحرام فإن بقي على إحرامه إلى آخر صلاته وصدق في إنه أحرم ووفى وفى الله له فإنه قال "ليجزي الله الصادقين بصدقهم" وقال "أوفوا بعهدي أوف بعهدكم" فإنه لا مكره له وإن لم يفِ العبد في صلاته بإحرامه وأحضر أهله أو دكانه وما كان من أغراضه معه فأمره إلى الله يفعل معه ما يقتضيه علمه فيه فقال العبد اقتداء في تكبيرة الإحرام الله أكبر لما خصص حالاً من الأحوال سماها صلاة قال الله أكبر إن يقيد ربي حال من الأحوال بل هو في كل الأحوال لا بل هو كل الأحوال بل الأحوال كلها بيده لم يخرج عنه حال من الأحوال فكبره عن مثل هذا الحكم الوهم لا لحكم العقل فإن للوهم حكماً في الإنسان كما للعقل حكماً فيه وجعلها تكبيرة إحرام أي تكبيرة منع يقول تكبير لا يشاركه في مثل هذا الكبرياء كون من الأكوان وعلى الحقيقة التي أخبرنا بها كيف يشاركه من هو عينه إذ قال له لا يشاركه في مثل هذا الكبرياء كون من الأكوان وعلى الحقيقة التي أخبرنا بها كيف يشاركه من هو عينه إذ قال له إنه سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله فالشيء لا يشارك نفسه فإنه ما ثم إلا واحد فهو المكبر والكبير وهو الكبرياء ليس غيره يتعالى ويتنزه ويتقدس أن يكون متكبراً بكبرياء ما هو عينه فإذا قام العارف بين يدي الله بهذه الصفة و لم ير في وقوفه ولا في تكبيره غير ربه وأصغى إلى نداء ربه إذ قال له حي على الصلاة في الإقامة أي أقبل على مناجاتي وقد قال له "وثيابك فطهر" فإن المصلي في هذا المقام يخلع على الحق حلل الثناء يطلب بذلك البركة فيها فإنه قد علم أن الله يرد عليه عمله كما يقول الشخص عندنا لأهل الدين البس لي هذا الثوب على طريق البركة ثم يخلعه اللابس عليه يقول الحق لما ذكرناه أثنى علي عبدي أي خلع علي حلل الثناء والحق سبحانه على الحقيقة المثني على نفسه بلسان عبده كما أخبرنا أنه قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فانظر ما أشرف مرتبة المصلي كيف وصفه الحق بأنه يخلع حلل الثناء على سيده وأين المصلي الذي تكون هذه حالته هيهات بل الناس استنابوا ألسنتهم

لسوء أدبهم وعدم علمهم بمن دعاهم وبما دعوا له من طلب الثناء فلم يجيبوا إلا بظواهرهم وراحوا بقلوبهم إلى أغراضهم فهم المصلون الساهون في صلاتهم لا عن صلاتهم للحالة الظاهرة من الإجابة لندائه ولكونهم أقاموا ظواهرهم نواباً عنهم بين يدي القبلة عن أمر الله فلما دعاهم الحق إلى هذا المقام وجاء العالم بالله وكبر تكبيرة الإحرام كما ذكرناه و لم ير نفسه أهلاً لمناجاة ربه إلا بعد تجديد طهارة لقوله وثيابك فطهر والثوب في الاعتبار القلب قال العربي فسلي ثيابي من ثيابك تنسل وقيل في تفسير قوله وثيابك فطهر أنه أمر بتقصير ثيابه يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا المعنى:

تقصيرك الثوب حقاً ... أنقى و أبقى و أتقى

ولا شك أن العبد فرض عليه رؤية تقصيره في طاعة ربه فإنه يقصر بذاته عما يجب لجلال ربه من التعظيم فهو تنبيه إلهي على أن يطهر العبد قلبه إذ كان ثوب ربه الذي وسعه في قوله وسعني قلب عبدي فمثل هذا الثوب هو المأمور بتطهيره في هذا المقام ثم إن العارف رأى أن طهر قلبه لمناجاة ربه إذا طهره بنفسه لا بربه زاده دنساً إلى دنسه كمن يزيل النجاسة من ثوبه ببوله لكونه مائعاً وأن التطهير المطلوب هنا إنما هو البراءة من نفسه ورد الأمر كله إلى الله فإن الله يقول وإليه يرجع الأمر كله فاعبده ولهذا لا يصح له عندنا أن يناجيه في الصلاة بغير كلامه لأنه لا يليق أن يكون في الصلاة شيء من كلام الناس وكذا ورد في الخبر أن الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح الحديث ثم أيد هذا القول بما أمر به حين نزل قوله تعالى "فسبح باسم ربك العظيم" قال صلى الله عليه وسلم "لنا اجعلوها في ركوعكم" ولما نزلت "سبح اسم ربك الأعلى" قال صلى الله عليه وسلم لنا "اجعلوها في سجودكم" فعمنا القرآن في أحوالنا من قيام وركوع وسجود فما ذكره المصلي في شيء من صلاته إلا بما شرعه له على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفنا أنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وإن لم نسم كل كلام إلهي قرآناً مع علمنا أنه كلام الله فالقرآن كلام الله وما كل كلام الله قرآن فالكل كلامه فلا نناجيه في شيء من الصلاة إلا بكلامه كذلك التطهير الذي أمر به سبحانه في قوله وثيابك فطهر فيقول العارف في صلاته بين تكبيرة الإحرام وقراءة فاتحة الكتاب امتثالاً لهذا الأمر "اللهم باعد بيني وبين خطاياي وهي النجاسات المتعلقة بثوبه كما باعدت بين المشرق والمغرب والسبب في ذلك أن العبد العالم إذا دعاه الحق إلى مناجاته فقد خصه بمحل القربة منه فإذا أشهده خطاياه في موطن القرب وهي في ذاتها في كل البعد من تلك المكانة كان العبد في محل البعد عما طلب الحق منه من القرب فدعا الله قبل الشروع في المناجاة أن يحول بينه وبين مشاهدة خطاياه أن تظهر له في قلبه في هذا الموطن الذي هو موطن القربة ولذلك قال بعضهم في حد التوبة إن تنسى ذنبك فإن ذكر الجفا في موطن الصفا جفا وما رأيت فيمن رأيت أحداً تحقق بهذا المقام ذوقاً إلا بعض الملوك في مقامه مع الخلق فلا يريد أن يظهر له شيء من خطاياه بتخيل أو تذكر كما باعدت بين المشرق والمغرب وفي هذا التشبيه علم عزيز غزير ولكنه أراد هنا البعد بين الضدين إذ كان الضدان لا يجتمعان والعلم الذي نبهنا عليه مبطون في هذين الضدين إذ يجتمعان في حكم مّا كالبياض والسواد يجتمعان في اللون كالمحدث وغير المحدث في الوصف بالوجوب فالمشرق وإن بعد عن المغرب حساً فإنه يشاهد كل واحد صاحبه على التقابل وهو بعد حسي بالموضعين وبعد معنوي بالشروق والغروب فإن الغروب يضاد الشروق ومحل الشروق الذي هو المشرق بعيد جداً من محل الغروب الذي هو المغرب و لم يقل كما باعدت بين السواد والبياض فإن اللونية تجمع بينهما فانظر ما أحكم هذا التعليم وما أحقه وأدقه وتأدب مع الله

حيث طلب البعد من خطاياه وما طلب إسقاطها عنه حتى لا يكون في ذلك الموطن في حظ نفسه يسعى ويطلب فيكون بمنزلة من وجه الملك فيه ليدخل عليه فلما دخل عليه طلب منه ابتداء ما يصلح لنفسه فهذا سيء الأدب وإنما ينبغي له أن يطلب من الحق ما يليق مما تطلبه تلك الحالة من التأهب لمناجاة سيده فطلب البعد من الخطايا ما طلب الإسقاط وصل فيه ومنه ثم قال اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وذلك لما قال له عز وجل "وثيابك فطهر فجاء في دعائه بلفظ الثوب إعلاماً للحق لقوله حتى تعلم وهذا غاية الأدب حيث يترك علمه لإيمانه أي ما دعوتك إلا بما أمرتني به أن أفعله من تطهير الثوب لمناجاتك فلتكن أنت يا رب المتولي لذلك التطهر فإنه لا حول لي ولا قوة إلا بك وكل وصف لا يليق بجلالك فهو خطية من تخطيت وهو أن يتجاوز العبد حده فيخطو في غير محله ويجول في غير ميدانه فهو كالماشي في الأرض المغصوبة فإذا خطا العبد في غير ما أمره به سيده سمى مخطئاً وخاطئاً وسميت تلك الفعلة والحركة خطيئة فالعبد عبد والرب رب وصل لبقية الدعاء ثم يقول اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد أي تول أنت سبحانك غسل خطاياي فأضاف الغسل إليه يقول فإنك قد شرعت

لي أن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله وشرعت لي أن أقول إذا قلت إياك نعبد أقول وإياك نستعين أي على عبادتك فإن لم تتولني بقوتك ومعونتك فيما أمرتني به من تطهير ذاتي لمناجاتك فكيف أناجيك في حالة جعلتها دنساً وأنت القائل وجعلنا من الماء كل شيء حي فاغسل خطاياي بالماء أي أحي قلبي بأن تبدل سيآته حسنات بالتوبة والعمل الصالح فهذه الحياة هنا على هذا الحال بورود الماء على النجاسة والدنس تطهير أي ما كان دنساً صار نقياً وما كان نجساً صار طاهراً فإن دنسه ونجاسته لم تكن لذاته وإنما كان بحكم شرعي انفرد به هذا الموطن فلما اجتمع بالماء لورود الماء عليه كان للاجتماع حكم آخر سمى به نقاء وطهارة فعاد القبيح حسناً والسيئة حسنة فمثل هذا الفعل هو المطلوب لا إزالة العين بل إزالة الحكم فإن العين موجودة في الجمع بينها وبين الماء وقوله والثلج يقال في الرجل إذا سر قلبه بأمر مّا ثلج فؤاد الرجل أي هو في أمر يسر به فيقول يا رب إنك إذا فعلت مثل هذا الغسل سر قلبي حيث تطهر لما يرضيك بما يرضيك فينقلب غمه سروراً وقوله والبرد هو ما ينطفي من جمرة الاحتراق الذي قام بالقلب من كونه حين دعاه ربه لمناجاته على حالة لا يصلح أن يقف بها بين يدي ربه فيحب ما يطفي تلك النار فجاء بلفظ البرد من البرد وفي رواية بالماء البارد فهو المستعمل في كلام العرب كذا رويناه عنهم قال شاعرهم:

وعطل قلوصي في الركاب فإنها ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا

يقول إن من الناس من كان في نفسه من حياتي حرقة ونار حسداً وعداوة إذا رأوا قلوصي معطلة عرفوا بموتي فبرد عنهم ما كانوا يجدونه بحياتي من النار وأبكت أوليائي الذين كانوا يحبون حياتي فانتقلت صفات هؤلاء إلى هؤلاء وهؤلاء إلى هؤلاء كما انتقل ذل الأولياء وتعبهم ونصبهم ومكابدتهم وكدهم في الدنيا في طاعة ربهم إلى الأشقياء من الجبابرة في النار وانتقل سرور الجبابرة وراحة أهل الثروة في الدنيا إلى أهل السعادة أهل الجنة في الآخرة فالذي ذكر هذا الشاعر في شعره هي حالة كل موجود إذ كل موجود لابد له من عدو وولى قال تعالى "لا تتخذوا عدوي وعدوكم فجعلهم أعداء له كما قال في جزائه إياهم ذلك جزاء أعداء الله فإذا كان لله أعداء فكيف بأجناس العالم وكذلك الولاية لله أولياء ولكل موجود فالعالم لم بالله المشغول به من يقول ما ثم إلا الله وأنا فيفني الكل في جناب الحق وهو الأولى وهو الولي حقاً إذ كانت هثه الحالة سارية حقاً وخلقاً فإن الله عدو للكافرين كما هو ولي

للمؤمنين فهم عبيده أعداؤه فكيف حال عبيده بعضهم مع بعض بما فيهم من التنافس والتحاسد فإذا سأل العارف من الله هذا التطهير بعد تكبيرة الإحرام عند ذلك يشرع في التوجيه وصل متمم لا كمل صلاة في التوجيه وإنما ذكرنا هذا لأن العالم بالله يعمد إلى أكمل الصلوات عند الله في حالاتها من أقوال وأفعال وإن لم يكن بطريق الوجوب ولكن أولياء الله أولى بصورة الكمال في العبادات لأنهم يناجون من له الكمال المحقق بما يجب له فإن ذلك واجب عليهم أوجبته معرفتهم وشهودهم ابتداء التوجيه فيقول العبد وجهت وجهي فأضاف العبد الوجه إلى نفسه عن شرع أبدله فيه أدباً مع الله بحضوره مع الحق في أنه لسانه الذي يتكلم به ودعاه إلى هذه الإضافة قوله تعالى بيني وبين عبدي فأثبته وإنما هو بالحقيقة مضاف إلى سيده فإن العبد الأديب العارف هو وجه سيده إذ لا ينبغي أن يضاف إلى العبد شيء فهو المضاف ولا يضاف إليه فإذا أضاف السيد نفسه إليه فهو على جهة التشريف والتعريف مثل قوله وإلهكم ومثل ذلك وأضاف فعل التوجيه إلى نفسه لعلمه أن الله قد أضاف العمل إلى العبد فقال يقول العبد الحمد لله والقول عمل من الأعمال فالعالم لا يزال أبداً يجري مع الحق على مقاصده كما قال "خلق الإنسان علمه البيان" فعرفه بالمواطن وكيف يكون فيها ولو تركه مع نفسه لعاد إلى العدم الذي خرج منه فأعطاه الوجود ولوازمه وظهر فيه سبحانه بنفسه بما أظهر من الأفعال به وجعل للعبد أولاً معلوماً وجودياً وآخراً معلوماً في الوجود معقولاً في التقدير وظاهراً ما ظهر منه له وباطناً بما خفي عنه منه فلما حده بهذه الحدود وعراه عنها وقال له ما أنت هو بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن فأبقى العبد في حال وجوده على إمكانه ما برح منه ولا يصح أن يبرح وأضاف الأفعال إليه لحصول الطمأنينة بأن الدعوى لا تصح فيها فإنه قال وإليه يرجع الأمر كله وقال أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون فلهذا أضاف العالم التوجيه إلى نفسه ووجه الشيء ذاته وحقيقته أي نصبت ذاتي قائمة كما أمرتني ثم قال للذي فطر السموات والأرض وهو قوله ففتقناهما أي الذي ميز ظاهري من باطني وغيبي من شهادتي وفصل بين القوى الروحانية في ذاتي كما فصل السموات بعضها من بعض فأوحى في كل سماء بما جعل في كل قوّة من قوى سمواتي وقوله والأرض ففصل بين جوارحي فجعل للعين حكماً وللأذن حكماً ولسائر الجوارح حكماً حكماً وهو قوله وقدّر فيها أقواتها وهو ما يتغذى به العقل الإنسانيّ من العلوم التي تعطيه الحواس بما يركبه الفكر من ذلك لمعرفة الله ومعرفة ما أمر الله بالمعرفة به فهذا وما يناسبه ينظر العالم في الله بالتوجيه بقوله فطر السموات والأرض وهو بحر واسع لو شرعنا فيما يحصل للعارف في نفسه الذي يوجب عليه أن يقول فطر السموات والأرض ما وسعه كتاب ولكلت الألسن عن تعبير سماء واحدة منه ثم قال حنيفاً أي مائلاً والحنف الميل يقول مائلاً إلى جناب الحق من إمكاني إلى وجوب وجودي بربي فيصح لي التنزه عن العدم فأبقى في الخير المحض فهذا معنى قوله حنيفاً ثم قال وما أنا في هذا الليل من المشركين يقول ما ملت بأمري كما قال العبد الصالح وما فعلته عن أمري وإنما الحق علمني كيف أتوجه إليه وبماذا أتوجه إليه ومماذا أتوجه إليه وعلى أية حالة أكون في

التوجه إليه هذا كله لابدّ أن يعرفه العلماء بالله في التوجيه وإن لم يكونوا بهذه المثابة فما هم أهل توجيه وإن أتوا بهذا اللفظ فنفى عن نفسه الشرك.

والعبد وإن أضاف الفعل إلى أن يكون به منفرداً من ذلك الفعل فالعبد لا يشاركه سيده في عبوديته فإن السيد لا يكون عبداً والعبد لا يكون سيداً لمن هو له عبد من حيث ما هو عبد له ثم قال إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي فأضاف الكل إلى نفسه فإنه ما ظهرت هذه الأفعال ولا يصح أن تظهر إلا بوجوب العبد إذ يستحيل على الحق إضافة هذه الأشياء إليه بغير حكم الإيجاد فتضاف

إلى الحق من حيث إيجاد أعيانها كما تضاف إلى العبد من كونه محلاً لظهور أعيانها فيه فهو المصلي كما أن المحرّك هو المتحرّك ما هو المحرّك فهو المتحرّك حقيقة ولا يصح أن يكون الحق هو المتحرّك كما لا يصح أن يكون المتحرّك هو المحرّك لنفسه لكونه تراه ساكناً فاعلم ذلك حتى تعرف ما تضيفه إلى نفسك مما لا يصح أن تضيفه إلى ربك عقلاً وتضيف إلى ربك ما لا يصح أن تضيفه إلى نفسك شرعاً ونسكي هنا معناه عبادتي أي إن صلاتي وعبادتي يقول ذلتي ومحياي ومماتي أي وحالة حياتي وحالة موتي ثم قال لله رب العالمين أي لله أي إيجاد ذلك كله لله لا لي أي ظهور ذلك فيّ من أجل الله لا من أجل ما يعودد عليّ في ذلك من الخير فإن الله يقول "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون" فجعل العلة ترجع إلى جنابة لا إلى فلم يكن الفصد الأوّل الخير لنا وإنما كان الإيثار في ذلك لجناب الحق الذي ينبغي له الإيثار فكان تعليماً لنا من الحق وتنبيهاً وهو قول رابعة أليس هو أهلاً للعبادة فالعالم من عبد الله لله وغير العالم يعبده لما يرجوه من الله من حظوظ نفسه في تلك العبادة فلهذا شرع لنا أن نقول لله رب العالمين أي سيد العالمين ومالكهم ومصلحهم لما شرع لهم وبين حتى لا يتركهم في حيرة كما قال تعالى في معرض الامتنان على عبده "ووجدك ضالاً فهدى" أي حائراً فبين لك طريق الهدى من طريق الضلالة فطريق الهدى هنا هو معرفة ما خلقك من أجله حتى تكون عبادتك على ذلك فتكون على بينة من ربك ثم قال لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين أي لا إله في هذا الموضع مقصود بهذه العبادة إلا الله الذي خلقني من أجلها أي لا أشرك فيها نفسي بما يخطر له من الثواب الذي وعده الله لمن هذه صفته وقد ذهب بعضهم إلى الحضور مع الثواب في حال هذه العبادة وكفر من لم يقل به وهذا ليس بشيء وهو من أكابر المتكلمين غير أنه لم يكن من العلماء بالله من طريق الأذواق بل كان من أهل النظر الأكابر منهم وردّ على العدوية فيما قالته ولا يعتبر عندنا ما يخالفنا فيه علماء الرسوم إلا في نقل الأحكام المشروعة فإن فيها يتساوى الجميع ويعتبر فيها المخالف بالقدح في الطريق الموصل أو في المفهوم باللسان العربي وأمّا في غير هذا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس وهذا سار في كل صنف من العلماء بعلم خاص وقوله وبذلك أمرت يعود على الجملة كلها وعلى كل جزء جزء منها بحسب ما يليق بذلك الجزء فلا يحتاج إلى ذكره مفصلاً إذ قد حصل التنبيه على ما فيه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ثم قال وأنا من المسلمين أي من المنقادين لأوامره في قوله وبذلك أمرت ثم قال اللهم أنت الملك وذلك أن الله تعالى لما دعاه إلى القيام بين يديه وذلك أنه لا ينبغي أن يدعو إلى هذه الصفة إلا الملوك فخص هذا الاسم في التوجيه دون غيره ولهذاع شرع التكتيف في الصلاة في حال الوقوف لأنه موطن وقوف العبد بين يدي الملك ثم يقول بالوصف الأخص لا إله إلا أنت ولم يقل لا ملك إلا أنت أدباً مع الله فإن الله قد أثبت الملوك في الأرض في قوله وجعلكم ملوكاً ونفى أن يكون في العالم إله سواه لا بالحقيقة ولا بحكم الجعل فقال العبد في التوجيه لا إله إلا أنت ولو قال لا ملك إلا أنت لكان نافياً لما أثبته الحق وما أثبته الحق لا يلحقه الانتفاء كما أنه إذا نفى شيأ لا يمكن إثباته أصلاً فإن كان لفظ هذا التوجيه نقلاً عن الحق وهو من كلام الله فهو تصديق لما أثبته ونفاه وإن كان من لفظ النبيّ صلى الله عليه وسلم فهو من مقام الأدب مع الله حيث لم ينف ما أثبته الله وإن كان لا ملك إلا الله ولكن الله قد أثبت الملوك فهذا معنى لا إله إلا أنت عقيب قوله أنت الملك فإنه يظهر فيه عدم المناسبة فلما كانت الألوهية تتضمن الملك ولا يتضمن الملك الألوهية أتى بلفظ يدل معناه على وجود الملك الذي سماه وإن لم يظهر له لفظ فالإله ملك وليس كل ملك إلهاً ثم يقول

أنت ربي وأنا عبدك فقدّم ربه وأخر نفسه وأضافها إلى ربه بحرف الخطاب لأنه بين يديه وانظر ما في هذا الكلام من الأدب يقول له أنت ربي وأنا عبدك الذي قسمت الصلاة بينك وبينه فمن حيث هذه العبودية الخاصة وقفت بين يديك وهي حالة مناجاة لا حالة

أخرى فإن أحوال العبد تتنوّع بتنوّع ما يدعوه السيد إليه وإن كان عبداً في كل حالة ثم يقول ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يقول في هذا الكلام لما قال قبل التوجيه ذلك الدعاء الذي قدّمنماه بعد التكبير من سؤاله البعد بينه وبين خطاياه يقول ظلمت نفسي بما اكتسبت من الخطايا واعترفت بين يديك بها قبل مناجاتك فاغفر لي ذنوبي أي فاستر ذنوبي من أجلي إنه لا يقدر على سترها إلا أنت فلا تراني فتأتيني فأكون بها مذنباً ولا أراها فتحلو لي فأتيها فأكون بها مذنباً وهو قوله باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب يقول إذا سترتها عني بهذا البعد لم نشهدها حتى أكون متفرّغاً لقبول ما دعوتني إليه فإنك إن أشهدتني ذنوبي و لم تسترها عني منعني الحياء والدهش عند رؤيتها أن أعقل ما تريده مني مما دعوتني إليه فلم يذكر أيضاً إسقاطها عني حتى لا يكون يسعى في حظ نفسه وإن المطلوب سترها في تلك الحال ولهذا العالم بالله مع توبته لايزال متى ذكر ذنبه أثرت في نفسه وحشة المخالفة وإن لم يؤاخذ به فإن الحال تعطي ذلك ثم يقول واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت هو بمترلة قوله في الدعاء اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد أي وفقني لاستعمال مكارم الأخلاق في هذا الموطن مما يستحق أن أعاملك بها من الأدب في مناجاتك والأخذ عنك والفهم لما تورده عليّ في كلامك وفهم ما أناجيك به أنا من كلامك هذا كله من أحسن الأخلاق وفي أفعالي بهيآت وقوفي بين يديك ظاهراً وباطناً كما شرعت لي فلا يهدي لأحسن الأخلاق إلا أنت أي أنت الموفق لهذه لا قوّة لي على اتيان ذلك ولا تعيينه إلا بقوّتك وبتعريفك إذ هذا مما لايدرك بالاجتهاد بل بما تشرعه وتبينه لما كان قدرك مجهولاً وما ينبغي لجلالك غير معلوم ولا نقيس معاملتنا معك بمعاملة العبيد مع الملوك فإنك قلت ليس كمثلك شيء فالأدب الذي يخصنا في معاملتك ما نعلمه إلا منك ثم قال واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ابتداء بالتعليم فتعرّفني ما لا ينبغي أن يعامل به جلالك وثانية أيضاً بالاستعمال في ترك ما لا يحسن بقدرك إذ بيدك الأمر كله فقد تعلم العبد ولا تستعمله فيما علمته فاصرف عني سيء الأخلاق بالعلم والاستعمال ثم يقول لبيك وسعديك أي إجابة لك ومساعدة لما دعوتني إليه بقولك على لسان حاجب الباب حيّ على الصلاة ها أنا قد جئت مجيباً دعاءك لبيك ومساعدة لما تريده مني على نفسي بالقبول ثم يقول والخير كله بيديك لما كان هو الخير المحض فإنه الوجود الخالص المحض الذي لم يكن عن عدم ولا إمكان عدم ولا شبهة عدم كان الخير كله بيديه ثم يقول والشر ليس إليك يقول ولا يضاف الشر إليك والشرّ المحض هو العدم أي لا يضاف إليك عدم الخير ولا ينبغي لجلالك وأتى بالألف واللام لشمول أنواع الشرّ أي الشرّ المطلق والشرّ المقيد بالصور الخاصة هذا كله ليس إليك أي ما سميته شراً أو هو شرّ لا ينبغي أن يضاف إليك أدباً وحقيقة وأقوى ما يحتج به المخالف في هذه المسئلة قوله تعالى "كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء" وقوله "ومن يضلل الله فما له من هاد" فاعلم أن مطلق الضلالة الحيرة والجهل بالأمر وبطريق الحق المستقيم فقوله يضل الله من يشاء أي من عرفه بطريق الضلالة فإنه يضل فيها ومن عرفه بطريق الهداية فإنه يهتدي فيها مثل قوله في الهداية "ليس كمثله شيء" "وسبحان ربك رب العزة عما يصفون" و"ما قدروا الله حق قدره" "و لم يكن له كفواً أحد" فالعقل السليم يهتدي به عندما يسمع مثل هذا من الحق ولذا قال "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" وقوله "ومن أتاني يسعى أتيته هرولة وأمثال هذه فإن العقل السليم يحار في مثل هذه الأخبار ويتيه فهذا معنى يضل أي يحير العقول بمثل هذه الخطابات الصادرة من الله على ألسنة الرسل الصادقة المجهولة الكيفية ولا يتمكن للعقل أن يهتدي إلى ما قصده الحق بذلك مما لا يليق بالمفهوم ثم يرى العقل أنه سبحانه ما خاطبنا إلا

لنفهم عنه والمفهوم من هذه الأمور يستحيل عليه سبحانه من كل وجه يفهمه العبد بضرب من التشبيه المحدث أمّا من طريق المعنى

المحدث أو من طريق الحس ولا يتمكن للعقل أن لا يقبل هذا الخطاب فيحار فثم حيرة يخرج عنها العبد ويتمكن له الخروج منها بالعناية الإلهية وثم حيرة لا يتمكن له الخروج عنها بمجرد ما أعطى الله للعقل من أقسام القوّة التي أيده الله بها فيحار الدال في المدلول لعزة الدليل ثم يجيء الشرع بعد هذا في أمور قد حكم العقل بدليله على إحالتها فيثبت الشرع ألفاظاً تدل على وجوب ما أحاله فيقبل ذلك إيماناً ولا يدري ما هو فهذا هو الحائر المسمى ضالاً وقد روي أنه قال زدني فيك تحيراً أي أنزل إلي نزولاً يحيله العقل من جميع وجوهه ليعرف عجزه عن إدراك ما ينبغي لك ولجلالك من النعوت وأمّا الشقاء والسعادة المعبر بهما عن الأمور التي تتألم بها النفوس وتتنعم فذلك مطلب عام للنفوس من حيث الحس والمحسوس وهذا الذي نحن بصدده أمر آخر يرجع إلى معرفة الحقائق ثم يقول أنا بك وإليك أي بك ابتداء لا بنفسي وهو قولنا إن الإنسان موجود بغيره وقوله وإليك أي وإليك يرجع عين وجودي فما أنا هو أنت هو فإنه ما استفدت منك إلا الوجود وأنت عين الوجود وأنا على أصل ذاتي من العدم ما تغير عليّ حكم ولا حال في إمكاني لا أبرح ثم يقول تباركت أي البركة والزيادة لك لا لي يقول أنت الوجود لك ثم كسوتنيه و لم أكن فكانت البركة والزيادة في الوجود حيث ظهر بنسبتين فظهر بي وهو وجودك ونسب إليك وهو عينك ثم يقول وتعاليت أي فإنك تتعالى أن تظهر بغيرك فلا يكون الوجود المنسوب إليك غير هويتك هذا معنى قوله تباركت وتعاليت ثم يقول أستغفرك وأتوب إليك يقول اطلب التستر منك في اتصافي بالوجود لئلا أغيب عن حقيقتي فأدعي الوجود وهو ليس أنا بل هو أنت وما أنا أنت فأنا أنا على ما أنا عليه لذاتي وأنت أنت على ما أنت عليه لذاتك ومني فلك الظهور فيّ بما وصفتني به من الوجود وما لي ظهور فيك بما أنا عليه في حقيقتي من الإمكان ثم يقول وأتوب إليك أي وأرجع إليك من حيث ما وصفت به من الوجود إذ كنت أنت هو عين الوجود والموصوف به أنا فرجوعه إليك هو قولي وأتوب إليك وفرغ ما يقوله العبد من الدعاء والتوجيه بين التكبير والقراءة فلنشرع إن شاء الله تعالى في قراءة الفاتحة بلسان العلماء بالله في حال الصلاة لا في حال غيره.

فصل بل وصل في اعتبار قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة

اعلم أن العالم بالله إذا فرغ من الذي ذكرناه يشرع في القراءة على حدّ ما أمره الله به عند قراءة القرآن من التعوّذ لكونه قارئاً لا لكونه مصلياً ولما أعلمتك أن الله يقول عند قراءة العبد القرآن كذا جواباً على حكم الآية التي يقرأها فينبغي للإنسان إذا قرأ الآية أن يستحضر في نفسه ما تعطيه تلك الآية على قدر فهمه فإن الجواب يكون مطابقاً لما استحضرته من معاني تلك الآية ولهذا ورد في الجواب أدنى مراتب العامة مجملاً إذ العامي والعجمي الذي لا علم له بمعنى ما يقرأ يكون قول الله له ما ورد في الخبر فإن فصلت في الاستحضار فصل الله لك الجواب فلا يفوتنك هذا القدر في القراءة فإن به تتميز مراتب العلماء بالله والناس في صلاتهم فإذا فرغ الإنسان من التوجيه فليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا نص القرآن وقد ورد في السنة الصحيحة أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال تعالى "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" فالعارف إذا تعوذ ينظر في الحال الذي أوجب له التعوّذ وينظر في حقيقة ما يتعوّذ به وينظر في ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوّذ بحسب ذلك فمن غلب عليه في حاله أن كل شيء يستعاذ منه بيد سيده وإن كل ما يستعاذ به بيد سيده وإنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب فعاذ من سيده بسيده وهو قوله صلى الله

عليه وسلم وأعوذ بك منك وهذه استعاذة التوحيد فيستعيذ به من الاتحاد قال تعالى "ذق إنك أنت العزيز الكريم" وقال "كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار" وقال "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قصمته" ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم بما يلائم فعلاً كان أو صفة هذه قضية كلية والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها ورد في الخبر أعوذ برضاك من سخطك أي بما يرضيك مما يسخطك فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بإقامة حرمة محبوبه فهذا لله ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله وبمعافاتك من عقوبتك فهذا في حظ نفسه وأي المرتبتين أعلى في ذلك نظر فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغ ممكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم وإن ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه فإن ذلك عائد عليه ومن نظر في قوله إلا ليعبدون قال ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوّتي فأنا لا أعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي فشرع الشارع الاستعاذتين في هذين الشخصين ومن رأى إن وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود قال أعوذ بك منك وهي المرتبة الثالثة وثبت في هذه المرتبة عين العبد فالقارىء للقرآن إذا تعوّذ عند قراءة القرآن علمه المكلف وهو الله تعالى كيف يستعيذ وبمن يستعيذ وممن يستعيذ فقال له إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فأعطاه الاسم الجامع وذكر له القرآن وما خص آية من آية لذلك لم يخص اسماً من اسم بل أتى بالاسم الله فالقارىء ينظر في حقيقة ما يقرأ وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ منه في تلك الآية فيذكره في استعاذته وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ به من أسماء الله أيّ اسم كان فيعينه بالذكر في استعاذته ولما كان قارىء القرآن جليس الله من كون القرآن ذكراً والذاكر جليس الله ثم زاد إنه في الصلاة حال مناجاة الله فهو أيضاً في حال قرب على قرب كنور على نور كان الأولى أن يستعيذ هنا بالله وتكون استعاذته من الشيطان لأنه البعيد يقال بئر شطون إذا كانت بعيدة القعر والبعد يقابل القرب فتكون استعاذته في حال قربه مما يبعده عن تلك الحالة فلم يكن أولى من اسم الشيطان ثم نعته بالرجيم وهو فعيل فأمّا بمعنى المفعول فيكون معناه من الشيطان المرجوم يعني بالشهب وهي الأنوار المحرقة قال تعالى "وجعلناها" يعني الكواكب "رجوماً للشياطين" والصلاة نور ورجمه الله بالأنوار فكانت الصلاة مما تعطي بعد الشيطان من العبد قال تعالى "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بسبب ما وصفت به من الإحرام وإن كان بمعنى الفاعل فهو لما يرجم به قلب العبد من الخواطر المذمومة واللمات السيئة والوسوسة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلي من الليل وكبر تكبيرة الإحرام قال الله أكبر كبيرا الله أكبر كبيرا الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيراً والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة

وأصيلا وسبحان الله بكرة وأصيلا وسبحان الله بكرة وأصيلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عباس همزه ما يوسوسه في الصلاة ونفثه الشعر ونفخه الذي يلقيه من الشبه في الصلاة يعني السهو ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إن سجود السهو ترغيم للشيطان فوجب على المصلي أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بخالص من قلبه يطلب بذلك عصمة ربه ولما لم يعرف المصلي بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة في صلاته والوسوسة لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به فجاء بالاسم الله الجامع لمعاني الأسماء إذ كان في قوّة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يدفع فهكذا ينبغي للمصلي أن يكون حاله في استعاذته إن وفقه الله ثم يقول بعد الاستعاذة بسم الله الرحمن الرحيم فإذا قالها يقول الله يذكرني عبدي فينبغي على هذا أن يكون العامل في بسم الله الرحمن الرحيم اذكر فتتعلق الباء بهذا الفعل إن صح هذا الخبر وإن لم يصح فيكون الفعل اقرأ بسم الله فإنه ظاهر في اقرأ باسم ربك هذا يتكلفه لقولهم إنّ المصادر لا تعمل عمل الأفعال إلا إذا تقدمت وأما إذا تأخرت فتضعف عن

العمل وهذا عندنا غير مرضي في التعليل لأنه تحكم من النحوي فإن العرب لا تعقل ولا تعلل فيكون تعلق البسملة عندي بقوله الحمد لله بأسمائه فإن الله لا يحمد إلا بأسمائه غير ذلك لا يكون ولا ينبغي أن تتكلف في القرآن محذوفاً إلا لضرورة وما هنا ضرورة فإن صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى إن العبد إذا قال بسم الله الرحمن الرحيم في مناجاته في الصلاة يقول الله يذكرني عبدي فلا نزاع هكذا روى هذا الخبر عبد الله بن زياد بن سمعان عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج ثلاث غير تمام فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل يقول عبدي إذا افتتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم فيذكرني عبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي" وسيأتي الحديث مفصلاً في كل كلمة إن شاء الله تعالى كما ذكرت ألفاظ التوجيه إلى آخر الفاتحة وذكر مسلم هذا الحديث من حديث سفيان بن عيينة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة و لم يذكر البسملة فيه فإذا قال العا لم بالله بسم الله الرحمن الرحيم علق الباء بما في الحمد من معنى الفعل كما قلنا يقول لا يثنى على الله إلا بأسمائه الحسنى فذكر من ذلك ثلاثة أسماء الاسم الله لكونه جامعاً غير مشتق فينعت ولا ينعت به فإنه للأسماء كالذات للصفات فذكره أوّلاً من حيث أنه دليل على الذات كالأسماء الأعلام كلها في اللسان وإن لم يقو قوّة الإعلام لأنه وصف للمرتبة كاسم السلطان فلما لم يدل إلا على الذات المجرّدة على الإطلاق من حيث ما هي لنفسها من غير نسب لم يتوهم في هذا الاسم اشتقاق ولهذا سميت بالبسملة وهو الاسم مع الله أي قولك بسم الله خاصة مثل العبدلة وهو قولك عبد الله وكذلك الحوقلة وهو الحول والقوّة مع الله ثم قال إن العبد قال بعد بسم الله الرحمن الرحيم من حيث ما هو أعني الرحمن الرحيم من الأسماء المركبة كمثل بعلبك ورام هرمز فسماه به من حيث ما هو اسم له لا من حيث المرحومين ولا من حيث تعلق الرحمة بهم بل من حيث ما هي صفة له جل جلاله فإنه ليس لغير الله ذكر في البسملة أصلاً ومهما ورد اسم إلهيّ لا يتقدمه كون يطلب الاسم ولا يتأخر كون يطلبه الاسم في الآية فإن ذلك الاسم ينظر فيه العارف من حيث دلالته على الذات المسماة به لا من حيث الصفة المعقولة منه ولا من حيث الاشتقاق الذي يطلبه الكون نتيجته وبه يتعلق وإياه يطلب فإنه صادر عنه إذا تدبرته وجدته مثل قوله "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان" وإذا تقدّم الكون وجاء الاسم الإلهيّ في أثره فإنه الأوّل والآخر كان على العكس من الأوّل مثل اتقوا الله وقوله ويعلمكم الله فأظهر التقوى ما يتقى منه وهو الاسم الله وفي الأوّل أظهر الاسم الإلهيّ عين الإنسان وكذلك ويعلمكم الله أظهر التعليم الاسم الإلهيّ وهو الله فإذا وقع الكون بين اسمين إلهيين كان الكون للأوّل بحكم النتيجة وللآخر بحكم المقدّمة

مثل وقوع العالمين بين الاسم الرب والرحمن في قوله "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم" ومثل قوله "واتقوا الله ويعلمكم الله" فوقع ويعلمكم بين اسمين تقدّمه الاسم الله وتأخر عنه الاسم الله بمعنيين مختلفين فأثر فيه الاسم الأوّل طلب التعليم وقبل التعليم بالاسم الثاني وكذلك إذا وقع الاسم الإلهيّ بين اسم إلهيّ يتقدّمه وبين كون يتأخر عنه مثل الاسم الرب بين الله والعالمين في قوله الحمد لله رب العالمين في آخر الزمر أو بين كون يتقدّمه واسم إلهيّ يتأخر عنه مثل قوله العالمين الرحمن الرحيم ملك فالرحمن الرحيم تقدّمه كلمة العالمين وتأخر عنه ملك يوم الدين فأظهر عين العالمين الرحمن الرحيم لافتقارهم إلى الرحمتين الرحمة العامة والخاصة والواجبة والامتنانية وطلب الرحمن الرحيم ملك يوم الدين ليظهر من كونه ملكاً سلطان الرحمن الرحيم فإن الرحمة من جانب الملك هي رحمة عزة وامتنان مع استغناء بخلاف رحمة غير الملك كرحمة الأم بولدها للشفقة الطبيعية فتدفع الأم بالرحمة على ولدها ما تجده

من الألم بسببه في نفسها فنفسها رحمته ولنفسها سعت واحتجبت عن علم ذلك بولدها فالمنة لولدها عليها بالسببية لا لها ووقعت الرحمة بالولد تبعاً بخلاف رحمة الملك فإنها عن عز وغنى عن هذا المرحوم الخاص من رعاياه وكذلك إذا وقع الاسم الإلهيّ بين اسمين إلهيين مثل قوله هو الله الخالق البارىء فوقع الاسم الخالق بين الاسم الله والاسم البارىء وكذلك الاسم البارىء بين الخالق والمصوّر وهذا كثير فالخالق صفة لله وموصوف للباري فعلى هذا الأسلوب تجري تلاوة العارفين في الكتابين في القرآن وكتاب العالم بأسره فإنه كتاب مسطور ورقه المنشور الذي هو فيه الوجود وكذلك تجري أذكارهم وهكذا في الأكوان إذا وقع كون بين كونين يكون للأوّل ابناً وللثاني بعده أباً في الذي يفهم من ذلك كان ما كان فلهذا قال الله في قول العبد بسم الله الرحمن الرحيم ذكرني عبدي وما قيد هذا الذكر بشيء لاختلاف أحوال الذاكرين أعني البواعث لذكرهم فذاكر تبعثه الرغبة وذاكر تبعثه الرهبة وذاكر يبعثه التعظيم والإجلال فأجاب الحق على أدنى مراتب العالم وهو الذي يتلو بلسانه ولا يفهم بقلبه لأنه لم يتدبر ما قاله إذا كان التالي عالماً باللسان ولا ما ذكره فإن تدبر تلاوته أو ذكره كانت إجابة الحق له بحسب ما حصل في نفسه من العلم بما تلاه فتدبر ما نصصناه لك ثم قال قال الله تعالى فإذا قال العبد الحمد الله رب العالمين في الصلاة يقول الله حمدني عبدي فيقول العارف الحمد لله أي عواقب الثناء ترجع إلى الله ومعنى عواقب الثناء أي كل ثناء يثني به على كون من الأكوان دون الله فعاقبته ترجع إلى الله بطريقين الطريق الواحدة الثناء على الكون إنما هو بما يكون عليه ذلك الكون من الصفات المحمودة التي توجب الثناء عليه أو بما يكون منه من الآثار المحمودة التي هي نتائج عن الصفات المحمودة القائمة به وعلى أيّ وجه كان فإن ذلك الثناء راجع إلى الله إذ كان الله هو الموجد لتلك الصفات والآثار لا لذلك الكون فرجعت عاقبة الثناء إلى الله والطريق الأخرى أن ينظر العارف فيرى أن وجود الممكنات المستفاد إنما هو عين ظهور الحق فيها فهو متعلق الثناء لا الأكوان ثم إنه ينظر في موضع اللام من قوله لله فيرى أن الحامد عين المحمود لا غيره فهو الحامد المحمود وينفي الحمد عن الكون من كونه حامداً ونفى كون الكون محموداً فالكون من وجه محمود لا حامد ومن وجه لا حامد ولا محمود فأما كونه غير حامد فقد بيناه فإن الحمد فعل والأفعال لله وأما كونه غير محمود فإنما يحمد المحمود بما هو له لا لغيره والكون لا شيء له فما هو محمود أصلاً كما ورد في مثل هذا المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور فيحضر العارف في قوله الحمد لله رب العالمين جميع ما ذكرناه وما يعطيه الاسم الرب من الثبات والإصلاح والتربية والملك والسيادة هذه الخمسة يطلبها الاسم الرب ويحضر ما يعطيه العالم من الدلالة عليه تعالى فلا يكون جواب الله في قوله حمدني عبدي إلا لمن حمده بأدنى المراتب لأنه لكرمه يعتبر الأضعف الذي لم يجعل الله له حظاً في العلم به تعالى رحمة به لعلمه إن العالم يعلم من سؤاله أو قراءته ما حضر معه في تلك القراءة من المعاني فيجيبه الله على ما وقع له ويدخل في إجمال ما خاطب به

عبده العامي القليل العلم أو الأعجمي الذي لا علم له بمدلول ما يقرأه فافهم والله الملهم ثم قال عن الله يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى عليّ عبدي يعني بصفة الرحمة لاشتقاق هذين الاسمين منها و لم يقل فيماذا لعموم رحمته ولأنّ العاميّ ما يعرف من رحمة الله به إلا إذا أعطاه ما يلائمه في غرضه وإن ضره أو ما يلائم طبعه ولو كان فيه شقاؤه والعارف ليس كذلك فإن الرحمة الإلهية قد تأتي إلى العبد في الصورة المكروهة كشرب الدواء الكريه الطعم والرائحة للمريض والشفاء فيه مبطون فإذا قال العارف الرحمن الرحيم أحضر في نفسه مدلول هذا القول من حيث ما هو الحق موصوفاً به ومن حيث ما يطلبه المرحوم لعلمه بذلك كله ويحضر في قلبه أيضاً عموم رحمته الواحدة المقسمة على خلقه في الدار الدنيا إنسهم وجنهم ومطيعهم وعاصيهم وكافرهم ومؤمنهم وقد شملت الجميع ورأي أن هذه الرحمة الواحدة لو لم تعط حقيقتها من الله أن يرزق بها عباده من جماد ونبات وحيوان وإنس

وجان و لم يحجبها عن كافر ومؤمن ومطيع وعاصي عرف أن ذاتها من كونها رحمة تقتضي ذلك ثم جاء الوحي من أثر هذه الرحمة الواحدة بأن هذه الرحمة الواحدة السارية في العالم التي اقتضت حقيقتها أن تجعل الأم تعطف على ولدها في جميع الحيوان وهي واحدة من مائة رحمة وقد ادّخر سبحانه لعباده في الدار الآخرة تسعاً وتسعين رحمة فإذا كان يوم القيامة ونفذ في العالم حكمه وقضاؤه وقدره بهذه الرحمة الواحدة وفرغ الحساب ونزل الناس منازلهم من الدارين أضاف سبحانه هذه الرحمة إلى التسع والتسعين رحمة فكانت مائة فأرسلها على عباده مطلقة في الدارين فسرت الرحمة فوسعت كل شيء فمنهم من وسعته بحكم الوجوب ومنهم من وسعته بحكم الامتنان فوسعت كل شيء في موطنه وفي عين شيئيته فتنعم المحرور بالزمهرير والمقرور بالسعير ولو جاء لكل واحد من هذين حال الاعتدال لتعذب فإذا اطلع أهل الجنان على أهل النار زادهم نعيماً إلى نعيمهم فوزهم ولو اطلع أهل النار على أهل الجنان لتعذبوا بالاعتدال لما هم فيه من الانحراف ولهذا قابلهم بالنقيض من عموم المائة رحمة وقد كان الحكم في الدنيا بالرحمة الدنيا ما قد علمتم وهي الآن أعني في الآخرة من جملة المائة فما ظنك وكفى فبمثل هذا النظر يقول العارف في الصلاة الرحمن الرحيم ومن هنا يعرف ما يجيبه الحق به من هذا نظره ثم قال الله يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله "مجدني عبدي" وفي رواية فوّض إليّ عبدي هذا جواب عام ورد عام كما قرّرنا ما المراد به فإذا قال العارف ملك يوم الدين لم يقتصر على الدار الآخرة بيوم الدين ورأى أنّ الرحمن الرحيم لا يفارقان ملك يوم الدين فإنه صفة لهما فيكون الجزاء دنيا وآخرة وكذلك ظهر بما شرع من إقامة الحدود وظهور الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون وهذا هو عين الجزاء فيوم الدنيا أيضاً يوم الجزاء والله ملك يوم الدين فيرى العارف أن الكفارات سارية في الدنيا وأن الإنسان في الدار الدنيا لا يسلم من أمر يضيق به صدره ويؤلمه حساً وعقلاً حتى قرصة البرغوث والعثرة فالآلام محدودة موقتة ورحمة الله تعالى غير موقتة فإنها وسعت كل شيء فمنها ما تنال وتحكم من طريق الامتنان وهو أصل الأخذ لها الامتنان ومنها ما يؤخذ من طريق الوجوب الإلهيّ في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله فسأكتبها فالناس يأخذونها جزاء وبعض المخلوقات من المكلفين تنالهم امتناناً حيث كانوا فافهم فكل ألم في الدنيا والآخرة فإنه مكفر لأمور قد وقعت محدودة موقتة وهو جزاء لمن يتألم به من صغير وكبير بشرط تعقل التألم لا بطريق الإحساس بالتألم دون تعقله وهذا المدرك لا يدركه إلا من كشف له فالرضيع لا يتعقل التألم مع الإحساس به إلا أن أبه وأمّه وأمثالهما من محبيه وغير محبيه يتألم ويتعقل التألم لما يرى في الرضيع من الأمراض النازلة به فيكون ذلك كفارة لمتعقل الألم فإن زاد ذلك العاقل الترحم به كان مع التكفير عنه مأجوراً إذ في كل كبد رطبة أجر وكل كبد فإنها رطبة لأنها بيت الدم والدم حار رطب طبع الحياة وأمّا الصغير إذا تعقل التألم وطلب النفور عن الأسباب الموجبة للألم واجتنبها فإن له كفارة فيها لما صدر منه مما آلم به غيره من حيوان أو شخص آخر من جنسه أو إباية عما تدعوه إليه أمه أو

أبوه أو سائل يسأله أمراً مّا فأبى عليه فتألم السائل حيث لم يقض حاجته هذا الصغير فإذا تألم الصغير كان ذلك الألم القائم به جزاء مكفراً لما آلم به ذلك السائل بإبايته عما التسمه منه في سؤاله أو كان قد أذى حيواناً من ضرب كلب بحجر أو قتل برغوث وقملة أو وطىء نملة برجله فقتلها أو كل ما جرى منه بقصد وبغير قصد وسرّ هذا الأمر عجيب سار في الموجودات حتى الإنسان يتألم بوجود الغيم ويضيق صدره به فإنه كفارة لأمور أتاها قد نسيها أو يعلمها فهذا كله يراه أهل الكشف محققاً في قوله ملك يوم الدين فيقول الله فوّض إليّ عبدي أو مجدني عبدي أو كلاهما إلا أن التمجيد راجع إلى جناب الحق من حيث ما تقتضيه ذاته ومن حيث ما تقتضي نسبة العالم إليه والتفويض من حيث ما تقتضي نسبة العالم إليه لا غير فإنه وكيل لهم بالوكالة المفوّضة ففي حق قوم يقول

مجدني عبدي وفي المقصد وفي حق قوم يقول فوّض إليّ عبدي وفي المقصد أيضاً فإن العبد قد يجمع بين المقصدين فيجمع الله له في الرد بين التمجيد والتفويض فهذا النصف كله مخلص لجناب الله ليس للعبد فيه اشتراك ثم قال الله يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فهذه الآية تتضمن سائلاً ومسؤلاً مخاطباً وهو الكاف من إياك فيهما ونعبد ونستعين هما للعبد فإنه العابد والمستعين فإذا قال العبد إياك وجد الحق بحرف الخطاب فجعله مواجهاً لأعلى جهة التحديد ولكن امتثالاً لقول الشارع لمثل ذلك السائل في معرض التعليم حين سأله عن الإحسان فقال له صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه فلابدّ أن تواجهه بحرف الخطاب وهو الكاف أو حرف التاء المنصوبة في المذكر المخفوضة في المؤنث فإني قد أنث الخطاب من حيث الذات وهذا مشهد خيالي فهو برزخي وجاءت هذه الآية برزخية وقع فيها الاشتراك بين الحق وبين عبده وما مضى من الفاتحة مخلص لله وما بقي منها مخلص للعبد وهذه التي نحن فيها مشتركة وإنما وحده و لم يجمعه لأن المعبود واحد وجمع نفسه بنون الجمع في العبادة والعون المطلوب لأن العابدين من العبد كثيرون وكل واحد من العابدين يطلب العون والمقصود بالعبادات واحد فعلى العين عبادة وعلى السمع والبصر واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب فلهذا قال نعبد ونستعين بالنون وإن العالم نظر إلى تفاصيل عالمه وإن الصلاة قد عمّ حكمها جميع حالاته ظاهراً وباطناً لم ينفرد بذلك جزؤ عن آخر فإنه يقف بكله ويركع بكله ويجلس بكله فجميع عالمه قد اجتمع على عبادة ربه وطلب المعوّنة منه على عبادته فجاء بنون الجماعة في نعبد ونستعين فترجم اللسان عن الجماعة كما يتكلم الواحد عن الوفد بحضورهم بين يدي الملك فعلم العبد من الحق لما أنزل عليه هذه الآية بإفراده نفسه أن لا يعبد إلا إياه ولما قيد العبد بالنون أنه يريد منه أن يعبده بكله ظاهراً وباطناً من قوى وجوارح ويستعين على ذلك الحد ومتى لم يكن المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه على عبادة ربه كان كاذباً في قراءته إذا قال إياك نعبد وإياك نستعين فإن الله ينظر إليه فيراه متلفتاً في صلاته أو مشغولاً بخاطره في دكانه أو تجارته وهو مع هذا يقول نعبد ويكذب فيقول الله كذبت في كنايتك بجمعيتك على عبادتي ألم تلتفت ببصرك إلى غير قبلتك ألم تصغ بسمعك إلى حديث الحاضرين ألم تعقل بقلبك ما تحدثوا به فأين صدقك في قولك نعبد بنون الجمع فيحضر العارف هذا كله في خاطره فيستحي أن يقول في مناجاته في صلاته إياك نعبد لئلا يقال له كذبت فلا بدّ أن يجتمع من هذه حالته على عبادة ربه حتى يقول له الحق صدقت إذا تلافى جمعيتك عليّ في عبادتك إياي وطلب معونتي روينا في هذا الباب على ما حدثنا به شيخنا المقري أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي عن بعض المعلمين من الصالحين أن شخصاً صبياً صغيراً كان يقرأ عليه القرآن فرآه مصفرّ اللون فسأله عن حاله فقيل له أنه يقوم الليل بالقرآن كله فقال له يا ولدي أخبرت أنك تقوم الليل بالقرآن كله فقال هو ما قيل لك فقال يا ولدي إذا كان في هذه الليلة فاحضرني في قبلتك واقرأ عليّ القرآن في صلاتك ولا تغفل عني فقال الشاب نعم فلما أصبح قال له هل فعلت ما أمرتك به قال نعم يا أستاذ قال وهل ختمت القرآن البارحة قال لا ما قدرت على أكثر من نصف القرآن قال يا ولدي هذا حسن إذا كان

في هذه الليلة فاجعل من شئت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامك الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم واقرأ عليه واحذر فإنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تزلّ في تلاوتك فقال إن شاء الله يا أستاذ كذلك افعل فلما أصبح سأله الأستاذ عن ليلته فقال يا أستاذ ما قدرت على أكثر من ربع القرآن فقال يا ولدي اتل هذه الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن واعرف بين يدي من تتلوه فقال نعم فلما أصبح قال يا أستاذ ما قدرت طول ليلتي على أكثر من جزء من القرآن أو ما يقاربه فقال يا ولدي إذا كان هذه الليلة فلتكن تقرأ القرآن بين يدي جبريل الذي نزل به على قلب

محمد صلى الله عليه وسلم فاحذر واعرف قدر من تقرأ عليه فلما أصبح قال يا أستاذ ما قدرت على أكثر من كذا وذكر آيات قليلة من القرآن قال يا ولدي إذا كان هذه الليلة تب إلى الله وتأهب واعلم أن المصلي يناجي ربه وإنك واقف بين يديه تتلو عليه كلامه فانظر حظك من القرآن وحظه وتدبر ما تقرأه فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها ولا حكاية الأقوال وإنما المراد بالقراءة التدبير لمعاني ما تتلوه فلا تكن جاهلاً فلما أصبح انتظر الأستاذ الشاب فلم يجيء إليه فبعث من يسأل عن شأنه فقيل له أنه أصبح مريضاً يعاد فجاء إليه الأستاذ فلما أبصره الشاب بكى وقال يا أستاذ جزاك الله عني خيراً ما عرفت أني كاذب إلا البارحة لما قمت في مصلاي وأحضرت الحق تعالى وأنا بين يديه أتلو عليه كتابه فلما استفتحت الفاتحة ووصلت إلى قوله إياك نعبد نظرت إلى نفسي فلم أرها تصدق في قولها فاستحييت أن أقول بين يديه إياك نعبد وهو يعلم أني أكذب في مقالتي فإني رأيت نفسي لاهية بخواطرها عن عبادته فبقيت أردّد القراءة من أول الفاتحة إلى قوله ملك يوم الدين ولا أقدر أن أقول إياك نعبد إنه ما خلصت لي فبقيت أستحيي أن أكذب بين يديه تعالى فيمقتني فما ركعت حتى طلع الفجر وقد رضت كبدي وما أنا إلا راحل إليه على حالة لا أرضاها من نفسي فما انقضت ثالثة حتى مات الشاب فلما دفن أتى الأستاذ إلى قبره فسأله عن حاله فسمع صوت الشاب من قبره وهو يقول له يا أستاذ:

أنا حيّ عند حيّ لم يحاسبني بشي

قال فرجع الأستاذ إلى بيته ولزم فراشه مريضاً مما أثر فيه حال الفتى فلحق به فمن قرأ إياك نعبد على قراءة الشاب فقد قرأ ثم قال الله "يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" فيقول الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العارف اهدنا احضر الاسم الإلهيّ الهادي وسأله أن يهديه الصراط المستقيم أن يبينه له ويوفقه إلى المشي عليه وهو صراط التوحيدين توحيد الذات وتوحيد المرتبة وهي الألوهية بلوازمها من الأحكام المشروعة التي هي حق الإسلام في قوله صلى الله عليه وسلم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله فيحضر في نفسه الصراط المستقيم الذي هو عليه الرب من حيث ما يقود الماشي عليه إلى سعادته أخبر الله تعالى عن هود أنه قال إن ربي على صراط مستقيم فإن العارف إذا مشى على ذلك الصراط الذي عليه الرب تعالى على شهود منه كان الحق أمامه وكان العبد تابعاً للحق على ذلك الصراط مجبوراً وكيف لا يكون تابعاً مجبوراً وناصيته بيد ربه يجرّه إليه فإن الله يقول ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم فدخل في حكم هذه الآية جميع ما دب علواً وسفلاً دخول ذة وعبودية والناس في ذلك بين مكاشف يرى اليد في الناصية أو مؤمن فكل دابة دخلت عموماً ما عدا الإنس والجنّ فإنه ما دخل من الثقلين إلا الصالحون منهم خاصة ولو دخل جميع الثقلين لكان جميعهم على طريق مستقيم صراط الله من كونه رباً يقول تعالى "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" وقال في حق الثقلين خاصة على طريق الوعيد والتخويف حيث لم يجعلوا نواصيهم بيده وهو أن يتركوا إرادتهم لإرادته فيما أمر به ونهى "سنفرغ لكم أيها الثقلان" ولهذا قال "صراط الذين أنعمت عليهم" يريد الذين وفقهم الله وهم العالمون كلهم أجمعهم والصالحون من الأنس مثل الرسل والأنبياء والأولياء وصالحي المؤمنين ومن الجانّ كذلك فلم يجعل الصراط المستقيم إلا لمن أنعم الله عليه من نبي وصديق وشهيد وصالح وكل دابة هو آخذ بناصيتها فإذا حضر العارف في هذه القراءة جعل ناصيته بيد ربه في غيب هويته ومن شذ شذ إلى النار وهم الذين استثنى الله تعالى بقوله "غير المغضوب عليهم" أي إلا من غضب الله عليهم لما دعاهم بقوله حيّ على الصلاة فلم يجيبوا ولا الضالين فاستثنى بالعطف من حار وهم أحسن حالاً من

المغضوب عليهم فمن لم يعرف ربه أنه ربه وأشرك معه في إلوهيته من لا يستحق أن يكون إلهاً كان من المغضوب عليهم فإذا أحضر العبد مثل هذا وأشباهه في نفسه عند تلاوته قالت الملائكة آمين وقال باطن الإنسان الذي هو روحه المشارك للملائكة في نشأتهم وطهارتهم آمين أي أمنا بالخير لما كان والتالي الداعي اللسان ثم يصغي إلى قلبه فيسمع تلاوة روحه فاتحة الكتاب مطابقة لتلاوة لسانه فيقول اللسان مؤمّناً على دعائه أي دعاء روحه بالتلاوة من قوله اهدنا فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة في الصفة موافقة طهارة وتقديس ذوات كرام بررة أجابه الحق عقيب قوله آمين باللسانين فإن ارتقى يكون الحق لسانه إلى تلاوة الحق كلامه فإذا قال آمين قالت الأسماء الإلهية آمين والأسماء التي ظهت من تخلق هذا العبد بها آمين فمن وافق تأمين أسمائه أسماء خالقه كان حقاً كله فهذا قد أبنت لك أسلوب القراءة في الصلاة فاجر عليها على قدر اتساع باعك وسرعة حركتك وأنت أبصر فما منا إلا من له مقام معلوم ومنا الصافون والمسبحون.

فصل بل وصل في قراءة القرآن في الركوع

وأمّا قراءة القرآن في الركوع فمن قائل بالمنع ومن قائل بالجواز والذي اتفقوا عليه التسبيح في الركوع واختلفوا هل فيه قول محدود أم لا فمن قائل لا حدّ في ذلك ومن قائل بالحدّ في ذلك وهو أن يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاثاً وفي السجود سبحان ربي الأعلى ثلاثاً والقائل بهذا منهم من يرى وجوبه وإن الصلاة تبطل بتركه وأدناه ثلاث مرات ومنهم من لا يقول بوجوبه وهم عامة العهلماء ومن قائل ينبغي للإمام أن يقولها خمساً حتى يدرك من وراءه أن يقولها ثلاثاً فأقول في باب الأسرار لما كان المصلي في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة إلى القيومية ثم انتقل عنها إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع وكذلك السجود لم تنبغ أن تكون هذه الصفة لله فشرع النبي صلى الله عليه وسلم على ما فهم من كلام الله لما نزل عليه فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ثم نزل قوله تعالى "سبح اسم ربك الأعلى" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم فاقترن بهما أمر الله بقوله سبح فأمر وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا بمكانها من الصلاة يقول نزهوا عظمة ربكم عن الخضوع فإن الخضوع إنما هو لله لا بالله فإنه يستحيل أن تقوم به صفة الخضوع وأضافه إلى الاسم الرب لأنه يستدعي المربوب وهو من الأمّهات الثلاث وهو اسم كثير الدور والظهور في القرآن أكثر من باقي الأسماء فإن أمّهات الأسماء في القرآن ثلاثة الله والرحمن والرب ثم إنّ هذا الاسم لما تعلق التسبيح به لم يتعلق به مطلقاً من حيث ما يستحقه لنفسه وإنما تعلق به مضافاً إلى نفس المسبح فقال سبحان ربي العظيم وإنما تعلق به مضافاً في حق كل مسبح لأن العلم به من كل عالم يتفاضل فيعتقد فيه شخص خلاف ما يعتقد فيه غيره فكل شخص يشبح ربه الذي اعتقده رباً وكم شخص ما يعتقد في الرب ما يعتقده غيره ويرى إن ذلك المعتقد الآخر فيما نسبه إلى ربه مما يستحيل عند هذا أن تكون له تلك الصفة ويكفر من أجلها فلو سبحه مطلقاً باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص من لا يعتقد أنه يتره فلهذا أضافه كل مسبح لما يقتضيه اعتقاده وحظ العارف أن يسبحه بلسان كل مسبح وينظر في عظمة الله وتتريهها عن قيام الخضوع بها وعلوّه عن السجود فإنّ العبد في سجوده يطلب أصل نشأة هيكله وهو الماء والتراب ويطلب بقيامه أصل روحه فإن الله يقول فيهم وأنتم الأعلون وصارت حالة الركوع برزخاً متوسطاً بين القيام والسجود بمترلة الوجود المستفاد للممكن برزخاً بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن لنفسه فالممكن عدم لنفسه فإن العدم لا يستفاد فإنه ما ثم

من يفيده والواجب الوجود وجوده لنفسه وظهرت حالة برزخية وهي وجود العبد بمترلة الركوع فلا يقال في هذا الوجود المستفاد هو عين الممكن ولا هو غير الممكن ولا يقال فيه هو عين الحق ولا هو غير الحق فله نسبتان يعرفهما العارف فيخطر للعارف في حال الركوع الحال البرزخي الفاصل بين الأمرين وهو المعنى المعقول الذي به يتميز الرب من العبد وهو أيضاً المعنى المعقول الذي به يتصف العبد بأوصاف الرب ويتصف الرب بأوصاف المربوب لا بالصفات فإنه وصف لا صفة وإنما قلنا وصف لا صفة فإن الصفة يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف والوصف قد يكون عين الموصوف بنسبة خاصة مالها عين موجودة فافهم.

فصل بل وصل في الدعاء في الركوع

اختلفوا في الدعاء في الركوع بعد اتفاقهم على جواز الثناء على الله فيه ووجوبه في مذهب من يراه شرطاً في صحة الصلاة فمنهم من كره الدعاء في الركوع ومنهم من أجازه وبه أقول واختلفوا في الدعاء في الصلاة فمنهم من قال لا يجوز أن يدعى في الصلاة بغير ألفاظ القرآن ومنهم من أجاز ذلك فأقول لما كانت الصلاة معناها الدعاء صح أن يكون الدعاء جزأ من أجزائها ويكون من باب تسمية الكل باسم الجزء وأما من يكره الدعاء في الركوع فإن الحالة البرزخية لها وجهان وجه إلى الحق ووجه إلى الخلق فمن كان مشهده من الركوع الوجه الذي يطلب الحق كره الدعاء في الركوع و لم يحرّمه لأن صفة القيومية قد يتصف بها الكون قال تعالى "الرجال قوّامون على النساء" ومن رجح الوجه الذي يطلب الخلق من الركوع قال يجوز الدعاء في الركوع وبه جاءت السنة وهو مذهب البخاري رحمه الله وكذلك من رجح أن لا يدعى في الصلاة بغير ألفاظ القرآن فإنه نظر إلى أن الله تعالى قد شرع الأدعية في القرآن فالعدول عنها إلى ألفاظ من كلام الناس من مخالفة النفس التي جبلت عليها حتى لا توافق ربها وهو الأدب الصحيح فإني كما لم أناجه في الصلاة إلا بكلامه كذلك لا ندعوه إلا بما أنزل علينا وشرعه لنا في القرآن أو في السنة مما شرع أن يقال في الصلاة ومن أطلق الدعاء في الصلاة بأي نوع كان غلب على قلبه إنه ما ثم إلا الله ولا متكلم إلا الله إما يفعل بفعله كما ورد أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده يعني في الصلاة أو أمر آخر.

فصل بل وصل في التشهد في الصلاة

اختلف العلماء في وجوب التشهد في الصلاة والمختار منه فمن قائل بوجوبه ومن قائل لا يجب فأقول لما كان التشهد على الحقيقة معناه الاستحضار فإنه تفعل من الشهود وهو الحضور والإنسان مأمور بالحضور في صلاته فلا بد من التشهد وهو الأولى والأوجه ولما كان الشاهد مخاطباً بالعلم بما يشهد به بخلاف الحاكم لم يصح الحضور ولا الاستحضار من غير علم المتشهد بمن يريد شهوده فلا يحضر معه من الحق الأقدر ما يعلمه منه وما خوطب بأكثر من ذلك واختلفت مقالات الناس في الإله وإذا اختلفت المقالات فلا بد للعاقل إذا انفرد في علمه بربه أن يكون على مقالة من هذه المقالات التي أنتجها النظر وهي مختلفة فالسليم العقل من يترك ما أعطاه نظره في الله ونظر غيره من أصحاب المقالات بالنظر الفكريّ ويرجع إلى ما قالته الأنبياء عليهم السلام وما نطق به القرآن فيعتقده ويحضر معه في صلاته وفي حركاته وسكناته فهو أولى به من أن يحضر مع الله تعالى بفكره وقد يطرأ لبعض الناس في هذا غلط وذلك أنه يرى أن الإنسان ما يثبت عنده الشرع إلا حتى يثبت عنده بالعقل وجود الإله وتوحيده وإمكان بعثه الرسل وتشريع

الشرائع فيرجح بهذا أن يحضر مع الحق في صلاته بهذا العلم وليس الأمر كذلك فإنه وإن كان نظره هو الصحيح في إثبات وجود الحق وتوحيده وإمكان التشريع وتصديق الشارع بالدلالات التي أتى بها فيعلم أن الشارع قد وصف لنا نفسه بأمور لو وقفنا مع العقل دونه ما قبلناها ثم إنا رأينا أن تلك الأوصاف التي جاءت من الشارع في حق الله ومعرفته تطلبها أفعال العبادات وهي أقرب مناسبة إليها من المعرفة التي تعطيها الأدلة النظرية التي تستقل بها فرأينا أن نحضر مع الحق في تشهدنا وصلاتنا بالمعرفة الإلهية التي استفدناها من الشارع في القرآن والسنة المتواترة أولى من الحضور معه بمقالات العقول ثم ننظر فيما ورد من التشهد في الصلاة حتى نجري على ذلك الأسلوب كما فعلنا في التوجيه والقراءة وما يقال في الركوع والسجود انتهى الجزء الثامن والثلاثون.

الجزء التاسع والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

فنقول من ذلك تشهد عمر رضي الله عنه وهو التحيات لله الزاكيات لله السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أخذت به طائفة وأما تشهد عبد الله بن مسعود وهو التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أخذ به الأكثر من الناس لثبوت نقله وأما تشهد ابن عباس وهو التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله سلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أخذت به طائفة وكلها أحاديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالعارف إذا تشهد بهذا التشهد فإما أن يكون في حال قبض وهيبة وجلال عن اسم إلهيّ وإما أن يكون في حال أنس وجمال وبسط عن اسم نفسه في صلاته وكل جارحة من جوارح جسمه في صلاته بما يليق بها مما طلبه الحق منه من الهيآت أن يكون عليها في صلاته بالنظر إلى كل جارحة وقوّة فيعمرها سواء كان في حال هيبة أو أنس وهو أكمل الأحوال فانحصر الأمر في ثلاثة مقامات مقام جلال ومقام جمال ومقام كمال فيتشهد بلسان الكمال وهو الأول للسالك فيقول التحيات لله أي تحيات كل محيّ ومحي بها في جميع العالم والنسب الإلهية كلها لله أي من أجل الله الاسم الجامع الذي يجمع حقائقها وذلك لأن كل تحية في العالم إنما هي مرتبطة بحقيقة إلهية كانت ما كانت فمتى ما لم يجمع الإنسان بنيته وقلبه كما جمع بلفظة التحيات بقوته من الحقائق الإلهية كلها إلى الحقيقة الواحدة المشروعة له في تحيته من حيث ما هو مقيد بها من جهة شرعه خاصة لم يستبر لنفسه في كمال صلاته وقوله الزاكيات لله يقول التحيات المطهرات الناميات أي التي ينمي خيرها على قائلها من الحقائق الإلهية التي أوجدت تلك التحيات بحسب ما تعطيه أسماؤها ثم يقول السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته بالألف واللام التي للجنس لا التي للعهد فيكون سلامه على النبيّ صلى الله عليه وسلم مثل تحياته للشمول والعموم أي بكل سلام وهذا يؤذن بأنّ العبد قد انتقل من مشاهدة ربه من حيث الإطلاق أو أمر ما من الأمور التي كان فيها في سجوده إلى مشاهدة الحق في النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه بالحضور سلم عليه مخاطباً مواجهة بالنبوة لم يسلم عليه بالرسالة فإن النبوّة في حق ذات النبيّ أعمّ وأشرف فإنه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لأمته الذي هو منه رسول فعم وعرف ما ينبغي أن يخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الحضور وأنه به من غير حرف نداء يؤذن ببعد لما هو عليه من حال قربه ولهذا جاء بحرف الخطاب ثم عطف بعد السلام عليه بالرحمة الإلهية لشمولها الامتنان والوجوب فأضافها إلى الله لما رزقه صلى الله عليه وسلم من السلامة من كل ما يشنوه في مقامه ذلك وعطف بالبركات المضافة إلى الهوية والبركات هي الزيادة وقد أمر أن يقول رب زدني علماً فكأن هذا المصلي في هذه التحيات يقول له سلام عليك ورحمته تقتضي الزيادات عندك من العلم بالله الذي هو أشرف الحالات عند الله كما جاء بالزاكيات في التحيات فناسب بين الزكاة والبركة ولهذا جعل الله تعالى البركة في الزكاة التي هي الصدقات لارتباطها بها لأن الصدقة إخراج ما كان في اليد وهي الزكاة ولا تبقى في الوجود خلاء فيعوّضه الله ويملأ يديه من الخير العلمي وغيره من الثواب المحسوس في دار الكرامة ما لا يقدر قدره في مقابلة ما أخرجه ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فسلم على نفسه بشمول السلام وأجناسه كما سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعالى فإذا دخلتم بيوتاً

فسلموا على أنفسكم والدخول في كل حال من أحوال الصلاة كالبيوت في الدار الجامعة تحية من عند الله مباركة طيبة فجعلك رسولا من عنده إلى نفسك بهذه التحية المباركة لما فيها من زوائد الخير الطيبة فإنها حصلت له ذوقاً فاستطابها كما أنها طيبة الأعراف بسير أنها من نفس الرحمن وجاء بنون الجمع في قوله السلام علينا يؤذن أنه مبلغ سلامه لكل جزء فيه مما هو مخاطب بعبادة خاصة وإنما سلم عليهم لكونه جاء قادماً من عند ربه

لغيبته عن نفسه حين دعاه الحق إلى مناجاته فكبر تكبيرة الإحرام فمنعته هذه الحالة أن ينظر إلى غير من دعاه إليه فلهذا سلم على نفسه بنون الجماعة وذلك إذا كان هذا العبد قد دخل إلى بيت قلبه ونزه الحق أن يكون حالاً فيه وإن وسعه كما قال الله لما يقتضيه جلال الله من عدم المناسبة بين ذاته تعالى وبين خلقه ورأى بيت قلبه خالياً من كل ما سوى الله والحق لا يسلم عليه فإنه هو السلام وقد نهوا عن ذلك لأنهم كانوا يقولون السلام على الله في التشهد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام فلما دخل بيته و لم ير فيه أحداً أو نزه الحق أن يحوي عليه بيت قلبه فما بقي له أن يشهد سوى عالمه المكلف وليس سوى نفسه وقد أمره الله إذا دخل بيتاً خالياً من كل أحد أن يسلم على نفسه في قوله فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم فيكون العبد هنا مترجماً عن الحق في سلامه لأنه قال تحية من عند الله مباركة كما جاء في سمع الله لمن حمده فكذلك يقولها في الصلاة نيابة عن الحق جل جلاله وتقدّست أسماؤه لأنه ما ثم من حدث له حال دخول أو خروج فيكون السلام منه أو عليه فدل على أنه تجل خاص ولابدّ فافهم إن أردت أن تكون من أهل هذا المقام في الصلاة ثم عطف من غير إظهار لفظ السلام على عباد الله الصالحين فشمل بالألف واللام ليصيب سلامه كل عبد صالح لله في السموات والأرض ولا ينوي من الصالحين ما هو المعهود في العرف ما ثم إلا صالح فإن الله يقول وإن من شيء إلا يسبح بحمده فكل شيء يتره ربه فهو إذن صالح هذا من علوم الإيمان والكشف فانو بالصالحين الذين استعملوا فيما صلحوا له وليس سوى التسبيح فإن الله أخبر عنهم أنهم بهذه الصفة فلم يبق كافر ولا مؤمن إلا وقد شملت تفاصيله هذه الآية ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا يسمعون ولا يشهدون ولهذا لم يذكر لفظة السلام في هذا العطف واكتفى بالواو وتنبيهاً فإنه يدخل فيه من يستحق السلام عليه بطريق الوجوب ومن لا يستحق ذلك بطريق الوجوب فسرّ حتى لا يتميز المستحق من غير المستحق رحمة منه بعباده إنه هو الغفور الرحيم و لم يعطف السلام الذي سلم به على نفسه على السلام الذي سلم به على النبي صلى الله عليه وسلم بل جعله مبتدأ فإن النبوّة أعني نبوّة التشريع طور آخر متميز عن طور الاتباع فإنه لو عطف عليه لفظ السلام على نفسه لسلم على نفسه أيضاً من جهة النبوّة للواو الذي يعطي الاشتراك وباب النبوّة قد سدّه كما سدّ باب الرسالة وأعني نبوّة التشريع وما بقي بأيدينا إلا الوراثة إلى يوم القيامة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيّ فعين بهذا أنه لا مناسبة بيننا وبين الرسل في هذا المقام فحصل له الأولية صلى الله عليه وسلم على التعيين وحصل له الآخرية صلى الله عليه وسلم لا على التعيين فدخل بالسلام الثاني بحرف العطف في عباد الله الصالحين فإنه من الصالحين بلا شك من كل وجه فهو في المرتبة التي لا تنبغي لنا فابتدأنا بالسلام علينا في طورنا من غير عطف واعلم أنه لم نقف على رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشهده الذي كان صلى الله عليه وسلم يتشهد به بلسانه في تشهده في الصلاة في قولنا السلام عليك أيها النبيّ هل كان يقوله بهذا اللفظ أو يقوله بغير هذا اللفظ مثل عيسى عليه السلام إذ قال والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً أو لا يقول شيئا من ذلك ويكتفي بقولنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن كان قال مثل ما علمنا أن نقول من ذلك فله وجهان أحدهما أن يكون المسلم عليه هو الحق وهو نائب مترجم عنه تعالى في ذلك

كما جاء في سمع الله لمن حمده والوجه الآخر أن يقوم في دعائه في تلك الحالة في مقام غير مقام النبوّة ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه نفسه أيضاً من كونه صلى الله عليه وسلم نبياً ويحضره من أجل كاف الخطاب فيقول صلى الله عليه وسلم بلسانه للمقام الذي أحضره فيه أي أحضر نفسه فيه السلام عليك أيها النبيّ فعل الأجنبيّ ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله فأمّا معنى الشهادة فقد تقدّم في أوّل التشهد وهذا التوحيد هنا إنما هو توحيد ما يقتضيه عمل الصلاة عموماً وما يقتضيه حال كل مصل في صلاته خصوصاً

فإنّ أحوال المصلين تختلف في الصلاة بلا شك من كل وجه من وجوه الأحكام ومن وجوه المقامات فإن صلاة المتوكل تخالف صلاة الزاهد ومن وجوه الأذواق فإن صلاة الراضي تخالف صلاة الشكور وصلاة الصاحي تخالف صلاة السكران في الطريق الذوقي فإن الصحو والسكر هو من علوم الأذواق ثم عطف الشهادة بالعبودية لله والرسالة على شهادة التوحيد ليعلم أنه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فإنه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى وما عليه إلا البلاغ والإبلاغ لا يكون إلا حال مبلغ من مبلغ عنه إلى مبلغ إليه وهو العطف بواو الاشتراك يؤذن بالقرب الإلهيّ من السيد بما فيه من العبودية لله وبالقرب من المرسل بما فيه من ذكر الرسالة المضافة إلى الهوية التي هي غيب لمن أرسلوا إليهم وللرسول من حيث أن الروح الأمين جاء بها إليه من عند ربه فهو أقرب سند أمناً إلى المرسل وتلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروح بربه لا بنفسه كما يتلقى العارفون ما يأتيهم من ربهم على ألسنة العالم وحركاتهم بربهم لا بأنفسهم فإنه من يرى ربه في نفسه يراه في غيره بلا شك كما يقول أهل الله في حال المتوكل من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره وإنما قلنا تلقاها بربه لا بنفسه إذ لو تلقى المتلقي أمر ربه ووحيه بنفسه دون ربه لاحترق في موضعه من سطوات أنوار الروح الأمين ألا تراه مع القوّة الإلهية التي أيده الله بها كيف جاء إلى بيت خديجة ترجف بوادره يقول زمّلوني زمّلوني دثروني لاضطراب فيه من المحامد أي بها استحق العطف بحرف التشريك ثم قال عبد الله فذكره بعبودية الاختصاص ليعلم بحريته عن كل ما سوى الله وخلوص عبوديته لله ليس فيه شخص لكون من الأكوان ثم عطف بالرسالة على العبودية وعلى الله بالهوية فزاده في العبودية اختصاصين وهما النبوّة والرسالة وذكر الرسالة دون النبوّة لتضمنها إياها فلو ذكر النبوّة وحدها كان يبقى علينا ذكر اختصاصه بالرسالة فيحتاج إلى ذكرها حتى نعلم بخصوص أوصافه ونفرق بينه وبين من ليس له منزلة الرسالة من عباد الله النبيين فهذا تشهد لسان الكمال التشهد بلسان الجمال وأما تشهد لسان الجمال فهو تشهد عبد الله بن مسعود الذي ذكرناه وهو على هذا الحدّ إلا ما اختص به فما أذكره وهو أن يقول صاحب هذا المقام بلسانه والصلوات والطيبات فأتى بالصلوات لعموم ما تدل عليه في الرحموتيات والدعاء وأنواعه من الأحوال وكلها صلاة هو الذي يصلي عليكم وملائكته وعطف عليها الطيبات من باب عطف النعوت فهي نعت معطوف للصلوات وعليها ليطيب بها نفساً واختص أيضاً في هذا التشهد بإضافة العبودية إلى الهوية لا إلى الله وهو مقام شريف في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبر أنه صلى الله عليه وسلم في حال نظره في ربه من حيث ما تستحقه ذاته التي لا يحاط بها علماً بل لا تعرف أصلاً بالصفة الثبوتية وليست سوى واحدة لا يصح أن تكون اثنتين لأن الفصل المقوم في حق ذاته يستحيل فلا مناسبة بين الله وبين خلقه فإنه من ليس كمثله شيء كيف يصح أن يشبه شيئا أو يشبهه شيء وهذا بخلاف اللسان الأوّل فإن الإضافة بالعبودية كانت إلى الله لا إلى الهوية وهو أن ينظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن ويليق وهو دون ما تشهد به ابن مسعود التشهد بلسان الجلال أمّا التشهد بلسان الجلال فزاد على ما احتوى عليه التشهدان أن نعت التحيات بالمباركات أي التحيات التي يكون معها البركات وأسقط الزاكيات وكذلك أسقطها ابن مسعود فإنهما راعيا الاشتراك في الزيادة

وراعى عمر ما في الزكاة من لتقديس مع وجود الزيادة التي تشترك فيها مع البركة فاكتفى بالزاكيات لذلك وأنكر الزاكيات في التشهد جماعة من علماء الرسوم ممن لا علم له بعلوم الأذواق ومواقع اختلاف خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يأت في هذا اللسان في نعت التحيات بحرف عطف وقال فيه سلام بالتنكير وهو تشهد ابن عباس وذلك أنه راعى خصوص حال كل مصل فإن أسماء الله مثل الممكنات لا نهاية لها وكل ممكن له خصوص وصف فله من الله اسم خاص به من ذلك الاسم خص بالوصف الذي يتميز به عن كل ممكن وهذا من أشرف علوم أهل الله وهو مذكور في قوله في دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك وأما أسماء الإحصاء فتسعة وتسعون مائة إلا واحد و لم

يصح في تعيينها على الجملة نص ولا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هي هذه فما جاء ابن عباس بتنكير السلام إلا ليأخذ كل مصل من الاسم الذي يلقى إليه ويناجي الحق فيه وهو المسلم على نبيّ الله منا صلى الله عليه وسلم وعلينا وعلى عباد الله الصالحين وكذلك اختص بعدم تكرار لفظ الشهادة فتركها فلم يشهد له بعبودية ولا رسالة بشهادة مستأنفة بل شهادته بالتوحيد أغنت واكتفى بالواو لما فيها من قوّة الاشتراك وذلك مثل قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم و لم يعطف بذكر الشهادة تشريفا لهم وإن كان قد فصلهم عن شهادته لنفسه بذكره لا إله إلا هو وأسقط هنا لفظ العبودية لتضمن الرسالة إياها

فصل بل وصل في الصلاة على رسول الله في التشهد في الصلاة

اختلفوا في الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم في التشهد فمن قائل أنها فرض وبه أقول ومن قائل أنها ليست بفرض وكذلك اختلفوا في التعوذ من الأربع المأمور بها في التشهد وهو أن يتعوذ من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة المحيا والممات فمن قائل بوجوبها ومن قائل بمنع وجوبها وبوجوبها أقول ولو لم يأمر بالتعوذ منها لكان الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أولى إذ كان التعوذ منها من فعله لقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي فكيف وقد انضاف إلى فعله أمره أمته بذلك فالصلاة على النبي في الصلاة وغيرها دعاء من العبد المصلي لمحمد صلى الله عليه وسلم بظهر الغيب وقد ورد في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه من دعا من العبد المصلى لمحمد صلى الله عليه وسلم بظهر الغيب وقد ورد في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه من دعا بظهر الغيب قال له الملك ولك بمثله وفي رواية ولك بمثليه فشرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بها الله في قوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ليعود هذا الخير من الملك على المصلى عليه من أمّته صلى الله عليه وسلم وأمر بالسلام عليه بقوله وسلموا تسليما فأكده بالمصدر فقد يحتمل أن يريد بذلك السلام المذكور في التشهد ويحتمل أن يريد به السلام من الصلاة أي إذا فرغتم من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا من صلاتكم تسليما وبهذا الاحتمال تعلق من رأى وجوبها في الصلاة وأما الاستعاذة من عذاب جهنم فإنها الاستعاذة من البعد فإن جهنم معناه البعيدة القعر والمصلى في حال القربة وهو قريب من الانفصال من هذه الحالة المقربة فاستعاذ بالله أن لا يكون انفصاله إلى حال تبعده من الله بل إلى قرب من حالة دينية أخرى وأما الاستعاذة من فتنة المسيح الدجال فلما يظهره في دعواه

الألوهية وما يخيله من الأمور الخارقة للعادة من إحياء الموتى وغير ذلك مما ثبتت الروايات بنقله وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه وهي مسئلة في غاية الأشكال لأنها تقدح فما قرّره أهل الكلام في العلم بالنبوات فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد فالله يجعلنا من أهل الكشف والوجود ويجمع لنا بين الطرفين المعقول والمشهود وأما فتنة المحيا والممات ففتنة الدجال وكل ما يفتن الإنسان عن دينه الذي فيه سعادته وأما الممات فمنها ما يكون في حال النزع والسياق من رؤية الشياطين الذين يتصوّرون له على صورة ما سلف من آبائه وأقاربه وإخوانه فيقولون له مت نصرانيا أو يهوديا أو مجوسيا أو معطلا ليحولوا بينه وبين الإسلام ومنها ما يكون في حال سؤاله في القبر وهي حين يقول الملك له ما تقول في هذا الرجل ويشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذ لم يبرا الميت تعظيم الملك للرسول صلى الله عليه وسلم لأن المراد الفتنة ليتميز الصادق الإيمان من الكافر والمرتاب فأما المؤمن يقول هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فآمنا وصدقنا وأما المنافق أو المرتاب وهو الذي يشك في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم أنها من عند الله ويجعل ذلك من القوى الروحانية وغرها ثم يرى عدم تعظيم الملك للرسول بهذا السؤال وهو قولهم ما تقول في هذا الرجل و لم يقولوا ما تقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول المرتاب لو كان لهذا القدر الذي كان يدعيه في رسالته لم يكن هذا الملك يكنى عنه بمثل هذه الكناية فيقول عند ذلك لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت مثل ما قالوه فيشقى بذلك شقاء عظيما لم يكن يتخيله فهذا من فتنة الممات والقبر فاعلم ذلك وقد فرغ التشهد على التقريب والاختصار فيشقى بذلك شقاء عظيما لم يكن يتخيله فهذا من فتنة الممات والقبر فاعلم ذلك وقد فرغ التشهد على التقريب والاختصار

فصل بل وصل في التسليم من الصلاة

اختلفوا في التسليم من الصلاة فمنهم من قال بوجوبه وبه أقول ومنهم من قال ليس بواجب التسليم من الصلاة واختلف القائلون بوجوبه فمن قائل الواجب من ذلك على المنفرد والإمام تسليمة واحدة ومنهم من قال اثنتين ومن قائل أن الإمام يسلم واحدة والمأموم يسلم اثنيتن وقد قيل عن صاحب هذا القول أن المأموم يسلم ثلاثا الواحدة للتحليل والثانية للإمام والثالثة لمن هو عن يمينه والذي يقتضيه النظر إذا لم يكن هناك نص يوقف عنده لا في التوقيت ولا في التحجير أن يزاد على الثالثة تسليمة رابعة للمأموم إن كان على يساره أحد وللإمام تسليمتان أو ثلاثة من أجل التحليل إن كان الناس عن يمينه ويساره فإن لم يكن عن يساره أحد فيسلم اثنتين واحدة للتحليل والثانية لمن هو عن يمينه والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يسلم تسليمتان وما في الحديث ما يقتضي أن الخروج من الصلاة يكون بعد التسليم واعلم أن السلام لا يصح من المصلي إلا أن يكون المصلي في حال صلاته مناجيا ربه غائبا عن كل ما سوى الله من الأكوان والحاضرين معه فإذا أراد الخروج من الصلاة والانتقال من تلك الحالة إلى حالة مشاهدة الأكوان والجماعة سلم عليهم سلام القادم لغيبته عنهم في صلاته عند ربه فإن كان المصلي لم يزل مع الأكوان والجماعة إن كانفي جماعة فكيف يسلم عليهم من هذه حالته فإنه ما برح عندهم فهلا استحسن هذا المصلي حيث يرى بسلامه من صلاته أنه كان عند الله في تلك الحالة فسلام العارف من الصلاة لانتقاله من حال فيسلم تسليمتين تسليمة على من ينتقل عنه وتسليمة على من قدم عليه إلا أن يكون عند الله في صلاته فلا يسلم على من انتقل عنه لأن الله هو السلام فلا يسلم عليه

فصل بل وصل

فيما يقول الذي يرفع رأسه من الركوع

وفي الركوع

يقول العارف الجامع لأكمل الصلوات إذا رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده نيابة نعن ربه سبحانه ومترجما عنه فإنه من كلام ربه تبارك وتعالى ثم يسكت ثم يقول يردّ على نفسه بلسانه اللهم ربنا ولك الحمد وذلك أنه ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فإن الله قال على اللهم ربنا ولك الحمد مليء السموات ومليء الأرض ومليء ما بينهما ومليء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجدّ منك الجد كما أنه يقول في حال ركوعه بعد قوله فيه سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاث مرات إن كان منفردا أو مأموما وإن كان إما ما فانه يقولها خمس مرات ليدرك المأموم أنه يقولها ثلاثا ثم يقول بعد هذا التسبيح اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمى وعصبي اعلم أن العبد إذا ركع فقد أعلمتك أنه في حال برزخيّ بين القيام والسجود فيقول العارف بعد تسبيحه ربه التعظيم كما أوردناه يقول اللهم لك ركعت أي من أجل عزك وعلوك في كبريائك خضعت تعظيما لك يقول لقوميتك التي لا تنبغي إلا لك فإني لما قمت بين يديك لم أقم إلا امتثالا لا لأمرك حيث قلت وقوموا الله فقمت وأنا أخضع في ركوعي من خاطر ربما خطر لي في حال قيامي إني قمت لنفسي فأعترف بين يديك بركوعي أني لك ركعت وبك آمنت يقول بسببك أي بتأيدك صدقت لا بحولي ولا بقوتي أي لا حول ولا قوة إلا بك إذ القلوب بيدك التي هي محل الإيمان ولك أسلمت أي من أجلك كان انقيادي ولولاك ما تغيرت أحوالي معك في عبادتي فإنك الذي شرعت لي ذلك على لسان رسولك فعلا وقولا صلى الله عليه وسلم فصلى وذكر ثم أمرنا فقال صلوا كما رأيتموني أصلي وأنت القائل وما ينطق عن الهوى فعلمنا أنه مأمور بأن يأمرنا فذلك أمرك لا أمره فإنك القائل من يطع الرسول فقد أطاع الله ثم يقول خشع لك سمعي فيما كلمتني به في حال مناجاتي إياك بكلامك ثم يقول وبصري بواب التشريك وما ثم إلا الخشوع فكأنه يقول وخشع لك بصري حياء منك لعلمي بأنك تراني في حال ركوعي بين يديك فإنك في قبلتي كما أخبرني رسولك صلى الله عليه وسلم فأمرني أن أجعلك مشهودا في صلاتي كأني أرك بل ياربي وإن مثلت في نفسي أني أراك فما أقدر أن أنكر علمي أنك تراني وما سبب الحياء مني غلا علمي بأنك تراني لا بأن أرك فإنه لا يعزب عنك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض يا من يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ويقول ومخي وعظمي وعصبي فإنك جعلت في كل ما ذكرت قوة يكون بها قوام نشأتي وثبات هيكلي لتحصل نفسي بهذه القوى لبقاء هذه الصورة المكلفة ما أمر تهابه أن تحصله من المعرفة بك فربما خطر لمخي وعظمي وعصبي الموصوفين بالخشوع لك لما كانت أسبابا لما ذكرناه فيدركها لذلك عجب وزهو فوجب على كل واحدة من هؤلاء أن يخشع لك بتبريه من الحول والقوّة في السببية بأنك أنت الذي تحفظ على قوام نشأتي لتحصيل معارفي فإذا رفع العارف رأسه من الركوع يقول نيابة عن ربه سمع نفسه خطاب ربه سمع الله لمن حمده في قوله في حال ركوعه سبحان ربي العظيم وكل حمد وثناء حمده به وأثنى عليه به من أول شروعه في صلاته ثم يرد بربه على ربه بحضور نفسه من كونها بربه بتأييده إياها في حولها وقوتها فيقول اللهم ربنا

فيحذف حرف النداء لأن ومنك فلا حامد ولا محمود إلا أنت ولك عواقب كل مثن في العالم وكل مثني عليه وهو قوله ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ماشئت من شيء بعد يقول كل جزء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما وما في الإمكان من الممكنات مما توجده ويبقى في العدم عينا ثابتة كل جزء منه معلوم بحكم الوجود والتقدير له ثناء خاص عليك من حيث عينه وإفراده وجمعه بغيره في قليل الجمع وكثيره أحمدك بلسانه وبلسان كل حامد من حمدك لنفسك وحمد من سوا لك ذلك فيكون لهذا الحامد بهذه الألسنة جمع ما يستدعيه من التجلي الإلهي ومن الأجور المحسوسة لأجل طبيعته وتركيبه فإنه حمده لسانا وقلبا ظاهرا وباطنا وقوله أحق ما قال العبد أي أوجب ما يقوله عبد مثلي ولي أمثال لسيد مثلك ولا مثل لك وكلنا لك عبد يقول أنوب عن أمثالي وهم جميع الممكنات موجودها ومعدومها ممن يقول بك في علمه عن حضور وممن يقول

بنفسه عن غيبة فأنوب عنهم في حمدك لمعرفتي بك التي منحتني وجهلهم بما ينبغي لجلالك لا مانع لما أعطيت من الاستعداد لقوبل تجل مخصوص وعلوم مخصوصة ولا معطى لما منعت وإذا لم تعط استعداد عاما فما ثم سيد غيرك يعطى أنت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي من كان له حظ في الدينا من سلطان وجاه ومال وتحكم بغيرك في علمه لا في نفس الأمر لم ينفعه ذلك عندك في الآخرة عند كشف الغطاء

فصل بل وصل في السجود في الصلاة

فإذا سجد وسبح بربه الأعلى وبحمده الأعلى وبحمده كما تقدم يقول في سجوده بعد تسبيحه اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا واجعل لي نورا واجعلني نورا يقول العارف سجد وجهي أي حقيقتي فإن وجه الشيء حقيقته للذي خلقه أي قدره من اسمه المدبر وأوجده من اسمه القادر البارىء المصور وشق سمعه بما أسمعه في كن وأخذ الميثاق ثم التكليف وبصره بما أدركه ليعتبر في المبصرات فإن ذلك في حق هذه النشأة وأمثالها كما فطر السموات والأرض وفتقتهما بعد رتقهما ليتميزا فيظهر المؤثر والمؤثر فيه لوجود التكوين تبارك الله أحسن الخالقين إثباتا للأعيان ليصح قوله لقوم يتفكرون ثم دعا بالنور في كل عضو نور السموات والأرض الذي مثله بالمصباح في الزجاجة مقام الصفا في المشكاة مقام الستر من الأهواء فلم تصبه مقالات القائلين فيه بأفكارهم الموقد بالزيت المضيء بالمقاربة وهو حكم الإمداد من الشجرة وهي الممد لا شرقية ولا غربية في مقام الاعتدال لا تميل عن عرض إلى شرق فيحاط بها علما ولا إلى غرب فلا تعلم رتبتها نور على نور وجود على وجود عيني على وجود مفتقر ثم دعا بجعل النور في كل عضو والنفور هو النور وكل عضو فله دعوى بما خلقه الله عليه من القوة التي ركبها فيه وفطره عليها ولما علم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا أن يجعل الله فيه علما وهدى منفر الظلمة دعوى كل مدع من عالمه هذا ربط هذا الدعاء وآخر ما قال اجعلني نورا يقول اجعلني أنت فإنه نور السموات

والأرض فهناك قال الحق تعالى كنت سمعه وبصره ورجله ويده ولسانه عندما يسمع ويبصر ويتكلم ويبطش ويسعى يقول اجعلني نورا يهتدي بي كل من رآني في ظلمات بر ظاهره وبحر نفسه وباطنه فأعطاه القرآن وأعطانا الفهم فيه فإن هذه المنحة من أعلى المنح في رتبة هي أسنى المراتب ومعناه غيبني عني وكن أنت بوجودي فيرى بصري كل شيء بك ويسمع سمعي كل مسموع بك فإن نور كل عضوا إدراكه وهكذا جميع ما فصله ولكن بنور يقع به التمييز بين الأنوار ولذلك نكره في كل عضو وفي نفسه وذاته فيتميز نور

الشمال من نور اليمين ونور الفوق من نور التحت وكذلك أنوار القوى والجوارح ثم أقمني بعد هذا في عين الجمع والوجود فتتحد الأنوار بأحدية العين فإن لم أكن هناك فبجعلك إياي نورا وإن كنت هناك فبجعلك في نورا أهتدي به في ظلمات كوني

فصل بل وصل

فيما يقول المصلي بين السجدتين في الصلاة

اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني أجبرني واهدني وعافني واعف عني يقول العارف استرني واستر من أجلي استرني من المخالفات حتى لا تعرف مكاني فتقصدني نفسك عني إذ قد قلت أن سبحانك محرقة أعيان كل موصوف بالوجود وإن كان وجودك ولكن كما أثر في الممكن صفة الوجود و لم يكن بالوجود موصوفا كذلك أثر نسبته إلى الممكن إن قيل فيه بوجود وإن كان مقيد بالحدوث حادث ولكن الحضرة الإلهية موصوفة بالغيرة على وجودها من أجل دعوى هذا المدعى فلو لم تصدر منه الدعوى لما تسلط عليه فلا بد إذا ارتفعت الحجب أن تحرق سبحات ما أدركه البصر من الخلق يعني الطبيعي فإن عالم الأمر أنوار فلما يحترق بل يندرج في النور الأعظم فإن عالم الأمر ما عنده دعوى فيحترق عالم الخلق فيصير رمادا فما ألحقه بالعدم فبقي رماد غلا دعوى له فإذن ما أعدمت سوى الدعوى بإحالة العين التي أعطى استعدادها الدعوى إلى عين ما لها دعوى وقوله وارحمني برحمة الوجوب التي لا تحصل إلا بعد رحمة الامتنان بما أعطيتني من التوفيق لتحصيل رحمة الوجوب حتى أكون كل شيء وسعته رحمتك فيطلب العارف رحمة الإمتنان في عين الوجوب بالتوفيق للعمل الصالح الموجب لرحمة الإختصاص فيريد أخذها من عين المنة التي يطلبها إبليس وأشياعه من الجن والأنس مع وصف هذا العارف بالعصمة والحفظ عن المخالفة والخذلان الموجب للحرمان ثم يقول وارزقني يعني من غذاء المعارف الذي يحيا به قلبي كما رزقتني من غذاء الجسوم بما أبقيت به جسدي الطبيعي وهيكلي ثم يقول أجبرني الجبر لا يكون إلا بعد كسر وهو المهيض في اللسان والمهيض هو المكسور بعد جبر وهو كسر العارفين فإن العبد مكسور في الأصل بإمكانه فجبره إنما هو بأن ألحقه بالوجوب ولكن بغيره فلما أوجده بهذا الجبر كسرته المعرفة بنفسه وبربه نفردته إلى إمكانه فهذا كسر بعد جبر والجبر لا يكون إلا عن كسر فلهذا قلنا هو المهيض في اللسان كما أيضا يقول واجبرني يعني أوقفني على جبري في اختياري فإن العبد مجبور في اختياره وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين يقول الله أنا مع المنكسرة قلوبهم من أجلي ثم يقول واهدني بين لي ما نتقي للبيان في الترجمة عنك لعبادتك بما تهبني من جوامع الكلم ليصح ورثي من رسولك صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم أعطيت شيئا لم يعطهن نبي قبلي وذكر منها فقال وأوتيت جوامع الكلم ثم يقول وعافني من أمراض القلوب التي هي أغراضها لا من أمراض الجسوم فإنك في غاية القرب عند من أمرضت جسمه فإنك لي في الخبر الصحيح الذي بلغه إلى رسولك صلى الله عليه وسلم عنك أنك قلت مرضت فلم تعدني فأقول لك وكيف تمرض وأنت رب العالمين فقال صلى الله عليه وسلم أنك تقول مجيبا لي أن عبدي فلأن مرض فلم تعده إما أنك لوعدته لوجدتني عنده ومن أنت عنده سبحانك فما شقي وما أمرضت عبدك إلا لتعوده وتكون عنده فمن أراد أن يجدك فليعد المرضى سبحانك تسبيحا لا ينبغي إلا لك ثم يقول واعف عني يقول كثر خيرك لي وقلل بلاءك عني أي

قلل ما ينبغي أن يقلل وكثر ما ينبغي أن يكثر وليس عفوك عن خطيئتي التي طلبت منك أن تسترني عنها حتى لا تصيبني فاتصف بها والعفو من الأضداد يطلق بإزاء الكثرة والقلة فنبب تعني يارب فإني لا أستطيع التحرك إلى ما أمرتني بعمله لزمانتي مع إرادة التحرك

فصل بل وصل في القنوت في الصلاة

اختلفوا في القنوت فمن قائل أنه مستحب في صلاة الصبح ومن قائل أنه سنة ومن قائل أنه لا يجوز القنوت في صلاة الصبح وإنما وموضعه الوتر ومن قائل يقنت في كل صلاة ومن قائل لا قنوت إلا في رمضان ومن قائل لا قنوت إلا في النصف الآخر من رمضان ومن قائل في النصف الأول من رمضان وهو دعاء يدعو به المصلي ومنهم من يراه قبل الركوع ومنهم من يراه بعد الركوع ومن الناس من لا يرى القنوت إلا في حال الشدة وبه أقول وهو مستحب عندي وقد روى في صفة قنوت الوتر دعاء خاص وقد روى في قنوت الصبح دعاء خاص لم يثبت فليدع من يرى القنوت بأي شيء شاء بحسب حاله غير أنه يجتنب السب واللعنة في القنوت وليدع بخير الدنيا والآخرة وما يزلف عند الله مثل ما ثبت في قنوت الوتر من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وأنه لا يذل من واليت ولا يضل من هديت تباركت وتعاليت فهذا تعليم من النبي صلى الله عليه وسلم كيف ندعو الله في قنوتنا وفي كل دعاء فالعارف ينظر فيما علم أن يدعو به أو بما يشبهه فهو يطلب من الله أن يهديه فيمن هذا فإن وقف مع صفة اللفظ فهو يطلب في المستقبل أن يكون في الماضين والمستقبل لا يكون في الماضي إلا أن يجمعهما وجه فينظر العارف فيجد أن الجامع بين الماضي والمستقبل إنما هو العدم إذ كان الوجود لا يصح إلا للحال والوجود لا يكون إلا لله فإن وجود الحال وجود ذاتي لا يصح فيه العدم وله الدوام وبهذا وصفه أهل العربية فقالوا في تقسيم الأفعال أن فعل الحال يسمى الدائم وهو موجود بين طرفي عدم لا يمكن فيهما وجود أصلا وهو الماضي والمستقبل وهو عين العبد فهو الموصوف بالعدم نفيده بالماضي وهو العدم وبالمستقبل وهو عدم فاهدني للمستقبل وهديت للماضي والعدم لا يقع فيه تمييز فلهذا شرع له أن يقول اهدني فيمن هديت وأمثاله فإذا حصلته الهداية وهي عين وجود الحال والحال ظرف محقق ولهذا جاء يفي فقال فيمن والعدم لا يكون ظرفا لأن المعدوم لا شيء والعدم عبارة عن لا شيء ولا شيء لا يكون ظرفا لغير شيء فالمفهوم من قوله اهدني فيمن هديت وأمثاله بقوة ما تعطيه في أي إذا كسوتين وجود الهداية والتولي وما وقع السؤال فيه فليكن في الحال الذي له الدوام فلا يوصف بالماضي فيلحق العدم ولا بالمستقبل ولا يكون له وجود والحق متره عن التقييد في أفعاله بالزمان والعبد الذي هو المخلوق في الماضي موصوف أليس وفي المستقبل كموصوف ليس وفي حال اتصافه بالوجود من حيث ذاته موصوف ليس فكما أن ليس له حقيقة لا ينفك عنها بل هي عينه كذلك ليس الذي هو الوجود هو للحق سبحانه حقيقة لا يوصف بالماضي فيلحق بالعدم ولا بالمستقبل ولا يكون له وجود والحق متره عن التقييد في أفعاله بالزمان والعبد الذي هو المخلوق في الماضي موصوف بليس وفي المستقبل موصوف بليس وفي حال اتصافه بالوجود من حيث ذاته موصوف بليس فكما أن ليس له حقيقة لا ينفك عنها بل هي عينه كذلك ليس الذي هو الوجود هو للحق سبحانه حقيقة لا يوصف بنقيضه بل الوجود والعدم لا ينسب إليه شيء وفي ذلك قلنا

تقول بهم وتعتبهم وماذا ... بتحقيقي فقل لي ما أقول

أقول بهم وهل علموا بأني أقول بهم فقل لي ما تقول

إذا عبد تحقق إذ يقول بأني قائل وهو المقول

أءعتب مثله والعدل نعتي فقل بي ما تقول وما نقول

يقول الله على لسان فرعون أنا ربكم الأعلى وهو سبحانه الأعلى حقيقة فإن الله هو ربنا الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى العبرة في ذلك للعالم فإن الله وصف العلماء فأخذه الله فقال إنما يخشى الله من عباده العلماء فيعتبر العالم كما أخبر الله من أين أخذ فرعون وهذه صفة الحق ظهرت بلسان فرعون فعلم أنه ما قالها نيابة عن الحق كما يقول المصلي سمع الله لمن حمده فلما غاب عن النيابة في ذلك القول طلبت الصفة موصوفها فرجعت إلى الحق جل جلاله وبقي فرعون معرى عنها على أنه ما لبسها قط عند نفسه فإن الله قد طبع على كل قلب متكبر جبار أن يدخله كبرياء إذ لا ينبغي ذلك الوصف إلا لمن لا يتقيد فهو إلا على عن التقييد فكان الجزاء لفرعون لغيبته عن هذا المقام أن أخذه الله نكال الآخرة والأولى أي أوقفه على تقييده أنه ليس له هذا الوصف فالأولى للماضي وهي كلمة ما علمت لكم من إله غيري والآخرة للمستقبل وهي كلمة أنا ربكم الأعلى وهما عندنا أن الله أخذه نكال الآخرة والأولى في الأولى فاطلع بما أعلمه الله في أخذه ذلك عن الإطلاق الذي ادعاه بالتقييد الذي هو النكال فأن النكل في اللسان هو القيد ولما رأينا الله قد عبر بالنكال عرفنا أن النقيض هو الذي سلبه وهو العلم له فهو كائن ولا ينجي حذر من قدر وفي ذلك قلت بيتين فيهما رمز حسن وهما

إذا قلت يا الله قال لما تدعو وإن أنا لم أدعو يقول ألا تدعو

فقد فاز باللذات من كان أخرسا وخصص بالراحات من لا له سمع

فينبغي للعبد إذا قرأ القرآن أو تكلم بما تكلم به أو كلمه غيره أو سمع من سمع بأي لسان كان يتكلم فإنه ليس في العلام صمت أصلا فإن الصمت عدم والكلام على الدوام إذ فائدة الكلام الإفهام بالمقاصد للسامعين والأحوال مفهمة وهي الكلام ولا يخلو موجود أن يكون على حال ما فحاله هو عين كلامه لأنه المفهم الذي ينظر إليه ما هو عليه نفي وقته فلا لسان أفصح من لسان الأحوال وقرائن الأحوال تفيد العلوم التي تجيء بطريق العبارات والعبارات من جملة الأحوال عندنا فانطلق في الإصطلاح اسم الكلام على العبارات والعارفون بالله عندهم الوجود كله كلمات الله لا تنفذ أبدا فافهم ما ينبغي للعبد أن يعرف من ذلك إذا سمع كلاما أو تكلم هو أن يفرق ما بين ما هو العبد فيه نائب عن الله وما هو الله فيه مترجم عن العبد ويميز ذلك بالصفة فإن الصفة تطلب موصوفها فإنه لا يقبلها إلا من هي له فإذا تضمن الكلام صفة لا تنبغي إلا للعبد فالعبد صاحبها وإن وصف الحق بها نفسه وإذا تضمن الكلام صفة لا تنبغي إلا الله فالله صاحبها وإن وصف العبد بها نفسه فهكذا تعتبر الكلام كله ممن وقع سواء كان بالعبارات أو بالأحوال فهذا معنى قوله إن في ذلك لعبرة لمن يخشى وهو العالم وقوله في ذا إشارة إلى ما تقدم في القصة والذي تقدم في القصة قوله أنا ربكم الأعلى وأخذ الله له نكال الآخرة والأولى أي هذه الدعوى أوجبت هذا الأخذ وأن الصفة طلبت موصوفها وهو الله وبقي فرعون عريا عنها فلم يكن له من يحميه عن الأخذ يقول الله عن نفسه جعت فلم تطعمني نيابة عن عبد جاع فلم تطعمه فطلبت الصفة موصوفها وهو العبد فهكذا العافون الحقائق

فصول بل وصول في أفعال الصلاة

فصل بل وصل في رفع الأيدي في الصلاة

اختلف العلماء في رفع الأيدي في الصلاة أعني في حكمها وفي المواضع التي يرفعها فيها وفي حد إلى أين ينتهي بها فأما الحكم فمن قائل أن رفع اليدين سنة في الصلاة ومن قائل أنه فرض وهؤلاء انقسموا أقساما فمنهم من أوجب ذلك في تكبيرة الإحرام فقط ومنهم من أوجب ذلك في الاستفتاح وعند الانحطاط إلى الركوع وعند الرفع من الركوع ومنهم من أوجب ذلك في هذين الموضعين وعند السجود وأما المواضع التي ترفع فيها الأيدي في الصلاة فمن قائل عند تكبيرة الإحرام فقط ومن قائل عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع ومن قائل يرفعها عند السجود عند الرفع من السجود وهو حديث وائل بن حجر ومن قائل إذا قام من الركعتين وهو رواية مالك بن الحويرث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأما أنا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا مبشرة فأمرني أن أرفع يدي في الصلاة عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع وأما الحد الذي ترفع إليه اليدان فمن قائل إلى المنكبين ومن قائل إلى الصدر ولكل قائل حديث مروي أثبتها إلى المنكبين وحديث الأذنين أثبت من حديث الصدر والذي أذهب إليه في هذه المسئلة أن الأحاديث المروية في ذلك إنما هي في حكاية فعله صلى الله عليه وسلم ما روى أنه أمر بذلك وقد قال صلوا كما رأيتموني أصلي ومعلوم أن الصلاة تحوي على فرائض وسنن فلا يفهم من هذا الحديث أن أفعال الصلاة فرض جميعها المعارضة الإجماع لهذا المفهوم فلنصلها ونرفع أيدينا في علم الشارع من غير تعيين فرض أو سنة كما أحرم علي بن أبي طالب بإحرام النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يعلم بما أحرم وأقره على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنكر عليه فنرفع أيدينا في الصلاة على حكم الشرع فيها فنقبلها على ذلك الحكم وأما الحد فمذهبي فيه أنه بفعله يقتضي التخيير فإن الأحاديث وردت بحدود مختلفة فعليه فأية حالة فعل المصلي أجزأته فرضا كان أو سنة والأولى الرفع إلى الأذنين ولكن ينبغي أن يكون رفعهما على الصدر إلى حذو المنكبين إلى الأذنين فيجمع بين الثلاثة الأحوال وكذلك المواضع تعمها كلها عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع من الركوع وعند السجود وعند الرفع من السجود وعند القيام من الركعتين فإن ذلك لا يضره فإنه قد ورد وما ورد أن ذلك يبطل الصلاة فما ورد ما يعارض ذلك وغاية المفهوم من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب أنه كان عليه السلام يرفع يديه عند الإحرام مرة واحدة لا يزيد عليها أي أنه رفع مرة واحدة لم يصنع ذلك مرتين نعند الإحرام ويحتمل أن يريد بقولهما لا يزيد عليها أي لا يرفعهما مرة أخرى في باقي الصلاة فما هو نص وقد ثبتت الزيادة برفعه عند الركوع وعند الرفع منه وغير ذلك والزيادة من العدل الثقة مقبولة فالأولى رفعهما في جميع المواطن التي جاءت الرواية بالرفع فيها وأما اعتبار العارف في ذلك فإن رفع الأيدي يؤذن بأن الذي حصل فيها قد سقط عند رفعها فكان الحق يقول له معلما إذا وقفت بين يدي فقف فقيرا محتاجا لا تملك شيئا وكل شيء ملكتك إياه فارم به وقف صفر اليدين واجعله خلف ظهرك فإني في قبلتك ولهذا يستقبل بكفيه قبلته قائمة ليعلم أنه صفر اليدين مما كان فيهما ثم إنه إذا حطهما رجعت بطون إلا كف تنظر إلى خلف وهو موضع مارمته من يدها ثم إن الله يعطيه في كل حال من الأحوال أحوال الصلاة ما يقتضيه جزاء ذلك الفعل فإذا ملكه تركه وأعلم الحق برفع يديه أنه قد تركه في الموضع الذي ينبغي له أن يتركه وقد توجه طالبا فقيرا صفر اليدين إلى الوهب الإلهي فيعطيه أيضا فرفع يديه وهي

خالية هكذا في جميع المواطن التي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع فيها يديه وقد يرفعها من باب الحول والقوة إذ كانت محل القدرة إلا يدي فيرفع يديه إلى الله معترفا أن الإقتدار لك لا لي وأن يدي خالية من الإقتدار فمن رفعها إلى الصدر اعتبر كون الحق في قبلته ومن رفعها إلى الأذنين اعتبر كون الحق فوقه ممن قوله وهو القاهرة فوق عباده في كل خفض ورفع يفعل ذلك يقول بذلك الرفع من يديه أن لا حول لي ولا قوة في كل خفض ورفع وأن القوة لك لا إله إلا أنت انتهى الجزء التاسع والثلاثون

الجزء الأربعون

فصل بل وصل في الركوع وفي الإعتدال من الركوع

اختلف العلماء في الركوع وفي الإعتدال من الركوع فمن قائل أنه غير واجب ومن قائل بوجوبه الاعتبار في ذلك الخضوع واجب في كل حال إلى الله تعالى باطنا وظاهرا فإذا اتفق أن يقام العبد في موطن يكون الأولى فيه ظهور عزة الإيمان وجبروته وعظمته لعز المؤمن وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته فيظهر في المؤمن من الأنفة والجبروت ما يناقض الخضوع ففي ذلك الموطن لا يكون الخضوع واجبا بل ربما الأولى إظهار صفة ما يقتضيه ذلك الموطن قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك هذا موطن يجب أن تكون المعاملة فيه كما ذكر وقال في الموطن الآخر يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فهو من باب إظهار عزة الإيمان بعز المؤمن وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة وقد نتراءى الجمعان من يأخذ هذا السيف بحقه فأخذه أبو دجانة فمشى به بين الصفين خيلاء مظهر الإعجاب والتبختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن فإذا علمت أن للمواطن أحكاما فافعل بمقتضاها تكن حكيما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي علمه فروض الصلاة اركع حتى تطمئن راكعا وارفع حتى تطمئن واقفا فالواجب اعتقاد كونه فرضا

فصل بل وصل في هيئة الجلوس

فمن قائل يفضي بأليتيه إلى الأرض وينصب رجله اليمنى ويثني اليسرى والرجل والمرأة في ذلك على السواء وقال آخرون ينصب الرجل اليمنى ويقعد على اليسرى وفرّق آخرون بين الجلسة الوسطى والآخرة فقال في الوسطى ينصب اليمنى ويقعد على اليسرى وقال في الجلسة الآخرة يفضي بأليتيه إلى الأرض وينصب رجله اليمنى ويثنى اليسرى وكل قائل له مستند إلى حديث فما فعل من ذلك اجزأه الاعتبار في ذلك الجلوس في الصلاة جلوس العبدين يدي السيد وليس له أن يجلس إلا أن يأمره سيده وقد أمر المصلي بالجلوس في الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد فأحسن الحالات في الجلوس في الصلاة هو الجلوس الذي يكون فيه أقرب إلى الوقوف بين يدي سيده هذا إذا كان حال العارف ما ينبغي أن يكون عليه العبد من حيث ما هو فبد وإن كان العارف في محل النظر في أصل معرفته بنفسه ليعرف ربه فالأولى في جلوسه إن يفضي بأليتيه إلى الأرض في آخر جلوسه ولابد فإنه أقرب إلى النظر في ذاته بخلاف الجلسة الوسطى فإن جلوسه فيها عارض عرض له من الحق أجلسه أي رده في النظر إلى نفسه لمعرفة بريد تحصيلها فيكون كالمستوفز لأنه مدعوا إلى الوقوف وهي الركعة الثالثه والطمأنينه في الركوع والسجود وأحوال الإنتقالات كلها في أحوال الصلاة المراد بها الثبات لتحقيق ما يتجلى له فيها لأنه إذا أسرع بأدنى ما ينطلق عليه اسم راكع يفوته علم كبير لايناله إلامن ثبت فلهذا أمر بالطمأنينة في هذه المواطن فإن العجله من الشيطان إلا في خمس وهي مذكورة في بابها فالمسارعات إلى الخيرات مشروع يعد الثبات والإطمئنان في الخير الذي أنت فيه فلا مناقضة بين الطمأنينة والمسارعة.

فصل بل وصل في الجلسة الوسطى والأخيرة

اختلف العلماء في الجلسة الوسطى والأخيرة فقائل في الوسطى أنها سنة وليست بفرض وشذ قوم فقالوا إنها فرض والأصل الذي اعتمد عليه في أفعال الصلاة كلها أن لا تحمل أفعاله صلى الله عليه وسلم على الوجوب حتى يدل الدليل على ذلك وأما الجلسة الأخيرة فبعكس الوسطى إنها فرض وشذ قوم فقالوا إنها ليست بفرض ومن قائل إن الجلستين سنة وهو أضعف الأقوال وبقي الجلوس في وتر من الصلاة يذكر بعد هذا أن شاء الله في فصله الاعتبار في ذلك أما الجلسة الوسطى فإنها كما قلنا عارض عرض لأجل القيام بعدها إلى الركعة الثالثة والعارض ليتنزل منزلة الفرض ولهذا سجد من سها عنه وفرق بينه وبين الركن إذا فاته و لم يقترن بالجلسة الوسطى أمر فيحمل على الوجوب وإنما هو أمر عارض عرض للمصلي في مناجاته من التجليات البرزخيات دعاه أن يسلم عليه لما شرع فيه من التحيات فلما رأى أن ذلك المقام يدعوه إلى التحية تعين عليه أن يجلس له كما يفرض عليه في الجلسة الآخرة التي هي ركعتان إلا الوتر فإن له خصوص وصف أذكره في الوتر إذا جاء إن شاء الله ولما ثبت عين الشفع بوجود الركعتين فتميز الرب من العبد فقد حصل المقصود فلابد من الجلوس كما يكون في صلاة الصبح وفي صلاة الليلية مثنى مثنى وفي الصلاة السفر وقول الراوي أول فرض الصلاة إنها فرضت ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر وأقرت في السفر على الأصل فلما لهذا الشفع في الصلاة الثلاثية والرباعية إن الشيئين إذا تألف صح على كل واحد منهما اسم الشيئين ومن الناس قال كنا شيأً واحداً وقد تألف بوجود الركعتين الأوليين نسبة شيئية الصلاة للعبد وننفي نسبة شيئية الصلاة للرب فإنه قال عن نفسه أنه يصلي علينا فكانت الركعتان في الرباعية لهذا ولما أراد أن يفصل بين الشيئين الأوليين والأخريين ليتميزا فصل بينهما بالجلسة وهذا هو العارض الذي عرض له حتى جلس فإنه سجد له و لم يأت به كما يأتي الركن إذا فاته وأما وقوع الجلوس بعد الثنتين في المغرب فلأمر آخر خلاف هذا وما هي بجلسة وسطى لأنه ليس بعدها ركعتان فهي في الثلثين وفي الرباعية في النصف وذلك أن ينبه بأن الشيئين إذا تألفا كانا شيئا واحدا فذلك الواحد هو عين الركعة الثالثة من المغرب بشير بأن هاتين الركعتين المقسمتين بين عبد ورب هي في المعنى واحدة لأن المعنى الواحد يتضمن الثاني من جميع وجوهه وليس الآخر كذلك لأن الآخر يتضمنه من وجه فمن الوجه الذي يتضمنه ظهرت للرباعية ركعتان بعد الجلسة الوسطى الركعة الواحدة للواحد لتضمنه معنى الآخر والأخرى للآخر لتضمنه معنى الأول ويبقى الوجه الواحد الذي لا أخ له بمنزلة الوتر الذي زادنا الله إلى صلاتنا وهو ركعة واحدة لا ثاني لها وهو الوجه الذي ينفرد به الحق عنا من حيث ذاته وصورة ذلك في المعارف أن العبد يطلب الواجب الوجود لنفسه لأنه ممكن فلا بد له من مرجح فالعبد يتضمن الرب بوجوده بلا شك فركعة المغرب اكتفى بها لأنها تتضمن الثانية ووجود الواجب لنفسه له وجه لتضمن الممكن وهو وجه كونه إلها قادرا مريد فقد تكون ركعة المغرب إلهية من هذا الوجه وله سبحانه وجه أيضا إلى نفسه لا يتضمن وجود الممكن جملة واحدة وهو الغني الذي له على الإطلاق فهو بالنظر إليه سبحانه لا يلزم من النظر فيه من حكم ذاته وجود العالم ولا بد إلا أن ننظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن فتظهر النسب عند ذلك وكونه قادرا فيطلب المقدور ومريدا فيطلب المراد فالوتر المفروض المراد له هو الوجه الذي للحق من حيث ما لا يطلب الأكوان ولا تطلبه الأكوان إذا لم ننظر في ذواتها قال الله عز وجل والله غنيّ عن العالمين والعالمون هنا هو الدلالات على الله فهو يقول في هذه الآية أنه غنيّ عن العالمين وهو الذي تسميه أهل النظر وجه الدليل يقول الحق ما ثم دليل عليّ فيكون له وجه ير بطني به فأكون مقيدا به وأنا الغنيّ العزيز الذي لا تقيدني الوجوه ولا تدل عليّ أدلة المحدثات فدليل الحق على الحق وجود الحق في عين الممكن لا يفتقر إلا لأمر ممكن يعني أنه يمكن أ، يحصل له ويمكن أن لا يحصل والإفتقار إلى الممكن من

الممكن محال والإفتقار إلى الواجب بنفسه من الممكن في غير ممكن محال فلا إفتقار لممكن ولا لواجب أصلا فالواجب الوجود غنيّ على الإطلاق والممكن ليس بفقير لممكن على الإطلاق ولا لغير ممكن فإن تحصيل ما ليس بممكن لممكن

محال فالحق لا يحصل منه في العبد شيء ولا للعبد منه شيء فالظاهر من الممكنات وأعيانها وجود الحق والممكنات باقية على أصلها من الإمكان لا تبرح أبدا فمعنى الإستفادة هي دلالة الحق بوجوده عليها لا دلالتها عليه فإنها لا تدل عليه أبدا فالناظر في هذه المسئلة يتوهم أن الكون دليل على الله لكونه ينظر في نفسه فيستدل وما علم أن كونه ينظر راجع إلى حكم كونه متصفا بالوجود فالوجود هو الناظر وهو الحق فلو لم تتصف ذاته بالوجود فبماذا كان ينظر فما نظر إلا الحق في الحق فأنتج له الحق نفسه فقال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة إذا ضربت الواحد في الواحد كان الخارج واحد فافهم

فصل بل وصل في التكتيف في الصلاة

اختلف العلماء في وضع إحدى اليدين على الأخرى في الصلاة فكرهها قوم في الفرض وأجازها في النفل ورأى قوم أنه من سنن الصلاة وهذا الفعل مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى في صفة صلاته أيضا أنه لم يفعل ذلك وقد ثبت أيضا أن الناس كانوا يؤمرون بذلك اعتبار ذلك عند أهل الله تختلف أحوال المصل بين يدي ربه عز وجل في قيامه بحسب اختلاف ما يناجيه فإن اقتضى ما يناجيه به التكتيف تكتف وإن اقتضى السدل وهو إسدال اليدين أرسلهما كما أنه إذا اقتضت الآية الإستغفار استغفرو إذا اقتضت الدعاء سأل وإذا اقتضت تعظيم الجناب العالي عظم وإذا اقتضت السرور سرّ وإذا اقتضت الخشوع خشع فهو بحسب ما يناجيه به فلذلك ما ينبغي أن يقيد المصلي في مناجاته بصفة خاصة ولهذا قال بالتخيير في هذه المسئلة من قال وكل هذه الهيئات جائزة وحسنة

فصل بل وصل في الإنتهاض من وتر صلاته

ذهبت طائفة المصلي إذا كان في وتر من صلاته أن لا ينهض حتى يستوي قاعدا واختار آخرون أن لا يقعد وإن انتهض من سجود نفسه اعتبار أهل الله في ذلك المصلي بحسب ما يدعوه الحق إليه فإن دعاه وهو في حال سجوده إلى القعود قعد ثم ينهض وإن دعاه إلى النهوض نهض فهو بحسب ما يلقى إليه في نفسه وقد تقدّم الكلام في الجلوس في الصلاة قبل هذا فالتجر على ذلك الإعتبار وأما الجلوس بين السجدتين فهو ليجمع في سجوده بين السجود عن قيام والسجود عن قعود فمن السجود عن الجلوس يقف منه على أسرار نزول الحق من العرش الذي استوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن إلى السماء الدنيا فيكون العبد في حال جلوسه بين السجدتين يناجي الرحمن من حيث أنه استوى على العرش وفي سجوده من جلوسه يناجي الحق بالاسم الرب من حيث نزوله إلى عباده في الثلث الباقي من الليل فيتجلى له من هذه الأحوال ما يكون له به مزيد علوم مما تعطيه ما تتضمنه هذه الأحوال من الذكر والدعاء والهيئات كل على حسب شربه

فصل بل وصل

فيما يضع في الأرض إذا هوى إلى السجود

اختلف الناس فيما يضع المصلي في الأرض إذا هوى إلى السجود هل يضع يديه قبل ركبته أم لا فذهب طائفة إلى وضع اليدين قبل الركبتين وذهب قوم إلى وضع الركبتين قبل اليدين اعتبار أهل الله في ذلك اليدان محل الإقتدار والركبتان محل الاعتماد فمن اعتمد على ربه مع الاقتدار الذي يجده من نفسه كالحلم مع القدرة قال بوضع الركبتين قبل اليدين ومن رأى أن اليدين محل العطاء والكرم ورأى قوله تعالى فقدّموا بين يدي نجوا كم صدقات قدّم اليدين عل الركبتين ثم إن المعطى لا يخلو من إحدى حالتين إما أن يعطى وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويأمل الحياة وإما أن يعطي وهو من الثقة بالله والاعتماد على الله بحيث أن لا يخطر له الفقر والحاجة ببال لعلمه بأن الله أعلم بمصالحة فمن كانت هذه حالته قدم ركبتيه على يديه ومن كانت حركاته الشح يجاهد نفسه خشي الفقر وبذل المجهود من نفسه في العطاء قدّم يديه على ركبتيه والساجد أي حال قدّم من هاتين الحالتين فإن الأخرى تحصل له في سجوده ولا بد فمن اعتمد وتوكل حصل له صفة الجود والإيثار وجميع مراتب الكرم والعطاء ومن أعطى لله عن جبن وفزع أثمر له ذلك العطاء بهذه الحال التوكل والاعتماد على الله والذي رجح الشارع تقديم اليدين

فصل بل وصل في السجود على سبعة أعظم

اتفق العلماء رضي الله عنهم على أنه من سجد على الوجه واليدين والركبتين وأطراف القدمين فقد تم سجوده واختلفوا إذا سجد على وجهه ونقصه عضو من تلك الأعضاء هل تبطل صلاته أم لا فمن قائل تبطل ومن قائل لا تبطل و لم يختلفوا أن من سجد على جبهته وأنفه فقد سجد على وجهه واختلفوا فيمن سجد على جبهته دون أنفه أو على أنفه دون جبهته وعلى جبهته دون أنفه ومن قائل أنه لا يجوز إلا أن يسجد عليهما معا والاعتبار في ذلك السبع الصفات ترجع إليها جميع الأسماء الإلهية وتتضمنها وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر فلو نقص منها صفة أو نسبة على الإختلاف الذي بينا في كونها نسبا أو صفات فقد بطل الجميع أي لم يصح كون الحق إلها وهذا اعتبار الذي لا يجيز الصلاة إلا بالسجود على السبعة الأعضاء فإنها لحضرة الإلهية بمنزلة الأعضاء لهذا الساجد والذي يقول أن الوجه لا بد منه بالإتفاق كالحياة من هذه الصفات التي هي شرط في وجود ما بقي من الصفات السبع أو النسب على الاختلاف الذي بينا فمن عالم يقول أن السمع والبصر راجعان إلى لعلم وأن العلم يغني عنهما وأنهما للعلم مرتبتان عينهما المسموع والمبصر فهما من العلم تعلق خاص قال بجواز الصلاة إذا نقض عضو من هذه الأعضاء مع سجود الوجه كالحياة ولما كانت الحياة تقتضي الشرف والعزة لنفسها على سائر الصفات والأسماء لكون هذه الصفات في وجودها مشروطة بوجود الحياة وكانت العزة والحياة مرتبطتين كالشيء الواحد مثل ارتباط الجبهة والأنف في كونهما عظما واحدا وإن كانت الصورة مختلفة فمن قال أن المقصود الوجه وأدنى ما ينطلق عليه اسم الوجه يقع به الاجتزاء أجاز السجود على الأنف دون الجبهة وعلى الجبهة دون الأنف كالذي يرى أن الذات هي المطلوبة الجامعة ومن نظر إلى صورة النف وصورة الجبهة ونظر إلى الأولى باسم الوجه فغلب الجبهة وأن الأنف وإن كان مع الجبهة عظما واحدا لم يجز السجود على الأنف دون الجبهة لأنه ليس بعظم خالص بل هو للعضلية أقرب منه إلى العظمية فتميز عن الجبهة فكانت المعتبرة في السجود كذلك الحياة هي المعتبرة في الصفات وإن العزة وإن كانت لها بالإحاطة فإن العلم له الإحاطة أيضا فاشتركا فلم ير للعزة أثرا في هذا الأمر ومن قال لا بد من أن

يكون وجه الحق منيع الحمى عزيزا لا يغالب قال بالسجود على الجبهة والأنف مع ولما كان الأنف في الحس محل التنفس والتنفس هو الحياة الحيوانية كانت نسبته إلى الحياة أقرب النسب وبوجود هذه السبعة تم نظام العالم لأنه ليس في الوجود أكمل من الحق وكماله في ألوهيته بهذه الصفات المنسوبة إليه سبحانه فلو انعدمت صفة واحدة من هذه الصفة أو نسبة لم تصح المرتبة التي أوجدت العالم و لم يكن العالم وجود وقد وجد فالمرتبة موجودة فالكمال حاصل والارتباط معقول ولو ارتفع السبب لارتفع المسبب ولو زال المسبب من العقل لم يجد السبب من يظهر فيه أثره فيزول كونه سببا وكونه سببا إنما هو لذاته فينعدم السبب لانعدام المسبب من كونه سببا لا غير لا من حيث العين المنسوب إليها السببية فإن الله غني عن العالمين من ذاته وكلامنا إنما هو من كونه إلها فكلامنا في المرتبة لا في قوته بحيث لا يبقى عنده شيء يعطيه هلك من كونه معطيا والمعتبر في بقاء العالم إنما هو عين جوهره الذي أظهرت كونه صورة ما فالصور لا يلزم من انعدام شيء منها انعدام العالم من حيث جوهريته إلا أن لا تكون الصورة أصلا فيعدم العالم من حيث جوهره لانعدام جميع الصور ويتعلق بهذا الباب مسائل من الإلهيات كثيرة

فصل بل وصل في الإقعاء

أريد أن أعطي أصلا في هذه المسئلة يسري في جميع مسائل الشرع فنقول أن الشارع إذا أتى بلفظ مّا فإنه يحمل ذلك اللفظ على ما هو المفهوم منه بالمصطلح عليه في لغة العرب إلى أن يخصص الشارع ذلك اللفظ بوصف خاص يخرجه بذلك الوصف عن مفهوم اللسان المصطلح عليه فإذا عين الشارع ما أراده بذلك اللفظ صار ذلك الوصف بذلك اللفظ أصلا فمتى ورد اللفظ به من الشارع فإنه يحمل على المفهوم منه في الشرع حتى يدل دليل آخر من لشرع أو من قرائن الأحوال أنه يريد بذلك اللفظ المفهوم منه في اللغة أو أمر آخر بعينه أيضا هذا مطرد في جميع ما يتلفظ به الشارع ومثاله لفظة الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وأمثال هذا ثم نرجع إلى ما نحن بسبيله فأقول أن الإقعاء المفهوم منه في اللغة إقعاء الكلب والسبع ولا خلاف أذكر بين العلماء أن هذه الهيئة ليست من صفات الصلاة وقد ورد النهي عن الإقعاء في الصلاة فنحن نحمله على الإقعاء المعروف في اللسان فإن خصصه الشرع بهيئة مخصوصة تخرجه عن المفهوم منه في اللسان منطوق بها وقفنا عندها ونعلم أن تلك الهيئة التي نهى عنها فقالت طائفة أن الإقعاء المنهيّ عنه هو أن يجعل أليتيه على عقبيه بين السجدتين وأن يجلس على صدور قدميه ليس من سنة الصلاة وكان ابن عباس يقل الإقعاء على القدمين في السجود على هذه الصفة هي سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم الاعتبار في ذلك هيئة الإقعاء هيئة المستفز المحتفز وهكذا ينبغي أن يكون العبد مع الله في أحواله ولهذا قال ابن عباس الإقعاء سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فإن العبد ينبغي أن يكون على هيئة الاحتفاظ من أجل ورود أوامر سيده عليه لا يغفل مراقب لها حتى إذا وردت عليه وجدته متهيأ لقبول ما جاءته به فسارع إلى امتثالها ولهذه الحالة أثنى على من هذه صفته بقوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فيهم قال ومنهم سابق بالخيرات وكل من يطلب المسارعة في الأمور يكون حاله اليقظة والحضور والإنتباه والإستيفاز والاحتفاظ فاعلم ذلك فيخرج النهي عن الإقعاء في الصلاة أن لا يفعل من حيث التشبه بالكلاب والسباع في ذلك وليفعل ذلك من حيث أنه مشروع على الهيئة المعقولة المنقولة في الموطن المنقولة إلينا فإنه من صفة الإقعاء اللغويّ أن تكون يداه في الأرض كما يقعي الكلب وليس هذا في الهيئة المشروعة في الإقعاء فهذا قد ذكرنا من أفعال الصلاة وأقوالها ما يجري مجرى الأصول لما يتفرع منها

فصل بل وصل في ذكر الأحوال في الصلاة

وبعد أن ذكرنا أكثر الأقوال والأفعال في الصلاة فلننتقل إلى الأحوال مثل صلاة الجماعة وحكمها وشروط الإمامة ومن أولى بالتقديم وأحكام الإمام الخاصة به ومقام الإمام من المأموم وأحكامهم الخاصة بهم وما يتبع المأموم فيه الإمام مما ليس يتبعه فيه وصفة الإتباع وما يحمله الإمام عن المأموم والأشياء التي بها إذا فسدت صلاة الإمام تعدّت إلى المأموم على حسب ما فصلته الأئمة من علماء الشريعة واختلاف العلماء في ذلك ونذكر اعتبارات ذلك كله عند العلماء بالله بحسب ما يقتضيه الطريق إلى الله في أعمال القلوب والأسرار فإن هذا الطريق عند أصحاب الذوق ما هو طريق نقل فلنذكر أوّلا قبل ذكر هذه الأحوال حديثين مما يتعلق بأقوال الصلاة وأفعالها التي في الفصل قبل هذا فهما كالخاتمة له وإنما جعلتهما في فصل الأحوال لحاجة في نفس يعقوب قضاها وأنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحديث الواحد في تعليم النبيّ صلى الله عليه وسلم الصلاة للرجل الذي سأله أن يعلمه كيف يصلي والحديث الثاني في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما أما الحديث الأول فهو حديث البخاري عن أبي هريرة وذكر حديث الرجل الذي دخل المسجد وصلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فإنك لم تصل فقال الرجل علمني يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوي قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها وله في طريق أخرى ثم ارفع حتى تستوي قائما يعني من السجدة الثانية وقال عليّ بن عبد العزيز عن رفاعة بن رافع في هذا الحديث أن الرجل قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم لا أدري ما عبت عليّ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله ويغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ثم يكبر الله ويحمده ويمجده ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه وتيسر ثم يكبر ويركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوي قائما حتى يأخذ كل عظم مأخذه ويقيم صلبه ثم يكبره فيسجد ويمكن وجهه من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعدا على مقعدته ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ ثم قال أنتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك خرّجه النسائي وهذا أبين وقال النسائي في طريق آخر عن رفاعة أيضا فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وإن انتقضت منها شيئا انتقض من صلاتك و لم تذهب كلها وقال في أوّله إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله ثم تشهد فأقم ثم كبر قال أبو عمر بن عبد البر هذا حديث ثابت الحديث الثاني وأما الحديث الثاني فهو الذي خرجه أبو داود في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت أبا حميد الساعدي في عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو قتادة قال أبو حميد أنا أعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فلم فو الله ماكنت بأكثرنا له تبعا ولا أقدمنا له صحبة قال بلى قالوا فأعرض قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يكبر حتى بقرّ كل عظم في موضعه معتدلا ثم لا يقرأ ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا ينصب رأسه ولا يقنع ثم يرفع رأسه ويقول سمع الله لمن حمده ثم يرفع يديه حتى يحاذي منكبيه معتدلا ثم يقول الله أكبر ثم يهوى إلى الأرض فيجافي يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجليه إذا سجد ويسجد ثم يقول الله أكبر ثم يرفع ويثنى رجله اليسرى ويقعد عليها حتى يرجع كل عضو إلى موضعه ثم يضع

في الأخرى مثل ذلك ثم إذا أقام من الركعتين كبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة ثم يصنع ذلك في بقية صلاته حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخر رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الأيسر قالوا صدقت هكذا كان يصلي صلى الله عليه وسلم وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي في هذا الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائما ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه وقال في الرفع من الركوع اتعدل حتى يرجع كل عظم في موضع معتدلا وكذلك بين السجدتين وزاد في آخره ثم سلم وقال هذا حديث حسن صحيح وهذا ابتداء فصول الأحوال إن شاء الله نذكرها فصلا فصلا

فصول بل وصول في الأحوال

فصل بل وصل في ذكر ما وقع من الاختلاف في صلاة الجماعة

واختلفوا في صلاة الجماعة هل هي واجبة على من سمع النداء أم ليست بواجبة فمن قائل أنها سنة ومن قائل أنها فرض على الكفاية ومن قائل أنها فرض متعين على كل مكلف الاعتبار في ذلك لما شرع الله للمصلى أن يقول إياك نعبد بنون الجمع دل على أنه مطلوب بكل جزء منه بالصلاة معا في ليس من الصلاة وكل ما أبيح له من الفعل فيها فهو من الصلاة ولكن لا من صلاة كل مصل إلا لمصل عرض له في صلاته من ذلك شيء ففعله وهي أمور منصوصة عليها وكل فعل يجوز أن يفعل في الصلاة فهو صلاة لأن الشارع عينها فلا تبطل الصلاة بفعل شيء منها فحضور جماعة العبد مع الله تعالى في الصلاة واجب بلا شك ويكون الحق إماما والعبد مأموما لأنه هو الذي يقيمه ويقعده ويكون العبد إماما في المناجاة فإن الله جعل ابتداء القول إليه فما ثم مصل فذا فإن غاب عن لحضور مع الله في هذه الصلاة فقد انفرد في هذه العبادة بنفسه دون ربه وهذا هو الفذ في الاعتبار وهو على هذا وإن كان في جماعة من عالمه فهو في حكم الفذ والفذ الآخر أن يفرد الصلاة للرب لغلبة مشاهدته إياه وفنائه عن نفسه فلا يشهد نفسه مصليا مع شهود وقوع الصلاة منه بربه فهذا أيضا يلحق بصلاة الفذ فإذا كشف العبد على كل جزء منه في صلاته أنه مستح بحمد ربه في صلاته وكل جزء فإن عن نفسه بشهوده فهو من حيث ما هو مجموع في جماعة فله أجر الجماعة وله أجر الفذ بكل جزء منه بالغا ما بلغت أجزاؤه فإن شئت قلت أنه صلى فذا وإن شئت قلت أنه صلى في جماعة والحق الإمام ثم إن من العارفين من يقيمه الحق في مقام الإمامة ويكون الحق مأموما وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم أن الله لا يمل حتى تملو فهو نيجري معك ما دمت تجري معه وهو قوله تعالى من هذا الباب فاذكروني أذكركم وقوله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فهذا معنى الإمام والمأموم فهو سبحانه قدمك في هذا الموضع وأمثاله ومثل إمامته بك فليستجيبوا إلى في دعائه إياهم ثم يدعونه اقتداء بدعائه فيجيبهم بإجابتهم إياه فانظر ما أكرم هذا الرب مع الغنى المطلق الذي وصف به نفسه كيف ربط نفسه بعبده في جميع ما أمره به من العبادة ذلك هو الفضل المبين

فصل بل وصل فيمن صلى وحده ثم أدرك الجماعة أو صلى منفرد أو في جماع ثم أنه أدرك جماعة أخرى

اعلم أنه من صلى ثم أتى المسجد فلا يخلو من أحد وجهين إما أن صلى منفردا أو في جماعة فإن كان صلى منفردا يعيد معهم كل الصلوات إلا المغرب فقط وقالت طائفة يعيد إلا المغرب والعصر وقالت طائفة إلا المغرب والصبح ومن قائل إلا الصبح والعصر

وقالت طائفة يعيد الصلوات كلها وأما إذا صلى في جماعة فهل يعيد في جماعة أخرى فمن قائل يعيد ومن قائل لا يعيد وأما مذهبنا في مثل هذه المسئلة أن الجماعة فرض إذا قدر عليها فإن لم يقدر عليها فيصلي منفردا فإن أدرك الجماعة ولو كان صلى في جماعة فإنه يصلي مع الجماعة إذا أدركها إجابة لندائه في الإقامة حي على الصلاة وهي له نافلة في الحالتين وله أجر الجماعة إذا لم يقدر عليها

فصل بل وصل في اعتبار ذلك في النفس

لما عين الشارع المناجاة للصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه وجعلت قرة عيني في الصلاة أعلاما بأنه من أهل مشاهدة الحق فيها على وجه أتم من مشاهدة الإتباع في قوله الإحسان أن تعبد الله كأنه تراه وما خص عبادة من عبادة والله يقول أن الله يحب التوابين وهم الذين يكثرون الرجوع إليه سبحانه في كل حال يرضيه ولا حال أشرف من الصلاة لجمعها بين الشهود والمناجاة وقال ويحب المتطهرين والطهارة من شروط الصلاة والمحب يتمنى ويشتهى أنه لا يزال في مشاهدة محبوبه على الدوام ومناجاته فكيف إذا دعاه الحبيب إلى ذلك بقوله حي على الصلاة قد قامت الصلاة فبالضرورة يبادر ويسابق إلى ما دعاه ليلتذ بشهوده ومناجاته فيرى من هذا حاله إعادة الصلوات في الجماعة متى أقيمت ودعى إليها وإن كان قد صلى منفردا أو في جماعة توقد بينا معنى الفذ والجماعة في الفصل الذي قبل هذا وأمّا من ذهب إلى أنه لا يعيد الصلاة فهم العارفون كما أن الذين يرون الإعادة هم المحبون وذلك أن العارفين علموا أن الإعادة محال وأن التجلي الذي كان له في صلاته غير التجلي الذي يكون في الصلاة الأخرى إلى ما لا يتناهى فلما استحال عنده التكرار والإعادة للإتساع الإلهي لم تصح عنده الإعادة فالمحب يصلي معيدا وهو لا يعلم والعارف يصلي لا على جهة الإعادة وهو يعرف فالعلم أشرف المقامات والحب أشرف الأحوال والجامع بين المقامين المحبة والمعرفة فإن المغرب وترية العبد والوتر الليلي وترية الحق فإن وتر الليل ركعة واحدة والأحدية له تعالى وجل ووترية المغرب ثلاث ركعات فجمع بين الشفع والوتر وهو أول الإفراد وأن الله وتر يحب الوتر فلا يرى العبد ربه من حيث شفعيته وإنما يراه من حيث العبد الفردية فلم ير الله إلا بالله فلو أعاد المغرب لصارت وترية العبد شفعا فلم يكن يرى ربه وترا أبدا فقال بترك الإعادة للمغرب دون غيرها من الصلوات ومن قال بإعادة المغرب قال يعيدها بوترية الفردانية الإلهية لا بوتريته فتبقى وتريته على فرديتها لا تصير شفعاً بإعادة صلاة المغرب فإن الحق متميز عن الخلق بلا شك من كل وجه وأمّا من لم ير إعادة الصبح فإن الصبح الأوّل عين الفرض وكذلك العصر والصبح الثاني والعصر الثاني هما نافلة والإنسان في أداء الفرض عبد محض عبودية اضطرار وهو في النفل عبد اختيار وعبودية الاضطرار أشرف في حقه من عبودية الاختيار لأن له في عبودية الاختيار الامتنان بالاسترقاق قال تعالى "يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين" ولما شبه الحق رؤية العباد إياه برؤيتهم الشمس صار للشمس عندهم مزيد رتبة ولا سيما للمحبين لكون الحبيب ضرب برؤيتها المثل في رؤيته في التشبيه فهم إذا رأوها كأنهم يرون الله لأن رؤيتهم إياها تذكرهم ما وعدهم الله به من رؤيته فيريدون أن لا تطلع الشمس عليهم إلا وهم موصوفون بعبودية الاضطرار ولا تغرب عليهم الشمس إلا وهم أيضاً في عبودية الاضطرار كما يريدون رؤية الله في حال الاضطرار والعبودية المحضة فإن لذتها أتمّ وأحلى كما أن رؤيتها أعمّ وأجلى ولتكون السشمس في غروبها وطلوعها تقول لربها تركناهم عبيد اضطرار وأتيناهم وهم عبيد اضطرار كما تقول الملائكة الذي يعرجون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيسألهم الحق جل جلاله وهو أعلم بهم

كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون فلا تنصرف عنهم الملائكة الذين كانوا معهم ولا تأتيهم الملائكة الأخر إلا عند شروعهم في الصلاة سواء قاموا إليها في أول الوقت أو في آخره كل إنسان لا تنصرف عنه ملائكته إلا كما قلنا ولهذا عند أهل الإيمان وأهل الكشف إن المصلي إذا أن يكبر تكبيرة الإحرام في صلاة الصبح والعصر يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته لأنهم في ذلك الوقت تنصرف عنهم الملائكة الذين كانوا فيهم وترد عليهم الملائكة الذين يأتون إليهم وهم عند إتيانهم يسلمون على العبد وعند انصرافهم يسلمون أيضاً والله قد أمرنا بقوله وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فوجب على كل مؤمن عند حق إيمانه وحقيقته أن يرد في ذلك الوقت السلام عليهم وإلا فهو طعن في إيمانه إن حضر مع هذا الخبر ونذكره في ذلك الوقت وأما صاحب الكشف فهو على علم عين والمؤمن على بصيرة ومن

استثنى العصر دون الصبح رأى أنه لا يستقبل الغيب إلا بعبودية الاضطرار لأنّ الغيب الأصل وهو هوية الحق ولا يفارق الغيب الهوية قال والصبح خروج من الغيب إلى الشهادة فلا أبالي بالشهادة على أية حالة كنت من العبودية من اضطرار أو اختيار لأن الفرض الوقوف في العبودية وإن الشهادة محل الدعوى لأنه محل الحركة والمعاش ورؤية الأغيار وحجابيات الأفعال ومن استثنى الصبح دون العصر قال أريد أن استقبل الاسم الظاهر بعبودية الاضطرار ولا أبالي باستقبال الليل بأي عبودية استقبلته بعبودية الاضطرار ولا بعبودية الاختيار ولهذا تنفل بعد العصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تنفل بعد الصبح فقط وذلك أن هذا الذي مذهبه التنفل بعد العصر إن شاء يقول الليل له الغيب وله الاسم الباطن وله من القوّة بحيث أنه يجعلني مضطرّاً شئت أم أبيت وليس النهار كذلك فإن استقبلته بعبودية الاختيار فهو يحكم عليّ سلطانه ويردّني مضطرّاً فكل طائفة راعت أمراً ما في الاعتبار في الصلوات التي لا ترى إعادتها إذا صلتها وقد تقدّم معرفة المنفرد والجماعة.

فصل بل وصل فيمن أولى بالإمامة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يؤم القوم أقرأهم للكتاب" فقالت طائفة أفقههم لا أقرأهم فهذه مسئلة خلاف بين أصحاب هذا القول وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني سألت القائلين بهذا المذهب هل بلغكم هذا الحديث فاعترفوا فقالوا رويناه وعلمناه وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول ولا حجة للقائلين بخلاف ما قاله ولا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذا الحديث فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ففرق بين الفقيه والقارىء وأعطى الإمامة للقارىء ما لم يتساويا في القراءة فإن تساويا لم يكن أحدهما أولى بالإمامة من الآخر فوجب تقديم العالم الأعلم بالسنة وهو الأفقه ثم قال عليه السلام فإن كانوا في العلم بالسنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم إسلاماً ولا يؤمّ الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه وهو حديث متفق على صحته وبه قال أبو حنيفة وهو الصحيح الذي يعوّل عليه وأمّا تأويل المخالف للنص بأن الأقرأ كان في ذلك الزمان الأفقه فقد ردّ هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم فأعلمهم بالسنة واعلم أن كلام الله لا ينبغي أن يقدّم عليه شيء أصلاً بوجه من الوجوه فإن الخاص إن تقدّمه من هو دونه فليس بخاص وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته وهم الذين يقرؤن حروفه من عجم وعرب وقد صحت لهم الأهلية الإلهية والخصوصية فإذا انضاف إلى ذلك المعرفة بمعانيه فهو فضل في الأهلية والخصوصية لا من حيث القرآن بل من حيث العلم بمعانيه فإن انضاف إلى ذينك إلى حفظه والعلم بمعانيه العمل به فنور على نور على نور فالقارىء مالك البستان والعالم كالعارف بأنواع فواكه البستان وتطعيمه ومنافع فواكهه والعامل كالآكل من البستان

فمن حفظ القرآن وعلمه وعمل به كان كصاحب البستان علم ما في بستانه وما يصلحه وما يفسده وأكل منه ومثل العالم العامل الذي لا يحفظ القرآن كمثل العالم بأنواع الفواكه وتطعيماها وغراستها والآكل الفاكهة من بستان غيره ومثل العامل كمثل الآكل من بستان غيره فصاحب البستان أفضل الجماعة الذين لا بستان لهم فإن الباقي يفتقرون إليه وصل في اعتبار ذلك الأحق بالإمامة من كان الحق سمعه وبصره ويده ولسانه وسائر قواه فإن كانوا في هذه الحالة سواء فاعلمهم بما تستحقه الربوبية فإن كانوا في العلم بذلك سواء فاعرفهم بالعبودية ولوازمها وليس وراء معرفة العبودية حال يرتضي ليقوم مقامه أو يكون فوقه لأنهم لذلك خلقوا قال تعالى "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون والإمامة على الحقيقة إنما هي لله الحق تعالى جل جلاله وأصحاب هذه الأحوال إنما هم نوّابه وخلفاؤه ولهذا وصفهم بصفاته بل جعل عينه عين صفاتهم فهو الإمام لا هم قال تعالى "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" وقال تعالى "من يطع الرسول فقد أطاع الله" وقال "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم أي أصحاب الأمر وأصحاب الأمر على الحقيقة هم الذين لا يقف لأمرهم شيء لأنهم بالله يأمرون كما به يسمعون كما به يبصرون فإذا قالوا لشيء كن فإنه يكون لأنهم به يتكلمون فهذا معنى وأولي الأمر منكم في الاعتبار ولهذا كانت طاعة السلطان واجبة فإن السلطان بمترلة أمر الله المشروع من أطاعه نجا ومن عصاه هلك.

فصل بل وصل في إمامة الصبي غير البالغ

إذا كان قارئاً اختلفوا في إمامة الصبي غير البالغ إذا كان قارئاً فأجاز ذلك قوم مطلقاً ومنع من ذلك قوم مطلقاً وأجازه قوم في النفل دون الفريضة اعتبار الأمر في ذلك يقال صبا فلان إلى كذا إذا مال إليه لما كان الصبي يميل إلى حكم الطبيعة ونيل أغراضه سمي صبياً أي مائلاً إلى شهواته وهو غير البالغ حد العقل الذي يوجب التكليف وكانت الطبيعة في الرتبة دون العقل فلم يصح لها التقدم ولا لمن مال إليها وإن كان مائلاً إليها بحق فإن لها مقام التأخر فلا بد أن يتأخر والمتأخر لا يكون إماماً مقدماً فإنه نقيض حكم ما هو فيه فمن راعى هذا الاعتبار لم يجز إمامة الصبي وإن كان قارئاً ومن راعى كونه حاملاً للقرآن جعل الإمامة للقرآن لا للصبي وكانت إمامة الصبي في حكم التبعية لأجل القرآن فأجاز إمامة الصبي قال تعالى "وآتيناه الحكم صبياً" يعني حكم الإمامة وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وهو مقام الإمامة مع تسميته صبياً ومن جعل عبودية الصبي عبودية اختيار لسقوط التكليف عنه ورأى أن النافلة عبادة اختيار أجاز صلاة الصبي إماماً في النفل دون الفرض للمناسبة في الاختيار.

فصل بل وصل في إمامة الفاسق

فردها قوم بإطلاق وأجازها قوم بإطلاق وفرق قوم بين الفاسق المقطوع بفسقه وبين المظنون فسقه فلم يجيزوا الإمامة للمقطوع بفسقه وإن المصلي وراءه يعيد واستحبوا الإعادة لمن صلى خلف المظنون فسقه في الوقت وفرقوا أيضاً بين من يكون فسقه بتأويل وبين من يكون بغير تأويل فأجازوا الصلاة خلف المتأول و لم يجيزوها لغير المتأول وبالإجازة على الإطلاق أقول فإن المؤمن ليس بفاسق أصلاً إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محل العاصي الاعتبار في ذلك الفاسق من خرج عن أصله الحقيقي وهو كونه عبداً لأنه لهذا خلق فإنه لابدّ أن يكون عبد الله أو عبداً لهواه فما برح من الرق فلم يبق خروجه إلا عن الإضافة التي أمر أن ينضاف

إليها فتجوز إمامته لأنّ الموفق من عباد الله يأثم بهذا الفاسق فإنه يراه قائماً بعبوديته في حق هواه الذي فيه شقاؤه فيتعلم منه استيفاء حق العبودية التي أمره الله أن يكون بها عبداً له فيقول أنا أولى بهذه الصفة في حق الله من هذا العبد في حق هواه فلما رأينا أولياء الله يأتمون به وينفعهم ذلك عند الله ويكون هذا الاقتداء سبباً في نجاتهم صحت إمامته وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكان من الفساق بلا خلاف المتأولين بخلاف فكل من آمن بالله وقال بتوحيد لله في ألوهته فالله أجل أن يسمى هذا فاسقاً حقيقة مطلقاً وإن سمي لغة لخروجه عن أمر معين وإن قل والمعاصي لا تؤثر في الإمامة مادام لا يسمى كافراً وأمّا الفسق المظنون فبعيد من المؤمن إساءة الظنّ بحيث أن يعتقد فسوق زيد بالظنّ لا يقع في ذلك مؤمن مرضي الإيمان عند الله وهذا كله في الأحوال الظاهرة وأمّا الباطنة فذلك إلى الله أو من أعلمه الله ثم يرتقي العارف بالنظر في الفسوق مما يذمه الشرع إلى ما تعطيه اللغة ولكن في الاعتبار لا في الحكم الظاهر وهو إذا خرج الإنسان عن إنسانيته بخروجه عن حكم طبيعته عليه إلى عالم تقديسه من الأرواح العلا فهل تصح له إمامة هنالك أم لا فمن أصحابنا من قال تصح إمامته بالعالم الأعلى على الإطلاق وهو مذهبنا ومن أصحابنا من قال لا يؤمّ إذا خرج عن حكم طبيعته إلا بالأرواح المفارقة للأجسام الطبيعية من الجنّ والأنس وسبب اختلافهم أن كل صاحب كشف أخبر عما رأى في كشفه في ذلك الوقت والمكاشف قد يطلع وقتاً على الأمر من جميع جهاته وقد يطلع على بعض وجوهه ويستر الله عنه ما شاء من وجوه ذلك الأمر فيحكم المكاشف على الكل فيكون صحيح الكشف مخطئاً في تعميم الحكم ثم يرى أنه من حيث روحه من جملة الأرواح الملكية فيقول وإن خرجت عن طبيعتي فلم أخرج عن ملكيتي لما فيّ من عالم الأمر فيطلب النفوذ والخروج أيضاً عن روحه كما خرج عن طبيعته فيخرج بسرّه الرباني فتقوم له الأسماء الإلهية فيؤم بها نحو خالقه وهو يقدمها فكل اسم له حقيقة وهذا العبد مجموع تلك الحقائق كلها فتصح له الإمامة في ذلك الموطن مع خروجه عن طبيعته وروحه وما من موطن يخرج عنه إلا ويلحقه فيه ذم من طائفة لأن تلك الطائفة ترى في هذا العبد أنه متعبد بمجموعه وهو الصحيح فتسميه فاسقاً ولكن بعذر فإن السلوك يعطي التحليل حتى ينتهي فإذا انتهى يتركب طوراً بعد طور كما يتحلل حتى يكمل فيزول عنه اسم الفسوق في كل عالم فهذا اعتبار إمامة الفاسق.

فصل بل وصل في في إمامة المرأة

فمن الناس من أجاز إمامة المرأة على الإطلاق بالرجال والنساء وبه أقول ومنهم من منع إمامتها على الإطلاق ومنهم من أجاز إمامتها بالنساء دون الرجال الاعتبار في ذلك شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض النساء بالكمال كما شهد لبعض الرجال وإن كانوا أكثر من النساء في الكمال وهو النبوّة والنبوّة إمامة فصحت إمامة المرأة والأصل إجازة إمامتها فمن ادّعى منع ذلك من غير دليل فلا يسمع له ولا نص للمانع في ذلك وحجته في منع ذلك يدخل معه فيها ويشرك فتسقط الحجة فيبقى الأصل بإجازة إمامتها اعلم أن الإنسان عالم في نفسه كبير من جهة المعنى وإن كان صغير الحجم ولهذا يقول إياك نعبد بنون الجمع وجعل جوارحه وقواه الظاهرة والباطنة منقادة لما يحكم فيها المقدمون عليها وهو العقل والنفس والهوى وكل واحد منهم قد يؤم بالجماعة في وقت ما فالطاعات كلها المقربة للعقل والمباحات للنفس والمخالفات للهوى وقد قيل للعقل إذا سئمت النفس من اتباعك في الأمورالمقربة واقتدائها بك في وقت إمامتك وتقدمت هي في المباحات وأمت بك فاتبعها وصل خلفها حافظاً لها لئلا يخدعها الهوى فإن الهوى

يتبعها في ذلك الحال عسى يوقع بها في محظور ففي مثل هذا الموطن تجوز إمامة النفس وهي إمامة المرأة وإمامة العقل بمنزلة إمامة الرجل المسلم البالغ العالم الولد الحلال وإمامة الهوى بمنزلة إمامة المنافق والكافر والفاسق وإمامة النفس بمنزلة إمامة المرأة .

فصل بل وصل في إمامة ولد الزنا

اختلفوا في إمامة ولد الزنا فمن مجيز إمامته ومن مانع من ذلك الاعتبار في ذلك ولد الزنا هو العلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضي عند الله فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة فالإنسان وإن طلب العلم لغير الله فحصوله أولى من الجهل فإنه إذا حصل قد يرزق صاحبه التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه فتجوز إمامة ولد الزنا وهو الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة ليقال فأصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة.

فصل بل وصل في إمامة الأعرابيّ

اختلفوا في إمامة الأعرابي فمن مجيز إمامتة ومن مانع من ذلك الاعتبار في ذلك الجاهل بما ينبغي للإمام أن يعلمه لا يصلح للإمامة لأن الإمام يقتدي به وهو لا يعلم ولا يتعلم فلا تجوز إمامة من هذه صفته لأنه لا يعلم ما يجب عليه مما لا يجب فالمقتدى به ضال وليس هو بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فإن الإمام إذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة النافلة كانت أو فريضة لأنها تشتمل على فروض وسنن فأركانها فروض كلها وسننها كذلك في النافلة والفريضة فما فعل المتنفل الذي هو الإمام في صلاته إلا ما تفرض عليه أن يفعله من أركان صلاته من ركوع وسجود وغير ذلك وكذلك سننها والمفترض مقتد به في هذه الأفعال التي هي فرض عليهما فعلها فما اقتدى الذى نوى الفرض خلف المتنفل إلا بما هو فرض على المتنفل فاعلم ذلك .

فصل بل وصل في إمامة الأعمى

فمن مجيز إمامة الأعمى ومن مانع إمامته والله أعلم اعتبار ذلك الأعمى هو الحائر الذي هو في محل النظر لم يترجح عنده شيء وليس بواقف فيكون شاكاً والأصل حكم الفطرة التي ولد عليها فهو مؤمن في حال نظره وحيرته ما لم يقف أو يرجح فتجوز إمامتة بأصل الفطرة لاستنابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة يصلي بالناس وهو أعمى.

فصل بل وصل في إمامة المفضول

اختلف العلماء في إمامة المفضول فمنهم من أجازها ومنهم من منع من ذلك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف بلا خلاف وقضى ما فاته وقال أحسنتم اعتبار ذلك الفاضل يصلي خلف المفضول ليرقى همته ويرغبه في طلب الأنفس والأعلى سياسة وحسن تربية فإنه داع إلى الله تعالى على بصيرة إن الله يفتح للكبير بصدق توجه الصغير فالصغير مفيد الكبير وإمامه من حيث لا يشعر وكم من مريد صادق وقعت له واقعة وهو معتني به فعرضها على الشيخ وقد كان الشيخ ما عنده معنى تلك الواقعة وقد اسغفرت همة المريد وقطعت إن واقعته لا يعرف حل أشكالها إلا هذا الشيخ ففتح الله على ذلك الشيخ فيها بهمة ذلك المريد وصدقه فيه عناية من الله بالمريد وينتفع الشيخ تبعاً وإن كان الشيخ أعلى منه في المقام ولكن ليس من شرط كل مقام إذا

دخله الإنسان ذوقاً أن يحيط بجميع ما يتضمنه من جهة التفصيل فالعلم قطعاً أن نجتمع مع الأنبياء عليهم السلام في مقامات وبيننا وبينهم في العلم بأسرار هابون بعيد يكون عندهم ما ليس عندنا وإن سملهم المقام فهذه إمامة المفضول فافهم ولا تغالط نفسك فتقول أنا شيخ هذا فأنا أعلم منه بما تطلبه التربية وقد لا تكون أعلم منه بما تنتجه وقد رأينا ذلك معاينة في حق أشخاص والحمد لله

انتهى الجزء الأربعون.

الجزء الحادي والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل بل وصل في حكم الإمام إذا فرغ من قراءة الفاتحة هل يقول آمين أم لا يقولها

اختلف العلماء في ذلك فمن قائل يؤمن ومن قائل لا يؤمن وصل بل في الإعتبار في ذلك إن جعل الإنسان نفسه أجنبية عنه فإنه يخاطبها مخاطبة الأجنبي يقول الله تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به بنفسه وهذا يجده كل إنسان ذوقا تقتضيه نشأته ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للإنسان المكلف أن لنفسك عليك حقا فأضاف النفس إليه والشيء لا يضاف إلى ذاته فجعل النفس غير الإنسان وأوجب لها عليه حقا تطلبه منه فإن كان هو التالي فلا لنفسه عند فراغ الفاتحة آمين وإن كانت النفس التالية فلا بد أن يقول هو آمين والإنسان واحد العين كثير بالقوى ويؤيده قوله فمنهم ظالم لنفسه وبادرني عبدي بنفسه في القاتل نفسه فمن كان هذا مشهده قال يؤمن الإمام والمنفرد ومن رأى أن الإمام عين واحدة أو يرى أنه قال بربه في قوله بي يسمع وبي يبصرو بي يتكلم وقد كان الشيخ أبو مدين ببجاية يقول لا يؤمن الإمام والتأمين أولى بكل وجه فإن المكلف مأمور إذا دعا أن يبدأ بنفسه وقوله آمين دعاء يقول اللهم أمنا بالخير وبما قصدناك فيه والإنسان بحكم حاله ومشهده وفي الحديث الثابت إذا أمن الإمام فأمنوا والحديث الآخر إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين

فصل بل وصل متى يكبر الإمام

فمن قائل بعد تمام الإقامة واستواء الصفوف ومن قائل بعد قول المؤذن قد قامت الصلاة توب التخيير أقول في ذلك الإعتبار الإقامة للقيام بين يدي الله تعالى فإنه يقول حي على الصلاة واستواء الصفوف مثل صفوف الملائكة عند الله تعالى الذين أقسم بهم في قوله والصافات صفا وهي إشارة إلى إقامة العدل فإن الإنسان بروحه ملك مدبر لما ولاه الله عليه من هذه النشأة الذي أشار إليه بالبلد الأمين لكونه أما جامعة مثل مكة التي هي أم القرى والفاتحة أم الكتاب فلا بد من فروض الأحكام لإقامة العدل في العبادات التي خوطب بها جماعة الجوارح فاجتماع الهم على ذلك واجب ظاهر أو باطنا فمن رأى مثل هذا يكبر بعد الإقامة واستواء الصفوف كأنه يقول الله أكبر من أن يتقيد تكبيره بمثل هذه الصفة لإحاطته إطلاقا بكل حال ووجه فإنه أعطى كل شيء خلته فإنه على صراط مستقيم فلما كلف عباده بالمشي على صراط خاص عينه لهم كان من عدل إليه سعد ومن عدل عنه شقى ومن راعى المسارعة إلى الخيرات والسباق إلى المناجاة كبر عند سماعه حي على الصلاة في الإقامة إلا أن يكون هو المقيم فلا يتمكن له حتى يفرغ من لا إله إلا الله وحينئذ يكبر وإنما قلنا يبادر الإقامة وهو قول المؤذن قد قامت الصلاة ليصدق المؤذن في قوله قد قامت الصلاة لأنه جاء بلفظ الفعل الماضي فيبنى صلاته على قاعدة صدق فيفوز في الثواب بمقعد صدق عند مليك مقتدر في جنات ونهر أي في ستور من علوم جارية واسعة كلما قلت هذا جاء غيره لأن النهر جار على الدوام بالأمثال واعلم أن أول إقامة الصلاة تكبيرة الإحرام كعجب الذنب من إقامة النشأة فإذا قال المؤذن قد قامت الصلاة قبل تكبيرة الإمام لم يصدق وتجوز في الكلام وعلم

الأذواق والأسرار لا يحمل التجوز في الكلام فإنه على الحقيقة والكشف يعمل وروح الانسان ما هو بيده فلو قبض الإمام وقد قال المؤذن قد قامت الصلاة و لم يكبر الإمام لعلمنا أنه قبض مكذبا ولا ينفعه هنا قوله صلى الله عليه وسلم إن الإنسان في صلاة ما دام ينتظر الصلاة ونحن في هذا الموطن بحكم الصلاة المنتظرة بالألف واللام ولا نشك أن العارفين في حركاتهم وسكناتهم في صلاة ومناجاة ولكن المطلوب منه في هذه الحالة الصلاة المشروع لنا إقامة نشأتها من تكبيرة الإحرام إلى التسليم وما بينهما ترتيب أعضاء نشأتها حتى تقوم خلقا سويا يشهدها ببصره من أنشأها ولا سيما من أنشأها بربه فإنها تخرج من أكمل النشآت ليس للنفس فيها حظ فهذه صلاة إلهية لا كونية ومن جعل الإقامة من المؤذن أو من نفسه من نفس إقامة نشأة الصلاة كبر بعد الإقامة وتكون الصلاة مشتركة في نشأتها إلا في المقيم بنفسه لا بالمؤذن فإنه بربهما على قدم فنائهما عن أنفسهما فقد تكون نشأة الصلاة نشأة إلهية ولكن لا تقوى في الصورة قوة الواحد لأن مزاج كل الصلاة من الشخصين يفارق الآخر والحق ما يتجلى إلا بحسب القابل اعلم أن العبد يقيم سره بين يدي ربه في كل حال فهو مصل في كل حال ففي أي وقت كبر من هذه الأوقات التي وقع فيها الخلاف بين علماء الرسوم فقد أصاب فإن الصلاة قد قامت فإن الله قرر حكم المجتهد شرعا منه كلفنا به ويخرج قوله حي على الصلاة في الإقامة خطايا للجوارح لتصرفها في غير تلك الأفعال الخاصة بهذه الحالة وخطا بالروح بل للكل بالخروج من حال هو فيه إلى حال أخرى أي أقبل عليها وإن كنت في صلاة فتكون من الذين هم على صلاتهم دائمون وعلى صلواتهم يحافظون

فصل بل وصل في الفتح على الإمام

اختلف العلماء في الفتح على الإمام فمن قائل بالفتح عليه ومن قائل لا يفتح عليه ويركع حيث ارتج عليه ومن قائل لا يفتح عليه إلا إذا استطعتم ومن قائل لا يفتح عليه إلا في الفاتحة وصاحب هذا يقول من فتح عليه في السور فقد بطلت صلاة الفاتح وصل الإعتبار من قال بالخاطر الأول قال لا يفتح على الإمام وكذلك من قال بالوقت ومن قال بمراعاة الأنفاس وأما من قال بما سبقت به السابقة في أوّل الشروع وراعى ذلك الخاطر وجعل الحكم له فإن نوى عندما شرع قراءة سورة أو آيات معلومات ثم ارتج عليه فله أن يتم ما نوى فيستطعم المأموم فيطعم المأموم ويفتح عليه إذا ارتج عليه وقد سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن أبي حين ارتج عليه يقول له لم تفتح عليّ لأن أبيا كان حافظا للقرآن فراعى القصد الأوّل بالقراءة فأراد تمامه والإرتجاج على العبد في الصلاة من أدل دليل على وجود عين العبد وأعني بوجود عينه ثبوته لأن ذلك ليس من صفات الحق فإن صلى بربه فينبغي للمصلي أن يكون مع الحق بحسب الوقت فلا ينظر إلى ماض ولا إلى مستقبل فلا يستفتح ولا يفتح عليه ولكن يركع حيث انتهى به ربه من كلامه فذلك الذي تيسر له من القرآن قال تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقد فعل فلا ينبغي أن يكون لمخلوق في الصلاة أثر ينسب إليه وهو مذهب علي بن أبي طالب والجواز مذهب ابن عمر

فصل بل وصل في موضع الإمام

اختلف العلماء في موضع الإمام فمن قائل بأنه يجوز أن يكون أرفع من موضع المأمومين ومن قائل بالمنع من ذلك وقوم استحبوا من ذلك اليسير ومذهبنا أيّ شيء كان من ذلك جاز وارتفاع موضع الإمام أولى لأجل الإقتداء به على التعينن وصل الإعتبار في ذلك

المناسبات في الأمور أولى من عدم المناسبات ومرتبة الإمامة أعلى من مرتبة المأموم فينبغي أن يكون في تلك المرتبة الأفضل والأعلى وينبغي أن يكون في موضعه أرفع لأنه في مقام الإقتداء به فلا بدّ أن يكون له الشرف على المأموم فإنه موضع للمأموم ولهذا سمي إماما فله حالتان وحالتان فالحالتان الأوليان أن يكون إماما مأموما معا في حال واحدة فيقتدي بأضعف المأمومين في صلاته فهو مأموم ويقتدي به المأموم في ركوعه وسجوده وجميع أفعاله فهو إمام والحالتان الأخريان حالة يسمى بها مصليا فهو مع ربه في هذه الحالة وهو إمام لغيره فله حالة أخرى فمن راعى كونه مصليا منع أن يكون له شفوف على المصلين وإن كثروا فإنهم أئمة بعضهم لبعض من الإمام إلى آخر الصفوف ومن راعى كونه إماما كان أولى أن يكون موضعه أرفع من المأموم فهو بحسب مشهده

فصل بل وصل في نية الإمام الإمامة

اختلف العلماء هل يجب للإمام أن ينوي الإمامة أم لا فمن قائل بوجوبها ومن قائل بأنها لا تجب وبه أقول وأن نوى فهو أولى وصل الإعتبار ينبغي للمصلي أن يكون له شغل بربه لا بغير ربه فإن الصلاة قسمها الله بينه وبين المصلي فليس له أن ينوي الإمامة ومن رأى أن قوله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين من غير نظر إلى التفصيل الوارد بعد هذا نالقول في قراءة أمّ القرآن أدخل حكم رعاية المأموم في هذا القول أي المصلي إذا كان إماما أو مأموما فإن الصلاة مقسومة بيني وبين عبدي نصفين فينوي التوجه إليّ وينوي التوجه إلى القبلة وينوي القربة بهذه العبادة إليّ وينوي غلإمامة بالمأمومين وينوي المأموم بهذه العبادة القربة إليّ وينوي الإيتمام بالإمام وكل مصل بحسب ما يقع له ويشهده الحق في مناجاته

فصل بل وصل في مقام المأموم من الإمام

لا يخلو المأموم إمّا أن يكون واحدا أو اثنين أو أكثر من اثنين ولا يخلوا ما أن يكون رجلا أو رجلين أو امرأة أو صبيا فإما المأموم إذا كان رجلا بالغا واحدا فإنه يقيمه عن يمينه فإن كان صبيا أقامه عن يمينه مثل الرجل وقيل عن يساره ليمتاز حكم الصبي من حكم الرجل فإن كان رجلين أقام أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وإن شاء أقامهما خلفه وإن كان رجلا وصبيا فحكمهما مثل حكم الرجلين فإن كان امرأة كانت خلف الإمام إذا انفردت فإن كان معها رجل واحد فالرجل عن يمين الإمام والمرأة خلفه وإن كان أكثر من واحد مع وجود المرأة أقام الرجال خلفه والمرأة والنساء خلف الرجال وصل الإعتبار ورد في الأخبار الندب إلى التخلق بأخلاق الله قال عليه السلام ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم وما من وصف وصف الحق به نفسه إلا وقد ندبنا إلى الإتصاف به وهذا معنى التخلق والإقتداء والائتمام وهذه افمامة عينها فالإمام على الحقيقة هو الله تعالى والمأموم المخلوقون فلا يخلو الإمام أن ينظر نفسه واحدا من حيث أحديته وهو ما يختص به ويتميز عن كل من سواه مع الحق أو ينظر نفسه من حيث أنه لم يكمل كما كمل غيره أو ينظر نفسه مع الحق من كونه مائلا إلى طبيعته وهو الصبي من صبا إذا مال أو ينظر نفسه مع الحق من كونه مائلا إلى طبيعته لا من حيث عقله فيكون بمنزلة المرأو فلا يخلو إمّا أن يستحضر عقله مع طبيعته والحق تعالى في هذه الأحوال كلها إمام فاليمين للقوّة وكلتا يديه يمين للقربة واسقاط الحول والقوّة والخلف للإقتداء والإتباع فانظر أيها المصلي بأي حال حضرت في صلاتك مما ذكرناه فقم به في المقام الذي بيناه من الإمام تكن قد أتيت بالصلاة المشروعة ولكن مشهودك الحق وإمامك

من حيث ما وصفه الشارع لا من حيث ما دل عليه دليل العقل حتى تكون ذا دين في عقلك وعقدك عملك وإن لم تفعل انتقص من عبادتك على قدر ما أدخلت فيها من عقلك من حيث فكرك ونظرك

فصل بل وصل في الصفوف

وصل فيمن صلى خلف الصف وحده

أجمع العلماء على أن الصف الأوّل مرغب فيه وكذلك التراص وتسوية الصف إلا من شذ في ذلك فقال من قدره على الصف الأول و لم يصل فيه بطلت صلاته وكذلك التراص وتسوية الصفوف إذا لم يوجد بطلت الصلاة ولما ثبت الأمر بذلك حمله بعض الناس على الندب وحمله بعض على الوجوب وهو الذي ذكرناه من أنه تبطل الصلاة بعدم هذه الصفة والذي أقول به أن الصلاة صحيحة نوهم عصاة أمّا الصف الأوّل فورد الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسابقة إليه ثم أنه قال فيه ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه يريد الإقتراع وأما التسوية فإنهم دعوا إلى حال واحدة مع الحق وهي الصلاة فساوى في هذه الدعوة بين عباده فلتكن صفتهم فيها إذا أقبلوا إلى ما دعاهم إليه تسوية الصفوف لأن الداعي ما دعا الجماعة إلا ليناجيهم من حيث أنهم جماعة على السواء لا يخص واحد دون آخر فيجب أن يكونوا على السواء والإعتدال في الصف لا يتأخر واحد من الصف ولا يتقدم بشيء منه يؤدّي إلى اعوجاجه فإنهم يناجون من هذه الحثيثة وينبغي أن تكون الصور الباطنة والهمم من المصلين متساوية في نسبة التوجه إلى الله تعالى والإخلاص له في تلك العبادة التي دعاهم إليها من حيث ما هم مصلون وإن الله لما اصطفى منهم واحد اسماه إماما ليناجيه عن الجماعة بما يجب أن يهبه للجماعة وجعله كالترجمان بين يديه وبين أيديهم مقبلا على ربهم فيجب على الجماعة السكوت والإنصات والإنتظار لما يرد عليهم من سيدهم بوساطة ذلك الإمام ولهذا جاء في حديث جابر أن قراءة الإمام كافية عن الجماعة فإنه الذي قدّمه الحق للمناجاة فلما كان الإمام هو المقصود في النيابة عن الجماعة وأمر الشرع أن يأتموا به نفي كل ما يفعله مما شرع له فعله وجب عليهم الإنصات والإقتداء بكل ما يفعله الإمام في صلاته وأما التراص في الصف فهو أن لا يكون بين الإنسان وبين الذي يليه خلل من أوّل الصف إلى آخره وسبب ذلك أن الشياطين تسدّ الخلل بأنفسها توهم في محل القربة من الله تعالى فينبغي أن يكونوا في القرب بعضهم من بعض بحيث أن لا يبقى بينهم خلل يؤدّي إلى بعد كل واحد من صاحبه فتكون المعاملة فيما بينهم من أجل الخلل نقيض ما دعوا إليه من صفة القربة فيتخلل تلك الخلل والفرج البعداء من الله لمناسبة البعد الذي بين الرجلين في الصف في الصلاة فينقضهم من رحمة القر الذي للمصلي في الصف بقدر الخلل وبمرتبة ذلك الشيطان من البعد الذي الرجلين في الصف في الصلاة فينقضهم من رحمة القرب الذي للمصلي في الصف بقدر الخلل وبمرتبة ذلك الشيطان من البعد عن الله فإذا لزقت المناكب بعضها ببعض انسدّ الخلل و لم تجد صفة البعد عن الله محلا تقوم به لأن الشيطان الذي هو محل البعد عن الله ليس هناك وإنما تفرح الشياطين بخلل الصف وتدخل فيه لما ترى من شمول الرحمة التي يعطي الله للمصلين فتزاحم في تلك الفرج لينالهم من تلك الرحمة بشيء بحكم المجاورة من عين المنة لمعرفتهم بأنهم البعداء عن الله وما هم هؤلاء الشياطين الذين يوسوسون في الصلاة فإن أولئك محلهم القلوب فهم على أبواب القلوب مع الملائكة تلقى إلى النفس وتنكت في القلب ما يشغله عما دعى إليه

ومن جملة ما تلقى إليه أن لا يسدّ الخلل الذي الذي بينه وبين صاحبه لوجهين الوجه الواحد ليتصف بالمخالفة فيؤدّيه إلى البعد عن الله فإن الشيطان إنما كان بعده عن الله لمخالفته لأمر الله والوجه الثاني في حق أصحابهم من الشياطين ليتخللوا ذلك الخلل فتصيبهم رحمة المصلين فيناجي الإمام ربه ويناجيه ولهذا شرع كناية الجمع في مناجاة الصلاة وأن لا يخص الإمام نفسه في الدعاء دونهم فإنه لسان الجماعة فالمكاشف يشهد هذا كله ويأخذ عن الله مما يعطيه بوساطة هذا الإمام يأتي به الله وسواء كان ذلك الإمام قد وفي حق ما دعى إليه من الحضور مع الله أم لا فيتلقاه كل من هذه صفته من الله فيسعد الإمام بمثل هذا المأموم وأمّا غير المكاشف وغير الحاضر في الصلاة بقلبه إذا اجتمع هو والإمام في عدم الحضور كان الإمام بمثل هذا المأموم وأمّا غير المكاشف وغير الحاضر في الصلاة بقلبه إذا اجتمع هو والإمام في عدم الحضور كان الإمام من الأئمة المضلين فإن حضر الجماعة مع الله ما عدا افمام كان الإمام ضالا وحده وإن سعد فبمن خلفه وإن حضر الإمام وحده و لم تحضر قلوب

الجماعة في تلك الصلاة شفع الإمام في الجماعة كلها فإنه العين المقصودة من الجماعة فقد حصل المقصود ولهذا ينبغي أن يختار للإمامة أهل الدين والخير والمشتغلين بالله وإن كانوا قليلين من العلم فهم أولى بالإمامة من العلماء الغافلين لأن المراد من المصلي الحضور مع الله فلا يحتاج من العلم المصلي من حيث ما هو مصل إلا أن يعرف أنه بين يدي ربه يناجيه بما يسر الله له من تلاوة كتابه لا غير ذلك فلا يبالي بما نقصه من العلم في حال صلاته حتى أن المصلي لو أحضر في مناجاته مبايعة ومسائل طلاق ونكاح لم يكن بينه وبين الغافل عن صلاته فرق وإنما يكون مع الله من حيث ما هو بين يديه في عبادة خاصة دعاه إليها يحرم عليه فيها في باطنه ما حرم عليه في ظاهره فكمالا ينبغي أن يلتفت بوجهه التفاتا يخرجه عن القبلة كذلك لا ينظر بقلبه إلى غير من يناجيه وهو الله وكما لا يشتغل بلسانه بسوى كلام ربه أو ذكره الذي شرع له لا يصح فيها شيء من كلام الناس كذلك يحرم عليه في باطنه كلامه النفسيّ مع من يشاريه أو يبايعه أو يتحدّث معه في باطنه في نفس صلاته من أهل وولد أخوان وسلطان سواء فلهذا لا يشترط في الإمام كثرة العلم وإنما الغرض ما يليق بهذه الحالة فإن اتفق أن يكون من هذه حالته من الدين والمراقبة والحياء من الله كثير العلم راسخا سيدا كان الأولى بالتقدّم فإنه الأفضل ممن ليس له ذلك فالصفوف إنما شرعت في الصلاة ليتذكر الإنسان بها وقوفه بين يدي الله يوم القيامة في ذلك الموطن المهول والشفعاء من الأنبياء والمؤمنين والملائكة بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدّمون الصفوف فكم شخص يكون هنا مأموما من أهل الصفوف يكون غدا إماما أمام الصفوف ويكون إمامه الذي كان في الدنيا يصلي به مأموما غدا فيالها من حسرة وصفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة عند الله كما قال تعالى والملك صفا صفا وقال والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهو الإمام النائب عن الجماعة وأمرنا الحق أن نصف في الصلاة كما تصف الملائكة يتراصون في الصف وإن كانت الملائكة لا يلزم من خلل صفها لو اتفق أن يدخلها خلل أعني ملائكة السماء دخول الشياطين لأن السماء ليست بمحل للشياطين ولا بمكان وإنما يتراصون لتناسب الأنوار حتى يتصل بعضها ببعض فتترل متصلة إلى صفوف المصلين فتعمهم تلك الأنوار فإن كان في صف للمصلين خلل دخلت فيه الشياطين أحرقتهم تلك الأنوار وكذلك يكونون في الكثيب في الزور العام يصفون كما يصفون في الصلاة فمن دخله خلل في صفه هنا وكان قادرا على سدّه بنفسه فلم يفعل حرم هنالك في ذلك الموطن بركته وإن لم يقد على سدّه عمته البركة هناك وكل مصل بين رجلين فإنه ينضم إلى أحدهما يجذب الآخر إليه فإن كان في الصف الأوّل نقص وهو يراه وهو قادر على الوصول إليه ولا يمشي إلى الصف الأوّل حتى يتمه أعني يسدّ الخلل الذي فيه لم ينفعه تراصه في الصف الذي هو فيه جملة واحدة فإنه ما تعين عليه إلا الأوّل فاعلم

فصل بل وصل في المصلي خلف الصف وحده

اختلف الناس فيه فمن قائل بصحة صلاته ومن قائل بأنه لا تصح والذي أذهب إليه في حكم من هذه حالته فإنه لا يخلو إما أن يجد سبيلا إلى الدخول في الصف أو لا يجد فإن لم يجد فليشر إلى رجل من أهل الصف أن يختلج إليه فإن لم يختلج إليه لجهله بماله في ذلك عند الله من الأجر فإن صلاة هذا الرجل صحيحة فإنه قد اتقى الله ما استطاع ولا يستطيع في هذه الحالة أكثر من هذا فإن قدر على شيء مما ذكرناه و لم يفعل فصلاته فاسدة فإنّ النبيّ عليه السلام أمر من كان صلى خلف الصف وحده أن يعيد وهو حديث وابصة بن معبد اعتبار ذلك في النفس القربات إلى الله لا تعلم إلا من عند الله ليس للعقل فيها حكم بوجه من الوجوه فإذا شرع الشارع القربات فهي على حدّ ما شرع وما منع ذلك أن يكون قربة فليس للعقل أن يجعلها قربة ثم نرجع إلى مسئلتنا فلا يخلو هذا المصلي وحده خلف الصف مع القدرة على ما قلناه أمّا أن يكون من أهل الإجتهاد ويكون حكمه بإجازة ذلك الفعل وصحة صلاته عن إجتهاد أو لا يكون عن اجتهاد فإن كان عن اجتهاد فالصلاة صحيحة وإن لم يكن عن اجتهاد وكان مقلد المجتهد في ذلك بعد سؤاله إياه فصلاته صحيحة وإن فعل ذلك لا عن اجتهاد ولا عن سؤال فصلاته فاسدة وهكذا في جميع القربات المشروعة كما صحت صلاة الإمام بين يدي الجماعة في غير صف صحت صلاة من هو خلف الصف وحده فإن لطيفة الإنسان واحدة العين ولا تصف صفوف الجوارح عند الصلاة ولا ينبغي أن يكون إمامها فإنها لا تقبل الجهة فما صلت إلا وحدها وظاهر الإنسان جماعة فهو في نفسه صف وحده فإن كل جزء منه مكلف بالعبادة والصلاة ولا ينفصل بعضه عن بعضه فهو صف وحده فإن اشتغل بعض جوارحه فيما ليس من الصلاة كان له ذلك الإشتغال في صف ذاته كالخلل الداخل في الصف فبطريق الاعتبار ما صلى الإنسان من حيث جملته إلا في صف ومن حيث لطفيته وحده فإنها لا تقبل الصفوف لعدم التحيز وهذا على مذهب من يقول أنها غير متحيزة وأمّا من قال بتحيزها التحقت بجملة ذات المصلى فما صلى من هو في صف ومن هو في غير صف إلا في صف من ذاته وبهذا أجاز من أجاز الصلاة خلف الصف وحده وقد بينا مذهبنا في ذلك بطريقة تعضدها أصول الشرع

فصل بل وصل في الرجل أو المكلف يريد الصلاة

فيسمع الإقامة هل يسرع في المشي إلى المسجد مخافة أن يفوته جزء من الصلاة أم لا

فمن قائل لا يجوز الإسراع بل يأتي وعليه السكينة والوقار به أقول ومن قائل يجوز الإسراع حرصا على الخير وأكره له ذلك وصل اعتبار ذلك المسارعة إلى الخيرات مشروعة والوقار والجمع بينهما أن تكون المسارعة بالتأهب المعتاد قبل دخول وقتها فيأتيها بسكينة ووقار فيجمع بين المسارعة والسكينة وإنما أمر العبد بالمسارعة إلى الخيرات لتصرفه في المباحات لا غير فمن كانت حالته أن لا يتصرف في مباح فهو في خير على كل حال ولذلك ورد ما يدل على الحالتين معا فقيل سارعوا إلى مغفرة من ربكم وهي العبادة هنا من سارع إليها فقد سارع إلى المغفرة وقال في الحالة الأخرى أولئك يسارعون في الخيرات فجعل المسارعة فيها وفي الأولى إلها فإنها ما هي نائبة عنه وهنا وجه أيضا وذلك أن المغفرة لا تصح إلا بعد حصول فعل الخير الموجب لها فنحن نسارع في الخيرات إلى المغفرة فكان المسارع فيه غير المسارع إليه فالعبد إذا كان تصرفه في غير المباح فلا بد أن يكون في مندوب أو واجب إلا بها ومعنى

المسارعة هنا المبادرة إلى الأفعال الي هي شرط في صحة ذلك الواجب فمن رأى الجماعة واجبة ومن قال بإتمام الصف ووجوبه وهو في خير فإنه آت إلى الصلاة مثلا فيسمع الإقامة فأمره الشارع أن يأتي إليه وعليه وقار وسكينة وسبب ذلك أن الحق لا يتقيد بالأحوال وأن الآتي إلى الصلاة في صلاة ما دام يأتي إليها أو ينتظرها فنفس الإسراع المشروع قد حصل وأما الإسراع بالحركة فإنه يقتضي سوء لأدب وتقييد الحق ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي دب وهو تراكع حتى دخل الصف وهو أبو بكر زادك الله حرصا ولا تعد يعني إلى الإسراع المطلوب لله من العبد لا حركة الأقدام فإن ذلك يؤذن بتحديد الله والله مع العبد حيث كان وقد وقع لك التفريط أولا بتأخرك فهنالك كان ينبغي لك الإسراع بالتأهب كما حكى عن بعضهم أنه ما دخل عليه منذ أربعين سنة وقت صلاة إلا وهو في المسجد وحكى عن آخر أنه بقي كذا سنة ما فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام وقوله بوقار يشير أن العبد ينبغي له أن يعامل الله في نفسه بما يستحقه من الجلال والهيبة والحياء فإن هذه الأحوال تؤثر ثقلا في الجوارح وتثبت الموازنة حركته مع الله في نفسه بما يستحقه من الجلال والهيبة والحياء فإن هذه الأحوال تؤثر ثقلا في الجوارح وتثبت الموازنة حركته مع الله أنيقع منه كما أمره الله بخضوع وخشوع وهو السكينة المطلوبة كما قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه يعني لسرى ذلك في جوارحه فإن السرعة بالإقدام لا تكون إلا ممن همته متعلقة بالجهة التي يسارع إليها من أجل الله لا بالله وينبغي للعبد أن تكون همته متعلقة بالله فيكون المشهود له الحق تعالى ومن كان بهذه المثابة كانت حالته الهيبة والسكون فلاتسمع إلا همسا قال تعالى وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا هذا مع الاسم الرحمن فكيف بمن لا يعرف أي اسم إلهي يمشي إليه أو يمشي به فمن كان حاله في الوقت ما يمشي إليه ويقصده أجاز الإسراع ومن كان حاله مشاهدة من يقصد به قال لا يجوز فإنه تضييع للوقت والشارع إنما يراعي وارد الوقت ووقت الآتي إلى الصلاة مشاهدة المقصودة بها فشرع له السكينة والوقار في الإتيان دون سرعة الأقدام اعظاما لحرمة الوقت واستيفاء لحقه

فصل بل وصل

متى ينبغي للمأموم أن يقوم إلى الصلاة

إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة

فمن قائل في أول الإقامة ومن قائل عند قوله حي على الصلاة ومن قائل عند قوله حي على الفلاح ومن قائل حتى يرى الإمام وهو الأولى عندي ومن قائل لا توقيت في ذلك وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقوموا حتى تروني" فإن صح هذا الحديث وجب العمل به ولا يعدل عنه وأمّا مذهبنا في ذلك إن لم يصح هذا الحديث المسارعة في أول الإقامة ثم إن عندنا ولو صح الحديث فإن هذا الحديث عندي إذا صح فحكم النبي عليه السلام في هذه المسئلة في الإنتظار إليه ولا نقوم حتى نراه كما أمر ما هو كحالنا اليوم فإن زمان وجود النبي كان الأمر جائزا أن ينسخ وأن يتجدد حكم آخر فكان ينبغي أن لا يقوموا لقول المؤذن حتى يروا النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة فيعلمون عند ذلك أنه ما حدث أمر برفع حكم ما دعوا إليه بخلاف اليوم فإنّ حكم القيام إلى الصلاة باق فيقوم إذا سمع المؤذن يقيم مسارعا وإن اتفق أن يغلط المؤذن بأن يسمع حسا فيتخيل أنه الإمام فيقيم والإمام

ما خرج فما على من قام بأس في ذلك بل له أجر الإسراع إلى الخير ويرجع إلى مكانه إلى أن يخرج الإمام فإنه على يقين من بقاء حكم الصلاة الاعتبار المقيم للصلاة هو حاجب الحق الذي يدعو الخلق إلى الدخول على الله بهذه الحالة والصفة التي دعاهم وشرع لهم أن يدخلو عليه فهيا فيسارعون في القيام بأدب وسكون كما ذكرنا وحضور لما يستقبلونه واستحضار لما ينادونه به من قراءة وذكر وتكبير وتسبيح ودعاء معين عينه لهم لا يتعدونه في تلك الحالة فإذا فرغوا منها بالسلام دعوا بما شاؤا ولكن مما يرضى الله لا يدعون على مسلم ولا بقطيعة رحم.

فصل بل وصل

فيمن أحرم خلف الصف

خوفا أن يفوته الركوع مع الإمام ثم دب وهو راكع حتى دخل في الصف

فمن الناس من كرهه ومنهم من أجازه للجماعة وصل الاعتبار الركوع هو الخضوع لله تعالى والمبادرة إليه أولى غير أن مشيه راكعا حتى يدخل في الصف هو الذي ينبغي أن يكون متعلق الكراهة أو الجواز فمن رأى سدّ الخلل واجبا أو الصلاة خلف الصف لا تجزىء مشى على حاله حتى يدخل في الصف فإن الشارع ما أبطل صلاة أبي بكرة بذلك ودعا له نوناه أن لا يعود و لم ينه غيره عن ذلك ولكن بقرينة الحال علمنا أن المراد بذلك المصلى كان من كان أن يكون في حال صلاته على حد ما أمر به فكل ما هو من تمام الصلاة جاز التعمل إى تحصيله في الصلاة ويتعلق بهذا مسائل على هذه القاعدة.

فصل بل وصل

فيما يتبع فيه المأموم الإمام

لا خلاف بين العلماء في وجوب اتباعه فيما نص الشارع عليه من أقوال وأفعال واختلفوا في قوله سمع الله لمن حمده فمن الناس من قال بأنه لا يجب عليه أن يقولها مع الإمام ومنهم من أجاز له أن يقولها والأول أولى عندي للحديث الوارد وصل الاعتبار لما أنزل الإمام نائبا عن الحق في حق من يقتدى به صح له أن يقول سمع الله لمن حمده فهو ترجمان عن الحق للمأمومين يعرفهم بأنّ الله يقول ذلك حين حمدوه في تلاوتهم وتسبيحهم في ركوعهم فهو مخبر عمن استخلفه ولو أقام الله الإمام مقامه في الحال لقال سمعت لمن حمدني فاثبت بقوله سمع الله لمن حمده عين العبد واعلم أنه ما عبده إلا من كونه إلهاً لا من حيث ذاته خلافاً لقول رابعة العدوية فإن قيل فما تصنع في مثل قوله "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها" هو كلام الله لعبده عليه السلام و لم يقل سمعت يريد ما ذكرنا وما يدريك لعل قوله سمع الله لمن حمده مثل هذا ولا سيما والنبي عليه السلام يقول إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قلنا أما الآية فقد تكون تعريفا من جبريل الروح الأمين بأمر الله أن يقول له مثل هذا أي قل له يا جبريل قد سمع الله كما قيل لمحمد قل إنما أنا بشر وهو بشر فإن الحق لا يكون بشراً وهكذا جميع ما في كلام الله من مثل هذا فإن أضفته ولا بدّ إلى الحق فليكن الكلام لله من مرتبة خاصة إخبارا عن مرتبة أخرى خاصة إن شئت عبرت عنها بالذات وإن شئت عبرت عنها باسم إلهي فيقول

الحق من كونه متكلماً يا محمد قد سمع الله فيريد بالله هنا الاسم السميع أو العليم على مذهب من يرى أن سمعه علمه والأول على من يرى أن سمعه حقيقة أخرى لا يقال هي هو ولا هي غيره وعلى الذي قيل الأول من يرى أن سمعه ذاته وهكذا سائر ما ينسب إليه من الصفات فللمأموم أن يقول سمع الله لمن حمده على هذا التفسير كله وإن ورد ذلك في حق الإمام فما ورد المنع منه في حق المأموم ولا في حق المنفرد ولا سيما والإنسان إمام جماعة ذاتهه وما من نجزء فيه إلا وهو حامد لله فيعرف لسانه سائر ذاته بأن الله قد سمع لمن حمده ولا سيما من كشف له عن تسبيح كل شيء بحمده.

الفصل الآخر في الائتمام

الائتمام لا يصح إلا مع العلم من المأموم فيما يأتم به من أفعال الإمام ظاهراً وباطناً والعامّة بل أكثر الناس لا يعلمون من الإمام إلا الحركات الظاهرة من قيام وركوع ورفع وسجود وجلوس وتكبير وتسليم والنية غيب من عمل القلب لا يطلع عليها المأموم فما كلفه الله أن يأتم به فيما لا يعلمه منه ولهذا قال عليه السلام إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ولا تكبروا حتى يكبر وإذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد وإذا سجد فاسجدوا ولا تسجدوا حتى يسجد وما تعرض للنية ولا لما غاب عن علم المأموم فذكر الأفعال الظاهرة التي يتعلق بإدراكها الحس ولاسيما وقد ثبت أن الصلاة الواحدة لا تقام في اليوم مرتين وإن أحد الصلاتين من المصلى وحده ثم يدرك الجماعة فيصلي معها إنها له نافلة فقد خالف الإمام في النية بالنص ثم إن للمأموم بهذا الحديث أن يقول سمع الله لمن حمده ثم يقول ربنا لك الحمد للائتمام بإمامه فإنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صلاته وهو إمام سمع الله لمن حمده رنا ولك الحمد.

الفصل الآخر في الائتمام بصلاة القاعد

اتفق العلماء من أصحاب المذاهب وغيرهم أنه ليس للصحيح أن يصلي قاعداً فرضاً إذا كان منفرداً أو إماماً واختلفوا في المأموم إذا كان صحيحاً فصلى خلف إمام مريض يصلي ذلك الإمام المريض قاعداً على ثلاثة أقوال فمن قائل أنه يصلي خلفه قاعداً وبه أقول ومن قائل أنهم يصلون خلفه قياماً ومن قائل لا تجوز إمامته إذا صلى قاعداً وأما إن صلوا خلفه قياماً أو قعوداً بطلت صلاتهم وقد ذكر بعض رواة مالك عن مالك قال لا يؤم الناس أحد قاعداً فإن أمهم قاعداً بطلت صلاتهم وصلاته فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحد بعدي قاعداً وهذا الحديث ضعيف جداً لأنّ في طريقه جابر بن يزيد الجعفي وليس بحجة ومع ضعفه فالحديث مرسل والصحيح الثابت إمامة القاعد وصل الاعتبار في ذلك الإمام على الحقيقة من نواصي الخلق بيده فلا يخلو المصلي المأموم أن يرى الإمام نائباً عن الحق كما جعله صلى الله عليه وسلم أو يراه مأموماً مثله فإن رآه إماماً فله الائتمام به على أي حال كان وإن رآه مأموماً مثله جعل الحق إمامه وصلى قاعداً لأمره صلى الله عليه وسلم بذلك فإن هذا هو إمامه شرعاً ومن جعل الحق في قبلته وواجهه غاب عنه إمامه بلا شك وقد اختلفت حالة الإمام بالمرض من حال المأموم والمأموم إذا كان مريضاً صلى خلف القائم للعذر وقد مضى اعتبار النية في الإمام والمأموم وقد أمر الإمام أن يقتدي بصلاة المريض في التخفيف به ولا يشق عليه وكل واحد منهما قد أمر بالاقتداء بالآخر وعين الشارع فيماذا فلا ينبغي العدول عما عينه الشارع من ذلك لمن أراد اتباع السنة والوقوف عند

حكم الله ورسوله وإذا كان الإمام على الحقيقة هو الله وهو سبحانه لا يغفل عن حالات عبده في حركاته وسكناته ولا يشغله عن مراقبته شيء فإنه قال عن نفسه وكان الله على كل شيء رقيباً فينبغي للمأموم الذي هو العبد أن يقتدي به في المراقبة والحضور فلا يغفل عن سيده في صلاته ولا يشغله شيء عن مراقبته في صلاته حتى يصح له أن يكون مؤتماً به في مثل هذا الوصف من المراقبة وعدم الغفلة فاعلم ذلك.

فصل بل وصل في وقت تكبيرة الإحرام للمأموم

فمن قائل يكبر بعد فراغ الإمام من تكبيرة الإحرام استحساناً وإن كبر معه أجزأه ومن قائل لا يجزيه أن يكبر معه وبالأول أقول أن يكبر بعد الفراغ لا يجزيه غي ذلك ومن قائل لا يجزيه أن يكبر قبل الإمام ومن قائل إن كبر قبل الإمام أجزأه ومن قائل إن كبر مع تكبير الإمام وفرغ بفراغ الإمام أجزأه وإن فرغ المأموم من تكبيره قبل فراغ الإمام لم يجزه الإحرام للمأموم أما أن يعتبر فيه كونه مصلياً فقط فيجزي قبل الإمام ومعه وبعده وإن اعتبر كونه مصلياً ومأموماً لم يجزه أن يكبر قبل الإمام فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول ولا تكبروا حتى يكبر فنهى فإن علم أنه نهى كراهة أجزأه قبل الإمام ومعه وإن علم أنه نهى تحريم لم يجزه وصل الاعتبار في ذلك ورد في الخبر أن العبد يقول في حال من الأحوال الله أكبر فيقول الله أنا أكبر يقول العبد لا إله إلا أنت يقول لا إله إلا أنا يقول العبد لا إله إلا الله له الملك وله الحمد يقول الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد يصدق عبده ومن هنا كان اسمه المؤمن وأمثاله فإذا كان الحق لا يقول شيأ من ذلك حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع فليس للمأموم أن يسبق إمامه بشيء من أفعال الصلاة ولا من أقوالها حتى في قراءة الفاتحة ليس له أن يشرع فيها إذا جهر بها حتى يفرغ منها أو يتبع سكتات الإمام فيها فيقرأ ما فرغ الإمام منها في سكتة الإمام وفي صلاة السرّ يقرأها بحسب ما يغلب على ظنه إلا في الصلاة بعد الجلسة الوسطى فإنه يقرأها ابتداء.

فصل بل وصل

فيمن رفع رأسه قبل الإمام

فمن قائل إنه أساء ويرجع وصحت صلاته ومن قائل صلاته تبطل وصل الاعتبار الإمام الحق والقيومية صفته فلا يجوز للمأموم أن يرفع قبل إمامه وإن صلاته تبطل فإنه في حال لا يصح فيها أن يكون مأموماً لمثله ولا للحق فإن قيومية الحق به في رفعه من الركوع تسبق قيوميته إذ كل ما يقام فيه العبد إنما هو عن صفة إلهية ظلها هو الذي يظهر في العبد والظل تبع بلا شك والعبد ظل لقول السلطان ظل الله في الأرض وإنما ورد هذا في الرفع لأن طلب العلو بل العلو له سبحانه بالاستحقاق وإنما الذي ينبغي للمأموم الاقتداء بالإمام في كل خفض ورفع فأما الخفض فربما تطلب النفس فيه للتخيل الفاسد الذي يطرأ من الجاهل فاعلم أن الحق وصف نفسه بالنزول فيسبق المأموم بخفضه نزول الحق إليه قبل نزوله وهويه إلى السجود فلا ينحط إلى السجود حتى يسبقه إمامه فإنه إن لم يكن يجد الحق في سجوده فلمن ينزل هذا العبد المصلي وينحط بفعله ذلك فلا ينحط إلا للإله الذي وصف نفسه بالنزول من علوه إلى عبده فيقول العبد يا رب هذه صفتي فأنا أحق بها وإنما ضرورة الدعوى رفعتني عن مقام الانحطاط لكونك أخبرت أنك خلقتني

على الصورة فشمخت نفسي على من نزل عن هذه الدرجة التي خصصتني بها ثم مننت عليّ بأن نزلت إليّ فمن كان هذا مشهده ومشربه اقتدى بالإمام في جميع الأحوال والأحكام.

فصل بل وصل

فيما يحمله الإمام عن المأموم

اتفق علماؤنا على أنه لا يحمل الإمام عن المأموم شيأ من فرائض الصلاة ما عدا القراءة فإنهم اختلفوا في ذلك فمن قائل إن المأموم يقرأ مع الإمام فيما أسرّ به ولا يقرأ معه فيما جهر به ومن قائل لا يقرأ معه أصلاً ومن قائل يقرأ معه فيما اسرّ أم الكتاب وغيرها وفيما جهر أم الكتاب فقط وبه أقول وبعضهم فرق في الجهر بين من يسمع قراءة الإمام وبين من لا يسمع فأوجب على المأموم القراءة وإذا لم يسمع ونهاه عنها إذا سمع والذي أذهب إليه بعد وجوب قراءة الفاتحة على كل مصل من إمام وغير إمام أنه إن قرأ في نفسه كان أفضل إلا أن يكون بحيث يسمع الإمام فالإنصات والاستماع لقراءة الإمام واجب لأمر الله الوارد في قوله "وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا" وما خص حال صلاة من غيرها والقرآن مقطوع به عند الجميع وإذا لم يسمع إن لم يقرأ المأموم أعني غير الفاتحة أجزأته صلاته إلا فاتحة الكتاب كما قلنا فإنه لابدّ منها لكل مصل فإن الله قسم الصلاة بينه وبين عبده وما ذكر إلا الفاتحة لا غير فمن لم يقرأها فما صلى الصلاة المشروعة التي قسمها الله بينه وبين عبده ولكن يتبع المأموم بقراءة الفاتحة سكتات الإمام فيجمع بين الآية والخبر وإن لم يسكت الإمام ويكره له ذلك فليقرأها المأموم في نفسه بحيث أن لا يسمعه الإمام آية آية حتى يفرغ منها ولا يجهر على الإمام بقراءته وصل الاعتبار في ذلك لما احتوت الصلاة على أركان وهي فروض الأعيان لم تجز فيها نفس عن نفس شيأ وكل ما ليس بفرض ويجبره سجود السهو فإن الإمام يحمله عن المأموم ومعناه أن المأموم إذا نقصه أو زاد لم يسجد لسهوه وذلك أن الفروض حقوق الله فحق الله أحق بالقضاء وما عدا الفروض وإن كانت حقاً من حيث ما هي مشروعة وهي على قسمين منها ما جعل لها بدل وهو سجود السهو وهي الأفعال التي للشرع بها اعتناء من حيث ما فيها من الأنعام الذي يقرب من أنعام الفرائض بالشبه ولهذا جعل لها بدل ومنها ما هي حقوق للعبد مما رغب فيها فإن شاء عمل بها وإن شاء تركها وما جعل لها بدل فإن عمل بها كان له ثواب وإن لم يفعلها لم يكن عليه حرج و لم يحصل له ذلك الثواب الذي يحصل من فعلها كرفع الأيدي في كل خفض ورفع عمداً فإن كان في نفسه الرفع أو من مذهبه لما اقتضاه دليله فلم يفعل نسياناً وسهواً فإنه يسجد لسهوه لا لرفع اليدين فإنّ السجود ما شرعه الله إلا للسهو هنا لا للمسهو عنه بدليل أنه لو تركه عمداً أو عن اجتهاد لم يسجد له بخلاف ما جعل له بدل وليس بفرض فإن الصلاة تبطل بتركه عمداً أو بفعل ما لم يشرع له فعله عمداً وفرق بين الجلسة الوسطى وبين جلسة الاستراحة والجلسة التي بين السجدتين في كل ركعة والجلسة الأخيرة وحكم ذلك كله مختلف واعتباره في العماء وفي العرش وفي السماء الدنيا وفي الأرض عند جلوس العبد في مجلسه فالعماء للجلوس بين السجدتين والعرش للجلسة الأخيرة والسماء للجلسة الوسطى ومع جلوسي في الأرض حيث كنت من مجالسي لجلوس الاستراحة وأما من جلس في وتر من صلاته فما حكمه حكم لجلسة الوسطى فإنه لم يشرع له تركها وجلسة الاستراحة شرع له فعلها فلو تعمد جلوس الاستراحة فقد تعمد ما شرع له و لم

تبطل صلاته وإن جلس في وتر من صلاته ناسياً وهو يريد القيام سجد لسهوه لا لجلوسه وله أجر الجلوس وأجر ما سها عنه لسجود السهو الذي هو ترغيم للشيطان وله أجر من أنكى في عدو الله وفي عدوه فإن الله يقول "ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح" والشيطان من الكفار لقول الله فيه وكان من الكافرين وسيأتي ما يليق بهذا كله في السهو من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

فصل بل وصل في ارتباط صلاة المأموم بصلاة الإمام في الصحة والبطلان

اختلف العاماء هل صحة انعقاد صلاة المأموم مرتبطة وبه أقول وإن اقتدى به فيما أمر أن يقتدي به فيه بصحة صلاة الإمام أولاً فمن الناس من رأى أنها مرتبطة ومنهم من لم ير أنها مرتبطة ولهذا اختلفوا في الإمام إذا صلى وهو جنب وعلموا بذلك بعد الصلاة فمن يرى الارتباط قال صلاتهم فاسدة ومن لم ير الارتباط قال صلاتهم صحيحة وهو الذي أذهب إليه وفرق قوم بين أن يكون الإمام عالماً بجنابته أو ناسياً فقالوا إن كان عالما فسدت صلاتهم وإن كان ناسياً لم تفسد صلاتهم وصل الاعتبار في ذلك "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" ومافي وسع الإنسان أن يعلم ما في نفس غيره ولا يحيط علماً بأحوال غيره فكل مصل إنما هو على حسب حاله مع الله ولهذا ما أمره الشرع في الإئتمام بإمامه إلا فيما يشاهده من الإمام من رفع وخفض فإن كوشف بحال الإمام كان حكمه بحسب كشفه فإذا علم أن الإمام على غير طهارة فليس له أن يقتدي به من وقت علمه وصح له ما مضى من صلاته معه قبل علمه ولا اعتبار في ذلك لنسيان الإمام أو عمده فإن الإمام عنده من وقت علمه في غير صلاة شرعاً وما أمره الله أن يرتبط أعني أن يقتدي إلا بالمصلي فإن كان الإمام ناسياً لجنابته أو حدثه فهو مصل شرعا وصلاة المأموم صحيحة شرعاً وإتمامه بمن هو مصل شرعاً وإن علم المأموم أن الإمام على غير طهارة فإن تمكن المأموم أن يعلمه بحدثه في نفس صلاته أعلمه بحيث أن لا تبطل صلاة المأموم بذلك الإعلام فإن الله يقول "ولا تبطلوا أعمالكم" وإن لم يتمكن صلى لنفسه فإذا فرغ من صلاته أعلمه بحدثه سواء فرغ الإمام أو لم يفرغ فإن تذكر الإمام أو قلده تتطهر وإن لم يتذكر ولم يقلده فهو بحسب ما يقتضيه علمه ومذهبه في ذلك وصلاة المأموم صحيحة انتهى الجزء الحادي والأربعون بانتهاء السفر السادس من هذه النسخة والحمد لله.

الجزء الثاني والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصول الجمعة

فصل بل وصل في الخلاف في وجوبها

اختلف العلماء في وجوب الجمعة فمن قائل إنها من فروض الأعيان ومن قائل إنها من فروض الكفايه ومن قائل إنها سنة وصل في الاعتبار ليس لهذه الصلاة قدم في توحيد الذات ولا نتيجة في حال العالم بها العامل لكن لها العام بأحدية الكثرة وكذلك من يرى إن الذات اقتضت لنفسها وجود العالم فلا ينتج هذا العلم ما يرد من الله على قلب العبد ولا في تجليه في هذه الصلاة وذلك إنها مبنية في وجودها وحقيقتها على الزائد على الواحد فهي من حضرة الأسماء الإلهية فإن وقوعها لا يصح من المفرد بخلاف الصلوات كلها فإنها تصح من المنفرد وكل صلاة ما عدا الجمعة تعطى ما تعطي الجمعة من حيث ما هي صلاة من تكبيرة الإحرام إلى التسليم منها وتعطي ما لا تعطيه الجمعة من العلم بأحدية الحق التي لها الغنى على الإطلاق ومن العلم برجوع النسب أو الصفات إلى عين واحدة فاعلم ذلك.

وصل في فصل فيمن تجب عليه الجمعة

اتفق العلماء على أنها تجب على من تجب عليه الصلوات المفروضة ثم زادوا أربعة شروط اثنان متفق عليهما واثنان مختلف فيهما فالمتفق عليهما الذكورة والصحة وأنها لا تجب على المرأة والمريض ولاثنان المختلف فيهما الماسفر والعبد فمن قائل أن الجمعة تجب على المسافر وبه أقول وتجب على العبد فللعبد أنيتأهب فإن منعه سيده فيكون السيد من الذين يصدون عن سبيل الله ومن قائل أنه لا تجب عليهما وقد ورد خبر متكلم فيه أن الجمعة واجبة إلا على أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبيّ أو مريض وفي رواية أخرى إلا خمسة وذكر المسافر وصل في اعتبار ذلك لما كان من شرطها ما زاد على الواحد وأنها لا تصح بوجود الواحدد فاعلم أن العقل وجود العالم من هذه الأحدية فوجب عليه بصلاة الجمعة أن يرجع إلى النظر فيما يطلبه الممكن من وجود من له هذه الأحدية فنظر فيه من كونه إلها يطلب المألوه فهذه معرفة أخرى لا تصح إلا بالجماعة وهو تركيب الأدلة وترتيبها فوجبت صلاة الجمعة على العقل الموصوف بهالعاقل ولما كانت المرأة ناقصة عقل ودين فالعقل الذي نقص منها هو عقل هذه الأحدية الذاتية فوجبت الجمعة على الرجل وهو االجمع بين العلم بتلك الأحدية وبين العلم بكونه إلها ونقص منها هو عقل المرأة عن علم تلك الأحدية فلم يجب عليها أن تجمع بينها وبين العلم بالله من كونه إلها وأما العبد الذي يسقط عنه وجوب الجمعة عند من يقول به وهو العبد المستحضر لجبر الله له في اختياره فإن الحقيقة تعطي أن العبد مجبور في اختياره فلما لم يتمكن له أن يجمع بين الحرية والعبودة لم تجب عليه الجمعة وكل من ذكرناه ونذكر أنه لا تجب عليه الجمعة أنه إذا حضرها صلاها كذلك إذا حضرت مواطن الإعتبارات المانعة للمذكورين من الوجوب أنها لا تجب عليه فإن فنى عنها بحال يخالفها وجبت الجمعة أي وجب عليه علم ما لم يكن يجب عليه علمه

كريم وآسية اللتين حصل لهما درجة الكمال فتعين نعليهما علم الأحيدة الذاتية وعلم الأحدية الإلهية التي هي أحدية الكثرة وأما المريض وهو الذي لا يقول بالأسباب ولا يعلم حكمتها فلم يحصل له مقام الصحة حيث فإنه من العلم بالله قدر ما تعطيه حكم لأسباب ومن لم يعط حاله هذا العلم ويقدح في تجريده ويخاف عليه لم يجب عليه أن يجمع بين العلم بحكم الأسباب وبين العلم بتجريد التوحيد عنها وأمّا الماسفر فإن حاله يقتضي أن لا يجب عليه الجمعة فإنه ما بين ابتداء الغاية وانتهاء الغاية فهو بين من والى فلا تعطى حالته أن يجمع بين من والى التي تطلبهاا إلا من التي هي في إلى إلى إلى أخرى فإن إلى تلك غابت فيها من ولولا إلى الأخرى ما عرفت أن في نفس إلى الأولى من فما نهاية إلا ولها بداية ولا ينعكس فلا تجب والثالثة وكذا إلى ما لا نهاية له فلو المنازل في الطريق والمقامات ما عقل لمن غاية فإلى تطلب من ومن لا تطلب إلى وأما الصبي فهو المائل إلى طبيعته لا يعرف غيرها ولا يصح كونه صبيا إلا بهذه الصفة فمن المحال أن يرفع رأسه إلى معرفة حقيقته التي يصح له بالعلم بها الجمعة فلهذا اعتبرنا أن الصبيّ لا تجب عليه الجمعة

فصول في شروط الجمعة

اتفق العلماء على أنها شروط الصلوة المفروضة المتقدّمة وقد ذكرناها ما عدا الوقت والأذان فإنهم اختلفوا في ذلك وكذلك اختلفوا في الشروط المختصة بها وسأذكرها

وصل في فصل في الوقت

فمن قائل أن وقتها وقت الزوال يعني وقت صلاة الظهر ومن قائل أن وقتها قبل الزوال وأنا أقول بالتخيير بين الوقتين وصل الاعتبا في ذلك قال تعالى "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل " ثم قال"ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فأمرنا بالنظ إليه والنظر إليه معرفته ولكن من حيث أنه مدّ الظل وهو إظهاره وجود عينك فما نظرت إليه من حيث أحدية ذاته في هذا المقام وإنما نظرت إليه من حيث أحدية فعله في إيجادك في الدلالة وهو صلاة الجمعة فإنها لا تجوز للمنفرد فإن من شرطها ما زاد على الواحد فمن راعى هذه المعرفة الإلهية قال بصلاتها قبل الزوال لأنه مأمور بالنظر إلى ربه في هذه الحال والمصلي يناجي ربه ويواجهه في قبلته نوالضمير في عليه يطلبه أقرب مذكور وهو الظل ويطلبه الاسم الرب وإعادته على الرب أوجه فإنه بالشمس ضرب الله المثل في رؤيته يوم القيامة فقال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة أي وقتت الظهر وأراد عند الاستواء بقبض الظل في الشخص في ذلك الوقت لعموم النور ذات الرائي وهو حال فنائه عن رؤية نفسه في مشاهدة ربه ثم قال "ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا " وهو عند الاستواء ثم عاد إلى مده بدلوك الشمس وهو بعد الزوال فعرفه بربه من حيث مده الظل وهنا تكون إعادة الضمير من عليه على الرب أوجه فإنه عند الطلوع يعاين مد الظل فينظر ما السبب في مدّه فيرى ذاته حائلة بين الظل والشمس فينظر إلى الشمس فيعرف من مده ظله للشمس في ذلك من الأثر فكان الظل على الشمس دليلا في النظر وكان الشمس على مد الظل دليلا في الأثر ومن لم يتنبه لهذه المعرفة إلا وهو في حد الاستواء ثم بعد ذلك بدلوك الشمس عاين امتداد الظل من ذاته قليلا قليلا جعل الشمس على مد الظل دليلا فكان دلوكها نظير مد الظل وكان الظل كذات الشمس فيكون الدلوك من الشمس بمنزلة المد من الظل

فالمؤثر في المد إنما هو دلوك الشمس والمظهر للظل إنما هو أوجده من كونه إلها فانظر يا وليّ مقام ذاتك من حيث وجودك تر ما أشرف نسبته فوجودك وجود الحق إذ الله ما خلق شيئا غلا بالحق وبميل الشمس عنك يمتدّ ظلك فهي معرفة تتريه جعل ذلك دليلا لتعتقده فإن الشمس تبعد عنك وكلما بعدت عنك نبهتك إنك لست مثله ولا هو مثلك إلا أن يحجبك عن رؤيتها فهو التتريه المطلق الذي ينبغي لذات الحق كما أنه في طلوعها وطلبها إياك بالانقاء إلى الاستواء تشمر ظلك شيئا بعد شيء لنعلمك أن بظهورها في علوّها تمحوك وتفنيك إلى أن لا تبقى منك شيئا من الظل خارجا عنك وهو نفي الآثار بسببك ولهذا لم تشرع الصلاة عند الاستواء لفناء الظل فلمن ذا الذي يصلي أو إلى من تواجه في صلاتك والشمس على رأسك ولذا قال في أهل المدنية وما كان على خطها شرّقوا يعني في التوجه إلى القبلة في الصلاة ولا تغرّبوا أي راقبوا الشمس من حيث ما هي شارقة فإنها تطلع فتفنيكم عنكم فلا يبقى لكم مقام ولا أثر قال تعالى "يا أهل يثرب لا مقام لكم" فنبه عليه السلام أن ذلك هو المقام الأشرف بخلاف الدلوك فإن الدلوك يمكن أن ينظر الإنسان فيه إلى امتداد ظله ويمكن أن ينظر إلى تتريه الحق في ميله عنه بخلاف الشروق في الدلالة فقال صلى الله عليه وسلم شرّقوا ولا تغربوا أي خدوا معرفتكم بالله من هذا الدليل فإنه أرفع للإحتمال من الغروب وبعد أن تبين هذا فمن صلى قبل الزوال الجمعة أصاب ومن صلاها بعد الزوال أصاب والذي أذهب إليه أن صلاتها قبل الزوال أولى لأنه وقت لم يشرع فيه فرض فينبغي أن يتوجه إلى الحق سبحانه بالفرضية في جميع الأوقات فكانت صلاتها قبل الزوال أولى وإن كان قد يتفق أن يكون ذلك وقت أداء فرض صلاة في حق الناسي والنائم إذا تذكرا ولكن بحكم التبعية يكون ذلك فإن المعتبر إنما هو التذكر أو اليقظة في أي وقت كان بخلاف صلاة الجمعة إذا جعلناها قبل الزوال فتعين لها الوقت كما تعينت أوقات الصلوات المفروضات وإن الله قد أشرا إلى نعيم مشاهدته ومصاحبته من غير تخصيص ولا تقييد فقال بكل شيء محيط وقال وهو معكم أينما كنتم فاعلم ذلك

وصل في فصل في الأذان للجمعة

قال تعالى "إذا نوى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله " ومن وقت النداء يكون الثواب من البدنة إلى البيضة وهو حين يشرع الخطيب في خطبته ومن جاء من وقت طلوع الشمس إلى وقت النداء فله من الأجر بحسب بكوره وهي مسئلة خلاف فالبدنة من وقت نتعيين السعي فإما الأذان فإن جمهور العلماء اتفقوا على أن وقته هو إذا جلس الإمام على المنبر واختلفوا هل يؤذن بين يدي الإمام مؤذن واحد فقط أو أكثر من واحد فمن قائل لا يؤذن بين يدي الإمام إلا واحد فقط وهو الذي يحرم به البيع والشراء وقال آخرون بل يؤذن اثنان فقط وقال آخرون يؤذن ثلاثة ولكل قائل حجة واستناد إلى الأثر والذي أذهب إليه في هذه المسئلة إن الأذان لصلاة الجمعة كالأذان للصلوات المفروضة كلها وقد تقدّم الكلام على الأذان في الصلوات قبل هذا لأنه لا يجوز أن يؤذن اثنان ولا جماعة معا بل واحد بعد واحد فإن ذلك خلاف اسنة وصل الاعتبار في ذلك الأذان الإعلام وهو دعاء الحق عباده لمعرفته من حيث ما هو إله الناس وربنا ورب آبائنا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فذكره بالإضافة وما قال ذلك مطلقا فإن الحق سبحانه لا يعين لفظا ولا يقيد أمرا إلا وقد أراد من عباده أن ينظروا فيه من حيث ما خصصه وأفرده لتلك الحالة أو عينه بتلك العبارة ومتى لم ينظر الناظر في هذه الأمور بهذه العين فقد غاب عن الصواب المطلوب ولما كانت الجمعة لا تصح إلا بالجماعة علمنا أن الإذان الذي هو الإعلام بالإعلان للإتيان والسعي إلى هذا التجلي الخاص لا بدّ أن يعطي ما لا يعطى

المنفرد وقد بينا ذلك وما بقي إلا اختلاف مقامات الناظرين في ذلك عين مؤذن واحد واثنين وثلاثة ولا توقيت عندنا في ذلك إلا أنه لا بد من أذان والواحد أدناه فإن زاد جاز ولكن واحد بعد واحد فإما الأذان الواحد فيراه من يرى صلاة الجمعة من حيث ما هي صلاة فقط ومن يرى الاثنين فيرى كونها صلاة في جماعة فلا تجزي للمنفرد ومن رأى الثلاثة في الأذان لها فلكونها تصلاة في جماعة ليوم خاص وحالة مخصوصة لا تكون في سائر الأيام بخلاف الصلوات المفروضة في كل يوم فمن اعتبر هذه الأحوال الثلاثة قال بثلاثة مؤذنين فيقول الأول حيّ على الصلاة ويقول الثاني حيّ على الصلاة في الجماعة ويقول الثالث حيّ على الصلاة في الجماعة في هذا اليوم فأعلم كل مؤذن بحالة لم يعلم بها الآخر واعتبر العلماء ذلك ولو انفرد واحد جاز

وصل في فصل في الشروط المختصة بيوم الجمعة في الوجوب والصحة

فمن جملة شروطها الجماعة واختلفوا في مقدار الجماعة فمن قائل واحد مع الإمام وبه أقول حضروا سفرا عندي ومن قائل اثنان سوى الإمام ومن قائل ثلاثة دون الإمام ومن قائل أربعون ومن قائل ثلاثون ومن قائل اثنا عشر ومنهم من لا يشترط عددا ولكن رأى أنه يجوز بما دون الأربعين ولايجوز بالثلاثة والأربع وهذا الشرط من شروط الوجوب والصحة أي به تجب الجمعة وتصح وصل الاعتبار في ذلك أما الواحد مع الإمام فهو حظ من يعرف أحدية الحق من أحدية نفسه فيتخذ أحدية نفسه على أحدية ربه دليل قال الشاعر

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وآية كل شيء عنده أحديته إذ كان كل موجود لا بد أن يمتاز عن غيره غيره بأحدية لا تكون لغيره وتلك الأحدية هي على الحقيقة حقيقة أنيته وهويته فيعلم من ذلك أن ربه على خصوص وصف في هويته لا يمكن أن يكون ذلك لسواه وأما من قال اثنان فهو الذي يعرف توحيده من النظر في شفعيته فيرى كل ما سوى الحق لا يصح له لانفراد بنفسه وأنه مفتقر إلى غيره فهو مركب من عينه ومن اتصافه بالوجود المستفاد الذي لم يكن هله من حيث عينه وأما من قال بالثلاثة وهو أول الإفراد فهو الذي يرى أن المقدمتين لا تنتج إلا برابط فهي أربعة في الصورة وثلاثة في المعنى فيرى أنه ما عرف الحق إلا من معرفته بالثلاثة فاستدل بالفرد على الواحد وهو أقرب في النسبة من الاستدلال بالشفع على الأحدية وأما من قال بالأربعين فاعتبر الميقات الموسويّ الذي أنتج له معرفة كلام الحق من حيث ما قد علمتم من قصته المذكورة في القرآن وكذلك أيضا من حصلت له معرفة ربه من أحلاصه أربعين صباحا وهي الخلوة المعروفة في طريق القوم فإنهم يتخذونها لتحصيل معرفة الله بما يحصل لهم فيها من الإخلاص مع الله من المشوب وأما من قال بالثلاثين فنظر إلى الميقات الأول الموسويّ وعلم أن ذلك هو حدّ المعرفة إلا أنه طرأ أمر أخل به تفزاد عشرا جبر لذلك الخلل فهو بالمعنى ثلاثون فمن سلم ميقاته من ذلك الخلل فإن مطلوبه من العلم بالله يحصل بهذا التوقيت فلما فرغ الشهر ناجاه الحق بآية التخيير فخير نساءه فإنه كان المطلوب بذلك التوقيت ما فتح له به فإن الحق يجري مع العبد في فتحته على حسب قصده والسبب الذي أدّاه إلى الانفراد به فمن أدّاه لي الانفراد به إطلاق لأمر إليه فكانت نتيجته في خلوته مطلقة فيرى سريانه في الإلهية سريان الوجود الإلهيّ في الموجودات وهو أتم الكشف الكيالي وأعلاه ومن هنا شرع التخلق بالأسماء الإلهيّه وإلا فأي نسبة بين الممكن والواجب الوجود لنفسه وأما من قال بالأثنتي عشر فاعتبر نهاية الإنسان ومرتبته العلوية وهي اثنا عشر واعتبر أيضا أسماء الأعداد

البسائط دون المركبات وهي اثنا عشر من واحد إلى تسعة والعقد ثلاثة وهي العشر والمئون والآلاف فهذه اثنا عشر توبعد هذا ما ثم عدد إلا مركب في هذه الأصول فهي جمعية البسائط فاعلم ذلك وأما من لم يشترط عددا وقال بدون الأربعين وفوق الأربعة التي هي عشر الأربعين فإن الأربعين قامت من ضرب الأربعة تفي العشرة فهي عشر الأربعين فكما أنه نزل عن الأربعين ارتفع عن الأربعة و لم يقف عندها فيقول لا تصح المعرفة بالله إلا بالزائد على الأربعة وأقل ذلك الخمسة وهي المرتبة من الفردية والمرتبة الأولى هي الثلاثة وهي للعبد نفإنها هي التي نتجت عنها معرفة الحق فيمن قال تجوز الجمعة بالثلاثة ويرى صاحب هذا القول أعني الذي يقول بالزائد على الأربعة أن الفردية الثانية هي للحق وهو ما حصل للعبد من العلم بفرديته الثلاثية فكان الحاصل فردية الحق لأحديته لأنّ أحديته لا يصح أن ينتجها شيء بخلاف الفردية ولما كان أول الإفراد للعبد من أجلّ الدلالة فإن المعرفة بنفس العبد مقدّمة على معرفة العبد بربه والدليل يناسب المدلول بالوجه الرابط بين الدليل والمدلول فلا ينتج الفرد إلا الفرد فأول فرد يلقاه بعد الثلاثة فردية الخمسة فجعلها للحق أي لمعرفة الحق في الرتبة الخامسة فما زاد إلى ما لا يتناهى من الإفراد فقد بان لك في الاعتبار منازل التوقيت فيما تقوم به صلاة الجمعة من اختلاف الأحوال.

وصل في فصل في الشرط الثاني وهو الاستيطان

اتفق كل من قال من العلماء أن الجمعة لا تجب على المسافر على الاستيطان واختلفوا فاشترط بعضهم المصر والسلطان و لم يشترطه بعضهم لكن اشترط الاستيطان في قرية أو ما في معناها وصل الاعتبار في ذلك أهل طريق الله على نوعين منهم من يتغير عليه الحال مع الأنفاس على علم منهم بذلك في قلوبهم وهم الأكابر من أهل الله فهم مسافرون على الدوام فمن المحال عليهم الاستيطان وهم في ذلك على نظرين فمن كان نظره ثبوته في مقام مراعاة الأنفاس وذوق تغيرها وتنوّعات التجليات دائماً مع كل نفس كنى عن ثبوته في هذه الحال بالاستيطان وهو في الحقيقة مقيم لا مقيم من وجهين مختلفين فإن لا مقام مقام جعل استيطان من شرط صحة صلاة الجمعة ووجوبها وإن كان مسافراً في استيطانه كسفر صاحب السفينة كما قال بعضهم في سير الإنسان في عمره.

فسيرك يا هذا كسير سفينة … بقوم جلوس والقلاع يطير

ومن كان من رجال الله دون هذه المرتبة وأقامهم الحق في مقام واحد فيما يرونه في نفوسهم وإن كان محالاً في نفس الأمر وهم في لبس من خلق جديد فهم بهذا الاعتبار من أهل الاستيطان فيقيمون الجمعة ويرون أن ذلك من شروط الصحة والوجوب ومن كان نظره في انتقاله في الأحوال والمشاهد ويرى أن الإقامة محال على حال واحد ذوقاً وأن سفره مثل سفر صاحب السفينة فيما يظهر له والأمر في نفسه بخلاف ذلك لم يشترط الاستيطان وقال بصحة الجمعة ووجوبها بمجرّد العدد لا بالاستيطان.

وصل في فصل

جمعتين في مصر

واحد اختلف علماؤنا هل يقام جمعتان في مصر واحد أم لا يقام

فمن قائل بجواز ذلك ومن قائل بأنه لا يجوز وبالجواز أقول إلا أن فيه ما لا يثلج الصدر به والأولى أن لا وكذلك اشترط بعضهم المصر ولم يشترطه بعضهم وبعدم هذا الشرط أقول وكذلك اشترط بعضهم أن يكون المسجد ذا سقف ولم يره بعضهم ولم يأت في شيء من هذه الأمور كلها نص من كتاب ولا سنة فإذا صحت الجماعة وجبت الجمعة لا غير وصل الاعتبار في ذلك المصر الواحد ذات الإنسان في الاعتبار فإنه مدينة في نفسه بل هو جميع العالم وذات الإنسان تنقسم إلى قسمين إلى لطيف وإلى كثيف فإن اتفق أن يختلف التجلي على الإنسان فيتجلى له في الاسم الظاهر حساً أو تمثلاً وفي الاسم الباطن معنى وتنزلها فإنه مأمور في هذه الحال بقبول التجليين قيل لأبي سعيد الخراز بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدّين ثم تلا "هو الأول والآخر والظاهر والباطن فجاز عنده إقامة جمعتين في مصر واحد وأكثر من جمعتين فقد يشهد الحق في كل اسم عنده من أسمائه ولكل اسم منه عالم ليس للاسم الآخر فيقام في ذات الإنسان جمعات كثيرة لاختلاف عوالمه في نفسه ولكل اسم حكم وسلطنة في عالمه وجماعته والمصر واحد فهذا قد حصل له المصر والسلطان والإقامة والسفر في حال واحد وعين واحدة وهو مسمى الإنسان وهو عالم صغير الجرم كبير المعنى ومن كل نظره في مثل هذه التجليات المتنوعة في الأسماء الإلهية والأعيان الكونية وإن الحق هو الأول من عين ما هو آخر من عين ما هو ظاهر من عين ما هو باطن إلى سائر الأسماء كانت ما كانت لاتساع الأمر في نفسه بتنوّع معاني هذه الأسماء الإلهية والأعيان الكونية وإنها وإن تعددت بالنسب فهي عين واحدة وجوداً منع أن يقام جمعتان في المصر الواحد وكل عارف من أهل الله يعمل بحسب وقته ونظره ولهذا قالوا إن الصوفي ابن وقته.

وصل في فصل في الخطبة

اختلف علماء الشريعة في خطبة يوم الجمعة هل هي شرط في صحة الصلاة وركن من أركانها أم لا فذهب الأكثرون إلى أنها شرط وركن وقال قوم أنها ليست بفرض وبه أقول وفي النفس من ذلك شيء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نص على وجوبها ولا على خلافه بل نقل بالتواتر أنه لم يزل يخطب فيها والوجوب حكم وتركه حكم ولا ينبغي لنا أن نشرع وجوبها ولا غير وجوبها فإن ذلك شرع لم يأذن به الله فمذهبنا المحقق التوقيف في الحكم عليها مع العمل بها ولابدّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يصليها بخطبة كما لم يزل يصلي العيدين بخطبة مع اجتماعنا على أنّ صلاة العيدين ليست من الفروض ولا خطبتها وما جاء عيد قط إلا وصلى صلى الله عليه وسلم صلاة العيد وخطب وصل الاعتبار في ذلك الخطبة شرعت للموعظة والخطيب داعي الحق وحاجب بابه ونائبه في قلب العبد يرده إلى الله ليتأهب لمناجاته ولذلك قدمها في صلاة الجمعة حتى جعلتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فيما روى عنها أن الخطبة في صلاة الجمعة بدل من الركعتين فإن صلاة الجمعة ركعتان كصلاة المسافر فسنها قبل الصلاة لما ذكرناه من قصد التأهب للمناجاة كما سنّ النافلة من أجل الفريضة ابتداء لأجل الذكرى والتأهب فإن عناية الشرع إنما هي بما فرض فسن النافلة ابتداء في جميع الصلوات المفروضة ألا تراه حين فرض عليه قيام الليل كان يفتتحه بركعتين خفيفتين قبل الشروع في قيام الليل كل ذلك ليتنبه القلب لمناجاة من دعاه إليه بما افترض عليه ومشاهدته ومراقبته فإن الفريضة هي المطلوبة منه وهو المطلوب بها فمن رأى أن الانتباه أصل في الطريق كالهروي وغيره قال بوجوب الخطبة كالوضوء للصلاة منبه ومن رأى أن المقصود هو الصلاة وأن الإقامة فيها هو عين الانتباه لمن كان خفيف النوم جعل الخطبة سنة راتبة ينبغي أن نفعل وإن لم ينص عليها ولكن

ثابر عليها فهكذا الانتباه قبل المناجاة للمناجاة أولى من أن يكون الانتباه في عين المناجاة فربما أثرت في مناجاته نومته المتقدمة قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعو إلى ذكر الله" فيحتمل أن يريد هنا بالذكر الخطبة فإنه مأمور بالإنصات في حال الخطبة ليسمع ما يقول ألا ترى ما قيل في حق المؤذنين أنهم أطول الناس أعناقاً والعنق مجرى النفس وامتداده للأسماع برفع الصوت به كنى عنه بطول العنق ولما أشهدني الحق الأذان بنفسي رأيت لكل كلمة من الخبر المقيد بالحس مد البصر في كل كلمة فالمؤذنون أفضل جماعة دعت إلى الله عن أمر الله ورسوله ولولا رفق الرسول صلى الله عليه وسلم بأمته لأذن فإنه لو أذن وتخلف عن إجابته من سمعه إذا قال حيّ على الصلاة كان عاصياً فكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً وإنما قلنا إنه يريد هنا بالسعي إلى ذكر الله الخطبة لأن الصلاة بذاتها تنهى عن الفحشاء وهو ما ظهر من المخالفة والمنكر وهو ما تنكره القلوب ولذكر الله فيها أكبر ما فيها يعني القول فيها أشرف أفعال المكلف في الصلاة فإنها تشتمل على أفعال وأقوال وقد روينا عن بعض العلماء أنه تأول ذكر الله الذي يسعى إليه هو الخطبة.

وصل في فصل في اختلاف القائلين بوجوب الخطبة في المجزي منها ما حدّه

فمنهم من قال أدنى ما ينطلق عليه اسم خطبة شرعية ومن قائل لا بد من خطبتين ومن قائل أقل مما ينطلق عليه اسم خطبة لغة في لسان العرب والقائل بالخطبتين يرى أنه لابدّ أن يجلس الخطيب بينهما يعني بين الخطبتين ويكون في كل واحدة منهما قائماً يحمد الله في أولها ويصلي على النبيّ صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرأ شيئاً من القرآن في الأولى ويدعو في الثانية وصل الاعتبار في ذلك اعتبار درجات المنبر المقامات والترقي فيها الترقي في مقامات السلوك إلى الله تعالى حتى يكون الداعي على بصيرة كما يعاين ببصره الخطيب الجماعة ببصره وإن كان أعمى فهو بمنزلة الداعي على غير بصيرة وهو المقلد وأما الخطبة الثانية بما يعطيه الدعاء والالتجاء من الذلة والافتقار والسؤال والتضرّع في التوفيق والهداية لما ذكره وأمر به في الخطبة وقيامه في حال خطبته أمّا في الأولى فبحكم النيابة عن الحق فيما نذر به وأوعد ووعد فهو قيام حق بدعوة صدق وأما القيام في الثانية فقيام عبد بين يدي سيد كريم يسأل منه الإعانة فيما قال الله على لسانه في الخطبة الأولى من الوصايا وأمّا الجلسة بين الخطبتين ليفصل بين المقام الذي تقتضيه النيابة عن الحق تعالى فيما وعظ به عباده على لسان هذا الخطيب وبين المقام الذي يقتضيه مقام السؤال والرغبة في الهداية إلى الصراط المستقيم ولما لم يرد نص من الشارع بإيجاب الخطبة ولا بما يقال فيها إلا مجرّد فعله لم يصح عندنا أن نقول يخطب شرعاً ولا لغة إلا أنا ننظر ما فعل فنفعل مثله على طريق التأسي لا على طريق الوجوب ويقبله الله على ما يعلمه من ذلك قال تعالى "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وقال "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" فنحن مأمورون باتباعه فيما سنّ وفرض فنجازى من الله تعالى فيما فرض جزاء فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذي وقع فيه الاتباع ونجازى فيما سنّ و لم يفرضه جزاء فرض واحد وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذي لم يوجبه فإن حوى ذلك الفعل على فرائض جوزينا جزاء الفريضة مما فيه من الفرائض كنافلة الصلاة ونافة الحج فإنها عبادة تحوي على أركان وسنن ونوافل صدقة التطوّع ما فيها شيء من لافرائض فنجازى في كل عمل بحسب ما يقتضيه ذلك العمل مما وعد الله للعامل به من الخير ولابدّ من فرضية الاتباع فاعلم ذلك فالعارف يحمل درجات المنبر على الترقي في الأسماء الإلهية بالتخلق وفيها درج عال كالقادر والعالم ودرج دونه كالمقتدر وحتى نعلم وكان لمنبر رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثلاث أدراج وكذلك الأسماء على ثلاث مراتب لكل درج مرتبة فأسماء تدل على الذات لا تدل على أمر آخر وأسماء تدل على صفات تتريه وأسماء تدل على صفات أفعال وما ثم مرتبة رابعة وكل هذه الأسماء قد ظهرت في العالم فأسماء الذات يتعلق بها ولا يتخلق وأسماء صفات التتريه يقدس بها جناب الحق تعالى ويتخلق بها العبد بحسب ما تعطيه مما يليق به فكما أن العبد يقدس جلال الله أن تقوم به صفات الحدوث كذلك يقدس العبد بها ربه فلا يشارك في فعله تعالى أحداً من خلقه وما في الحضرة الإلهية سوى ما ذكرناه ولا في الإنسان سوى ما ذكرناه ولا في الإمكان سوى ما ذكرناه فالعبد لا يكون رباً لمن هو عبد له والرب لا يكون عبداً تعالى الله فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لكماله في الدلالة عليه واستيعابه ما نسب الحق إلى نفسه وإلى العالم فإن قلت فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه بالأسماء الإلهية حين قال أو استأثرت به في علم غيبك فلعله يدل على أمر آخر قلنا لابدّ أن يدل ذلك الاسم إما على الله وإما على ما سوى الله وإما على الله وعلى ما سوى الله بوجهين واعتبارين وما ثم قسم ثالث وكل هذه الأقسام قد حصلت في هذه الأسماء التي بأيدينا من جهة معانيها فإن الذي يدل من ذلك الاسم الذي لم نعرفه على الله إما أن يدل على صفة تتريه وقد وجدت عندنا وإما على صفة فعل وقد وجدت وإما على صفة يعقل معناها في المحدثات كالفرح والتعجب فغاية الأمر أن يكون العالم في الدلالة كما أن في الإمكان مثل هذا العالم مما لا يتناهى فقد انحصر الأمر فيما قد وجد من العالم من جهة الحقائق فاعلم ذلك.

وصل في فصل في الإنصات يوم الجمعة عند الخطبة

اختلف الناس في الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب على ثلاثة أقوال فمن قائل إنّ الإنصات واجب على كل حال وأنه حكم لازم من أحكام الخطبة ومن قائل أن الكلام جائز في حال الخطبة إلا حين قراءة القرآن فيها ومن قائل بالتفريق في ذلك بين من يسمع الخطبة وبين من لا يسمعها فإن سمع أنصت وإن لم يسمع جاز له أن يسبح أو يتكلم في مسئلة من العلم والجمهور على أنه إن تكلم لم تفسد صلاته وروى عن ابن وهب أنه قال من لغا فصلاته ظهر أربع وأمّا القائلون بوجوب الإنصات وهم الجمهور فانقسموا ثلاثة أقسام قسم أجازوا التشميت وردّ السلام في وقت الخطبة وبه قال الأوزاعيّ والثوريّ ومنهم من لم يجز ردّ السلام ولا التشميت وبعضهم فرّق فقال برد السلام ولا يشمت وصل الاعتبار في ذلك إنما شرع الوعظ والتذكير للإصغاء إلى ما يقول الواعظ والمذكر وهو الخطيب الداعي إلى الله والإنصات له في حال كلامه ليرى ما يجري الله على لسان عبده فالخطيب نائب الحق فكأنّ الحق هو المكلم عباده فوجب الإنصات والإصغاء إلا فيما أمر به مثل ردّ السلام وتشميت العاطس إذا حمد الله فمن رأى أن الحق هو المتكلم وجب عليه الإنصات ولكن مع السماع ولا سيما عند قراءة القرآن في الخطبة فإن لم يسمع فينبغي له في تلك الحال أن يكون مشغولاً بما هو الخطيب به مشتغل من ذكر الله والثناء عليه ووعظ نفسه وزجره إياها وتقريره نعم الله على نفسه وقراءة القرآن ولكن كل ما وقع من هذا كله فليكن كما قال وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً فهكذا يكون ذكره ولا يسمع الخطبة لبعده عن الخطيب أو لصمم قام بسمعه فالإنسان واعظ نفسه.

وصل في فصل

من جاء يوم الجمعة والإمام يخطب هل يركع أم لا

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يركع وبه أقول ومن قائل لا يركع وصل الاعتبار في ذلك الركوع الخضوع لله وهو واجب أبداً على العالم كله مادام ذاكراً لله لم يغفل وكل ما سوى الجنّ والأنس فهو ذاكر لله مسبح بحمده فإن ذكر الله الذاكر منا و لم يخشع قلبه ولا خضع عند ذكره إياه فلم يحترم الإلهي و لم يأت بما ينبغي له من التعظيم وأول ما يمقته جوارحه وجميع أجزاء بدنه ومعلوم قطعاً أن الآتي إلى الجمعة سيحضر بدخول المسجد ورؤية الخطيب وقصده الصلاة إنه ذاكر لله وقد أمره الله على لسان الترجمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال تعالى في حق من أطاعه "من يطع الرسول فقد أطاع الله" وقد أمر بتحية المسجد قبل أن يجلس وما ورد نهي برفع هذا الأمر غير أنه إذا ركع لا يجهر بتكبير ولا بقراءة بل يسرّ ذلك جهد الطاقة ولا يسره ولا يزيد على التحية شيأ ولا سيما إن كان بحيث يسمع الإمام والداخل والإمام يخطب قد أبيح له أن يسلم وما خطأه أحد في ذلك و لم يؤمر الداخل بالسلام وإنما الأمر تعلق برد السلام لا بابتداء السلام فالركوع عند دخول السلام أولى أن يجوز له لورود الأمر بالصلاة للدّاخل قبل أن يجلس والصلاة خير موضوع ولكن لا يزيد على الركعتين شيأ فإن قدر أن لا يقعد فلا ركوع عليه فإن أراد الجلوس ركع ولابد فإنه إذا أنصف الإنسان ما ثم ما يعارض الراكع إذا دخل المسجد.

وصل في فصل

ما يقرأ به الإمام في صلاة الجمعة

اختلف الناس في ذلك فمن قائل إن صلاة الجمعة كسائر الصلوات لا يعين فيها قراءة سورة بعينها بل يقرأ بما تيسر ومن الناس من اقتصر على ما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها غالباً مما قد ثبتت به الرواية عنه وهي صورة الجمعة في الركعة الأولى والمنافقين في الثانية وقد قرأ سورة الغاشية بدلاً من المنافقين وقد قرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية بالغاشية والذي أقول به أن لا توقيت والاتباع أولى وصل الاعتبار في ذلك المناجي هو الله والمناجي اسم فاعل هو العبد والقرآن كلام الله وكل كلامه طيب والفاتحة لابد منها والسورة منزل من المنازل من مائة وثلاثة عشر منزلاًعند الله والقرآن قد ثبت في الأخبار تفاضل سوره وىية بعضه على بعض في حق القارىء بالنسبة لما لنا فيه من الأجر وقد ورد أن آية الكرسيّ سيدة آي القرآن لأنه ليس في القرآن آية يذكر الله فيها بين مضمر وظاهر في ستة عشر موضعاً منها إلا آية الكرسيّ هذا في الآيات وجاء في السور إنّ سورة يس تعدل قراءتها قراءة القرآن عشر مرات وقراءة تبارك الذي بيده الملك تجادل عن قارئها في قبره وسورة إذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن وكذلك إذا جاء نصر الله وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ولكل واحدة من التي ذكرناها في المفاضلة معنى معقول وإن الزهراوين البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة ولهما عينان ولسانان وشفتان يشهدلن لمن قرأهما بحق والأخبار النبوّية في ذلك كثير وأما ما نعلمه من طريق الكشف فلا يتمكن لي أن أذكره إلا أن سورة صلى الله عليه وسلم منبع الأنوار عاينت ذلك مشاهدة فيا ايها الإمام في صلاة الجمعة إن قصدت المناسبة فاقرأ فيها سورة الجمعة وما ثبت أنه قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله يقول لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة واقرأ بسبح اسم ربك الأعلى تنزه الحق عما يظهر في

هذه العبادة من الأفعال من حيث أنه قال لنا عن نفسه أنه يصلي علينا فنسبحه عن التخيل الذي يتخيله الوهم من الإنسان من قوله يصلي بسبح اسم ربك الأعلى وإذا جاء المنافقون وهل أتاك حديث الغاشية مناسبتان لما تتضمنه الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة في صلاة الجمعة تناسب ما ذكر به الإمام في الخطبة فيجمع بين الاقتداء والتناسب.

وصل في فصل

الغسل يوم الجمعة

غسل الجمعة واجب على كل محتلم عندنا وهو لليوم وإن اغتسل فيه للصلاة فهو أفضل أما الغسل يوم الجمعة فالجماعة على أنه سنة وقوم قالوا إنه فرض وبه أقول والقائلون بوجوبه منهم من قال إنه واجب لليوم وهو قولنا وإن اغتسل قبل الصلاة للصلاة فهو أفضل ومنهم من قال إنه واجب قبل صلاة الجمعة وصل الاعتبار في ذلك الطهارة العامة لباطن الإنسان الذي هو قلبه بالحياة الباطنة للمعرفة بالله التي فيها وبها حياة القلوب من حيث ما تعطيها صلاة الجمعة من جهة إنه سبحانه واضع لهذه العبادة الخاصة بهذه الصورة فإنه من أعظم الهداية التي هدى الله إليها هذه الأمة خاصة فإنه اليوم الذي اختلفوا فيه فهدى الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه وذلك أن الله اصطفى من كل جنس نوعاً ومن كل نوع شخصاً واختاره عناية منه بذلك المختار أو عناية بالغير بسببه وقد يختار من الجنس النوعين والثلاثة وقد يختار من النوع الشخصين والثلاثة والأكثر فاختار من النوع الإنسانيّ المؤمنين واختار من المؤمنين الأولياء واختار من الأولياء الأنبياء واختار من الأنبياء الرسل وفضل الرسل بعضهم على بعض ولولا ورود النهي من الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله لا تفضلوا بين الأنبياء لعينت من هو أفضل الرسل لكن أعلمنا الله أنه فضل بعضهم على بعض فمن وجد نصاً متواتراً فليقف عنده أو كشفاً محققاً عنده ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح فليحكم به إن تعلق حكمه بأفعال الدنيا وإن كان حكمه في الآخرة فلا يجعله في عقده على التعيين وليقل إن كان هذا عن الرسول في نفس الأمر كما وصل إلينا فأنا مؤمن به وبكل ما هو من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الله مما علمت ونمما لم أعلم فإنه لا ينبغي أن يجعل في العقائد إلا ما يقطع به إن كان من النقل فما ثبت بالتواتر وإن كان من العقل فما ثبت بالدليل العقليّ ما لم يقدح فيه نص متواتر فإن قدح فيه نص متواتر لار يمكن الجمع بينهما اعتقد النص وترك الدليل والسبب في ذلك أن الإيمان بالأمور الواردة لعى لسان الشرع لا يلزم منها أن يكون الأمر الوارد في نفسه على ما يعطيه الإيمان فيعلم العاقل إنّ الله قد أراد من المكلف أن يؤمن بما جاء به هذا النص المتواتر الذي أفاده التواتر أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قاله وإن خالف دليل العقل فيبقى على علمه من حيث ما هو علم ويعلم أنّ الله لم يرد به بوجود هذا النص أن يعلق الإيمان بذلك المعلوم لا أنه يزول عن علمه ويؤمن بهذا النص على مراد الله به فإن أعلمه الحق في كشفه ما هو المراد بذلك النص القادح في معلومه آمن به في موضعه الذي عنيه الحق له بالنظر إلى من هو المخصوص بذلك الخطاب ومثل هذا الكشف يحرم علينا إظهاره في العامة لما يؤدّي إليه من التشويش فلنشكر الله على ما منحه فهذه مقدمة نافعة في الطريق ولما اختص الله من الشهور شهر رمضان وسماه باسمه تعالى فإنّ من أسماء الله رمضان كذلك اختص الله من أيام الأسبوع يوم العروبة وهو يوم الجمعة وعرف الأمم أن لله يوماً اختصه من هذه السبعة الأيام وشرفه على سائر أيام الأسبوع ولهذا يغلط من

يفضل بينه وبين يوم عرفة ويوم عاشوراء فإن فضل ذلك يرجع إلى مجموع أيام السنة لا إلى أيام الأسبوع ولهذا قد يكون يوم عرفة يوم الجمعة ويوم عاشوراء يوم الجمعة ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبداً يوم السبت ولا غيره ففضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء لأمور عرضت إذا وجدت في أي يوم كان من أيام الأسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الأحوال العوارض فتدخل مفاضلة عرفة وعاشوراء في المفاضلة بين الأسباب العارضة الموجبة للفضل في ذلك النوع كما أن رمضان إنما فضله على سائر الشهور في الشهور القمرية لا في الشهور الشمسية فإن أفضل الشهور الشمسية يوم تكون الشمس في برج شرفها وقد يأتي شهر رمضان في كل شهور السنة الشمسية فيشرف ذلك الشهر الشمسيّ على سائر شهور الشمس بكون رمضان كان فيه وكونه فيه أمر عرض له في سيره فلا يفاضل يوم الجمعة بيوم عرفة ولا غيره ولهذا شرع الغسل فيه لليوم لا لنفس الصلاة فإن اتفق أن يغتسل في ذلك اليوم لصلاة الجمعة فلا خلاف بيننا إنه أفضل بلا شك وأرفع للخلاف الواقع بين العلماء فلما ذكر الله شرف هذا اليوم للأمم و لم يعينه وكلهم الله في العلم به لاجتهادهم فاختلفوا فيه فقالت

النصارى أفضل الأيام والله أعلم هو يوم الأحد لأنه يوم الشمس وهو أول يوم خلق الله فيه السموات والأرض وما بينهما فما ابتدأ فيه الخلق إلا لشرفه على سائر الأيام فاتخذته عيداً وقالت هذا هو اليوم الذي أراده الله و لم يقل لهم نبيهم في ذلك شيأ ولا علم الناهل أعلم الله نبيهم بذلك أم لا فإنه ما ورد بذلك خبر وقالت اليهود بل ذلك يوم السبت فإن الله فرغ من الخلق في يوم العروبة واستراح يوم السبت واستلقى على ظهره ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال أنا الملك قال الله تعالى في مقابلة هذا الكلام وأمثاله "وما قدروا الله حق قدره" وتزعم اليهود أن هذا مما نزل في التوراة فلا نصدقهم في ذلك ولا نكذبهم فقالت اليهود يوم السبت هو اليوم الذي أراده الله بأنه أفضل أيام الأسبوع فاختلفت اليهود والنصارى وجاءت هذه الأمّة فجاء جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة في صورة مرآة مجلوّة فيها نكتة فقال له هذا يوم الجمعة وهذه النكتة ساعة فيه لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي إلا غفر الله له فقول النبي صلى الله عليه وسلم فهدانا الله لما اختلف فيه أهل الكتاب هو هذا التعريف الإلهيّ بالمرآة وأضاف الهداية إلى الله وسبب فضله أنه اليوم الذي خلق الله فيه هذه النشأة الإنسانية التي خلق المخلوقات من يوم الأحد إلى يوم الخميس من أجلها فلا بدّ أن يكون أفضل الأوقات وكان خلقه في تلك الساعة التي ظهرت نكتة في المرآة ولما ظهرت نكتة في المرآة دل ضرب المثل أنها لا تنتقل كما لا تنتقل تلك النكتة التي في المرآة فهي ساعة معينة في علم الله فإن راعينا ضرب ذلك المثل في الحس ولا بدّ قلنا إن الساعة لا تنتقل كما لا تنتقل في الحس وإن راعينا ضرب المثل بها في الخيال ولا نخرجه بالحمل إلى الحس قلنا تنتقل الساعة في اليوم فإن حكم الخيال للانتقال في الصورة لأنه ليس هو بمحسوس فينضبط وإنما هو معنى في صورة جسدية خيالية تشبه صورة حسية وكما أن المعنى الواحد ينتقل في صور ألفاظ كثيرة ولغات مختلفة في زمان واحد أشبه الخيال فتنتقل الساعة في يوم الجمعة وكلا الأمرين سائغ في ذلك ولا يعرف ذلك إلا بإعلام الله وهذه الساعة في يوم الجمعة كليلة القدر في السنة سواء قال تعالى في هذا اليوم أعني في شأنه كان الناس أمّة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه هذه الآية نزلت في الاختلاف في هذا اليوم فغسل يوم الجمعة من هذا الاختلاف حتى يكون على يقين في طهارته بما كشف الله عن بصيرته وهو علم الساعة التي في هذا اليوم فإن اليوم كان مبهماً ثم إنّ الله عرفنا به على لسان رسوله وبقي الإبهام في الساعة التي فيه فمن علمها في كل جمعة إن كانت تنتقل أو علمها في وقتها المعين إن كانت لا تنتقل فقد صح غسله يوم الجمعة من هذا الجهل

الذي كان فيه بها ولهذا ينبغي أن يكون الغسل لليوم فإنه أعم.

وصل في فصل

وجوب الجمعة على من خارج المصر

اختلف الناس في وجوب الجمعة على من خارج المصر فمن قائل لا تجب الجمعة على من خارج المصر ومن قائل أنها تجب على من هو خارج المصر واختلفوا في قدر المسافة فمنهم من قال مسيرة يوم وهو قول شاذ ومنهم من قال ثلاثة أميال ومنهم من قال أن يكون على مسافة يسمع منها النداء غالباً والذي أقول به إذا كان الإنسان على مسافة بحيث أنه إذا سمع النداء يقوم للطهارة فيتطهر ثم يخرج إلى المسجد ويمشي بالسكينة والوقار فإذا وصل وأدرك الصلاة وجبت عليه الجمعة فإن علم أنه لا يلحق الصلاة فلا تجب عليه لأنه ليس بمأمور بالسعي إليها إلا بعد النداء وأما قبل النداء فلا وصل الاعتبار في ذلك الخارج عن الموطن الذي تعطيه معرفة الحق من حيث ما هو آمر بها من دليل من عرف نفسه عرف ربه وهو الارتباط بالمعرفتين فلا يخلو أن يكون خروجه إلى معرفة ربه من حيث ما هو واجب الوجود أو يكون خارجاً إلى حضرة الحيرة والوقوف أو الكثرة فإن كان خارجاً إلى حكم معرفة كونه واجب الوجود لنفسه لا تجب عليه الجمعة وإن كان خروجه إلى ما سوى هذا وجبت عليه الجمعة بلا شك.

وصل في فصل

الساعات التي ودت في فضل الرواح إلى الجمعة

فمن قائل هي الساعات المعروفة من أوّل النهار ومن قائل هي أجزاء ساعة واحدة قبل الزوال وبعده والذي أقول به إنها أجزاء من وقت النداء الأوّل إلى أن يبتدىء الإمام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الأجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته الشارع وصل الاعتبار في ذلك السعي سعيان سعي مندوب إليه وهو من أوّل النهار إلى وقت النداء وسعي واجب وهو من وقت النداء إلى أن يدرك الإمام راكعاً من الركعة الثانية والأجر الموقت للساعي إلى أول الخطبة وما بعد ذلك فأجر غير موقت لأنه لم يرد في ذلك شرع فأمّا الأجر الموقت فهو من بدنة إلى بيضة وبينهما بقرة وهي تلي البدنة ويليها كبش وتلي الكبش دجاجة والبيضة تأتي بعد الدجاجة آخراً وليس بعدها أجر موقت ولما كانت البيضة من الدجاجة وفيها تتكوّن الدجاجة وما في معناه من الحيوان الذي يبيض لهذا قرن البيضة مع الحيوان في توقيت القربة وقصد من الحيوانات في التمثيل ما يؤكل لحمه دائماً غالباً مما لا خلاف في أكله وبه تعظم قوّة الحياة في الشخص المتغذي فكأنّ المتقرّب به تقرّب بحياته والتقريب بالنفس إلى الله أسنى القربات ألا ترى الشهداء في سبيل الله لما تقربوا بأنفسهم إلى الله في قتال أعداء الله كانت لهم الحياة الدائمة والرزق الدائم والفرح بما أعطاهم الله فلا يقال في الشهداء أموات لنهي الله عن ذلك لأن الله أخذ بأبصار الخلق عن إدراك حياتهم كما أخذ بأبصارهم عن إدراك الملائكة والجن مع معرفتنا أنهم معنا حضور ولا نعتقد أيضاً في الشهداء أنهم أموات بقوله "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء" وخبر الله صدق فثبتت لهم الحياة لما قصدوا القربة إلى الله بنفوسهم حكي عن بعض شباب الصالحين أنه كان بمنى يوم النحر

وكان فقيراً متجرداً لا يقدر على شيء من الدنيا فنظر إلى الناس يتقرّبون إلى الله بنحر بدنهم وبالبقر والغنم وما قدروا عليه من الحيوان فقال الشاب إلهي إن الناس قد تقرّبوا إليك في هذا اليوم بما وصلت أيديهم إليه مما أنعمت به عليهم وما لعبدك المسكين شيء يتقرّب به إليك في هذا اليوم سوى نفسه فاقبلها فما فرغ من كلامه حتى فارق الدنيا فقبضه الله قبض الشهداء سبيل الله ولنا بيت من قصيدة في هذا المعنى:

وأهدي من القربان نفساً معيبة — وهل رىء خلق بالعيوب تقرّبا

وفي مثل هذا يقول بعضهم وقد رأى بمنى مثل ما رآه هذا الشاب من الحاج فأنشد: تهدى الأضاحي وأهدي مهجتي ودمي

وصل في فصل

البيع وقت النداء للصلاة من يوم الجمعة

اختلفوا في البيع في وقت النداء فمن قائل يفسخ ومن قائل لا يفسخ قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع" فأمر بترك البيع في هذا الوقت قال الله تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم" وقال عليه السلام في الجهاد "إنه جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر" وقال تعالى "قاتلوا الذين يلونكم من الكفار" ولا أكفر من النفوس بنعم الله ولا يلي الإنسان أقرب إليه من نفسه وجهاد النفس أعظم من جهاد العدو لأن الإنسان لا يخرج إلى جهاد العدو إلا بعد جهاده لنفسه وجهاد العدو قد يقع من العبد للرياء والسمعة والحمية وجهاد النفس أمر باطن لا يطلع عليه إلا الله كالصوم في الأعمال وأحق بيع النفس من الله إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فيترك جميع أغراضه ومراداته ويأتي إلى مثل هذا السوق فيبيع من الله نفسه ومثل هذا البيع لا يفسخ هذا مذهب من يقول بعدم الفسخ ومن يقول بالفسخ اعتباره هو أن يقول جميع أفعال العبادات أضافها إلى العباد إلا عبادتين العبادة الواحدة الصوم فأضافه إلى نفسه والعلة في ذلك أنها صفة صمدانية سلبية لا تنبغي إلا لله من حيث ذاته لا من حيث كونه إلهاً وكل ما عدا ذات الحق فإنه متغذ بالغذاء الذي يليق به مما يكون في استعماله بقاء ذلك المتغذي والعبادة الثانية الصلاة فإنه قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين فنصفها إلي ونصفها لعبدي فدل هذا الحديث على صحة ما يملكه العبد فإنه أضاف نصف الصلاة إلى نفسه تعالى وأضاف نصفها إلى عبده فهو وإن كان عبده فهو مالك لما أضافه الله إليه فهو بالنظر إلى ما أضافه إليه في الصلاة غير مملوك فقال بفسخ البيع ومعنى فسخ البيع أنه لا يضيف إلى الله في هذه الحالة ما هو مضاف إليه فإن في ذلك منازعة الحق حيث أضاف أمراً إليك فرددته أنت عليه وهذا سوء أدب فأي مصل ردّ على الله هذا النصف الثاني الذي أضافه إلى العبد وملكه إياه في حال الصلاة فهو بيع مفسوخ ولهذا قال تعالى في هذ الحال وذروا البيع يقول مرادي منكم في هذه الحال أن يكون نصف الصلاة لكم فالموفق هو الذي يتأدّب مع الله في كل حال.

وصل في فصل في آداب الجمعة

اعلم أن آداب الجمعة ثلاثة وهو الطيب والسواك والزينة وهو اللباس الحسن ولا خلاف فيه بين أحد من العلماء وصل الاعتبار في ذلك أمّا الطيب فهو علم الأنفاس الرحمانية وهو كل ما يرد من الحق مما تطيب به المعاملة بين الله وبين عبده في الحال والقول والفعل وأمّا السواك فهو كل شيء يتطهر به لسان القلب من الذكر القرآني وهو أتم الطهارة وكل ما يرضي الله فإنه تنبعث ممن هذه أوصافه روائح طيبة إلهية يشمها أهل الروائح من المكاشفين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في السواك أنه مطهرة للفم ومرضاة للرب وأن السواك يرفع الحجب بين الله وبين عبده فيشاهده فإنه يتضمن صفتين عظيمتين الطهور ورضى الله وقد أشار إلى هذا المعنى الخبر في قوله صلى الله عليه وسلم "بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك وفي سواك إشارة للمصلين بربهم لا بأنفسهم وقد ورد أن لله سبعين حجاباً فناسب بين ما ذكرته لك وبين هذه الأخبار تبصر عجائب وأما اللباس الحسن فهو التقوى قال تعالى "ولباس التقوى ذلك خير" أي هو خير لباس وقال "خذوا زينتكم عند كل مسجد" ولا تقوى أقوى من الصلاة فإن المصلي مناج مشاهد ولهذا قال استعينوا بالصبر والصلاة مقام نفسه في المعونة فكل مصل يتحدث في صلاته مع غير الله في قلبه فما هو المصلي الذي يناجي ربه ولا يشاهده فإن حال المناجاة والشهود لا يجرأ أحد من المخلوقات يقرب من عبد تكون حالته هذه خوفاً من الله وهذا المصلي قليل فهو مصل بصورته الظاهرة من قيام وركوع وسجود غير مصل بباطنه الذي هو المطلوب منه ولكن نرجو في هذا الموطن أن يشفع ظاهره في باطنه كما يشفع في بعض الأحوال باطنه في ظاهره وسبب ذلك أن الحركات الظاهرة إن لم يكن لها في الباطن حضور تثبت به وتظهر عنها وإلا فما تكون ولا يظهر لها وجود فذلك القدر من الحضور المرعيّ شرعاً هو من الباطن فيتأيد مع الفعل الظاهر فيقوى على ما يقع للمصلي من الوسوسة في الصلاة فلا يكون لها تأثير في نقص نشأة الصلاة عناية من الله "إن الله بالناس لرؤف رحيم" ولما كان اللباس الحسن من الزينة التي أمر بها العبد في الصلاة لم يكن أحسن زينة يلبسها العبد في مناجاة ربه من زينته بالعبودية والزينة الأخرى الزينة بربه في قوله كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فأثبت العبد بالضمير وزينه به تعالى في عباداته كلها انتهى الجزء الثاني والأربعون.

الجزء الثالث والأربعون

وصول بل فصول صلاة السفر والجمع والقصر

السفر يؤثر في الصلاة القصر باتفاق وفي الجمع باختلاف أما القصر فإن العلماء اتفقوا على جواز قصر الصلاة للمسافر إلا عائشة فإنها قالت لا يجوز القصر إلا للخائف لقوله عز وجل إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قصر لأنه كان خائفاً واختلفوا من ذلك في خمسة مواضع أنا أذكرها إن شاء الله وصل الاعتبار في ذلك قد بينا لك في هذا الباب أن السفر حال لازم لكل ما سوى الله في الحقائق الإلهية بل لكل من يتصف بالوجود وهو سفر الأكابر من الرجال تخلقاً بقوله تعالى "يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شان" وحديث النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الباقي من الليل وهو الإدلاج عند العرب بتشديد الدال فسفر الأكابر من الرجال بالعلم والتحقق وسفر في الأسماء الإلهية بالتخلق وهو سفر حاله نازل عن الحال الأول وسفر ثالث في الأكوان بالاعتبار وهو حال دون الحالين وسفر جامع لهذه الأسفار كلها في أحوالها وهو أعظم أسفار الكون والأوّل أعظم الأسفار وأجلها فاداً دعا الحق المسافر للصلاة قصر عن صلاة المقيم لموضع الفرق فكما تميز المقيم من المسافر وحال الإقامة من حال السفر تميز حكم صلاة المقيم من حكم صلاة المسافر وأمّا قول عائشة وهو قول الله في الخوف فإن العبد مطلوب في كل نفس بمراقبة الحق في حكمه تعالى في ذلك النفس بما شرع له تعالى فيه خاصة وما كل أحد يقدر على مراعاة هذا المقام مع الحق فلا يزال في خوف دائماً فالعارف إذا حصل فيه وخاف أن يلتبس عليه مناجاة الحق في الأنفاس اقتصر من المناجاة على ما يختص بذلك النفس فكان الخوف سبباً للقصر وهو قول الله تعالى الذي ذهبت إليه عائشة وسيأتي تحقيق ما أومأنا إليه فيما بعد ولما قلنا إن العلماء اختلفوا من ذلك في خمسة مواضع تعين علينا أن نذكرها واعتباراتها موضعاً موضعاً إن شاء الله تعالى كما جرت عادتنا في عبادات هذا الكتاب.

وصل في فصل

الموضع الأول من الخمسة

وهو حكم القصر اختلف علماء الشريعة في ذلك على أربعة أقوال فمن قائل أن القصر للمسافر فرض متعين وبه أقول ومن قائل أن القصر والإتمام كليهما فرض مخير له كالخيار في واجب الكفارة ومن قائل إن القصر سنة ومن قائل إن القصر رخصة والإتمام أفضل وصل الاعتبار في ذلك من رأى أن التمكير في التلوين إقامة قال الإتمام أفضل ومن راعى التلوين مع الأنفاس سواء كان مشعوراً به أو غير مشعور به قال إن القصر فرض متعين ومن راعى التلوين والتمكين خيره في القصر والإتمام بحسب صاحب الوقت وحاكمه فإن كان صاحب الوقت التلوين بالحال والتمكين بالعلم قصر وإن كان صاحب الوقت التمكين بالحال والتلوين بالعلم أتم ومن لم يراع التلوين ولا التمكين وكان بحكم الطريق لا بحكم السالك فيه قال إن القصر سنة.

وصل في فصل

الموضع الثاني من الخمسة المواضع

وهي المسافة التي يجوز فيها القصر اختلف العلماء في ذلك فمن قائل في أربعة برد ومن قائل مسافة ثلاثة أيام ومن قائل في كل سفر قريباً كان أو بعيداً وبه أقول فإني أعتبر فيها مسمى السفر باللسان وصل الاعتبار في ذلك البريد اثنا عشر ميلاً ولما كانت المسافة تطلب المقدار بذاتها والعدد يلزم المقادير وكانت مراتب العدد اثنتي عشرة مرتبة لا يزاد عليها ولا ينقص وهي واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة مائة ألف هذه بسائط الأعداد وما زاد عليها فمركب منها فإذا مشى الإنسان في طريق الله في الأربعة الأسماء الإلهية التي هي أمهات الأسماء كلها وعليها توقف وجود العالم وهو الحيّ العالم المريد القادر لا غير وبهذه الأسماء يثبت كونه إلهاً فإذا نظر العبد في هذه الأربعة مع الأربعة التي له كانت ثمانية ونظر إلى نفسه وعقله فكانت العشرة ونظر إلى توحيد ذاته وتوحيد إلوهيته كانت اثنتي عشرة وتم البريد فنظر هذا أيضاً في الأربع المراتب وهو قوله الأول والآخر والظاهر والباطن حقاً وخلقاً وصرّف في كل حال من هذه الأحوال الاثني عشر تثبت بذلك أربعة برد فيقصر لها الصلاة وأما الثلاثة الأيام فيوم كما قال أبو يزيد حين سئل عن الزهد فقال هو هين ما كنت زاهداً سوى ثلاثة أيام اليوم الواحد زهدت في الدنيا واليوم الثاني زهدت في الآخرة واليوم الثالث زهدت في كل ما سوى الله ومن كانت هذه حاله قصر صلاته فإنه قد سافر أكمل الأسفار بلا خلاف وأما القصر في مسافة ينطلق عليها اسم سفر ولا بد في اللسان ولا يراعى البعد ولا القرب فهو الذي يراعي عالمه المكلفين فمن سافر منهم قصر فإذا سافر الإنسان ببصره للاعتبار قصر وإن سافر بسمعه أيضاً قصر وإن سافر بفكره في المعقولات قصر وصورة قصره قصور نظره على ما يعطيه حاله في وقته فإن أعطاه الكل كان بحسبه وإن أعطاه البعض كان بحسبه وهذا هو مذهب الجماعة وعليه عوّلوا.

وصل في فصل

الموضع الثالث من الخمسة المواضع

وهو اختلافهم في نوع السفر الذي تقصر فيه الصلاة فمن قائل إن ذلك مقصور على سفر الطاعات والأفعال المقرّبة إلى الله ومن قائل بهذا وبالسفر المباح أي ذلك كان ومن قائل بكل سفر مما يسمى سفر أقربة كان أو مباحاً أو معصية وبه أقول وصل الاعتبار في ذلك قال تعالى وإليه ترجعون هذا في الأعيان وقال في الأعيان وفي الأحوال وقال وإليه يرجع الأمر كله وقال ألا إلى الله تصير الأمور وقال ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها فهذه الآيات كلها وأمثالها تدل على سفر الإنسان إلى الله فيقصر فإن الله هو الغاية لكل مسافر سواء سافر منه أو من كون نفسه أو كون من الأكوان وفيه أو في أسماء ربه والحق سبحانه غاية الطرق قصدت الطرق أو لم تقصد فما هو غاية قصد السالك فإن السالك مقيد القصد ولا بد والله لا يتقيد إلا بالإطلاق فإن الإطلاق تقييد فلهذا أمرنا بالتقصير في كل ما ينطلق عليه اسم سفر قربة كان أو مباحاً أو معصية ومن راعى أو كان مشهده قوله تعالى "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقوله وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لم ير التقصير إلا في سفر الطاعة أو في سفر الطاعة والمباح لأن الصلاة قربة إلى الله سعادية والمذهب الأول أولى فإن المعصية لم يثبت كونها معصية عند هذا المسافر فيها إلا بكونه مؤمناً أو على مذهب خاص بالمؤمن بها أنها معصية فهو ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو مسافر فلأيّ معنى نراعي حكم المعصية

فنقول بأنه لا يقصر بكونه سافر في غير ما يرضي الله وغاب صاحب هذا القول عن حكم الإيمان بهذه المعصية من هذا المسافر أنه مؤمن بأنها معصية فهو في طاعة فإنه قد أرضى الرب سبحانه من كونه مؤمناً بأنها معصية والإيمان في حكمه أقوى من الفعل المعين المسمى معصية فما يمنعه أن يحكم له00از القصر وهو مسافر بإيمانه بها في طاعة أيضاً والحسنة بعشر والسيئة واحد إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فكيف إن كانوا مائتين والمعصية في عشرين والآيات التي احتج بها من تعيين الصراط والحجة إنما ذلك فيمن ليس مؤمن ومن ليس بمؤمن فما هو مخاطب بتمام ولا قصر لأن الصلاة لا تجب عليه إلا بعد الإيمان وإن كان مخاطباً بالجملة فمذهبنا أولى في هذه المسئلة.

وصل في فصل

الموضع الرابع من الخمسة المواضع

وهو الموضع الذي منه يبدأ المسافر بالقصر قال بعض العلماء لا يقصر حتى يخرج من بيوت القرية ولا يتم حتى يدخل أول بيوتها ومن قائل لا يقصر إذا كانت قرية جامعة حتى يكون منها بنحو ثلاثة أميال وصل الاعتبار في ذلك الإنسان جسم وروح فمادام روح الإنسان مستوطناً في جسمه وعالم حسه يجري بحكم طبيعته فهو مقيم غير مسافر فيتم صلاته فإذا سافر الروح عن جسمه وتركه وراء بحال فناء فقد غاب عنه في أول قدم وإذا غاب عنه فسنته القصر في الصلاة ومعنى القصر هنا ما يختص به الروح من حكم الصلاة من كونه روحاً لا من كونه مدبر الجسم فإنه في هذه الحال غائب عن جسمه فلا يبقى عليه من حكم الصلاة إلا ما يختص به ومن راعى كون جسميته ذات ثلاث شعب وهو ما يحويه من الطول والعرض والعمق وهو سار في كل مسمى بالجسم إلا في مذهب المتكلمين فإن الجسم عندهم طول بلا عرض يعني أقل جسم وفي مذهب غيرهم ثمانية جواهر هي أقل الأجسام فإنه جمع بين الطول من كونه جوهرين والعرض من كونه أربعة جواهر وهو السطح والعمق من كونه ثمانية جواهر وهو سطحان وأربعة خطوط وسواء كان عند هذا الروح جسمه الخاص به أو انتقل عن جسمه في غيبته المدبر له إلى جسم آخر طبيعي يشاهده فمازال من حكم الجسمية فلا يقصر حتى يغيب عنها بالكلية ويتجرد عن مشاهدة الجسمية ويبقى روحاًفحينئذ يبتدىء بصلاته الخاصة به وهو القصر فهذا اعتبار صاحب الثلاثة الأيام والقرية الجامعة وهي الجسمية الشاملة لجسمه ولجسم غيره فإن من أصحابنا من يقول إنه من انتقل في غيبته من صورة حسه إلى صورة محسوسه فلا يسمى غائباً كانت تلك الصورة ما كانت روحانية أو أسمائية أو معنوية أو جسمية مهما تجلت له في الصور الجسمية فهو مقيم في الجسم فوجب عليه الإتمام في الصلاة التي يدخلها القصر والإتمام وهي الرباعية فإن الثنائية وهي الصبح لا يدخلها القصر فإن الركعة الواحدة لوحدانية الحق والركعة الثانية لوحدانية العبد فلابدّ من مصل ومصلى له فلا قصر في صلاة الصبح وأما الثلاثية وهي المغرب فإن الركعتين اللتين يجهر فيهما فهما شفعية الإنسان وكونهما يجهر فيهما بالقراءة لأنهما نصبتا دليلاً لى الحق والدليل لا يكون إلا علانية ظاهراً معلوماً ودليل بغير مدلول لا يصح فكانت الركعة الثالثة لوجود المدلول وهو الحق وكانت القراءة فيها سراً لكونه غيباً فلا سبيل إلى القصر في المغرب فإنه دليل على العبد وشفعيته

وعلى الحق وأحديته فلم يبق القصر إلا في الرباعية لوجود الشفعيتين فيها فألحقت بالصبح لحكم الأحدية في جناب الحمق وجناب العبد وهو قول من قال:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فما قال اثنان ولا قال شيآن فاعتبر أحدية كل شيء من كونه شيأ ومن كونه آية على أحدية الحق حتى لا يعرف الواحد إلا بالواحد ولهذا كان يقول الحسن بن هانىء شاعر وقته وددت أن هذا البيت الواحد لي بجميع شعري ثم عمل في معناه وما جاء مثله ولا أعطى من حسن مساق المعنى ما أعطاه هذا البيت وخرج عن علمي في هذا الوقت ما عمله الحسن ولو كان في حفظي في هذا الوقت لسقته في هذا الموضع حتى يعرف فضل هذا البيت وأنه في الكلام المعجز وما أظن وقع لقائله وهو أبو العتاهية إلا بحكم الاتفاق.

وصل في فصل

الموضع الخامس من الخمسة المواضع

وهو اختلافهم في الزمان الذي يجوز للمسافر إذا أقام فيه في بلد أن يقصر حكى أبو عمر بن عبد البر في هذه المسئلة أحد عشر قولاً ما حضرتني في هذا الوقت فلينظرها في كتبه من أراد أن يقف عليها فلنذكر منها ما تيسر على ذكري فمن قائل إذا أزمع المسافر على إقامة أربعة أيام أتم وقال غيره خمسة عشر يوماً وقال غيره عشرين يوماً وقال غيره إذا أزمع على أكثر من أربعة أيام والأولى عندي في هذه المسئلة أن ينظر في مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة إلى أن رجع إلى المدينة فإنه كان يقصر في تلك المدة وصل الاعتبار في ذلك إذا قام السالك في المقام بنية الإقامة فيه أتم من نفسين إلى عشرين نفصاً فإن يوم العراف نفسه المكمل الإلهي وإن كان في كل نفس يطلب الترقي فيمسكه الله فيه فلا يعطيه حكمه ما مشى به في أنفاسه و لم يشعر بها إلا أن نبته الرحلة في كل نفس فهو يقصر دائماً عمره كله فهو بمنزلة من يتعرّض للفتح فلا يفتح له ويجمع له إلى أن يموت فيرى عند موته ما أخفي له فيه من قرّة أعين فيعلم عند ذلك أنه كان مسافراً و لم يشعر لكونه ما فتح له في حياته الأولى ولا شاهد ما شاهد غيره من السائرين إلى الله.

وصل في فصول الجمع بين الصلاتين

اتفق العلماء كلهم على الجمع بين الظهر والعصر في أول الظهر يوم عرفة بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب إلى وقت العشاء بالمزدلفة واختلفوا فيما عدا هذين المكانين فذهب أكثر الناس إلى الجمع بينهما في المواضع التي يجوز الجمع والأحوال ومنع بعضهم ذلك بإطلاق فيما عدا موضع الاتفاق وأما الذي أذهب إليه فإن الأوقات قد ثبتت بلا خلاف فلا نخرج صلاة عن وقتها إلا بنص غير محتمل إذ لا ينبغي أن يخرج عن أصل ثابت بأمر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة من العلم وكل حديث ورد في ذلك فمحتمل وتكلم فيه مع احتماله أو صحيح لكنه ليس بنص وأما إن أخر صلاة الظهر إلى الوقت المشترك فجمع على

هذا الحد وكذلك في المغرب مع العشاء فقد صلى كل صلاة في وقتها وهو الصحيح الذي يعوّل عليه فإن الحديث الثابت الذي هو نص هو حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفره إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى يصليها مع العصر فهو محتمل كما ذكرناه وإذا ارتحل بعد أن تزيغ الشمس صلى الظهر وحده ثم ركب ولم يكن يقدم العصر إليها لأنه ليس وقتها باتفاق فيقوى بهذا احتمال التأخير أنه صلى الظهر في آخر وقتها وأوقع بعضها في الوقت المشترك وهو الذي يصلح لإيقاع الصلاتين معاً إلا أنه لا يتسع فيصلي من الظهر ثلاث ركعات فيه أو ما نقص عن ذلك ويصلي من العصر فيه بقدر ما أبقى من الوقت المشترك وهذا هو الأولى والأحوط وصل الاعتبار في ذلك الجمع في المعرفة بلا خلاف في توحيد الله في ألوهته وهو أن لا إله إلا هو ولا يعرف هذا إلا بعد معرفة المألوه فهو الجمع بين المعرفتين بالاتفاق وهذا هو جمع عرفة وأما جمع المزدلفة فهو موضع القربة وهو موضع جمع فحكم اسم الموضع على من حل فيه بالجمع ألا ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه" فجعل الحكم والإمامة لصاحب المترل وهذا المترل يسمى جمعاً فالإمامة له والحكم فجمع فيه بين الصلاتين لما تعطيه حقيقته بالاتفاق أيضاً وجمع النبيّ صلى الله عليه وسلم في هاتين بين التقدم والتأخر ولا واسطة بينهما في هذا الموضع حتى تكمل مراتب الأشياء لأجل أهل القياس فإن الله قد علم من عباده أنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذون القياس أصلاً فيما لا يجدون فيه نصاً من كتاب ولا سنة ولا إجماع فوفق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجمع في هذا اليوم بتقديم صلاة العصر وتأخير صلاة المغرب ليقيس مثبتو القياس التأخير لهذا التأخير والتقديم لهذا التقديم وقد قرّر الشارع حكم المجتهد أنه حكم مشروع فإثبات المجتهد القياس أصلاً في الشرع بما أعطاه دليله ونظره واجتهاده حكم شرعيّ لا ينبغي بردّ عليه من ليس القياس من مذهبه وإن كان لا يقول به فإن الشارع قد قرّره حكماً في حق من أعطاه اجتهاده ذلك فمن تعرّض للردّ عليه فقد تعرّض للردّ على حكم قد أثبته الشارع وكذلك صاحب القياس إن ردّ على حكم الظاهريّ في استمساكه بالظاهر الذي أعطاه اجتهاده فقد ردّ أيضاً حكماً قرّره الشارع فليلزم كل مجتهد ما أدّاه إليه اجتهاده ولا يتعرّض إلى تخطئة من خالفه فإن ذلك سوء أدب مع الشارع ولا ينبغي لعلماء الشريعة أن يسيؤا الأدب مع الشرع فيما قرّره.

وصل في فصل صورة الجمع

اختلف القائلون في صورة الجمع في السفر فمنهم من رأى أن تؤخر الصلاة الأولى وتصلى مع الثانية ومنهم من رأى أن تقدّم الأخرى إلى الأولى إن شاء وأن يؤخر الأولى إلى الآخرة إن شاء فمن راعى تأخير الأولى فاعتباره المعرفة بالله فإن بالله كان ولا شيء معه وإن العالم متأخر عن وجود الحق بالوجود فإن وجوده مستفاد من وجود الحق فلما أردنا المعرفة به من كونه إلهاً للعالم أخرناه في المعرفة إلى وقت معرفتنا بنا فلما عرفنا أنفسنا عرفنا ربنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فصلينا الأولى في وقت الثانية ومن راعى الوجود في الاعتبار قدم الآخرة إلى الأولى وجعل وجود عين العبد هو وجود الحق فالحق العالم بالله فعلمه من الله وعلم الله بالله ومن راعى الأمرين معاً في الاعتبار قدّم إن شاء وأخر إن شاء ولكل طريقة طائفة والكامل منا من عرف كل طريقة وكل طائفة وكان فيها خارجاً عنها وهم الأكابر من الرجال فصل ومن الفصول المبيحة للجمع السفر بالاتفاق من القائلين به واختلفوا في الجمع في الحضر وفي شروط السفر المبيح له فمنهم من جعلالسفر نفسه مبيحاً للجمع أيّ سفر كان وبأيّ

صفة كان ومنهم من اشترط فيه ضرباً من السير ونوعاً من أنواع السفر في الحديث إذا عجل به السير فجعل العلة في الجمع التعجيل وأما النوع فقد تقدم من سفر القربة والمباح والمعصية وصل الاعتبار في ذلك لا يصح الجمع بين الصلاتين إلا فيما ذكرناه في عرفة وجمع وأما السفر على الحقيقة وهو سفر الأنفاس فلا يصح فيه الجمع إذا كان الجمع عبارة عن إخراج إحدى الصلاتين عن وقتها وما قال به في طريقنا بالاعتبار إلا من لا معرفة له بالذوق في ذلك ولو جعل صاحب هذا القول باله من حركاته الظاهرة ونظره وسمعه وجوارحه لرآها في كل زمان تتغير وما عنده خبر لغفلته عن نفسه ولهذا قال الله لنا "وفي أنفسكم أفلا تبصرون.

وصل في فصل الجمع في الحضر لغير عذر

قال ابن عباس في جمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين من غير عذر إنه أراد أن لا يحرج أمّته وهو موافق لقول الله عز وجل "ما عليكم في الدين من حرج" وقوله عليه السلام "دين الله يسر" وقال به جماعة من أهل الظاهر وقال ما عداهم لا يجوز الجمع لغير عذر مبيح للجمع وصل الاعتبار في ذلك الجمع لأهل الحجاب رفق بهم في التكليف وجائز لهم لرفع الحرج فإن الحرج في العبادة هو تضعيف التكليف فإن العمل في نفسه كلفة فإذا انضافت إليه المشقة كان تكليفاً على تكليف وأما أهل المشاهدة فلا جمع عندهم إلا بجمع وعرفة وما عدا ذينك فلا.

وصل في فصل الجمع في الحضر بعذر المطر

فأجازه بعضهم ليلاً كان أو نهاراً ومنعهم بعضهم في النهار وأجازه في الليل وأجازه بعضهم في الطين دون المطر في الليل والذي أذهب إليه أن المصلي إذا كان مذهبه أن الصلاة لا تصح إلا في الجماعة وما عنده جماعة إلا في المسجد فإنه يجمع بين الصلاتين ليلاً ونهاراً إذا كان في جماعة وإن كان مذهبه جواز صلاة الفذ مع وجود الجماعة فلا يجوز له الجمع لا إن كان في المسجد وجمع الإمام على أي مذهب كان ذلك الإمام إذا كان الإمام مجتهداً لا مقلداً إلا أن اليوم تقليد ذلك المجتهد في جميع نوازله كما هم عليه عامّة الفقهاء في عصرنا هذا وصل الاعتبار في ذلك الجمع للمقيم جائز فإنه محجوب عن شهود سفره فإنه مسافر من حيث لا يشعر في كل نفس باختلاف الأحوال والخواطر وحديث النفس والحركات الظاهرة والباطنة فإذا انضاف إلى ذلك عذر المطر وهو العلم المنزل فهو علم ظاهر الشريعة الذي جاء بالجمع جاز له الجمع لما دل عليه هذا العلم المشروع فينبغي أن لا يعدل عنه فمن راعى الحرج أضاف الطين إليه وأجاز ذلك في صلاة الليل ومن لم يراع الحرج أجاز ذلك ليلاً ونهاراً و لم يجزه في الطين.

وصل في فصل الجمع في الحضر للمريض

فمنهم من أباح له الجمع ومنهم من منع وبالأول أقول لحديث ابن عباس الصحيح وقد تقدم ذكره وصل الاعتبار في ذلك الكسل مرض النفس فلا يجوز الجمع لمن كان مرضه الكسل وما في معناه فإن كان مرضه استيلاء الأحوال عليه بحيث أنه يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه جاز له الجمع فإن الحال مرض والمقال صحة فالجهلاء من أهل طريقنا يقولون بشرف الحال على العلم لجهلهم بالحال ما هو فالأحوال يستعيذ منها الأكابر من الرجال في هذه الدار وهي من أعظم الحجب ولهذا جعلت

الطائفة الأحوال مواهب والمقامات مكاسب والدنيا عند الأكابر دار كسب لا دار حال فإن الكسب يعليك درجة والحال يخسر صاحبه وقته فلا يرتقي به بل هو من بعض نتائج مقامه استعجله في الدنيا ولهذا كانت الأحوال مواهب ولو كانت مكاسب لوقع بها الترقي فشرف الحال في الآخرة لا في الدنيا وشرف العلم والمقام في الدنيا والآخرة أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة من العلم فقال له "وقل رب زدني علماً" و لم يأمره بطلب الزيادة من الحال فلو عرف هذا القائل شرف العلم وكان عنده منه ذوق صحيح لوافق الحق تعالى في الذي شرّف العلماء به ولما كان مطروداً من هذه الصفة التي وصف الحق بها نفسه والخواص من ملائكته وعباده و لم يبلغ تلك الدرجة أخذ يحامي عن نفسه بأن جعل الحال أشرف من العلم وهو بحمد الله عريّ عن العلم والحال وأما أصحاب الأحوال الإلهية الصحيحة رضي الله عنهم فهم عالمون بشرف العلم على الحال ومطلوبهم العلم فإن الحال يحول بينهم وبين ما خلقوا له فيتبرّؤون منه ومما يدلك على ذلك إن أصحاب الحال وإن سرّ به فتراه عند الموت يتبرأ منه ويزول عنه ويتمنى أنه لم يكن صاحب حال فالحال ليس بأمر مقرّب إلى الله والدنيا محل أسباب التقريب والآخرة محل القربة فيجعل كل صفة تحكم في موضعها فالحال حكمه في الآخرة والعلم حكمه في الدنيا والآخرة وفي كل موطن لأنّ شرفه هو الأتم.

وصل في فصول صلاة الخوف

أجمع الناس على أن صلاة الخوف جائزة واختلفوا في صورها بحسب اختلاف الروايات الواردة فيها من صلاته صلى الله عليه وسلم إياها إلا أبا يوسف فإنه شذ عن الجماعة فقال لا تجوز صلاة الخوف على صورة ما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام واحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك خاص به وإنما تصلى صلاة الخوف بإمامين كل إمام يصلي ركعتين بطائفة ما دامت تحرس الأخرى والذي أذهب إليه أن الإمام مخير في الصور التي ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأيّ صورة صلاها أجزأته صلاته وصحت صلاة الجماعة إلا الرواية التي فيها الانتظار بالسلام فإن عندي فيها نظراً لكون الإمام يصير فيها تبعاً تابعاً وقد نصبه الله متبوعاً وسبب توقفي في ذلك دون جزم من طريق المعنى فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم أمر الإمام أن يصلي بصلاة المريض وأضعف الجماعة والتأويل الذي يحتمله اقتداء أبي بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الطحاوي أن أبا بكر كان هو الإمام في صلاته بالناس وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراوي فكان الناس يقتدون بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معنى الاقتداء هنا أنه كان يخفف لأجل ممرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا التأويل ليس ببعيد فقد يكون الإمام في هذه الحالة إماماً مؤتماً وبلفظ الإمامة وردت الرواية عن الصاحب فلهذا لم يترجح عندي نظر في رواية الانتظار والاختلاف في صور صلاة الخوف معلوم مسطور في كتب الحديث وصل الاعتبار في ذلك الحق يكون مع العبد بحسب حال العبد "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً" فأيّ شيء كان حال العبد كان الحق معه بحسبه يعامله به قال الله تعالى "فاذكروني أذكركم" إن ذكر العبد ربه في نفسه ذكره الله في نفسه وإن ذكر العبد ربه في ملأ ذكره الله في ملأ فالعبد يترل في هذه المسئلة مترلة إمام والحالة الأخرى أن يكون حال العبد مع الله على صورة ما يكون حال الحق مع العبد مثل قوله يحبهم ويحبونه فأهل طريق الله على ما تقضي به الحقائق في هذه المسئلة أن حب العبد لولا ما أحبه الله أو لا ما رزقه محبته ولا

وفقه إليها ولا استعمله فيها وهكذا جميع ما يكون فيه العبد من المور المقرّبة إلى الله عز وجل فهذا المقام يحذر أهل الله من الغفلة فيه فلهذا شبهناه بصلاة الخوف.

وصل في فصل صلاة الخائف عند المسايفة

فمن الناس من قال لا يصلي ومن الناس من قال يصلي بعينيه إيماء والذي أذهب إليه أنه مأمور في ذلك الوقت بالصلاة على قدر ما يمكنه أن يفعله منها وذلك أن كل حال ما عدا حال المسايفة فهو استعداد للجهاد والقتال ما هو عين الجهاد ولا عين القتال فإذا وقعت المسايفة ذلك هو عين الجهاد والقتال الذي أمر الله عباده بالثبات فيه والاستعانة بالصر والصلاة فقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار" ثم توعّد من لم يثبت فقال "ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغض من الله ومأواه جهنم" يعني إن قتل في تلك الحالة وبئس المصير وقال في تلك الحالة واستعينوا بالصبر وهو حبس النفس عن الفرار في تلك الحال والصلاة فأمره بالصلاة وإنها من المأمور المعينة له على خذلان العدو فجعلها من أفعال الجهاد فوجبت الصلاة والفرار في تلك الحال من الكبائر فأمره الله بالصبر وهو الثبات في تلك الحال والصلاة فوجبت عليه كما وجب الصبر فيصليها على قدر الإمكان فالله يقول "فاتقوا الله ما استطعتم" وقال "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر على الراحلة يومي إيماء مع الأمان فاحرى إيقاع الفرض مع الخوف ووجود الأمن والبشرى إنها من أسباب النصر فيصلي على قدر استطاعته في ذلك الوقت وعلى تلك الحال بحيث أن لا يترك القتال ولا يتوانى فيه فذلك استطاعة الوقت فإن المكلف بحكم وقته ووسواء كان على طهارة أو على غير طهارة والمخالف لهذا ما حقق النظر في أمر الله ولا ما أراده الله برفع الحرج عن المكلف في دين الله في قوله تعالى ما عليكم في الدين من حرج وبعد هذا فإني أقول لا يخلو هذا المكلف إذا كان في هذا الموطن على هذه الحال أما أن يكون مجتهداً أو مقلداً فإن كان من أهل الاجتهاد فلا كلام فإنه يعمل بحسب ما يقتضيه دليله ويحرم عليه مخالفة دليله وإن كان مقلداً فالأولى به عندنا أن يقلد من قال بجواز الصلاة في حال المسايفة وعلى غير طهارة فيها فإن القرآن يعضده ولا حجة للمقلد في التخلف عن تقليد من يقول بالصلاة فإنه أبرأ لذمته وأولى في حقه ويكون ممن ذكر الله على كل أحيانه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وما خصت حالاً من حال وصل الاعتبار في ذلك حال المسايفة هو حال العبد مع الشيطان في وسواسه وحين توسوس إليه نفسه والله في تلك الحالة أقرب إليه من حبل الوريد فهو مع قربه في حرب عظيم فإذا نظر العبد في هذه الحال إلى هذا القرب الإلهي منه فإنه يصلي ولا بد من هذه حالته ولو قطع الصلاة كلها في محاربته فإنه إنما يحار به بالله فإنه يؤدي الأركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي هو فيه من الحضور مع الله في باطنه في صلاته كما يؤدي المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي يستطيعه من الإيماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه في ظاهره فإن وسوسة الشيطان في ذلك الوقت لم تخرجه عما كلفه الله من أداء ما افترضه عليه وطهارته في وقت الوسوسة عين محاربته كإسباغ الوضوء على المكاره وإن أخطر له الشيطان إذا رأى عزمه في الجهاد في الله أن يقاتل ليقال رغبة منه وحرص أن يحبط عمل هذا العبد وكان قد أخلص النية أولاً عند شروعه في القتال أنه يقاتل ذاباً عن دين الله ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والكافر هنا هو المشرك من جهة الشريك خاصة وإنما قلنا

هذا لأن أهل الله يعرفون ما أشرت به إليهم في هذا القول فلا يبالي بهذا الخاطر فإن الأصل الذي بني عليه صحيح والأساس قوي وهو النية في أول الشروع فإن عرض الشيطان له بترك ذلك العمل الذي قد شرع فيه على صحة ووسوس إليه أنه فاسد بما خطر له من الرياء فيرد عليه بقوله تعالى "ولا تبطلوا أعمالكم" فتدفع بهذه الآية الشبهة التي ألقاها إليك من ترك العمل.

وصل في فصل صلاة المريض

أجمع العلماء على أن المريض إذا بقي عليه عقل التكليف أنه مخاطب بأداء الصلاة وأنه يسقط عنه منها ما لا يستطيعه من قيام وركوع وسجود واختلفوا فيمن استطاع أن يصلي جالساً وفي هيئة الذي لا يقدر على الجلوس ولا على القيام فأما المصلي جالساً فقال قوم هو الذي لا يستطيع القيام أصلاً وقال قوم هو الذي يشق عليه القيام من المرض وأما صفة الجلوس فقال قوم يجلس متربعاً في الجلوس الذي هو بدل من القيام وكره ابن مسعود الجلوس متربعاً وأما الذي لا يقدر على القيام ولاعلى الجلوس فقوم قالوا يصلي مضطجعاً وقوم قالوا يصلي كيف تسير له وقوم قالوا يصلي ورجلاه إلى القبلة وقوم قالوا يصلي على الجنب من لا يستطيع الجلوس فإن لم يستطع على جنب صلى مستلقياً ورجلاه الى القبلة والذي أذهب اليه وأقول به أن الله قد رفع عن المسلم المكلف الحرج في دين الله وأمره أن يتقي الله ما استطاع فليصل المريض على قدر استطاعته وكما تيسر له ورفع الحرج عنه الذي يضر به في الزيادة من مرضه ولا يترك الصلاة أصلاً ولو سقط عن استطاعته الإتيان بجميع الأركان وجميع الشروط المصححة لصلاة الصحيح فإن خطاب الشارع إنما يكلفه على حاله الذي يقدر عليه فإن الله ما كلف نفسا إلا وسعها وما آتاها وخفف عنها أكثر من هذا بقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا متصلا بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها فكأنه يقول وإن أعطاها وفعلته بمشقة هي عسر في حق المكلف فكان اليسر قوله ما عليكم في الدين من حرج فما أشد رفقه بعباده وصل الاعتبار في ذلك الأمراض ثلاثة أنواع بدنية ونفسية وعقلية لا رابع لها فالبدنية هي التي كنا بصددها وهي التي يعرفها علماء الرسوم والأمراض النفسية الهموم المشتملة على أداء حق الله وجب عليها والأمراض العقلية الشبه المضلة القادحة في الأدلة وفي الإيمان تحول بين العقل من العاقل وبين صحو الإيمان فأما الأمراض النفسية مع وجود الإيمان فإن الإيمان في هذا المؤمن للنفس بمنزلة وجود العقل للمريض المرض البدني فيؤدي صلاته في مناجاة ربه ومشاهدته كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجهز الجيش في الصلاة فإن المؤمن الصادق ماله حديث إلا مع ربه ولا يناجي أحد من عباد الله دون أن يرى في ذللك مناجاة ربه بحسب ما يليق فصاحب مرض النفس المؤمن يناجي ربه من حيث إيمانه في عين همومه فيكون شغله منه فيه به فلا يبرح في همه وإيمانه بالله يقول له همك هو الله ونظرك فيه إنما هو بالله فإن الله هو الوجود والموجود وهو المعبود في كل معبود وفي كل شيء وهو وجود كل شيء وهو المقصود من كل شيء وهو المترجم عنه كل شيء وهو الظاهر عند ظهور كل شيء وهو الباطن عند فقد كل شيء شيئا وهو الأول من كل شيء وهو الآخر من كل شيء فلا تفوت المؤمن عبادة الله في كل وجه وعل كل حال فإن الأمراض النفسية لا تقدح في الإيمان وأما الأمراض العقليه فهي القادحة في الإيمان والإيمان له تعلقان تعلق بوجود الحق وتعلق بتوحيد الحق وأما الإيمان بأحدية الحق من حيث ذاته فذلك من مدارك النظر العقلي عند أهل النظر وعندنا من وجه أفكارنا وأما من جهة الذكر والكشف فلا وكذلك توحيد الحق يدرك الإيمان ويدرك بالنظر و لم تتعرض شريعة لاحدية الذات بطريق التنصيص عليها وإن كانت ترد مجملة فلهذا لاتدخل في سلك

الإيمان فإن كان المرض العقلي قد حال بينك وبين صحة الإيمان بوجود الحق فقد حال بينك وبين العلم الضروري فإن العلم بوجود الصانع عند ظهور الصنعة للناظر ضروري وإن لم يعلم حقيقة الصانع ولا ماهيته ولا ما يجب أن يكون عليه ويجوز ويستحيل إلا بعد نزر فكري وإخبار إلهي نبوي فهذا مرض لاطب فيه ومن فقد العلم الضروري كان بمنزلة المريض الذي قد استفرغ المرض نفسه بحيث لا يعلم أنه مريض ولا ما هو فيه فيرتفع عنه خطاب الشرع لأنه لاعقل له وأما إذا كان معه الإيمان أو العلم الضروري بوجود الحق الخلق نفي المرض المزيل لصحة التوحد بأن يقلد فيكون مؤمنا أو ينظر ويستدل فيكون عالما فإن حصل عن نظر واستدلال فمرضه أن لا يقبل من الشارع ما جاء به من صفات الحق القادحة في أحدية الذات مع صحة توحيد الإله عقلاً وشرعاً صلى وأقام عبادته مع هذا المرض فإنه نافعه إذا عقله فيه من المرض بحيث أن لا يستطيع إلا هذا القدر الذي ذكرناه من توحيد الله تعالى فإن المؤمن

الصحيح الإيمان هو الذي وصفه الشارع والمؤمن المريض في إيمانه هو الذي يعبد الله الذي دل عليه العقل لاغير وقد نبهتك على أمر يتضمن عذر كل من إعتذار وإذا صح التوحيد التوحيد فهو المطلوب من كل موجود فكيف إذا انضاف إلى ذلك اداء العبادات المشروعة في الحركات الخارجة والداخلة.

وصل في فصل الأسباب التي تفسد الصلاة

وتقتضي الاعادة

فاتفقوا على أنه كل من أخل بشرط من شروط صحة الصلاة عمدا أو نسيانا وجبت عليه الاعادة كاسقبال القبلة والطهارة بذلك أقول إلا أني أزيد في العمد من غير عذر الاعتبار شروط السعادة التوحيد أعني عدم الخلود في النار وشروط النجاة من كل مقام مهلك من مقام الآخرة ما لا تصح النجاة منه إلا بوجوده من غير نظر إلى الرحمة التي وسعت كل فإن قلب العارف أوسع من رحمة الله وإن كان وجوده من رحمة الله فإن رحمة الله يستحيل أن تسع الله فإنّ الله لا يتصف بأنه مرحوم وقلب العارف بالله يسع الحق كما قال وسعني قلب عبدي المؤمن فرحمة الله وسعت كل شيء وقلب العبد العارف يسع الحق والرحمة التي وسعت مكل شيء فهو الواسع المطلق والعلة في ذلك كون الوجود وجود الحق فتنبه يا غافل عن درك هذه المعاقل

وصل في فصل الحدث الذي يقطع الصلاة

هل يقتضي الإعادة أم يبني على مامضى من صلاته

فذهب الأكثرون إلى أنه لا يبني لا في الحدث ولا في غيره مما يقطع الصلاة إلا في الرعاف فقط ومنهم من قال ولا في الرعاف أيضا ومن قائل يبني في الأحداث كلها والذي أقول به إن كل حدث يقطع الصلاة فلا يخلوا ما إن يكون من الأحداث التي تنتقض معهه الطهارة أو يكون من الأحداث التي تقطع الصلاة ولا تنتقض به الطهارة فإن كان مما يؤثر في الطهارة فإنه لا يبني وإن لم يؤثر فإنه يبني ولكن بشرط أن لا يزيد على ما لابدّ من فعله في إزالة ذلك السبب القاطع للصلاة فإن زاد لم يبن وأعاد وصل الاعتبار في ذلك القاطع للمناجاة والحائل بينك وبين المشاهدة فإن كان القاطع حدثا وهو ما يؤثر في الإيمان فإنه لا يكون ثمرة لما تقدّم له قبل هذا

الحدث من المناجاة المشروعة فهو بمنزلة الذي لا يبني توإن كان القاطع رؤية سبب واستناد إليه فإنه يجني ثمرة ما تقدم له من المناجاة قبل طروء هذا القاطع السببيّ وهو بمنزلة الذي يبني تبلا شك

وصل في فصل المصلي

إلى سترة أو إلى غير سترة فيمرّ بين يديهشيء هل يقطع الصلاة عليه أو لا يقطع فمن قائل لا يقطع الصلاة شيء ومن قائل يقطعها المرأة والكلب والحمار إذا مرّ بين يديه أو بينه وبين سترته والذي أقول به إن المار مأثوم وإن المصلي مأمور بأن يحول بينه وبين المرور ويدفعه ما استطاع فإن لم يفعل و لم يدفعه فالمصلي مأثوم والصلاة صحيحة بكل وجه والحدّ الذي يلزمه دفعه عنه هو حد موضع جبهته في سجوده من الأرض فإذا حال بينه وبين موضع سجوده فذلك المأمور بأن يدفعه ويقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلي دفعته ولا قتاله والإثم يتعلق بالمار في القدر الذي يسمى بين يديه عند العرب إذ لم يجد الشارع في ذلك شيئا الاعتبار في ذلك الحق قبلة العبد فمن مرّ بين الله وبين عبده بنفسه لا بربه فوباله يحول عليه وللمصلي الذي هو المناجي أن ينبهه ويردّه عن رؤية نفسه في ذلك فإنه مأمور بالنصيحة لله ولرسوله ولعامّة المسلمين ولأئمتهم ولكافة الناس أجمعين فإن تعين عليه موضع النصيحة و لم ينصح كان آثما والناجي على حاله صحيح المناجاة على كل حال وإن كان مأثوما فإن كان المار خاطرا يخطر له في حال صلاته بينه وبين ربّه فإن كان في صلاة صحيحة يقلبه فمن المحال أن يمرّ به خلاف ما هو به بحسب الآية التي يكون فيها أو الذكر وأما غير ذلك فلا يجد منفذا وأما إن كان ساهياً عن نفسه ومرّت الخواطر فلا يخلو في أول العقد والاستحضار إن كان حاضراً مع ربّه فلا يبالي بما خطر له وصلاته صحيحة فإنه حاضر مع نفسه أنه مناج ربّه فإن كان ممن يناجي ربّه في كل شيء في حال صلاته كعمر بن الخطاب أو يرى أن كل شيء صادر عن الحق في حال مناجاته بينه وبين ربّه كأبي بكر فصلاته في باطنه صحيحة وذلك الصادر لا يخلو من أن يكون ذا إرادة أو لا يكون فإن لم يكن فلا شيء عليه وإن كان ذا إرادة فلا يخلو إما أن يكون مجبوراً في مروره بين يديه في عين اختياره عنده أو لا يكون إلا مختاراً فالمختار يأثم والمجبور ليس بآثم.

وصل في فصل النفخ في الصلاة

فقوم كرهوه وقوم أوجبوا منه الإعادة وقوم فرّقوا بين أن يسمع أو لا يسمع فاعلم أن راجع ذلك إلى أنه كلام أو لبس بكلام وهو غير حسن بلا خلاف وصل الاعتبار في ذلك عيسى عليه السلام حاضر مع ربّه في كل حال و لم يقطع نفخه الروح في الطائر حضوره مع ربه ونفخه وقع بإذنه وكيف يؤذن له فيما يحجبه عن حضوره مع ربّه وهو مطلوب هو وكل مخلوق أن لا يزال الحق بين أعينهم وفي سرائرهم كما لا يزال بعينه وهو المراقبة في الطرفين فمن اعتبر النفخ بدلاً من كن جعله كلاماً ومن اعتبره لا بمعنى كن وإنما اعتبره سبباً لم يجعله كلاماً ويجعل قوله بإذني معمولاً لقوله فيكون طائراً لا لقوله فتنفخ فيه.

وصل في فصل الضحك في الصلاة

اتفقوا على أنه يقطع الصلاة واختلفوا في التبسم فمن قائل هو بمنزلة الضحك فقال يقطع الصلاة ومن قائل لا يلحق بالضحك فلا يقطع الصلاة وصل الاعتبار في ذلك الضحك للمناجي يقدح في الهيبة والأدب وغير الأدب لا يناجي فإن تبسم لا يخلوا ما أن يتبسم من أجل ضحك ربه في نازلة تقع كمثل عجوز موسى عليه السلام وقصة هناد فمن الأدب أن يتبسم العبد في مثل هذه النوازل لضحك الحق وأما إن كان في نازلة تعطي التبسم لنفسه فتبسم فإنه سيء الأدب فلا يصلح للحضور ويحال بينه وبين الحضور فيستأنف التوبة والعمل فهو بمنزلة من يقول إن التبسم يقطع الصلاة.

وصل في فصل صلاة الحاقن

فمن قائل تبطل صلاته ويعيد ومن قائل بالكراهة والذي أذهب إليه إن النهي لا يدل على فساد المنهي وإنما يدل على تأثيم فاعله فقط فتكون صلاة الحاقن جائزة وهو مأثوم كالمصلي في الدار المغصوبة وصل الاعتبار في ذلك الخبيث السريرة في حال الصلاة المفكر في سوء يفعله أو يوقعه بأحد إذا فرغ من صلاته مع كونه مؤمناً فالصلاة صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفى عن ذلك ما لم يعمل أو يتكلم به.

وصل في فصل المصلي يردّ السلام على من يسلم عليه

فرخصت فيه طائفة وبه أقول فإنه ذكر الله وهو من الأذكار المشروعة في التشهد في الصلاة فله أصل يرجع إليه والدعاء في الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قول المصلاي اغفر لي ولوالديّ ومنع ذلك قوم بالقول وأجازوه بالإشارة ومنعه آخرون على الإطلاق وأجاز قوم أن يردّه في نفسه وقال قوم يردّ إذا فرغ من الصلاة وصل الاعتبار في ذلك قال تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا فجاء بالفاء فلا يجوز التأخير و لم يخص صلاة من غيرها فكل ذكر لله مشروع بدعاء أو غيره معين كتشميت العاطس وردّ السلام فإنه يجوز التلفظ به في الصلاة وغيرها إذا لم يكن واجباً فكيف والوجوب مقرون بردّ السلام وتشميت العاطس إذا حمد الله انتهى الجزء الثالث والأربعون.

الجزء الرابع والأربعون

تكملة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل فصل القضاء

اتفق المسلمون على وجوبه على الناسي والنائم واختلفوا في العامد والمغمى عليه والذي أذهب إليه أن الناسي والنائم وجب على كل واحد منهما أداء الصلاة التي نام عنها أو نسيها فإن أراد الفقهاء بالقضاء وجوب الصلاة عليه كما يريدون بالأداء فيه أقول وإن أرادوا به الفرقان بين من أدّاها في الوقت المعلوم المخاطب به اليقظان الذي يعصي العامد لتركها فيه وبين أدائها في وقت تذكر الناسي ويقظة النائم بالقضاء فلا بأس وإن أرادوا بالقضاء خلاف ما ذكرناه وأ،ه غير مؤدّ للصلاة وأنه صلاها في غير وقتها على خلاف صورة ما ذكرناه فلا أقول به فإن الناسي والنائم غير مخاطب بتلك الصلاة في حال نسيانه ونومه وما ذلك وقتها في حقهما فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ولولا أن الشارع جعل للناسي وللنائم وقتاً عند الذكرى واليقظة لسقطت تلك الصلاة عنهما مع خروج الوقت المعلوم لها عند المتيقظين الذاكرين كما تسقط عن المغمى عليه وصل الاعتبار في ذلك الناسي هو العارف بأنه ما في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله وأنه عين الوجود فيلزم صاحب هذا المقام من المعرفة بالله من الأدب مع الله ما تقتضيه هذه المعرفة وهو معلوم مذكور في هذا الكتاب وفي علم طريق الله فإذا نسي هذا العارف هذه المعرفة فهو عند الله بحسب ما ذكره وقرّره في حق ذلك إن خيراً فخير وإن شرّ فشرّ فإن الناسي قد يكون سبب نسيانه استفراغه في شغل محرّم أو في شغل مباح أو في شغل مندوب فيكون مأجوراً في نسيانه من حيث ذلك المندوب لا من حيث النسيان ويكون مأثوماً من حيث ذلك المحرّم ويكون معرى عن الأجر والوزر من حيث ذلك المباح فإذا تذكر هذا الناسي معرفته عاملها بما يقتضيه أدبها وتعين عليه فيما مضى من أحكامها وآدابها في حال نسيانه في حركاته وسكناته أن يحضرها في نفسه على الحد الذي يقتضيه معرفته فيها فإذا أحضرها أحضر في نفسه ما ينبغي لها من الآداب فذلك وقتها فإن لم يفعل آخذه الله بما كان فيها في حال نسيانه من سوء الأدب بسبب عدم استحضارها في وقت الذكرى فإن الله يقول "أقم الصلاة لذكري" وأما اعتبار النائم العارف هذه المعرفة فهو الذي حجبه النظر في طبيعته وما لها من الحكم فيه من غير نظر إلى مكوّنها وهو ضرب خاص من النسيان لأنه تارك للعمل أو غير موجود منه العمل المطلوب في تلك الحالة فإن كان نظره الذي هو نوّمه في حكم طبيعته من حيث ما تقتضيه حقيقتها لذاتها غير ذاكر ولا مشاهد لموجد عينها لم يؤاخذه الله بما نقصه من الأدب الذي يطلب به الحاضر مع معرفته فمتى استيقظ هذا النائم أحضر الحق في نفسه موجد العين تلك الطبيعة مع تقرير حكمها التابع لوجود عينها كالأحوال فيتأدّب بالحضور الذي يليق بتلك المسئلة مع الله فيكون بمترلة من لم ينم في ذلك الاستحضار فإن لم يفعل عوقب من كونه لم يستحضره لا من كونه كان قد نام عنها فإن كانت الأسباب الموجبة لنومه أموراً كان حظه فيها على حكم وجه الشرع لها فيتعلق الإثم به من حيث ذلك السبب وحكم الشرع لا من حكم نومه أو يتعلق به الأجران كان حكم الشرع فيه الأجر من حيث ذلك السبب لا من حيث نومه سواء فهكذا ينبغي أن يكون نوم العارفين ونسيانهم في هذا

الاعتبار في المعرفة بالله فإن خطاب الشرع إذا تعلق بالظاهر كان اعتباره في الباطن وإذا تعلق خطاب الشرع بالباطن كان اعتباره في الظاهر فالعالم لا يزال ناظراً إلى الشارع بمن علق الحكم فيما جاء به في هذه المسئلة الخاصة هل بالظاهر مثل الحركات أو بالباطن مثل النية والحسد والغل وتمنى الخير للمؤمنين والظنّ الحسن والظنّ القبيح فحيث ما علق الشارع خطاب اللسان الظاهر به كان الاعتبار في مقابله أو في مقابل الحكم كالظنّ الحسن يقابله الظنّ القبيح ويقابله الفعل الحسن في الظاهر هذه مقابلة الموطن كفعل الخير مع الذميّ من كونه مقرّا بربه غير عارف بما ينبغي له.

وصل في فصل العامد والمغمي عليه

اختلف العلماء فيه فمن قائل إن العامد يجب عليه القضاء ومن قائل لا يجب عليه القضاء وبه أقول وما اختلف فيه أحد أنه آثم وأما المغمى عليه فمن قائل لا قضاء عليه وبه أقول ومن قائل بوجوب القضاء وهو الأحسن عندي فإنه إن لم تكتب له في نفس الأمر فريضة كتبت له نافلة فهو الأحوط فالقائلون بوجوب القضاء منهم من اشترط القضاء في عدد معلوم فقالوا يقضي في الخمس فما دونها وصل الاعتبار في ذلك أما العامد في ترك ما أمره الله به فلا قضاء عليه فإنه ممن أضله الله على علم فينبغي أن يسلم إسلاماً جديداً فإنه مجاهر وهذا لا يمكن أن يقع ممن أخذ علمه بالله عن ذوق وكشف وإنما يقع هذا ممن أخذ علمه بالله عن دليل ونظر فيقول الحركات والسكنات كلها بيد الله فما جعل في نفسي أداء ما أمرني بأدائه يقول وعلى الحقيقة فهو الآمر والسامع والمخاطب فهو على بصيرة والمخاطب تشقيه وتحول بينه وبين سعادته فتضره في الآخرة وإن التذ بها في الدنيا ولا يضر الله شيء وهذه مجاهرة بحق لا تنفع فلو كان عن ذوق وكشف منعته هيبة الجلال وعظيم المقام وسلطان الحال الذوقيّ أن يكون مثل هذا ويترك أداء حق الله على صحو فهو بمنزلة من يسب السلطان لعدم نظره إليه فإذا فاجأه حكمت الهيبة على قلبه فسارع إلى أمره فمثل هذا العلم لا ينفعه فإنه عن دليل كأعمى يمشي بعصا لا عن بصيرة كمن يقتدي ببصره في طريقه وأما اعتبار المغمى عليه فهو صاحب الحال الذي أفناه الجلال أو هيمه الجمال فلا يعقل فيكون الحق متوليه في تلك الغيبة في حسه بما شاء أن يجريه عليه وقد أقمت أنا في هذه الحالة مدّة و لم أخلّ بشيء من حركات الصلاة الظاهرة بالجماعة لعى أتم ما يمكن إماماً ولا علم لي بشيء من هذا كله فلما أفقت ورددت إلى حسي في عالم الشهادة أعلمني الحاضرون أنه ما فاتني شيء مما توجه علي من التكليف كما يتوجه على العاقل الذاكر ومن أهل طريقنا من لا تكون له هذه الحالة وهي حالة شريفة حيث لم يجر عليه لسان ذنب وحكى عن الشبليّ إنه كان يأخذه الوله ويردّ في أوقات الصلوات فإذا فرغ من الصلاة أخذه الوله فقال الجنيد حين قيل له عنه الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب فقد يمكن أن يكون الشبليّ في ذلك الوقت يصلي به وهو غير عالم بذلك وحكم الناس الحاضرون عليه بأنه مردود لما رأوه من أدائه الصلاة مثل ما اتفق لنا فقالوا بصورة الظاهر منه وهو في نفس الأمر لا علم له ومنهم من يرد وليس كلامنا إلا فيمن أخذ عن نفسه في وقت أداء فرض عليه في الظاهر وأمّا في غير ذلك الوقت فما هي مسئلتنا وأما الذين اشترطوا الخمس فما دونها لأنّ كل صلاة من الخمس أصل مغايرة للأخرى في الوقت وبعض الصفات فإذا انقضت الخمس كان ما بعد الخمس بصفة كل واحدة منهنّ فاعتبرهنّ لكونهنّ أصولاً وما قصر هذا الفقيه في مثل هذا فإنها حكمة بالغة لمن عرف الحقائق من هذا الطريق ومن عرف إن الحقيقة تقتضي أن لا تكرار لم يقل بذلك وهو الأصل الأوّل والعارف بحسب ما يفتح عليه في وقته.

وصل في فصل صفة القضاء

القضاء نوعان قضاء لجملة الصلاة وقضاء لبعضها أما قضاء الجملة فله صفة وشرط ووقت فأما الصفة فهي بعينها صفة الأداء فيما في نفس الصلاة من الأعراض فإن اختلفت الأحوال مثل أن يذكر صلاة نسيها في حال سفره في حال حضره وبالعكس فهذا معنى اختلاف الأحوال فمن قائل يقضي مثل الذي عليه ولا يراعي وقت الذكر ومن قائل يقضي أربعاً أبداً سفرية كانت أو حضرية ومن قائل يقضي أبداً فرض الحال أعني وقت الذكر فإن كان في سفر والذي نسبها حضرية قضاها سفرية وبالعكس وبه أقول فإن ذلك وقتها عندنا وصل الاعتبار في ذلك من رأى أن الحال له حكم في المقام قال بقولنا ومن رأى أن الحال لا حكم لها لأن الدنيا ليست بقوّة للحال عمل بحكم المقام فأدى مثل ما عليه ومن رأى أن المقام الذي هو فيه الأصل الذي يعتمد عليه ولا حكم لمقام آخر مع تداخل القمامات بعضها على بعض كالورع والزهد يجمعهما الترك والتسليم والتفويض والتوكل يجمع ذلك كله عدم الاعتراض في المقدور والرضى بحكم الله في وارد الوقت فيعمل بالأتم الأعم وهو الذي يقضي أربعاً أبداً والشارع إنما يعتبر الأحوال وعليها تتوجه الأحكام والذوات محال للأحوال تبعاً فزيد المختار الميتة عليه حرام وإذا اتصف زيد المختار بالاضطرار فالميتة له حلال وهو زيد بعينه وإنما اختلفت الأحوال فاختلفت الأحكام فلهذا يقضي الحضرية سفرية إذا كان حاله السفر في وقت الذكر ويقضي السفرية حضرية إذا كان حاله الحضر في وقت الذكر وصل في الشرط وأما شرطه الذي اختلف فيه فهو الترتيب واختلفوا في وجوب ترتيب القضاء في المنسيات من الصلاة مع الصلاة الحاضرة في وقت الذكر وترتيب المنسيات بعضها مع بعض إذا كانت أكثر من واحدة فذهب قوم إلى أن الترتيب واجب فيها في الخمس صلوات فما دونها وأنه يبدأ بالمنسيات وإن فات وقت الحاضرة حتى لو ذكرها وهو في نفس الصلاة الحاضرة فسدت عليه الصلاة التي هو فيها مع الذكرى وقال بعضهم بمثل هذا القول إلا أنهم رأوا وجوب الترتيب مع اتساع وقت الحاضرة واتفق هؤلاء على سقوط وجوب الترتيب مع النسيان وقال آخر لا يجب الترتيب ولكن إن كان في وقت الحاضرة اتساع فالترتيب حسن وصل الاعتبار في هذا الشرط الحكم عند المحققين للوقت لا لغيره وذكر المنسي له الوقت فالحكم له ولا اتساع للوقت عندنا فإنه زمن فرد وإنما الاتساع في بعض الأوقات المشروعة للأحكام واتساع الأوقات عند العارفين إنما هو مثلاً من كونها صلاة أو هيئة مخصوصة في عبادة فتلك الهيئة وذلك الاسم يصحبها دائماً في وقتها وفي تكرار تلك الصورة في أوقات متعدّدة فمن هنالك يقولون باتساع الوقت وهو أوقات ومن لم يكن من العارفين صاحب نفس قال باتساع الوقت وهم أهل الشرب والريّ والأوّل أعرف بالحقائق وأكشف لدقائق الأمور فإن التجليات والأحوال تختلف مع الأنفاس وما يعلم ذلك إلا القليل من العلماء بالله من أهل الله فإن الحس والطبع يحجبان العقل عما تعطيه مرتبته من النظر في دقائق الأمور ولطائفها وبسائطها وصل تنبيه هذه المسئلة ما ثم أصل يرجع إليه فيها فإن أوقات الصلوات المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب في القضاء إلا في الوقت الواحد الذي يكون بعينه وقتاً للصلاتين معاً وهذا يتصوّر في مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون له أصل يرجع إليه في نظره.

وصل في فصل القضاء الثاني

الذي هو قضاء بعض الصلاة

فلهذا الفوات سببان الواحد النسيان والثاني ما يفوت المأموم من صلاة الإمام اعتبار السببين أمّا النسيان فيعلم ما يقتضيه المقام الذي هو فيه مما ينبغي أن يعامله به فينسى بعض الوجوه مما يقدح فيما ينتجه من المنازل والكرامات والسبب الثاني هو أن يكون للإمام الذي هو الشرع المتبع فيه قول وحكم فما وصل إليه فإذا أخذ في تحصيل المقام وأكمله على حدّ ما علمه رأى نقصاً في نتيجته فطلب علم السبب فوجد نفسه قد ترك منه ما ينبغي له أن يستعمله و لم يكن له علم بذلك فعثر على حديث نبويّ أو آية من كتاب الله تعالى فإنه العمل بذلك فعمل على ذلك فصح له نتائج المقام فهذا بمنزلة ما فاته من صلاة الإمام كأبي يزيد البسطامي أوحشه السراج ليلة وكان حاله الورع فقال لأصحابه إني أجد في السراج وحشة فقالوا يا سيدنا استعرنا قارورة من البقال لنسوق فيها الدهن مرة واحدة فسقناه فيها مرتين فقال عرفوا البقال وارضوه ففعلوا وزالت الوحشة وكان رضي الله عنه في حال كان وقته التجريد وعدم الادخار فقال يوماً لأصحابه فقدت قلبي فاطلبوا البيت فوجدوا فيه معلاق عنب فقال رجع بيتنا بيت البقالين فتصدقوا به فوجد قلبه واتفق لشيخنا أبي مدين وكان وقته التجريد وعدم الادخار فنسي في جيبه ديناراً وكان كثيراً ما يترب منقطعاً في جبل الكواكب وكانت هناك غزالة تأتي إليه فتدرّ عليه فيكون ذلك قوّته فلما جاء إلى الجبل جاءت الغزالة وهو محتاج إلى الطعام فمد يده على عادته إليها ليشرب من لبنها فنفرت عنه ومازالت تنطحه بقرونها وكلما مد يده إليها نفرت منه ففكر في سبب ذلك فتذكر الدينار فأخرجه من جيبه ورمى به في موضع فقده ولا يجده فجاءت إليه الغزالة وآنست به ودرّت عليه.

وصل في فصل

المأموم يفوته بعض الصلاة مع الإمام

إذا دخل الإنسان والإمام قند هوى إلى الركوع فقال قوم إذا أدرك الإمام و لم يرفع رأسه من الركوع وركع معه فهو مدرك للركعة وليس عليه قضاؤها وهؤلاء اختلفوا في شرط هذا الداخل هل من شرط هذا الداخل أن يكبر تكبيرتين تكبيرة للإحرام وتكبيرة للركوع أو تجزيه تكبيرة الركوع وإن كانت تجزيه فهل من شرطها أن ينوي بها تكبيرة الإحرام أم ليس ذلك من شرطها فقال بعضهم تكفيه تكبيرة واحدة إذا نوى بها تكبيرة الإحرام وقال قوم لابدّ من تكبيرتين وقال قوم تجزيه تبكيرة واحدة وإن لم ينو بها تكبيرة الافتتاح وأما القول الثاني فذهب قوم إلى أنه إذا رفع الإمام فقد فاتته الركعة ما لم يدركه قائماً قاله أبو هريرة وقول ثالث وهو إذا انتهى الداخل إلى الصف الأخير وقد رفع الإمام رأسه و لم يرفع بعضهم فأدرك ذلك أنه يجزيه لأن بعضهم أئمة لبعض والذي أذهب إليه في ذلك أنه من راعى الركعة اللغوية قال من أدركه في حال الإنحناء ومن راعى الركعة الشرعية وهي القيام والانحناء والسجود قال إنه لم يدركه إذا لم يدركه قائماً في حال تكبيره ودخوله في الصلاة أعني هذا الداخل ومراعاة الركعة الشرعية أولى غير أن الشرع أيضاً قد سمى الانحناء ركوعاً كما هو في اللغة في قوله صلى الله عليه وسلم حين نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم يريد وقت الانحناء وبالجملة فهي مسئلة فيها نظر وكل ناظر بحسب ما أعطاه دليله الذي أداه إليه اجتهاده ومذهبنا في هذه المسئلة ما كملته على ما هو عندي لما فيه من الطول وما نعبد الله الناس بنظري فهو حكم يخصني

أعطانيه دليلي وصل الاعتبار في ذلك أمام العلماء بالله هو الحق سبحانه فإذا نزل إليهم في الطاقة الخفية بأوصاف البشرية من الفرج بهم والضحك لهم والتبشش لقدومهم عليه يريدون مناجاته في بيته يا عبدي يا عبدي إن شردت عني دعوتك إليّ بالحال وهو عبارة عن دخول وقت الصلاة بالقول وهو عبارة عن الأذان يا عبدي وإن عصيتني سترت عليك بأن سترتك عن أعين من وليته إقامة حدودي فيك وفي أمثالك فلم أواخذك وتحببت إليك بالنعم وجررت على خطيئتك ذيل الكرم فمحا آثارها كرمي ودعتك إليّ بالقدوم على نعمى فإن رجعت إليّ قبلتك على ما كان منك من يفعل معك ذلك مع غناه عنك وفقرك إليه غيري فهذا من الحق بمنزلة الركوع من العبد فإذا فات المصلي أن يدرك من الحق مثل هذا كما فاته أن يسمع قول الحق في صلاته حمدني عبدي وأثنى عليّ عبدي ومجدني عبدي وفوّض إليّ عبدي بسمعه لا بإيمانه وتملق العبد لمولاه وتحبب إليه وعرف أنه ما نزل إليه سبحانه هذا التزول إلا لسر خفي أبطنه فيه فيتزهه العبد عن كل ما نزل فيه إليه بأن يقول سبحانك لييس كمثلك شيء ولهذا أمر العبد بالتتريه في الركوع ليقابل بذلك نزول الحق إليه بمثل ما ذكرناه من كونه سبحانه يصلي علينا فيتزلنا في صلاته علينا على ثلاث مراتب المرتبة الواحدة أن يجعلنا في صلاته علينا كالوطاء الذي نصلي عليه والثانية أن يصلي علينا صلاتنا على الجنازة والثالثة كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولكل نوع طائفة معينة لها حال معين فإنه سبحانه قد ذكر أنه يصلي علينا فقال هو الذي يصلي عليكم وملائكته كما قال فجمع بينه وبين ملائكته في الصلاة على نبيه فقال هو الذي يصلي عليكم وملائكته يصلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا بصلاتنا عليه صلوا عليه وقد أمره بالجزاء فقال وصل عليهم إنّ صلاتك سكن لهم فما أعجب القرآن لمن تدبر آياته وتذكر فينبغي للعبد أن يكون بين يدي الحق عند صلاته عليه كالجنازة ميتاً لا حراك له ولا دعوى وهو في قبلة ربه فإن وافق ركوع العبد نزول الحق إليه بمثل قوله قل كل يعمل على شاكلته فقد أدرك الركعة ومن لم يقابل نزول الحق بركوعه عند هذا التزول الإلهيّ بالاسم الكريم إليه فما أدرك الركعة لغوية كانت أو شرعية فإن اعتباره في إدراكه قائماً قبل أن يركع يعني قبل أن ينحني فهو قيامه بمصالح عباده ونظره لهم في قيامه بهم فإنه القائم على كل نفس بما كسبت بعين الرحمة فيرزقهم ويحسن إليهم وهم به مشركون وكافرون وقل عن الأدباء ما شئت ويدعوهم وهم عنه معرضون وعلى هواهم الذي اتخذوه إلهاً مقبلون وكذلك في السجود في مذهب من يرى الكرعة المعتبرة للشرع إنها القيام من قيامه والانحناء من حنوّه على عباده باسمه الحنان بما ذكرناه والسجود الإلهيّ وهو أعظم التزول الإلهيّ الذي أنزل الحق فيه نفسه مترلة عبده وهو قوله "مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني وأكثر من هذا التزول الإلهي فلا يكون ثم فسر ذلك بأنّ فلاناً مرض وفلاناً جاع وفلاناً ظمىء فأنزل نفسه منازلهم في أحوالهم وأضاف ذلك إليه في كنايته عن نفسه بهذه الأحوال فمن أدرك ذلك كله من الحق في صلاته فقد أدرك الركعة الإلهية من حيث أنّ الحق إمامه فيقابله العبد بما يستحق هذا الإنعام الإلهيّ من الشكر بالثناء بأوصاف السلب والتتريه والكبرياء والعلوّ والعظمة والجبروت فهذه هي الركعة المشروعة والخلاف في هذه المسئلة يؤول إلى اختلاف العلماء في الأخذ ببع1ض دلالة الأسماء أو بكلها فقد يسمى بعض الركعة ركعة كما يسمى كلها بجميع أجزائها ركعة كما يقال في أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم في غسل الذكر فمن غسل رأس ذكره أجزاه فإنه ينطلق عليه اسم الذكر فيقال في اللسان فيمن غسل رأس ذكره أنه غسل ذكره وإن لم يعمه كغسل اسم اليد.

وصل في فصل مما يتعلق بهذا الباب

إذا سها المأموم عن اتباع الإمام في الركوع حتى يسجد فقال قوم إذا فاته إدراك الركوع معه فقد فاتته الركعة ووجب عليه قضاؤها وقال قوم يعتد بالركعة إذا أمكنهأن يتم من الركوع قبل أن يقوم الإمام إلى الركعة الثانية وقال قوم يتبعه ويعتدّ بالركعة ما لم يرفع الإمام رأسه من الانحناء من الركعة الثانية وهذه الأقوال المختلفة تنبني عندي على مفهومهم من قوله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه الحديث فهل من شرط المأموم أن يقارن فعله فعل الإمام أو ليس من شرطه وهل هذا شرط في جميع أجزاء الركعة المشروعة الثلاثة وهو القيام والانحناء والسجود أم إنما هو شرط في بعضها وإذا كان الإمام في فعل جزء من أجزء الركعه والمأموم في جزء آخر وقد قال لا تختلفوا عليه فهو اختلاف عليه فهو اختلاف عليه وهذا الحديث إذا حققه الإنسان مع أحاديث أخر معلومة في هذه المسئلة عينها فإنه يبدو له أن كل قول في هذه المسئلة مما حكيناه له متعلق فجميع أقوالهم مشروعة وإن اختلفت فالحمد الله الذي جعل في الأمر سعة وصل الاعتبار في ذلك سهو العبد عن اتباع الحق فيما أمره به ونهاه عنه أو فيما ينبغي أن يتأدب به معه في مقابلة العامه وإحسانه شكراً مؤثر في إبطال ما فاته من علم ما كان يحصل له من تجليه في ذلك القدر الذي فاته واختلف أصحابنا في هذه المسئلة على ما نذكره فقال قوم إذا فاتتك نظرة واحدة من الحق في وقتك وقد كنت تشهده قبل ذلك مستصحبا من وقت معرفتك به الذوقية وكان ما فاتك منه في نظرة وقتك أكثر مما نلته مما تقدم إلى وقتك وأنا أذكر ما االسبب في ذلك وهو أن كل نظرة تكون من العبد إلى الحق في تجليه له تتضمن معرفة كل نظرة ولذلها مما تقدمتها وتزيد على ذلك.بما تعطيه حقيقة نظرة الوقت فقد فاته خير كثير فعليه قضاء ما فات ليحصل له هذا العلم ووقع لهم في هذا غلط كبير من حيث لا يشعرون وذلك أن المصلي إذا فاته مع الإمام ما فاته فما أدرك فهي أول صلاته ويتم على ما هي الصلاة المشروعة وما عندنا قاض إلا إذا كان القضاء.بمعنى الأداء فهو صحيح وأما غلط أصحابنا فإن الذي تقدم هذه النظرة الوقتية من نظرات التجلي فهي هنا بحكم التبعية لهذه النظرة وكل نظرة في وقتها في عين سلطانها وأين تصرف الشيء في ملكه من تصرفه في ملك غيره فافهم ثم نرجع ونقول وقال قوم من أصحابنا بأن هذا التجلي الذي هو فيه يتضمن ما فاته وما ناله فيعتد.بما أدركه فإنه يناله والذي أذهب إليه هو ما ذكرناه من أن إدراك الأمر بحكم التضمن ما هو مثل إدراكه بحكم التصريح ومشاهدة العين فإن الواحد الذي هو سلطان الوقت هو إدراك تفصيلي عيني له ذوق خاص ولآخر المضمن إدراك إجمالي غير عيني فله ذوق آخر متميز عن ذوقه في وقته أين الرؤيه لصاحب الورث الموسوى منا وإن كان من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم من الرؤية المحمدية من المحمدي الخالص مع كونها تتضمن الرؤية الموسوية لكنها هنا تبع وفي زمان سلطانها شيء آخر فتتفاضل الورثة في الميراث بحكم طبقاتهم فمن الورثة من يحوز المال كله والوارث النصف والربع والثمن والثلث والسدس إلى غير ذلك فالجامع بين الإدراكين كل إدراك في مقامه لا يساوي ولا يماثل المدرك لأحدهما دون الآخر من الطرفين فإن الذائق العسل على حدة ثم يذوقه قي شراب التفاح مثلاً فقد أدركه ذوقاً في الحالين ولكن يجد فرقاناً بين الذوقين بلا شك وأين حكمه شراباً أو شراب تفاح.

وصل في فصل إتيان المأموم بما فاته

من الصلاة مع الإمام هل هو قضاء أو أداء على اصطلاح الفقهاء

فإن قلت فهل إتيان المأموم بما فاته من الصلاة مع الإمام قضاء أو في الظاهر قلنا في الجواب أن الشارع المقرر فيه ثلاث مذاهب مذهب أن ما يأتي به بعد سلام الإمام فهو قضاء وإن ما أدرك مع الإمام ليس هو أول صلاتة ومذهب آخر أن الذي يأتي به بعد سلام الإمام فهو أداء وإن ما أدركه مع الإمام هو أول صلاتة وبه أقول ومذهب ثالث فرق بين الأقوال والأفعال فقال يقضي في الأقوال يعني في القراءة ويكون مؤدياً في الأفعال فمن أدرك ركعة من صلاة المغرب على المذهب الأول أعني مذهب القضاء قام إذا سلم الإمام إلى ركعتين يقرأ فيهما بأم القرآن وسورة ولا يجلس بينهما وعلى المذهب الثاني يقوم إلى ركعة واحدة يقرأ فيها بأم القرآن وسورة يجهر فيها ويجلي ثم يقوم إلى ركعة يقرأ فيها بأم القرآن سراً فقط وعلى المذهب الثالث يقوم إلى ركعة يقرأ فيها بأم القرآن وسورة ثم يجلس ثم يقوم إلى ركعة ثانية يقرأ فيها بأم القرآن وسورة وهذه المذاهب الثلاثه قد وردت في الحديث ورد في الخبر فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا والإتمام يقتضي أن يكون ما أدركه وهو أول صلاته وفي رواية فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا والقضاء يوجب أن يكون ما أدرك فهو آخر صلاته وممن استعمال الحديثين أعني الروايتين وجمع بين القضاء والأداء فقال يقضي في الأقوال ويكون مؤدياً في ذلك الأفعال كما بيناه قبل وصل اعتبار في هذا الفصل من اعتبر الحكم للاسم الإلهي الذي هو سلطان الوقت وصاحبه فلا يخلوان كان هو عين ذلك الاسم الذي له حكم تلك الصلاة كلها من أولها إلى آخرها في حق الإمام والمأموم فإنه مؤد بلا شك فإن ذلك الإسم لا ينفصل عن حكم وقته بسلام الإمام بل حتى يسلم وينفصل كل من كان حكم الإمام فان تلك الحالة من ذلك الاسم تستصحب لهذا الذي فاته ما فاته ولو أدركه في آخر جلوس في صلاته ومن اعتبر الحكم للاسم الذي يعطي الركوع وهو غير الاسم الذي يعطي القيام والقراءة وكل حركة في الصلاة لها اسم إلهيّ مخصوص وإن شاركه اسم آخر أو أسماء أخر إلهية قال القضاء ومن اعتبر حكم الاشتراك بين الاسماء في الصلاة وإنّ لكل اسم فيها نصيباً قال يؤدي في كذا ويقضي في كذا يأخذ من تجلى الاسم الفلاني ما يعطيه من المعارف ومن الاسم الآخر ما يعطيه من العلوم وبالذوق في ذلك تتميز الأشياء عند العارفين "والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع أنه لقول فصل وما هو بالهزل" وليس جهول بالأمور كمن درى فألق سمعك وأحضر بكلك عسى أن تكون من أهل التحصيل فتكون من المفلحين

وصل في فصل حكم سجود السهو

اختلفوا في سجود هل هو فرض أو سنة فمن قائل أنه سنة ومن قائل أنه فرض لكن ليس هو من شرط صحة الصلاة وفرّق مالك بين سجود السهو في الأفعال وبين السجود للسهو في الأقوال وبين الزيادة والنقصان فقال سجود السهو الذي يكون للأفعال الناقصة واجب وهو عنده من شروط الصلاة وصل في اعتبار هذا الفصل لما كان السهو سببه الشك أو النسيان والمطلوب اليقين فلا يعبد الله إلا من كان على بينة من ربه أزكاها وأعدلها وأقواها الإيمان الذي يجده المؤمن بربه في نفسه مما لا يقدر على دفعه ودونه في القوة والطهارة ما هو مبناه على الأدلة النظرية فإن انضاف إلىالمؤمن أو إلى صاحب النظر الكشف كان أقوى من كل واحد من الإثنين على انفراد بلا شك وهذا لا يدخله سهو في صلاته وصاحب النظر إلى نفسه وحده هو الذي يدخله السهو وكذلك المؤمن المتزلزل فسجود السهو عليه فرض واجب وهو أنه يرجع في النظر إلى نفسه وفقره وإمكانه وعجزه ليستدل بذلك على معبوده

وغناه ووجوب وجوده ونفوذ اقتداره فإن في ذلك العلم ترغيماً للشيطان الذي ألقى إليه الشك في علمه أو عبادته ولما كانت الصلاة مناجاة الحق وشهوده وقد قيل له اعبد الله كأنك تراه وقيل له أن الله في قبلة المصلى فإذا توجه في صلاته وقيد الحق بجهة الاستقبال كما قيل له إلا أنه أخلاه عن الإحاطة به ومثلله كالشخص القائم ينظر إليه ويناجيه في قبلته فقدسها عمما يجب للإله من الإحاطة به والإطلاق عن التقييد وهو الذي أيضا سماه الشرع بقوله ليس كمثله شيء فينبغي لمن هذه حالته أن يسجد لسهوه وهو أن يرد ذلك التشبيه والتخيل والتصوير إلى نفسه وهو السجود ويقول سبحان ربي الأعلى ثلاثا واحدة لحسه والثانية لخياله والثالثة لعقله فيترهه عن أن يكون مدركا لحسه فيتقيد به أو لقيد خياله أو بقيد عقله فذلك ترغيم للشيطان

وصل في فصل في مواضع سجود السهو

فمن قائل أن موضعه أبدا قبل السلام ومن قائل بعد السلام أبدا ومن قائل أن كان النقصان فقبل السلام وإن كان لزيادة فبعد السلام ومن قائل يسجد قبل السلام في المواضع التي سجد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام ويسجد بعد السلام في المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام فما كان من سجود في غير تلك المواضع فإنه يسجد قبل السلام ومن قائل لا يسجد للسهو إلا في المواضع الخمسة التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وأما غير ذلك فإن كان فرضا أتى به وإن كان ندبا لم يكن عليه شيء والذي أقول به واذهب إليه أن المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها فما سجد له قبل السلام يسجد له قبل السلام وما سجد له بعد السلام يسجد له بعد السلام وأما غير ذلك مما سها فيه المصلي تفهو مخير إن شاء سجد لذلك قبل السلام وإن شاء سجد له بعد السلام وصل اعتبار هذا الفصل قال الله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد فإن قدّم نظره لله على نظره لنفسه فيما سها فيه كان كمن سجد قبل السلام وهو مقام الصديق ما رأيت شيئا ألا رأيت الله قبله نظره في نفسه على نظره في ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه كان كمن سجد بعد السلام وهو مقام من قال ما رأيت شيئا ألا رأيت الله بعده وهو مقام أصحاب الأدلة العقلية على وجود الصانع أي ما رأيت شيئا ألا وكان لي دليلا على الله فهو يتقلب في الأدلة دائما وأما الزيادة والنقصان فهو للعقل ما نقصه من حيث فكره من علمه بربه مما لا يستقل بدركه مما وصفه به الشارع بعد ذلك و لم يكن العقل يدل على أن ذلك الوصف يستحقه جلال الله بل كان يحيله عليه معنى وإطلاقا وأما الزيادة فما يحكم به الخيال على ربه من التقييد والتحديد من غير اعتقاد تتريه فيما قيده به وحدده فهذا سهو الزيادة وذاك سهو النقصان فإن الله يقول ليس كمثله شيء من هذه الآية هو دليل العقل وهو السميع البصير هو دليل السمع فجمع معتقد هذا بين الدليلين السمعي والعقلي وأما المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي خمسة شك فسجد 1 وقام من اثنتين و لم يجلس فسجد 2 وسلم من اثنتين فسجد 3 وسلم من ثلاث فسجد 4 وصلى خمسا ساهيا فسجد 5 واختلف الناس في سجوده هل سجد للزيادة والنقصان أو لسهو فمن قائل لسهوه ومن قائل للزيادة والنقصان والذي أقول به أنه سجد لهما السجدة واحدة لسهوه والثانية للزيادة والنقصان فكان للنقص إتماما وكان للزيادة خيرا نور على نور

وصل في فصل الأفعال والأقوال

التي يسجد لها القائلون بسجود السهو

اتفق العلماء على أن السجود يكون عن سنن الصلاة دون الفرائض ودون الرغائب فالرغائب لا شيء عندهم فيها إذا سها عنها المصلي في الصلاة ما لم تكن أكثر من واحدة وأما الفرائض فلا يجزى عنها إلا الإتيان بها وجبرها إذا كان السهو عنها مما لا يوجب إعادة الصلاة بأسرها وأما سجود السهو للزيادة فإنه يقع عند الزيادة في الفرائض والسنن جميعا فهذه الجملة لا خلاف بينهم فيه وكل ما يقول فيه علماء الشريعة مستحب فذلك هو المرغب فيه وما عداه فهو سنة أو فرض والسنة والرغيبة عندهم من باب الندب ويختلف عندهم بالأقل والأكثر في تأكيد الأمر بها وذلك بحسب قرائن أحوال تلك العبادة حتى أن بعضهم يرى في بعض السنن ما إذا تركت عمدا إن كانت فعلا أو فعلت عمدا إن كانت تركا أن حكمها في الأثم حكم الواجب مثل لو ترك الإنسان الوتر أو الفجر دائما كان آثما فأما الجلسة الوسطى فاتفقوا على سجود السهو لتركها واختلفوا في الجلسة الوسطى هل هي فرض أو سنة واختلفوا هل يرجع الإمام إذا سبح به إليها أو ليس يرجع وإن رجع متى يرجع فقال الأكثر يرجع ما لم يستو قائما وقال قوم يرجع ما لم تنعقد الركعة التي قام إليها وقال قوم تبطل وصل الاعتبار في هذا الفصل فروض العبادات الحضور مع الحق عند الشروع فيها وسنن العبادات حضور المكلف فيها من حيث ما هو مكلف والرغائب فيها حضور فنائه فيها بتولي الحق أحكامها في جميع أفعالها فمنن سها عن الفرائض لم تصح العبادة و لم تجبر إلا بها لا بسجود السهو وقد بينت لك ما معنى اعتبار سجود السهو ومن سها عن السنن سجد لها سجود السهو ومن سها عن الرغائب فهو مخير إن شاء سجد وإن شاء لم يسجد وأما الجلسة الوسطى فقد تكلمنا في اعتبارها في فصل واحد مع السجدة الآخرة فيما تقدّم فأما سجود السهو لها فإن السجدة الأولى لسهوه والأخرى للنقص والجلوس لجبر عينها فأشبهت الفرائض التي تجبر بعينها بسجود السهو

وصل في فصل صفة سجود السهو

فقال قوم إذا كانت بعد السلام فيتشهد فيها ويسلم منها وقال قوم إذا كانت قبل السلام يتشهد لها فقط وإن السلام من الصلاة هو سلام منها وقال قوم ممن يرى القبلية للنقصان والبعدية للزيادة أنه لا يتشهد للتي قبل السلام وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سلم من سجود بعد السلام و لم يثبت التشهد في السهو وإن كان قد روى وصل الاعتبار في هذا الفصل أما قبل السلام فالسلام من الصلاة والتشهد يغني عن تكراره مثل الطواف والسعي أعني طواف القدوم للقارن فإن العمرة تطلب طوافا وسعيا والحج يطلب مثل ذلك وفي مذهب من يرى أنه يجزىء من ذلك طواف واحد وسعي واحد ومن لا يرى ذلك ويرى أن الواجب عليه طوافان وسعيان يرى التشهد والسلام ولكن صاحب هذا المذهب لا يصح أن يقول بالفرق بين الزيادة والنقصان كما أن صاحب المذهب الأول لا يصح أن يقول بالسجود بعد السلام إنما وقع الترغيم للشيطان في ذلك لكونه شرع للسهو السجود دون غيره من أفعال الصلوات لكونه أمر بالسجود فلم يسجد لسهوه فإنه ثبت في الخبران أن الإنسان إذا سجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار فالإنسان في حال سجوده محفوظ من الشيطان أن يقربه ولو اقترب منه

الشيطان في سجود سهوه لسها في سجود سهوه في حال سجوده وكان يتسلسل الأمر ولهذا لم يرد شرع فيمن سها في سجود سهوه ولو وقع فليس من الشيطان وإذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له إلا إذا كان السهو من فعله فالسهو لا يلزم أن يكون ولا بد من فعل الشيطان وإنما سببه غيبوبة المصلي عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو وأسباب الغيبة عن عقل المصلي نفسه في أي جزء هو من صلاته كثيرة فمنها شيطانية ومنها غلب مشاهدته عليه تقتضيها آية من كتاب الله في توحيد أو حكم من أحكام الدين أو جنة أو نار أو ما يستلزم إحداهما فإذا كانت من الشيطان كان سجوده لسهوه ولهذا يستحب لكل مصل أن يسجد بعد كل صلاة سجدتي السهو إذ كان الإنسان لا يخلو أن يغيب لحظة في نفس صلاته عن كونه مصليا فما زاد فيكونن في ذلك واستحسنته منهم وإن اختلفت المقاصد فهو ترغيم للشيطان على كل حال قال ابن المنذر في هذه المسئلة اختلف العلماء فيها على ستة أقوال فمن قائل لا تشهد فيها ولا تسليم وبه قال أنس والحسن وعطاء ومن قائل فيها تشهد وتسليم وبالقولين أقول غير أني أقول أن التشهد والتسليم فيها ولا بد إلا أنه إذا كان السجود قبل السلام اكتفى بتشهد الصلاة والسلام منها عن تشهد السهو والسلام منه كالقارن وإذا كان بعد السلام تشهد وسلم ومن قائل فيها تشهد دون تسليم وهو قول الحكم وحماد والنخعي ومن قائل فيها تسليم وليس فيهاتشهد وهو قول ابن سيرين ومن قائل إن شاء تشهد وسلم وإن شاء لم يفعل قاله عطاء ومن قائل إن سجد قبل السلام ولم يتشهد وإن سجد بعد السلام تشهد وهو قول ابن حنبل قال ابن المنذر قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كبر فيها أربع تكبيرات وأنه سلم وفي ثبوت التشهد نظر انتهى الجزء الرابع والأربعون

الجزء الخامس والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل سجود السهو لمن هو

اتفق العلماء على أن سجود السهو إنما هو للإمام وللمنفرد واختلفوا في المأموم يسهو هل عليه سجود أم لا فالجماعة أنه لا سجود عليه ويحمل عنه الإمام وقال مكحول يسجد المأموم لسهوه وبه أقول فإنه ما رأينا أن الشارع فرق بين الإمام والمأموم حين ذكر سجود السهو وإنما ذكر المصلي خاصة و لم يخص حالا من حال الاعتبار في هذا الفصل ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تجزي نفس عن نفس شيئا وكل نفس بما كسبت رهينة فإذا بحثت عن كشف هذاالمعنى علمت أن الإمام لا يحمل سهو المأموم وإن مكحولا كحل عينه في هذه المسئلة بكحل الإصابة فانجلى عين بصيرته والله الموفق لا رب غيره

وصل في فصل المأموم يفوته بعض الصلاة وعلى الإمام سجود سهو متى يسجد المأموم

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يسجد مع الإمام ثم يقوم لقضاء ما عليه وسواء سجد الإمام قبل السلام أو بعده ومن قائل يقضي ثم يسجد ومن قائل إذا سجدهما قبل التسليم سجدهما معه وإذا سجد بعد التسليم سجدهما بعد أن يقضي ومن قائل يسجدهما مع الإمام إما أن يسجدهما قبل السلام فيسجدهما معهه فإذا سلم الإمام قام لقضاء ما عليه وإن سجدهما الإمام بعد السلام فلا يتبعه ويقوم لقضاء ما عليه ولا سجود عليه لسهو الإمام وإن سجد هذا المأموم بعد القضاء فهو أحوط بل استحب لكل مصل إن يسجدهما بعد القضاء كل صلاة يصليها دائما منفردا أو خلف إمام بعد السلام وإن علم المأموم بسهو الإمام فلا يخلو إما أن يكون سهوه فيما فات هذا المأموم أو فيما أدرك معه من الصلاة فإن سجد قبل السلام اتبعه وإن سجد بعد السلام يقضي ما فاته ثم يسجد إلا أن يكون سهو الإمام فيما سهى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أدركه معه هذا الداخل فإنه يتبع الإمام في سجوده قبل السلام وبعده وحينئذ يقوم لقضاء ما عليه وصل الاعتبار في هذا الفصل يلزم الائتمام بالإمام ما دامم يسمى إماما فإذا زال عنه اسم الإمام لم يلزم اتباعه وإمامة الرسول لا ترتفع فالأتباع لازم ومحبة الله لمن اتبعه لازمة بلا شك يقول الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقيل له قل فاتبعوني يحببكم الله وإذا أحب الله عبده كان جميع قواه وجوارحه وهو لا يتصرف إلا بقواه وجوارحه فلا يتصرف إلا بالله فيكون محفوظ التصرف في حركاته وسكناته ثم لتعلم أنه من جهة اتصافه بها تكليف المكلف فقد زال عنه إما بالكلية وأما بالتعليق عند جيمع الفقهاء وعندنا ليس كذلك لأنه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع ممن غلب عليه الحال أو الجنون أو النسيان أو النوم أو الذي لم يبلغ حد الحلم فلم يخرج أحد من هؤلاء عن حكم الشرع فإنه قد شرع لكل صاحب حال وصفة حكما إما بالإحاطة أو غير ذلك من أحكام الشرع لأنه لا يخلو عن حكم مشروع لصاحب تلك الحال فما ثم إلا مكلف فما ارتفع التكليف فإن هؤلاء الذين تقول فيهم الفقهاء قد ارتفع عنهم خطاب نالشرع لم يرتفع فإن الشرع قد أباح له التصرف فيما يقتضيه طبعه كالحيوان ولا حرج عليه في ذلك فكيف يقال زال عنه حكم الشرع والشرع قد حكم له

بالإباحة كما حكم للعاقل البالغ بالإباحة فيما باح له فإن االحكم في الأشيا للشرع لا للعقل والشرع هو حكم الله في الأشياء وما ثم شيء خرج عن حكم الله بأمر ما هذا انظر أهل الله لأنهم لا يزالون في كل نفس حاضرين مع الله وأحكام الشرع وإن تعلقت بالأعيان فإنها مبينة على الأحوال فما خوطب عين بأمر ما إلا لحال هي عليه لأجل ذلك الحال خوطب بما خوطب به لا لعينه فإن العين لا تزال باقية والأحوال تتغير فيتغير حكم الشرع على العين لتغير الحال فحال الطفولة والإغماء والجنون وغلبة الحال والفنا والسكر والمرض للشرع فيها أحكام كما لحال الرجولة والإفاقة والصحة والبقاء والصحو وعدم غلبة الحال للشرع فيها أحكام فحكم الشرع سار في جميع الأحوال لمن عقل سريان الحق في وجود الأعيان

وصل في فصل

التسبيح والتصفيق من المأمومين لسهو الإمام

فقال قوم التسبيح للرجال والنساء وقال آخرون التسبيح للرجال والتصفيق للنساء وبه أقول وإليه أذهب للخبر الوارد فيه نوصل الاعتبار في هذا من اعتبر الإنسانية الحق النساء بالرجال كما ألحقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجال في الكمال ومن اعتبر الذكورة والأنوثة وقول الله تعالى وللرجال عليهم درجة وغلب الفاعل على المنفعل فرق بين الرجال والساء فجعل التسبيح للرجال والتصفيق للنساء فإن كلام المرأة يثير الشهوة بالطبع ولا سيما أن كان في كلامها خضوع وانكسار وفي خيال السامع أنها أنثى وفي قلبه مرض والله قد نها هن نعن الخضوع في القول فقال ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ففي هذه الآية إباحة كلام النساء الرجال على وصف خاص ولا شك أن المصلي في حال مناجاة ربه فإذا سبحت المرأة به حيف عليه الميل الطبيعي الخيالي إليها فهو مع التصفيق لا يؤمن عليه فكيف مع الكلام فالعارف هنا مع ما يعتبره مع الحق في مناجاته فإما أن يناجيه بعقله وإما بنفسه وطبعه وهو بحسب قوته فإن كان صحيحا قويا فلا يبالي بما وقعت المناجاة فيستوي عنده الرجال والنساء وإن عرف نفسه نأن فيها بقية من ذاتها وعندها مرض فرق بين عقله وطبعه حتى يتخلص هكذا هو نظر أهل الله في نفوسهم عرف نفسه أن فيها بقية من ذاتها وعندها مرض فرق بين عقله وطبعه حتى يتخلص هكذا هو نظر أهل الله في نفوسهم

وصل في فصل سجود السهو لموضع الشك

اختلف العلماء فيمن شك في صلاته فلم يدركم صلى واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا فمن العلماء من قال يبني على اليقين وهو الأقل ولا يجزيه التحري ويسجد ومنهم من قال إن كان أول أمره فسدت صلاته وإن تكرر ذلك منه تحري وعمل على غلبة الظن ثم يسجد سجدتين بعد السلام وقال قوم أنه ليس عليه إذا شك لا رجوع إلى يقين ولا تحر وإنما عليه السجود فقط إذا شك والذي أذهب إليه في هذه المسئلة هذا القول الأخير وإن كان البنيان على اليقين أحوط وصل في اعتبار هذا الفصل الخاطر الأول إذا عرفه الإنسان اعتمد عليه والشك هو التردد بين أمرين أو أمور من غير ترجيح وغلبة الظن الميل بالترجيح لأحد المشكوكين من غير قطع وليس له رجوع لا إلى يقين ولا إلى غلبة ظن فإن الحكم الصاحب الوقت وهو الشك وكما يلزم المحذور فيما نقص من فعل العبادة كذلك يلزم في الزيادة فإنه شرع لم يأذن به الله والسجود إنما خوطب به الشاك فلو أن الذي يبني على يقين يزول عنه الشك كان

حكمه حكم من لم يشك وأمنا في الزيادة في تلك العبادة فالذي شرع ذلك العمل هو الذي شرع السجود للشك فما خوطب بالسجود من تيقن ولا من غلب على ظنه فمن شك في دليل عقله في معرفة ربه وفي دليل سمعه المعارض دليل عقله في معرفة ربه فلم يثق بأحد الدليلين لأنه لم يترجح عنده أحد الدليلين فإنه لا يقدر أن يرفع عن نفسه صدق الخبر المتواتر الذي عارضه دليل عقله في علمه بما ينبغي لجلال الله من التتريه في دليل عقله و لم يقدر أن يدفع عن نفسه لإيمانه ما وصف الحق نفسه بما ينبغي له عند هذا المؤمن لورود النص المتواتر به فلولا أنه ابتغى له ما ورد به الخبر النبوي الذي يوجب القطع وتعارض الدليلان و لم يجد وجهاً للترجيح ولا للجمع فهذا هو الشاك فليسجد سجدتي السهو إذ سهى عن العمل بالإيمان من غير نظر في الدليلين ويفرغ المحل ويخليه وهو القلب ويحليه بصدق التوجه وهو السجود لهذا الموصوف بالنقيضين والسجود محل القربة من الله ومحل بعد الشيطان منه فإنه يعتزل من العبد في حال سجوده وهو في حال سجوده صاحب شبهة فلا بد بعمله على الأيمان أن ينقدح لمن هذه الصفة صفته في قلبه علم بالله لم يكن عنده يرفع عنه الشك بأن يعطيه ذلك العلم إما الجمع بين الدليلين وإما الترجيح بالعثور على فساد ما يناقض الأيمان من أحد الدليلين ويعثر على الشبهة التي أوجبت التعارض قال الله تعالى " واتقوا" هنا بسجدتي السهو "ويعلمكم الله" هنا الجمع بين الدليلين المتعارضين أو الترجيح أو إبطال أحد الدليلين.

وصل في فصل

ما هو من الصلاة فرض على الأعيان

وما ليست بفرض على الأعيان

اعلم أن من الصلاة ما هي فرض على الأعيان وهي ما تكلمنا فيها فيما مضى من هذا الباب ومنها ما ليست بفرض على الأعيان فمنها ما هي سنة ومنها ما هي فرض على الكفاية ومنها ما هي نفل والذي أبذهب إليه أنه ما ثم فرض إلا الصلوات الخمس وما عداها ينبغي أن يسمى صلاة تطوّع كما سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر الوارد في حديث الأعرابي نظر عندي إذ قال الأعرابي يا رسول الله هل علي غيرها قال "لا إلا أن تطوع" يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم لا إلا أن تطوع بصلاة فتلزمك لزوم الفرائض فإن قوله هل على غيرها يعني من عند الله ألزمنيها ابتداء والصلاة إذا تطوعت بها مثل النذر ألزمك الله الإتيان بها بإلزامك نفسك إياها ثم إن هذه صلاة التطوّع للشرع فيها أحوال مختلفة أدّى ذلك الاختلاف إلى أن يجعل لها أسماء مختلفة لتعرف بها وجملتها فيما أحسب عشرة الوتر وركعتا الفجر والنفل وتحية المسجد وقيام رمضان والكسوف والاستسقاء والعيدان وسجود القرآن عند من يجعله صلاة فإذا فرغنا من هذه العشرة واعتباراتها سقنا صلاة الجنائز وصلاة الاستخارة وغير ذلك مما يسمى في الشرع صلاة وإن لم يكن فيها ركوع ولا سجود ولا إحرام ولا تسليم كالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المأمور بها شرعاً مترلاً وحكمة ذلك وصل الاعتبار الصلاة تقتضي العبودية ولما انقسمت الصلاة إلى قسمين كما قدّمنا إلى ما هو فرض أعيان وإلى ما ليس بفرض انقسمت العبودية إلى قسمين عبودية اضطرار وبها أصلي فرائض الأعيان وعبودية اختيار وبها نصلي ما عدا فرض الأعيان وسماها الحق تعالى نوافل وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم تطوعاً قال تعالى "ومن الليل فتهجد به نافلة لك"

يقول بعض الصالحين ما لأحد نافلة مقطوع بها إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها لا تصح النوافل إلا لمن كملت فرائضه ومن نقصت فرائضه عن الكمال كملت له من تطوعه فإن زاد التطوع حينئذ يصح اسم النافلة وما شهد الله بها لأحد إلا لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال له أمراً ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال تعالى في الخبر الصحيح عنه ولا يزال العبد يتقرّب إلي بالنوافل فسمى ما زاد على الفرائض نوافل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابيّ في تعليم ما بني عليه الإسلام فذكر الفرائض فقال هل عليّ غيرها قال عليه السلام "لا إلا أن تطوع" فسمى ما زاد على الفرائض تطوعاً فالفرض عبودية اضطرار لأن المعصية تتحقق بفعله أو بتركه وما عداه فعبودية اختيار لكنه مختار في الدخول فيها ابتداء فإذا دخل فيها عندنا لزمته أحكام عبودية الاضطرار ولابدّ وليس له أن يخرج عن حكمها حتى يفرغ من تلك العبادة ولهذا لما قال له هل عليّ غيرها قال له عليه السلام لا يعني أنه ما فرض الله عليك ابتداء من عنده إلا ما ذكرته لك إلا أن تطوّع إلا أن تشرع أنت في أمثالها مما رغبك الحق فيه فإن تطوّعت ودخلت فيها وجب عليك الوفاء بها كما وجب في فروض الأعيان فهذا معنى قوله "لا إلا أن تطوّع" فيجب عليك ما أوجبته على نفسك وفي هذا الباب دخل النذر وأمثاله قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم فالوتر لمعرفة الحق في الأشياء كلها وركعتا الفجر للشكر لقيام الليل على ما وفق له وللنائم على قيامه إلى أداء فرض الصبح ودخول المسجد للسلام على الملك في بيته وقيام رمضان لكون رمضان اسماً من أسماء الله فوجب القيام لذكر الملك قال يوم يقوم الناس لرب العالمين والكسوف للتجلي الذي يعطي الخشوع سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكسوف فقال ما تجلى الله لشيء إلا خشع له وهو ما يظهر لعين الرائي من التغير في الشمس أو القمر وإن لم يتغيرا في أنفسهما فأبدى الحق لعين الرائي ما في نفس الشمس والقمر في ذلك الزمان من الخشوع لله في صورة ذهاب النور بالحجاب النفسيّ الطبيعيّ في كسوف القمر وبالحجاب العلميّ في كسوف الشمس والاستسقاء طلب الرحمة والعيدان تكرار التجلي وسجود القرآن الخضوع عند كلام الله ولهذا أمر بالإنصات والاستماع أو الصلاة على الميت العبد يتخذ الله وكيلاً نائباً عنه فيما ملكه إياه شكراً على ما أولاه حين حرم من قيل له وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فأخرجه من أيديهم بغير اختيار منهم قال تعالى والذي خبث لا يخرج إلا نكداً والذين اتخذوا الله وكيلاً صاروا أمواتاً بين يديه ولهذا
أعطاهم صفة التقديس وهي الطهارة فأمرنا بغسل الميت ليجمع بين الطهارتين فإنه في قبلة المصلي عليه فلا بدّ أن يكون طاهراً وطهارته المعنوية لا يشعر بها إلا أهل الكشف فأمر أهل الشريعة في ظاهر الحكم أن يغسل الميت حتى يتيقن من لا كشف له طهارته وسيأتي اعتباره في بابه إن شاء الله تعالى وصلاة الاستخارة وهي تعيين ما اختار الله لهذا العبد فعله أو تركه ليكون على بينة من ربه كما قال تعالى "أفمن كان على بينة من ربه" فهذه فائدة صلاة الاستخارة وستأتي في بابها إن شاء الله فلنذكر ما شرطناه فصلاً فصلاً إن شاء الله ليعرف الناس مقاصد العارفين في عباداتهم التي امتازوا بها عن العامّة مع مشاركتهم في الأمر العام لجميع المكلفين والله الموفق لا رب غيره.

وصل في فصل صلاة الوتر

خرّج أبو جاود عن أبي أيوب الأنصاريّ أنه صلى الله عليه وسلم قال الوتر حق على كل مسلم فمن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل وخرّج أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر بسبع وتسع وخمس والحديث العام

بوتره صلى الله عليه وسلم ما خرّجه عن عبد الله بن قيس قال قلت لعائشة بكم كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يوتر بأربع وثلاث وبست وثلاث وبثمان وثلاث وثلاث وعشر وثلاث و لم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخرّج النسائيّ عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل واختلف الناس في الوتر هل هو واجب أو سنة فمن قائل أنه واجب والواجب عند صاحب هذا القول بين الفرض والسنة ومن قائل إنه سنة مؤكدة وقد تقدم الكلام في حكمه وبقي الكلام في صفته ووقته والقنوت فيه وصلاته على الراحلة فلنذكر أولاً من أحاديث الأمر به ما تيسر ليتبين للناظر فيها الوجوب وعدم الوجوب فمن ذلك ما خرّجه أبو داود عن خارجة بن حذافة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "إن الله عز وجل قد أمدكم بصلاة وهي خير لكم من حمر النعم فجعلها لكم فيما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر" فهذا يدخل فيه الوتر وغير الوتر وهذا الحديث هو من رواية عبد الله بن راشد عن عبد الله بن أبي مرّة و لم يسمع منه وليس له إلا هذا الحديث وكلاهما ليس ممن يحتج به ولا يكاد ورواه عبد الله بن أبي مرّة عن خارجة ولا يعرف له سماع من خارجة ولما ذكر الترمذي هذا الحديث بهذا الإسناد قال فيه حديث غريب وخرجه الدارقطنيّ من حديث النضر بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وفيه أن الله قد أمدكم بصلاة وهي الوتر والنضر ضعيف عند الجميع ضعفه البخاريّ وابن حنبل وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائيّ وقال فيه ابن معين لا تحل الرواية عنه وقد ضعفه غير هؤلاء وقد روى أيضاً من طريق العزرمي والعزرميّ متروك وروى من طريق حجاج بن أرطاة وهو ضعيف ورواه أبو جعفر الطحاوي من حديث نعيم بن حماد وهو ضعيف وأما حديث البزار عن عبد الله بن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال الوتر واجب على كل مسلم ففي إسناده جابر الجعفي وأبو معشر المديني وغيرهما وكلهم ضعفاء وأما حديث أبي داود في ذلك فهو عن عبيد الله بن عبد الله العتكيّ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا وعبيد الله هذا وثقه يحيى بن معين وقال فيه أبو حاتم صالح الحديث وأما حديث أبي أحمد مع عديّ من حديث أبي حباب حديث ثلاث عليّ فريضة وعليكم تطوّع فذكر منهنّ الوتر وأبو حباب كان يدلس في الحديث وحديث البزار عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أمرت بركعتي الفجر والوتر وليس عليكم في إسناده جابر بن بريد الجعفيّ وهو ضعيف وخرّجه الدارقطنيّ من حديث عبد الله بن محرز من رواية أنس وابن محرز متروك وذكر أبو داود من حديث عليّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر وقد تقدم اعتبار حكمه فيما تقدم في فصل عدد الصلوات المفروضات على الأعيان وغير المفروضات على الأعيان وهو الفصل الذي يليه هذا الفصل.

وصل في فصل صفة الوتر

فمنهم من استحب أن يوتر بثلاث يفصل بينهما بسلام ومنهم من لا يفصل بينهما بسلام ومنهم من يوتر بواحدة ومنهم من يوتر بخمس لا يجلس إلا في آخرها وقد أوتر بسبع وتسع وإحدى عشرة وبثلاث عشرة وهو أكثر ما روي في ذلك في وتره صلى الله عليه وسلم قد بينا لك في الاعتبار قبل هذا في كون المغرب وتر صلاة النهار فأمر بوتر صلاة الليل لتصح الشفعية في العبادة إذ العبادة تناقض التوحيد فإنها تطلب عابد أو معبوداً والعابد لا يكون المعبود فإن الشيء لا يذل لنفسه ولهذا قسم الصلاة بين العبد

والرب بنصفين فلما جعل المغرب وتر صلاة النهار والصلاة عبادة غارت الأحدية إذ سمعت الوترية تصحب العبادة فشرعت وتر صلاة الليل لتشفع وتر صلاة النهار فتأخذ بوتر الليل ثارها من وتر صلاة النهار ولهذا يسمى الذحل وتراً وهو طلب الثار فإن أوتر بثلاث فهو من قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ومن أوتر بواحدة فهو مثل قوله لا قود إلا بحديدة فمن فصل في الثلاث بسلام راعى لا قود إلا بحديدة وراعى حكم الأحدية ومن لم يفصل راعى أحدية الإله فمن أوتر بواحدة فوتره أحديّ ومن أوتر بثلاث فهو توحيد الألوهة ومن أوتر بخمس فهو توحيد القلب ومن أوتر بسبع فهو توحيد الصفات ومن أوتر بتسع فقد جمع في كل ثلاث توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال ومن أوتر بإحدى عشرة فهو توحيد المؤمن ومن أوتر بثلاث عشرة فهو توحيد الرسول وليس وراء الرسالة مرمى فإنها الغاية وما بعدها إلا الرجوع إلى النبوّة لأن عين العبد ظاهر هناك بلا شك ومن السنة أن يتقدّم الوتر شفع والسبب في ذلك أن الوتر لا يؤمر بالوتر فإنه لو أمر به لكان أمرا بالشفع وإنما المأمور بالوتر من ثبتت له الشفعية فيقال له أوترها فإن الوتر هو المطلوب من العبد فما أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط إلا عن شفع قال تعالى "والشفع والوتر" وقد قدّمنا أن الشفعكية حقيقة العبد إذ الوترية لا تنبغي إلا لله من حيث ذاته وتوحيد مرتبته أي مرتبة الإله لا تنبغي إلا لله من غير مشاركة والعبودية عبوديتان عبودية اضطرار ويظهر ذلك في أداء الفرائض وعبودية اختيار ويظهر ذلك في النوافق ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتر قط إلا عن شفع نافلة غير أن قوله إن صلاة المغرب وتر صلاة النهار وشرع الوتر لوترية صلاة اللسل وصلاة النهار منها فرض ونفل وعلمنا أن النعل قد لا يصليه واحد من الناس كضمام بن ثعلبة السعديّ فقد أوتر له صلاة المغرب الصلوات المفروضة في النهار فقد يكون الوتر يوتر له صلاة العشاء الآخرة إذا أوتر بواحدة أو بأكثر من واحدة ما لم يجلس فإن النفل لا يقوي قوّة الفرض فإن الفرض بقوّته أوتر صلاة النهار وإن كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات يجلس فيها من ركعتين ويقوم إلى ثالثة وقد ورد النهي عن أن يتشبه في وتر الليل بصلاة المغرب لئلا يقع اللبس بين الفرائض والنوافل فمن أوتر بثلاث أو بخمس أو بسبع وأراد أن يوتر الفرض فلا يجلس إلا في آخر صلاته حتى يشتبه بالصلاة المفروضة فإذا لم يجلس قامت في القوّة مقام وترية المغرب وإن كان فيه جلوس لقوّة الفرضية فيتقوّى الوتر إذا كان أكثر من ركعة إذا لم يجلس بقوّة الأحدية.

وصل في فصل وقت الوتر

فمن وقته متفق عليه وهو من بعد صلاة العشاء الآخرة إلى طلوع الفجر ومنه مختلف فيه على خمسة أقوال فمن قائل يجوز بعد الفجر ومن قائل بجوازه ما لم تصل الصبح ومن قائل يصلي بعد الصبح ومن قائل يصلي وإن طلعت الشمس ومن قائل يصلي من الليلة القابلة هذه الأقوال حكاها أبو بكر بن إبراهيم بن المنذر في كتاب الإشراف في الخلاف والذي أقول إنه يجوز بعد طلوع الشمس وهو قول أبي ثور والأوزاعيّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل المغرب وتر صلاة النهار مع كونه لا يصلي إلا بعد غروب الشمس فكذلك صلاة الوتر وإن تركها الإنسان من الليل فإنه تارك للسنة فإن صلاها بعد طلوع الشمس فإنها توتر له صلاة الليل وإن وقعت بالنهار كما أوترت صلاة المغرب صلاة النهار وإن كانت وقعت بالليل وصل الاعتبار الوتر لا يفيد بالأوقات وإن ظهر في الأوقات إذ لو تقيد لم يصح الإنفراد فإن القيد ضدّ الإطلاق لاسيما وقد بينا لك فيما ذكرناه في هذا الكتاب وفي كتاب الزمان إن الوقت أمر عدميّ لا وجود له والوتر أمر محقق وجوديّ وكيف يتقيد الأمر الوجوديّ بالأمر العدميّ حتى يؤثر فيه هذا التأثير

ونسبة التأثير إلى الأمر الوجوديّ أحق وأولى عند كل عاقل وإذا لم يقيد الوقت الوتر فليوتر متى شاء ومثابرته على إيقاعه قبل الفجر أولى فإنه السنة والاتباع في العبادات أولى وإنما هذا الكلام الذي أوردناه هو على ما تعطيه الحقائق في الاعتبارات فافهم كما أنه إذا اعتبرنا في الوتر الذحل مما وقع من وتر صلاة المغرب من كونها عبادة فطلب الثار لا يتقيد بالوقت وإنما أمره مهما ظفر بمن يطلبه أخذ ثاره منه من غير تقييد بوقت فعلى كل وجه من الاعتبارات لا يتقيد بالوقت.

وصل في فصل القنوت في الوتر

قد تقدّم الكلام في شرح ألفاظ قنوت الوتر في فصل القنوت من هذا الباب واختلف الناس فيه فمن قائل يقنت في الوتر ومن قائل بالمنع ومن قائل بالجواز في نصف رمضان الأوّل ومن قائل في نصف رمضان الآخر ومن قائل بجوازه في رمضان كله وعندي أن كل ذلك جائز فمن فعل من ذلك ما فعل فله حجة ليس هذا موضعها وصل في الاعتبار الوتر لما لم يصح إلا أن يكون عن شفع إما مفروض أو مسنون لم يقو قوّة توحيد الأحدية الذاتية التي لا تكون نتيجة عن شفع ولا تتولد في نفس العارف عن نظر مثل من عرف نفسه عرف ربه فهذه معرفة الوترية لا معرفة الأحدية الذاتية والقنوت دعاء وتضرّع وابتهال وهو ما يحمله الوتر من أثر الشفع المقدم عليه الذي هو هذه المعرفة الوترية نتيجة عنه فتعين الدعاء من الوتر ولهذا دعا الحق عباده وقال فليستجيبوا لي وقال والله يدعو إلى الجنة والمغفرة وقال والله يدعو إلى دار السلام فوصف نفسه بالدعاء وهو الوتر سبحانه فاقتضى الوتر القنوت فإذا أوتر العبد ينبغي له أن يقنت ولاسيما في رمضان فإن رضمان اسم من أسماء الله تعالى فتأكد الدعاء في وتر رمضان أكثر من غيره من الشهور فاعلم.

وصل في فصل صلاة الوتر على الراحلة

فمنهم من منع من ذلك لكونه يراه واجباً فيلحقه بالفرض قياساً وموضع الاتفاق بين الأئمة أن الفرض لا يجوز على الراحلة وأكثر الناس على إجازة صلاة الوتر على الراحلة لثبوت الأثر في ذلك وبه أقول وصل الاعتبار في هذا الفصل الصلاة المقسومة بين الله وبين العبد ليست في الأفعال وإنما هي في قراءة المصلي فاتحة الكتاب وما في معناها من أقوال الإنسان في الصلاة عند أهل الله فيجوز الوتر على الراحلة وهو مصل ومن راعى تتريه الحق جل جلاله في كل فعل في لاصلاة واعتباره فيما يناسب الحق من ذلك قال لا يجوز الوتر على الراحلة لأن من شروط صحة الصلاة ما يسقط في مشي الراحلة إذا توجهت لغير القبلة فإن اعترض بوتر النبيّ صلى الله عليه وسلم على الراحلة حيث توجهت فاعلم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كله وجه بلا قفا فإنه قال صلى الله عليه وسلم إني أراكم من خلف ظهري فأثبت الرؤيا لحاله ومقامه فثبتت الوجهية له وذكر الخلف والظهر لبشريته فإنهم ما يرون رؤيته ويرون خلفه وظهره ولما ورثته صلى الله عليه وسلم في هذا المقام وكانت لي هذه كنت أصلي بالناس بالمسجد الأزهر بمدينة فاس فإذا دخلت المحراب أرجع بذاتي كلها عيناً واحداً فأرى من جميع جهاتي كما أرى قبلتي لا يخفى علي الداخل ولا الخارج ولا واحد من الجماعة حتى أنه ربما يسهو من أدرك معي ركعة من الصلاة فإذا سلمت ورددت وجهي إلى الجماعة ادعو أرى ذلك الرجل يجبر ما فاته فيخل بركعة فأقول له فاتك كذا وكذا فيتم صلاته ويتذكر فلا يعرف الأشياء ولا هذه الأحوال إلا من ذاقها ومن كانت هذه حاله

فحيث كانت القبلة فهو مواجهها هكذا ذقته بنفسي فلا ينبغي أن يصلي على الراحلة إلا صاحب هذا الحال ورأيت مقالة لبعض أهل الظاهر إنه لا يجوز الوتر إلا على الراحلة فقط لا على غير الراحلة من حمار وبغل وفرس ولا على الراحلة إلا الوتر فقط فما أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قط على راحلته حيث توجهت إلا والقبلة في وجهه كما قرّرناه ومن كان له مثل هذه الحال يثبت له في صلاته وجميع تصرفاته قوله تعالى "فأينما تولوا فثم وجه" ووجه الله للمصلي إنما هو في قبلته فدل أن من حاله هذا الوصف ويرى القبلة بعين منه تكون في الجهة التي تليها فهو مصل للقبلة.

وصل في فصل

من نام على وتر ثم قام فبدا له أن يصلي من الليل

فمن قائل يصلي ركعة تشفع له وتره ثم يصلي ما شاء ثم يوتر ومن قائل لا يشفع وتره فإن الوتر لا ينقلب شفعاً بهذه الركعة التي يشفعه بها والتنفل بركعة واحدة غير الوتر غير مشروعة فهو شرع لم يأذن به الله والوتر مختلف فيه بين سنة مؤكدة ووجوب وأين النفل من السنن المؤكدة أو الصلاة الواجبة والحكم هنا للشرع وقد قال صلى الله عليه وسلم لا وتران في ليلة ومن راعى المعنى المعقول قال إن هذه الركعة الواحدة تشفع تلك الركعة الوترية واتباع الشرع أولى في ذلك بلا شك اعتبار هذا الفصل الوتر لا يتكرر فإن الحضرة الإلهية لا تقتضي التكرار لما هي عليه من الاتساع والله واسع عليم ولما كان العلم صفة إحاطته قرن معه السعة واشتق له اسماً منها كما اشتق من العلم فاعلم ذلك فلا وتران في ليلة فأحدية الحق لا تشفعها أحدية كل مخلوق فإنه لكل شيء أحدية لابدّ من ذلك وبأحديته عرف كل شيء أحدية خالقه وهي الآية التي لله في كل شيء الدالة على أحديته وهو الذي أشار إليه القائل بقوله وهو أبو العتاهية وفي كل شيء أحدية خالقه وهي الآية التي لله في كل شيء الدالة على أحديته وهو الذي أشار إليه القائل بقوله وهو أبو العتاهية وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ولا يكون لشيء أحديتان فلا يشفع وتره من قام يصلي ممن نام على وتر ومن راعى أحدية الإلوهة وأضافها إلى أحدية الذات الموضوفة بالألوهة فإن أحدية المرتبة لا تعقل إلا مع أحدية صاحب المرتبة قال من قام من الليل يريد الصلاة وكان قد نام على وتر يضيف إلى تلك الركعة التي نام عليها وهي التي أوتر بها ركعة عند قيامه يشفعها به ثم يصلي بعد تلك الركعة ما يشاء مثنى مثنى فإذا خشى الصبح أوتر بواحدة فكل قائل من العلماء له اعتبار خاص يسوغ له فيما ذهب إليه من ذلك.

وصل في فصل ركعتي الفجر

ركعتا الفجر قبل صلاة فرض الصبح بمنزلة الركعتين قبل صلاة فرض المغرب فإن الصحابة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا سمعوا أذان المغرب تبادروا إلى صلاة هاتين الركعتين قبل خروج النبيّ صلى الله عليه وسلم بحديث عبد الله بن مغفل ذكره مسلم في صحيحه وكان يخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراهم ولا ينكر عليهم وقد قال صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة يريد الأذان والإقامة فإنها أذان بلا شك ولا يحافظ على الركعتين قبل المغرب إلا من استبرأ لدينه إلا أن تعجله الإقامة فإنه إذا كانت الإقامة فلا صلاة إلا التي أقيم لها وهي سنة متروكة مغفول عنها وما رأيت في زماننا من يحافظ عليها من

الفقهاء إلا صاحبنا زين الدين يوسف بن إبراهيم الشافعي الكردي وفقه الله لذلك وفي هاتين الركعتين قبل صلاة المغرب من الأجر ما لا يعلمه إلا الله فإن لله بين كل أذان وإقامة تجل خاص واطلاع فمن ناجاه في ذلك الوقت اختص بأمر عظيم وهو كما قلنا في الخبر المروي الذي صححه الكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة يريد الأذان والإقامة فسماها أذاناً لأنها إعلام بالقيام إلى الصلاة وحضور الإمام كما يقال في الشمس والقمر القمران في لسان العرب وكذلك العمران في أبي بكر وعمر وهي صلاة الأولياء الأوابين وكان الصدر الأول شديد المحافظة عليهما وسبب ذلك التوفيق الإلهي أن النفل عبودية اختيار والفرض عبودية اضطرار فيحتاج في عبودية الاضطرار إلى حضور تام بمعرفة ما ينبغي للسيد المعبود من الآداب والجلال والتتريه فتقوم عبودية الاختيار لها كالرياضة للنفس وكالعزلة بين يدي الخلوة فإن دخول العبد للفرض من النفل ما يكون مثل دخوله من الفعل المباح لأنه لابدّ أن يبقى للداخل في خاطره مما تقدّم له قبل دخوله أثر فلهذا حافظ عليهما من حافظ وركعتا الفجر كذلك فإن النافلة قبل الفريضة صدقة من الشخص على نفسه يقول الله إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فما ظنك بمناجاة الحق تعالى آكد وأوجب وحكم ركعتي الفجر سنة بالاتفاق فإن النبي صلى الله عليه وسلم قضاها بعد طلوع الشمس حين نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس فصلاهما ثم صلى الصبح وما هي عندنا قضاء وإنه صلاها في وقتها كما صلى الصبح في وقتها فإن ذلك وقت صلاة النائم والناسي فلا يقال قضاها على اصطلاح الفقهاء.

وصل في فصل القراءة في ركعتي الفجر

استحب بعضهم أن يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فقط وقال بعض العلماء لابأس أن يضيف إلى أمّ القرآن سورة قصيرة وقال بعضهم ليس في القراءة في ركعتي الفجر توقيت يستحب والذي أذهب إليه أن يوجز فيهما ويخفف في كمال بلا توقيت والفاتحة لابد منها فإنها عين الصلاة في الصلاة ومن لم يقرأ بها في صلاته فما صلى وقد وردت السنة بتحسينهما وإن زاحمك الوقت وصل في اعتبار هذا الفصل سبب التخفيف فيها من السنة للخبر الوارد إن مقدار الزمان في محاسبة الله عباده يوم القيامة بأجمعهم كركعتي الفجر فكان يخففهما رحمة بأمته وهي بالجملة صلاة فحكمها حكم الصلاة وما عذا الفرائض وإن كانت عبودية اختيار فإن في ركعتي الفجر شبهة عبودية اضطرار لما تتضمنه صلاة النفل من الفرائض فالعبد في النافلة وما عدا الفرائض من الصلوات بمترلة عبد قد عتق منه شقص أو بمترلة المكاتب أو بمترلة المدبر فإن في هؤلاء من روائح الحرية ما ليست للعبد الذي ما له هذه الحالات فالسنن من النوافل حال العبودية فيها حال المكاتب والمدبر والنافلة التي ليست بسنة أي ليست من فعله صلى الله عليه وسلم دائماً ولا من نطقه بتعيينه بمترلة عبد عتق منه شقص فهو حرّ من حيث أنه عتق منه ما عتق وهو عبد من حيث ما بقي منه دون عتق ما بقي فهذه حالة في العبودية بين عبودية الاضطرار وعبودية الاختيار كالسنن بين الفرائض والنوافل سواء فأما من رأى في القراءة فيها الفاتحة فقط فلأنها الكافية فإن بها يصح أنه صلى وأما من زاد السورة بعد الفاتحة فليعلم المترلة التي حصلت له من هذه الخاصة لأن السورة بالسين هي المترلة قال النابغة في ممدوحه

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

وسور القرآن منازله وكما أنه لكل سورة آيات كذلك لكل مترلة لأحد عند الله دلالات وأوضحها المعرفة بالله فالتأييد في الإفصاح عنها وهذه الدلالة سيدة الدلالات كآية الكرسي سيدة آي القرآن فهو قرآن من حيث ما اجتمع العبد والرب في الصلاة وهو فرقان من حيث ما تميز به العبد من الرب مما اختص به في القراءة من الصلاة والعبد في الفاتحة قد أبان الحق بمترلته فيها وإنه لا صلاة له إلا بها فإنه تعرفه بمترلته من ربه وإنها مترلة مقسمة بين عبد ورب كما ثبت فينبغي للعبد أن يقرأ سورة بعد الفاتحة من غير أن تتقدمه روية فيما يقرأ من السور أو الآيات من سورة واحدة أو من سور فإن تقدم الروية في تعيين ما يقرأ بعد الفاتحة يقدح في علم من يريد الوقوف على وجه الحق في مترلته عند الله فهو الخاطر الأوّل فإذا فرغ المصلي من قراءة فاتحة الكتاب قرأ ما تيسر له من القرآن وما يجري الله على لسانه منه من غير أن يختار آية معينة أو يتردد فينظر آية سورة يقيمه الله فيها أو أي آية من سورة أو سور يجري الله على لسانه إن لم يكمل السورة بالقراءة فيعلم بذلك العالم الحاضر المراقب مترلته من الله في ذلك الوقت التي حصلت له من قراءة فاتحة الكتاب من قسمة الذي له منها ومن قسم ربه جزأ لما كان منه من الثناء على ربه والسؤال بالسورة التي يقرؤها فإن أتمها فالمترلة له بكمالها بلا شك وإن اقتصر منها على ما اقتصر فحظه منها أي من تلك المترلة بحسب ما اقتصر عليه منها والسنة إتمام السورة في الخبر الصحيح يقال لقارىء القرآن يوم القيامة اقرأ وارق فإن مترلتك عند آخر آية تقرأ فاختر لنفسك أيها الإنسان واصخ إليّ يلح لك البرهان.

وصل في فصل صفة القراءة فيهما

فمن العلماء من استحب الإسرار ومنهم من استحب الجهر ومنهم من خير والذي أذهب إليه إذ لم يرد في ذلك نص نوقف عنده أن يسمع بالقراءة نفسه من جهة سمعه بحيث أن لا يسمع غيره قراءته وهي حالة بين الجهر والإسرار مناسبة لوقتها فإن وقتها وقت برزخي بين الليل والنهار ما هو ليل فيجهر ولا هو نهار فيسرّ ولولا أن النص في قراءة فرض الصبح ورد بالجهر لكان الحكم فيها كذلك نعم صلاة المغرب جمعت بين الجهر لما فيها من الليل وبين الإسرار لما فيها من النهار فأشبهت في الوقت النائم فإن النائم في موطن برزخي فيكون النائم يرى في نومه صيحات وزعقات وأموراً عظاماً والذي إلى جانبه لا يعلم بما هو فيه هذا النائم فمعاملة الوقت بهذه الصفة من القراءة أولى للمناسبة وليفرق بمثل هذه الصفة في القراءة بينها وبين قراءة صلاة الصبح لتتميز من الفريضة ومن الحكمة تميز المراتب وارتفاع اللبس في الأشياء ومع هذا فالذي عندي أ،ه مخير والذي يقول بالجهر يلحقها بصلاة الليل لأن الليل ما لم تطلع الشمس في العرف لا في الشرع والذي يسرها يجعل طلوع الفجر من النهار المشروع للصائم الإمساك فيه و لم يعتبر ذلك في المغرب وسماه ليلاً لقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل وللشرع أن يعتبر المعنى الواحد باعتبارين في وقتين أو من وجهين له ذلك وقد قيل في تفسير قوله وفار التنور يريد ضوء الفجر وهو المعلوم من لسان العرب فإذا فار التنور وظهر انبغى للعبد أن يكون في صلاة ركعتي الفجر كما قال تعالى "وخشعت الأصوات للرحمن" فلا تسمع إلا همساً وطلوع الفجر تجل رحمانيّ للمعاش كطلوع الليل للسكون يقول تعالى " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله" لما يتضمنه النهار غالباً من الحركات في المعاش قوام النفوس ومصالح الخلق وتنفيذ الأوامر وإظهار الصنائع وإقامة المصنوعات في نشأتها وتحسين هيأتها فهو تجل إلهيّ

رحماني بهذا العالم فلهذا استحببنا الإسرار بحيث أن يسمع نفسه فلا تسمع إلا همساً أي صوتاً خفياً خشوعاً لله تعالى وخضوعاً وأدباً مع الحق وإنما شرع الجهر في الصبح عند هذا التجلي لأنه مأمور أمر فرض واجب بالكلام من الله فهو يتكلم عن أمر إلهيّ يعصي بتركه إذا قصده على حسب ما شرع له كما قال تعالى في حق هذا الفرض عند هذا التجلي الذي ذكرناه في مثل هذا اليوم "يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً" فورد الأذن فتعين الجهر والنافلة ليست لها هذه المرتبة في هذا التجلي فلا تسمع في النافلة إلا همساً فحصل الفرق بين المأمور والمختار والله الهادي.

وصل في فصل

من جاء إلى المسجد ولم يركع ركعتي الفجر

فوجد الصلاة تقام أو وجد الإمام يصلي

فمن الناس من جوّز ركوعهما في المسجد والإمام يصلي ومن الناس من قال لا يركعهما أصلاً في هذا الحال وبه أقول ومن الناس من قال لا يخلو إمّا أن يكون خارج المسجد أو داخل المسجد فإن كان قد دخل المسجد فلا يركعهما وإن كان لم يدخل بعد فاختلف أصحاب هذا القول في الذي يكون خارج المسجد وقد سمع الإقامة أو قد رأى الإمام يصلي والناس يصلون فمنهم من قال إن لم يخف أن يفوته الإمام بتلك الركعة فليركعهما وإن خاف فلا يركعهما ويدخل مع الإمام في الصلاة ويقضيهما بعد طلوع الشمس وقال المخالف يركعهما من هو خارج المسجد ما غلب على ظنه أنه مدرك ركعة واحدة مع الإمام من صلاة الصبح وصل الاعتبار في هذا الفصل يبطل التيمم مع وجود الماء والقدرة على استعماله ولا شك أنه كل ما زاد على الفرض فهو نافلة سواء وكد أو لم يوكد فإن الفرض آكد منه بلا شك والوقت للفرض بالإقامة الحاصلة فتأخرت النافلة إذ لا تتحقق الزيادة على الشيء إلا بعد حصول الشيء فإن الزيادة تؤذن بوجود مزاد عليه متقدّم في الوجود وهو الفرض وهو الأصل في التكليف وكذلك هو في نفس الأمر فإن الفرض هو المشروع الذي يأثم تاركه والنفل إنما يكون بعد ثبوته فإن كونه زائداً يبطل فإنه لما يكون زائداً وما ثبت أمر قبله يزيد عليه هذا فيصح عليه اسم الزائد ومراعاة الأصول أولى فالدخول مع الإمام في الصلاة أو عند سماع الإقامة أولى من صلاة ركعتي الفجر وقد غلط في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الكراهة لمن فعل ذلك وقال لمن صلاهما وصلاة الصبح تقام أتصلي الصبح أربعاً يكرّر عليه كارهاً منه ذلك الفعل وهذا هو عين الدليل على جوازها مع الكراهة فإنه صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يقطعها ولا أن يخرج عنها فلو فعل محظوراً ما أبقاه عليه فثبت أنه عمل مشروع لا يبطله من شرع فيه فإن الله يقول "ولا تبطلوا أعمالكم" ولكن لا يعود إليه بعد علمه بأن الشرع يكرهه وإنما يكره له الشروع فيه.

وصل بل فصل في وقت قضاء ركعتي الفجر

فمن قائل يقضيها بعد صلاة الصبح وبه أقول وقال قوم يقضيها بعد طلوع الشمس وأصحاب هذا القول اختلفوا فمنهم من جعل لها هذا الوقت غير متسع ومنهم من وسع فقال يقضيها من لدن طلوع الشمس إلى وقت الزوال ولا يقضيها بعد الزوال والقائلون

بالقضاء منهم من استحب ذلك ومنهم من خير وصل الاعتبار في هذا الفصل كل حق لله واجب أو مرغب فيه إذا فات وقته لم يقيده وقت فإن الشرع ما قيده فليؤدّه قاضياً متى شاء ما لم يمت إلا أن يكون عن نسيان فهو مؤدّ وذلك وقته ولا يكون قاضياً قط في نوم ولا نسيان.

وصل في فصل الاضطجاع بعد ركعتي الفجر

فذهب قوم إلى وجوبها وبه أقول للأمر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب قوم إلى أنها سنة وذهب قوم أنه مستحب و لم يره قوم ولا شك ولا خفاء على كل من عرف شرع الله من المحدّثين لا من الفقهاء الذين يقلدون أهل الاجتهاد كفقهاء زماننا ولا علم لهم بالقرآن ولا بالسنة وإن حفظوا القرآن ورأوا فيه ما يخالف مذهب شيخهم لم يلتفتوا إليه ولا عملوا به ولا قرؤا على جهة اقتباس العلم واعتمدوا على مذهب إمامهم المخالف لهذه الآية والخبر ولا عذر لهم عند الله في ذلك فأوّل من يتبرّأ منهم يوم القيامة إمامهم فإنهم لا يقدرون أن يثبتوا عنه أنه قال للناس قلدوني واتبعوني فإن ذلك من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم فإن قالوا فالله أمرنا باتباعهم فقال فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقد سألناهم فأفتونا قلنا لهم إنما نسألهم لينقلوا إلينا حكم الله في الأمور لا رأيهم فإنه قال أهل الذكر وهم أهل القرآن فإن الذكر هو القرآن فإذا وجدنا الحكم عند قراءتنا القرآ، مخالفاً لفتواه تعين علينا الأخذ بكتاب الله أو بالحديث وتركنا قول ذلك الإمام إلا أن ينقل إلينا ذلك الإمام الآية أو الخبر فيكون عملنا بالآية أو الخبر لا بقوله فحينئذ ليس لنا أن نعارضه بآية أخرى ولا خبر لعدم معرفتنا باللسان وبما يقتضيه الحكم فإن كان لنا علم بذلك فنحن وإياهم سواء وقد ثبت في الصحيح إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضطجع بعد ركعتي الفجر وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة الأمر بالاضطجاع لكل من ركع ركعتي الفجر فالذي أذهب إليه أن تارك الاضطجاع عاص وأن الوجوب يتعلق به فليضطجع ولابدّ ولو قضاه متى قضاه وإن كانت الفاء تعطي التعقيب فإن بعض المتأخرين من المجتهدين الحفاظ من أهل الظاهر قال إن صلاة الصبح لا تصح لمن ركع ركعتي الفجر و لم يضطجع فإن لم يركع ركعتي الفجر صحت صلاة الصبح عنده وصل الاعتبار في هذا الفصل الاضطجاع بعد ركعتي الفجر وقبل صلاة الصبح لأن الكراهة قد تعلقت بالمكلف فإنه لا يصلي بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر ثم يصلي الصبح فقد أشبهت الفريضة فجاء الإضطجاع بينها وبين صلاة الصبح لتتميز السنة من الفرض وليقوم إلى الفرض من اضطجاع حتى يعلم أنه قد انفصل عن ركعتي الفجر فإنه لو قام إلى الصبح بعد ركعتي الفجر لالتبست بالرباعية من الصلوات ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن صلاها والمؤذن يقيم أتصلي الصبح أربعاً فيستحب أن يفصل بينهما وبين الصبح بأمر يعرف الحاضر أنه قد انفصل عن صلاة الفجر فشرع النبي صلى الله عليه وسلم الاضطجاع فعلاً وأمراً ففعل وأمر فلا حجة للمخالف عن التخلف عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولا عن الاقتداء به والله يقول "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" لمن كان يرجو الله واليوم الآخر فانظر مترلة من لم يقتد في نقيضها.

وصل في فصل النافلة

هل تثنى أو تربع أو تثلث فما زاد فمن قائل نثني ولابدّ أن يسلم في كل ركعتين ليلاً أو نهاراً ومن قائل بالتخيير إن شاء ثنى وثلث وربع وسدّس وثمن وما شاء ومن قائل بالتفريق بين صلاة النهار فقال يربع إن شاء وصلاة الليل مثنى مثنى والذي أقول به في غير الوتر هو مخير بين أن يسلم من اثنتين وهو أولى ولاسيما في صلاة الليل ويربع في صلاة النهار إن شاء ولاسيما في الأربع قبل الظهر وإن شاء سدّس وثمن وما شاء من ذلك وأمّا التثليث والتخميس والتسبيع من النوافل فذلك في صلاة الوتر فإنه ما جاء شرع بإفراد ركعة في غير الوتر ولكن هو مخير إن شاء لم يسلم ويجلس في كل ركعتين إلى الثالثة والخامسة والسابعة وإن لم يجلس إلا في آخرها من الشفع ثم يقوم إلى الواحد وإن شاء لم يجلس إلا في آخر الركعة الوترية ويؤخر السلام في الأحوال كلها إلى الركعة الوترية وصل الاعتبار في هذا الفصل لما كان الشروع فيها مبنياً على الاختيار كان الاختيار أيضاً في القدر من ذلك من غير توقيت فإنه ما ورد من الشرع في ذلك منع ولا أمر بالاقتصار على ما وقع في ذلك من فعله صلى الله عليه وسلم واتباع السنة أولى وأحق وإن جوّزنا ذلك لمن وقع منه فترجح الاتباع والاقتداء على الابتداع وإن كان خيراً فإن الفضل في الاتباع والاتباع أليق بالعبد وأحق بمرتبته من أن يبتدع من نفسه فإن في الابتداع والتسنين ضرباً من السيادة والتقدّم ولولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض له أن يسنّ ما سنّ وكان يقول صلى الله عليه وسلم اتركوني ما تركتكم وكره المسائل وعليها وما فرض على غيره أن يسنّ ولو شغل الإنسان نفسه باستعمال السنن والفرائض لاستغرق أوقاته و لم يتسع له أن يسنّ هيهات حجاب الإنسان برياسته عن سياسته والذي اعتمد عليه من السنن المنطوق بها والثابتة من فعله صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتي الفجر وأربع ركعات في أوّل النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر وركعتين قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل منها الوتر وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على ذلك فهو خير على خير نور على نور وإن صلى ست ركعات بعد الظهر ليجمع بين فعله وبين ما حض عليه وهي الأربع كان أولى وللناس في هذا مذاهب وما ذكرت إلا ما اخترته مما جاء به النص أو الفعل والحديث العام الصلاة خير موضوع والاستكثار من الخير حسن ولكن الذي ذكرناه من حسنه وطول فيه في أفعال ذلك وتدبر قراءتها وأذكارها أخذ من الزمان بقدر الذي يكثر الركوع بالتخفيف والذي ذهبنا إليه أولى وعليه أدركت شيوخنا من أهل الله وقد ورد في صلاة النبيّ صلى الله عليه وسلم حين كان يقوم من الليل فيصلي ركعتين فيا حسنهنّ ويا طولهنّ وكان ركوعه قريباً من قيامه ورفعه من الركوع قريباً من ركوعه وسجوده كذلك فكانت صلاته قريباً من السواء والأصل الركوع فتكون أفعال الصلوات في الخفض والرفع من نسبة الركوع فيها في حال الوقت من الطول والقصر ومن السنة الركعة الأولى أطول من الثانية وكل ما زاد قصر عن التي قبلها وكذلك في الفرائض فاعلم ذلك انتهى الجزء الخامس والأربعون.

الجزء السادس والأربعون

تكملة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل قيام شهر رمضان

ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه فهو مرغب فيه وهو المسمى التراويح والإشفاع لأن صلاته مثنى مثنى واختلفوا في عدد ركعاتها التي يقوم بها الناس في رمضان ما المختار منها إذ لا نص في ذلك فاختار بعضهم عشرين ركعة سوى الوتر واستحسن بعضهم ستاً وثلاثين ركعة والوتر ثلاث ركعات وهو الأمر القديم الذي كان عليه الصدر الأوّل والذي أقول به في ذلك أن لا توقيت فيه فإن كان ولا بدّ من الاقتداء فالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فإنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه ما زاد على ثلاث عشرة ركعة بالوتر شيأ لا في رمضان ولا في غيره إلا أنه كان يطوّلهنّ ويحسنهنّ فهذا هو الذي اختاره ليجمع بين قيام رمضان والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وصل الاعتبار في هذا الفصل رمضان اسم من أسماء الله تعالى فالقيام في هذا الشهر من أجل هذا الاسم لأنه إذا ورد وجب القيام له قال تعالى "يوم يقوم الناس لرب العالمين" ورمضان اسمه سبحانه فيقوم العارف إجلالاً لهذا الاسم الذي اختص به هذا الشهر الكريم هذا يحضر العارف في قيامه ثم إن لهذا الشهر من نعوت الحق حكماً ليس لغيره وهو فرض الصوم على عباد الله وهو صفة صمدانية يتنزه الإنسان فيها عن الطعام والشراب والنكاح والغيبة وهذه كلها نعوت إلهية يتصف بها العبد في حال صومه فإذا جاء الليل قام العبد بين يدي الحق بصفاته التي كان عليها في نهاره وفرض له القيام في وقت الفطر ليعلم أنه عبد فقير متغذ ليس له ذلك التنزه حقيقة وإنما هو أمر عرض له ينبهه على التخلق بأوصاف الله من التنزيه عن حكم الطبيعة ولهذا أخبرنا تعالى في الحديث المرويّ عنه أن الصوم له وكل عمل ابن آدم لابن آدم يقول إن التنزه عن الطعام والشراب والنكاح لي لا لك يا عبدي لأني القائم بنفسي لا أفتقر في وجودي إلى حافظ يحفظه عليّ وأنت تفتقر في وجودك لحافظ يحفظه عليك وهو أنا فجعلت لك الغذا وأفقرتك إليه لينبهك إني أنا الحافظ عليك وجودك ليصح عندك افتقارك ومع هذا الافتقار طغيت وتجبرت وتكبرت وتعاظمت في نفسك وقلت من هو مثلك أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من إله غيري وأنا وأنا وما استحييت في ذلك من فضيحتك بجوعك وعطشك وبولك وخزاءتك وتألمك بالحرّ والبرد والآلام العارضة يا ابن آدم رهصتك ثلاث رهصات الفقر والمرض والموت ومع ذلك إنك وثاب فقيام رمضان قيام في الله فمن كان الحق ظرفاً له فإن الله بكل شيء محيط فهذا معنى الظرفية فليس له خروج عنه فأحاطته بك في رمضان إحاطة تشريف وتنزيه حيث شرع لك فرضاً في عبوديتك الاضطرارية للاتصاف بما ينبغي له لا لك وهو التنزه عن الغذاء وملابسة النساء طول النهار وهو النصف من عمر وجودك ثم تستقبل الليل فتخرج من ربوبيتك المنزهة عن الغذاء النكاح إلى عبوديتك بالفطر والكل رمضان فأنت في رمضان كما أنت في الصلاة من قوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي كذلك رمضان قسمه بينه وبين عبده بنصفين نصف له وهو قوله الصوم

لي وهو زمان النهار والنصف للعبد وهو الليل زمان فطره وقد قال في الصلاة أنها نور وقال في الصوم إنه ضياء والضياء هو النور قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء وقال وجعل الشمس سراجاً وشرع القيام في ليل رمضان ورغب فيه للمناسبة التي بين الصلاة والصوم في القسمة والنور ليكون ليله بصلاته مثل نهاره بصومه فبالنهار يتحد به وبالليل يتوحد له كما قلنا

إذا صحت عزائمنا ففي الإسرار تتحد

والعزيمة النية والنية شرط في الصوم من الليل فنحن في الصوم مع الحق كما قالت بلقيس في عرشها "كأنه هو" وهو كان هو وإنما جهلها أدخل كاف التشبيه كذلك جهل الإنسان يقول أنا الصائم وكيف ينبغي للمتغذي أن يكون صائماً هيهات قال الله الصوم لي لا لك فأزال عنه دعوى الصوم كما أزال عن بلقيس تشبيه العرش بعرشها فعلمت بعد ذلك أنه هو لا غيره فهذا معنى قولنا إذا صحت عزائمنا ففي الإسرار تتحد فإن قلت الصائم هو الإنسان صدقت وإن قلت الصوم لله لا للإنسان صدقت ولا معنى للاتحاد إلا صحة النسبة لكل واحد من المتحدين مع تميز كل واحد عن الآخر في عين الاتحاد فهو هو وما هو هو كما قلنا في بعض ما نظمناه في هذا المعنى في حال غلب علي:

لست أنا ولست هو فمن أنا ومن هو هو

فيا هو قل أنت أنا ويا أنا هو أنت هو

لا وأنا ما هو أنا ولا هو ما هو هو

لو كان هو ما نظرت أبصارنا به له

ما في الوجود غيرنا أنا وهو وهو وهو

فمن لنا بنا لنا كماله به له

ولما رأينا فيما روينا أن الله أنزل لقاءه منزلة فطر الصائم فقال للصائم فرحتان فرحة عند فطره لأنه غذاء طبيعته وهو الغذاء الحجابيّ إذ المغذي هو الله تعالى وفرحة عند لقاء ربه وهو غذاؤه الحقيقيّ الذي به بقاؤه فجعل هاتين الفرحتين للصائم في الحجاب وفي رفع الحجاب فنظمنا في شرف الرغيف إذ هو الغذاء المعتاد عندنا وله الشكل الكري وهو أفضل الأشكال فخصصنا الرغيف بالذكر دون غيره من الأمور التي يكون بها الغذاء فقلنا فيما سخر الله في حقه من العالم وطلب الهمم كلها جهته لتصل إليه فإن كل حيوان يطلب غذاءه بلا شك بل كل موجود حتى ما لا يقال فقلنا:

إذا عاينت ذا سير حثيث فذاك السير في طلب الرغيف

لأن الله صيره حجاباً على اسميه المهيمن واللطيف

به وله تجارات الذراري وأرواح اللطائف والكثيف

وتسخير العناصر والبرايا وتكوين المعادن في الكهوف

وتسيير المثقفة الجواري بموج البحر والريح العسيف

وقطع مهامه فيح تباري بها الأنعام بالسير العنيف
فمن شرف الرغيف يمين ربي عليه للوضيع وللشريف
يضج الخلق إن عدموه وقتاً عن إذن الواحد البرّ الرؤف
له صلوا وصاموا واستباحوا دم الكفار والبرّ العفيف
له تسعى الطيور مع المواشي له يسعى القويّ مع الضعيف
فمن ساع له من غير شك وللسبب الثقيل أو الخفيف
هو المعنى ونحن إذا نظرنا به عند التفكر كالحروف
هو الجود الذي ما فيه شك فيا شوقي لذا الجود الظريف
فديتك من رغيف فيه سرّ جليّ بالتليد وبالطريف
فقل للمنكرين صحيح قولي لقد غبتم عن المعنى الطريف
أليس الله صيره عديلاً لرؤيته على رغم الأنوف

فالصفة التي يقوم بها المصلي في صلاته في رمضان أشرف الصفات لشرف الاسم لشرف الزمان فأقام الحق قيامه بالليل مقام صيامه بالنهار إلا في الفرضية رحمة بعبده وتخفيفاً ولهذا امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقومه بأصحابه لئلا يفترض عليهم فلا يطيقونه ولو فرض عليهم لم يثابروا عليه هذه المثابرة ولا استعدّوا له هذا الاستعداد ثم الذين ثابروا عليه في العامّة يؤدّونه اشأم أداء وأنقصه لا يذكرون الله فيه إلا قليلاً لا يتمون ركوعه ولا سجوده ولا يرتلون قراءته وما سنه من سنه أعني من الاجتماع على قارىء واحد على ما هم الناس اليوم عليه من المتميزين من الخطباء والفقهاء وأئمة المساجد وفي مثل صلاتهم فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل ارجع فصل فإنك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون قيامه المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من الطمأنينة والخشوع والوقار وتدبر ما يتلى وإلا تركه أولى والقيام فيه أوّل الليل كما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه في الليلتين أو الثلاثة منه أولى ويكون في المسجد أولى منه في البيت بخلاف سائر النوافل وإنما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته وصلى فيه رحمة بأمته أن يفترض عليهم فيعجزوا عنه أو يتكاسلوا وهو كما قال تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وقال "بالمؤمنين رؤوف رحيم" والصلاة فيه مثنى مثنى كما ورد في الخبر في صلاة الليل إنها مثنى مثنى.

وصل في فصل صلاة الكسوف

وإنها سنة بالاتفاق وإنها في جماعة واختلفوا في صفتها والقراءة فيها والأوقات التي تجوز فيها وهل من شرطها الخطبة أم لا وهل كسوف القمر في ذلك مثل كسوف الشمس الخلاف في صفتها وردت فيها روايات مختلفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين ثابت وغير ثابت وما من رواية إلا وبها قائل فأيّ شخص صلاها على أيّ رواية كانت جاز له ذلك فإنه مخير في عشر ركعات

في ركعتين وبين ثمان ركعات في ركعتين وبين ست ركعات في ركعتين وبين أربع ركعات في ركعتين وإن شاء صلى ركعتين ركعتين على العادة في النوافل حتى تنجلي الشمس وإن شاء دعا الله تعالى بتضرع وخشوع حتى تنجلي فإذا انجلت صلى ركعتين شكراً لله تعالى وانصرف والعمل على هذه الرواية أحب إلي لما فيها من احترام الجناب الإلهي والرحمة بالأمة المصلين لها فإنهم لاستيلاء الغفلات والبطالة عليهم لا يفون بشروط ما تستحقه الصلاة من الحضور والآداب فربما يمقت المصلي ولا يشعر أو تثقل عليه تلك العبارة فيتبرم منها فلذلك جعلنا رواية الدعا من غير صلاة أولى فإنه في حقهم أحوط وكان العلاء بن زياد يصلي لها فإذا رفع رأسه من الركوع نظر إليها فإن كانت انجلت سجد وإن لم تكن انجلت مضى في قيامه إلى أن يركع ثانياً فإذا رفع رأسه من الركوع نظر إلى الشمس فإن انجلت سجد وإلا مضى في قيامه حتى يركع هكذا حتى تنجلي وصل الاعتبار الكسوف آية من آيات الله يخوّف الله به عباده فإذا وقع فالسنة أن يفزع الناس إلى الصلاة كسائر الآيات المخوفات مثل الزلازل وشدّة الظلمة واشتداد الريح على غير المعتاد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكسوف فقال إذا تجلى الله لشيء خشع له كل شيء والحديث غير ثابت من طريق الرواية صحيح المعنى وعندنا إن التجلي لازال دائماً وإنما جهل الناس به أداهم إلى أن يقولوا أو يقال لهم مثل هذا العدم علمهم فخرق العادة إنما هو في أن يعلم خاصة كما كان خرق العادة في إسماع السامعين تسبيح الحصى ومازال الحصى مسبحاً ولا شك أن النفوس ما تنبعث وتهتز إلا للآيات الخارقة للعادة والآيات الإلهية منها معتاد وغير معتاد والقرآن قد ورد في الآيات المعتادة كثير في قوله ومن آياته ومن آياته ويذكر أموراً معتادة ثم يقول إنّ في ذلك لآيات ولكن لا ترفع العامّة بها رأساً لجري العادة واستيلاء الغفلة وعدم الحضور وسبب كسوف الشمس والقمر معروف والذي لا يعرف كونه عن تجل إلهي إلا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم أو عارف صاحب كشف وقد جعل الله الكسوف آية على ما يريد أن يحدثه من الكوائن في العالم العنصري وفي العالم الذي يظهر فيه الكسوف وفي الزمان فإنه قد يكسف ليلاً فلا أثر له عندنا ويكون الحدث أيضاً بحسب البرج الذي يقع الكسوف فيه وهو علم قطعي أعني علم وقوع الكسوف لا علم ما يحدث الله فيه أو عنده ويكون الكسوف في مكان أكثر منه في مكان آخر وفي مكان دون مكان ويبتدىء في مكان وفي مكان آخر ما ابتدأ بل هو على حاله وهذا كله يعرفه العلماء به فإنه راجع إلى حركات معلومة معدودة عند أهل هذا الشأن وسبب كسوف الشمس من القمر إذا كان في مسامتتها فعلى قدر ما يسامتها منه يغيب منها عن أبصارنا فذلك الظل الذي نراه في الشمس هو من جرم القمر وقد يحجبها كلها فيظلم الجو فيقع الأبصار على جرم القمر فتتخيل العامّة إنّ ذلك المرئي هو ذات العارفين بتسيير الكواكب ولا يكون أبداً إلا في آخر الشهر العربي فإنّ القمر في ذلك الزمان يكون في المحاق والاحتراق تحت الشعاع فإن أعطى الحساب ما يؤدّي إلى المسامتة عندنا وقع الكسوف بلا شك وكذلك كسوف القمر إنما هو أن يحوّل ظل الأرض بينه وبين الشمس فعلى قدر ما يحول بينهما يكون الكسوف في ذلك الموضع ولهذا يعرف والخطأ فيه قليل جداً ولو لم يكن الأمر على هذا ما علم فإن الأمور العوارض لا تعلم إلا بإعلام الله على لسان من شاء من عباده وعندنا هي عوارض لا في نفس ما رتب الله في ذلك عندما أوحى في كل سماء أمرها والأمور الجارية على أصولها ثابتة لا تنخرم يعلمها العلوم بتلك الأصول وهي معتادة موضوعة لله تعالى واضعها ما هي عقلية ولا رسب ذلك طبيعي ولهذا يجوز خرق العادة فيها وهكذا كل موضوع إلى أن يخرم الله ذلك الأصل فلله المشيئة في ذلك وله الأمر من قبل ومن بعد ولذلك لا يقال في حكم المنجم إنه علم لأنّ الأصول التي

يبنى عليها إنما هي عن وضع إلهيّ وترتيب عالم حكيم استمرت به العادة ما ذاك لذواتها وما كان بالوضع قد يمكن زواله فإنّ الواضع

له قد يضعه إلى أجل مخصوص معين ما عندنا علم به فما من زمان نقدره إلا ويجوز تغيير ما وضع فيه من الأمور فإن لم يكن فبإرادة الواضع لا بنفسه وما كان بهذه المثابة لا يكون القائل بوقوعه على علم قطعي ولو وقع فإنه لا يعرف ما في نفس الواضع إلا بجهتين إما أن يكون هو المعرف بما في نفسه وهو الصادق وأما بعد ظهور الشيء فيعلم أنه لولا ما كان في نفس الواضع ما وقع والواضع هو الله تعالى وجل فالعالم المؤمن يقول في مثل هذا إن أبقى الله الترتيب على حاله وسيره في المنازل على قدره و لم يخرق العادة فيه فلابدّ أن يقع هذا الأمر الذي ذكرناه فلهذا ينفي العلم عن المنجم وكل ما هو مثله من حظ الرسل وغيره فضوء القمر لما كان مستفاداً من الشمس أشبه النفس في الأخذ عن الله نور الإيمان والكشف وإذا كملت النفس وصح لها التجلي على التقابل وهي ليلة البدر ربما التفتت إلى طبيعتها فظهرت فيها ظلمة طبيعتها فحالت تلك الظلمة بينها وبين نورها العقليّ الإيمانيّ الإلهيّ كما حال ظل الأرض بين القمر الذي هو بمترلة النف وبين نور الشمس فعلى قدر ما نظرت إلى طبيعتها انحجبت عن نور الإيمان الإلهيّ فذلك كسوفها فهذا كسوف القمر وأمّا كسوف الشمس فهو كسوف العقل فإن الله خلقه ليعقل عن الله ما يأخذ عنه فحالت النفس التي هي بمترلة القمر بينه وبين الحق تعالى من حيث ما يأخذ عنه من اسمه النور سبحانه من كون نسبته إلى الأرض من قوله "وهو الله في السموات وفي الأرض" وقوله "وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" فيريد العقل أن يأخذ عن الحق من علم ما يوجده في الأرض فتحول النفس بينه وبين علم ما يوجده في الأرض بشهواها حتى لا ينظر إليه سبحانه فيما يحدثه فيها والأرض عبارة عن عالم الجسم فيحجب العقل لحجاب النفس الحيوانية الشهوانية فذلك بمترلة كسوف الشمس فلا تدركها أبصار الناظرين ممن هو في تلك الموازنة ويفوت العقل من العلم بالله بقدر ما انحجب عنه من عالم الأجسام فلهذا شرع الله التوجه إلى مناجاته المعبر عن ذلك بصلاة الكسوف وشرع الدعاء لرفع ذلك الحجاب فإن الحجاب جهل وبعد في الحال الذي ينبغي له الكمال ولهذا لم يكن الكسوف إلا عند الكمال في النيرين في القمر ليلة بدره وهو كماله في الأخذ من الوجه الذي يلينا وكسوف الشمس في ثمانية وعشرين يوماً من سير القمر في جميع منازل الفلك فلما وصل إلى نهايته وأراد أن يقابل الشمس من الوجه الآخر حتى يأخذ عنها على الكمال في عالم الأرواح مثل أخذه في الرابع عشر في عالم الأجسام النازل ليفيض من نوره على أبصار الناظرين إنعاماً منه فاشتغلت الشمس بإعطائها النور للقمر في عالم الأرواح العالم العلوي إسعافاً لطلبته وإكراماً لقدومه عليها في حضرتها كان الكسوف لهذا الإسعاف ولهذا لا يكون للكسوفات حكم في الأرض إلا في الأماكن التي يظهر فيها الكسوف وأما الأماكن التي لا يظهر فيها الكسوف فلا حكم يظهر فيها له ولا أثر أي ما يفعل الله عند ذلك شيأ في العالم من الكوائن التي يفعلها عند ظهور الكسوف إذ لا فاعل إلا الله فإن الأمور بتقدير العزيز العليم صنعة حكيم حتى أن الشمس إذا أعطى الحساب أنها تكسف ليلاً لم يكن لذلك الكسوف حكم في ظاهر الأرض التي لم يظهر الكسوف فيها وكذلك كسوف القمر في الحكم فكذلك ظاهر الإنسان وباطنه فقد يقع الكسوف في الأعمال أي في العلم الذي يطلب العمل بالأحكام المشروعة وقد يقع في العلوم التي تتعلق بالباطن ولا حكم لها في الظاهر فتؤثر في موضع تعلقها إما في علم العمل وإما في العلم الذي لا يطلب العمل بحسب ما يقع فيتعين على من تكون حالته مثل هذه أن يتضرّع إلى الله فإن أخطأ المجتهد فهو بمترلة الكسوف الذي يكون في غيبة المكسوف فلا وزر عليه وهو مأجور وإن ظهر له النص وتركه لرأيه أو لقياسه الجليّ في زعمه فلا عذر له عند الله وهو مأثوم وهو الكسوف الظاهر الذي يكون له الأثر المقرّر عند علماء الأحكام بسير الكواكب وأكثر ما يكون هذا في الفقهاء المقلدين الذين قالوا لهم لا تلقدونا واتبعوا الحديث إذا وصل إليكم المعارض لما حكمنا به فإنّ الحديث مذهبنا وإن كنا لا نحكم بشيء إلا بدليل يظهر لنا في نظرنا أنه دليل

وما يلزمنا غير ذلك لكن ما يلزمكم اتباعنا ولكن يلزمكم سؤالنا وفي كل وقت في النازلة الواحدة قد يتغير الحكم عند المجتهد ولهذا كان يقول مالك إذا سئل في نالزة هل وقعت فإن قيل لا يقول لا أفتي وإن قيل نعم أفتي في ذلك الوقت بما أعطاه دليله فأبت المقلدة من الفقهاء في زماننا أن توفي حقيقة تقليدها لإمامها باتباعها الحديث الذي أمرها به إمامها وقلدته في الحكم مع وجود المعارض فعصت الله في قوله "وما آتاكم الرسول فخذوه" وعصت الرسول في قوله "فاتبعوني" فإنه ما قالها إلا عن أمر ربه سبحانه وعصت إمامها في قوله خذوا بالحديث إذا بلغكم واضربوا بكلامي الحائط فهؤلاء في كسوف دائم مسرمد عليهم إلى يوم القيامة فلا هم مع الله ولا مع رسوله صلى الله عليه وسلم ولا مع إمامهم فهم في براءة من الله ورسوله وإمامهم فلا حجة لهم عند الله فانظروا مع من يحشر هؤلاء فالصلاة المشروعة في الكسوف إنما هي لمناجاة الحق في رفع ظلمة النفس وظلمة الطبع كما يقول اهدنا الصراط المستقيم صراد الذين أنعمت عليهم وهم أهل الأنوار غير المغضوب عليهم مثل أهل ظلمة الطبع ولا الضالين مثل أهل ظلمة النفس فالله يحوّل بيننا وبين ما يكسف عقولنا ونفوسنا ويجعلنا أنواراً كلنا لنا ولمن يقتدي بنا أنه المليء بذلك والقادر عليه وأمّا اعتبار عدد الركعات في الركعتين فاعلم أن الركعتين ظاهر الإنسان وباطنه أو عقله وطبعه أو معناه وحرفه أو غيبه وشهادته وأما العشرة فهو تتريه في الركعتين خالقه تعالى وجل عن القبل والبعد والكل والبعض والفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والإمام فيرجع هذا التتريه من الله عليه فإنه عمل من أعماله فتكون له برجوع هذا العمل عليه هذه الأحكام كلها فلا قبل له فإنه لم يكن إلا الله والله لا يتصف بالقبلية ولا بعد له فإنه باق بإبقاء الله فلا يبعد ولا كل لله فإنه لا يتجزىء ولا يتحير من حيث لطيفته ومن لا كل له من ذاته فلا بعض له ومن لا يتصف بهذه الصفات فلا جهات له فلا جهات للإنسان إلا من حيث صورة جسمه ونشأته فإن نشأته الجسدية بها ظهرت الجهات الستة فهو عين اعلجهات ما هو في جهة من نفسه وأما اعتبار الثمانية في اثنتين فالثمانية الذات والصفات فتغيب الذات الكونية وصفاتها في الذات الأحدية وتندرج أنوار صفاتها في صفاتها وهو قوله تعالى "كنت سمعه وبصره" وذكر جوارحه فلا تقع عين إلا عليه ظاهراً وباطناً من عرف نفسه عرف ربه فهكذا هو الأمر في الباطن وأما في الظاهر فما تقع العين إلا على العبد والحق مدرج في هذا الحق بضم الحاء الكياني ما هو كاندراج العرض في المحل ولا كالمظروف في الظرف وأمّا اعتبار الست في اثنتين فهو قوله فأينما تولوا فثم وجه الله وقوله "والله بكل شيء محيط وأمّا اعتبار الأربعة في الثنتين فهو قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وعلى كل طريق يأتي إليه منها ملك مقدس بيده السيف صلتاً فإن كان المؤتى إليه من العارفين لم يكن له ملك يحفظه بل مواكسير وقفه من أي ناحية جاءه قبل منه وقلب جسده ذهباً لبريزا فيعود الآتي من الخاسرين.

وصل في فصل في القراءة فيها

اختلف العلماء في القراءة فيها أعني في السر والجهر بها فمن قائل يقرأ فيها سراً ومن قائل يقرأ فيها جهراً اعتبار هذا الفصل إن كان كسوفه نفسياً أسرّ في مناجاته وذكر الله في نفسه وإن كان كسوفه في عقله جهر في قراءته وهو بحثه عن الأدلة الواضحة وفيها الظاهرة الدلالة القريبة المأخذ التي يشركه فيها العقلاء من حيث ما هم أهل فكر ونظر واستدلال والآخرون أهل كشف وتجل ينتجه الهمم إلى الرياضات وهي تهذيب الأخلاق والخلوات والمجاهدات وتطويل المناجاة والتضرّع إلى الله تعالى فيها مشروع وهو اعتبار

طول القراءة في صلاة الكسوف فإنه روى أنه كان يقوم فيها بقدر سورة البقرة والقيام الثاني ربما يكون على النصف والقيام الثالث على النصف من الثاني وهكذا في القيام الرابع والخامس وسبب ذلك أن عالم الأرواح ما يتعبهم القيام ولا يدركهم ملل لأن النشأة نورية خارجة عن حكم الأركان وأما نشأة تقوم من العناصر تؤول إلى الاستحالات العبدية والقريبة فيعبر عن ذلك بالنصب والتعب وكلما نزل فيها من معدن إلى نبات إلى حيوان إلى إنسان كان التعب أقوى في آخر الدرجات وهو الإنسان والنصب أعم فإنه سريع التغير فإن له الوهم ولا شك أن الأوهام تلعب بالعقول كتلاعب الأفعال بالأسماء.

وصل في فصل الوقت الذي تصلي فيه

اختلف العلماء في الوقت الذي تصلي فيه صلاة الكسوف فمن قائل تصلى في جميع الأوقات المنهيّ عن الصلاة فيها وغير المنهيّ ومن قائل لا تصلى في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها ومن قائل تصلى في الوقت الذي تصلى فيه النافلة ومن قائل تصلى من الضحى إلى الزوال لا غير وصل الاعتبار كما لا يتعين للكسوف وقت لا يتعين للصلاة له لأن الصلاة تابعة للأحوال وقد ثبت الأمر باللاصة لها وما خص وقتاً من وقت وهي صلاة مأمور بها بخلاف النافلة فإنها غير مأمور بها فإن حملنا الصلاة على الدعاء دعونا في الوقت المنهي عن الصلاة فيه وصلينا في غيره من الأوقات وبه أقول.

وصل في فصل الخطبة فيها

اختلف علماء الشريعة في ذلك فمن قائل إن الخطبة من شرطها ومن قائل ليس في صلاة الكسوف خطبة والذي أذهب إليه أنه يستحب للإمام أن يخطب بالناس ليذكرهم ويحذرهم فإن الكسوف من الآيات التي يخوف الله بها عباده وصل الاعتبار في هذا الفصل الخطبة موعظة وذكرى والآية منبهة وذكرى والكسوف آية تخويف فوقعت المناسبة فترجح جانب من يقول باشتراط الخطبة وقد ثبت أن النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ذكر الناس بعد الفراغ من الصلاة.

وصل في فصل كسوف القمر

فمن قائل يصلى لكسوف القمر في جماعة كصلاة كسوف الشمس ومن قائل لا يصلى له في جماعة واستحب صاحب هذا القول أن يصلى له أفذاذ ركعتين ركعتين كسائر النوافل والذي أذهب إليه الصلاة في الجماعة أولى إن قدر عليها اعتبار هذا الفصل لما كان كسوف الشمس سببه القمر كان كسوف القمر كالعقوبة له لكسوفه الشمس فتضمن كسوف القمر آيتين فكانت الصلاة له في الجماعة أولى فإن شفاعة الجماعة لها حرمة أكثر من حرمة الواحد فالجمع لها ينبغي أن يكون آكد من الجمع بكسوف الشمس وكسوف القمر نفسيّ كما قدمنا والنفس أبداً هي المزاحمة للربوبية بخلاف العقل فكان ذنبها أعظم وحالها أخطر فاجتماع الشفعاء عند الشفاعة أولى من إتيانهم أفذاذاً ومن اعتبر في الكسوفات الخشوع كما ورد في الحديث الذي تقدّم كان منبهاً على الخشوع للمصلي فإن الله يقول "قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون" وقال وإنها يعني الصلاة لكبيرة إلا على الخاشعين وخشوع كل خاشع على قدر علمه بربه وعلمه بربه على قدر تجليه له.

وصل في فصل صلاة الاستسقاء

فمن قائل بصلاة الاستسقاء ومن قائل لا صلاة فيه والحجة لمن قال بالصلاة إنه من لم يذكر شيأ فليس بحجة على من ذكر وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم خرج بالناس يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة وحوّل رداءه ورفع يديه واستسقى واستقبل القبلة والعلماء مجمعون على أن الخروج إلى الاستسقاء والبروز عن المصر والدعاء والتضرّع إلى الله تعالى في نزول المطر سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في الصلاة في الاستسقاء كما ذكرنا والذي أقول به إن الصلاة ليست من شرط صحة الاستسقاء والقائلون بأن الصلاة من سنته يقولون أيضاً إن الخطبة من سنته وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى فيه وخطب واختلف القائلون بالخطبة هل هي قبل الصلاة أو بعدها فاتفق القائلون بالصلاة إن قراءتها جهر واختلفوا هل يكبر فيها مثل تكبير العيدين أو مثل تكبير سائر الصلوات ومن السنة في الاستسقاء استقبال القبلة واقفاً والدعاء ورفع اليدين وتحويل الرداء باتفاق واختلفوا في كيفية تحويل الرداء فقال قرم يجعل الأعلى أسفل والأسفل أعلى وقال قوم يجعل اليمين على الشمال والشمال على اليمين والذي أقول به أن يجمع بين الثلاث الكيفيات الأعلى أسفل واليمين على الشمال والباطن ظاهراً واختلفوا متى يحوّل ثوبه فقال قوم عند الفراغ من الخطبة وقال قوم إذا مضى صدر من الخطبة والذي أذهب إليه أن وقت التحويل وقت الدعاء فإنه سؤال بالحال في تحويل الحالة واختلفوا في وقت الخروج إليه فقيل في وقت صلاة العيدين وقيل عند الزوال وروى أبو داود إن النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج إلى الاستاسقاء حين بدا حاجب الشمس وصل الاعتبارات في جميع ما ذكرناه اعتبار الاستسقاء الاستسقاء طلب السقيا وقد يكون طالب السقيا لنفسه أو لغيره أو لهما بحسب ما تعطيه قرائن الأحوال فأما أهل الله المختصون به الذين شغلهم به عنهم وعرّفهم بأنهم إن قاموا فهم معه وهو معهم وإن رحلهم رحلوا به إليه فلا يبالون في أيّ مترل أنزلهم إذ كان الحق مشهودهم في كل حال فإن عاشوا في الدنيا فيه عيشهم وإن انقلوبوا إلى الأخرى فإليه انقلابهم فلا أثر لفقد الأسباب عندهم ولا لوجودها فهؤلاء لا يستسقون في حق نفوسهم إذ علموا أن الحياة تلزمهم لأنها أشد افتقاراً إليهم منهم إليها وفائدة الاستسقاء إبقاء الحياة الدنيا فاستسقاء العلماء بالله في الزيادة من العلم بالله كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين أمره "وقل رب زدني علماً" هذا الدعاء هو عين الاستسقاء فإذا استسقى النبيّ صلى الله عليه وسلم ربه في إنزال المطر والعلماء بالله لم يستسقوه في حق نفوسهم وإنما استسقوه في حق غيرهم ممن لا يعرف الله معرفتهم تخلقاً بصفته تعالى حيث يقول كما ورد في اعلحديث الصحيح قال الله تعالى استسقيتك عبدي فلم تسقني قال وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك فلان فلم تسقه فهذا الرب قد استسقى عبده في حق عبده لا في حق نفسه فإنه يتعالى عن الحاجات كذلك استسقاء النبيّ والعلماء بالله إنما يقع منهم لحق الغير فهم ألسنة أولئك المحجوبين بالحياة الدنيا عن لزوم الحياة لهم حيث كانوا تخلقاً بالاستسقاء الإلهيّ إذ الفقير المحقق من لا يقوم به حاجة معينة فتملكه لعلمه بأنه عين الحاجة فلا تقيده حاجة فإن حاجة العالم إلى الله مطلقة من غير تقييد كما أن غناه سبحانه عن العالم مطلق من غير تقييد من حيث ذاته فهم يقابلون ذاتاً بذات وينسبون إلى كل ذات ما تعطيها حقيقتها وما أحسن ما شرع في الأذان والإقامة في قوله حيّ على الصلاة و لم يقل إلى الصلاة فيقيده بالغاية ومن كان معك فلا يكون غايتك ولا تقل حيّ كلمة إقبال ولا يطلب الإقبال إلا من معرض وكل معرض فاقد قلنا نعم لما كان العبد متحققاً بالله كان هو الناظر والمنظور والشاهد والمشهود وغاب عين العبد و لم يبق إلا الرب وأراد الحق سبحانه أن يشهد العبد عين عبوديته ليعرفه بما أنعم عليه به مما لم يعط ذلك لغيره من العبيد.

ولا يعرف ذلك حتى يردّ لنفسه ومشاهدة عينه مقارنة لمشاهدة ربه و لم يجعل ذلك في شيء من عباداته إلا في الصلاة فقال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فلا بدّ للمصلي من أجل قسمه من الصلاة أن يقوم فيه إذ لا يليق ذلك لقسم الذي للعبد من الصلاة أن يكون لله فقال له حيّ على الصلاة أي أقبل على الصلاة من أجل القسم الذي يخصك منها فإعراضه إنما كان عن نفسه لا عن ربه لأن العلم بالله أعطاه ذلك فقال له أقبل على صلاتك لتشهدني وتشهد نفسك فتعرف مالي ومالك فتتصف بالحكمة وفصل الخطاب وترى ما أنت فيه فلم يأت بالي فإنها أداة تؤذن بالفقد والأمر في نفسه ليس كذلك فإذا كان الحق يستسقى عبده فالعبد أولى وإذا كان الحق ينوب عن عبده في استسقاء عبده يسقي عبده فالعبد أولى أن يستسقي ربه ليسقي عبده وهو أولى بالنيابة عن مثله من الحق عنه إذ ليس كمثله شيء فمن الأدب مع الله الاستسقاء في حق الغير فإن أصحاب الأحوال محجوبون بالحال عن العلم الصحيح فصاحب الحال إذا لم يكن محفوظاً عليه أدبه لم يؤاخذ بسوء الأدب إذ كان لسانه لسان الحال وصاحب العلم مؤاخذ بأدنى شيء لأنه ظاهر في العالم بصورة الحق وكم بين من يظهر في وجوده بربه وبين من يظهر بحاله شتان بين المقامين ويا بعد ما بين المنزلتين شاهد العلم عدل وشاهد الحال فقير إلى من يزكيه في حاله ولا يزكيه إلا صاحب العلم ولما كان العلم بهذه العزة شرعت التزكية في حكم الشرع بغلبة الظن فيقول أحسبه كذا وأظنه كذا لأنه لا يعلم كل أحد ما منزلة ذلك المزكي عند الله فلا يزكي على الله أحداً وإذا افتقر صاحب الحال إلى التزكية بغلبة الظنّ فهو إلى العالم صاحب العلم أفقر وأفقر فإنه مع من يزكيه كلاهما محتاجان إلى صاحب العلم العلم منجلي يظهر نفسه والحال ملتبس يحتاج إلى دليل يقوّيه لضعفه أن يلحق بدرجة الكمال فصاحب الحال يطلب العلم وصاحب العلم لا يطلب الحال أيّ عاقل يكون من يطلب الخروج من الوضوح إلى اللبس فإذا فهمت ما قرّرناه تعين عليك الاستسقاء فاشرع فيه وصل اعتبار البروز إلى الاستسقاء الاستسقاء له حالان الحال الواحدة أن يكون الإمام في حال أداء واجب فيطلب منه الاستسقاء فيستسقي على حالته تلك من غير تغيير ولا خروج عنها ولا صلاة ولا تغير هيئة بل يدعو الله ويتضرّع في ذلك فحال هذا بمنزلة من يكون حاضراً مع الله فيما أوجب الله عليه فيتعرّض له في خاطره ما يؤديه إلى السؤال في أمر لا يؤثر السؤال فيه في ذلك الواجب الذي هو بصدده بل ربما هو مشروع فيه كمسئلتنا ألا ترى أن الشارع قد شرع للمصلي أن يقول في جلوسه بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني واجبرني فشرع له في الصلاة طلب الرزق والاستسقاء طلب الرزق فليس لمن هذه حالته أن يبرز إلى خارج المصر ولا يغير هيئته فإنه في أحسن الحالات وعلى أحسن الهيئات لأن أفضل الأمور أداء الواجبات دخل أعرابيّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من باب المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر خطبة الجمعة فشكا إليه الجدب فطلب منه أن يستسقي الله فاستسقى له ربه كما هو على منبره وفي نفس خطبته ما تغير عن حاله ولا أخر ذلك إلى وقت آخر وأما الحالة الأخرى فهو أن لا يكون العبد في حال أداء واجب فيعرض له ما يؤديه إلى أن يطلب من ربه ابتداء في حق نفسه أو غيره مما يحتاج أن يتأهب له أهبة جديدة على هيئة مخصوصة فيتأهب لذلك الأمر ويؤدي بين يديه أمراً واجباً ليكون يحكم عبودية الاضطرار فإن المضطرّ تجاب دعوته بلا شك كذلك العبد إذا لم يكن في حال أداء واجب وأراد الاستسقاء برز إلى المصلي وجمع الناس وصلى ركعتين فالشروع في تلك الصلاة عبودية اختيار وأداء ما فيها من قيام وركوع وسجود وجلوس عبودية اضطرار فإنه يجب عليه في الصلاة النافلة بحكم الشروع الركوع والسجود وكل ما هو فرض في الصلاة فإذا دعا عقيب عبودية الاضطرار فقمن أن يستجاب له ويدخل في الهيئة الخاصة من رفع اليد وتحويل الرداء واستقبال القبلة

والتضرّع إلى الله والابتهال في حق المحتاجين إلى ذلك كائناً من كان ولما ذكرناه وقع الخلاف في البروز إلى الاستسقاء وقد برز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خارج المدينة فاستسقى بصلاة وخطبة واعتبار البروز من المصر إلى خارجه خروج الإنسان من الركون إلى الأسباب إلى مقام التجريد

والفضاء حتى لا يكون بينه وبين السماء الذي هو قبلة الدعاء حجاب سقف ولا غيره وهو خروج من عالم ظاهره مع عالم باطنه في حال الافتقار إلى ربه بنية التخلق بربه في ذلك أو بنية الرحمة بالغير أو بنفسه أو بمجموع ذلك كله وصل الاعتبار في الوقت الذي يبرز إن برز من ابتداء طلوع حاجب الشمس إلى الزوال وذلك عندما يتجلى الحق لقلب العبد التجلي المشبه بالشمس لشدة الوضوح ورفع اللبس وكشف المراتب والمنازل على ما هي عليه حتى يعلم ويرى أين يضع قدمه لئلا يهوى أو يخطيء الطريق أو تؤذيه هوام أفكار ردية ووساوس شيطانية.

فإن الشمس تجلو كل ظلمة وتكشف كل كربة فإن لطلوعها شرع أهل الأسباب في طلب المعاش والمستسقى طالب عيش بلا شك فمادام الحق يطلب العبد لنفسه لما ينقبض من الظل من طلوع الشمس إلى الزوال ليكون طلبه للأشياء من الله بربه لا بنفسه لذلك نبهه على ذلك بقبض الظل إلى حد الزوال فإذا قضيت حاجته التي سأل فيها فمن شأن صاحب هذا الحال إذا حصلت له حاجته إنه يؤديها إلى المحتاج وقد انقبض ظله فأخذ الحق في الاحتجاب عن عبده ليبقى مع نفسه فيما أعطاه في سؤاله مما تحتاج إليه نفسه فيشهده نفسه شيأ فشيأ كما يمتد الظل ويظهر بدلوك الشمس إلى حين الغروب فإذا احتجب عنه بقي مع نفسه متفرّغاً إليها بما حصله وهو المعبر عنه بالعشاء فينضم إلى وكره ويجمع أهله على مائدته بما اكتسبه في يومه فلهذا كان البروز إلى المصلى من طلوع الشمس فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما برز إلى الاستسقاء خرج حين بدا حاجب الشمس فاعتبرناه على ذلك الحدّ للمناسبة والمطابقة وصل اعتبار الصلاة في الاستسقاء لما شرع الله في الصلاة الدعاء بقوله "اهدنا الصراط المستقيم" والاستسقاء دعاء مخصوص فأراد الحق أن يكون ذلك الدعاء في مناجاة مخصوصة يدعو فيها بتحصيل قسمه المعنويّ من الهداية إلى الصراط المستقيم صراط النبيين الذين هداهم الله فهمماً بطلب الأول الذي فيه السعادة المخصوصة بأهل الله ثم بعد ذلك يستسقون في طلب ما يعم الجميع من الرزق المحسوس الذي يشترك جميع الحيوانات وجميع الناس من طائع وعاص وسعيد وشقيّ فيه فابتدأ بالصلاة ليقرع باب التجلي واستجابة الدعاء فيما يزلف عند الله فيأتي طلب الرزق عقيب ذلك ضمناً ليرزق الكافر بعناية المؤمن والعاصي بعناية الطائع فلهذا شرعت الصلاة في الاستسقاء فعبودية الاختيار قبل عبودية الاضطرار تأهب واستحضار وتزيين محل وتهيؤه وعبودية الاختيار عقيب عبودية الاضطرار شكر وفرح وبشرى بحصول عبودية الاضطرار فالأولى بمنزلة النافلة قبل الفرض والثانية بمنزلة النافلة بعد أداء الفرض لما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر تنفل حتى تورمت قدماه فسئل في ذلك فقال أفلا أكون عبداً شكوراً وعبادة الشكر عبادة مغفول عنها ولهذا قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وما بأيدي الناس من عبادة الشكر على النعماء إلا قولهم الحمد لله والشكر لله لفظ ما فيه كلفة وأهل الله يزيدون على مثل هذا اللفظ العمل بالأبدان والتوجه بالهم قال اعملوا آل داود شكراً ولم يقل قولوا والأمة المحمدية أولى بهذه الصفة من كل أمة إذ كانت خير أمة أخرجت للناس وصل اعتبار التكبير فيها من شبهها بصلاة العيد الأول عبد فطر فهو خروج من حال صيام والصيام يناسب الجدب فإن الصائم يعطش كما تعطش الأرض في حال الجدب وعيد الأضحى هو عند زمان الحج وأيام عشر الحج أيام ترك زينة ولهذا شرع

للمحرم ترك الزينة وشرع لمن أراد أن يضحى إذا أهل هلال ذي الحجة أن لا يقص ظفراً ولا يأخذ من شعره ولما لم يكن زينة الأرض إلا بالأزهار والأزهار لا تكون إلا بالأمطار وهذه الأحوال تقتضي عدم الزينة فاشبهت الأرض الجدبة التي لا زينة لها لعدم الزهر لعدم المطر فأشبهت صلاة الاستسقاء على سائر أكثر السنن والنوافل وصلوات الفرائض لم يزد على التكبير المعلوم شيأ وهو أولى فإن حالة الاستسقاء حالة واحدة ما هي مختلفة الأنواع فإن المقصود إنزال المطر فلا يزيدد على تكبيرة الإحرام شيأ لأنه ما ثم حالة تطلب تكبيرة أخرى زائدة على تكبيرة الإحرام فيحرم على المصلي في الاستسقاء في تكبيرة الإحرام جميع ما تلتذ به النفوس من الشهوات ويفتقر إلى ربه في تلك الحالة كما حرم على الأرض الجدبة الماء الذي به حياها وزينتها ونسمتها يناسب حال العبد بالأحرام حال الأرض فيما حرمت من الخصب وصل اعتبار الخطبة في الاستسقا الخطبة ثناء على الله بما هو أهله ليعطي ما هو أهله فيثني عليه ثناء آخر بما يكون منه وهو الشكر على ما أنعم والمصلي مثن على الله بما هو أهله وعلى ما يكون منه وهو القسم الواحد الذي لله من الصلاة فالخطبة ينبغي أن تكون في الاستسقاء ومن رأى أن الصلاة ثناء على الله يقول حصل المقصود فأغنى عن الخطبة وتضاعف الثناء على الله أولى من الاقتصار على حال واحدة فإن الخطبة تتضمن الثناء والذكرى فإن الذكرى تنفع

المؤمنين والاستسقاء طلب منفعة بلا شك وصل اعتبار متى يخطب التشبه بالنسبة لكونها سنة أولى من التشبه بالفريضة وقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن لا تشبه صلاة الوتر بصلاة المغرب فيكره لمن أوتر بثلاث أن يأتي بها على صورة صلاة المغرب فتشبيه الاستسقاء بالعيدين أولى فيخطب لها بعد الصلاة إلا أن يرد نص صريح بأن النبيّ صلى الله عليه وسلم خطب لها قبل الصلاة فيكون النص فيها فلا تقاس على سنة ولا على فريضة بل تكون هي أصلاً في نفسها يقبس عليها من يجيز القياس في دين الله وإذا كان العيد يخطب فيه بعد الصلاة مع المراد بالخطبة تذكير الناس وتعليمهم وهم لا يقيمون بل يتصرف أكثرهم بتمام الصلاة فالخطبة في الاستسقاء بعد الصلاة أولى لأنهم لا ينصرفون حتى يستسقي الإمام بهم فإنهم للاستسقاء خرجوا والخطبة إنما تكون بعد الصلاة وبعد الدعاء بالاستسقاء فلا ينصرف الناس فيحصل المقصود من الخطبة ألا ترى إلى عبد الملك مروان بن مروان كيف اختطب في العيد قبل الصلاة فقيل له في المجلس في ذلك معيراً عليه فعله وأن النبي صلى الله عليه وسلم ما اختطب في العيدين إلا بعد الصلاة فقال عبد الملك قد ترك ما هنالك يريد أن الناس قد تركوا الجلوس للخطبة وكانت الصحابة لا ينصرفون من لصلاة العيد حتى يخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع السنة أولى ولو لم يبق إلا الإمام وحده لأنه لا يلزمه أكثر من الاقتداء ولا يعلل كذلك الإنسان إذا فرغ من مناجاة ربه في صلاته يثني على الله في نفسه فيما ينصرف إليه وذلك حتى لا يبرح مع الله في عموم أحواله فإذا فعل ذلك كان بمنزلة الخطبة بعد الصلاة فلايزال في شغله مع الله في كل حال والله الموفق لا رب غيره وصل اعتبار في القراءة جهراً يجهر المصلي بالقراءة في الاستسقاء ليسمع من وراءه ليحول بينهم وبين وساوسهم بما يسمعونه من القرآن ليدبروا آياته ويشغلوا نفسوهم عن وساوسها بالتفكر في معاني القرآن وليثابوا من حيث سمعهم فقد يكون حسن استماعهم لقراءة الإمام من الأسباب الموجبة لنزول المطر لكونهم أدوا واجباً بامتثالهم أمر الله بقوله "وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون" والمطر من رحمة الله وهم ما أخرجهم إلا طلبتهم إياه من الله تعالى وقد وعد به لمن استمع القرآن فإن أفعال الترجي من الله حكمها حكم الواجب وإن الإمام ذاكر ربه في ملأ وهو الجماعة في صلاته جهراً ودعائه فيذكره الله في ملأ خير منهم فقد يكون في ذلك الملأ من يسئل الله تعالى في قضاء حاجة ما توجه إليه فيها هذا الإمام وجماعته فيمطرون بدعاء ذلك الملك فإن الملائكة تقول "ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً" فقدمت الرحمة على العلم لموضع حاجة العباد إليها وأدباً مع الله فإن الله قدمها في العطاء على العلم فقال

آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً وقد ورد إن الله يقول لعبده ادعني بلسان لم تعصني به وهو لسان أمثالي من العصاة فكيف بلسان الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فالجهر بالقراءة فيها أولى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فيها أعني في صلاة الاستسقاء وصل اعتبار تحويل الرداء إشارة إلى تحويل الحال الذي أخرجهم من الجدب إلى الخصب ومن حال شظف العيش إلى رغده فإن ذلك من الفأل الحسن كما تحول أهل هذا المصر في خروجهم إلى الاستسقاء من حال البطر والأشر وكفران النعم إلى حال التوبة والافتقار وإظهار الفاقة والمسكنة فطلبوا التحويل بالتحويل ولسان الأفعال أفصح من لسان الأقوال فإنهم القائلون بذلك الفعل أي ربنا إنها هدنا إليك ورجعنا عما كنا عليه من مخالفتك فإن التنعم بالنعم وما كنا فيه من الخصب على جهة البطر أوجب لنا الجدب والقحط ونرجو بكرمك أن توجب لنا الافتقار والذلة والمسكنة والخشوع والخصب فإن الشيء لا يقابل إلا بضدّه حتى ينتجه فإن قلت فقوله تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم قلنا الشاكر في حال شكره هو عين فقره إلى ما ليس عنده وهو الزيادة التي تزاد له على النعمة التي يكون فيها وهي نعمة باطنة وهي توبته التي أعطاه الله في باطنه وظاهره وهي نعمة توجب الشكر والشكر يطلب المزيد فتعمه النعمة ظاهراً بنزول المطر وباطناً بالحمد على ما أنعم الله به عليهم.

شكر لنعمة ربي نعمة أخرى ... منه علي لهذا يطلب الشكرا

فقرى إليه وما عندي سوى نعم ... من الإله بها إرساله تترى

هو الغنيّ وفقري منة ظهرت ... منه علي فنلت الزهو والفخرا

بالفقر فخري وبالفاقات سلطنتي ... على الوجود فلا أدري ولا أدري

ألا ترى التاجر رب المال الغزير والخير الكثير الذي لو قسم ماله عليه وعلى أهله وأولاده وأتباعه طول أعمارهم لكفاهم وفضل عنهم ومع هذا يخاطر بماله ونفسه في ركوب البحار والسبل المخوفة في طلب زيادة درهم فما أخرجه عن أهله وهون عليه مفارقة وطنه وولده ودعته وأحوجه إلى ركوب هذه الأخطار إلا فقره وتوهمه تحصيل هذا الدرهم الزائد على ما عنده وربما تلفت نفسه وماله بغرق أو قطاع طريق أو أسر المحقق عنده الحاصل في أمر متوهم يمكن أن يحصل ويمكن أن لا يحصل فإذا أراد من هذه حالته من التجار وتخرجه فاقته ولابدّ له من السفر فليحول نيته إلى نية أخرى فينظر إلى الجهة التي يقصدها في سفره ويعلم أن الله قد سخر عباده في قضاء حوائج بعضهم لبعض فيقول إن البلد الفلاني يحتاجون إلى كذا وكذا ويذكر السلع التي يطلبها أهل ذلك البلد يا رب فإن قعدت أنا وغيري و لم أحمل إليهم هذا الذي يحتاجون إليه كلفناهم التعب ومفارقة الأولاد بالوصول إلينا لتحصيل ما يحتاجون إليه فنحن نؤثر تعبنا على تعبهم ونحمل إليهم ما يحتاجون إليه ويكون ما يكسبه من زيادة الدرهم تبعاً لهذه النية هكذا يكون متجر الموفقين الصادقين الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم في الحديث الصحيح التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين والصدّيقين والشهداء فانظر ما أحسن هذه النسبة بهذا التنبيه فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليه السلام جاؤا من عند الله إلى عباد الله بما يحتاجون إليه مما فيه سعادتهم فأجروا على ذلك الأجر التام وهذا حال التاجر لمن عقل يقول تعالى "هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم مع حصول المشقة في ذلك من مفارقة الأهل في دخلوه في الإيمان دونهم ومفارقة الوطن بالهجرة إلى

دار الإسلام فانظر ما أعجب كلام النبوّة وهذا كله من تحويل الحالات لهذا يحول رداءه من يستسق ومن لم يوفق إلى هذا النظر الذي له فيه الأجر التام والمعرفة الصحيحة أخرجه ما يخرج الناس اليوم وهو الفقر الذي قام به لطلب تلك الزيادة المتوهمة التي يمكن أن تحصل ويمكن أن لا تحصل مع كثرة المال الذي يقع له به الغنى لو استغنى فلما لم يكن عنده غنى في نفسه بما عنده وقام به الخوف على ماله والفقر إلى الزيادة خاطر بنفسه وماله وعمي عن علمه بأن المسافر وماله على قلت فأزعجه هذا الفقر المتوهم وحال بنيه وبين أهله وولده وأحبابه وهو على غاية من السرور والفرح بذلك السفر لتوهمه حصول الأرباح فحال الشاكر وفقره إلى طلب الزيادة أولى فإن الزيادة محققة والربح هناك متوهم فإن الله صادق في إخباره ثم إن الشاكر الذي له هذه الزيادة المحققة بشكره هو في أهله لا يفارق وطنه ولا أهله ولا ولده ولا يغري بنفسه ولا يركب الأخطار ولا يتعب بدنه ولو تصدّق بماله كله فهو كتاجر باع بنسيئة فهو له مدخر يجده يوم فقره وحاجته عند الله فإن رزقه الذي تقوم به نشأته وأرزاق عياله لابدّ منها يأتي بها الله كما قال لقمان يا بنيّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير فهذا تاجر باع بنسيئة إلى أجل وأجله زمان القيامة فهو حلول الأجل فهذا يا أخي حكمة تحويل الرداء وصل اعتبار كيفية تحويله وهو على ثلاث مراتب يجمعها كلها العالم إذا أراد أن يخرج من الخلاف الذي بين علماء الشريعة وهو أن يردّ ظاهره باطنه وباطنه ظاهره وأعلاه أسفله وأسفله أعلاه والذي على يمينه على يساره والذي على يساره على يمينه وكل ذلك تأكيد في الإشارة إلى تحويل الحالة التي هم عليها فأما اعتبار ظاهر الرداء وباطنه فهو تأثير أعمال ظاهره في باطنه أعني في قلبه بما تنتج له هذه الأعمال وأعمال باطنه أيضاً المحمودة تظهر بالفعل على ظاهره مثل نيته أن يتصدّق فيتصدّق أو ينوي فعل خير ما فيفعله فما كان في باطنه قد ظهر بالفعل على ظاهره من أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها ومن عمل عملاً صالحاً أثر له في نفسه وقلبه المحبة والطلب إلى الشروع في عمل آخر ولاسيما إن أنتج له ذلك العمل في الدنيا علماً في نفسه كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يكن يعلم وقال تعالى "إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا" وأما تحويل أعلى الرداء وأسفله فهو إلحاق العالم الأعلى بالأسفل في التسخير وإلحاق العالم الأسفل

بالأعلى في الطهارة والتقديس فيترل الأعلى رحمة بالأسفل ويرفع الأسفل عناية إلى رتبة الأعلى في النسبة إلى الله تعالى والافتقار إليه وإن الله كما توجه إلى أعلى الموجودات قدرا وهو القلم الإلهيّ والعقل الأول بما أعطاه من العلم والسعادة كذلك توجه إلى أدنى الموجودات قدراً وأشقاهم وأخسهم مترلة عند الله على حدّ واحد فإن الله من حيث ذاته ما فيه مفاضلة لأنه لا يتصف بالكل فيتحقق فيه البعض وما من جوهر فرد من العالم كله أعلاه وأسفله إلا وهو مرتبط بحقيقة إلهية ولا تفاضل في ذلك الجانب الأعز الأحمى فهو مستو على عرشه الأعلى ولو دليتم بحبل لهبط على الله اجتمع أربعة من الأملاك على الكعبة واحد نازل من السماء وآخر عرج من الأرض السفلى والثالث جاء من ناحية المشرق والرابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد منهم صاحبه من أين جئت فكلهم قالوا من عند الله وروينا عن بعض شيوخنا حديثاً يرفعه أو يبلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله في السماء كما هو في الأرض وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم فساوى بين العالمين في الطلب ومعلوم ما بينهما من التفاوت في العرف واتفق لي في هذا من هذا السمك المالح فتخيل أصحابي أني حملته مجاهدة لنفسي لعلو منصبي عندهم عن حمل مثل ذلك وقالوا لشيخي ما قصر فلان في مجاهدته فقال حتى نسأله بأي نية حمله فسألني الشيخ بحضور الجماعة وذكر لي ما ذكروه فقلت لهم أخطأتم في التأويل علي والله ما نويت شيء من ذلك ولكني رأيت الله على علو قدره ما نزه نفسه عن خلق مثل هذا فأنزه عينه ولا

فرق عند العارفين بن العالي والدون المعتاد هذا خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك وأين إدراك الشم من الرائحتين فلا تنظروا في الأشياء المتفاضلة إلا بارتباطها بالحقائق الإلهية وإذا كان هذا نظركم فإنكم لا تحقرون شيأ من العالم فلا تقس الله ولا تحمله على نفسك وخذ الأشياء على ما تعطيها الحقائق وأمّا تحويل ما هو على اليمين إلى الشمال وبالعكس فاعتباره أن صفات السعداء في الدعاء الخشوع والذلة وهم أهل اليمين في الدنيا فتتحوّل هذه الصفة على أهل الشمال في الدار الآخرة فكأن السعداء أخذوها منهم في الدنيا قال تعالى في حق السعداء الذين هم في صلاتهم خاشعون وقال خاشعين لله وقال أعني في عكس الصفة عليهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار وقال في حق الأشقياء في الدار الآخرة خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفيّ وقال "وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية" وتحويل آخر وهو أن يتصف العبد السعيد في الآخرة بما يتصف به العبد الشقيّ في الدنيا في الثروة والملك والسلطان فينقلب إليه المؤمن في الآخرة ويتحوّل إليه ويتحوّل عنه الكافر في الآخرة فيظهر المؤمن في الآخرة بنعيم الكافر الشقيّ في الدنيا ويظهر الكافر المنعم في الدنيا في الآخرة بصفة الشقاء والبؤس الذي كان فيه المؤمن في الدنيا فهذا اعتبار اليمين والشمال في تحويل الرداء وصل في اعتبار وقت التحويل وهو في الاستسقاء في أول الخطبة أو بعد مضيّ صدر الخطبة فاعلم أن اعتبار التحويل في أول الخطبة هو أن يكون الإنسان في حال نظره لربه بربه فينظر في أول الخطبة لربه بنفسه وهو قوله في أول الصلاة حمدني عبدي فلو كان حال المصلي في وقت الحمد حال فناء بمشاهدة ربه أنه تعالى حمد نفسه على لسان عبده لم يصدق من جميع الوجوه حمدني عبدي وهو الصادق سبحانه في قوله حمدني عبدي فلا بدّ أن يكون العبد يشاهد نفسه في حمده ربه وهو صدق ومن قال مضى صدر من الخطبة فهو إذا قال العبد إياك نعبد وإياك نستعين فكان في أول الخطبة يثني على ربّه بربه بحال فناء علمي ومشه سني بربّه عن نفسه فإنه بكلامه حمده فلما أوقع الخطاب كان ثناؤه بنفسه على ربّه فيحول عن حالته تلك في هذا الوقت فهذا اعتبار تعيين التحويل في أول الخطبة أو بعد مضيّ صدر الخطبة وصل اعتبار استقبال القبلة من كان وجها كله يستقبل ربّه أن يقبل على ربه بجميع ذاته فإنه ما فيه جزء محسوس أو معنوي ظاهر أو باطن إلا وهو فقير محتاج إلى رحمة فقر إليه وما منع الناس الإجابة من الله دعائهم إياه إلا كونهم يدعونه عن ظهر غنى لالتفاتهم إلى الأسباب وهم لا يشعرون وينتجه عدم الإخلاص والمضطر المضمون له الإجابة مخلص مخلص ما عنده التفات إلى غير من توجه

إليه أخبرني الرشيد الفرغاني رحمه الله عن فخر الدين شيخه ابن خطيب الريّ عالم زمانه أن السلطان حبسه وعزم على قتله وماله شفيع عنده مقبول قال فطمعت أن أجمع همي على الله في أمري أن يخلصني من يد السلطان لما انقطعت بي الأسباب وحصل اليأس من كل ما سوى الله فما تخلص لي ذلك لما يرد على من الشبه النظرية في إثبات الله الذي ربطت معتقدي به إلى أن جمعت همتي وكليتي على الإله الذي تعتقده العمّة ورميت من نفسي نظري وأدلتي و لم أجد في نفسي شبهة تقدح عندي فيه وأخلصت إليه التوجه بكلى ودعوته في التخلص فما أصبح إلا وقد أفرج الله عني وأخرجني من الاستسقاء عند الدعاء مناسب لقيام الحق بعباده فيما يحتاجون إليه فإنه طلب للرزق بإنزال المطر الذي تركن نفوسهم إليه ويستبشرون بقول الله الرجال قوّامون على النساء والنفوس كلها في مقام الأنوثة لمن عقل فإن كل منفعل فرتبته رتبة الأنثى وما ثم غلا منفعل والفعل مقسم على الحقيقة بين الفاعل والمنفعل فمن الفاعل الاقتدار ومن المنفعل القبول للاقتدار فيه وهنا سر يتضمن أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي فالذي يجعل الله الرزق على يديه قائم على من يرزق بسببه فشرع القيام في الدعاء في الاستسقاء كأنه يقول بحال قيامه بين يدي ربّه ارزقنا ما نقوم به على عيالنا بما تترله من الغيث علينا فإنه السبب في وجود ما به قوام أنفسنا إنك على كل شيء قدير وصل اعتبار الدعاء في هذا

الباب الدعاء مخ العبادة وبالمخ تكون القوّة للأعضاء كذلك الدعاء مخ العبادة به تقوى عبادة العابدين فإنه روح العبادة إن الذين يستكبرون عن عبادتي العبادة هنا عين الدعاء سيدخلون جهنم داخرين وهو البعد عن الله فإن جهنم سميت به لبعد قعرها وصل اعتبار رفع الأيدي عند الدعاء على الكيفيتين الأيدي محل القبض والعطاء فيها ما أخذو بها ما أعطى فلها القبض بما تأخذ والبسط بما تعطى فيرفع العبد يديه مبسوطتين ليجعل الله فيهما ما سأله من نعمه فإن رفعها وجعل بطونها إلى الأرض فرفعها تشهد العلو والرفعة ليدي ربي تعالى التي هي اليد العليا ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ويجعل الداعي بطون يديه إلى الأرض في الاستسقاء أي أنزل علينا مما بيديك من الخير والبركة ما تسد به فقرنا وفاقتنا الي علقتها بالأسباب فأوحدها إليك وفرغها بما تترله من الغيث من أجلها فهذا وأشباهه اعتبار صلاة الاستسقاء وأحوال أهله وكون صلاتها ركعتين هو قول الله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالركعة الواحدة للنعمة الظاهرة يسد بها الخلل الظاهر والركعة الثانية للنعمة الباطنة يسأل فيها ما يكون فيه غذاء الأرواح والقلوب من العلوم والمعارف والتجلي واليد النعمة انتهى الجزء السادس والأربعون

الجزء السابع والأربعون

تكملة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل ركعتي تحية المسجد

اختلف علماء الشريعة في الركعتين لدخول المسجد فمن قائل أنها سنة ومن قائل بوجوبهما والذي أذهب إليه وأقول به أن هاتين الركعتين لا تجب على من دخل المسجد إلا أن أراد القعود في المسجد فإن وقف ولا يجلس أو عبر فيه و لم يقعد فهو مخير عندي إن شاء ركعهما وإن شاء لم يركعهما ولا حرج عليه ويأثم بتركهما إن قعد و لم يركعهما إلا أن يدخل في الوقت المنهي عن الصلاة فيه أو يكون على غير طهارة وصل في اعتبار هذا الفصل لا يخلو هذا الداخل في المسجد أن يدخل في زمان إباحة النافلة أو في زمان النهي عن صلاة النافلة فإن دخل في زمان النهي فلا يركع فإنه ربما يتخيل بعض الناس أن الأمر بتحية المسجد يعارض حديث النهي عن الصلاة في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها فاعلم أن النهي لا يعارض به الأمر الثابت عند الفقهاء إلا عندنا فإن لنا في ذلك نظرا وهو أن النهي إذا ثبت والأمر إذا ثبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا إذا نهانا عن أمر بامتثال ذلك النهي مطلقا من غير تخصيص وإن تجتنب كل منهي عنه يدخل تحت حكم ذلك النهي وقال في الأمر الثابت صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وإذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه ما استطعتم فقد أمرنا بالصلاة عند دخول المسجد ونهانا عن الصلاة في أوقات معينة فقد حصلنا بالنهي الثابت في حكم من لا يستطيع إتيان ما أمر به في هذه الحال لوجود النهي فانتفت الاستطاعة شرعا كما تنتفي عقلا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل فافعلوا منه ما استطعتم الاستطاعة المشروعة ولا المعقولة فوجب العموم في ذلك فيقول أن النهي المطلق منعني من الإتيان بجميع ما يحويه هذا الأمر الوارد من الأزمنة فلا أستطيع إتيان هذه الصلاة في هذا الوقت المخصص بالنهي شرعا فاعلم ذلك المسجد بيت الله والكرسي نجليه لمن أراد أن يناجيه فمن دخل عليه في بيته وجب عليه أن يحييه بما أمره أن يحييه فعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نحيي بيت ربنا فإنه يقول في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال يقول عبد الله بن عمر لو كنت مسبحا أتممت يعني متنفلا وسبحة الضحى صلاة الضحى إذا دخلنا المسجد نسلم على الحاضرين فيه من الملأ الأعلى بقولنا السلام عليكم إن كان هنالك من البشر أحد من كان من صبي أو امرأة أو رجل فإذا لم يكن أحد ممكن يسمى إنسانا فلا يخلو هذا الداخل إمّا أ، يكون ممن كشف الله عن بصره غطاء الحجاب المعتاد فيدرك من فيه نمن الأرواح العاقلين من جن وملك فيسلم عليهم كما يسلم على من وجد فيه من البشر وإن يكن من أهل الكشف لمن فيه فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وينوي كل صالح لله من جميع عباده من كل ما سوى الله فيصيب ذلك السلام كل عبد صالح الله في السماء والأرض ولا يقل السلام على الله فإن الله هو السلام وليركع ركعتين بين يدي ربه عز وجل وليجعل الحق تعالى في قبلته وتكون تلك الصلاة بما فيها من الركوع والسجود مثل التحية التي تحيا بها ملوك الأعاجم إذا دخل عليهم أو ظهروا لرعاهم وقد مضى اعتبا وأحوال الركوع والقيام والجلوس والسجود فهاتان الركعتان سجود تحية فإن كان دخوله في غير وقت صلاة أعني دخل في الأوقات المنهي عن إيقاع الصلاة فيها فعندما يدخل المسجد يقوم بين يدي ربه عز وجل خاضعا ذليلا مراقبا ممتثلا أمر

سيده في نهيه عن الصلاة في ذلك الوقت كما نهاه أن يقول في تحياته في الصلاة السلام على الله فإن رسم له سيده تعالى بالقعود في بيته فليركع ركعتين شكر الله تعالى على ذلك حيث أمره سيده بالقعود عنده في بيته فهاتان الركعتان في ذلك الوقت ركعتا شكر ومن ركع قبل الجلوس وما في نيته إن يجلس وهو وقت صلاة فتانك الركعتان تحية لله لدخوله عليه في بيته ومن راعى من أهل الله من العارفين دخوله على الحق في بيته و لم يخطر له خاطر التقييد بالأوقات كان ركوعه ركوع تحية لدخوله ومن كان حاله الحضور مع الله على الدوام ومناجاته في كل حال فليست بتحية مطلقا ولكنهما ركعتا شكر الله تعالى حيث جعله من المتقين بدخوله المسجد حيث قال المسجد بيت كل تقي أضافه إلى المتقين من عباده قد كان مضافا إلى الله

وصل في فصل سجود التلاوة

اختلف علماء الشريعة في سجود التلاوة هل هو واجب أو سنة فمن الناس من قال أنه واجب ومن الناس من قال أنه سنة وليس بواجب وصل الاعتبار في هذا الفصل لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الثابت عنه إن الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين و لم يذكر في المقسوم إلا تلاوة الفاتحة و لم يتعرض للهيئات من قيام أو ركوع أو سجود أو جلوس فلما لم يذكر غلا التلاوة ومن القرآن فاتحة الكتاب من العبد الله تعالى ما فيها من تلاوة فاتحة الكتاب وهذا الحديث دليلنا على وجوب قراءة الفاتحة على المصلي فسمينا التالي مصليا أو مناجيا الله تعالى بما يخص الله من الصفات وبما يخص العبد منها كشفا محققا في جميع القرآن المسمى كلام الله فثم آية تخص جناب الحق فهي لله مخلصة وثم آية تخص جناب العبد فهي له مخلصة وثم آية يقع فيها الاشتراك فهي بين الله وبين عبده والعمل في ذلك كالعمل في الفاتحة المنصوص عليها فجاء في الذي يتلوه من كلامه تعالى مواضع ينبغي السجود فيها فعين لنا الشارع ما نسجد فيه مما لا نسجد فيه فاشترط فيها من اشترط الطهارة والوقت للسجود والقبلة وسيأتي فصل ذلك كله فنسجد فيما سجد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونترك فيما ترك وإن كان اللفظ بالأمر يقتضي السجود ولكن لا نسجد لكون الشارع ما شرع السجود إلا في مواضع مخصوصة معينة عينها لنا الشارع فعلا وقولا لا تتعدى ولا يزاد عليها الشكر وغير ذلك فلنذكر عدد عزائم السجود الوارد في القرآن ونجمع المختلف فيه إلى المجمع عليه

وصل في ذكر سجود القرآن العزيز

اعلم إن سجدت القرآن العزيز من إحدى عشرة سجدة إلى خمس عشرة سجدة فمنها ما ورد بصيغة الأمر السجدة الأولى من ذلك في سورة الأعراف في خاتمتها أما الأعراف فهو سور بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة وهو ما يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب وهو ما يلي النار منه وعليه رجال تساوت حسناتهم وسيآتهم فلم ترجح في الوزن كفة على كفة فلم تثقل موازينهم ولا خفت فإنه ما وضع الله لأحد منهم في ميزانه تلفظه بلا إله إلا الله فإنه ما ثم سيئة تعادلها إلا الشرك وكما لا يجتمع الشرك والتوحيد في قلب شخص واحد كذلك لا يدخل في الميزان إلا لصاحب السجلات لسبب آخر نذكره في هذا الكتاب أو قد ذكرناه في باب القيامة فيما تقدم وأما خاتمة هذه السورة فقوله تعالى وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا وهذه الآية روينا أنها نزلت في القراءة في

الصلاة والسجود ركن من أركان الصلاة وختم هذه السورة بذكر الملائكة وسجودهم لله فوصفهم فقال إن الذين عند ربك وهم المقربون من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته يقول يذلون ويخضعون له ويسبحونه أي ينزهونه عن الصفات التي لا تليق به وهي التي تقربوا بها إليه من الذل والخضوع وصدقهم الله في هذه الآية في قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فاخبر الله عنهم بما أخبروه عن نفوسهم وله يسجدون وصفهم بالسجود له عز وجل مع هذه الأحوال المذكورة وقال الله تعالى لما ذكر النبيين عليهم السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر أنه تعالى أتاهم الكتاب والحكمة النبوة قال له أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وهم بشر مثله فما ظنك بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبهديهم فمن سجد فيها و لم يحصل له نفحة مما حصل للملائكة في سجودها من حيث ملكيته الخاصة به فما سجدها وهكذا في كل سجدة ترد ورأى أصحاب الأعراف إن موطن القيامة قد سجد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما طلب من ربه فتح باب الشفاعة تعظيما لله وهيبة وإجلالا وسمع الله يقول يوم يكشف عن ساق بأمر الآخرة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها وهو إذا حمى الوطيس واشتد الحرب وعظم الخطب فعلموا أنه موطن سجود فلما دعوا إلى السجود هنالك سجد أصحاب الأعراف امتثالا لأمر الله فرجحت كفة حسناتهم بهذه السجدة وثقلت فسعدوا لأنها سجدة تكليف مشروعة في ذلك الموطن عن أمر إلهي فيدخلون الجنة وصل السجدة الثانية وهي سجود الظلال بالغدو والآصال مع سجود عام وهذه سجدة سورة الرعد وهي عند قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وظلال الأرواح أجسادها فأخبر الله تعالى أنه يسجد له من في السموات وهم الأعلون ومن في الأرض وهم الأسفلون عالم الأجساد الذين قاموا بالنشأة العنصرية طوعا للأرواح من حيث علمهم ومقامهم وللأجسام من حيث ذواتهم وأعيانهم وكرها في الأرواح من حيث ذواتهم وفي الأجسام من حيث علمهم ومقامهم وللأجسام من حيث ذواتهم وأعيانهم وكرها في الأرواح من حيث ذواتهم وفي الأجسام من حيث رياستهم وتقدمهم على أبناء جنسهم وهذا سجودا أخبار فتعين على العبد إن يصدق الله في خبره عمن ذكرنا فإنه من أهل الأرض بجسده ومن أهل السموات بعقله فهو الملك البشري والبشر الملكي فيسجد طائعا لربه وكرها من تقييده بجهة خاصة لا يقتضيها علمه وإن كان ساجدا في نفس الأمر سجودا ذاتيا وإن لم يشعر بذلك فيوقعها عبادة فإن ذلك أنجي له وذكر الغد والآصال لأمتداد الظلال في هذه الأوقات فجعل امتدادها سجودا فهي في الغد وتتقلص رجوعا إلى أصلها الذي منه انبعثت وخوفا على نفسها من الاحتراق فكأنها تقتصر على ذاتها وفي الآصال تمتد وتطول بالزيادات من إظهار نعم الله التي أسبغها عليها والغدو والآصال من الأوقات المنهي عن الصلاة فيها فاخرج حكم السجود في هذه الأوقات عن حكم النافلة وجعل حكمه حكم الفرائض أو المقضي من النوافل فتعين على التالي في هذه الآية السجود فيجازي من باب من صدق ربه تعالى في خبره فسجدة الأعراف سجدة اقتداء بهدى الملائكة وهذه سجدة تصديق بتحقيق وصل السجدة الثالثة سجود العالم الأعلى والأدنى في مقام الذلة والخوف سجود هذه السجدة عند قوله ويفعلون ما يؤمرون فذكر الملائكة والظلال وسجدوا في الأعراف سجود اختيار لما يقتضيه جلال الله وهنا أثنى الله عز وجل عليهم بأنهم يفعلون ما

يؤمرون فسجدوا شكرا لله لما أثنى الله عز وجل عليهم بما وقفهم إليه من امتثال أو أمره فسجدها العبد رغبة في أن يكون ممن أثنى الله عليه بما أثنى على ملائكته فهي للعبد سجود ذلة وخضوع فإنه يقول تتفيأ ظلاله الضمير في ظلاله يعود على الشيء المخلوق وقد قلنا أن الأجساد ظلال الأرواح فلا تتحرك إلا بتحريك الأرواح إياها تحريكا ذاتيا ثم قال عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون أي أذلاء فهو سجود ذلة وخضوع فمن سجد هذه السجدة و لم يشاهد سجود ظله في اليمن إذا وقع له التجلي في

الشمائل ولا شاهد سجود ظله في الشمائل إذا وقع له التجلي في اليمين و لم يحصل له التأثير في عالم الكون خاصة فإن الآثار في حضرة العين سهلة الوجود وما تظهر الرجال أصحاب القوة واليمين إلا في تأثيرهم في الكون فهذا من خصوص سجود هذه السجدة وصل السجدة الرابعة سجود العلماء بما أودع الله في كلامهم من علوم الأسرار والأذواق وهو سجود تسليم وبكاء وخشوع وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا أو نذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تتريلا يقول وبالحق أنزلناه لتحكم به بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق وبالحق نزل لذاته وما أرسلناك خطاب لمن أنزل تبيانا لكل شيء إلا مبشرا تبشر قوما برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وتبشر قوما بعذاب أليم ونذيرا معلما بمن تبشره وبما تبشر وقرآنا وكلا ما جامعا لأمور شتى فرقناه أي فصلناه آيات بينات في سورة متزلات لتقرأه أي تجمعه وتجمع عليه الناس على الناس على مكث تؤده مرتلا ونزلناه عما يجب له من التعظيم إلى مخاطبة من لا يعرف قدره وما قدروا الله حق قدره قل يا أيها النبي آمنوا به صدقوا به أو لا تؤمنوا أو ردوه ولا تصدقوا به إن الذين أوتوا العلم أعطوا العلامات التي تعطي اليقين والطمأنينة في الأشياء من قبله ممن تقدمه من أمثاله إذا يتلى تتبع آياته بعضها بعضا بالمناسبة التي بين الآية والآية يخرون للأذقان سجدا يقعون على وجوههم مطأطئين أذلاء والسجود التطاطي أسجد البعير إذا طأطأ ليركبه ويقولون سبحان ربنا أي وعده صدق وكلامه حق إن كان وعد ربنا لمفعولا واقعا كما وعد الوعد يستعمل في الخير والشر والوعيد في الشر خاصة فالوعد في الخير من الله لابد منه والوعيد قد يعفو ويتجاوز فإنه من صفة الكريم عند العرب ومما تمدح به الأعراب سادها وكبراءها يقول شاعرهم

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

ويخرون للأذقان يبكون على ما فرط منهم مما لا يستدركونه ولوعفى عنه فالكتابة على المحو ما تقوم في الصفا كالكتابة على غير المحور ويزيدهم خشوعا أي ذل والخشوع لا يكون أبدا من الخاشع غلا عن تجل ولا بد إما على الظاهر وإما على الباطن أو عليهما معا فهذه السجدة سجدة زيادة في الخشوع والخشوع كما قلنا لا يكون إلا عن تجل إلهي فزيادة الخشوع دليل على زيادة التجلي فهذا يسمى سجود التجلي فافهم وصل السجدة الخامسة وهي سجود الأنعام العام الرحماني عن الدلالات وهي في سورة مريم عند قوله إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وهي سجدة النبيين المنعم عيهم فهذا بكاء فرح وسرور وآيات قبول ورضى فإن الله قرن هذا السجود بآيات الرحمن والرحمة لا تقتضي القهر والعظمة وإنما تقتضي اللطف والعطف الإلهي فدمعت عيونهم فرحا بما بشرهم الله من هذه الآيات فالصورة صورة بكاء لجريان الدموع دموع فرح لا دموع ترح وكمد وحزن لأن مقام الاسم الرحمن لا يقتضيه وفي هذه السورة في قوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن فرح أبو يزيد وطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وقال يا عجبا كيف يحشر إليه من هو جليسه فإن الله يقول أنا جليس من ذكرني والمتقي ذاكر لله ذكر حذر فلما حشر إلى الرحمن وهو مقام الأمان مما كان فيه من الحذر فرح بذلك واستبشر وكان دمع أب يزيد دمع فرح كيف حشر منه إليه حين حشر غيره إلى الحجاب وأما قوله في هذه السورة عن إبراهيم الخليل في قوله إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فقرن العذاب بالاسم الرحمن ولا يقتضيه هنا في الظاهر فاعلم أنه أشار له إلى الاسم الذي هو أبوه معه في الحال فإنه مع الرحمن بلا شك لحصول العافية والخير والرزق والصحة الذي هو فيه وعليه والمعنى الآخر في مساق هذا الاسم مع العذاب مثل رحمة الطبيب بصاحب الأكلة فهو يعذبه في

الوقت بقطع العضو الذي فيه الأكلة رحمة به حتى يحيا ومن رحمته نصب الحدود في الدنيا لتكون لهم طهارة إلى الأخرى وهكذا في كل دار إن نظرت بعين التحقيق فاعلم ذلك فمن سجد هذه السجدة و لم ير النعيم في العذاب فماسجدها كما قال القائل

أريدك لا أريدك للثواب ... ولكني أريدك للعقاب

وكل مآربي قد نلت منها ... سوى ملذ وذو جدى بالعذاب

وأما رابعة العدوية فضرب رأسها ركن جدار فادماه فقيل ما تحسين بالألم فقالت شغلي بموافقة مراده فيما جرى شغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحالة وصل السجدة السادسة وهي سجود المشيئة والحيوان وبعض البشر وعمار الأفلاك والأركان سجود مشاهدة واعتبار قال الله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء فذكر سبحانه كل شيء في هذه الآية و لم يبعض إلا الناس فإنه قال وكثير من الناس وجعل ذلك من مشيئته فيبادر العبد بالسجود في هذه الآية ليكون من الكثير الذي يسجد لله لا من الكثير الذي حق عليه العذاب فإذا رأى هذا العبد أن الله تعالى قد وفقه للسجود و لم يحل بينه وبين السجود علم أنه من أهل العناية الذين التحقوا بمن لم يبعض سجودهم ممن في السموات ومن في الأرض والشمس في غروبها والقمر في محاقه والنجوم في مواقعها والجبال في إسكانها والشجر في إقامتها على سوقها والدواب في تسخيرها وبعض الناس ممن له الشهود فمن سجد هذه السجدة من أهل الله و لم يشهد كل عالم فيه ممن ذكر ويشهد سجود بعضه من كله ومن بقي منه و لم يسجد فما سجدها وصل السجدة السابعة وهي سجدة الفلاح والإيمان عن خضوع وذلة وافتقار وهي في آخر الحج في قوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون فهذا سجود الفلاح وهو البقاء والفوز والنجاة فكان فعل الخير بمبادرته للسجود عندما سمع هذه الآية تتلى سببا لإيمانه إذ كان الله قد آيه بالمؤمنين في هذه الآية وأمرهم بالركوع والسجود له فالتحق بالملائكة في كونهم يفعلون ما يؤمرون فسجد العبد فأفلح وهي سجدة خلاف فمن سجد هذه السجدة و لم يعرف نسبة البقاء الإلهي والإبقاء و لم يفرق بين من هو باق ببقائه ومن هو باق بإبقائه وفاز فامتاز بعلامته ممن انحاز وجاز ونجا عند ما التجا وقال بالتثبت في بعض الأمور وفي بعضها بالنجا فما سجد هذه السجدة وصل السجدة الثامنة وهو سجدة النفور والإنكار عند أهل الإعتراف قال تعالى "وإذا قيل لهم اسجدو للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فسجدها المؤمن عندما يتلو ليمتاز بها عن الكافر المنكر لاسمه الرحمن فهذه تسمى سجدة الإمتياز والله يقول "وامتازو اليوم أيها المجرمون" فيقع الإمتياز بين المنكرين للاسم الرحمن وبين العارفين به يوم القيامة بالسجود الذي كان منهم عند التلاوة وزادهم هذا الاسم نفورا لجهلهم به ولهذا قالوا وما الرحمن على طريق الاستفهام فهذا سجود إنعام لا سجود قهر فإن الكفار أخطؤا حيث رأوا أن الرحمن يناقض التكليف ورأوا أن الأمر بالسجود تكليف فلا ينبغي أن يكون السجود لمن هو هذا الاسم الرحمن لما فيه من المبالغة في الرحمة فلو ذكره بالاسم الذي يقتضي القهر ربما سارع الكاف إلى السجود خوفا كما صدر من الجبار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من رؤساء الجاهلية حيث قال له يا محمد اتل علي مما جئت به حتى أسمع فتلا عليه حم السجدة فلما وصل إلى قوله تعالى فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهما من العرب وحديثهما مشهور عندهم بالحجاز فلما سمع هذه الآية

ارتعدت فرائصه واصفر لونه وضرط من شدّة ما سمع ومعرفته بذلك وقال هذا كلام جبار فما زادهم نفورا إلا اقتران التكليف بالاسم الرحمن فإن الرحمن من عصاه عفا عنه وتجاوز فلا يكلفه ابتداء فلو علم هذا الجاهل أن أمره تعالى بالسجود للرحمن لا يناقض التكليف وإنما يناقض المؤاخذة ويزيد في الجزاء الحسنى لبادر إلى ذلك كما بادر المؤمن فمن سجد هذه السجدة و لم يفرق بن العلم والخبرة وهو علم الأذواق ومنه قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وصل السجدة التاسعة وهي سجدة السر الخفي عن النبأ اليقين وموضع السجود من هذه السورة مختلف فيه فقيل عند قوله يعلنون وقيل عند قوله رب العرش العظيم فهذا هو سجود توحيد العظمة إن سجد في العظيم وإن سجد في قوله ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون يقول إن الشمس التي يسجدون لها وإن اعتقدوا أنها تعلم ما يعلنون فالسجود لمن يعلم ما يخفون وما يعلنون أولى ثم إنهم يسجدون للشمس لكونها تخرج لهم بحرارتها ما خمبأت الأرض من النبات فقال الله لهم ينبغي لكم أن تسجدوا للذي يخرج الخبء في السموات وهو إخراجه ما ظهر من الكواكب بعد أفولها وخبئها ثم يظهرها طالعة من ذلك الخبء وفي الأرض ما يخرجه من نباتها فالشمس ليس لها ذلك بل بظهورها يكون خبء ما في السموات من الكواكب فالله أولى بأن يسجد له من سجودكم للشمس فإن حكمها عند الله كحكم الكواكب في الأفول والطلوع فطلوعها من الخبء الذي يخرجه الله في السماء مثل سائر الكواكب فهذا سجود الرجحان فإن الدليل هنا في جناب الله أرجح منه في الدلالة على ألوهة الشمس حين اتخذتموها إلهاً لما ذكرناه فمن سجد هذه السجدة و لم يقف على لغات البهائم ولا علم منطق الطير و لم ينكح جميع الكواكب وحروف النطق بحيث يلتذ بها التذاذه بالكواعب وصل السجدة العاشرة وهي سجدة التذكر والذكر بتسبيح وتواضع عن دلالات منصوبة سجود عقل واستبصار وهذه سجدة الم تنزيل التي إلى جانب سورة لقمان الحكيم "إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون" إن حرف تحقيق وتنكير يقول إن الذي يصدق بآياتنا إنها آيات نصبن لها دلالات على وجودنا وصدق إرسالنا ما هي عن همم النفوس عند جمعيتها هم الذين إذا ذكروا بها والتذكر لا يكون إلا عن علم غفل عنه أو نسيان من عاقل فإنما يتذكر أولو الألباب يقول إنها مدركة بالنظر العقلي إنها دلالات على ما نصبناها عليه فإذا ذكروا بها وقعوا على وجوههم أي حرصوا على معرفة ذواتهم فتزهوا ربهم بما نزه به نفسه على السنة رسله و لم يعطهم العلم الأنفة عن ذلك فمن سجد هذه السجدة و لم يقف على مدارك عقله و لم يفرق بين ما يعطيه نظره وبين ما يعطيه إيمانه فيتره ربه إيماناً لا عقلاً ويأخذ العلم والحكمة حيث وجدها ولا ينظر إلى المحل الذي جاء بها وإن العاقل يعرف الرجال بالحق وغير العاقل يعرف الحق بالرجال وهذا من أكبر أغاليط النظر فإن المعنى الذي يندرج في اللفظ الذي يقصد به المتكلم إيضاح أمر هو في الحق المطلوب يقبله الجاهل من الرسول إذا جاء به ويحيله ويردّ من الوارث والوليّ إذا جاء به فلو قبل العلم الذات العلم لكان ممن تذكر فإن الله تعالى يقول في حق ما أنزل من القرآن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب به ثلاث طبقات من الناس فهو في حق طائفة بلاغ يسمعون حروفه إيماناً بها أنها من عند الله لا يعرفون غير ذلك وطائفة تلاه عليها ليدبروا آياته أي يتفكروا فيها حتى يعلموا أن الآتي بها لم يأت بها من نفسه بل هي من عند مرسله سبحانه وليتذكر أرباب العقول ما كانوا قد علموه قبل أي ما جاؤا بما تحيله الأدلة الغامض إدراكها فإنها لب الدلالات وهم أهل الكشف والجمع والوجود فمن لم يحصل ما ذكرناه في سجوده هذه السجدة فما سجد وصل السجدة الحادية عشرة وهي لنا سجدة شكر في حضرة الأنوار ولصاحبها سجدة توبة لا من حوبة وليست من عزائم السجود وهذه سجدة سورة صلى الله عليه وسلم في قوله "وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب" فسجدها توبة وشكراً معاً والظنّ على بابه يقول ظنّ داود إنما اختبرناه فإن

الفتنة في اللسان الاختبار تقول العرب فتنت الفضة على النار أي اختبرتها فطلب طلباً مؤكداً الستر من ربه فإن الاستفعال يؤذن بالتأكيد ووقع خاضعاً ورجع إلى الله فيما طلب عنه لا لحوله وقوّته وهذا دليل على أنه كان عنده من القوّة ما يستتر به فلم يفعل ورجع إلى الله في ذلك ويؤيد هذا قول الله له ولا تتبع الهوى فلو لم يكن في قوّته التحكم به فيما يريده ما نهى عنه فقضينا حاجته فيما رجع إلينا فيه وسترناه عن الأغيار في حضرتنا فجهل قدره مع تصريحنا بخلافته عنا في الحكم في عبادي والتحكم والتصريف ثم قال "وإن له عندنا لزلفى" مما هو له منا لا يرجع من ذلك إلى الأكوان والأغيار شيء وحسن مآب وخاتمة حسنة أي مشهود لأن الحسنة والحسنى من الإحسان وهو مقام الشهود الذي يعطي الحقائق على ما هي عليه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الإحسان لجبريل عليه السلام بما أشرنا إليه فمن سجد هذا السجود وهو سجود الإنابة وفي السجود فيها خلاف فإذا سجدها الإنسان و لم يجد فيها ما وجد داود عليه السلام من التقريب الإلهيّ وعلم خاتمة أمره وبماذا يختم له ونهاية مقامه ومنزلته عند ربه في الدار

الآخرة هذا إذا سجدها سجود داود وإذا سجدها سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يجد الزيادة في جميع أحواله في كل حال بما يليق به من علم وعمل في كل دار بما يليق بتلك الدار فإن الزيادات في الدار بحسب ما وضعت لها فالدنيا دار تكليف وعمل والآخرة دار جزاء والدنيا أيضاً دار جزاء لمن عقل عن الله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر زاد في عبادته ربه فقام حتى تورمت قدماه شكر الله على ذلك وهذا جزاء العبد على المغفرة فهي دار جزاء فيوم الدين هو يوم الدنيا والآخرة ففوضع الحدود جزاء وجازى أهل الشقاء بما عملوه من مكارم الأخلاق في الدنيا ما أنعم به عليهم من النعم حتى انقلبوا إلى الآخرة وقد جنوا ثمر خيرهم في الدنيا فلو لم تكن الدنيا أيضاً دار جزاء ما كان هذا فمن لم يدرك في سجوده أمثال هذه العلوم فلم يسجد.

وصل السجدة الثانية عشرة

وهي سجدة الاجتهاد وبذل المجهود فيما ينبغي لجلال الله من التعظيم والالتذاذ به وهي في حم السجدة وفي موضع سجودها خلاف فقيل عند قوله "إن كنتم إياه تعبدون" فمن سجد هنا جعلها سجدة شرط ومن سجدها عند قوله "لا يسأمون" كانت عنده سجدة نشاط ومحبة لما كانت حاجة الخلق إلى الليل ليسكنوا فيه ويتخذوه لباساً يحول بينهم وبين أعين الناظرين وإلى النهار ليتسببوا فيه في تحصيل أقواتهم ورأوا أن الشمس يكون النهار بطلوعها ويكون الليل بغروبها نسبوا وجود الليل والنهار إليها فعبدوها وهم الشمسية رأينا منهم خلقاً كثيراً ببلاد يونان ونزلت عند واحد من علمائهم فسألته لم أشركتم مع الله في عبادته عبادة الشمس فقال لي ما عبدنا الشمس لكونها أنها حاشى لله بل الله إله واحد وإنما نظر علماؤنا فيما لهذا النير الأعظم من المنافع في العالم ثم عدد ما ربط الله به من المنافع فعرفنا أنه لو لم يكن له عناية من الله به ما ولاه على هذه الأمور فطلبنا القربة إليه بالتعظيم ليكون لنا أحسن وساطة عند الله في تخليصنا والشمس عندنا عبد فقير إلى الله تعالى إلا أن لله به عناية هذا قوله لي ونحن على مائدته نأكل ضيافته يقول الله تعالى في هذه السجدة ومن آياته الضمير يعود على الله الليل والنهار وإن حدث عن الشمس فما هو من آياتها بل هو من آياتي ثم قال والشمس والقمر وأخبرهم أن الله ممحي آية الليل وهو القمر فلا يظهر لنوره حكم في البصر إلا بالليل ونوره معار فإنه انعكاس

نور الشمس فإنه لها كالمرأة فالنور الذي يعطيك القمر إنما هو للشمس وهو موصل لا غير لأنه محو وجعل آية النهار مبصرة يعني نورها ظاهراً للبصر وجعلنا ذلك الطلوع والغروب لمن يكون حسابه بالشمس ليعلم فصول سنته ومن يكون حسابه بالقمر عدد السنين والحساب يقول الله في الأهلة "قل هي مواقيت للناس والحج" فقال لهم إذا كانت عبادتكم للشمس والقمر لهذه العلة فأنا خالق هذه الآيات دلالات عليّ فاسجدوا لله الذي خلقهم فجميع الليل والنهار والشمس والقمر في الضمير وغلب هنا التأنيث على التذكير لأن الليل والنهار والشمس والقمر منفعلون لا فاعلون فهو تشبيه واضح لمن عقل وجمعهن جمع من يعقل من المؤنث ينبه بذلك أيضاً على نقص الدرجة التي تنبغي للذكورية و لم يقل خلقهم حتى لا يعظم قدرهم بتغليب التذكير عليهم فإن العرب تغلب المذكر على المؤنث في كلامها تقول زيد والفواطم خرجوا ولا تقول خرجن فالله الذي خلقهن أولى بأن تعبدوه منهن لأن مرتبة الفاعل فوق مرتبة المنفعل فالحق أولى وأحق أن يعبد ممن له النقص من طريقين من كونه مخلوقاً ومن كونه مؤنثاً وقال إن الذين عند ربك يعني العلماء بالله من الملائكة الذين هم دون مقعر فلك القمر يسبحون له بالليل والنهار وهم أعلم بالله منكم فلو كان ما اتخذتموه من هؤلاء آلهة لكانت الملائكة أولى بالسجود لهن منكم لعلمكم أنهم أعلم فهم يسجدون لله من غير سآمة ولا فتور وصل السجدة الثالث عشرة وهي سجدة الطرب واللهو تنبيه الغافلين عن الله وهي سجدة خاتمة سورة النجم وفي السجود فيها خلاف واقترن بسجودها الأمر الإلهيّ والذلة والمسكنة لأن السامدين اللاهون فيقول لهم وإن كنتم أهل غناء فتغنوا بالقرآن فهو أولى بكم فاسجدوا لله واعبدوا وقد ورد في الخبر ما أذن الله لنبي كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يقول ما استمع كاستماعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فجعل التغني به من السنة وهي لغة حميرية يقولون أسمد لنا أي إن لنا في وقت حصادهم لينشطوا للعمل وكانت العرب إذا سمعت القرآن غنت حتى لا تسمع القرآن وكانوا يقولون ما أخبر الله عنهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون كما يفعله اليوم من لم يوفقه الله من العلماء إذا سمعوا كلام أهل الله بما يمنحهم الله من الأسرار يقولون هذا هذيان وفشار وأما المتغالون فيقولون هذا كفر ولو سئلوا عن معنى ما سمعوا ما عرفوا فقال الله أفمن هذا الحديث يعني من القرآن فيما وعظهم به منهم وتوعدهم ووعدهم تعجبون تكثرون العجب كيف جاء به مثل هذا وما أنزل على عظمائكم كما قال لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وتضحكون أي تهزؤن منه إذا أتى به وهؤلاء هم الذين ذكرنا من جهلهم أنهم لا يعرفون الحق إلا بالرجال وأنتم سامدون يقول لاهون فلا تفعلوا

ولا تتكبروا واخضعوا لله الذي هذا كلامه بلغتكم وتذللوا لمتزله فإن في القرآن ما يبكي من الوعيد وما يضحك ويتعجب فيه من الفرح باتساع رحمة الله ولطفه بعباده ولا تبكون وفي القرآن من الوعيد والمخاوف ما يبكي بدل الدموع دماً لمن دبر آياته وأنتم سامدون وفي القرآن هذا كله "فما لكم عنه معرضون" وموطن الدنيا موطن حذر ولاسيما ولاموت فيكم رائح وغاد مع الأنفاس ولا تتفكروا إلى أين تصيرون وإلى أين تسافرون وأين تحطون ما هي الدنيا موطن أمان والعالم الحكيم هو الذي يعامل كل موطن بما يستحقه وصل السجدة الرابع عشرة وهي سجدة الجمع والوجود فمن سجد سجدة النجم وللم ينتج له في علم النغمات والألحان المطربة الفلكية ورأى أن أصوات كل مصوت مزامير من مزامير الحق في العالم ويشهد داود عليه السلام في هذا الكشف ويرى الأصوات والحروف ناقطة بكل معنى عجيب يهز الجبال الراسيات طرباً ويضحك الثكلى سروراً وفرحاً فما سجدها وهذه السجدة الأخرى في سورة "إذا السماء انشقت" وفيها خلاف وسجدها أبو هريرة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسجد فيها عند قوله "وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون" فهذا سجود الجمع لأنه سجود عند القرآن والجمع يؤذن بالكثرة وقد تكون الكثرة

بالأمثال وغيرها والأحدية وإن كانت لله تعالى فالمقطوع به أحدية الألوهية أي لا إله إلا الله وأحدية الكثرة من حيث أسماؤه الحسنى وأما الحق فلا يقال فيه من حيث ما هو عليه في نفسه كل ولا بعض ويقال في الواحد منا رأيت زيداً نفسه عينه كله لاحتمال أنك قد ترى وجهه دون سائر جسده فأعطى التأكيد بالكل رؤية جميعه فلولا وجود الكثرة فيه ما قلت كله يقول فإذا سمع القرآن الذي هو جامع صفات الله من التتريه والتقديس كيف لا يتذكر السامع جمعيته فيسجد لمن له جميع صفات التتريه فيمن سجد في هذه السورة و لم يقف على علم الموالد وما تجنه الحاملات في بطونها من أنواع الحوامل من العالم كالأرض والسحاب والنساء وجميع الأناثي وما تحمله الكتب في حروفها من المعاني فإنها من جملة الحاملات و لم يقف فيها على رجوعه من أين جاء ويرى صورة حاله عياناً حالاً وعاقبة بحيث أن يحلف على ما رآه لقطعه به فما سجد وصل السجدة الخامس عشرة وهي سجدة العقل الأوّل سجود تعليم عن شهود ورجوع إلى الله وهذه سجدة سورة العلق عند قوله "واسجد واقترب" فهي سجدة طلب القرب من الله تعالى وجاءت بعد كلمة ردع وزجر وهو قوله "كلا" لما جاء به من لا يؤمن بالله واليوم الآخر يقول له ربه "اسجد واقترب" لما تعتصم مما دعاك إليه فتأمن غائلة ذلك انتهى الجزء السابع والأربعون.

الجزء الثامن والأربعون

تكمله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل وقت سجود التلاوة

منع قوم السجود في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها وأجاز قوم السجود بعد صلاة العصر وبعد صلاة الصبح مال لم تدن الشمس إلى الغروب أو الطلوع والذي أقول به ابالسجود في كل وقت لأن متعلق النهي الصلاة وليس السجود من الصلاة شرعاً إلا في الصلاة كما أن له أني قرأ الفاتحة في كل وقت وإن كانت قراءتها في الصلاة من الصلاة اعتبار هذا الفصل السجود قربة تعريف وتنزيه بما يستحقه إلا له من العلو والرفعة عن صفات المحدثات ومثل هذا لا يتقيد بوقت دون وقت بل نسبة تعظيمه وإجلاله إلى الأوقات على السواء كما أن للعبد أن يناجي ربه بتلاوته كتابه العزيز في كل وقت وهو محمود في ذلك مأجور عند الله عز وجل.

وصل في فصل من يتوجه عليه حكم السجود

أجمعوا على أنه يتوجه على القارىء في صلاة كان أو غير صلاة السجود واختلفوا في السامع فمن قائل عليه السجود ومن قائل عليه السجود بشرطين أحدهما أن يسجد القارىء والآخر أن يكون قعد ليسمع القرآن وأن يكون القارىء ممن يصلح أن يكون إماماً للسامع وقيل عن بعضهم يسجد السامع لسجود القارىء وإن كان القارىء لا يصلح للإمامة إذا جلس إليه ليسمع والذي أذهب إليه أنه لا سجود عليهما وإن كرهنا لهما ذلك الاعتابر يجب السجود على القلب وإذا سجد لا يرفع أبداً بخلاف سجود الوجه اتفق لسهل بن عبد الله في أوّل دخوله إلى هذا الطريسق أنه رأى قلبه قد سجد وانتظر أن يرفع فلم يرفع فبقي حائراً فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته فما وجد أحداً يعرف واقعته فإنهم أهل صدق لا ينطقون إلا عن ذوق محقق فقيل له إن في عبادان شيخاً معتبراً لو رحلت إليه ربما وجدت عنده علم ما تسأل عنه فرحل إلى عبادان من أجل واقعته فلما دخل عليه سلم وقال أيها الشيخ أيسجد القلب فقال له الشيخ إلى الأبد فوجد شفاه فلزم خدمته ومدار هذه الطريقة على هذه السجدة القلبية إذا حصلت للإنسان حالة مشاهدة عين فقل كمل وكملت معرفته وعصمته فلم يكن للشيطان عليه من سبيل وتسمى هذه العصمة في حق الولي حفظاً كما تسمى في حق النبي والرسول عصمة ليقع الفرق بين الولي والنبي أدباً منهم مع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليختصوا باسم العصمة ومع هذا فإني أبين الفرق بينهما وذلك أن الأنبياء لهم العصمة من الشيطان ظاهراً وباطناً وهم محفوظون من الله في جميع حركاتهم وذلك لأنهم قد نصبهم الله للناس ولهم المناجاة الإلهية فالأنبياء المرسلون معصومون من المباح أن يفعلوه من أجل نفوسهم لأنهم يشرعون بأفعالهم وأقوالهم فإذا فعلوا مباحاً يأتونه للتشريع ليقتدى بهم ويعرفون الاتباع عين الحكم الإلهي فيه فهو واجب عليهم ليبينوا للناس ما أنزل إليهم يقول الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وللورثة من هذا التبليغ حظ وافر والولي محفوظ من الأمر الذي يقصد الشيطان عند إلقائه في قلب الولي ما

شاء الله أن يلقي إليه فيقلب عينه بصرفه إلى الوجه الذي يرضي الله فيحصل بذلك على مترلة عظيمة عند الله ولولا حرص إبليس على المعصية ما عاد إلى هذا الولي مرة أخرى فإنه يرى ما جاءه به ليبعده بذلك من الله يزيده قرباً وسعادة والأنبياء معصومون أن يلقي الشيطان إليهم فهذا الفرق بين العصمة والحفظ وإنما جعلوا الحفظ للولي أيضاً أدباً مع النبي فإن الشيطان ماله سبيل على قلوب بعض الأولياء من أجل العلم الذي أعطاه التجلي الإلهي لقلوبهم يقول تعالى "وحفظاً من كل شيطان مارد" وهو أعظم الشياطين فإنه لا يلقي إلى أحد إلا ما يليق بمقامه فيأتي إلى الولي فما يلقي إليه إلا فعل الطاعات وينوعه فيها ويخرجه من طاعة إلى طاعة أعلى فلا يرى الولي فيها أثر الهذي نفسي فيبادر إلى فعلها ويقنع الشيطان المارد منه بهذا الأخذ عنه على جهالة فلو كان على بينة من ربه في ذلك لكان أولى فالشيطان لا يقدجر أن يقدح في علم التجلي الإلهي بوجه من الوجوه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق شيطانه أعني قرينه الموكل إن الله أعانه عليه فأسلم أي انقاد إليه فلا يأمره إلا بخير بخلاف من كان عنده العلم بالله عن نظر فكري واستدلال فإن الشيطان يلقي إليه الشبهة في أدلته ليحيره ويرده إلى محل النظر ليموت على جهل بربه أو شك أو حيرة أو وقفة والولي الحاصل عنده العلم عن التجلي هو على بصيرة محفوظ من كل شبهة فإن الشيطان أعني شيطان الإنس والجن ليس له على قلب صاحب علم التجلي الإلهي سبيل في ربه وهذا لا يكون لأحد من الأولياء إلا لمن سجد قلبه فإن الشيطان لا يعتزل عن الإنسان إلا في حال سجوده في الظاهر والباطن فإن لم يسجد قلب الولي فليس بمحفوظ وهذه مسئلة دقيقة عظيمة في طرق أهل الله ما تحصل إلا لأفراد يعز وجودهم وهم الذين هم على بينة من ربهم والبينة تجليه تعالى ويتلو تلك البينة شاهد من العبد معدل وهو سجود القلب فإذا اجتمعت البينة الربانية والشاهد التالي عصم القلب وحفظ ودعا صاحبه الخلق إلى الله على بصيرة وعلى هذا المقام من طرق القوم أسباب حار فيها القوم مثل قول أبي يزيد دعوت الخلق إلى الله كذا

وكذا سنة ثم رجعت غليه فوجدهم قد سبقوني وقيل له في هذا المقام أيعصي العارف فقال "وكان أمر الله قدراً مقدوراً" وهذا غاية في الأدب حيث لم يقل نعم ولا لا وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه رضي الله عنه وعن أمثاله.

وصل في فصل صفة السجود

فمن قائل يكبر إذا خفض وإذا رفع ومن قائل لا يكبر إلا إذا كانت السجدة في الصلاة حينئذ يكبر لها في الخفض والرفع والذي أذهب إليه التكبير وإن كان لم ينقل ولا خلافه وصل اعتبار هذا الفصل تكبير الحق عن السجود محمود على أيّ حال كان فإنه تتريه وينبغي للعبد أن يعطي اللسان حظه من هذا السجود وليس إلا التلفظ بالتكبير كما سجد سائر أعضائه كل عضو بحقيقته.

وصل في فصل الطهارة للسجود

فمن قائل لا يسجد إلا على طهارة ومن قائل يسجد وإن لم يكن طاهر أو به أقول ولعى طهارة أولى وأفضل فإن النبي صلى الله عليه وسلم تيمم لرد السلام وقال إني كرهت أن أذكر الله الأعلى طهر أو قال على طهارة الاعتبار في هذا الفصل طهارة القلب شرط في صحة السجود لله عز وجل من كونه ساجداً وطهارة الجوارح في وقت السجود معقولة من طريق المعنى فإنها في وقت السجود غير متصرفة في أمر آخر بخلاف القلب ولهذا إذا سجد قلب العبد لم يرفع أبداً والجوارح في حال السجود في غير الصلاة

متصرفة في عبادة لم يشترط فعلها استعمال ماء ولا تراب وإن كان على طهارة فهو أولى وأفضل وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يسجد للتلاوة على غير طهارة.

وصل في فصل السجود للقبلة

اختلف العلماء رضي الله عنهم في السجود للتلاوة للقبلة فمن قائل يسجد في التلاوة لأي وجهة كان وجهه والأولى استقبال القبلة ومن قائل لابدّ من استقبال القبلة والذي أقول به بالسجود لأي وجه كان فإن الله يقول "فأينما تولوا فثم وجه الله وإذا قدر على القبلة فهو أولى للجمع بين الظاهر والباطن وصل في اعتبار ذلك الله جل جلاله عن التقييد فهو قبلة القلوب فأينما تولوا فثم وجه الله حقيقة منزهة بلا خلاف بين أهل الله فإذا سجد العبد لله فقد سجد للقبلة المعتبرة فإن الله بكل شيء محيط لا تقيده الجهات ولا تحصره الأينيات وهو بالعين في كل أين ليس ذلك لسواه ولا يوصف به موجود إلا إياه فإن جمع الساجد بين القبلتين كما جمع في خلقه بين النشأتين باليدين فيقيد من يقبل التقييد ويطلق من يقبل الإطلاق فيعطي كل ذي حق حقه كما أن الله أعطى كل شيء خلقه.

وصل في فصل صلاة العيدين حكماً واعتباراً

صلاة العيد تكرار الشهود ... بما يبدو على من الوجود
إذا جلى لنا ما كان منه ... لنا منى به في كل عيد
فعيدي من وجودي يوم وجود ... بمن به علي بلا مزيد
أكبره بسبع ثم خمس ... عن القرب المقيد بالوريد
واطلب منه ما تعطيه ذاتي ... لذاك اليوم من لبس جديد
ولو أني أقول بعين كوني ... لميزت المراد من المريد
ولكن عنه أنني حين أكني ... بحال في هبوط أو صعود
أناجيه به في كل حال ... ويحجبني بلذات المزيد
وأرفع ستره عن عين ذاتي ... فتغنيني المطالع عن وجودي
بماء حياته طهري ومن لم ... يجد ماء تيمم بالصعيد
وعين تيممي ردي بذاتي ... إلى بلا شهود في شهود

صلاة العيدين سنة بلا أذان ولا إقامة هما يوما سرور عيد الفطر لفرحته بفطره فيعجل بالصلاة للقاء ربه فإن المصلي يناجي ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فأراد أن يعجل بحصول الفرحتين فشرعت صلاة عيد الفطر وحم عليه صوم ذلك اليوم ليكون في فطره مأجوراً أجر الفرائض في عبودية الاضطرار لتكون المثوبة عظيمة القدر

وفي صلاة عيد الأضحى مثل ذلك لصيامه يوم عرفة في حق من صامه فإنه صوم مرغب فيه في غير عرفة وحرم عليه صوم يوم الأضحى ليؤجر أجر الواجبات فإنها من أعظم الأجور ولما كان يوم زينة وشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وبعال شرع في حق من ليس بحاج في ذلك اليوم أن يستفتح يومه بالصلاة بمناجاة ربه لتحفظه سائر يومه فإن الصلاة في ذلك اليوم في أوّل النهار كالنية في الصلاة فكما أن النية تحفظ عليه هذه العبادة وإن صحبته الغفلة في أثناء صلاته فالنية تجبر له ذلك فإنها تعلقت عند وجودها بكمال الصلاة فحكمها سار في الصلاة وإن غفل المصلي كذلك الصلاة في يوم العيد تقوم مقام النية واليوم يقوم مقام الصلاة فيما كان في ذلك اليوم من الإنسان من لهو ولعب وفعل مباح فهو في حفظ صلاته إلى آخر يومه ولهذا سميت صلاة العيد أي تعود إليه في كل فعله يفعله من المباحات بالأجر الذي يكون للمصلي حال صلاته وإن غفل لصحة نيته ولهذا حرم عليه الصوم فيه تشبهاً بتكبيرة الإحرام وليقابل به نية الصوم في حال وجوب الصوم فيكون في فطره صاحب فريضة كما كان في صومه في رمضان صاحب فريضة فجميع ما يفعله من المباحات في ذلك اليوم مثل سنن الصلاة في الصلاة وجميع ما يفعله من الفرائض في ذلك اليوم والواجبات من جميع العبادات بمنزلة الأركان في الصلاة فلايزال العبد في يوم العيدين حاله في أفعاله كلها حال المصلي فلهذا قلنا سميت صلاة العيد بخلاف ما يقول من ليس من طريقنا ولا شرب شربنا من أنه سمي بذلك لأنه يعود في كل سنة فهذه الصلوات الخمس تعود في كلي يوم ولا تسمى صلاة عيد وإن كان لا يلزم هذا ولكن هو قول في الجملة يقال فإن قيل لارتباطه يوم العيد بالزينة قلنا والزينة مشروعة في كل صلاة فإن الله يقول "خذوا زينتكم عند كل مسجد" للمؤمنين من بني آدم فلما عاد الفطر عبادة مفروضة سمي عيداً وعاد ما كان مباحاً واجباً.

فصول ما أجمع عليه أكثر العلماء

الغسل مستحسن في هذا اليوم للخروج إلى الصلاة بلا خلاف أعني في استحسانه والسنة ترك الأذان والإقامة إلا ما أحدثه معاوية على ما ذكره أبو عمر بن عبد البر في أصح الأقاويل عنه في ذلك والسنة تقدّم الصلاة على الخطبة في هذا اليوم إلا ما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه وبه أخذ عبد الملك بن مروان رحمه الله نظراً واجتهاداً ومبنى على ما فهم من الشارع من المقصود بالخطبة ما هو وأجمعوا أن لا توقيت في القراءة في صلاة العيدين مع استحباب قراءة "سبح اسم ربك الأعلى" في الأولى وفي الثانية الغاشية وكذلك سورة قال في الأولى وسورة القمر في الثانية اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعتبار في هذا الفصل الغسل وهو الطهارة العامة والطهارة تنظيف فليلبس أحسن لباسه ظاهراً وهو الريش وباطناً وهو لباس التقوى والمراد بالتقوى هنا ما يقي به الإنسان كشف عورته أو ألم الحر والبرد وهو خير لباس من الريش ولما توفرت الدواعي على الخروج في هذا اليوم إلى المصلى من الصغير والكبير وما شرع من الذكر المستصحب للخارجين سقط حكم الأذان والإقامة لأنهما للإعلام لينبه الغافلين والتهيؤ هنا حاصل فحضور القلب مع الله يغني عن إعلام الملك بلمته التي هي بمنزلة الأذان والإقامة للإسماع والذي أحدث معاوية مراعاة للنادر وهو تنبيه الغافل فإنه ليس ببعيد أن يغفل عن الصلاة بما يراه من اللعب بالتفرّج فيه وكانت النفوس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفرة على رؤيته صلى الله عليه وسلم وفرجتها في مشاهدته وهو الإمام فلم يكن يشغلهم عن التطلع إليه شاغل في ذلك اليوم فلم يشرع أذاناً ولا إقامة وأمّا تقديم الصلاة على الخطبة فإن العبد في الصلاة مناج ربه وفي الخطبة مبلغ للناس ما أنزل

إليه من التذكير في مناجاته فكان الأولى تقديم الصلاة على الخطبة وهي السنة فلما رأى عثمان بن عفان أن الناس يفترقون إذا فرغوا من الصلاة ويتركون الجلوس إلى استماع الخطبة قدم الخطبة مراعاة لهذه الحالة على الصلاة تشبهاً بصلاة الجمعة فإنه فهم من الشارع في الخطبة إسماع الحاضرين فإذا افترقوا لم تحصل الخطبة لما شرعت له فقدّمها ليكون لهم أجر الاستماع ولو فهم عثمان رضي الله عنه من النبيّ صلى الله عليه وسلم خلاف هذا ما فعله واجتهد و لم يصدر من النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك ما يمنع منه ولقرائن الأحوال أثر في الأحكام عند من ثبتت عنده القرينة وتختلف قرائن الأحوال باختلاف الناظر فيها ولاسيما وقد قال صلى الله عليه وسلم "صلوا كما رأيتموني أصلي" وقال في الحج "خذوا عني مناسككم" فلو راعى صلى الله عليه وسلم صلاة العيد مع الخطبة مراعاة الحج ومراعاة الصلاة لنطق فيها كما نطق في مثل هذا وكذلك ما أحدثه معاوية كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره خال المؤمنين فالظنّ بهم جميل رضي الله عن جميعهم ولا سبيل إلى تجريحهم وإن تكلم بعضهم في بعض فلهم ذلك وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم فإنهم أهل علم واجتهاد وحديثو عهد بنبوّة وهم مأجورون في كلّ ما صدر منهم عن اجتهاد سواء أخطؤا أم أصابوا وأما التوقيت في القراءة فما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك كلام وإن كان قد قرأ بسورة معلومة في بعض أعياده مما نقل إلينا في أخبار الآحاد وقد ثبت في القرآن المتواتر أن لا توقيت في القراءة في الصلاة بقوله "فاقرؤا ما تيسر من القرآن" "ولا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها" وهو ما يتذكره في وقت الصلاة والقرآن كله طيب وتاليه مناج ربه بكلامه فإن قرأ بتلك السورة فقد جمع بين ما تيسر والعمل بفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب والتأسي به مشروع لنا وليس بفرض ولا سنة.

وصل في فصل التكبير في صلاة العيدين

فقال قوم يكبر بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة في الركعة الأولى سبع تكبيرات وقيل بتكبيرة الإحرام ويكبر في الثانية بعد تكبيرة القيام إلى الركعة الثانية خمس تكبيرات وقال آخرون يكبر في الأولى قبل القراءة وبعد تكبيرة الإحرام ثلاث تكبيرات ويكبر في الركعة الثانية بعد القراءة ثلاث تكبيرات ثم يكبر للركوع وحكى أبو بكر بن إبراهيم بن المنذر في التكبير اثني عشر قولاً وصل في اعتبار هذا الفصل زيادة التكبير في صلاة العيدين على التكبير المعلوم في الصلوات تؤذن بأمر زائد يعطيه اسم العيد فإنه من العودة فيعاد التكبير لأنها صلاة عيد فيعاد كبرياء الحق تعالى قبل القراءة لتكون المناجاة عن تعظيم مقرّر مؤكد لأن التكرار تأكيد للتثبيت في نفس المؤكد من أجله مراعاة لاسم العيد إذ كان للأسماء حكم ومرتبة عظمى فإنّ بها شرف آدم على الملائكة فاسم العيد أعطى إعادة التكبير لأن الحكم له في هذا الموطن وبعد القراءة في مذهب من يراه لأجل الركوع في صلاة العيد وسبب ذلك أن العيد لما كان يوم فرح وزينة وسرور واستولت فيه النفوس على طلب حظوظها من النعيم وأيدها الشرع في ذلك بتحريم الصوم فيه وشرع لهم اللعب في هذا اليوم والزينة وفي هذا اليوم لعبت الأحابشة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ينظر إليهم وعائشة رضي الله عنها خلفه صلى الله عليه وسلم وفي هذا اليوم دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما أراد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه حين دخل أن يغير عليهما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فإنه يوم عيد فلما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع الله تضاعف التكبير في الصلاة ليتمكن من قلوب عباده ما ينبغي للحق من الكبرياء والعظمة لئلا تشغلهم حظوظ النفوس عن مراعاة

حقه تعالى بما يكون عليهم من أداء الفرائض في أثناء النهار أعني صلاة الظهر والعصر وباقي الصلوات قال الله تعالى "ولذكر الله أكبر" يعني في الحكم فمن رآه ثلاث تكبيرات فلعوالمه الثلاثة لكل عالم تكبيرة في كل ركعة ومن رآه سبعاً فاعتبر صفاته فكبر لكل صفة تكبيرة فإن العبد موصوف بالصفات السبعة التي وصف الحق بها نفسه فكبره أن تكون نسبة هذه الصفات إليه سبحانه كنسبتها إلى العبد فقال الله أكبر يعني من ذلك في كل صفة والمكبر خمساً فيها فنظره في الذات والأربع الصفات التي يحتاج إليها العالم من الله أن يكون موصوفاً بها وبها ثبت كونه إلهاً فيكبره بالواحدة لذاته بليس كمثله شيء ويكبره بالأربع لهذه الصفات الأربع خاصة على حد ما كبره في السبع من عدم الشبه في المناسبة فاعلم ذلك وأمّا رفع الأيدي فيها فإشارة إلى أنه ما بأيدينا شيء مما ينسب إلينا من ذلك وأمّا من لم يرفع يديه فيها فاكتفى برفعها في تكبيرة الإحرام ورأى أن الصلاة أقرت بالسكينة فلم يرفع إذ كانت الحركة تشوّش غالباً ليتفرّغ بالذكر بالتكبير خاصة ولا يعلق خاطره بيديه ليرفعهما فينقسم خاطره فكل عارف راعى أمراً مّا فعمل بحسب ما أحضره الحق فيه.

وصل في فصل في التنفل قبل صلاة العيد وبعدها

فمن قائل لا يتنفل قبلها ولا بعدها ومن قائل بالعكس ومن قائل لا يتنفل قبلها ويتنفل بعدها والذي أقول به أن الموضع الذي يخرج إليه لصلاة العيد لا يخلو إمّا أن يكون مسجداً في الحكم كسائر المساجد فيكون حكم الآتي إليه حكم من جاء إلى مسجد فمن يرى تحية المسجد فليتنفل كما أمر في ركعتي دخول المسجد وإن كان فضاء غير مسجد موضوع فهو مخير إن شاء تنفل وإن شاء لم يتنفل وصل الاعتبار في هذا الفصل المقصود في هذا اليوم فعل ما كان مباحاً على جهة الفرض والندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل في سائر الأيام فلا يتنفل فيه سوى صلاة العيد خاصة الفرائض إذا جاءت أوقاتها فإن حركة الإنسان في ذلك اليوم في أمور مقرّبة مندوب إليها وفي فرض ومن كان في أمر مندوب إليه مربوط بوقت فينبغي أن يكون له الحكم من حيث أن الوقت لذلك المندوب المعين فهو أولى به فلا يتنفل وقد ندب إلى اللعب والفرح والزينة في بذ اليوم فلا يدخل مع ذلك مندوباً آخر يعارضه فإذا زال زمانه حينئذ له أن يبادر إلى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوباً إليه في هذا اليوم مباحاً فيما عداه من الأيام وهذا هو فعل الحكيم العادل في القضايا فإن لنفسك عليك حقاً واللعب واللهو والطرب في هذا اليوم من حق النفس فلا تكن ظالماً نفسك فتكون كمن يقوم الليل ولا ينام فإن تفطنت فقد نبهتك.

وصل في فصول الصلاة على الجنازة

الصلاة على الميت شفاعة من المصلي عليه عند ربه ولا تكون الشفاعة إلا لمن ارتضى الحق أن يشفع فيه و لم يرتض سبحانه من عباده إلا العصاة من أهل التوحيد سواء كان ذلك عن دليل أو إيمان ولهذا شرع تلقين الميت ليكون الشفيع على علم بتوحيد من يشفع فيه وآخر شافع حيث كان الاسم الرؤف يشفع عند الاسم الجبار المنتقم في نجاة من عنده علم التوحيد مع وصول الدعوة إليه وتوقفه في القبول فإن الموحد الذي لم تصل إليه الدعوة لا يدخل النار فلا تكون الشفاعة إلا في العصاة الذين بلغتهم الدعوة فمنهم

من آمن ومنهم من توقف إيمانه بهذا الشخص من أجل ما جاء به لأنه استند إلى عظيم لا ينبغي أن يفتري عليه فاحتاج إلى دليل يقطع به على صدق دعواه فيما يبلغه أنه من عند الله فلهذا توقف إذ لم يرزقه الله العلم الضروريّ ابتداء بصدق دعوى هذا الرسول قال تعالى "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يعني نبعثه بالآيات البينات على صدق دعواه وكذا أخبر الله تعالى أنه أيد الرسل بالبينات ليعذر الإنسان من نفسه والإيمان نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده فإذا انضاف إلى نور العلم فهو نور على نور فلنشرع في حال الميت الذي يصلي عليه وما يجب له وما يجب من أجله علينا من تجهيزه على الصفات التي أمرنا الشارع بها فمن ذلك التلقين التلقين عند الموت إذا احتضر فإن الهول شديد والمقام عظيم وهو وقت الفتنة التي هي فتنة المحيا بما يكشفه المحتضر عند كشف الغطاء عن بصره فيعاين ما لا يعاينه الحاضر ويتمثل له من سلف من معارفه على الصور التي يعرفهم فيها وهم الشياطين تتمثل إليه على صورهم بأحسن زيّ وأحسن صورة ويعرفونه أنهم ما وصلوا إلى ما هم فيه من الحسن إلا بكونهم ماتوا مشركين بالله فينبغي للحاضرين عنده في ذلك الوقت من المؤمنين أن يلقنوه شهادة التوحيد ويعرفوه بصورة هذه الفتنة لينتبه بذلك فيموت مسلماً موحداً مؤمناً فإنه عندما يتلفظ بشهادة التوحيد ويتحرّك بها لسانه أو يظهر نورها من قلبه بتذكره إياها فإن ملائكة الرحمة تتولاه وتطرد عنه تلك الصور الشيطانية التي تحضره الحالة الثانية من التلقين وكذلك ينبغي أن يلقن إذا أنزل في قبره وستر بالتراب من أجل سؤال القبر فإن الملكين منظرهما فظيع وسؤالهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام ما فيه تعظيم ولا بتجيل في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن يقولا له ما تقول في هذا الرجل وهذه هي فتنة الممات المستعاذ منها وأمّا استعاذة الأنبياء عليهم السلام منها فإنهم مسؤلون عمن أرسل إليهم وهو جبريل عليه السلام كما نسأل نحن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يستعيذ في التشهد في الصلاة من فتنة المحيا والممات لعلمه بأن الأنبياء تفتن في الممات كما يفتن المؤمنون فأمر المؤمنين بالاستعاذة من ذلك في الصلاة فإن الإنسان في الصلاة في مقام قربة من الله بمناجاته فيسأله على الكشف وصل ومما يستحب من الشروط المخاطب بها أهل الميت أن يستقبلوا به القبلة عند الاحتضار فإن كان على قفاه فيستقبل القبلة برجليه وإن كان على جنبه فيستقبل القبلة بوجهه وصل ومما يستحب تعجيل دفنه والإسراع به إلى قبره فإن كان سعيداً أسرعتم به إلى خيره وإن كان شقياً فشرّ تضعونه عن رقابكم فيراعى الميت في السعادة ويراعى الحيّ الذي هو حامله بوضع الشرّ عنه فهذا إسراع من أجل الميت وهذا إسراع من أجل حامله وإنما ورد التفسير من الشرع في الإسراع بهذا ليعلم أن الله ما كلف عباده إلا من أجل الخير لا لينالوا بذلك شرّاً فاعتبر في حق الشقيّ حامله فقال اسرعوا بالجنازة فإنه شرّ تضعونه عن رقابكم واعتبر في حمل السعيد الميت فقال اسرعوا به فإنه خير تقدّمونه إليه فما ألطف حكم الشارع وقد ورد أنّ العجلة من الشيطان إلا في ثلاث منها تجهيز الميت ومن تجهيزه الإسراع به إلى دفنه فيقول الميت وهو على نعشه حين يحمل إذا كان يعيداً قدّموني قدّموني وإذا كان شقياً يقول إلى أين تذهبون بي يسمع ذلك منه كل دابة إلا الثقلين وصل ومما يتعلق بالحيّ من الميت أيضاً غسله وهو كالطهارة للصلاة وفعله مخاطب به الحيّ واختلف الناس فيه أعني في حكمه فمن قائل إنه فرض على الكفاية ومن قائل إنه سنة على الكفاية فمن قال بوجوبه فللأمر الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم اغسلنها

ثلاثاً أو خمساً وقوله في المحرم اغسلوه فهذا أمر في الصيغة بلا شك فإذا اقترنت معه قرينة حال تخرجه مخرج التعليم لصفة الغسل جعلته سنة ومن رأى أنه يتضمن الأمر والصفة قال بالوجوب واعتبار الميت الجاهل والموت الجهل فيجب على العالم تعليم الجاهل لأن من جهل الجاهل أنه لا يعلم أنّ السؤال يجب عليه فيما لا يعلمه فيتعين على العالم أن يعلمه أن من لا يدري حكم الشرع في

حركاته أن يسأل أهل الذكر ومتى لم يفعل فقد عصى ويعلمه ما يتعين عليه تعليمه إياه فتلك طهارته وهذا هو غسل الميت في الاعتبار مختصر.

فصل في الأموات الذين يجب غسلهم

فأمّا الأموات الذين يجب غسلهم فاتفقوا على غسل الميت والمقتول الذي لم يقتل في معتكر حرب الكفار واختلفوا في الشهيد المقتول في حرب الكفار وفي غسل المشرك وفي غسل من ينطلق عليه اسم شهيد وفيمن قتله مشرك في غير المعترك فمن قائل يغسل كل هؤلاء ومن قائل لا يغسلون فمن راعى أن الغسل عبادة يعود ما فيها من الثواب على المغسول قال لا يغسل المشرك ومن رأى أن غسل الميت تنظيف قال بغسل المشرك وأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بغسل عمه أبي طالب وهو مشرك وأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقتلى أحد أن يدفنوا في ثيابهم ولا يغسلون فمن رأى أن الشهيد لا يغسل لمطلق الشهادة قال لا يغسل من نص النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه شهيد ومن رأى وفهم من النبيّ صلى الله عليه وسلم بقرينة حال أن الشهيد الذي لا يغسل هو المقتول في المعترك في حرب الكفار قال يغسل ما عداه وصل اعتبار هذا الفصل المقتول في سبيل الله في معترك حرب الكفار حيّ يرزق وإنما أرمنا بغسل الميت وهذا الشهيد الخاص لا يقال فيه إنه ميت ولا يحسب أنه ميت بل هو حيّ بالخبر الإلهيّ الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكنّ الله أخذ بأبصارنا عن إدراك الحياة القائمة به كما أخذ بأبصارنا عن إدراك أشياء كثيرة كما أخذ أيضاً بأسماعنا عن إدراك تسبيح النبات والحيوان والجماد وكل شيء قال الله تعالى "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون" وقال تعالى "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون" بحياتهم كما يحيى الميت عند السؤال ونحن نراه من حيث لا نشعر ولا نعلم قطعاً أنه يسأل ولا يسأل إلا من يعقل ولا يعقل إلا من هو موصوف بالحياة فنهينا أن نقول فيهم أموات وأخبرنا أنهم أحياء ولكن لا نشعر وما ورد مثل هذا في من لم يقتل في سبيل الله فهو ميت وإن كان شهيداً أو هو حيّ مثله وما أخبرنا بذلك الشهيد هو الحاضر عند الله ولهذا قال عند ربهم وإنما يغسل الميت ويطهر ليحضر عند ربه طاهراً فيلقاه في البرزخ بعد الموت على طهارة مشروعة وهذا الشهيد حاضر عند ربه بمجرّد الشهادة التي هي القتل في سبيل الله فإنه لا يغسل وهو عند ربه وصل في اعتبار غسل المشرك وهو القائل بالأسباب بالركون إليها والاعتماد عليها والاعتقاد بأن الله يفعل الأشياء بها لا عندها وذلك لعدم علمه لضعف نفسه واضطراب إيمانه كما يضطرب في صدق وعده تبارك وتعالى في الرزق مع قسمه سبحانه عليه لعباده فقال "فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون" فهذا ضرب من الشرك الصريح لا الخفي لغلبة الطبع عليه في مألوف العادة قال بعضهم موبخاً لمن اضطرب إيمانه.

وترضى بصرّاف وإن كان مشركاً ضيمناً ولا ترضى بربك ضامناً

فيجب على العلماء بالله طهارة قلب هذا الميت وغسله باليقين والطمأنينة حتى يتنظف قلبه فيجب غسل المشرك ومن رأى أن مثل هذا الشرك لا يقدح في الإيمان بالرزق ويقول إنما اضطرب بالطبع لكون الحق ما عين الوقت ولا المقدار منه فاعلم أنّ الله بحكمته قد ربط المسببات بالأسباب وأن ذلك الاضطراب ما هو عن تهمة من المؤمن في حق الله وأنه ربما لا يرزقه وإنما ذلك الاضطراب اضطراب البشرية والإحساس بألم الفقد وعدم الصبر فإن الله قد أعلمه أنه يرزقه ولا بدّ سواء كان كافراً أو مؤمناً لكونه حيواناً

فقال تعالى "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها" ولكن ما قال له متى ولا من أين فما عين الزمان ولا السبب بل أعلمه أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فما يدري عند فقد السبب المعتاد لحصول الرزق عند وجوده هل فرغ وجاء أجله أم لا فيكون فزعه واضطرابه من الموت فإن الموت فزع إمّا للمؤمن فلما قدّمن إساءة وإما للعارف فللحياء من الله عند القدوم عليه والكافر لفقد المألوفات فالصورة في الخوف واحدة والأسباب مختلفة:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوّعت الأسباب والداء واحد

وإن كان لم يفرغ رزقه في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت لحصول الرزق كما قدمنا بانقطاع السبب فيخاف من طول المدة وألم الجوع المتوقع والحاجة الداعية له إلى الوقوف فيه لمن لا يسهل عليه الوقوف بين يديه في ذلك لعزة نفسه عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوّذ من الجوع ويقول إنه بئس الضجيع فإنه بلاء من الله يحتاج من قام به إلى صبر ولا علم له هل يرزقه الله الصبر عند ذلك أم لا فإن القليل من عباد الله من يرزقه الله الصبر عند البلاء ولهذا شرع التطبب لسكون النفس وخور الطبيعة بالاستناد إلى سبب حصول الصحة المتوهمة وهو اختلاف الطبيب إليه قال تعالى "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات" وهذه كلها أسباب بلاء يبتلي الله به عباده حتى يعلم الصابرين منهم كما أخبر وهو العالم بالصابر منهم وغير الصابر ثم قال "وبشر الصابرين" على ما ابتليتهم به من ذلك ثم من فضله ورحمته نعت لنا الصابرين لنسلك طريقهم ونتصف بصفاقم عند حلول الرزايا والمصائب التي ابتلى الله بها عباده فقال في نعت الصابرين "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" يريد في رفعها عنهم ثم أخبر بما يكون منه لمن هذه صفته فقال "أولئك عليهم صلوات من ربهم" يقول إن الله يشكرهم على ذلك ورحمة بإزالتها عنهم "وأولئك هم المهتدون" الذين بانت لهم الأمور على ما هو الأمر عليه فمن رألا هذا قال لا يغسل المشرك أي هذا المشرك لأن إيمانه بتوحيد الله صحيح فلا يطهر من حيث أنه مؤمن بل طهر وغسل فمن كونه ضعيف اليقين في الاعتماد على مراد الله فيما قطعه من الأسباب في حقه.

وصل في ذكر من يغسل ويغسل

اتفق العلماء رضي الله عنهم أن الرجل يغسل الرجل والمرأة تغسل المرأى لاختلاف بينهم في ذلك إذا ماتت الاعتبار الكامل في المرتبة يرى منه الكامل أيضاً فيها مع ما هم فيه من التفاضل فيها قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض مع اجتماعهم في الرسالة والكمال وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض مع اجتماعهم في درجة النبوّة فإذا رأى الكامل من الكامل أمراً يجب عليه تطهيره منه طهره منه ولزم الكامل الآخر اتباعه في ذلك لا يأنف من ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق موسى كليم الله عليه السلام ولا نشك في كمالهما لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني وسبب ذلك مع وجود الكمال أن الحكم لصاحب الوقت وهو الحكم الناسخ وهو الحيّ والحكم المنسوخ هو الميت فللوقت سلطان ولو كان صاحبه ينقص عن درجة الكمال فله السلطان على الكامل فكيف وهو كامل فالنسخ له كالموت فينوب عنه في تطهيره فإنه لو كان حياً لطهر نفسه كما أن الكامل لو كشف له عما نقصه لتعمل في تحصيله وكذلك حكم من نقص عن درجة الكمال في الطريق فينبغي للمريد أن يغسل المريد إذا طرأ منه ما يوجب غسله وينبغي للآخر أن يقبل منه فإنهم أهل إنصاف مطلبهم واحد وهو الحق فإنا مأمورون بذلك فإن ذلك موت

في حقه والله يقول في هؤلاء "وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" وأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ونهانا عن التعاون على الإثم والعدوان فإن صاحب الشهوة الغالبة عليه في الطبع وصاحب الشبهة الغالبة عليه في العقل محجوبان عن حكمهما فيها لأن صاحب الشبهة يتخيل أنها دليل في نفس الأمر وصاحب الشهوة يتخيل أنها في الله في نفس الأمر فيتعين على العالم بهذا وإن كان ليس محله الكمال ويكونان هذان أكمل منه أولهما الكمال إلا أنه يعلم تلك المسئلة يجب عليه أن يطهره من تلك الشبهة لاتصاف صاحبها بالموت فيها لأنه لا علم له بها وكذلك صاحب الشهوة فإن كانت تلك الشبهة في معترك حرب النظر الفكري والاجتهاد في طلب الأدلة فغلبته كان قتيلاً بها ولها في نفس الأمر في سبيل الله من يد مشرك فإنه ما قصد إلا الخير فهو في سبيل الله فإن الشبهة تشارك الدليل في الصورة فهو حيّ غير متصف بالموت فلا يجب غسله على الحيّ العالم بكون ما هو فيه أنه شبهة فليس للمجتهد أن يحكم على المجتهد فإن الشرع قرر حكمهما كمن يرى أن صفات الحق تعلق ذاته بما يجب لتلك النسب من الحكم ويرى آخران صفات الحق أعيان زائدة على ذات الحق وقد اجتمعا في كون الحق حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً هذا في العقائد وذلك عن نظر واجتهاد فهو قتيل ميت عند النافي صاحب شبهة وهو حيّ عند نفسه وعند ربه صاحب دليل وإن أخطأ فلا يجب غسله وكذلك في الظنيات ليس للشافعي مثلاً إذا كان حاكماً أ، يرد شهادة الحنفي إذا كان عدلاً مع اعتقاد تحليل النبيذ ويحده عليه إن شربه الحنفي لكونه حاكماً يرى تحريمه لدليله فيجب عليه إقامة الحد وكالحنفي إذا كان حاكماً وقد رأى شافعياً تزوج بابنته المخلوقة من ماء الزنا منه ويشهد عنده فلا يرد شهادته إذا كان عدلاً ويفرق بينه وبين زوجته التي هي ابنته لصلبه المخلوقة من ماء الزنا لكونه حاكماً ذا سلطان فإنه صاحب الوقت فهذا بمنزلة الشهيد لا يغسل وإن كنا نشهد حساً أن روحه فارقت بدنه كسائر القتلى والحكم لله ليس لغيره وقد قرّر حكم المجتهد فليس لنا إزالة حكم اجتهاده فإن ذلك إزالة حكم الله في حقه أصل هذا الباب في قول الكامل ما يشير به إلا نقص في المسئلة التي هو أعلم بها منه حديث تأبير النخل قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أنتم أعلم بمصالح دنياكم ورجع إلى قوله وكذلك رجوعه صلى الله عليه وسلم إلى قولهم يوم بدر في نزوله على الماء.

وصل في فصل المرأة تموت عند الرجال والرجل يموت عند النساء وليس بزوجين

اختلف العلماء رضي الله عنهم في الرجل يموت عند النساء والمرأة تموت عند الرجال وليس بزوجين على ثلاثة أقوال فمن قائل يغسل كل واحد منهما صاحبه ومن قائل ييممه ولا يغسله ومن قائل لا يغسل واحد منهما صاحبه ولا ييممه والذي أقول به يغسل كل واحد منهما صاحبه خلف ثوب يكون على الميت إن كان من ذوي المحارم أو ستر مضروب بين الميت وبين غاسله وصورة غلسه يصب الماء عليه من غير مدّ يد إلى عضو من أعضاء الميت إلا إن كان من ذوي المحارم فيجتنب مدّ اليد إلى الفرجين ويكتفي بصب الماء عليهما بالحائل لابدّ من ذلك هذا الذي أذهب إليه في مثل هذه المسئلة الاعتبار في هذا الفصل الموت في الاعتبار في هذا الطريق شبهة تطرأ على هذا الشخص في نظره طروّ الموت على الحيّ أو شهوة طبيعية تحكم عليه وتعمية فيأتيها بشبهة عنده هي أنه يرى ربه في الأشياء فهو ميت عند الجماعة بلا خلاف كاملاً كان أو ناقصاً عن درجة الكمال فقد قال الله في الكامل وعصى آدم

ربه فغوى أي خاف وهو قد أكل بالتأويل وظنّ أنه مصيب غير منتههك للحرمة في نفس الأمر وكان متعلق النهي القرب لا الأكل فيقوى التأويل وقال في الكمل الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لما ألجأتهم الغيرة الإلهية التي نطقتهم بقولهم أتجعل فيها فقال إني أعلم ما لا تعلمون وأما غير الكامل فرتبته معروفة والناقص قد يكون مريداً بين يدي الكامل داخلاً تحت حكمه وطاعته شبيه الزوجين وهو كالواحد من الأمة مع نبيه المبعوث إليه فهذا العارف الكامل مع تلميذه فقد يموت الكامل في مسئلة ما لا يعلمها ويعلمها المريد فيشهدها الشيخ من التلميذ مثل ما تقدّم في الحديثين قبل هذا فهكذا حال التلامذة مع الشيوخ فإنّ الشيوخ ما تقدّموا عليهم إلا في أمور معينة هي مطلوبة للاتباع فإن كان المريد مريداً لغير ذلك الشيخ وأعني بالمريد التلميذ والرجل من الناس لغير ذلك النبيّ في الزمان الذي قبل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت المسئلة التي جهلها هذا الناقص مما تختص بالطريق العام من حيث ما هو طريق إلى الله فإن لغير شيخه أن يطهره منها بما تبين له فيها وله أن يقبل منه إن أراد الفلاح ووفى الطريق حقه وإن كانت المسئلة التي جهلها غير عامّة وتكون خاصة بالنظر إلى مقام ذلك الشيخ وإن كان نقصاً عند هذا الشيخ الآخر فليس له أن يردّ ذلك المريد عن تلك المسئلة ما أنه ليس لمجتهد أن يردّ مجتهداً آخر إلى حم ما أعطاه دليله ولا لمقلد مجتهد أن يرد مقلداً مجتهداً آخر عن مسئلته التي قلد فيها إمامه إذ قال له هذا حكم الله فإن كانت المسئلة عامّة مثل أن يقدح ي التوحيد أو في النبوّات فله تطهيره منها سواء كان ذلك المريد تحت حكمه أو لم يكن وصورة غسله وطهارته التي يلزمه هو أن يعرفه وجه الحق في المسئلة ولا يبالي أخذ بها أو لم يأخذ كغسل الميت فإن كان محلاً لقبول الغسل انتفع به وإن لم يكن محلاً ولا أهلاً لقبول الغسل وأريد بالمحل الأهلية وإن غسل فهو كغسل المشرك لم ينتفع به وقد أدّى الحي ما عليه فإن الداعي إلى الله ما يجب عليه إلا البلاغ كما قال "ما على الرسول إلا البلاغ" "والله يعلم ما تبدون وما تكتمون" ما يلزمه خلق القبول والهداية في نفس السامع فمن علم عدم القبول قال لا يغسل واحد منهما صاحبه وإن كانت المسئلة في العقائد قال بالغسل وإن كانت في فروع الأحكام قال بالتيمم فإن موضع التيمم من الشخصين ليس بعورة فإن الوجه والكفين من المرأة ما هما عورة فله أن ييممها وتيممه إذا مات كذلك الحكم الشرعي العام لا يتوقف سماع المريد على أحد من أهل الفتوى بل يأخذه المريد من كل شيخ والشيخ من كل مريد لأن الحكم ليس لواحد منهما بل هو لله بخلاف المباحات والمندوبات في الرياضات والمجاهدات فليس للمريد أن يخرج عن حكم شيخه في ذلك.

وصل في فصل غسل من مات من ذوي المحارم

اختلف قول بعض الأئمة في ذوي المحارم فقول إن الرجل يغسل المرأة والمرأة تغسل الرجل وقول لا يغسل أحد منهما صاحبه وقول تغسل المرأة الرجل ولا يغسل الرجل المرأة وقد تقدّم في الفصل قبل هذا مذهبنا في هذا وصل في الاعتبار ذووا المحارم أهل الشرع كلهم فالرجل منهم الكامل هو الذي أحكم العلم والعمل فجمع بين الظاهر والباطن والناقص منهم هم الفقهاء الذين يعلمون ولا يعملون ويقولون بالظاهر ولا يعرفون الباطن كما قال تعالى "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون" فإذا وقع ذو محرّم في شبهة أو شهوة من الكمال أو النقص فإن كانت في العقائد فيغسل كل واحد منهما صاحبه أي معرفة بوجه الصحة في ذلك سواء كان العالم بها ناقصاً أو كاملاً وإن كانت في الأحكام لا يغسل كل واحد منهما صاحبه فإنه حكم مقرّر في الشرع وسواء كان كاملاً أو ناقصاً ومن رأى أن المرأة تغسل الرجل وهو غسل الناقص الكامل فللناقص أن يطهر الكامل إذا تحقق أن

الكامل وقع في شبهة ولابد مثل الفقيه يرى العارف قد زل بارتكاب محرّم شرعاً بلا خلاف فله أن ينكر عليه والعارف أعلم بما فعل فإن كان كما علمه الفقيه تعين عليه قبول ذلك التطهير بتوبة منه ورجوع عنه وإن كان في باطن الأمر على صحة وإن الفقيه أفتى بالصورة و لم يعلم باطن الأمر فقد وفى الفقيه ما يجب عليه فيغسل الناقص الكامل لا يغسل الكامل الناقص في مثل هذه المسئلة وهو أن يكاشف الكامل ببراءة شخص مما ينسب إليه مما يوجب الحد وقد حكم الحاكم الناقص بإقامة الحد عليه فليس للكامل أن يردّ حكم الفقيه في تلك المسئلة لعلمه ببراءة المحدود فليس للكامل في مثل هذا أن يردّ على الناقص كذلك ليس للرجل أن يغسل المرأة إذا ماتت لأنها عورة قال صلى الله عليه وسلم في المرأة التي لاعنت زوجها وكذبت وعرف ذلك وقد حكم الله بالملاعنة وفي نفس الأمر صدق الرجل وكذبت المرأة فقال صلى الله عليه وسلم لكان لي ولها شأن فترك كشفه وعلمه لظاهر الحكم.

وصل في فصل غسل المرأة زوجها وغسله إياها

أجمعوا على غسل المرأة زوجها واختلفوا في غسله إياها فقال قوم يغسلها ومنع قوم من ذلك الاعتبار في هذا الفصل مريد الشيخ إذا رأى الشيخ قد فعل ما لا يقتضيه الطريق عند الشيخ فللمريد أن ينبه الشيخ على ذلك لموضع احتمال أن يكوتن غافلاً وليس له أن يسكت عنه وليس للشيخ إذا رأى المريد قد وقعت منه طاعة بالنظر إلى مذهبه وهي معصية بالنظر إلى مذهب الشيخ وحكم الشرع بصحتها بالنظر إلى من وقعت منه فإنها وقعت عن اجتهاد فليس للكامل وهو الشيخ وإن عرف أن ذلك المجتهد أو المقلد له قد أخطأ في اجتهاده أن يردّ عليه فلا يغسل الرجل زوجته إذا ماتت ومن ذهب إلى أنه يغسلها قال باعتباره يتعين على الشيخ أن يعرّف المريد الذي هو الناقص أن ذلك الأمر قد أخطأ فيه المجتهد هذا حد غسله فإن كان المريد هو المقلد للمجتهد لزمه أن يرجع إلى كلام شيخه وإن كان المريد هو المجتهد فيحرم عليه الرجوع إلى كلام الشيخ في تلك المسئلة إلا إن قام له كلام الشيخ مقام المعارض في الدلالة فحينئذ يكون كلام الشيخ أقوى من دليل المجتهد فيلزم المجتهد أن يرجع إلى كلام شيخه وهو من اجتهاده أعني رجوعه لرجحان ذلك الدليل الذي هو تصديقه الشيخ على الدليل الذي كان عنده لاحتمال كذب الراوي أو تخيل الغلط منه في قياسه لما أثر في نفسه من صدق الشيخ في ذلك.

وصل في فصل المطلقة في الغسل

أجمعوا على أن المطلقة المبتوتة لا تغسل زوجها واختلفوا في الرجعية فقالوا تغسل وقالوا لا تغسل الاعتبار المريد يخرج عن حكم شيخه بالكلية فليس له أن يقدح في شيخه ولو قدح لم يقبل منه فإنه في حال تهمة لارتداده وهو ناقص فكيف يطهر الكامل وهو في حال نقصه فإن كان تخلف المريد عن شيخه حياء منه لزلة وقع فيها أو فترة حصلت له فهو مثل الطلاق الرجعيّ فإن حكم الحرمة في نفس المريد للشيخ مازالت وإن تخلف عنه أو هجره الشيخ تأديباً له لقي بعض الشيوخ تلميذاً له كان قد زل فاستحيى أن يجتمع بالشيخ فتركه فلما لقيه استحيى وأخذ التلميذ طريقاً غير طريق الشيخ فلحقه الشيخ ومسكه وقال له يا ولدي لا تصحب من يريد أن يراك معصوماً في مثل هذا الوقت يحتاج إلى الشيخ فأزال ما كان أصابه من الخجل ورجع إلى خدمته فإذا كان المريد بمنزلة صاحبة الطلاق الرجعي فما خرجت عن حكمه كان اعتباره كما ذكرناه فيما تقدم في الموضع الذي يغسل فيه الناقص الكامل.

وصل في فصل حكم الغاسل

قال قوم يجب الغسل على من غسل ميتاً وقال قوم لا يجب على من غسل ميتاً غسل الاعتبار العالم إذا علم غيره وطهره من الجهل مما حصل له من العلم فلا يخلو إمّا أن علمه بربه أي وهو حاضر مع الله إن الله هو المعلم مثل قوله "الرحمن علم القرآن" فلا غسل عليه فإن الله هو الغاسل لذلك الجاهل من جهله بما علمه الله على لسان هذا الشيخ وإن كان الغاسل علمه بنفسه وغاب في حال تعليمه عن شهود ربه أنه معلمه على لسانه في ذلك الوقت وجب عليه الغسل من تلك الغفلة التي حالت بينه وبين الحضور مع ربه في ذلك التعليم.

وصل في فصل صفات الغسل

فمن ذلك هل يترع عن الميت قميصه عند الغسل أم لا فمن قائل تترع ثيابه وتستر عورته وقال بعضهم يغسل في قميصه الاعتبار صاحب الشبهة أو الشهوة الغالبة الطبيعية وإن كانت مباحة إذا اتصف صاحبها بالموت تشبيهاً فإن الغاسل له إن كان قادراً على أن يظهر له الحق من نفس شبهته وشهوته فهو كمن غسل الميت في قميصه و لم يترعه عنه وإن لم يقدر على تطهيره إلا بإزالة تلك الشبهة لقصوره كان كمن نزع ثياب الميت وحينئذ غسله.

وصل في فصل وضوء الميت في غسله

فذهب قوم إلى أن الميت يوضأ وذهب قوم إلى أنه لا يوضأ وقال قوم إن وضيء فحسن الاعتبار الوضوء في الغسل طهر خاص في طهر عام إذا كانت المسئلة تطلب بعض عالم الشخص كزلة تقع من جوارحه فإنه يغسل تلك الجوارح الخاصة بما تستحقه من الطهارة كالعين والأذن واليد والرجل واللسان والإيمان هو الغسل العام فيجمع بين طهارة الجوارح على الخصوص وبين الإيمان لابدّ من ذلك فإن الغسل غير مختلف فيه والوضوء مختلف فيه والجمع بين عبادتين إذا وجد السبيل إليهما أولى من الانفراد بالأعم منهما.

فصل في التوقيت في الغسل

فمن العلماء من أوجبه ومنهم من لم يوجبه فاعلم ذلك الاعتبار بأيّ شيء وقع التطهير من هذه الشبهة كان من غير تعيين ولا توقيت ما تقع به ومن قال بوجوب التوقيت قال نحن مأمورون بالتخلق بأخلاق الله والله يقول وكل شيء عنده بمقدار وهو التوقيت وما تترله إلا بقدر معلوم ولكن يترل بقدر ما يشاء وقال صلى الله عليه وسلم فيمن زاد على ثلاث مرّات في الوضوء إنه قد أساء وتعدّى وظلم وجعله موقتاً من واحدة إلى ثلاث وكره الإسراف في الماء في الغسل والوضوء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمدّ.

وصل منه والذين أوجبوا التوقيت فيه اختلفوا فمنهم من أوجب الوتر أيّ وتر كان ومنهم من أوجب الثلاثة فقط ومنهم من حدّ أقل الوتر في ذلك و لم يحدّ الأكثر فقال لا ينقص من الثلاث ومنهم من حدّ الأكثر فقال لا يتجاوز السبعة ومنهم من استحب الوتر و لم يحدّ فيه حدّا الاعتبار أمّا الوتر في الغسل فواجب لأنه عبادة ومن شرطها الحضور مع الله فيها وهو الوتر فينبغي أن يكون الغسل

وتراً لحكم الحال وهو من واحد إلى سبعة فإن زاد فهو إسراف إذا وقعت به الطهارة فوتريته في الغسل بحسب ما يخطر له في حال الغسل وهي سبع صفات أمّهات فيها وقع الكلام بين أهل النظر في الإلهيات وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر والعبد قد وصف بهذه الصفات كلها وقد ورد أن الحق قال في المتقرّب بالنوافل إن الله يكون سمعه وبصره وغير ذلك فقد تبدّلت نسبة هذه الصفات المخلوقة للعبد بالحق فبالله يسمع وبه يبصر وبه يعلم وبه يقدر وبه يكون حياً وبه يريد وبه يتكلم فقد غسل صفاته بربه فكان طاهراً مقدّساً بصفاته فهذا توقيت غسل الميت من واحد إلى سبعة بحسب ما ينقص ويزيد وقد عم هذا جميع ما وقع من الخلاف في شفعه ووتره وقليله وكثيره وحده وترك حدّه ففكر فيه واغسل الميت منك بمثل هذا الغسل والكامل مع الناقص كالعاقل المؤمن مع العاقل وحده أو مع المؤمن.

وصل في فصل

ما يخرج من الحدث من بطن الميت بعد غسله

الحدث يخرج من بطن الميت بعد غسله فمنهم من يقال يعاد ومنهم من قال لا يعاد الغسل والذي قال بأنه يعاد اختلفوا في العدد إلى سبع وأجمعوا على إنه لا يزاد على السبع الاعتبار الشبهة تطرأ بعد حصول الطهارة لسرعة زوالها م خياله لضعف تصوّره فيعاد عليه التعليم سبع مرات فإن استنكحه ذلك كان كمن استنكحه سلس البول وخروج الريح لا يعاد عليه التعليم فإنه غير قابل لثبوته وإنما اجتمعنا على السبع لأنه غاية الكمال في العلم الإلهيّ بكونه إلهاً ولهذا ربط الله الحكمة في وجود الآثار في العالم العنصريّ عن سير السبعة الدراري في الاثني عشر برجاً فجعل السائرين سبعة فعلمنا أنه غاية كمال الوجود وجعل كمال السير في اثني عشر لأنه غاية مراتب العدد من واحد إلى تسعة ثم العشرات ثم المئون ثم الآلاف فهذه اثنا عشر وفيها يقع التركيب إلى ما لا يتناهى من غير زيادة كذلك سير السبعة في الاثني عشر برجاً ذلك تقدير العزيز العليم وصل اختلفوا في عصر بطن الميت قبل أن يغسل فمنهم من رأى ذلك ومنهم من لم يره الاعتبار العصر اختبار الكبير الصغير في حاله هل عنده شبهة فيما وعلم فيه يخاف عليه منها إن تقدح في طهارته إذا طهره الكبير أم لا حتى يدعوه على بصيرة منه أنه صاحب شبهة يتوقى ظهورها في وقت آخر فيحفظ المربيّ نفسه في أوّل الوقت قبل أن ينشب فيقع التعب ويعظم انتهى الجزء الثامن والأربعون بانتهاء السفر السابع يتلوه في الجزء التاسع والأربعين وصل في الأكفان وهو كاللباس للمصلي.

الجزء التاسع والأربعون

تكملة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل في الأكفان

الكفن للميت كاللباس للمصلي وهو ما يصلي عليه لا فيه كالصلاة على الحصير والثوب الحائل بينك وبين الأرض لأنه في موضع سجودك لو سجدت فأشبه ما يصلى عليه فأمّا المرأة فترتيب تكفينها أن تغطي الغاسلة أولاً الحقور وهو الأزرة التي تشدّ على وسط الإنسان ثم الدرع وهو القميص الكامل ثم الخمار وهو الذي تغطي به رأسها ثم الملحفة ثم تدرج بعد في ثوب آخر يعم الجميع فهذه خمسة أثواب هكذا على الترتيب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلى الثقفية حين غسلت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثوباً بعد ثوب يناولها إياه ويأمرها بأن تفعل به ما ذكرناه على ذلك الترتيب هذا هو السنة في تكفين المرأة وأمّا الرجل فمالنا نص في صفة تكفينه إلا أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة بحضور من حضر من علماء الصحابة و لم يبلغنا أن أحداً منهم ولا ممن بلغه أنكر ذلك ولا تنازعوا فيه ولكن في قول الراوي ليس فيها قميص ولا عمامة احتمال ظاهر والنص في الثلاثة الأثواب من الراوي بلا شك إلا أن الوتر مستحب في الأكفان فمن الناس من رأى أن الرجل يكفن في ثلاثة أثواب والمرأة في خمسة أثواب أخذاً بما ذكرناه ومنهم من يرى أقل ما يكفن فيه الرجل ثوبان والسنة ثلاثة أثواب وأقل ما تكفن فيه المرأة ثلاثة أبواب والسنة خمسة أثواب ومن الناس من لم ير في ذلك حداً ولكن يستحب الوتر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي مات محرماً يكفن في ثوبين وصل في اعتبار هذا الفصل المقصود من التكفين أن يواري الميت عن الأبصار ولهذا لما كفن مصعب بن عمير يوم أحد في الثوب الواحد الذي كان عليه وكان نمرة قصيرة لا تعمه بالستر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطي بها رأسه ويلقي على رجليه من الأذخر حتى يستر عن الأبصار ولما خلق الإنسان من تراب كان من له حضور مع الله من أهل الله إذا شاهدوا التراب تذكروا ما خلقوا منه فينظروا في قوله تعالى "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى يعني يوم البعث والمصلي يناجي ربه فإذا وقف المصلي في المناجاة وليس بينه وبين الأرض حائل وكانت الأرض مشهودة لبصره ذكرته بنشأته وبما خلق منه وبإهانته وذلته فإن الأرض قد جعلها الله ذلولاً مبالغة في الذلة بهذه البنية قال الشاعر:

ضروب بنصل السيف سوق سمانها ... إذا عدموا زاداً فإنك عاقر

فجاء ببينية فعول للمبالغة في الكرم ولا أذل ممن يطأه الأذلاء ونحن نطأها وجميع الخلائق ونحن عبيد أي أذلاء فربما شغل المصلي النظر في نفسه وما خلق منه عن مناجاة ربه بما يقرأ من كلامه فيغيب عما يقول للحق وما يقول له الحق وهو سوء أدب من التالي فكان الحائل أولى لما نهى المصلي أن يستقبل رجلاً مثله في قبلته أو يصمد إلى سترته صمداً وليجعلها على حاجبه الأيمن أو الأيسر هذا كله

حتى لا يقوم له مقام الوثن غيرة إلهية فإنهم كانوا يصوّرونه على صورة الإنسان فأمر يستره الميت لأنّ الميت بين يدي المصلي والمصلي يناجي الحق في قبلته شفيعاً في هذا الميت وسيأتي اعتباره في الصلاة على الميت إن شاء الله تعالى.

وصل في فضل المشي مع الجنازة

المشي مع الجنازة كالسعي إلى الصلاة فقال بعضهم عن السنة المشي أمامها وقال آخرون المشي خلفها أفضل والذي أذهب إليه أن يمشي راجلاً خلفها قبل الصلاة عليها فيجعلها أمامه كما يجعلها في الصلاة وبعد الصلاة يمشي أمامها خدمة لها بين يديها إلى منزلها وهو القبر ظناً بالله جميلاً إنّ الله قبل الشفاعة فيها عند الصلاة عليها وإن القبر لها روضة من رياض الجنة فإن الله قد ندب إلى حسن ظنّ عبده به فقال "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً" وروي أن الله سئل من أحب إليك عيسى أم يحيى عليهما السلام فقال الله تعالى للسائل أحسنهما ظناً بي يعني عيسى فإن الخوف كان الغالب على يحيى والأولى أن لا يركب أدباً مع الملائكة لا غير فإن الملائكة تمشي مع الجنازة ما لم يصحبها صراخ فإن صحبها صراخ تركتها الملائكة فعند ذلك أنت مخير بين الركوب والمشي فإن الميت على نعشه كالشخص في المحفة محمول قال صاحبنا أبو المتوكل وقد رأينا نعشاً يحمل وعليه الميت فأشار إليه وقال:

مازال يحملنا وتحمله الورى ... عجباً له من حامل محمولاً

وصل الاعتبار فيه المشي أمام الجنازة لأن الماشي شفيع لها عند الله فيتقدم ليخلو بالله في شأنها فإن الشفيع لا يدري هل تقبل شفاعته فيها أم لا حتى إذا وصلت إلى قبرها وصلت مغفوراً لها بكرم الله في قبول سؤال الشافع وإن كانت من المغفورين لها قبل ذلك كان الماشي أمامها من المعرفين بقدومها لمن تقدم عليه في منزلها الذي هو قبرها فهو كالحاجب بين يديها تعظيماً لها يشهد ذلك كله أهل الكشف وأما الماشي خلفها فإنه يراعي تقديمها بين يديه كما يجعلها بين يديه في الصلاة عليها ليعتبر بالنظر إليها فيها فإن الموت فزع وإن الملك معها وإن النبيّ صلى الله عليه وسلم قام عندما رأى جنازة يهودي فقيل له أنها جنازة يهودي فقال أليس معها الملك وقال مرة أخرى أن الموت فزع وقال مرة أخرى أليست نفساً ولكل قول وجه أرجى الأقوال أليست نفساً لمن عقل فكان قيامه مع الملك وفي هذا الحديث قيام المفضول للفاضل عندنا وعند من يرى أن الملائكة أفضل من البشر على الإطلاق وهكذا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها وأما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا أليست نفساً في حق يهودي فإنه أرجى ما يتمسك به أهل الله إذا لم يكونوا من أهل الكشف وكانت بصائرهم منورة بالإيمان في شرف النفس الناطقة وإن صاحبها إن شقي بدخول النار فهو كمن يشقى هنا بأمراض النفس من هلاك ماله وخراب منزله وفقد ما يعز عليه ألماً روحانياً لا ألماً حسياً فإن ذلك حظ الروح الحيواني وهذا كله غير مؤثر في شرفها فإنها منفوخة من الروح المضاف إلى الله بطريق التشريف فالأصل شريف ولما كانت من العالم الأشرف قام لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونها نفساً فقيامه لعينها وهذا إعلام بتساوي النفوس في أصلها وروى القشيري في رسالته عن بعض الصالحين أنه قال من رأى نفسه خيراً من نفس فرعون فما عرف فذمه وأخبر أنه ليس له أن يرى ذلك وهذه مسئلة من أعظم المسائل تؤذن بشمول الرحمة وعمومها لكل نفس وإن عمرت النفوس الدارين ولابدّ من عمارة الدارين كما ورد وإن الله سيعامل النفوس بما يقتضيه شرفها بسر لا يعلمه إلا أهل الله فإنه من الأسرار المخصوصة بهم فكما أن الحد يجمعهم كذلك المقام يجمعهم لذاتهم إن شاء الله تعالى قال تعالى "في الذين شقوا إن ربك فعال لما يريد" و لم يقل عذاباً غير مجذوذ كما قال في السعداء فإنه قال "يا أيها الإنسان" و لم يخص شخصاً من شخص بل الظاهر أنه يريد من خالف أمره وعصاه مطلقاً لا من أطاعه "ما

غرّك بربك الكريم" فنبه الغافل عن صفة الحق التي هي كرمه فإنه من كرمه أوجده ولهذا قال له الذي خلقك فسوّاك فعدلك يقول له بكرمه أوجدك ليقول له العبد يا رب كرمك غرّني فقد يقولها لبعض الناس هنا في خاطره وفي تدبره عند التلاوة فيكون سبب توبته وقد يقولها في حشره وقد يقولها له وهو في جهنم فتكون سبباً في نعيمه حيث كان فإنه ما يقولها له إلا في الوقت الذي قد شاء أن يعامله بصفة الكرم والجود فإن رحمته سبقت غضبه ورحمة الله وسعت كل شيء منة واستحقاقاً وبالأصل فكل ذلك منة منه سبحانه فإنه الذي كتب على نفسه الرحمة للمتقي والمتقي بمنته سبحانه اتقاه وجعله محلاً للعمل الصالح.

وصل في فصل صفة الصلاة على الجنازة

فمنها عدد التكبير واختلف الصدر الأوّل في ذلك من ثلاث إلى سبع وما بينهما لاختلاف الآثار ورد حديث أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يكبر على الجنازة أربعاً وخمساً وستاً وسبعاً وثمانية وقد ورد أنه كبر ثلاثاً ولما مات النجاشيّ وصلى عليه رولل الله صلى الله عليه وسلم كبر عليه أربعاً وثبت على أربع إلى أن توفاه الله تعالى وصل الاعتبار في هذا الفصل أكثر عدد الفرائض أربع ولا ركوع في صلاة الجنائز بل هي قيام كلها وكل وقوف فيها للقراءة له تكبير فكبر أربعاً على أتم عدد ركعات الصلاة المفروضة فالتكبيرة الأولى للإحرام يحرم فيها أن لا يسأل في المغفرة لهذا الميت إلا الله تعالى والتكبيرة الثانية يكبر الله تعالى من كونه حياً لا يموت إذا كانت كل نفس ذائحة الموت وكل شيء هالك إلا وجهه والتبكيرة الثالثة لكرمه ورحمته في قبول الشفاعة في حق من يشفع فيه أو يسأل فيه مثل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم لما مات وقد كان عرفنا أنه من سأل الله له الوسيلة حلت له الشفاعة فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يشفع فيه من صلى عليه وإنما يسأل له الوسيلة من الله لتحضيضه أمّته على ذلك والتكبيرة الرابعة تكبيرة شكر لحسن ظنّ المصلي بربه في أنه قبل من المصلي سؤاله فيمن صلى عليه فإنه سبحانه ما شرع الصلاة على الميت إلا وقد تحققنا أنه يقبل سؤال المصلي في المصلى عليه فإنه أذن من الله تعالى في السؤال فيه فهو لا يأذن وفي نفسه أنه لا يقبل سؤال السائل قال تعالى في الشفاعة يوم القيامة "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" وقال "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" وقال "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" وقد أذن لنا أن نشفع في هذا الميت بالصلاة عليه فقد تحققنا الإجابة بلا شك ثم يسلم بعد تكبيرة الشكر سلام انصراف عن الميت أي لقيت من ربك السلام ولهذا شرع النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يكفوا عن ذكر مساوي الموتى فإن المصلي قد قال في آخر صلاته عليه السلام عليكم فأخبر عن نفسه أن الميت قد سلم منه فإن ذكره بمساءة بعد هذا فقد كذب نفسه في قوله السلام عليكم فإنه ما سلم منه من ذكره بسوء بعد موته فإن ذلك يكرهه الميت ويكرهه الله للحيّ فإن الحيّ يذكره به ولا ينتهي عن فعل مثله فيؤدّيه ذلك إلى أن يكون قليل الحياء من ربه.

وصل في فصل

رفع الأيدي عند التكبير في الصلاة على الجنائز والتكتيف

وأمّا رفع الأيدي عند كل تكبيرة والتكتيف فإنه مختلف فيهما ولا شك أن رفع اليدين يؤذن بالافتقار في كل حال من أحوال التكبير يقول ما بأيدينا شيء هذه قد رفعناها إليك في كل حال ليس فيها شيء ولا تملك شيأ وأمّا التكتيف فإنه شافع والشافع سائل

والسؤال حال ذلة وافتقار فيما يسأل فيه سواء كان ذلك السؤال في حق نفسه أو في حق غيره فإن السائل في حق الغير هو نائب في سؤاله عن ذلك الغير فلابدّ أن يقف موقف الذلة والحاجة لما هو مفتقر إليه فيه والتكتيف صفة الأذلاء وصفته وضع اليد على الأخرى بالقبض على ظهر الكف والرسغ والساعد فيشبه أخذ العهد في الجمع بين اليدين يد المعاهد والمعاهد أي أخذت علينا العهد في أن ندعوك وأخذنا عليك العهد بكرمك في أن تجيبنا فقلت "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني" و لم يقل دعاني في حق نفسه ولا في حق غيره ثم أذنت لنا في الدعاء للميت والشفاعة عندك فيه فلم يبق إلا الإجابة فهي متحققة عند المؤمن ولهذا جعلنا التكبيرة الأخيرة شكراً والسلام سلام انصراف وتعريف بما يلقي الميت من السلام والسلامة عند الله ومنا من الرحمة والكف عند ذكر مساويه.

وصل في فصل

القراءة في صلاة الجنازة

فمن قائل ما في صلاة الجنازة قراءة إنما هو الدعاء وقال بعضهم إنما يحمد الله ويثني عليه بعد التكبيرة الأولى ثم يكبر الثانية فيصلي على النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم يكبر الثالثة فيشفع للميت ثم يكبر الرابعة ويسلم وقال آخر يقرأ بعد التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب ثم يفعل في سائر التكبيرات مثل ما تقدّم آنفاً وبه أقول وذلك أنه إذ ولابدّ من التحميد والثناء فبكلام الله أولى وقد انطلق عليها اسم صلاة فالعدول عن الفاتحة ليس بحسن وبه قال الشافعيّ وأحمد وداود وصل الاعتبار في هذا الفصل قال أبو يزيد البسطامي اطلعت على الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات قال بعض شيوخنا رأى أبو يزيد عالم نفسه هذه الصفة تكون لمن لا معرفة له بربه ولا يتعرّف إليه وتكون لأكمل الناس معرفة بالله فالعارف المكمل يرى نفسه ميتاً بين يدي ربه عز وجل إذ كان الحق سمعه وبصره ويده ولسانه يصلي عليه قال تعالى "هو الذي يصلي عليكم" فإذا كان الحق هو المصلي فيكون كلامه القرآن والعارفون لابدّ لهم من قراءة فاتحة الكتاب يقرأها الحق على لسانهم ويصلي عليهم فيثني على نفسه بكلامه ثم يكبر نفسه عن هذا الاتصال في ثنائه على نفسه بلسان عبده في صلاته على جنازة عبده بين يدي ربه عز وجل ويكون الرحمن في قبلته وهو المسؤل ويكون المصلي هو الحيّ القيوم ثم يصلي بعد التكبيرة الثانية على نبيه المبلغ عنه قال تعالى "إن الله وملائكته يصلون على النبيّ" فلو لم يكن من شرف الملائكة على سائر المخلوقات إلا جمع الضمير في يصلون بينهم وبين الله لكفاهم وما احتيج بعد ذلك إلى دليل آخر ونصب الملائكة بالعطف حتى يتحقق أنّ الضمير جامع للمذكورين قبل ثم يكبر نفسه على لسان هذا المصلي من العارفين عن التوهم الذي يعطيه هذا التترل الإلهيّ في تفاضل النسب بين الله وبين عباده من حيث ما يجتمعون فيه ومن حيث ما يتميزون به في مراتب التفضيل فربما يؤدّي ذلك التوهم أن الحقائق الإلهية يفضل بعضها على بعض بتفاضل العباد إذ كل عبد في كل حالة مرتبط بحقيقة إلهية والحقائق الإلهية نسب تتعالى عن التفاضل فلهذا كبر الثالثة ثم شرع بعد القراءة والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم في الدعاء للميت من قوله "ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى" لكان هذا القرآن الذي أنزل عليك يا محمد وإذا كان الأمر على هذا الحدّ والميت في حكم الجمادات في الظاهر لذهاب الروح الحساس فكان حكمه حكم الجماد وقال تعالى "لو أنزلنا

هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله" فوصفه بالخشية وعين وصفه بالخشية عين وصفه بالعلم بما أنزل عليه قال تعالى "إنما يخشى الله من عباده العلماء" فالمعنى الذي أوجب له عدم الخشية إنما هو ارتباط الروح بالجسد فحدث من المجموع ترك الخشية لتعشق كل واحد منهما بصاحبه فلما فرق بينهما رجع كل واحد منهما إلى ربه بذاته فعلم ما كان قبل قد جهله بتركيبه فصحبته الخشية لعلمه فأول ما يدعى به للميت في الصلاة عليه ويثني على الله به في الصلاة عليه القرآن فإن الميت في مقام الخشية من جهة روحه ومن جهة جسمه فإذا عرف العارف فلا يتكلم ولا ينطق إلا بالقرآن فإنّ الإنسان ينبغي له أن يكون في جميع أحواله كالمصلي على الجنازة فلايزال يشهد ذاته جنازة بين يدي ربه وهو يصلي على الدوام في جميع الحالات على نفسه بكلام ربه دائباً فالمصلي داع أبداً والمصلى عليه ميت أو نائم أبداً فمن نام بنفسه فهو ميت ومن مات بربه فهو نائم نومة العروس والحق ينوب عنه ولنا في هذا المعنى:

يا نائماً كم ذا الرقاد	وأنت تدى فانتبه
كان الإله يقوم عن	ك بما دعا لو نمت به
لكن قلبك نائم	عما دعاك ومنتبه
في عالم الكون الذي	يرديك مهما مت به
فانظر لنفسك قبل س	يرك إن زادك مشتبه

اللهم أبدله داراً خيراً من داره يعني النشأة الأخرى فيقول الله قد فعلت فإن نشأة الدنيا هي داره وهي دار منتنة كثيرة العلل والأمراض والتهدم تختلف عليها الأهواء والأمطار ويخربها مرور الليل والنهار والنشأة الآخرة التي بدلها وهي داره كما قد وصفها الشارع من كونهم لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتمخطون نزهها عن القذارات وأن تكون محلاً تقبل الخراب أو تؤثر فيها الأهواء ثم يقول وأهلاً خيراً من أهله فيقول قد فعلت فإن أهله في الدنيا كانوا أهل بغي وحسد وتدابر وتقاطع وغل وشحناء قال تعالى في الأهل الذي ينقلب إليه الميت "ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين" ثم يقول "وزوجاً خيراً من زوجه" وكيف لا يكون خيراً وهن قاصرات الطرف مقصورات في الخيام ولا تشاهد في نظرها أحسن منه ولا يشاهد أحسن منها قد زينت له وزين لها وطيبت له وطيب لها كما قال تعالى في الجنة ويدخلهم الجنة عرّفها لهم أي طيبها من أجلهم فلا يستنشقون منها إلا كل طيب ولا ينظرون منها إلا كل حسن فدعاؤهم في الصلاة على الميت مقبول لأنه دعاء بظهر الغيب وما من خير يدعون به في حق الميت إلا والملك يقول لهذا المصلي على جهة الخبر ولك بمثله ولك بمثليه نيابة عن الميت ومكافأة للمصلي على صلاته عليه خبر صدق وقول حق فقد تحقق حصول الخير للمصلي والمصلى عليه فإنه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإنسان المؤمن إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك له ولك بمثله ولك بمثليه إخباراً عن الله تعالى من هذا الملك لهذا الداعي وخبر الملك صدق لا يدخله مين فعلى الحقيقة إنما صلى على نفسه وما أحسنها من رقدة بين ربه عز وجل وبين المصلى عليه فإن كان المصلى عليه عارفاً بربه محبوباً عنده حب من يكون الحق سمعه وبصره ولسانه فليس المصلي سوى ربه وليستقبل في الصلاة الرب عز وجل فيكون الميت في رقدته بين ربه وربه فما أعلاها من رقدة ليتها إلى الأبد فنسأل الله تعالى لنا ولإخواننا إذا جاء أجلنا أن يكون المصلي علينا عبداً

يكون الحق سمعه وبصره ولسانه لنا ولإخواننا وأولادنا وآبائنا وأهلينا ومعارفنا وجميع المسلمين من الجن والأنس آمين بعزته وكرمه ولما كان حال الموت حال لقاء الميت ربه واجتماعه به لجمعه ما تفرّق في سائر الكتب والصحف المنزلة واختص من القرآن الفاتحة لكونها مقسمة بالخبر الإلهي بين الله وبين عبده وقد سماها الشرع صلاة وقال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين وخص الفاتحة بالذكر دون غيرها من سور القرآن فتعينت قراءتها بكل وجه في الصلاة على الميت لكونها تتضمن ثناء ودعاء ولابدّ لكل شافع أن يثني على المشفوع عنده بما يليق بالشفاعة واي ثناء أعظم من الرحمن الرحيم والمدح محمود لذاته وثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء أحب إلى الله تعالى من أن يمدح والله تعالى قد وصف عباده المؤمنين بالحامدين وذم ولعن من ذم جناب الله ونسب إليه ما لا يليق به من الفقر والبخل إذ قالت اليهود يد الله مغلولة كنت بذلك عن البخل فأكذبهم الله بقوله "بل يداه مبسوطتان ينف كيف يشاء فعم الكرم يديه فلا تيأسوا من روح الله فهذه عندنا من أرجى آية تقرأ علينا فتعين على الشافع أن يمدح ربه بلا شك فإنه أمكن لقبول الشفاعة مع الإذن فيها فما ثم مانع من القبول ورد في الخبر الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان غداً يوم القيامة وأراد أن يشفع يحمد الله أولاً بين يدي الشفاعة بمحامد لا يعلمها الآن يقتضيها ذلك الموطن بحاله فإن الثناء على المشفوع عنده إنما يكون بحسب جنايات المشفوع فيهم فيقدّم بين يدي شفاعته من الثناء على الله بحسب ما ينبغي له لذلك الموطن من مكارم الأخلاق وموطن القيامة ما شوهد الآن ولا وقع فلهذا قال لا أعلمها الآن.

وصل في فصل التسليم من الصلاة على الجنازة

اختلف الناس فيه هل هو تسليمة واحدة أو اثنتان فالأكثر على أنه تسليمة واحدة وقالت طائفة يسلم تسليمتين وكذلك اختلفوا هل يجهر فيها بالسلام أو لا يجهر والذي أذهب إليه وأقول به إن حكم السلام من صلاة الجنازة في الإمام والمأموم حكم السلام من الصلاة سواء ولو كان وحده الاعتبار لما كان الشافع بين يدي المشفوع عنده وأقام المشفوع فيه بينه وبين ربه ليعين المشفوع فيه كما يحضر الشفيع نازلة من يشفع من أجلها بالذكر عند من يشفع عنده فأقام حضور الجاني بين يديه مقام النازلة التي كان يحضرها بالذكر لو لم يحضر الجاني فهو في حال غيبة عن كل من دون ربه بتوجهه إليه فإذا فرغ من شفاعته رجع إلى الحاضرين عنده من بشر وملك وجان مؤمن فسلم عليهم كما يفعل في الصلاة سواء وهي بشرى من الله في حق الميت كأنه يقول لهم ما ثم إلا السلامة له ولكم وإن الله قد قبل الشفاعة بما قررناه من الأذن فيها وكل من قال إن الميت إذا كان من أهل الصلاة عليه وصلى عليه لا تقبل الشفاعة فما عنده خبر جملة واحدة لا والله بل ذلك الميت سعيد بلا شك ولو كانت ذنوبه عدد الرمل والحصى والتراب أمّا المختصة بالله من ذلك فمغفورة وأمّا ما يختص بمظالم العباد فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لابد من الخير ولو بعد حين ولهذا ينبغي للمصلي على الميت إذا شفع في صلاته عند الله أن لا يخص جناية بعينها وليعم في ذكره كل ما ينطلق عليه به أنه مسيء إساءة تحول بينه وبين سعادته وليسأل الله التجاوز عن سيآته مطلقاً وأن يعترف عن الميت بجميع السيآت وإن لم يحضر المصلي التعميم في ذلك فإن الله إن شاء عمه بالتجاوز وإن شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله له في التخليص من العذاب لا في دخول الجنة لأنه ما ثم دار ثالثة إنما هي جنة أو نار وذلك أنه إن سأل في دخول الجنة لا غير فإن الله يقبل سؤاله فيه ولكن قد يرى في الطريق أهوالاً عظاماً فلهذا ينبغي أن تكون شفاعة المصلي في

أن ينجي الله من صلى عليه مما يحول بينه وبين العافية واستصحابها له فإن ذلك أنفع في حق الميت وإذا فعل هكذا صح التعريف بالسلام من الصلاة أي قد لقي السلامة من كل ما يكرهه.

وصل في فصل

تعين الموضع الذي يقوم الإمام فيه المصلي من الجنازة

واختلفوا أين يقوم الإمام من الجنازة فقالت طائفة يقوم في وسطها ذكراً كان أو أنثى وقال قوم يقوم من الذكر عند رأسه ومن الأنثى عند وسطها ومنهم من قال يقوم منهما عند صدرهما وقال قوم منهما حيث شاء ولا حد في ذلك وبه أقول وصل الاعتبار في ذلك للخيال والوهم سلطان ومقصود المصلي إنما هو سؤال الله تعالى والحديث معه في حق هذا الميت وإحضار الميت بين يديه فلا يبالي أين يقوم منه فإن التردد في ذلك يقصم الخاطر عن المقصود ولاسيما إن كانت الجنازة أنثى فيتوهم الإمام إذا وقف عند وسطها أن يسترها عمن خلفه فلم يسترها عن نفسه ويقدح ذلك التوهم في حضوره في حقها مع الله فإن الحق إنما يستقبله على الحقيقة من الإنسان قلبه فإذا كان قلب المصلي بهذه المثابة من التفرقة واستحضار ما لا ينبغي بالتوهم فقد أساء الأدب في الشفاعة ومن هذه حاله فليس بشفيع وكان هذا المصلي أولى باسم الميت من الميت لسوء أدبه مع الله ومع الموت ومع الميت فلا يحضر المصلي أين يقوم من الجنازة وليستفرغ همته في الله الذي دعاه إلى الشفاعة فيها عنده وكم من مصل على جنازة والجنازة تشفع فيه جعلنا الله من الشافعين هنا وهناك الإنسان مكلف من رأسه إلى رجليه وما بينهما فإنه مأمور بأن لا ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه شرعاً وبجميع ما يختص برأسه من التكليف ومأمور بأن لا يسعى بإقدامه إلى ما لا يحل له السعي إليه وفيه ومنه وما بينهما مما كلفه الله أن يحفظه في تصرفه من يد وبطن وفرج وقلب فلو تمكن للمصلي أن يعم الميت بذاته كلها لفعل فليقم منها حيث ألهمه الله والقيام عند قلبه وصدره أول فإنه كان المستخدم لجميع الأعضاء بالخير والشرّ فذلك المحل هو أولى أن يقوم المصلي الشافع عنده بلا شك ويجعله بينه وبين الله ويعينه فإنه إذا غفر له غفر لسائر جسده فإن جميع الأعضاء تبع للقلب في كل شيء دنيا وآخرة ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه "إن في الجسد بضعة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب كذلك إذا قبلت الشفاعة فيها قبلت في سائر الجوارح أراد الشرع بالقلب هنا المضغة التي يحوي عليها الصدر ولا يريد بالقلب لطيفته وعقله وفي هذا التنبيه هنا سرّ لمن فهم وعلم لا يحصل إلا بالكشف يقول تعالى "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب" وقال "وليتذكر أولوا الألباب" كما قال أيضاً "ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" وفي باب الإشارة عن الحق فيريد بالصلاح والفساد إذا أراد المضغة ما يطرأ في البدن من المرض والصحة والموت فإن القلب الذي هو هذه المضغة هو محل الروح الحيواني ومنه ينتشر الروح الحيواني في جميع ما يحس من الجسد وما ينمي وهو البخار الخارج من تجويف القلب الذي يعطيه الدم الذي أعطاه الكبد فإذا كان الدم صالحاً كان البخار مثله فصلح الجسد وبالعكس فهو تنبيه من الشارع لنا بما هو الأمر عليه فإن العلم بما هو الأمر عليه في هذا الجسم الطبيعيّ العنصريّ الذي هو آلة للطيفة الإنسان المكلفة في إظهار ما كلفه الشارع إظهاره من الطاعات التي تختص بالجوارح فإذا لم يتحفظ الإنسان في غذائه و لم ينظر في صلاح مزاجه وروحه الحيواني المدبر لطبيعة بدنه اعتلت القوى وضعفت وفسد الخيال

والتصوّر من الأبخرة الفاسدة الخارجة من القلب وضعف الفكر وقل الحفظ وتعطل العقل بفساد الآلات التي بها يدرك الأمور فإن الملك إنما هو بوزعته ورعاياه وكذلك الأمر أيضاً إن صلح فاعتبر الشارع الأصل المفسد إذا فسد لهذه الآلات والمصلح لهذه الآلات إذا صلح إذ لا طاقة للإنسان على ما كلفه ربه إلا بصلاح هذه الآلات واستقامتها وسلامتها من الأمور المفسدة لها ولا يكون ذلك إلا من القلب فهذا من جوامع الكلم الذي أوتيه صلى الله عليه وسلم فلو أراد بالقلب العقل هنا ما جمع من الفوائد ما جمع بإرادته القلب الذي يحوي عليه الصدر ولهذا جاء باسم المضغة والبضعة لرفع الشك حتى لا يتخيل خلاف ذلك ولا يحمله السامع على العقل وكذلك قال الله ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فإذا فسدت وعميت عن إدراك ما ينبغي فإن فساد عين البصيرة فيما يعطيه البصر إنما هو من فساد البصر وفساد البصر إنما هو من فساد محله وفساد محله إنما هو من فساد روحه الحيوانيّ الذي محله القلب فقيام المصلي عند صدر الجنازة عند الصلاة عليها أولى وأحق لأجل قلبه الذي

هو الأصل في صلاحه وفساده.

وصل في فصل ترتيب الجنائز عند الصلاة

واختلفوا في ترتيب جنائز إذا اجتمع الرجال والنساء عند الصلاة عليهنّ فقال قوم يجعل الرجل مما يلي الإمام والنساء مما يلي القبلة وقال قوم فيه بالعكس وقال قوم يصلي على الرجال على حدة مفردين وعلى النساء على حدة مفردين والذي أقول به إن كان في اعلجنائز ذكران جعل أحدهما مما يلي الإمام والآخر مما يلي القبلة ويجعل النساء فيما بينهما وإن لم يكن إلا رجل واحد جعل مما يلي الإمام وإن جعل مما يلي القبلة فهو أولى وكل هذا ما لم يرد حدّ مشروع يوقف عنده وقد بحثنا أن نجد في ذلك حدّاً للشرع فلم نجد وقد ورد عن بعض الصحابة أنهم كانوا يجعلون الرجال مما يلي القبلة والنساء مما يلي الإمام فإذا سئلوا عن ذلك قالوا هي السنة وهو أولى عندي ومثل هذا إذا وقع يدخل في المسند عندهم والتوقيف في الحكم أولى ولهذا احتاط من فرّق في الصلاة بين الرجال والنساء والذي يترجح عندي تقديم الرجال مما يلي القبلة فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما دفن قتلى أحد كان يقدم الأفضل مما يلي القبلة ويدفن الجماعة في قبر واحد فكان تقديم الأفضل مما يلي القبلة أولى لأنه إلى الله أقرب شرعاً والله أعلم الاعتبار النساء محل التكوين فهنّ إلى المكوّن أقرب فهم أولى بالقبلة من الرجال وإن وقع التكوين في الرجال مرّة واحدة و لم يكن سوى تكوين حواء من آدم فالحكم للغالب ولاسيما وقد جعل في مقابلة تكوين حواء من آدم تكوين عيسى في مريم من غير فحل وبقي الغالب في الإناث أنهنّ محل التكوين فهنّ أولى بالقبلة ليكون كل مولود يولد على الفطرة فإنه إذا ولد خرج إلينا وهو حديث عهد بربه كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيث أنه حديث عهد بربه فكان الرجال أولى بأن يكونوا ممايلي الإمام والاعتبار الآخر أن الرجل الميت إذا كان ممايلي الإمام كان سترة للإمام عن المرأة فإن المرأة عورة ومجاورة الميت لها أولى لعدم الشهوة من مجاورة الحيّ فالنساء أولى بالتقدم ممايلي القبلة من الرجال وكان الحق أولى بإمائه وسترهنّ عن الإمام أو المصلي عليهن فإن كان الإمام عارفاً بحيث أن يعلم من نفسه أن الحق سمعه وبصره فلا يبالي أيقدم النساء إليه أو الرجال وتقدم النساء أولى ممايلي من هو بهذه الصفة والرجال ممايلي القبلة فإنه أقوى في الاعتبار لأن أكثر الأكوان الطبيعية إنما كوّنها الحق عند الأسباب فتقديم النساء ممايلي الإمام الذي يكون بهذه المثابة أولى فإنه اعتبار محقق فإن الإمام الموصوف بهذه الصفة آلة والحق غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وفي هذه المسئلة من الأسرار البديعة العجيبة ما لو وقف عليها العقلاء لتعجبوا وحاروا وعلموا حكمة الله في الأشياء وما معنى حجابه

النور والظلمة وماذا يحد هذا الحجاب والحق لا يقبل الحد ولا يحتجب عنه شيء ولا يحجبه شيء إذ لو حجبه شيء لحكم عليه ذلك الحجاب بالحد ولا يصح أن يقبل الحجاب فلا يصح أن يكون العبد محجوباً عن الله ولكن يكون محجوباً عن نسبة خاصة قال تعالى في الفجار "إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" فأضاف الرب إليهم وهي النسبة التي يرجونها منه لم يجدوها لأنهم طلبوها من غير جهة ما تكون فيه فكانوا كمن يقصد الشرق بنيته وهو يمشي إلى الغرب بجسمه ويتخيل أن حركته إلى جهة قصده وهو قوله تعالى "وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فإنهم لما استيقظوا من نوم غفلتهم ووصلوا إلى مترل وحطوا عن رحالهم طلبوا ما قصدوه فقيل لهم من أوّل قدم فارقتموه فما ازددتم منه إلا بعداً فيقولون يا ليتنا نردّ ولا سبيل إلى ذلك فلهذا وصفوا بالحجاب عن ربهم الذي قصدوه بالتوجه على غير الطريق الذي شرع لهم فإذا علمت ما اعتبرناه فترتب الجنائز على قدر مقامك ولا تحكم فالحكم ليس لك وإنما هو للشارع فإن وقفت من الشارع في ذلك المقام من طريق الكشف على حكم صحيح ثابت في ذلك فاعمل به ولا تتعداه وقف عنده فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وصل في فصل من فاته التكبير على الجنازة

اختلفوا في الذي يفوته بعض التكبير على الجنازة في مواضع منها هل يدخل بتكبير أم لا ومنها هل يقضي ما فاته أم لا وإن قضى فهل يدعو بين التكبيرات أو لا فمن قائل يكبر أوّل دخوله ومن قائل ينتظر حتى يكبر الإمام وحينئذ يكبر وأمّا قضاء ما فاته فمن قائل يقضي ما فاته من التكبير والدعاء ومن قائل يقضي ما فاته من التكبير نسقاً من غير دعاء والذي أذهب إليه أن الذي يدرك مع الإمام من التكبير هو أول له ثم يتم صلاته بتكبيراتها والدعاء الاعتبار التكبير تعظيم الحق فليسارع إليه ولا ينتظر الإمام ويقضي ما فاته من التكبير نسقاً من غير دعاء فإن الله تعالى يقول "من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين والمدعو له هنا الميت فيعطي الميت بالذكر من المصلي أفضل مما يعطيه لو دعا له والمقصود بالدعاء للميت إنما هو النفع والنفع الأعظم قد حصل بالذكر.

وصل في فصل
الصلاة على القبر لمن فاتته الصلاة على الجنازة

فقال قوم لا يصلي على القبر وقال قوم لا يصلي على القبر إلا وليها فقط إذا فاتته الصلاة عليها وكان قد صلى عليها غير وليها وقال قوم يصلي على القبر من فاتته الصلاة على الجنازة واتفق القائلون بإجازة الصلاة على القبر أن من شرط ذلك حدوث الدفن واختلف هؤلاء في المدة في ذلك فأكثرها شهر وبالصلاة على القبر أقول من غير مدة وصل الاعتبار في هذا الفصل لا يصلي على الميت حتى يوارى عن الأبصار في أكفانه فلا فرق أن يواري بأكفانه أو يوارى بقبره وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على الميت بعد ما دفن في قبره فالاعتبار أن الجسم خلق من التراب وعاد إلى أصله فلا فرق بينه في حال انفصاله وبروزه على وجه الأرض أو حصوله تحت التراب فهو منها فإن كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به إلى بارئه وقد فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه وإن كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الأرض أو تحت الأرض فإنّ

الشارع ما فرّق فكل واحد من الإنسان قد رجع إلى أصله فالتحق الروح منه بالأرواح والتحق العنصريّ منه بالعنصر.

فصول من يصلي عليه ومن أولى بالتقديم

فمن ذلك الصلاة على من هو من أهل لا إله إلا الله فمن قائل يصلي عليهم مطلقاً ولو كانوا من أهل الكبائر وإلا هواء والبدع وكره بعضهم الصلاة على أهل البدع وبالأوّل أقول و لم يجز آخرون الصلاة على أهل الكبائر ولا على أهل البغي والبدع ولو علم هذا القائل أن المصلي على الجنازة شفيع وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي وصل اعتبار هذا الفصل قال صلى الله عليه وسلم صلوا على من قال لا إله إلا الله و لم يفصل ولا خصص وعم بقوله من وهي نكرة نعم فالمفهوم من هذا الكلام الصلاة على أهل التوحيد سواء كان توحيدهم عن نظر أو عن إيمان أعني عن تقليد للرسول أو عن نظروا يمان معاً ومعنى الإيمان أن يقولها على جهة القربة المشروعة من حيث ما هي مشروعة وهذا لا سبيل إلى الوصول إلى معرفته من القائل لها إلا بوحي أو كشف فإنه غيب وما كلف الله نفساً إلا وسعها ولهذا ربطه بالقول ومن لا يتصوّر منه القول أو لم يسمع أنه قالها كالصبيّ الرضيع فإن الرضيع يلحق بأبيه في الحكم فيصلي عليه ومن لم تسمع منه يلحق بالدار والدار دار الإسلام وهو بين المسلمين و لم يعرف منه دين أصلاً لا الإسلام ولا غيره وكان مجهولاً فإنه يحكم له بالدار فيصلي عليه فإذا كانت عناية الدار تلحقه بالمحقق إسلامه فما ظنك بعناية الله وهذا من عناية الله وأهل لا إله إلا الله بكل وجه وعلى كل حال لا يقبلهم الخلود في النار إلا من أشرك أو سن الشرك فإنهم لا يخرجون من النار أبداً فالأهواء والبدع وكل كبيرة لا تقدح في لا إله إلا الله لا تعتبر مؤثرة في أهل لا إله إلا الله فإن التوحيد لا يقاومه شيء مع وجوده في نفس العبد ولولا النص الوارد في المشرك وفيمن سنّ الشرك لعمت الشفاعة كل من أقر بالوجود وإن لم يوحد فإن المشرك له ضرب من التوحيد أعني توحيد المرتبة الإلهية العظمى فإن المشرك جعل الشريك شفيعاً عند الله يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فوحد هذا المشرك الله في عظمته ليست للشريك عنده هذه الرتبة إذ لو كانت له ما اتخذه شفيعاً والشفيع لا يكون حاكماً فلهم رائحة من التوحيد وبهذه الرائحة من التوحيد وإن لم يخرجوا من النار لا يبعد أن يجعل الله لهم فيها نوعاً من النعيم في الأسباب المقرونة بها الآلام وأدنى ما يكون من تنعيمهم أن يجعل المقرور في الحرور ونقيضه الذي هو المحرور في الزمهرير حتى يجد كل واحد منهما بعض لذة كما كانت لهم هنا بعض رائحة من التوحيد فيخلقهم الله على مزاج يقبلون به نعيم هذه الأسباب المعتادة بوجود الألم عندها في المزاج الذي لا يلائمه ذلك وما ذلك على الله بعزيز فإنه الفعال لما يريد وما ورد نص يحول بيننا وبين ما ذكرناه من الحكم فبقي الإمكان على أصله في هذه المسئلة وفي الشريعة ما يعضده من قوله "ورحمتي وسعت كل شيء" وقوله "رحمتي سبقت غضبي".

وصل في فصل من قتله الإمام حداً

فمن الناس من لم ير أن يصلي عليه الإمام ومنهم من رأى أنه يصلي عليه الإمام وبه أقول اعتبار هذا الفصل الغاسل غير ممنوع من الصلاةى على من غسله والإمام هنا غاسل فإن القتل هنا للمقتول طهور معنويّ مكفر وقد ورد في ذلك الخبر فللإمام أن يصلي عليه لتحقق طهوره والعجب من صاحب هذا المذهب الذي يمنع من صلاة الإمام عليه وهو عنده لو مات من عليه هذا الحد صلى عليه الإمام مع تحققه بأنه مشغول الذمة بهذا الحد الواجب عليه وأنه غير طاهر النفس فإن أمره إلى الله إن شاء آخذه به وإن شاء عفا

عنه وبهذا وردت الأخبار فالأولى أن يصلي عليه الإمام إذا قتله حداً كالغاسل سواء فإنه لا معنى لإقامة الحدود على المؤمنين في الدنيا إلا إزالتها عنهم في الآخرة بخلاف من قتل سياسة أو كفراً لا حداً.

وصل في فصل

من قتل نفسه هل يصلي عليه أم لا يصلي عليه

فقيل صلى عليه ومن قائل لا يصلى عليه بوالأوّل أقول وصل اعتبار هذا الفصل لما أذن الله عز وجلّ في الشفاعة بالصلاة على الميت علمنا أنه عز وجلّ قد ارتضى ذلك وأن السؤال فيه مقبول وأخبر أن الذي يقتل نفسه في النار خالداً مخلداً فيها أبداً وأنّ الجنة عليه حرام وما ورد نهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل ذلك على من قتل نفسه و لم يصل عليه فيجب على المؤمنين الصلاة على من قتل نفسه لهذا الاحتمال فيقبل الله شفاعة المصلي عليه فيه ولاسيما والأخبار الصحاح والأصول تقضي بخروجه من النار ويخرج الخبر الوارد بتأبيد الخلود مخرج الزجر والحكمة المشار إليها في هذه المسئلة في قول الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرّمت عليه الجنة ففيه إشارة حقيقة فالإشارة يسارعون وسابقوا ومن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت منه ذراعاً والموت سبب لقاء الله فكان الإنسان في حياته يسافر ويقطع المنازل بأنفاسه إلى لقاء ربه وقد جعل له حداً مخصوصاً فاستعجل اللقاء فبادر إليه قبل وصوله إلى ذلك الحد وهو السبب الذي لا تعمل له في لقائه فإن كان عن شوق للقاء الحق فإنه يلقاه برفع الحجب ابتداء فإنه قال حرمت عليه الجنة والجنة الستر أي منعت عنه أن يستر عني فإنه بادرني بنفسه و لم يقل ذلك على التفصيل فحمله على وجه الخبر للمؤمن لما يعضده من الأصول أولى وأمّا قوله عليه السلام فيمن قتل نفسه بحديدة وبسم بالتردّي من الجبل فلم يقل في الحديث من المؤمنين ولا من غيرهم فتطرق الاحتمال وإذا دخل الاحتمال رجعنا إلى الأصول فرأينا أن الإيمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأبيد إلى غير نهاية في النار فنعلم قطعاً أن الشارع أخبر بذلك عن المشركين في تعيين ما يعذبون به أبداً فقال من قتل نفسه بحديدة منهم فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً أي هذا الصنف من العذاب هو حكمه في النار وكذلك من شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً أي هذا النوع من العذاب يعذب به هذا الكافر وقد ورد من قتل نفسه بشيء عذب به وأمّا المؤمن فحاشى الإيمان بتوحيد الله أن يقاومه شيء فتعين أن ذلك النص في المشرك وإن لم يخص الشارع في هذا الخبر صنفاً بعينه فإن الأدلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة ويضم بعضها إلى بعض ليقوي بعضها بعضاً لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً كذلك الإيمان بكذا يشد للإيمان بكذا فيقوي بعضه بعضاً فإن أهل الجنة إنما يرون ربهم رؤية نعيم بعد دخولهم الجنة كما ورد في الخبر في الزيارة إذا أخذ الناس أماكنهم في الجنة فيدعون إلى الرؤية فيمكن أن الله قد خص هذا الذي بادره بنفسه فقتل نفسه أن يكون قوله حرمت عليه الجنة قبل لقائي فيتقدم للقاتل نفسه لقاء الله رؤية نعيم وحينئذ يدخل الجنة فإن القاتل نفسه يرى أن الله أرحم به مما هو فيه من الحال الموجبة له إلى هذه المبادرة فلولا ما توهم الراحة عند الله من العذاب الذي هو فيه لما بادر إليه والله يقول أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيراً والقاتل نفسه إذا كان مؤمناً فظنه بربه حسن فظنه بربه الحسن هو الذي جعله أن يقتل نفسه وهذا هو الأليق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الإلهي إذ لا نص بالتصريح على خلاف هذا التأويل وإن

ظهر فيه بعد فلبعد الناظر في نظره من الأصول المقررة التي تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فإذا استحضرها ووزن عرف ما قلناه وفي الأخبار الصحاح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فلم يبق إلا ما ذكرناه و لم يقل الله في هذا الخبر إلا أنه حرم عليه الجنة خاصة فإن قلنا ولابدّ بالعقوبة فتكون الجنة محرمة عليه أن يدخلها دون عقاب مثل أهل الكبائر فيكون نصاً في القاتل نفسه وغيره من أهل الكبائر في حكم المشيئة فإن صاحب السجلات لا يدخل النار مع أنه من أهل الكبائر إذ ليس معه سوى قول لا إله إلا الله في طول إسلامه مدة حياته في الدنيا فغايته أن يتحقق إنفاذ الوعيد في القاتل نفسه قبل دخول الجنة وأنه لا يغفر له والله أكرم أن ينسب إليه نفاذ الوعيد بل ينسب غليه المشيئة وترجيح الكرم كما وصف بعض الأعراب مع كونه من أهل الأغراض نفسه.

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

ولذا ما ورد في الشرع نص في الايعاد وورد في الوعد ولا تحسبن الله مخلف وعده فالايعاد في الشر خاصة والوعد يكون في الخير والشرّ معا

وصل في فصل حكم الشهيد المقتول في المعركة

فمن قائل لا يصلى عليه ولا يغسل ومن قائل الاعتبار الحياة المنسوبة إلى الشهيد في المعركة من رأى أن الله أخذ بأبصارنا عن إدراك حياة الشهيد وأنه لحي يرزق كحياة زيد وعمر وفي نفس الأمر وهذا ليس ببعيد فإن الحي بهذه المثابة لا يصلى عليه ومن رأى أن الصلاة إنما هي الدعاء له بكونه انقطع عمله في الدنيا وإن كان حيا عند ربه لكنه غير عامل قال يصلى عليه أي يدعى للميت لانقطاعه عن العمل المقرب له إلى الدرجات التي لا تحصل إلا بالعمل من العامل نفسه أو ممن ينوب عنه في عمله كمن يصوم عن وليه إذا مات أو يحج عنه إذا مات أو لم يستطع فتقوم الصلاة على الشهيد من المصلي مقام العمل منه لو كان في حال لم ينقطع العمل منه

وصل في فصل حكم الصلاة على الطفل

فمن قائل لا يصلى عليه حتى يستهل صارخا ومن قائل يصلى عليه إذا كمل أربعة أشهر لوجود الروح عند هذه المدة الاعتبار أمرنا الله بالصلاة على الميت في السنة و لم يقل الميت عن حياة متقدمة فنحن إذا رأينا صورة الجنين ولو كان أصغر من البعوضة بحيث تكون أعضاؤه مصورة حتى يعلم أنه إنسان وإن كان قبل نفخ الروح فيه فإنه ينطلق بالشرع على تلك الصورة أنها ميتة قال تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فأطلق علينا اسم الموت قبل نفخ الروح فالمصلي على الجنين إذا خرج عينه بالطرح وشاهدنا صورة وإن لم ينفخ فيه روح للصورة الظاهرة وتحقق اسم الموت فلا مانع للصلاة عليه بوجه من الوجوه و لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلى على ميت إلا بعد أن تتقدمه حياة ما تعرض لذلك وإن كان لم يقع الأمر إلا فيمن تقدمت له حياة وما يدل عدم النقل على رفع الحكم بل المفهوم من الشرع الصلاة على الميت من غير تخصيص إلا ما خصصه الشارع من النهي عن الصلاة على الكافر وغير ذلك ممن نص على ترك الصلاة وليس للطفل فيه مدخل بل قد ذكر الترمذي عن جابر بن عبد

الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الطفل يصلي عليه ولا يرث ولا يورث حتى يستهل صارحا فقد حكم بالصلاة عليه وما حكم بالميراث مثل ما حكم على من مات عن حياة فهذا الخبر يقوي ما ذهبنا إليه من وجود صورة الإنسان وإن لم نعلم إن موته عن حياة ولا عن غير حياة حديث المغيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الطفل يصلي عليه وذهب بعضهم إلى أن الطفل لا يصلي عليه أصلا واحتج بأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يصل على ابنه إبراهيم وهو ابن ثمانية أشهر فيعارض هذا القائل بأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم ويقويّ هذا الحديث حديث المغيرة وجابر

وصل في فضل حكم الأطفال من أهل الحرب إذا ماتوا

فقيل حكمهم حكم آبائهم لا يصلي عليهم ومن قائل حكمهم حكم من سباهم من المسلمين والذي أقول به أنه متى قدر المسلم على الصلاة على من مات من الأطفال الصغار الذين لم يحصل منهم التمييز ولا العقل أنه يصلى عليهم فإنهم على فطرة الإسلام الاعتبار الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما يترل من السماء من الندا غدوة وعشية وهو أضعف ما يترل من السماء من الماء فالطفل من الكبار كالرش والوبل والسكب وغير ذلك من أنواع نزول المطر ولما كان بهذا الضعف والضعيف مرحوم أبدا والصلاة رحمة فالطفل يصلي عليه إذا مات بكل وجه ولا معنى لترك الصلاة عليه

وصل في فصل من أولى بالتقديم في الصلاة على الميت

واختلفوا فيمن أولى بالتقديم في الصلاة على الميت فقيل وليه وقيل الوالي وبه أقول فإنه ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم على الجنازة و لم ينقل عنه قط أنه اعتبر الولي ولا سأل عنه وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على الحسن بن علي والحاقة في هذه المسئلة بصلاة الجمعة وصلاة الجماعة أولى من الحاقة بالولي في مواراته ودفنه الاعتبار الوالي له إطلاق الحكم في العموم والخصوص فهو أقوى ممن له الحكم في بعض الأمور فهو أولى بالصلاة على الميت وبمناجاة الحق والشفاعة في الميت فإنه نائب الله ونظر الحق إلى من استخلفه أعظم من نظره فيمن لم يجعل له ذلك المنصب العام في الخلافة وكلامه أقبل عنده فإنه فوّض إليه الحكم فيما ولاه عليه والوالي على الحقيقة هو الله تعالى فمن ثبت له هذا الاسم بالوجه الأعم فالأعم فهو أولى بالصلاة على الميت والوالي من له حكم الوقت من الأسماء الإلهية فيشفع عند من ولاه من الأسماء في لميت ممن هو أعم تعلقا منه وهو الرحمن فإن رحمته وسعت كل شيء

وصل في فصل وقت الصلاة على الجنازة

فقال قوم لا يصلي عليها في الوقت المنهي عن الصلاة فيه وقال قوم لا يصلي في الغروب والطلوع وقال قوم يصلي عليها بعد صلاة الصبح ما لم يكن الأسفار وبعد صلاة العصر ما لم يكن الاصفرار وقال قوم يصلي عليها في كل وقت به أقول غير أنه لا يقبر في ثلاث ساعات الميت وإن أجزأنا الصلاة عليه فيها الورود النص أن لا نقبر فيها موتانا وهي الطلوع والغروب والاستواء الاعتبار في هذا الفصل الصلاة مناجاة وسؤال على حضور ومشاهدة فلا تتقيد بوقت ما لم يقيدها الشرع وما قيد صلاة الجنازة فإنها ما فيها

سجود وأما الاستواء فإنه وقت تسعير النار والقبر أوّل منزل من منازل الآخرة و لم نقل الموت فإن الموت حال لا منزل القبر منزل فإن دفن في ذلك الوقت يشاهد الميت تسعير النار فربما أدركه رعب والله رفيق المؤمن فلم يبح لنا أن نقبر في ذلك الوقت موتانا رحمة بهم وأما الطلوع والغروب فإنهما ساعات يسجد فيهما الكفار فجهنم تتقدم لأخذهم لصنيعهم ذلك فإذا قبر الميت في ذلك الوقت ربما أبصر مبادرة النار لأخذ هذه الطوائف فيدركه رعب لإقبالها حتى يظن أنها تريده كمن يكون ما شيا في طريق وخلفه من عليه طلب فيرى أما مه شخصا يقصد طلب من يأتي خلفه يفرق منه لفظاعة منظره فربما يتخيل هذا الشخص أنه المقصود لذلك المقبل فلا يأمن من يأتي حتى يجاوزه فيعلم أنه طالب غيره فإن الكافر إذا سجد لغير الله بادرت جهنم لأخذه غيرة أن يسجد لغير الله فإذا رفع رأسه من السجدة نكصت على عقبها عن أمر الله تعالى لعل هذا الساجد لا يعود إلى مثلها ويتوب فإنه في دار قبول التوبة فلهذا لم يتم إقبالها إليه فالإنسان ما دام حيا إذا كان كافرا يرجى له الإسلام وإذا كان مسلما يخاف عليه الكفر فإنها ما هي دار طمأنينة لمخلوق ما لم يبشر ومع البشرى يرتفع الخوف لصدق المخبر ويبقى الحكم للحياء والخشوع فخوف المبشر واصفراره للحياء خاصة لا للخوف

وصل في فصل في الصلاة تعلى الجنازة في المسجد

فأجازها بعضهم وكرهها بعضهم وأمّا إذا كانت الجنازة خارج المسجد والمصلي في المسجد ففي هذه الصلاة خلاف أيضا وأما الصلاة على الجنائز في المقابر ففيه خلاف بالجواز أقول في ذلك كله وصل الاعتبار في هذا الفصل المصلي على الجنائز شفيع فحيث ما كان يشفع فإن الحق يقول وهو معكم أينما كنتم فنحن نعلم أنه مع الجنازة حيث كانت ومعي حيث كنت فلا يتقيد بالمكان فالصلاة على الجنازة جائزة في كل مكان من غير تقييد ولا موضع أقذر من موضع فرعون فإن المشرك نجس ومع هذا فجاءه موسى وهرون وقال الله لهما أنني معكما أسمع وأرى وكنت أقول بالصلاة على الجنائز حيث كانت في مسجد وغيره حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو ينهي عن دخول الجنائز المسجد وعن الصلاة عليها فانتهيت فما صليت بعد ذلك على جنازة في المسجد فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتكونني

وصل في فصل في شرط الصلاة على الجنازة

فقال الأكثرون الطهارة شرط فيها كالقبلة سواء واختلفوا في التيمم لها لمن خاف فواتها فقال قوم يتيمم لها وقال قوم لا يتيمم لها ولا يصلي عليها بتيمم والذي أقول به أن الطهارة لا تشترط ولكن أكره التوجه إلى الله وذكره على غير طهارة شرعية وصل في اعتبار هذا الفصل قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وهكذا ينبغي أن يكون المر فإنّ الله في كل حال مع العبد ولا سيما المؤمن انتهى الجزء التاسع والأربعون

الجزء الخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل صلاة الإستخارة

ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر أن يصلي لها ركعتين ويوقع الدعاء عقيب الركعتين اللتين يصليهما من أجلها بعد السلام منهما وأستحب له أن يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة أو سورة قل يا أيها الكافرون وفي الركعة الثانية يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ويدعو بالدعاء المروي في ذلك عقيب السلام يفعل ذلك في كل حاجة مهمة يريد فعلها وقضاءها ثم يشرع في حاجته فإن كان له فيها خيرة عند الله يسر له أسبابها إلى أن تحصل فتكون عاقبتها محمودة وإن تعذر شيء من أسبابها فيعلم أن الله قد اختار له تركها فلا يتألم لذلك وسيحمد عاقبة تركها وينبغي لأهل الله أن يصلوا صلاة الإستخارة في وقت معين يعنونه من ليل أو نهار في كل يوم فإذا قالوا الدعاء بعد السلام من الركعتين يقولون في الموضع الذي أمر أن يسمى حاجته كما سنذكره يقول اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه في حقي وفي حق غيري وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني خير لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وأجله من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر فيسره لي وأقدره ورحني به وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه في حقي وفي حق غيري وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر شر لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله كما سيأتي في الدعاء بعد هذا إن شاء الله فإنه إذا فعل ذلك ما يتحرك بحركة ولا يتحرك في حقه بحركة إلا كان له فيها خير محقق فعلا أوتر كاجربت هذا دائما يفعل هذا في كل يوم في وقت بعينه يلزمه لا يغيره وصورة دعا الاستخارة اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم إن هذا الأمر وتسمى حاجتك خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر وتذكر حاجتك شرّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أوقال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به فالعارف إذا استخار ربه في حاجة معينة كانت أو مبهمة فيحضر في قلبه عند قوله اللهم أي يا أَلله اقصد فادخل هنا الإرادة لأن القصد الإرادة فحذف الهمزة واكتفى بالهاء من اللهم لقربها في المخرج والمجاورة وليدلك بذلك على عظيم الوصلة فإن شرح اللهم أي يا الله أمنا بالخير أي اقصدنا وقوله إني آينة الشيء حقيقته كناية عن نفسه وقوله أستخيرك بعلمك يقول أي يا أَلله أمنا بالخير أي اقصدنا وقوله إني آينة الشيء حقيقته كناية عن نفسه وقوله استخيرك بعلمك يقول أي يا أَلله أقصد حقيقتي بما اختاره علمك مما لي فيه خير فإنك تعلم ما يصلح لي من الخير ولا أعلم هذا الذي توجهت في طلبه وتقدر على إيجاد ولا أقدر على ذلك فإن كان لي في فعله وظهور عينه خير فقد علمته فاقدره لي أي افعله لي وإن كان الخير لي في تركه وعدم ظهور حاكما عليّ بظهور عينه فهذا معنى قوله فاصرفه عني ثم قال واصرفني عنه أي حل بيني وبينه واجعل بيني وبينه الحجاب الذي بين الوجود

والعدم حتى لا أستحضره ولا يحضرني عينا تخيلا وقوله واستقدرك بقدرتك لأنّ القدرة صفة الإيجاد وهي أخص تعلقا من العم فيصرف بالعلم ويوجد بالقدرة ولا يصرف بها فقدّم العلم على القدرة لأنه قد يكون له الخيرة في ترك ما طلب فعله ووجوده فكأنه يقول وإن كان في تحصيل ما طلبت تحصيله خير لي فإني أستقدرك بقدرتك أي أقدرني على تحصيله وإن كان ممن يقول بنسبة الفعل إلى العبد فقوله بقدرتك يعني قدرة الحق التي هي صفته المنسوبة إليه بحكم الصفة لا بحكم الخلق وقوله فإنك تقدر ولا أقدر يتجه هذا قول من الطائفتين أي فإنك تقدر أن تخلق لي القدرة على فعله إن كان قد علمت إن لي فيه خيرا وقد يريد الأخبار عن حقيقة نفي القدرة عن العبد فيقول فإنك تقدر على إيجاده وتحصيل ما طلبته ولا أقدر رأى مالي قدرة أحصله بها لعلمه إن القدرة الحادثة ما لها التكوين ولا تتعدى محلها وقوله وأرضني به أي اجعل الفرح والسرور عندي بحصوله أو بعدم حصوله من أجل ما اخترته لي في سابق علمك وأقدر على لي الخير حيث كان وأنت أعلم بالأماكن والزمان والأحوال التي لي الخير فيها من غيرها فإنك أنت علام الغيوب أي ما غاب عنا من ذلك تعلمه أنت ولا أعلمه أنا ثم لتعلم بالأمر لا يتضمن شهوده فدل أن نسبة رؤيتك الأشياء غير نسبة علمك بها النسبة العلمية تتعلق بالشهادة والغيب فكل مشهود معلوم ما شهد منه وما كل معلوم مشهود وما ورد في الشرع قط إن الله يشهد الغيوب وإنما ورد يعلم الغيوب ولهذا وصف نفسه بالرؤية فقال ألم يعلم بأن الله يرى ووصف نفسه بالبصر وبالعلم ففرّق بين النسب وميز بعضها عن بعض ليعلم ما بينها ولما لم يتصور أن يكون في حق الله غيب علمنا إن الغيب أمر إضافي لما غاب وما نشهده ويشهده وما يلزم من شهود الشيء العلم بحده وحقيقته ويلزم من العلم بالشيء العلم بحده وحقيقته عدما كان أو وجودا وإلا فما علمته والأشياء كلها مشهودة للحق في حال عدمها ولو لم تكن كذلك لما خصص بعضها بالإيجاد عن بعض إذ العدم المحض الذي ليس فيه أعيان ثابتة لا يقع فيه تمييز شهود بخلاف عدم الممكنات فكون العلم ميز الأشياء بعضها عن بعض وفصل بعضها عن بعض هو المعبر بشهوده إياها وتعيينه لها أي هي بعينه يراها وإن كانت موصوفة بالعدم فما هي معدومة لله الحق من حيث علمه بها كما إن تصور الإنسان المخترع للأشياء صورة ما يريد اختراعها في نفسه ثم يبرزها فيظهر عينها لها فاتصفت بالوجود العيني وكانت في حال عدمها موصوفة بالوجود في الوجود الذهني في حقنا والوجود العلمي في حق الله فظهور الأشياء من وجود إلى وجود من وجود علم إلى وجود عين والمحال الذي هو العدم المحض ما فيه أعيان تمييز فهذا معنى بعض ما يتضمنه دعاء الاستخارة وأما قوله ويسره لي يريد الأسباب التي هي علامات ودلائل على تحصيل المطلوب

فصول جوامع فيما يتعلق بالصلاة وبها خاتمة الباب

وصل في إقامة الصلاة

إقامة الصلاة ظهور نشأتها على أتم خلقها وخلقها يختلف باختلاف من تنسب إليه فإذا نسبت الصلاة إلى الله فلها نشأة تخالف نشأة نسبتها إلى غير الله من ملك وبشر وغيرهما من المخلوقين فالحق ينشئها نشأة تامة ولهذا قال بعباده وسيأتي ذكر ذلك ونسبة الصلاة إلى الملك أيضا يخرجها ويقيمها تامة النشأة أي صلاة أظهرها فما يظهرها إلا تامة فلا تكون صلاة الملك إلا تامة النشأة والخلق وكذلك كل صلاة منسوبة إلى جماد ونبات وحيوان ما عدا الإنس والجن فإن صلاتهما إذا أنشآها قد تكون مخلقة أي تامة الخلقة

وغير مخلقة أي غير تامة الخلق فلنذكر أولا صلاة الحق فنقول وصل قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته عموما وقال أن الله وملائكته يصلون على النبي خصوصا بخصوص صلاة فإن الضمير في قوله يصلون بجمع الحق والملائكة ولا يتمكن للملائكة أن تلحق صلاة الله على عبده فإنها لا تتعدى مرتبتها فيكون الحق يترل في هذه الصلاة إلى صلاة الملائكة لأجل الضمير الجامع فتكون صلاة الله على النبي من مقام صلاة الملائكة على النبي بخلاف قوله هو الذي يصلي عليكم فإنه هنا ما جاء بالملائكة إلا بعد ما ذكرنا وفصل بنا بين صلاته وبين الملائكة بقوله عليكم ثم قال ليخرجكم فأفرد الخروج إليه وما جاء بضمير جامع يجمع بين الله وبين الملائكة في الصلاة على المؤمنين كما فعل في قوله يصلون على النبي فتميز النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البشر بمرتبة لم يعطها أحد سواه أي ما ذكر لنا ذلك فعمنا كلنا والنبي صلى الله عليه وسلم من جملتنا بقوله هو الذي يصلي عليكم وأفرد نفسه في ذلك ثم قال وملائكته فأفرد الملائكة بالصلاة على العباد وفيهم النبي فلجميع الخلق توحيد الصلاة من الله وتوحيد الصلاة من الملائكة يصلون على النبي ومعلوم أن الصلاة في الجمعية ما هي الصلاة التي في حال الإفراد فإن الحالتين متميزتان ففاز النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة ثم أمرنا أن نصلي عليه صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الصلاة الجامعة وهو أن نصلي عليه إذا كان الحق لساننا كما ورد في الخبر فحينئذ تصح الصلاة التي أمرنا بها وبهذه المثابة كانت صلاة الملائكة في هذا المقام الذي جمع بينهم وبين الله في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن في تلك الصلاة كان نطقهم فثبت شرفه صلى الله عليه وسلم على سائر البشر في هذه المرتبة فإنه شرف محقق الوجود بالتعريف وإن ساواه أحد ممن لم نعرف به فذلك شرف إمكاني فتعين فضله بالتعيين على من لم يتعين وإن كان قد صلى عليه مثل هذا في نفس الأمر و لم نخبر فثبت له الفضل بكل حال فلما قال تعالى بعد قوله هو الذي يصلي عليكم بعد قوله يا أيها الذين آمنوا و لم يقل بماذا هل بالوجود وبالتوحيد فحمله على الوجود الذي هو أعم أولى لأنه أعم أتممت يريد مصليا تماما غير قصر ولهذا قال بكرة وأصيلا يعني صلاة الغداء والعشي وكذلك قال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون فجمع الصلوات الخمس في هذه الآية وله الحمد أي الثناء المطلق في السموات والأرض فأما تقدير الكلام فلما قال هذا وأمر بالذكر والصلاة قال هو الذي يصلي عليكم فأخبر أنه يصلي عليه فالمفهوم من هذا أمر أن الأمر الواحد أنه يصلي علينا فينبغي لنا أن نذكره بالمدح والثناء ونصلي له بكرة وأصيلا فإن في ذلك غذاء العقول والأرواح كما إن غذاء الجسم في هذه الأوقات في قوله لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ورزق كل مخلوق بحسب ما تطلبه حقيقته فالأرواح غذاؤها في التسبيح فقيل لها سبحة أي صل له في هذه الأوقات واذكره على ل حال فقيد التسبيح وما قيد الذكر بوقت فعلمنا أن التسبيح ذكر خاص مربوط بهذه الأوقات والأمر الآخر أنكم إذا صليتم وذكرتم الله فإنه يصلي عليكم فصلاتنا وذكرنا له سبحانه بين صلاتين من الله تعالى صلى علينا فصلينا له فصلى علينا فمن صلاته الأولى علينا صلينا له ومن صلاته الثانية علينا كانت السعادة لنا بأن جنينا ثمرة صلاتنا له وذكرنا ثم قال وملائكته أيضا تصلي عليكم بما قد شرع لها من ذلك وهو قوله "ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ يعني القيامة

والمعصومين من وقوع السيئات منهم فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم " فهذا كله قول الملائكة فصلاة الملائكة علينا كصلاتنا على الجنازة سواء لمن عقل ثم قال ليخرجكم بلام السبب من الظلمات إلى النور ابتداء منه ومنة وبدعاء الملائكة وهو هذا الذي ذكرناه ولهذا قال وملائكته وهو قولهم وقهم السيئات فإن السيئات ظلمات فمنهم من يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم

ومن ظلمات المخالفة إلى نور الموافقة ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ومن ظلمات الحجاب إلى نور التجلي ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى ومن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ومن ظلمات الحجاب إلى نور التجلي ومن ظلمات الشقاء والتعب إلى نور السعادة والراحة ثم قال وكان بالمؤمنين أي بالمصدقين رحيما أي رحمهم لما صدقوا به من وجوده الذي هو أعم من التصديق بالتوحيد ثم يندرج بعد الإيمان بالوجود الإلهي كل ما يجب به الإيمان على طبقاته ثم قال تحيتهم يوم يلقونه سلام أي إذا توقع اللقاء بشر بالسلامة إنه لا يشقى بعد اللقاء أبدا فلله رجال يلقونه في الحياة الدنيا ويبشرون بالسلام وثم من يلقاه إذا مات وثم من يلقاه عند البعث وثم من يلقاه في تفاصيل مواقف القيامة على كثرتها ومنهم من يلقاه بعد دخول النار وبعد عذابه فيها ومتى وقع اللقاء حياة الله بالسلام فلا يشقى بعد ذلك اللقاء فلذا جعل السلام عند اللقاء و لم يعين وقتا مخصوصا لتفاوت الطبقات في لقائه فآخر لاق يلقاه المؤمن بوجوده خاصة فإنه قال الرحمن على العرش استوى والعرش ما حوى ملكه كله مما وجد ورحمتي وسعت كل شيء وعرشه وسع كل شيء والنار ومن فيها من الأشياء والرحمة سارية في كل موجود فصلاة الحق كائنة على كل موجود والخلق صور خيالية محرّكهم الحق والناطق عنهم الحق فهم مصرّفون تجري عليهم أحكام القدرة وهم محوفي عين ثبوتهم وعدم في حال وجودهم أولئك هم الصامتون الناطقون والميتون إلا حياء كحياة الشهداء فالعقل يشهد ما لا يشهد البصر فإقامة الصلاة الإلهية عموم رحمته بمخلوقاته فهي مخلوقة قال تعالى أعطي كل شيء خلقه والرحمة شيء وخلقها تعميمها وكذلك صلاة الملائكة تامة الخلقة فإنها دعت للذين تابوا كما ذكر وقالت أيضا وقهم السيئات فعمت فما بقي أمر غلا دخل في صلاة الملائكة تامة الخلقة فإنها دعت للذين تابوا كما ذكر وقالت أيضا وقهم السيئات فعمت فما بقي أمر إلا دخل في صلاة الملائكة من طائع وعاص على أنواع الطاعات والمعاصي وصل وأما صلاة الإنسان والجن وهو قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة فإقامة البشر لها أن تنسب إليهم بمعنى الرحمة كما نسبت إلى الحق وبمعنى الدعاء والرحمة كما نسبت إلى الملائكة وبمعنى الدعاء والرحمة وإتمام التكبير والقيام والركوع والسجود والجلوس كما ورد في الخبر فمن أتم ركوعها وسجودها وما شرع فهيا وإن كان في جماعة مما تستحقه صلاة الجماعة والائتمام فقد أكمل خلقها وإن كان انتقص منها شيء كانت له بحسب ما انتقص منها والله لا يقبلها ناقصة فيضم بعض الصلوات إلى بعض فإن كانت له مائة صلاة وفيها انتقص كملت بعضها من بعض وأدخلت على الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلاة أو خمسين أو عشرة أو زائدا على ذلك أو ناقصا عنه هكذا هي صلاة الثقلين وصل قال الله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والطير صافات كل أي كل هؤلاء قد علم صلاته الضمير يعود على الله من قوله صلاته أي صلاته له فوصف الحق نفسه بالصلاة وما وصف نفسه بالتسبيح فعم بهذه الآية العالم الأعلى والأسفل وما بينهما وصل من غيرة الله أن تكون لمخلوق على مخلوق منة لتكون المنة لله ما خلق مخلوقا غلا وجعل لمخلوق عليه بوجه ما فإن ن أراد الفخر مخلوق على مخلوق بما كان منه إليه نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر إليه فالعارفون مثل الأنبياء والرسل والكمل من العلماء بالله لا يخطر لهم ذلك لمعرفتهم بحقائق الأمور وما ربط الله به العالم وما يستحقه جلاله مما ينبغي أن يفرد به ولا يشارك فيه فنصب الأسباب وأوقف الأمور بعضها على بعض وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار عندما أن الله قد هداهم به قال لو شئتم أن تقولوا لقلتم وجدناك طريدا فآويناك وضعيفا فنصرناك الحديث فذكر ما كان منهم فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم وصل عليهم إن صلاتك

سكن لهم فهذا فخر ويد ومنة يتعرض فيها علة ومرض لكن عصم الله نبيه من ذلك فجعل سبحانه في مقابلة هذه العلة دواء كما

هي أيضا دواء لما هو لها دواء فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه فإن افتخرنا بالصلاة عليه على طريق المنة وجدناه قد صلى علينا حين أمر بذلك وإن تصور في الجواز العقلي أن يتمن بصلاته علينا منعته من ذلك صلاتنا عليه أن يذكر هذا مع كونه السيد العظم ولكن لم يترك له سبحانه المنة على خلقه ليكون هو سبحانه المنعم الممتن على عباده بجميع ما هم فيه وما يكون منهم في حق الله من الوفاء بعهود فاجعل بالك لما نبهتك عليه فإنه من أسرار المعرفة بالله وبمراتب ما سوى الله إن كنت فطنا وصل اعلم أن الله قد ربط إقامة الصلاة بأزمان وهي الأوقات المفروض فيها إقامة الصلوات المفروضات فقال تعالى "فأقيموا الصلاة إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً" وربطها بأماكن وهي المساجد قال تعالى "في بيوت أذن الله أن ترفع" أي أمر الله أن ترفع حتى تتميز البيوت المنسوبة إلى الله من البيوت المنسوبة إلى المخلوقين ويذكر فيها اسمه بالأذان والإقامة والتلاوة والذكر والموعظة يسبح يقول يصلي له فيها أي من أجل أن أمرهم الله بالصلاة فيها بالغدوّ والآصال رجال و لم يذكر النساء لأن الرجل يتضمن المرأة فإن حوّاء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال دون النساء تشريفاً للرجال وتنبيهاً على لحوق النساء بالرجال فسمى النساء هنا رجالاً فإنّ درجة الكمال لم تحجر عليهنّ بل يكملن كما تكمل الرجال وثبت في الخبر كمال مريم وآسية امرأة فرعون فقال لا تلهيهم تجارة أي لا تشغلهم تجارة ولا بيع فالتجارة أن يبيع ويشتري معاً والبيع أن يبيع فقط فمدحهم بالتجارة وهو البيع والشراء في أي شيء كان مما أمر الله بالتجارة فيه قال تعالى "هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم" وقال في البيع "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة" وهو الثمن وجعلها الثمن للحديث الوارد في الخصمين من الظالم والمظلوم إذا أصلح الله بين خلقه يوم القيامة فيأمر الله المظلوم أن يرفع رأسه فينظر إلى عليين فيرى ما يبهره حسنه فيقول يا رب لأي نبي هذا لأي شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطاني الثمن قال ومن يملك ثمن هذا قال أنت بعفوك عن أخيك هذا فيقول يا رب قد عفوت عنه فيقول خذ بيد أخيك فادخل الجنة ولما أورد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث تلا "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فالمؤمن ممدوح في القرآن بالتجارة والبيع فيما ملك بيعه وما صرّح الله فيه بأنه يشتري خاصة فإنّ التجارة معاوضة وقبض ثمن والبيع بيع ما يملكه والشراء شراء ما ليس عندك وما وصف بالشراء في القرآن إلا من أشهدهم الله عن جناية فقال "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة" وقال "إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً" والسبب في أن المؤمن ما وصفه الله بالشراء فإنه خلقه الله وملكه جميع ما خلق الله في أرضه الذي هو مسكنه ومحله فقال "خلق لكم ما في الأرض جميعاً" فجميع ما في الأرض ملكه فما بقي له ما يشتريه وحجر عليه الضلالة وهي صفة عدمية فإنها عين الباطن وهو عدم و لم يأمرنا الله باعتباعه فإنه من العدم خرجنا إلى الوجود فلا نطلب ما خرجنا منه هذا تحقيقه لأنه خلقنا لنعبده فإذا اشترينا الضلالة بالهدى فقد اخترنا العدم على الوجود والباطل على الحق الذي خلقنا له فلم يصف المؤمن بالشراء ومما ملكه الله ما هو مباح له وما هو واجب عليه أن لا يخرجه ولا يبيعه وهي الواجبات والفرائض فيبيع صنف المباحات بالواجبات فلهذا شرع له البيع فيما أبيح له بيعه فالمؤمن الكيس الفطن ينظر الوقت الذي يكون فيه بحكم الإباحة يقول مالي ربح في هذا الملك والدنيا دار تجارة فلنبع هذا المباح بواجب فهو أولى بي ولا نخسر وقتي فيكون في فرجة مع إخوانه فيقول يا رب أحب أن أبيع هذا المباح بواجب فيقول الله له ذلك إليك فيبيع الفرجة بالاعتبار فيما يعطيه ذلك المكان من الحسن والجمال من الدلالة على الله عز وجل فيفكر في حسن خلق الله وكماله وجماله فتكون فرجته أتم وأفرح لقلبه وليس من المباح في شيء فإنه قد باعه بهذا الواجب

فاعتبر الحق جانب البيع و لم يعتبر في في حق المؤمن جانب الابتياع فكان المؤمن ملك حلة الإباحة وحلة الوجوب فخلع عن نفسه حلة الإباحة وليس حلة الوجوب وكلاهما له فسمى خلعه لها بيعاً وما سمى لباسه للوجوب شراء فإنها ملكه ورحله ومتاعه والإنسان لا يشتري ما يملكه ولما حجر الله الضلال على خلقه ورجح من رجح منهم الضلال على الهدى اشتروا الضلالة فإنهم لم يكونوا يملكوها بالهدى الذي ملكهم الله إياه فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين في ذلك الشراء لأن الله ما شرع لعباده الشراء ثم قال تعالى بعد قوله "ولا بيع عن ذكر الله" أي لا يلهيهم شيء عن ذكر الله حين سمعوا المؤذن في هذا البيت يدعو إلى الله وهو حاجب الباب فقال لهم حيّ على الصلاة أي أقبلوا على مناجاة ربكم فإنه قد تجلى لكم في صدر بيته وهي القبلة فإن الله في قبلة العبد فبادر أهل الله من بيعهم وتجارتهم المعلومة في الدنيا إلى هذا الذكر عندما سمعوه فأقاموا الصلاة أي أتموا نشأتها حين أنشؤها بحسن الائتمام بإمامهم وحسن الركوع والسجود وما تتضمنه من ذكر الله الذي هو أكبر ما فيها كما أخبر الله تعالى فقال إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بسبب تكبيرة الإحرام فإنه حرم عليه التصرّف في غير الصلاة مادام في الصلاة فذلك الإحرام نهاه عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمر بأمر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله في نفس الصلاة وإن كان لم ينو ذلك وانظر ما أشرف الصلاة كيف أعطت هذه المسئلة العجيبة وهي أن الإنسان إذا تصرّف في واجب فإن له ثواب من تصرّف في واجب ويتضمن شغله بذلك الواجب عدم التفرّغ لما نهى عنه أن يأتيه من الفحشاء والمنكر فيكون له ثواب من نوى أن لا يفعل فحشاء ولا منكراً فإن أكثر الناس تاركون ما لهم هذا النظر لعدم الحضور باستحضار الأولى ولو لم يكن الأمر كذلك لما أعطى فائدة في قوله "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" والصلاة فعل العبد فهو بصلاته ممن ينهى عن الفحشاء والمنكر فيكون له بالصلاة أجر من ينهى عن الفحشاء والمنكر وهو لم يتكلم فله أجر عبادتين أجر الصلاة وهي عبادة وأجر النهي عن الفحشاء وهو عبادة وقليل من اصحابنا من يجعل ذهنه في عباداته إلى أمثال هذه المراقبات في التعريف الإلهي على لسان الشارع في الكتاب والسنة ثم قال ولذكر الله أكبر يعني فيها فهو أكبر من جملة أفعالها فإنها تشتمل على أقوال وأفعال فقال ولذكر الله في الصلاة أكبر أحوال الصلاة وما كل أقوال الصلاة ذكر فإن فيها الدعاء وقد فرّق الحق بين الذكر والدعاء فقال من شغله ذكري عن مسئلتي وهي الدعاء فما هو الذكر هنا الذكر الخارج عن الصلاة حتى ترجحه على الصلاة إنما هو الذكر الذي في الصلاة فهذا من ربط الصلاة بالمكان والحال ومن أحوال إقامة الصلاة فيمن أمر غيره بالبر ونسي نفسه توبيخ الله من هذه صفته وجعله إياه بمنزلة من لا عقل له فقال "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" والبر من جملة أحوال الصلاة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقرت الصلاة بالبر والسكينة ثم أمر من هذه صفته أن يستعين بالصبر والصلاة يعني بالصبر على الصلاة فقدم حبس النفس عليها فإن الله يسقول وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها فأنث يريد الصلاة وأما قوله وأنتم تتلون الكتاب فإنكم تجدون فيه قوله "كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" في أثر قوله "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون" وهذه حالة من أمر بالبر غيره ونسي نفسه أفلا تعقلون يقول أما لكم عقول تنظرون بها قبيح ما أنتم عليه ثم ذكر الخشوع للصلاة فقال وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فإن الخشوع لله لا يكون إلا عن تجل إلهي والصلاة مناجاة فلابد من تجل إن رأيته خاشعاً وإن لم يخشع في صلاته فما صلى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل التجلي الإلهي سبباً لوجود الخشوع في القلب ولاسيما في الصلاة والتجلي لأكثر الناس إما بالحضور وهو لإفراد وإما بالاستحضار الخيالي وهو الغالب في عموم الخواص فإن الله في قبلة المصلي وأما خشوع الأكابر الذين التحقوا بالملأ الأعلى فخشوعهم عن التجلي الحقيقي فيهم في صلاتهم دائمون وإن أكلوا وشربوا ونكحوا واتجروا فأمرهم الله تعالى

إذا كانوا في مثل هذه الحال أن يستعينوا بالصلاة والصبر عليها
فإن المصلي يناجي ربه فإذا حصل العبد في محل المناجاة مع ربه دائماً استلزمه الحياء من الله فلا يتمكن له أن يأمر أحداً ببر وينسى نفسه منه بل يبتدىء بنفسه والبر هو الإحسان والخير ومن جملة ذلك أن يكون محتاجاً للقمة يأكلها ويرى غيره محتاجاً إليها والحاجة على السواء فيعطي غيره وينسى نفسه وقد قال له ربه ابدأ بنفسك وشرع له ذلك حتى في الدعاء إذا دعا الله لأحد أن يبدأ بنفسه أحق وغذاء الأرواح الطاعات فهي محتاجة إليها ومن جملة طاعاتها الأمر بالطاعات فيقوم هذا الغافل القليل الحياء من الله فيأمر غيره بالبرّ وهو على الفجور وينسى نفسه فلا يأمرها بذلك فهو بمنزلة من يغذي غيره ويترك نفسه وهو في غاية الحاجة إلى ذلك الغذاء ونفسه أوجب عليه من ذلك الغير والسبب في ذلك ما أبينه لك إن شاء الله وصل وذلك أن جميع الخيرات صدقة على النفوس أي خير كان حساً ومعنى فينبغي للمؤمن أن يتصرّف في ذلك بشرع ربه لا بهواه فإنه عبد مأمور تحت أمر سيده فإن تعدّى شرع ربه في ذلك لم يبق له تصرف إلا هوى نفسه فسقط عن تلك الدرجة العلية إلى ما هو دونها عند العامّة من المؤمنين وأمّا عند العارفين فهو عاص فإذا خرج الإنسان بصدقته فأول محتاج يلقاه نفسه قبل كل نفس محتاجة وهو إنما أخرج الصدقة للمحتاجين فإن تعدّى أول محتاج فذلك لهواه لا لله فإن الله قال له ابدأ بنفسك وهي أول من يلقاه من أهل الحاجة وقد شرع له في الإحسان أن يبدأ بالجار الأقرب فالأقرب فإن رجح الأبعد في الجيران على الأقرب مع التساوي في الحاجة فقد اتبع هواه وما وقف عند حدّ ربه وهذا سار في جميع أفعال البرّ وسبب ذلك الغفلة عن الله تعالى فأمر بالصفة التي تحضره مع الله وهي الصلاة وصل ومن تأثير اللاة بالحال قول الله للمؤمنين "اذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون" فأمرهم بالذكر والشكر أمرهم أن يستعينوا على ذلك بالصبر والصلاة وأخبرهم أن الله مع الصابرين عليها وعلى كل مشقة ترضي الله مما كلف عباده بها لأن الصبر من المقامات المشروطة بالمشقات والمكاره والشدائد المعنوية والحسية وجعل الصبر هنا لما ذكرناه وللتطابق في قوله واشكرو لي ولا تكفرون والشكر من المقامات المشروطة بالنعماء والمحبة ليس للبلاء في الشكر دخول ولا للصبر في النعم دخول كما يراه من لا معرفة له بحقائق الأمور فالصلاة هنا والصبر عليها وهو الدوام والثبات وحبس النفس عليها مؤثرة في الذكر والشكر فالصبر هنا هو قوله "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" فلذلك ذكر الصبر مع الصلاة فكما يؤثر الصبر على الذكر والشكر في الذكر والشكر كذلك يؤثر في الصلاة سواء وتؤثر الصلاة من حيث الصبر عليها في الذكر والشكر ومن حيث هي صلاة وذلك أن الصلاة مناجاة بين الله وبين عبده فإذا ناجى العبد ربه فأولى ما يناجيه به من الكلام كلامه الذي شرع له أن يناجيه به وهو قراءة القرآن في أحوال الصلاة من قيام وهو قراءة الفاتحة وما تيسر معها من كلامه ومن ركوع وهو قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم في ركوعه فهو ذاكر ربه في صلاته بكلامه المنزل وكذلك في سجوده يقول سبحان ربي الأعلى فإنه لما نزل قوله "سبح اسم ربك الأعلى" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اجعلوها في سجودكم" فأمرنا الله بذكره وشكره والفاتحة تجمع الذكر والشكر وهي التي يقرأها المصلي في قيامه فالشكر فيها قوله "الحمد لله رب العالمين" وهو عين الذكر بالشكر إلى كل ذكر فيها وفي سائر الصلاة فذكر الله في حال الصلاة وشكره أعظم وأفضل من ذكره سبحانه وشكره في غير الصلاة فإن الصلاة خير موضوع العبادات وقد أثرت هذه الصلاة في الذكر هذا الفضل وهو يعود على الذاكر وينبغي لكل من أراد أن يذكر الله تعالى ويشكره باللسان والعمل أن يكون مصلياً وذاكراً بكل ذكر نزل في القرآن لا في غيره وينوي بذلك الذكر والدعاء الذي في القرآن ليخرج عن العهدة فإنه من ذكره بكلامه فقد خرج عن العهدة فيما ينسب في ذلك الذكر إلى الله وليكون في حال ذكره تالياً لكلامه فيقول من التسبيحات ما في القرآن ومن التحميدات ما في القرآن

ومن الأدعية ما في القرآن فتقع المطابقة بين ذكر العبد بالقرآن لأنه كلام الله وبين ذكر الله إياه في قوله "أذكركم فيذكر الله الذاكر له أيضاً وذكره كلامه فتكون المناسبة بين الذكرين فإذا ذكره بذكر يخترعه لم تكن تلك
المناسبة بين كلام الله في ذكره للعبد وبين ذكر العبد فإن العبد هنا ما ذكره بما جاء في القرآن ولا نواه وإن صادفه باللفظ ولكن هو غير مقصود ثم إن هذا الذكر بالقرآن جاء في الصلاة فالتحق بالأذكار الواجبة والأذكار الواجبة عند الله أفضل فإن العبد مأمور بقراءة الفاتحة في الصلاة ولهذا أوجبها من أوجبها من العلماء وكذلك العبد مأمور بالتسبيح في الركوع والسجود بما نزل في القرآن وهو قوله صلى الله عليه وسلم "اجعلوها في ركوعكم واجعلوها في سجودكم" فأمر والمصلي مأمور أن يسبح الله ثلاثة فما زاد في ركوعه بما أمر به وفي سجوده ثلاثة فما زاد بما أمر به وذلك أدناه وأمره محمول على الوجوب ولهذا رأى بعض العلماء وهو إسحاق بن إبراهيم بن راهويه أن ذلك واجب وأنه من لم يسبح ثلاث مرّات في ركوعه وسجوده لم تجز صلاته وقال الله تعالى استعينوا على ذكري وشكري بالصبر والصلاة فلولا ما علم الحق أن الصلاة معينة للعبد لما أمره بها فأنزلها مترلة نفسه فإن الله قال للعبد قل "وإياك نستعين" يعني في عبادتك فجعل للعبد أن يستعين بربه وأمره أن يستعين في ذكره وشكره بالصلاة فأنزل الصلاة مترلة نفسه وفي معونة العبد على ذكره وشكره وناهيك يا ولي الله من حالة وصفة وحركات وفعل أنزله الحق في أعظم الأشياء وهو ذكر الله مترلة نفسه قال صلى الله عليه وسلم "وجعلت قرّة عيني في الصلاة وقرّة عيني ما تسرّ به عند الرؤية والمشاهدة فالمصلي متلبس في صلاته بالحق مشاهد له مناج فجمعت الصلاة بين هذه الثلاثة الأحوال وكذلك قوله في هذه الآية واشكر وإلى يقال شكرته وشكرت له فشكرته نص في أنه المشكور عينه وقوله وشكرت له فيه وجهان الوجه الواحد أن يكون مثل شكرته والوجه الثاني أن يكون الشكر من أجله فإذا كان الشكر من أجله يقول له سبحانه اشكر من أولاك نعمة من عبادي من أجلي ليكون شكره للسبب عين شكره لله فإن شكره عن أمره وجعل المنعم هنا نائباً عن ربه وطاعة النائب طاعة من استخلفه من يطع الرسزل فقد أطاع الله فلهذا قال سبحانه واشكروا لي و لم يقل واشكروني ليعم الحالتين وقال في الوجهين استعينوا في ذلك بالصبر والصلاة كما أمر بالمعونة فيما يوجب الشكر وهو الإحسان بالإنعام فقال "وتعاونوا على البر" وهو الإحسان بالإنعام والتقوىأي اجعلوا ذلك وقاية وهي مناسبة للصلاة فإن الصلاة وقاية عن الفحشاء والمنكر مادام العبد متلبساً بها فإن الله سمى نفسه بالواقي والصلاة واقية والعبد متلبس بصلاته وهي وقاية مما ذكرناه والله هو الواقي فانظر ما أشرف حال الصلاة لمن نظر واستبصر فالسعيد من ثابر عليها وحافظ وداوم ومن شرفها أن الله ما علق الوعيد إلا بمن سها عنها لا فيها فقال "فويل للمصلين الذين هم عن صلاقمم ساهون" و لم يقل في صلاقمم فإن العبد في صلاته بين مناج ومشاهد فقد يسهو عن مناجاته لاستغراقه في مشاهدته وقد يسهو عن مشاهدته لاستغراقه في مناجاته مما يناجيه به من كلامه ولما كان كلامه سبحانه مخبراً عما يجب له من صفات التتريه والثناء ومخبراً عما يتعلق بالأكوان من أحكام وقصص وحكايات ووعد ووعيد جال الخاطر في الأكوان لدلالة الكلام عليها وهو مأمور بالتدبر في التلاوة فربما استرسل في ذلك الكون لمشاهدته إياه فيه فيخرج من كون ذلك الكون مذكوراً في القرآن إلى عينه خاصة لا من كونه مذكور الله على الحدّ الذي أخبر به عنه فيسمى مثل هذا إذا أثر شكا له في صلاته فلا يدري ما مضى من صلاته فشرع أن يسجد سجدتي سهو يرغم بهما الشيطان ويجبر بهما النقصان ويشفع بهما الرجحان فتتضاعف صلاته فيتضاعف الأجر وذلك في النفل والفرض سواء وما توعد الله بمكروه من سها في صلاته فمن تنبه لما ذكرناه وأومأنا إليه يعلم فضل الله ورحمته بعباده والناس عن مثل هذا غافلون فلا يعرف شرف العبادات إلا عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ولا برهان جعلنا الله وإياكم ممن صبر وصلى وسبق وما صلى بمنه

ويمنه.

وصل في اختلاف الصلاة

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة يختلف حكمها باختلاف أحوال المصلي إذا كان المصلي مخلوقاً والمصلى له وتختلف باختلاف المصلي عليه إذا كان المصلي هو الله تعالى فأما الأول فمعلوم أن الإنسان محل التغيير واختلاف الأحوال عليه فتختلف صلاته لاختلاف أحواله وقد تقدّم من اختلاف أحوال المصلين ما قد ذكرناه في هذا الباب مثل صلاة المريض وصلاة الخائف وأن اختلافها باختلاف حال المصلي من أجله مثل صلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء وأما اختلافها باختلاف المصلي عليه فمثل صلاة الحق على عباده قال تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه فسأل المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله أن يصلوها عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أي مثل صلاتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فهذا يدلك على اختلاف الصلاة الإلهية لاختلاف أحوال المصلي عليهم ومقاماتهم عند الله ويظهر من هذا الحديث فضل إبراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلب أن يصلي عليه مثل الصلاة على إبراهيم فاعلم أن الله أمرنا بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأمرنا بالصلاة على آله في القرآن وجاء الإعلام في تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا الصلاة عليه بزيادة الصلاة على الآل فما طلب صلى الله عليه وسلم الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث أعيانهما فإن العناية الإلهية برسول الله صلى الله عليه وسلم أتم إذ قد خص بأمور لم يخص بها نبيّ قبله لا إبراهيم ولا غيره وذلك من صلاته تعالى عليه فكيف يطلب الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث عينه وإنما المراد من ذلك ما أبينه إن شاء الله وذلك أن الصلاة على الشخص قد تصلى عليه من حيث عينه ومن حيث ما يضاف إليه غيره فكان الصلاة من حيث ما يضاف إليه غيره هي الصلاة من حيث المجموع إذ للمجموع حكم ليس للواحد إذا انفردوا علم أن آل الرجل في لغة العرب هم خاصته الأقربون إليه وخاصة الأنبياء وآلهم هم الصالحون العلماء بالله المؤمنون وقد علمنا أن إبراهيم كان من آله أنبياء ورسل لله ومرتبة النبوّة والرسالة قد ارتفعت في الدنيا فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمّته نبيّ يشرّع الله له خلاف شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسول وما منع المرتبة ولا حجرها من حيث لا تشريع ولاسيما وقد قال صلى الله عليه وسلم فعين حفظ القرآن أن النبوّة أدرجت بين جنبيه أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال في المبشرات أنها جزء من أجزاء النبوّة فوصف بعض أمّته بأنهم قد حصل لهم المقام وإن لم يكونوا على شرع يخالف شرعه وقد علمنا بما قال لنا صلى الله عليه وسلم إن عيسى عليه السلام يترل فينا حكماً مقسطاً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الختريز ولا نشك قطعاً أنه رسول الله ونبيه وهو يترل فله عليه السلام مرتبة النبوّة بلا شك عند الله وما له مرتبة اللتشريع عند نزوله فعلمنا بقوله صلى الله عليه وسلم إنه لا نبي بعدي ولا رسول وإن النبوّة قد انقطعت والرسالة إنما يريد بهما التشريع فلما كانت النبوّة أشرف مرتبة وأكملها ينتهي إليها من اصطفاه الله من عباده علمنا أن التشريع في النبوّة أمر عارض بكون عيسى عليه السلام يترل فينا حكماً من غير تشريع وهو نبيّ بلا شك فخفيت مرتبة النبوّة في الخلق بانقطاع التشريع ومعلوم

أن آل إبراهيم من النبيين والرسل الذين كانوا بعده مثل إسحق ويعقوب ويوسف ومن انتسل منهم من الأنبياء والرسل بالشرائع الظاهرة الدالةعلى أن لهم مرتبة النبوّة عند الله أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحق أمّته وهم آله العلماء الصالحون منهم بمرتبة النبوّة عند الله وإن لم يشروعوا ولكن أبقى لهم من شرعه ضرباً من التشريع فقال قولوا اللهم صلى الله عليه وسلم على محمد وعلى آل محمد أي صل عليه من حيث ماله آل كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أي من حيث أنك أعطيت آل إبراهيم النبوّة تشريفاً لإبراهيم فظهرت نبوّتهم بالتشريع وقد قضيت أن لا شرع بعدي فصل عليّ وعلى آلي بأن تجعل لهم مرتبة النبوّة عندك وإن لم يشرعوا فكأن من كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

ألحق آله بالأنبياء في المرتبة وزاد على إبراهيم بأنّ شرعه لا ينسخ وبعض شرع إبراهيم ومن بعده نسخت الشرائع بعضها بعضاً وما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه على هذه الصورة إلا بوحي من الله وبما أراه الله وأن الدعوة في ذلك مجابة فقطعنا أن في هذه الأمّة من لحقت درجته درجة الأنبياء في النبوة عند الله لا في التشريع ولهذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكد بقوله فلا رسول بعدي ولا نبيّ فأكد بالرسالة من أجل التشريع فأكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن جعل آله شهداء على أمم الأنبياء كما جعل الأنبياء شهداء على أممهم ثم أنه خص هذه الأمّة أعني علماءها بأن شرع لهم الاجتهاد في الأحكام وقرّر حكم ما أدّاه إليه اجتهادهم وتعبدهم به وتعبد من قلدهم به كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلديهم و لم يكن مثل هذا لأمّة نبيّ ما لم يكن نبي يوحى مترل فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لتحكم بين الناس بما أراك الله فالمجتهد ما حكم إلا بما أراه الله في اجتهاده فهذه نفحات من نفحات التشريع ما هو عين التشريع فلآل محمد صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون من أمته العلماء مرتبة النبوّة عند الله تظهر في الآخرة وما لها حكم في الدنيا إلا هذا القدر من الاجتهاد المشروع لهم فلم يجتهدوا في الدين والأحكام إلا بأمر مشروع من عند الله فإن اتفق أن يكون أحد من أهل البيت بهذه المثابة من العلم والاجتهاد ولهم هذه المرتبة كالحسن والحسين وجعفر وغيرهم من أهل البيت فقد جمعوا بين الأهل والآل فلا تتخيل أن آل محمد صلى الله عليه وسلم هم أهل بيته خاصة ليس هذا عند العرب وقد قال تعالى أدخلوا آل فرعون يريد خاصته فإن الآل لا يضاف بهذه الصفة إلا للكبير القدر في الدنيا والآخرة فلهذا قيل لنا قولوا اللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم أي من حيث ما ذكرناه لا من حيث أعيانهما خاصة دون المجموع فهي صلاة من حيث المجموع وذكرناه لأنه تقدّم بالزمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثبت أنه سيد الناس يوم القيامة ومن كان بهذه المثابة عند الله كيف تحمل الصلاة عليه كالصلاة على إبراهيم من حيث أعيانهما فلم يبق إلا ما ذكرناه وهذه المسئلة هي عن واقعة إلهية من وقائعنا فلله الحمد والمنة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "علماء هذه الأمة كأنبياء سائر الأمم" وفي رواية "أنبياء بني إسرائيل" وإن كان إسناد هذا الحديث ليس بالقائم ولكن أوردناه تأنيساً للسامعين أن علماء هذه الأمة قد التحقت بالأنبياء في الرتبة وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم في قوم يوم القيامة تنصب لهم منابر يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء ويعني بالشهداء هنا الرسل فإنهم شهداء على أممهم فلا نريد بهؤلاء الجماعة من ذكرناهم وغبطهم إياهم فيما هم فيه من الراحة وعدم الحزن والخوف في ذلك الموطن والأنبياء والرسل وعلماء هذه الأمة الصالحون الوارثون درجات الأنبياء خائفون وجلون على أممهم وأولئك لم يكن لهم أمم ولا اتباع وهم آمنون على أنفسهم مثل الأنبياء على أنفسهم آمنون وما لهم أمم ولا أتباع يخافون عليهم فارتفع الخوف عنهم في ذلك اليوم في حق نفوسهم وفي حق غيرهم كما قال تعالى "لا يحزنهم الفزع الأكبر" يعني على نفوسهم وغيرهم من الأنبياء والعلماء

ولكن الأنبياء والعلماء يخافون على أممهم وأتباعهم ففي مثل هذا تغبطهم في ذلك الموقف فإذا دخلوا الجنة وأخذوا منازلهم تبينت المراتب وتعينت المنازل وظهو عليون لأولي الألباب فهذه مسئلة عظيمة الخطر جليلة القدر لم نر أحداً ممن تقدّمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما وقع لنا في هذه الواقعة إلا إن كان وما وصل إلينا فإن لله في عباده أخفياء لا يعرفهم سواه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فقد تبين لك أن صلاة الحق على عباده باختلاف أحوالهم فالله يجعلنا من أجلهم عنده قدراً ولا يحول بيننا وبين عبوديتنا وتلخيص ما ذكرناه هو أن يقول المصلي اللهم صل على محمد بأن تجعل آله من أمّته كما صليت على إبراهيم بأن جعلت آله أنبياء ورسلاً في المرتبة عندك وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم بما أعطيتهم من التشريع والوحي فأعطاهم الحديث فمنهم محدّثون وشرع لهم الاجتهاد وقرّره حكماً شرعياً فأشبهت الأنبياء في ذلك فحقق ما أومأنا إليه في هذه المسئلة تر الحق حقاً انتهى الجزء الخمسون.

الجزء الحادي والخمسون

باب الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السبعون في أسرار الزكاة

أخت الصلاة هي الزكاة فلا تقس — النص في هذي وتلك على السوا
قامت على التثمين نشأتها لذا — حملت على التقسيم عرش الاستوا
ولذاك تقسم في ثمانية من ال — أصناف شرعاً وهو حكم من استوى
جاء الكتاب بذكرهم وصفاتهم — وعلى مقامهم العليّ قد احتوى
فزكت بها أموالهم وذواتهم — وتقدّست بصلاة من أخذ اللوا
ذاك النبيّ محمد خير الورى — في جنسه وله العلوّ على السوى
نال المحبة من عنايته فما — يشكو القطيعة والصبابة والجوا

قال الله تعالى آمراً عباده "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً والقرض هنا صدقة التطوّع فورد الأمر بالقرض كما ورد بإعطاء الزكاة والفرق بينهما أن الزكاة موقتة بالزمان والنصاب وبالأصناف الذين تدفع إليه والقرض ليس كذلك وقد تدخل الزكاة هنا في القرض فكأنه يقول وآتوا الزكاة قرضاً لله بها فيضاعفها لكم مثل قوله تعالى في الخبر الصحيح "جعت فلم تطعمني فقال له العبد وكيف تطعم وأنت رب العالمين فقال الله له إن فلاناً استطعمك فلم تطعمه أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي" والخبر مشهور صحيح فالقرض الذي لا يدخل في الزكاة غير موقت لا في نفسه ولا في الزمان ولا بصنف من الأصناف والزكاة المشروعة والصدقة لفظتان بمعنى واحد قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال تعالى "إنما الصدقات للفقراء" فسماها صدقة فالواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب فيها يسمى صدقة التطوّع ولا يسمى زكاة شرعاً أي لم يطلق الشرع عليه هذه الفظة مع وجود المعنى فيها من النموّ والبركة والتطهير في الخبر الصحيح أن الأعرابيّ لما ذكر للنبيّ صلى الله عليه وسلم أن رسوله زعم أن علينا صدقة في أموالنا وقال له صلى الله عليه وسلم صدق فقال له الأعرابيّ هل عليّ غيرها قال لا إلا أن تطوّع فلهذا سميت صدقة التطوّع يقول إنّ الله لم يوجبها عليكم فمن تطوّع خيراً فهو خير له ولهذا قال تعالى بعد قوله "وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله" وإن كان الخير كل فعل مقرّب إلى الله من صدقة وغيرها ولكن مع هذا فقد انطلق على المال خصوصاً اسم الخير قال تعالى "وإذا مسه الخير منوعاً" أي جبل على ذلك يؤيده "ومن يوق شح نفسه" فالنفس مجبولة على حب المال وجمعه قال تعالى "وإنه لحب الخير لشديد" يعني المال هنا فجعل الكرم فيه تخلقاً لا خلقاً ولهذا سماها صدقة أي كلفة شديدة على النفس لخروجها عن طبعها في ذلك ولهذا آنسها الحق تعالى بقول نبيه للأنفس إن الصدقة تقع بيد

الرحمن فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله وذلك لأمرين أحدهما ليكون السائل يأخذها من يد الرحمن لا من يد المتصدّق فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول إنها تقع بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل فتكون المنة لله على السائل لا للمتصدق فإن الله طلب منه القرض والسائل ترجمان الحق في طلب هذا القرض فلا يخجل السائل إذا كان مؤمناً من المتصدق ولا يرى أن له فضلاً عليه فإن المتصدق إنما أعطى لله للقرض الذي سأل منه وليربيها له فهذا من الغيرة الإلهية والفضل الإلهي والأمر الآخر ليعلمه أنها مودعة في موضع تربو له فيه وتزيد هذا كله ليسخو بإخراجها ويتقي شح نفسه وفي جبلة الإنسان طلب الأرباح في التجارة ونموّ المال فلهذا جاء الخبر بأن الله يربي الصدقات ليكون العبد في إخراج المال من الحرص عليه الطبيعي لأجل المعاوضة والزيادة والبركة بكونه زكاة كما هو في جمع المال وشح النفس من الحرص عليه الطبيعي فرفق الله به حيث لم يخرجه عما جبله الله عليه فيرى التاجر يسافر إلى الأماكن القاصية الخطرة المتلفة للنفوس والأموال ويبذل الأموال ويعطيها رجاء في الأرباح والزيادة ونموّ المال وهو مسرور النفس بذلك فطلب الله منه المقارضة بالكل إذ قد علم منه أنه يقارض بالثلثين وبالنصف ويكون فرحه بمن يقارضه بالكل أتم وأعظم فالبخيل بالصدقة بعد هذا التعريف الإلهي وما تعطيه جبلة النفوس من تضاعف الأموال دليل على قلة الإيمان عند هذا البخيل بما ذكرناه إذ لو كان مؤمناً على يقين من ربه مصدقاً له فيما أخبر به عن نفسه في قرض عبده وتجارته لسارع بالطبع إلى ذلك كما يسارع به في الدنيا مع إشكاله عاجلاً وآجلاً فإن العبد إذا قارض إنساناً بالنصف أو بالثلث وسافر المقارض إلى بلد آخر وغاب سنين وهو في باب الاحتمال أن يسلم المال أو يهلك أو لا يربح شيأ وإذا هلك المال لم يستحق في ذمة المقارض شيأ ومع هذه المحتملات يعمى الإنسان ويعطي ماله وينتظر ما لا يقطع بحصوله وهو طيب النفس مع وجود الأجل والتأخير والاحتمال فإذا قيل له أقرض الله وتأخذ في الآخرة أضعافاً مضاعفة بلا ثلث ولا نصف بل الربح ورأس المال كله لك وما تصبر إلا قليلاً وأنت قاطع بحصول ذلك كله تأبى النفس وما تعطي إلا قليلا فهل ذلك إلا من عدم حكم الإيمان

على الإنسان في نفسه حيث لا يسخو بما تعطيه جبلته من السخاء به ويقارض زيداً وعمراً كما ذكرناه طيب النفس والموت أقرب إليه من شراك نعله كما كان يقول بلال:

كل امرىء مصبح في أهله — والموت أدنى من شراك نعله

ولهذا سماها الله صدقة أي هي أمر شديد على النفس تقول العرب رمح صدق أي صلب شديد قويّ أي تجد النفس لإخراج هذا المال لله شدة وحرجاً كما قال ثعلبة بن حاطب وصل مؤيد قال تعالى في حق ثعلبة بن حاطب "ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ ولنكونن من الصالحين" وما أخبر الله تعالى عنه أنه قال إن شاء الله فلو قال إن شاء الله لفعل ثم قال تعالى في حقه "فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون" وذلك أن الله لما فرض الزكاة جاءه مصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه زكاة غنمه فقال هذه أخية الجزية وامتنع فأخبر الله فيه بما قال فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلما بلغه ما أنزل الله فيه جاء بزكاته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه و لم يقبل صدقته إلى أن مات صلى الله عليه وسلم وسبب امتناعه صلى الله عليه وسلم من قبول صدقته أن الله أخبر عنه أنه يلقاه منافقاً والصدقة إذا أخذها النبي منه صلى الله عليه وسلم طهره بها وزكاه وصلى عليه كما أمره الله وأخبر الله أن

صلاته سكن للمتصدق يسكن إليها وهذه صفات كلها تناقض النفاق وما يجده المنافق عند الله فلم يتمكن لهذه الشروط أن يأخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة لما جاءه بها بعد قوله ما قال وامتنع أيضاً بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذها منه أبو بكر وعمر لما جاء بها إليهما في زمان خلافتهما فلما ولي عثمان بن عفان الخلافة جاءه بها فأخذها منه مأوّلاً أنها حق الأصناف الذين أوجب الله لهم هذا القدر في عين هذا المال وهذا الفعل من عثمان من جملة ما انتقد عليه وينبغي أن لا ينتقد على المجتهد حكم ما أدّاه إليه اجتهاده فإن الشرع قد قرّر حكم المجتهد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما نهى أحداً من أمرائه أن يأخذ من هذا الشخص صدقته وقد ورد الأمر الإلهيّ بإيتاء الزكاة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا قد يفارق حكم غيره فإنه قد يختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمور لا تكون لغيره لخصوص وصف إما تقتضيه النبوّة مطلقاً أو نبوّته صلى الله عليه وسلم فإن الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم في أخذ الصدقة تطهرهم وتزكيهم بها وما قال يتطهرون ولا يتزكون بها فقد يكون هذا من خصوص وصفه وهو رؤف رحيم بأمته فلولا ما علم أن أخذه يطهره ويزكيه بها وقد أخبره الله أن ثعلبة بن حاطب يلقاه منافقاً فامتنع أدباً مع الله فمن شاء وقف لوقوفه صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر ومن شاء لم يقف كعثمان لأمر الله بها العام وما يلزم غير النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يطهر ويزكي مؤدّي الزكاة بها والخليفة فيها إنما هو وكيل من عينت له هذه الزكاة أعني الأصناف الذين يستحقونها إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نهى أحداً ولا أمره فيما توقف فيه واجتنبه فساغ الاجتهاد وراعى كل مجتهد الدليل الذي أدّاه إليه اجتهاده فمن خطأ مجتهداً فما وفاه حقه وإن المخطىء والمصيب منهم واحد لا بعينه وصل اعلم أن الله تعالى لما قال "الذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم كان ذلك قبل فرض الزكاة التي فرض الله على عباده في أموالهم فلما فرض الله الزكاة على عباده المؤمنين طهر الله بها أموالهم وزال بأدائها اسم البخثل من مؤدّيها فإنه قال فيمن أنزلت الزكاة من أجله فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فوصفهم بعدم قبول حكم الله فأطلق عليهم صفة البخل لمنعهم ما أوجب الله عليهم في أموالهم ثم فسر العذاب الأليم بما هو الحال عليه فقال تعالى "يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم" وذلك أن السائل إذا رآه صاحب المال مقبلاً إليه انقبضت أسارير جبينه لعلمه أنه يسأله من ماله فتكوى جبهته فإن السائل يعرف ذلك في وجهه ثم إن المسؤول يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ما عنده خبر منه فيكوى بها جنبه فإذا علم من السائل أنه يقصده ولابد أعطاه ظهره وانصرف فأخبر الله أنه تكوى بها ظهورهم فهذا حكم مانعي الزكاة أعني زكاة الذهب والفضة وأما زكاة الغنم والبقر والإبل فأمر آخر كما ورد في النص أنه يبطح لها بقاع قرقر فتنطحه بقرونها وتطره بأظلافها وتعضه بأفواهها

فلهذا خص الجباه والجنوب والظهور بالذكر في الكيّ والله أعلم بما أراد فأنزل الله الزكاة كما قلنا طهارة للأموال وإنما اشتدت على الغافلين الجهلاء لكونهم اعتقدوا أن الذي عين لهؤلاء الأصناف ملك لهم وإن ذلك من أموالهم وما علموا أن ذلك المعين ما هو لهم وأنه في أموالهم لا من أموالهم فلا يتعين لهم إلا بالإخراج فإذا ميزوه حين ذلك يعرفون أنه لم يكن من مالهم وإنما كان في مالهم مدرجاً هذا هو التحقيق وكانوا يعتقدون أن كل ما بأيديهم هو مالهم وملك لهم فلما أخبر الله أن لقوم في أموالهم حقاً يؤدّونه وماله سبب ظاهر تركن النفس إليه لا من دين ولا من بيع إلا ما ذكر الله تعالى من ادّخار ذلك له ثواباً إلى الآخرة شق ذلك على النفوس للمشاركة في الأموال ولما علم الله هذا منهم في جبلة نفوسهم أخرج ذلك القدر من الأموال من أيديهم بل أخرج جميع الأموال من أيديهم فقال تعالى "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه" أي هذا المال مالكم منه إلا ما تنفقون منه وهو التصرّف فيه كصورة الوكلاء

والمال لله وما تبخلون به فإنكم تبخلون بما لا تملكون لكونكم فيه خلفاء وعلى ما بأيديكم منه أمناء فنبههم بأنهم مستخلفون فيه وذلك لتسهل عليهم الصدقات رحمة بهم يقول الله كما أمرناكم أن تنفقوا مما أنتم مستخلفون فيه من الأموال أمرنا رسولنا ونوّابنا فيكم أن يأخذوا من هذه الأموال التي لنا بأيديكم مقداراً معلوماً سميناه زكاة يعود خيرها عليكم فما تصرّف نوّابنا فيما هو لكم ملك وإنما تصرّفوا فيما أنتم فيه مستخلفون كما أيضاً أبحنا لكم التصرّف فيه فلماذا يصعب عليكم فالمؤمن لا مال له وله المال كله عاجلاً وآجلاً فقد أعلمتك أن الزكاة من حيث ما هي صدقة شديدة على النفس فإذا أخرج الإنسان الصدقة تضاعف له الأجر فإن له أجر المشقة وأجر الإخراج وإن أخرجها عن غير مشقة فهذا فوق تضاعف الأجر بما لا يقاس ولا يحد كما ورد في الماهر بالقرآن أنه ملحق بالملائكة السفرة الكرام والذي يتتعتع عليه القرآن يضاعف له الأجر للمشقة التي ينالها في تحصيله ودرسه فله أجر المشقة وأجر التلاوة والزكاة بمعنى لاتطهير والتقديس فلما أزال الله عن معطيها من إطلاق اسم البخل والشح عليه فلا حكم للبخل والشح فيه وبما في الزكاة من النموّ والبركة سميت زكاة لأن الله يربيها كما قال "ويربيس الصدقات" فتزكوا فاختصت بهذا الاسم لوجود معناه فيها ففي الزكاة البركة في المال وطهارة النفس والصلابة في دين الله ومن أوتي هذه الصفات فقد أوتي خيراً كثيراً وأما قوله فيها إن تقرضه قرضاً حسناً فالحسن في العمل أن تشهد الله فيه فإنه من الإحسان وبهذا فسر الإحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله عنه جبريل عليه السلام وذلك أن تعلم أن المال مال الله وأن ملكك إياه بتمليك الله وبعد التمليك نزل إليك في ألطافه إلى باب المقارضة يقول لك لا يغيب عنك طلبي منك القرض في هذا المال من أن تعرف أن هذا المال هو عين مالي ما هو لك فكما لا يعز عليك ولا يصعب إذا رأيت أحداً يتصرّف في ماله كيف شاء كذلك لا يعز عليك ولا يصعب ما أطلبه منك مما جعلتك مستخلفاً فيه لعلمك بأني ما طلبت منك إلا ما أمنتك عليه لأعطيه من أشاء من عبادي فإن هذا القدر من الزكاة ما أعطيته قط لك بل أمنتك عليه والأمين لا يصعب عليه آداء الأمانة إلى أهلها فإذا جاءك المصدق الذي هو رسول رب الأمانة ووكيلها أدّ إليه أمانته عن طيب نفس فهذا هو القرض الحسن فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إذا رأيته علمت أن المال ماله والعبد عبده والتصرّف له ولا مكره له وتعلم أن هذه الأشياء إذا عملتها لا يعود على الله منها نفع وإذا أنت لم تعملها لا يتضرّر بذلك وإنّ الكل يعود عليك فالزم الأحسن إليك تكن محسناً إلى نفسك وإذا كنت محسناً كنت متقياً أذى شح نفسك فجمع لك هذا الفعل الإحسان والتقوى فيكون الله معك فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومن المتقين من يوق شح نفسه بأداء زكاته ومن المحسنين يعبدني كأنه يراني ويشهدني ومن شهوده إياي علمه أني ما كلفته التصرّف إلا فيما هو لي وتعود منفعته عليه منة وفضلاً مع الثناء الحسن له على ذلك والله ذو الفضل العظيم وصل إيضاح واعلم أن الله فرض الزكاة في الأموال أي اقتطعها منها وقال لرب المال هذا القدر الذي عينته بالفرض من

المال ما هو لك بل أنت أمين عليه فالزكاة لا يملكها رب المال ثم إن الله تعالى أنزل نفوسنا منا مترلة الأموال منا في الحكم فجعل فيها الزكاة كما جعلها في الأموال فكما أمرنا بزكاة الأموال قال لنا في النفوس قد أفلح من زكاها كما أفلح من زكى ماله كما ألحقها بالأموال في البيع والشراء فقال "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم" فجعل الشراء والبيع في النفوس والأموال وفي هذه الآية مسئلة فقهية كذلك جعل الزكاة في الأموال والنفوس فزكاة الأموال معلومة كما سنذكرها في هذا الباب على التفصيل إن شاء الله وزكاة النفوس بوجه أبينه لك إن شاشء الله أيضاً على الأصل الذي ذكرناه إن الزكاة حق الله في المال والنفس ما هو حق لرب المال والنفس فنظرنا في النفس ما هو لها فلا تكليف عليها فيه بزكاة وما هو حق الله فتلك الزكاة فيعطيه لله من هذه

النفس لتكون من المفلحين بقوله قد أفلح من زكاها ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فإذا نظرنا إلى عين النفس من حيث عينها قلنا ممكنة لذاتها لا زكاة عليها في ذلك فإن الله لا حق له في الأمكان يتعالى الله علوّاً كبيراً فإنه تعالى واجب الوجود لذاته غير ممكن بوجه من الوجوه ووجدنا هذه النفس قد اتصفت بالوجود قلنا هذا الوجود الذي اتصفت به النفس هل اتصفت به لذاتها أم لا فرأينا أن وجودها ما هو عين ذاتها ولا اتصفت به لذاتها فنظرنا لمن هو فوجدناه لله كما وجدنا القدر المعين في مال زيد المسمى زكاة ليس هو بمال لزيد وإنما هو أمانة عنده كذلك الوجود الذي اتصفت به النفس ما هو لها إنما هوة لله الذي أوجدها فالوجود لله لا لها ووجود الله لا وجودها فقلنا لهذه النفس هذا الوجود الذي أنت متصفة به ما هو لك وإنما هو لله خلعه عليك فأخرجه لله واضفه إلى صاحبه وابق أنت على إمكانك لا تبرح فيه فإنه لا ينقصك شيء مما هو لك وأنت إذا فعلت هذا كان لك من الثواب عند الله ثواب العلماء بالله ونلت منزلة لا يقدر قدرها إلا الله وهو الفلاح الذي هو البقاء فيبقى الله هذا الوجود لك لا يأخذه منك أبداً فهذا معنى قوله قد أفلح من زكاها أي قد أبقاها موجودة من زكاها وجود فوز من الشرّ أي من علم أن وجوده لله أبقى الله عليه هذه الخلعة يتزين بها منعماً دائماً وهو بقاء خاص ببقاء الله فإن الخائب الذي دساها هو أيضاً باق ولكن بإبقاء الله لا ببقاء الله فإن المشرك الذي هو من أهل النار ما يرى تخليص وجوده لله تعالى من أجل الشريك وكذلك المعطل وإنما قلنا ذلك لئلا يتخيل من لا علم له أن المشرك والمعطل قد أبقى الله الوجود عليهما فبينا أن إبقاء الوجود على المفلحين ليس على وجه إبقائه على أهل النار ولهذا وصف الله أهل النار بأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون بخلاف صفة أهل السعادة فإنهم في الحياة الدائمة وكم بين من هو باق ببقاء الله وموجود بوجود الله وبين من هو باق بإبقاء الله وموجود بالإيجاد لا بالوجود وبهذا فاز العارفون لأنهم عرفوا من هو المستحق لنعت الوجود وهو الذي استفادوه من الحق فهذا معنى قوله قد أفلح من زكاها فوجبت الزكاة في النفوس كما وجبت في الأموال ووقع فيها البيع والشراء كما وقع في الأموال وسيرد طرف من هذا الفصل عند ذكرنا في هذا الباب في الرقيق وما حكمه ولماذا لم تلحق النفس بالرقيق فتسقط فيه الزكاة وإن كان الرقيق يلحق بالأموال من جهة ما كما سنذكره إن شاء الله في داخل هذا الباب كما سأذكر أيضاً فيما تجب فيه الزكاة من الإنسان بعدد ما تجب فيه من أصناف المال في فصله إن شاء الله من هذا الباب

وصل وأما قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أي أن الله لا يقبل زكاة نفس من أضاف نفسه إليه فإنه قال "فلا تزكوا أنفسكم" فأضافها إليكم أي إذا رأيتم أن أنفسكم لكم لا لي والزكاة إنما هي حقي وأنتم أمناء عليها فإذا ادعيتم فيها فتزعمون أنكم أعطيتموني ما هو لكم وإني سألتكم ما ليس لي والأمر على خلاف ذلك فمن كان بهذه المثابة من العطاء فلا يزكي نفسه فإني ما طلبت إلا ما هو لي لا لكم حتى تلقوني فينكشف الغطاء في الدار الآخرة فتعلمون في ذلك الوقت هل كانت نفوسكم التي أوجبت الزكاة فيها لي أو لكم حيث لا ينفعكم علمكم بذلك ولهذا قال فلا تزكوا أنفسكم فأضاف النفوس إليكم وهي له ألا ترى عيسى عليه السلام كيف أضاف نفسه إليه من وجه ما هي له

وأضافها إلى الله من وجه ما هي لله فقال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك من حيث وجودها وهو من حيث ما هي لك والنفس وإن كانت واحدة اختلفت الإضافات لاختلاف النسب فلا يعارض قوله فلا تزكوا أنفسكم ما ذكرناه من قوله "قد أفلح من زكاها" فإن أنفسكم هنا يعني أمثالكم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لا أزكي على الله أحداً وسيرد الكلام إن شاء الله في هذا الباب في وجوب الزكاة وعلى من تجب وفيما تجب فيه وفي كم تجب ومن كم تجب ومتى تجب ومتى لا تجب ولمن تجب وكم يجب له من تجب له باعتبارات ذلك كله في الباطن بعد أن نقرّرها في الظاهر بلسان الحكم المشروع كما فعلنا في الصلاة لنجمع بين

الظاهر والباطن لكمال النشأة فإنه ما يظهر في العالم صورة من أحد من خلق الله بأيّ سبب ظهرت من أشكال وغيرها إلا ولتلك العين الحادثة في الحس روح تصحب تلك الصورة والشكل الذي ظهر فإن الله هو الموجد على الحقيقة لتلك الصورة بنيابة كون من أكوانه من ملك أو جن أو أنس أو حيوان أو نبات أو جماد وهذه هي الأسباب كلها لوجود تلك الصورة في الحس فلما علمنا أن الله قد ربط بكل صورة حسية روحاً معنوياً بتوجه إلهيّ عن حكم اسم ربانيّ لهذا اعتبرنا خطاب الشارع في الباطن على حكم ما هو في الظاهر قدماً بقدم لأن الظاهر منه هو صورته الحسية والروح الإلهيّ المعنوي في تلك الصورة هو الذي نسميه الاعتبار في الباطن من عبرت الوادي إذا جزته وهو قوله تعالى "إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار" وقال "فاعتبروا يا أولي الأبصار" أي جوزوا مما رأيتموه من الصور بأبصاركم إلى ما تعطيه تلك الصور من المعاني والأرواح في بواطنكم فتدركونها ببصائركم وأمر وحث على الاعتبار وهذا باب أغفله العلماء ولاسيما أهل الجمود على الظاهر فليس عندهم من الاعتبار إلا التعجب فلا فرق بين عقولهم وعقول الصبيان الصغار فهؤلاء ما عبروا قط من تلك الصورة الظاهرة كما أمرهم الله والله يرزقنا الإصابة في النطق والأخبار عما أشهدناه وعلمناه من الحق علم كشف وشهود وذوق فإنّ العبارة عن ذلك فتح من الله تأتي بحكم المطابقة وكم من شخص لا يقدر أن يعبر عما في نفسه وكم من شخص تفسد عبارته صحة ما في نفسه والله الموفق لا رب غيره واعلم أنه لما كان معنى الزكاة التطهير كما قال تعالى تطهرهم وتزكيهم بها كان لها من الأسماء الإلهية الاسم القدوس وهو الطاهر وما في معناه من الأسماء الإلهية ولما لم يكن المال الذي يخرج في الصدقة من جملة مال المخاطب بالزكاة وكان بيده أمانة لأصحابه لم يستحقه غير صاحبه وإن كان عند هذا الآخر ولكنه هو عنده بطريق الأمانة إلى أن يؤدّيه إلى أهله كذلك في زكاة النفوس فإن النفوس لها صفات تستحقها وهي صفة يستحقها الممكن وقد يوصف الإنسان بصفات لا يستحقها الممكن من حيث ما هو ممكن ولكن يستحق تلك الصفات الله إذا وصف بها ليميزها عن صفاته التي يستحقها كما أن الحق سبحانه وصف نفسه بما هو حق للممكن تنزلاً منه سبحانه ورحمة بعباده فزكاة نفسك إخراج حق الله منها فهو تطهيرها بذلك الإخراج من الصفات التي ليست بحق لها فتأخذ مالك منه وتعطي ماله منك وإن كان كما قال تعالى "بل لله الأمر جميعاً" وهو الصحيح فإن نسبتنا منه نسبة الصفات عند الأشاعرة منه فكل ما سوى الله فهو لله بالله إذ لا يستحق أن يكون له إلا ما هو منه قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وهي إشارة بديعة فإنها كلمة تقتضي غاية الوصلة حتى لا يقال إلا أنه هو وتقتضي غاية البعد حتى لا يقال أنه هو إذ ما هو منك فلا يضاف إليك فإن الشيء لا يضاف إلى نفسه لعدم المغايرة فهذا غاية الوصلة وما يضاف إليك ما هو منك فهذا غاية البعد لأنه قد أوقع المغايرة بينك وبينه فهذه الإضافة في هذه المسئلة كيد الإنسان من الإنسان وكحياة الإنسان من الإنسان فإنه من ذات الإنسان كونه حيواناً وتضاف الحيوانية إليه مع كونها من عين ذاته ومما لا تصح ذاته إلا بها فتمثل هذه الإصابة تعقل ما أومأنا إليه من نسبة الممكنات إلى الواجب الوجود لنفسه فإن الإمكان للممكن واجب لنفسه فلا يزال انسحاب هذه الحقيقة عليه لأنها عينه وهي تضاف إليه وقد يضاف إليه ما هو عينه فهذا معنى قوله "لله الأمر جميعاً" أي ما توصف أنت به ويوصف الحق به هو لله كله فمالك لا تفهم مالك بما في قوله أعطني مالك فهو نفي من

باب الإشارة واسم من باب الدلالة أي الذي لك وأصليته من اسم المالية ولهذا قال "خذ من أموالهم" أي المال الذي في أموالهم مما ليس لهم بل هو صدقة مني على من ذكرتهم في كتابي يقول الله ألا تراه قد قال إن الله فرض علينا زكاة أو صدقة في أموالنا فجعل أموالهم ظرفاً للصدقة والظرف ما هو عين المظروف فمال الصدقة ما هو عين مالك بل مالك ظرف له فما طلب الحق منك ما هو

لك فالزكاة في النفوس آكد منها في الأموال ولهذا قدّمها الله في الشراء فقال "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم" ثم قال وأموالهم فالعبد ينفق في سبيل الله نفسه وماله وسيرد من ذلك في هذا الباب ما تقف عليه إن شاء الله وصل في وجوب الزكاة الزكاة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع فلا خلاف في ذلك أجمع كل ما سوى الله على أن وجود ما سوى الله إنما هو بالله فردوا وجودهم إليه سبحانه لهذا الإجماع ولا خلاف في ذلك بين كل ما سوى الله فهذا اعتبار الإجماع في زكاة الوجود فرددنا ما هو لله إلى الله فلا موجود ولا موجد إلا الله وأمّا الكتاب فكل شيء هالك إلا وجهه وليس الوجه إلا الوجود وهو ظهور الذوات والأعيان وأمّا السنة فلا حول ولا قوّة إلا بالله فهذا اعتبار وجوب الزكاة العقلي والشرعي وصل في ذكر من تجب عليه الزكاة اتفق العلماء على أنها واجبة على كل مسلم حر بالغ عاقل مالك للنصاب ملكاً تاماً هذا محل الاتفاق واختلفوا في وجوبها على اليتيم والمجنون والعبد وأهل الذمّة والناقص الملك مثل الذي عليه الدين أو له الدين ومثل المال المحبس الأصل وصل اعتبار ما اتفقوا عليه المسلم هو المنقاد إلى ما يراد منه وقد ذكرنا أن كل ما سوى الله قد انقاد في ردّ وجوده إلى الله وأنه ما استفاد الوجود إلا من الله ولا بقاء له في الوجود إلا بالله وأمّا الحرية فمثل ذلك فإنه من كان بهذه المثابة فهو حر أي لا ملك عليه في وجوده لأحد من خلق الله جل جلاله وأما البلوغ فاعتباره إدراكه للتمييز بين ما يستحقه ربه عز وجل وما لا يستحقه وإذا عرف مثل هذا فقد بلغ الحدّ الذي يجب عليه فيه ردّ الأمور كلها إلى الله تعالى علوّاً كبيراً وهي الزكاة الواجبة عليه وأما العقل فهو أن يعقل عن الله ما يريد الله منه في خطابه إياه في نفسه بما يلهمه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ومن قيد وجوده بوجود خالقه فقد عقل نفسه إذ العقل مأخوذ من عقال الدابة وعلى الحقيقة عقال الدابة مأخوذ من العقل فإن العقل متقدم على عقال الدابة فإنه لولا ما عقل إن هذا الحبل إذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالاً وأما قولهم المالك للنصاب ملكاً تاماً فملكه للنصاب هو عين وجوده لما ذكرناه من الإسلام والحرية والبلوغ والعقل وأما قولهم ملكاً تاماً فملكه للنصاب هو عين وجوده لما ذكرناه من الإسلام والحرية والبلوغ والعقل وأما قولهم ملكاً تاماً إذ التام هو الذي لا نقص فيه والنقص صفة عدمية قال فهو عدم فالتام هو الوجود فهو قول الإمام أبي حامد وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم إذ كان إبداعه عين وجوده ليس غير ذلك أي ليس في الإمكان أبدع من وجوده فإنه ممكن لنفسه وما استفاد إلا الوجود فلا أبدع في الإمكان من الوجود وقد حصل فإنه ما يحصل للمكن من الحق سوى الوجود فهذا معنى اعتبار قولهم ملكاً تاماً وأما اعتبار ما اختلفوا فيه فمن ذلك الصغار فقال قوم تجب الزكاة في أموالهم وقال قوم ليس في مال اليتيم صدقة وفرق قوم بين ما تخرجه الأرض وبين ما لا تخرجه فقالوا عليه الزكاة فيما تخرجه الأرض وليس عليه زكاة فيما عدا ذلك من الماشية والناض والعروض وفرق آخرون بين الناض وغيره فقالوا عليه الزكاة إلا في الناض خاصة اعتبار ما ذكرنا اليتيم من لا أب له بالحياة وهو غير بالغ أي لم يبلغ الحلم بالسنّ أو الإنبات أو رؤية الماء قال تعالى "لم يلد" وقال "سبحانه أن يكون له ولد" فليس الحق بأب لأحد من خلق الله ولا أحد من خلقه يكون له ولداً سبحانه وتعالى فمن اعتبر التكليف في عين المال قال بوجوبها ومن اعتبر التكليف في المالك قال لا يجب عليه لأنه غير مكلف كذلك من اعتبر وجوده لله قال لا تجب الزكاة فإنه ما ثم من يقبلها لو وجبت فإنه ما ثم إلا الله ومن اعتبر إضافة الوجود إلى عين الممكن وقد كان لا يوصف بالوجود قال بوجوب الزكاة ولابد إذ لا بد للإضافة من تأثير معقول

ولهذا تقسم الموجودات إلى قسمين إلى قديم وإلى حادث فوجود الممكن وجود حادث أي حدث له هذا الوصف و لم يتعرض للوجود في هذا التقسيم هل هو حادث أو قديم لأنه لا يدل حدوث الشيء عندنا على أنه لم يكن له وجود قبل حدوثه عندنا وعلى

هذا يخرج قوله تعالى "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" وهو كلام الله القديم ولكن حدث عندهم كما تقول حدث عندنا اليوم ضيف فإنه لا يدل ذلك على أنه لم يكن له وجود قبل ذلك فمن راعى أن الوجود الحادث غير حق للموصوف به وأنه حق لغير الممكن قال بوجوب الزكاة على اليتيم لأنه حق للواجب الوجود فيما اتصف به هذا الممكن كما يراعى من يرى وجوبها على اليتيم في ماله أنها حق للفقراء في عين هذا المال فيخرجها منه من يملك التصرف في ذلك المال وهو الولي ومن راعى أن الزكاة عبادة لم يوجب الزكاة لأن اليتيم ما بلغ حد التكليف وقد أشرنا إلى ذلك ولنا:

الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف

هذا في البالغ والصغير غير مكلف وهو اليتيم وهكذا سائر العبادات على هذا النحو فإنّ الشيء لا يعبد نفسه وإذا تحقق عارف مثل هذا وتبين أنه ما ثم إلا الله خاف من الزلل الذي يقع فيه من لا معرفة له ممن ذمه الشارع من القائلين بإسقاط الأعمال نعوذ بالله من الخذلان فنظر العارف عند ذلك إلى الأسماء الإلهية وتوقف أحكام بعضها على بعض وتفاضلها في التعلقات كما قد ذكرناه في غير ما موضع فيوجب العبادات من ذلك الباب وبذلك النظر ليظهر ذلك الفعل في ذلك المحل من ذلك الاسم الإلهيّ القائم به إذا خاطبه اسم إلهيّ ممن له حكم الحال والوقت فتعين على هذا الاسم الإلهيّ الآخر إن تحرّك هذا المحل لما طلب منه فسمى ذلك عبادة وهو أقصى ما يمكن الوصول إليه في باب إثبات التكاليف في عين التوحيد حتى يكون الآمر المأمور والمتكلم السامع وأما اعتبار من فرّق بين ما تخرجه الأرض وبين ما لا تخرجه الأرض فاعتباره ما بطهره من الموصوف بالوجود الذي هو الممكن من الأشياء على يديه مما هو سبب ظهورها فإن أضاف وجود ذلك إلى ما أضاف إليه وجوده قال لا زكاة وإن لم يضف واعتبر ظهورها منه قال بالواجب وأما من فرق بين الناض وما سواه فالناض لما كان له صفة الكمال أو التشبه بالكمال ونزل ما سوى الناض عن درجة الكمال أو التشبه بالكمال واتصف بالنقص أوجب الزكاة في الناقص ليطهره من النقص و لم يوجبه في الكمال فإن الكمال لا يصح أن يكون في غيره إذ لا كمال إلا في الوحدة ومن ذلك أهل الذمة والأكثر على أنه لا زكاة على ذميّ إلا طائفة روت تضعيف الزكاة على نصارى بني تغلب وهو أن يؤخذ منهم ما يؤخذ من المسلمين في كل شيء وقال به جماعة ورووه من فعل عمر بهم وكأنهم رأوا أن مثل هذا توقيف وإن كانت الأصول تعارضه والذي أذهب إليه أنه لا يجوز أخذ الزكاة من كافر وإن كانت واجبة عليه مع جميع الواجبات إلا أنه لا يقبل منه شيء مما كلف به إلا بعد حصول الإيمان به فإن كان من أهل الكتاب ففيه عندنا نظر فإن أخذ الجزية منهم قد يكون تقريراً من الشارع لهم دينهم الذي هم عليه فهو مشروع لهم فيجب عليهم إقامة دينهم فإن كان فيه أداء زكاة وجاؤوا بها قبلت منهم والله أعلم وليس لنا طلب الزكاة من المشرك وإن جاء بها قبلناها يقول الله تعالى "وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة" ويقول الله تعالى "قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف" والكافر هنا المشرك ليس الموحد وصل الاعتبار قال الله تعالى "لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة" الأل الله اسم من أسمائه والذمة العهد والعقد فإن كان عهداً مشروعاً فالوفاء به زكاته فالزكاة على أهل الذمة فإن عليهم الوفاء بما عوهدوا عليه من أسقط عنهم الزكاة رأى أن الذميّ إذا عقد ساوى بين اثنين في العقد ومن ساوى بين اثنين جعلهما مثلين وقد قال تعالى "ليس كمثله شيء" فلا يقبل توحيد مشرك فإن المشرك مقرّ بتوحيد الله في عظمته لقوله "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" فهذا توحيد بلا شك ومع هذا منع الشرع من قبوله واعلم أن الدليل يضادّ

المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير فلا توحيد فمن جعل الدليل على التوحيد نفس التوحيد لم يكن هنالك من تجب عليه زكاة فلا زكاة على الذميّ والزكاة طهارة فلابدّ من الإيمان فإن الإيمان طهارة الباطن وليس الإيمان المعتبر عندنا إلا أن يقال الشيء لقول المخبر على ما أخبر به أو يفعل ما يفعل لقول المخبر لا لعين الدليل العقليّ وعلم الشرك من أصعب ما ينظر فيه لسريان التوحيد في الأشياء إذ الفعل لا يصح فيه اشتراك البتة فكل من له مرتبة خاصة به لا سبيل له أن يشرك فيها وما ثم إلا من له مرتبة خاصة لكن الشرك المعتبر في الشرع موجود وبه تقع المؤاخذة وصل متمم اعلم أن الكفار مخاطبون بأصل الشريعة وهو الإيمان بجميع ما جاء به الرسول من عند الله من الأخبار وأصول الأحكام ورفوعها وهو قووله صلى الله عليه وسلم وتؤمنوا بي وبما جئت به وهو العمل بحسب ما اقتضاه الخطاب من فعل وترك فالإيمان بصدقة التطوّع أنها تطوّع واجب وهو من أصول الشريعة وإخراج صدقة التطوّع فرع ولا فرق بينها وبين الصدقة الواجبة في الإيمان بها وفي إخراجها وإن لم يتساويا في الأجر فإن ذلك لا يقدح في الأصل فإن افترقا من وجه فقد اجتمع من الوجه الأقوى فالإيمان أصل والعمل فرع لهذا الأصل بلا

شك ولهذا لا يخلص للمؤمن معصية أصلاً من غير أن يخالطها طاعة فالمخلط هو المؤمن العاصي فإن المؤمن إذا عصى في أمر مّا فهو مؤمن بأن ذلك معصية والإيمان واجب فقد أتى واجباً فالمؤمن مأجور في عين عصيانه والإيمان أقوى ولا زكاة على أهل الذمّة بمعنى أنا لا تجزي عنهم إذا أخرجوها مع كونها واجبة عليهم كسائر جميع فروض الشريعة لعدم الشرط المصحح لها وهو الإيمان بجميع ما جاءت به الشريعة لا بها ولا ببعض ما جاء به الشرع فلو آمن بالزكاة وحدها أو بشيء من الفرائض إنها فرائض أو بشيء من النوافل أنها نافلة ولو ترك الإيمان بأمر واحد من فرض أو نفل لم يقبل منه إيمانه إلا أن يؤمن بالجميع ومع هذا فليس لنا أن نسأل ذمياً زكاته فإن أتى بها من نفسه فلي لنا ردّها لأنه جاء بها إلينا من غير مسئلة فيأخذها السلطان منه لبيت مال المسلمين لا يأخذها زكاة ولا يردّها فإن ردّها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما العبد فالناس فيه على ثلاثة مذاهب فمن قائل لا زكاة في ماله أصلاً لأنه لا يملكه ملكاً تاماً إذ للسيد انتزاعه ولا يملكه السيد ملكاً تاماً أيضاً لأن يد العبد هي المتصرفة فيه إذن فلا زكاة في مال العبد وذهبت طائفة إلى أن زكاة مال العبد على سيده لأن له انتزاعه منه وقالت طائفة على العبد في ماله الزكاة لأن اليد على المال توجب الزكاة فيه لمكان تصرفها فيه تشبيهاً بتصرف الحر قال شيخنا وجمهور من قال لا زكاة في مال العبد على أن لا زكاة في مال المكاتب حتى يعتق وقال أبو ثور في مال المكاتب الزكاة والذي أقول به أنه لا يخلو الأمر إما أن يرى أن الزكاة حق في المال ولا يراعى المالك فيجب على السلطان أخذها من كل مال بشرطه من النصاب وحلول الحول على من هو في يده ومن رأى أن وجوب الزكاة على أرباب المال جاء ما ذكرناه من المذاهب في ذلك فالأولى كل ناظر في المال هو المخاطب بإخراج الزكاة منه اعتبار ذلك العبد وما يملكه لسيده فبأي شيء أمره سيده وجبت عليه طاعته والزكاة حق أوجبه الله في عين المال لأصناف مذكورين وهو بأيدي المؤمنين فإنه لا يخلو مال عن مالك أي عن يد عليه لها التصرف فيه فالزكاة أمانة بيد من هو المال بيده لهؤلاء الأصناف وما هو مال للحر ولا للعبد فوجب أداؤه لأصحابه ممن هو عنده وله التصرف فيه حراً كان أو عبداً من المؤمنين والكل عبيد الله فلا زكاة على العبد لأنه مؤدّ أمانة والزكاة عليه بمعنى إيصال هذا الحق إلى أهله فإن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وتطهيره المال الذي فيه الزكاة بالزكاة أعني بإخراجها منه والزكاة على السيد لأنه يملكه من باب ما أوجبه الحق لخلقه على نفسه مثل قوله "كتب ربكم على نفسه الرحمة" وقوله "فسأكتبها" وقوله "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين" وقوله "أوف بعهدكم" فكل من رأى أصلاً مما ذكرناه ذهب في مال العبد مذهبه وصل ومن ذلك المالكون الذين عليهم الديون التي تستغرق أموالهم

وتستغرق ما تجب فيه الزكاة من أموالهم وبأيديهم أموال تجب الزكاة فيها فمن قائل لا زكاة في مال حباً كان أو غيره حتى يخرج منه الدين فإن بقي منه ما تعجب فيه الزكاة زكى وإلا فلا وقالت طائفة الدين لا يمنع زكاة الحبوب ويمنع ما سواها وقالت طائفة الدين يمنع زكاة الناض فقط إلا أن تكون له عروض فيها وفاء له من دينه فإنه لا يمنع وقال قوم الدين لا يمنع زكاة أصلاً الاعتبار في ذلك الزكاة عبادة فهي حق الله وحق الله أحق أن يقضى بذا ورد النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله قد جعل الزكاة حقاً لمن ذكر من الأصناف في القرآن العزيز الذي "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتزيل من حكيم حميد" والدين حق مترتب متقدّم فالدين أحق بالقضاء من الزكاة وصل ومن ذلك المال الذي هو في ذمة الغير وليس هو بيد المالك وهو الدين فمن قائل لا زكاة فيه وإن قبض حتى يمر عليه حول وهو في يد القابض وبه أقول ومن قائل إذا قبضه زكاة لما مضى من السنسن وقال بعضهم يزكيه لحول واحد وإن قام عند المديان سنين إذا كان اصله عن عوض فغن كان على غير عوض مثل الميراث فإنه يستقبل به الحول اعتبار الباطن في ذلك لا مالك إلا الله ومن ملكه الله إذا كان ما ملكه بيده بحيث يمكنه التصرّف فيه فحينئذ تجب عليه الزكاة بشرطها ولا مراعاة لما مر من الزمان فإن الإنسان ابن

وقته ما هو لما مضى من زمانه ولا لما يستقبله وإن كان له أن ينوي في المستقبل ويتمنى في الماضي ولكن في زمان الحال هذا كله فهو من الوقت لا من الماضي ولا من المستقبل فلا مراعاة لما مر على ذلك المال من الزمان حين كان بيد المديان فإن على الفتوح مع الله تعالى دائماً الذي بيده المال هو الله فالزكاة واجبة فيه لما مر عليه من السنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجي عن أبيك وأمر صلى الله عليه وسلم وليّ الميت بما على الميت من صيام رمضان وما هو إلا إيصال ثمرة العمل لمن حج عنه أو صام عنه مما هو واجب عليه إلا أن فرّط فله حكم آخر ومع هذا ومع هذا فمن حج عنه أو عمل عنه عمل ما فهو صدقة من عمل هذا العمل على المعمول عنه ميتا كان المعمول عنه أو غير ميت غير أن الحيّ لا يسقط عنه الواجب عليه إلا إذا لم يستطع فعله فإن فعله وليه عنه كان له أجر من أدّى ما وجب عليه وليس ذلك إلا في الحج بما ذكرناه والثواب ما هو له بقابض إلا أن كان المعمول عنه ميتا فإنه أخراويّ فإن كان حياة فالقابض عنه الوكيل وهو الله فإذا قبضه أعطاه في الآخرة لمن عمل له هنا في الدنيا وصل من اعتبار هذا الباب ومن اعتباره الشخص يتمنى أن لو كان له مال لعمل به برا فيكتب الله له أجر من عمل فإن نيته خير من عمله ويكتب له علي أو في حظ وهو في ذمة الغير ليس بيده منه شيء فإذا حصل له ما تمناه من المال أو مما تمناه مما يتمكن له به الوصول إلى عمل ذلك البر وجب عليه أن يعمل ذلك البر الذي نواه فإن لم يفعل لم يكتب له أجر ما نواه فلو مات قبل اكتساب ما تمنى كتب له أجر ما نواه قال تعالى "إنما أموالكم وأولادكم فتنة "أي هما اختبار لإقامة الحجة في صدق الدعوى أو كذبها وصل ومن هذا الباب اختلافهم في زكاة الثمار المحبسة الأصول فمن قائل فيها الزكاة ومن قائل لا زكاة فيها وفرق قوم بين أن تكون محبسة على المساكين فلا يكون فيها زكاة وبين أن تقوم على قوم بأعيانهم فتجب فيها الزكاة وبوجوب الزكاة أقول كانت على من كانت بتعيين أو بغير تعيين فإن كانت بتعيين قوم وجب عليهم إخراج الزكاة وإن كانت بغير تعيين وجب على السلطان أخذ الزكاة منها بحكم الوكالة اعتبار الباطن في ذلك الثمر هو عمل الإنسان المكلف العمل قد يكون مخلصا لله كالصلاة والصيام وأمثالهما وقد يكون فيه حق للغير كالزكاة إلا أنه مشروع مثل أن يعمل الإنسان عملا فيقول هذا الله ولوجوهكم فهو لوجوهكم أو مالي إلا الله وأنت قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال هذا الله ولوجوهكم ليس لله منه شيء ثم شرع لمن هذا قوله أن يقول هذا الله ثم لفلان ولا يدخل واو التشريك فهذا العمل فيه لله وهو نظير الزكاة في المال المحبس الأصل وفيه للخلق وهو قوله ثم لفلان بحرف ثم لا بحرف الواو وهو ما

يبقى بيد الموقوف عليه من هذا الثمر الزائد على الزكاة فهذا اعتبار من يرى فيه الزكاة ومن يرى أنه لا زكاة فيه أي لا حق لله فيها فاعتباره قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو لوجوهكم ليس لله منه شيء أي لا حق فيه لله ومن رأى أن الزكاة حق الفقراء رأى في اعتباره أن زكاة الثمر المحبس الأصل وهو العمل من هذا العبد الذي هو محبس على سيده لا يعتق أبدا يقول أن العمل هو لله بحكم الوقفية وللحور العين وأمثالهم من ذلك العمل نصيب وهو المعبر عنه بالزكاة كما قال بعضهم في حق المجاهدين

أبواب عدن مفتحات والحور منهنّ مشرفات
فاستبقوا أيما استباق وبادروا أيها الغزاة
فبين أيديكمو جنان فيها حسان منعمات
يقلن والخيل سابقات مهورنا الصبر والثبات

فالصبر والثبات من عمل الجهاد بمنزلة الزكاة من الثمر وكونه محبس الأصل هو قوله تعالى "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون " فما خلقهم إلا لعبادته فهم موقوفون عليه ثم جعل في أعمالهم التي هي بمنزلة الثمر من الشجر نصيبا لله وهو الإخلاص في العمل وهو من العمل وحق لصاحب العمل وهو ما يحصل له من الثواب عليه وهو بمنزلة الزكاة التي يطلبها الثواب فهذا اعتبار زكاة الثمر المحبس الأصل باختلافهم والله الهادي وصل ومن هذا الباب على من تجب زكاة ما تخرجه الأرض المستأجرة فقال قوم من العلماء إن الزكاة على صاحب الزرع وقال قوم إن الزكاة إنما تجب على رب الأرض وليس على المستأجرة شيء وبالقول الأول أقول إن الزكاة على صاحب الزرع وصل الاعتبار في ذلك الإمام والمؤذن والمجاهد والعامل على الصدقة وكل من يأخذ على عمله أجرا ممن يستأجره على ذلك والأرض المستأجرة هي نفس المكلف وما تخرجه هو ما يظهر عن هذه النفس من العمل والزارع الحق تعالى يقول تعالى "أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " ورب الأرض هو الشارع وهو الحق سبحانه من كونه شارعا كما هو في الزرع من كونه موفقا قال تعالى مخبرا عن بعض أنبيائه وما توفيقي إلا بالله فهو سبحانه يبذر حب الهدى والتوفيق في أرض النفوس فتخرج أرض النفوس بحسب ما زرع فيها وفيما يظهر من هذه الأرض ما يكون حق لله فيه ومنها ما يكون فيه حق للإنسان فما هو لله فهو المعبر عنه بالزكاة وما بقي فهو للإنسان والإجارة مشروعة فإن الله اشترى منا نفوسنا ثم أجرنا إياها بالعشر فقال منن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فالحسنة منا هي العشر الذي نعطيه سبحانه مما زرعه في أراضي نفوسنا من الخير الذي أنبت هذا العمل الصالح فهو سبحانه رب الأرض وهو الزارع وهو المؤجر وهو المستأجر وهو الذي يجب عليه الزكاة وهو الذي يأخذ الصدقات كما قال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ولكن بوجوه ونسب مختلفة فهو المعطى والآخذ لا إله إلا هو ولا فاعل سواه فيوجب من كونه كذا ويجب ويجب عليه من كونه كذا قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجب وفرض لم يوجب ذلك عليه موجب بل هو سبحانه الموجب على نفسه منة منه وفضلا علينا فحقائق أسمائه بها تعرّف إلينا وعلى حقائق هذه الأسماء أثبتت الشرائع الإلهية كلها قل كلّ من عند الله فما لهؤلاء القومم لا يكادون يفقهون حديثا وقسمم فقال في نسق هذا الكلام ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وهو ما يسوءك فأنت محل أثر السوء فمن حيث هو فعل لا يتصف بالسوء هو للاسم الإلهي الذي أوجده فإنه يحسن منه إيجاد مثل هذا الفعل فلا يكون سوءا إلا من يجده سوأ أو من يسوءه وهو نفس الإنسان إذ

لا يجد الألم إلا من يوجد فيه ففيه يظهر حكمه لا من يوجده فإنه لا حكم له في فاعله فهذا معنى قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وإن كانت الحسنة كذلك فذلك يحسن عند الإنسان فإنها أيضا تحسن من جانب الحق الموجد لها فاضيفت الحسنة إلى الله فإنه الموجد لها ابتداء وإن كانت بعد الإيجاد تحسن أيضا فيك ولكن لا تسمى حسنة إلا من كونها مشروعة ولا تكون مشروعة إلا من قبل الله فلا تضاف إلا إلى الله ولهذا قلنا في السيئة أنها من قبل الحق حسنة لأنه بينها لتجتنب فتسوء من قامت به أما في الدنيا وأما في العقبى فقد يكون الترك سيئة وليس بفعل وقد يكون الفعل سيئة وكذلك الحسنة قد تكون فعلا وتركا والتوفيق الإلهيّ هو المؤثر في الفعل اوالترك من حيث ما هو ترك له ومن حيث ما هو ظاهر منه إذا كان فعلا وما من حق واجب على العبد من ترك وفعل إلا والله فيه حق يقوم به الحاكم نيابة عن الله فإن كان ما بقي من ذلك الفعل أو الترك حق الله تعالى فهو حق لله من جميع وجوهه لا حق لمخلوق فيه كالصلاة وإقامة الحدود وإن كان ما بقى من ذلك الفعل أو الترك حق لمخلوق كضرب أو شتم أوغصب مال ففيه حق لله وهو ما ذكرناه وفيه حق للمخلوق والحق الذي فيه للههو عين الزكاة الذي في جميع أغفعال الله في خلقه والحاكم نائبه فيما استخلفه فيه فإن شاء قبضه وإن شاء تركه على ما يعطيه الحال والمصلحة ولا حرج عليه في ذلك وهو المسمى تعزيرا فيما لا حدّ فيه فتقطع يد السارق ولا بدّ وإن أخذ المال من يده عاد إلى صاحبه فالحاكم مخير إن شاء عزره بذلك القدر الذي فيه لله من الحق المشروع وإن

شاء لم يعزره ويترك ذلك لله حتى يتولاه في الآخرة بلا واسطة وصل ومن هذا الباب أرض الخراج إذا انتقلت إلى المسلمين وهي الأرض التي كانت بيد أهل الذمّة هل فيها عشر مع الخراج أم لا فمن قائل أن فيها العشر أعني الزكاة ومن قائل ليس فيها عشر فاعلم أن الزكاة إما أن تكون حق الأرض أو حق الحب فإن كانت حق الأرض لم تجب الزكاة لأنه لا يجتمع فيها حقان وهو العشر والخراج وإن كانت حق الحب كان الخراج حق الأرض والعشر حق الحب والخلاف في بيع أرض الخراج معلوم عند العلماء وصل الاعتبار في ذلك الأعمال البدنية بمنزلة الزرع والبدن بمنزلة الأرض والهوى حاكم على الأرض فإذا انتقلت هذه الأرض إلى حكم الشرع الذي هو العمل بما يقتضيه الإسلام فخراج الأرض هو ما لله عليه من الحقوق من حيث أن جعلها ذات إدراكات وهو علم يستقل بإدراكه العقل فلله في هذه الأرض الخراج إذ شكر المنعم محمود وهو المنعم بها سبحانه فإذا حصلت هذه الأرض في يد المسلم أعني الشرع وانتقلت إليه فالمسلمون على قسمين عارف وغير عارف فالعارف إذا زرع الأعمال الصالحة في هذه الأرض رأى أن الزكاة حق العمل لا حق الأرض فأوجب الزكاة في العمل وهو أن يردّ الأعمال إلى عاملها وهو الحق سبحانه وغير العارف يرى إن العمل للقوى البدنية وقد وجب عليهاالخراج فلا تجب عنده الزكاة حتى لا يجتمع عليها حقان فإنه لا يرى العمل إلا لنفسه فإنه غير عارف و لم يكلف الله نفسا إلا ما آتاها وقال ذلك مبلغهم من العلم وأمّا قولنا في هذه المسئلة فإنه يجتمع في الأرض حقان ولا يبعد ذلك لأن الأرض من كونها بيد من هي بيده يمنع غيره من التصرف فيها غلا بإذنه فعليه حق فيها يسمى الخراج ومن حيث أنه زرعها فاختلف حال الأرض بكونها قد زرعت من كونها لم تزرع فوجب فيها حق آخر من كونها ذات زرع فوجب العشر فيها من كونها مزدرعة ووجب الخراج فيها من كونها بيده وحكمه عليها وكذلك نأخذه في الاعتبار وصل وأمّا أرض العشر إذا انتقلت إلى الذمي فزرعها فمن قائل ليس فيها شيء أعنى لإخراج ولا عشر وقال العمان إذا اشترى الذمي أرض عشر تحوّلت أرض خراج فكأنه رأى إن العشر حق أرض المسلمين ووالخراج حق أرض الذميين ومن يرى هذا فينبغي إن أرض الذمي إذا انتقلت إلى المسلم إن تعود أرض عشر اعتبار ذلك للعقل حكم في النفس من حيث ذاته ونظره وللشرع حكم في النفس فإذا سلب العقل النفس من

يد الشرع بشبهة اشتراها بها فهل يقبل الله منه كل عمل حمد صورته الشرع ولكن كان عمله ممن جهة العقل لا من جهة الشرع فمنا من قال يقبل ويجازي عليه في الدنيا إن لم يكن موحدا وكان مشركا فإن كان موحدا قبل منه وجوزى عليه جزاء غير المؤمن فإن المؤمن له في عمله يوم القيامة جزاآن جزاء من حيث إنه مؤمن عامل بشريعة وجزاء من حيث إن ذلك العمل من مكارم الخلاق وأنه خير وقد قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم وكان قد فعل في الجاهلية خيرا أسلمت على ما أسلفت من خير فجازاه الله بما كان منه من خير في زمان جاهليته فإن الخير يطلب الجزاء لنفسه فإذا اقترن به الإيمان تضاعف الجزاء لزيادة هذه الصفة فإن لها حقا آخر فحكم الشرع العشر وحكم العقل الخراج وصل إذا أخرج الزكاة فضاعفت فقال قوم تجزى عنه وقال قوم هو لها ضامن حتى يضعها موضعها وقوم فرّقوا بين أن يخرجها بعد أن أمكنه إخراجها في أول الوجوب و لم يقع منه تفريط لم يضمن وقال قوم إن فرط ضمن وبه أقول وإن لم يفرّط زكى ما بقي وقال قوم بل يعد الذاهب من الجميع ويبقى المساكين ورب المال شريكين على تلك النسبة في الباقي فالحاصل في المسئلة خمسة أقوال قول أنه لا يضمن بإطلاق وقول أنه يضمن بإطلاق وقول إن فرّط ضمن وإن لم يفرّط يضمن وقول إن فرط ضمن وإن لم يفرط زكى ما بقي والقول الخامس يكونان شريكين في الباقي وأما إذا ذهب بعض المال بعد الوجوب وقيل تمكن إخراج الزكاة فقيل يزكى ما بقي وقال قوم حال المساكين وحال رب المال حال الشريكين يضيع بعض ما لهما وأما إذا وجبت الزكاة وتمكن الإخراج فلم يخرج حتى ذهب بعض المال فإنه ضامن باتفاق والله أعلم إلا في الماشية عند من يرى أن وجوبها إنما يتم بشرط خروج الساعي مع الحول وهو مذهب مالك وصل الاعتبار في ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنحوا الحكمة غير أهلها فنظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم

وانفاق الحكمة عين زكاتها ولها أهل كما للزكاة أهل فإذا أعطيت الحكمة غير أهلها وأنت تظن أنه أهلها فقد ضاعت كما ضاع هذا المال بعد إخراجه و لم يصل إلى صاحبه فهو ضامن لن ضاع لأنه فرط حيث لم يتثبت في معرفة من ضاعت عنده هذه الحكمة فوجب عليه أن يخرجها مرّة أخرى لمن هو أهلها حتى تقع في موضعها وأما حكم الشريكين في ذلك كما تقرر فإن حامل الحكمة إذا جعلها في غير أهلها على الظن فهو أيضا مضيع لها والذي أعطيت له ليس بأهل لها فضاعت عنده فيضيع بعض حقها فيستدرك معطي الحكمة غير أهلها ما فاته بأن ينظر في حال من ضاعت عنده الحكمة فيخاطبه بالقدر الذي يليق به ليستدرجه حتى يصير أهلالها ويضيع من حيق الآخر على قدر ما نقصه من فهم الحكمة الأولى التي ضاعت عنده والحال فيما بقي ألجمه الله بلجام من نار فسأله من ليس بأهل للحكمة قال لا يضمن على الإطلاق ومن أخذ بقوله فيما سأله ما يليق به وإن لم يصح ذلك في نفس الأمر كالأينية فيمن لا يتصف بالتحيز ومن أعرض عن الجواب الأول إلى جواب في المسئلة يقتضيه حال السائل والوقت قال يزكى ما بقي ويكون حكم ما مضى وضاع كحكم مال ضاع قبل الحول ومن قال يتعين عليه النظر في حال السائل فلما لم يفعل فقد فرط فإن فعل وغلط لشبهة قامت له تخيل أنه من أهل الحكمة فلم يفرط فهو بمترلة من قال إن فرط ضمن وإن لم يفرط لم يضمن والقول الخامس قد تقدم في الشريك ولا يخلو العالم أن يعتقد فيما عنده من العلم الذي يحتاج الخلق إليه أن يكون عنده لهم كالأمانة فحكمه في ذلك حكم الأمين أو يعتقد فيه أنه دين عليه لهم فحكمه حكم الغريم والحكم في الأمانة والدين والضياع معلوم فيمشي عليه الاعتبار بتلك الوجوه والله أعلم

وصل إذا مات بعد وجوب الزكاة عليه

قال قوم تخرج من رأس ماله وقال قوم أن أوصى بها أخرجت من الثلث وإلا فلا شيء عليه ومن هؤلاء من قال يبدأ بها إن ضاق الثلث ومنهم من قال لا يبدأ بها وصل الاعتبار في ذلك الرجل من أهل طريق الله يعطى العلم بالله وقد قلنا إن زكاة العلم تعليمه فجاء مريد صادق متعطش فسأله عن مسئلة عن علم ما هو عالم به فهذا أو إن وجوب تعليمه إياه ما سأله عنه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فلم يعمله ما سأله فيه من العلم فإن الله يسلب العالم تلك المسئلة فيبقى جاهلا بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها فذلك موته بعد وجوب الزكاة فإن الجهل موت قال أو من كان ميتا فأحييناه أو يكون العالم يجب عليه تعليم من هو أهل فعلم من ليس بأهل فذلك موته حيث جهل الأهلية ممن هو للحكمة أهل غيره أو يعلمها ممن قد علمه ذلك العالم قبل ذلك فيكون في ميزان العالم الأوّل وإن كان قد جهلها فهذاا معنى يجزي عنه ويخرج من رأس ماله فإن اعتذر ذلك العالم للمريد واعترف بعقوبته وذنبه ففتح الله على المريد بها فاعترافه بمنزلة من أوصى بها وأمّا إخراجها من الثلث فإن المريض لا يملك من ماله سوى الثلث لا غير فكأنها وجبت فيما يملك وكذلك هذا العالم لا يملك في هذه الحالة من نفسه إلا الاعتذار والثلثان الآخران لا يملكها وهو المنة فلا منة له في التعليم بعد هذه الواقعة ولا يجب عليه فإنه قد نسيها وبالجملة فينبغي لمن هذه حالته إن يجدد توبة مما وقع فيه ويستغفر الله فيما بينه وبين الله فإن الله يحب التوابين وصل في خلافهم في المال يباع بعد وجوب الصدقة فيه فقال قوم يأخذ المصدق الزكاة من المال نفسه ويرجع المشتري بقيمته على البائع وقال قوم البع مفسوخ وقال قوم المشتري بالخيار من إنفاذ البيع ورده والعشر مأخوذ من الثمرة أو من الحب الذي وجبت فيه الزكاة فلاتخلو الزكاة إما أن تكون في عين المال أو تكون في ذمة المكلف فإن كانت في ذمة المكلف وجبت على البائع وإن كانت في نفس المال وجب تزكيتها على من بيده المال في عين المال فيخرجها المشتري من المال ويرجع بالقيمة على البائع وإذا كان وجوبها على البائع فللبائع أن يزكى ذلك القدر مما عنده من المال كالشيخ المرشد يملك نفوس تلامذته فيزكى منها بقدر ما وجب عليه في نفسه من الزكاة قبل بيعها من الله إذ قد كانت وجبت عليه الزكاة في نفسه فتقوم له زكاةة نفوس من عنده من المريدين مقام ذلك وإن كان ممن يقول بفسخ البيع فإنه يرجع في بيعه حتى يزكيها وحينئذ يبيعها من الله وإن كان ممن يقول المشتري بالخيار من إنقاذ البيع وردّه فذلك إلى الله إن شاء قبلها وزكاها وإن شاء ردّها على البائع حتى يزكيها وصل ومن هذا الباب اختلافهم في زكاة المال الموهوب واعتباره أن الموهوب له بالخيار إن شاء قبل الهبة وقد عرف ما فيها من الحق فأوصل الحق منها إلى مستحقه ومسك ما بقي وإن شاء ردّ قدر ما يجب فيها من الزكاة على البائع حتى يؤدّيها والموهوب له هو الحق هنا والذين لهم الزكاة من هذه النفس ما تطلب منهم الجنة ومن فيها هل هو حق لهم من نفس المؤمن انتهى الجزء الحادي والخمسون

الجزء الثاني والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في حكم من منع الزكاة و لم يجحد وجوبها ذهب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن حكمة حكم المرتد فقاتلهم وسبى ذريتهم وخالفه في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأطلق من استرق منه وبقول عمر قال الجمهور وذهبت طائفة تكفير من منع فريضة من الفرائض وإن لم يجحد وجوبها وصل الاعتبار في ذلك اعلم أن في نفس المؤمن حظ الجنان ومن فيه منها الزكاة ولله ما بقي وهو الذي يصح فيه البيع وإلى هذا ذهبت جماعة المحققن من أهل طريق الله لتعدد أصناف من تجب لهم الزكاة من أنفسهم عليهم فالجنة فيها أصناف يطلبون من نفس المؤمن ما يستحقونه وهي الزكاة فالقصر يطلبه بالسكنى والزوجات يطلبنه بما احتجن إليه فيه فالثمانية الأعضاء المكلفة من الإنسان كما يجب فيها الزكاة على الإنسان كذلك لها نسبة في أن تأخذ الزكاة من جهة أخرى فيقوم ما في الجنان مقام من يقسم عليهم ما يليق به فمن منع الزكاة من نفسه عن أحد هؤلاء الأصناف وهو مقربها أنها واجبة عليه فهو ظالم غير كافر إلا في الصلاة خاصة فإن تاركها كافر فإن الشرع سماه كافرا بمجرد الترك وما أدرى ما أراد وإنما مانع الزكاة فهو ظالم حيث مسك حق الغير الذي يجب لهم وسأذكر بعد هذا إن شاء الله ما تجب فيه الزكاة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصل في ذكر ما تجب فيه الزكاة

اتفق العلماء على أن الزكاة تجب في ثمانية أشياء محصورة في المولدات من معدن ونبات وحيوان فالمعدن الذهب والفضة والنباتت الحنطة والشعير والتمر والحيوان الإبل والبقر والغنم هذا هو المتفق عليه وهو الصحيح عندنا وأما الزبيب ففيه خلاف الاعتبار في ذلك الزكاة تجب من الإنسان في ثمانية أعضاء البصر والسمع واللسان واليد والبطن والفرج والرجل والقلب ففي كل عضو نوعلى كل عضو من هذه العضاء صدقة واجبة يطلب الله بها العبد في الدار الآخرة وأما صدقة التطوع فعلى كل عرق في الإنسان صدقة وكل تهليلة صدقة وكذلك التحميد والتكبير فالزكاة التي في هذه الأعضاء هي حق الله تعالى الذي أوجبها على الإنسان من هذه الأعضاء الثمانية كما أوجبها في هذه الثمانية من الذهب والورق وسائر ما ذكرنا مما تجب فيه الزكاة بالاتفاق فتعين على المؤمن آداء حق الله تعالى في كل عضو فزكاة البصر ما يجب لله تعالى فيه من الحق كالغصن عن المحرّمات والنظر فيما يؤدي النظر إليه من القربة عند الله كالنظر في المصحف وفي وجه العالم وفي وجه من يسرّ بنظرك إليه من أهل وولد وأمثالهم وكالنظر إلى اككعبة النحو تنظر في جميع الأعضاء المكلفة في الإنسان من تصرفها فيما ينبغي وكفها عما لا ينبغي بيان وإيضاح واعلم أن هذه الأصناف قد أحاطت بمولدات الأركان كما قلنا وهي المعدن والنبات والحيوان وما ثم رابع ففرض الله الزكاة في أنواع مخصوصة من كل جنس من المولدات نلطهارة الجنس فتطهر النوع بلا شك من الدعوى التي حصلت فيه من الإنسان بالملك فإن الأصل فيه الطهارة من حيث أنه ملك لله مطلقا وذلك أن الأصل الذي ظهرت عنه الأشياء من أسمائه القدوس وهو الطاهر لذاته من دنس المحدثات فلما ظهرت الأشياء في أعيانها وحصلت فيها دعاوى الملاك بالملكية طرأ عليها هذا الدنس العرضي بملك الغير لها وكفى بالحدث حدثا وهذه الأجناس لا تصرف لها في أنفسها فأوجب الله على مالكها فيها الزكاة وجعل ذلك طهارتها فعين الله فيها نصيبا يرجع إلى الله عن أمر الله لينسبها إلى مالكها الأصلي فتكتسب الطهارة فإن الزكاة إنما جعلها الله طهارة الأموال وكذلك في الاعتبار فإن هذه

الأعضاء المكلفة هي طاهرة بحكم الأصل فإنها على الفطرة الأولى ولا تزول عنها تلك الطهارة والعدالة ألا تراها تستشهد يوم القيامة وتقبل شهادتها لزكاتها الأصلية وعدالتها فإن الأصل في الأشياء العدالة لأنها عن أصل طاهر والجرحة طارئة قال تعالى "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا" وقال "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم " وقال تعالى "وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا" وقال تعالى " وما كنتم تسترون أنيشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم " فهذا كله أعلام من الله لنا أن كل جزء فينا شاهد عدل زكي مرضي وذلك بشرى خير لنا ولكن أكثر الناس لا يعلمون صورة الخبر فيها فإن الأمر إذا كان بهذه المثابة يرجى أن يكون المآل إلى خير وإن دخل النار فإن الله أجل وأعظم وأعدل من أن يعذب مكرها مقهورا وقد قال إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وقد ثبت حكم المكره في الشرع وعلم حدّ المكره الذي اتفق عليه والمكره الذي اختلف وهذه الجوارح من الكرهين المتفق عليهم أنهم مكرهون فتشهد هذه الأعضاء بلا شك علىالنفس المدبرة لها السلطانة عليها والنفس هي المطلوبة عند الله عن حدوده والمسؤلة عنها وهي مرتبطة بالحواس والقوى لا انفكاك لها عن هذه الأدوات الجسمية الطبيعية العادلة الزكية المرضية المسموع قولها ولا عذاب للنفس غلا بوساطة تعذيب هذه الجسوم وهي التي تحس بالآلام المحسوسة لسريان الروح الحيواني فيها وعذاب النفس بالهموم والغموم وغلبة الأوهام والأفكار الرديئة وما ترى في رعيتها مما تحس به من الآلام ويطرأ عليها من التغييرات كل صنف بما يليق به من العذاب وقد أخبر بمآلها لإيمانها إلى السعادة لكون المقهور غير مؤاخذ بما جبر عليه وما عذبت الجوارح بالألم إلاإحساسها أيضا باللذة فيما نالته من حيث حيواناتها فافهم فصورتها صورة من أكره على الزنى وفيه خلاف والنفس غير مؤاخذة بالهم ما لم تعمل ما همت به بالجوارح والنفس الحيوانية مساعدة بذاتها مع كونها من وجه مجبورة فلا عمل للنفوس إلا بهذه الأدوات ولا حركة في عمل للأدوات إلا بالأغراض النفسية فكما كان العمل بالمجموع وقع

العذاب بالمجموع ثم تفضى عدالة الأدوات في ىخر الأمر إلى سعادة المؤمنين فيرتفع العذاب الحسي ثم يقضي حكم الشرع الذي رفع عن النفس ما همت به فيرتفع أيضا العذاب المعنوي عن المؤمن فلا يبقى عذاب معنوي ولا حسي على أحد من أهل الإيمان وبقدر قصر الزمان في الدار الدنيا بذلك العمل لوجود اللذة فيه وأيام النعيم قصار تكون مدة العذاب على النفس الناطقة والحيوانية الداركة مع قصر الزمان المطابق لزمان العمل فإن أنفاس الهموم طوال فما أطول الليل على أصحاب الآلام وما أقصره بعينه على أصحاب اللذات والنعيم فزمان الشدة طويل على صاحبه وزمان الرخاء قصير افصاح واعلم أن للزكاة نصابا وحولا أيمقدار في العين الزمان كذلك الاعتبار في زكاة الأعضاء لها مقدار في العين والزمان فالنصاب بلوغ العين إلى النظرة الثانية فإنها المقصودةة والإصغاء إلى السماع الثاني وكذلك الثواني في جميع الأعضاء لأجل القصد والمقدار الزماني يصحبه فلنذكر ما يليق بهذا الباب مسئلة مسئلة على قدر ما يلقى الله عز وجل في الخاطر من ذلك ولله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم

صل في زكاة الحلي

اختلف العلماء رضي الله عنهمفي زكاة الحللي فمن قائل لا زكاة فيه ومن قائل فيه الزكاة الاعتبار في ذلك الحلي ما يتخذ للزينة والزينة مأمور بها قال الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده وأضافها إليه ما أضافها إلى الدنيا ولا إلى الشيطا والزكاة الحق له وما كان مضافا إليه لا يكون فيه حق له لأنه كله له فلا زكاة في زينة الله ومن اتخذه لزينة الحياة الدينا وسلب عنه زينة الله أوجب فيه الزكاة وهو أن يجعل لله نصيبا فيه يحيي به ما أضاف منه إلى نفسه

ويزكو ويتقدّس كما شرع الله للإنسان أن يستعين بالله ويطلب العون منه في أفعاله التي كلفه سبحانه أن يعملها وهو العمال سبحانه لا هم فكذلك ينبغي أن يجعل الزكاة في زينة الحياة الدينا وإن كانت زينة الله التي أخرج لعباده فأوجبو الزكاة في تلك الزينة كما أوجبها من أوجبها في الحلي

وصل في زكاة الخيل

اختلفوا في الخيل فالجمهور على أنه لا زكاة في الخيل وقال قوم إذا كانت سائمة وقصد بها النسل ففيها الزكاة أعني إذا كانت ذكرانا وإناثا وصل الاعتبار في ذلك هذا النوع من الحيوان وأمثاله من جملة زينة الله قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وهي من زينة الله التي أخرج لعباده ثم إنه من الحيوان الذي له الكر والفر فهو أنفع حيوان يجاهد عليه في سبيل الله فالأغلب فيه أنه لله وما كان لله فما فيه حق لله لأنه كله لله النفس مركبها البدن فإذا كان البدن في مزاجه وتركيب طبائعه بحيث أن يساعد النفس المؤمنة الطاهرة على ما تريد منه من الإقبال على طاعة الله والفرار عن مخالفة الله كان لله فلا حق فيه لله لأنه كل لله وإذا كان البدن يساعد وقتا ولا يساعد وقتا آخر لخلل فيه كان رد النفس بالقهر فيما لا يساعد فيه من طاعة الله زكاة فيه كمن يريد الصلاة ويجد كسلا في أعضائه وتكسر افيتثبط عنها مع كونه يشتهيها فأداء الزكاة في ذلك الوقت أن يقيمها ولا يتكرها مع كسلها وهي في ذلك الوقت سائمة من السآمة اعتبار متخذة للنسل لأن فيها ذكرانا وإناثا أي خواطر عقل وخخواطر نفس وصل في سائمة الإبل والبقر والغنم وغير السائمة فإن قوما أوجبوا الزكاة فيها كلها سائمة وغير سائمة وذهب الأكثرون إلى أن لا زكاة في غير السائمة من هذه الثلاثة الأنواع اعتبار هذا الوصل السائمة الأفعال المباحة كلها وغير السائمة ما عدا المباح فمن قال الزكاة في السائمة قال إن المباح لما كانت الغفلة تصحبه أوجبوا أن يحضر الإنسان عند فعله المباح أنه مباح بإباحة الشراع ولو لم يبح فعله ما فعله فهذا القدر من النظر هو زكاته وأما غير السائمة فلا زكاة فيها لأنها كلها أفعال مقيدة بالوجوب أو الندب أو الخطر أو الكراهة فكلها لا تخيير على الإطلاق للعبد فيها فكلها لله تعالى وما كان لله لا زكاة فيه فإن الزكاة حق لله في هذا كله وألحق بعض أصحابنا المندوب والمكروه بالمباح فجعل فيه الزكاة كالمباح سواء وقالت طائفة أخرى ما هو مثل المباح فإن فيه ما يشبه الواجب والمحظور وفيه ما يشبه المباح فإن كان وقته تغليب أحد النظرين فيهما كان حكمه بحكم الوقت فيهما وهو أن يحضر له في وقت إلحاقهما بالمباح وفي وقت إلحاقهما بالواجب والمحظور في ما شبه المباح فإن كان وقته تغليب أحد النظرين فيهما كان حكمه بحكم الوقت فيهما وهو أن يحضر له في وقت إلحاقهما بالمباح وفي وقت إلحاقهما بالواجب والمحظور والصورة في الشبه أن السائمة مملوكة وغير السائمة مملوكة فالجامع بينهما الملك ولكن ملك غير السائمة أثبت لشغل المالك بها وتعاهده إياها والسائمة ليست كذلك وإن كانت ملكا وكذلك المندوب والمكروه وهو مخير في الفعل والترك فأشبه المباح وهو مأجور في الفعل فيهما والترك فأشبه الواجب والمحظور وهذا اسد مذاهب القوم عندنا ومن قال الزكاة في الكل قال إنما أوجب ذلك في الكل سائمة وغير سائمة لأن الأفعال الواقعة من العبد منسوبة للعبد نسبة إلهية وإن اقتضى الدليل خلافها فوجبت الزكاة في جميع الأفعال لما دخلها من النسبة إلى المخلوق وصورة الزكاة فيها استحضارك أن جميع ما يقع منك بقضاء وقدر عن مشاهدة وحضور تام في كل فعل عند الشروع في الفعل

وذلك القدر هو زمان الزكاة بمنزلة انقضاء الحول وقدر ذلك الفعل الذي يمكن الردّ فيه إلى الله ذلك هوو نصاب ذلك الفعل وهذا مذهب العلماء بالله أن الأفعال كلها لله بوجه وتضاف إلىالعبد بوجه فلا يحجبنهم وجه عن وجه كما لا يشغله شأن عن شأن

وصل في زكاة الحبوب

وأما ما اختلفوا فيه من النبات بعد اتفاقهم على الأصناف الثلاثة فمنهم من لم ير الزكاة إ لا في تلك الأصناف الثلاثة ومنهم من قال الزكاة في جميع المدخر المقتات من النبات ومنهم من قال الزكاة في كل ما تخرجه الأرض ما عدا الحشيش والحطب والقصب الاعتبار في كونه نباتا فهذا النوع مختص بالقلب فإنه محل نبات الخواطر وفيه يظهر حكمها على الجوارح فكل خاطر نبت في القلب وظهر عينه على ظاهر أرض بدنه ففيه الزكاة لشهادة كل ناظر فيه أنه فعل من ظهر عليه فلا بد أن يزكيه بردّه إلى الله ذلك هو زكاته وما لم يظهر فلا يخلو صاحبه لما نبت في قلبه ما نبت هل كان ممن رأى الله فيه أو قبله فإن كان من هذا الصنف فلا زكاة عليه فيه فإنه لله ومن رأى الله بعده من أجله فتلك عين الزكاة قد أدّاها وإن لم ير الله بوجه وجبت عليه الزكاة عند العلماء بالله و لم تجب عليه الزكاة عند الفقهاء من أهل الطريق لأن الشراع لم يعتبرا لهم حتى يقع الفعل فكان نباتا سقطت فيه الزكاة كما سقطت المؤاخذة عليه فإن كان النبات من الخواطر التي فيها قوت للنفس وجبت الزكاة لما فيها من حظظ النفس فإن كان حظ النفس تبعا فلا زكاة فإن قوت هذا الذي هذه صفته فهو الله الذي به يقوم كل شيء قيل لسهل بن عبد الله ما القوت قال الله قيل له سألناك عن قوت الأشباح قال الله فلما ألحوا عليه قال مالكم ولها دع الديار إلى مالكها وبانيها إن شاء عمرها وإن شاء خربها

وصل في النصاب بالاعتبار

وأما النصاب في الأعضاء فهو أن تتجاوز في كل عضو من الأول إلى الثاني ولكن من الأول المعفو عنه لا من الأول المندوب فإن الأول المعفو عنه لا زكاة فيه فإنه لله والثاني لك ففيه الزكاة لا بدّ سواء كان في النظرة الأولى أو السماع الأول أو اللفظة الأولى أو البطشة الأولى أو السعي أو الخاطر الأول والجامع كل حركة لعضو لا قصد فيها فلا زكاة عليه فإذا كانت الثانية التالية لها فإنها لا تكون إلا نفسية عن قصد فوجبت الزكاة أي طهارتها والزكاة فيها هي التوبة منها لا غير فتلتحق بالحركة الأولى في الطهارة من أجل التوبة والتوبة زكاتها هذا حد النصاب فيما تجب فيه الزكاة من جيمع ما تجب فيه الزكاة ولا حاجة لتعدادها في الحكم الظاهر المشروع في تلك الأصناف لأن المقصود الاعتبار وقد بان فاكتفينا بذلك عن تفصيله وقد تقدّم اعتبار وقت الزكاة وبقي لنا اعتبار من أخرج الزكاة قبل وقتها فإن قوماً منعوا من ذلك وبه أقول وأجازه بعضهم اعتباره تطهير المحل للخاطر قبل وقوعه بالاستعداد له مع علمه بما يخطر له من جهة الكشف الذي هو عليه فإن قطع بحضوره ولا بد لم يجزه فإنه راجع إلى الطهارة الأولى وإذا وقع فلا بد من طهارة لوقوعه بلا شك فلا يتعدى بالأمور أوقاتها فإن الحكم للوقت ومن أخرجها قبل الوقت فقد عطل حكم الوقت.

وصل في ذكر من تجب لهم الصدقة

وهم الثمانية الذين ذكر الله في القرآن الفقراء والمساكين والعاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والرقاب والغارمون والمجاهدون وابن السبيل اعتبارهم الأعضاء المذكورة تخرج الزكاة من أفعالها وتردّ على أعيانها وهو المعبر عنه بثوابها ففي أفعال هذه الأعضاء الزكاة وعلى أيعانها تقسم الزكاة فمن زكى نظره بنفسه أعطى الزكاة بصره فعاد يبصر بربه بعدما كان يبصر بنفسه وكذلك من زكى سمعه بنفسه أعطى الزكاة سمعه فصار يسمع بربه وهو قوله كنت سمعه وبصره وكذلك يتكلم ويبطش ويسعى كل ذلك بربه ويتقلب في أموره كلها بربه وصل في تعيين الأصناف الثمانية الذين تقسم الزكاة عليهم اعتباراً فمنهم الفقراء قال الله تعالى "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة علبوهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله" يقول فرضها الله لهؤلاء الأصناف قسمت عليهم الصدقة بحسب ما يوجد منهم لكن على الأصناف لا على الأشخاص ولو لم يوجد من صنف منهم إلا شخص واحد دفع إليه قسم ذلك الصنف وإن وجد من الصنف أكثر من شخص واحد قسم على الموجودين منه ما تعين لذلك الصنف قل الأشخاص أو كثروا وكذلك العامل عليها قسمه في ذلك البلد بحسب ما يوجد من الأصناف فإن وجد الكل فلكل صنف ثمن الصدقة إلى سبع وسدس وخمس وربع وثلث ونصف وللكل ثم إنا نقدم من قدم الله بالذكر في العطاء وكذلك أفعل هنا في تعيينهم في هذا الباب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء في حجة وداعه إلى السعي بين الصفا والمروة تلا قوله تعالى "إن الصفا والمروة من شعائر الله" ابدأ بما بدأ الله به وحدثني بحكايته في هذا بعض أشياخنا قال أراد رجل من أهل القيروان الحج فبقي يتردّد هل يمشي في البحر أو في البر وما ترجح عنده واحد منهما فقال اسأل أول رجل اجتمع به فحيث ما قال لي سلكت ذلك الطريق قال فأول من لقيه يهودي فحار في أمره هل أسأله فعزم على سؤاله فشاوره فقال له يا مسلم أليس الله يقول "هو الذي يسيركم في البر والبحر" فقدم البر فقدم ما قدم الله هذا هو الطريق نبدأ بما بدأ الله به ونقدم ما قدم الله فإنه من التزم ذلك رأى خيراً في حركاته اعتبار الفقير الذي يجب إعطاء الصدقة له لا أنه يجب عليه أخذها عند أهل الطريق إلا عندنا فإنه واجب عليه أخذها إذا أعطيته ولا يسألها أصلاً ولو تحقق بالعبودية أسنى مرتبة فيها وجاءته أخذها فإن الزكاة وإن كانت لهؤلاء الأصناف فإنها حق الله في هذه الأموال وللعبد أن يأكل من مال سيده فإنه حقه وإنما حرمت على أهل البيت تخصيصاً لهذه الإضافة وسواء تحققوا بالعبودية أو لم يتحققوا فلو كان ذلك للتحقق بالعبودية ما حرمت إلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه الأمر وليس كذلك فأهل الله أولى من تصرّف في حقوق الله ثم نرجع فنقول الفقير عندنا الذي ليس وراءه مرتبة للفقر هو الذي يفتقر إلى كل شيء ولا يفتقر إليه شيء وإلى الآن فما رأيت أحداً تحقق بهذه الصفة يقول الله تعالى من باب الغيرة الإلهية "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" فقد كنى عن نفسه في هذه الآية بكل ما يفتقر إليه والله هو الغنيّ الحميد فما افتقر فقير إلا إلى الله عرف ذلك هذا الشخص أو لم يعرفه فإن الفقير الإلهيّ يرى الحق عين كل شيء وهو في عبوديته منغمس مغمور حين رأى الله تسمى له باسم كل شيء يفتقر إليه وما في الوجود شيء إلا ويفتقر إليه مفتقر ما من جميع الأشياء ولا يفتقر إليه شيء لوقوف هذا الفقير عند هذه الآية "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد فتحقق بهذه الآية فأوجب الله له الطهارة والزكاة حيث تأدّب مع الله وعلم ما أراد الله بهذه الآية فإنها من أعظم آية وردت في القرآن للعماء بالله الذين فهموا عن الله فلم يظهر عليه صفة غنى بالله ولا بغير الله فيفتقر إليه من ذلك الوجه فصح له مطلق الفقر فكأن الله غناه بما هو من الأغنياء بالله فإن الغنيّ بالله من افتقر إليه الخلق وزها عليهم بغناه بربه فذلك لا يجب له أن يأخذ هذه الزكاة فما قدّم الحق الفقراء بالذكر وفوقهم من هو أشدّ حاجة منهم لا مسكين ولا غيره فإن

الفقير هو الذي انكسر فقار ظهره فلا يقدر على أن يقيم ظهره وصلبه فلاحظ له في القيومية أبداً بل لا يزال مطأطيء الرأس لانكساره فافهم هذه الإشارة

والمساكين المسكن من السكون وهو ضدّ الحركة والموت سكون فإذا تحرّك الميت فبتحريك غيره إياه لا بنفسه فالمسكين من يدبره غيره فلهذا فرض الله له أن يعطى الزككاة ولا يقال فيه إنه آخذ لها وهو لا يتصف بالحاجة ولا بعدم الحاجة ولهذا قلنا في الفقير أنه ما فوقه من هو أشدّ حاجة منه فإن المسكين هو عين المسلم المفوّض أمره إلى الله عن غير اختيار منه بل الكشف أعطاه ذلك ولهذا ألحقناه بالميت فالمسكين كالأرض التي جعلها الله لنا ذلولاً فمن ذل ذلة ذاتية تحت عز كل عزيز كان من كان فذلك المسكين لتحققه أن العزة لله وإن عزته هي الظاهرة في كل عزيز وهذه معرفة نبوية يقول تعالى "أما من استغنى فأنت له تصدّى" فعند المحققين ضمير له لله وإن كانت الآية جاءت عتباً ولكن في حق فهم العرب ونحن مع شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوقه ومرتبته فإن العارفين منا ولهم هذا المقام حسنة من حسنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبالي بذاك العزيز فنقول أنه ممن أشقاه الله بعزه فإن هذا المسكين ما ذل إلا للصفة وهذه الصفة لا تكون إلا لله عنده حقيقة لم تدنسها الاستعارة قط فهذا المسكين لم ير بعينه إلا الله إذ كان لا يرى العزة إلا عزته تعالى لا بعينه ولا بقلبه ونظر إلى ذلة كل ما سواه تعالى بالعين التي ينبغي أن ينظر إليهم بها فتخيل المخلوق الموصوف عند نفسه بالعزة أنه ذل هذا المسكين لعزه وإنما كان ذلك للعز خاصة والعز ليس إلا لله فوق المقام حقه فمثل هذا هو المسكين الذي يتعين له إعطاء الصدقة والعاملين عليها العامل المرشد إلى معرفة هذه المعاني والمبين لحقائقها والمعلم والأستاذ والدال عليها وهو الجامع لها بعلمه من كل من تجب عليه فله منها على قدر عمالته وليس الأمر في حقه منها إلا كما قدمناه والأولى بالمرشد أن يقول ما قالت الرسل إن أجري إلا على الله فقد يكون هذا القدر الذي لهم من الزكاة الإلهية فلهم أخذ زكاة الاعتبار لا زكاة المال فإن الصدقة الظاهرة على الأنبياء حرام لأنهم عبيد والعبد لا يأخذ الصدقة من حيث ما تنسب إلى الخلق فاعلم ذلك والمؤلفة قلوبهم فهم الذين تألفهم الإحسان على حب المحسن لأن القلوب تتقلب فتألفها هو أن تتقلب في جميع الأمور كما تعطى حقائقها ولكن لعين واحدة وهي عين الله فهذا تألفها عليه لا تملكها عيون متفرّقة لتفرق الأمور التي تتقلب فيها فإن الجداول إذا كانت ترجع إلى عين واحدة فينبغي مراعاة تلك العين والتألف بها فإنه إن أخذته الغفلة عنها ومسكت تلك العين ماءها لم تنفعه الجداول بل يبست وذهب عينها وإذا راعى العين وتألف بها تبحرت جداولها واتسعت مذانبها وفي الرقاب فهم الذين يطلبون الحرّية من رق كل ما سوى الله فإن الأسباب قد استقرت رقاب العالم حتى لا يعرفوا سواها وأعلاهم في الرق الذين استرقتهم الأسماء الإلهية وليس أعلى من هذا الاسترقاق إلا استرقاق أحدية السبب الأوّل من كونه سبباً لا من حيث ذاته ومع هذا فينبغي لهم أن لا تسترقهم الأسماء لغلبة نظرهم إلى أحدية الذات من كونه ذاتاً لا من كونها إلهاً ففي مثل هذه الرقاب تخرج الزكاة والغارمين هم الذين أقرضوا الله قرضاً حسناً عن أمره وهو قوله عز وجل آمراً وأقرضوا الله قرضاً حسناً فالقرض ثالث ثلاثة ولكن ما عين ما تقرضه كما لم يعين ما تزكيه كما لم يعين صلاة بعينها فعمت كل صلاة أمرنا بإقامتها وكل زكاة وكل قرض إلا أنه نعت قرضاً بقوله حسناً مع تأكيده بالمصدر وسبب ذلك أن الصلاة والزكاة العبد فيهما عبد اضطرار وفي القرض عبد اختيار فمن الناس من أقرض الله قرض اختيار وهو الذي لم يبلغه الأمر به وبلغه إن تقرضوا الله أو قوله "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً" فيأخذ الزكاة الغارم الأول الذي أعطى على الوجوب الصدقة بحكم الوجوب أي أنها تجب له ويأخذها الثاني باختيار المصدق حيث ميزه دون غيره ولاسيما في مذهب من يرى في عدد هؤلاء الأصناف أنه حصر المصرف في هؤلاء المذكورين أي لا يجوز أن تعطى

لغيرهم فإذا أعطيت لنصف منهم دون صنف فقد برئت الذمة وهي مسئلة خلاف فهذا المقرض بآية "من ذا الذي يقرض ه" وأن تقرضوا الله لا يأخذها بحكم الوجوب والمقرض بآية الأمر يأخذها بحكم الوجوب لأن المأمور أدّى واجباً فجزاؤه واجب وكان حقاً علينا نصر المؤمنين فإن الإيمان واجب فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون

الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون وهذه كلها واجبات فأوجب الجزاء بالرحمة لهم بلا شك وفي سبيل الله فيمكن أن يريد المجاهدين والإنفاق منها في الجهاد فإن العرف في سبيل الله عند الشرع هو الجهاد وهو الأظهر في هذه الآية مع أنه يمكن أن يريد بسبيل الله سبل الخير كلها المقرّبة إلى الله فأما هذا الصنف بحكم ما يقتضيه الطريق فسبيل الله ما يعطيه هذا الاسم الذي هو الله دون غيره من الأسماء الحسنى الإلهية فيخرجها فيما تطلبه مكارم الأخلاق من غير اعتبار صنف من أصناف المخلوقين كرزق الله عباده بل ما تقتضيه المصلحة العامة لكل إنسان بل لكل حيوان ونبات حتى الشجرة يراها تموت عطشا فيكون عنده بما يشتري لها ما يسقيها به من مال الزكاة فيسقيها بذلك فإنه من سبيل الله ولا قائل بهذا وإن أراد المجاهدين فالمجاهدون معلومون بالعرف من هم والمجاهدون أنفسهم أيضاً في سبيل الله فيعاونون بذلك على جهاد أنفسهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يريد جهاد النفوس ومخالفتها في أغراضها الصارفة عن طريق الله تعالى وابن السبيل وأبناء السبيل معلومون وهم في الاعتبار أبناء طريق الله لأن الألف واللام للتعريف فهما بدل من الإضافة ونصيب هؤلاء من الزكاة التي هي الطهارة الإلهية التي ذكرناها فيما قبل وصل متمم ثم لتعلم وفقك الله أن الأمور التي يتصرّف فيها الإنسان حقوق الله كلها غير أن هذه الحقوق وإن كانت كثيرة فإنها بوجه ما منحصرة في قسمين قسم منهما حق الخلق لله وهو قوله صلى الله عليه وسلم "إن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً" والقسم الآخر حق الله لله وهو قوله صلى الله عليه وسلم "لي وقت لا يسعني فيه غير ربي وهذا الحق الذي لله هو زكاة الحقوق التي للخلق لله وهذه الحقوق بجملتها في ثمانية أصناف العلم والعمل وهما بمنزلة الذهب والفضة ومن الحيوان الالروح والنفس والجسم في مقابلة الغنم والبقر والإبل ومن النبات الحنطة والشعير والنمر وفي الاعتبار ما تنبته الأرواح والنفوس والجوارح من العلوم والخواطر والأعمال الغنم للروح والبقر للنفس والإبل للجسم وإنما جعلنا الغنم للأرواح لأن الله جعل الكبش قيمة روح نبيّ مكرّم فقال وفديناه بذبح عظيم فعظمه وجعله فداء ولد إبراهيم نبيّ ابن نبيّ فليس في الحيوان بهذا الاعتبار أرفع درجة من الغنم وهي ضحايا هذه الأمة ألا تراها أيضاً قد جعلت حق الله في الإبل وهو في كل خمس ذود شاة وجعلت مائة من الإبل فداء نفس ليس برسول ولا نبيّ فانظر أين مرتبة الغنم من مرتبة الإبل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصلاة في مرابض الغنم والصلاة قربة إلى الله وأماكنها مساجد الله فمرابض الغنم من مساجد الله فلها درجة القربة والإبل ليست لها هذه المرتبة وإن كانت أعظم خلقاً ولهذا جعلناها للأجسام ألا ترى أنه من أسمائها البدنة والجسم يسمى البدن والبدن من عالم الطبيعة والطبيعة بينها وبين الله درجتان من العالم وهما النفس والعقل فهي في ثاث درجة من القربة فهي بعيدة عن القرب الإلهيّ ألا ترى النبيّ صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في معاطن الإبل وعلل ذلك بكونها شياطين والشيطنة البعد يقال ركية شطون إذا كانت بعيدة القعر والصلاة قرب من الله والبعد يناقض القرب فنهى عن الصلاة في معاطن الإبل لما فيها من البعد وكذلك الجسم الطبيعيّ أين هو من درجة القربة التي للروح وهو العقل فإنه الموجود الأوّل وهو المنفوخ منه في قوله ونفخت فيه من روحي فلهذا جعلنا الروح بمنزلة الكبش والجسم بمنزلة الإبل وأما كون البقر في مقابلة النفوس وهي دون الغنم في الرتبة وفوق الإبل كالنفس فوق الجسم ودون العقل الذي هو الروح الإلهيّ وذلك أن بني إسرائيل لما قتلوا نفساً وتدافعوا فيها أمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا

الميت ببعضها فيحيى بإذن الله فلما حيى به نفس الميت عرفنا أن بينها وبين النفس نسبة فجعلناها للنفس ثم إن الروح الذي هو العقل يظهر عنه مما زرع الله فيه من العلوم والحكم والأسرار ما لا يعلمه إلا الله وهذه العلوم كلها منها ما يتعلق بالكون ومنها ما يتعلق بالله وهو بمنزلة الزكاة من الحنطة لأنها أرفع الحبوب وإن النفس يظهر عنها مما زرع الله فيها من الخواطر والشهوات ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهذا

نباتها وهو بمنزلة التمر وزكاة الله منها الخاطر الأوّل ومن الشهوات الشهوة التي تكون لأجل الله وإنما قرناها بالتمر لأن النخلة هي عمتنا فهي من العقل بمنزلة النخلة من آدم فإنها خلقت من بقية طينته وأما الجوارح فزرع الله فيها الأعمال كلها فأنبتت الأعمال وحظ الزكاة منها الأعمال المشروعة التي يرى الله فيها فهذه ثمانية أصناف تجب فيها الزكاة فأما العلم الذي هو بمنزلة الذهب فيجب فيها ما يجب في الذهب وأما العمل الذي هو بمنزلة الفضة فيجب فيه ما يجب في الورق وأما الروح فيجب فيه ما يجب في الغنم وأما النفس فيجب فيها ما يجب في البقر وأما الجوارح فيجب فيها ما يجب في الإبل وأما ما ينتجه العقل من المعارف وينبته من الواردات فيجب فيه ما يجب في التمر وأما ما تنتجه الجوارح من الأعمال وتنبته من صور الطاعات وغيرها فيجب فيه ما يجب في الشعير وصل في اعتبار الأقوات بالأوقات اعلم أن الأوقات في طريق الله للعماء العاملين بمنزلة الأقوات لمصالح الأجسام الطبيعية وكما أن بعض الأقوات هو زكاة ذلك الصنف كذلك الوقت الإلهيّ هو زكاة الأوقات الكيانية فإن في الوقت أغذية الأرواح كما أن في الأقوات أغذية الأشباح الحيوانية والنباتية وغذاء الجوارح الأعمال والعلم والعمل معدنان بوجودهما تنال المقاصد الإلهية في الدنيا والآخرة كما أن بالذهب والفضة تنال جميع المقاصد من الأعراض والأغراض فلنبين ما يتعلق بهذا النوع وهذه الأنواع من حق الله الذي هو الزكاة وصل في مقابلة وموازنة الأصناف الذين تجب لهم الزكاة بالأعضاء المكلفة من الإنسان وهم الفقراء يوازنهم من الأعضاء الفرج ويوازن المساكين البطن ويوازن العاملين القلب ويوازن ابن السبيل بالرجل فإن اعتبرت هذه الموازنة بين هؤلاء الأصناف وبين هذه الأعضاء على ما ذكرناه تجد حكمة ما أشرنا إليه فالفقر في الفرج واضح وكذلك المسكنة في البطن ظاهر والعامل بالقلب صريح والمؤلفة قلوبهم بالسمع بين والرقاب بالبصر واقع والغارم باليد إفصاح والمجاهد باللسان صحيح وابن السبيل بالرجل أوضح من الكل.

وصل في معرفة المقدار كيلاً ووزناً وعدداً

خرّج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمس أواق صدقة يريد من الورق فجعل الوسق في الحبوب وهي النبات وهو مكيال معروف وهو ستون صاعاً فالخمسة الأوسق ثلاثمائة صاع وهو ما ينبته التخلق بالأسماء أعني الأخلاق الإلهية من الأخلاق في الإنسان لأنا قد روينا أن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة وكلها أخلاق يصرفها الإنسان مع المخلوقات ومع من ينبغي أن تصرف معه على حدّ أمر الله والزكاة منها هو الخلق الذي يصرفه مع الله فإنه أولى من يتخلق معه فإنه من المحال إن يبلغ الإنسان بأخلاقه مرضاة العالم وإيثار جناب الله أولى وهو أن يتخلق مع كل صنف بالخلق الإلهيّ الذي صرفه الله معه فيكون موافقاً للحق وقوله ولا فيما دون خمسأواق صدقة والأوقية أربعون درهماً والأربعون في الأوقية نظير الأربعين صباحاً من أخلصها ظهرت ينابيع

الحكمة من قلبه على لسانه فإذا ظهرت من العبد في خمسة أحوال كما هي في الزكاة خمس أواق حال في ظاهره له أوقية وهو إخلاص ظاهر وحال في باطنه مثله وحال في حدّه مثله وحال في مطلعه مثله وحلا في المجموع مثله فهذه خمسة أحوال مضروبة في أربعين يكون الخارج مائتين وهو حدّ النصاب فيها خمسة دراهم من كل أربعين درهماص درهم وهو ما يتعلق بكل أربعين من التوحيد المناسب لذلك النوع ومقادير المعاني والأرواح أقدار من قوله وما قدروا الله حق قدره ومقادير المحسوسات من الأعمال أوزان وبالأوزان عرفت الأقدار.

وصل في توقيت ما سقي بالنضح وما لم يسق به

ذكر البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقى بالنضح نصف العشر وما لم يسق بالنضح العشر واعتباره أعمال المراد وأعمال المريد فالمريد مع نفسه لربه فيجب عليه نصف العشر وهو أن يزكي من علمه ما ظهرت فيه نفسه والمراد مع ربه لا مع نفسه فيجب عليه العشر وهو نفسه كله فإنه لا نفس له لرفع التعب عنه وكذلك اعتباره في العلم الموهوب والعلم المكتسب لم يخلص لله منه إلا نصفه والموهوب كله لله والكل عبارة عن قدر الزكاة لا غير وهو ما ينسب إلى الله من ذلك العلم أو العمل وما ينسب إلى العبد من حيث حضور العبد مع نفسه في ذلك العلم أو العمل.

وصل في إخراج الزكاة من غير جنس المزكى

في كل خمس ذود من الإبل شاة اعتباره ألا لله الدين الخالص فزكاة الأعمال الإخلاص والإخلاص ليس بعمل لافتقاره إلى الإخلاص وهو النية.

وصل في فصل الخليطين في الزكاة

ذكر الدارقطنيّ عن سعد بن أبي وقاص عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال الخليطان ما اجتمعا على الحوض والراعي والفحل وصل الاعتبار في ذلك قوله تعالى وتعاونوا على البرّ والتقوى فالمعاونة في الشيء اشتراك فيه وهذا معنى الخليطين فالحوض كل عمل أو علم يؤدّي إلى حياة القلوب فيستعينا عليه بحسب ما يحتاج كل واحد منهما من صاحبه فيه وهو في الإنسان القلب والجارحة خليطان فالجارحة تعين القلب بالعمل والقلب يعين الجارحة بالإخلاص فهما خليطان فيما شرعا فيه من عمل أو طلب علم وأما الراعي فهو المعنى الحافظ لذلك العمل وهو الحضور والاستحضار مثل الصلاة لا يمكن أن يصرف وجهه إلى غير القبلة ولا يمكن أن يقصد بتلك العبادة غير ربه وهذا هو الحفظ لتلك العبادة والقلب والحس خليطان فيه وأما الفحل فهو السبب الموجب لما ينتجه ذلك العلم أو العمل عند الله من القبول والثواب فهما شريكان في الأجر فتأخذ النفس ما يليق بها مما يعطيه العلم ويأخذ الحس الذي للجسم ما يليق به من حسن الصورة في الدار الآخرة والمعنى الذي أنتج لهما هذا هو الفحل وهما فيه خليطان.

وصل فيما لا صدقة فيه من العمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في العوامل صدقة ولا في الجبهة صدقة خرّج هذا الحديث الدارقطنيّ عن علي رضي الله عنه والعوامل هي الإبل التي يعمل عليها والجبهة الخيل وقد تقدم كلام الزكاة في الخيل وصل الاعتبار في ذلك إلهياً كل عوامل الأرواح لأنها عليها تعمل ما كلفت من العمل وبها يقع العمل منها ولا زكاة على العامل في بدنه وإنما الزكاة على الروح العامل بها وزكاته قصده وتقواه وهو الإخلاص لله في ذلك العمل قال الله تعالى "لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم"

وصل في فصل إخراج الزكاة من الجنس

خرّج أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فقال خذ الحب من الحب والشاة من الغنم والبعير من الإبل والبقر من البقر وصل الاعتبار في ذلك زكاة الظاهر ما قيده به الشرع من الأعمال الواجبة التي لها شبه في المندوب ففريضة الصلاة زكاة النوافل من الصلاة فإنها الواجبة أو صلاة ينذرها الإنيان على نفسه أو أيّ عبادة كانت وكذلك في الباطن زكاة من جنسه وهو أن يكون الباعث له على العبادة خوف أو مع والزكاة في الباعث الباطن من ذلك إن تكون ما تستحقه الربوبية من امتثال أمرها ونهيها لا رغبة ولا رهبة إلا وقاص.

وصل في ذكر ما لا يؤخذ في الصدقة

ذكر أبو داود في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الغنم إلا أن يشاء المصدق وصل الاعتبار في ذلك الهرمة مثل قوله تعالى "وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى" وقال "ليصل أحدكم نشاطه" ولا ذات عوار وهو العمل بغير نية أو نية بغير عمل مع التمكن من العمل وارتفاع المانع وأما مشيئة المصدق في تيس الغنم فاعتباره أن لا يجحف على صاحب المال وهو الحضور في العمل من أوله إلى آخره فربما يقول لا يقبل العمل إلا هكذا ويكفي في العمل النية في أول الشروع ولا يكلف المكلف أكثر من هذا فإن استحضر المكلف النية في جميع العمل فله ذلك وهو مشكور عليه حيث أحسن في عمله وأتى بالأنفس في ذلك والجامع لهذا الباب اتقاء ما يشين العبادات مثل الالتفات ففي الصلاة والعبث فيها والتحدث في الصلاة في النفس بالمحرّمات والمكروهات وتخيلها وأمثال هذا مما هو مثل الجعرور ولون الحبيق في زكاة التمر وأمثال ذلك من العيوب.

وصل في فصل زكاة الورق

قد تقدم أن الورق هو العمل وأن الذهب هو العلم والزكاة في العمل الفرض منه والزكاة في العلم أيضاً الفرض منه فإن نوافل الأعمال والعلوم كثيرة وهي التي زكاتها الفرائض لكون الزكاة واجبة وما كان من النوافل صدقة تطوّع فهي حضور العبد في ذلك العمل من الشروع فيه إلى آخره وزكاة أخرى أعني زكاة تطوّع وهو أن يقصد بعمله ذلك تكملة الفرائض فإنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل لعبدي من تطوّع فإن كان له تطوّع قال الله اكملوا لعبدي فريضته من تطوّعه قال ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم يعني

الزكاة والصوم والحج وما بقي من الأعمال الواجبة عليه فإما أن يقصد بعمله تلك النافلة تكملة الفرائض أو تعظيم جناب الحق بدخوله في عبودية الاختيار لا يحمله على ذلك طمع في جنة ولا خوف من نار.

وصل في فصل زكاة الركاز

خرّج مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الركاز الخمس وهو ما يوجد من المال في الأرض من دفن الجاهلية أو الكفار وصل الاعتبار في ذلك ما هو مركور في طبيعة الإنسان هو الركاز وهو حب الرياسة والتقدّم على أبناء الجنس وجلب المنافع ودفع المضار والخمس فيه إذا وجد الرياسة في قلبه فليقصد بها إعلاء كلمة الله على كلمة الذين كفروا كما هي في نفس الأمر فإن في نفس الأمر كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والكفر هنا هو الشرك لا غيره وكما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخيلاء في الحرب في شأن أبي دجانة حين أخذ السيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقه فمشى به مصلتاً خيلاء بين الصفين فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصورة قال هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن وزكاها ما ذكرناه من قصد إهانة الكفار والحط من قدرهم وإعلاء كلمة الله التي هي الإسلام وعدم المبالاة بالمشركين وكذلك جلب المنافع ودفع المضار فزكاة جلب المنافع أن يقصد بالمنفعة المعونة له على القيام بطاعة الله من نوم أو أكل أو شرب أو راحة أو ادّخار مال وأمثال ذلك وأما دفع المضاران لا يدفعها إلا من أجل أنها تحول بينه وبين ما يريده من إقامة طاعة الله ودينه وما يؤول إليه من السعادة في الآخرة فذلك خمس ركازها فإن قلت كيف بضرّ بدينه فأعني به إن لم يدفع تلك المضرّة عن نفسه وإلا حالت بينه وبين أداء فرض من فرائض الله أو حالت بينه وبين أسباب الخير فدفعها خمس ركازها ما في جبلتها من دفع مضار لا تؤدّي إلى تعطيل فرض تعين عليه أداؤه أو مرغب فيه وقد سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الركاز فقال هو الذهب الذي يخلق الله في الأرض يوم خلق السموات والأرض يعني المعادن.

وصل في فصل من رزقه الله مالاً
من غير تعمل فيه ولا كسب

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في حصول مثل هذا المال لا زكاة فيه حتى يحول عليه الحول وهو في يده وجه اعتبار ذلك ما يظهر على العبد من مكارم الأخلاق مما لا يأتيها على جهة القربة إلى الله فإنه ينتفع بذلك في الدار الآخرة ولا يلزمه أن ينوي بها القربة إلى الله ولابدّ ولكن بلا خلاف إن نوى بذلك القربة فهو أولى وأفضل في حقه والحديث الوارد في ذلك ما ذكره أبو داود عن ضباعة بنت الزبير قالت ذهب المقداد لحاجته فإذا جرذ يخرج من جحر دينارً ثم لم يزل يخرج ديناراً ديناراً حتى أخرج سبعة عشر ديناراً ثم أخرج خرقة حمراء فيها دينار فكانت تسعة عشر ديناراً فذهب بها إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال له خذ صدقتها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قربت الجحر قال لا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيها.

وصل في فصل زكاة المدبر

قال الراوي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة مما نعده للبيع وصل في الاعتبار فيه إذا حدث الإنسان نفسه في نفسه بأن يعمل خيراً أو يأتي خلقاً كريماً من مكارم الأخلاق فلينو بما حدث به نفسه من ذلك القربة إلى الله.

وصل في فصل الصدقة قبل وقتها

وقال به بعض الأئمة لحديث أبي داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن العباس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له وقال مرّة فأذن له تكلم في هذا الحديث ولو صح فهي رخصة في قضية عين لا يقاس عليها وصل في اعتبار ذلك نية الصلاة الواجبة على المكلف لا تجب إلا عند الشروع فيها فإن نواها الإنسان قبل ذلك من حين شروعه في الوضوء ثم استصحب النية إلى أن شرع في الصلاة جاز له ذلك وحصل على خير كثير ولكن لا تجزيه الصلاة المقيدة بالوقت قبل دخول الوقت إلا في مذهب من يرى الجمع بين الصلاتين في أوّل الوقت فلا يبعد أن يجوز تعجيل الصدقة والاسترواح في مثل هذا من قوله "أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون" ومثاله أيضاً في الاعتبار من جاز له النظر إلى المخطوبة فامتنع من ذلك حياء من الله وحذراً أن يزيد في النظر على قدر الحاجة فلم يفعل حتى عقد عليها وعندي في النظر إلى المخطوبة تقسيم وهو إن كانت المخطوبة من ذرية الأنصار و لم ينظر إليها قبل العقد فهو عاص وإن نظر إلى وجهها قبل العقد كان نظره قربة إلى الله وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وأما غير الأنصارية فلا وإن نظر فهو أولى إذا خطب وأما ما ذكرناه من الجمع بين الصلاتين إذا ضم الثانية إلى الأولى فهو في الباطن أن يجد في البسملة روح الفاتحة أو السورة التي يريد قراءتها فإنّ البسملة في كل سورة مفتاحها.

وصل في فصل زكاة الفطر

اختلف العلماء في حكم زكاة الفطر فمن قائل إنها فرض ومن قائل إنها سنة ومن قائل إنها منسوخة بالزكاة اعتبار الفطر الحمد لله فاطر السموات والأرض أو لم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما والفطر الفتق ومنه كل مولود يولد على الفطرة وأوّل ما فتق الله أسماع المكوّنات في حال إيجادها وهي حالة تعلق القدرة بين العدم والوجود بقوله كن فتكوّنوا بأنفسهم عند هذا الخطاب امتثالاً لأمر الله وتلك كلمة الحضرة وأوّل ما فتق أسماعهم به وهم في الوجود الأوّل قوله ألست بربكم فقالوا بلى فهذا خصوص بالبشر والتكوين عموم وأوّل ما فتق به ألسنتهم بقولهم بلى وأول ما فتق معي الصائمين ما أكلوه يوم عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلى وأول ما فتق به معي أهل الجنة أكلهم زيادة كبد النون فينبغي للعبد في صدقة الفطر يوم العيد أنّ الصفة الصمدانية لا تنبغي إلا لله تعالى فإنّ الصوم لله لا للعبد وهذه الزكاة فرض على كل إنسان حرّ أو عبد صغير أو كبير ذكر أو أنثى أن يعرف ما تستحقه الربوبية من صفة الصمدانية ثم إنها لا تجزي عندنا إلا من التمر والشعير غير ذلك لا يجزي فيها وعند الجمهور من العلماء تجوز من المقتات به وهي مسئلة خلاف والقوت ما تقوم به هذه النشأة الطبيعية وقوت الأرواح ما تتغذى به من علوم الكشف أو الإيمان خاصة فإن بهذا القدر من العلم تقوم نشأة الأرواح الناطقة وزكاتها علم الكشف خاصة.

وصل في فصل وجوبها على الغنيّ والفقير

والحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير

أوجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل اثنين صغير أو كبير اعتباره متعلم وعا لم وقوله حرّ أو عبد اعتباره من تحرّر عن رق الأكوان فكان وقته شهوده كونه حرّاً عنها أو عبداً من كان وقته شهود العبودية من غير نظر إلى الأكوان وقوله ذكر أو أنثى اعتباره في الذكر العقل وفي الأنثى النفس ويعتبر فيهما أيضاً في الذكر الناظر في العلم الإلهيّ وفي الأنثى الناظر في علم الطبيعة فنسب كل ناظر إلى مناسبه من جهة ما هو ناظر فيه وقوله غنيّ أو فقير اعتباره غنيّ بالله أو فقير إلى الله وقوله صاعاً من تمر الصاع أربعة أمداد نشأته صاعه من أربعة أخلاط لكل ركن أو خلط مدّ لكمال نشأته روحاً وعقلاً وجسماً ومرتبة ثم شهوده فيها الأربع النسب التي يصف بها ربه في إيجاد عينه وأصول كونه من حياة وعلم وإرادة وقدرة لكل صفة مدّ ليكون الجملة صاعاً إذ بهذه النسب يصح كونه رباً وكونك مربوباً عبداً له تعالى.

وصل في فصل إخراج زكاة الفطر

عن كل من يمونه الإنسان

ذكر الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر عن الصغير والكبير والحرّ والعبد ممن تموتون وصل الاعتبار في ذلك الأستاذ يقصد بالتلميذ في التربية ما لا يبلغه علم التلميذ حتى يحصل له ما قصده به الشيخ من الفائدة فذلك زكاة تعليمه فإن فضل ذلك المنوي يعود على التلميذ فكان التلميذ أعطاه الأستاذ لما يعود عليه من الفضل فقد يفتح على الأستاذ بصدق التلميذ فيما ليس عنده وينجرّ في هذه المسئلة الولي يزكي مال اليتيم الذي في حجره وتحت نظره.

وصل في فصل إخراجها عن اليهودي والنصراني

ذكره أبو الحسن الدارقطني رحمه الله في كتابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني إخراج زكاة الفطر عن اليهودي والنصراين الاعتبار في ذلك نية الخير في العمل فيمن ليس من جنسك يعود فضله عليك وأنا مؤمن بما هو اليهودي والنصراني به مؤمن مما هو حق في دينه وفي كتابه من حيث إيماني بكتابي قال تعالى "والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله فمن هناك يخرجها عنه فإني ممن أمونه أيضاً فإنّ كتابي يتضمن كتابه وديني يتضمن دينه فدينه وكتابه مندرج في كتابي وديني النفس إذا أشركت في العمل طلب حظها فهي بمنزلة اليهودي والنصراني اللذين يقولان إن عزيراً ابن الله والمسيح ابن الله ويجب على المؤمن إخراج الزكاة عنها وهي بهذه الصفة فإن النبيّ عليه السلام قام إلى جنازة يهودية وقال أليست نفساً فهذا اعتبار إخراج الزكاة عن اليهودي والنصراني هذا إذا اعتبرت المعنى فإذا اعتبرت اشتقاق اللفظ من النصرة والهدى فالزكاة عنهما القصد بها وجه الله لا غير ذلك انتهى الجزء الثاني والخمسون.

الجزء الثالث والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل وقت إخراج زكاة الفطر

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن تؤدّى قبل خروج الناس إلى المصلى الاعتبار في ذلك المسارعة في إيصال الراحات إلى المفتقرين إليها وحينئذ يخرج إلى المصلى وهو قوله قدّموا بين يدي نجواكم صدقة والمصلي يناجي ربه وهو خارج إلى المصلي فذلك خير له وأطهر.

وصل في فصل المتعدي في الصدقة

قال الراوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المتعدي في الصدقة كمانعها خرّجه أبو داود الاعتبار في ذلك لنفسك عليك حق ولعينك عليك حق فإذا كلفتها فوق طاقتها أعللتها فأدّى ذلك إلى تعطيل خير كثير فكنت بمترلة المانع من الخير في عين ما تريده من الخير وأنت تعلم أن النفس إنما هي بهذه الجوارح فإذا تعطلت الآلات وضعفت عن العمل بحملها الأوّل على الشدائد من العمل كنت كالمانع عن العمل ولنا في هذا المعنى:

ما يفعل الصنع التحرير في شغل آلاته أذنت فيه بإفساد

والزيادة في الحد نقص من المحدود.

وصل في فصل زكاة العسل

ذكر الترمذيّ عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العسل في كل عشرة ازقاق زق الاعتبار في ذلك العلم الذي يأخذه الولي من طريق الوحي مما يتعلق بالغير يجب عليه إذاعته لأهله فإنه من أجلهم أعطيه وإنما خصصناه بالوحي دون غيره من الصفات إذ صفات تحصيل العلم كثيرة لأنا شبهناه بالعسل وهو نتيجة وحي قال تعالى "وأوحى ربك إلى النحل" فزكاته تعليمه.

وصل في فصل الزكاة على الأحرار لا على العبيد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ليس في مال المكاتب زكاة حتى يعتق ذكره الدارقطنيّ من حديث جابر الاعتبار في ذلك كما لا يجوز للعبد أن يأخذ الصدقة قيل ولهذا منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقة لتحققه بعبوديته فلم يخرج منه صلى الله عليه وسلم شيء في حركة ولا سكون يكون به حرّاً بغفلة ولا غير غفلة جملة واحدة واجتبى آله عناية به في هذا الحكم فكذلك لا يجب في ماله زكاة حتى يكون حرّاً فإنّ العبد لا يملك مع سيده وعلة الزكاة على الحر دعوى الملك والعبد لا دعوى له في شيء العبد عين قيمته وهو ثمنه الذي اشترى به فكما لا يتصوّر في ثمنه دعوى ولا إباية فيما يريده السيد من التصرّف فيه كذلك العبد

وكل عبد لم يكن نظره في ثمنه في معاملة سيده فلا تحقق له في عبوديته ولا معرفة له بنفسه هذا مذهب الطائفة بلا خلاف وإذا كان العبد مع سيده بهذه المثابة غاب العبد وظهر السيد فإنّ أصل الظهور الدعوى ويكون السيد في هذه الحال يقوم عند الغير بصفة العبد تشريفاً للعبد وهو قوله تعالى "جعت فلم تطعمني ومرضت فلم تعدني" وهما من صفة العبيد الجوع والمرض وكذا قال الله في الجواب مرض فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده فالله عند عبد هذه صفته والعبد إذا كانت هذه صفته كان عند ربه فافهم.

وصل في فصل أين تؤخذ الصدقات

خرّج أبو داود عن النبيّ صلى الله عليه وسلم إن الصدقة لا تؤخذ إلا في دورهم اعتباره دار الإنسان جسمه وأخذ الصدقات من الأرواح الإنسانية إنما هو في الدار الآخرة فلابد من حشر الأجسام فإنه لا تؤخذ الصدقات ممن وجبت عليه إلا في داره وليس لأرواح الأناسيّ ديار إلا أجسامهم.

وصل في فصل أخذ الإمام شطر مال

من لا يؤدّي زكاة ماله بعد أخذ الزكاة منه

ذكر أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث أخذ الزكاة ومن منعها فأنا آخذها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا الحديث اعتباره ما يملكه الإنسان من أعماله ينقسم قسمين قسم يختص بنفسه وقسم يختص بجوارره والزكاة التي تجب عليه في عمله هو ما فرض الله عليه من أعماله مندوبها ومباحها فإذا لم يؤدّ زكاة ماله نظر الله في أعماله التي عملها في الوقت الذي وجب عليه فيه أداء فرض الله فإن كان من مكارم الأخلاق لم يجازه عليها بما يستحقه من الثواب ومسك ذلك الثواب عند عن زكاة عمل وقته وإن كان من سفسافها ضاعف عليه الوزر فإنه صاحب عمل مذموم في حال تركه لأداء ما وجب عليه فجمع بين أمرين مذمومين عمل وترك وإن كان في فعل مباح أخذ بترك الواجب خاصة وأما أخذ شطر عمله فهو الشطر الذي يتصوّر فيه الدعوى وهو العمل فإن التكليف ينقسم إلى عمل وترك فالترك لا دعوى فيه فيتقي العمل فيأخذه الحق منه بالحجة بأن الله هو الفاعل لذلك العمل فإذا كوشف بهذا لم يبق له على ما يطلب جزاء إذ الجزاء من كونه عاملاً وقد تبين له إن العامل هو الله فيبقى في الحيرة إلى أن يمتنّ الله عليه إما بعد العقوبة أو قبل العقوبة فيغفر له فهذا شطر ماله الذي يؤخذ منه في الدار الآخرة حيث يتصوّر الحساب.

وصل في فصل رضى العامل على الصدقة

ذكر الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن أنس قال أتى رجل من بني سليم فقال يا رسول الله إذا أدّيت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إذا أدّيتها إلى رسولي فقد برئت منها ولك أجرها وإثمها على من بدلها وذكر أبو داود من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيأتيكم ركب مبغضون فإذا جاؤكم فرحبوا بهم وخلوا بينهم وبين ما يبتغون فإن عدلوا فلأنفسهم وإن ظلموا فعليها وارضوهم فإن تمام زكاتكم رضاهم وليدعوا لكم وفي حديثه أيضاً عن بشير بن الخصاصية قال فقلنا يا رسول الله إن أصحاب الصدقة يعتدون علينا أفنكتم من أموالنا بقدر ما يعتدون علينا قال

لا وصل الاعتبار في ذلك المصدّق هو الوقت ورضاه أن يوفى له بما يقتضيه حاله مما جاء به وإن جاء بشدّة وقهر مثل ما يجد الإنسان من خاطر في عمل من الأعمال أي من أعمال الخير إلا أنه شاق ربما أدّى إلى تلف فكان أبو مدين رضي الله عنه يقول فيه الدية على القاتل قال تعالى في المهاجر ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وصورة التعدّي فيه إن الله قد جعل لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً فاعتديت عليك في ذلك وهو قوله في المصطفين فمنهم ظالم لنفسه فالمتعدي هو الوقت وهو الخاطر الذي يخطر بما خطر وهو المتعدي وهو العادل.

وصل في فصل المسارعة بالصدقة

فإن مسلم بن الحجاج ذكر في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تصدّقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيها لو جئتنا بها بالأمس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لي بها فلا يجد من يقبلها وصل الاعتبار في ذلك المسارعة بالتوبة وهي من الفرائض فإن أخرها إلى الاحتضار لم تقبل وهنا مسئلة دقيقة القليل من أصحابنا من يعثر عليها وهي أن المراد قد يكون غير تائب فيكون له كشف من الله عناية به فيكون أوّل ما يكشف له إن الله هو خالق كل شيء فلا يرى لنفسه حركة ظاهرة وباطنة ولا عملاً ولا نية ولا شيأ إلا لله ليس بيده من الأمر شيء فهل تتصوّر منه توبة في هذه الحال أم لا وهو يرى أنه مسلوب الأفعال وإن تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فإنّ شمس الحقيقة قد طلعت له هنا من مغرب قلبه بصحة علمه وهذا من أصعب الأحوال على قلب المراد المجذوب فإن قبول التوبة وقبول العمل إنما هو مع الحجاب حجاب إضافة العمل إليك وهنا ما خرج شيء عنه حتى يقبله بل هو في يديه والقبول لا يكون إلا من الغير فاعلم أن نسبة الناظر ما هي نسبة العامل فالناظر يقبل من العامل والعامل هو المتصرّف في هذه الذات التي هي محل ظهور العمل أي عمل كان فتتصوّر التوبة من صاحب هذا الكشف ويكون الله هو التوّاب هنا وهذا أقصى مشهده فليسارع إلى الطاعات على أيّ حال كان ولا يتوقف فإنّ الأنفاس ليست له ولا تكليف إلا هنا ويوم القيامة إذ يدعون إلى السجود سجود تمييز لا سجود ابتلاء فيتميز في دعاء الآخرة إلى السجود من سجد لله ممن سجد اتقاء ورياء وفي الدنيا لم يتميز لاختلاط الصور.

وصل في فصل ما تتضمنه الصدقة
من الأثر في النسب الإلهية وغيرها

فمن ذلك قوله تعالى "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه" وخرّج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفا" فانظر يا أخر كيف جعل هويته خلفاً من نفقتك وإنك أحييت من تصدّقت عليه فأحياك الله به حياة أبدية لأنه إن لم يكن الحق حياتك فلا حياة فإن قلت لو كان ذلك النصب الياء ورفع اللام قلنا الهوية عين الذات والهوية تخلف الشيء المتصدق به باسم إلهيّ تكون به حياة ذلك المنفق وأسماؤه ليست غيره ولكن هكذا تقع العبارة عنها لما يعقل في ذلك من اختلاف النسب وكلامنا في هذه المعاني إنما هو مع أصحابنا الذين قد علموا ما نقول ونشير به إليهم على ما تقرّر عندنا في الاصطلاح في ذلك فالأجنبيّ لا يقبل

اعتراضه ألا ترى الملك يقول اللهم أعط منفقاً خلفاً مع أنه وعد بالخلف ووعده صدق والإنفاق هنا من الهلاك والإتلاف أي أتلف ما كان عنده عنه ولا خلاء فاجعل مكانه ما يناسب أثره فيمن أتلف من أجله فله أجر من أحيا ألا ترى الآخر يقول اللهم أعط ممسكاً تلفاً لأن الملائكة لسان خير فيقول هذا الملك اللهم أعط ممسكاً ما أعطيت المنفق حتى يتلف ماله مثل صاحبه فكأنه يقول اللهم ارزق الممسك الإنفاق حتى ينفق فإن كنت لم تقدر في سابق علمك أن ينفقه باختياره فأتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فتصيب خيراً وأنت قد قلت "ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً" فهذا قد تلف ماله كرهاً فأعد عليه ثواباً ممن وجد به راحة وإن لم يقصدها هذا الذي رزىء في ماله بالتلف فهذا دعاء له بالخير لا ما ظنه من لا معرفة له بمراتب الملائكة فإن الملك لا يدعو بشرّ ولا سيما في حق المؤمن بوجوده فكيف بتوحيده فكيف بما جاء من عنده ولا شك أن دعاء الملك مجاب لوجهين الواحد لطهارته والثاني أنه دعاء في حق الغير فهو دعاء لصاحب المال بلسان لم يعصه به وهو لسان الملك إذ هذا موجود في لسان بني آدم مع كونهم عصاة الألسنة ولكن قال الله تعالى لموسى عليه السلام ادعني بلسان لم تعصني به فقال وما هو قال دعاء أخيك لك ودعاؤك له فإن كل واحد منكما ما عصاني بلسان غيره الذي دعاني به في حقه فما دعاني له إلا بلسان طاهر وأضاف الدعاء إليه لأن الداعي نائب عن المدعوّ له ولسان الداعي ما عصى الله به المدعوّ له ومن ذلك أيضاً ما خرّجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قال لي أنفق أنفق عليك فقد أخبر الله تعالى إن إنفاقك جعل الحق ينفق عليك فهذا من أثر الصدقة في النسبة الإلهية ومن ذلك ما ذكره الترمذيّ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الصدقة تطفىء غضب الرب وتدفع عن ميتة السوء وهو حديث حسن غريب فهذا من أثر الصدقة الدفع وإطفاء نار الغضب فإن الله يغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله على الوجه الذي يليق بجلاله فإن الغضب الذي خاطبنا به معلوم بلا شك ولكن نسبته إلى الله مجهولة لا إن الغضب مجهول أو يحمل على ما ينتجه في الغاضب أو يحمل على معنى آخر لا نعلمه نحن إذ لو كان ذلك لخوطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا يكون موعظة فإن المقصود الإفهام بما نعلم ولكن إنما جهلنا النسبة خاصة لجلنا بالمنسوب إليه لا بالمنسوب فاعلم ذلك ولقد جرى لبعض شيوخنا من أهل الموازنة بالمغرب الأقصى إنّ السلطان رفع إليه في حقه أمور يجب قتله بها فأمر بإحضاره مقيداً وينادي في الناس أن يحضروا بأجمعهم حتى يسألهم عنه وكان الناس فيه على كلمة واحدة في قتله والقول بما يوجب ذلك وزندقته فمرّ الشيخ في طريقه برجل يبيع خبزاً فقال له أقرضني نصف قرصة فأقرضه فتصدق بها على شخص عابر ثم حمل وأجلس في ذلك الجمع الأعظم والحاكم قد عزم عليه أن شهد فيه الناس بما ذكر عنه أنه يقتله شرّ قتلة وكان الحاكم من أبغض الناس فيه فقال يا أهل مراكش هذا فلان ما تقولون فيه فنطق الكل بلسان واحد إنه عدل رضي فتعجب الحاكم فقال له الشيخ لا تعجب فما هي هذه المسئلة بعيدة أيّ غضب أعظم غضبك أو غضب الله وغضب النار قال غضب الله وغضب النار قال وأيّ وقاية أعظم وزنا وقدرً نصف قرصة أو نصف تمرة قال نصف قرصة قال دفعة غضبك وغضب هذا الجمع

بنصف رغيف لما سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول "اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء" وقد فعل الله ذلك دفع عني شرّكم وميتة السوء بنصف رغيف مع حقارتكم وعظم صدقتي فإن صدقتي أعظم من شق تمرة وغضبكم أقل من غضب النار وغضب الرب فتعجب الحاضرون من قوّة إيمانه وأسوأ المونات أن يموت الإنسان على حالة تؤديه إلى الشقاء ولا يغضب الله الأعلى شقيّ فانظر إلى أثر الصدقة كيف أثرت في الغضب الربانيّ وفي أسوأ الموتات وفي سلطان جهنم

فالمتصدّق على نفسه عند الغضب ليس إلا بأن يملكها عند ذلك فإن ملكه إياها عند الغضب صدقة عليها من حيث لا يشعر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب فإن الغضب نار محرقة فهذا من صدقة الإنسان على نفسه ثم إن الله قد ذكر إنه لا يغفر لمشرك ومع هذا فإن الله يهوّن عليه بقدر ما أنفق وقد ذكر أبو داود عن عائشة قالت يا رسول الله أين عبد الله بن جدعان قال في النار قال فاشتدّ عليها فقال يا عائشة ما الذي اشتدّ عليك قالت كان يطعم الطعام ويصل الرحم قال أما أنه يهوّن عليه بما تقولين فيه أنه يخفف عنه بمجرد ما يذكر به من مكارم الأخلاق وقال البخاريّ في صحيحه إن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الكلمة الطيبة صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وغير ذلك من الأذكار والأفعال التي تقتضيها مكارم الأخلاق ولقد ذكر مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار أنفقته في سبيل الله دينار أنفقته في رقبة دينار تصدقت به على مسكين دينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك.

وصل في فصل من أنفق مما يحبه

قال الله عز وجل لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون وكان عبد الله بن عمر يشتري السكر ويتصدّق به ويقول إني أحبه عملاً بهذه الآية وأحب ما للإنسان نفسه فإن أنفقها في سبيل الله نال بذلك ما في موازنتها فإنه من استهلك شيأ فعليه قيمته والحق قد استهلك نفس هذا العبد فإنه أمرك بإنفاق ما تحب وما لها قيمة عنده إلا الجنة ولهذا إذا لم تجد شيأ وجدت الله فإنه لا يوجد إلا عند عدم الأشياء التي يركن إليها ونفس الإنسان هي عين الأشياء كلها وقد هلكت فقيمتها ما ذكرناه فانظر إلى فضل الصدقة ما أعلاه.

وصل في فصل الإعلان بالصدقة

من الاسم الظاهر والاستفتاح بها من الاسم الأول والتأسي بها من قوله فاتبعوني يحببكم الله ومسئلة الإمام الناس لذوق الفاقة إذا وردوا عليه وليس عنده في بيت المال ما يعطيهم هو القلب الخالي من العلم الذي تتعدّى منفعته للغير من جوارحه ومن يحسن الظنّ به فيسأل الأسماء الإلهية لتعطيه من الأحوال والعلوم ما تستعين بها قواه الظاهرة والباطنة على ما كلفها الله من الأعمال فإن الله أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم إنه يصبح على كل سلامى كل يوم صدقة وجعل كل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة إلى غير ذلك وهذه أحوال تحتاج إلى نية وإخلاص ولا تكون النية إلا بعد معرفة من يخلص له وهو الله تعالى فلابدّ للإمام أن يسأل ما يتصدق به على كل سلامى وعن كل سلامى والقلب مسئول عن رعيته وهي جميع قواه الظاهرة والباطنة والحديث الجامع النبوي لما قرّرناه واعتبرناه ما خرجه مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار متقلدين السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى بهم ثم خطب فقال "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون تصدّق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع

برّه من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل بصرّة من الأنصار تكاد كفه تعجز عنها بل عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيأ ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أوزارهم شيأ.

وصل في فصل شكوى الجوارح إلى الله

النفس والشيطان مما يلقيان إليهنّ من السوء

أهل الكشف يرون ويسمعون شكوى الجوارح إلى الله تعالى من النفس الخبيثة التي تدبر البدن وتصرف الجوارح في السوء مما يلقي إليها الشيطان والنفس من حيث هيكلها النوريّ تشكو النفس الحيوانية القابلة ما يلقي إليها الشيطان من السوء الذي تصرفه في القوى الظاهرة والباطنة فإذا صدقوا في شكواهم آمنهم الله مما يخافون ورزقهم قبول ما يلقي إليهم الملك واستعمله التوفيق بذلك الإلقاء في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله حتى تورثه تلك الأعمال مشاهدة الحق تعالى ومناجاته على الكشف والشهود بلا واسطة يخاطبهم خطاب تقرير على نعم وآلاء والعامّة العمى من أهل الحروف والرسوم لا يشعرون صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولا يسمعون هذه الشكوى لقوّة صممهم وطمس عيونهم فلو عملوا بما كلفوا لعلمهم الله مثل هذا العلم ويرونه مشاهدة عين كما يراه ويناله أهل الله تعالى ويقول الله تعالى في حق واحد منهم وعلمناه من لدنا علما واتقوا الله ويعلمكم الله وإن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويجعل لكم نوراً تمشون به وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى ما ذكرناه في حديث يعم ما وقع في الدنيا والإشارة به إلى ما ذكرناه في حديث يعم ما وقع في الدنيا والإشارة به إلى ما ذكرنا وهو ما خرّجه البخاريّ عن أخي جدّنا عديّ بن حاتم قال بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال يا عديّ هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين ذعارطيّ الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحنّ كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقول له ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالاً وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم قال عديّ سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة الحديث أما قوله لا تخاف أحداً إلا الله فهو الخوف الأعظم فإنه هو المسلط وبيده ملكوت كل شيء فأين الأمان فهذا تنبيه على أدبارنا فإن الشخص الذي يكون في مثل هذه الحال هو في أمان في دنياه وفي ماله وعلى نفسه ممن يؤذيه وهذا مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله هو الذي رزقه الأمان في تلك الحال فيخاف من الله مما في غيبه مما لا يعلمه ولا يعلم أوانه ولو كان هذا الخائف يخاف الله مطلقاً لتعلق خوفه على دينه فإن سبيل الشيطان إلى قلبه ليست آمنة كما أمنت السبيل الظاهرة التي تمرّ فيها السفار من الناس وإذا خاف الله شغله خوفه عن ماله ونفسه ولو لم تكن

السبيل آمنة لكان هذا الخائف في أمان فإنه لا يخطر له خاطر إلا في دينه الذي يخاف عليه أن يسلبه حتى أنه لو أصيب في طريقه بتلف مال أو نفس لوقوع لصوص عليه ربما فرح بذلك واستبشر لما له فيه من الأجر الجزيل المدخر والكفارات وكان حكمه حكم تاجر باع بنسيئة بربح كثير فما أحسن تشبيه النبوّة بقوله لا تخاف أحداً إلا الله فأين الأمان وهو صلى الله عليه وسلم ما ذكر ذلك لعدي إلا في أن الأمان المعتاد حاصل في ذلك الوقت لما شكا الرجل من قطع السبيل ولكن أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمان الخوف من الله لأولي الألباب والنهي ليعم الخطاب العامة بالأمان والخاصة بالخوف فهو تبيين أحوال خاصة الله أي كونوا على مثل هذه الحالة في أمتكم خائفين من الله تعالى وهذا من جوامع الكلم لمن نظر واستبصر.

وصل في فصل

الصدقة على الأقرب فالأقرب ومراعاة الجوار في ذلك

أقرب أهل الشخص إليه نفسه فإن الله يقول في قربه من عبده إنه أقرب إليه من حبل الوريد فكأنه يقول إنه أقرب إليه من نفسه فهي أولى بما يتصدق به من غيرها كما أن الله أولى بالقرض لأنه أقرب إليه من نفسه متصدق عليه صدقة تليق به من المخلوقين ثم جوارحه ثم الأقرب إليه بعد ذلك وهو الأهل ثم الولد ثم الخادم ثم الرحم والجار كما يتصدق على تلميذه وطالب الفائدة منه وإذا تحقق العارف بربه حتى كان كله نوراً وكان الحق سمعه وبصره وجميع قواه كان حقاً كله فمن كان أهل الله فإنه أهل هذا الشخص الذي هذه صفته بلا شك كما هم أهل القرآن أهل الله وخاصته كذلك من هم أهل الله وخاصته هم أهل هذا الذي ذكرناه فإنه حق كله كما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه "واجعلني نوراً لما رأى الحق سمى نفسه نوراً فإنه نائب الله في عباده فالمتصدق على أهل الله هو المتصدق على أهله إذا كان المتصدق بهذه المثابة كنت يوماً عند شيخنا أبي العباس العربيّ بإشبيلية جالساً وأردنا أو أراد أحد إعطاء معروف فقال شخص من الجماعة للذي يريد أن يتصدق الأقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ من فوره متصلاً بكلام القائل إلى الله فيا بردها على الكبد وواللّه ما سمعتها في تلك الحالة إلا من الله حتى خيل لي أنها كذا نزلت في القرآن مما تحققت بها وأشربها قلبي وكذا جميع من حضر فلا ينبغي أن يأكل نعم الله إلا أهل الله ولهم خلقت ويأكلها غيرهم بحكم التبعية فهم المقصودون بالنعم ومن عداهم كما قلنا إنما يأكلها تبعاً بالمجموع ومن حيث التفصيل فما منه جوهر فرد ولا فيه عرض إلا وهو يسبح الله فهو من أهل الله فما من العالم من هو خارج عن هذه الأهلية العامة وما فاز الخاصة إلا بالاطلاع على هذا كشفاً وهذه المسئلة في طريق الله من أغمض المسائل إذ ليس المجموع سوى هذه الأجزاء فالأبعاض عين الكل فكل جزء وبعض طائع وليس الكل ولا المجموع بهذه الصفة لكنه طائع بطاعة أحدية الجمع وهي طاعة متميزة عن طاعة مفردات هذا المجموع وقد ورد في خبر في النفقة على الأهل المعلوم في الظاهر المقرّر وفضلها ما يكون هذا اعتباره وهو ما خرّجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار أنفقته في سبيل الله دينار أنفقته في رقبة دينار تصدقت به على مسكين دينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك".

وصل في فصل

صلة أولي الأرحام وإن الرحم شجنة من الرحمن

افهم رزقك الله الفهم عن الله لما كانت الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله يعني بمن هي شجنة منه ومن قطعها قطعه الله كانت الصدقة على أولي الأرحام صدقة وصلة بالرحمن وعلى غير الرحم صدقة تقع بيد الرحمن ما فيها صلة بالرحمن هذه الصورة الآدمية خليفة فمترله يعطي أن يكون الخيفة ظاهراً بصورة من استخلفه فمن تصدق على نفسه بما فيه حياتها كانت له صدقة وصلة بالله الذي الرحمن من نعوته فإن الله خلق آدم على صورته على خلافهم في الضمير قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فوصف الله بالرحمن وخرّج الترمذي عن سلمة بن عامر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة كلما قويت النسبة عظمت المترلة هذا عند أصحابنا والأمر عندنا ليس كذلك فإنه كلما بعدت النسبة عظمت المترلة ولنا في ذلك.

رأيت ربي بعين ربي فقلت ربي فقال أنت

فيتخيل فيه بعض العارفين أن هذا البيت على النمط الأول وليس كذلك فضمير المتكلم من هذا البيت عين العبد بربه لا بنفسه فتدبر هذا النظم فإنه من أعجب المعارف الإلهية يحتوي على أسرار عظيمة وعلم كبير.

وصل في فصل تصدق الآخذ على المعطي يأخذ منه

النفس تتصدق على العقل بقبولها منه ما يلقي إليها إذ بعض النفوس لا تقبل والنفس تتصوّر نفوس مريديها وهم أيتام لا أم لهم لأن نفوسهم ماتت عنهم فليس لهم مدبر إلا هذه النفس التي لشيخهم فتتصدق عليهم بما يلقي الله إليها من الروح الإلهيّ إذا كانت في مقام الحال المؤثر بالفعل فتجد نفس المريد أموراً لا يعطيها مقامه ولا حاله خارجة عن كسبه فيتخيل أن الله قد فتح عليه بلا واسطة وذلك الفتح إذا كان من حال نفس هذا الشخص الذي هو الشيخ فإن المريد يتيم في حجر الشيخ وله على ذلك أجر عظيم عند الله فإنه ما من نبيّ إلا قال في إفادته وتبليغه لما قيل له قل "ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله" فهو تعليم يقتضي الأجر وهذا هو الأجر الذي لا يخرجك عن عبوديتك فأنت العبد في صورة الأجير ما هو أجر الأجير فإن الأجير من استؤجر فهو أجنبيّ والسيد لا يستأجر عبده لكن العمل يقتضي الأجرة ولا يأخذها وإنما يأخذها العامل والعامل العبد فهو قابض الأجرة من الله فأشبه الأجير في قبض الأجرة وفارقه بالاستيجار يؤيد ما ذكرناه ما خرّجه مسلم في صحيحه عن بلال عن النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن صدقة المرأة على زوجها وعلى أيتام في حجرها فقال أجران أجر القرابة وأجر الصدقة.

وصل في فصل معرفة من هما أبوا نفس الإنسان

المدبرة لجسمه وقواه النفس الجزئية التي هي نفس الإنسان هي ولد جسمه الطبيعي فهو أمها والروح الإلهيّ أبوها ولهذا تقول في مناجاتها ربنا ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي مريم أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا فكان عيسى عليه السلام ولدها وهي أمه الجسم المسوى نفخ فيه من الروح نفساً فالجسم أم والمنفوخ منه أب غير أن هذا الولد

كاليتيم الذي لا أب له لأن عقله لم يستحكم بالنظر إليه فكأنه لا عقل له فهو بمنزلة الصغير الذي لا أب له يعلمه ويؤدبه فتسوسه نفسه النباتية التي هي جسمه بما خلقها الله عليه من صلاح المزاج فتكون القوى الباطنة والظاهرة في غاية الصفاء والاعتدال فتفيد النفس من العلوم التي هي بمنزلة صدقة المرأة على ولدها اليتيم فيحصل لهذا الشخص من جهة جسمه من العلم الإلهيّ جزاء لما تصدق به على نفسه ما لا يقدر قدره إلا الله قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم هل لي أجر في بني أبي سلمة اتفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بنيّ قال نعم لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم خرّجه مسلم في صحيحه.

وصل في فصل المتصدق بالحكمة على من هو أهل لها

وهي الصدقة على المحتاجين قال تعالى "ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى" وقال "وأما السائل فلا تنهر" يعني السائل عن العلم الإنسان يتصدق بالعلم على أهل الله الذين هم أهله الحكمة لا ينبغي أن يتعدى بها أهلها ويحتسب تلك الصدقة عند الله أي لا يرى له فضلاً على من علمه ولا تقدماً يستدعي بذلك خدمة منه في أدب وتعظيم وتسخير في مقابلة ما أفضل عليه إن فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله وقد لقينا أشياخاً على ذلك وهو طريقنا وقد نبه الشرع عليه في علم الرسوم وعالمه فقال إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة يعني تقع بيد الرحمن خرّج هذا الحديث مسلم عن أبي مسعود البدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وصل في فصل العلم اللدنيّ والمكتسب

العلم علمان موهوب ومكتسب فالعلم الموهوب لا ميزان له والعلم المكتسب هو ما حصل عن التقوى والعمل الصالح وتدخله الموازنة والتعيين فإن كل تقوى وعمل مخصوص له علم خاص لا يكون الإله فثم من يتقي الله ومن يتقي الله للنار ومن يتقي الله للشيطان ومن يتقي الله لمن لا يتقي الله وكل تقوى لها عمل خاص وعلم خاص يحصل لمن له هذه التقوى فإنفاق الرجل على نفسه الذي له به صدقة هو ما يغذيها به من هذه العلوم المكتسبة التي بها حياته الأبدية في الدنيا والآخرة وذلك أن كل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ولا معروف إلا الله فلا أهل إلا أهل الله فالناصح نفسه من وقي عرضه فإنه من صدقاته على نفسه ووقاية العرض أن لا يجري عليه من جانب الحق لسان ذمّ لا غير فيكون محموداً بلسان الشرع وبكل لسان إلهيّ من ملك وحيوان ونبات ومعدن وفلك وكل ما عدا الثقلين وبعض الثقلين وهل يتصوّر أن يقي عرضه من جميع الثقلين هذا لا يتصوّر لأن الأصل الذي هو الله لم يق عرضه من ألسنة خلقه إلا أنه يمكن أن يرتفع عن العرض وإذا أمكن فقد وقي نفسه الذي هو عرضه أن يكون له أثر في نفسه لا إنه وقي عرضه أن يقال فيه وهو معنى قوله "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن أنفق ليبتني مجداً في ألسنة الخلق فهو لما أنفق فإن ابتنى إعادة الثناء على الله من حيث أنه آل الله فإن أنفق في هذا الشأن ولا يرى أنه المنفق وأنفق في معصية إبليس ولا يرى العصمة والإنفاق إلا من يد الله فمثل هذا يستثنى في كل إنفاق إذا كان هذا حاله وذوقه فلا يجد الثواب على من يعود إلى على معطيه فيد الله منفقة ويد الرحمن آخذة منها

فيد الله منفقة ويد الرحمن آخذة

فالتي للجود خالية والتي للعبد عاطلة

فصلت آياته عجبا وهي للأعيان الواصلة

لو تراها في تقلبها وهي في الأكوان جائلة

قلت أغراضي تصرّفها وهي بالبرهان ساكنة

ويؤيد ما ذكرناه ما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقي به رجل عرضه فهو صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها إلا ما كان من نفقة في بنيان أو معصية ذكر هذا الحديث أبو أحمد من حديث جابر قال عبد الحميد وهو الذي روى عنه أبو أحمد قلت لابن المنكدر ما وقي به الرجل عرضه يعني ما معناه قال يعطي الشاعر وذا اللسان.

وصل في فصل بين العبودية والحرّية

إضافة الإنسان بالعبودية إلى ربه أو إلى العبودية أفضل من إضافته بالحرّية إلى الغير بأن يقال حرّ عن رق الأغيار فإن الحرّية عن الله ما تصح فإذا كان الإنسان في مقام الحرّية لم يكن مشهوده إلا أعيان الأغيار لأن بشهودهم تثبت الحرّية عنهم وهو في هذه الحال غائب عن عبوديته وعبودته معاً فمقام العبودية أشرف من مقام الحرّية في حق الإنسان والعبودة أشرف من العبودية وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى مثل هذا في حديث ميمونة بنت الحارث لما أعتقت وليدة لها في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أعطيتها أخوالك لكان أعظم لأجرك فمقام العبودية رجح على ثواب الحرّية كما رجح الفقر إلى الله على الغنى بالله بعض أشياخنا حدثني عبد الله القلفاط بجزيرة طريف سنة تسعين وخمسمائة وقد جرى بيننا الكلام على المفاضلة بين الغنيّ والفقير أعني الغنيّ الشاكر والفقير الصابر وهي مسئلة طبوليه وانجرّ في ذلك حال الفقر والغنّ فقال لي حضرت عند بعض المشايخ أو حكاها لي عن أبي الربيع الكفيف المالقيّ تلميذ أبي العباس بن العريف الصنهاجيّ قال وأنّ رجلين كان عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة التي عنده أيهما أفضل فقال الحاضرون الذي تصدق بالتسعة فقال بماذا فضلتموه فقالوا له لأنه تصدق بأكثر مما تصدق به صاحبه فقال حسن ولكن ننصكم روح المسئلة وغاب عنكم قيل له وما هو قال فرضناهما على التساوي في المال فالذي تصدق بالأكثر كان دخوله إلى الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه إلى جانب الفقر وهذا لا ينكره من يعرف المقامات والأحوال فإن القوم ما وقفوا مع الأجور وإنما وقفوا مع الحقائق والأحوال وما يعطيه الكشف وبهذا فضلوا على علماء الرسوم ولو تصدق بالكل وبقي على أصله لا شيء له كان أعلى فنقصه من الدرجة والذوق على قدر ما تمسك به ألا ترى ما قاله شيخنا أبو العباس السبتي رحمه الله في المحتضر يوصي بالثلث فإن المحتضر ما يملك من المال إلا الثلث فخرج عما يملك وما أبقى شيأ وأجاز له الشارع أن يتصدق بالثلث كله الذي يملكه وهو محمود في ذلك شرعاً فلقي الله فقيراً على حكم الأصل كما خرج من عنده رجع إليه صفر اليدين قال بعضهم في هذا المعنى:

إذا ولد المولود يقبض كفه دليل على الحرص المركب في الحيّ

ويبسطها عند الممات مواعظاً ألا فانظرني قد خرجت بلا شيّ

فكان أفضل ممن لم يتصدق بذلك الثلث الذي يملكه أو تصدق بأقل من الثلث وينوي بما يبقيه أنه صدقة على ورثته وفيه إشارة عجيبة.

وصل في فصل

فضل من ترك صدقة بعد موته

جارية في الناس من مال أو علم

العارف بالله يحتضر وفي نفسه لو أطاق الكلام أفاد الناس علماً برهم وقد عقل لسانه فنقل عنه تلميذ مسئلة في العلم النافع من توحيد وغيره أفادها السامعين الحاضرين فإن ذلك العارف المحتضر يجني ثمرتها والتلميذ يجني ثمرة نقله عند الله ويجازي الله بها الميت جزاء وجوب فإنها من سعيه يقول الله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأفضل ما أكله الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه والتلميذ ولد ديني بلا شك فما هو من سعي الإنسان فهو له عند الله بطريق الإيجاب الإلهي الذي أوجبه على نفسه وأما ما عمل عنه غيره بحكم النيابة مما لم يؤذن فيه الميت ولا أوصى به ولا له فيه تعمل فإن الله يعطيه ذلك المقام إذا وهبه إياه غيره فيأخذه الميت لا من طريق الوجوب الإلهيّ لكن يجب عليه أخذه ولابد فإنه أتاه من غير مسئلة وفي الحديث الصحيح ما أتاك من غير مسئلة فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك وقد وردت من ذلك رائحة في علم الرسوم فيما خرّجه مسلم عن عائة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله إن أمي اقتلتت نفسها و لم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجران تصدقت عنها قال نعم.

وصل في فصل ما تعطيه النشأة الآخرة

قال الله تعالى كما بدأكم تعودون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون وبدأنا على غير مثال وعلمنا ذلك كذلك يعيدنا على غير مثال اعلم أن من ثواب الدار الآخرة ونسبة الإنسان إليه علم النشأة الآخرة و لم يبعد عليه أن يكون الشخص في أماكن مختلفة في الزمن الواحد وهذا أمر تحيله العقول ويشهد بصحته الكشف فهو محال عقلاً وليس بمحال نسبة إلهية كل مصل يناجي ربه والإنسان مخلوق من حيث حقيقته التي نشأ عليها في الدار الآخرة على الصورة العارف يكون مع كثير من الأسماء الإلهية في أحوال مختلفة مع أحدية العين من العارف ومن المسمى ويراه كل إنسان بحسب عينه الذي يحب هذا الرجل أن يظهر إليه به فيكون زيد المصلي في حال صلاته يراه عمرو نائماً ويراه خالد كاتباً ويراه محمد خائطاً ويراه قاسم آكلاً والعين واحدة وكل ذلك بالفعل مشهود لكل راء وكل راء في بلد غير بلد صاحبه كما يدخل في أيّ صورة شاء من صور سوق الجنة وما سمعت عن أحد نبه على هذا المقام إلا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في دخوله في حين واحد من جميع أبواب الجنة الثمانية وعن ذي النون المصريّ في مسائله المشهورة مثل الميت يراه وليه ميتاً لا حراك به ويراه الآخر بعينه حياً يسأل في الآن الواحد وأما حديث أبي بكر رضي الله عنه فذكره البخاريّ في صحيحه من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول من أنفق زوجين من شيء

من الأشياء في سبيل الله دعى من أيّ أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل اللاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام باب الريان فقال أبو بكر ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة وقال هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال "نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر" ودعاء الله الناس إلى الدخول يوم القيامة دعاء واحد لدخول الجنان فيدخل الواحد من الباب الواحد وآخر من بابين وثلاثة وأعمهم دخولاً من دخل من الأبواب الثمانية لأن أعضاء التكليف ثمانية لكل عضو باب فلا تنكره في الثواب في الآن الواحد وأنت تشهده في العمل من فعل وترك كغاض بصره في حال استماع موعظة في حال تلاوة في حال صيام في حال تصدّق في حال ورع في حال تحصين فرج كل ذلك بنية قربة إلى الله تعالى وفي كل باب منازل كالإيمان بالله بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ولا أذى أعظم من أذى الشرك ولا طريق أعظم من طريق الإيمان فختم بمثل ما به بدأ فلا إله إلا الله نفي ما سوى الله ممن يدعي أو يدعى فيه الألوهة وإماطة الأذى نفي الأذى عن الطريق فاجتمع آخر الدائرة بأولها وانعطف عليها وما بين هذين بقية شعب الإيمان ولكل شعبة مترل في جنة الإيمان فمن علم ما قلناه يدخل من أبواب الجنة كلها في زمان واحد والنشأة الآخرة تعطي هذه الأمور كما أعطت النشأة الدنيا جمع شعب الإيمان في الإنسان في زمان واحد ولا يستحيل ذلك.

وصل في فصل

إعطاء الطيب من الصدقات

هو أن تتصدق بما تملكه ولا تملك إلا ما يحل لك أن تملكه عن طيب نفس

وأعلى ذلك أن تكون فيه مؤدّياً أمانة سماها الشارع صدقة بلسان الرسم فتكون يدك يد الله عند الإعطاء ولهذا قلنا أمانة فإن أمثال هذا لا ينتفع بها خالقها وإنما يستحقها من خلقت من أجله وهو المخلوق فهي عند الله من الله أمانة لهذا العبد يؤدّيها إليه إمّا منه إليه وإمّا على يد عبد آخر هذا أطيب الصدقات لأنها على حدّ العلم الصحيح خرجت فإذا حصلت في يد المتصدق عليه أخذها الرحمن بيمينه فإن كان المعطي في نفس هذا العبد حين يعطيها هو الله المعطي فلتكن يده تعلو يد المتصدق عليه أخذها الرحمن بيمينه فإن كان المعطي في نفس هذا العبد حين يعطيها هو الله المعطي فلتكن يده تعلو يد المتصدق عليه وهو السائل ولابدّ فإن اليد العليا هي يد الله وهي المنفقة وإن شاهد هذا المعطي يد الرحمن آخذة منه حين يتناولها السائل فتبقى يده من حيث أن المعطي هو الله تعلو على يد الرحمن كما هي فيغن الرحمن صفة لله ونعت من نعوته ولكن ما يأخذ منها عينها وإنما يناله منها تقوى المعطي في إعطائه وأكمل وجوهه ما ذكرناه فشهد المعطي أن الله هو المعطي وأن الرحمن هو الآخذ وأن الرحمة هي المعطي وهي الصدقة فإذا أخذها الرحمن في يده بيمينه جعل محلها هذا العبد فأعطاه الرحمن إياها فلا يتمكن إلا ذلك فإن الصدقة رحمة فلا يعطيها إلا الرحمن بحقيقته وتناولها الله من حيث ما هو موصوف بالرحمن الرحيم لا من حيث مطلق الاسم والصدقة تقع بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل هكذا جاء الخبر فمثل هذه الصدقة إذا أكلها السائل أثمرت له طاعة وهداية ونوراً وعلماً وهذا كله هو تربية الرحمن لها فإن جميع ما أعطته قوّة

هذه الصدقة في نفس السائل مما ذكرناه من طاعة وهداية ونور وعلم يراه في الآخرة في ميزانه وفي ميزان من أعطاه وهو المتصدق نائب الله فيقال له هذه ثمرة صدقتك قد عادت بركتها عليك وعلى من تصدقت عليه فإن صدقتك على زيد هي عين صدقتك على نفسك فإن خيرها عليك يعود وأفضل الصدقات ما يتصدق به الإنسان على نفسه فيحضر هذا أيضاً المتصدق على أكمل الوجوه في نفسه فمثل هذه الصدقة لا يقال لمعطيها يوم القيامة من أين تصدقت ولا لمن أعطيت فإنه بهذه المثابة فإن كان الآخذ مثله في هذه المرتبة تساويا في السعادة وفضل المتصدق بدرجة واحدة لا غير وإن لم يكن بهذه المثابة فتكون بحيث الصفة التي يقيمه الله فيها فإن كانت الصدقة صدقة تطوّع فهي منة إلهية كونية فإن كانت زكاة فرض فهي منة إلهية فإن كانت نذراً فهي إلهية كونية قهرية فإن النذر يستخرج به من البخيل وإن كانت هذه الأعطية هدية فما هو من هذا الباب فإن هذا الباب مخصوص بإعطاء ما هو صدقة لا غير فتكبير هذه الصدقة في يد الرحمن حساً ومعنى فالحس منها من حيث ما هي محسوسة فتجدها في الجنة حسية المشهد مرئية بالبصر والمعنى فيها من حيث ما قام به من الكسب الحلال والتقوى فيه والمسارعة بها وطيب النفس بها عند خروجها ومشاهدته ما ذكرناه من الشئون الإلهية فيها فيجدها في الكثيب عند المشاهدة العامّة ويجدها في كل زمان تمر عليه الموازين لزمان إخراجها وهو في الجنة فيختص من الله بمشهد في عين جنته لا يشهده إلا من هو بهذه المثابة خرّج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله" وكل من نزل في صدقته عن هذه الدرجة التي وصفناها كانت مترلته عند الله بمنتهى علمه وقصده فالصدقة لا تكون إلا من الاسم الغنيّ الشديد ذي القوّة المتين بطريق الامتنان غير طالب الشكر عليها فإن اقترن معها طلب الشكر فليست من الاسم الغنيّ بل من الاسم المريد الحكيم العالم فإن خطر للمتصدق أن يقرض الله قرضاً حسناً بصدقته تلك مجيباً لأمر الله فهذا الباب أيضاً يلحق بالصدقة لكونه مأموراً بالقرض وقد يكون القرض نفس الزكاة الواجبة فإن طلب عوضاً زائداً ينتفع به على ما أقرض خرج عن حده قرضاً وكان صدقة غير موصوفة بالقرضية فإنه لم يعط القرض المشروع فإن الله لا ينهى عن الربا ويأخذه منا كذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا وهو أن يخطر له هذا عند الإعطاء فلا يعطيه إلا لهذا وللمعطي الذي هو المقترض أن

يحسن في الوفاء ويزيد فوق ذلك ما شاء من غير أن يكون شرطاً في نفس القرض فإن الله قد وعد بتضاعف الأجر في القرض ولكن لا يقرضه العبد لأجل التضاعف بل لأجل الأمر والإحسان في الجزاء يوم القيامة لله تعالى على ذلك وهذا معنى قوله حسناً في وصف القرض فإن الله يعاملنا بما شرع لنا لا بغير ذلك ألا تراه قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق الذي بعثه به بين عباده وبينه فقال له قل رب احكم بالحق والألف واللام في الحق للحق المعهود الذي بعث به وعلى هذا تجري أحوال الخلق يوم القيامة فمن أراد أن يرى حكم الله يوم القيامة فلينظر إلى حكم الشرائع الإلهية في الدنيا حذوك النعل بالنعل من غير زيادة ولا نقصان فكن على بصيرة من شرعك فإنه عين الحق الذي إليه مآلك ولا نغتر وكن على حذر وحسن الظن بربك واعرف مواقع خطابه في عباده من كتابه العزيز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وصل في فصل إخفاء الصدقة

اعلم أن إخفاء الصدقة شرط في نيل المقام العالي الذي خص الله به الأبدال السبعة وصورة إخفائها على وجوه منها أن لا يعلم بك من تصدقت عليه وتتلطف في إيصال ذلك إليه بأيّ وجه كان فإن الوجوه كثيرة ومنها أن تعلمه كيف يأخذ وأنه يأخذ من الله لا منك حتى لا يرى لك فضلاً عليه بما أعطيته فلا يظهر عليه بين يديك أثر ذلة أو مسكنة ويحصل له علم جليل بمن أعطاه فتغيب أنت عن عينه حين تغطيه فإنه قد قررت عنده أنه ما يأخذ سوى ما هو له فهذا من إخفاء الصدقة ومنها أن تخفى كونها صدقة فلا يعلم المتصدق عليه بين يدي المتصدق فإذا أخذها العامل الذي نصبه السلطان أخذها بعزة وقهر منك فإذا حصلت بيد السلطان الذي هو الوكيل من قبل الله عليها أعطاها لسلطان أربابها لثمانية وأخذها أربابها بعزة نفس لا بذلة فإنه حق لهم بيد هذا الوكيل فلا يعلم الآخذ في أعطيته من هو رب ذلك المال على التعيين فلم يكن للغنيّ رب المال على هذا الفقير منة ولا عزة ولا يعرف هل وصل إليه على التعيين عين ماله على التعيين فكان هذا أيضاً من إخفاء الصدقة لأنه لم يعلم المتصدق عين من تصدق عليه ولا علم المتصدق عليه عين المتصدق وليس في الإخفاء أخفى من هذا فلم تعلم شماله ما أنفقته يمينه هذا هو عين ذلك وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلناه من إخفاء الصدقة في الإبانة عن المنازل السبعة التي هي الخصائص الحق المستظلين يوم القيامة بظل عرش الرحمن لأنهم من أهل الرحمن خرّج البخاريّ عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه".

وصل في فصل

من عين له صاحب هذا المال الذي بيده

قبل أن يتصدق به عليه

إنّ من عباد الله من يكشف له فيما بيده من الرزق وهو ملك له إنه لفلان ولفلان ويرى أسماء أصحابه عليه ولكن على يده فإذا أعطى من هذه صفته صدقة هل تكتب له صدقة قلنا نعم تكتب له صدقة من حيث ما نسب الله الملك له وإن كوشف فلا يقدح فيه ذلك الكشف ألا ترى إلى المحتضر قد زال عنه اسم الملك وحجر عليه التصرف فيه وما أبيح له منه إلا الثلث وما فوق ذلك فلا يسمع له فيه كلام لأنه تكلم فيما لا يملك واعلم أن النفس قد جبلت على الشح قال تعالى "وإذا مسه الخير منوعاً" وقال "ومن يوق شح نفسه وسبب ذلك أنه ممكن ولك ممكن فقير بالأصالة إلى مرجح يرجح له وجوده على عدمه فالحاجة له ذاتية والإنسان مادامت حياته مرتبطة بجسده فإن حاجته بين عينيه وفقره مشهود له وبه يأتيه اللعين في وعده فقال "الشيطان يعدكم الفقر" فلا يغلب نفسه ولا الشيطان إلا الشديد بالتوفيق الإلهيّ فإنه يقاتل نفسه والشيطان المساعد لها عليه ولهذا سماها الشارع صدقة لأنها تخرج عن شدة وقوّة يقال رمح صدق أي قويّ شديد فلو لم يأمل البقاء وتيقن بالفراق هان عليه إعطاء المال لأنه مأخوذ عنه بالقهر شاء أم أبى فمن طمع النفس أن تجود في تلك الحالة لعل تحصل بذلك في موضع آخر قدر ما فارقته كل ذلك من حرصها فلم تجد

مثل هذه النفس عن كرم ولا وقاها الله شحها ذكر مسلم في ذلك عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيّ الصدقة أعظم أجراً قال أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا وكذا وقد كان لفلان فينبغي لمن لم يقه الله شح نفسه وقد وصل إلى هذا الحد وارتفع عنه في تعيينه لفلان طائفة من ماله أن يكون ذلك صدقة فليجعل في نفسه عند تعيينه أنه مؤدّ أمانة وإن ذلك وقتها فيحشر مع الأمناء المؤدّين أماناتهم لا مع المتصدقين ولا يخطر له خاطر الصدقة ببال إن أراد أن ينصح نفسه.

وصل في فضل

ضروب الملك والتمليك عند أهل الله

العارف يقول الله له هذا ملكك فيقبله منه بالأدب والعلم في ذلك أنه ملك استحقاق لمن يستحقه ومن هو حق له وملك أمانة لمن هو له بيده أمانة وملك وجود لمن هو موجود عنه فالأشياء كلها ملك لله وجوديّ وهي للعبد بحسب الحال فما لا بدّ له في نفس الأمر من المنفعة به على النفس فهو ملك استحقاق له وهو من الطعام والشراب ما يتغذى به في حين التغذي به مما يتغذى لا مما يفضل عنه ويخرج من سبيله وغير ذينك ومن الثياب ما يقيه من حر الهواء وبرده وأمّا ما عدا هذا القدر فهو بيده ملك أمانة لمن يدفع به أيضاً ما دفع هو به عن نفسه مما ذكرناه فلا يخلو العارف إما أن يكون ممن كشف أسماء أصحاب الأشياء مكتوبة عليها فيمسكها لهم حتى يدفعها إليهم في الوقت الذي قدره الحكيم وعينه فيفرق ما بين ما هو له فيسميه ملك استحقاق لأن اسمه عليه وهو يستحقه وبين ما هو لغيره فيسميه ملك أمانة لأن اسم صاحبه عليه والكل بلسان الشرع ملك له في الحكم الظاهر أو يكون هذا العارف ممن لم يكشف له ذلك فلا يعرف على التعيين ما هو رزقه من الذي هو عنده فإذا كوشف فيعمل بحسب كشفه فإن الحكم للعلم في ذلك وإن لم يكاشف فالأولى به أن يخرج عن ماله كله صدقة لله ورزقه لابدّ أن يأتيه ثقة بما عند الله إن كان قد بقي له عند الله ما يستحقه وإن لم يبق له عند الله شيء فلا ينفعه إمساك ما هو ملك له شرعاً فإنه لا يستحقه كشفاً في نفس الأمر وهو تارك له وهو غير محمود هذه أحوال العارفين وقد يخرج صاحب الكشف عن ماله كله عن كشفه لأنه يرى عليه اسم الغير فلا يستحق منه شيأ فيشبه بالصورة من حرج عن ماله كله من غير كشف فإن لم يكن عنده ثقة بالله فيذمّه الشرع إن خرج عن كل ماله ثم بعد ذلك يسأل الناس الصدقة فمثل هذا لا تقبل صدقته كما قد ورد في ذلك في حديث النسائيّ في الرجل الذي تصدق عليه بثوبين ثم جاء رجل آخر يطلب أن يتصدق عليه أيضاً وألقى هذا المتصدق عليه الأول أحد ثوبيه صدقة عليه فانتهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال خذ ثوبك و لم يقبل صدقته فإذا علم من نفسه أنه لا يسأل ولا يتعرّض فحينئذ له أن يخرج عن ماله كله ولكن بميزان الأفضلية إن كان عالماً إذا لم يكن له كشف فإن كان صاحب كشف عمل بحسب كشفه ولقد خرّج أبو داود ما يناسب ما ذكرناه من حديث عمر بن الخطاب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق فوافق ذلك ما لا عندي وقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله قال وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله قلت لا أسابقك إلى شيء أبداً فينبغي للعالم بنفسه أن

يعامل نفسه بما يعامله به الشرع الحاكم عليه ولا ينظر المريد لما يخطر له في الوقت فيكون تحت حكم خاطره فيكون خطأه أكثر من إصابته وهنا يتميز العاقل العالم من الجاهل ولكن هذا كله لمن لا كشف له من أهل الله وقد سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر لما أتاه بماله كله لمعرفته بحاله ومقامه وما قال له هلا أمسكت لأهلك شيأ من مالك وأثنى على عمر بذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم ينكره عليه وقال لكعب بن مالك في هذا الحديث أمسك بعض مالك وكان كعب بن مالك قد انخلع من ماله كله صدقة لخاطر خطر له فلم يعامله رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاطره وعامله بما يقتضيه حاله فقال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك.

وصل في فصل

ما ينظره العارف في فضل الله وعدله

ومكر الله تعالى

إن من مكر الله وعدله وفضله أن يبين للناس ما فيه مصلحتهم هذا من فضله وأمّا عدله ومكره هو أن يعاملهم بصفاقم فالعارفون في مثل هذا المقام ينظرون في أحوال أنفسهم وفيما يؤتيهم الله في بواطنهم وظواهرهم ويزنون ذلك بالميزان الذي وضعه الرحمن ليقيم الوزن بالقسط ولا يخسر الميزان فإن اعتدلت الكفتان فذلك العلم الصحيح وإن ترجحت كفة العطاء على كفة الحال فلينظر في الحال فإن كان مما يحمده الشرع فذلك إمّا جزاء معجل وإمّا زيادة فضل وإن كان الحال مما يذمّه لسان الشرع فذلك مكر من الله وإن كان الحال مما لا يذم ولا يحمد فذلك عدل من الله يؤول إمّا إلى فضل إن شكر الله وعمل بطاعته في المستأنف بتلك الأعطية أو يؤول إلى مكر خفيّ إن عمل فيه بمعصية الله فإن ألهم الاستغفار والتوبة أو أن ذلك مكر إلهيّ فلا يخلو إمّا أن يتدارك الأمر أو يبقى على حاله فإن بقي على حاله فهو مكر في مكر وإن تدارك الأمر فذلك من فضل الله وزال عنه حكم المكر في هذه الحال فمن مكر الله وفضله اليد العليا خير من اليد السفلى فإن الصدقة تقع بيد الرحمن ففيه مكر وفضل فإنه قد ورد أنها تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل وقد ذكر البخاريّ عن حكيم بن حزام فيما نبهنا عليه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال "اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله" فهذا الحديث يتضمن تفصيل ما ذكرناه من الأحوال وأعلى الغنى الغنى بالله والاستعفاف هنا القناعة بالقليل فإن العفو يرد في اللسان ويراد به القليل وهو من الأضداد والصدقة عن ظهر غنى هي الصدقة والدعاء عن ظهر فقر هو الدعاء المجاب بلا شك وأين الداعي عن ظهر فقر والمعطي عن ظهر غنى.

وصل في فصل حاجة النفس إلى العلم

اعلم أن حاجة النفس إلى العلم أعظم من حاجة المزاج إلى القوت الذي يصلحه والعلم علمان علم يحتاج منه مثل ما يحتاج من القوت فينبغي الاقتصاد فيه والاقتصار على قدر الحاجة وهو علم الأحكام الشرعية لا ينظر منها إلا قدر ما تمس الحاجة إليه في

الوقت فإن تعلق حكمها إنما هو بالأفعال الواقعة في الدنيا فلا تأخذ منه إلا قدر عملك والعلم الآخر هو ما لا حد له يوقف عنده وهو العلم المتعلق بالله ومواطن القيامة فإن العلم بمواطن القيامة يؤدي العالم بها إلى الاستعداد لكل موطن بما يليق به لأن الحق بنفسه هو المطالب في ذلك اليوم بارتفاع الحجب وهو يوم الفصل فينبغي للإنسان العاقل أن يكون على بصيرة من أمره معداً للجواب عن نفسه وعن غيره في المواطن التي يعلم أنه يطلب منه الجواب فيها ولهذا ألحقناه بالعلم بالله وينبغي لطالب العلم أن لا يسأل في المسؤل إلا الله لا عين المسؤل هكذا ينبغي أن يكون عليه السائل من الحضور مع الله فليستكثر هذا السائل من السؤال فإن الله هو المسؤل فإن لم يحضر له ذلك و لم يشاهد سوى الأستاذ ولا يرى العلم إلا منه ولا يردّه ذلك العالم إلى الله بقوله الله أعلم ولا يقول له من العلم ما يردّه إلى الله فيه فذلك للذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره مسلم من حديث أبي هريرة من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقلل أو ليستكثر وإنما أراد الله تعالى من عباده أن يرجعوا إليه في المسائل لا إلى أمثالهم إلا بقدر ما يتعلمون منهم كيف يسألون الله وهو حد التقوى المشروع فقال واتقوا الله بما علمكم من أعلمته قال لموسى عليه السلام ربه عز وجل فيما أوحى إليه به أو كلمه به سلني حتى الملح تلقيه في عجينك وقال في باب الإشارة لا التفسير الرحمن علم القرآن في أيّ قلب يكون ويستقرّ وعلى أيّ قلب يترل "خلق الإنسان علمه البيان" لتبين للناس ما نزل إليهم فأضاف التعليم إليه لا إلى غيره هذا كله من الغيرة الإلهية أن يسأل المخلوق غير خالقه ليريح عباده من سؤال من ليس بأيديهم من الأمر شيء وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا وما خص صلى الله عليه وسلم مسئلة من مسئلة فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما في المسئلة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيأ وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها وأراد من الناس أن يعملوا بما علمهم الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ويسألون الله في أعمالهم أن يزيدهم علماً إلى علمهم منه فيتولى بنفسه تعليم عباده فإن الله غيرو فلا يحب أن يسأل غيره وإن سأل غيره بلسان الظاهر فيكون القلب حاضراً مع الله عند سؤاله إن الله هو المسؤل الذي بيده ملكوت كل شيء بالمعنى فإن الاسم الظاهر من الله هو هذا الشخص فإنه من جملة الحروف المرقومة في رق الوجود المنشور فيأخذ هذا السائل جوابه من الله إما بقضاء الحاجة وإما بالدعاء ولهذا كان سؤال الرجل السلطان أولى من سؤال غير السلطان لأن وجود الحق أظهر فيه من غيره من السوقة والعامة ولهذا رفعت الكدية عن الذين يسألون الملوك فإنهم نوّاب الله وهم موضع حاجة الخلق وهم المأمورون أن لا ينهروا السائل يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو النائب الأكبر وأما السائل فلا تنهر ولهذا يسأل الله تعالى يوم القيامة النوّاب وهم الرعاة عن من استرعاهم عليه ويسأل الرعايا ما فعلوا فيهم ثم نرجع إلى مسائل الصدقة التي نحن في بابها فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل كدوح يكدح بها الرجل في وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل ذا سلطان في أمر لا يجد منه بدا وهذا نص ما ذكرناه وهو حديث خرّجه أبو داود عن سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك سؤال الصالحين العارفين أهل المراقبة أولى من سؤال السلاطين إلا أن تكون هذه الصفات في السلطان فإن أصحاب هذه الصفات أقرب نسبة إلى الله تعالى وقد رأينا بحمد الله من السلاطين من هو بهذه المثابة من الدين والورع والقيام للحق بالحق رحمهم الله وقد ورد في الخبر أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل يا رسول الله قال لا وإن كنت سائلاً ولابد فسل الصالحين فالعارفون إذا سألوا في أمر تعين لهم من مصالح دنياهم إنما يسألون الله بالله في العالم والعلماء بالله الذين استفرغهم شهود الله شغلهم ذكر الله عن المسئلة من الله فهؤلاء أصحاب أحوال فأعطاهم العلم به وهو أفضل ما أعطى السائلون فإذا علموه

علم ذوق لم يذكروه إلا له بهم وبه فأعطاهم بهذا الذكر أمراً جعلهم أن يتركوا الذكر له وبه فأعطاهم الرؤية إذ كانت الرؤية أرفع من المشاهدة وهي أفضل صدقة تصدق الله بها على المقرّبين من عباده.

وصل في فصل أخذ العلماء بالله من الله العلم الموهوب

اعلم أن العلماء بالله لا يأخذون من العلوم إلا العلم الموهوب وهو العلم اللدنيّ علم الخضر وأمثاله وهو العلم الذي لا تعمل لهم فيه بخاطر أصلاً حتى لا يشوبه شيء من كدورات الكسب فإن التجلي الإلهيّ المجرد عن الموّاد الإمكانية من روح وجسم وعقل أتم من التجلي الإلهيّ في الموادّ الإمكانية وبعض التجليات في الموادّ الإمكانية أتم من بعض فإذا وقع للعالم بالله من تجل إلهيّ إشراف على تجل آخر لم يحصل له ثم حصل له بعد ذلك فأعطاه من العلم به ما لم يكن عنده لم يقبله في العالم الموهوب وألحقه بالعلم المكتسب وكل علم حصل له عن دعاء فيه أو بدعاء مطلق فهو مكتسب وذلك لا يصلح إلا للرسل صلوات الله عليهم فإنهم في باب تشريع الاكتساب فإذا وقفوا مع نبوّتهم لا مع رسالتهم كان حلاهم مع الله حال ما ذكرناه من ترك طلب ما سواه والإشراف فهم مع الله واقفون وإليه ناظرون وبه ناطقون في كل منطوق به ومنظور إليه وموقوف عنده وكما أنهم به ناطقون هم به سامعون يذكرون عباده تعبداً ويطيعون عباده تعبداً ويجتهدون ولا يفترون عبادة لا تعرضاً ولا طلباً إلا وفاء لما يقتضيه مقام من كلفهم من حيث ما هو مكلف لا من وجه آخر ومقام من كلف فهو يهبهم من لدنه علماً لم يكن مطلوباً لهم فيكون مكتسباً ومن أسمائه سبحانه المؤمن وهو من نعوت العبد لا من أسماء العبد فإنه إذا كان اسماً لم يعلل وإذا كان صفة ونعتاً علل فهو لله اسم وللعبد صفة هذا هو الأدب مع الله وقد رود في معنى ما أشرنا إليه حديث ذكره أبو عمر ابن عبد البرّ النمريّ عن خالد بن عديّ الجهنيّ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من جاءه من أخيه معروف من غير إشراف ولا مسئلة فليقبله ولا يردّه فإنما هو رزق ساقه الله إليه" فجمع هذا الحديث بين الأمر بالقبول والنهي عن الردّ فحصل فيه التكليف كله فإنّ التكليف ما هو سوى أمر ونهي ومما يؤيد صحة هذا الحديث ما خرّجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي عمر بن الخطاب العطاء فيقول أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموّله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك فالأكابر لا يسألون أحداً شيأ إلا إذا كان الله مشهودهم في الأشياء ولا يردّون شيأ أعطوه فإن الأدب مع الله إن لا تردّ على الله ما أعطاك وفتنة العلم أعظم من فتنة المال فإن شرف المال شرف عارض لا يتعدّى أفواه الناس ليس للنفس منه صفة وشرف العلم حلية تتحلى بها النفس ففتنته أعظم ولا زوال له عن صاحبه في حال فقره وغناه ونوائبه والمال يزول عن صاحبه بلص يأخذه أو حرق أو غرق أو هدم أو زلزلة أو جائحة سماوية أو فتنة أو سلطان والعلم منك في حصن حصين لا يوصل إليه أبداً يلزم الإنسان حياً وميتاً دنيا وآخرة وهو لك على كل حال وإن كان عليك في وقت ما فهو لك في آخر الأمر وإن أصابتك الآفات من جهته فلا تكترث فليس إلا لشرفه حيث لم تعمل به فما أصبت إلا من تركك العمل به لا منه فإذا نجوت أخذ بيدك إلى منزلته ومنزلته معلومة ومعلومه الحق فيترلك بالحق على قدر ذلك العلم فلا تكن من الجاهلين.

وصل في فصل إيجاب الله الزكاة في المولدات

اعلم أنّ الله أوجب الزكاة في المولدات وهي ثلاثة معدن ونبات وحيوان فالمعدن ذهب وفضة والنبات حنطة وشعير وتمر والحيوان إبل وبقر وغنم فعم جميع المولدات وأطلق عليها اسم المولدات لأنها تولدت عن أم وأب عن فلك وحركته الذي هو بمنزلة الجماع وهو الأب والأركان الأم فكان المال محبوباً للإنسان حب الولد ألا ترى الله قرنه بالولد في الفتنة فقال "إنما أموالكم وأولادكم فتنة فقدّم المال على الولد في الذكر والله عنده أجر عظيم إذا رزأكم في شيء منهما فالزكاة وإن كانت طهارة الأموال وطهرت أربابها من صفة البخل فهي رزء في المال بلا شك فلصاحبها أجر المصاب وهو من أعظم الأجور والولد شجنة من الوالد كالرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله قال بعض الشعراء في الأولاد وهو من شعر الحماسة

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

فجعل الولد قطعة من الكب وقال عيسى عليه السلام لأصحابه قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء فحث على الصدقة لما علم أن الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول أأمنتم من في السماء والصدقة تطفىء غضب الرب فانظر ما أعجب كلام النبوّة وما أدقه وأحلاه فمن ألحق الولد بالوالد ووصله به فله أجر من وصل الرحم فينبغي للإنسان أن يلحق ماله من حيث ما هو مولد مولود بأبيه الذي تولد عنه لأنه قطعة منه فللإنسان المتصدق في صدقة زكاته أجر المصيبة وأجر صلة الرحم إذا زكى ماله والصبر على فقد المحبوب من أعظم الصبر ولا يصبر على ذلك إلا مؤمن أو عارف فإن الزاهد لا زكاة عليه لأنه ما ترك له شيأ تجب فيه الزكاة لأن الزهد يقتضي ذلك والعارف ليس كذلك لأن العارف يعلم أن فيه من حيث ما هو مجموع العالم من يطلب المال فيوفيه حقه فتجب عليه الزكاة من ذلك الوجه وهو زاهد من وجه ولهذا رجحنا قول من يقول إن الزكاة واجبة في المال لا على المكلف وإنما هو مكلف في إخراجها من المال إذ المال لا يخرج بنفسه فجمع العارف بين الأجرين بخلاف الزاهد والعارفون هم الكمل من الرجال فلهم الزهد والادّخار والتوكل والاكتساب ولهم المحبة في جميع العالم كله وإن تفاضلت وجوه المحبة فيحبون جميع ما يقع في العالم بحب الله في إيجاد ذلك الواقع لا من جهة عين الواقع فاعلم ذلك فإن فيه دقيق مكر إلهيّ لا يشعر به إلا الأدباء العارفون فإن العارف يعلم أن فيه جزاء يطلب مناسبة من العالم فيوفي كل ذي حق حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً" وهكذا كل جزء فيك ولهذا يشهد عليك يوم القيامة إذا استشهده الحق عليك وانظر في حكمة السامريّ حيث علم ما قال عيسى عليه السلام من أن حب المال ملصق بالقلوب صاغ لهم العجل بمرأى منهم من حليهم لعلمه أن قلوبهم تابعة لأموالهم فسارعوا إلى عبادته حين دعاهم إلى ذلك فالعارف من حيث سرّه الربانيّ مستخلف فيما بيده من المال فهو كالوصيّ على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة وليس له فيه شيء فلذلك قلنا إنه حق في المال فإن الصغير لا يجب عليه شيء وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتجارة في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة والعامي وإن كان مثل العارف في كونه جامعاً فإن العاميّ لا يعلم ذلك فأضيف المال إليه فقيل له أموالكم فيخرج منها الزكاة فالعارف يخرجها إخراج الوصيّ والعامي يخرجها بحكم الملك فما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وكلا الفريقين صادق في حاله وصاحب دليل إلهيّ فيما نسب إليه فلولا المحبة ما فرضت الزكاة ليثابوا ثواب من رزىء في محبوبه ولولا المناسبة بين المحب والمحبوب

لما كانت محبة ولا تصوّر وجودها ومن هنا تعلم حب العارف للمال من أيّ نسبة هو وحبه لله من أي نسبة هو ولا يقدح حبه في المال والدنيا في حبه لله وللآخرة فإن ما يحبه منه لأمر ما إلا ما يناسب ذلك الأمر في الإلهيات وفي العالم حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فصحت المناسبة ومن نعمه المعرفة به والعارف يطلبها منه فهي نسبة فقير إلى غنيّ يطلب منه ما بيده له ليحصله فما طلب منه إلا أمراً حادثاً إذ معرفة المحدث بالقديم معرفة حادثة فالمناسبة بينه وبين المعرفة الحدوث وهي بيد المعروف فيتعلق الحب بالمعروف لهذه المناسبة والمعرفة به لا تنقضي ولا تتناهى فالحب لا ينقضي وحصول مثل هذه المعرفة عن التجلي فالتجلي لا ينقضي فالمعرفة مال العارف وزكاة هذا المال التعليم وهي درجة إلهية قال تعالى "واتقوا الله ويعلمكم الله" فهو المعلم فلهذا قلنا إن التعليم درجة إلهية وجعل أصناف الزكاة ثمانية لما فيها من صلاح العالم فهي فيما تقوم به الأبدان من الغذاء وقضاء الحاجات مطلقاً وفي هذين الأمرين صلاح العالم فهم حملة العرش الثمانية والعرش الذي هو الملك محمول لهم فمن تلك الحقيقة كانت في ثمانية أصناف مجمع عليها وما عداها مما اختلف فيه فهو راجع إليها ولما كان العرش الملك وكان حملة هذا العرش الذي هو عبارة عنا كان هؤلاء الأصناف الثمانية حملته وكان هذا القدر من المال المعبر عنه بالزكاة كالأجرة لحملهم وصل إنما سمى المال مالاً لأنه يميل بالنفوس إليه وإنما مالت النفوس إليه لما جعل الله عنده من قضاء الحاجات به وجبل

الإنسان على الحاجة لأنه فقير بالذات فمال إليه بالطبع الذي لا ينفك عنه ولو كان الزهد في المال حقيقة لم يكن مالاً ولكان الزهد في الآخرة أتم مقاماً من الزهد في الدنيا وليس الأمر كذلك وقد وعد الله بتضعيف الجزاء الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فلو كان القليل حجاباً لكان الكثير منه أعظم حجاباً ألا ترى إلى موطن التجلي والكشف وهو الدار الآخرة وهي محل الرؤية والمشاهدة مع تناول الشهوات النفسية مطلقاً من غير تحجير وكلمة كن من كل إنسان فيها حاكمة فلو كان مثل هذا حجاباً لكان حجاب الآخرة أكثف وأعظم بما لا يتقارب فسبحان من جعل له في كل شيء باباً إذا فتح ذلك الباب وجد الله عنده وعين في كل شيء وجهاً إلهياً إذا تجلى عرف ذلك الوجه من ذلك الشيء قال الصديق ما رأيت شيأ إلا رأيت الله قبله فإنه لا يراه إلا بعينه إذ كان الحق بصره في هذا الموطن فيرى نفسه قبل رؤية ذلك الشيء والإنسان هو المحل لذلك البصر فلهذا قال ما رأيت شيأ إلا رأيت الله قبله وسماها الله زكاة لما فيها من الربو والزيادة ولهذا تعطى قليلاً وتجدها كثيراً فلو أعطيته لرفع الحجاب لكونه حجاباً لكان الثواب حجباً كثيرة أعظم من هذا الحجاب فلم يكن بحمد الله ما أعطيته حجاباً ولا ما وصلت إليه من ذلك حجاباً فاعلم ذلك وانظر في تصرّف العارف في الدنيا كيف هو ولا تحمل تصرّفه على تصرّفك وجهلك وسوء تأويلك فترى الزهد عند ذلك أفضل منه هيهات "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب" بل هي للعارف صفة كمالية سليمانية "هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب" فما أليق هذا الاسم بهذا السؤال أتراه عليه السلام سأل ما يحجبه عن الله أو سأل ما يبعده من الله ثم انظر إلى أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله من العفريت الذي فتك عليه فأراد أن يقبضه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى ينظر الناس إليه فتذكر دعوة أخيه سليمان فردّه الله خاسئاً فهذه حالة سليمانية حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ردّه عنها الزهد فيها وإنما ردّه عن ذلك الأدب مع سليمان عليه السلام حيث طلب من ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وعلمنا من هذه القصة أن قوله لا ينبغي أنه يريد لا ينبغي ظهوره في الشاهد للناس لأحد وإن حصل بالقوة لبعض الناس كمسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العفريت فلعلمنا أنه أراد الظهور في ذلك لأعين الناس ثم إن الله أجاب سليمان عليه السلام إلى ما طلب منه بأنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة أخيه سليمان حتى لا يمضي ما قام بخاطره من إظهار ذلك

ثم إنّ الله تمم هذه النعمة لسليمان عليه السلام بدار التكليف فقال له هذا عطارنا فامنن أو أمسك بغير حساب فرفع عنه الحرج في التصريف بالاسم المانع والمعطي فاختص بجنة معجلة في الحياة الدنيا وما حجبه هذا الملك عن ربه عز وجل فانظر إلى درجة العارف كيف جمع بين العينين وتحقق بالحقيقتين فأخرج الزكاة من المال الذي بيده إخراج الوصي من مال المحجور عليه بقوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فجعله مالكاً للإنفاق من حقيقة إلهية فيه في مال هو ملك لحقيقة أخرى فيه هو وليها من حيث الحقيقة الإلهية جعلنا الله من العارفين العلماء وبما أودع فيه من قرّة أعين.

وصل في فصل قبول المال أنواع العطاء

اعلم أن المال يقبل أنواع العطاء وهو ثمانية أنواع لها ثمانية أسماء فنوع يسمى الإنعام ونوع يسمى الهبة ونوع يسمى الصدقة ونوع يسمى الكرم ونوع يسمى الهدية ونوع يسمى الجود ونوع يسمى السخاء ونوع يسمى الإيثار وهذه الأنواع كلها يعطي بها الإنسان ويعطى بسبعة منها الحق تعالى وهي ما عدا الإيثار فإن قال أجنبيّ فمن أيّ حقيقة إلهية ظهر الإيثار في الكون وهو لا يعطى على جهة الإيثار لأنه غنيّ عن الحاجة والإيثار إعطاء ما أنت محتاج إليه إمّا في الحال وإمّا بالمآل وهو أن تعطي مع حصول التوهم في النفس إنك محتاج إليه فتعطيه مع هذا التوهم فيكون عطاؤك إيثاراً وهذا في حق الحق محال فقد ظهر في الوجود أمر لا ترتبط به حقيقة إلهية فنقول قد قدمنا أن الغنى المطلق إنما هو للحق من حيث ذاته معرّى عن نسبة العالم إليه فإذا نسبت العالم إليه لم تعتبر الذات فلم تعتبر الغنى وإنما اعتبرت كونها إلهاً فاعتبرت المرتبة فالذي ينبغي للمرتبة هو ما تسمت به من الأسماء وهي الصورة الإلهية لا الذات من حيث عينها بل من كونها إلهاً ثم إنه أعطاك الصورة التي هي الخلافة وسماك بالأسماء كلها على طريق المحمدة فقد أعطاك ما هي المرتبة موقوفة نسبتها إليه وهي الأسماء الحسنى فإن قلت فإن المعطى لا يبقى عنده ما أعطاه قلنا هذا يرجع إلى حقيقة المعطى ما هو فإن كان محسوساً فإن المعطى يفقده بالإعطاء وإن كان معنى فإنه لا يفقده بالإعطاء ولهذا حددنا الإيثار بإعطاء ما أنت محتاج إليه و لم تتعرض لفقد المعطي ولا لبقائه فإن ذلك راجع إلى حقيقة الأمر الذي أعطيت ما هو فاعلم ذلك فمن هذه الحقيقة مصدر الإيثار في العالم وما بعدها البيان بيان فالإنعام إعطاء ما هو نعمة في حق المعطى إياه مما يلائم مزاجه ويوافق غرضه والهبة الإعطاء لينعم خاصة والهدية الإعطاء لاستجلاب المحبة فإنها عن محبة ولهذا قال الشارع "تهادوا تحابوا" والصدقة إعطاء من شدة وقهر وإباية فأما في الإنسان لكونه جبل على الشح فمن يوق شح نفسه وإذا مسه الخير منوعاً فإذا أعطى بهذه المثابة لا يكون عطاؤه لا عن قهر منه لما جبلت النفس عليه وفي حق الحق هذه النسبة حقيقة ما ورد من التردّد الإلهيّ في قبة نسمة المؤمن ولا بدّ له من اللقاء يريح قبض روحه مع التردّد لما سبق في العلم من ذلك فهو في حق الحق كأنه وففي حق العبد هو لا كأنه أدباً إلهياً ودليل العقل يرمي مثل هذا لقصوره وعدم معرفته بما يستحقه الإله المعبود والحق بهذه الحقيقة التي هي عليها عباده فقبلتها العقول السليمة من حكم أفكارها عليها بصفة القبول التي هي عليه حين ردّتها العقول التي هي بحكم أفكارها وهذه هي المعرفة التي طلب منا الشارع أن نعرف بها ربنا ونصفه بها لا المعرفة التي أثبتناه بها فإن تلك مما يستقل العقل بإدراكها وهي بالنسبة إلى هذه المعرفة بازلة فإنها ثبتت بحكم العقل وهذه ثبتت بالأخبار الإلهيّ وهو بكل وجه أعلم بنفسه منا به والكرم العطاء بعد السؤال حقاً وخلقاً والجود

العطاء قبل السؤال حقاً لا خلقاً فإذا نسب إلى الخلق فمن حيث أنه ما طلب منه الحق هذا الأمر الذي عينه الخلق على التعيين وإنما طلب الحق منه أن يتطوّع بصدقة وما عين فإذا عين العبد ثوباً أو درهماً أو ديناً أو ما كان من غير أن يسأل في ذلك فهو الجود خلقاً وإنما قلنا لا خلقاً في ذلك لأنه لا يعطي على جهة القربة إلا بتعريف إلهيّ ولهذا قلنا حقاً لا خلقاً وإذا لم يعتبر الشرع في ذلك فالعطاء قبل السؤال لا على جهة القربة موجود في العالم بلا شك ولكن غرض الصوفيّ أن لا يتصرّف إلا في أمر يكون قربة ولا بد فلا مندرجة له عن مراعاة حكم الشرع في ذلك والسخاء العطاء على قدر الحاجة من غير مزيد لمصلحة يراها المعطي إذ لو زاد على ذلك ربما كان فيها هلاك المعطي إياه قال تعالى "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن يترل بقدر ما يشاء" والإيثار إعطاء ما أنت محتاج إليه في الوقت أو توهم الحاجة إليه قال تعالى "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" وكل ما ذكرناه من العطاء فإنه الصدقة في حق العبد لكونه مجبولاً على الشح والبخل كما أن الأم في الأعطيات الإلهية من هذه الأقسام الثمانية إنما هو الوهب وهو الإعطاء لينعم لا لأمر آخر فهو الوهاب على الحقيقة في جميع أنواع عطائه كما هو العبد متصدق في
جميع أعطياته لأنه غير مجرّد عن الغرض وطلب العوض لفقره الذاتيّ فما ينسب إلى الله بحكم العرض ينسب إلى المخلوق بالذات وما ينسب إلى الحق بالذات كالغني ينسب إلى المخلوق بالعرض النسبيّ الإضافيّ خاصة قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم "خذ من أموالهم صدقة" أي ما يشتد عليهم في نفوسهم اعطاؤها ولهذا قال ثعلبة بن حاطب هذه أخية الجزية لما اشتد عليه ذلك بعدما كان عاهد الله كما أخبرنا الله في قوله "ومنهم من عاهد الله" الآية فلما رزقه الله مالاً وفرض الله الصدقة عليه قال ما أخبر الله به عنه وقوله "بخلوا به" هي صفة النفس التي جبلت عليه وهي إذا حكمت على العبد استبدله الله بغيره نسأل الله العافية وهكذا ورد وإن تتولوا عما سئلتموه من الإنفاق وبخلتم يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم أي على صفتكم بل يعطون ما يسألون كما قال فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين فإن الملك أوسع من أن يضيق عن وجود شيء فالصدقة أصل كونيّ والوهب أصل إلهي ومما يؤيد ما ذكرناه أن الملائكة قالت من جبلتها حيث لم ترد الخير إلا لنفسها وغلب عليها الطبع في ذلك عن موافقة الحق فيما أراد أن يظهره في الكون من جعل آدم خليفة في الأرض فعرفهم بذلك فلم يوافقوه لحكم الطبع في الطمع في أعلى المراتب ثم تستر عن تعظيمه إذ لو وقفوا مع وما ينبغي له من العظمة لوافقوه ما وافقوه وإن كانوا قصدوا الخير فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي فنحن أولى من هذا فرجحوا نظرهم على علم الله في خلقه لذلك قال لهم إني أعلم ما لا تعلمون فوصفهم ينفي العلم الذي علم الحق من هذا الخليفة مما لم يعلموا وأثنوا على أنفسهم فمسئلتهم جمعت ذلك حيث أثنوا على أنفسهم وعدلوها وجرحوا غيرهم وما ردوا العلم في ذلك إلى الله فهذا من يخل الطبع بالمرتبة وهذا يؤيد أن الملائكة كما ذهبنا إليه تحت حكم الطبيعة وإن لها أثراً فيهم قال تعالى ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون والخصام من حكمها وقد ورد اختصام ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في الشخص الذي مات بين القريتين فوصفهم بالخصام ولولا أن مرتبتها دون النفس وفوق الهباء لسرى حكمها ومن أراد أن يقف على أصل هذا الشان فلينظر إلى تضادّ الأسماء الإلهية فيمن هناك ظهرت هذه الحقيقة في الجميع فهم مشاركون لنا في حكم الطبيعة من حكمها البخل والشح فيمن تركب منها وهو من الاسم المانع في الأسماء وسببه فينا إن الفقر والحاجة دانيّ لنا ولكل ممكن ولهذا افتقرت الممكنات إلى المرجح لإمكانها فالمكوّن عن الطبيعة شحيح بخيل بالذات كريم بالعرض فما فرض الله الزكاة وأوجبها وطهر بها النفوس من البخل والشح إلا لهذا الأمر المحقق فالفرض منها أشد على النفس من صدقة التطوّع للجبر الذي في الفرض والاختيار الذي في التطوّع فإنه في الفرض عبد بحكم سيد وفي الاختيار لنفسه

إن شاء وإن شاء.

وصل في فصل الادّخار من شح النفس وبخلها

اعلم أنه من شح النفس الادّخار والشبهة لها إلى وقت الحاجة فإذا تعين المحتاج كان العطاء وعلى هذا أكثر بعض نفوس الصالحين وأما العامة فلا كلام لنا معهم وإنما نتكلم مع أهل الله على طبقاتهم والقليل من أهل الله من يطلب على أهل الحاجة حتى يوصل إليهم ما بيده فرضاً كان أو تطوّعاً فالفرض من ذلك قد عين الله أصنافه ورتبه على نصاب وزمان معين والتطوّع من ذلك لا يقف عند شيء فإن التطوّع إعطاء ربوبية فلا يتقيد والفرض إعطاء عبودية فهو بحسب ما يرسم له سيده وإعطاء العبودية أفضل فإنّ الفرض أفضل من النفل وأين عبودية الاضطرار من عبودية الاختيار وهذا الصنف قليل في الصالحين وشبهتهم أنا لم نكلف الطلب عليهم والمحتاج هو الطالب فإذا تعين لي بالحال أو بالسؤال أعطيته والذين هم فوق هذه الطبقة التي تعطى على حدّ الاستحقاق فهم أيضاً أعلى من هؤلاء وهم الذين يعطون ما بأيديهم كرماً إلهياً وتخلقاً فيعطون المستحق وغير المستحق وهو عندنا من جهة الحقيقة الآخذ مستحق لأنه ما أخذ إلا بصفة لفقر والحاجة لا بغيرها سواء كانت الأعطية ما كانت من هدية أو وهب أو غير ذلك من أصناف العطايا كالتاجر الغنيّ صاحب الآلاف يجوب القفار ويركب البحار ويقاسي الأخطار ويتغرّب عن الأهل والولد ويعرض بنفسه وبماله للتلف في أسفاره وذلك لطلب درهم زائد على ما عنده فحكمت عليه صفة الفقر وأعمته عن مطالعة هذه الأهوال وهوّنت عليه الشدائد لأن سلطان هذه الصفة في العبد قوية فمن نظر هذا النظر الذي هو الحق فإنه يرى أن كل من أعطاه شيأ وأخذه منه ذلك الآخر فإنه مستحق لمعرفته بالصفة التي بها أخذها منه إلا أن يأخذها قضاء حاجة له لكونه يتضرّر بالردّ عليه أو ليستر مقامه بالأخذ فذلك يده يد حق كما ورد إن الصدقة تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله فهذا أخذ من غير خاطر حاجة في الوقت وغاب عن أصله الذي حركه للأخذ وهو أن ذلك تقتضيه حقيقة الممكن فهذا شخص قد استترت عنه حقيقته في الأخذ بهذا الأمر الغرضي فنحن نعرفه حين يجهل نفسه فما أعطى إلا غني عما أعطاه سواء كان لغرض أو عوض أو ما كان فإنه غنيّ عما أعطية وما أخذ إلا مستحق أو محتاج لما أخذ لغرض أو عوض أو ما كان لأنّ الحاجة إلى تربية ما أخذ حاجة إذ لا يكون مربياً إلا بعد الأخذ فافهم فإنه دقيق غامض بسبب النسبة الإلهية في التربية للصدقة مع الغنى المطلق الذي يستحقه والنسب الإلهية لا ينكرها إلا من ليس بمؤمن خالص فإنّ الله يقول "وأقرضوا الله قرضاً" ويقول "جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني" وبين ذلك كله فلم يمتنع جل وتعالى عن نسبة هذه الأشياء إليه تنبيهاً منه لنا إنه هو الظاهر في المظاهر بحسب استعدادها واليد العليا هي المنفقة فهي خير بكل وجه من اليد السفلى التي هي الآخذة فالمعطي بحق والآخذ بحق ليسا على السواء في المرتبة ولا في الاسم ولا في الحال فما من شيء إلا وله وجه ونسبة إلى الحق ووجه ونسبة إلى الخلق ولهذا جعله انفاقاً فقال وأنفقوا مما رزقناهم ينفقون فراعى عز وجل في هذا الخطاب أكابر العلماء لأنهم الذين لهم العطاء من حيث ما هو إنفاق لعلمهم بالنسبتين لأنه من النفق وهو حجر اليربوع ويسمى النافقاء له بابان إذا طلب من باب ليصاد خرج من الباب الآخر كالكلام المحتمل إذا قيدت صاحبه بوجه أمكن أن يقول لك إنما أردت الوجه الآخر من محتملات اللفظ ولما كان العطاء له نسبة إلى

الحق والغني ونسبة إلى الخلق والحاجة سماه الله إنفاقاً فعلماء الخلق ينفقون بالوجهين فيرون الحق فيما يعطونه معطياً وآخذاً ويشاهدون أيديهم هي التي يظهر فيها العطاء والأخذ ولا يحجبهم هذا عن هذا فهؤلاء لا يرون إلا مستحقاً فكل آخذ إنما أخذ بحكم الاستحقاق ولو لم يستحقه لاستحال القبول منه لما أعطيه كما يستحيل عليه الغنى المطلق ولا يستحيل عليه الفقر المطلق ثم إن الذين ينتظرون مواقيت الحاجة ويدّخرون كما ذكرنا للشبهة التي وقعت لهم فمنهم من يدّخر على بصيرة ومنهم من يدّخر لا عن بصيرة فلا نسلم لهم ادّخارهم في ذلك لأنه لا عن بصيرة وليس من أهل الله فإن أهل الله هم أصحاب البصائر والذي عن بصيرة فلا يخلو إمّا أن يكون عن أمر إلهيّ يقف عنده ويحكم عليه أو لا عن أمر إلهيّ فإن كان عن أمر إلهيّ فهو عبد محض لا كلام لنا معه فإنه مأمور كما نظنه في عبد القادر الجيليّ فإنه كان هذا مقامه والله أعلم لما كان عليه من التصرف في العالم وإن لم يكن عن أمر إلهي فإمّا أن يكون عن اطلاع إن هذا القدر المدخر لفلان لا يصل إليه إلا على يد هذا فيمسكه لهذا الكشف وهذا أيضاً من وجوه عبد القادر وأمثاله وإما أن يعرف أنه لفلان ولابد ولكن لم يطالع على أنه على يده أو على يد غيره فإمساك مثل هذا الشح في الطبيعة وفرح بالوجود ويحتجب عن ذلك بكشفه من هو صاحبه وبهذا احتججنا على عبد العزيز بن أبي بكر المهاوي في ادّخاره فوقف و لم يجد جواباً فإنه ادّخر لا عن بصيرة إن ذلك على يده ولا عن بصيرة إن ذلك المعين عنده صاحبه فافتضح بين أيدينا في الحال ومثل هذا ينبغي أن لا يدخر ولقد أنصف سيد الطائفة عاقل زمانه المنصف بحاله أبو السعود بن الشبل حيث قال نحن تركنا الحق يتصرف لنا فلم يزاحم الحضرة الإلهية فلو أمر وقف عند الأمر أو عين له وقف مع التعيين وفيه خلاف بين أهل الله فإنه من الرجال من عين لهم أنّ ذلك المدخر لا يصل إلى صاحبه الأعلى يده في الزمان الفلاني المعين فمنهم من يمسكه إلى ذلك الوقت ومنهم من يقول ما أنا حارس أنا أخرجه عن يدي ذلك الحق تعالى ما أمرني بإمساكه فإذا وصل الوقت فإن الحق يردّه إلى يدي حتى أوصله إلى صاحبه وأكون ما بين الزمانين غير موصوف بالادّخار لأنيّ خزانة الحق ما أنا خازنة إذ قد تفرغت إليه وفرغت نفسي له لقوله وسعني قلب عبدي فلا أحب أن يزاحمه في تلك السعة أمر ليس هو فاعلم لك فقد نبهتك على أمر عظيم في هذه المسئلة فلا تصح الزكاة من عارف إلا إذا ادّخر عن أمر إلهي أو كشف محقق معين إنه ما يسبق في العلم أن يكون لهذا الشيء خازن غيره فحينئذ يسلم له ذلك وما عدا هذا فإنما يزكي من حيث تزكى العامة انتهى الجزء الثالث والخمسون.

الجزء الرابع والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فضل تقسيم الناس في الصدقات المعطي منهم والآخذ

اعلم أن الناس على أربعة أقسام فيما يعطونه وفيما يأخذونه قسم يستعظم مايعطي ويستحقر ما يأخذ وقسم يستحقر ما يعطي ويستعظم ما يأخذ وقسم يستعظم ما يعطي وما يأخذ ولهذا منهم من ينتقي وهم الذين لا يرون وجه الحق في الأشياء ومنهم من لا ينتقي وهم الذين يهبون وجه الحق في الأشياء وقد ينتقون لحاجة الوقت وقد لا ينتقون لاطلاعهم على فقرهم المطلق فمنهم ومنهم فإن مشاربهم مختلفة وكذلك مشاهدهم وأذواقهم بحسب أحوالهم فإن الحال للنفس الناطقة كالمزاج للنفس الحيوانية فإنّ مزاج حاكم على الجسم والحال حاكم على النفس ثم اعلم أن استعظام الصدقة مشروع قال تعالى فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير وقال وأطعموا القانع والمعتر يعني من البدن التي جعلها سبحانه من شعائر الله قال ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق يعني البدن وفي هذه القصة قال ومما رزقناهم ينفقون وقد ذكرنا في شرح المنفق الذي الإنفاق منه كونه له وجهان فكذلك هنا فنالنا منها لحومها ونال الحق منها التقوى منا فيها ومن تقوانا تعظيمها فقد يكون استعظام الصدقة من هذا الباب عند بعض العارفين فلهذا يستعظم ما يعطي إن كان معطياً أو ما يأخذ إن كان آخذاً وقد يكون مشهده ذوقاً آخر وهو أول مشهد ذقناه من هذا الباب في هذا الطريق وهو أني حملت يوماً في يدي شيأ محقراً مستقذر في العادة عند لعامة لم يكن أمثالنا يحمل مثل ذلك من أجل ما في النفوس من رعونة الطبع ومحبة التميز على من لا يلحظ بعين التعظيم فرأيت الشيخ ومعه أصحابه مقبلاً فقال له أصحابه يا سيدنا هذا فلان قد أقبل وما قصر في الطريق لقد جاهد نفسه تراه يحمل في وسط السوق حيث يراه الناس كذاود كروا له ما كان بيدي فقال الشيخ فلعله ما حمله مجاهدة لنفسه قالوا له فما تم إلا هذا قال فاسألوه إذا اجتمع بنا فلما وصلت إليها سلمت على الشيخ فقال لي بعد ردّ السلام بأي خاطر حملت هذا في يدك وهو أمر محقر مستقذر وأهل منصبك من أرباب الدنيا لا يحملون مثل هذا في أيديهم لحقارته واستقذاره فقلت له يا سيدنا حاشاك من هذا النظر ما هو نظر مثلك إن الله تعالى ما استقذره ولا حقره لما علق القدرة بإيجاده كما علقها بإيجاد العرش وما تعظمونه من المخلوقات فيكف بي وأنا عبد حقير ضعيف أستحقر وأستقذر ما هو بهذه المثابة فقبلني ودعا لي وقال لأصحابه أين هذا الخاطر من حمل المجاهد نفسه فقد يكون استعظام الصدقة من هذا الباب في حق المعطي وفي حق الآخذ فلاستعظام الأشيساء وجوه مختلفة يعتبرها أهل الله أوحى الله إلى موسى عليه السلام إذا جاءتك من أحد باقلاية مسوّسة فاقبلها فإني الذي جئت بها إليك فيستعظمها المعطي من حيث أنه نائب عن الحق تعالى في إيصالها ويستعظمها الآخذ من حيث أنّ الله جاء بها إليه فيد المعطي هنا يد الحق عن شهود أو إيمان قويّ فإن الله يقول إنّ الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فأضاف القول إليه والعبد هو الناطق بذلك وقال تعالى في الخبر كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً وقد يكون استعظامها عند أهل الكشف لما يرى ويشاهد ويسمع من تسبيح تلك الصدقة أو الهدية أو الهبة أو ما كانت لله تعالى وتعظيمها لخالقها باللسان الذي يليق بها وقوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده فتعظم عنده لما عندها من تعظيم الحق وعدم

الغفلة والعثور دائماً كما تعظم الملوك الصالحين وإن كانوا فقراء مهانين عبيداً كانوا أو إماء وأهل بلاء كانوا أو معافين ويتبركون بهم لانتسابهم إلى طاعة الله على ما يقال فكيف صاحب هذا المشهد الذي يعاين فمن كان هذا مشهده أيضاً من معط وآخذ يستعظم خلق الله إذ هو كله بهذه المثابة وقد يقع التعظيم له أيضاً من باب كونه فقيراً إلى ذلك الشيء محتاجاً إليه من كون الحق تعالى جعله سبباً لا يصل إلى حاجته إلا به سواء كان معطياً وآخذاً إذا كان هذا مشهده وقد يستعظم ذلك أيضاً من حيث قول الله تعالى "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" فتسمى الله في هذه الآية بكل شيء يفتقر إليه وهذا منها وأسماء الحق معظمة وهذا من أسمائه وهو دقيقة لا يتفطن إليها كل أحد إلا من يشاهد هذا المشهد وهو من باب الغيرة الإلهية والنزول الإلهيّ العام مثل قوله تعالى "وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه مع ما عبد في الأرض من

الحجارة والنبات والحيوان وفي السماء من الكواكب والملائكة وذلك لاعتقادهم في كل معبوداته له لا لكونه حجراً ولا شجرة ولا غير ذلك وإن أخطؤ في التسمية في أخطؤا في المعبود فلهذا قال "وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه" فكان من قضائه أنهم اعتقدوا الإله وحينئذ عبدوا ما عبدوا فهذا من الغيرة الإلهية حتى لا يعبد إلا من له هذه الصفة وليس إلا الله سبحانه في نفس الأمر فقد تستعظم الصدقة من هذا الكشف وأما استحقارها عند بعضهم فلمشهد آخر ليس هذا فإن مشاهد القوة وأحوالهم وأذواقهم ومشاربهم تحكم عليهم بقوّتها وسلطانها وهل كل ما ذكرناه في الاستعظام إلا من باب حكم الأحوال والأذواق والمشاهد على أصحابها فمنها أن يشاهدا مكان ما تعطيه من صدقة إن كان معطياً أو ما يأخذ من كان آخذاً والإمكان للممكن صفة افتقارية ودلة وحاجة وحقارة فيستحقر صاحب هذا المشهد كل شيء سواء كان ذلك من أنفس الأشياء في العادة أو غير نفيس وقد يكون مشوباً أيضاً في الاستحقار من يعطي من أجل الله ويأخذ بيد الله رأيت بعض أهل الله فيما أحسب فإني لا أزكي على الله أحداً كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله وقد نهانا الله عن ذلك وقد سأل فقير شخصاً أن يعطيه صدقة لله فأخرج الرجل المسؤل صرّة فيها قطع فضة بين كبير وصغير فأخذ يفتش فيها بيده وذلك الرجل الصالح ينظر إليه ثم ردّ وجهه إليّ وقال لي تعلم على ما يبحث هذا المتصدق قلت لا قال على قدر منزلته عند الله فإنه يعطي من أجل الله فإذا رأى قطعة كبيرة يعدل عنها ويقول ما تساوي عند الله هذا القدر إلى أن عمد إلى أصغر قطعة وجدها فأعطاها السائل فقال ذلك الصالح هذه قيمتك عند الله ألا كل شيء محتقر في جنب الله لكن هنا كرم إلهيّ يستند إلى غيرة إلهية وذلك أن الناس يوم القيامة ينادي صادقيهم من قبل الله أين ما أعطى لغير الله فيؤتى بالأموال الجسام والعقار والأملاك ثم يقال أين ما أعطى لوجهي فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس وقطع الفضة المحقرة والخليع من الثياب فغار الحق لذلك أن يعطى لوجهه من نعمته مثل ذلك فأخذ الصدقة بيده ورباها حتى صارت مثل جبل أحد أكبر ما يكون فيظهرها له على رؤس لإشهاد ويحقر ما أعطى لغير الله فيجعله هباء منثوراً فلا بدّ من الاستحقار لمن هذا مشهده وأمثال هذا مما يطول ذكره وقد نبهنا على ما فيه كفاية من ذلك مما تدخل فيه الأربعة الأقسام التي قسمنا العالم إليها في أول هذا الفصل.

وصل في فصل أحوال الناس في الجهر بالصدقة والكتمان

من الناس من يراعي صدقة السرّ لأجل ثناء الحق على ذلك في الحديث الحسن الذي يتضمن قوله ما تدري شماله ما تنفق يمينه وما جاء في صدقة لسرّ واعتناء الله بذلك فيسرّ بها لعلم الله بما أنفق لا لغير ذلك من إخلاص وشبهه لأن القوم قد حفظهم الله عن

الشرك الجليّ والخفيّ فمن يخلصون وما ثم إلا الله لا رب غيره وذلك لمشاهدتهم الحق في الأعمال عاملاً فيعلمون أن الحق تعالى ما ذكر باب السرّ في مثل هذا وفضله على الإعلان في حق من يرى هذا النظر إلا لعلم له في ذلك وإن لم يطلع عليه لا لأجل الإخلاص والجهر إذ الجهر والسرّ قد تساويا في حق هؤلاء في المعطي والآخذ ومن هذا الباب قوله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم الحديث وأمّا صاحب الإعلان بالصدقة فليس هذا مشهده ولا أمثاله وإنما الغالب على قلبه وبصره مشاهدة الحق في كل شيء فكل حال عنده أعمال بلا شك ما يشهد غير هذا فيه لمن بالصدقة كما يذكره في الملأ فإن من ذكره في الملأ فقد ذكره في نفسه فإن ذكر النفس متقدم بلا شك وما كل من ذكر ففي نفسه ذكره في ملأ فهذه حالة زائدة على الذكر النفسي لا مرتبة تفوت صاحب ذكر النفس فإن ذكر النفس لا يطلع عليه في الحالتين فهو سر بكل وجه فصدقة الإعلان تؤذن بالاقتدار الإلهيّ فعمن يخفيها أو يسرّها وهو الظاهر في المظاهر الإمكانية وهذه كانت طريقة شيخنا أبي مدين وكان يقول قل الله ثم ذرهم أغير الله تدعون وقد يعلن بها للتأسي وراثة نبوية وأما ما يذكر عامة أهل هذا الطريق كأبي حامد والمحاسبي وأمثالهما من العامة من الرياء وطلب الإخلاص فإنما ذلك خطاب الحق بلسان العموم ليعم بذلك ما هو لسان من لا يرى لا الله ونحن إنما نتكلم مع أهل الله في ذلك ولقد كان شيخنا يقول لأصحابه اعلنوا بالطاعة لله حتى تكون كلمة الله هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصي والمخالفات وإظهار المنكرات ولا يستحيون من الله قال بعض السادة لأصحاب شيخ معتبر بماذا كان يأمركم شيخكم قال كان يأمرنا بالاجتهاد في الأعمال ورؤية التقصير فيها فقال أمركم والله بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالأعمال وبرؤية مجريها ومنشيها فهذا من هذا الباب فقد نبهتك على دقائق صدقة السرّ والإعلان في نفوس القوم مع الخلاف الذي بين علماء الرسوم في الصدقة المكتوبة وصدقة التطوّع وهو مشهور لا يحتاج إلى ذكره لشهرته من أجل طلب الاختصار والاقتصاد وفي صدقة الإعلان ورد من سنّ سنة حسنة الحديث وأما الكامل من أهل الله فهو الذي يعطي بالحالتين ليجمع بين المقامين ويحصل النتيجتين وينظر بالعينين ويسلك النجدين ويعطي باليدين فيعلن في وقت في الموضع الذي يرى أن الحق رجح فيه الإعلان ويسرّ بها في وقت في الموضع الذي يرى أن الحق رجح فيه الإسرار وهذا هو الأولى بالكمل من أهل الله في طريق الله تعالى.

وصل في فصل صدقة التطوّع

صدقة التطوّع عبودية اختيار مشوبة بسيادة وإن لم تكن هكذا فما هي صدقة تطوّع فإنه أوجبها على نفسه إيجاب الحق الرحمة على نفسه لمن تاب وأصلح من العاملين السوء بجهالة فهذه مثلها ربوبية مشوبة يحكم عليه بها فإن الله تعالى لا يجب عليه شيء بإيجاب غيره فهو الموجب على نفسه الذي أوجبه من حيث ما هو موجب فمن أعطى من هذا الوجوب من هذه المنزلة ثم نفرض أن هذه المرتبة الإلهية إذا فعلت مثل هذا ونفرض لها ثواباً مناسباً على هذا الفعل فنعطيه بعينه لمن أعطى بهذا الوجوب من هذه المنزلة وهم إفراد من العارفين بصدقة التطوّع فإن الحق من ذلك المقام يثيبه إذا كان هذا مشربه وهذه مسئلة ذوقية مشهودة للقوم ولكن ما رأيت أحداً نبه عليها قبلي إلا إن كان وما وصل إليّ فإنه لابد لأهل الله المتحققين بهذا المقام من إدراك هذا ولكن قد لا يجريه الله على ألسنتهم أو تتعذر على بعضهم العبارة عن ذلك وقد ذكرناها في تابنا هذا في غير هذا الموضع بأبسط من هذا القول وأوضح من هذه العبارة وبهذا الاعتبار تعلو صدقة التطوّع على صدقة الفرض ابتداء فإن هذا التطوّع أيضاً قد يكون واجباً بإيجاب الله إذا

أوجبه العبد على نفسه كالنذر فإن الله أوجبه بإيجاب العبد وغير النذر قد يلحق بهذا الباب قال الأعرابيّ في صحيح الحديث يا رسول الله في الزكاة هل عليّ غيرها قال "لا إلا أن تطوّع به" فيلحقه بدرجة الفرض فيكون في الثواب على السواء مع زيادة أجر التطوّع في ذلك فيعلو على الفرض الأصليّ بهذا القدر والله يقول لا تبطلوا أعمالكم فنهى والنهي يعم العمل به بخلاف الأمر فالشروع في الشرع ملزم وهو الأظهر فسوّى في النهي بين المفروض وغير المفروض وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم النافلة في الصلاة والصيام ولا يجوز عندنا ذلك في الفرائض وهي مسئلة خلاف في قضاء الفرض الموقت وليس معنى التطوّع في ذلك كله إلا أن العبد عبد بالأصالة ومحل لما يوجبه عليه سيده فهو بالذات قابل للوجوب والإيجاب عليه فالمتطوّع إنما هو الراجع إلى أصله والخروج عن الأصل إنما هو بحكم العرض فمن لزم الأصل دائماً فلا يرى إلا الوجوب دائماً لأنه مصرّف مجبور في اختياره تشبيهاً بالأصل الذي أوجده فإنه قال ما يبدّل القول لديّ فما يكون منه إلا ما سبق به العلم فانتفى الإمكان بالنسبة إلى الله فما ثم إلا أن يكون أو لا يكون غير هذا ما في الجناب الإلهيّ ومنه قال في حديث التردّد ولا بد له من لقائي أي لا بد له من الموت وقوله "أفمن حقت عليه كلمة العذاب" وقوله "حق القول مني لأملأنّ" فليس في الأصل إلا أمر واحد عند الله فليس في الكون واقع إلا أمر واحد علمه من علمه وجهله من جهله هذا تعطي الحقائق فالحكم للوجوب والإمكان لا عين له بكل وجه الواحد إذا لم يكن فيه إلا حقيقة الوحدة من جميع الوجوه فليس للكثرة وجه فيه تخرج عنه بذلك الوجه فلا يخرج عنه إلا واحد فإن كان في الواحد وجوه معان أو نسب مختلفة فالكثرة الظاهرة عنه لا تستحيل لأجل هذه الوجوه الكثيرة فاجعل بالك من هذه المسئلة فإنك من هنا تعرف من أين جئت ومن أنت وهل أنت واحد أو كثير ومن أيّ وجه يقبل الواحد الكثرة ويقبل الكثير الوحدة ولماذا كانت الحكمة في الكثرة أوسع منها في الواحد والواحد هو الأصل فيماذا خرج الفرع عن حكم الأصل وما ثم من يعضده وهل النسب التي أعطت الكثرة في الأصل هل ترجع إلى الأصل أو تعطيها أحكام الفرع وليست في الأصل أعيان وجودية هذا كله يتعلق بهذه المسئلة فسبحان الواحد الموحد بالواحد وأ؛دية الكثرة فإن للكثرة أحدية تخصها لابد من ذلك بها سميت تلك الكثرة المعينة وتميزت عن غيرها فما وقع التميز بين الأشياء آحاداً أو كثيرين إلا بالوحدة ولو اشترك فيها اثنان ما وقع التميز والتميز حاصل فالوحدة لا بد منها في الواحد والمجموع فما ثم إلا واحد أصلاً وفرعاً فانظر يا أخي فيما نبهتك عليه فإنه من لباب المعرفة الإلهية وانظر ما تعطيه صدقة التطوّع وما أشرف هذه الإضافة؟

وصل في استدراك تطهير الزكاة

وصل في الزكاة من غير الجنس في المال المزكى

فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خمس م الإبل شاة وصنف الشاة غير صنف الإبل فالأصل في هذه المسئلة هل يطهر الشيء بنفسه أو يطهر بغيره فالأصل الصحيح أن الشيء لا يطهر إلا بنفسه هذا هو الحق الذي يرجع إله وإن وقع الخلاف في الصورة فالمراعاة إنما هي في الأصل لما فرض الله الطهارة للعبادة بالماء والتراب وهما مخالفان في الصورة غير مخالفين في الأصل فالأصل إنه من الماء خلق كل شيء حيّ وقال في آدم خلقه من تراب فما أوقع الطهارة في الظاهر إلا بنفس ما خلق منه كالحيوانية الجامعة

للشاء والإبل والمالية للشاء والإبل وغير ذلك فلولا هذا الأمر الجامع ما صحت الطهارة فلهذا صحت الزكاة في بعض الأموال بغير الصنف الذي تجب فيه الزكاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تطهير الإنسان من الجهل "من عرف نفسه عرف ربه" فبمعرفته صحت طهارته لمعرفته بربه فالحق هو القدّوس المطلق وتقديس العبد معرفته بنفسه فما طهر إلا بنفسه فتحقق هذا.

وصل في فصل النصاب

النصاب المقدار وهو الذي يصح أن يقال فيه كم ويكون كيلاً ووزناً وقد بين الشارع نصاب المكيل ونصاب الموزون الاعتبار في هذا المكيل المعقول لما ورد في الخبر النبويّ من تقسيم العقل في الناس بالقفيز والقيزين والأكثر والأقل فالحقه الشارع بالمكيل وإن كان معنى فهو صاحب الكشف الأتم الأعم الأجلى وقد عرّفناك قبل أن الحضرات ثلاث عقلية وحسية وخيالية والخيالية هي التي تنزل المعاني إلى الصور المحسوسة أعني تجليها فيها إذ لا نعقلها إلا هكذا ومن هذه الحضرة قسم الشارع العقل كيلا يكون اعقل أظهره له الحق في صورة المكيل أعني العقول لما أراد الله من ذلك وأما الموزون فالأعمال وهي أيضاً معان عرضية تعرض للعامل فألحقها الله بالموزون فقال ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال فمن يعمل مثقال ذرّة فأدخل العمل في الميزان فكان موزوناً ولكن في هذه الحضرة المثالية التي لا تدرك المعاني إلا في صورة المحسوس حتى التجلي الإلهيّ في النوم فلا ترى الحق إلا صورة وقد ورد في ذلك من الأخبار ما يغني عن الاستقصاء في تحقيق ذلك وهو شيء يعلمه كل إنسان إذ كل إنسان له تخيل في اليقظة والمنام ولهذا يعبر ما يدركه الخيال كما عبر الشارع عليه السلام من صورة اللبن إلى العلم ومن صورة القيد إلى الثبات في الدين فهذا معرفة النصاب بما هو نصاب لا بما هو نصاب في كذا فإن ذلك يرد في نصاب ما تخرج منه الزكاة ويندرج في هذا الباب معرفة ماله كمية واحدة وكميات كثيرة فإن لنا في ذلك مذهباً من أجل أن قطعة الفضة أو الذهب قد تكون غير مسكوكة فتكون جسماً واحداً فإذا وزنت أعطى وزنها النصاب أو أزيد من ذلك فمن كونها جسماً واحداً هل لذلك الجسم كمية واحدة أو كميات كثيرة أعني أزيد من واحد فاعلم أن الأعداد تعطي في الشيء كثرة الكميات وقلتها والعدد كمية فإن كان العدد بسيطاً غير مركب فليس له غير كمية واحدة وهو من الواحد إلى العشرة إلى عقد العشرات عقداً عقداً كالعشرين والثلاثين إلى المائة إلى المائتين إلى الألف إلى الألفين وانتهى الأمر فإذا كان الموزون أو المكيل ينطلق عليه وهو جسم واحد أحد هذه الألقاب العددية فإنه ذو حكم واحد فإن انطلق عليه غير هذه الألقاب من الأعداد مثل أحد عشر أو مثل مائة وعشرين أو مثل ثلاثمائة ومثل ثلاثة آلاف أو ما تركب من العدد فكمياته من العدد بحسب ما تركت أو بكون الموزون ليس جسماً واحداً كالدراهم والدنانير فله أيضاً كميات كثيرة فإن كان العدد مركباً والموزون مجموعاً من آحاد كان العدد والموزون هو كميات فإن كان أحدهما مركباً أو مجموعاً والآخر ليس بمجموع أو ليس بمركب كان ما ليس بمركب ولا مجموع ذو كمية واحدة وكان المركب والمجموع ذا كميات فاعلم ذلك وتحدث الكميات في الأجسام بحدوث الانقسام إذ الأجسام تقبل القسمة بلا شك ولكن هل يرد الانفصال بالقسمة على الاتصال أم لا فإن ورد على الاتصال كما يراه بعضهم فالجسم الواحد ذو كميات وإن لم يرد على الاتصال كما يراه بعضهم فليس له سوى كمية واحدة وهذا التفصيل الذي ذكرناه نحن من كميات الموزون وكميات العدد على هذا ما رأينا أحداً تعرض إليه وهو مما يحتاج إليه ولابد ومن عرف هذه المسئلة عرف هل يصح إثبات الجوهر الفرد الذي هو الجزء الذي لا يقبل القسمة ما لا يصح ثم لتعلم أن من حكمة

الشرع جمعه أصناف العدد فيما تجب فيه الزكاة وهي الفردية فجعلها في الحيوان فكان في ثلاثة أصناف والثلاثة الأول الإفراد وهي الإبل والبقر والغنم وجعل الشفعية في صنفين في المعدن وهو الذهب والفضة وفي الحبوب وهو الحنطة والشعير وجعل الأحدية في صنف واحد من الثمر وهو الثمر خاصة هذا بالإنفاق بلا خلاف وما عدا هذا مما يزكي فبخلاف غير مجمع عليه فمنه خلاف شاذ ومنه غير شاذ.

وصل في فصل زكاة الورق

اتفقوا على أنه خمس أواق للخبر الصحيح والأوقية أربعون درهماً هذا هو النصاب في الورق وزكاته خمسة دراهم وذلك ربع العشر وصل الاعتبار في ذلك لكل صنف كمال ينهى إليه فالكمال في الصنف المعدني حازه الذهب وسيأتي ذكره في زكاة الذهب والورق على النصف من درجة الكمال والمدّة الزمانية لحصول الكمال المعدني سنة وثلاثون ألف سنة والورق ثمان عشرة ألف سنة وهو نصف زمان الكمال وجميع المعادن تطلب درجة الكنال لتحصلها تفطرأ في الطريق علل تحول بينهم وبين البلوغ إلى الغاية فالواصل منها إلى الغاية هو المسمى ذهباً وما نزل عن هذه الدرجة لمرض غاب عليه حدث له اسم آخر من فضة ونحاس وواسرب وقزدير وحديد وزئبق و لم يعرض للأبوين من البرودة واليبوسة ما يؤثر في هذا الطالب درجة الكمال قبل تحكم سلطان حرارة المعدن فإذا كان السالك بهذه المثابة بلغ الغاية لوجد بين الذهب فإن دخل عليه فس سلوكه من البرودة فوق ما يحتاج إليه أمرضه وحال بينه وبين مطلوبه حدث له اسم الفضة فما نزلت عن الذهب إلا بدرجة واحدة والكمال في الأربعة وقد نقص هذا عن الكمال بدرجة واحدة من أربعة والأربعة أوّل عدد كامل ولهذا يتضمن العشرة فكان في الفضة ربع العشر لنقصان درجة واحدة عن الذهب بغلبة البرودة والبرودة أصل فاعليّ والحرارة أصل فاعليّ والرطوبة واليبوسة فرعان منفعلان فتبعت الرطوبة البرودة لكونها منفعلة عنها فلهذا تكوّنت الفضة على النصف من زمان تكوين الذهب ولما كان المنفعل يدل على الفاعل ويطلبه بذاته لهذا استغنى بذكر المنفعل عن ذكر ما انفعل عنه لتضمنه إياه فقال تعالى "ولا رطب ولا يابس" و لم يذكر ولا حار ولا بارد وهذا من فصاحة القرآن وإعجازه حيث علم أن الذي أتى به وهو محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ممن اشتغل بالعلوم الطبيعية فيعرف هذا القدر فعلم قطعاً أن ذلك ليس من جهته وأنه تتريل من حكيم حميد وأن القائل بهذا عالم وهو الله تعالى فعلم النبي صلى الله عليه وسلم كل شيء بتعليم الله إياه وإعلامه لا بفكره ونظره وبحثه فلا يعرف مقدار النبوّة إلا من أطلعه الله على مثل هذه الأمور فانظر ما أحكم علم الشرع في فرض الزكاة في هذه الأصناف على هذا الحدّ المعلوم في كل صنف صنف لمن نظر واستبصر.

وصل في فصل نصاب الذهب

المتفق عليه في نصاب الذهب ما نذكره إن شاء الله فقالت طائفة تجب الزكاة في عشرين ديناراً كما تجب في مائتي درهم ومن قائل ليس في الذهب شيء حتى يبلغ أربعين ديناراً ففيه دينار واحد وهو ربع العشر أعني عشرها لأن عشر الأربعين أربعة وربع الأربعة واحد ومن قائل ليس في الذهب زكاة حتى يبلغ صرفه مائتي درهم أو قيمتها فإذا بلغ ففيه ربع عشره سواء بلغ عشرين ديناراً أو أقل

أو أكثر هذا فيما كان من ذلك دون الأربعين حينئذ يكون الاعتبار في الذهب ما ذكرناه فإذا بلغ الأربعين كان الاعتبار بها نفسها لا بالدراهم لا صرفاً ولا قيمة الاعتبار في ذلك في كل أربعين ديناراً دينار وهو ربع العشر من ذلك قد ذكرنا أن الفضة لما حكم عليها وهي تطلب الكمال الذي ناله الذهب طبع واحد وهو البرودة من الأربع الطبائع فأخذت من الذهب طبعاً واحداً أخرجته عن محل الاعتدال فلهذا أخذ من الأربعين التي هي نصاب الذهب دينار واحد وهو ربع العشر لأنك إذا ضربت أربعة في عشرة كان الخارج أربعين فالأربعة عشر الأربعين والواحد ربع الأربعة فهو ربع عشرها وهو الواحد الذي أخذته الفضة وصارت به فضة في طلبها درجة الكمال فنقص من الذهب هذا القدر فكانت زكاته ديناراً وهذا الدينار قد اجتمع مع الخمسة الدراهم في كونه ربع عشر ما أخذ منه فإن العشرين عشر المائتين وربع العشرين خمسة فكان في المائتين خمسة دراهم وهي ربع عشرها فمن حمل الذهب على الفضة وقال إن في عشرين ديناراً كما في مائتي درهم أو من قال بالصرف والقيمة بمائتي درهم فأوجب الزكاة فيما هذا قيمته وصرفه من الذهب وهذا فيما دون الأربعين فإنه ما ورد نهي فيما دون الأربعين من الذهب كما ورد في الورق فإنه قال ليس فيما دون خمس أواق صدقة و لم يقل ليس فيما دون الأربعين فلهذا ساغ الخلاف في الذهب و لم يسغ في الورق واجتمعا في ربع العشر بكل وجه واعتبر العشر والربع منه لتضمن الأربعة العشرة فضربت فيها و لم تضرب في غيرها لأن الأربعة تتضمن عينها وما تحتها من العدد فيكون من المجموع عشرة ولهذا قيل في الأربعة إنه أوّل عدد كامل فإن الأربعة عينها وفيها الثلاثة فتكون سبعة وفيها الاثنان فتكون تسعة وفيها الواحد فتكون عشرة فمن ضرب الأربعة في العشرة كان كمن ضرب الأربعة في نفسها بما تحوي عليه فوجبت الزكاة لنظرها لنفسها في ذلك و لم تنظر إلى بارئها وموجدها فأخذ الحق منها نظرها إلى نفسها وسماه زكاة لها أي طهارة من الدعوى فبقيت لربها بربها فلم يتعين له فيها حق يتميز لأنها كلها له لا لذاتها.

وصل في فصل الأوقاص

وهي ما زاد على النصاب مما يزكى

أجمع العلماء على زكاة الأوقاص في الماشية وعلى أنه لا أوقاص في الحبوب واختلفوا في أوقاص الذهب والورق وبترك الزكاة في أوقاص الذهب والورق أقول فإن إلحاقهما بالحبوب أولى من إلحاقهما بالماشية فإن الحيوان مجاور للنبات والنبات مجاور للمعدن فالحاقة في الحكم بالمجاور أحق فإن الجار أحق بصقبه وصل في اعتبار هذا الكمال لا يقبل النقص والزكاة نقص من المال ولهذا لما كمل الحيوان بالإنسانية لم يكن فيه زكاة فإن الأشياء ما خلقت إلا لطلب الكمال فلا كامل إلا الإنسان وأكمل المعادن الذهب ولهذا لا يقبل النقص بالنار مثل ما يقبله سائر المعادن فإن قلت فالفضة قد نزلت عن درجة الكمال فهي ناقصة فوجبت الزكاة في أوقاصها قلنا قد أشركها الحق في الزكاة إذا بلغت النصاب في الذهب و لم يفعل ذلك في سائر المعادن فلولا أن بينهما مناسبة قوية لما وقع الاشتراك في الحكم فليكن في الأوقاص كذلك فإن ققلت إن الزكاة نقص من المال ومن بلغ الكمال لا ينقص والذهب قد بلغ الكمال والزكاة فيه إذا بلغ النصاب وهو ذهب في النصاب وذهب في الأوقاص مازال عنه حكم الكمال قلنا كذلك أقول هكذا كان ينبغي لو جرينا على هذا الأصل لكن عارضنا أصل آخر إلهي وهو التبدّل والتحوّل في الصور عند التجلي الإلهي واختلاف

النسب والاعتبارات على الجناب الإلهي والعين واحدة والنسب مختلفة فهي العالمة من كذا والقادرة والخالقة من كذا فالحق سبحانه ما فرض الزكاة في أعيان المزكي من كونها أعياناً بل من كونها على الخصوص أموالاً في هذه الأعيان خاصة لا في كل ما ينطلق عليه اسم مال فاعتبرنا لما جاء الحكم بالزكاة فيهما إذا بلغا النصاب المالية وما اعتبرنا أعيانهما واعتبرنا في الأوقاص أعيانهما لا المالية فرفعنا الزكاة فيهما كما اعتبرنا في تحوّل التجليات الاعتقادات والمرتبة وما اعتبرنا الذات واعتبرنا في التتريه الذات وما اعتبرنا المرتبة ولا الاعتقادات فلما كان أصل الوجود وهو الحق تعالى يقبل الاعتبارات سرت تلك الحقيقة في بعض الموجودات بل في الموجودات مطلقاً فاعتبرنا فيها وجودها مختلفة تارة لأمور عقلية وتارة لأمور شرعية ألا ترى الرقيق وهو إنسان وله الكمال إذا اعتبرنا فيه المالية أو اعتبارنا أيضاً في المشترى له التجارة قوّمناه عليه بالقيمة وأنزلناه مترلة ما يزكى من المال فأخرجنا من قيمته الزكاة ألا ترى كمالية الحق لا تقبل وصفاً من نعوت المحدثات فلما تجلت في حضرة التمثل للأبصار المقيدة بالحس المشترك تبعت الأحكام هذا التجلي الخاص فقال تعالى "جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني" ولما وقع النظر فيه من حيث رفع النسب قال "ليس كمثله شيء" وقال "والله الغني عن العالمين" فمن كان غنياً عن الدلالة عليه كان هو الدليل على نفسه لشدّة وضوحه فإنه لا شيء أشدّ في الدلالة من الشيء على نفسه وقد نبهتك على أن الأحكام تتبع الاعتبارات والنسب وبعد أن وقع الحكم من الشارع في أمر مّا بما حكم به عليها فلا بدّ لنا أن ننظر ما اعتبر فيه حتى حكم عليه بذلك الحكم وبهذا يفضل العالم على الجاهل فإذا تقرّر هذا فاعلم أن البلوغ بالسنّ أو الإنبات أو الحلم للعقل هو كالنصاب في المال فكما أن النصاب إذا وجد في المال وجبت الزكاة فيه كذلك يجب التكليف على العاقل إذا بلغ ثم بعد أوان البلوغ يستحكم عقله لمرور الأزمان عليه كما يزيد المال بالتجارة فتظهر الأوقاص فمن لم يجد في استحكام عقله أن الله هو الفاعل مطلقاً وأن العبد لا أثر له في الفعل وجبت عليه الزكاة في الأوقاص والزكاة حق الله في المال فنضيف إلى الله من أعماله ما ينبغي أن يضيف وهنا رجلان منهم من يضيف إلى الله ما يضيفه على جهة الحقيقة ويضيف إلى نفسه من أعماله ما يضيف على جهة الأدب كقوله فأردت أن أعيبها وكقوله فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وكقول الخليل "وإذا مرضت فهو يشفيني" وكقوله "ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك" ومنهم من يضيف ذلك العمل كله إلى الإنسان عقلاً وشرعاً كالمعتزلي ويضيف إى الله من ذلك خلق القدرة له في هذا العامل لا غير وأما من لا يرى الأفعال في استحكام عقله إلا من الله ولا أثر للعبد فيها لم ير الزكاة في الأوقاص لأنه ما ثمّ ما يردّ إلى الله فإنه علم أن الكل لله كما قال شيبان الراعي لما سئل عن الزكاة فقال

لابن حنبل وللشافعيّ وهما كانا السائلين على مذهبنا أو على مذهبكم إن كان على مذهبنا فالكل لله لا نملك شيأ وإن كان على مذهبكم ففي كل أربعين شاة من الغنم شاة فاعتبر شيبان أمراً ما فأوجب الزكاة واعتبر أمراً آخر فلم يوجب الزكاة والمال هو المال بعينه.

وصل في فصل ضم الورق إلى الذهب

فمن قائل نضم الدراهم إلى الدنانير فإذا كان من مجموعهما النصاب وجبت الزكاة ومن قائل لا يضم فضة إلى ذهب ولا ذهب إلى فضة وبه أقول الاعتبار في ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن لعينك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً فكل ونم" وإن كان الإنسان هو الجامع لعينه ونفسه الحيوانية ولكن جعل الله لكل واحد ممنهما حقاً يخصه فحق العين هنا النوم وحق النفس النباتية

التغذي وهو الأكل فلا يضم شيء إلى شيء فإن النوم ما يقوم مقام الأكل ولا الأكل يقوم مقام النوم فلا يضم شيء إلى شيء والذي يرى ضم الشيء إلى الشيء يرى ضم النوم إلى الأكل فإن الأكل سبب في حصول النوم لما يتولد منه من الأبخرة المرطبة التي يكون بها النوم فتنال العين حقها والنفس حقها فلا بأس بضم الذهب إلى الفضة لحصول الحق من ذلك المجموع.

وصل في فصل الشريكين

فمن قائل إن الشريكين لا زكاة عليهما في مالهما حتى يكون لكل واحد منهما نصاب وبه أقول ومن قائل إن المال المشترك حكمه حكم مال رجل واحد الاعتبار في ذلك العمل من الإنسان إذا وقع فيه الاشتراك فليس فيه حق لله فلا زكاة فيه لأن الله تعالى يقول "أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه برىء" وهو الذي أشرك وقال صلى الله عليه وسلم "من قال هذا لله ولوجوهكم فهو لوجوهكم ليس لله منه شيء" والنصاب بالاشتراك غير معتبر فإن الشريكين في حكم الانفصال وإن كانا متصلين فإن الاتصال هو الدليل على وجود الانفصال إذ لولا الفصل لم يكن الاتصال وإذا كان الحكم للانفصال و لم يبلغ أحدهما ما عنده النصاب في ماله لم تجب عليه الزكاة فإن الزكاة وإن كانت تطلب المال فما تطلبه إلا من المكلف بإخراجه ألا ترى المال الذي في بيت المال ما فيه زكاة لاشتراك الخلق فيه مع وجود النصاب فيه وحلول الحول إذا مسكه الإمام و لم يفرقه لمصلحة رآها في ذلك فلما اعتبر الخلق المشتركين فيه لم تبلغ حصة واحد منهم النصاب و لم يتعين أيضارب المال فإذا عينه الإمام ودفع إليه ما يبلغ النصاب فقد خرج من بيت المال وتعين مالكه فزال ذلك الحكم فإذا مضى عليه الحول أدّى زكاته انتهى الجزء الرابع والخمسون.

الجزء الخامس والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل زكاة الإبل

الزكاة فيها بالاتفاق وقدرها ونصابها مذكور في أحكام الشريعة الاعتبار حكم الشارع على الإبل أنها شياطين فأوجب فيها الزكاة لتطهر بذلك من هذه النسبة إذ الزكاة مطهرة رب المال من صفة البخل الشيطنة البعد يقال بئر شطون إذا كانت بعيدة القعر وسمى الشيطان لبعده من رحمة الله لما أبى واستكبر وكان من الكافرين والأفعال والأعمال إذا لم تنسب إلى الله فقد أبعدت عن الله فوجبت الزكاة فيها وهو ما لله فيها من الحق بردّها إليه سبحانه فإذا ردّت إليه اكتسبت حلة الحسن فقيل أفعال الله كلها حسنة والزكاة واجبة على المعتزلي من حيث اعتقاده خلق أعمال العباد لهم والأشعري تجب عليه الزكاة لإضافة كسبه في العمل إلى نفسه وكان في كل خمس ذود شاة والخمس هو عين الزكاة من الورق وهو ربع العشر فصارحكم العدد الذي كان زكاة يزكي أيضاً كمن يرى الزكاة في الأوقاص فيخرج من كل أربعة دنانير درهماً ومن أربعين درهماً درهماً وكما أخرجت من الذهب درهماً في الأوقاص وليس الورق من صنف الذهب كذلك الشاة تخرج في زكاة خمس من الإبل وليست من صنفها كذلك يؤخذ حق الله من الجارحة بالحرق بالنار والقطع في السرقة والنفس المكلفة هي السارقة وليست من جنس الجارحة وتطهرت من حكم السرقة بقطع اليد كما تطهر الخمس من الإبل بإخراج الشاة وليست من صنف المزكى وقد تقدّم حكم الأوقاص فلا يحتاج إلى ذكره هنا.

وصل في صغار الإبل

فمن قائل تجب فيها الزكاة ومن قائل لا تجب الاعتبار الصغير لا يجب عليه التكليف حتى يبلغ فلا زكاة في صغار الإبل والصغير يعلم الصلاة ويضرب عليها وهو ابن عشر سنين ولا يضرب إلا على واجب والبلوغ ما حصل فتجب الزكاة في صغار الإبل العقل إذا وجد من الصبي وإن لم يبلغ فمن اعتبر البلوغ أسقط التكليف ومن اعتبر استحكام العقل أوجب التكليف فيما نص الشرع عليه لأن الحكم في ذلك له قال تعالى "ألحقنا بهم ذرياتهم" وقال "وآتيناه الحكم صبياً وقال "في المهد وآتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت" في المهد وغيره "وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبرّا بوالدتي" ومن برّه بها كونه برّأها مما نسب إليها بشهادته وأتى في كل ما ادّعاه ببنية الماضي ليعرف السامع بحصول ذلك كله عنده وهو صبي في المهد وقد ذكر أن الله تعالى أوصاه بالصلاة والزكاة مادام في الحياة وأنه آتاه الكتاب والحكمة ولكن غاب عن أبصار الناس إدراك الكتاب الذي آتاه حتى ظهر في زمان آخر وأما الحكمة فظهر عينها في نفس نطقه بمثل هذه الكلمات وهو في المهد والإنسان صغير من حيث جسمه لعدم مرور الأزمان الكثيرة عليه في هذه الصورة وأصغر مدّته زمان تكوينه ثم لا تزال مدّته تكبر إلى حين موته فكلما كبر جسمه صغر عمره فلا ينفك من إضافة الكبر والصغر إليه فزيادته نقصه ونقصه زيادته فانظر ما أعجب هذا التدبير الإلهيّ.

وصل في فصل زكاة الغنم

الاتفاق على الزكاة فيها بلا خلاف وبالله التوفيق الاعتبار في هذا الوصل قال تعالى في نفس الإنسان "قد أفلح من زكاها" وقد تقدّم الكلام عليها وإن الله أقام الرأس من الغنم مقام الإنسان الكامل فهو قيمته فانظر ما أكمل مرتبة الغنم حيث كان الواحد منها فداء نبيّ مكرّم فقال وفديناه بذبح عظيم فعظمه الله وناب مناب هذا النبيّ المكرّم وقام قمامه فوجبت الزكاة في الغنم كما أفلح من زكى نفسه شعر:

فداء نبيّ ذبح ذبح لقربان | وأين ثؤاج الكبش من نوس إنسان
وعظمه الله العظيم عناية | بنا أو به لم أدر من أيّ ميزان
ولا شك أن البدن أعظم قيمة | وقد نزلت عن ذبح كبش لقربان
فيا ليت شعري كيف ناب بذاته | شخيص كبيش عن خليفة رحمان

وصل في فضل زكاة البقر

والاتفاق أيضاً من علماء الشريعة على الزكاة فيها الاعتبار في ذلك يقول الله سبحانه في نفس الإنسان قد أفلح من زكاها يعني النفس ولما كانت المناسبة بين البقر والإنسان قوية عظيمة السلطان لذلك حيّ بها الميت لما ضرب ببعض البقر فجاء بالضرب إشارة إلى الصفة القهرية لما شمخت نفس الإنسان أن تكون سبب حياته بقرة ولاسيما وقد ذبحت وزالت حياتها فحييّ بحياتها هذا الإنسان المضروب ببعضها وكان قد أبى لما عرضت عليه فضرب ببعضها فحييّ بصفة قهرية للأنفة التي جبل الله الإنسان عليها وفعل الله ذلك ليعرفه أن الاشتراك بينه وبين الحيوان في الحيوانية محقق بالحدّ والحقيقة ولهذا هو كل حيوان جسم متغذ حساس فالإنسان وغيره من الحيوان وانفصل كل نوع من الحيوان عن غيره بفصله المقوّم لذاته الذي به سمي هذا إنساناً وهذا بقراً وهذا غنماً وغير ذلك من الأنواع وما أبى الإنسان إلا من حيث فصله المقوّم وتخيل أن حيوانيته مثل فصله المقوّم فأعلمه الله بما وقع أن الحيوانية في الحيوان كله حقيقة واحدة فأفاده ما لم يكن عنده وكذلك ذلك الميت ما حييّ إلا بحياة حيوانية لا بحياة إنسانية من حيث أنه ناطق وكان كلام ذلك الميت مثل كلام البقرة في بني إسرائيل قال الصحابة تعجباً لبقرة تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا وما رأوا أن الله قد قال ما هو أعجب من هذا إن الجلود قالت أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهنا علم غامض لمن كشف الله عن بصيرته فوجبت الزكاة في البقر كما ظهرت في النفس ثم مناسبة البرزخ بين البقر والإنسان فإن البقر بين الإبل والغنم في الحيوان المزكي والإنسان بين الملك والحيوان ثم البقرة التي ظهر الأحياء بموتها والضرب بها برزخية أيضاً في سنها ولونها فهي لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فهذا مقام برزخيّ فهي لا بيضاء ولا سوداء بل صفراء والصفرة لون برزخي بين البياض والسواد فتحقق ما أومأنا إليه في هذا الاعتبار فإنه يحتوي على معان جليلة وأسرار لا يعرفها إلا أهل النظر والاستبصار.

وصل في فضل الحبوب والتمر

فقد عرفت أيضاً ما تجب الزكاة فيه من ذلك بالاتفاق الاعتبار في ذلك النفس النباتية وهي التي تنمى بالغذاء فزكاتها في الإنسان بالصوم ولكن له شرط في طريق الله وهو أن الصائم إنما يمسك عن الأكل بالنهار فليأخذ ما كان يستحق أن يأكل بالنهار ويتصدق به ليخرج بذلك من البخل فإذا لم يفعل ذلك عندنا واستوفى في عشائه ما فاته بالنهار فما أمسك وبهذا ينفصل صوم خواص أهل الله عن صوم العامّة وما تسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة بالعامّة حتى يجدوا ما يتأسوا به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من كان مواصلاً فليواصل حتى السحر" مع أنه رغب في تعجيل الفطر وتأخير السحور قال تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وهذا الاعتبار فيما يزكى من الحبوب وبالله التوفي وصل وأما التمر فهو أيضاً كما قلنا الزكاة فيه بالاتفاق وقد تقدّم ذلك وأما اعتبار التمر في الزكاة فاعلم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم جعل النخلة عمة لنا وشبهها بالمؤمن حين سأل الناس عنها ووقع الناس في شجر البوادي ووقع عند عبد الله بن عمر أنها النخلة أصاب ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا الحديث يحتج على إباحة الحزورات التي تستعملها الناس فكما أن التمر تجب فيه الزكاة شرعاً كذلك المؤمن لما شارك الحق في هذا الاسم تعين للحق فيه حق كما تعين في جميع الأسماء الحسنى يسمى ذلك الحق زكاة فيزكي المؤمن هذه النسبة إليه بالصدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله وإعطاء الأمان منه لكل خائف من جهته فإذا صدق في ذلك كله صدّقه الله تعالى لأنه لا يصدّق سبحانه إلا الصادق ولا يصدّقه تعالى إلا من اسصمه المؤمن لا غير فصدق العبد ردّ لاسم الله المؤمن عليه كردّ صورة الناظر في المرآة على الناظر ليصدقه سبحانه فيما صدق فيه هذا العبد فهذا زكاته من نسبة الإيمان إليه فأعطى حق الله من إيمانه بما صدق فيه من أقواله وأفعاله وأحواله وتمت أصناف ما يزكى من الأموال المتفق عليها ويلحق بها ما اختلف فيه فإنه لا يخلو أن يكون ما اختلف فيه نباتاً أو حيواناً أو معدناً وقد بينا ذلك في المتفق عليه فليحكم في المختلف فيه بذلك الحكم وليعتبر فيه ما يليق بذلك الصنف حتى لا يطول الكلام ومذهبنا في هذا الكتاب الاقتصار والاختصار جهد الطاقة فإن الكتاب كبير يحتوي على ما لا بد منه في طريق الله من الأمّهات والأصول فإن الأبناء والفروع تكاد لا تنحصر بل لا تنحصر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصل في فصل الخرص

الاتفاق على إجازة الخرص فيما يخرص من النخيل وغير ذلك وهو تقدير النصاب في ذلك حتى يقوم مقام الكيل الاعتبار في ذلك هو موضع خطر يحتاج إلى معرفة وتحقيق في المقادير وبصيرة حادّة قال تعالى قتل الخراصون وهذه إشارة تلحق بالتفسير وإن لم نرد بها التفسير ولكن لتقارب المعنى والمكيل والموزون بمنزلة العلم والخرص بمنزلة غلبة الظنّ والأصل العلم ثم إنه إذا تعذر العلم حكمنا بغلبة الظنّ وذلك لا يكون إلا في الأحكام الشرعية أعني في فروع الأحكام فإن الحاكم لا يحكم إلا بشهادة الشاهد وهو ليس قاطعاً فيما شهد به من ذلك والأصل في الحكم المشروع غلبة الظنّ حتى في السعادة عند الله فإن الله يقول "أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيراً فحسن الظنّ بالله إذا غلب على العبد أنتج له السعادة كما أن سوء الظنّ بالله يرديه "وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم" فما اختلف العلماء في حكم الحاكم بين الخصمين بغلبة الظنّ واختلفوا في حكمه بعلمه فكانت غلبة الظنّ في هذا النوع أصلاً متفقاً عليه يرجع إليه وكان العلم في ذلك مختلفاً فيه والحق تعالى وإن لم يكن عنده إلا العلم فإنه يحكم بالشهود ولهذا جاء "قل رب احكم

بالحق" أي بما شرعت لي وأرسلتني به وفي هذا الطريق معرفة الله بالعقل بطريق الخرص ولهذا تقبل الشبهة القادحة في الأدلة ومعرفة الله من طريق الشرع المتواتر مقطوع بها لا تقدح فيها شبهة عند المؤمن أصلاً وإن جهلت النسبة فالعلم بالله من جهة الشرع وهو تعريف الحق عباده بما هو عليه فإنه أعلم بنفسه من عباده وبه فإن العلم به منه أن يعلم أنه جامع بين التتريه والتشبيه وهذا في الأدلة النظرية غير سائغ أعني الجمع بين الضدّين في المحكوم عليه ليس ذلك إلا هنا خاصة فلا يحكم عليه خلقه والعقل ونظره وفكره من خلقه فكلامه في موجده بأنه ليس كذا أو هو كذا خرص بلا شك والخارص قد يصيب وقد يخطيء والعلم بالله من حيث القطع أولى من العلم به من حيث الخرص وإن كان الخرص لا بد منه في العلم بالله ابتداء.

وصل في فصل

ما أكل صاحب التمر والزرع من تمره وزرعه

قبل الحصاد والجداد

فمن قائل يحسب ذلك عليه في النصاب ومن قائل لا يحسب عليه ويترك الخارص لرب المال ما أكل هو وأهله ويأكل الاعتبار ثمر الإنسان وزرعه أعماله وأعماله واجبة ومندوب إليها ومباحة خاصة وأما المكروه والمحظور فلا دخول لهما هنا ولا سيما المحظور خاصة في الزكاة وقد يدخل في الزكاة بوجه خاص في فعل المحظور وذلك أن المؤمن لا تخلص له معصية أصلاً من غير أن تكون مشوبة بطاعة وهم الذين خلطوا عمصلاً صالحاً وآخر سيئاً فالطاعة التي تشوب كل معصية هي الإيمان بها أنها معصية وكما هي طاعة في عين معصية فهي قرب في عين بعد فذلك الإيمان هو زكاتها فيطهر المحظور بالإيمان فهو قوله تعالى "يبدّل الله سيئاتهم حسنات" فإذا أعطى هذا القدر في عمل المعصية وقع الترجي للعبد من الله في القبول وهو قوله تعالى "وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهؤلاء منهم عسى الله أن يتوب عليهم" أي يرجع عليهم بالرحمة والقبول والغفران وتبديل السيئات فهذه عناية الزكاة أثرت في الحظر وأمّا في أعمال الطاعات فنصابها الذي تجب فيه الزكاة زكاتها المباح من عامله خاصة وهو الذي يخص النفس فإن الزكاة وإن كانت حق الله فما هي حق الله إلا من حيث أنه شرعها فهي راجعة إلينا فإن الله عين مصارفها بذكر الأصناف الذين يأخذونها فتصدّق الله على الإنسان بالمباح في الثمانية الأعضاء من جميع أعماله فتلك الزكاة التي أعطاها الله من جميع أعماله وذلك لفقره ومسكنته وعمله وتألفه على طاعة ربه واجتماعه من حيث إيمانه عليها وفكاك رقبته من رق الواجبات في أوقات المباحات وإن اندرجت فيها أعني الواجبات لأنه يجب عليه اعتقاد المباح أنه مباح إلى غير ذلك فمن حسبه عليه في النصاب فلكونه من جملة ما شرع له لأن المباح مشروع كالواجب فلهذا يتصرّف فيه تصرّف من أبيح له لا تصرّف الطبع ومن قال لا يحسب عليه فلكونه وإن كان مباحاً إنما راعى سقوط التكليف في المباح لأن المكلف لا يكون مخيراً فإن التكليف مشقة والتخيير لا مشقة فيه وإن تضمن الحيرة والتردّد.

وصل في فصل وقت الزكاة

فجمهور العلماء في الصدر الأوّل مجمعون على وجوب الزكاة في الذهب والفضة والماشية باشتراط الحول وما خالف في ذلك أحد من الصدر الأول فيما نقل إلينا إلا ابن عباس ومعاوية لأنه لم يثبت عندهما في ذلك حديث صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أن الحول فيه كمال الزمان فأشبه كمال النصاب فكما وجبت بكمال النصاب وجبت بكمال الزمان ومعنى كمال الزمان تعميمه للفصول الأربعة فيه ولهذا ينتظر بالعنين الحول الكامل حتى تمرّ عليه الفصول الأربعة فلا تغير في حاله شيأ أي لا حكم لها في عنته لعدم استعداده لتأثيرها وكمال الإنسان إنما هو في عقله فإذا كمل في عقله فقد كمل حوله فوجب عليه إخراج الزكاة وهي أن يعلم ما لله عليه من الحقوق فيجتهد في أداء ذلك ووقت الحبوب والتمر يوم حصاده وجده من غير اشتراط الحول إذ قد مرّ الحول على الأصل وهو ما للخريف والشتاء والربيع والصيف فيه من الأثر فكأنه ما خرج عن حكم الحول بهذا الاعتبار فمن العبادات ما هي مرتبطة بالحول كالحج والصيام وما ذكرناه من صنف ما من أصناف المال المزكى ومن العبادة الواجبة ما لا يرتبط بالحول كالصلاة والعمرة ونوافل الخيرات ما عدا الحج فإن واجبه ونافلته سواء في الحول.

وصل في فصل زكاة المعدن

فمن العلماء من راعى فيه الحول مع النصاب تشبيهاً بالذهب والفضة ومنهم من راعى فيه النصاب دون الحول تشبيهاً بما تخرجه الأرض مما تجب فيه الزكاة وصل الاعتبار في هذا المعدن الطبيعة التي تتكوّن عنها الأجسام ونفوس الأجسام الجزئية والطبيعية أربع حقائق بتأليفها ظهر عالم الأجسام وفي العلم الإلهي أن العالم ظهر عن الله تعالى من كونه حياً عالماً مريداً قادراً لا غير وكل اسم له حكم في العالم فداخل تحت حيطة هذه الأربعة الأسماء الأمهات فمن راعى النصاب دون الحول اعتبر هذا فإنه فوق الزمان فإذا تكوّن عن الإنسان ما يتكوّن عن الطبيعة فقد بلغ النصاب فوجبت الزكاة وهي الحاق ذلك بالأربع الصفات الثابتة في العلم الإلهي الذي لا يصح التكوين إلا بها والطبيعة آلة لا إله ومن اعتبر الحول مع النصاب فإنه إذا تكوّن عن الإنسان ما يتكوّن عن العناصر لا عن الطبيعة والعناصر لا يتكوّن عنها شيء إلا بمرور الأزمان عليها وهي حركات الأفلاك التي فوقها فزكاتها مقيدة بالزمان وهي أعطاء حق الله تعالى من ذلك التكوين بإضافته إلى الوجه الخاص الإلهي الذي له في كل ممكن من غير نظر إلى سببه وهذا هو عالم الخلق والأمر والأول هو عالم الأمر خاصة فاعلم ذلك.

وصل في فصل حول ربح المال

فطائفة رأت أن حوله يعتبر فيه من يوم استفيد سواء كان الأصل نصاباً أو لم يكن وبه أقول وطائفة قالت حول الربح هو حول الأصل أي إذا كمل الأصل حولاً زكى الربح معه سواء كان الأصل نصاباً أو أقل من نصاب إذا بلغ الأصل مع ربحه نصاباً وانفرد بهذا مالك وأصحابه وفرّقت طائفة بين أن يكون رأس المال الحائل عليه الحول نصاباً أو لا يكون فقالوا إن كان نصاباً زكى ربحه مع رأس المال وإن لم يكن نصاباً لم يزك وصل الاعتبار في هذا الأعمال هي المال وربحها ما يكون عنها من الصور كالمصلي أو الذاكر يخلق له من ذكره وصلاته ملك يستغفر له إلى يوم القيامة فالصور التي تلبس الأعمال هي أرباحها كمانع الزكاة يأتيه ماله الذي هو

قدر الزكاة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوّق به ويقال له هذا كنزك والأعمال على قسمين عمل روحاني وهو عمل القلوب وعمل طبيعيّ وهو عمل الأجسام وهي الأعمال المحسوسة فما كان من عمل محسوس اعتبر فيه الحول وما كان من عمل معنوي لم يعتبر فيه الحول لأنه خارج عن حكم الزمان ولا بدّ من اعتبار النصاب في المعنى والحس وقد تقدّم اعتبار النصاب وهو المقدار قبل هذا من هذا الباب وصورة الزكاة في ذلك الربح هو ما يعود منه على العامل من الخير من كونه موصوفاً بصفات الدين لأعطائهم الزكاة من فقير ومسكين وغير ذلك وهو قول النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما يخلق من الأعمال من صور الأملاك أنه يستغفر له ذلك الملك إلى يوم القيامة ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بمكة في المنام وهو يقول ويشير إلى الكعبة يا ساكني هذا البيت لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت في أيّ وقت كان من ليل أو نهار أن يصلي في أيّ وقت شاء من ليل أو نهار فإن الله يخلق له من صلاته ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة ومصداق بعض هذا الخبر ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال "يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلىفي أيّ وقت شاء من ليل أو نهار" خرّجه النسائيّ في سننه والله أعلم.

وصل في فصل حول الفوائد

وهو ما يستفاد من المال من غير ربحه فقال بعض العلماء أن العلماء أجمعوا على أن المال إذا كان أقل من نصاب واستفيد إليه مال آخر من غير ربحه فكمل من مجموعهما نصاب أنه يستقبل به الحول من يوم كمل واختلفوا إذا استفاد مالاً وعنده نصاب مال آخر قد حال عليه الحول فقال بعضهم يزكي المستفادان كان نصاباً لحوله ولا يضم إلى المال الذي وجبت فيه الزكاة وبه أقول وقال بعضهم الفوائد كلها تزكى لحول الأصل إذا كان الأصل نصاباً وكذلك الربح عندهم وصل اعتبار هذا الفصل من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فقد استفاد من عمل غيره ما لم يكن من عمله فيكون ربحه وإنما هو عمل والحكم في ذلك في الاعتبار على ما هو في الحكم الظاهر كما فصلناه في المذاهب على اختلافها فيما اخلفوا فيه وإجماعها فيما أجمعوا عليه كما تقدّم في الفصول قبله من الاعتبار في ذلك سواء.

وصل في فصل اعتبار حول نسل الغنم

من العلماء من قال حول النسل هو حلو الأمّهات كانت الأمّهات نصاباً أو لم تكن ومن قائل لا يكون حول النسل حول الأمّهات إلا أن تكون الأمّهات نصاباً وصل الاعتبار في ذلك ألحقنا بهم ذرّياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء وهذا في الذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان فهذه الذرية بمنزلة نوافل الخيرات والأمّهات مثل فرائض الخيرات وكما يتقرّب بالفرائض كذلك يتقرّب بالنوافل وقد رودت الأخبار بما تنتجه نوافل الخيرات من القرب الإلهي فجعل لها حكماً في نفسها فهذا اعتبار من أفرد نسل الغنم بالحكم ومن ألحقها بالأمّهات كما ذكرنا في المذهبين واعتباره أن نوافل الخيرات فرائض وكان حكمها حكم الفرائض فلهذا ضمت إليها فإن صلاة التطوّع وهي النافلة التي لا تجب على الإنسان ولا يعصي بتركها إذا شرع فيها في صلاة نافلة أو صيام أو حج فإنه يلزمه ما فيها من الفرائض فالركوع والسجود والقيام في صلاة النافلة فريضة واجبة عليه لا تصح أن تكون صلاة إلا بهذه الأركان ولهذا قال الله أكملوا لعبدي فريضته من تطوّعه فيكمل فرض المفروض من فرض التطوّع كان العمل ما كان فحق الله في نوافل الخيرات ما تحوي عليه من الفرائض وهو زكاتها وما في ذلك من الفضل يعود على عاملها ولهذا يكون الحق سمعه وبصره في التقرب

بالنوافل.

وصل في فصل فوائد الماشية

قد تقدم اعتبار مثله في فوائد الناض فأغنى عن ذكره في هذا الفصل وإنما جئنا به لننبه عليه.

وصل في فصل اعتبار حول الديون

فيمن يرى الزكاة فيه فإن قوماً قالوا يستقبل به الحول من اليوم الذي قبضه يعني الدين من غريمه والذين يقولون في الدين الزكاة اختلفوا فمن قائل يعتبر فيه من أول ما كان ديناً وإن مضى عليه حول زكى زكاة حول وإن مرّت عليه أحوال زكى لكل حول مرّ عليه زكاة فأنزله صاحب هذا المذهب مترلة المال الحاضر ومن قائل يزكيه لعام واحد خاصة وإن أقام أحوالاً عند الذي عنده الدين فلا زكاة فيه إلا هذا القدر ولا أعرف له حجة في ذلك الاعتبار في هذا الحج عن الميت ومن لا يستطيع كما ورد في النص وصيام وليّ الميت عن الميت إذا مات وعليه صيام فرض رمضان فصار حقاً لله فيه على الوليّ الذي يحج أو يصوم فذلك الحق هو قدر الزكاة الذي في الدين وتبرأ ذمّة الذي عنده الدين كما أن الذي عنده الدين لا زكاة عليه فيما عنده لأنه ليس بمالك له ومن يرى أنه لا زكاة عليه فيه مادام عند المديون يرى أنه ليس للإنسان إلا ما سعى وليس بيده مال يسعى فيه بخير بل خيره منه كونه وسع على المديون بما أعطاه من المال فعين هذا الفعل قام فيه مقام الزكاة فأغنى عن أن يزكيه وأيّ خير أعظم ممن وسع على عباد الله وقد قرّر العلماء أن المقصود بالزكاة إنما هو سدّ الخلة والذي يأخذ الدين لولا حاجته ما أخذه والذي يعطيه ذلك قد سدّ منه تلك الخلة فأشبه الزكاة من هذا الوجه فهذا اعتبار من لا يرى زكاة فيه حتى يقبضه ويستقبل به اعلحول من يوم قبضه وآية الديون على ما قلناه قوله تعالى "وأقرضوا الله قرضاً حسناً" ومن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ولما كان في القرض سدّ الخلة لذلك قالت اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء أي من أجل فقره طلب القرض منا وغابوا عن الذي أراده الحق تعالى من ذلك من غاية وصلته بخلقه كما جاء في الصحيح "جعت فلم تطعمني" وشبه ذلك والباب واحد وقد تقدّم الكلام في القرض في أوّل الباب.

وصل في فصل

حول العروض عند من أوجب الزكاة فيها

وقد تقدّم اعتبار الحول والذي أذهب إليه أنه لا زكاة فيها لعدم النص في ذلك وكأنه شرع زائد وهو القياس المرسل لا شرع مستنبط من شرع ثابت والله أعلم فمن العلماء من اشترط مع العروض وجود الناض ومنهم من اعتبر فيه النصاب ومنهم من لم يعتبر ذلك وقال أكثر العلماء المدير وغير المدير حكمه واحد وأنه من اشترى عرضاً وحال عليه الحول قوّمه وزكاه وقال قوم بل يزكي ثمنه وبه أقول لا قيمته وصل الاعتبار في هذا العروض هو ما يعرض على الإنسان من أعمال البرّ مما لا نية له في ذلك أو يكون من الأعمال التي لا تشترط فيها النية وله الثواب عليها كما قال صلى الله عليه وسلم "أسلمت على ما أسلفت من خير أي لك

ثوابه وإن لم يكن فعلك فيه عن شرع ثابت لكنه مكارم خلق فصادف الحق فجوزي عليه فلو لم يكن في ذلك العمل الذي عرض حق لله لنسبة تعطيه ما صح أن يثني عليه فذلك زكاته من حيث لا يشعر.

وصل في فصل تقدّم الزكاة قبل الحول

فمن العلماء من منع من ذلك وبالمنع أقول ظاهراً لا باطناً ومنهم من جوّز ذلك الاعتبار اعتبار التجويز "وقدّموا لأنفسكم وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله" "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وأولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون" وقوله صلى الله عليه وسلم فيمن أتى بالشهادة قبل أن يسألها فعظم ما فيها من الأجر على أجر من أتى بالشهادة بعد أن طولب بأدائها وأمّا عتبار المنع فإن الحكم للوقت فلا ينبغي أن يفعل فيه ما لا يقتضيه وهنا دقائق من العلوم من علوم الأسماء الإلهية وهل يحكم اسم في وقت سلطنة اسم آخر مع بقاء حكم صاحب الوقت وهل يشتركان في الوقت الواحد فيكون الحكم لكل واحد من الأسماء حكم في وقته وهل حكم الوقت هو الحاكم على الاسم بأن جعله بحكم الاستعداد المحكوم فيه الذي أعطاه الوقت فما وقع حكم إلا في وقته إلى مثل هذا فاعلمه ويكفي هذا القدر من اعتبار باب الزكاة والحمد لله انتهى الجزء الخامس والخمسون.

الجزء السادس والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الحادي والسبعون في أسرار الصوم

يا ضاحكاً في صورة الباكي أنت بنا المشكوّ والشاكي

الصوم إمساك بلا رفعة ورفعة من غير إمساك
وقد يكونان معاً عند من يثبت توحيداً بإشراك
صيدت عقول عن تصاريفها بلا حبالات وأشراك
صيدت عقول عن تصاريفها بصارم للشرع بتاك
فسلمت ما ردّ برهانها وآمنت من غير إدراك
جرى بها نجم الهدى سابحاً ما بين أملاك بأفلاك
لولاك يا نفسي لما كنته كأنه لولاك لولاك
صومي عن الكون ولا تفطري بذا إله الخلق أولاك
وانوي بذاك الصوم من حيث هو فإنه بالطبع غذاك
في الصوم معنى لو تدبرته ما حل مخلوق بمغناك
لا مثل للصوم كذا قال لي شارعه فديري ذاك
لأنه ترك فأين الذي عملته أو أين دعواك
قد رجع الأمر إلى أصله بذاك ربي قد تولاك
والصوم إن فكرت في حكمه وأصل معناه بمعناك
ثم أتى من عنده مخبر عن صومك المشروع عراك
فالصوم لله فلا تجهلي وأنت مجلاه فإياك
الصوم لله وأنت التي تموت جوعاً فاعلمي ذاك
أنثك الرحمن من أجل من يظهر منك حين سوّاك
سبحان من سوّاك أهلاله ولم ينل ذلك إلاك
فأنت كالأرض فراش له وعينه المنعوت بالباكي

وصنعة الله ترى عينها بينكما فأين مجلاك
لما دعوت الله من ذلة به تعالى بك لباك
والقلم الأرفع في لوحه سطر عنه وصفك الزاكي
فأنت عين الكل لا عينه أدناك من وجه وأقصاك
إياك أن ترضى بما ترتضي من أجل ما يرضيك إياك
كوني على أصلك في كل ما يريد لا تنسي فينساك
هذا هو العلم الذي جاءني من قائل ليس بإفاك
أنزله عن أمر علامه ما بين زهاد ونساك
والحمد لله الذي خصني بعلم أضواء وأحلاك
وخصني بصورة لم يكن كمالها إلا بأيواك

اعلم أيدك الله أن الصوم هو الإمساك والرفعة يقال صام النهار إذا ارتفع قال امرؤ القيس إذا صام النهار وهجرا أي ارتفع ولما ارتفع الصوم عن سائر العبادات كلها في الدرجة سمي صوماً ورفعه سبحانه بنفي المثلية عنه في العبادات كما سنذكره وسلبه عن عباده مع تعبدهم به وأضافه إليه سبحانه وجعل جزاء من اتصف به بيده من أنانيته وألحقه بنفسه في نفي المثلية وهو في الحقيقة ترك لا عمل ونفي المثلية نعت سلبي فتقوّت المناسبة بينه وبين الله قال تعالى في حق نفسه "ليس كمثله شيء" فنفى أن يكون له مثل فهو سبحانه لا مثل له بالدلالة العقلية والشرعية وخرج النسائي عن أبي أمامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مرني بأمر آخذه عنك قال عليك بالصوم فإنه لا مثل له فنفى أن يماثله عبادة من العبادات التي شرع لعباده ومن عرف أنه وصف سلبي إذ هو ترك المفطرات علم قطعاً أنه لا مثل له إذ لا عين له تتصف بالوجود الذي يعقل ولهذا قال الله تعالى "الصوم لي" فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل واسم العمل إذا أطلق عليه فيه تجوّز كإطلاق لفظة الموجود على الحق المعقول عندنا تجوّزاً إذ من كان وجوده عين ذاته لا تشبه نسبة الوجود إليه نسبة الوجود إلينا فإنه ليس كمثله شيء.

إيراد حديث نبوي إلهي

خرج مسلم في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه عز وجل فرح بصومه" واعلم أنه لما نفى المثلية عن الصوم كما ثبت فيما تقدم من حديث النسائي والحق ليس كمثله شيء لقي الصائم ربه عز وجل يوصف ليس كمثله شيء فرآه به فكان هو الرائي المرئي فلهذا قال صلى الله عليه وسلم فرح بصومه ولم يقل فرح بلقاء ربه فإن الفرح لا يفرح بنفسه بل يفرح به ومن كان الحق بصره عند رؤيته ومشاهدته فما

رأى نفسه إلا برؤيته ففرح الصائم لحوقه بدرجة نفي المماثلة وكان فرحه بالفطر في الدنيا من حيث إيصال حق النفس الحيوانية التي تطلب الغذاء لذاتها فلما رأى العارف افتقار نفسه الحيوانية النباتية إليه ورأى جوده بما أوصل إليها من الغذاء أداء لحقها الذي أوجبه الله عليه قام في هذا المقام بصفة حق فأعطى بيد الله كما يرى الحق عند لقائه بعين الله فلهذا فرح بفطره كما فرح بصومه عند لقاء ربه بيان ما يتضمنه هذا الخبر ولما كان العبد موصوفاً بأنه ذو صوم واستحق اسم الصائم بهذه الصفة ثم بعد إثبات الصوم له سلبه الحق عنه وأضافه إلى نفسه فقال إلا الصيام فإنه لي أي صفة الصمدانية وهي التتريه عن الغذاء ليس إلا لي وإن وصفتك به فإنما وصفتك باعتبار تقييد ما من تقييد التتريه لا بإطلاق التتريه الذي ينبغي لجلالي فقلت وأنا أجزي به فكان الحق جزاء الصوم للصائم إذا انقلب إلى ربه ولقيه بوصف لا مثل له وهو الصوم إذ كان لا يرى من ليس كمثله شيء إلا من ليس كمثله شيء كذا نص عليه أبو طالب المكي من سادات أهل الذوق من وجد في رحله فهو جزاؤه ما أوجب هذه الآية في هذه الحالة ثم قوله والصيام جنة وهي الوقاية مثل قوله "واتقوا الله أي اتخذوه وقاية وكونوا له أيضاً وقاية فأقام الصوم مقامه في الوقاية وهو ليس كمثله شيء والصوم من العبادات لا مثل له ولا يقال في الصوم ليس كمثله شيء فإن الشيء أمر ثبوتي أو وجوديّ والصوم ترك فهو معقول عدميّ ووصف سلبيّ فهو لا مثل له لا إنه ليس كمثله شيء فهذا الفرق بين نعت الحق في نفي المثلية وبين وصف الصوم بها ثم إن الشارع نهى الصائم والنهي ترك ونعت سلبيّ فقال لا يرفث ولا يسخب فما أمره بعمل بل نهاه أن يتصف بعمل ما والصوم ترك فصحت المناسبة بين الصوم وبين ما نهي عنه الصائم ثم أمر أن يقول لمن سابه أو قاتله إني صائم أي تارك لهذا العمل الذي عملته أنت أيها المقاتل والساب في جانبي فتره نفسه عن أمر ربه عن هذا العمل فهو مخبر أنه تارك أي ليس عنده صفة سب ولا قتال لمن سابه وقاتله ثم قال والذي نفس محمد بيده يقسم صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم وهو تغير رائحة فم الصائم التي لا توجد إلا مع التنفس وقد تنفس بهذا الكلام الطيب الذي أمر به وهو قوله إني صائم فهذه الكلمة وكل نفس الصائم أطيب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين عند الله فجاء بالاسم الجامع المنعوت بالأسماء كلها فجاء باسم لا مثل له إذ لم يتسم أحد بهذا الاسم إلا الله سبحانه فناسب كون الصوم لا مثل له وقوله من ريح المسك فإن ريح المسك أمر وجوديّ يدركه الشامّ ويلتذ به السليم المزاج المعتدل فجعل الخلوف عند الله أطيب منه لأن نسبة إدراك الروائح إلى الله لا تشبه إدراك الروائح بالمشامّ فهو خلوف عندنا وعنده تعالى هذا الخلوف فوق طيب المسك في الرائحة فإنه روح موصوف لا مثل لما وصف به فلا تشبه الرائحة الرائحة فإن رائحة الصام عن تنفس ورائحة المسك لا عن تنفس من المسك ولنا واقعة في مثل هذا كنت عند موسى بن محمد القباب بالمنارة بحرم مكة بباب الحزورة وكان يؤذن بها وكان له طعام يتأذى برائحته كل من شمه وسمعت في الخبر النبويّ أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ونهى أن تقرب المساجد برائحة الثوم والبصل والكرّاث فبت وأنا عازم أن أقول لذلك الرجل أن يزيل ذلك الطعام من المسجد لأجل الملائكة فرأيت الحق تعالى في النوم فقال لي عز وجل لا تقل له عن الطعام فإن رائحته عندنا

ما هي مثل ما هي عندكم فلما أصبح جاء على عادته إلينا فأخبرته بما جرى فبكى وسجد لله شكراً ثم قال لي يا سيدي ومع هذا فالأدب مع الشرع أولى فأزاله من المسجد رحمه الله ولما كانت الروائح الكريهة الخبيثة تنفر عنها الأمزجة الطبيعية السليمة من إنسان وملك لما يحسونه من التأذي لعدم المناسبة فإن وجه الحق في الروائح الخبيثة لا يدركه إلا الله خاصة ومن فيه مزاج القبول له من الحيوان أو الإنسان الذي له مزاج ذلك الحيوان لا ملك ولهذا قال عند الله فإن الصائم أيضاً من كونه إنساناً سليم المزاج يكره خلوف الصوم من نفسه ومن غيره وهل يتحقق أحد من المخلوقين السالمين المزاج بربه وقتاً ما أو في مشهد ما قيدرك الروائح الخبيثة

طيبة على الإطلاق ما سمعنا بهذا وقولي على الإطلاق من أجل أن بعض الأمزجة يتأذى بريح المسك والورد ولا سيما المحرور المزاج وما يتأذى منه فليس بطيب عند صاحب ذلك المزاج فلهذا قلنا على الإطلاق إذ الغالب على الأمزجة طيب المسك والورد وأمثاله والمتأذي من هذه الروائح الطيبة مزاج غريب أي غير معتاد ولا أدري هل أعطى الله أحداً إدراك تساوي الروائح بحيث أن لا يكون عنده خبث رائحة أم لا هذا ما ذقناه من أنفسنا ولا نقل إلينا أن أحداً أدرك ذلك بل المنقول عن الكمل من الناس وعن الملائكة التأذي بهذه الروائح الخبيثة وما انفرد بإدراك ذلك طيباً إلا الحق هذا هو المنقول ولا أدري أيضاً شأن الحيوان من غير الإنسان في ذلك ما هو لأني ما أقامني الحق في صورة حيوان غير إنسان كما أقامني في أوقات في صور ملائكته والله أعلم ثم إن الشرع قد نعت الصوم من طريق المعنى بالكمال الذي لا كمال فوقه حين أفرد له الحق باباً خاصاً وسماه باسم خاص يطلب الكمال يقال له باب الريان منه يدخل الصائمون والريّ درجة الكمال في الشرب فإنه لا يقبل بعد الريّ الشارب شرباً أصلاً ومهما قبل فما ارتوى أرضاً كان أو غير أرض من أرضين الحيوانات خرّج مسلم من حديث سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلا يدخل منه أحد و لم يقل ذلك في شيء من منهي العبادات ولا مأمورها إلا في الصوم فبين بالريان أنهم حازوا صفة كمال في العمل إذ قد اتصفوا بما لا مثل له كما تقدّم وما لا يماثل هو الكامل على الحقيقة والصائمون من العارفين هنا دخلوه وهناك يدخلون منه على علم من الخلائق أجمعين فلنذكر إن شاء الله في هذا الباب أحكام الصوم المشروع وتوابعه ولواحقه وأنواعه وواجبه ومندوبه كما ذكرنا فيما تقدّم من أخواته من زكاة وصلاة في العموم والخصوص على طبقاتهم في ذلك وله عندنا مراتب أوّلها الصوم العام المعروف الذي تعبدنا الله به وهو الصوم الظاهر في الشاهد على تمام شروطه فإذا فرغنا من الكلام على أحكام المسئلة التي نوردها في ذلك انتقلنا إلى الكلام بلسان الخواص وخلاصتهم على صوم النفس بما هي آمرة للجوارح وهو إمساكها عما حجر عليها في مسئلة مسئلة وارتفاعها عن ذلك وعلى صوم القلب الموصوف بالسعة للتزول الإلهي حيث قال تعالى "وسعني قلب عبدي فنتكلم على صومه وهو إمساكه هذه السعة أن يعمرها أحد غير خالقه فإن عمرها أحد غير خالقه فقد أفطر في الزمان الذي يجب أن يكون فيه صائماً إيثاراً لربه مسئلة مسئلة والكلام على جملة المفطرات في نوع كل صوم على الاختصار والتقريب فإنه باب يطول وسأورد في هذا الباب من الأخبار النبوية ما تقف عليه إن شاء الله تعالى.

وصل في فصل تقسيم الصوم

اعلم أن الصوم المشروع منه واجب ومنه مندوب إليه والواجب على ثلاثة أنواع منه ما يجب بإيجاب الله تعالى إياه ابتداء وهو صوم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي في صيامه أو عدة من أيام أخر في حق المسافر أفطر أو لم يفطر عندنا وعند غيرنا إن أفطر وفي حق المريض ومنه ما يجب لسبب موجب وهو صيام الكفارات ومنه ما يجب من الله بما أوجبه الإنسان على نفسه وهو غير مكروه وهو صوم النذر فإنه يستخرج به من البخيل وما ثم واجب غير ما ذكرنا وأما المندوب فمنه ما يتقيد بالزمان المرغب فيه كصوم الأيام البيض والاثنين والخميس وأشباه ذلك من الأيام والشهور ومنه ما يتقيد بالحال كصيام يوم وفطر يوم وهو أعدل الصوم وكالصيام في سبيل الله ومنه ما لا يتقيد بزمان وهو أن يصوم الإنسان متى شاء متطوّعاً بذلك.

وصل في فصل

الصوم الواجب الذي هو شهر رمضان لمن شهده

فلنقدم في ذلك ذكر رمضان وبعد هذا نتكلم في أحكام صومه خرّج مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين" زاد النسائي في كتابه "ونادى مناد في كل ليلة يا طالب الخير هلم ويا طالب الشر أمسك" رواه النسائي عن عرفجة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان مجيء رمضان سبباً في الشروع في الصوم فتح الله أبواب الجنة والجنة الستر فدخل الصوم في عمل مستور لا يعلمه منه إلا الله تعالى والصائم الذي سماه الشرع صائماً لا الجائع وغلق الله أبواب النار فإذا غلقت أبواب النار عاد نفسها عليها فتضاعف حرها عليها وأكل بعضها بعضاً كذلك الصائم في حكم طبيعته إذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك في باطنه وتضاعفت شهوته للطعام الذي يتوهم الراحة بتحصيله فتقوى نار شهوته بغلق باب تناول الأطعمة والأشربة وصفدت الشياطين وهي صفة البعد فكان الصائم قريباً من الله بالصفة الصمدانية فإنه في عبادة لا مثل لها فقرب بها من صفة ليس كمثله شيء ومن كانت هذه صفته فقد صفدت الشياطين في حقه وقد ورد في الخبر أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع والعطش أي هذه الأسباب معينة له على ما يريده من الإنسان من التصرف في الفضول وهو ما زاد على التصرف المشروع ثم اعلم علمك الله من لدنه علماً وجعل لك في كل أمر حكمة وحكماً إن رمضان اسم من أسماء الله تعالى وهو الصمد ورد الخبر النبوي بذلك روى أحمد بن عديّ الجرجانيّ من حديث نجيح أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى وإن كان في هذا الإسناد أبو معشر فإن علماء هذا الشان قالوا فيه إنه مع ضعفه يكتب حديثه فاعتبروه رضي الله عنه ولذلك قال الله تعالى "شهر رمضان" و لم يقل رمضان وقال فمن شهد منكم الشهر و لم يقل رمضان فتقوّى بهذا حديث أبي معشر مع قول العلماء فيه أنه يكتب حديثه مع ضعفه فزاد قوّة في هذا الحديث بما أيده القرآن من ذلك فما فرض الله الصوم الذي لا مثل له ابتداء إلا في شهر سماه سبحانه باسم من أسمائه فتمثل له في الشهور لأنه ليس في أسماء شهور السنة من له اسم تسمى الله به إلا رمضان فجاء باسم خاص اختص به معين وليس كذلك في إضافة رجب يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم فيه أنه شهر الله المحرم فالكل شهور الله وما نعته هنا إلا بالمحرم وهو أحد الشهور الحرم ثم إن الله تعالى أنزل القرآن في هذا الشهر في أفضل ليلة تسمى ليلة القدر فأنزله فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان من كونه رمضان وأما من كونه ليلة القدر فأنزله كتاباً مبيناً أي بينا أنه كتاب وبين كون الشيء كتاباً وقرآنا وفرقاناً مراتب متميزة يعلمها العالمون بالله فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال رمضان لقوله "ليس كمثله شيء" فلو قيل لكان مثلاً في هذا الاسم فأضاف لفظ الشهر إليه حتى تنتفي عنه المثلية في الشهور خاصة ويبقى ليس كمثله شيء على رتبته من كل وجه وقد فرض الله صومه وندب إلى قيامه وهو يتضمن صوماً وفطراً لأنه يتضمن ليلاً ونهاراً واسم رمضان ينطلق عليه في حال الصوم والإفطار حتى يتميز من رمضان الذي هو اسم الله تعالى فإن الله تعالى له الصوم الذي لا يقبل الفطر ولنا الصوم الذي يقبل الفطر وينتهي إلى حدّ وهو إدبار النهار وإقبال الليل وغروب الشمس فكان إطلاقه على الحق لا يشبه إطلاقه على

الخلق وندب إلى القيام في ليله لتجليه تعالى يوم يوم الناس لرب العالمين وإن كان التجلي لله في كل ليلة من السنة ولكن تجليه في رمضان في زمان فطر الصائمين ما هو مثل تجليه للمفطر من غير صوم لأن هذا وجود فطر عن ترك مشروع موصوف بأنه لا مثل له وذلك الآخر لا يسمى مفطراً بل يسمى آكلاً إذا كان الفطر الشق فهذا الأكل للصائم شق أمعائه بالطعام والشراب بعد سدّها بالصوم حيث قال سدّوا مجاريه بالجوع والعطش وكان القيام بالليل لأن القيام نتيجة قوّة في المحل وسبب قوى المحل الغذاء وكان بالليل لمناسبة الغيب فإن القوّة عن الغذاء غيب غير محسوس انتاج القوّة عن الغذاء ولما شمل رمضان الصوم والفطر

والقيام وعدم القيام لذلك ورد في الخبر لا يقولنّ أحدكم إني قمت رمضان كله وصمته قال الراوي فلا أدري أكره التزكية أو قال لابدّ من نومة أو رقدة فجعل الاستثناء في قيام ليله لا في ثوم نهاره خرّج هذا الحديث أبو داود عن أبي بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته. وأفطروا لرؤيته.

وصل في فصل إذا غم علينا في رؤية الهلال

اختلف العلماء إذا غم الهلال فقال الأكثرون تكمل العدة ثلاثين فإن كان الذي غم هلال أول الشهر عد الشهر الذي قبله ثلاثين وكان أول رمضان الحادي والثلاثين وإن كان الذي غم هلال آخر الشهر أعني شهر رمضان صام الناس ثلاثين يوماً ومن قائل إن كان المغمى هلال أول الشهر صيم اليوم الثاني وهو يوم الشك ومن قائل في ذلك يرجع إلى الحساب بتسيير القمر والشمس وهو مذهب ابن الشخير وبه أقول وصل اعتبار هذا تقدّم حديث سبب الخلاف خرّج مسلم عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فضرب بيده فقال الشهر هكذا وهكذا ثم عقد إبهامه في الثالثة صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمى عليكم فاقدروا ثلاثين وقد ورد أيضاً من حديث ابن عمر أنه قال صلى الله عليه وسلم أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعني تمام ثلاثين فهذا الحديث الثاني رفع الإشكال وحديث اقدروا من حمله على التضيق ابتدأ بصوم رمضان من يوم الشك ومن حمله على التقدير حكم بالتسيير وبه أقول اعلم أنه لا ترفع الأصوات إلا بالرؤية وبه سمي هلالاً فمتى ما طلع هلال المعرفة في أفق قلوب العارفين من الاسم الإلهيّ رمضان وجب الصوم ومتى طلع هلال المعرفة في أفق قلوب العارفين من الاسم الإلهيّ فاطر السموات والأرض وجب الفطر على الأرواح من قوله السموات وعلى الإجسام من قوله والأرض وطلع هنا أي ظهر فإنه غارب يتلو الشمس فإن غم على العارف و لم يره من أجل الحجاب الحائل من عالم البرزخ فإن الغيم برزخيّ بين السماء والأرض فيقدر العارف لهلال المعرفة في قلبه بحاله وذلك أن ينظر في هلال عقله بتسييره في منازل سلوكه حالاً بعد حال ومقاماً بعد مقام فإن كان مقامه يعطى الكشف وإن النداء قد جاءه من خلف حجاب كما جاء وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب غير أن حجاب الطبيعة قام له في ذلك الوقت في أمر من أموره من شغل الخاطر بمال أو أهل وإن كان في الله فيعمل بحساب ذلك ويعامل اسم الله رمضان بما يليق به وإن لم يشهده فإن الحال اقتضى له ذلك وإن لم يعطه الحال لصحة الحساب أخرجكم ذلك الاسم الإلهيّ إلى وقته.

وصل في فصل اعتبار وقت الرؤية

اتفقوا على أنه إذا رؤي من العشاء على أن الشهر من اليوم الثاني واختلفوا إذا رؤي في سائر أوقات النهار أعني أول ما يرى فأكثر العلماء على أن القمر في أول وقت رؤي من النهار أنه لليوم المستقبل كحكمه في موضع الاتفاق ومن قائل إذا رؤي قبل الزوال فهو لليلة الماضية وإن رؤي بعد الزوال فهو لليلة الآتية وبه أقول وصل في الاعتبار فيه حكم الاسم الإلهيّ في أيّ حال ظهر من الأحوال فالحكم له في الحال بالتجلي وفي الاستقبال بالأثر حتى يأتي حكم اسم آخر يزيل حكم الأول وأما من يعتبر الرؤية قبل الزوال وبعده فاعلم أن الاستواء هو المسمى في الطريق موقف السواء وهو الموقف الذي لا يتميز فيه سيد من عبد ولا عبد من سيد فإن قلت فيه في تلك الحالة سيد صدقت وإن قلت فيه عبد صدقت لأن لك شاهد حال في كل قول يشهد لك بصدق ما تقول فقل ما شئت فيه تصدق وهو مثل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم "وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى" فكونه رمى حق وكونه لم يرم حق يقول تعالى كنت يده التي يبطش بها فإن قلت أن الرامي هو الله صدقت وإن قلت إن الرامي هو محمد صلى الله عليه وسلم صدقت هذا هو موقف السواء فإن كنت في موقف أبي بكر الصدّيق ما رأيت شيأ إلا رأيت الله قبله فتكون ممن رآه قبل الزوال فالحكم الماضي وأنت بالحال في أول الشهر وذلك اليوم هو أوله وإن كنت عثمانيّ المشهد أو صاحب دليل فكر فتقول ما رأيت شيأ إلا رأيت الله بعده وهو الذي رآه بعد الزوال فحكمه في المستقبل ووقته في الاستواء وقت وجه الدليل له نسبة إلى الدليل ونسبة إلى المدلول ثم يظهر الزوال وهو رجوع الظل من خط الاستواء إلى الميل العينيّ فإنه راجع إلى العشيّ وهو طلب الليل.

وصل في فصل

اختلافهم في حصول العلم بالرؤية بطريق البصر

اختلف العلماء في ذلك فكلهم قالوا إن من أبصر هلال الصوم وحده أن عليه أن يصوم إلا ابن أبي رباح فإنه قال لا يصوم إلا برؤية غيره معه واختلفوا هل يفطر برؤيته وحده فمن قائل لا يفطر ومن قائل يفطر وبه أقول وكذلك يصوم لرؤيته وحده ولكن مع حصول العلم في الرؤيتين وأما حصول العلم بالرؤية من طريق الخبر فمن قائل لا يصام ولا يفطر إلا بشاهدين عدلين ومن قائل يصام بواحد ويفطر باثنين ومن قائل إن كانت السماء مغيمة أعني في موضع الهلال قبل واحد وإن كانت مصحية لم يقبل إلا الجمّ الغفير أو عدلان وكذلك في هلال الفطر فمن قائل اثنان ومن قائل واحد وصل الاعتبار في ذلك فيما يراه أهل الله من التجلي في الأسماء الإلهية هل يقف مع رؤيته أو يتوقف حتى يقوم له شاهد من كتاب أو سنة قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة يريد أنه نتيجة عن العمل عليهما وهو الذي أردناه بالشاهد وهما الشاهدان العدلان وقال تعالى "أفمن كان على بينة من ربه" وهو صاحب الرؤية ويتلوه شاهد منه وهو ما ذكرناه من العلم على الخبر إمّا كتاب أو سنة وهو الشاهد الواحد والشاهدان الكتاب والسنة وإنما احتجنا إلى العمل عليهما دون العثور على النقل الذي يشهد لصاحب هذا المقام لأن ذلك يتعذر إلا بخرق العادة وهو أن يعرف من هناك بآية الدليل أو الخبر وقد رأينا هذا الجماعة من أصحابنا يحتجون على مواجيدهم بالقرآن وما تقدّم لهم به حفظ وبالسنة وقد روينا هذا عن أبي يزيد البسطاميّ ومتى لم يعط ذلك لم يحكم عليه بقبول ولا بردّ كاهل الكتاب إذا أخبرونا عن كتابهم بأمر لا نصدّق ولا نكذب بهذا أرمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتركه موقوفاً والذي أعرف من قول الجنيد لعلمي بالطريق أنه

أراد أن يفرّق بين ما يعطى لصاحب الخلوات والمجاهدة والرياضة على غير طريق الشرع بل بما تقتضيه النفوس من طريق العقل وبين ما يظهر للعاملين على الطريقة المشروعة بالخلوات والرياضات فيشهد له سلوكه على الطريقة المشروعة الإلهية بأن ذلك الظاهر له من عند الله على طريق الكرامة به فهذا معنى قول الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وفي رواية مشيد أي هو نتيجة عن عمل مشروع إلهيّ ليفرّق بينه وبين ما يظهر لأرباب العقول أصحاب النواميس الحكمية والمعلوم واحد والطريق مختلف وصاحب الذوق يفرق بين الأمرين.

وصل في فصل زمان الإمساك

اتفقوا على أن آخره غيبوبة الشمس واختلفوا في أوله فمن قائل الفجر الثاني وهو المستطير ومن قائل هو الفجر الأحمر الذي يكون بعد الأبيض وهو قول حذيفة وابن مسعود وهو نظير الشفق الأحمر الذي يكون في أول الليل والذي أقول به هو تبينه للناظر إليه حينئذ يحرم الأكل وهذا هو نص القرآن "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود" يريد بياض الصبح وسواد الليل وصل الاعتبار في هذا غيبوبة الشمس هي انقضاء مدّة حكم الاسم الإلهيّ رمضان في الصوم فإنه الذي شرع الصوم فانتهاء مدة حكمه في الصوم هو مغيب الشمس وإن كان اسم رمضان كما هو لم يزل عن ولايته فإن له حكماً آخر فينا وهو القيام وتولى الحكم في المحل الذي كان موصوفاً بالصيام الاسم الذي هو فاطر السموات والأرض ولكن بتولية اسم رمضان إياه فهو النائب عنه كما أنه في الصوم رفيع الدرجات وممسك السموات والأرض أن تزولا أو أن تقع على الأرض إلا بإذنه فأفطر الصائم وبقي حكمه مستمرّاً في القيام إلى الحدّ الذي يحرّم فيه الأكل الاسم الإلهيّ رمضان فتولى الاسم الممسك ويبقى الاسم الفاطر والياً على المريض والمسافر والمرضع والحامل وذ الحدّ هو الفجر الأبيض المستطير وهو الأولى من الفجر الأحمر إلا عند من يقول بفار التنور إنه الفجر كما أن الأخذ بالتواتر أولى من الأخذ بالخبر الواحد الصحيح والقرآن متواتر وهو القائل حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فإن أصل الألوان البياض والسواد وما عداهما من الألوان فبرازخ بينهما تتولد من امتزاج البياض والسواد فتظهر الغبرة والحمرة والخضرة إلى غير ذلك من الألوان فما قرب للبياض كانت كمية البياض فيه أكثر من كمية السواد وكذلك في الطرف الآخر وجاءت السنة في حديث حذيفة بالحمرة دون البياض فقال هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع وهو محتمل والبياض المذكور في القرآن ليس بمحتمل فرجحنا الأبيض على الأحمر بوجهين قويين القرآن وعدم الاحتمال واعتبارهما حكم الإيمان وهو الأبيض فإنه مخلص لله غير ممتزج والأحمر للنظر الاجتهاديّ وهو حكم العقل ونظر العقل ممتزج بالحس من طريق الخيال لأنه يأخذ عن الفكر عن الخيال عن الحس إمّا بما يعطيه وإما بما تعطيه القوّة المصوّرة وهو قاطع بما يعطيه إلا أنه تدخل عليه الشبهة القادحة فلهذا أعطينا الشفق الأحمر لنظر المجتهد إذ الحمرة لون حدث من امتزاج البياض والسواد وهو امتزاج خاص وأمّا اعتبار التبين في قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم ولا يتبين حتى يكون الطلوع وإليه أذهب في الحكم فلم يحرم الأكل مع حصول الطلوع في نفس الأمر لكن ما حصل البيان عند الناظر كذلك الحق وإن كان في نفس الأمر هو الظاهر في المظاهر الإمكانية لكن لم يتبين ذلك لكل أحد وكما عفا الشارع عن الآكل في أكله وأباح له الأكل مع تحقق طلوع الفجر في نفس الأمر لكن ما تبين له كذلك ما وقع من العبد الذي لا يعرف أن الحق هو الظاهر في المظاهر الإمكانية بأفعاله وأسمائه لا يؤاخذ بها من جهل ذلك حتى يتبين له الحق في ذلك

فيكون على بصيرة في قوله إذا أحببته كنت سمعه وبصره فكان العبد مظهر الحق وقد ثبت أن الله قال على لسان عبده في الصلاة سمع الله لمن حمده فنسب القول إليه واللسان للعبد الذي هو محل القول واللسان مظهر إمكانيّ وكما يحرم على المكلف الأكل عند تبين الفجر كذلك يحرم على صاحب الشهود أن يعتقد أن ثم في الوجود غير الله فاعلاً بل ولا مشهوداً إذ كان قد عم في الحديث القوي والجوارح وما ثم إلا هذان.

وصل في فصل ما يمسك عنه الصائم

أجمعوا على أنه يجب على الصائم الإمساك عن المطعوم والمشروب والجماع وهذا القدر هو الذي ورد به نص الكتاب في قوله تعالى فالآن باشروهنّ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وصل في الاعتبار في هذا أما المطعوم فهو علم الذوق والشرب فالصائم على صفة لا مثل لها ومن اتصف بما لا مثل له فحكمه أن لا مثل له والذوق أول مبادي التجلي الإلهيّ فإذا دام فهو الشرب والذوق نسبة تحدث عند الذائق إذا طعم المذوق والصوم ترك والترك ما له صفة وجودية تحدث فإن الترك ليس بشيء وجودي يحدث لأنه نعت سلبي والطعم يضادّه فلهذا حرم تناول المطعوم على الصائم لأنه يزيل حكم الصوم عنه وأما المشروب فهو تجل وسط الوسط محور بين طرفين لمن هو وسط لهما والحصر يقضي بالتحديد في المحصور والصوم صفة إلهية والله لا يقتضي الحصر ولا يتصف به ولا بالحدّ ولا يتميز بذلك عندنا فيناقض المشروب الصوم فلهذا حرم على الصائم المشروب ثم إن المشروب لما كان تجلياً أذن بوجود الغير المتجلي له والغير في الصائم لا عين له لأن الصوم لله ليس لنا وأنا المنعوت به فقد أنزلني الحق بهذه الصفة منزلته والشيء لا يتجلى لنفسه فالصائم لا يتناول المشروب ويحرم عليه ذلك وأما الجماع فهو لوجود اللذة بالشفعية فكل واحد من الزوجين صاحب لذة فيه فكل واحد مثل للآخر في الجماع ولهذا سمي جماعاً لاجتماع الزوجين والصائم لا مثل له لاتصافه بصفة لا مثل لها فحرم الجماع على الصائم هذا موضع الاجتماع على هذه الثلاثة التي تبطل الصوم ولا يكون الموصوف بها أو بأحدها صائماً.

وصل في فصل ما يدخل الجوف مما ليس بغذاء

اختلفوا فيما يدخل الجوف مما ليس بغذاء كالحصى وغيره وفيما يدخل الجوف من غير منفذ الطعام والشراب كالحقنة وفيما يرد باطن الأعضاء ولا يرد الجوف مثل أن يرد الدماغ ولا يرد المعدة فمن قائل إن ذلك يفطر ومن قائل لا يفطر وصل في فصل الاعتبار مشاركة الحكماء أصحاب الأفكار أهل الله فيما يفتح لهم من علم الكشف بالخلوة والرياضة من طريق النظر وأهل الله تعالى بهما من طريق الإيمان واجتمعا في النتيجة فمن فرق من أصحابنا بينهما بالذوق وإن مدرك هذا غير مدرك هذا وإن اشتركا في الصورة قال لا يفطر ومن قال المدرك واحد والطريق مختلف فذلك اعتبار من قال يفطر وأما اعتبار باطن الأعضاء ما عدا الجوف فهو أن يكون الصائم في حضرة إلهية فأقيم في حضرة مثالية مثل قوله أعبد الله كأنك تراه فهل لمن خرج من عباد الله في ذوقه عن حكم التشبيه والتمثيل أن يؤثر فيه قول الشارع أعبد الله كأنك تراه فيترك علمه وذوقه ويترل إلى هذه المترلة أدباً مع الشرع وحقيقة من الكشف فيكون قد أفطر أو لا يترل ويقول أنا مجموع من حقائق مختلفة وفيّ ما يبقيني على ما أنا عليه وفيّ ما تطلبه مشاهدة هذا

التترل وهو كوني متخيلاً أو ذا خيال فيعلم أن الحق قد طلب مني أن نشهده في هذه الحضرة من هذه الحقيقة ومن كل حقيقة فيّ فيتعين لهذا التجلي المثاليّ مني هذه الحقيقة التي تطلبه وتبقى على ما أنا عليه من حقيقة أن لا خيال ولا تخيل فهذا اعتبار من يرى أنه لا يفطر ما يرد باطن الأعضاء الخارجة عن المعدة.

وصل في فصل القبلة للصائم

فمن علماء الشريعة من أجازها ومنهم من كرهها على الإطلاق ومنهم من كرهها للشاب وأجازها للشيخ اعتبار هذا الفصل هذه المسئلة نقيض مسئلة موسى عليه السلام فإنه طلب الرؤية بعدما حصل له الكلام فالمشاهدة والكلام لا يجتمعان في غير التجلي البرزخيّ وهو كان مقام شهاب الدين عمر السهرورديّ الذي مات ببغداد رحمه الله فإنه روى لي عنه من أثق بنقله من أصحابه أنه قال باجتماع الرؤية والكلام فمن هنا علمت إن مشهده برزخي لابد من ذلك غير ذلك لا يكون والقبلة من الإقبال والقبول على الفهوانية من حضرة اللسن فإنه محل الكلام وكان الإقبال عليه أيضاً بالكلام المسموع إذ كان في المشاهدة المثالية ومن كان فيها يتصوّر منه طلب الإقبال على الفهوانية فإذا كلمه لم يشهده وهذا المقام الموسويّ ذقته في الموضع الذي ذاقه موسى عليه السلام غير أني ذقته في بلة في الرمل على قدر الكف وذاقه موسى عليه السلام في حاجته وهي طلبه النار لأهله ففرحت حيث كان ماء وإنما قلنا إذا كلمه لم يشهده لأن النفس الطالبة تستفرغ لفهم الخطاب فتغيب عن المشاهدة فهو بمترلة من يكره القبلة إذ الصائم صاحب المشاهدة لأن الصوم لا مثل له والمشاهدة لا مثل لها وأما من أجازها فقال التجلي مثالي فلا أبالي فإن الذات من وراء ذلك التجلي والتجلي لا يصح إلا من مقام التجلي له وأما لو كان التجلي في غير مقام المتجلي له لم يصح طلب غير ما هو فيه لأن مشاهدة الحق فناء ومع الفناء لا يتصوّر طلب فإن اللذة أقرب من طلب الكلام لنفس المشاهد ومع هذا فلا يلتذ المشاهد في حال المشاهدة قال أبو العباس السياري رحمه الله ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة وأما من كرهها للشاب فاعتباره المبتدي في الطريق أجازها للشيخ واعتباره المنتهي فإن المنتهي لا يطلب الرجوع من المشاهدة إلى الكلام فيترك المشاهدة ويقبل على الفهوانية إذ لا تصح الفهوانية إلا مع الحجاب كما قال "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب والمنتهي يعرف ذلك فلا يفعله وأما المبتدي وهو الشاب فما عنده خبرة بالمقامات فإنه في مقام السلوك فلا يعرف منها إلا ما ذاقه والنهاية إنما تكون في المشاهدة وهو يسمع بها من الأكابر فيتخيل أنه لا يفقد المشاهدة مع الكلام والمبتدي في مشاهدة مثالية فيقال له ليس الأمر كما تزعم أن كلمك لم يشهدك وإن أشهدك لم يكلمك ولهذا لم يجوّزها للشاب وأجازها للشيخ لأن الشيخ لا يطلب الفهوانية إلا إذا كان وارثاً للرسول في التبليغ عن الله فيجوز له الإقبال على الفهوانية لفهم الخطاب.

وصل في فصل الحجامة للصائم

فمن قائل إنها تفطر والإمساك عنها واجب ومن قائل إنها لا تفطر ولكنها تكره للصائم ومن قائل إنها غير مكروهة للصائم ولا تفطر وصل في اعتبار هذا الفصل الاسم المحيي يرد على الاسم رمضان في حال حكمه في الصائم في شهر رمضان أو على الاسم الممسك

الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا أو يمسك السماء أن تقع على الأرض إذ كانت الحياة الطبيعية في الأجسام بخار الدم الذي يتولد من طبخ الكبد الذي هو بيت الدم للجسد ثم يسري في العروق سريان الماء في الطوارق لسقى البستان لحياة الشجر فإذا طمى يخاف أن ينعكس فعله في البدن فيخرج بالفصاد أو بالحجامة ليبقى منه قدر ما يكون به الحياة فلهذا جعلنا الحكم للاسم المحيي أو الممسك فإن بالحياة تبقى سموات الأرواح وأرض الأجسام وبه يكون حكم المحيي أقوى مما هو بنفسهما اسمان إلهيان إخوان فإذا وردا على اسم الله رمضان في حكم الصائم أو على الاسم الإلهي الذي به أضاف الحق الصوم لنفسه في غير رمضان ووجدا في المترل الأقرب لهذا المحل الاسم الإلهي الضار والمميت استعانا بالاسم الإلهي النافع فصاروا ثلاثة أسماء إلهية يطلبون دوام هذه العين القائمة فحرّكوه لطلب الحجامة فلم يفطر الصائم و لم يكره فإن بوجودها ثبت حكم الاسم الإلهي رمضان لها ومن قال تكره ولا تفطر فوجه الكراهةفي الاعتبار أن الصائم موصوف بتهرك الغذاء لأنه حرم عليه الأكل والشرب والغذاء سبب الحياة للصائم وقد أمر بتركه في حال صومه وإزالة الدم إنما هو في هذه الحال بالحجامة من أجل خوف الهلاك فقام مقام الغذاء لطلب الحياة وهو ممنوع من الغذاء فكره له ذلك وبهذا الاعتبار وبالذي قبله يكون الحكم فيمن قال إنها تفطر والإمساك عنها واجب وصل في فصل القيء والاستقاء فمن قائل فيمن ذرعه القيء أنه لا يفطر الصائم وهم الأكثرون ومن قائل أنه يفطر وهو ربيعة ومن تابعه وكذلك الاستقاء الجماعة على أنه مفطر الأطاوس فإنه قال ليس بمفطر وصل في اعتبار هذا الفصل المعدة خزانة الأغذية التي عنها تكون الحياة الطبيعية وإبقاء الملك على النفس الناطقة الذي به يسمى ملكاً وبوجوده تحصل فوائد العلوم الوهبية والكسبية والنفس الناطقة تراعي الطبيعة والطبيعة وإن كانت خادمة البدن فإنها تعرف قدر ما تراعيها النفس الناطقة التي هي في الملك فإذا أبصرت الطبيعة إن في خزانة المعدة ما يؤدّي إلى فساد هذا الجسم قالت للقوّة الدافعة أخرجي الزائد المتلف بقاؤه في هذه الخزانة فأخذته الدافعة من الماسكة وفتحت له الباب وأخرجته وهذا هو الذي ذرعه القيء فمن راعى كونه كان غذاء فخرج على الطريق الذي منه دخل عن قصد ويسمى لأجل مروره على ذلك الطريق إذا دخل مفطراً أفطر عنده بالخروج أيضاً ومن فرق بين حكم الدخول وحكم الخروج و لم يراع الطريق وهما ضدّان قال لا يفطر وهذا هو الذي ذرعه القيء فإن كان للصائم في إخراجه تعملوهو الاستقاء فإن راعى وجود المنفعة ودفع الضرر لبقاء هذه البنية فقام عنده مقام الغذاء والصائم ممنوع من استعمال الغذاء في حال صومه وكان إخراجه ليكون عنه في الجسم ما يكون للغذاء قال إنه مفطر ومن فرق بين حكم الدخول وحكم الخروج قال ليس بمفطر وهذا كله في الاعتبار الإلهي أحكام الأسماء الإلهية التي يطلبها استعداد هذا البدن لتأثيرها في كل وقت فإن الجسم لا يخلو من حكم اسم إلهي فيه فإن استعدّ المحل لطلب اسم إلهي غير الاسم الذي هو الحاكم فيه الآن زال الحكم ووليه الذي يطلبه للاستعداد ونظيره إذا خامر أهل بلد على سلطانهم فجاؤوا بسلطان غيره لم يكن للأول مساعد فيزول عن حكمه ويرجع الحكم الذي طلبه الاستعداد فالحكم أبداً إنما هو للاستعداد والاسم الإلهي المعد لا يبرح حكمه دائماً لا ينعزل ولا يصح المخامرة من أهل البلد عليه فهو لا يفارقه في حياة ولا موت ولا جمع ولا تفرقة ويساعده الاسم الإلهي الحفيظ والقوى وأخواتهما فاعلم ذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم خرجه البخاري عن ابن عباس وخرج أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه القضاء وإن استقاء فليقض رواة هذا الحديث كلهم ثقات.

وصل في فصل النية

فمنهم من رأى النية شرطاً في صحة الصيام وهو الجمهور ومنهم من قال لا يحتاج رمضان إلى نية إلا أن يكون الذي يدركه صوم رمضان مريضاً أو مسافراً فيريد الصوم وصل في الاعتبار فيه النية القصد وشهر رمضان لا يأتي بحكم القصد من الإنسان الصائم فمن راعى أن الصوم لله لا للعبد قال بالنية في الصوم فإنه ما جاء شهر رمضان فسواء نواه الصائم الإنساني أو لم ينوه فإن حكمه الصوم فليست النية شرطاً في صحة صومه فإن لم يجب عليه وخيره مع كونه ورد كالمريض والمسافر صار حكمهما بين أمرين على التخيير فلا يمكن أن يعدل إلى أحد الأمرين إلا بقصد منه وهو النية.

وصل في فصل

تعيين النية المجزئة في ذلك

فمن قائل لابد في ذلك من تعيين صوم رمضان ولا يكفيه اعتقاد الصوم مطلقاً ولا اعتقاد صوم معين غير صوم رمضان ومن قائل إن أطلق الصوم أجزأه وكذلك إن نوى فيه غير صيام رمضان أجزأه وانقلب إلى صيام رمضان إلا أن يكون مسافراً فإن للمسافر عنده أن ينوي صيام غير رمضان في رمضان ومن قائل إن كل صوم نوى في رمضان انقلب إلى رمضان المسافر والحاضر في ذلك على السواء وصل الاعتبار فيه قال تعالى "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً مّا تدعوا فله الأسماء الحسنى" فالحكم للمدعوّ بالأسماء الإلهية لا للأسماء فإنها وإن تفرقت معانيها وتميزت فإن لها دلالة على ذات معينة في الجملة وفي نفس الأمر وإن لم تعلم ولا يدركها حد فإنه لا يقدح ذلك في إدراكنا وعلمنا أن ثم ذاتاً ينطلق عليها هذه الأسماء كذلك الصوم هو المطلوب سواء كان مندوباً أو واجباً على كثرة تقاسيم الوجوب فيه ومن راعى الاسم الإلهي رمضان فرق بينه وبين غيره فإن غيره هو من الاسم الممسك لا من اسم رمضان والأسماء الإلهية وإن دلت على ذات واحدة فإنها تتميز في أنفسها من طريقين الواحد من اختلاف ألفاظها والثاني من اختلاف معانيها وإن تقاربت غاية القرب وتشابهت غاية الشبه وأسماء المقابلة في غاية البعد كالضارّ والنافع والمعز والمذل والمحيي والمميت والهادي والمضل فلا بدّ من مراعاة حكم ما تدل عليه من المعاني وبهذا يتميز العالم من الجاهل وما أتى الحق بها متعدّدة إلا لمراعاة ما تدل عليه من المعاني ومراعاة قصد الحق تعالى في ذلك أولى من غيره فلابدّ من التعيين لحصول الفائدة المطلوبة بذلك اللفظ المعين دون غيره من تركيبات الألفاظ التي هي الكلمات الإلهية ومن اعتبر حال المكلف وهو الذي فرّق بين المسافر والحاضر وله في التفرقة وجه صحيح لأن الحكم يتبع الأحوال فيراعي المضطرّ وغير المضطرّ والمريض وغير المريض وكذلك الأسماء تراعى أيضاً فيراعى اسم الخمر إذا تخللت من اسم الخل فيتغير الحكم الإلهيّ في هذا الجسم المعين بتغير الأسماء كما تغيرت الأسماء في بعض الأشياء لتغير الأحوال إذ كان التغيير في ذلك لحكم اسم إلهيّ أوجب له تغيير الاسم فتغير الحكم.

الحكم للمدعوّ بالأسماء	ما الحكم للأسماء في الأشياء
لكن لها التحكيم في تصريفها	فيه كمثل الحكم للأنواء
في الزهر والأشجار في أمطارها	وقتاً وفي الأشياء كالأنداء
لعبت بها الأرواح في تصريفها	كتلاعب الأفعال بالأسماء

وصل في فصل وقت النية للصوم

فمن قائل لا يجزي الصيام إلا بنية قبل الفجر مطلقاً في جميع أنواع الصوم ومن قائل تجزي النية بعد الفجر في صوم التطوّع لا في الفروض ومن قائل تجزىء النية بعد الفجر في الصيام المتعلق وجوبه بوقت معين والنافلة ولا تجزي في الواجب في الذمّة وصل الاعتبار في ذلك الفجر علامة على طلوع الشمس فهو كالاسم الإلهيّ من حيث دلالته على المسمى به لا على المعنى الذي تميز به عن غيره من الأسماء والقاصد للصوم قد يقصده اضطراراً واختياراً والإنسان في علمه بالله قد يكون صاحب نظر فكري أو صاحب شهود فمن كان علمه بالله عن نظر في دليل فلا بدّ أن يطلب على الدليل الموصل إليه إلى المعرفة فهو بمترلة من نوى قبل الفجر ومدة نظره في الدليل كالمدة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والمعرفة بالله على قسمين واجبة كمعرفته بتوحيده في ألوهيته ومعرفة غير واجبة كمعرفته بنسبة الأسماء إليه التي تدل على معان فإنه لا يجب عليه النظر في تلك المعاني هل هي زائدة عليه أم لا فمثل هذه المعرفة لا يبالي متى قصدها هل بعد حصول الدليل بتوحيد الإله أو قبله وأمّا الواجب في الذمة فكالمعرفة بالله من حيث ما نسب الشرع إليه في الكتاب والسنة فإنه قد تعين بالدليل النظري إن هذا شرعه وهذا كلامه فوقع الإيمان به فحصل في الذمة فلا بد من القصد إليه من غير نظر إلى الدليل النظري وهو الذي اعتبر فيه النية قبل الفجر لأنه عنده علم ضروري وهو المقدم على العلم النظري لأن العلم النظري لا يحصل إلا أن يكون الدليل ضرورياً أو مولداً عن ضروري على قرب أو بعد وإن لم يكن كذلك فليس بدليل قطعي ولا برهان وجودي.

وصل في فصل الطهارة من الجنابة للصائم

فالجمهور على أن الطهارة من الجنابة ليست شرطاً في صحة الصوم وأن الاحتلام بالنهار لا يفسد الصوم إلا بعضهم فإنه ذهب إلى أنه إذا تعمد ذلك أفسد صومه وهو قول ينقل عن النخعيّ وطاوس وعروة بن الزبير وقد روى عن أبي هريرة ذلك في المتعمد وغير المتعمد وكان يقول من أصبح جنباً في رمضان أفطر وكان يقول ما أنا قلته محمد صلى الله عليه وسلم قاله ورب الكعبة وقال بعض المالكيين أن الحائض إذا طهرت قبل الفجر فأخرت الغسل أن يومها يوم فطر وصل الاعتبار في هذا الجنابة الغربة والغربة بعد والحيض أذى والأذى يوجب البعد وأعني الأذى الخاص مثل قوله "إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله أي أبعدهم واللعنة البعد وسببه وقوع الأذى منهم فهو بعيد من الاسم القدّوس والصوم يوجب القرب من الله الذي ليس كمثله شيء والصوم لا مثل له في العبادات فكما لا يجتمع القرب والبعد لا يجتمع الصوم والجنابة والأبذى ومن راعى أن الجنابة حكم الطبيعة فكذلك الحيض وقال إن الصوم نسبة إلهية أثبتت كل أمر في موضعه فقال بصحة الصوم للجنب وللطاهرة من الحيض قبل الفجر إذا أخرت الغسل فلم تتطهر إلا بعد الفجر وهو الأولى في الاعتبار لما تطلبه الحكمة من إعطاء كل ذي حق حقه فإن الحكيم عز وجل يقول "أعطي كل شيء خلقه ثم هدى" أي بين وأثنى بهذا القول لما حكاه عن موسى أنه قاله لفرعون و لم يجرّحه تعالى في هذا القول كما جرّح من قال إن الله فقير وأن الله ثالث ثلاثة.

وصل في فصل صوم المسافر والمريض شهر رمضان

فمن قائل إن صاماه وقع وأجزأهما ومن قائل إنه لا يجزيهما وإن الواجب عليهما عدّة من أيام أخر والذي أذهب إليه أنهما إن صاماه فإن ذلك لا يجزيهما وإن الواجب عليهما أيام أخر غير أني أفرّق بين المريض والمسافر إذا أوقعا الصوم في هذه الحالة في شهر رمضان فأمّا المريض فيكون الصوم له نفلاً وهو عمل برّ وليس بواجب عليه ولو أوجبه على نفسه فإنه لا يجب عليه وأما المسافر لا يكون صومه في السفر في شهر رمضان ولا في غيره عمل برّ وإذا لم يكن عمل برّ كان كمن لم يعمل شيأ وهو أدنى درجاته أو يكون على ضدّ البربّ ونقيضه وهو الفجور ولا أقول بذلك إلا أني أنفي عنه أن يكون في عمل بر في ذلك الفعل في تلك الحال والله أعلم الاعتبار السالك هو المسافر في المقامات بالأسماء الإلهية فلا يحكم عليه الاسم الإلهيّ رمضان بالصوم الواجب ولا غير الواجب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر واسم رمضان يطلبه بتنفيذ الحكم فيه إلى انقضاء شهر سلطانه والسفر يحكم عليه بالانتقال الذي هو عدم الثبوت على الحال الواحدة فبطل حكم الاسم الإلهيّ رمضان في حق المسافر الصائم ومن قال إنه يجزيه جعل سفره في قطع أيام الشهر وجعل الحكم فيه الاسم رمضان فجمع بين السفر والصوم وأمّا حكم انتقاله المسمى سفراً فإنه ينتقل من صوم إلى فطر ومن فطر إلى صوم وحكم رمضان لا يفارقه ولهذا شرع صيامه وقيامه ثم جواز الوصال فيه أيضاً مع انتقاله من ليل إلى نهار ومن نهار إلى ليل وحكم رمضان منسحب عليه ولهذا أجزأ المسافر صوم رمضان وأمّا المريض فحكمه غير حكم المسافر في الاعتبار فإن العلماء أجمعوا على أن المريض إن صام رمضان في حال مرضه أجزأه والمسافر ليس كذلك عندهم فضعف استدلالهم بالآية فاعتباره أن المرض يضادّ الصحة والمطلوب من الصوم صحته والضدان لا يجتمعان فلا يصح المرض والصوم واعتبرناه في شهر رمضان دون غيره لأنه واجب بإيجاب الله ابتداء فالذي أوجبه هو الذي رفعه عن المريض فلا يصح أن يرجع ما ليس بواجب من الله واجباً من الله في حال كونه ليس بواجب.

وصل في فصل

من يقول إن صوم المسافر والمريض يجزيهما في شهر رمضان فهل الفطر لهما أفضل أم الصوم

فمن قائل إن الصوم أفضل ومن قائل إن الفطر أفضل ومن قائل إنه على التخيير فليس أحدهما بأفضل من الآخر الاعتبار من اعتبر أن الصوم لا مثل له وأنه صفة للحق قال إنه أفضل ومن اعتبر أنه عبادة فهو صفة ذلة وافتقار فهو بالعبد أليق قال إن الفطر أفضل ولاسيما للسالك والمريض فإنهما محتاجان إلى القوّة ومنبعها الفطر عادة فالفطر أفضل ومن اعتبر أن الصوم من الاسم الإلهيّ رمضان وإن الفطر من الاسم الإلهيّ الفاطر وقال لا تفاضل في الأسماء الإلهية بما هي أسماء للإله تعالى قال ليس أحد الأسمين بأفضل من الآخر لأن المفطر في حكم الفاطر والصائم في حكم الرفيع الدرجات وحكم الممسك وحكم اسم رمضان وهذا مذهب المحققين رفع الشريف والأشرف والوضيع والشريف الذي في مقابلته من العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله تعالى.

وصل في فصل

هل الفطر الجائز للمسافر

هل هو في سفر محدود أو غير محدود

فمن قائل إنه يفطر في السفر الذي يقصر فيه الصلاة وذلك على حسب اختلافهم في هذه المسئلة ومن قائل إنه يفطر في كل ما ينطلق عليه اسم سفر وبه أقول الاعتبار في ذلك المسافرون إلى الله وهو الاسم الجامع وهو الغاية المطلوبة والأسماء الإلهية في الطريق إليه كالمنازل للمسافرين ومنازل القمر المقدرة لسير القمر في الطريق إلى غاية مقصوده وأقل السفر الانتقال من اسم إلى اسم فإن وجد الله في أول قدم من سفره كان حكمه بحسب ذلك وقد انطلق عليه أنه مسافر وليس لأكثره عندنا نهاية ولا حد لقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك فهذا اعتبار من قال يفطر فيما ينطلق عليه اسم سفر ومن قال بالتحديد في ذلك فاعتباره بحسب ما حدد فمن اعتبر الثلاثة في ذلك كان كمن قال الأحدية أو الواحد لا حكم له في العدد وإنما العدد من الاثنين فصاعداً والسفر هنا إلى الاسم الله ولا سفر إليه إلا به فأول ما يلقاه من كونه مسافراً إليه في الفردية وهي الثلاثة أول الأفراد فهذا هو السفر المحدود ثم يؤخذ الاعتبار في تحديد العلماء تقصير الصلاة في باب الصلاة من هذا الكتاب وإنا قد ذكرناه في صلاة القصر من هذا الكتاب.

وصل في فصل المرض الذي يجوز فيه الفطر

فمن قائل المرض هو الذي يلحق من الصوم فيه مشقة وضرر ومن قائل إنه المرض الغالب ومن قائل إنه أقل ما ينطلق عليه اسم مرض وبه أقول وهو مذهب ربيعة بن أبي عبد الرحمن الاعتبار المريد تلحقه المشقة وهو صاحب مكابدة وجهد ومن أجل ذلك شرع لنا "وإياك نستعين" وقال تعالى "واستعينوا بالصبر والصلاة" فيعينه الاسم القويّ على ما هو بصدده فهذا مرض يوجب الفطر وأمّا من اعتبر المرض بالميل وهو الذي ينطلق عليه اسم مرض وهو مذهب محمد بن عبد الجبار النفريّ صاحب المواقف من رجال الله كذا أحسبه والإنسان لا يخلو عن ميل بالضرورة فإنه بين حق وخلق وبين حق وحق من حيث الأسماء الإلهية وكل طرف يدعوه إلى نفسه فلا بد له من الميل إمّا عنه أو إليه به أو بنفسه بحسب حاله ولاسيما أهل طريق الله فإنهم في مباحهم في حال ندب أو وجوب فلا يخلص لهم مباح أصلاً فلا يوجد أحد من أهل الله تكون كفتا ميزانه على الاعتدال والإنسان هو لسان الميزان فلا بد فيه من الميل إلى جانب داعي الحق وهذا هو اعتبار من يقول بالفطر فيما ينطلق عليه اسم مرض وإن الله عند المريض بالإخبارالإلهيّ الثابت ألا تراه يلجأ إليه ويكثر من ذكره على أيّ دين كان أو نحلة فإنه بالضرورة يميل إليه ويظهر لك ذلك بينا في طلب النجاة مما هو فيه فإن الإنسان بحكم الطبع يجري إذا مسه الضرّ إلى طلب من يزيله عنه وليس إلا الله قال تعالى "وإذا مسكم الضرّ في البحر ضل من تدعون إلا إياه" وإن جهل الطريق إليها فما جهل الاضطرار فإنه حاله ذوقاً ونحن إنما نراعي القصد وهو المطلوب وأمّا من اعتبر المرض الغالب فهو ما يضاف إلى العبد من الأفعال فإنه ميل عن الحق في الأفعال إذ هي له والموافق والمخالف يميل بها إلى العبد سواء مال اقتداراً أو خلقاً أو كسباً فهذا ميل حسيّ شرعيّ وهو قولهم ربنا آمنا بما أنزلت فأضافوا الإيمان إليهم إيجاداً وقول الله لهم "آمنوا بالله تقرير الصحة ما نسبوه من الأفعال إليهم بهذه الإضافة فهذا هو الشرعيّ فهذا بمنزلة المرض وإنه الميل الغالب لأنه بين الحق والخلق.

وصل في فصل متى يفطر الصائم ومتى يمسك

فمن قائل يفطر في يومه الذي خرج فيه مسافراً ومن قائل لا يفطر يومه ذلك واستحب العلماء لمن علم أنه يدخل المدينة ذلك اليوم أن يدخلها صائماً فإن دخلها مفطراً لم يوجبوا عليه كفارة الاعتبار إذا خرج السالك في سلوكه من حكم اسم إلهيّ كان له إلى حكم اسم آخر إلهيّ دعاه إليه ليوصله إليه حكم اسم آخر ليس هو الذي خرج عنه ولا هو الذي يصل إليه كان بحكم ذلك الاسم الذي يسلك به وهو معه أينما كان قال تعالى "وهو معكم أينما كان" قال تعالى "وهو معكم أينما كنتم" وإن اقتضى له ذلك الاسم الصوم وإن اقتضى له الفطر كان بحكم صفة الفطر فإذا علم أنه يحصل في يومه الذي هو نفسه بفتح الفاء في حكم الاسم الذي دعاه إليه ويريد النزول عليه كان بحكم صفة ذلك الاسم من قطر أو صوم لا أعين له حالاً من الأحوال لأن الأحوال تختلف ولا حرج عليه فيما كان من ذلك وبالله التوفيق.

وصل في فصل المسافر يدخل المدينة التي سافر إليها وقد ذهب بعض النهار

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فقال بعضهم يتمادى على فطره وقال آخرون يكف عن الأكل وكذلك الحائض تطهر تكف عن الأكل وصل الاعتبار في هذا الفصل كان له مطلوب في سلوكه فوصل إليه هل يحجبه فرحه بما وصل إليه عن شكر من أوصله إليه فإن حجبه تغير الحكم عليه وراعى حكم الإمساك عنه وإن لم يحجبه ذلك اشتغفل عند الوصول بمراعاة من أوصله فلم يخرج عن حكمه وتمادى على الصفة التي كان عليها في سلوكه عابداً لذلك الاسم عبادة شكر لا عبادة تكليف وكذلك الحائض وهو كذب النفس ترزق الصدق فتطهر عن الكذب الذي هو حيضها والحيض سبب فطرها فهل تتمادى على صفة الفطر بالكذب المشروع من إصلاح ذات البين والكذب في الحرب وكذب الرجل لزوجته أو تستلزم ما هو صدق في محمود وواجب ومندوب فإن الصدق المحظور كالغيبة والنميمة مثل الكذب المحظور يتعلق بهما الأثم والحجاب على السواء مثاله من يتحدث بما جرى له مع امرأته في الفراش فأخبر بصدق وهو من الكبائر وكذلك ما ذكرناه من الغيبة والنميمة انتهى الجزء السادس والخمسون.

الجزء السابع والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل هل يجوز للصائم بعض رمضان أن ينشىء سفراً ثم لا يصوم فيه

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فمن قائل يجوز له ذلك وهو الجمهور ومن قائل لم يجز له الفطر روى هذا القول عن سويد بن غفلة وغيره الاعتبار لما كان عندنا وعند أهل الله كلهم إن كل اسم إلهيّ يتضمن جميع الأسماء ولهذا ينعت كل اسم إلهي بجميع الأسماء الإلهية لتضمنه معناها كلها ولأن كل اسم إلهيّ له دلالة على الذات كماله دلالة على المعنى الخاص به وإذا كان الأمر كما ذكرناه فأيّ اسم إلهيّ حكم عليك سلطانه قد يلوح لك في ذلك الحكم معنى اسم إلهيّ آخر يكون حكمه في ذلك الاسم أجلى منه وأوضح من الاسم الذي أنت به في وقته فتنتشيء سلوكاً إليه فمن قائل منا يبقى على تجلي الاسم الذي لاح له فيه ذلك المعنى ومنا من قال ينتقل إلى الاسم الذي لاح له معناه في التضمن فإنه أجلى وأتم فالرجل مخير إذا كان قوياً على تصريف الأحوال فإن كان تحت تصريف الأحوال كان بحكم حال الأسم الذي يقضي عليه سلطانه.

وصل في فصل المغمى عليه والذي به جنون

اتفق الفقهاء على وجوبه على المغمى عليه واختلفوا في المجنون فمنهم من أوجب القضاء عليه ومنهم من لم يوجب القضاء وبه أقول وكذلك عندي في المغمى عليه واختلفوا في كون الإغماء والجنون مفسداً للصوم فمن قائل إنه مفسد ومن قائل إنه غير مفسد وفرق قوم بين أن يكون أغمى عليه قبل الفجر أو بعد الفجر وقوم قالوا إن أغمى عليه بعد ما مضى أكثر النهار أجزأه وإن أغمى عليه بعد ما مضى أكثر النهار أجزأه وإن أغمى عليه أوّل النهار قضى الاعتبار الإغماء حالة فناء والجنون حالة وله وكل واحد من أهل هذه الصفة ليس بمكلف فلا قضاء عليه على أن القضاء في أصله عندنا لا يتصوّر في الطريق فإن كل زمان له وارد يخصه فما ثم زمان يكون فيه حكم الزمان الذي مضى فما مضى من الزمان مضى بحاله وما نحن فيه فنحن تحت سلطانه وما لم يأت فلا حكم له فينا فإن قالوا قد يكون من حكم الزمان الحالي الذي هو الآن قضاء ما كان له أداؤه في الزمان الأوّل قلنا له فهو مؤدّ إذن إذ هذا زمان أداء ما سميته قضاء فإن أردت به هذا فمسلم في الطريق فأنت سميته قاضياً وزمان الحال ما عنده خبر لا بما مضى ولا بما يأتي فإنه موجود بين طرفي عدم فلا علم له بالماضي ولا بما جاء به ولا بما فات صاحبه منه وقد يشبه ما يأتي به زمان الحال ما أتى به زمان الماضي في الصورة لا في الحقيقة كما تشبه صلاة العصر في زمان الحال الوجوديّ صلاة الظهر التي كانت في الزمان الماضي في أحوالها كلها حتى كأنها هي ومعلوم أن حكم العصر ما هو حكم الظهر حتى لو رأينا شخصاً محافظاً على الصلوات في أوقاتها واتفق أنه نسي الظهر أو نام عنها حتى دخل وقت العصر فرأيناه يصلي أربعاً في ذلك الوقت صلاة الظهر ويغلب علينا أنه يصلي العصر للشبه الكثير الذي بينهما وليست هذه هذه.

وصل في فصل صفة القضاء لمن أفطر في رمضان

فمن العلماء من أوجب التتابع في القضاء كما كان في الأداء ومنهم من لم يوجبه وهؤلاء منهم من خير ومنهم من استحب والجماعة على ترك إيجابه الاعتبار إذا دخل الوقت في الواجب الموسع بالزمان طلب الاسم الأوّل من المكلف الأداء فإذا لم يفعل المكلف وأخر الفعل إلى آخر الوقت تلقاه الاسم الآخر فيكون المكلف في ذلك الفعل قاضياً بالنسبة إلى الاسم الأوّل وأنه لو فعله في أوّل دخول الوقت كان مؤدّياً من غير دخل ولا شبهة وكان مؤدّياً بالنسبة إلى الاسم الآخر فالصائم المسافر أو المريض إذا أفطر إنما الواجب عليه عده من أيام أخر في غير رمضان فهو واجب موسع الوقت من ثاني يوم من شوّال إلى آخر عمره أو إلى شعبان من تلك السنة فيتلقاه الاسم الأوّل ثاني يوم من شوّال فإن صامه كان مؤدياً من غير شبهة ولا دخل وإن أخره إلى غير ذلك الوقت كان مؤدّياً من وجه قاضياً من وجه وبالتتابع في ذلك في أول زمانه يكون مؤدّياً بلا شك وإن لم يتابع فيكون قاضياً فمن راعى قصر الأمل وجهل الأجل أوجب ومن راعى اتساع الزمان خير ومن راعى الاحتياط استحب وكل حال من هذه الأحوال له اسم إلهيّ لا يتعدى حكمه فيه فإن الكون في قبضة الأسماء الإلهية تصرّفه بطريقين بحسب حقائقها وبحسب استعدادات الأكوان لها لا بد من الأمرين لذي عينين فإن الأوصاف النفسية للأسماء وغير الأسماء لا تنقلب فافهم ذلك وتحققه تسعد إن شاء الله تعالى.

وصل في فصل من أخر قضاء رمضان

حتى دخل عليه رمضان آخر

اختلف العلماء فيمن هذه حاله فقالت طائفة عليه القضاء والكفارة وقالت طائفة عليه القضاء ولا كفارة عليه وبه أقول الاعتبار المقامات التي لها جهات كثيرة مختلفة قد يغفل السالك عن حكمها في جهة ما من جهات متعلقاتها كالورع فإن له حكماً في جهات كثيرة منها في الطعام والشراب واللباس والأخذ والنظر والاستماع والسعي واللمس والشم فإن عمر بن الخطاب أتى بمسك من المغانم قبل أن تأخذه القسمة ليعرض عليه فمسك بأنفه لئلا ينال من رائحة شيأ دون المسلمين قبل أن تأخذه القسمة ورعاً فسئل عن ذلك فقال إنما ينتفع من هذا بريحه وكذلك الورع في النسب والأسماء فإذا فات السالك وجه من وجوه متعلقات مثل هذا المقام وانتقل إلى غيره من المقامات وقد بقيت عليه بقية من حكم هذا المقام الذي انتقل عنه فإذا تعين عليه استعماله في وقت آخر لحالة تطلبه بذلك من مطعم أو غيره يتذكر ما فاته قبل ذلك منه فمنا من قال عليه الكفاارة وكفارته التوبة مما جرى منه في تفريطه والاستغفار ومنا من قال لا كفارة عليه فإنه لم يتعمد ولا قصد انتهاك الحرمة وإنما جعله في ذلك عذر من تأويل في المسئلة أو غفلة والإنسان في هذا الطريق مؤاخذ بالغفلات عند بعضهم ولهذا أوجب الكفارة عليه من أوجبها ومن يرى أنه غير مؤاخذ بالغفلات لم يوجب عليه كفارة والقضاء مجمع عليه عند الجميع وصورته أنه إذا نال منه أحد أمراً حرم على المتناول تناوله منه عرضاً كان أو مالاً أو أثراً بدنياً من جرح أو غيره وله أن يعفو عنه فيما يتناول ذلك منه فيعفو ويحسن ولا يؤاخذ بكل جريمة من الغير في حقه مما يعطي الورع المتعدي في ذلك أن لا يفعله فهذا هو صورة القضاء ثم إنه يستقصي جميع جهات متعلقات ذلك المقام جهده حتى لا يترك منه شيأ فتدبر هذه المسئلة فإنها من أنفع المسائل في طريق الله.

وصل في فصل من مات وعليه صوم

فمن قائل يصوم عنه وليه ومن قائل لا يصوم أحد عن أحد واختلف أصحاب هذا القول فبعضهم قال يطعم عنه وليه وبعضهم قال لا صيام ولا إطعام إلا أن يوصي به وقال قوم يصوم فإن لم يستطع أطعم وفرّق قوم بين النذر والصيام المفروض فقالوا يصوم عنه وليه في النذر ولا يصوم في الصيام المفروض الاعتبار قال الله عز وجل "والله وليّ المؤمنين وقال تعالى النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم فالمريد صاحب التربية يكون الشيخ قد أهله وخصه بذكر مخصوص لنيل حالة مخصوصة ومقام خاص فمات قبل تحصيله فمنا من يرى أن الشيخ لما كان وليه وقد حال الموت بينه وبين ذلك المقام الذي لو حصل له نال به المترلة الإلهية التي يستحقها رب ذلك المقام فيشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات فإذا استوفاه أحضر ذلك الميت إحضار من مثله في خياله بصورته التي كان عليها وألبس تلك الصورة الممثلة ذلك الأمر وسأل الله أن يبقى ذلك عليه فحصلت نفس ذلك الميت في ذلك المقام على أتم وجوهه منة من الله وفضلاً والله ذو الفضل العظيم وهذا مذهب شيخنا أبي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي وما راضني أحد من مشايخي سواه فانتفعت به في الرياضة وانتفع بنا في مواجيده فكان لي تلميذاً وأستاذاً وكنت له مثل ذلك وكان الناس يتعجبون من ذلك ولا يعرف واحد منهم سبب ذلك وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة فإنه كان قد تقدّم فتحي على رياضتي وهو مقام خطر فأفاء الله على بتحصيل الرياضة على يد هذا الشيخ جزاه الله عني كل خير ومن أهل الله من يقول لا يقوم أحد عن أحد في العمل ولكن يطلبه له بهمته ودعائه والجماعة على ذلك وهذا الأول نادر الوقوع فهذا اعتبار من يقول لا يصوم أحد عن أحد واعتبار من يقول يصوم عنه وليه ومن قال لا صيام ولا إطعام إلا أن يوصى به فهو أن يقول المريد عند الموت للشيخ اجعلني من همتك واجعل لي نصيباً من عملك عسى الله أن يعطيني ما كان في أملي وهذا إذا فعله المريد كان سوء أدب مع الشيخ حيث استخدمه في حق نفسه وتهمة منه للشيخ في نسيان حق المريد والأصل في ذلك أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه في حقه مرافقته في الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أعنيّ على نفسك بكثرة السجود" فنبهه بهذا العمل على نفسه وسوء أدبه معه والطريق يقتضي أن الشيخ لا ينسى أهل زمانه فكيف مريده المختص بخدمته فإنه من فتوّة أهل هذا الطريق ومعرفتهم بالنفوس أنهم إذا كان يوم القيامة وظهر ما لهم من الجاه عند الله خاف منهم من آذاهم هنا في الدنيا فأول ما يشفعون يوم القيامة فيمن آذاهم قبل المؤاخذة وهذا نص أبي يزيد البسطاميّ وهو مذهبنا فإن الذين أحسنوا إليهم يكفيهم عين إحسانهم فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم عند الله بما قدموه من الخير في حق هذا الوليّ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومن عفا وأصلح فأجره على الله وذلك للعافين عن الناس بل الولي لا ينسى من يعرف الشيخ وإن كان الشسيخ لا يعرفه فيسأل الله تعالى أن يغفر ويعفو عمن سمع بذكره فسبه وذمه أو أثنى عليه خيراً وهذا ذقته من نفسي وأعطانيه ربي بحمد الله ووعدني بالشفاعة يوم القيامة فيمن أدركه بصري ممن أعرف ومن لا أعرف وعين لي هذا المشهد حتى عاينته ذوقاً صحيحاً لا أشك فيه وهذا مذهب شيخنا أيضاً أبي أسحق بن طريف وهو من أكبر من لقيته ولقد سمعت هذا الشيخ يوماً وأنا عنده بمترله بالجزيرة الخضراء سنة تسع وثمانين وخمسمائة وقال لي يا أخي والله ما أرى الناس في حقي إلا أولياء عن آخرهم ممن يعرفني قلت له كيف تقول يا أبا إسحق فقال إن الناس الذين رأوني أو سمعوا بي إما أن يقولوا في حقي خيراً أو يقولوا ضد ذلك فمن قال في حقي خيراً وأثنى عليّ فما وصفني إلا بصفته فلولا ما هو أهل ومحل لتلك الصفة ما وصفني بها فهذا عندي من أولياء الله تعالى ومن قال فيّ شرّاً فهو عندي وليّ أطلعه الله على حالي فإنه صاحب فراسة وكشف ناظر بنور الله فهو عندي وليّ فلا أرى يا أخي إلا ولياً لله وما قال لي هذا إلا من أجل كلام

جرى بيني وبينه في حق إنسان من أهل سبتة كان خلف هذا الشيخ بخلاف ما كان يلقاه به فهذا بلغ من حسن اعتقاده وكان من الشيوخ الذين تحسب عليهم أنفاسهم ويعاقبون على غفلاتهم ومات في عقوبة غفلة ذكرناها في الدرة الفاخرة عند ذكري إياه فيها وأما من

فرّق بين النذر والصوم المفروض فإن النذر أوجبه الله عليه بإيجابه والصوم المفروض الذي هو رمضان أوجبه الله عليه ابتداء من غير إيجاب العبد فلما كان للعبد في واجب النذر تعمل بإيجابه صام عنه وليه لأنه عن وجوب عبد فينوب عنه في ذلك عبد مثله حتى تبرأ ذمته والصوم المفروض ابتداء لم يكن للعبد فيه تعمل فالذي فرضه عليه هو الذي أماته فلو تركه صامه فكانت الدية على القاتل وقال تعالى فيمن خرج مهاجراً إلى الله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فالذي فرّق كان فقيه النفس سديد النظر علاماً بالحقائق وهكذا حكمه في الاعتبار.

وصل في فصل

المرضع والحامل إذا أفطرتا ماذا عليهما

فمن قائل يطعمان ولا قضاء عليهما وبه أقول فإنه نص القرآن والآية عندي مخصصة غير منسوخة في حق الحامل والمرضع والشيخ والعجوز ومن قائل تقضيان فقط ولا إطعام عليهما ومن قائل تقضيان وتطعمان ومن قائل الحامل تقضي ولا تطعم والمرضع تقضي وتطعم والإطعام مد عن كل يوم أو تحفن حفاناً ويطعم كما كان أنس يصنعه الاعتبار الحامل الذي يملكه الحال والمرضع الساعي في حق الغير يتعين عليهما حق من حقوق الله فمن رأى أن الدين قبل الوصية قدم حق الغير على حق الله لمسيس الحاجة فإنه حكم الوقت ومن قدم حق الله على حق الغير ورأى قول النبيّ صلى الله عليه وسلم أن حق الله أحق بالقضاء ورأى أن الله قدم في القرآن الوصية على الدين في آية المواريث فقدم حق الله وإليه أذهب قال تعالى "من بعد وصية يوصى بها أو دين" ويرجع عندي حق الغرماء إذا لم في ما بقي لهم من مال هذا الميت في بيت المال يؤدّيه عنه السلطان من الصدقات فإنهم من الثمانية الأصناف فلصاحب الدين أمر يرجع إليه في دينه وليس للوصية ذلك فوجب تقديمها بلا شك عند المنصف وأما المرضع وإن كانت في حق الغير فحق الغير من حقوق الله حيث شرع الله أداءها وصاحب الحال ليس في حق من حقوق الله لأنه غير مكلف في وقت الحال والمرضع كالساعي في حق الغير فهو في حق الله فإنه في أمر مشروع له فقد وكلناك بعد هذا البيان والتفصيل إلى نفسك في النظر فيمن ينبغي له القضاء والإطعام أو أحدهما ممن ذكرنا.

وصل في فصل الشيخ والعجوز

أجمع العلماء على إنهما إذا لم يقدرا على الصوم أن يفطرا واختلفوا إذا أفطرا هل يطعمان أو لا يطعمان فقال قوم يطعمان وقال قوم لا يطعمان وبه أقول غير أنهم استحبوا لهم الإطعام والذي أقول به الإطعام إنما شرع مع الطاقة على الصوم وأما من لا يطيقه فقد سقط عنه التكليف في ذلك وليس في الشرع إطعام من هذه صفته من عدم القدرة عليه فإن الله ما كلف نفساً إلا وسعها وما كلفها الإطعام فلو كلفها مع عدم القدرة لم نعدل عنه وقلنا به الاعتبار من كان مشهده أن لا قدرة له كأمثالنا أو يقول إن القدرة الحادثة ما لها أثر إيجاد في المقدور وكان مشهده أن الصوم لله فقد انتفى عنه الحكم بالصوم والإطعام يقول الله وهو يطعم ولا يطعم وقال

مصدقاً لخليله "الذي يطعمني" فقرّره و لم يردّه والإطعام إنما هو عوض عن واجب يقدر عليه ولا واجب فلا عوض فلا إطعام وهجير صاحب هذا المقام لا قوّة إلا بالله وليس له في إياك نستعين مدخل ولا في نون نفعل وألف أفعل لكن له من هذه الأحرف الأربعة الزوائد حرف التاء المنقوط من أعلى بضمير المخاطب وقد تكون الياء المنقوطة من أسفل يفعل بضمير الهوية فاعلم ذلك وبالله التوفيق.

وصل في فصل من جامع متعمداً في رمضان

أجمعوا أن عليه القضاء والكفارة وقيل لا يجب عليه إلا القضاء فقط لأن الكفارة في ذلك لم تكن عزمة لقرائن الأحوال لأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمره عند عدم العتق والإطعام أن يصوم ولا بد إذ كان صحيحاً ولو كان مريضاً لقال له إذا وجدت الصحة فصم وقال قوم ليس عليه إلا الكفارة فقط ليس عليه قضاء والذي أذهب إليه أنه لا قضاء عليه واستحب له أن يكفر إن قدر على ذلك والله أعلم بحكمه في ذلك الاعتبار القدرتان تجتمعان على إيجاد ممكن من ممكن فيما ينسب من ذلك إلى العبد في الفعل عن كل من لا يصل عقله إلى معرفة ذلك إما بعتق رقبة من الرق مطلقاً أو مقيداً فإن أعتقه من الرق مطلقاً فهو أن يقيم نفسه في حال كون الحق عينه في قواه وجوارحه التي بها تميز عن غيره من الأنواع بالصورة والحد وإذا كان في هذا الحال وكان هذا نعته كان سيداً وزالت عبوديته مطلقاً لأن العبودية هنا راحت إذ لا يكون الشيء عبد نفسه فهو هو قال أبو يزيد في تحقق هذا المقام مشيراً تالياً "إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني" هذا أوحى الله به لموسى وهو خطاب يعم الخلق أجمعين وأما إن كان العبد مقيداً فهو أن يعتق نفسه من رق الكون فيكون حرّاً عن الغير عبداً لله فإن عبوديتنا لله يستحيل رفعها وعتقها لأنها صفة ذاتية له واستحال العتق منها في هذه الحال لا في الحال الأول وقد نبه على ذلك بقوله تعالى قل اللهمّ مالك الملك فسماه ملكاً ليصح له اسم المالك و لم يقل مالك العالم وقال أيضاً وهو من باب الإشارة والتحقيق "قل أعوذ برب الناس ملك الناس" فمن باب التحقيق لما سماهم الناس و لم يسمهم باسم يقتضي لهم أن يكونوا حقاً أضاف نفسه إليهم باسم الملك ومن باب الإشارة اسم فاعل من النسيان معرّفاً بالألف واللام لأنه نسي أن الحق سمعه وبصره وجميع قواه في حال كونه كله نوراً وهو المقام الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه أن يقيم فيه أبداً فقال "واجعلني نوراً" فإن الله من أسمائه النور بل هو النور للحديث الثابت نور أنى أراه وقد صحفه بعض النقلة فقال نوراني أراه فحصل في هذا التصحيف معنى بديع وهو إذا جعل عبده نوراً فيرى الحق فيه ومنه فعند ذلك يكون نورانياً لا غير فهو في ذاته نور وفي عبده نورانيّ فافهم ما قلنا فلما لم يتذكر الناسي هذه الحال وهو في نفسه عليها غافل عنها خاطبه الحق مذكراً له بها في القرآن الذي تعبده بتلاوته ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ما كانوا قد نسوه فهذا يدلك على أنهم كانوا على علم متقدم في شيئية الثبوت وأخذ العهد وأما الإطعام في الكفارة فالطعام سبب في حفظ الحياة على متناوله فهو في الإطعام متخلق بالاسم المحيي لما أمات بما فعله عبادة لا مثل لها كان عليها فكان منعوتاً بالمميت في فعلها لأنه تعمد ذلك فأمر بالإطعام ليظهر اسم المقابل الذي هو المحيي فافهم وأما صوم شهرين في كفارته فالشهر عبارة في المحمديين عن استيفاء سير القمر في المنازل المقدرة وذلك سير النفس في المنازل الإلهية فالشهر الواحد يسير فيها بنفسه ليثبت ربوبية خالقه عليه عند نفسه والشهر الآخر يسير فيه بربه فإنه رجله التي يسعى بها من باب أن الحق جميع قواه وجوارحه فإنه بقواه قطع هذه المنازل والحق عين قواه فقطعها بربه لا بنفسه وأما قول هذا

الفاعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحكه علامة على خفة الأمر ولما علم أن الحق أنطقه وما أراد ذلك الناطق وإن جهله ذلك الأعرابيّ فكأنه قال له في قوله كفر بالصوم أي كن حقاً فنطق أن يقول من الحق أتى عليّ فإني لما كنت حقاً زال التكليف عني فإن الحق لا يكلف فلماذا تبقيني حقاً أنزلني إلى العبودية فأوجب عليّ الكفارة التي هي الستر أي لأتذكر أنك عصيتني بي ولهذا قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم أتعطيها لأفقر مني ما بين لابتيها أفقر مني فأضاف كمال الفقر إليه لأنه رجع إلى العبودية عن سيادته فعظم ذله وفقره فإن استصحاب الفقر لا ألم له في الفقير مثل ألم من كان غنياً ثم يفتقر فإن ألمه أشد والحسرة عنده أعظم فإن حكمه حكم من استؤسر وكان حرّاً فيجد ألم الأسترقاق لكونه حصل فيه عن حرّية.

من كان ملكاً فعاد ملكا   قد حاز هلكاً ومات فتكا

والعبد الأصلي المؤثل القنّ لا يجد ذلك فلهذا قال ما بين لابتيها أفقر مني أنطقه الله بذلك من حيث لا يشعر حتى يكون مناسباً لما أنطقه به أيضاً في قوله من الصوم أتى عليّ فانظر حكمة الله في إجراء هذه الحقائق في عباده من حيث لا يشعرون فهو المتكلم على الحقيقة لا هم فهذا حكم الكفارة على من هذا فعله والحمد لله قد دخل في هذا جميع الأقوال التي ذكرنا في هذه المسئلة إذا تدبرتها فلا حاجة للإطالة في ذلك فإنه كالتكرار وإن كان ذكرها يتضمن فوائد زائدة على ما ذكرنا لاختلاف النسب ولكن يكفي هذا في اعتبار هذه المسئلة.

وصل في فصل من أكل أو شرب متعمداً

فقال قوم عليه القضاء والكفارة التي أوجبها في الجماع وقال آخرون لا كفارة عليه والذي أقول به أنه لا قضاء عليه ولا كفارة فإنه لا يقضيه أبداً ولكن يكثر من صوم التطوّع لتكمل له فريضته من تطوعه فإن الفرائض عندنا المقيدة بالأوقات إذا ذهب وقتها بتعمد من الواجبة عليه لا يقضيها أبداً مطلقاً فليكثر من التطوّع الذي يناسبها إلا الحج وإن كان مربوطاً بوقت ولكنه مرّة واحدة في العمر إلا من يقول بالاستطاعة ولكن متى حج كان مؤدّياً ويكون عاصياً في التأخير مع الاستطاعة الاعتبار الأكل والشرب تغذ له فأحياه الأكل والشرب عند هذا السبب لأن حياته مستفادة كما كان وجوده مستافداً ليتميز الممكن الواجب بالغير عن الواجب بنفسه والصوم لله لا للعبد فلا قضاء عليه ولا كفارة ومن قال بالكفارة أوجب عليه ستر مقامه وحكمه فيها حكم المجامع في الاعتبار سواء ومن قال بالقضاء عليه يقول ما أوجب عليه القضاء إلا كونه غيراً كما كان في أصل التكليف كما كان في صوم رمضان سواء فيقضيه بردّه إلى من الصوم له فإن الصوم للعبد الذي هو لله كمن سلف شيأ من غيره فقضاؤه ذلك الدين إنما هو ردّه إلى مستحقه مع ما عاد عليه من الانتفاع به والعبد إنما يصوم مستسلفاً ذلك لأن الصمدانية ليست له والصوم صمدانية فهو لله لا له فاعلم ذلك.

وصل في فصل من جامع ناسياً لصومه

فقيل لا قضاء عليه ولا كفارة وبه أقول وقيل عليه القضاء دون الكفارة وقيل عليه القضاء والكفارة الاعتبار هذا من باب الغيرة الإلهية لما اتصف العبد بما هو لله وإن كان مشروعاً وهو الصوم أنساه الله إنه صائم فأقامه في مقام وحالة تفسد عليه صيامه تنبيهاً له إن هذه الحقيقة لا يتصف بها إلا الله غيرة إلهية أن يراجع فيما هو له بضرب من الاشتراك فلما لم يكن للعبد في ذلك قصد ولا

انتهك به حرمة المكلف أسقط عنه القضاء والكفارة والجماع قد عرفت معناه فيمن جامع متعمداً ومن قال عليه القضاء دون الكفارة قال يشهد بالصمدية له دون نفسه في حال قيامها به فيكون موصوفاً بها لا موصوفاً بها مثل قوله وما رميت إذ رميت فنفى وأثبت ومن قال عليه القضاء والكفارة قال النسيان هو الترك والصوم ترك وترك الترك وجود نقيض الترك كما أن عدم العدم وجود ومن هذه حاله فلم يقم به الترك الذي هو الصوم فما امتثل ما كلف فلا فرق بينه وبين المتعمد فوجب عليه القضاء والكفارة والاعتبار قد تقدّم في ذلك وأنه ليس في الحديث إن ذلك الأعرابيّ كان ذاكراً لصومه حين جامع أهله ولا غير ذاكر ولا استفصله رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان ذاكراً لصومه أو غير ذاكر وقد اجتمعا في التعمد للجماع فوجب على الناسي كما وجب على الذاكر لصومه ولاسيما في الاعتبار فإن الطريق تقتضي المؤاخذة بالنسيان لأنه طريق الحضور فالنسيان فيه غريب.

وصل في فصل

هل الكفارة مرتبة كما هي في المظاهر أو على التخيير

فإنه قال له أعتق ثم قال له صم ثم قال له أطعم فلا يدري أقصد عليه السلام الترتيب أم لا فقيل إنها على الترتيب أولها العتق فإن لم يجد فالصوم فإن لم يستطع فالإطعام وقيل هي على التخيير ومنهم من استحب الإطعام أكثر من العتق ومن الصيام ويتصوّر هنا ترجيح بعض هذه الأقسام على بعض بحسب حال المكلف أو مقصود الشارع فمن رأى أنه يقد التغليظ وأن الكفارة عقوبة فإن كان صاحب الواقعة غنياً أو ملكاً خوطب بالصيام فإنه أشق عليه وأردع فإن المقصود بالحدود والعقوبات إنما هو الزجر وإن كان متوسط الحال في المال ويتضرّر بالإخراج أكثر مما يشق عليه الصوم أمر بالعتق أو الإطعام وإن كان الصوم عليه أشق أمر بالصوم ومن رأى أن الذي ينبغي أن يقدّم في ذلك ما يرفع الحرج فإنه تعالى يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج فيكلف من الكفارة ما هو أهون عليه وبه أقول في الفتيا وإن لم أعمل به في حق نفسي لو وقع مني إلا إن لا أستطيع فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها وما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً وكذلك فعل فإنه قال إن مع العسر يسراً ثم إن مع العسر يسرا فأتى بعسر واحد ويسرين معه فلا يكون الحق يراعى اليسر في الدين ورفع الحرج ويفتى المفتى بخلاف ذلك فإنّ كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وإنما يقتضيه النظر الفكري فقد يصيب في ذلك وقد يخطىء ولا سيما وقد رأينا خفيف الحدّ في أشد الجنايات ضرراً في العالم فلو أريد الزجر لكانت العقوبة أشد فيها وبعض الكبائر ما شرع فيها حداً ولاسيما والشرع في بعض الحدود في الكبائر التي لا تقام إلا بطلب المخلوق وإن أسقط ذلك سقطت والضرر بإسقاط الحد في مثله أظهر كوليّ المقتول إذا عفا وليس للإمام أن يقتله وأمثال هذا من الخفة والإسقاط فيضعف قول من يقول وضعت الحدود للزجر ولو شرعنا نتكلم في سبب وضع الحدود وإسقاطها في أماكن وتخفيفها في أماكن وتشديدها في أماكن أظهرنا في ذلك أسراراً عظيمة لأنها تختلف باختلاف الأحوال التي شرعت فيها والكلام فيها يطول وفيها إشكالات مثل السارق والقاتل وإتلاف النفس أشد من إتلاف المال وإن عفا وليّ المقتول لا يقتل قاتله وإن عقارب المال المسروق أو وجد عند السارق عين المال فردّ على ربه ومع هذا فلابد أن تقطع يده على كل حال وليس للحاكم أن يترك ذلك ومن هنا تعرف أن حق الله في الأشياء أعظم من حق المخلوق فيها بخلاف ما تعتقده الفقهاء قال صلى الله عليه وسلم

حق الله أحق أن يقضى الاعتبار الترتيب في الكفارة أولى من التخيير فإن الحكمة تقتضي الترتيب والله حكيم والتخيير في بعض الأشياء أولى من الترتيب لما اقتضته الحكمة والعبد في الترتيب عبد اضطرار كعبودة الفرائض والعبد في التخيير عبد اختيار كعبودة النوافل وفيها رائحة من عبودية الاضطرار وبين عبادة النوافل وعبادة الفرائض في التقريب الإلهيّ بون بعيد في علو المرتبة فإن الله جعل القرب في الفرائض أعظم من القرب في النوافل وإن ذلك أحب إليه ولهذا جعل في النوافل فرائض وأمرنا أن لا نبطل أعمالنا وإن كان العمل نافلة لمراعاة عبودية الاضطرار على عبودية الاختيار لأن ظهور سلطان الربوبية فيها أجلى ودلالتها عليها أعظم.

وصل في فصل الكفارة على المرأة

إذا طاوعت زوجها فيما أراد منها من الجماع

فمن قائل عليها الكفارة ومن قائل لا كفارة عليها وبه أقول فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابيّ ما ذكر المرأة ولا تعرّض إليها ولا سأل عن ذلك ولا ينبغي لنا أن نشرع ما لم يأذن به الله الاعتبار النفس قابلة للفجور والتقوى بذاتها فهي بحكم غيرها بالذات فلا تقدر تنفصل عن التحكم فيها فلا عقوبة عليها والهوى والعقل هما المتحكمان فيها فالعق يدعوها إلى النجاة والهوى يدعوها إلى النار فمن رأى أنه لا حكم لها فيما دعيت إليه قال لا كفارة عليها ومن رأى أن التخيير لها في القبول وإن حكم كل واحد منهما ما ظهر له حكم إلا بقبولها إذ كان لها المنع مما دعيت إليه والقبول فلما رجحت أثيبت إن كان خيراً فخير وإن كان شرّاً فشرّ فقيل عليها الكفارة.

وصل في فصل تكرّر الكفارة لتكرر الإفطار

فقيل إنه من وطيء ثم كفر ثم وطيء في يوم واحد إن عليه كفارة أخرى وقيل من وطيء مراراً في يوم واحد فليس عليه إلا كفارة واحدة ما لم يكفر عن الجماع الأوّل والذي أقول به أن عليه كفارة واحدة لأنها ما شرعت إلا لمراعاة رمضان في حال الصوم لا لمراعاة الصوم لأنه لو أفطر في صوم القضاء لم يكفر ولو كانت هذه الكفارة مثل كفارة الظهار لم يوجب عليه كفارة أخرى إذا كفر عن الجماع الأول فلما أوجبها بعد الوقوع لهذا جعلناها تلزمه إذا أوقع الوطء بعد تكفير وطء قبله متعدداً كان ذلك الأول أو واحداً الاعتبار الروح الواحد يدبر أجساماً متعددة إذا كان له الاقتدار على ذلك ويكون ذلك في الدنيا للولي بخرق العادة وفي الآخرة نشأة الإنسان تعطي ذلك وكان قضيب البان ممن له هذه القوّة ولذي النون المصريّ كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن من يد ورجل وسمع وبصر وغير ذلك كما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على ما يقع منها كذلك الأجساد الكثيرة التي يدبرها روح واحد أيّ شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد وإن كان عين ما يقع من هذا الجسم من الفعل مثل ما يقع من الجسم الآخر فيكون ما يلزمه من المؤاخذة على فعل أحد الجسمين يلزمه على فعل الآخر وإن كان مثله وقسم المذاهب على هذا الحد فيما يلزم الروح الواحد من تكرار الفعل بتعدد الأجسام المماثل لتعدد الزمان في حق المجامع في رمضان فاعلم ذلك.

وصل في فصل هل يجب عليه الإطعام

إذا أيسر وكان معسراً في وقت الوجوب

فمن قائل لا شيء عليه وبه أقول ومن قائل يكفر إذا أيسر الاعتبار المسلوب الإفعال مشاهدة وكشفاً معسر لا شيء له فلا يلزمه شيء فإن حجب عن هذا الشهود وأثبت ذلك من طريق العلم بعد الشهور كمتخيل المحسوس بعد ما قد كان أدركه بالحس فإن الأحكام الشرعية تلزمه بلا شك ولا يمتنع الحكم في حقه بوجود العلم ويمتنع بوجود المشاهدة فإنه يشاهد الحق محركاً له ومسكناً وكذلك إن كان مقامه أعلى من هذا وهو أن يكون الحق سمعه وبصره على الكشف والشهود فمنا من قال حكمه حكم صاحب العلم فإن الله قد أوجب على نفسه ولا يدخل بذلك تحت حد الواجب ومنا من ألحقه بمشاهدة الأفعال منه تعالى كما قدمناه فلا يلزمه الحكم كما لم يلزمه هناك فتارة ينطلق على هذا العبد اسم الحق وتارة ينطلق عليه اسم العبد مع اختلاف هذه الأحوال وفي كل واحد من هذه المراتب يلزمه الحكم من وجه وينتفي عنه من وجه.

وصل في فصل

من فعل في صومه ما هو مختلف فيه

كالحجامة والاستقاء وبلع الحصى والمسافر يفطر أول يوم يخرج عند من يرى أنه ليس له أن يفطر

فكل من أوجب في هذه الأفعال وأشباهها الفطر اختلفوا فمن قائل منهم عليه القضاء ومن قائل منهم عليه القضاء والكفارة وهكذا كل مختلف فيه والذي أذهب إليه مما ذكرناه إن الاستقاء فيه القضاء للخبر وقد تقدم اعتبار ما ذكرناه من هذه الأفعال فمن أفطر في يوم يجوز له الإفطار فيه كالمرأة تفطر قبل أن تحيض ثم تحيض في ذلك اليوم والمريض والمسافر يفطران قبل المرض وقبل السفر ثم يمرض في ذلك اليوم أو يسافر فمذهبنا عليه القضاء ولا كفارة وإنما أوجبنا عليه القضاء لأنها حاضت أو مرض أو سافر وأمّا حكمه في الأثم حكم من أفطر متعمداً حتى أنها لو لم تحض أو لم يمرض أو لم يسافر ما يقضي ذلك اليوم أبداً وليكثر من صيام التطوّع ومع هذا فأمرهم إلى الله لأنهم أفطروا في يوم يجوز لهم الفطر فيه عند الله وأمّا الظاهر فما قلناه الاعتبار في هذا الفعل رائحة من الكشف الذي للنفوس واستطلاع على الغيب من حيث لا يشعر وسببه أنها من عالم الغيب وإن كانت النشأة الجسمية أمها فإن الروح الإلهيّ أبوها فلها الاطلاع من خلف حجاب رقيق بحيث أنه لو دخل صاحب هذا الفعل طريق أهل الله شارع إليه الكشف لاستعداده وتأهله لذلك ومثل هذا لا يسمى اتفاقياً إذ الأمر الاتفاقيّ عندنا لا يصح فإن الأمر كله لله والله لا يحدث شيأ بالاتفاق وإنما يحدثه عن علم صحيح وإراددة وقضاء غيبيّ وقدر فلا بدّ من كون ما هو كائن في علمه وإنما بقي هل يتعلق بمن ظهر عليه مثل هذا الفعل الإلهي أثم أم لا فعندنا الأثم متعلق به ولو حصل له العلم الصحيح بأنه في يوم يجوز له الإفطار فيه و لم يتلبس بالسبب فإنه ما شرع له الفطر إلا مع التلبس بالحال الذي تسمى به حائضاً أو مريضاً أو مسافراً في اللسان الظاهر هذا مذهب المحققين من أهل الله وهو مذهبنا في مثل هذه المسئلة والحكم في صاحبها لله إن شاء عفا وإن شاء آخذ فضلاً وعدلاً إلا إن كان حاله ممن قد أعلم ما يقع منه من الجرائم مشاهدة وكشفاً ومن اطلاعه على المقدور عليه اطلاعه أنه غير مؤاخذ بذلك عند الله فإن لم يطلع فلا يبادر ولا يكن له تعمل في ذلك ما لم يعلم علم الله فيه فإن علم أنه مؤاخذ ولابد فيعلم أن الله قد راعى حكم الظاهر في العموم فيتهيأ لقضاء الله

النافذ فيه وهذا عندنا ليس بواقع أصلاً وإن كان جائزاً عقلاً قيل لإبليس لم أبيت عن السجود قال يا رب لو أردت مني السجود لسجدت قال له متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد حصول الإباية والمخالفة أو قبل ذلك فقال يا رب بعد وقوع الإباية علمت فقال بذلك آخذتك واعلم أن من عباد الله من يطلعهم الله على ما قدر عليهم من المعاصي فيسارعون إليها من شدة حيائهم من الله ليسارعوا بالتوبة وتبقى خلف ظهورهم ويستريحون من ظلمة شهودها فإذا تابوا رأوها عادت حسنة على قدر ما تكون ومثل هذا لا يقدح في منزلته عند الله فإن وقوع ذلك من مثل هؤلاء لم يكن انتهاكاً للحرمة الإلهية ولكن بنفوذ القضاء والقدر فيهم وهو قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فسبقت المغفرة وقوع الذنب فهذه الآية قد يكون لها في حق المعصوم وجه وهو أن يسترعن الذنوب فتطلبه الذنوب فلا تصل إليه فلا يقع منه ذنب أصلاً فإنه مستور عنه أو يستر عن العقوبة فلا تلحقه فإن العقوبة ناظرة إلى محال الذنوب فيستر الله من شاء من عباده بمغفرته عن إيقاع العقوبة به والمؤاخذة عليه والأول أتم فتقدمت المغفرة من قبل وقوع الذنب فعلاً كان أو تركاً فلا يقع إلا حسنة يشهدها وحسنها ومن عباد الله من لم يأت في نفس الأمر إلا ما أبيح له أن يأتيه بالنظر إلى هذا الشخص على الخصوص وهذا هو الأقرب في أهل الله فإنه قد ثبت في الشرع أن الله يقول للعبد لحالة خاصة افعل ما شئت فقد غفرت لك فهذا هو المباح ومن أتى مباحاً لم يؤاخذه الله به وإن كان في العموم في الظاهر معصية فما هو عند الشرع في حق هذا الشخص معصية ومن هذا القبيل هي معاصي أهل البيت عند الله قال عليه السلام في أهل بدر وما يدريكم لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي الحديث الثابت إن عبداً أذنب ذنباً فيقول رب اغفر لي فيقول الله أذنب عبدي ذنباً فعلم أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب إلى أن قال في الرابعة أو في الثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك فأباح له جميع ما كان قد حجره عليه

حتى لا يفعل إلا ما أبيح له فعله فلا يجري عليه عند الله لسان ذنب وإن كنا لجهلنا بمن هذه صفته وهذا حكمه عند الله أن نعرفه فلا يقدح ذلك في منزلته عند الله فمن هذه حالته ما فعل إلا ما أبيح له فعله أو تركه فإن الحكم يترتب على الأحوال فحال أهل الكشف على اختلاف أحوالهم ما هو حال من ستر عنه حاله فمن سوّى بينهما فقد تعدّى فيما حكم به ألا ترى المضطرّ ما حرمت الميتة عليه قط متى وجد الاضطرار وغير المضطرّ ما أحلت له الميتة قط هذا ظاهر الشرع فأحكام الشرائع على الأحوال ونحن فيما جهلنا حاله إن تحسن الظن به ما وجدنا لذلك سبيلا.

وصل في فصل

من أفطر متعمداً في قضاء رمضان

فأكثر العلماء على أنه لا كفارة عليه وإليه أذهب وعليه القضاء وقال بعضهم عليه قضاء يومين ولصاحب هذا القول وجه دقيق خفيّ أدّاه إلى هذا القول وهو أنه مخبر في القضاء في ذلك اليوم فاختار القضاء ثم بدا له فأفطر ولو كان متنفلاً أوجبنا عليه بالشروع قضاء ذلك اليوم فهذا هو اليوم الواحد واليوم الآخر يوم رمضان الذي عليه فما قصر في نظره صاحب هذا القول وقال قتادة عليه القضاء والكفارة الاعتبار من كان مشهده الاسم الإلهيّ رمضان في حال القضاء كان حكمه حكم الأداء وحكم الأداء فيمن أفطر متعمداً في رمضان قد تقدم الكلام فيه وما فيه من الخلاف فهو بحسب ما هو عنده فيجري على ذلك الأسلوب فيه وفي اعتباره ومن

لم يكن مشهده الاسم الإلهي الذي يخص شهره الذي أوقع فيه القضاء لا شهر رمضان ولا اسم رمضان بل مشهده الاسم الذي يحكم عليه بالإمساك فلا يكفر ولكن فيمن كان مذهبه أن يكفر في شهر رمضان وفي قوله تعالى فعدة من أيام أخر كفاية فإنه قد سماها أخر فما هي أيام مرضان وإنما هي أيام صوم على النكرة أي يوم شاء ولا يسمى يوماً إلا بكماله فإذا لم يكمل في حقه فليس بيوم صومه الأسماء التي للشهور القمرية رمضان لشهر رمضان الرفيع لشوال الرحمن لذي قعدة المريد لذي حجة المحرّم للمحرّم المخلي لصفر المحيي لربيع الأول المعيد لربيع الآخر الممسك لجمادى الأولى الرب بمعنى الثابت لجمادى الآخرة العظيم لرجب الفاصل والحاكم لشعبان وما في معنى كل اسم من هذه الأسماء الإلهية.

وصل في فصل الصوم المندوب إليه

وسأذكر من ذلك ما هو مرغب فيه بالحال كالصوم في الجهاد وبالزمان كصوم الاثنين والخميس وعرفة وعاشوراء والعشر وشعبان وأمثال ذلك وما هو معين في نفسه من غير تقييده بيوم مخصوص من أيام الجمعة كعاشوراء وعرفة فمن كونه معين الشهر ألحقناه بالزمان ومن كونه مجهولاً في أيام الجمعة لم نقيده بالزمان ومنه ما هو معين في الشهور كشهر شعبان ومنه ما هو مطلق في الأيام مقيد بالشهور كالأيام البيض وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ومنه ما هو معين في الشهور كشهر شعبان ومنه ما هو مطلق في الأيام مقيد بالشهور كالأيام البيض وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ومنه ما هو مطلق كصوم أي يوم شاء ومنه ما مقيد بالتوقيت كصيام داود صيام يوم وفطر يوم وما يجري هذا المجرى وأما صوم يوم عرفة في عرفة فمختلف فيه وفي غير عرفة مرغب فيه إلا أنه على كل حال يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وأما صوم الستة الأيام من شوّال فمرغب فيها والخلاف في وقتها من شوّال وفي تتابعها وفيها خلاف شاذ وهو أن يوقع أول يوم منها في شوّال وباقي الأيام في سائر أيام السنة.

وصل في فصل الصوم في سبيل الله

خرّج مسلم في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار سبعين خريفاً فذكر صوم العبيد لا صوم الأحرار والعبيد بالحال قليل وبالاعتقاد جميعهم والصوم تشبيه إلهيّ ولهذا نفاه عن العبد بقوله تعالى الصوم لي وليس للعبيد من الصوم إلا الجوع فالتتريه في الصوم لله والجوع للعبد فإذا أقيم العبد في التشبيه بالإله المعبر عنه بالتخلق بالأسماء في صفة القهر والغلبة للمنازع الذي هو العدو ولهذا جعله في الجهاد أعني الصوم لأن السبيل هنا في الظاهر الجهاد عرفنا هذا بقرائن الأحوال لا مطلق اللفظ فإن أخذناه على مطلق اللفظ لا على العرف وهو نظر أهل الله في الأسماء يراعون ما قيد الله وما أطلقه فيقع الكلام بحسب ما جاء فجاء بلفظ التنكير في السبيل ثم عرفه بالإضافة إلى الله تعالى والله هو الاسم الجامع لجميع حقائق الأسماء كلها وكلها لها برّ مخصوص وسبيل إليها فأيّ بر كان فيه العبد فهو في سبيل بر وهو سبيل الله فلهذا أتى بالاسم الجامع فعم كما تعم النكرة أي لا تعين وكذلك نكر يوماً وما عرفه ليوسع بذلك كله على عبيده في القرب إلى الله ثم نكر سبعين خريفاً فأتي بالتمييز والتمييز لا يكون إلا نكرة و لم يعين زماناً فلم ندر هل سبعين خريفاً من زمان أيام الرب أو أيام ذي المعارج أو أيام مترلة من المنازل أو أيام واحد من الجواري الخنس والكنس أو من أيام الحركة الكبرى أو من

الأيام المعلومات عندنا فأبهم الأمر فساوى التنكير الذي في مساق الحديث وكذلك قوله وجهه أبهمه هل هو وجهه الذي هو ذاته أو وجهه المعهود في العرف وكذلك قوله من النار بالألف واللام هل أراد به النار المعروفة أو الدار التي فيها النار لأنه قد يكون على عمل يستحق دخول ذلك الدار ولا تصيبه النار وعلى الحقيقة فما منا إلا من يردها فإنها الطريق إلى الجنة ولو لم يكن في المعنى إلا كون الصراط عليها في الآخرة وفي الدنيا حفت بالمكاره وقد ألقيتك على مدرجة التحقيق في النظر في كلام الله وفي كلام المترجم عن الله من رسول مرسل أو وليّ محدث.

وصل في فصل تخيير الحامل والمرضع في صوم رمضان مع الطاقة عليه بين الصوم والإفطار

فأشبه المفروض من وجه وهو إذا اختاره وقبل التخيير كان حكمه في حقه حكم المباح المخير في فعله وتركه فأشبه التطوع وفعل المندوب إليه خير من تركه ولهذا قال فيه وأن تصوموا خير لكم خرج مسلم عن سلمة بن الأكوع قال كنا في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ومن شاء أفطر واقتدى بطعام مسكين حتى نزلت هذه الآية "فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمنهم من جعل ذلك نسخاً ومنهم من جعله تخصيصاً وهو مذهبنا فبقي حكم الآية في الحامل والمرضع إذا خافتا على ولدهما وسماه تطوعاً وقال فمن تطوع خيراً فهو خير له فنكر خيراً فدخل فيه الإطعام والصوم ذكر البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى "وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وقال أبو داود عن ابن عباس أثبتت في الحبلى والمرضع وقال الدارقطني عن ابن عباس في هذا يطعم كل يوم مسكيناً نصف صاع من حنطة اعلم أن الحق إذا خير العبد فقد حيره فإن حقيقته العبودية فلا يتصرف إلا بحكم الاضطرار والجبر والتخيير نعت السيد ما هو نعت العبد وقد أقام السيد عبده في التخيير اختبار أو ابتلاء ليرى هل يقف مع عبوديته أو يختار فينجري في الأشياء مجرى سيده وهو في المعنى مجبور في اختياره مع كون ذلك عن أمر سيده فكان لا يزول عن عبوديته ولا يتشبه بربه فيما أوجب الله عليه التخيير فمن العبيد من حار ولا يدري ما يرجح ومن العبيد من قال إن ربي يقول "ما كان لهم الخيرة" فنفى فأنا واقف مع النفي فلا أخرج عن عبوديتي طرفة عين ومنهم من قال إن ربي يقول "ما كان لهم الخيرة" من ذواتهم بل أنا أبحت لهم التصرّف على الاختيار اخترت لهم ذلك وعينت لهم محالها ومن محالها ما جاء في هذه الآية من التخيير بين الصوم والفطر وبعض الكفارات ولما نبه عباده على أن الصوم خير لهم إذا اختاروه أبان لهم بذلك عن طريق الأفضلية ليرجحوا الصوم على الفطر فكان هذا من رفقه سبحانه بهم حيث أزال عنهم الحيرة في التخيير بهذا القدر من الترجيح ومع هذا فالابتلاء له مصاحب لأنه تعالى لم يوجب عليه فعل ما رجحه له بل أبقى له الاختيار على بابه ولذلك لا يأثم بالإفطار فمن صامه فقد أدّى واجباً فإنه فرض عليه فعل أحدهما لا على التعيين فإذا عينه المكلف وهو العبد تعينت الفرضية فيه وهو في أصله مخير فيه فهو يشبه صوم التطوّع فيحصل للعبد الذي هذا حاله إذا صامه أجر الفرض وأجر التطوّع وأجر المشقة فهو أعظم أجراً وأكثر من الذي يؤدي الواجب غير المخير وكذلك الأجر في الكفارات المخير فيها أجر الوجوب وأجر التطوّع وهذا من كرم الله في التكليف انتهى الجزء السابع والخمسون.

الجزء الثامن والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل تبييت الصيام في المفروض والمندوب إليه

خرّج النسائي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له يكتب له الصيام من حين يبيت من أول الليل كان أو وسطه أو آخره فيتفاضل الصائمون في الأجر بحسب التبييت ويؤيد ذلك الوصال فكما يكتب له في إيصال يومه بالطرف الأول من ليله يكتب له في اتصال طرفه الآخر من ليله بيومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كان مواصلاً فليواصل حتى السحر" وسيرد الكلام في الوصال والسحور في هذا الباب فإن في هذا الحديث أعني من كان مواصلاً إشعاراً بالترغيب في أكلة السحور فالليل أيضاً في الوصال محل للصوم ومحل للفطر فصوم الليل على التخيير كصوم التطوّع في اليوم والصوم لله في الزمانين فإنه يتبع الصائم ففي أي وقت انطلق عليك اسم صائم فإن الصوم لله وهو بالليل أوجه لكونه أكثر نسبة إلى الغيب والحق سبحانه غيب لنا من حيث وعدنا برؤيته وهو من حيث أفعاله وآثاره مشهود لنا والحق على التحقيق غيب في شهود وكذلك الصوم غيب في شهود لأنه ترك والترك غير مرئيّ وكونه منوياً فهو مشهود فإذا نواه في أيّ وقت نواه من الليل فلا ينبغي له أن يأكل بعد النية حتى تصح النية مع الشروع فكل ما صام فيه من الليل كان بمنزلة صوم التطوّع حتى يطلع الفجر فيكون الحكم عند ذلك لصوم الفرض فيجمع بين التطوّع والفرض فيكون له أجرهما ولما كان الصوم لله وأراد أن يتقرّب العبد بدخوله فيه واتصافه به إلى الله تعالى كان الأولى أن يبيته من أول الثلث إى آخر من الثلث الأول أو الأوسط فإن الله يتجلى في ذلك الوقت في نزوله إلى السماء الدنيا فيتقرّب العبد إليه بصفته وهو الصوم فإن الصوم لا يكون إلا لله إلا إذا اتصف به العبد وما لم يتصف به العبد لم يكن ثم صوم يكون لله فإنه في هذا الموطن كالقرى لنزول الحق إليه وعليه ولما كان الصيام بهذه المثابة كما ذكرناه تولى الله جزاءه بأنانيته لم يجعل ذلك لغيره كما كان الصيام من العبد لله من غير واسطة كان الجزاء من الله للصائم من غير واسطة ومن يلقى سيده بما يستحقه كان إقبال السيد على من هذا فعله أتم إقبال لأن السيد ظهر في هذا الموطن ظهور مستفيد فقابله بنفسه و لم يكل كرامته لغيره والله غنيّ عن العالمين.

وصل في فصل في وقت فطر الصائم

خرّج مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا فلان انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله إن عليك نهاراً قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فآتاه به فشرب النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم قال إذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد أفطر الصائم فسواء أكل أو لم يأكل فإن الشرع أخبر أنه قد أفطر أي إن ذلك ليس بوقت للصوم وإنه بالغروب تولاه الاسم الفاطر وإتيان الليل ظهور سلطان الغيب لا ظهور ما في الغيب فجاء

ليستر ما كانت شمس الحقيقة كشفته غيرة لعدم احترام المكاشفين لما عاينوه من شعائر الله وحرماته فإن البصر قد أدرك ما لو اعتبر في شيء منه ما وفي بما يجب عليه من التعظيم الإلهيّ له فلما قلت الحرمة منهم ستره الليل غيرة فدخل في غيب الليل غير أن الإنسان إذا دخل في الغيب واتصف به أدرك ما فيه من علوم الأنوار لا من علوم الأسرار وعلوم الأنوار هو كل علم يتعلق به منافع الأكوان كلها كما أن الليل إذا جاء ظهرت بمجيئه أنوار الكواكب والله جعلها لنهتدي بها في ظلمات البرّ والبحر وهما علم الإحسان وعلم الحياة وعلوم الأسرار خفيت عن أبصار الناظرين وهي غيب الغيب فصار الغيب على هذا فيه ما يدرك به وفيه ما لا يدرك ولما قال صلى الله عليه وسلم "فقد أفطر الصائم" فالأولى بالصائم أن يعجل الفطر عند الغروب بعد صلاة المغرب فإنه أولى لأن الله جعل المغرب وتر صلاة النهار فينبغي أن يودّيها بالصفة التي كان عليها بالنهار وهو الإمساك عن الطعام والشراب واستحب له إذا فرغ من الفريضة أن يشرع في الإفطار ولو على شربة ماء أو تمر قبل النافلة فإن فاعل ذلك لا يزال بخير خرّج مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر فسمى الأكل أو الشرب فطراً مع أنه قال عنه أنه أفطر بمجيء الليل وغروب الشمس فجمع بالأكل بين فطرين فطر بالفعل وفطر بالحكم فمن قال بالمفهوم يرى أنه إذا لم يفطر بالأكل زال عنه الخير الذي كان يأتيه بالأكل لو أكل معجلاً فإنه إذا أخر لم يحصل على ذلك الخير الذي أعطاه التعجيل وكان محروماً خاسراً في صفقته ثم إنه تفوته الفرحة التي للصائم عند فطره أي يفوته ذوقها وحلاوتها وهي لذة الخروج من الجبر إلى الاختيار ومن الحجر إلى السراح ومن الضيق إلى السعة وهو المقام المحمديّ والبقاء في الحجر مقام يوسفيّ جاء الرسول ليوسف من العزيز بالخروج من السجن فقال يوسف ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة فلم يخرج واختار الإقامة في السجن حتى يرجع إليه الرسول بالجواب وإن كان مطابقاً لدخوله في السجن فإنه دخله عن محبة واستصحبته تلك الحالة وهو قوله رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه فكانت محبة إضافة لم تكن محبة حقيقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخي يوسف لو كنت أنا لأجبت الداعي يقول سارعت إلى الخروج من السجن لأن مقامه صلى الله عليه وسلم يعطي السعة فإنه أرسله الله رحمة ومن كان رحمة لا يحتمل الضيق فلهذا قلنا بلذة فرحة فطر الصائم أنه مقام محمديّ لا يوسفي وإنما قلنا بتعجيل الصلاة فيفطر بعد المغرب وقيل التنفل فإنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما قدمناه على الفطر لأن الصلاة وإن كانت للعبد فإنها حق الله والفطر حق نفسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للشخص الذي ماتت أمّه وعليها صوم وأراد أن يقضيه عنها فقال له عليه السلام أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضيه قال نعم قال فحق الله أحق أن يقضى فقدّم حق الله وجعله أحق بالقضاء من حق المخلوق وذكر مسلم عن أبي عطية قال دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة قالت أيهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة قال قلنا عبد الله بن مسعود قالت كذلك كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان صلى الله عليه وسلم قد جعله الله أسوة يتأسى به فقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فكان يفطر بأن يشق أمعاءه بشيء من رطب أو تمر أو حسوات من ماء قبل أن يصلي المغرب وبعد الصلاة كان يأكل ما قدّر له تكن رطبات فعلى تمرات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء فقدّم الرطب لأنه أحدث عهد بربه من التمر كما فعل صلى الله عليه وسلم في المطر حين نزل برز بنفسه صلى الله عليه وسلم إليه وحسر الثوب عنه حتى أصابه المطر فسئل عن فعله ذلك فقال صلى الله عليه وسلم إنه حديث عهد بربه.

وصل في فصل صيام سر الشهر

اعلم إنه صوم يوم ورد به الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم رويناه من طريق أبي داود عن عبد الله بن العلاء عن المغيرة بن قرّة قال قام معاوية في الناس يوم مسحل الذي على باب حمص فقال "يا أيها الناس إنا قد رأينا الهلال يوم كذا وكذا وأنا متقدّم بالصوم فمن أحب أن يفعل فليفعله قال فقام إليه مالك بن هبيرة السبليّ فقال يا معاوية أشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيء من رأيك قال فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صوموا الشهر وسره فاعلم أن السر ضدّ الشهرة وبها سمي الشهر شهرا لاشتهاره وتمييزه واعتناء المسلمين به وأصحاب تسيير الكواكب فرغب في الصوم في حال السرّ والإعلان واعلم أن سر الشهر هو الوقت الذي يكون فيه القمر في قبضة الشمس تحت شعاعها كذلك العبد إذا أقيم في مشهد من مشاهد القرب الذي تطلبه عيون الأكوان فيه فلا تبصره وذلك مقام الأخفياء الأبرياء الذين لم يتميزوا في العامّة في هذه الدار تحققاً بصفة سيدهم حيث لم يجعل سبيلاً إلى رؤيته في هذه الدار لحصول دعاوى الكون في المرتبة الإلهية فقالوا ينبغي أن لا نظهر إلا بظهور مولانا وذلك في الآخرة حيث يقول لمن الملك اليوم فلا يجرأ أحد يدّعيه فهناك تظهر هذه الطبقة أن لله أخفياء في عباده وضغائن اكتنفهم في صونه فلما تشبهوا بسيدهم في هذه الصفة من الستر وعدم الظهور لزمهم صوم سر الشهر فإن الصوم صفة صمدانية فاتصفوا بصفة الحق في هذا التقريب كما اتصفوا به في الإعلان في صوم الواجب كشهر رمضان فإنه ظهر هناك باسمه رمضان وسمى به الشهر حجاباً عنه تعالى والعامة تقول صمت رمضان والعارف يقول شهر رمضان معلناً فإن الله قال لهم "فمن شهد منكم الشهر" وهو إعلان رمضان وضهرته فليصمه إلا المسافر فإن المسافر إليه يسافر ليشهده فما هو في حال شهود في وقت سفره والمريض مائل عن الحق لأن المرض النفسيّ ميل النفس إلى الكون فلم يشهد الشهر والحيض كذب النفس ولذلك هو أذى في المحل ينافي الطهارة التي توجب القرب وهو الصدق ورد في الخبر الصحيح إن العبد إذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلاً من نتن ما جاء به فجاء بالثلاثين الذي هو كمال عدّة الشهر القمريّ الذي استسر في شعاع الشمس فكانت الحائض بعيدة من شهود الشهر لما ذكرناه والحق سبحانه لا يقرّب عبده إلا ليمنحه ويعطيه ثم يبرزه إلى الناس قليلاً قليلاً لئلا يبهرهم بهاء نور ما أعطاه لضعف عيون بصائرهم رحمة بالعامة فلايزال يظهر لهم قليلاً قليلاً فلا يبدي لهم من العلم بالله الذي أعطاه في حال ذلك السرار الأقدر ما يعلم أنه لا يذهلهم إلى أن تعتاد عيون بصائرهم إلى أن يظهر لهم في صورة كمال الأعطية بالخلعة الإلهية وهو قوله "من يطع الرسول فقد أطاع الله" فذلك بمنزلة القمر ليلة البدر فهو القدر الذي كان حصل له ليلة السار في حضرة الغيب من وجه باطنه فإن ضوء البدر كان في السرار من الشمس في الوجه الذي ينظر إلى الشمس في حين المسامتة والظاهر لا نور فيه وفي ليلة الأبدار ينعكس الأمر فيكون الظهور بالاسم الظاهر وكذلك فعل الحق مع عامّة عباده احتجب عنهم غاية الحجاب كالسرار في القمر فلم يدركوه فقال "ليس كمثله شيء" رحمة بهم فلم يجدوا في أذهانهم ولا في طبقات أحوالهم ما يذهلهم فجاء سرّاً في رحمة حجاب هذه الآية وهذا غاية نزول الحق إلى عباده في مقام الرحمة لهم ثم استدرجهم قليلاً قليلاً بمثل "وهو السميع البصير" و"قل هو الله أحد الله الصمد" وقوله "ألم يعلم بأن الله يرى" إلى أن تقوّت أنوار بصائرهم بالمعرفة بالله وأنسوا به قليلاً قليلاً إلى أن يتجلى لهم في المعرفة التامة التريهة التي لو تجلى لهم فيها في أوّل الحال لهلكوا من ساعتهم فقال عز من قائل "وهو معكم أينما كنتم" فقبلوه و لم ينفروا منه ونسوا حال "ليس كمثله شيء"

فكان بقاؤهم في ذلك المقام بقطع اليأس لرفع المناسبة من جميع الوجوه ألا ترى أهل الميت تنقطع وحشتهم من ميتهم لأنهم لا يرجون لقاءه في الدنيا فلا يبقى لهم حزن وأهل الغائب ليس كذلك فإنهم لم ييأسوا من لقائه وكتبه وأخباره تردّ عليهم مع الآنات إلى وقت اللقاء عند قدومه فسبحان الحكيم الخبير يدبر الأمر يفصل الآيات لعلنا نعقل عنه فلمثل هذا وقع صيام سر الشهر والشهر مثلاً مضروباً لمن يعقل عن الله ففي صيام سر الشهر

مقام جمعية الهمة على الله حتى لا يرى غير الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي لأنه في تجل خاص به ولهذا أضافه إليه فقال ربي و لم يقل الله ولا الرب ومما يؤيد قولنا إنه يريد بصوم السر من الشهر الجمعية تحضيضه وتحريضه على صوم سرر شعبان وأن يقضيه من فاته فإن شعبان من التفريق ولهذا قيل أنه ما سمى هذا الشهر بلفظ شعبان إلا لتفرّق قبائل العرب فيه وكذا قال الله تعالى "وجعلناكم شعوباً وقبائل" فالشعوب في الأعاجم كالقبائل في العرب أي فرقكم شعوباً وميز قبيلة من قبيلة وسميت المنية شعوباً لأنها تفرّق بين الميت وأهله فكان صيام سرر شعبان آكد من صيام سرر غيره من الشهور لما فيه من التفريق خرّج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل صمت من سرر هذا الشهر شيأ قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه" وفي طريق أخرى أيضاً لمسلم عن ابن عمر "هل صمت من سرر شعبان" وفي هذا الفصل علوم وأسرار إلهية يعرفها من تحقق بما نبهنا عليه وأسعد الناس بذلك أهل الاعتبار من الذين يراعون تسيير الشمس والقمر لحفظ أوقات العبادات فإن معرفة منزلة القمر والشمس في ضرب المثل من أعظم الدلائل على العلم الإلهيّ الذي يختص بالكون والإمداد الربانيّ والحفظ لبقاء أعيان الكائنات وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أي حاضر فيما يلقي إليه المخبر فيمثله نصب عينيه فكأنه يشاهده فإنه خبر صدق جاء به صادق أمين.

جاء به صادق أمين	يخبر عن كل ما يكون
في كل كون بكل وجه	من كل صعب وما يهون
مما تراه القلوب كشفا	معنى وما تدرك العيون

جاء به من رب الدار يعلمه بما أودع فيها من كل شيء مليح قال تعالى "وكل شيء فصلناه تفصيلا ذلك لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكل شيء علما.

وصل في فصل في حكمة صوم أهل كل بلد برؤيتهم

خرّج مسلم في صحيحه عن كريب أن أمّ الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال أنت رأيته فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت أولّا تكتفي برؤية معاوية وصيامه فقال لا هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدنك وقواك بلدك وأقليمك وعالمك رعيتك وأنت مخاطب بالتصرّف فيهم بالقدر الذي حد لك الحق في شرعه وأنت الراعي

المسؤول عنهم لا غيرك فإن الله ما كلف أحداً إلا بحاله ووسعه ما كلف أحداً بحال أحد فكل نفس بما كسبت رهينة وكل نفس تجادل عن نفسها وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه فإذا طلع هلال المعرفة في قلبك من الاسم الإلهيّ رمضان فقد دعاك في ذلك الطلوع إلى الاتصاف بما هو له وهو الصوم فأمرك بتقييد جوارحك كلها الظاهرة وتقييد قواك الباطنة وأمرك بقيام ليله ورغبك فيه وهو المحافظة على غيبه وجعل لك فيه فطراً في أوّل الليل وأمرك بالتعجيل به وغذاء في آخره وأمرك بتأخير ذلك إلى أن يكون في التأخير بمنزلة من قال هو النهار إلا أنّ الشمس لم تطلع وذلك لحكمة التحقق بالاسم الآخر في ليل رمضان كما كنت في يومه فإنك بين طرفي تحليل وتحريم فما خاطبك الحق إلا منك ولاخاطبك إلا بك وهكذا مع كل مكلف في العالم من ملك وجنّ بل من كل مخلوق حال ذلك المخلوق يترل الحكم عليه بصفة الكلام سواء ضم ذلك الكلام حروف هجاء أو لم تضمه هو عين الكلام الإلهيّ في العالم إن الله قال على لسان عبده "سمع الله لمن حمده" ولقد أنطقني سبحانه في ذلك بما أنا ذاكره من الأبيات إن شاء الله تعالى:

ناداني الحق من سمائي بغير حرف من الهجاء
ثم دعاني من أرض كوني بكل حرف من الهجاء
وقال لي كله كلامي فلا تعرّج على سوائي
ولاترى إن ثم غيري فإنه غاية التنائي

فلما علمت أنه لكل بلد رؤية وماوقف حكم بلد على بلد علمت إن الأمر شديد وإن كل نفس مطلوبة من الحق في نفها لا تجزي نفس عن نفس شيأ وأنّ تقلب الإنسان في العبادة من وجه بذاته ومن وجه بربه ليس لغيره فيه مساغ ولا دخول وأراني ذلك في واقعة فاستيقظت من منامي وأنا أحرّك شفتيّ بهذه الأبيات التي ما سمعتها قبل هذا لا مني ولا من غيري وهي هذه:

قال لي الحق في منامي ولم يكن ذاك من كلامي
وقتاً أناديك في عبادي وقتاً أناجيك في مقامي
وأنت في الحالتين عندي في كنف الصون والذمام
فمن صلاة إلى زكاة ومن زكاة إلى صيام
ومن حرام إلى حلال ومن حلال إلى حرام
وأنت في ذا وذاك مني كمثل مقصورة الخيام

فلو علم الإنسان من أيّ مقام ناداه الحق تعالى بالصيام في قوله يا أيها الذين آمنوا وأنه المخاطب في نفسه وحده بهذه الجمعية فإنه قال يصبح على كل سلامى منكم صدقة فجعل التكليف عامّا في الإنسان الواحد وإذا كان هذا في عروقه فأين أنت من جوارحه من سمعه وبصره ولسانه ويده وبطنه ورجله وفرجه وقلبه الذين هم رؤساء ظاهره وإن كل جارحة مخاطبة بصوم يخصها من إمساكها فيما حجر عليها ومنعت من التصرّف فيه بقوله كتب عليكم الصيام واعلم أن الله ناداك من كونك مؤمناً من مقام الحكمة الجامعة لتقف بتفصيل ما يخاطبك به على العلم بما أراده منك في هذه العبادة فقال كتب عليكم الصيام أي الإمساك عن كل ما حرّم

عليكم فعله أو تركه كما كتب على الذين من قبلكم يعني الصوم من حيث ما هو صوم فإن كان أيضاً يعني به صوم رمضان بعينه كما ذهب إليه بعضهم غير أن الذين قبلنا من أهل الكتاب زادوا فيه إلى أن بلغوا به خمسين يوماً وهو مما غيروه وقوله كما كتب أي فرض على الذين من قبلكم وهم الذين هم لكم سلف في هذا الحكم وأنتم لهم خلف لعلكم تتقون أي تتخذوا الصوم وقاية فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن الصوم جنة والجنة الوقاية ولا يتخذوه وقاية إلا إذا جعلوه عبادة فيكون الصوم للحق من وجه ما فيه من التتريه ويكون من وجه ما هو عبادة في حق العبد جنة ووقاية من دعوى فيما هو لله لا له فإن الصوم لا مثل له فهو لمن لا مثل له فالصوم لله ليس لك ثم قال أياماً معدودات العامل في الأيام كتب الأول بلا شك فإنه ما عندنا بما كتب على من قبلنا هل كتب عليهم يوم واحد وهو عاشوراء أو كتب عليهم أيام والذي كتب علينا إنما هو شهر والشهر إما تسعة وعسرون يوماً وإما ثلاثون يوماً بحسب ما نرى الهلال والأيام من ثلاثة إلى عشرة لا غير فطابق لفظ القرآن ما أعلمنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدد أيام الشهر فقال الشهر هكذا وأشار بيده يعني عشرة أيام ثم قال وهكذا يعني عشرة أيام وهكذا وعدق إبهامه في الثالثة يعني تسعة أيام وفي المرّة الأخرى لم يعقد الإبهام فأراد أيضاً عشرة أيام وذلك لما قال تعالى "أياماً معدودات" عدد الشارع أيام الشهر بالعشرات حتى يصح ذكر الأيام موافقاً لكلام الله فإنه لو قال ثلاثون يوماً لكان كما قال في الإيلاء لعائشة قد يكون الشهر تسعة وعشرين يوماً و لم يقل هكذا وهكذا كما قال في عدد شهر رمضان فعلمنا أنه أراد موافقة الحق تعالى فيما ذكر في كتابه ثم قال فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر فأتى بذكر الأيام أيضاً وأشار إلى المخاطبين بقوله منكم وهم الذين آمنوا مريضاً يعني في حبس الحق أو على سفر وهم أهل السلوك في الطريق إلى الله في المقامات والأحوال والسفر من الأسفار وهو الظهور لأنه إنما سمي السفر سفراً لأنه سفر عن أخلاق الرجال فيه فأسفر لهم المقام والحال في هذا السلوك إن العمل ليس لهم وإن كانوا فيه وإنما الله هو العامل بهم كما قال تعالى "وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى" فعدة من أيام أخر يعني في وقت الحجاب فإنها أيام أخر حتى يجد التكليف محلاً يقبله بالوجوب وقد تقدّم الكلام في مثل هذا من هذا الباب فلينظر هناك ثم قال "وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوّع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون" يقول من يطيق الصوم قد خيرناه بين الصوم والأطعام فانتقل من وجوب معين إلى وجوب غير معين عند المكلف وإن كان محصوراً وقد علم الله ما يفعل المكلف من ذلك فألحقه بالتطوّع فإن كل واحد منهما غير واجب بعينه فأيّ شيء اختار كان تطوّعاً منه به إذ له أن يختار الآخر دونه ثم رجح الله له الصوم الذي هو له ليقوم به إذ صفة الصوم من حيث ما هي عبادة لا مثل له فإن قلت فالأطعام صفته أيضاً فإنه المطعم قلنا لو ذكر الأطعام دون الفدية لكان ولما قرن بالإطعام الفداء وأضافه إليه كان كأن المكلف وجب عليه الصوم والله لا يجب عليه شيء في الأدب الوضعيّ الحقيقيّ إلا ما أوجبه على نفسه ومن حصل تحت حكم الوجوب فهو مأسور تحت سلطانه فتعين الفداء وكان الإطعام فراعى الله الصوم هناك فجعله خيراً له فإنه صفته ألا تراه يقول وفديناه بذبح عظيم من أسر الهلاك إن كنتم تعلمون قد تكون إن هنا بمعنى ما يقول ما كنتم تعلمون أن الصوم خير من الإطعام لولا ما أعلمتكم

ويكون معناها أيضاً إن كنتم تعلمون الأفضل فيما خيرتكم فيه فقد أعلمتكم بيي مرتبة الصوم ومرتبة الإطعام ثم قال شهر رمضان يقول شهر هذا الاسم الإلهيّ الذي هو رمضان فأضافه إلى الله تعالى من اسمه رمضان وهو اسم غريب نادر الذي أنزل فيه القرآن يقول نزل القرآن بصومه على التعيين دون غيره من الشهور هدى أي بياناً للناس والقرآن الجمع فلهذا جمع بينك وبينه في الصفة الصمدانية وهي الصوم فما كان فيه من تتريه فهو لله فإنه قال الصوم لي ومن كونه عبادة فهو لك هدى أي بياناً للناس على قدر

طبقاتهم وما رزقوا من الفهم عنه فإن لكل شخص شرباً في هذه العبادة وبينات فكل شخص على بينة تخصه بقدر ما فهم من خطاب الله في ذلك من الهدى وهو التبيان الإلهيّ والفرقان فإنه جمعك أولاً معه في الصوم بالقرآن ثم فرّقك لتتميز عنه بالفرقان فأنت أنت وهو هو في حكم ما ذكرناه من استعمالك فيما هو له وهو الصوم فهو له من باب التتريه وهو لك عبادة لا مثل لها فمن شهد منكم الشهر فليصمه يقول فليمسك نفسه في هذه الشهرة يعني يتزهها بالذلة والافتقار حتى تعظم فرحته عند الفطر ومن كان مريضاً مائلاً والمرض الميل أو محبوساً فإن المريض في حبس الحق أو على سفر سلوك في الأسماء الإلهية علم ذوق أو مسافراً عنه إلى الأكوان فعدّة من أيام أخر أيام معدودات لا يزاد فيها ولا ينقص منها يريد الله بكم اليسر فيما خاطبكم به من الرفق في التكليف ولا يريد بكم العسر وهو ما يشق عليكم أكد بهذا القول قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج فعرف اليسر هنا بالألف واللام يشير إلى اليسر المذكور المنكر في سورة ألم نشرح أي ذلك اليسر أردت بكم وهو قوله فإن مع العسر يسرا في عسر المرض يسر الإفطار ثم إن مع العسر عسر السفر يسرا يسر الإفطار أيضاً فإذا فرغت من المرض أو السفر فانصب نفسك للعبادة وهو الصوم يقول اقضه وإلى ربك فارغب في المعونة كان شيخنا أبو مدين رحمه الله يقول في هذه الآية فإذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن وإلى ربك فارغب في الدوام وإذا دخلت في عبادة فلا تحدّث نفسك بالخروج منها وقل يا ليتها كانت القاضية ولتكملوا العدّة برؤية الهلال أو بتمام الثلاثين ولتكبروا الله تشهدو له بالكبرياء تفردوه به ولا تنازعوه فيه فإنه لا ينبغي إلا له سبحانه فتكبروه عن صفة اليسر والعسر فإنه قال في الإعادة وهو أهون عليه فهو أعلم بما قال واحذر من تأويلك وحمله عليك فكبره عن هذا على ما هداكم أي وفقكم لمثل هذا وبين لكم ما تستحقونه مما يستحقه تعالى ولعلكم تشكرون فجعل ذلك نعمة يجب الشكر منا عليها لكوننا نقبل الزيادة والشكر صفة إلهية فإن الله شاكر عليم فطلب منا بهذه الصفة الزيادة لكونه شاكراً فإنه قال "لئن شكرتم لأزيدنكم" فنبهنا بما هو مضمون الشكر لتزيده في العمل "وإذا سألك عبادي عني" لكونك حاجب الباب "فإني قريب" بما شراكناهم فيه من الشكر والصوم الذي هو لي فأمرناهم بالصوم وعرفناهم أنه لنا ما هو لهم فمن تلبس به تلبس بما هو خاص لنا فكان من أهل الاختصاص مثل أهل القرآن هم أهل الله وخاصته "أجيب دعوة الداعي" "على بصيرة إذا دعاني" يقول كما جعلناك تدعو الناس إلى الله على بصيرة جعلنا الداعي الذي يدعونا إليه على بصيرة من إجابتنا إياه ما لم يقل لم يستجب لي فليستجيبوا لي أي لما دعوتهم لي من طاعتي وعبادتي فإني ما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون فدعوتهم إلى ذلك على ألسنة رسلي وفي كتبي المترلة التي أرسلت رسلي بها إليهم وأكد ذلك بالسين أعني الاستجابة لما علم من إبايتنا وبعدنا عن إجابته لي أي من أجلي لا تعملون ذلك رجاء تحصيل ما عندي فتكونون عبيد نعمة لا عبيدي وهم عبيدي طوعاً وكرهاً لا انفكاك لهم من ذلك وليؤمنوا بي يصدّقوا بإجابتي إياهم إذا دعوني وليكن إيمانهم بي لا بأنفسهم لأنه من آمن بنفسه لا بالله لم يستوعب إيمانه ما استحقه فإذا آمن بي وفي الأمر حقه فأعطى كل ذي حق حقه وهذا هو الذي يصدّق بالأخبار كلها ومن آمن بنفسه فإنه مؤمن بما أعطاه دليله والذي أمرته بالإيمان به متناقض الدلالة متردّد بين تشبيه وتتريه فالذي يؤمن بنفسه يؤمن ببعض ويكفر ببعض تأويلاً لا ردّاً فمن تأول فإيمانه بعقله لا بي ومن ادّعى في نفسه أنه أعلم بي مني فما عرفني ولا آمن بي فهو عبد يكذبني فيما نسبته إلى نفسي بحسن عبارة فإذا سئل يقول أردت التتريه وهذا من حيل النفوس بما فيها من العزة وطلب الاستقلال والخروج عن الاتباع لعلهم يرشدون أي يسلكون طريق الرشد كما يفعل الموفقون الذين إذا رأوا سبيل الرشد اتخذوه سبيلاً فيمشي بهم إلى السعادة الأبدية فكانت إجابة الحق إياهم حين دعوه ونهاية طريقهم إلى ما فرحت به نفوسهم من تحليل ما كان حرم عليهم في حال صومهم من أول اليوم إلى

آخره فقال أحل لكم ليلة الصيام أي الليلة التي انتهى صومكم إليها لا الليلة التي تصبحون فيها صائمين فهي صفة تصحبكم إلى ليلة عيد الفطر ولو كانت إضافة ليلة الصيام إلى المستقبل لم تكن ليلة عيد الفطر فيها فإنك لا تصبح يوم العيد صائماً ولو صمت فيه لكنت عاصياً ولا يلزم هذا في أول ليلة من رمضان فإن الأكل وأمثاله كان حلالاً قبل ذلك فمازال مستصحب الحكم فلهذا جعلناه للصوم الماضي الرفث يعني الجماع إلى نسائكم فجاء بالنساء و لم يقل الأزواج ولا غير ذلك فإن في هذا الاسم معنى ما في النساء وهو التأخير فقد كنّ أخرن عن هذا الحكم الذي هو الجماع زمان الصوم إلى الليل فلما جاء الليل زال حكم التأخير بالإحلال فكأنه يقول إلى ما أخرتم عنه وأخرن عنه من أزواجكم وما ملكت أيمانكم ممن هو محل الوطء هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ أي المناسبة بينكم صحيحة ما هي مثل ما تلبستم بنا في صومكم حيث اتصفتم بصفة هي لي وهو الصوم فلستم لباساً لي في قولي وسعني قلب عبدي ولست لباساً لكم في قولي بكل شيء محيط فإن اللباس يحيط بالملبوس به ويستره علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم من الخيانة لشهادتي عليكم حين قبلتم الأمانة لما عرضتها عليكم فقلت في حاملها إنه كان ظلوماً جهولاً ظلوماً لنفسه بأن كلفها ما لا يدري علم الله فيه عند حمله إياها جهولاً بقدرها وما تيعلق من الذم به إذ أمن خان فيها ولما كان الجهول أعمى وأضل سبيلاً لا يدري كيف يضع رجله ولا يرى أين يضع رجله قال "علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم لما حجر عليكم فيما حجره عليكم فتاب عليكم أي رجع عليكم وعفا عنكم أي بالقليل الذي أباحه لكم من زمان الإحلال الذي هو الليل وإنما جعله قليلاً لبقاء التحجير فيه في المباشرة للمعتكف في المساجد بلا خلاف وفي غير المسجد بخلاف والمواصل فالآن باشروهنّ وهو زمان الفطر في رمضان وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما فرض الله من أجلكم حتى تعلموه فتعملوا به من كل ما ذكره في هذه الآية وكلوا واشربوا أمر بإعطاء ما عليك لنفسك من حق الأكل والشرب حتى يتبين لكم الخيط الأبيض إقبال النهار من الخيط الأسود إدبار الليل من الفجر الانفجار الضوء في الأفق ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد فأبقى تحجير الجماع على من هذه حالته وكذلك في الأكل والشرب للذي ينوي الوصال في صومه يقول صلى الله عليه وسلم من كان مواصلاً فليواصل حتى السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة يريد في وقت ظهور ذنب السرحان ما بين الفجرين المستطيل والمستطير وواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه يومين ورأوا الهلال تلك حدود الله التي أمركم أن تقفوا عندها فلا تقربوها لئلا تشرفوا على ما وراءها وهنا علم غامض لا يعلمه إلا من أعطيه ذوقاً عناية إلهية كالخضر وغيره فربما تزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء كذلك يبين الله آياته أي دلائله للناس إشارة فيتذكر بها لعلهم يتقون يتخذون تلك الدلائل وقاية من التقليد والجهل فإن المقلد ما هو على بينة من ربه وما هو صاحب دلالة وجعله بمعنى لترجي لأنه ما كل من رزق الدليل ووصل إلى المدلول وحصل له العلم وفق لاستعمال ما علمه إن كان من العلوم التي غايتها العمل.

وصل في فصل السحور

خرّج مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "تسحروا فإن في السحور بركة" وأمر صلى الله عليه وسلم بالسحور ورغب فيه بما ذكر حديث ثان لمسلم وخرّج مسلم أيضاً عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "فصل ما بين

صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور" حديث ثالث للنسائي خرّج النسائي عن العرباض بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو إلى السحور في شهر رمضان فقال "هلموا إلى الغذاء المبارك" حديث رابع للنسائي وخرّج النسائي أيضاً عن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال "إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوها" حديث خامس لمسلم والبخاريّ خرّج مسلم عن ابن عمر قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان بلال وابن أمّ مكتوم الأعمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أمّ مكتوم" قال ولم يكن بينهما إلا أن يترل هذا ويرقى هذا زاد البخاريّ "فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر" يعني ابن أمّ مكتوم خرّجه البخاريّ من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبيّ صلى الله عليه وسلم حديث سادس لأبي داود خرّج أبو داود عن أبي هريرة قال قال النبيّ صلى الله عليه وسلم "إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه" حديث سابع للنسائي خرّج النسائي عن عاصم عن ذر قال قلنا لحذيفة أي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع حديث ثامن لمسلمخرّج مسلم عن أنس قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قلت كم كان قدر ما بينهما قال خمسين آية حديث تاسع لمسلم خرّج مسلم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يغرّنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا" وحكاه حماد بيده يعني معترضاً فهذه أحاديث السحور قد ذكرتها ليقف من سمع كلامي في السحور عليها حتى يعلم أنا ما خرجنا فيما نذهب إليه من الاعتبار عما أشار إليه صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً لأن سيد هذه الطائفة أبا القاسم الجنيد يقول علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة يقول رضي الله عنه وإن كنا أخذنا علمنا عن الله ما أخذناه من الكتب ولا من أفواه الرجال فما علمنا الله تعالى علماً به نخالف ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم من عند الله مما ذكرته من الأخبار ولا ما أنزله الله في كتاب بل هو عندنا كما أخبر الله عن عبده خضر أنه آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً وهذا هو علم الوهب الإلهيّ الذي أنتجه التقوى والعمل على الكتاب والسنة الذي لو عمل أهل الكتاب بما أنزل إليهم وأقاموا التوراة والإنجيل لأكلوا من فوقهم إشارة إلى هذا المقام أعني علم الوهب ومن تحت أرجلهم إشارة إلى علم الكسب وهو العلم الذي يناله أهل التقوى من هذه الأمّة فإنه علم كسب إذ كان نتيجة عمل وهو التقوى فاعلم أن السحور مشتق من السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة يريد زمان أكلة السحور فله وجه إلى النهار وله وجه إلى الليل فبما له وجه إلى النهار سماه غذاء فرجح فيه حكم النهار على حكم الليل كما عمل في الفطر فأمر بتعجيله فرجح فيه النهار أيضاً على الليل بوجود آثار الشمس فإنّ الأكل وقع فيه قبل زوال آثار النهار ودلائله فإن النهار قد أدبر لأن حقيقة النهار من طلوع حاجب الشمس الأول إلى غروب حاجب الشمس الأول إلى غروب حاجب الشمس الآخر فبمغيبه يغيب قرص الشمس وآثار النهار من أول الليل من مغيبه إلى مغيب البياض وآثاره في آخر الليل من طلوع الفجر الأول إلى طلوع الشمس إلا أنه لا يمنع الأكل طلوع الفجر الأول شرعاً وفي الفجر الشافي خلاف وموضع الإجماع الأحمر وما كان قبل ذلك فليس بسحر وإنما هو ليل وبعده إنما هو نهار وهكذا صفة الشبهة لها وجه إلى الحق ولها وجه إلى الباطل في الأمور العقلية وكذلك المتشابه له وجه إلى الحل وله وجه إلى الحرمة ولهذا سمي الفجر الأول الكذاب وما هو كذاب وإنما أضيف الكذب إليه لأنه ربما يتوهم صاحب السحور أن الأكل محرم عنده وليس كذلك فإن علته ضرب الشمس أي طرح شعاعها على البحر فيأخذ الضوء في الاستطالة فإذا ارتفعت ذهب ذلك الضوء المنعكس من

البحر إلى الأفق فجاءت الظلمة وقرب بروز الشمس إلينا فظهر ضوءها في الأفق كالطائر الذي فتح جناحيه ولهذا سماه مستطيراً فلايزال في زيادة إلى طلوع الشمس كذلك الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث أي يثبت وهو الفجر الصادق وما بينهما هو السحر كما أن ما بين الوجهين اللذين يظهران في الشبهة هو العلم الصحيح يظهر بها أنها شبهة فيتميز بعلمك بها الحق من الباطل كما تميز بانتكاس الفجر الكذاب إلى الأرض والظلمة الظاهرة عند ذلك أن ذلك الفجر الأول لا يمنع من يريد الصوم من الأكل ولهذا سمته العرب ذنب السرحان لأنه ليس في السباع أخبث منه ولا أكثر محالاً فإنه يظهر الضعف ليحقر فيغفل عنه فينال مقصوده من الافتراس فإن ذنبه يشبه ذنب الكلب فيتخيل من لا يعرفه أنه كلب فيأمن منه فهو شبيه المنافق فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت بأكلة السحور وقال إنها بركة أعطاكم الله إياها فأكد أمره بها بنهيه أن لا ندعها فكما صرّح بالأمر بها صرّح بالنهي عن تركها وأكد في وجوبها فأشبهت صلاة الوتر فإنها صلاة مأمور بها على طريق القربة المأمور بها فهي سنة مؤكدة وعند بعض علماء الشريعة واجبة وأكلة السحور أشدّ في التأكيد من الوتر في جنس الصلاة لما ورد في ذلك من التصريح بالنهي عن تركها وهو بمنزلة البحث عن الشبهة حتى يعرف بذلك الحق من الباطل فهذه هي البركة التي في أكلة السحور فإن البركة الزيادة فزادت على سائر الأكلات شمولها الأمر بها والنهي عن تركها وليس ذلك الحكم لغيرها من الأكلات ثم إن النبيّ صلى الله عليه وسلم جعلها فصلاً بين منزلة أهل الكتاب ومنزلتنا فهي إما ممن اختصنا بها الحق على سائر الأمم من أهل الكتاب وإما ممن أمرنا بالمحافظة عليها حتى نتميز من أهل الكتاب حيث أنزلت عليهم كما أنزلت علينا ففرّطوا في حقها كما فعلوا في أشياء كثيرة وكلا الوجهين سائغ وهذا يعم تعجيل الفطر وتأخير السحور فإن اعتبرنا أن أهل الكتاب هم القائمون بكتابهم علمنا أن الله اختصنا بفضل تعجيل الفطر وتأخير السحور عليهم وأنه ما أنزل ذلك عليهم فحرموا فضلها وإن اعتبرنا أن أهل الكتاب هم الذين أنزل عليهم كتاب من الله سواء عملوا به أو لم يعملوا تأكد عندنا أن الله إنما أكد في ذلك حتى تتميز عن أهل الكتاب إذ قد أمروا بذلك فأضاعوه بترك العمل فمن رأى أكلة السحور بضم الهمزة اكتفى باللقمة الواحدة ليقع الفرق بينه وبين أهل الكتاب وهو أقل ما يكون ومن فتح الهمزة أراد الغذاء ثم من التأكيد فيها محافظة النبيّ صلى الله عليه وسلم عليها وعلى تأخيرها ودعاؤه إليها فسنها قولاً وفعلاص فقال هلموا إلى الغذاء المبارك كما قال حيّ على الصلاة ثم إنه صلى الله عليه وسلم من تأكيده في ذلك وتغليبه للأكل على تركه مع التحقق ببيان المانع وهو الفجر الصادق إنك إذا سمعت النداء به إذا كان في البلد من يعلم أنه لا ينادي إلا عند الطلوع الذي به تصح الصلاة كابن أم مكتوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سمع المتسحر ذلك وجب عليه الترك فقيل له إن سمعته والإناء في يدك وأنت تشرب فلا تقطع شربك من الماء مع هذا التحقق حتى تقضي حاجتك منه كما قال حذيفة هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع فجعل الحكم لحال الوقت وهو الوجود فكان الدفع أهون من الرفع لأن المدفوع معدوم والذي تريد رفعه موجود حاكم بالفعل وهو أنك آكل أو شارب فالحكم له حتى يرتفع بنفسه كذلك الاسم الحاكم في الوقت على العبد إذا طلبه اسم آخر لا حكم له عليه كان الأولى بالعبد أن لا ينفصل من هذا الاسم الإلهيّ حتى لا يبقى له حكم عليه يطالبه به فإذا فرغ من حكمه تلقى يالأدي ذلك الاسم الإلهيّ الذي يطلبه أيضاً هكذا في الدنيا والآخرة كشخص حكم عليه اسم التوّاب عن فعل تقابلت فيه الأسماء الإلهية في حال الذنب فقال المنتقم أنا أولى به وقال الراحم والغفار أنا أولى به فتقابلت الأسماء في حال العاصي أيّ اسم إلهي يحكم عليه وفيه فوجدوا التوّاب فتقوّى الاسم الراحم على المنتقم وقال هذا نائبي في المحل فإنه لولا ما رحمته ما تاب فدفع المنتقم عن طلبه وتسلمه الراحم وصار التوّاب يرجع به إلى ربه من طاعة إلى طاعة بعدما كان يرجع به من معصية أو كفر إلى طاعة

فهذا التائب ما ينعزل لأن التوبة قد لا تكون من ذنب بل يرجع إلى الله في

كل حال في كل طاعة فإن وجد في المحل الاسم الخاذل وهو حكمه في العبد في حال وقوع المخالفة منه فحينئذ يكون تقابل الأسماء المتقابلة أعظم وأشدّ فإن هذا الفعل يستدعيهما وكان الخاذل بينه وبين هذه الأسماء مواظبه من حيث لا يشعر بما فعله كل واحد منهما فيقول الراحم أن الخاذل دعاني فهو يساعدني على المنتقم ويقول المنتقم إنه دعاني فساعدني على الراحم فإذا أقبلا لا يريا منه مساعدة لأحدهما فإن كان الخذلان كفراً جاء الاسم العدل الحكم ليحكم بين الاسمين المتقابلين الراحم وإخوانه والمنتقم وإخوانه فيقول إن الله أمرني أن أحكم بينكما وهو قوله "فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا" فيقول للطائفتين من الأسماء ارقبوا هذا العبد إلى آخر نفس فإن فارق هذا الجسم وهو على كفره فليتسلمه المنتقم وتتأخر أنت عنه أيها الراحم وجماعتك فيقول الراحم سبقت الرحمة الغضب فأنا السابق فلا أتأخر فيقول له العدل إنما يعتبر السبق في انتهاء المدى والمدى بعدما انتهى فاترك المنتقم إلى أن يستوفي منه مقدار زمان المخالفة والخذلان فذلك انتهاء المدى فإذا انتهى فلك تجديد المطالبة فيحكم الله عند ذلك بما يشاء فإن بعثني حاكماً حكمت بما يعطيه علمي وإن ولى المفضل أو المنتقم حكم أيضاً بحسب ما أذن له فيه فينفصلون على هذا الحدّ من الطائفتين وسمع دعواهما وإن كل واحد منهما يدعى الحق له فيطلبهم بالبينة فيقول المنتقم أي بينة أوضح من وقوع الفعل أما تراه سكران إن كان يشرب الخمر أو سارقاً أو قاتلاً أو ما كان من أمور التعدّي فيقول الحكم هذه الأفعال وإن وقعت فهي موضع شبهة والحاكم لا يحكم إلا ببينة فإن وقوع الشرب للخمر لا يؤذن بأنه ارتكب محرماً ربما غص بلقمة ربما هو مريض فما استعمل إلا ما يحل له استعماله ربما قتل هذا قاتل أبيه أو أحداً ممن هذا القاتل وليه واعتدى عليه بمثل ما اعتدى لا أعلم ذلك إلا بدليل فصورته صورة مخذول ولكن بهذه الشبهة فيقول خصمي يسلم لي إن هذا متعدّ جدّاً لله في شربه الخمر أو قتله أو ما كان من أفعال المعاصي في ذلك الحال فيقول الراحم نعم صدق إلا أنّ لي في المحل سلطاناً قوياً يشدّ مني وهو معي على المنتقم قال له الحاكم ومن هو قال الاسم المؤمن قد نزل عنده في دار الإيمان وهو قلبه فله الأمان قال فادعه فجاء فقال أنت في هذا المحل عابر سبيل أو هو محلك وملكك فيقول هو محلي وملكي وما عارضني في ملكي صاحب هذا الفعل الذي هو العاصي فجزاه الله خيراً عني يستعملني في كل حال بما تعطيه حقيقتي وأ،ا محتاج إليه فيقول للمنتقم تأخر عنه حتى تشاور الاسم المريد الذي هو الحاجب الأقرب إلى الله فإن له المشيئة في هذا العبد وفي هذا الحكم فلا يزال الأمر متوقفاً إلى انتهاء المدى وهو الأجل المسمى الذي هو الموت فإن مات على المخالفة تسلمه المريد وإن تاب عند الموت تأخر المنتقم عنه بالكلية وتسلمه الراحم وأصحابه فانتهاء المدى في العاصي إنما هو إلى زمن الموت وفي الكافر كما قرّرناه فاعلم ذلك انتهى الجزء الثامن والخمسون.

الجزء التاسع والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل صيام يوم الشك

خرّج الترمذيّ عن عمار بن ياسر قال من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم قال هذا حديث حسن صحيح جمهور العلماء على النهي عن صيام يوم الشك على أنه من رمضان واختلفوا في تحرّي صيامه تطوّعاً فمنهم من كرهه ومنهم من أجازه وأمّا حديث عمار عندي فما هو نص ولا مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو يحتمل أن يكون عن نظر من عمار ويحتمل أن يكون عن خبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم إن صامه على أنه من رمضان ثم جاء الثبت أنه من رمضان أجزأه الاعتبار لما كان الشك يتردّد بين أمرين من غير ترجيح أشبه حال العبد إذا كان الحق سمعه وبصره فإن نظر الناظر إلى كون الحق سمعه قال إنه حق وإن نظر إلى إضافة السمع إلى العبد بالهاء من قوله سمعه قال إنه عبد وما ثم حالة ترجح أحد الناظرين على الآخر فيسقططان وإذا سقطا بقيا بحكم الأصل والأصل هو وجود عبد ورب هذا هو الأصل النظري والشرعي من وجه وأمّا أصل الأصل المراعى قبل هذا الأصل بل الذي هذا الأصل فرع عنه فهو وجود رب في عين عبد فهذا هو أصل الأصول الكشفي الشرعي من وجه فاعمل بحسب ما يتقوى عندك في ذلك وما هو مشربك فقف عنده حتى يتبين لك وجه الحق في المسئلة فتكون عند ذلك من أهل الكشف والوجود.

وصل في فصل حكم الإفطار في التطوّع

حكى بعضهم الإجماع على أنه ليس على من دخل في صيام تطوّع فأفطر لعذر قضاء واختلفوا إذا قطعه لغير عذر عامداً فمن قائل عليه القضاء ومن قائل ليس عليه القضاء الاعتبار إذا دخل في فعل بعبودية الاختيار فقد ألزم نفسه العبودية إذا رجع إلى أصله في ذلك الإلزام فحكمه حكم عبودية الاضطرار فيلزمه في التطوّع ما يلزمه في الواجب ومن راعى كون الحق جعل هذا العبد مختاراً فقال لا يرفع حكم الحق عني في هذا الفعل فإنه يؤدّي إلى منازعة الحق حيث يجعل الاختيار في موضع الاضطرار فيعامله معاملة الاختيار فإن شاء قضى اختياراً أيضاً وإن شاء لم يقض وفي هذه المسئلة طول في الاعتبار يكفي هذا القدر منه في هذا الكتاب فإن التكليف يثبت عين العبد مضطرّاً كان أو مختاراً.

وصل في فصل المتطوّع يفطر ناسياً

اختلف العلماء فيه فطائفة قالت عليه القضاء وقالت طائفة أخرى لا قضاء عليه وبترك القضاء أقول للخبر الوارد فيه الاعتبار الناسي هو التارك لما اختار بعد ما اختار فإن كان عن هوى نفس فالقضاء عليه وإن كان عن شغل بمقام أو حال أو اسم إلهيّ فلا قضاء عليه والقضاء هنا الحكم عليه بحسب ما تطوّع به.

وصل في فصل صوم يوم عاشوراء

اختلفوا أيّ يوم هو من المحرّم فقيل العاشر وهو الصحيح وبه أقول وقيل التاسع الاعتابر هنا حكم الاسم الأول والآخر فمن أقيم في مقام أحدية ذاته صام العاشر فإنه أول آحاد العقد ومن أقيم في مقام الاسم الآخر الإلهيّ صام اليوم التاسع فإنه آخر بسائط العدد ولما كان الصوم أعني صوم عاشوراء مرغباً فيه وكان فرضه قبل فرض رمضان على الاختلاف في فرضيته صح له مقام الوجوب وكان حكمه حكم الواجب فمن صامه حصل له قرب الواجب وقرب المندوب إليه فكان لصاحبه مشهدان وتجليان يعرفهما من ذاقهما من حيث أنه صام يوم عاشوراء.

وصل في فضل صوم يوم عاشوراء

ذكر مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في صيام يوم عاشوراء "احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله" فقامت حركة يومه في القوّة مقام قوى أيام السنة كلها إذا عومل كل يوم بما يليق به من عبادة الصوم فحمل بقوّته عن الذي صامه جميع ما أجرم في السنة التي قبله فلا يؤاخذ بشيء مما اجترح فيها في رمضان وغيره من الأيام الفاضلة والليالي مع كون رمضان أفضل منه وكذا يوم عرفة وليلة القدر ويوم الجمعة فمثله مثل الأمام إذا صلى بمن هو أفضل منه كابن عوف حين صلى الله عليه وسلم المقطوع بفضله فإنه يحمل سهو المأموم مع كونه أفضل فلا يستبعد أن يحمل صوم يوم عاشوراء جرائم المجرم في أيام السنة كلها ولو شاهدت الأمر أو كنت من أهل الكشف عرفت صحة ما قلناه وما أراده الشارع والعارف إذا قال احتسب على الله فما يقولها عن حسن ظنّ بالله وإنما هي لفظة أدب يستعملها مع الله مع أنه على علم من الله أنه يكفرها الله يقول الله عسى الله أن يتوب عليهم وهو سبحانه يعلم ما يجريه في عباده ومع هذا جاء بلفظ الترجي والمخلوق أولى بهذه الصفة فإنها له حقيقة لو لم يعلمه الله فإذا أعلمه الله بقي على الأصل أدباً مع الله تعالى ألا تراه صلى الله عليه وسلم مع قطعه بأنه يموت فإن الله يقول له "إنك ميت وإنهم ميتون فكيف استثنى لما أتى البقيع ووقف على القبور وسلم عليهم قال "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون" فاستثنى في أمر مقطوع به وسواء ان الاستثناء في الموت أو في الإيمان فإن كليهما مقطوع له بهما وذلك أدب إلهيّ فإن الله قال له "ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله" فلما أتى في قوله لاحقون باسم الفاعل استثنى امتثالاً لأمر الله تعالى.

وصل في فصل من صامه من غير تبييت

ذكر البخاري عن سلمة بن الأكوع قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أسلم أن ينادي في الناس من كان أكل فليتم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم عاشوراء فجعل حكمه حكم من لم يبيت صوم من شك في أول يوم من رمضان فأكل ثم ثبت أنه من رمضان فأمر بالإمساك والقضاء وهذا حديث صحيح وقال فليتم بقية يومه و لم يسمه صائماً فيقوّي هذا الحديث حديث القضاء الذي ذكره أبو داود عن عبد الرحمن بن سلمة عن عمه إن أسلم أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال "صمتم يومكم هذا" قالوا لا قال "فأتموا بقية يومكم واقضوه يعني يوم عاشوراء وإن كان هذا الحديث لم يلحقوه بالصحيح فراعى حرمة

اليوم لما لله فيه من السرّ الذي يرفع فضله على عباده وظهر هنا فضل الإمساك عن الطعام والشراب وإن لم يكن صائماً وهو الجوع الذي تشير إليه الصوفية في كلامها وفيه أقول.

أجوع ولا أصوم فإن نفسي	تنازعني على أجر الصيام
فلو فنيت أجيرتها لقلنا	بإجاب الصيام وبالقيام
فإن العبد عبد الله ما لم	يكن في نفسه هدف لرامي

ولما أمر بقضائه أكد تشبيهه برمضان لا بالنذر المعين إذا فات يومه فإنه لا يقضي وإن أمسك صاحبه بقية يومه إذا لم يبيت ولما أمرنا بصيامه وحرّض في ذلك وكان قد أمرنا بمخالفة أهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك فيما شرعوه لأنفسهم مما لم يأذن به الله وبدّلوا وغيروا و لم يتميز عندنا ما شرعوه لأنفسهم مما شرع لهم نبيهم فلذلك أمرنا بمخالفتهم إلا فيما قرّره النبيّ صلى الله عليه وسلم لنا مما كان شرعاً لهم فعلمناه على القطع مثل رجم الثيب وإقامة الصلاة لمن تذكر بعد نسيانه فلما تعين علمنا به فإن الله تعالى يقول في الأنبياء "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده" وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً الآية وقال عليه الصلاة والسلام "نحن أولى بموسى منكم" فكنى بنحن عن نفسه وأمّته فكنا أولى بموسى من اليهود لأنهم لم يؤمنوا بكل ما أتى به موسى ولو آمنوا بكل ما أتى به موسى لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه ونحن أمرنا بالإيمان به وبما أنزل عليه ثم أخبر الحق عنا بذلك وخبره صدق فاستحال في أمّة محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمن المؤمن منهم ببعض ويكفر ببعض فهذه عناية إلهية حيث أخبر بعصمتنا من ذلك فهي بشرى لنا قال تعالى "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله ومما جاء به موسى صوم يوم عاشوراء فآمنا به وصمناه عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضاً بخلاف عندنا كما صامه موسى فرضاً ثم إن الله فرض علينا رمضان وخيرنا في صوم عاشوراء فنصومه من طريق الأولوية فنجمع بين أجر الفريضة فيه والنفل درجة زائدة على المؤمنين من قوم موسى عليه السلام ولما أمرنا صلى الله عليه وسلم بمخالفة اليهود أمرنا بأن نصوم يوماً قبل عاشوراء وهو التاسع ويوماً بعده وهو الحادي عشر فقال لنا صلى الله عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوماً وبعده يوماً و لم يقل خالفوا موسى فإن الله قد عصمنا من مخالفة الأنبياء بل أسقط الله عنا بعض شرائعهم كما أسقط عنا بعض ما شرعه لنا ونحن مؤمنون بكل ناسخ ومنسوخ في كل شرع ولا يلزم من الإيمان وجود العمل إلا أن يكون العمل مأموراً به فبهذا القدر نخالف اليهود ولهذا توهم علماؤنا أن عاشوراء هو التاسع من المحرّم لا غير وقد روينا في ذلك ما يؤيد ما قلناه من أنه اليوم العاشر وهو أنا روينا من حديث أبي أحمد بن عديّ الجرجانيّ الذي رواه من حديث ابن حييّ عن داود بن عليّ عن أبيه عن جدّه أن النبيّ عليه السلام قال "لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ يوماً قبله ويوماً بعده" والحديث الثاني وهو ما رواه مسلم من حديث الحكم بن الأعرج قال انتهيت إلى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له أخبرني عن صوم يوم عاشوراء فقالإذا رأيت يا هذا هلال المحرّم فاعدد ثماناً وأصبح اليوم التاسع صائماً قلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم يعني لو عاش إلى العام القابل يؤيد ما قلناه ما رواه أيضاً مسلم عن ابن عباس قال حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان في العام المقبل إن شاء

الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما صام التاسع على أنه عاشوراء لو صامه وصام يوم عاشوراء بتحقيق يوم العاشر من المحرّم فلا ينبغي أن يقال التاسع هو عاشوراء مع وجود هذه الأخبار وقد ذكرنا حكمة يوم التاسع والعاشر في الاسم الأول والاسم الآخر في هذا الفصل وكذلك أيضاً أقول في صيام اليوم الذي بعد عاشوراء حتى يعلم التناسب فيما أشرنا إليه من ذلك فنقول أيضاً إنه ملحق بالاسم الأول كعاشوراء في العاشر فإن العاشر أول العقد والحادي عشر أول تركيب الأعداد تركيب البسائط مع العقد فانظر حكمة الشارع في أمره بصوم يوم قبله ويوم بعده متصلاً به حتى لا تقول اليهود إن صومه مقصود لنا فإنه يكره في الفرائض مثل هذا إلا أن يكون الإنسان على عمل يعمله فلا يبالي إلا إن وقع التحجير وقد نهينا أن نقدم رمضان بيوم أو يومين قصداً إلا أن يكون في صيام نصومه ثم من الحكمة إن حرّم علينا صيام يوم الفطر حتى لا نصل صيام رمضان بصوم آخر تمييز الحق

الفرض من النفل خلاف اعتبار يوم الجمعة وسيأتي الكلام في صومه إن شاء الله تعالى في هذا الباب.

وصل في فصل صوم يوم عرفة

ورد في الحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر النسة التي قبله والسنة التي بعده خرّجه مسلم من حديث أبي قتادة فمن صام هذا اليوم فإنه أخذ بحظ وافر مما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمره كله في الحكم حكم الصائم يوم عرفة وخصه باسم عرفة لشرف لفظة المعرفة التي هي العلم لأن المعرفة في اللسان الذي بعث به نبينا صلى الله عليه وسلم تتعدّى إلى مفعول واحد فلها الأحدية فهي اسم شريف سمى الله به العلم فكأنّ المعرفة علم بالأحدية والعلم قد يكون تعلقه بالأجدية وغيرها بخلاف لفظ المعرفة فقد تميز اللفظان بما وضعا له وقد ينوب العلم مناب المعرفة في اللسان بالعمل كذا ذكره النحاة واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى لا تعلمونهم الله يعلمهم تأويله لا تعرفونهم فعدوا العلم إلى مفعول واحد للنيابة والمعرفة ما لها حكم إلا في الأحدية وذهلوا عما نعلمه نحن فإن العلم أيضاً إنما طلب الأحدية ولهذا صح للمعرفة أن تكون من أسمائه لأن العمل هو الأصل فإنه صفة الحق ليست المعرفة صفته ولا له منها اسم عندنا في الشرع وإن جمعها والعلم حدّ واحد لكن المعرفة من أسماء العلم كما قلنا والعارف من أسماء العالم فينا بالأحدية وأما قولنا إن العلم إنما هو موضوع للأحدية مثل المعرفة ولهذا سمينا العلم معرفة لأنا إذا قلنا علمت زيداً قائماً فلم يكن مطلوبنا زيداً لنفسه ولا مطلوبنا القيام لعينه وإنما مطلوبنا نسبة قيام زيد وهو مطلوب واحد فإنها نسبة واحدة معينة وعلمنا زيداً وحده بالمعرفة والقيام وحده بالمعرفة فنقول عرفت زيداً وعرفت القيام وهذا القدر غاب عن النحاة وتخيلوا أن تعلق العلم بنسبة القيام إلى زيد هو عين تعلقه بزيد والقيام وهذا غلط فإنه لو لم يكن زيد معلوماً له والقيام أيضاً معلوماً له قبل ذلك لما صح أن ينسب ما لا يعلمه إلى ما لا يعلمه لأنه لا يدري هل تصح تلك النسبة أم لا وهذا النوع من العلم يسمى عند أصحاب ميزان المعاني التصوّر وهو معرفة المفردات والتصديق وهو معرفة المركبات وهو نسبة مفرد إلى مفرد بطريق الإخبار بالواحد عن الآخر وهو عند النحويين المبتدأ والخبر وعند غيرهم الموضوع والمحمول ثم نرجع إلى بابنا فنقول فعلمنا شرف يوم عرفة من حيث اسمه لما وضع له من تعلقه بالأحدية إنما الله إله واحد والأحدية أشرف صفة الواحد من جميع الصفات وهي سارية في كل موجود ولولا أنها سارية في

كل موجود ما صح أن نعرف أحدية الحق سبحانه فما عرفه أحد إلا من نفسه ولا كان على أحديته دليل سوى أحديته من عرف نفسه عرف ربه هكذا قال صلى الله عليه وسلم وقال أبو العتاهية:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والآية أحدية كل شيء وهي التي يمتاز بها عن غيره من أمثاله فالأحدية تسري في كل شيء من قديم وحادث ومعدوم وموجود ولا يشعر بسريانها كل أحد لشدّة وضوحها وبيانها كالحياة عند أرباب الكشف والإيمان فإنها سارية في كل شيء سواء ظهرت حياته كالحيوان أو بطنت حياته كالنبات والجماد فالله حيّ بغير منازع وما من شيء مما سوى الله إلا وهو يسبح الله بحمده ولا يسبحه إلا من يعلمه ومن شرط العالم أن يكون حياً فلا بدّ أن يكون كل شيء حياً ولما كانت الأحدية للمعرفة والأحدية لله تعالى في ذاته رجحنا صوم يوم عرفة على فطره في غير عرفة فإن كنا في عرفة علمنا أن الصوم لله لا لنا فرجحنا فطره على صومه لشهود عرفة فافهم فالصوم لله حقيقة والأحدية له حقيقة فوقعت المناسبة بين الصوم ويوم عرفة فإن كل واحد لا مثل له فإن صومه يفعل فيما بعده وليس ذلك لغيره في حق كل أحد ويفعل فيما قبله لأنه زماني فيتقيد بالقبلية وبالبعدية والمقصود أن فعله عام كصفة الحق في إيجاد الممكنات عامّة لا تختص بممكن دون ممكن وإن كان الأمر لله من قبل ومن بعد فجاء مبنياً غير مضاف لعدم تقييده عز وجل بالقبل والبعد فهذا الذي ليوم عرفة ليس لغيره من الأزمان فقد تميز على جنسه وإن كان ثم أعمال هي أقوى منه في العمل ولكن ليست زمانية أي ما هي لعين الزمان غاية عاشوراء إن يكفر السنة التي قبله فتعلقه بالواقع وعرفة تعلقه بالواقع وغير الواقع فعاشوراء رافع وعرفة رافع ودافع فجمع بين الرفع والدفع فناسب الحق فإن الحق يتعلق بالموجود حفظاً وبالمعدوم إيجاداً فكثرت المناسبة بين يوم عرفة وبين الأسماء الإلهية فترجح صومه في غير عرفة وإن كان له هذا الحكم في عرفة إلا أن فطره أعلى في عرفة من صومه لما قلنا وفي الحكم الظاهر للاتباع والاقتداء قال في الاتباع "فاتبعوني يحببكم الله" وقال في الاقتداء "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وأفطر في هذا اليوم في عرفة وإنما اختلف علماء الرسوم في صومه في عرفة لا في غيرها لمظنة المشقة فيها والضعف عن الدعاء غالباً والدعاء في هذا اليوم هو المطلوب من الحاج فإن أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة كالمسافر في رمضان في فطره فمن العلماء من اختار الفطر فيه للحاج وصيامه لغير الحاج للجمع بين الأثرين وقد قدّمنا في أوّل الفصل الخبر المروي الصحيح في صيامه فنذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصمه بعرفة رحمة بالناس الذين تدركهم المشقة في صيامه كذا توهم علماء الرسوم والأمر على ما قلناه فإنه كان قادراً على صومه في نفسه وينهي أمّته عن صيامه بعرفة ومثل هذا وقع في الشرع كنكاح الهبة فهو له خاصة وهو حرام على الأمة بلا خلاف وكالوصال وإن جاز فعلى كراهة خرّج مسلم عن أم الفضل إن الناس تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم هو صائم وقال بعضهم ليس بصائم فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه قال تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" فالحرمة هنا عندنا أن أعلمهم أن الفطر في يوم عرفة في عرفة هي السنة وعند علماء الرسوم طلب الرفق والحجة لنا في قوله خذوا عني مناسككم فمنها عدم الصوم في ذلك الموضع في ذلك اليوم والأمر لا يتوقف في الأخذية إذا ورد معرّى عما يخرجه عن الأخذية وأمّا حديث النهي عن صيام يوم عرفة في عرفة ففي إسناده مهدي بن حرب الهجري وليس بمعروف خرّجه النسائي من حديثه عن أبي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عرفة بعرفة وأما حديث

الترمذي عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب" قال أبو عيسى حديث عقبة حديث حسن صحيح فكأنه يشير بهذا القول إلى ما قلناه ويشير إلى مقام المعرفة والعارف فإن مقام المعرفة لا يعطي الصوم إذ يعرف العارف الصوم لمن هو فكان يوم عيده يوم حصوله في هذا المقام وأيام العيد أيام سرور فأراد أن يسري السرور ظاهراً وباطناً في النفس الناطقة بترك الصوم وفي الحيوانية بالأكل والشرب فجمع بين السرورين و لم يتعرض لتحريم الصوم في هذا الحديث ولكن قرنه بالصوم المحرم وهو يوم النحر وبالصوم المكروه وهو صوم أيام التشريق وأنه صلى الله عليه وسلم رجح الأكل والشرب فيه في الظاهر و لم يتعرّض للنهي عن ذلك وحرّمنا

صيام يوم عيد الأضحى بخبر غير هذا سأورده إن شاء الله ثم قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر أهل الإسلام و لم يقل أهل الإيمان دل على مراعاة الظاهر هنا ولهذا قلنا أنه راعى النفس الحيوانية التي سرورها بالأكل والشرب في يوم عيدها فاعلم ذلك.

وصل في فصل صيام الستة من شوّال

قد تقدّم ذكر الخلاف في وقتها وفي هذا الخبر عندي نظر لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبت الهاء في العدد أعني في الستة فقال وأتبعه ستاً من شوّال وهو عربي واليام مذكرة والصوم لا يكون إلا في اليوم وهو النهار فلا بدّ من إثبات الهاء فيه فهذا سبب كون الحديث منكر المتن مع صحة طريق الخبر فيترجح عندي أنه اعتبر في ذلك الوصال فوصل صوم النهار بصوم الليل والليلة مقدّمة على النهار لأن النهار مسلوخ منها أو تكون لغة شاذة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس كان فيه من هذه لغته ومع هذا فمن استطاع الوصال في هذه الأيام الستة فهو أولى عملاً بظاهر لفظ الخبر والوصال لم يقع النهي عنه نهي تحريم وإنما راعى الشفقة والرحمة في ذلك بظاهر الناس لئلا يتكلفوا الحرج والمشقة في ذلك ولو كان حراماً ما واصل بهم صلى الله عليه وسلم وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق وقال من يشادّ هذا الدين يغلبه وخرّج مسلم عن أنس بن مالك واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مدّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم فمن لم يقدر أن يواصلها كلها فليواصل حتى السحر في كل يوم فتدخل الليلة في الصوم كل ليلة ويكون حدّ السحر لفطرها فحدّ الغروب للنهار في حق من لا يواصل في الصحيح إنه عليه السلام قال "أيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر" خرجه البخاري عن أبي سعيد ومما يؤيد قولنا أنه أراد الرحمة بالناس في ذلك ما خرّجه مسلم أيضاً عن عائشة قالت نهاهم النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم قالوا إنك تواصل قال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فكوشف صلى الله عليه وسلم بحال تلك الجماعة التي خاطبهم إنهم ليست لهم هذه الحال وإنه ما أراد بذلك أنه مختص به دون أمته فإنا قد وجدناه ذوقاً من نفوسنا في وصالنا فيتنافى حال الوصال فأطعمنا ربنا وسقانا في مبيتنا ليلة وصالنا فأصبحنا أقوياء لا نشتهي طعاماً ورائحة الطعام الذي أكلناه الذي أطعمناه ربنا يشم منا ويتعجبون الناس من حسن رائحته فسألونا من أين لك هذه الرائحة في هذا الذي طعمت فما رأينا مثلها فمنهم من أخبرته بالحال ومنهم من سكت عنه فلو كان هذا خصوصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ما نلناه فصح لنا الوصال والفطر فجمع لنا بين الأجرين والفرحتين وحكمة الوصال أن الحق قال الصوم له وأمرنا بما هو له وجعله عبادة لا مثل لها فإذا فرّق بالفطر بين اليومين فما واصل فإذا لم يفطر تحقق الوصال فيشير بذلك إلى إيصال صوم العبد

بالصوم المضاف إلى الحق ليبين له أن للعبد ضرباً من التتريه بالصوم كما أن للحق من الصوم التتريه فهو إشعار حسن للعارفين وكذا هو في نفس الأمر فإن العبد له تتريه يخصه ولا سيما إذا كان عمله تتريه الحق فإن عمله يعود عليه وهو التتريه فإن تتريه الحق ما هو بتتريه المتره بل هو تعالى متره الذات لنفسه ما نحن نزهناه فلذلك يعود تتريهنا علينا حين حرمه غيرنا فمن قدر على الوصال في هذه الستة الأيام فهو أحق وأولى فإن وجد أحد نقلاً عن العرب في اللسان حذف الهاء في عدد المذكر حمل الحديث على تلك اللغة ولقد روينا أن الله حين أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم "ومكروا مكراً كباراً" لم يعرف هذا اللحن الحاضرون ولا عرفوا معناه فبينما هم كذلك إذ أتى أعرابي قد أقبل غريباً فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وقال يا محمد إني رجل من كبار قومي بضم الكاف وتشديد الباء فعلم الحاضرون أن هذه اللفظة نزلت بلحن ذلك العربي وأصحابه فعلموا معناها فيما بعد أن يكون حذف الهاء جائزاً في عدد المذكر في لغة بعض الأعراب ولو كان ذلك لم يقدح فيما ذهبنا إليه من الحقائق المشهودة لنا فيكون الشارع العالم يقصد الأمرين معاً في هذه اللفظة في حق من هي لغته وفي حق من ليست له بلغة وجعلها ستاً ولم يجعلها أكثر ولا أقل وبين أن ذلك صوم الدهر لقول الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها على هذا أكثر العلماء بالله وهذا فيه حدّ مخصوص وهو أن يكون عدد رمضان ثلاثين يوماً فإن نقص نزل عن هذه الدرجة وعندنا أنه يجبر بهذه الستة من صيام الدهر ما نقصه بالفطر في الأيام المحرّم سومها وهي ستة أيام يوم الفطر ويوم

النحر وثلاثة أيام التشريق ويوم السادس عشر من شعبان يجبر بهذه الستة الأيام ما نقص بأيام تحريم الصوم فيها والاعتبار الآخر وهو المعتمد عليه فيصوم هذه الأيام من كونها ستة لا غير إن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وكنا نحن المقصود بذلك الخلق فأظهر في هذه الستة الأيام في مقابلة تلك لأن نكون فيها متصفين بما هو له وهو الصوم كما اتصف هو بما هو لنا وهو الخلق ولهذا كان أحمد السبتي ابن أمير المؤمنين هارون الرشيد يصوم ستة أيام من كل جمعة ويشتغل بالعبادة فيها فإذا كان يوم السبت احترف فيما يأكله بقية الأسبوع وبهذا سمي السبتي فلقيته بالطواف يوم جمعة بعد الصلاة وأنا أطوف فلم أعرفه غير أني أنكرته وأنكرت حالته في الطواف فإني ما رأيته يزاحم ولا يزاحم ويخترق الرجلين ولا يفصل بينهما فقلت هذا روح تجسد بلا شك فمسكته وسلمت عليه فردّ عليّ السلام وماشيته ووقع بيني وبينه كلام ومفاوضة فكان منها أني قلت لم خصصت يوم السبت بعمل الحرفة فقال لأن الله سبحانه ابتدأ خلقنا يوم الأحد وانتهى الفراغ منه في يوم الجمعة فجعلت تلك الأيام لي عبادة لله تعالى لا أشتغل فيها بما فيه حظ لنفسي فإذا كان يوم السبت انفردت لحظ نفسي فاحترفت في طلب ما أتقوّت به في تلك الأيام هكذا كل جمعة فإنه سبحانه نظر إلى ما خلق في يوم السبت فاستلقى ووضع إحدى يديه على الأخرى وقال أنا الملك لظهور الملك ولهذا سمي يوم السبت والسبت الراحة ولهذا أخبر تعالى أنه ما مسه من لغوب فيما خلقه واللغوب الإعياء فهي راحة لا عن إعياء كما هي في حقنا فتعجبت من فطنته وقصده فسألته من كان قطب الزمان في وقتك فقال أنا ثم ودعني وانصرف فلما جئت المكان الذي أقعد فيه للناس فقال لي رجل من أصحابي من المجاورين يقال له نبيل بن خزر بن خزرون السبتي من أهل سبتة إني رأيت رجلاً غريباً لا نعرفه بمكة يكلمك ويحادثك في الطواف من كان ومن أين جاء فذكرت له قصته فتعجب الحاضرون من ذلك فهذا اعتبار الستة الأيام من الوجه الصحيح وإنما حذف الهاء الشارع إن صحت الرواية لاعتبار الليالي لأنها دلائل الغيب بخلاف النهار والغيب مما انفرد به الحق فلا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول وكذلك علم الحكمة في الأشياء لا يكون علماً إلا لأهل الله وأما أهل الفكر والقياس فإنهم يصادفون الحكمة بحكم الاتفاق فلا يكون علماً عندهم وعند أهل العلم بالله يعلمون إن ذلك هو المراد بذلك الأمر

فيكون علماً لهم بذلك الاعتبار فيقصدونه لا بحكم الاتفاق فإن بعض الناس إذا رأى أهل الله في مثل هذا يقولون باحتماله لا يقطعون به حملاً على نفوسهم ورتبتهم في العلم وهو قول الله تعالى في حق من هذه حالته ذلك مبلغهم من العلم فاعلم بذلك والله الموفق للصواب.

وصل في فصل غرر الشهر وهي الثلاثة الأيام في أوّله

خرّج مسلم عن معاذة أنها سألت عائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام قالت نعم فقلت لها من أيّ أيام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من أيّ أيام الشهر يصوم اعلم أن كل شهر يرد على الإنسان إنما هو ضيف ورد عليه من جانب الحق فوجب على الإنسان القيام بحقه المسمى ضيافة وهو الضيف وحق الضيف ثلاثة أيام فلهذا شرع الشارع في الشرع المندوب إليه ثلاثة أيام من كل شهر ورغبنا في أوله فقلنا نصوم ذلك في الثلاث الفرر منه لأن الشرع ورد بتعجيل الطعام للضيف فقال الععجلة من الشيطان إلا في ثلاث ففذكر منها إطعام الضيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من غرّة كل شهر خرّجه النسائي عن ابن مسعود والصيام صفة للحق واختصه من جميع الأعمال لنفسه وهو عمل مختص بهذه النشأة لا يكون ذلك للملك فلا يشهده سبحانه ملك مقرّب في مشهد صوميّ ولا يتجلى له سبحانه في مشهد صومي أبداً فإنه من خصائص هذه النشأة وكانت هذه الضيافة ثلاثة أيام لكل شهر لأنه وارد من الحق وراجع إليه سبحانه حامداً له في تلقيه إياه أو ذا ماله بحسب ما يتلقاه العبد به فأحسن ما يتلقاه به ما هو صفة إلهية وهو الصوم ولله تعالى ثلاثمائة خلق كذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم والثلاثة من الثلاثمائة عشر العشر فإنّ عشر الثلاثمائة ثلاثون وهو الشهر وعشر الثلاثين ثلاثة فهي عشر العشر فهو قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فيقبل الحق تلك الثلاثة ثلاثين فيجازيه بالثلاثين ثلاثمائة خلق فإنه قال عشر أمثالها فكأنه صام الشهر كله فلذلك جوزي بالثلاثمائة إذ كانت الثلاثون قبلت عملاً لأجزاء فإنها مثل الحسنة والحسنة عمل والمثلان هما اللذان يشتركان في صفات النفس فانظر في حكمة الشارع ما ألطفها وأحسنها في ترغيبته إيانا في صوم ثلاثة أيام من كل شهر وما نبه عموم الخلق على عين الجزاء فإن حصول الجزاء إذا جاء فجأة من غير أن يعرف سببه ولا ينتظر كان ألذ في نفس العامّة والصيام خلق إلهيّ فكان جزاؤه من جنسه وهي الثلاثمائة خلق إلهيّ يتصف بها الصائم هذه الثلاثة الأيام كما اتصف بالصيام وهو وصف إلهيّ والعاميّ الذي لم يصم على هذا الحدّ يكون جزاؤه من كونه لم يأكل و لم يشرب فيقال له كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب قال تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الأيام الخالية يعني أيام الصوم في زمان التكليف وأهل الله الذين يصومون هذه الثلاثة الأيام وأيّ صوم كان على استحضار ما ذكرناه من أنه يتلبس بوصف إلهيّ يكون جزاؤه من هذه صفته قوله من وجد في رحله فهو جزاؤه ولما لم تكن هذه الصفة عملاً للملك لم يحضر مع الصائم في حضرة لهذا التجلي فلا يعرف هذا المجلى ذوقاً ذاتياً والإنسان يشهده تعالى إذا كان من أهل العلم بالله الكامل في جميع ما يشهده فيه الملك كان الملك في أيّ مقام كان ومع هذا فلا يدل على أن الإنسان أعظم عند الله من الملك فالإنسان أكمل نشأة والملك أكمل منزلة كذا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد واقعة أبصرته صلى الله عليه وسلم فيه فسألته لكن الإنسان أجمع بالذوق من الملك لأجل جمعيته وبعض الناس يغلط في هذا المقام من أجل تشكل الروحاني في أي صورة شاء وما علم أن التكحل في العينين ليس كالكحل فالإنسان الكامل لا الإنسان الحيواني أكمل نشأة

للحقائق التي أنشىء عليها حقائق الأسماء الإلهية وحقائق العالم وهو الذي أنشأه الله على الصورة فهو بجمعيته حق كله فالحق مجلاه إذ كان له الكمال فيراه بكل عين ويشهده في كل صورة ولا يدل هذا على أنه أفضل عند الله فإن هذا كان لجمعيته فلا يقال في الشيء أنه أفضل من نفسه وإنما تقع الفضيلة بين الغيرين ولا غير فإن الملك جزء من الإنسان والجزء من الكل وللكل من الجزء ما ليس للجزء من الكل والمثلان لا يتفاضلان فيما هما مثلان فيه فإن تفاضلا فما هما مثلان ولنا في ذلك من قصيدة في واقعة عجيبة وقد نوديت ممسوك الدار:

مسكتك في داري لإظهار صورتي فسبحانكم مجلى وسبحان سبحانا
فما أبصرت عيناك مثلي كاملاً ولا أبصرت عيني كمثلك إنسانا
فلم يبق في الإمكان أكمل منكمو نصبت على هذا من الشرع برهانا

فأيّ كمال كان لم يك غيركم على كل وجه كان ذلك ما كانا
طهرت إلى خلقي بصورة آدم وقرّرت هذا في الشرائع إيمانا
وسميته لما تجلى بصورتي إلى ناظري حقاً وإن كان إنسانا
فقل فيه ما تهواه إن شئت إنه ليقبله عيناً وإن كان أكوانا
فلو كان في الإمكان أكمل منكمو لكان وجود النقص فيّ إذا كانا
لأنك مخصوص بصورة حضرتي وأكمل منها ما يكون فقد بانا
فماثل وجودي فالتقابل حاصل فزن ذاتكم إني وضعتك ميزانا
تجد علم ما قد قلت فيك مسطراً ولا أحداً أوجدته منك ريانا
ظهرت لنا مجلى فعاينت صورتي وعاينت فيك الكون رمزاً وتبيانا
وساررتكم لما رأيت سراركم وأعلنت قولي إذ تجليت إحسانا
وما أنت ذاتي ولا ولا أنا ذاتكم فإن كنت لي عيناً فلا تبده الآنا
فأخسرنا من كان يعلن سرّه وأربحنا من كان يخفيه كتمانا
فمن كان ذا كتم لسرّي وغيرة سيلقى غدار وحالديّ وريحانا
إذا كنت لي عيناً أكون لكم يدا وأظهركم بالحال سرّاً وإعلانا
وصيرت قلبي للتجلي منصة ومهدته حباً لخيلك ميدانا
وأملاته من كل شهم غشمشم لدعواك فرسانا تجول وركبانا
وجئتك بالأسما يقدّم جمعها من أسمائه الحسنى خبيراً ومحسانا

وأنزلتها تبغي الفنا بفنائكم وأرسلتها عيناً معيناً وطوفانا
وهبتك يا عبدي من أسماء ذاتكم ملابس أعياد ضروباً وألوانا
فإن كنت لي بي كنت أنت ولا تقل أنا أنت بل كن في الخليفة رحمانا

فتحقق أيدك الله ما أشرنا إليه في صيام ما ذكرناه من الثلاثة الأيام من كل شهر فهي في حقنا على حدّ ما ذكرناه وتقبل هذه الثلاثة الأيام في حق العامّة زكاة ذلك الشهر وفي مجموع السنة زكاة تلك السنة وهي ستة وثلاثون يوماً فهي في مثل العشر في زكاة الحبوب فإن العامّة مع النفس التي تطلب الغذاء وهي النفس النباتية لا الحيوانية فإن الحيوان ما يطلب الغذاء من كونه حياً وإنما يطلبه من كونه نباتاً فلا تخلط بين الحقائق ولهذا جوزوا من حيث امتنعوا في زمان الصوم من استعمال ما ينمون به وهو الغذاء ورحمهم الله تعالى بالسحور عوضاً من أكل النهار فما نقص الصائم من غذائه شيء إذا تسحر ورغب الله في أكلة السحور وسماه غذاء حتى لا يكون للنفس النباتية مقال يطلبه حق من الله فإن ترك العبد السحور تعين عليه من النفس طلب حقها ومن الله الذي أمره بإيصال حقها إليها فإن المكلف مأمور أن يؤدّي إلى كل ذي حق حقه وكما فرقنا بيننا وبين أهل الكتاب في أكلة السحور وكان الاعتبار في سحورنا غير ما تعتبره العامّة لذلك كان صومنا يخالف صومهم من هذه الجهة فنحن مشاركون لهم فيما تطلبه النفس النباتية منا ومنهم وهم لا يشاركوننا فيما يختص بالنفس الناطقة التي هي العقل من إيصال الحق إلى مستحقه فإن لنفسك عليك حقاً وهو أشدّ حقوق الأكوان بعد حق الله عليك لأن خصمك بين جنبيك وما من حق لكون من الأكوان على أحد إلا ولله فيه حق على ذلك الكون فاحفظ نفسك فإذا كان غداً في موطن الجزاء والتجلي ظهر الفرق بين الفرق والتفاضل فكم بين نفس تحشر بنعوت إلهية وبين نفس محرومة من ذلك فتصرف قيمتها يوم القيامة إلى ما كانت صرفتها في الدنيا من الانكباب على ما تطلبه هذه النشأة الطبيعية من الاتساع فيما هو فوق الحاجة فلا فرق بينه وبين سائر الحيوانات وهذا هو الإنسان الحيوان وربما أكثر الحيوان إذا اكتفى ما له همة في المستأنف والإنسان ليس كذلك لا يزال مهموماً ومنهوماً في الحال والاستقبال فيجمع ولا يشبع لأنه خلق هلوعاً إذا مسه الشرّ جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون وهم المتأخرون عن هذه الصفة التي جبلوا عليها فإن المصلي هو المتأخر عن السابق في الحلبة فهذا معنى قوله إلا المصلين هنا في الاعتبار وقد يكون تفسيراً للآية فإنه سائغ ولكن حمله على الإشارة أعصم فنفوس العامّة التي هي بهذه المثابة محجوبة في الدنيا والآخرة ليرتفع عنهم الألم كما ارتفع هنا وكذلك أهل الله فكما هم الخلق في الدنيا كذلك يكونون غداً يوم القيامة ولولا حشر الأجسام في الآخرة لقامت بنفوس الزهاد والعارفين في الآخرة حسرة الفوت ولتعذبوا لو كان الاقتصار على الجنات المعنوية لا الحسية فخلق الله في الآخرة جنة حسية وجنة معنوية وأباح لهم في الجنة الحسية ما تشتهي أنفسهم ورفع عنهم ألم الحاجات فشهواتهم كالإرادة من الحق إذا تعلقت بالمراد تكون فما أكل أهل السعادة لدفع ألم الجوع ولا شربوا لدفع ألم العطش ولما اشتغلوا هنا بالله من حيث ما كلفهم فهم يجرون في الأمور بالميزان الذي حدّ لهم خائفين من أن يطففوا أو يخسروا الميزان جعل لهم سبحانه الاشتغال في الآخرة بالجنة الحسية لأجسامهم الطبيعية جزاء وفاقا قال تعالى "إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون" والعارفون وغير العارفين في هذه الصورة الحسية على السواء ويفوز العارفون بما يزيدون عليهم بجنات المعاني فجنى الجنتين للعارفين دان فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ولا

بشيء من آلائك ربنا نكذب فهذا الاشتغال منع العامّة وعلماء الرسوم في الدنيا والآخرة وأهل الله معهم من حيث نفوسهم النباتية والحيوانية في هذا الشغل وهم مع الله من ذلك الوجه الآخر فكما أنه ما حجبهم في الدنيا ما هم عليه من الحاجة إلى الغذاء مع قوّة سلطانه في الدنيا لدفع آلام الجوع والعطش والإحساس بأنواع الأشياء المؤلمة كذلك لا يحجبهم في الآخرة نعيم الجنان المحسوس عن الله في الاتصاف بأسمائه التي تليق بالدار الآخرة لأن لها أسماء إلهية لا يعلمها اليوم أحد أصلاً فإن الأسماء الإلهية إنما يظهرها مواطنها يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن فإن الموطن يعين الأسماء فإنه عن آثارها ولكن هذا الذي نذكره من النعيم الذي لا

حسرة فيه إنما يكون ي الجنة لا في القيامة فإن يوم القيامة يوم التغابن للكل فالسعيد يقول يا ويلتا ليتني زدت والشقيّ يقول يا حسرتا على ما فرّطت ولهذا سمي يوم الحسرة لإظهار مثل هذا لأنه من حسرت الثوب عني فظهر ما تحته أي أزلته.

وصل في فصل

من جعل الثلاثة الأيام من كل شهر صوم أيام الثلاثة البيض

خرّج النسائيّ من حديث جابر بن عبد الله عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال "صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر" أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة فهذا ظهور حق في خلق وهو ظهور الشمس لا عيناً في القمر ليالي إبداره وهي الليالي البيض وأيامها تسمى الأيام البيض لأن الليل من أوّله إلى آخره لا يزال فيها منوّراً فجعل لياليها أياماً لإزالة ظلمة الليل وطلوع الشمس بوساطة القمر مكملاً فجعلها شهادة وكانت غيباً يستتر فيها كل شيء فصار يظهر فيها كل ما كان مستوراً بظلمة الليل فالنهار وإن ككان ولد الليل فهو من أعدائه لأنه ينفره أبداً قال تعالى "إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم":

يا حذري من حذري لو كان يغني حذري

فالنهار ولد عاق لا يزال يطرد أبه ويهجحه ليلاً ونهاراً على قدر ما يقدر عليه فظهور الشمس في مرآة القمر ظهور حق في خلق لأن النور اسم من أسماء الله تعالى فظهر باسمه النور في ظهور القمر قال تعالى "وجعل القمر فيهنّ نورا" فهو مجلى لنور الشمس وجعل الشمس سراجاً فإن النور الحق هو سبحانه فإنه الممدّ بالنورية لكل منوّر والسراج نور ممدود بالدهن الذي يعطيه بقاء الإضاءة عليه ولهذا جعل الشمس سراجاً وكذلك جعل نبيه صلى الله عليه وسلم سراجاً منيراً لأنه يمدّه بنور الوحي الإلهيّ في دعائه إلى الله عباده ومن شرط من يدعى الإجابة إلى ذلك وجعله بالي في قوله إلى الله وهو حرف غاية وهو انتهاء المطلوب فتضمنت حرف إلى أن المدعوّ لا بدّ أن يكون له سعي من نفسه إلى الله فإن مشى في الظلمة فإنه لا يبصر مواقع الهلكة في الطريق فتحول بينه وبين الوصول إلى الله الذي دعاه إليه بحفرة يقع فيها وبئر يتردّى فيها أو شجرة أو حائط يضرب في وجهه فيصرفه عن مطلوبه أو الطريق الموصلة إليه يضل عنها لعدم التمييز في الطرق فإنّ هذه كلها كالشبه المضلة للإنسان في نظره إذا أراد القرب من الله بالعلم من حيث عقله وافتقر إلى نور بالسراج الطريق الموصلة إلى من دعاه إليه فقال تعالى "يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه أي بأمره لم يكن ذلك من نفسك ولا من عقلك ونظرك وسراجاً منيراً أي يظهر به للمدعوّ ما يمنعه من

الوصول فيجتنبه على بصيرة كما قال "ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" فجعل لناسهما مما وصفه به الحق من صفة السراج المنير فهو نور ممدود بإمداد إلهيّ لا بإمداد عقليّ ثم إن الحق سبحانه لما كان من أسمائه تعالى الدهر كما ورد في الصحيح "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر" فأمر بتنزيه الزمان من حيث ما سمى دهر الكون الدهر اسماً من أسماء الله تعالى فصار لفظ الدهر من الألفاظ المشتركة كما نتره الحروف أعني حروف المعجم من حيث أنها كتب بها كلام الله تعالى وعظمناها فقال فأجره حتى يسمع كلام الله ونهانا أن نسافر بالمصحف إلى أرض العدو وما سمع السامع إلا أصواتاً وحورفاً فلما جعلها كلامه أوجب علينا تنزيهها وتقديسها وتعظيمها فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم مخبراً لنا "أن صيام الأيام البيض صيام الدهر" من باب الإشارة ما هو صيامكم فأضاف الصوم إلى الدهر وهو قوله تعالى "الصوم لي" ولما جعله صيام الدهر وأنت الصائم في هذه الأيام كان الدهر كمثل الشمس في ظهورها في القمر وكان القمر كالإنسان الصائم وكان نور القمر كالصوم المضاف إلى الإنسان إذ كان هو محل وهو مجلى الدهر تعالى فهو صوم حق في صورة خلق كما قال على لسان عبده "سمع الله لمن حمده" فالقائل الله والسماع متعلق بلفظ العبد فهو نطق إلهيّ في خلق فهو قول الله في هذه الحال لا قول العبد فالسمع على الحقيقة إنما تعلق بكلام الله على لسان العبد الذي هو مجرى الحروف المقطعة فينبغي للناصح نفسه أن يصوم الغرر من أول كل شهر على نية ما ذكرناه لك من الاعتبار ويصوم الأيام البيض على هذا الاعتبار الآخر وهو صوم النيابة عن الحق فلك جزاء الحق لا الجزاء الذي يليق بك وكل شيء له فما ثم من يقوم مقامه أن يكون جزاء له وكذلك هذا الصائم بهذا الحضور فإنه في عبادة لا مثل لها بنيابة إلهية ومجلى اسم إلهيّ يقال له الدهر فله كل شيء كما كان الدهر ظرف كل شيء فلا جزاء لهذا الصائم غير من ناب عنه إذ كان مجلاه ولهذا قال وأنا أعزي به معناه أنا جزاؤه بسبب كونه صائماً بحق شهوديّ مشهود له ما هو للحق لا للعبد فقد عرفتك كيف تصوم الأيام البيض وما تحضره في نفسك عندما تريد أن تشرع فيها وهي صفة كمال العبد في الأخذ عن الله كما كان القمر في هذه الأيام موصوفاً بالكمال في أخذه النور من الشمس من الاسم الظاهر للخلق فإن له أيضاً كما لا آخر في الوجه الآخر منه من الاسم الباطن ليلة السرار وهو مجلى في تلك الليلة من غير إمداد يرجع إلى الخلق بل هو في السرار بما يخصه من حيث ذاته خالص له وهو الذي أشرنا إليه في صوم سرر الشهر المأمور به شرعاً وقد تقدّم فاجعل بالك لما فتحناه إلى عين فهمك عناية من الله بك من حيث لا تشعر ولا يحجبنك عن هذا العلم الغريب الذي بيناه لك الرؤيا الشيطانية التي رؤيت في حق أبي حامد

الغزاليّ فحكاها علماء الرسوم وذهلوا عن أمر الله تعالى سبحانه لنبيه في قوله "وقل رب زدني علماً" لم يقل عملاً ولا حالاً ولا شيأ سوى العلم أتراه أمره بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد منه والصفة الناقصة عن درجة الكمال أتراه في قوله ضرب بيده يعني ضربة الحق إياه فعلمت في تلك الضربة علم الأولين والآخرين لأي شيء لم يذكر العمل ولا الحال فحكى أصحاب الرسوم عن شخص سموه وهو أنه رأى أبا حامد الغزالي في النوم فقال له أوسأله عن حاله فقال له لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير فتأولها علماء الرسوم على ما كان عليه أبو حامد من علم هذا الطريق وقصد إبليس بهذا التأويل الذي زين لهم أن يعرضوا عن هذا العلم فيحرموا هذه الدرجات هذا إذا لم يكن لإبليس مدخل في الرؤيا وكانت الرؤيا ملكية وإذا كانت الرؤيا من الله والرائي في غير موطن الحس والمرئي ميت فهو عند الحق لا في موطن الحس والعلم الذي كان يحرّض عليه أبو حامد وأمثاله في أسرار العبادات وغيرها ما هو غريب عن ذلك الموطن الذي الإنسان فيه بعد الموت بل تلك حضرته وذلك محله فلم يبق العلم الغريب على ذلك الموطن إلا العلم الذي كان يشتغل به في الدنيا من علم الطلاق والنكاح والمبايعات والمزارعة وعلوم الأحكام التي تتعلق بالدنيا ليس

لها إلى الآخرة تعلق البتة لأنه بالموت يفارقها فهذه العلوم الغريبة عن موطن الآخرة وكالهندسة والهيئة وأمثال هذه العلوم التي لا منفعة لها إلا في الدار الدنيا وإن كان له الأجر فيها من حيث قصده ونيته فالخير الذي يرجع إليه من ذلك قصده ونيته لا عين العلم فإن العلم الغريب عن هذا الموطن بالعلم الذي يليق به ويطلبه هذا الموضع لكنا على خير كثير ففاتنا من خير هذا الموطن على قدر اشتغالنا بالعلم الذي كان تعلقه بالدار الدنيا فهذا تأويل رؤيا هذا الرائي لا ما ذظروه ولو عقلوا لتفطنوا في قوله العلم الغريب فلو كان علمه بأسرار العبادة وما يتعلق بالجناب الأخرويّ لما كان غريباً لأن ذلك موطنه والغربة إنما هي لفراق الوطن فثبت ما ذكرناه فإياك أن تحجب عن طلب هذه العلوم الإلهية والأخروية وخذ من علوم الشريعة على قدر ما تمس الحاجة إليه مما ينفرض عليك طلبه خاصة "وقل رب زدني علماً" على الدوام دنيا وآخرة.

وصل في فصل صيام الاثنين والخميس

خرّج النسائي عن أسامة بن زيد قال "قلت يا رسول الله إنك تصوم حتى تكاد لا تفطر وتفطر حتى تكاد لا تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما قال أي يومين قلت يوم الاثنين ويوم الخميس قال ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم" فاعلم أن أسماء الأيام الخمسة جاءت بأسماء العدد أوّلها الأحد وآخرها الخميس واختص السادس باسم العروبة وفي الاسلام باسم الجمعة والسابع بيوم السبت فسميا بالحال لا باسم العدد كما أقسم بالخمسة الخنس الجواري وهي التي لها الإقبال والإدبار و لم يجعل معهنّ في هذا القسم الشمس والقمر وإن كانا من الجواري ولكنهما ليسا من الخنس كذلك الجمعة والسبت وإن كانا من الأيام لم يجعل اسمهما من أسماء العدد فلنذكر هنا ما يختص بالاثنين والخميس كما نذكر في صيام الجمعة والسبت والأحد ما يختص بهنّ أيضاً في موضعه من هذا الباب فيوم الاثنين لآدم صلوات الله عليه ويوم الخميس لموسى صلى الله عليه وسلم فجمع بين آدم ومحمد صلى الله عليه وسلم الجمعية في الأسماء وجوامع الكلم فكما أن آدم علم الأسماء كلها كذلك محمد صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم والأسماء من الكلم فتلبس بيوم الاثنين الذي هو خاص بآدم لهذه المشاركة وأما موسى فجمع بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين الرفق وهو الذي تطلبه الرحمة وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم أرسله الله رحمة للعالمين وكان موسى في ليلة الإسراء لما اجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن اجتمع من الأنبياء عليهم السلام لم يأمره أحد من الأنبياء ولا نبهه على الرفق بأمّته إلا موسى صلى الله عليه وسلم لما فرض الله علينا في تلك الليلة خمسين صلاة فما سأله أحد من الأنبياء لما رجع عليهم ما فرض الله على أمّتك إلا موسى عليه السلام فتهمم بنا دون سائر الأنبياء عليهم السلام فلما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة قال له موسى عليه السلام راجع ربك في ذلك الحديث وفيه فما زلت أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى فرضها خمسة في العمل وجعل أجرها أجر خمسين فنقص من التكليف وأبقى الأجر على ما كان عليه في الأصل فلما جمع بينه وبين موسى في صفة الرفق بنا تلبس معه بيوم الخميس الذي هو لموسى عليه السلام وكان يتذكر بآدم في صوم الاثنين ما هو عليه من العلم ويتذكر بموسى في صوم الخميس الرحمة التي أرسل بها للعالمين وهما في حال لا يأكلان ولا يشربان فيه لأنهما قد فارقا الحياة الدنيا وما هما في عالم النشء الجسمي الذي يطلب الغذاء بل

هما في برزخ لا غذاء فيه بين النشأتين فأراد صلى الله عليه وسلم لما وقعت بينه وبينهما المشاركة فيما ذكرناه أن يتلبس في هذين اليومين اللذين يجتمع معهما فيهما بترك الطعام والشراب موافقة لهما ليتفرّغ صلى الله عليه وسلم لتحصيل ما أدّاه إلى الاجتماع بهما في هذين اليومين وجعله صوماً دون أن يعتبره اتساعاً من الغذاء فحسب حتى يكون تركه ذلك عملاً مشروعاً فتلبس بصفة هي للحق وهو الصوم فصامهما ليعرض عمله على رب العالمين في ذينك اليومين وهو متلبس بصفة الحق إذ كان الصوم له ولما كان الصوم بالنسبة إلى العباد يدخله الفساد لما كان قابلاً لذلك ويقبل الصلاح أيضاً كان العرض على رب العالمين لا على اسم غيره والرب هو المصلح فيصلح ما دخل في هذا الصوم من الفساد إن كان دخله فساد من حيث لا يشعر ويتعلق هذا الحكم بالعلامة خاصة وهي الدلالة على الله تعالى ولذلك قال على رب العالمين من العلامة وفساد العلامة إنما هو من طرو الشبهة عليها في النظر العقليّ وما ثم شبهة أعظم من نسبة الصوم لله دون سائر الأعمال ووصف العبد به فإذا حصل العرض الذي هو التجلي والكشف بأن للصائم ما لله من الصوم وما للعبد منه فزالت الشبهة التي يقبلها العقل بالكشف الإلهيّ فهذا معنى مصلح العلامة وأما إذا اعتبرته بمربي العالمين أي مغذيهم فغذاء الصائم في هذا العرض هو ما يفيده الحق في هذا الصوم من العلوم المختصة بهذين اليومين من علم الأسماء وعلم الاثنتي عشرة عيناً التي في العلم بها العلم بكل ما سوى الله وهو علم الحياة التي يحيا بها كل شيء وهو العلم المتولد بين النبات والجماد من المولدات بصفة القهر فإن العيون الاثنتي عشرة إنما ظهرت بضرب

العصا الحجر فانفجرت منه بذلك الضرب اثنتا عشرة عينا يريد علوم المشاهدة عن مجاهدة بسبب الضرب وعلوم ذوق لأن الماء من الأشياء التي تذاق ويختلف طعمها في الذوق فيعلم بذلك نسبة الحياة كيف اتصف بها المسمى جماداً حتى أخبر عنه الصادق أنه يسبح بحمد الله لأن الحق أضاف ذلك إلى الحجر بقوله منه ومن لا كشف له ولا إيمان لا يثبت للجماد حياة فكيف تسبيحاً نعوذ بالله من الخذلان فيعلم بهذا الكشف نسبة الحياة أيضاً إلى النبات لأن الضرب كان بالعصا وهي من عالم النبات وبضربه بها ظهر ما ظهر ومن لا كشف له لا يعلم أن النبات حيّ إلا من يصرف الحياة إلى النموّ فيعلم في يوم الخميس إذا صام من أجل الإمداد روحانية موسى عليه السلام فيه علم الاثنتي عشرة عينا على الكشف والمشاهدة وهو علم ما يتعلق بمصالح العالم قد علم كل أناس مشربهم من تلك العيون فمن علمها علم حكم الاثنتي عشر برجاً وعلم منتهى أسماء الأعداد وهي اثنا عشر وعلم الإنسان بما هو ولي لله تعالى:

فانظر إلى شجر يقضى على حجر	وانظر إلى ضارب من خلف أستار

وكان الحجاب عليه والستر موسى عليه السلام كما كان الحجاب للأعرابي على كلام الله محمداً صلى الله عليه وسلم فبصوم يوم الاثنين يجمع بين خلق وحق في بساط مشاهدة وحضورلتحصيل علم الأسماء الإلهية وبصوم يوم الخميس يجمع حفظ نفسه وحفظ الأربع من جهاته التي يدخل عليه منها الشبه المضلة فإنها طرق الشيطان من قوله "ثم لآتينهممن بين أيديهم عن أمر واستفزز ومن خلفهم عن أمر وأجلب عليهم وعن أيمانهم عن أمر وشاركهموعن شمائلهم عن أمر وعدهم وهو بعينه في الوسط فإن به تميزت هذه الجهات الأربع وكان المجموع في هذه الحضرة خمسة فاعتصم بصوم يوم الخميس لكون الخمسة من خصائصه وموسى صاحبه فيها وهو فظ غليظ يفرق الشيطان منه لفظاظته فيعتصم الصائم يوم الخميس بهذا الحضور الذي ذكرناه من الشيطان الذي أرصد له على هذه الجهات ومن قبول نفسه لما يرد به هذا الشيطان لو ورد عليه وهو الشيء الخامس المساعد للشيطان فيما يرومه فيكون موسى

حاجب هذه الأبواب فيبقى الصائم فيها مستريحاً آمناً وهو صاحب الصوم في ذلك اليوم و لم يقل ذلك في آدم في صوم الاثنين وجعلناه في الاعتبار جمع حق وخلق لئلا يطرأ عليه الخلل في صومه من حيث لا يشعر فإن آدم صاحب ذلك اليوم قبل من إبليس الإزلال من حيث لا يشعر ومن لم يدفع عن نفسه فأحرى أن لا يقدر أن يدفع عن غيره فحمل الاثنين على حق وخلق للاشتراك في صفة الصوم و لم يعتبر آدم في هذا الموطن ونسبة الخمسة الخنس ليوم الخميس الذي هو لموسى لكونها لها الكرّ والفرّ بما لها من الإقبال والإدبار في السير فلها الحكم والقوة بذلك على غيرها لقوّة الخمسة التي جمعتها فإن الخمسة من الأعداد تحفظ نفسها وتحفظ العشرين وما ثم عدد له هذه المرتبة ولا هذه القوّة إلا هذه الخمسة ومن حفظ نفسه وغيره كان أقوى شبهاً بما تطلبه العقول من التشبه به له هذه الصفة قال تعالى ولا يؤوده حفظهما وقال وهو على كل شيء حفيظ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء التاسع والخمسون.

الجزء الستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل صيام يوم الجمعة

اختلف العلماء في صوم يوم الجمعة فمن قائل يكره صومه ومن قائل يكره صومه إلا أن يصام قبله أو بعده خرّج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده وخرّج البخاريّ عن جويرية بنت الحارث أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال "أصمت أمس قالت لا قال تريدين أن تصومي غداً قالت لا قال فأفطري" اعلم أن يوم الجمعة هو آخر أيام الخلق وفيه خلق من خلقه الله على الصورة وهو آدم فبه ظهر كمال إتمام الخلق وغايته وبه ظهر أكمل المخلوقات وهو الإنسان وهو آخر المولدات فحفظ الله به الاسم الآخر على الحضرة الإلهية وحفظه الله بالاسم الآخر فهو الذي ينظر إليه من الأسماء الإلهية ولما جمع الله خلق الإنسان فيه بما أنشأه تعالى عليه من الجمع بين الصورتين صورة الحق وصورة العالم سماه الله بلسان الشرع يوم الجمعة ولما زينه الله بزينة الأسماء الإلهية وحلاه بها وأقامه خليفة فيها بها فظهر بأحسن زينة إلهية في الكمال وخصه الله تعالى بأن جعله أوسع من رحمته تعالى فإن رحمته لا تسعه سبحانه ولا تعود عليه وإن محلها الذي لها الأثر فيه إنما هو المخلوقون ووسع القلب الحق سبحانه فلهذا كان أوسع من رحمة الله وهذا من أعجب الأشياء أنه مخلوق من رحمة الله وهو أوسع منها ومن كان مجلي كمال الحق فلا زينة أعلى من زينة الله فأطلق الله عليه اسماً على ألسنة العرب في الجاهلية وهو لفظ العروبة أي هو يوم الحسن والزينة فظهر الحق في كماليته في أكمل الخلق وهو آدم فلم يكن في الأيام أكمل من يوم الجمعة فإن فيه ظهرت حكمة الاقتدار بخلق الإنسان فيه الذي خلقه الله على صورته فلم يبق للاقتدار الإلهيّ كمال يخلقه إذ لا أكمل من صورة الحق فلما كان أكمل الأيام وخلق فيه أكمل الموجودات وخصه الله بالساعة التي ليست لغيره من الأيام والزمان كله ليس سوى هذه الأيام فلم تحصل هذه الساعة لشيء من الأزمان إلا ليوم الجمعة وهي جزء من أربع وعشرين جزأ من اليوم وهي في النصف منه وهو المعبر عنه بالنهار فهي في ظاهر اليوم وفي باطن الإنسان لأن ظاهر الإنسان يقابل باطن اليوم وباطن الإنسان يقابل ظاهر اليوم ألا تراه أمر في رمضان بالقيام بالليل والقيام حكم ظاهر الإنسان فإنّ الظاهر منه هو المستريح بالنوم وجعل الله النوم له سباتاً أي راحة والليل محل التجلي الإلهيّ والنزول الربانيّ واستقبال هذا النزول بالقيام الكونيّ واجب في الطريق أدباً إلهياً وهذا النزول في الليل يقوم مقام الساعة التي في نهار الجمعة لكن النزول في كل ليلة والساعة خاصة بيوم الجمعة فإنها ساعة الكمال والكمال لا يكون إلا واحداً في كل جنس إن كان ذلك الجنس ممن له استعداد الكمال كاستعداد الإنسان وما هو ثم مما قبله غير الإنسان فالإنسان كامل بربه لأجل الصورة ويوم الجمعة كامل بالإنسان لكونه خلق فيه وما خلق فيه إلا في الساعة المذكورة فيه فإنها أشرف ساعاته والحكم فيها للروح الذي في السماء السادسة وهي سماء العدل والاعتدال صفات وكمال الباطن فإن سلطان هذا اليوم هو الروح الذي في السماء الثالثة وله الاستبداد التام في يومه في الساعة الأولى منه والثامنة فهو الحاكم بنفسه تجلياً وسائر ساعاته يجري حكمه فيه بنوّابه والعلم أكمل الصفات فخص الأكمل بالأكمل والصوم لا مثل له في العبادات فأشبه من

لا مثل له في نفي المثلية ومن لا مثل له قد اتصف بصفتين متقابلتين من وجه واحد وهو الأول والآخر وهو ما بينهما إذ كان هو الموصوف وكذلك هو بين الظاهر والباطن وهاتان الصفتان في المعنى واحدة وإنما كان الانقسام فيما ظهر عنها من الحكم فأطلق عليها اسم الظاهر لظهور الحكم عنها واسم الباطن لخفاء سببه فهما نسبتان له فلما لم يكن بدّ من إثبات هذه الصفة النسبية التي هي معقول حكمها غير معقول حكم الموصوف لم يكن بدّ من إثباتها وكل حكم له أوّلية وآخرية في المحكوم عليه فهو الأوّل والآخر من حيث المعنى واحد ومن ابتدائه وانتهائه طرفان فيما لا ينقسم ولما كان الأمر على ما قرّرناه كان من أراد أن يصوم الجمعة يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده ولا يفرده بالصوم لما ذكرناه من الشبه في صيام ذلك اليوم وقيام ليلته إذ كان ليس كمثله يوم فإنه خير يوم طلعت فيه الشمس فما أحكم علم

الشرع في كونه حكم أن لا يفرد بالصوم ولا ليلته بالقيام تعظيماً لرتبته على سائر الأيام وهو اليوم الذي اختلفت فيه الأمم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فما بينه الله لأحد إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم لمناسبته الكمالية فإنه أكمل الأنبياء ونحن أكمل الأمم وسائر الأمم وأنبيائها ما أبان الحق لهم عنه لأنهم لم يكونوا من المستعدين له لكونهم دون درجة الكمال أنبياؤهم دون محمد صلى الله عليه وسلم وأممهم دوننا في كمالنا فالحمد لله الذي اصطفانا فنحن بحمد الله يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم عين الساعة التي فيها التي بها فضل يوم الجمعة على سائر الأيام كما فضلنا نحن بمحمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم والصوم لله من وجه التتريه والصوم للإنسان عبادة وموضع الاشتراك الصوم فصوم يوم الجمعة بما هو منه لله وصوم اليوم المضاف إليه بما هو للعبد منه إذ بصيام العبد صح أن يكون الصوم لله وبصيام اليوم المضاف إلى يوم الجمعة صح صوم يوم الجمعة والله عليم حكيم.

وصل في فصل صيام يوم السبت

خرّج أبو داود عن عبد الله بن بشر عن أخيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم فإن لم يجد أحدكم إلا عود عنب أو لحاء شجر فليمضغه" قال أبو داود هذا منسوخ قال أبو عيسى في هذا الحديث حديث حسن وخرّج النسائيّ عن أمّ سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم السبت والأحد أكثر ما يصوم ويقول إنهما يوما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم واختلف العلماء في صوم يوم السبت فمن قائل بصومه ومن قائل لا يصام اعلم أن يوم السبت عندنا هو يوم الأبد الذي لا انقضاء ليومه فليله في جهنم فهي سوداء مظلمة ونهاره لأهل الجنان فالجنة مضيئة مشرقة والجوع مستمرّ دائم في أهل النار وضدّه في أهل الجنان فهم يأكلون عن شهوة لا لدفع ألم جوع ولا عطش فمن كان مشهده القبض والخوف اللذين هما من نعوت جهنم قال يصومه لأن الصوم جنة فيتقي به هذا الأمر الذي أذهله وقد ورد في كتاب الترغيب لابن زنجويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه من صام يوماً ابتغاء وجه الله بعده الله من النار سبعين خريفاً ومثل هذا ومن كان مشهده البسط والرجاء والجنة وعرف أن يوم السبت إنما سمي سبتاً لمعنى الراحة فيه وإن لم تكن الراحة عن تعب وهو يوم ما بين ابتداء الحق الذي وقع في يوم الأحد وبين انتهاء الخلق الذي وقع في يوم الجمعة وتلك الستة الأيام التي خلق الله فيها الخلق وقال في يوم السبت وقد وضع إحدى الرجلين على الأخرى أنا الملك وأحكم العالم وقدّر في الأرض أقواتها وأوحى في كل سماء أمرها ووضع الموازين وأحال الخلق بعضهم على بعض وجعل منهم المفيض والقابل وأكمل استعداداتهم على أتم الوجوه وفعل كما أخبر

من أنه أعطى كل شيء خلقه ووصف نفسه بالفراغ قال من هذا مشهده الحكمة تعطي الفطر في هذا اليوم فحجر صومه ولما في ذلك من التعب الذي يضادّ الراحة فإن الصوم مشقة لأنه ضدّ ما جبل عليه الإنسان من التغذي وأمّا من صامه لمراعاة خلاف المشركين فمشهده أن مشهد المشرك الشرك الذي نصبه فلما ولي الشريك أمورهم في زعمهم بما ولوه جعل لهم ذلك اليوم عيد الفرحة بالولاية فأطعمهم فيه وسقاهم ولست أعني بالشريك الذي عبدوه واستندوا إليه وإنما أعني بالشريك صورته القائمة بنفوسهم لا عينه فهو الذي أعطاهم السرور في هذا اليوم وجعله عيداً لهم وأمّا الذين جعلوه شريكاً لله فلا يخلو ذلك المجعول أن يرضى بهذا المحال أو لا يرضى فإن رضي كان بمثابتهم كفرعون وغيره وإن لم يرض وهرب إلى الله بما نسبوا إليه سعد هو في نفسه ولحق الشقاء بالناصبين له فمن صامه بهذا الشهود فهو صوم مقابلة ضدّ لبعد المناسبة بين المشرك والموحد فأراد أن يتصف أيضاً في حكمه في ذلك اليوم بصفة التقابل بالصوم الذي يقابل فطرهم ولذلك كان يصومه صلى الله عليه وسلم.

وصل في فصل صوم يوم الأحد

فمن اعتبر ما ذكرناه من هذا الشهود فإنه يوم عيد للنصارى صامه لمخالفتهم ومن اعتبر فيه أنه أوّل يوم اعتنى الله فيه بخلق الخلق في أعيانهم صامه شكراً لله تعالى فقابله بعبادة لا مثل لها فاختلف قصد العارفين في صومهم ومن العارفين من صامه لكونه الأحد خاصة والأحد صفة تتريه للحق والصوم صفة تتريه ورتبة منيعة الحمى لما في الصوم من التحجير على الصائم عن الحظ النفسيّ من الإفطار والاستمتاع من الجماع والتتريه عن المذام فالصائم محجور عليه أن يغتاب أو يرفث أو يجهل أو يتصف بمذموم شرعاً في تلك الحال فوقعت المناسبة بينه وبين الأحد في صفة التتريه فصامه لذلك وكل له شرب معلوم فعامله بأشرف الصفات ولهذا كان للصوم من الطبيعة الحرارة واليبوسة لفقد الغذاء وهو ضدّ ما تطلبه الطبيعة فإنها تطلب لأجل الحياة الحرارة لا منفعلها وتطلب الرطوبة التي هي منفعلة عن البرودة فقابلها الصائم بالضدّ فقابلها بالأصل ومنفعله فإنه مأمور بمخالفة النفس والنفس طبيعة محضة منازعة للإله بذاتها لتوقف وجود عالم الأجسام كله عليها ولولاها لم يظهر لعالم الأجسام عين فزهت وتاهت لذلك فقيل للروح المدبر لهذا الجسم العنصريّ المأمور بحفظ الاعتدال على هذا الجسد والنظر في مصالحه إذا رأيت النفس الطبيعية في هذا المقام من الزهو والخيلاء فأمنعها عن الطعام والشراب والاستمتاع بالجماع بنية المخالفة لها ونية التتريه عما تتخيله الطبيعة إنك مفتقر إليها في ذلك ولتعلم الطبيعة أنها محكوم عليها فتذل تحت العبودة والافتقار لطلب الغذاء من هذا المدبر لهذا الهيكل فسمى مثل هذا التدبير صوماً فإن منعها عن ذلك كله لصلاح المزاج لا يسمى ثوماً وذلك الفعل للروح إنما هو من تدبير الطبيعة فسمى مثل هذا حمية لا صوماً فإن نوى الروح بهذه الحمية ومساعدة الطبيعة فيما أمرته به صلاح مزاج هذا البدن لأجل عبادة الله وأن يقوم بجميع ما أمره الله به من العبادة في حركاته وسكناته التي لا تظهر منه إلا بصلاح المزاج أجز في تلك الحمية وإن لم تكن صوماً فهذا قد أبنت لك بعض أسرار صوم يوم الأحد.

وصل في فصل أن

التجلي المثاليّ الرمضاني وغيره إذا كان فهو لوقته

خرّج مسلم في صحيحه عن أبي البختري قال لقينا ابن عباس فقلنا إنا رأينا الهلال فقال بعض القوم هذا ابن ثلاث وقال بعض القوم هو ابن ليلتين فقال أيّ ليلة رأيتموه فقلنا ليلة كذا وكذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله مدّه للرؤية فهو لليلة رأيتموه" قالت السادة من أهل الله الحكم للوقت والإنسان أو الصوفيّ ابن وقته لا يحكم عليه ماض ولا مستقبل غير أن الإنسان لا يعرف أنه ابن وقته مع حكم الوقت عليه والصوفي يعلم أنه بحكم وقته كذا هو في نفس الأمر فلهذا قلنا إن الصوفي ابن وقته لاطلاعه على ذلك ولعلمه أنه فيما يحكم عليه به وفيه أثر النبوّة وما كل إنسان يعلم ذلك مع أنه كذا في نفس الأمر فمتى ما طهر للإنسان هذا الحكم واتصف على علم بأنه ابن وقته فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم هو لليلة رأيتموه فإنا نعلم قطعاً إذا كان الهلال في الشعاع أنه متجل لنا ولكنا لا نراه كما نعلم قطعاً إن الكواكب في السماء بالنهار متجلية لنا ولكنا لا نراها لضعف الإدراك البصريّ فلا ننسب إليه فإذا رأيناه فإنه الوقت الذي نراه فيه لنعلمه فيحكم علينا بما يعطيه ذلك التجلي فإن كان رمضان أثر فينا نية الصوم وإن كان هلال فطر أثر فينا نية الفطر وإن لم يكن الإهلال شهر من الشهور أثر فينا العلم بزوال حكم الشهر الذي انقضى وحكم الشهر الذي هذا هلاله وتختلف أحوال الناس فتمتاز الأوقات به لانقضاء الآجال في كل شيء من المبايعات والمداينات والأكرية وأفعال الحج يقول الله تعالى "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج" كما قررناه.

وصل في فصل الشهادة في رؤيته

فإن لم نره وأخبرنا به رجل واحد أو اثنان فهل ندخل تحت حكم الوقت وتقوم لنا الشهادة مقام الرؤية فأقول لا يخلو حكم هذا الهلال في ظهوره أن يظهر بحكم يوافق الغرض النفسيّ أو يخالفه فإن خالف قبلنا فيه شهادة الواحد ويكون الشاهد الآخر ما أمرنا به من مخالفة النفس فإن النفس بطبعها ما تريد هذا الحكم فينبغي لنا أن نعمل به في هلال الصوم ولما كان الفطر فيه غرض النفس طلبنا شاهداً آخر في الظاهر يشهد لنا حتى يكون فطرنا عبادة لا لأجل غرض النفس وربما اشترطنا فيهما العدالة وإن مثل هذا الفطر الذي هو عيد الفطر عبادة وصومه حرام فإنا فيه أعني في رؤية هلال الفطر مستقبلوا عبادة لوجوب الفطر فيه وتحريم الصوم كما أنا في هلال رمضان مستقبلوا عبادة لوجوب الصوم وتحريم الفطر فلا فرق ومع هذا يحتاج إلى شاهدين في هلال الفطر جرياً على الأصل ولولا الخبر الوارد في هلال الصوم لأجريناه مجرى هلال الفطر وإن كان الأمر فيه على الاحتمال ولكن لنا ما ظهر فيحتاج في هلال الفطر إلى شاهدين ظاهرين وفي هلال الصوم إلى شاهدين ظاهر وباطن فالباطن شاهد الأمر بمخالفة النفس يقول تعالى "ونهى النفس عن الهوى والصوم ليس للنفس فيه هوى طبيعيّ فما صمنا إلا بشاهدين ولا أفطرنا إلا بشاهدين لأن كل واحدة من العبادتين حكم وجوديّ فلابدّ لكل نتيجة من مقدّمتين وهما في هذه العبادات الشاهدان فلنذكر الأخبار الواردة في ذلك لنفيد الواقف على هذا الكتاب مأخذنا حتى لا يفتقر إلى كتاب آخر فيتعب فأقول حديث وارد في سنن أبي داود خرّج أبو داود عن ربعيّ بن خراش عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم إعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لأهل الهلال أمس عشية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يفطروا وأن يغدوا إلى مصلاهم حديث آخر أيضاً من سنن أبي داود خرّج أبو داود أيضاً عن ابن عمر قال تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم إني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه حديث ثالث عن أبي داود أيضاً خرّج أبو داود أيضاً عن الحسين بن الحرث أن أمير مكة خطب ثم

قال عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننسك للرؤية فإن لم نره وشهد شاهداً عدل نسكنا بشهادتهما ثم قال إن فيكم من هو أعلم بالله ورسوله مني وشهد هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومأ بيده إلى رجل قال الحسين فقلت لشيخ إلى جنبي من هذا الذي أومأ إليه فقال هذا عبد الله بن عمر وأمير مكة كان الحارث بن حاطب الجمحيّ حديث رابع للدارقطنيّ وذكر الدارقطنيّ من حديث ابن عمر وابن عباس قالا إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز شهادة رجل واحد على رؤية هلال رمضان وقالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجيز شهادة الإفطار إلا برجلين وهذا الحديث ضعيف.

وصل في فصل

الصائم ينقضي أكثر نهاره في رؤية نفسه دون ربه

لما كان الصوم حكماً أضافه الله إليه وعرّى الصائم عنه مع كونه أمره بالصيام فانبغى للصائم أن يكون مدّة صومه ناظراً فيه إلى ربه حتى يصح كونه صائماً لا يغفل عنه فإن الحق لا يضيفه إليه حتى يصح أنه صوم ولا يصح إلا بصيام العبد على الصورة التي شرع الله له فيه أن يأتي بها فإن لم يصمه على حدّ ما شرع له فما هو صائم وإذا لم يكن صائماً فما ثم صوم يردّه الله إليه فإن الصائم قد يحسب أنه صائم وقد فعل في صومه فعلاً أوجب له ذلك الفعل أن يخرج عن صومه كالغيبة إذا وقعت منه وأمثالها فهو مفطر أي ليس بصائم وإن لم يأكل فإن كان لذلك الفعل كفارة وأتى بها فهو صائم فيحافظ الصائم على هذا فإن فيه إيثاراً للحق على نفسه فيجازيه على قدر المؤثر به وهو الله تعالى فمن راعى ربه عز وجل راعاه الله تعالى "فما يكون جزاؤه إلا هو من وجد في رحله فهو جزاؤه" وقد وجد في رحله فإن الحق في قلب عبده المؤمن الحاضر معه لا بدّ من ذلك والصوم وجد عند الله فإنه له لما صح صوم الصائم طلب رحله فقيل له أخذه الله فكان الله جزاءه فقال "الصوم لي وأنا أجزي به" حديث مرويّ في فساد الصوم ذكر أبو أحمد بن عديّ الجرجانيّ من حديث خراش بن عبد الله عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال "من تأمّل خلق امرأة حتى يستبين له حجم عظامها من وراء ثيابها وهو صائم فقد أفطر" خراش هذا مجهول لأنه كان يحدّث من صحيفة كانت عنده وهذا الحديث منها والذي يرويها عنه ضعيف كذا ذكر شيخنا أبو محمد عبد الحق.

وصل في فصل

حكم صوم السادس عشر من شهر شعبان

صومه عندنا حرام وهو عندنا من أحد الأيام الستة التي يحرم صومها وهي هذا اليوم ويوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى وثلاثة أيام التشريق خرّج الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا" قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح لما كانت ليلة النصف من شعبان ليلة يكتب فيها الملك الموت من يقبض روحه في تلك السنة فيخط على اسم الشقيّ خطاً أسود وعلى اسم السعيد خطاً أبيض به يعرف ملك الموت السعيد من الشقيّ فكان الموت لهذا

الشخص مشهوداً لأنه زمن الاطلاع على الآجال واستحضارها عند المؤمن الذي ماله هذا الاطلاع فإذا تلتها ليلة السادس عشر لم ينفك صاحب هذا الشهود أو المستحضر عن ملاحظة الموت فهو معدود بحاله في أبناء الآخرة وبالموت يسقط التكليف فما هو على حالة يبيت فيها الصوم لشهوده حالة الصفة التي تقطع الأعمال فبقي سكران من أثر هذه المشاهدة فمن بقيت عليه إلى دخول رمضان منع من صوم النصف ومن لم تبق له منع من صوم السادس عشر خاصة من أجل أنه لم يبيت ليلاً ولا ليلة السادس عشر ليلة نسخ الآجال وهي ليلة النصف وإنما خص بعض العلماء من أهل الظاهر السادس عشر أنه محل لتحريم الصوم فيه ما أذكره وهو أنه رحمه الله أورد حديثاً صحيحاً حدثناه جماعة أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي وأبو القاسم عبد الرحمن بن غالب المقري وأبو الوليد جابر ابن أبي أيوب الحضرمي وأبو العباس ابن مقدام كل هؤلاء قالوا حدثنا أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينيّ المقريّ قال حدّثنا أبو محمد عليّ بن أحمد قال حدثنا عبد الله بن الربيع قال حدثنا عمر بن عبد الملك قال حدثنا محمد بن بكر قال حدثنا أبو داود حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراورديّ قال قدم عباد بن كثير المدينة فمال إلى مسجد العلاء بن عبد الرحمن فأخذ بيده فأقامه فقال اللهم إن هذا يحدث عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا انتصف شعبان فلا تصوموا" فقال العلاء والعلاء ثقة روى عنه شعبة وسفيان الثوري ومالك وابن عيينة ومسعر بن كدام وأبو العميس وكلهم يحتج بحديثه فلا يضره غمز ابن معين له ولا يجوز أن يظن بأبي هريرة مخالفة ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم والظن أكذب الحديث فمن ادّعى ههنا إجماعاً فقد كذب قال أبو محمد وقد كره قوم الصوم بعد النصف من شعبان جملة إلا أن الصحيح المتيقن مقتضى لفظ هذا الخبر النهي عن الصيام بعد النصف من شعبان ولا يكون الصيام في أقل من يوم ولا يجوز أن يحمل على النهي صوم باقي الشهر إذ ليس ذلك بيناً ولا يخلو شعبان أن يكون ثلاثين أو تسعاً وعشرين فإذا كان ثلاثين فانتصافه بتمامه خمسة عشر يوماً وإن كان تسعاً وعشرين فانتصافه في نصف اليوم الخامس عشر ولم ينه إلا عن الصيام بعد النصف فحصل من ذلك النهي عن صيام السادس عشر بلا شك انتهى كلام أبي محمد في كتاب المحلى ومنه نقلته وهو روايتي عن هؤلاء الجماعة الذين ذكرناهم في أول مساق حديث العلاء وغيرهم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه وهو الذي ذهب إلى أن صوم السادس عشر لا يجوز وعليه ما ذكرناه عنه.

وصل في فصل صيام أيام التشريق

اختلف العلماء رضي الله عنهم في صيام أيام التشريق فمن قائل بجواز صومها ومن قائل بجواز صوم المتمتع فيها ومن قائل بالكراهة ومن قائل بمنع الصوم مطلقاً فيها أيام التشريق هي الثلاثة الأيام التي بعد يوم النحر وهي أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى ذكر مسلم في كتابه عن نبيشة الهذلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك وهذه صفة أهل الجنة فحيث وجدت هذه الصفة زال معها كل عمل في حال حكمها إلا العبادة فإنها حقيقة لا تزول عن الإنسان دنيا ولا آخرة والصوم ترك وعبادة فمن اعتبر العبادة فيه أجاز الصوم فيه ومن اعتبر ما رجح الشرع من أنها أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى ولم يقل ليالي أكل وشرب فهو خبر إلهيّ لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فهو إعلام إلهيّ على جهة الخبر والخبر لا يدخله النسخ فأوجب الفطر فيها عبادة واجبة العمل فمن صام فيها فقد رجح نظره على خبر الله تعالى بما ينبغي أن يعمل فيها ومن نازع الله في شيء قال

إنه له فقد عرّض بنفسه للهلاك فإن الصوم له والفطر لك وما رخص في صومها المجتهد إلا لمن لم يجد الهدى كذا قال البخاريّ عن عائشة وابن عمر ثم جعل لك فيها ذكر لله وهو قوله تعالى "فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم أباءكم أو أشدّ ذكرا" فأمركم فيها بذكر الله فإن العرب كانت في هذه الأيام في الموسم تذكر أنسابها وأحسابها لاجتماع قبائل العرب في هذه الأيام تريد بذلك الفخر والسمعة فهذا معنى قوله "كذكركم آباءكم" أي اشتغلوا بالثناء على الله بما هو عليه على طريق الفخر إذ كنتم عبيده وفخر العبد بسيده فإنه مضاف إليه وأكبر من ذلك من كونه منه كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته والعبد لا فخر له بأبيه بل فخره بسيده وإن افتخر العبد بأبيه فإنما يفتخر به من حيث أن أبه كان مقرّباً عند سيده لأنه عبد مثله ممتثلاً لأمره واقفاً عند حدوده ورسومه فإنه أيضاً عبد الله فلهذا قال "كذكركم آباءكم فما نهاهم عن ذكر أبائهم ولكن رجح ذكرهم الله على ذكرهم آباءهم بقوله "أو أشدّ ذكرا" وهو الموصي عباده بقوله أن اشكر لي ولوالديك أي كونوا أنتم من إيثار ذكر الله والفخر به من كونه سيدكم وأنتم عبيد له على ما كان عليه آباؤكم وذكر الله أكبر وأيّ عبادة كان فيها العبد وفيها ذكر الله فإن ذكر الله أكبر ما فيها من أفعال تلك العبادة وأقوالها قال تعالى "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر" يعني الذي فيها أكبر من جميع أفعالها فإنك إذا ذكرت الله فيها كان جليسك في تلك العبادة فإنه أخبر أنه جليس من ذكره وإذا كان جليسك فلا يخلو إمّا أن تكون ذا بصر إلهيّ فتشهده أو تكون غير ذي بصر إلهيّ فتشهده من طريق الإيمان إنه يراك فتكون في هذه الحال مثل الأعمى يعلم أنه جليس زيد وإن كان لا يراه فهو كأنه يراه فالرائي له يشهده محرّكاً له في جميع أفعاله والذي لا يراه يحس بأن ثم محرّكاً له في أفعاله بحس الإيمان لا بحس الشهود البصرّي وهو قوله "كأنك تراه" فإنه بالذكر يعلم أنه جليسه ألم يعلم بأنّ الله يرى وجليس الحق لا يمكن أن يكون إلا في خلوة معه ضرورة لا يتمكن أن يثبت مع هذا العبد إذا جالسه الحق جليس آخر جملة واحدة في خاطره لأنها مجالسة غيب قيل لبعضهم اذكرني في خلوتك بالله قال له إذا ذكرتك فلست في خلوة مع الله فكما أنه لا يكلم الله خلقه إلا من وراء حجاب والحجاب عين الكلام كذلك لا تكلمه أنت ولا تذكر عنده نفسك ولا غيرك إلا من وراء حجاب لا بدّ من ذلك فإن المشاهدة للبهت والخرس فلا بدّ للذاكر وإن كان الحق جليسه أن يكون أعمى ولا بدّ وعماه ذكره فالحق جليس غيب عند كل ذاكر فمن غلب عليه مشاهدة الخيال في حق ربه من قوله كأنك تراه وهو استحضار في خيال فمثل ذلك يجمع بين المشاهدة والكلام فإن الجليس في تلك الحال مثلك لا من ليس كمثله شيء وهذا كان حال الشهاب ابن أخي النجيب رحمه الله على ما نقل إليّ الثقة عندي من قوله إن الإنسان يجمع بين المشاهدة والكلام أين هذا الذوق من ذوق المحقق أبي العباس السياري من الرجال المذكورين في رسالة القشيريّ حين قال ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة الحق فناء وليس فيها لذة أين هذا الذوق من ذوق الشهاب فافهم فإنه موضع غلط لأكابر المحققين من

أهل الله فكيف بمن هو دونهم وقد أخبرنا عمن رأيناه من أهل الله المنتمين إلى الله أنه يقول بذلك أعني مثل قول الشهاب فإن كان صاحب علم تامّ فيقوله على حدّ ما رسمناه وإن كان دون ذلك فإنما يقوله كما يقوله من لا علم له بالحقائق ولو قالها بحضوري كنت أفاوضه فيها حتى أعرف بأيّ لسان يقول ذلك فكنت أنسبه إلى ما قال على التعيين فاعلم أنه إن كان قال ذلك على مجرى التحقيق علمنا أنه فوق ما يقول ومنهم من هو تحت ما يقول والذين هم تحت ما يقولون طائفتان طائفة في غاية العلم بالله مما في وسع البشر أن يعلموه من الله والطائفة الأخرى في غاية البعد والحجاب عن الله وهم الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم الذين لا يرون شيأ فوق علم الرسوم فهم يشبهون الطبقة العالية في كونهم تحت ما يقولون كما أنهم شاركوهم في اسم العلم

وانفصلوا عنهم بمن أغنى بالعلوم أي بمن تعلق علمهم وهذا كله مدرك أهل أيام التشريق فإن أكلوا فيها فمن حيث أنها أيام أكل وشرب وذكر وإن صاموا فيها فمن حيث أنها أيام ذكر الله فشغلهم الذكر عن الأكل والشرب فامتناعهم عن الأكل امتناع حال لا امتناع عبادة.

وصل في فصل صيام يوم الفطر والأضحى

هذان اليومان محرم صومهما بحديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد أمّا حديث أبي سعيد الثابت فإنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لا يصح صيام يومين يوم الفطر من رمضان ويوم النحر" وبه يحتج من يرى صيام أيام التشريق لأن دليل الخطاب يقتضي أن ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيها وإلا كان تخصيصهما عبثاً وأما حديث أبي هريرة الثابت أيضاً في مسلم فهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الفطر هو يوم يفطر الناس والأضحى يوم يضحون هكذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره الترمذيّ عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه حديث حسن صحيح وسبب منع الصوم له في هذين اليومين لأن بالفطر والأضحى صح له التمييز بينه وبين ربه فعلم ما له وما لديه فحرم عليه التلبس بالصوم في هذين اليومين اللذين هما دليلان على العلم بالفارق والتمييز فلم يتمكن مع ذلك التلبس بالصوم فإن الصوم لله إذ كان صفة صمدانية منزهة من كانت صفته عن الطعام والشراب فلو تلبس بالصوم مع مشاهدة وجه هذا الدليل لم يكن صادقاً في أخباره عن نفسه أنه في هذا المقام فكان فطره في هذين اليومين عبادة وتكليفاً مشروعاً ليجمع بين الحالتين فأعطاه الكشف العبادة من ذلك لما ذكرناه وأعطاه التكليف الشرعي الأجر في ذلك إذ عمل بحكمه لما نهاه صلى الله عليه وسلم عن صيامهما ولهذا قلنا في رؤية هلال الفطر إنه مستقبل عبادة كما علله بعض العلماء في هلال الصوم وغاب عن تحريم الصوم في هلال الفطر فأوجب في رؤيته شاهدين.

وصل في فصل من دعي إلى طعام وهو صائم

فمن قائل يجيب الداعي ولا بدّ بالاتفاق واختلفوا هل يفطر أو يبقى على صومه فمن قائل أنه يعرّف صاحب الدعوة أنه صائم ويدعو له وبه قال أبو هريرة ومن قائل إنه لا يأكل ويصلي الصلاة المشروعة غير المكتوبة ويدعو للداعي وبه يقول أنس ومن قائل هو مخير بين الفطر وتمام الصوم ولكن إن أفطر قضاه وبه يقول طلحة بن يحيى وغيره ومن قائل إن شاء أفطر ولا قضاء عليه وبه يقول شريك ومجاهد ومن قائل يفطر إن شاء ما لم ينتصف النهار وبه يقول جعفر ابن الزبير ومن قائل بالتخيير في القضاء إذا أفطر وبه تقول أمّ هانىء وسماك بن حرب اعلم وفقك الله توفيق العارفين أن الذي يشرع في الصوم ابتداء من نفسه من غير أن يعين الحق عليه ذلك اليوم الذي يصبح فيه صائماً فإنه عقد عقده مع الله على طريق القربة إليه تعالى من هذه العبادة الخاصة التي تلبس بها وشرع فيها والله يقول له ولا تبطلوا أعمالكم فإن كان في مقام السلوك فلا يعوّد نفسه نقض العهد مع الله تعالى فإن الله يقول "وأوفوا بعهدي أف بعهدكم" ولا سيما فيما أوجبته على نفسك وعقدت عليه مع ربك وهو قوله "لا إلا أن تطوّع" وإن كان من أهل العلم بالله الأكابر الذين حكموا أنفسهم وصحت لهم الخلافة على نفوسهم فهم لا يرون متكلماً ولا آمراً ولا داعياً في الوجود

إلا الله على ألسنة العباد كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهم في جميع نطق العالم كله حالاً ومقالاً بهذه الصفة فإن صحة مقام الشهود تحكم عليهم بذلك فإنهم لا ينكرون ما يعرفون وكما يقول المحجوب فلان تكلم يقول صاحب هذا المقام الحق تكلم على لسان هذا العبد بكذا وكذا أي شيء كان ثم إن المتكلم لا يخلو إمّا أن يكون في هذا المقام أيضاً فيرى أنه ينطق بالحق لا بنفسه أو لا يكون في هذا المقام فللمدعوّ أن ينظر في حال الداعي فإن دعاه بربه أجاب دعوته وقال إني صائم و لم يأكل ودعا لأهل البيت وصلى عندهم وإن شاء أكل إن عرف أن أكله مما يسرّ به الداعي فهو مخير لكماله وتحققه بالصفة فإن الكامل له التخيير في المشيئة أبداً فإن شاء وإن شاء ما لم يعزم فإن عزيمته مثل قوله "ما يبدّل القول لديّ" ومثل قوله ولا بدّ له من لقائي وأمثال ذلك وإن دعاه هذا الداعي بنفسه فإنه لا يدعو إلا مثله فإنه ما يدعو إلا من يصح منه الأكل والشرب ولولا ما هذا شهوده ما دعاه فليس لهذا السامع أن يأكل وليتم صومه ولا بدّ فإن حق الله أحق بالقضاء وقد تعين عليه حق الله بما أدخل نفسه من هذا التلبس بالصوم فإن قالت له نفسه الأكلة ما دعاك إنما كانت الدعوة لي لا لك فإجابتي لدعوته هو عين أكلي فإنه يقول لها إنما كان لك ذلك لو لم تدخل نفسك بتداء مع الحق في هذه العبادة من غير أن يلزمك بها فلما تلبست بها تعين عليك إتمامها فإن ذلك من حقك الذي أوجبته على نفسك وحقك عليك أولى من حق غيرك عليك وقد عرّفك الحق بذلك على لسان نبيك فقال إن أفضل الصدقات ما تصدقت به على نفسك وقال في القائل نفسه حرّمت عليه الجنة وقال في القاتل غيره إذا مات و لم يقتض منه إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه فإن أفطرت فرّطت في حق نفسك وأدّيت حق غيرك وفي حق نفسك حق الله فتمنعها من الفطر وتشغلها بالصلاة عوضاً من ذلك يريد أنه يكون مناجياً لله تعالى الذي هو أشرف داع وأكمله وقد دعاه إلى الصلاة في هذه الحال فإنه قال له على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وإن كان صائماً فليصل فأمره بالصلاة في هذه الحال.

وصل في فصل صيام الدهر

لا يصح إلا للدهر لا لغير الدهر فإن صيام الدهر في حق الإنسان إنما هو أن يصوم السنة بكمالها ولا يصح له ذلك من أجل يوم الفطر والأضحى فإن الفطر فيهما واجب بالاتفاق فلهذا ما يصح فإن الدهر اسم الله والصوم له فما كان لله فما هو لك وإنما يكون لك ما لم يحجره عليك فإذا حجره وهو بالأصالة ليس لك فقد أخبرك أنه لا يحصل فإن فعلته عملت في غير معمل وطمعت في غير مطمع.

وصل في فصل
صيام داود ومريم وعيسى عليهم السلام

أفضل الصيام وأعدله صوم يوم في حقك وصوم يوم في حق ربك وبينهما فطر يوم فهو أعظم مجاهدة على النفس وأعدل في الحكم ويحصل له في مثل هذا الصوم حال الصلاة كحالة الضوء من نور الشمس فإن الصلاة نور والصبر ضياء وهو الصوم والصلاة عبادة مقسومة بين رب وعبد وكذلك صوم داود عليه السلام صوم يوم وفطر يوم فتجمع ما بين ما هو لك وما هو لربك ولما رأى بعضهم أن حق الله أحق لم ير التساوي بين ما هو لله وما هو للعبد فصام يومين وأفطر يوماً وهذا كان صوم مريم عليها السلام فإنها

رأت أنّ للرجال عليها درجة فقالت عسى اجعل هذا اليوم الثاني في الصوم في مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكمال كما شهد به للرجال ولما رأت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد فقالت صوم اليومين مني بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام الرجال بذلك فساوت داود في الفضيلة في الصوم فهكذا من غلبت عليه نفسه فقد غلبت عليه ألوهيته فينبغي أن يعاملها بمثل ما عاملت به مريم نفسها في هذه الصورة حتى تلحق بعقلها وهذه إشارة حسنة لمن فهمها فإنه إذا كان الكمال لها لحوقها بالرجال فالأكمل لها لحوقها بربها كعيسى بن مريم ولدها فإنه كان يصوم الدهر ولا يفطر ويقوم الليل فلا ينام وكان ظاهراً في العالم باسم الدهر في نهاره وباسم القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم في ليله فادّعى فيه الألوهية فقيل إنّ الله هو المسيح ابن مريم وما قيل ذلك في نبيّ قبله فإنه غاية ما قيل في العزير أنه ابن الله ما قيل هو الله فانظر ما أثرت هذه الصفة من خلف حجاب الغيب في قلوب المحجوبين من أهل الكشف حتى قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم فنسبهم إلى الكفر في ذلك إقامة عذر لهم فإنهم ما أشركوا بل قالوا هو الله والمشرك من يجعل مع الله إلهاً آخر فهذا كافر لا مشرك فقال تعالى "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم" فوصفهم بالستر واتخذوا ناسوت عيسى مجلى ونبه عيسى على هذا المقام فيما أخبر الله تعالى تثبيتاً لهم فيما قالوا فقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فقالوا كذلك نفعل فعبدوا الله فيه ثم قال لهم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة أي حرّم الله عليه كنفه الذي يستره والله قد وصفهم بالستر حيث وصفهم بالكفر فهي آية يعطي ظاهرها نفس ما يعطي ما هو عليه الأمر في ذلك والتأويل فيها يلحق بالذم فإن تفطنت لما ذكرناه وقعت في بحر عظيم لا ينجو من غرق فيه أبداً فإنه بحر الأبد فما أحكم كلام الله لمن نظر فيه واستبصر وكان من الله فيه على بصيرة.

وصل في فصل

صوم المرأة التطوّع وزوجها حاضر

ذكر مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تصوم المرأة وعلها شاهد إلا بإذنه" الحديث الاتفاق على وجوب صوم رمضان ولهذا زاد أبو داود في هبذا الحديث "غير رمضان" فاعلم أن المرأة هي النفس المؤمنة وبعلها المتحكم فيها إنما هو إيمانها بالشرع لا الشرع ثم الشارع يشرع لإيمانها به ما شاء أنن يشرع فلا تدخل في فعل ولا تشرع في عمل إلا بإذنه أي بحكمه وقليل من عباد الله من يفعل هذا فتلحظ حكم الشرع في جميع أفعاله عند الشروع في الفعل فلو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم ولهذا يفوتهم خير كثير وعلم كبير.

وصل في فصل صوم المسافر

ثبت في الصحيحين مسلم والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من البر أن تصوموا في السفر لفظة من في هذاع الحديث من رواية البخاريّ فإن حديث مسلم ليس البر بغير من سمى السفر سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال لما فيه من المشقة والجهد لأهل الثورة ولليسار فكيف حال الضعفاء فمن أسفر له عمله عن عامله صار عن صومه بمعزل وتركه للعامل فلا يدّعيه مع أنه صائم وهذا هو الصوم الذي لا يشوبه رياء عنده فإنه ليس من البرّ أو ليس البر أن يدّعي الإنسان فيما يعلم أنه ليس له أنه له ولو كان بربه متحققاً وهذه إشارة فقف عندها فقد طال الكلام في هذا الباب.

وصل في فصل في عدد أيام الوجوب في الصوم

عدد أيام الوجوب في الصوم مائتا يوم وستة وعشرون يوماً والنذر لا ينضبط فنحضسه وغايته سنة ينقص منها ستة أيام أو ثلاثة أيام من أجل من يحرّم صوم أيام التشريق أو يومين وهو موضع الاتفاق يوم الأضحى ويوم الفطر وأقل النذر في الصوم يوم واحد فإن نظرت إلى أقله قلت سبعة وعشرون يوماً ومائتان وما عدا هذا العدد فليس بواجب منها لمن جامع في رمضان والظهار وقتل الخطأ ستون ستون ستون ومنها رمضان ثلاثون ومنها للفداء في الحج ثلاثة ولليمين ثلاثة وللتمتع عشرة وللنذر واحد على الأقل ومنها ما هو واجب مخير وموسع ومعين بالزمان مضيق فاعلم أنه لو لم يكن بين الصوم وبين هذه الأفعال التي أوجبته أو الأفعال التي يكون عوضاً عنها مناسبة ما صح أن يقوم مقامها وذلك من كل صوم يكون كفارة وهو قولنا الواجب المخير فمنه ما يحل به ما كان حرم عليه ومنه ما يسقط به حق الله عليه ومنه ما يسقط به حق الله وحق الغير عليه وقيل لي لما عرفت بهذه الأيام ووجوبها قد وكلناك إلى نفسك في استخراج هذه المناسبات وما أنت وحدك بل كل من عرف بها حتى علمها حجر عليه أن يعلم بها إذا علمها بأي طريق فهذا منعني من إيضاح هذه المناسبات فالوقوف عند الأوامر الإلهية والإشارات الربانية على أهل هذه الطريق واجب.

وصل في فصل السواك للصائم

ثبت في الحسان عن عامر بن ربيعة أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا أحصي "تسوّك وهو صائم" فمن قائل به مطلقاً في سائر اليوم وبه أقول ومن قائل بكراهيته له من بعد الظهر فمن راعى حكم الخلوف كرهه وهو ناقص النظر في ذلك فإنه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنّ السوّاك مطهرة للفم مرضاة للرب" فهو طاهر مطهر يرضي الرب وينظف الأسنان من القلح والصفرة التي تطلع عليها فإن البزار روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه "ما لكم تدخلون عليّ قلحاً استاكوا" فذكر ما هو حظ البصر وما تعرّض للشم والخلوف لا يزيله السواك فإنه تغير في المعدة يظهره التنفس فصاحب هذا النظر والذي يقول استنوق الجمل سواء وإذا كان الخلوف من الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك فيوم القيامة تتغير رائحته برائحة المسك فما هو هناك خلوف وما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في حق الصائم نهي عن التسوّك في حال صومه أصلاً ولا كراهة بل هو أمر مندوب إليه مرغب فيه مطلقاً من غير تقييد بزمان ولا حال وهو أقرب إلى الوجوب منه إلى الندب مما أكد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا الخبر جبر القلب الصائم لما ظهرت من فيه رائحة يتأذى منها جليسه إذا كان غير مؤمن وأما المتحلي بالإيمان حاشاه من التأذي فإنه من الإيمان أن يعرف مترل الخلوف للصائم عند الله فهو يستحسن للغرض النفسي ما يستقبحه السليم النظر فكيف حال المؤمن إذا أحس بما يرضي الرب يلهج به فرحاً وعندنا بالذوق علامة إيمانه أن يدرك ذلك الخلوف مثل رائحة المسك هنا فإذا ورد مثل هذا الخبر في تشريف هذه الرائحة على أمثالها من الروائح باعتناء الله بها انجبر قلب الصائم ورغب في الزيادة من الصوم وعلم أن الملائكة ورجال الله لا يتأذون في مجالسته من خلوف فمه فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم ورد ذلك في روائح الثوم وأمثاله لا في خلوف فم الصائم فإن تسوّك الصائم كان أعلى مترلة ممن لم يتسوّك في أي

وقت كان فإنه في زيادة عمل يرضي الله وهو التسوّك واعلم أن الخلوف ليس للإنسان وإنما هو أمر تقتضيه الطبيعة للتعفين الذي يكون فيما يبقى في المعدة من فضول الطعام و لم يحجبه بطعام جديد طيب الرائحة فيخرج لانفس من القلب فيمرّ على المعدة فيخرج بما يمرّ عليه من طيب وخبيث حساً كما يجده الملك معنى إذا كذب العبد الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلاً من نتن ما جاء به يجد ذلك النتن من الكاذب بالإدراك الشميّ أهل الروائح فإن كان حاكماً وهو من أهل هذا المقام وله هذه الحال وقشهد عنده بالزور في حكومة تعين عليه أن لا يمضي الحكم للمشهود له وإن حكم له فإنه آثم عند الله وهذه مسئلة عظيمة الفائدة لأهل الأذواق فإن الحاكم وإن لم يحكم بعلمه فلا يجوز له أن يخالف علمه أصلاً وذلك في الأموال وأمّا في الأبشار فما يجب عليه إمضاء الحكم على المحكوم عليه لأمر آخر لا أحتاج إلى بيانه ولما كان الصوم سبب الخلوف والصوم لله وجب على المرمن أن يحتمل ما يجده من خلوف فم الصائم وراعى الله تعالى الواجد لذلك بأن أمر الصائم بتعجيل الفطر وتأخير السحور لإزالة الرائحة من أجل جلسائه وجعل له فرحة بالطبع بفطره اعتبار آخر في المقابلة أمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور لتكون المناجاة في هاتين الصلاتين بريح طيبة إذ كان زمن الصوم قد انقضى فخلوفه بعد انقضاء زمن الصوم ما هو خلوف الصائم فإن خلوف الصائم إنما هو في حال صومه ثم إن الله يقول في هذا الخبر الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن طيب خلوف فم الصائم عند الله" إنما ذلك في يوم القيامة إذا اتفق للصائم أن لا يزيله فإن أزاله بسواك أو بما لا يفطر الصائم كان أطهر وأطيب وانتقل من طيب إلى طيب وأرضى الله فإن الخلوف لا أثر له في الصوم وقد ورد أنّ الله أحق من تجمل له ومن التجمل استعمال ما يطب الروائح ويزيل ما فيها من الخبث فإنّ الله جميل يحب الجمال وكل شيء فجماله بما يناسبه وما يقتضيه مما يتنعم به المدرك من طريق ذلك الإدراك عينه من سمع وبصر وشم وذوق ولمس بمسموع ومبصر ومشموم ومطعوم وملموس ثم إنه قد ورد صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بغيرسواك فمن باب الإشارة صلاةك بربك أفضل من صلاتك بنفسك فأشار إلى السوى والسبعون إشارة في اعتبار الغالب في عمر الإنسان

فإن المسبعات كثيراً ما يعتبرها الشرع في البسائط والمركبات وأما طريقة تفسير هذا الحديث فكونه جمع بين طهارتين الوضوء والسواك والمقصود بالوضوء هنا المضمضة وهي من فرائض الوضوء عندنا بالسنة والفهم هو محل المناجاة فإن الصلاة محادثة مع الله نهاراً ومسامرة ليلاً واختصاص سرّاً أي مساررة وتبليغ جهراً للقائم والقاعد والراقد على جنب وإذا كنت من عالم الإشارة وصليت بسواك فلا تصل به إلا من اسمه السبوح القدّوس فإن القدّوس يعطي التسوّك وإنما فرقنا في التعبير بين الإشارة والتحقيق لئلا يتخيل من لا معرفة له بما آخذ أهل الله إنهم يرمون بالظواهر فينسبونهم إلى الباطنية وحاشاهم من ذلك بل هم القائلون بالطرفين كان شيخنا أبو مدين يذم الطرفين على الانفراد ويقول إن الجامع بين الطرفين هو الكامل في السنة والمعرفة والاشتراك وقع في تلفظه بسواك والكاف في السواك أصلية من نفس الكلمة وهي في الاستثناء مضافة ما هي أصلية ومن جعلها من باب التحقيق نظر إلى كون إضافة المخاطب أمراً واحداً فجعلها أصلية في الإضافة كالكلمة الواحدة واعتبر التركيب فيها اعتبار تركيب الحروف في الكلمة فلا يصح ذلك عن فكر لقد كانوا يفضلون به غيرهم فكيف بمن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى إن الله هو الرزاق والعلم رزق الأرواح ذو القوة المتين.

وصل في فصل من فطر صائماً

لما ورد الخبر الذي خرّجه الترمذيّ عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء وقال فيه حديث صحيح فالصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه فلمن فطره أجر فطره لا أجر صومه فافهم وعلمنا من هذا الخبر أن الفطر من تمام الصوم وأنه من أعان شخصاً على عمل كان مشاركاً له فيما يؤدّي إليه ذلك العمل من الخير لا مشاركة توجب نقصاً بل هو على التمام لكل واحد من الشريكين كما جاء في الحديث من سنّ سنة حسنة الحديث فجعل الفطر من تمام الصوم وأنه جزء منه ومن تلبس بجزء من الشيء المتناسب الأجزاء حصل له خير ذلك الشيء وإن لم يحصل ولا اتصف بذلك الأمر كله كما اتصف به صاحبه كمن اتصف بجزء من أجزاء النبوّة فله أجر من ثبتت له النبوّة وفضلها من غير أن يتلبس بها كلها فليس بنبيّ ولهذا ورد أنه يأتي يوم القيامة ناس ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء إذ كانت الأنبياء نالت هذه الفضيلة بما في النبوّة من الأثقال والمشاق وهؤلاء بجزء منها قد اتصفوا أو أكثر من جزء وتلبسوا به وربما كان هذا الجزء منها ومما لا مشقة فيه ونالوا فضل من تلبس بها كلها كالفقير مع صاحب المال فيما يتمناه من فعل الخير إذا رأى صاحب المال أو العلم يفعل في ذلك ما لا يتمكن للفقير فعله فهما في الأجر سواء وما اشتركا إلا في النية وزاد عليه صاحب النية بسقوط الحساب والمسألة فيم أنفق ومم اكتسب فهؤلاء هم الذين يغبطهم النبيون في ذلك المقام ولكن في القيامة في الموقف لا في الجنة وهو قوله تعالى "لا يحزنهم الفزع الأكبر" فإن الرسل تخاف على أممها لا على أنفسها والمؤمنون خائفون على أنفسهم لما ارتكبوه من المخالفات وهؤلاء ما لهم اتباع يخافون عليه ولا ارتكبوا مخالفة توجب لهم الخوف فلا يحزنهم الفزع الأكبر وكذلك الأنبياء يعطى لكل نبيّ أجر الأمّة التي بعث إليهم سواء آمنوا به أو كفروا فإن نية كل نبيّ يودّ لو أنهم آمنوا فتساوى الكل في أجر التمني ويتميز كل واحد عن صاحبه في الموقف بالاتباع فالنبيّ يأتي ومعه السواد الأعظم وأقل وأقل حتى يأتي نبيّ ومعه الرجلان والرجل ويأتي النبيّ وليس معه أحد والكل في أجر التبليغ سواء وفي الأمنية فمن فطر صائماً فقد اتصف بصفة إلهية وهي اسمه الفاطر فإن الله فطر الصائم مع غروب الشمس سواء أكل أو لم يأكل أو شرب أو لم يشرب فهو مفطر شرعاً وأخرجه غروب الشمس من التلبس بالصوم وهذا فطره بما أطعمه فلما حصل في هذه الدرجة كان متخلفاً بما هو لله كما كان الصائم متلبساً في صومه بما هو لله من التنزيه عن الطعام والشراب والصاحبة وكل وصف مفسد للصوم.

وصل في فصل صوم الضيف

لما خرّج الترمذيّ عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل على قوم فلا يصومن تطوّعاً إلا بإذنهم علمنا أن الصوفية أضياف الله فإنهم سافروا من حظوظ أنفسهم وجميع الأكوان إيثاراً للجناب الإلهيّ فنزلوا به فلا يعملون عملاً إلا بإذن من نزلوا عليه وهو الله فلا يتصرّفون ولا يسكنون ولا يتحرّكون إلا عن أمر إلهيّ ومن ليست له هذه الصفة فهو في الطريق يمشي بقطع مناهل نفسه حتى يصل إلى ربه فحينئذ يصح أن يكون ضيفاً وإذا أقام عنده ولا يرجع كان أهلاً لأن أهل القرآن وهو الجمع به تعالى هم أهل الله وخاصته حكاية كان شيخنا أبو مدين بالمغرب قد ترك الحرفة وجلس مع الله على ما يفتح الله له وكان على طريقة عجيبة مع الله في ذلك الجلوس فإنه ما كان يردّ شيأ يؤتى إليه به مثل الإمام عبد القادر الجيليّ سواء غير أن عبد القادر كان أنهض

في الظاهر لما يعطيه الشرف فقيل له يا أبا مدين لم لا تحترف أو لم لا تقول بالحرفة فقال أقول بها فقيل له فلم لا تحترف فقال الضيف عندكم إذا نزل بقوم وعزم على الإقامة كم توقيت زمان وجوب ضيافته عليهم قالوا ثلاثة أيام قال وبعد الثلاثة الأيام قالوا يحترف ولا يقعد عندهم حتى يحرجهم قال الشيخ الله أكبر أنصفونا نحن أضياف ربنا تبارك وتعالى نزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة عنده إلى الأبد فتعينت الضيافة فإنه تعالى ما دل على كريم خلق لعبده إلا كان هو أولى بالاتصاف به قالوا نعم قال وأيام ربنا كما قال كل يوم كألف سنة مما تعدّون فضيافته بحسب أيامه فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة وانقضت ولا نحترف يتوجه اعتراضكم علينا ونحن نموت وتنقضي الدنيا ويبقى لنا فضلة عنده تعالى من ضيافتنا فاستحسن ذلك منه المعترض فانظر في هذا النفس إن كنت منهم.

وصل في فصل استيعاب الأيام السبعة بالصيام

لما ورد في الخبر الذي خرجه الترمذي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والربعاء والخميس علمنا أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يتلبس بعبادة الصوم في كل يوم من أيام الجمعة إمّا امتناناً منه على ذلك اليوم فإن الأيام تفتخر بعضها على بعض بما يوقع العبد المعتبر فيها من الأعمال المقرّبة إلى الله من حيث أنها ظرف له فيريد العبد الصالح أن يجعل لكل يوم من أيام الجمعة وأيام الشهر وأيام السنة جميع ما يقدر عليه من أفعال البر حتى يحمده كل يوم ويتجمل به عند الله ويشهد له فإذا لم يقدر في اليوم الواحد أن يجمع جميع الخيرات فيفعل فيه ما يقدر عليه فإذا عاد عليه من الجمعة الأخرى عمل فيه ما فاته فيه في الجمعة الأولى حتى يستوفي فيه جميع الخيرات التي يقدر عليها وهكذا في أيام الشهر وأيام السنة واعلم أن الشهور تتفاضل أيامها بحسب ما ينسب إليه كما تتفاضل ساعات النهار والليل بحسب ما ينسب إليه فيأخذ الليل من النهار من ساعته ويأخذ النهار من الليل والتوقيت من حيث حركة اليوم الذي يعم الليل والنهار كذلك أيام الشهور تتعين بقطع الدراري في منازل الفلك الأقصى لا في الكواكب الثابتة التي تسمى في العرف منازل وللقمرأيام معلومة في قطع الفلك وللكاتب أيام أخر وللزهرة كذلك وللشمس كذلك وللأحمر كذلك وللمشتري كذلك وللمقاتل كذلك فينبغي للعبد أن يراعي هذا كله في أعماله فإنه ماله من العمر بحيث أن يفي بذلك فإن أكبر هذه الشهور لا يكون أكبر من نحو ثلاثين سنة لا غير وأمّا شهور الكواكب الثابتة في قطعها في فلك البروج فلا يحتاج إليه لأن الأعمار تقصر عن ذلك لكن لها حكم في أهل جهنم كما أنه لحركات الدراري حكم على من هو في الدرك الأسفل من النار وهم المنافقون خاصة والباطنية ما لهم في الدرك الأسفل مترل وإن مترلهم الأعلى من جهنم والكفار لهم في كل موضع من جهم مترل وأمّا أهل الجنان فالدائر عليهم فلك البروج ولا يقطع في شيء فلا تنتهي حركته بالرصد لأن الرصد لا يأخذه وهو متماثل الأجزاء فلهذا كانت السعادة لا نهاية لها فظهر بها الخلود الدائم في النعيم المقيم إلى ما لا يتناهى والنار ما حكمها حكم أهل النعيم فإن الدائر عليهم فلك المنازل والدراري وهذه الأفلاك تقطع في فلك متناهي المساحة فلهذا يرجى لهم أن لا يتسرمد عليهم العذاب مع كون النار دار ألم والعذاب حكم زائد على كونها داراً فإنا نعلم أن خزنتها في نعيم دائم ما هم فيها بمعذبين مع كونهم ما هم منها بمخرجين لأنهم لها خلقوا وهي دائمة والساكن فيها دائم لكونه مخلوقاً لها فتحقق ما ختمنا به هذا الصوم من سبق الرحمة وغلبتها صفة الغضب والله أجل وأعلى أن لا يكون له في كل مترل

تحل وهو تعالى الخير المحض الذي لا شرّ فيه والوجود الذي لا عدم يقابله والوجود رحمة مطلقة في الكون والعذاب شيء يعرض لأمور تطرأ وتعرض فهو عرض لعارض والعوارض لا تتصف بالدوام ولو اتصفت ما كانت عوارض وما هو عارض قد لا يعرض فلهذا يضعف القول بترمد العذاب فإن الرحمة شملت آدم بجملته وكان حاملاً لكل بنيه بالقوّة فعمت الرحمة الجميع إذ لا تحجير ولا كان يستحق أن يسمى آدم مرحوماً وفيه من لا يقبل الرحمة والحق يقول فتاب عليه وهدى أي رجع عليه بالرحمة وبين له أنه رجع عليه بها فعمته ولله الحمد والله عند حسن ظنّ عبده به.

وصل في فصل قيام رمضان

ليس لاسم إلهيّ حكم في شهر رمضان إلا الاسم الإلهيّ رمضان وفاطر السموات والأرض في كل عبد سواء كان ممن يجب عليه صوم رمضان أم لا يجب عليه إلا عدّة من أيام آخر وذلك في كل فعل عبادة يقام فيها العبد فمن جملة أفعال البرّ فيه قيام ليله لمناجاة رمضان تبارك وتعالى تارة على الكشف إذا كان مواصلاً وتارة من خلف حجاب الاسم الفاطر فإن الأسماء الإلهية يحجب بعضها بعضاً وإن كان لكل واحد من الحاجب والمحجوب سلطنة الوقت فإن بعضها أولى بالحجابة من بعض وذلك سار في جميع أحوال الخلق ذكر أبو أحمد ابن عديّ الجرجاني من حديث عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن عائشة قالت "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل رمضان شدّ مئزره فلم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان" وخرّج أيضاً ملسم عنها أنها قالت "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر تعني العشر الآخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزر" وقيام الليل عبارة عن الصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي والناس في مناجاة الحق فيه على قسمين فمنهم من يناجيه بالاسم الممسك وهو أيضاً من حجاب الاسم رمضان ومنهم من يناجيه بالاسم الفاطر وهو أيضاً من حجابه والناس على اختلاف في أحوالهم.

لولا مزاحمة الرحمن أعمالي ... ما زاحمته على التكوين إخواني
يقول كن وحصول الكون ليس لنا ... وماله في وجود الكون من ثاني
يقول صم فإذا صمنا يقول لنا ... هذا الصيام لنا فأين أعياني
إن قلت لي لم أخاطبكم بما هو لي ... فلي شهود على التكليف آذاني
أسمعتني ثم بعد السمع تسلبني ... فالصوم لي ولكم في الشرع قسمان
إن كنت تسلبني عنه فشأنكم ... و في الصوم ما هو في التحقيق من شاني

والاسم الفاطر على هذا في ليل شهر رمضان أقوى حكماً فينا من الممسك فمن كان حاله في إمساكه يطعمه ربه ويسقيه في مبيته في حال كونه ليس بآكل ولا شارب في ظاهره فهو مفطر وإن كان صائماً وقد ذقت هذا ومن هنا علمت أن قوله صلى الله عليه وسلم لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني إنه نفي أن تشبهه تلك الجماعة التي خاطبهم فلم يكن لهم هذه الحالة إذ لو أراد الأمّة كلها ما ذقته وقد وجدتهخ ذوقاً والحمد لله وإن لم يكن ممن يطعمه ربه ويسقيه في حال وصال صومه فهو متطفل على

من هذه صفته وهو كلابس ثوبي زور ولذلك يكره له الوصال إذا لم تكن له هذه الصفة حالاً يشهدها ذوقاً في نفسه ويظهر أثرها عليه في يقظته والله يحب الصدق في موطنه كما يحب الكذب في موطنه وهذا ليس بموطن حب الكذب فإن الله يكرهه في هذا الموطن انتهى الجزء الستون.

الجزء الحادي والستين

بسم الله الرحمن الرحيم

فإذا ناجى الله العبد في هذا الزمان الخاص بالحال الإلهيّ الخاص فينبغي أن يحضر معه الحضور التامّ الذي لا يلتفت معه إلى غيره بجمعيته فيناجيه في كل حركة منه وسكون حساً من حيث أنه هو الباطن ومعنى من حيث أنه هو الظاهر إذ كان الحس ظاهراً والمعنى باطناً فلا يقوم المعنى الأبين يدي الظاهر فإنه لو قام بين يدي الباطن والمعنى باطن الحرف الذي هو المحسوس والحس كان قيام الشيء بين يدي نفسه والشيء لا يقوم بين يدي نفسه لأنه قام للاستفادة والشيء لا يستفيد من نفسه نفسه ألا ترى نزول الحق للتعليم والتعريف لنا وهو العليم بكل شيء بما كان ويكون ومع هذا أنبأ عن حقيقة لا نردّ تعليماً لنا بما هو الأمر عليه وإن الحكم للأحوال فأنزل نفسه مترلة المستفيد وجعل المقيد له من خطابه فقال ولنبونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين مع أنه هو العالم بما يكون منهم ولكن الحال يمنع من إقامة الحجة له سبحانه علينا وقال فلله الحجة البالغة فلم يبق بالابتلاء لأحد حجة على الله فحسم بذلك الابتلاء احتمال قولهم لو حكم يعلمه فيهم أن يقولوا لو بلوتنا وجدتنا واقفين عند حدودك وهذا يسمى علم الخبرة وهو الاسم الخبير في قوله تعالى "عليماً خبيراً" فهذه رائحة إلهية في الاستفادة للشيء من غيره لا من نفسه فنحن أولى بهذه الصفة فلذلك جعلنا ظاهر العبد يناجي الاسم الباطن وباطن العبد يناجي الاسم الظاهر ويقوم بين يديه فيقام مستفيد فيهبه ما شاء أن يهبه فإذا رأيت المستفيد قد استفاد في قيامه خرق العوائد المدركة بالحس المسماة كرامات الأولياء في العموم وآيات الأنبياء الرسل عليهم السلام فذلك أعطية الاسم الظاهر وإذا رأيته قد استفاد علوماً وحكماً تحار العقلو فيها او تردّها او تقبلها من حيث ما يدركها بالقوّة المفكرة فذلك كله اعطية الاسم الباطن فاجعل بالك لما نبهتك عليه ونصحتك لتعلم من تناجي ولا تخلط فيخلط عليك فإن الله يقول "وللبسنا عليهم ما يلبسون" وقال "ومكروا ومكر الله" ثم نفى المكر عنهم فقال "بل لله المكر جميعاً" يعني المكر المضاف إلى عباده والمكر المضاف إليه سبحانه والله سبحانه قد أمرني على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم خطاباً عاماً ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة غير مرّة بمكة وبدمشق فقال لي انصح عبادي في مبشرة أريتها فتعين على الأمر اكثر مما تعين على غيري فالله يجعل ذلك لي من الله عناية وتشريفاً لا ابتلاء وتمحيصاً فمن قام بين يدي الله تعالى بهذه المعرفة فهو القائم وغن كان نائماً فغنه ما نام غلا به ومن لم يقم بين يديه بهذه المعرفة فهو نائم وغن كان قائماً فكن رقيباً عليه في قلبك فإنه الذي وسعه كما هو رقيب عليك فغنك لا تعلم مواقع آثاره فيك وفي غيرك غلا بالمقراقبة واعلم ان القائمين في شهر رمضان في قيامهم على خاطرين منهم القائم لرمضان ومنهم القائم لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والناس فيها على خلاف والقائم فيه لرمضان لا يتغير عليه الحال بزيادة ولا نقصان والقائم لليلة القدر يتغير عليه الحال بحسب مذهبه فيها واختلف الناس في ليلة القدر أعني في زمانها فمنهم من قال هي في السنة كلها تدور وبه أقول فإني رايتها في شعبان وفي شهر ربيع وفي شهر رمضان واكثر ما رأيتها في شهر رمضان وفي العشر الآخر منه ورأيتها مرّة في العشر الوسط من رمضان في غير ليلة وتر وفي الوتر منها فإنا على يقين من أنها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه فمن قام من أجل ليلة القدر فقد قام لنفسه وإن كان قيامه لترغيب الحق في التماسها ومن قام لأجل الاسم الذي أقامه رمضان او غيره فقيامه لله لا لنفسه وهو اتم والكل شرع فمن الناس عبيد ومنهم اجزاء ولأجل الإجارة نزلت الكتب الإلهية بها بين الأجير والمستأجر فلو كانوا عبيداً ما كتب الحق كتاباً لهم على نفسه

فغن العبد لا يوقت على سيده إنما هو عامل في ملكه ومتناول ما يحتاج إليه فهؤلئك لهم أجرهم والعبيد لهم نورهم وهو سيدهم فإنه نور السموات والأرض قال تعالى أولئك هم الصيدقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم يعني الأجراء وهم الذين اشترى الحق منهم أنفسهم ونورهم وهم العبيد والإماء جعلنا الله وإياكم من أعلاهم مقاماً وأحبهم إليه أنه الوليّ المحسان واعلم أن ليلة القدر إذا صادفها الإنسان هي خير له فيما ينعم الله به عليه من ألف شهر إن لو لم تكن إلا واحدة في ألف شهر فكيف وهي في كل اثني عشر شهراً في كل سنة هذا معنى غريب لم يطرق أسماعكم إلا في هذا النص ثم يتضمن معنى ىخر وهو أنها خير من ألف شهر من غير تحديد وإن كان الزائد على ألف شهر غير محمدود فلا يدربي حيث ينتهي فما جعلها الله إنها تقاوم ألف شهر بل جعلها خيراً من ذلك أي أفضل من ذلك من غير توقيت فإذا نالها العبد كان كمن عاش في عبادة ربه مخلصاً أكثر من ألف شهر من غير توقيت كمن يتعدّى العمر الطبيعيّ يقع في العمر المجهول وإن كان لا بدّ له من الموت ولكن لا يدري هل بعد تعدية العمر الطبيعيّ بنفس واحد وبآلاف من السنين فهكذا ليلة القدر إذا لم تكن محصورة كما قدّمنا واعلم أن الشهر هنا بالاعتبار الحقيقيّ هو العبد الكامل إذا مشى القمر الذي جعله الله نوراً فأعطاه اسماً من أسمائه ليكون هو تعالى المراد لا جرم القمر فالقمر من حيث جرمه مظهر من مظاهر الحق في اسمه النور فيمشي في منازل عبده المحصورة في ثمانية وعشرين فإذا انتهى سمى شهراً على الحقيقة لأنه قد استوفى السير واستأنف سيراً آخر هكذا من طريق المعنى دائماً أبداً فإن فعل الحق في الكائنات لا يتناهى فله الدوام بإبقاء الله تعالى كما أن العبد يمشي في منازل الأسماء الإلهية وهي تسعة وتسعون التاسع والتسعون منها الوسيلة وليست إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم والثمانية والتسعون لنا كالثمانية والعشرين من المنازل للقمر ويسميه بعض الناس الإنسان المفرد والعشرون خمس المائة لأنها في الأصل مائة اسم لكن الواحد أخفاه للوترية فإن الله وتر يحب الوتر فالذي أخفاه وتر والذي أظهره وتر أيضاً وغنما قلنا منبهين على منازل القمر ثمانياً وعشرين منزلة لأنها قامت من ضرب أربعة في سبعة ونشأة الإنسان قامت من أربعة أخلاط مضروبة في سبع صافت من حياة وعلم وإرادة وقدرة وكلام وسمع وبصر فكان من ضرب المجموع بعضه في بعضه الإنسان ولم يكن له ظهور إلا بالله من اسمه النور لأن النور له إظهار الأشياء وهو الظاهر بنفسه فحكمه في الأشياء حكم ذاتي كذلك الشهر ما ظهر إلا بسير القمر من حيث كونه نوراً في المنازل قال تعالى "والقمر قدرناه منازل" فإذا انتهى فيها سيره فهو الشهر المحقق وما عداه مما سمي شهراً فهو بحسب ما يصطلح عليه فلا منافرة ولله تعالى في كل منزلة من العبد ينزلها اسم النور حكم خاص قد ذكرناه في هذا الكتاب في نعت السالك الداخل والسالك الخارج أيضاً والفاصل بين السلوكين ليلة الأبدار وهي ليلة النصف من ثمانية وعشرين ليلة الرابع عشر من الشهر المحقق وليلة السرار منه والنور فيه كامل أبداً فإن له وجهين والتجلي له لازم لا ينفك عنه فغما في الوجه الواحد وإما في الوجهين بزيادة ونقص في كل وجه فله الكمال من ذاته لابد منه وله الزيادة والنقص من كونه له وجهان فكلما زاد من وجه نقص من وجه آخر وهو هو لحكمة قدرها العزيز العليم:

وفي كفتي ميزاننا لك عبرة ... وأنت لسان فيه إن كنت تعقل
إذا رجحت إحداهما طاش أختها ... وأنت لما فيها تميل وتسفل

وجعل سبحانه إضافة الليل إلى القدر دون النهار لأن الليل شبيه بالغيب والتقدير لا يكون إلا غيباً لأنه في نفس الإنسان والنهار يعطي الظهور فلو كان بالنهار لظهر الحكم في غير محله ومناسبه فإن الفعل في الظاهر لا يظهر إلا على صورة ما هو في النفس

فخرج من غيب إلى شهادة بالنسبة إلى الله ومن عدم إلى وجود بالنسبة إلى الخلق فهي ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فيترل الأمر إليها عيناً واحدة ثم يفرق فيها بحسب ما يعطيه من التفاصيل كما تقول في الكلام إنه واحد من كونه كلاماً ثم يفرق في المتكلم به بحسب أحوال الذي يتكلم به إلى خبر واستخبار وتقرير وتهديد وأمر ونهي وغير ذلك من أقسام الكلام مع وحدانيته فهي ليلة مقادير الأشياء والمقادير ما تطلب سوانا فلهذا أمرنا بطلب ليلة القدر وهو قوله صلى الله عليه وسلم التمسوها لنستقبلها كما يستقبل القادم إذا جاء من سفره والمسافر إذا جاء من سفره فلا بد له إذا كان له موجود من هدية لأهله الذين يستقبلونه فإذا استقبلوه واجتمعوا به دفع إليهم ما كان قد استعده به لهم فتلك المقادير فيهم وبذلك فليفرحوا فمنهم من تكون هديته لقاء ربه ومنهم من تكون هديته التوفيق الإلهيّ والاعتصام وكل على حسب ما أراد المقدر أن يهبه ويعطيه لا تحجير عليه في ذلك وعلامتها محو الأنوار بنورها وجعلها دائرة منتقلة في الشهور وفي أيام الأسبوع حتى يأخذ كل شهر من الشهور قسطه منها وكذلك كل يوم من أيام الأسبوع كما جعل رمضان يدور في الشهور الشمسية حتى يأخذ كل شهر من الشهور الشمسية فضيلة رمضان فيعمّ فضل رمضان فصول السنة كلها فلو كان صومنا المفروض بالشهور الشمسية لما عم هذا التعميم وكذلك الحج سواء وكذلك الزكاة في حولها ليس بمعين إنما ابتداؤه من وقت حصول المال عند المكلف فما من يوم في السنة إلا وهو رأس حول لصاحب مال فلا تنفك السنة إلا وأيامها كلها محل للزكاة وهي الطهارة والبركة فالناس كلهم في بركة زكاة كل يوم يعمّ كل من زكى فيه ومن لم يزك وإنما محي نور الشمس من جرم الشمس في صبيحة ليلتها إعلاماً بأن الليل زمان اتيانها والنهار زمان ظهور أحكامها فلهذا تستقبل ليلاً تعظيماً لها فمن فاته إدراكها ليلاً فليرقب الشمس فإذا رأى العلامة عا بما كان يدعو به في الليلة لو عرفها فإن محو نور الشمس لنورها كنور الكواكب مع ظهور الشمس لا يبقى لها نور في العين وبهذا يتقوّى مذهب من يجعل الفجر حمرة الشفق لقوله تعالى "حتى مطلع الفجر أي إلى مطلع الفجر فذلك القدر هو الذي يتميز به حد الليل من النهار الفجر الطالع ما هو ذلك الفجر في ليلة القدر من نور الشمس وإنما هو نور ليلة القدر ظهر في حجم الشمس كما أن نور القمر إنما هو نور الشمس ظهر في جرم القمر فلو ان نور القمر من ذاته لان له شعاع ما هو للشمس ولما ان مستعاراً من الشمس لم ين له شعاع كذلك الشمس لها من نور ذاتها شعاع فإذا محت ليلة القدر شعاع الشمس بقيت الشمس كالقمر لها ضوء في الموجودات بغير شعاع مع وجود الضوء فذلك الضوء نور ليلة القدر حتى تعلو قيد رمح أو أقل من ذلك فحينئذ يرجع إليها نورها فترى الشمس تطلع في صبيحتها صبيحة ليلة القدر كأنها طاس ليس لها شعاع من وجود الضوء مثل طلوع القمر لا شعاع له وإنما ذكرت لك ذلك لتعلم بأيّ نور تستنير في صبيحة ليلة القدر فتعلم أن الحكم في الأنوار كلها لمن نوّر السموات والأرض وأنزل الأنوار ما يفتقر إلى مادّة وهو المصباح فإذا انزل الحق نوره في التشبيه إلى مصباح وهو نور مفتقر إلى مادّة تمدّه وهي الدهن فما هو أعلى منه من الأنوار اقرب إلى التشبيه واعلى في التتريه وغنما أعلمنا الحق بذلك وجاء بكاف الصفة في قوله "كمشكاة" إلى آخر الآية إعلاماً أنه نور كل نور بل هو كل نور وشرع لنا طلب هذه الصفة فكان صلى الله عليه وسلم يقول واجعلني نوراً وكذلك كان صلى الله عليه وسلم.

وصل في فصل التماسها مخافة الفوت

خرّج الترمذيّ عن أبي ذرّ قال "صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم بنا حتى بقي سبع من الشهر فقام بنا حتى ذهب

ثلث الليل ثم لم يقم بنا السادسة وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شطر الليل فقلنا له يا رسول الله لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه فقال إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ثم لم يصل بنا حتى بقي ثلاث من الشهر وصلى بنا في الثالثة ودعا أهله ونساءه وقام بنا حتى تخوّفنا أن يفوت الفلاح قيل وما الفلاح قال السحور" وقال هذا حديث حسن صحيح انظر ما أعجب قول هذا الصاحب حيث سمى السحور فلاحاً والفلاح البقاء ينبه أن الإنسان إنما هو في الصوم بالعرض فإنه لا بقاء له فإن الصوم لله ألا تراه يزول حكمه عن الصائمين بزوال الدنيا فهو في الآخرة يأكل ويشرب بما أسلف في أيام الصوم وهي الأيام الخالية يعني الماضية قال تعالى "كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية" أيام الصوم في الدنيا والآخرة دار بقاء وأكلها دائم وظلها والسحور أكلة غذاء فنبه إن الإنسان في بقائه آكل لا صائم فهو متغذ بالذات صائم بالعرض فالغذاء باق فسماه فلاحاً أي بقاء وهو من السحر والسحر له وجهان كما ذكرنا وجد إلى الليل ووجه إلى النهار وهو الوقت الذي بين الفجرين كذلك الإنسان له البقاء الذي هو الفلاح وهو السحور في مقامه الذي هو فيه فله وجه إلى الواجب الوجود لنفسه ووجه إلى العدم لا ينفك عن ذلك في أيّ حالة كان من وجود أو عدم ولذلك سمي ممكناً ودخل في جملة الممكنات فهذه الصفة له باقية وإن ظهر بنعت إلهيّ في وقت فليس له فيه بقاء وإنما بقاؤه فيما قلناه ولهذا قال الصاحب لما اتصف في ليلته بالقيوم قال تخوّفنا أن يفوتنا الفلاح وهو أن ينقضي زمان الليل وما عرفنا نفوسنا إذ في معرفتنا بها معرفة ربنا لنهم ما فاتهم الفلاح بحمد الله بل أشهدهم الله نفوسهم بالغذاء ليشهدوا أن القيومية له ذاتية وقيومية العبد إنما هي بإمداد ما يتغذى به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فجعل القيومية للغذاء وإن كان هو القائم بها فأنه يقول وإن تلبسنا بالتماس هذه الليلة من الاسم الوتر تعالى فلم يغننا ذلك الالتماس عن حظوظ نفوسنا التي بها بقاؤنا وهو التغذي فإن التماسنا لها إنما هو لما ينالنا من خيرها في دار البقاء فما التمسناها بالعبادة غلا لحظ نفسيّ نبقى به في الدار الآخرة والسحور رب الوقت في الحال وهو سبب في بقاء الحياة الدنيا للعمل الصالح فتخوّفنا أن يفوتنا حمه إذ كان ذلك الحكم عين طلبنا بالالتماس وإن اختلف الدار ثم جعلها صلى الله عليه وسلم في الوتر من الليالي دون الشفع لأنه انفرد بها الليل دون النهار فغنه وتر من اليوم واليوم شفع فإن اليوم عبارة عن ليل ونهار ولكن في تلك السنة لورود النص فإنها قد تكون في الأشفاع إلا في تلك السنة لما ورد في الخبر من التماسها في الأوتار من العشر الآخر ولمعنى آخر ايضاً وهو ان الطلب إذا كان في ليالي وتر الشهر كان الوتر حافظاً لهذا العبد لما تعطيه هذه الليلة من البركات والخير وهو في وتر من الزمان المذكر له وترية الحق فيضيف ذلك الخير إلى الله لا إلى الليلة وإن كانت سبباً في حصوله ولكن عين شهود الوتر يحفظه من نسبة الخير لغير الله مع ثبوت السبب عنده فلو كانت في ليلة شفع وهي سبب لم يكن لهذا العبد من يذكره تذكير حال في وقت التماسه إياها أو في شهوده إياها إذا عثر عليها فكان محصلاً للخير من يد غير أهله فيكون صاحب جهل وحجاب في أخذ ذلك الخير فما كان يقاوم ما حصل له فيها من الخير ما حصل له من الحرمان والجهل لحجابه عن معطي الخير فلهذا أيضاً جعلت في أوتار الليالي فافهم وجعلت في العشر الآخر لأنها نور والنور شهادة وظهور فهو بمنزلة النهار إذ سمي النهار لاتساع النور فيه والنهار متأخر عن الليل لأنه مسلوخ منه والعشر الآخر متأخر عن العشر الأوسط والأول فكان ظهورها والتماسها في المناسب الأبعد وما رأيت أحداً رآها في العشر الأوّل ولا نقل إلينا وإنما تقع في العشر الوسط والآخر خرّج مسلم عن أبي سعيد قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر وكذلك التجلي الإلهيّ ما ورد قط في خبر صحيح نبويّ ولا سقيم إن الله يتجلى في الثلث الأول من الليل وقد ورد أنه يتجلى في

الثلث الأوسط والآخر من الليل وليلة القدر إنما هي حكم تجلي إلهيّ فكانت في الثلث الأوسط والآخر من الشهر و لم تكن في الثلث الأول فإن الأول أنت ولا بدّ فالأولية لك في معرفتك ربك وأنت وهو لا تجتمعان كما أن الدليل والمدلول لا يجتمعان فمن عرف نفسه عرف ربه فقدّمك فإنك الدليل فالأولية لك في المعرفة النظرية والكشفية فإن معرفة الكشف لا تكون إلا بعد رياضة ومجاهدة فلا بدّ من تقدّمك نظراً وكشفاً كما أن علمه بك إنما هو من علمه به فلو لم يتصف بأنه عالم بنفسه ما علمك فتفطن في علم الله بك من أين هو فإنها مسئلة دقيقة جدّاً ذكرناها في كتابنا الموسوم بعقلة المستوفز وفي هذا الكتاب.

وصل في فصل في التماسها في الجماعة بالقيام في شهر رمضان

خرّج أبو داود عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد فقال من هؤلاء فقيل هؤلاء ناس ليس معهم قرآن وأبيّ بن كعب يصلي بهم وهم يصلون بصلاته فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم أصابوا ونعم ما صنعوا فالجمعية فيها أحق للمناسبة فإن قدرها أعظم من ألف شهر لياليه وأيامه فلها مقام هذا الجمع وأنزل الله فيها القرآن قرآناً أي مجموعاً وأنزله بنون الجمع والعظمة فجمع في إنزاله فيها جميع الأسماء بقوله "إنا أنزلناه في ليلة القدر" وفيها تنزل الملائكة ما نزل فيها واحد والروح القائم فيهم مقام أبيّ في الجماعة التي يصلي بهم من كل أمر وكل يقتضي جميع الأمور التي يريد الحق تنفيذها في خلقه وحتى مطلع الفجر نهاية غاية فإنها تتضمن حرف إلى التي للغاية ولا تكون نهاية إلا عن ابتداء فكان جمعاً فهذه الليلة ليلة جمع فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا ونعم ما صنعوا يغبطهم لما ذكرناه والباعث لالتماسها أمور تقتضيها وهي البواعث على التماسها وهو عظم قدرها وعظم من أنزلها وحقارة من التمسها عند نفسه بالتماسها فإنه شاهد بالتماس لهذا الخبر العظيم القدر على نفسه بافتقار عظيم يقابله لأن العبد كلما أراد أن يتحقق بعبودية حقر قدره إلى أن يلحق نفسه بالعدم الذي هو أصله ولا أحقر من العدم فلا أحقر من نفس المخلووق فسمى أيضاً ليلة القدر لمعرفة أهل الحضور فيها بأقدارهم أعني بحقارتها مع أن الخير الذي ينالونه شرّ كالملتمسين في الإمكان والافتقار وأفقر الموجودات من افتقر إلى مفتقر فلا أفقر من الإنسان فإنه لا أعرف بالله منه لجمعيته وعقله ومعرفته بنفسه.

وصل في فصل

إلحاقها من قامها برسول الله في المغفرة

قال الله تعالى يخاطب محمداً صلى الله عليه وسلم "ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر" وذكر مسلم والنسائيّ من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر وفي مسلم فيوافقها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر يقول يستر عنه ذنبه حتى لا يخجل وإن كان ممن قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك كما ورد في الصحيح فيكون قد ستر عنه خطاب التحريم وأبيح له شرعاً فما تصرّف إلا في مباح فإن الله لا يأمر بالفحشاء فلولا عظم قدرها ما ألحقها الله بصفة العلم الذي هو أشرف الصفات ولهذا أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة منه ومعنى قولي ألحقها الله لما ورد في الصحيح أن العبد إذا أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب يقول الله له في الثالثة افعل ما شئت فقد غفرت لك وما ثم سبب

موجب لإباحة ما حرّم عليه فعله إلا العلم فلحق فضل ليلة القدر بمرتبة العلم فيما ذكرناه وقال صلى الله عليه وسلم "من حرم خيرها فقد حرم" ذكره النسائي وأي خير أعظم من رفع التحجير فذلك جنة معجلة.

وصل في فصل الاعتكاف

الاعتكاف الإقامة بمكان مخصوص وفي الشرع لعي عمل مخصوص بحال مخصوص على نية القربة إلى الله جل جلاله وهو مندوب إليه شرعاً واجب بالنذر وفي الاعتبار الإقامة مع الله على ما ينبغي لله إيثار الجناب الله فإن أقام بالله فهو أتم من أن يقيم بنفسه فأما العمل الذي يخصه فمن قائل إنه الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن لا غير ذلك من أعمال البرّ والقرب ومن قائل جميع أعمال البرّ المختصة بالآخرة والذي أذهب إليه أن له أن يفعل جميع أفعال البرّ التي لا تخرجه عن الإقامة بالموضع الذي أقام فيه فإن خرج فليس بمعتكف ولا يثبت فيه عندي الاشتراط وقد ثبت عن عائشة أن السنة للمعتكف أن لا يشهد جنازة ولا يعود مريضاً فاعلم أن الإقامة مع الله إذا كانت بالله فله التصرّف في جميع أعمال البرّ المختصة بمكانه الذي اعتكف فيه والخارجة عنه التي يخرجه فعلها عن مكانه فإن الله يقول وهو معكم أينما كنتم وإذا كانت الإقامة بنفسك لله فقد عينت مكاناً لها فلتلزمها به حتى يتجلى لك في غير ما ألزمتها به فافهم.

وصل في فصل المكان الذي يعتكف فيه

فمن قائل لا يجوز الاعتكاف إلا في الثلاثة المساجد التي تشدّ الرحال إليها ومن قائل الاعتكاف عام في كل مسجد ومن قائل لا اعتكاف إلا في مسجد تقام فيه الجمعة ومن قائل تعتكف المرأة في مسجد بيتها ومن قائل يجوز الاعتكاف حيث شاء إلا أنه إن اعتكف في غير مسجد جاز له مباشرة النساء وإن اعتكف في مسجد فليس له مباشرة النساء وبه أقول إلا أني أزيد أنه إن نوى الاعتكاف في أيام تقام فيها الجمعة فلا يعتكف إلا في مكان يمكن له مع الإقامة فيه أن يقيم الجمعة سواء كان في المسجد أو في مكان قريب من المسجد يجوز له إقامة الجمعة فيه اعلم أن المساجد بيوت الله مضافة إلية فمن استلزم الإقامة فيها فلا ينبغي له أن يصرف وجهه لغير رب البيت فإنه سوء أدب فإنه لا فائدة للاختصاص بإضافتها إلى الله إلا إن لا يخالطها شيء من حظوظ الطبع ومن أقام مع الله في غير البيت الذي أضافه إلى نفسه جاز له مباشرة أهله إلا في حال صومه في اعتكافه إن كان صائماً ومباشرة المرأة رجوع العقل من حال العقل عن الله إلى مشاهدة النفس سواء جعلها دليلاً أو غير دليل فإن جعلها دليلاً فالدليل والمدلول لا يجتمعان فلا تصح الإقامة مع الله وملابسة النفس وأعلى الرجوع إلى النفس وملابستها إن يلابسها دليل وإما أن لم يلابسها دليل فلم يبق إلا شهود الطبع فلا ينبغي للمعتكف أن يباشر النساء في مسجد كان أو في غير مسجد ومن كان مشهده سريان الحق في جميع الموجودات وأنه الظاهر في مظاهر الأعيان وأن باقتداره واستعداداتها كان الوجود في الأعيان رأى إن ذلك نكاح وأجاز مباشرة المعتكف المرأة إذا لم يكن في مسجد فإن هذا المشهد لا يصح فيه أن يكون للمسجد عين موجودة فإنه لا يرى في الأعيان من هذه حالته إلا الله فلا مسجد أي لا موضع تواضع ولا تطأطؤ فافهم.

وصل في فصل قضاء الاعتكاف

ذكر مسلم عن أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فسافر عاماً فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين ليلة الإقامة مع الله على الدوام هو طريق أهل الله ولها الثناء العام وذلك صاحبها الحمد الله على كل حال وهو ذكر الضراء وهو الذكر الأعم الأتم فإنه إذا حمده العبد على الضراء فكيف يكون مع السراء فإن السراء من جملة أحوال العبد وقد دخل تحت عموم قوله كل حال وهو الطرفان وما بينهما وحمد السراء مقيد فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في السراء الحمد الله المنعم المفضل فقيده وهذا هو حمد أيضا أعم من الأول وإن ظهر فيه التقييد ولكن لا يفطن له كل أحد فإن من نعم الله على عبده وإنعامه إن وفقه أن يقول عند الضراء الحمد الله على كل حال فهذا من اسمه المنعم المفضل عليه بهذا القول فإذا اتفق أن ينقل الله من له صفى الإقامة معه على كل حال إلى من يرى الله بعد كل شيء فتزيله هذه الحال عن الإقامة مع الله دائما فيكون بمترلة المسافر الذي يناقض الإعتكاف فيجب عليه القضاء إذا رجع إلى حاله الأول وصورة قضائه الإقامة مع الله الثابت بالدليل الشرعي فإنها أيام أخر وهي العشر الوسط بين العشرين الآخر والأول كذلك هي النعوت التي جاءت بها السريعة من صفات التشبيه بين الحس والعقل وهيي حضرة الخيال ففي هذه الحضرة يقضي الإعتكاف وفي العشر الآخر المتصلة به يعتكف على عادته بصفات التتريه عقلا وشرعا من ليس كمثله شيء.

وصل في فصل

تعين الوقت الذي يدخل فيه الذي يريد الإعتكاف

إلى المكان الذي يقيم فيه

خرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل في معتكفه إعلم أن المعتكف وهو المقيم مع الله على جهة القربة دائما لايصح له ذلك إلا بوجه خاص وهو أن يشهده في كل شيء هذا هو الإعتكاف العام المطلق وثم آخر مقيد يعتكف فيه العبد مع إسم ما الهي يتجاى له ذلك الإسم بسلطانه فيدعوه إلى الإقامة معه وإعتبار مكان االإعتكاف في المعاني هو المكانة وما ثم اسم الهي إلا وهوبين إسمين إلهيين فإن الأمر الإلهي دوري ولهذا لا ينتهي أمر الله في الأشياء فإن الدائرة لا أول لها ولا آخر إلا بحكم الفرض ولهذا خرج العالم مستدير أعلى صورة الأمر الذي هو عليه في نفسه حتى في الأشكال فأول شكل قبل الجسم الكل الشكل المستدير وهو الفلك ولما كانت الأشياء الكائنة من الله عند حركات هذه الأفلاك بما قدره العزيز العليم أعطت الحكمة أن تكون على صورته في الشكل أو ما يقاربها فما من حيوان ولا شجرة ولا ورقة ولا حجر ولا جسم إلا فيه ميل إلى الإستدارة ولا بد منها لكنها تدق في أشياء وتظهر بينة في أشياء واجعل بالك في كل ما خلق الله تعالى من جبل وشجر وجسم تر فيه إنعطافاً إلى الإستدارة كان الشكل الكروي أفضل الأشكال ولما كان التجلي الأعظم العام يشبه طلوع الشمس ومع التجلي الشمسي يكون الإعتكاف العام قيل للمعتكف بترجمان إسم ما إلهي ادخل في إعتكافك في وقت ضهور علامة التجلي الأعظم وهو طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح ليقرب عليك الفتح ولا يقيدك هذا الإسم الإهي الذي أقمت

معه أو تريد الإقامة معه عن التجلي الأعظم الذي هو بمنزلة طلوع الشمس فتجمع في اعتكافك بين التقيد والإطلق فإنه لو دخل المعتكف أول الليل بعدت عليه المسافة الزمانية وظال المدى فربما نسي ما هو الأمر عليه فإن الإنسان مجبول على النسيان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريتهوهذا الحديث بشرى من النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة فلإن آدم رحمه الله فرحمت ذريته كانوا حيثما كانوا جعل لهم رحمة تخصهم بأي دار أنزلهم الله تعالى فإن الأمر إضافي وإن الأصول تحكم على الفروع وهذا يدلك على أن هذه النفوس الإنسانية نتيجة عن هذه الأجسام العنصرية والمتولدةعنها فإنها ما ظهرت إلا بعد تسوية هذة الأجسام وإعتدال إختلاطها فهي للنفوس المنفوخة فيها من الروح المضاف اليه تعالى كالأماكن التي تطرح الشمس شعاعاتها عليها فتختلف آثارها بإختلاف القوابل أين ضوء نور الشمس في الأجسام الكثيفة منه في الأجسام الصقيلة فلهذا تفاضلت النفوس لتفاضل الأمزجة نفساً سريعة القبول للفضائل والعلوم ونفساً أخرى في الضد منها وبينهما متوسطات فهكذا هوو الأمر إن فهمت قال تعالى فإذا سويته يعني جسم الإنسان ونفخت فيه من روحي ولهذا قلنا إن النسيان في الأنسان أمر طبيعي يقتضيه المزاج كما أن التذكر أمر طبيعي أيضا في هذا المزاج الخاص وكذلك جميع القوى التي تنسب الإنسان الأ تراه يقل فعل هذه القوى في أشخاص ويكثر في أشخاص فنبه الشارع بدخول المعتكف مكان إعتكافه بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس.

وصل في فصل اقامة المعتكف مع الله ما هي

اعلم أن الإقامة مع الله إنما هو أمر معنوي لا أمر حسي فلا يقام مع الله إلا بالقلب كما لا يتوجه في الصلاة إلى الله إلا بالقلب وكما تتوجه بوجهك إلى المسماة قبلة وهي الكعبة كذلك يقام بالحس مع أفعال البر وقد يكون من أفعال البر ملاحظة النفس ليؤدي اليها حقها المشروع لها فإن لنفسك عليك حقا وقد يؤثر نفسه على غيرها بإيصال الخير إليها وهو الذي شرعه الله لنا وما لنا طريق إلى الله إلا ما شرعه ولهذا يكلف الإنسان نفسه بعض مصالحها ليعود خير ذلك إليها كخروج المعتكف إلى حاجة الإنسان وإقباله على ما كان من نسائه وأهله ليصلح بعض شأنه في حال إقانتهوإعتكافه ذكر مسلم عن عائشة أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني وهو معتكف في المسجد فيتكيءعلى باب حجرتي فأغسل رأسه وأنا في حجرتي وسائره في المسجد وفي هذا دليل لمن يقول بالحكم الاغلب فإنه ما أخرجه كون رأسه في غير المسجد عن الإعتكاف لأن إلا ما كثر منه في المسجد فراعى حكم إلا كثر في الجرمية.

وصل في فصل

ما يكون عليه المعتكف في نهاره

ذكر أبو أحمد من حديث عبد الله بن ورقاء المكي عن عمر بن دينار عن ابن عمر عن عمر أنه نذر أن يعتكف في المسجد الحرام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف وصم اعتباره أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد الإقامة مع الله أن يقيم معه بصفة هي الله وهي الصوم ليكون مع الله بالله الله فلا يرى منه شيء إلا الله وهذه حالة أهل الله قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أولياء الله قال الذين إذا رؤا ذكر الله أي لتحققهم بالله يغيبون به عنهم وعن عيون الخلق فإذا رآهم الناس لم يروا غير الله

فتذكرهم بالله رؤيتهم مثل الآيات المذكرات وهذا هو المقام الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نور فأجاب الله دعاءه فأخبرنا أنه بعثه إلى الناس بشيراً ونذيراً وداعياص إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا فجعله نوراً كما سأل فإن قوله لربه واجعلني نوراً فأكون بذاتي عين الإسم الإلهي النور ومن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ولاينطق عن الهوى فما هو وما بقي لمن ييراه ما يرى إلا الله عرف ذلك الرائي أو لم يعرفه هكذا يشاهدونه أهل العلم بالله من المؤمنين الخلفاء يظهر في العالم والسوقة بصفات من استخلفها قالت بلقيس في عرشها كأنه هو وما كان إلا هو ولكن حجبها بعد المسافة وحكم العادة وجهلها بقدر سليمان عليه السلام عند ربه فهذا حجبها أن تقول هو هو فقالت كأنه هو وأيّ مسافة أبعد من ليس كمثله شيء ممن مثله أشياء قال الكامل صلى الله عليه وسلم "إنما أنا بشر مثلكم" عن أمر الله قيل له قل فقال قل إنما أنا بشر مثلكم وبهذا علمنا أنه عن أمر الله لأنه نقل الأمر لنا كما نقل المأمور وكان هذا القول دواء للمرض الذي قام بمن عبد عيسى عليه السلام من أمته فقالوا إن الله هو المسيخ بن مريم وفاهم علم كثير حيث قالوا ابن مريم وما شعروا ولهذا قال الله تعالى في إقامة الحجة على من هذه صفته قل سموهم فما يسموهم إلا بما يعرفون به من الأسماء حتى يعقل عنهم ما يريدون فإذا سموهم تبين في نفس الاسم أنه ليس الذي طلب منهم الرسول المبعوث إليهم أن يعبدوه وإنما قلنا هو هو لما يعطيه الكشف الصحيح في الخصوص والإيمان الصريح في العموم كما ورد به الخبر النبويّ الإلهيّ من أن الله إذا أحب عبده كان سمعه وبصره وذكر قواه وجوارحه والإنسان ليس غير هذه الأمور المذكورة الذي جعل الحق هويته عينها فإن نت مؤمناً عرفت بمن أنت وإن نت صاحب شهود صحيح عرفت من شاهدت وأكثر من هذا البيان النبويّ عن الله ما يون في قوّة الإنسان حتى يون المؤمن صاحب حال عيان فيعرف عند ذلك من هو عين هذه الأوان والأعيان.

وصل في فصل

زيارة المعتكف في معتفه المقيم مع الله

من حيث اسم ما تطلبه أسماء أخر إلهية في أعيان أكوان ليظهر سلطانها فيه منازعة للاسم الذي هو مقيم معه

ذر البخاري عن صفية زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في معتكفه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدّثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبيّ صلى الله عليه وسلم معها يقلبها حتى إذا بلغت باب أم سلمة الحديث فهذا اسم إلهيّ حرّك صفية لتزوره حتى يأخذ بوساطتها النبي صلى الله عليه وسلم من الإقامة مع الاسم الإلهي الذي أجاءها فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا الاسم زمان حديثه معها ثم أخرجه من موضع جلوسه حين شيعها وهو نوع سفر لا بل هو سفر بر الرجل بامرأته تعظيماً لحرمتها وقصدها فإن السفر انتقال و لم ينتقل إلا بحكم ذلك الاسم عليه من مكانه فإن المعتكف إذا انتقل إلى حاجة الإنسان من وضوء وما لا بد منه فإن ذلك كله من حكم الاسم الذي أقام معه في مدّة اعتكافه وما من حركة يتحرّكها الإنسان في اعتكافه وغير اعتكافه إلا عن ورود اسم إلهيّ عليه هذا مفروغ منه عندنا في الحقائق الإلهية وأسماء الله لا تحصى كثرة وما من شأن المعتكف تشييع الزائر فما تحرّك لذلك إلا لحكم الاسم الإلهيّ الذي حرّك الزائر إليه فالعين لا

تعرف إلا أنها زائرة لقضاء غرضها من نظر أو حديث والعارف يشهد الأسماء الإلهية ما رأيت شيأ إلا رأيت الله قبله فالاسم الإلهيّ الذي حرّك صفية من وراء حجاب صفية ومع كان يتأدّب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله قام وشيع وكان مطلب ذلك الاسم إظهار سلطانه فيه وقد ظهر وقد بينا ذلك في مجاراة الأسماء الإلهية في أوّل هذا الكتاب وفي عنقاء مغرب.

وصل في فصل اعتكاف المستحاضة في المسجد

كذب النفس لعلة مشروعة ليس بحيض ولذلك تصلي المستحاضة ولا تصلي الحائض ورد عن عائشة على ما ذكره البخاري إنه اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحاضة من أزواجه الحديث فمن وضع الأشياء في مواضعها فقد أعطاها ما تستحقه عليه وهو حكيم وقته فإن الحكمة تعطي وضع كل شيء في موضعه والله عليم حكيم وما ثم شيء مطلق أصلاً لأنه لا يقتضيه الإمكان ولا تعطيه أيضاً الحقائق فإن الإطلاق تقييد فما من أمر إلا وله موطن يقبله وموطن يدفعه ولا يقبله لا بد من ذلك كالأغذية الطبيعية للجسم الطبيعيّ ما من شيء يتغذى به إلا وفيه مضرّة ومنفعة يعرف ذلك العالم بالطبيعة من حيث ما هي مدبرة للبدن وهو المسمى طبيباً ويعرفه الطبيعيّ مجملاً والتفصيل للطبيب فما في العالم لسان حمد مطلق ولا لسان ذم مطلق والأصل الأسماء الإلهية المتقابلة فإن الله سمى لنا نفسه بها من كونه متكلماً كما نزه وشبه ووحد وشرّك ونطق عباده بالصفتين ثم قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين هذا آخر الجزء الحادي والستين.

الجزء الثاني والستون

الباب الثاني والسبعون في الحج وأسراره

الحج فرض إلهيّ على الناس من عهد والدنا المنعوت بالناسي
فرض علينا ولكن لا نقوم به وواجب الفرض أن نلقي على الراس
فإن حرمت بإحرام تجردكم عن كل حال بإعسار وإفلاس
دعتك حالته في كل منزلة من المنازل بالعاري والبكاسي
فيه الإجابة للرحمن من كثب بنعت عبد لدنيّ وإلياس
فيه العبادات من صوم ومن صلة ومن صلاة وحكم الجود والباس
وفي الطواف معان ليس يشبهها ألا تردّد رب الجنْ والناس
إني قتيل خلاخيل كلفت بها عند الطواف وأقراط ووسواس
وفي المحصب شرع الفرد ناسبه رمي الجمار الخناس بوسواس
الله خصصه في بطن عرنته يوم الوقوف بإذلال وإبلاس
وكن مع الفرق في جمع بمزدلف فما عليك بذاك الفرق من باس
من حج لله لا بالله كان كمن سعى لظلمته بضوء نبراس
في يوم غيم شديد الحرّ فاعتبروا فيما نفوه به للخلق أنفاس
وكن إذا أنت دبرت الأمور به ما بين عقل إلهيّ وإحساس
واحذر شهود أساف ثم نائلة إذا سعيت كأسقف وشماس

وفي منى فانحر القربان في صفة تدعى بها عند ذاك النحر بالقاسي
وترية الذات لا شفع يزلزلها مصونة بين حفاظ وحرّاس
عطرية النشر معسول مقبلها محفوفة ببهار الروض والآس
مكلومة بالذي نالته من صفتي وما يكون لذاك الكلم من آسي

اعلم أيدك الله إن الحج في اللسان تكرار القصد إلى المقصود والعمرة الزيارة ولما نسب الله تعالى البيت إليه بالإضافة في قوله لخليله إبراهيم عليه السلام وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وأخبرنا أنه أوّل بيت وضعه للناس معبداً فقال "إن أوّل بيت

وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت" جعله نظيراً ومثالاً لعرشه وجعل الطائفين به من البشر كالملائكة الحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أي بالثناء على ربهم تبارك وتعالى وثناؤنا على الله في طوافنا أعظم من ثناء الملائكة عليه سبحانه بما لا يتقارب ولكن ما كل طائف يتنبه إلى هذا الثناء الذي نريده وذلك أن العلماء بالله إذا قالوا سبحان الله أو الحمد لله أو لا إله إلا الله إنما يقولونها بجمعيتهم للحضرتين والصورتين فيذكرونه بكل جزء ذاكر لله في العالم وبذكر أسمائه إياه ثم إنهم ما يقصدون من هذه الكلمات إلا ما نزل منها في القرآن لا الذكر الذي يذكرونه فهم في هذا الثناء نوّاب عن الحق يثنون عليه بكلامه الذي أنزله عليهم وهم أهل الله بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم أهل القرآن وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته فهم نائبون عنه في الثناء عليه فلم يشب ثناءهم استنباط نفسيّ ولا اختيار كونيّ ولا أحدثوا ثناء من عندهم فما سمع من ثنائهم إلا كلامه الذي أثنى به على نفسه فهو ثناء إلهيّ قدّوس طاهر نزيه عن الشوب الكوني قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فأجره حتى يسمع كلام الله فأضاف الكلام إليه لا إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ولما جعل الله تعالى قلب عبده بيتاً كريماً وحرماً عظيماً وذكر أنه وسعه حين لم يسعه سماء ولا أرض علمنا قطعاً أن قلب المؤمن أشرف من هذا البيت وجعل الخواطر التي تمرّ عليه كالطائفين ولما كان في الطائفين من يعرف حرمة البيت فيعامله في الطواف به بما يستحقه من التعظيم والإجلال ومن الطائفين من لا يعرف ذلك فيطوفون به بقلوب غافلة لاهية وألسنة بغير ذكر الله ناطقة بل ربما يطوفون بفضول من القول وزور وكذلك الخواطر التي تمرّ على قلب المؤمن منها مذموم ومنها محمود وكما كتب الله طواف كل طائف للطائف به على أيّ حالة كان وعفا عنه فيما كان منه كذلك الخواطر المذمومة عفا الله عنها ما لم يظهر حكمها على ظاهر الجوارح إلى الحس وكما أن في البيت يمين الله للمبايعة الإلهية ففي قلب العبد الحق سبحانه من غير تشبيه ولا تكييف كما يليق بجلاله سبحانه حيث وسعه وأين مرتبة اليمين منه على الانفراد منه سبحانه ففيه اليمين المسمى كلتا يديه فهو أعظم علماً وأكثر إحاطة فإنه محل لجميع الصفات وارتفاعه بالمكانة عند الله لما أودع الله فيه من المعرفة به ثم إن الله تعالى جعل لبيته أربعة أركان لسرّ إلهيّ وهي في الحقيقة ثلاثة أركان لأنه شكل مكعب الركن الواحد الذي يلي الحجر كالحجر في الصورة مكعب الشكل ولأجل ذلك سمى كعبة تشبيهاً بالكعب فإذا اعتبرت الثلاثة الأركان جعلتها في القلب محل الخاطر الإلهيّ والركن الآخر ركن الخاطر الملكي والركن الثالث ركن الخاطر النفسيّ فالإلهي ركن الحجر والملكيّ الركن اليمنيّ والنفسيّ المكعب الذي في الحجر لا غير وليس للخاطر الشيطانيّ فيه محل وعلى هذا الشكل قلوب الأنبياء مثلثة الشكل على شكل الكعبة ولما أراد الله ما أراد من إظهار الركن الرابع جعله للخاطر الشيطانيّ وهو الركن العراقيّ فيبقى الركن الشامي للخاطر النفسيّ وإنما جعلنا الخاطر الشيطانيّ للركن العراقي لأن الشارع شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وبالذر المشروع في كل ركن تعرف مراتب الأركان وعلى هذا الشكل المربع قلوب المؤمنين وما عدا الرسل والأنبياء المعصومين ليميز الله رسله وأنبياءه من سائر المؤمنين بالعصمة التي أعطاهم وألبسهم إياها فليس لنبيّ إلا ثلاثة خواطر إلهيّ وملكيّ ونفسيّ وقد يكون ذلك لبعض الأولياء الذين لهم جزء وافر من النبوّة كسليمان الدنبلي لقيته وهو ممن له هذا الحال فأخبرني عن نفسه إن له بضعاً وخمسين سنة ما خطر له خاطر قبيح ولأكثر الأولياء هذه الخواطر وزادوا بالخاطر الشيطانيّ العراقي فمنهم من ظهر عليه حككمه في الظاهر وهم عامة الخلق ومنهم من يخطر له ولا يؤثر في ظاهره

وهم المحفوظون من أوليائه ولما اعتبر الله الشكل الأول الذي للبيت جعل له الحجر على صورته وسماه حجراً لما حجر عليه أن ينال

تلك المرتبة أحد من غير الأنبياء والمرسلين حكمة منه سبحانه فللأولياء الحفظ الإلهيّ ولهم العصمة أخبرني بعض الأولياء من أهل الله وهو عبد الله بن الأستاذ الموروري أن الشيخ عبد الرزاق أو غيره الشك مني بل غيره بلا شك فإني تذكرته رأى إبليس فقال له كيف حالك مع الشيخ أبي مدين عبد صالح إمام في التوحيد والتول ان ببجاية فقال إبليس ما شبهت نفسي فيما نلقي إليه في قلبه إلا كشخص بال في البحر المحيط فقيل له لم تبول فيه قال حتى أنجسه فلا تقع به الطهارة فهل رأيتم أجهل من هذا الشخص كذلك أنا وقلب أبي مدين كلما ألقيت فيه أمراً قلب عينه فأخبر أنه يلقي في قلوب الأولياء وهو الذي ذكرناه وليس له على الأنبياء سبيل وارتفاع البيت سبعة وعشرون ذراعاً وذراع التحجير الأعلى فهو ثمانية وعشرون ذراعاً كل ذراع مقدار لأمر مّا إلهي يعرفه أهل الكشف فهي هذه المقادير نظير منازل القلب التي تقطعها كواكب الإيمان السيارة لإظهار حوادث تجري في النفس المضاهي لمنازل القمر والكواكب السيارة لإظهار الحوادث في العالم العنصري سواء حرفاً حرفاً ومعنى معنى والعلم أن الله تعالى قد أودع في الكعبة كنزاً أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجه فينفقه ثم بدا له في ذلك لمصلحة رآها ثم أراد عمر بعده أن يخرجه فامتنع اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فيه إلى الآن وأمّا أنا فسيق لي منه لوح من ذهب جيء به إليّ وأنا بتونس سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فيه شق غلظه أصبع عرضه شبر وطوله شبر أو أزيد مكتوب فيه بقلم لا أعرفه وذلك لسبب طرأ بيني وبين الله فسألت الله أن يردّه إلى موضعه أدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أخرجته إلى الناس لثارت فتنة عمياء فتركته أيضاً لهذه المصلحة فإنه صلى الله عليه وسلم ما تركه سدى وإنما تره ليخرجه القائم بأمر الله في آخر الزمان الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلما وقد ورد خبر رويناه فيما ذكرناه من إخراجه على يد هذا الخليفة وما أذكر الآن عمن رويته ولا الجزء الذي رأيته فيه كذلك جعل الله في قلب العارف كنز العلم بالله فشهد لله بما شهد به الحق لنفسه من أنه لا إله إلا الله ونفى هذه المرتبة عن كل ما سواه فقال "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم" فجعلها كنزاً في قلوب العلماء بالله ولما كانت كنزاً لذلك لا تدخل الميزان يوم القيامة وما يظهر لها عين إلا إن ان في الكثيب الأبيض يوم الزور ويظهر جسمها وهو النطق بها عناية لصاحب السجلات لا غير فذلك الواحد يوضع له في ميزانه التلفظ بها إذا لم يكن له خير غيرها فما يزن ظاهرها شيء فأين أنت من روحها ومعناها فهي كنز مدخر أبداً دنيا وآخرة وكل ما ظهر في الأكوان والأعيان من الخير فهو من أحكامها وحقها ثم إن الله جعل هذا البيت الذي هو محل ذكر اسم الله على أربعة أركان كذلك جعل الله القلب على أربع طبائع تحمله وعليها قامت نشأته كقيام البيت اليوم على أربعة أركان كقيام العرش على أربعة حملة اليوم كذا ورد في الخبر أنهم اليوم أربعة وغداً يكونون ثمانية فإن الآخرة فيها حكم الدنيا والآخرة فلذلك تكون غداً ثمانية فيظهر في الآخرة حكم سلطان الأربعة الأخر وكذلك يكون القلب في الآخرة تحمله ثمانية الأربعة التي ذكرناها والأربعة الغيبية وهي العلم والقدرة والإرادة والكلام ليس غير ذلك فإن قلت فهي موجودة اليوم فلماذا جعلتها في الآخرة قلنا وكذلك الثمانية من الحملة موجودون اليوم في أعيانهم لكن لا حكم لهم في الحمل الخاص إلا غداً كذلك هذه الصفات التي ذكرناها لا حكم ينفذ لهم في الدنيا دائماً وإنما حكمهم في الآخرة للسعداء وحكم الأربعة الذين هم طبائع هذا البيت ظاهرة الحكم في الأجسام فإن قلت فما معنى قولك حكمهم قلت فإن العلم لا يشاهد العالم معلومه إلا في الآخرة والقدرة لا ينفذ حكمها إلا في الآخرة فلا يعجز السعيد عن تكوين شيء وإرادته غير قاصرة فما يهمّ بشيء يريد حضوره إلا حضر وكلامه نافذ الاقتدار فالله بيته قلب عبده المؤمن والبيت بيت اسمه تعالى والعرش مستوى الرحمن فأياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى فلا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فإنه يعلم

الجهر وما يخفى كما أنه يعلم السر وأخفى وأصفى وهو قوله وابتغ بين ذلك سبيلاً فإنه أخفى من السرّ أي أظهر فإن الوسط الحائل بين الطرفين المعين للطرفين والمميز لهما هو أخفى منهما الخط الفاصل بين الظل والشمس والبرزخ بين البحرين الأجاج والفرات والفاصل بين السواد والبياض في الجسم نعلم أن ثم فاصلاً ولكن لا تدركه العين ويشهد له العقل وإن كان لا يعقل ما هو أي لا يعقل ماهيته فبين القلب والعرش في المترلة ما بين الاسم الله والاسم الرحمن وإن كان أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولكن ما أنكر أحد الله وأنكر الرحمن فقالوا وما الرحمن فكان مشهد الرحمانية لا يعرفه إلا المرحومون بالإيمان وما أنكره إلا المحرومون من حيث لا يشعرون أنهم محرومون لأن الرحمانية لا تتضمن سوى العافية والخير المحض فالله معروف بالحال والرحمن منكور بالحال فقيل لهم أياً مّا تدعوا فله الأسماء الحسنى فعرفه أهل البلاء تقليد التعريف الله من وراء حجاب البلاء فافهم فقد نبهتك لأمور إن سلكت عليها جلت لك في العلم الإلهيّ ما لا يقدر قدره إلا الله فإن العارف بقدر ما ذكرناه من العلم بالله الذوقيّ اليوم عزيز ولما كان الحج لهذا البيت تكرار القصد في زمان مخصوص كذلك القلب تقصده الأسماء الإلهية في حال مخصوص إذ كل اسم له حال خاص يطلبه فمهما ظهر ذلك الحال من العبد طلب الاسم الذي يخصه فيقصده ذلك الاسم فلهذا تحج الأسماء الإلهية بيت القلب وقد تحج إليه من حيث أن القلب وسع الحق والأسماء تطلب مسماها فلا بد لها أن تقصد مسماها فتقصد البيت الذي ذكر أنه وسعه السعة التي يعلمها سبحانه وإنما تقصده لكونها كانت متوجهة نحو الأحوال التي تطلبها من الأكوان فإذا أنفذت حكمها في ذلك الكون المعين رجعت قاصدة تطلب مسماها فتطلب قلب المؤمن وتقصده فلما تكرر ذلك القصد منها سمي ذلك القصد المكرر حجاً كما يتكرّر القصد من الناس والجنّ والملائكة للكعبة في كل سنة للحج الواجب والنفل وفي غير زمان الحج وحاله يسمى زيادة لا حجا وهو العمرة والعمرة الزيارة وتسمى حجا أصغر لما فيها من الإحرام والطواف والسعي وأخذ الشعر أو منه والإحلال و لم تعم جميع المناسك فسميت حجاً أصغر بالنظر إلى الحج الأكبر الذي يعم استيفاء جميع المناسك ولهذا يجزىء القارن بينهما طواف واحد وسعي واحد لمسمى الحج لها وهكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرانه في حجة وداعه التي قال فيها خذوا عني مناسككم وهكذا الحكم في الآخرة في الزور العام هو بمترلة الحج في الدنيا وحج العمرة هو بمترلة الزور الذي يخص كل إنسان فعلى قدر اعتماره تكون زيارته لربه والزور الأعمّ في زمان خاص للزمان الخاص الذي للحج والزور الأخص الذي هو العمرة لا يختص بزمان دون زمان فحكمها أنفذ في الزمان من الحج الأكبر وحكم الحج الأكبر أنفذ في استيفاء المناسك من الحج الأصغر ليكون كل واحد منهما فاضلاً مفضولاً لينفرد الحق الكمال الذي لا يقبل المفاضلة وما سوى الله ليس كذلك حتى الأسماء الإلهية وهم الأعلون يقبلون المفاضلة وقد بينا ذلك في غير موضع وكذلك المقامات والأحوال والموجودات كلها فالزيارة الخاصة التي هي العمرة مطلقة الزمان على قدر مخصوص وسأذكر إن شاء الله ما يختص بهذا الباب من الأفعال الظاهرة المشروعة في العموم والخصوص على ألسنة علماء الرسوم بالظواهر والنصوص وما يختص أيضاً بها من الاعتبارات في أحوال الباطن بلسان التقريب والاختصار والإشارة والإيماء كما عملنا فيما تقدم من العبادات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين ولكن الله فعال لما يريد.

وصل في فصل وجوب الحج

لا خلاف في وجوبه بين علماء الإسلام قال تعالى "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً" فوجب على كل مستطيع من الناس صغير وكبير ذكر وأنثى حرّ وعبد مسلم وغير مسلم ولا يقع بالفعل إلا بشروط له معينة فإن الإيمان والإسلام واجب على كل إنسان والأحكام كلها الواجبة واجبة على كل إنسان ولكن يتوقف قبول فعلها أو فعلها من الإنسان على وجود الإسلام منه فلا يقبل تلبسه بشيء منها إلا بشرط وجود الإسلام عنده فإن لم يؤمن أخذ بالواجبين جميعاً يوم القيامة وجوب الشرط المصحح لقبول هذه العبادات ووجوب الشروط التي هي هذه العبادات وقرىء بكسر الحاء وهو الاسم وبفتحها وهو المصدر فمن فتح وجب عليه أن يقصد البيت ليفعل ما أمره الله به أن يفعله عند الوصول إليه في المناسك التي عين الله له أن يفعلها ومن قرأ بالكسر وأراد الاسم فمعناه أن يراعي قصد البيت فيقصد ما يقصده البيت وبينهما بون بعيد فإن العبد بفتح الحاء يقصد البيت وبكسرها يقصد قصد البيت فيقوم في الكسر مقام البيت ويقوم في الفتح مقام خادم البيت فيكون حال العبد في حجه بحسب ما يقيمه فيه الحق من الشهود والله المرشد والهادي لا رب غيره ولما كان قصد البيت قصداً حالياً لأنه يطلب بصورته الساكن فلله على الناس أن يجعلوا قلوبهم كالبيت تطلب بحالها أن يكون الحق ساكنها كما قال اطلبوني في قلوب العارفين بي فهذا معنى الكسر فيه وهو الاستعداد بالصفة التي ذكر الله أن القلب يصلح له تعالى بها ومن فتح فوجب عليه أن يطلب قلبه ليرى فيه آثار ربه فيعمل بحسب ما يرى فيه من الآثار الإلهية وهذا حال غير ذلك فبالكسر يقصد الله وبالفتح يقصد القلب لما ذكرناه.

وصل في فصل شروط صحة الحج

لا خلاف أن من شرط صحته الإسلام إذ لا يصح ممن ليس بمسلم الإسلام الانقياد إلى ما دعاك الحق إليه ظاهراً وباطناً على الصفة التي دعاك أن تكون عليها عند الإجابة فإن جئت بغير تلك الصفة التي قال لك تجيء بها فما أجبت دعاء الاسم الإلهيّ الذي دعاك ولا انقدت إليه وهنا علم دقيق وهل الدعوة كانت من الله على المجموع وهو عينك وعين الصفة أو المقصود من هذا الدعاء عين الصفة وأنت بحكم التبع لكون هذا الوصف الخاص لا يقوم بنفسه فما تكون أنت المطلوب ولا بد لك من اسم يكون لك من تلك الصفة يناديك به أو تكون أنت المدعوّ من حيث عينك والصفة تبع ما هي المقصود في الدعاء لأنها لم يذكر لها عين في هذا الدعاء الخاص فمن راعى من العارفين العين لا عين الصفة لكونه تعالى قال "ولله على الناس" وما قال على المسلمين ولا ذكر صفة زائدة على أعيانهم فأوجبها على الأعيان وجوباً إلهياً فإذا أتى بهذا الدعاء صاحب الاسم الذي هو الناس قيل فيه أنه قد أجاب إجابة ذاتية فيكون جزاء إجابته تجلي من دعاه ذاتاً بذات ومن اعتبر أنه ما دعاه من حيث ما هو ذات وإنما دعاه من حيث ما هو متكلم فما أجاب هذا المدعوّ إلا عين الصفة لا عين الذات قيل له وكذلك المجيب المدعوّ ما أجاب منه إلا عين صفته فإن ذات المدعوّ من صفات من دعاه وهذه الصفة يعبر عنها بذات المدعوّ لأن المدعوّ مجموع صفات ذاتية له بمجموعها يكون إنساناً وهو كونه حيواناً ناطقاً وليس عين هذا المجموع سوى عين ذاته ولهذا وقع الدعاء من الداعي بالاسم الجامع وهو الله فإن قيل لا يصح أن يكون حقيقة هذا الاسم الجامع وإنما يأتي والداعي به اسم خاص يخصصه حال المدعوّ ويعين الاسم الخاص به كالجائع يقول يا الله أطعمني فالله الذي دعا يعم المعطي والمانع فتتعذر الإجابة إذا قصد الداعي ما يدل عليه هذا الاسم وما قصد الداعي إلا المعطم المعطي الرزاق ما قصد المانع فإن أطعمه الله فما أجابه إلا المطعم كذلك قوله "ولله على الناس حج البيت" ليس المقصود بهذا الاسم عين ما يدل عليه

فإن من مدلولاته أسماء إلهية تمنع من إجابة المكلف وأسماء تعطي إجابة المكلف فما دعاه من هذا الاسم إلا الاسم الذي يطلب إجابة المكلف المدعوّ ولهذا يعصي من لم يجب الدعاء بقرائن الأحوال ولو كان من حيث الاسم الله ما عصى ولا أطاع وتقابلت الأمور فلهذا لا يتصوّر أن يدعو أحد الله من حيث حقيقة هذا الاسم ولا يدعو هذا الاسم الله أحداً من حيث حقيقته وإنما يدعو ويدعى منه من حيث اسم خاص يتضمنه يعرف بالحال فاعلم أن الذات من الجانبين لا يصح أن تكون مطلوبة لأنها موجودة وإنما متعلق الطلب المعدوم ليوجد فما يدعى إلا المعدوم لأن الدعاء طلب والطلب عين الإرادة والإرادة لا تتعلق إلا بالمعدوم قلنا وكذلك وقع فإنه ما ظهر من هذا المدعوّ إلا الإجابة وكانت معدومة مع كون ذات المدعوّ لما يدعى إليه موجودة فظهرت الإجابة من المدعوّ بعد أن لم تكن لأن الإجابة لا تكون إلا بعد دعاء داع وهذا المدعوّ المعدوم الثابت لا يصح وجوده من ذات المدعوّ وإنما يصح في ذات المدعوّ إذا كان المدعوّ من العالم فيفتقر إلى أن يقول له الداعي كن فحينئذ يكون المدعوّ إجابة لأمره في ذات هذا المتوجه عليه الخطاب فما إجابته ذات المدعوّ فيما يظهر وإنما وقعت الإجابة من الصفة التي ظهرت فيه فيخيل أن الذات التي ظهرت فيها ذات هذا المدعوّ هو المخاطب بالتكوين وليس كذلك وهكذا هو الوجود الإلهيّ والكوني في نفس الأمر وإن كان الظاهر يعطي غير هذا فما في الكون إلا مسلم لغة لأنه ما ثم إلا منقاد للأمر الإلهي لأنه ما ثم من قيل له كن فأبى يل يكون من غير تثبط ولا يصح إلا ذلك فإذا وقع الحج ممن وقع من الناس ما وقع إلا من مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير و لم يكن مشروعاً من جانب الله له ذلك في حال الجاهلية وقبل بعثة الرسول فاعتبره له الله سبحانه لحكم الإنقياد الأصليّ الذي تعطيه حقيقة الممكن وهو الإسلام العامّ فمن اعتبر المجموع وجد ومن اعتبر عين الصفة وجد ومن اعتبر الذات وجد ولكل واحد شرب معلوم من علم خاص فإنه يدخل فيه هذا الإسلام الخاص المعروف في العرف الحاكم في الظاهر والباطن معاً فإن حكم في الظاهر لا في الباطن كالمنافق الذي أسلم للتقية حتى يعصم ظاهره في

اعلدنيا فهذا ما فعل من الأمور الخيرية التي دعى إليها لخيريتها فماله أجر والذي فعلها وهو مشرك لخيريتها نفعته بالخير المنوي فلا بدّ أن ينقاد الباطن والظاهر وبالمجموع تحصل الفائدة مكملة لأن الداعي دعاه بالاسم الجامع والمدعوّ دعى من الاسم الجامع لصفة جامعة وهو الحج والحج لا يكون إلا بتكرار القصد فهو جمع في المعنى فما في الكون إلا مسلم فوجب الحج على كل مسلم فلهذا لم يتصوّر فيه خلاف بين علماء الرسوم وعلماء الحقائق وعالم الحقائق أتم من عالم الرسم في هذه المسئلة وأمثالها فإن حج الطفل الرضيع صح حجه ولا تلفظ له بالإسلام ولا يعرف نية الحج ولو مات عندنا قبل البلوغ كتب الله له الحجة عن فريضته ولنا في ذلك خبر نبوي في الصبي قبل البلوغ والعبد فللصبي الرضيع الإسلام العام الذي يثبته المحقق وقد اعتبره الشرع رفعت امرأة صبياً لها صغيراً فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال لها نعم ولك أجر فنسب الحج لمن لا قصد له فيه فلو لم يكن لذلك الرضيع قصد بوجه ما عرفه الشارع صاحب الكشف ما صح أن ينسب الحج إليه وكان ذلك كذباً كانت امرأة ترضع صغيراً لها فمر رجل ذو شارة حسنة وخول وحشمة فقالت المرأة اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الرضيع الثدي ونظر إليه وقال اللهم لا تجعلني مثله ومرت عليها امرأة وهي تضرب والناس يقولون فيها زنت وسرقت فقالت المرأة اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك الصغير الثدي ونظر إليها وقال اللهم اجعلني مثلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الرجل كان جباراً متكبراً وقال في المرأة كانت بريئة مما نسب إليها واتفق لي مع بنت كانت لي ترضع يكون عمرها دون السنة فقلت لها يا بنية فأصغت إليّ ما تقول في رجل جامع امرأته فلم يترل ما يجب عليه فقالت يجب عليه الغسل فغشي على جدّتها من نطقها هذا شهدته بنفسي وكذلك زكاة الفطر على الرضيع والجنين.

وصل في فصل حج الطفل

فمن قائل بجوازه ومن مانع والمجوّز له صاحب الحق في هذه المسئلة شرعاً وحقيقة فإن الشرع أثبت له الحج وليس العجب إلا أن الحج يثبت بالنيابة فهو بالمباشرة في حق الطفل أثبت على كل حال وسيأتي ذكر النيابة في هذا العمل فيما بعد إن شاء الله وأين الإسلام في حق الصبي الصغير الرضيع فهل هو عند أهل الظاهر إلا بحكم التبع وأمّا عندنا فهو بالأصالة والتبع معاً فهو ثابت في الصغير بطريقين وفي الكبير بطريق واحد وهو الأصالة لا التبع فالإيمان أثبت في حق الرضيع فإنه ولد على فطرة الإيمان وهو إقراره بالربوبية لله تعالى على خلقه حين الأخذ من الظهر الذرية والإشهاد قال تعالى "وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فلو لم يعقلوا ما خوطبوا ولا أجابوا يقول ذو النون المصريّ كأنه الآن في أذني وما نقل إلينا أنه طرأ أمر أخرج الذرية عن هذا الإقرار وصحته ثم إنه لما ولد ولد على تلك الفطرة الأولى فهو مؤمن بالأصالة ثم حكم له بإيمان أبيه في أمور ظاهرة فقال والذين آمنوا واتبعتهم ذرّياهم بإيمان يعني إيمان الفطرة ألحقنا بهم ذرّياهم فورثوهم وصلى عليهم إن ماتوا وأقيمت فيهم أحكام الإسلام كلها مع كونهم على حال لا يعقلون جملة واحدة ثم قال وما ألتناهم من عملهم من شيء يعني أولئك الصغار ما أنقصناهم شيأ من أعمالهم وأضاف العمل إليهم يعني قولهم بلى فبقي لهم على غاية التمام ما نقصهم منه شيأ لأنهم لم يطرأ عليهم حال يخرجهم في فعل ما من أفعالهم عن ذلك الإقرار الأوّل كما طرأ للكبير العاقل فنقص من عمله ذلك بقدر ما طرأ عليه فأنقصه الله على قدر ما نقص فالرضيع أتمّ إيماناً من الكبير بلا شك فحجه أتم من حج الكبير فإنه حج بالفطرة وباشر الأفعال بنفسه مع كونه مفعولاً به فيها كما هو الأمر عليه في نفسه فإن الأفعال كلها لله فمن كل وجه صح له الحج حقيقة وشرعاً والطفل مباشر بلا شك وغير عاقل العقل المعتبر في الكبير بلا شك وغير متلفظ بالإسلام ولا معتقد له ولا عالم به بلا شك ونريد الاعتقاد والعلم المعروف عند أهل الرسوم في العرف كل ذلك غير موجود في الصبي الرضيع وقد باشر العمل وهو معمول به وأضاف الحج إليه الشارع والصبي مستطيع في هذه الحالة بالاستعداد الذي هو عليه أن يكون معمولاً به أعمال الحج كلها فهو محل للعمل لأنه وقف به في عرفة فوقف كما يقف الراكب بدابته وينسب الوقوف إليه ويطوف على راحلته ويسعى بين الصفا والمروة والراحلة هي التي تسعى وتطوف وتقف وينسب ذلك كله إليه بحكم المباشرة وأنه باشر أفعال الحج بنفسه فكذلك الصغير الرضيع يطاف به ويسعى فهو مباشر أفعال الحج ويوقف به مستطيع بالوجه الذي ذكرناه من الاستعداد لقبول ما يفعل به ما استعدّ الكبير الراكب لقبول ما تفعل به راحلته من سكون وحركة وينسب العمل إليه لا إلى الراحلة جرياً على حكم الأصل الإلهي حيث تنسب الأفعال إلى العباد والأفعال أعني خلقها لله تعالى على الحقيقة وهم محال ظهورها.

وصل في فصل الاستطاعة

فمن قائل الزاد والراحلة ومن قائل من استطاع المشي فلا تشترط الراحلة وكذلك الزاد ليس من شرطه إذا كان يمكنه الاكتساب في القافلة ولو بالسؤال هذا في المباشرة فالراحلة عين هذا الجسم لأنه مركب الروح الذي هو اللطيفة الإنسانية المنفوخة فيه فيما

يصدر منه بوساطة هذا الجسم من أعمال صلاة وصدقة وحج وإماطة وتلفظ بذكر كل ذلك أعمال موصلة إلى الله عز وجل والسعادة الأبدية والجسم هو المباشر لها والروح بوساطته فلا بدّ من الراحلة أن تشترط في هذا العمل الخاص بهذه الصورة وأما الزاد فمن اعتبر فيه الزيادة وهو السبب الذي بوجوده يكون التغذي الذي تكون عنه القوّة التي بها تحصل هذه الأفعال فبأيّ شيء حصلت تلك القوّة سواء بذاتها أو عند هذا الزائد المسمى زاداً لأن الله زاده في الحجاب ولهذا تعلقت به النفس في تحصيل القوّة وسكنت عند وجوده واطمأنت وانحجبت عن الله به وهي مسرورة بوجود هذا الحجاب لما حصل لها من السكون به إذ انت الحرة متعبة ظاهراً وباطناً وإذا فقد الزاد تشوّش باطنه واضطرب طبعاً ونفساً وتقلق عند فقد هذا السبب المسمى زاداً وزال عنه ذلك السكون والطمأنينة فكل ما يؤديه إلى السكون فهو زاد وهو حجاب أثبته الحق بالفعل وقرّره الشرع بالحكم فيقوى أساسه فلهذا ان أثر الأسباب أقوى من التجرّد عنها لأن التجرد عنها خلاف الحكمة والاعتماد عليها خلاف العلم فينبغي للإنسان أن يكون مثبتاً لها فاعلاً بها غير معتمد عليها وذلك هو القويّ من الرجال ولكن لا يكون له مقام هذه القوّة من الاعتماد أن تؤثر فيه الأسباب إلا بعد حصول الابتلاء بالتجريد عن الأسباب المعتادة وطرحها من ظاهره والاشتغال بها فإذا حصلت له هذه القوّة الأولى حينئذ ينتقل إلى القوّة الأخرى التي لا يؤثر فيها عمل الأسباب وأما قبل ذلك فغير مسلم للعبد القول به وهذا هو علم الذوق وحاله والعالم الذي يجد الاضطراب وعدم السكون فليس ذلك العلم هو المطلوب والمتكلم عليه فإنه غير معتبر بل إذا أمعنت النظر في تحقيقه وجدته ليس بعلم ولا اعتقاد فلهذا لا أثر له ولا حكم في هذه القوّة المطلوبة التي حصلت عن علم الذوق والحال وهذا هو مرض النفس وأما وجود الإحساس بالآلام الحسية من جوع وتعب فذلك لا يقدح فإنه أمر يقتضيه الطبع ليس للنفس فيه تعمل وليس بألم نفسيّ.

وصل في الاستطاعة بالنيابة مع العجز عن المباشرة

فمن قائل بلزوم النيابة ومنهم من قال لا يلزم مع العجز عن المباشرة وقد ثبت شرعاً عندنا الأمر بالحج عمن لا يستطيع لوليه أو بالإجارة عليه من ماله إن كان ذا مال وسياتي تفصيل ذلك إن شاء الله فاعلم أن النيابة صحيحة فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فناب منابه في ذلك القول وقال فأجره حتى يسمع كلام الله فناب الرسول صلى الله عليه وسلم مناب الحق لو باشر الكلام منه بلا واسطة وقال في النيابة يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض وقال في العموم وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والاستخلاف نيابة فإن المال لله والتصرّف لك فيه على حدّ من استخلفك فيه فهذا كله نيابة العبد عن الله في الأمور واما نيابة الحق عن العبد فقوله تعالى لبني إسرائيل "إن لا تتخذوا من دوني وكيلاً" وقال آمراً لا إله إلا هو "فاتخذه وكيلاً وقال صلى الله عليه وسلم يخاطب ربه اللهمّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والوكالة نيابة عن الموكل فيما وكله فيه أن يقوم مقامه فأثبت لك الشيء وسالك أن تستنيبه فيه بحكم الوكالة فمن كل وجه النيابة مشروعة وهل تصح من جهة الحقيقة أم لا فمنا من يقول إنها تصح من جهة الحقيقة فإن الأموال ما خلقت إلا لنا إذ لا حاجة لله إليها فهي لنا حقيقة ثم وكلنا الحق تعالى أن يتصرّف لنا فيها لعمنا أنه أعلم بالمصلحة فتصرّف على وجه الحكمة التي تقتضي أن تعود على الموكل منه منفعة فأتلف ما له هذا الوكيل الحق تعالى بغرق أو حرق أو خسف أو ما شاء تجارة له ليكسبه بذلك في الدار الآخرة أكثر مما قيل إنه في ظاهر الأمر إتلاف وما هو إتلاف بل هي تجارة بيع بنسيئة يسمى مثل هذا تجارة رزء لكن ربحها عظيم وهذا علم يعرفه الوكيل لا الموكل وهو يحفظ عليه ماله لمصلحة أخرى

يقتضيها علمه فيها ومنا من ول الله فاستخلفه الوكيل في التصرّف على حدّ ما يرسمه الوكيل لعلم الوكيل بالمصلحة فصار الموكل وكيلاً عن وكيله وهو الذي لا يتعدّى الأمر المشروع في تصرّفه فهو وإن كان المال له فالتصرّف فيه بحكم وكيله وهذا نظر غريب ومنا من قال لا تصح من جهة الحقيقة فإن الله ما خلق الأشياء والأموال من الأشياء الإله تعالى لتسبيحه ووقعت المنفعة لنا بحكم التبعية ولهذا قال وإن من شيء إلا يسبح بحمده فإذا خلق الأشياء من أجله لا من أجلنا فما لنا شيء نوكله فيه لكن نحن وكلاؤه في الأشياء فحدّ لنا حدوداً فنتصرّف فيها على ما حد لنا فإن زدنا على ما رسم لنا أو نقصنا عاقبنا فلو كانت الأموال لنا لكان تصرّفنا فيها مطلقاً وما وقع الأمر هكذا بل حجر علينا التصرّف فيها فما هي وكالة مفوّضة بل مقيدة بوجوه مخصوصة من رب المال الذي هو الحق الموكل وعلى كل وجه فالنيابة حاصلة إما منه تعالى وإما منا وقد ثبتت في أي طرف كان انتهى الجزء الثاني والستون.

الجزء الثالث والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل صفة النائب في الحج

اختلف علماء الرسوم سواء كان المحجوج عنه حياً أو ميتاً هل من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه أم لا فمن قائل ليس من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه وإن ان قد حج عن نفسه فهو أفضل ومن قائل إن من شرطه أن يكون قد قضى فريضته وبه أقول اعلم أنه من رأى أن الأيثار يصح في هذا الطريق قال لا يشترط فيه أن يكون قد حج عن نفسه وألحق ذلك بالفتوى حيث نفع غيره وسعى في حقه قبل سعيه في حق نفسه فله ذلك ولا سيما إن رأى أن مثل هذا الفعل هو في حق نفسه لما لها في الإيثار من الأجر فما آثر إلا نفسه ومن رأى أن حق نفسه أوجب عليه من حق غيره وعامل نفسه معاملة الأجنبيّ وأنها الجار الأحق فهو بمترلة من قال لا يحج عن غيره حتى يكون قد حج عن نفسه وهو الأولى في الاتباع وهو المرجوع إليه لأنه الحقيقة وذلك أنه إن سعى أوّلاً في حق نفسه فهو الأولى بلا خلاف وإن سعى في حق غيره فإن سعيه فيه إنما هو في حق نفسه فإنه الذي يجني ثمرة ذلك بالثناء عليه والثواب فيه فلنفسه سعى في الحالتين ولكن يسمى بسعيه في حق غيره مؤثر التركه فيما يظهر حق نفسه لحق غيره الواجل على ذلك الغير لا عليه فإنه في هذا أدّى ما لا يجب عليه وجزاء الواجب أعلى من جزاء غير الواجب لاستيفاء عين العبودية في الواجب وفي الآخر رفعة وامتنان حالي على المتفق عليه فهو قائم في حق الغير بصفة إلهية لأن لها الامتنان وهو في قيام حق نفسه من طريق الوجوب تقيمه صفة عبودية محضة وهو المطلوب الصحيح من العبد الذي يضيف الفعل المذموم والمكروه في الطبع والعادة والعرف إلى نفسه إيثاراً منه لجناب ربه حتى لا ينسب إليه ما جرى عليه لسان ذم كالذنب ولسان كراهة الطبع كالمرض وسائر العيوب غيرة على ذلك الجناب الإلهيّ وفداء له بنفسه وكذلك لو وقى عرض أخيه بعرضه كالمؤمن مع المؤمن ووقى ضرراً كبيراً من نبيّ ورسول بنفسه كان أعلى ممن لم يفعل ذلك وآثر نفسه وهذا يرجع إلى قدر من آثرته على نفسك فمن راعى الألإيثار والفتوّة عمم ومن راعى من آثرته قسم الأمر إلى ما ذكرناه فهو بحسب ما يقام فيه ويخطر له هذا كله ما لم يقع فيه إجارة فإن وقعت النيابة بإجارة فلها حكم آخر.

وصل في الرجل يؤاجر نفسه في الحج

فكرهه قوم مع الجواز منعه قوم العمل يقتضي الأجرة لذاته وهي العوض في مقابلة ما أعطى من نفسه وما بقي إلا من تؤخذ فمنا من قال يأخذه من الله تعالى لأنه المستخدم لنا في ذلك العمل فالأجرة عليه ما من نبيّ ولا رسول إلا قد قال إذ قيل له قل فأمر فقال ما أسألكم عليه من أجر يعني في التبليغ إن أجري إلا على الله فما خرجوا عن الأجرة والتبليغ عن الله من أفضل القرب إلى الله وإن الله استخدمه في التبليغ مع كونه عبداً فتعينت عليه الأجرة سبحانه يتعيينه عوضاً مما أعطاه من نفسه فيما استخدمه فيه وترك مباحه الذي هو له وتخييره ومن رأى أن العوض إنما يستحقه من وقعت له المنفعة في ذلك التبليغ طلب الأجرة من المتعلم لأن المنفعة هو

حصلها فالعوض يطلب منه فموضع الإجماع ثبوت الإجارة لأن المانع لا يمنعها وإنما يمنعها الخلق من جانب الحق غيرة أن يعبد لأمر لا لعينه لما في ذلك من عدم تعظيم الجناب الإلهيّ وهذا موجود كثير مثل النهي أن يفرد يوم الجمعة بصيام لعينه وكذلك قيام ليلتها وكذلك من يستحسن فعل عبادة بموضع يستحسنه وليس هذا من شأن القوم فإنهم قد أدركوا حرمان ذلك ذوقاً وخسرانه مرّ رجل من القوم مع جماعة ممن سخر لهم الهواء وهم يسيرون فيه فالتفت واحد منهم في طريقه فنظر إلى الأرض وإذا هم قد جازوا بقعة خضراء فيها عين خرارة فاستحسن ذلك طبعاً فخطر له لو ركع فيها ركعتين فسقط من بين الجماعة وما رجع بعد ذلك إلى تلك الحالة لأنه ما طلب العبادة لما يستحقه الحق وإنما كان الباعث لذلك الطلب الطبع في ذلك المكان لحسنه طبعاً فعوقب فمن رأى هذا قال لا أجرة إلا من الله إذ العمل بذاته يطلب الأجرة ولا بدّ.

وصل في فصل حج العبد

فمن قائل بوجوبه عليه ومن قائل لا يجب عليه حتى يعتق وبالأوّل أقول وإن منعه سيده مع القدرة على تركه لذلك كان السيد عندنا من الذين يصدّون عن سبيل الله كان أحمد بن حنبل في حال سجنه أيام المحنة إذا سمع النداء للجمعة توضأ وخرج إلى باب السجن فإذا منعه السجان وردّه قام له العذر بالمانع من أداء ما وجب عليه وهكذا العبد فإنه من جملة الناس المذكورين في الآية اعلم أن من استرقه الكون فلا يخلوا ما إن استرقه غرض نفسي وهى كياني ليس للحق المشروع فيه رائحة وجب عليه إجابة الحق فيما دعاه الله من الحج إليه في ذلك الفعل فإذا نظر إلى وجه الحق في ذلك الغرض كان ذلك عتقه فوجب الحج عليه وإن غاب عنه ذلك لغفلة لم يجب عليه وكان عاصياً لمعرفته بأن الله خاطبه بالحج مطلقاً وإن كان مشهده في ذلك الوقت أنه مظهر والمخاطب بالحج الظاهر فيه وليس عينه لم يوجب الحج عليه وهذا هو العبد المخلص لله وهذه عبودة لا عتق فيها ألا ترى أن الشارع قد قال في الصبي يحج والعبد يحج قبل أن يعتق ثم يموت قبل العتق ويموت الصبي قبل البلوغ إن ذلك الحج يكتل له عن فريضته وذلك لأنه خرج بالموت عن رق الغير فعتق بالموت وحينئذ كتب له ذلك الحج بأداء واجب وإن كان فعله في غير زمان الوجوب على من يقول بذلك.

وصل في فصل
هذه العبادة هل هي على الفور
أو على التراخي والتوسعة

فمن قائل على الفور ومن قائل على التراخي وبالفور أقول عند الاستطاعة الأسماء الإلهية على قسمين في الحكم في العالم من الأسماء من يتمادى حكمه ما شاء الله ويطول فإذا نسبته من أوّله إلى آخره قلت بالتوسع والتراخي كالواجب الموسع بالزمان فكل واجب توقعه في الزمان الموسع فهو زمانه سواء أوقعته في أوّل الزمان أو في آخره أو فيما بينهما فإن الكل زمانه وأدّيت واجباً فاستصحاب حكم الاسم الإلهي على المحكوم عليه موسع كالعلم في استصحابه للمعلومات وكالمشيئة وهكذا المكلف إن شاء فعل في أوّل وإن

شاء فعل في آخر ولا يقال هنا وإن شاء لم يفعل لأن حقيقة فعل أثر وحقيقة لم يفعل استصحاب الأصل فلا أثر فلم يكن للمشيئة هنا حكم عياني ومن الأسماء من لا يتمادى حكمه كالموجد فهو بمترلة من هو على الفور فإذا وقع لم يبق له حكم فيه فإنه تعالى إذا أراد شيأ أن يقول له كن على الفور من غير تراخ فإن الموجد ناظر إلى تعلق الإرادة بالكون فإذا رأى حكمها قد تعلق بالتعيين أوجد على الفور مثل الاستطاعة إذا حصلت تعين الحج.

وصل في فصل وجوب الحج على المرأة

وهل من شرط وجوبه أن يسافر معها زوج أو ذو محرم أم لا

فقيل ليس من شرط الوجوب ذلك وقيل من شرطه وجود المحرم ومطاوعته النفس تريد الحج إلى الله وهو النظر في معرفة الله من طريق الشهود فهل يدخل المريد إلى ذلك بنفسه أو لا يدخل إلى ذلك إلا بمرشد والمرشد أحد شخصين إمّا عقل وافر وهو بمترلة الزوج للمرأة وإمّا علم بالشرع وهو ذو المحرم فالجواب لا يخلو هذا الطالب أن يكون مراداً مجذوباً أو لا يكون فإن كان مجذوباً فالعناية الإلهية تصحبه فلا يحتاج إلى مرشد من جنسه وهو نادر وإن لم يكن مجذوباً فإنه لا بد من الدخول على يد موقف إمّا عقل أو شرع فإن كان طالب المعرفة الأولى فلا بد من العقل بالوجوب الشرعي وإن طلب المعرفة الثانية فلا بد من الشرع يأخذ بيده في ذلك فبالمعرفة الأولى يثبت الشرع عنده وبالمعرفة الثانية يثبت الحق عنده ويزيل عنه من أحكام المعرفة الأولى العقلية نصفها ويثبت له نصفها فالعقل مع الشرع في هذه المسئلة كملك ولى في ملكه نائباً وأيده وقوّاه واحتجب الملك عن رعاياه وتحكم النائب واستفحل فلما قوي واستحكم وانصبت إليه قلوب الرعايا وأحبته وملكها بإحسانه تقوّى على الملك وعزله وخلعه على غير علم من الرعايا فقال له الملك إذ خلعتني فلا تظهر للرعية أنك خلعتني فتنسب إلى قلة المروءة حيث وليتك على علم منهم بجازيتني بالإساءة فربما يتطرق إليك الذم فلا تفعل وإني قد عهدت إلى الرعية عندما وليت واستنبتك أن يسمعوا لك ويطيعوا وجعلت لك النظر فيهم بما تراه وقلت لهم إن جميع ما يراه هذا النائب فاعملوا به سواء خالف نظري ورأيي أو وافقه فإني قد علمت أنه ما يأمركم إلا بما فيه صلاحكم فقد مشيت لك مرادك في الملك فإنك تحتاج إلي في أوقات فإنهم لولا أني آمرهم من حيث لا تشعر ما أطاعوك وردّوا أمرك فليس لك مصلحة في إظهار خلعي وعزلي فإنهم إن صح عندهم عزلي لم يقبلوا منك وعزلوك و لم يسمعوا لك ولا أطاعوا فهذا مثل العقل الذي أعطى المعرفة الأولى وهو الملك والشرع مثله مثل النائب وما خاطب الشارع إلا ليسمع ولا يسمع منه إلا ذو عقل فبالعقل الذي ولاه به يسمع المكلف خطابه لأنه إذا زال العقل سقط التكليف و لم يبق للشرع عليه سلطان ولا حجة فأولو الألباب والنهي هم المخاطبون وهذا هو عين إمداد الملك للرعايا الذي أوصاه بحفظه عليهم فافهم فهذه المعرفة الثانية بالله الذي أعطاها النائب في العامّة والملك الذي هو العقل لا يعرفها ولكن أمر بقبولها حتى لا ينسب إلى التقصير ولا يتحدّه عنه أنه عزل ولذلك تأول من العقلاء من تأول ما جاءت به الشريعة مما يخالف نظر العقل وسلمه آخرون فلم يقولوا فيه بشيء فإنهم قالوا قد تقرّر عندنا من الملك لما ولاه أن نسمع له ونطيع على كل حال فلا نسفه رأي العقل في توليته الشرع واستنابته وهكذا وقعت صورة الحال لمن نظر واستبصر فهذا اعتبار المرأة في السفر إلى الحج وما فيه من الخلاف الذي تقدّم في وجوب ذي المحرم أو سقوطه.

وصل في فصل وجوب العمرة

فمن قائل بوجوبها ومن قائل إنها سنة ومن قائل إنها تطوّع العمرة الزيارة للحق بعد معرفته بالأمور المشروعة فإذا أراد أن يناجيه فلا يتمكن له ذلك إلا بأن يزوره في بيته وهو كل موضع تصح فيه الصلاة فيميل إليه بالصلاة فيناجيه لأن الزيارة الميل ومنه الزور وزار فلان القوم إذا مال إليهم وكذلك إذا أراد أن يزوره بخلعته تلبس بالصوم وتجمل به ليدخل به عليه وإذا أراد أن يزوره بعبوديته تلبس بالحج فالزيارة لا بد منها والعمرة واجبة في أداء الفرائض سنة في الرغائب تطوّع في النوافل غير المنطوق بها في الشرع فأيّ جانب حكم عليك مما ذكرناه حكمت على العمرية به من وجوب أو سنة أو تطوّع فافهم.

وصل في فصل في المواقيت المكانية للإحرام

وهي أربعة بالأتفاق وخمسة باختلاف ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق وهو المختلف فيه أعني ذات عرق هل وقته رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عمر بن الخطاب وقيل العقيق وجعلوه أحوط من ذات عرق فكان سادساً بخلاف فأشبه عدد المواقيت أعداد الصلوات فمن جعلها أربعة اعتبر أن المغرب وتر صلاة النهار فكأنه جيء بها لغيرها لا لنفسها كما في صلوات الفرض ومن اعتبر الفرضية في الجميع قال خمسة ومن اعتبر قوله عليه السلام إن الله زادكم صلاة إلى صلاتكم قال بوجوب الوتر لأن كل فرض واجب فاجتمع الوتر مع الخمس الصلوات المفروضة بالقطع في الوجوب لا في الفرضية فارتفع عن درجة التطوّع ومما يقوّي وجوبه تشبيهه بصلاة المغرب فقال في الوتر إنه لصلاة اللسل فيقوى لشبهه بالفرض في المغرب حيث جعل وتر الصلاة النهار وضعف المغرب عن باقي الصلوات المفروضة لكون الوتر الذي ليس بفرض بالاتفاق شبه به فعين ما يقوى به الوتر هو الذي أضعف المغرب والصلاة نور والحج عبودية فارتبطا فإن الله قسم الصلاة بينه وبين العبد والمواقيت مكانية ومواقيت الفرائض الجماعة في المساجد.

وصل في فصل حكم هذه المواقيت

فمن مر عليها وهو يريد الحج والعمرة وتعداها و لم يحرم منها فإن عليه دماً وقال قوم لا دم عليه والذين قالوا بالدم فيهم من قال إن رجع إلى الميقات وأحرم سقط عنه الدم ومنهم من قال لا يسقط وإن رجع وقال قوم إن لم يرجع إلى الميقات فسد حجه إذا تعين الدم فلا يسقط عمن تعين عليه لما تعين ذبح ولد إبراهيم الخليل على إبراهيم لم يسقط عنه الدم أصلاً ففداه الله بذبح عظيم وهو الكبش حيث جعل بدل إفساد بنية نبيّ مكرّم فحصل الدم لأنه وجب وبعد أن وجب فلا يرتفع فصارت صورة ولد إبراهيم صورة كبش كسوق الجنة يدخل في أيّ صورة شاء فذبحت صورة الكبش وليس ولد إبراهيم صورة الإنسان وهذا سبب العقيقة التي كل إنسان مرهون بعقيقته حكاية شهدناها قيل لبعض شيوخنا عن بنت من بنات الملوك ممن كان الناس ينتفعون بها وكان لها اعتقاد في هذا الشيخ فوجهت إليه ليدخل عليها فدخل عليها والملك الذي هو زوجها عندها فقام إليه السلطان إجلالاً ثم نظر إليها الشيخ وهي في النزع فقال الشيخ ادركوها قبل أن تقضي قال له الملك بماذا قال بديتها اشتروها فجيء إليه بديتها كاملة فتوقف النزع

والكرب الذي كانت فيه وفتحت عينيها وسلمت على الشيخ فقال لها الشيخ لابأس عليك ولكن ثم دقيقة بعد أن حل الموت لا يمكن أن يرجع خائباً فلا بد له من أثر ونحن قد أخذناك من يده وهو يطالبنا بحقه فلا ينصرف إلا بروح مقبوضة وأنت إذا عشت انتفع بك الناس وأنت عظيمة القدر فلا نفديك إلا بعظيم ما عندي من هذا الموت ولي بنت هي أحب البنات إلي أنا أفديك بها ثم ردّ وجهه إلى ملك الموت وقال له لا بد من روح ترجع بها إلى ربك هذه ابنتي تعلم محبتي فيها خذ روحها بدلاً من هذه الروح فإني قد اشتريتها من الحق وباعني إياها وابنتي جعلك وحق لمجيئك ثم قام وخرج إلى ابنته وقال لابنته وما بها بأس يا بنية هبيني نفسك فإن لا تقومين للناس مقام زينب بنت أمير المؤمنين في المنفعة فقالت يا أبت أنا بحكمك قد وهبتك نفسي فقال للموت خذها فماتت من وقتها فهذه عين مسئلة الخليل وولده صلى الله عليهما فهذه الموازنات الإلهية لا يعرفها إلا أهلها وعندنا إن الجعل لا بد منه ولا نلتزم أخذ روح ولا بد فإنا قد رأينا مثل هذا من نفوسنا فاشتريناه وما أعطينا فيه روحاً وإنما فعل ذلك الشيخ لحال طرأ عليه في نفسه أوجب عليه ما فعله من إعطاء ابنته لأن مشهده في ذلك الوقت كانت قصة إبراهيم عليه السلام فحكم عليه حال إبراهيم عليه السلام فإن فهمت ما قلناه سعدت قال الله تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً" يعني الجنة فلو لم يشتر أموالهم حتى حال بينهم وبينها لكان لهم ما يصلون به إلى المنعة ببقاء الحياة لبقاء الفداء الحاصل بالمال فلما أفلسهم أعدمهم فكان مشهد الشيخ من هذه الآية فيقتلون ويقتلون وان مشهدنا نحن في هذه المسئلة عين الشراء لا غير وهو الحيّ فمن ان عنده ح0يي ولا بد فأعطينا العوض الذي اشترينا به حياته فبقى حيا وما ظهر للموت أثر في ذلك المشهد فهذه آثار الأحوال على قدر الشهود وهي علوم الأذواق فهي عزيزة المنال فما كل عارف يعرفها وهي موازين لا تخطيء فإنها بالوضع الإلهيّ نزلت ليوم القيامة بخلاف نزولها في الدنيا فإنها نزلت تعريفاً وعند أهل الشهود في الدنيا كالأنبياء وفي يوم القيامة نزلت حقيقة بيد حق فلذلك ما جار نبيّ في حكم وفرضت له العصمة في أحكامه وكذلك الولي محفوظ في ميزانه وإن كانت العامّة تنسبه إلى الجور فليس جوراً في نفس الأمر وإنما هو جور بالنظر إلى موازينهم حيث لم يوافقها وكل حق فإنه ثم ميزان عموم كميزان الإجماع وميزان خصوص مثل هذا الميزان وميزان المجتهد في الحكم ولكن بقي أي ميزان أفضل في الخصوص هل هو ميزان المجتهد أو ميزان صاحب الكشف كما اختلفوا في إحرام الرجل من الميقات أو من منزله الخارج عن الميقات فمن قائل إن الإحرام من منزله الخارج عن الميقات أفضل ومن قائل إن الإحرام من الميقات أفضل ولكن على من يجيز الإحرام قبل الميقات فمن راعى الاتباع فضل الميقات ومن راعى المسارعة إلى التلبس بالعبادات مخافة الفوت فضل الإحرام من المنزل الذي خارج الميقات لكن المجمع عليه الميقات وهو تقييد والأفضل التقييد في الدين فإن المباح الذي هو المطلق

لا أجر فيه ولا وزر والعبادات تكليف والتكليف تقييد وجزاء تقييد الواجب أوجبه من أوجبه أعلى من الجزاء في الغير المقيد لأنه قد ورد أن الله يقول ما تقرب أحد بأحب إلى من تقربه بما افترضت عليه فجعله حب إليه من غير ذلك وهنا أسرار إلهية لا تتجلى إلا لأهل الفهم عن الله أهل الستر والكتم جعلنا الله منهم وأرجو أن أكون.

وصل في فصل

حكم من مر على ميقات وأمامه ميقات آخر

وهو يريد الحج أو العمرة

اختلف الناس فيمن يريد الحج أو العمرة فيمر على ميقات وأمامه ميقات آخر فلم يحرم في الأول وتعدى إلىالآخر كالمار بذي الحليفة فلم يحرم وتعدى إلى الجحفة فإنها في طريقه فقال قوم عليه دم وقال قوم ليس عليه شيء فمن راعى المسارعة إلى التلبس بالعبادة أعني بهذه العبادة الخاصة ورأى أن المسارعة إلى الخيرات سنة مؤكدة قال إن عليه دماً في تعديها ومن رأى أنّ الأصل في الدين رفع الحرج وقول الله تعالى "يريد الله بكم اليسر" فإرادة موافقة الحق فيما أراده أولى وكل عبادة فأخر وقال لا دم عليه فالعارف إذا كان مشهده الاسم الأول المقيد بالآخر لا الأول المطلق الذي لا يتقيد بالآخر رأى أن التلبس بالعبادة في الآخر الذي لا يجوز تعديه ولا فسحة فيه أولى فإنه فيه صاحب فرض من كل وجه لا يسعه تركه ومن رأى أن التلبس بهذه العبادة بحكم الاسم الأول أولى لكونه لا علم له بإتمامها فلا يدري هل يموت قبل أن يتلقاه الاسم الآخر فإن لم يحرم فارق موطن التكليف وهو لم تيلبس بعبادة الله اقتضاها له الموطن فحرم تجليها الإلهي فهو بحسب ما أشهده الحق وما خرج في هذا كله عن حكم اسم إلهي من الأسماء على شهود منه فإن قيل كيف يتعداه غير متلبس بهذه العبادة والميقات يقضي عليه بسلطانه وهو الاسم الأول قلنا لا حكم للأسماء في الأشياء إلا باستعدادات الأشياء للقبول وقبولها بحسب الحال التي تكون عليها في نفسها من ذاتها فإن الأسباب الخارجة الموجبة لأمر ما تضعف عن مقاومة الأسباب الداخلة التي في المكلف فربما يكون حال هذا المتعدي حال الختم فيطلبه بالتأخير فيعرف ذلك الاسم الأول فيضعف موطن ميقاته عن التأثير فيه لأنه ليس عين مشهده فيتعدى إلى الميقات الثاني لأنّ له الاسم الآخر ولا شك أن الآخر في الطريق يتضمن حكمه ما تقدمه مضافاً إلى خصوصيته بخلاف الأول فالأول يدرج في الثاني وليس الثاني مدرجاً في الأول ومن أصول القوم أن العارف لو جلس مع الله كذا وكذا سنة وفاتته لحظة من الله في وقته كان الذي فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبل ذلك وسببه أن كل لحظة إلهية متأخرة تتضمن ما تقدمها من اللحظات وفيها خصوصيتها التي بها تميزت وبتلك الخصوصية صحت لها الكثرة على ما تقدمها فلهذا لم ير بالتعدي بأساً محمد صلى الله عليه وسلم آخر المرسلين فحصل جميع مقامات الرسل وزاد بخصوصيته بلا شك لأنه آخر النبيين وفي هذا إشارة لمن فهم فإن قيل إذا تلبس بالعبادة أو لا ومرّ على الآخر وهو متلبس فقد حصل له ما في الآخر بمروره متلبساً بها قلنا هكذا هو إلا أنه لم يحصل له في الثاني الحكم الخاص بالثاني الذي هو الإنشاشء منه وهو أوليته فيفوته أولية الإنشاء منه لهذه العبادة بالاسم الآخر فلهذا تعدى إليه قال السائل كذلك أيضاً يفوته أولية الأول في الإنشاء قلنا إن كل أولية مضافة تحكم عليها حقيقة الأولية التي لا تضاف وهي المعتبرة فما فاته ما يتحسر عليه إذ حقيقتها موجودة في أولية الآخر والآخر لا وجود له في الأول ومن نظر في الأسماء بهذه العين علم كيف يقبل تصريفها فيه ويعين لها من ذاته ما يليق بها على شهود منه وبينة وعلم صحيح وبهذا يتميز لأنه في نفس الأمر كذا هو ما يتلقاه منه إلا ما يليق به ولكن لا علم لكل أحد بذلك وبهذا تتفاوت الناس ويرفع الله درجات بعضهم على بعض ويعلم أيضاً كيف يصرفها في غيره إذا مكنته من نفسها أو مكنه منها حاله لأنه ليس في الحقيقة أن يقوم بك العلم ولا تكون عالماً فهذا هو التمكن الحاليّ الذي تقتضيه ذاته ولا يصح غيره لأن المعاني توجب أحكامها لمن قامت به ولولا ذلك ما صح وجود العالم عن الحق ألا ترى أن المحال لما لم يكن في استعداده قبول ما يقبله الممكن من الوجود لم يكن له وجود ولا يصح كالشريك لله تعالى في ألوهيته ولما كان الممكن في استعداده الذاتيّ قبول الإيجاد وجد فلا تغب عن حقائق الأمور فإنها تتداخل في حكم الناظر فيها لا في نفسها ومن غاب عن الحقائق هوى في مهاوي الجهالات ويفوته

درجة العلم الذي أمر الله نبيه بطلب الزيادة منه فلا شيء أشرف من العلم و لم يأمر بطلب زيادة في غيره من الصفات لأنه الصفة العامّة التي لها الإحاطة بكل صفة وموصوف.

وصل في فصل

الأفاقيّ يمرّ على الميقات يريد مكة

ولا يريد الحج ولا العمرة

اختلف العلماء فيمن ليس من أهل مكة يريد مكة ولا يريد حجاً ولا عمرة ومرّ على ميقات من المواقيت هل يلزمه الإحرام أم لا إذا لم يكن ممن يكثر التردّد إلى مكة فقال قوم يلزمه الإحرام وقال قوم لا يلزمه الإحرام وبه أقول: رجال الله على نوعين: رجال يرون أنهم مسيرون ورجال يرون أنهم يسيرون فمن رأى أنه مسير لزمه الإحرام على كل حال فإنه مسير على كل حال ومن رأى أنه يسير لا غير فهو بحكم ما بعثه على السير فإن كان بعثه باعث يقتضي الإحرام أحرم فإنه كمن أراد الحج أو العمرة أو هما معاً وإن كان باعثه غير ذلك فهو بحسب باعثه كما قاله صلى الله عليه وسلم لمن أراد الحج والعمرة وقال صلى الله عليه وسلم في الصحيح أيضاً إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فليس له أن يحرم وهو لم ينو حجاً ولا عمرة وما عندنا شرع يوجب عليه أن ينوي الحج أو العمرة ولا بدّ ثم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا ما أراد وما حجر ولا ذم فقال "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

وصل في فصل ميقات الزمان

يقول الله تعالى الحج أشهر معلومات فمن قائل هي شوّال وذو القعدة وذو الحجة وبه أقول ومن قائل شوّال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة ومن قائل في أيّ وقت شاء من السنة وكذلك العمرة في أيّ وقت شاء من السنة وكرهها بعضهم في يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق واختلفوا في تكرارها في السنة الواحدة فمنهم من استحب عمرة في كل سنة وكره ما زاد على ذلك ومنهم من قال لا كراهة في ذلك وبه أقول اعلم أن الميقات الزمانيّ إنما عينه الاسم الإلهيّ الدهر واعلم أنّ الزمان منه ما هو فوق الطبيعة وهو مذهب المتكلمين ومنه ما هو تحت الطبيعة فله الحكم العامّ فالذي له من الحكم تحت الطبيعة فحكم جسمانيّ يتميز بحركات الأفلاك والزمان في نفسه معقول والطريق إلى معقوليته الوهم فهو امتداد متوهم تقطعه حركات الأفلاك كالخلاء امتداد متوهم لا في جسم فحاصله على هذا القول إنه عدم لا وجود وأمّا الزمان الذي فوق الطبيعة فتميزه الأحوال وتعينه في أمر وجوديّ يلقيه إلى العقل الاسم الدهر وتصحبه لفظة متى في لسان العرب فمتى يصحب الزمان الطبيعيّ وغير الطبيعيّ وقد وقع في الأمور والنسب الإلهية والزمانية نسبة الزمان والمكان وهما ظرفان ففي المكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للسوداء أين الله وقوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام فذكر اعتقادهم وما جرّح وما صوّب ولا أنكر ولا عرّف ومثل هذا في الشرع كثير وفي الزمان قوله "سنفرغ لكم أيه الثقلان" "ولله الأمر من قبل ومن بعد" وقد ورد في الصحيح "لا تسبوا الدهر فإنّ الله هو الدهر" تتريهاً لهذه

اللفظة أي أنها من الألفاظ المشتركة كالعين والمشتري فالدهر الزماني مظهر للاسم الدهر والاسم بالفعل هو الظاهر فيه والفعل في الكون للظاهر لا للمظهر وحكم المظهر إنما هو في الظاهر حيث سماه بنفسه ولهذا تأوله من تأوله فقال معناه أنه الفاعل في الدهر وهذا خطأ بين لأنه لم يفرق بين الفعل من حيث نسبته إلى الفاعل ونسبته إلى المفعول فالحق فاعل والمفعول واقع في الدهر والفعل حال بين الفاعل والمفعول و لم يفرق هذا المتأول بين الفاعل والمفعول فهلا سلم علم ذلك لقائله وهو الله تعالى ولا تأوّله تأوّل من لا يعرف ما يستحقه جلال الله من التعظيم.

وصل في فصل الإحرام

وهو أوّل التلبس بهذه البعادة حكاية الشبلي في ذلك قال صاحب الشبلي وهو صاحب الحكاية عن نفسه قال لي الشبلي عقدت الحج قال فقلت نعم فقال لي فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت مما يضادّ ذلك العقد فقلت لا فقال لي ما عقدت ثم قال لي نزعت ثيابك قلت نعم فقال لي تجردت من كل شيء فقلت لا فقال لي ما نزعت ثم قال لي تطهرت قلت نعم فقال لي زال عنك كل علة بطهرك قلت لا قال ما تطهرت ثم قال لي لبيت قلت نعم فقال لي وجدت جواب التلبية بتلبيتك مثله قلت لا فقال ما لبيت ثم قال لي دخلت الحرم قلت نعم قال اعتقدت في دخول الحرم ترك كل محرم قلت لا قال ما دخلت ثم قال لي أشرقت على مكة قلت نعم قال أشرف عليك حال من الحق لإشرافك على مكة قلت لا قال ما أشرفت على مكة ثم قال لي دخلت المسجد قلت نعم قال دخلت في قربه من حيث علمت قلت لا قال ما دخلت المسجد ثم قال لي رأيت الكعبة فقلت نعم فقال رأيت ما قصدت له فقلت لا قال ما رأيت الكعبة ثم قال لي رملت ثلاثاً ومشيت أربعاً فقلت نعم فقال هربت من الدنيا هرباً علمت أنك قد فاصلتها وانقطعت عنها وجدت بمشيك الأربعة أمناً مما هربت منه فازددت لله شكراً لذاك فقلت لا قال ما رملت ثم قال لي صافحت الحجر وقبلته قلت نعم فزعق زعقة وقال ويحك إنه قد قيل أن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى ومن صافح الحق سبحانه وتعالى فهو في محل الأمن أظهر عليك أثراً لأمن قلت لا قال ما صافحت ثم قال لي وقفت الوقفة بين يدي الله تعالى خلف المقام وصليت ركعتين قلت نعم قال وقفت على مكانتك من ربك فأريت قصدك قلت لا قال فما صليت ثم قال لي خرجت إلى الصفا فوقفت بها قلت نعم قال إيش عملت قلت كبرت سبعاً وذكرت الحج وسألت الله القبول فقال لي كبرت بتكبير الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان قلت لا قال ما كبرت ثم قال لي نزلت من الصفا قلت نعم قال زالت كل علة عنك حتى صفيت قلت لا فقال ما صعدت ولا نزلت ثم قال لي هرولت قلت نعم قال ففرت إليه وبرئت من فرارك ووصلت إلى وجودك قلت لا قال ما هرولت ثم قال لي وصلت إلى المروة قلت نعم قال رأيت السكينة على المروة فأخذتها أو نزلت عليك قلت لا قال ما وصلت إلى المروة ثم قال لي خرجت إلى منى قلت نعم قال تمنيت على الله غير الحال التي عصيته فيها قلت لا قال ما خرجت إلى منى ثم قال لي دخلت مسجد الخيف قلت نعم قال خفت الله في دخولك وخروجك ووجدت من الخوف ما لا تجده إلا فيه قلت لا قال ما دخلت مسجد الخيف ثم قال لي مضيت إلى عرفات قلت نعم قال وقفت بها قلت نعم قال عرفت الحال التي خلقت من أجلها والحال التي تريدها والحال التي تصير إليها وعرفت المعرّف لك هذه الأحوال ورأيت المكان الذي إليه الإشارات فإنه هو الذي نفس الأنفاس في كل حال قلت لا قال ما وقفت بعرفات ثم قال لي نفرت إلى المزدلفة قلت نعم قال رأيت المشعر الحرام قلت نعم قال

ذكرت الله ذكراً أنساك ذكر ما سواه فاشتغلت به قلت لا قال ما وقفت بالمزدلفة ثم قال لي دخلت منى قلت نعم قال ذبحت قلت نعم قال نفسك قلت لا قال ما ذبحت ثم قال لي رميت قلت نعم قال رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك قلت لا قال ما رميت ثم قال لي حلقت قلت نعم قال نقصت آمالك عنك قلت لا قال ما حلقت ثم قال لي زرت قلت نعم قال كوشفت بشيء من الحقائق أو رأيت زيادات الكرامات عليك للزيارة فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال الحجاج والعمار زوار الله وحق على المزور أن يكرم زواره قلت لا قال ما زرت ثم قال لي أحللت قلت نعم قال عزمت على أكل الحلال قلت لا قال ما أحللت ثم قال لي ودّعت قلت نعم قال خرجت من نفسك وروحك بالكلية قلت لا قال ما ودّعت وعليك العود وانظر كيف تحج بعد هذا فقد عرّفتك وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك فاعلم أيدك الله إني ما سقت هذه الحكاية إلا تنبيهاً وتذكرة وإعلاماً أن طريق أهل الله على هذا مضى حالهم فيه والشبلي هكذا كان إدراكه في حجه فإنه ما سأل إلا عن ذوقه هل أدركه غيره أم لا وغيره قد يدرك هذا وقد يدرك ما هو أعلى منه وأدون منه فما منهم إلا من له مقام معلوم فما اخترعت في اعتبارايت في هذه العبادات طريقة لم أسبق إليها إلا أن الأذواق تتفاوت بحسب ما تكون عناية الله بالعبد في ذلك ثم نرجع ونقول على نحو ما تقدم في الفصول ولنبتدىء أو لا فيما يمنع المحرم أن

يلبسه وهو القميص والعمامة والبرنس والخف إلا أن لا يجد الهعل والسراويل إلا أن لا يجد الإزار ولا ثوباً مسه زعفران ولا ورس وفيما ذكرناه متفق عليه ومختلف فيه وفي التفصيل تفسير إن شاء الله وحال الرجل في هذا يخالف حال المرأة فإن المرأة تلبس المخيط والخفاف والخمر وما للمرأة إحرام إلا في وجهها وكفيها وسبب هذا كله في هذه البعادة أنهم وفد الله دعاهم الحق إلى بيته وما دعاهم إليه سبحانه بمفارقة الأهل والوطن والعيش الترف وحلاهم بحلية الشعث والغبرة إلا ابتلاء ليريهم من وقف مع عبوديته ممن لم يقف ولهذا أفعال الحج أكثرها تعبدات لا تعلل ولا يعرف لها معنى من طريق النظر لكن تنال ربما من طريق الكشف والإخبار الإلهي الوارد على قلوب الواردين العارفين من الوجه الخاص الذي لكل موجود من ربه فزينة الحاج تخالف زينة جميع العبادات فإنهم وفد الله الحاج منهم والمعتمر وأعني من انفرد بالحج ومن انفرد بالعمرة فهما وفدان فالقارن بينهما له خصوص وصف لأنه جامع لمرتبة الوفدين لأنّ وفود الله ثلاثة على ما ذكره النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر انتهى الجزء الثالث والستون.

الجزء الرابع والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

واعلم أيضاً أنّ المرأة إنما خالفت الرجل في أكثر الأحكام في الحج لأنها جزء منه وإن اجتمعا في الإنسانية ولكن تميزاً بأمر عارض عرض لهما وهو الذكورية للرجل والأنوثة للمرأة وخلقت منفعلة عنه ليحنّ إليها حنين من ظهرت سيادته بها فهو يحبها محبة من أعطاه درجة السيادة وهي تحنّ إليه وتحبه حنين الجزء إلى الكل وهو حنين الوطن لأنه وطنها مع ما يضاف إلى ذلك من كون كل واحد موضعاً لشهوته والتذاذه وقد تبلغ المرأة في الكمال درجة الرجال وقد ينزل الرجل في النقص إلى ما هو أقل من درجة النقص الذي للمرأة وقد يجتمعان في أحكام من العبادات ويفترقان غير أنّ الغالب فضل عقل الرجل على عقل المرأة لأنه عقل عن الله قبل عقل المرأة لأنه تقدّمها في الوجود والأمر الإلهي لا يتكرّر فالمشهد الذي حصل للمتقدّم لا سبيل أن يحصل للمتأخر لما قلنا من أنه تعالى لا يتجلى في صورة مرّتين ولا لشخصين في صورة واحدة للتوسع الإلهي وهذه هي الدرجة التي يزيد بها الرجل على المرأة وأين الكل من الجزء وإن لحقه في الكمال ولكنه كمال خاص كما لحق بعض أعضاء الإنسان إذا قطع في الدية تلف الإنسان في كمالها وبعض الأعضاء على النصف من ذلك وأقل فما كل جزء يلحق بالكل في كل الدرجات فحرم المخيط على الرجل في الإحرام و لم يحرم على المرأة فإنّ الرجل وإن كان خلق من مركب فهو من البسائط أقرب فهو أقرب الأقربين والمرأة خلقت من مركب محقق فإنها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط أكثر من بعد الرجل والمخيط تركيب فقيل لها ابقي على أصلك وقيل للرجل ارتفع عن تركيبك فأمر بالتجرّد عن المخيط ليقرب من بسيطه الذي لا مخيط فيه وإن كان مركباً فإنه ثوب منسوج ولكنه أقرب إلى الهباء منه من القميص والسراويل وكل مخيط والهباء بسيط فما قرب منه عومل بمعاملته وما بعد عنه تميز في الحكم عن القريب ثم إن الرجل هو آدم خلق على صورته وخلقت حواء على صورة آدم وخلق البنون من امتزاج الأبوين لا من واحد منهما بل من المجموع حساً ووهماً فكان استعداد الأبناء أقوى من استعداد الأبوين لأن الابن جمع استعداد الاثنين فكمال الابن الكامل أعظم من كمال الأب ولهذا اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال الأتم لكونه ابناً وكل ابن في النشأة له لهذا الكمال غير أنهم في الكمال يتفاضلون لأجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات السعادية فما كل ابن له هذا الكمال الثاني الزائد على نشأته فهذه دقيقة أخرى يعطيها الوجه الخاص الإلهيّ في التجلي للسبب الذي يكون عنه هذا الابن يعين ذلك الوجه اسم إلهيّ يكون في الكمال الإحاطيّ أكمل من غيره من الأسماء كالعالم فإنه أتم في الإحاطة من سائر الأسماء بما لا يتقارب فمن كان ذا أب وأم واسم إلهيّ إحاطيّ خاص رفيع الدرجات كان أكمل ممن كان ذا أب وأم واسم إلهيّ دونه في الإحاطة والدرجة ومن كان عن أم وأب متوهم مثالي أشبه جدّه لأمه إذ لا أب له مثل عيسى عليه السلام فصته صفة جده آدم في صدوره عن الأمر بذا ورد التعريف الإلهيّ فقال "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم" أي الاسم الإلهي الذي وجد عنه آدم وجد عنه عيسى خلقه من تراب الضمير يعود على آدم فعيسى أخ لحوّاء وهو ابن بنتها ومن كان عن أب دون أم قصر عن درجة أبيه كحوّاء خلقت من القصيري فقصرت وعوجها استقامتها فانحناؤها حنوّها على أبنائها وعلى ماله من الخزائن مثل انحناء الأضلاع على ما في الجوف من الأحشاء والأمعاء المختزنة فيه لصلاح صابحه فاعوجاجها عين استقامتها التي أريدت له ولهذا اعوجاج القوس عين استقامته فإن رمت أن تقيمه على الاستقامة

الخطية المعلومة كسرته فلم تبلغ أنت بالاستقامة التي تطلبها منه غرضك الذي تؤمله وهذا لجهلك بالاستقامة اللائقة به فما في العالم إلا مستقيم عند العلماء بالله الواقفين على أسرار الله في خلقه فإنه قد بين لنا ذلك في قوله تعالى أعطى كل شيء خلقه وهو عين كمال ذلك الشيء فما نقصه شيء وسبب ذلك كوننا مخلوقين على من له الكمال المطلق فأشبهنا في التقييد بإطلاقه فإن الإطلاق تقييد بلا شك إذ به يميز عن المقيد فما يصدر عن الكامل شيء إلا وذلك على ماله اللائق به فما في العالم ناقص أصلاً ولولا الأعراض التي تولد الأمراض لتتره الإنسان في صورة العالم كما يتتره العالم ويتفرّج فيه فإنه بستان الحق والأسماء ملاكه بالاشتراك فكل اسم له فيه حصة فهذا الذي تعطيه الحقائق فالكمال للأشياء وصف ذاتيّ والنقص أمر عرضيّ وله كمال في ذاته فافهم فما هلك امرؤ عرف قدره فقد بان لك شأن المرأة من شأن الرجل وإنهما وإن افترقا من وجه فهما يجتمعان من وجه.

وصل في فصل اختلاف العلماء في المحرم

إذا لم يجد غير السراويل هل له لباسها

فمن قائل لا يجوز له لباسها فإن لبسها افتدى ومن قائل يلبسها إذا لم يجد إزاراً اعلم أن الإزار والرداء لما لم يكونا مخيطين لم يكونا مركبين ولهذا وصف الحق نفسه بهما لعدم التركيب إذ كان كل مركب في حكم الانفصال وهذا سبب وجوب قول القائل بأن صفات المعاني الإلهية ليست بأعيان زائدة على الذات مخافة التركيب ونزع مثبتوها زائدة إلى أن يقولوا فيها لا هي هو ولا هي غيره لما في التركيب من النقص إذ لو فرض انفصال المتصل لصح و لم يكن محالاً من وجه انفصاله وإنما يستحيل ذلك إذا استحال لاتصافه بالقدم الذي هو نفي الأولية والقديم لا شك أنه يستحيل أن ينعدم بالبرهان العقليّ فإذا فرضنا عدم صفات المعاني التي بوجودها يكون كمال الموصوف ظهر نقص الموصوف وإن كان فرض محال لاستحالة عدم القديم والله يقول "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" وهذا بطريق فرض المحال والحق كامل الذات فاجعل بالك يقول تعالى "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فهذا إحرام إلهيّ فإنه ذكر ثوبين ليسا بمخيطين فألحق سبحانه المحرم من الرجال بما وصف به نفسه و لم يفعل ذلك بالمرأة ولا أيضاً حجر ذلك عليها فإنها قد تكمل في ذلك كما يكمل الرجال فلو لبسته المرأة لكان أولى بها عندنا فالمحرم قد تلبس بصفة هي للحق معنوية وفي الخلق حسية هي في الحق كبرياء وعظمة وفي الخلق رداء وإزار كما تلبس الصائم بصفة هي للحق ولهذا جعل في قواعد الإسلام مجاوراً له وإن كان في الحقيقة وجود العظمة والكبرياء إنما محلهما ظاهر العبد لا قلبه فقد تكون العظمة والكبرياء حال الإنسان لا صفته ولو اتسف بها هلك جهلاً وإذا كانتا حالاً له في موطنهما نجا وسعد وشكر له ذلك فأول درجة هذه العبادة إن ألحق المتلبس بها من عباده بربه في التتريه عن الاتصاف بالتركيب فتلبس بالكمال في أول قدم فيها ولهذا لا نجوّز نحن للمحرم أن يلبس شيأ من المخيط ولا يغطي رأسه إلا لضرورة من أذى يلحقه لا يندفع ذلك الأذى إلا بلباس ما حجر عليه وإما أن فعله لغير أذى فما تلبس بالعبادة ولا حج ولا يفدي إلامن لبس ذلك من أذى والأذى في الجناب الإلهيّ أن ينسب إلى التركيب لما فيه من النقص قال تعالى إن الذين يؤذون الله فوصف نفسه بأنه يؤذي وجعل له هذا الأذى الاسم الصبور فلا أحد أصبر على أذى من الله لقدرته على الأخذ عليه فلا يؤاخذ ويمهل فالعبد إذا لم يقمه الله في مقام شهود العظمة التي هي الإزار وأقيم في مقام الإذلال فانبسط على الحق وهذا موجود في الطريق وقد وردت به الأخبار النبوية في عجوز موسى وغيره لبس السراويل ستر للعورة التي هي محل السرّ الإلهيّ وستر للأذى

لأنهما محل خروج الأذى أيضاً فتأكد سترهما بما يناسبهما وهو السراويل والسراويل أشدّ في السترة للعورة من الإزار والقميص وغيره لأن الميل عن الاستقامة عيب فينبغي ستر العيب ولهذا سميت عورة لميلها فإن لها درجة السرّ في الإيجاد الإلهيّ وأنزلها الحق منزلة القلم الإلهيّ كما أنزل المرأة منزلة اللوح لرقم هذا القلم فلما مالت عن هذه المرتبة العظمى والمكانة الزلفى إلى أن تكون محلاً لوجود الروائح الكريهة الخارجة منهما من أذى الغائط والبول وجعلت نفسها طريقاً لما تخرجه القوّة الدافعة من البدن سميت عورة وسترت لأنها ميل إلى عيب فالتحقت بعالم الغيب واحتجبت عن عالم الشهادة فبالسراويل لا تشهد ولا تشهد فالسراويل أستر في حقها ولكن رجح الحق الإزار لأنه خلق العبد للتشبه به لكونه خلقه على صورته.

وصل في فصل لباس المحرم الخفين

فمن قائل وهو الأكثر إن المحرم يلبس الخفين إذا لم يجد النعلين وليقطعهما أسفل من الكعبين ومن قائل يلبسهما ولا يقطعهما وعلل عطاء قطعهما بأنه فساد والله لا يحب الفساد ومطلق حديث ابن عباس إن الخفين لمن لم يجد النعلين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يذكر قطعهما وبه قال أحمد وعطاء القدم صفة إلهية وصف الحق بها نفسه "وليس كمثله شيء" فمن راعى التتريه وأدركته الغيرة على الحق في نزوله لما هو من وصف العبد المخلوق قال بلباس الخف غير المقطوع لأنه أعظم في الستر ومن راعى ظهور ما أظهره الحق لكون الحق أعرف بنفسه من عبده به ونزه نفسه في مقام آخر لم يرد أن يتحكم على الحق بعقله وقال الرجوع إليه أولى من الغيرة عليه فإن الحقيقة تعطي أن يغار له لا عليه شرعاً وما شرع لباس الخفين إلا لمن لا يجد النعلين والنعل واق غير ساتر فقال بقطع الخفين وهو أولى.

وصل في فصل
من لسهما مقطوعتين مع وجود النعلين

فمن قائل عليه الفدية ومن قائل لا فدية عليه لما اجتمع الخف مع النعل في الوقاية من أذى العالم الأسفل وزاد الخف الوقاية من أذى العالم الأعلى من حيث ما هما عالم لمشترك الدلالة والدلالة تقبل الشبه وهو الأذى الذي يتعلق بها ولهذا معرفة الله بطريق الخبر أعلى من المعرفة بالله من طريق النظر فإن طريق الخبر في معرفة الله إنما جاء بما ليست عليه ذاته تعالى في علم الناظر فالمعرفة بالأدلة العقلية سلبية وبالأدلة الخبرية ثبوتية وسلبية في ثبوت فلما كان أكشف لم يرجح جانب الستر فجعل النعل في الإحرام هو الأصل فإنه ما جاء اتخاذ النعل إلا للزينة والوقاية من الأذى الأرضي فإذا عدم عدل إلى الخف فإذا زال اسم الخف بالقطع و لم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا خف ولا نعل فهو مسكوت عنه كمن يمشي حافياً فإنه لا خلاف في صحة إحرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الأمر بالقطع فالتحق بالمنطوق عليه بكذا وهو حكم زائد صحيح يعطي ما لا يعطى الإطلاق فتعين الأخذ به فإنه ما قطعهما إلا ليلحقهما بدرجة النعل غير أن فيه ستراً على الرجل ففارق النعل ومل يستر الساق ففارق الخف فهو لا خف ولا نعل وهو قريب من الخف وقريب من النعل وجعلناه وقاية في الأعلى لوجود المسح على أعلى الخف فلولا اعتبار أذى في ذلك بوجه مّا ما مسح أعلى الخف في الوضوء لأن إحداث الطهارة مؤذن بعلة وجودية يريد إزالتها بإحداث

تلك الطهارة والطهارة التي هي غير حادثة ما لها هذا الحكم فإنه طاهر الأصل لا عن تطهير فالإنسان في هذه المسئلة إذا كان عارفاً بحسب ما يقام فيه وما يكون مشهده فإن أعطاه مشهوده أن يلبس مع وجود النعلين حذراً من أثر العلوّ في ظاهر قدمه عصم بلباسه قدمه من ذلك الأثر وإن كان عنده قوّة إلهية يدفع بها ذلك الأثر قبل أن يترل به لبس النعلين و لم يجز له لباس المقطوعين إذ كان الأصل في استعمال ذلك عدم النعلين فرجح الكشف والإعلان على الستر والإسرار في معرفة الله في الملأ الأعلى وهو علم التتريه المشروع والمعقول فإن التتريه له درجات في العقل ما دونه تتريه بتشبيه وأعلاه عند العقل تتريه بغير تشبيه ولا سبيل لمخلوق إليه إلا بردّ العلم فيه إلى الله تعالى والتتريه بغير التشبيه وردت به الشريعة أيضاً وما وجد في العقل فغاية النظر العقلي في تتريه الحق مثلاً عن الاستواء أنه انتقل عن شرح الاستواء الجسماني عن العرش المكاني بالتتريه عنه إلى التشبيه بالاستواء السلطاني الحادث وهو الاستيلاء على المكان الإحاطي الأعظم أو على الملك فما زال في تتريهه من التشبيه فانتقل من التشبيه بمحدث مّا إلى التشبيه بمحدث آخر فوقه في الرتبة فما بلغ العقل في التتريه مبلغ الشرع فيه في قوله "ليس كمثله شيء" ألا تراهم استشهدوا في التتريه العقلي في الاستواء بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق — من غير سيف ودم مهراق

وأين استواء بشر على العراق من استواء الحق على العرش لقد خسر المبطلون أين هذا الروح من قوله "ليس كمثله شيء" فاستواء بشر من جدملة الأشياء لقد صدق أبو سعيد الخرّاز وأمثاله حيث قالوا لا يعرف الله إلا الله.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده — ولا الصبابة إلا من يعانيها

وصل في فصل

اختلاف الناس في لباس المحرم المعصفر
بعد اتفاقهم على أنه لا يلبس المصبوغ بالورس ولا الزعفران

فقال بعضهم لابأس بلباس المعصفر فإنه ليس بطيب وقال قوم هو طيب ففيه الفدية إن لبسه الطيب للمحرم عندنا وأعني التطيب لا وجود الطيب عنده الذي يطيب به قبل عقد الإحرام واستصحبه غير جائز إلا إذا أراد الإحلال وقيل أن يحل فمن السنة أن يتطيب ولا أقول في الأول والثاني إن تطيبه عليه السلام كان لحرمه ولحله فإنه لم يرد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ورد من قول عائشة فتطرق إليه الاحتمال بين أن يكون عن أمر فهمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فيما اقتضاه نظرها وفهمها أو عن نص صريح منه لها في ذلك ورأيناه قد نهى عن الطيب زمان مدّة إقامته على الإحرام إلا إذا أراد الحل فالعصفر وإن كان ليس طيباً حكمه حكم الطيب فإن لبس الرداء المعصفر قبل الإحرام عند الإحرام و لم يرد نص باجتنابه فله أن يبقى عليه أو يلبسه عند الإحلال وقبل الإحلال ولا يلبسه ابتداء في زمان بقاء الإحرام هذا هو الأظهر في هذه المسئلة عندنا إلا أن يرد نص جليّ في المعصفر في النهي عنه ابتداء وانتهاء وما بينهما فنقف عنده الصفرة من الشيسء الصفر وهو الخالي والخلى وبه سمي صفر من

الشهور في أول وضع هذا الاسم لخلوّ الأرض فيه عن النبات في ذلك الوقت الموافق لوضع هذا الاسم ولهذا جاز مع بعده لوجود الربيع الذي أزال كون الأرض خالية منه في الهلال الأول المسمى صفراً فإن خلى العبد عن نفسه في هذه العبادة فهو الذي جاز له لباس المعصفر وإن خلى عن ربه فيها لم يجز له لباس المعصفر ولهذا وجد الخلاف فيه.

وصل في فصل

اختلافهم في جواز الطيب للمحرم عند الإحرام

وقبل أن يحرم لما يبقى عليه من أثره بعد الإحرام

فكرهه قوم وأجازه قوم وبإجازته أقول بل هي السنة عندي بلا شك أما قبل الإحرام فجائز وأما إذا أحرم هل يغسل ذلك الطيب من أجل بقاء الرائحة أم لا هذا هو محل الخلاف الصحيح بين العلماء رائحة الطيب يلتذ بها صاحب الطبع السليم ولا تستخبثها نفسه وهو الثناء على العبد بالنعوت الإلهية التي هي التخلق بالأسماء الحسنى لا بمطلق الأسماء وهو في هذه العبادة الأغلب عليه مقام العبودية لما فيها من التحجير ومن الأفعال التي يجهل حكمتها النظر العقلي فكأنها مجرّد عبادة فلا تقوم إلا بأوصاف العبودة فمن رأى هذا منع من التخلق بالأسماء في هذه الحالة وفي ابتداء الدخول فيها لأنه لا يدخل فيها باسم إلهيّ فلا يتطيب عند الإحرام خوفاً من الرائحة الباقية مع الإحرام وهو بمنزلة حكم الخلق الإلهيّ في المتخلق إذا تخلق به ومن رأى أنه يجوز له ذلك كان مشهده انه ما ثم خلق إلا وقد اتصف به الله تعالى من أوصاف العباد من الفرح والضحك والتعجب وغير ذلك بالتصريح كما بيناه وبغير التصريح مثل قوله "وأقرضوا الله" ومثل قوله "الله يستهزىء بهم" وقوله "ومكر الله" وأمثال هذا فمن كان هذا مشهده قال لا يخلو الإنسان العبد عن نعت إلهيّ فهو اسم العبودة فليس له أن يحدث ثناء إلهياً فيزيل عنه حكم ما يعطيه الاسم الحاكم لتلك العبادة فإنها لا تتصوّر عبادة إلا بحكم هذا الاسم فإذا زال لم يكن ثم من يقيمها إلا النائب الذي هو الفدية لا غير وأمّا حكم الطيب للإحرام والإحلال فهو لسطان الاسم الأول فإن الأول من كل شيء قويّ لا يغلب وصادق لا يكذب فلم يكن لغيره من الأسماء هذه القوة فلم يقاومه منازع فحقيقته الأولية فلا يكون وسطاً فحكم في أولية الإحرام وفي آخرية الإحرام وهو الذي فهمته عائشة من ذلك فقالت "طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله ولحرمه" قبل وجود الإحرام منه والتحليل و لم تقل طيبته لآخر إحرامه حين أراد أن ينقضي ويعقبه الإحلال وإنما راعت الإحلال في آخر أفعال الحج وهو طواف الإفاضة وكذلك راعت الإحرام المستقبل ما غسل عنه طيباً.

وصل في فصل مجامعة النساء

أجمع المسلمون على أن الوطء يحرم على المحرم مطلقاً وبه أقول غير أنه إذا وقع فعندنا فيه نظر في زمان وقوعه فإن وقع منه بعد الوقوف بعرفة أي بعد انقضاء زمان جواز الوقوف بعرفة من ليل أو نهار فالحج فاسد وليس بباطل لأنه مأمور بإتمام المناسك مع الفساد ويحج بعد ذلك وإن جامع قبل الوقوف بعرفة وبعد الإحرام فالحكم فيه عند العلماء كحكمه بعد الوقوف يفسد ولا بد من

غير خلاف أعرفه ولا أعرف لهم دليلاً على ذلك ونحن وإن قلنا بقولهم واتبعناهم في ذلك فإن النظر يقتضي إن وقع قبل الوقوف أن يرفض ما مضى ويجدد الإحرام ويهدي وإن كان بعد الوقوف فلا لأنه لم يبق زمان للوقوف وهنا بقي زمان للإحرام لكن ما قال به أحد فجرينا على ما أجمع عليه العلماء مع أني لا أقدر على صرف هذا الحكم عن خاطري ولا أعلم عليه ولا أفتي به ولا أجد دليلاً وقد رفضت العمرة عائشة حين حاضت بعد التلبس بها وأحرمت بالحج فقد رفضت إحراماً وفي أمر عائشة وشأنها عندي نظر هل أردفت على عمرتها أو هل رفضتها بالكلية فإن أراد بالرفض ترك الإحرام بالعمرة وإن وجود الحيض أثر في صحتها مع بقاء زمان الإحرام فالجماع مثله في الحكم وإن لم يرد بالرفض الخروج عن العمرة وإنما أراد إدخال الحج عليها فرفض أحدية العمرة لا اقترانها بالحج فهي على إحرامها في العمرة والحج مردف عليها والجماع في الحج في الطريق لا شك أن الإنسان لما كان مصرّفاً تحت حكم الأسماء الإلهية ومحلاً لظهور آثار سلطانها فيه ولكن يكون حكمها فيه بحسب ما يمكنها حال الإنسان أو زمانه أو مكانه والأحوال والأزمان تولي الأسماء الإلهية عليها وإن كان كل حال هي عليه أو دخول الإنسان في ظرفية زمان خاص أو ظرفية مكان ما هو إلا عن حكم اسم إلهيّ بذلك فقد يتوجه على الإنسان أحكام أسماء إلهية كثيرة في آن واحد ويقبل ذلك كله بحاله لأنه قد يكون في أحوال مختلفة يطلب كل حال حكم اسم خاص فلا يتوجه عليه إلا ذلك الاسم الذي يطلبه ذلك الحال الخاص ومع هذا كله فلا بد أن يكون الحاكم الأكبر اسماً ما له المضاء فيه والرجوع إليه مع هذه المشاركة ثم إني أبين لك مثالاً فيما ذكرناه وذلك إنا نرى الإنسان يجتنب ما حرّم الله على عينه أن ينظر إليه على انتهاكه حرمة ما حرم على أذنه من الإصغاء إلى الغيبة في حال انتهاكه حرمة ما حرم عليه من جهة لسانه من كذب أو نميمة مع إعطاء صدقة فرض من زكاة أو ندب متطوّع بها من جهة ما أمرت به يده المنفقة وذلك كله في زمان واحد من شخص واحد الذي هو المخاطب من الإنسان المصرّف جميع جوارحه القابل للأوامر الأسمائية في باطنه التي تحكم عليه وتمضي تصريف الجوارح بأمره لها فيما يراها تتصرّف فيه وهو واحد في نفسه ذو آلات متعدّدة فلولا تعدّد هذه الآلات ما صح أن يحكم عليه إلا اسم واحد فوجود الكثرة التي سببها الآلات أوجبت له مع أ؛ديته في نفسه قبول اختلاف أحكام الأسماء الإلهية عليه فيكون الإنسان منصوراً من وجه مخذولاً في حين كونه منصوراً ولكن من وجه آخر والعين واحدة المصرّفة المكلفة وهي النفس الناطقة ويكون عزيزاً بالمعز في حال كونه ذليلاً بالمذل لشخص ذي عزة له عنده مكانة فلقيه فأعزه فاعتزو في تلك الحال عينها سلط عليه الاسم المذل شخصاً آخر لا يعرفه فأذله فذل من جهة هذا وعز من جهة هذا في الزمان الواحد وحكمهما في آن واحد والقابل لهذين الحكمين واحد العين فلهذا الذي مهدناه أمر المحرم إذا جامع أهله أن يمضي في مقام نسكه إلى أن يفرغ مع فساده ولا يعتد به وعليه القضاء من قابل على صورة مخصوصة شرعها له الشارع لأن صاحب الوقت الذي هو المحرم عليه أفعالاً مخصوصة أوجبتها هذه العبادة التي تلبس بها هو الحاكم الأكبر واتفق أن هذا المحرم التفت بالاسم الخاذل إلى امرأته فجامعها في حال إحرامه فلما لم يكن الوقت له شرعاً وكان لغيره لم يقو قوّته فأفسد منه ما أفسدوا بقي الحكم لصاحب الوقت فأمره أن يمضي في نسكه مع فساده وعاقبه بتلك الالتفاتة إلى الخاذل حيث أعانه عليه بنظره إلى امرأته واستحسانه لإيقاع ما حكم عليه به حاكم الوقت أن يعيد من قابل فلو بطل وأزال حكمه عنه في ذلك الوقت ووقع الجماع بعد الإحرام وقبل الوقوف رفض ما كان واستقبل الحج كما هو ولم يكن عليه إلا دم لا غير لما أبطل فلما لم يزل حكمه منه بذلك الفعل أمر بإتمام نسكه الذي

نواه في عقده وهو مأجور فيما فعل من تلك العبادة مأزور فيما أفسد منها في إتيانه ما حرّم عليه إتيانه كما قال تعالى فلا رفث وهو

النكاح ولا فسوق ولا جدال في الحج خرّج أبو داود في المراسيل قال ثنا أبو توبة حدثنا معاوية يعني ابن سلام أخبرني يزيد بن نعيم أو زيد بن نعيم شك أبو توبة أن رجلاً من جذام جامع امرأته وهما محرمان فسأل الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما "اقضيا نسككما واهديا هدياً ثم ارجعا حتى إذا كنتما بالمكان الذي أصبتما فيه ما أصبتما فتفرقا ولا يمنكما واحد صاحبه وعليكما حجة أخرى فتقبلان حتى إذا كنتما بالمكان الذي أصبتما فيه ما أصبتما فتفرقا ولا يرى أحد منكما صاحبه فأحرما وأتما نسككما واهديا" فهذا ترجمان الحق الذي هو الرسول قوّى الاسم الإلهي الذي هو حاكم الوقت وصاحب الزمان فيما يريده من اتمام هذه العبادة مع ما طرأ فيها من الإخلال وذلك أن الاسم الحاكم لا يسمع المحكوم عليه خطابه إياه لأن الله أخذ بسمعه عنه فقال لمن فتق الله سمعه لسماع كلامه وهو المعبر عنه بالرسول بلغ لهذا المكلف عني أن يمضي في فعله حتى يتم وذكر له ما قال وبينه لهذا الشخص لأن الرسول ما ينطق عن الهوى والمؤمن كثير بأخيه فقام الرسول مقام الحاجب المنفذ أوامر الملك صاحب الحكم هكذا هو في الحكم العام وأمّا في العالم الأخص فهو حكم نفس طبيعية على عقل إلهيّ رجع إليها من حيث علمه بأن لها وجهاً خاصاً إلى خالقها فغاب عن التثبت في ذلك فيما أوصل إليه ترجمان الحق الذي هو الرسول فوافق النفس ما حكم به عليها الطبع فيما أمرت به ولولا ذلك الوجه الخاص ما انخدع العقل واتصف باللؤم الذي هو صفة الطبع بحكم الأصالة وفي مثل هذا قلنا:

يعز علنيا أن تكون عقولنا	بحكم نفوس أن ذا لعظيم
إذا غلب الطبع اللئيم نجاره	على عقل شخص أنه للئيم

فالعقول وإن كانت عالية الأوج فإن الحضيض يقابل أوجه وهو موطن الطبع النفسي فهو ينظر إليها من أوجه فيراها في مقابلته على خط مستقيم لا اعوجاج فيه وذلك الخط هو الذي يكون عليه العروج من الحضيض إلى الأوج إذا زكت النفس وعليه يكون نزول العقل إلى الحضيض من الأوج إذا خذل العقل وإنوما خذله استقامة الخط فإنه على الاستقامة فطر ثم إنه رأى النفس زكت بعروجها عليه فهذا الذي خدع العقل من النفس فإنه لاحظ للعقل في الطبع أو ساعده على النزول قول الترجمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دليتم بحبل لهبط على الله والعقل مجبول على طلب الزيادة من العلم بالله فأراد في نزوله إلى الطبع على ذلك الخط من وجه ليرى هل نسبة الحق إلى الحضيض نسبته إلى الأوج أم لا فيريد علماً بالذوق بأنه على ذلك الحدّ أو ما هو عليه بل له نسبة أخرى فتحصل له الفائدة على كل حال فلهذا القصد أيضاً أمر بإتمام نسكه و لم يبطل عمله ولا سيما وقد سمع أن أربعة أملاك التقوا ملك كان يأتي من المغرب وآخر مقبل من المشرق وآخر نازل من الفوق وآخر صاعد من التحت فسأل كل واحد صاحبه من أين جئت فكل قال من عند الله فلا بدّ للعقل مع شوقه لطلب الزيادة من العلم أن يتحرك ليحصل هذا العلم بالله ذوقاً حالياً لا تقليد فيه ولا يتمكن له ذلك وهو في أوجه إلا إن قنع بالتقليد فترل على ذلك الخط لطلب هذه المعارف وفي نزوله لا بدّ أن يرى موضع اجتماع الخطوط فيشاهد علوماً كثيرة فهي زلة أوجبت علماً فشفع ذلك العلم في صاحب هذه الزلة فجبر له نقصه فلولا زلة هذا المجامع في الحج ما عرفنا حكم الشرع فيه لو وقع هذا بعد موت المترجم صلى الله عليه وسلم فمن رحمة الله حصل تقرير هذا العلم لنكون على بصيرة من ربنا في عباداتنا.

وصل في فصل غسل المحرم بعد إحرامه

اتفقوا على أنه يجوز له غسل رأسه من الجنابة واختلفوا في كراهية غسله من غير الجنابة فقالوا لابأس بغسله وبه أقول وكره ذلك بعضهم لما كان الرأس محل القوى الإنسانية كلها ومجمع القوى الروحانية اعتبر فيه الحكم دون غيره من الأعضاء لجمعيته وله من الأسماء الإلهية الله لأنه الاسم المنعوت الجامع فحفظه متعين على المكلف لأنه لو اختل من قواه قوّة أدّى ذلك الاختلال إمّا إلى فساد يمكن إصلاحه أو إلى فساد لا يمكن إصلاحه وإمّا إلى فساد يكون فيه تلفه فيزول عن إنسانيته ويرجع من جملة الحيوانات فيسقط عنه التكليف فتنقطع المناسبة بينه وبين الله وأعني مناسبة التقريب خاصة لا مناسبة الافتقار لأن مناسبة الافتقار لا تزول عن الممكن أبداً لا في حال عدمه ولا في حال وجوده فإذا اعترب الإنسان عن موطن عبوديته فهي جنابته فيقال له ارجع إلى وطنك فلا قدم لك في الربوبية أصلاً من ذاتك فإذا أراد الحق أن يمنحك منها ما شاء نزل إليك ما أنت تصعد إليه لأنه يعلمك ويعلم محلك وأينك وأنت لا تعرفه فأين تطلبه فما خرجت عن عبوديتك إلا لجهلك ألا تراه سبحانه لما أراد أن يهبك من الربانية ما شاء نزل إليك بأمر سماه شرعاً بوساطة رسول ملكيّ فملكك أموراً وجعل لك الحكم فيها على حدّ ما رسم لك فمن كونك حاكماً فيها هو القدر الذي أعطاك من الربوبية وعلى قد ما حدّ لك ومنعك من تجاوزه هو ما أبقى عليك من العبودية.

فأنت ملك وأنت عبد   وأنت في أنت مستعار
ولا وجود في غير عين   فلا احتكام ولا افتقار
قد حار مثلي من حرت فيه   فلا اضطرار ولا اختيار
ولا فناء ولا بقاء   ولا فرار ولا قرار

فوجب الغسل من الجنابة بالاتفاق لأنك عبد بالاتفاق ولست رباً بالاتفاق وأمّا في غير الجنابة:

فحكمة الغسل لحفظ القوى   وحفظها من أوجب الحكم
لاسيما وكونها واجباً   لأنها دلت على العلم
بعينها وكل علم لها   لذاتها كالكيف والكم
فضلها الله على خلقه   بما لها من جودة الفهم

فمن راعى حفظ هذي القوى مما ينالها من الضرر لسدّ المسام وانعكاس الأبخرة المؤذية لها المؤثرة فيها قال بالغسل ومن غلب الحرمة لصغر الزمان في ذلك وندور الضرر ضعف عنده الموجب فكره ذلك ألا تراهم كيف انفقوا في الجنابة لقوّة الموجب وإن كان الغسل بالماء يزيده شعثاً في تلبيد الرأس والله تعالى قد أمرنا بإلقاء التفث عنا لما ذكرناه من حفظ القوى وما في معناها لأن الطهارة والنظافة مقصودة للشارع لأنه القدّوس وماله اسم يقابله فيكون له حكم ولما جهل علماء الرسوم حكمة هذه العبادة من حيث أنهم ليس لهم كشف إلهيّ من جانب الحق جعلوا أكثر أفعالها تعبداً ونعم ما فعلوه فإن هذا مذهبنا في جميع العبادات كلها مع عقلنا بعلل بعضها من جهة الشرع بحكم التعريف أو بحكم الاستنباط عند أصحاب القياس ومع هذا كله فلا نخرجها عن أنها تعبد من الله إذ كانت العلل غير مؤثرة في إيجاد الحكم مع وجود العلة وكونها مقصودة وهذا أقوى في تنزيه الجناب الإلهيّ إذا فهمت.

وصل في فصل غسل المحرم رأسه بالخطميّ

أما غسل المحرم رأسه بالخطمى فإنهم اتفقوا على منعه فإن غسل به قال بعضهم فيه الفداء وقال بعضهم إن غسل فلا شيء عليه وبه أقول من غير منع منه ولا من غيره إذ كل سبب موجب للنظافة ظاهراً وباطناً ينبغي استعماله في كل حال فإن الله جميل يحب الجمال وما ورد كتاب ولا سنة ولا إجماع على منع المحرم من غسل رأسه بشيء ولما أمر الله تعالى الإنسان أن يدخل في الإحرام فيصير حراماً بعدما كان حلالاً وصفه بصفة العزة أن يصل إليه شيء من الأشياء التي كانت تصل إليه قبل أن يتصف بهذه المنعة إذ الأشياء تطلب الإنسان لأنها خلقت من أجله فهي تطلبه بالتسخير الذي خلقها الله عليه والإتيان مخلوق على الصورة ومن حقيقة الصورة التي خلق عليها العزة أن تدرك أو تنال بأكثر الوجوه مثل قوله تعالى "لا تدركه الأبصار" يعني في الدنيا "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" مع ثبوت الرؤية في الآخرة فهذه عزة إضافية لأنه حجر ثم أباح فجعل لمن حصل الصورة بخلقه عزة وتحجيراً في عبادات من صوم وحج وصلاة أن يصل إليه بعض ما خلق من أجله فاعتز وامتنع عن بعض الأشياء و لم يمتنع عن أن يناله بعضها كما لم يمنع من خلق على صورته أن تناله التقوى منا والتقوى في المتقين من خلقه فقوّى الشبهة في الشبه ليلحق الأدلة بالشبه إذ الكل منه وإليه بل الكل عينه فما حرمت عليه الأشياء على الحقيقة وإنما هو الحرام على الأشياء لأنه ما خلق إلا لربه والأشياء خلقت له فهي تطلبه كما أنه يطلب ربه فامتناع في وقت كامتناع ووصول في وقت كوصول إن فهمت فقد بينت لك مرتبتك قال تعالى في حق الإنسان "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً" منه وقال "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً" وقال "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون" وفي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام "يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك" فأبان سبحانه لك عن مرتبتك لتعرف موطن ذلتك من موطن عزتك وأنت ما اعتززت ولا صرت حراماً على الأشياء منك بل هو جعلك حراماً على الأشياء أن تنالك فأمرك أن تحرم فدخلت في الإحرام فصرت حراماً وما جعل ذلك لك عن أمره سبحانه إلا ليكون ذلك قربة إليه ومزيد مكانة عنده تعالى وحتى لا تنسى عبوديتك التي خلقت عليها بكونه تعالى جعلك مأموراً في هذه المنعة دواء لك نافعاً يمنع من علة تطرأ عليك لعظيم مكانتك فلا بدّ أن يؤثر فيك خلقك على صورته عزة في نفسك فشرعها لك في طاعته بأمر أمرك فيه أن تكون حراماً لا احتجار الملك ألا ترى من خذله الله كيف اعتز على أمثاله بقوله "أنا ربكم الأعلى" هل جعله في ذلك إلا علمه بمرتبته لا علمه بنفسه فالإنسان عبد عيناً ورتبة كما هو سيد عيناً لا رتبة ولهذا إذا ادّعى الرتبة قصم وحرم وإذا ادّعى العين عصم ورحم والإنسان واحد في الحقيقة غير أنه ما بين معتني به وغير معتني به فهذا اعتبار هذا الفصل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الرابع والستون.

الجزء الخامس والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل دخول المحرم الحمام

فمن الناس من كرهه ومن الناس من قال لا بأس به وبه أقول ليس في أحوال الدنيا من يدل على الآخرة بل على الله تعالى وعلى قدر الإنسان مثل الحمام يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل الحمام بالشام نعم البيت بيت الحمام ينعم البدن ويزيل الدرن ويذكر الآخرة ومن هذه آثاره في العبد لا يكره له استعماله فإنه نعم الصاحب وبه سمي لأن الحمام من الحميم والحميم الصاحب الشفيق قال تعالى "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم" أي شفيق وسمي حميماً لحرارته واستعمل فيه الماء لما فيه من الرطوبة فالحمام حار رطب طبع الحياة وبها ينعم البدن وبالماء يزول الدرن وبتجريد الداخل فيه عن لباسه وبقائه عرياناً لا شيء في يديه من جميع ما يملكه يذكر الآخرة والموت وقيام الناس من قبورهم عراة حفاة لا يملكون شيأ فدخول الحمام أدل على الآخرة من الموت فإن الميت لا ينقلب إلى قبره حتى يكسى وداخل الحمام لا يدخل إليه حتى يعرّى والتجريد أدل ثم إنه من دعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم نقني من الخطايا والذنوب كما ينقى الثوب من الدرن وتنقية البدن من الدرن والوسخ من أخص صفات الحمام ولأجله عمل واعتبار الحمام بأحوال الآخرة مجاله رحب عظيم الفائدة ما يعقله إلا العلماء بالله.

وصل في فصل تحريم صيد البرّ على المحرم

اتفقوا على ذلك وهو اتفاق أهل الله أيضاً في اعتباره ومعناه قال بعضهم الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فمال الزاهد إلى قوله "وما عند الله خير وأبقى" ومال العارف إلى قوله " والله خير وأبقى" فالخلق صيد للحق صادهم من نفوسهم برّاً أو بحراً وسأبين ذلك إن شاء الله فاعلم أن الحق تعالى نصب حبالات صيد النفوس الشاردة عما خلقت له من عبادته ثم خدعهم بالحب الذي جعل لهم في تلك الحبالات أو الطعوم أو ذوات الأرواح المشبهة لهم في الحياة جعلها مقيدة في الحبالات من حيث لا يشعر الناظرون إليها فمن الصيد من أوقعه في الحبالة رؤية الجنس طمعاً في اللحوق بهم ليرى ما هم فيه فصار في قبضة الصائد فقيده وهو كان المقصود لأنه مطلوب لعينه ومن الصيد من أوقعه الطمع في تحصيل الحب المبذور في الحبالة ثم إن الصائد له تصافير يحكي بها أصوات الطير إذا سمعها الطائر نزل فوقع في الحبالة فهو بمترلة من سمع نداء الحق فأجاب فهذا لم يصد بالإحسان والآخر أحسن إليه بالحب المبذور في الحبالة فأبصره فقاده الإحسان فرمى بنفسه عليه فصاده فلولا الإحسان ما جاء إليه فمجيئه معلول والبرّ هو المحسن والإحسان والحق غيور فما أراد من هذه الطائفة الخاصة الذين جعلهم الله حراماً ليكونوا له أن يجعلهم عبيد إحسان فيكون للإحسان لا له ولهذا دعاهم شعثاً غبراً مجرّدين من المخيط ملبين لإجابته بالإهلال كما لجأ الطائر لصوت الصائد فحرم عليهم لمكانتهم صيد البرّ الذي هو الإحسان ما داموا حرماً حلالاً في المكان الحلال والحرام وسكاناً في الحرام وإن كانوا حلالاً أو حراماً

فحيث ما كانت الحرمة امتنع صيد الإحسان فإن الله من صفاته الغيرة فلم يرد أن يدعو هذه الطائفة المنعوتين بالإحرام من باب النعم والإحسان فيكونوا عبيد إحسان لا عبيد حقيقة فإنه استهضام بالجناب الإلهيّ فقال من صحبك لغرض انقضت صحبته بانقضائه وصحبة العبد ربه ينبغي أن تكون ذاتية كما هي في نفس الأمر لأنه لا خروج للعبد عن قبضة سيده وإن أبق في زعمه فما خرج عن ملكه وهو جاهل بملك سيده لأنه حيث ما مشى في ملكه مشى فما خرج عن ملك سيده ولا ملكه فلله ملك السموات والأرض فلهذا حرّم على الحاج صيد البرّ وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه خطاباً منه لعبيد الإحسان حيث جهلوا مقاديرهم وما ينبغي لجلال الله من الانقياد بالطاعة إليه و لم يحرم صيد البحر على المحرم مادام محرماً لأن صيد البحر صيد ماء وهو عنصر الحياة الذي خلق الله منه كل شيء حيّ والمطلوب بإقامة هذه العبادة وغيرها إنما هو حياة القلوب كما قال أومن كان ميتاً فأحييناه في معرض الثناء بذلك فإذا كان المقصود حياة القلوب والجوارح بهذه العبادة وبالعبادات كلها ظاهرها وباطنها فوقعت المناسبة بين ما طلب منه وبين الماء فلم يحرم صيده أن يتناوله ولهذا جاء بلفظ البحر لاتساعه فإنه يعم وكذلك هو الأمر في نفسه فإنه ما من شيء من خلقه إلا وهو يسبح بحمده ولا يسبح إلا حيّ فسرت الحياة في جميع الموجودات فاتسع حكمها فناسب البحر في الاتساع فلهذا أضافه إلى البحر و لم يقل إلى الماء لمراعاة السعة التي في البحر فصيد البحر حلال للحلال وللحرام.

وصل في فصل صيد البرّ

إذا صاده الحلال هل يأكل منه المحرم أم لا

فمن قائل يجوز له أكله على الإطلاق ومن قائل هو محرم عليه على الإطلاق ومن قائل إن لم يصد من أجله ولا من أجل قوم محرمين جاز أكله وإن صيد من أجل محرم فهو حرام على المحرم وأما مذهبنا في هذا فلم ينقدح لي فيه شيء ولا ترجح عندي فيه دليل إلا أنه يغلب على ظني الخبر الصحيح الوارد أنه إذا لم يكن للمحرم فيه تعمل فله أكله وترجح أحد احتمالي لفظة الصيد المحرم في الآية لأن الصيد المذكور قد يراد به الفعل وقد يراد به المصيد ولا أدري أيّ ذلك أراد الحق تعالى أو أراد الأمرين جميعاً الفعل والمصيد فمن يرى أنه الفعل لا المصيد فيقول بجواز أكله على الإطلاق ولا معنى لقول من يقول إن صيد من أجله لأني ما خوطبت بنية غيري فإن أمرت أنا الحلال أو أشرت إليه أو نبهته أو أومأت إليه في ذلك أو أعنته بشيء فلي فيه تعمل فيحرم عليّ ذلك وأنا آثم فيه وهذا القول وإن كنت لم أره لغيري ولكن هو من محتملات القول الثالث وهو قوله إن لم يصد من أجله قد يريد بإشارته أو دلالته وقد يريد أن الحلال نوى أن يصيد ما يأكله المحرم الحلال لا تحجير عليه في تصرّفه فأشبه الحق في هذه الصفة فإنّ رفع التحجير تتريه عن التقييد فهي صفة إلهية وليس لأحد أن يمتنع بتقييده عن تصريف الحق له إذ كان تقييده من تصريفه فله قبول ما يصرّفه فيه كما قبل تقييده لا فرق فهذه عبودية محضة خالصة حيث رأها في الحلال من كونه غير محجور عليه ما حجر على المحرم أعني رأى الصفة الإلهية التي ليس من شأنها أن تقبل الاحتجار بل هو الفعال لما يريد كما أنه تعالى أشبه المقيد المحرم في أمور أوجبها على نفسه لعباده في غير موضع كما قال "أوفوا بعهدي أوف بعهدكم" فأدخل نفسه معناً وهذا من أصعب معارض الآية قوله تعالى "فعال لما يريد" فإنه ليس بمحل لفعله ووفاؤه بالعهد لمن وفى بعهده لا بد منه لصدقه في خبره فقد فعل ما يريد وليس بمحل لتعلق إرادته لأنه موجود

ولا ترجع إلى ذاته من فعله حال لم يكن عليها فهذا غاية الإشكال في العلم الإلهي وإن تساهل الناس في ذلك فإنما ذلك لجهلهم بمتعلق الإرادة والقول الثالث أقرب الأقوال إلى الصحة لأنه أقرب إلى الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب وهذا النظر الذي لنا في هذه المسئلة ما هو قول رابع فإنا ما قطعنا بالحكم في ذلك لكن يغلب على ظني ترجيح القول الثالث على القولين وإن لم يكن بذاك الصريح.

وصل في فصل

المحرم المضطّر هل يأكل الميتة أو الصيد

فمن قائل يأكل الميتة والخنزير دون الصيد ومن قائل يصيد ويأكل وعليه لاجزاء وبالأوّل أقول فإن اضطرّ إلى الصيد صاد وعليه الجزاء لأنه متعمد فما خص الله مضطرّاً من غير مضطرّ كل مخلوق الاضطرار يصبحه دائماً لأنه حقيقته ومع اضطراره فقد كلف فالذي ينبغي له أن يقف عندما كلف فإن الاضطرار المطلق لا يرتفع عنه وإنمايترفع عنه اضطرار خاص إلى كذا فجميع حركات الكون من جهة الحقيقة اضطرارية مجبور فيها وإن كان الاختيار في الكون موجوداً نعرفه ولكن ثم علم آخر علمنا به أن المختار مجبور في اختياره بل تعطي الحقائق أن لا مختار لأنا رأينا الاختيار في المختار اضطرار يا أي لا بد أن يكون مختاراً فالاضطرار أصل ثابت لا يندفع يصحب الاختيار ولا يحكم على الاضطرار في الاختيار فالوجود كله في الجبر الذاتيّ لا أنه مجبور بإجبار من غير فإن المجبر للمجبور الذي لولا جبره لكان مختاراً مجبور في اختياره لهذا المجبور:

فالخلق مجبور ولا سيما ... والأصل مجبور فأين الخيار

فكل مخلوق على شكله ... في حلاة الجبر وفي الاضطرار

تميز المخلوق عن أصله ... بماله من ذلة وافتقار

فكن مع الحق بأوصافه ... ما بين جبر دائم واختيار

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

وصل في فصل نكاح المحرم

فمن قائل لا ينكح ولا ينكح فإن نكح فالنكاح باطل ومن قائل لابأس أن ينكح وينكح والذي أقول به إنه مكروه غير محرّم والله أعلم الإحرام عقد والنكاح عقد فاشتركا في النسبة فجاز الوطء للمحرم حرام والعقد سبب مبيح للوطء فحرم أو كره فإنه حمى والراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وإنما اجتنبت الشبه خوفاً من الوقوع في المحظور النكاح والعقد لا يصح إلا بين اثنين لا يصح من واحد فحرم أو كره لأنا مطلوبون بمعرفة الوحدة وإثبات الواحد والوحدانية وإلهكم إله واحد فالعلم أنه لا إله إلا الله التجلي في الأحدية لا يصح لأن التجلي يطلب الاثنين ولا بدّ من التجلي فلا بدّ من الاثنين فعقد النكاح للمحرم جائز فالعارف على قدر ما يقام فيه من أحوال الشهود قيل للجنيد وقد سئل عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون إنائه فأثبت الاثنين فلا بدّ منك ومنه ولا

بدّ من التمييز فلا بدّ من الواحد فإن قلت ما في الوجود إلا واحد صدقت وإن قلت ما في الوجود إلا اثنان صدقت وإن قلت ما في الإيجاد إلا اثنان صدقت فإنه عن ذات واحدة وإن قلت ما في الإيجاد إلا واحد صدقت لأنه يستحيل تعلق قدرتين بمقدور والتوحيد غيب والإثبات شهادة وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة فأثبت الاثنينية بالنسبة إلى العالم وبالنسبة إلى الله عالم بالشهادة لا غير إذ يستحيل أن يكون عنه شيشء غيباً خلافاً لمن يجعل العلة في الرؤية الوجود.

وصل في فصل المحرمين وهم ثلاثة

إمّا قارن وإمّا مفرد بحج أو مفرد بعمرة وهو المتمتع فهذا الفصل يستدعي إيراد حجة الوداع وبعد إيرادها تذكر ما يتعلق بأفعال هذه العبادة من الأحكام على أسلوب ما مضى فنقول حدثنا غير واحد إجازة وسماعاً عن ابن صاعد العراوي عن عبد الغافر الفارسيّ عن الجلودي عن إبراهيم بن سفيان المروزيّ عن مسلم بن الحجاج القشيري عن جعر ابن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة إن النبيّ صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمسون أن يأتموا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمولا مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تصنع قال اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مدّ بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وعليه يترل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به فأهل بالتوحيد لبيك اللهمّ لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وأهل الناس بهذا الذي يهلون فلم يردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ منه ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته قال جابر لسنا ندري إلا الحج لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فجعل المقام بينه وبين البيت فكان أبي يقول ولا أعلم ذكره إلا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الركعتين "قل هو الله أحد" و"قل يا أيها الكافرون" ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ "إن الصفا والمروة من شعائر الله" أبدأ بما بدأ الله فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرّات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي أسرع حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخر طواف على المروة قال لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى فقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد أبدوقدم عليّ من اليمن ببدن النبيّ صلى الله عليه وسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت إني أمرت بهذا قال فكان عليّ يقول بالعراق فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرّشاً على فاطمة للذي صنعت مستفتياً رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه فأخبرته أني أنكرت

ذلك عليها فقال صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهمّ إني أهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن معي الهدي فلا تحل قال فكان جماعة البدن الذي قدم به عليّ من اليمن والذي أتى به النبيّ صلى الله عليه وسلم مائة قال فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس فأمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريس إلا أنه واقع عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فترل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصوى فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس فقال إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوع وإن أوّل دم أضعه من

دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوعة وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ولكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضرباً غير مبرّح ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوقمن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسئلون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ثم ينكبها إلى الناس اللهمّ اشهد اللهمّ اشهد ثلاث مرات ثم أذن فأقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيأ ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصوى الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة السكينة كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد حتى أتى الزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيأ ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جدّاً فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهنّ فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحوّل الفضل وجهه الآخر حتى أتى بطن محسر فحرّك ناقته قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرجك على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بدنة ثم أعطى علياً فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرهقا وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فقال أنزعوا يا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبنكم الناس على سقايتكم لترعت معكم فناولوه دلواً فشرب منه انتهى حديث جابر ثم نرجع فنقول القارن من قرن بين صفات الربوبية وصفات العبودية في عمل من الأعمال كالصوم أو من قرن بين العبد والحق في أمر بحكم الاشتراك فيه على التساوي بأن يكون لكل واحد من ذلك الأمر حظ مثل ما للآخر كانقسام الصلاة بين الله وبين عبده فهذا أيضاً

قران وأمّا الإراد فمثل قوله ليس لك من الأمر شيء ومثل قوله قل إن الأمر كله لله ومثل قوله كل من عند الله وكقوله وإليه يرجع الأمر كله وما جاء من مثل هذا مما انفرد به عبد دون رب أو انفرد به رب دون عبد فمما انفرد به عبد دون رب قوله تعالى "أنتم الفقراء إلى الله" وقوله تعالى لأبي يزيد يا أبا يزيد تقرب إليّ بما ليس لي الذلة والافتقار فهذا معنى القران والإفراد في الحج وسيأتي حكم ذلك في التفصيل إن شاء الله تعالى.

وصل في فصل المتمتع

والمتمتعون على نوعين إمّا قارن وإما مفرد بعمرة واختلف علماء الإسلام في التمتع فمنهم من قال أن يهل الرجل بالعمرة في أشهر الحج من الميقات ممن مسكنه خارج الحرم فكمل أفعال العمرة كلها ثم يحل منها ثم ينشيء الحج في ذلك العمرة بعينه وفي تلك الأشهر من غير أن ينصرف إلى بلده وقال بعضهم وهو الأحسن هو متمتع وإن عاد إلى بلده حج أو لم يحج فإن عليه هدي التمتع المنصوص عليه في قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فكان يقول عمرة في أشهر الحج متعة وقال بعضهم ولو اعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى أتى الحج وحج من عامه أنه متمتع وذهب ابن الزبير إلى أن المتمتع الذي ذكره اه هو المحصر بمرض أو عدوّ وذلك إذا خرج الرجل حاجاً فحبسه عدو أو أمر تعذر به حتى تذهب أيام الحج فيأتي البيت ويطوف ويسعى ويحل ثم يتمتع وعليه بحجة إلى العام المقبل ثم يحج ويهدي وعلى ما قال ابن الزبير لا يكون التمتع المشهور إجماعاً وقال أيضاً إن المكيّ إذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدي واتفق العلماء على أن من لم يكن من حاضري المسجد الحرام فهو متمتع والذي أقول به إن قوله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام إنه يريد بذلك أي بهذه الإشارة بإجازة الصوم في أيام التشريق من أجل رجوعه إلى بلده لا أن المكيّ ليس بمتمتع فإنّ العلماء اختلفوا في المكيّ هل يقع منه التمتع أم لا يقع فمن قائل أنه يقع منه التمتع واتفقوا أنه ليس عليه دم وحجتهم الآية التي ذكرناها وهي محتملة وأن الدم يمكن أن يلزمه أو بدله وهو الصوم بعد انقضاء أيام التشريق فإنه من حاضري المسجد الحرام ثم ينبغي أن نذكر من أجل هذه الآية اختلافهم في حدّ حاضري المسجد الحرام فقال حاضروا المسجد الحرام أهل مكة وذي طوى وما كان مثل ذلك من مكة وقال بعضهم هم أهل المواقيت فمن دونهم إلى مكة وقال بعضهم من كان بينه وبين مكة ليلة وقال بعضهم من كان ساكن الحرم وقال بعضهم هم أهل مكة فقط والذي أقول به أنهم ساكنوا الحرم مما رد الإعلام إلى البيت فإنه من لم يكن فيه فليس بحاضر بلا شك فلو قال تعالى في حاضر المسجد الحرام كنا نقول بما جاور الحرم لأن حاضر البلد ربضة الخارج عن سوره امتدّ في المساحة ما امتدّ وإنما علق سبحانه ما ذكره بحاضري المسجد الحرام وهم الساكنون فيه فمعنى التمتع تحلل المحرّم بين النسكين العمرة والحج وهذا عندي ما يكون إلا لمن لم يسق الهدي فإن ساق الهدي وأحرم قارناً فإنه متمتع من غير إحلال فإنه ليس له أن يحل حتى يبلغ الهدي محله وبعد أن ذكرنا حكم التمتع فلنرجع إلى ما وضعنا عليه كتابنا هذا في هذه العبادات فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل إن أشهر الحج حضرة إلهية انفردت بهذا الحكم فأيّ عبد اتصف بصفة سيادة من تخلق إلهيّ ثم عاد إلى صفة حق عبودية ثم رجع إلى صفة سيادته في حضرة واحدة فذلك هو المتمتع فإن دخل في صفة عبودية بصفة ربانية في حال اتصافه بذلك فهو القارن وهو متمتع ومعنى التمتع أنه يلزمه حكم الهدي فإن كان له

هدي وهو بهذه الحالة من الإفراد بالعمرة أو القران فذلك الهدي كافيه ولا يلزمه هدي ولا يفسخ جملة واحدة وإن أفرد الحج ومعه هدي فلا فسخ فإلى هنا بمعنى مع ولهذا يدخل القارن فيه لقوله فمن تمتع بالعمرة إلى الحج أي مع الحج فتعم المفرد والقارن بالدلالة فإن العمرة الزيارة فإذا قصدت على التكرار وأقل التكرار مرّة ثانية كانت الزيارة حجاً فدخلت العمرة في الحج أي يحرم بها في الوقت الذي يحرم بالحج وأكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جعل للقارن طوافاً واحداً وسعياً واحداً وهذا مقام الاتحاد وهو التباس عبد بصفة رب وإن كان المقصود العبد فهو التباس رب بصفة عبد فإذا حل المتمتع لأداء حق نفسه ثم بنشأ الحج فقد يكون تمتعه بصفة ربانية إن كان ممن جعله الله نوراً أو كان الحق سمعه وبصره فلا يتصرّف فيما يتصرّف فيه إلا بصفة ربانية

والصفات الإلهية على قسمين صفة إلهية تقتضي التتريه كالكبير والعليّ وصفة إلهية تقتضي التشبيه كالمتكبر والمتعالي وما وصف الحق به نفسه مما يتصف به العبد فمن جعل ذلك نزولاً من الحق إلينا جعل الأصل للعبد ومن جعل ذلك للحق صفة إلهية لا تعقل نسبتها إليه لجهلنا به كان العبد في اتصافه بها يوصف بصفة ربانية في حال عبوديته فيكون

جميع صفات العبد التي يقول فيها لا تقتضي التتريه هي صفات الحق تعالى لا غيرها غير أنها لما تلبسس بها العبد انطلق عليها لسان استحقاق للعبد والأمر على خلاف ذلك وهذا هو الذي يرتضيه المحققون من أهل طريقنا على أنه ما رأينا أحداً نص عليه ولا حققه ولا أبداه مثل ما فعلنا نحن وهو قريب إلى الأفهام إذ وقع الإنصاف وذلك أن العبد ما استنبطه ولا وصف الحق به ابتداء من نفسه وإنما الحق وصف بذلك نفسه على ما بلغت رسله وما كشفه لأوليائه ونحن ما كنا نعلم هذه الصفات إلا لنا لا له بحكم الدليل العقلي فلما جاءت الشرائع بذلك وقد كان هو و لم نكن نحن علمنا أن هذه الصفات هي له بحكم الأصل ثم سرى حكمها فينا منه فهي له حقيقة وهي لنا مستعارة إذ كان ولا نحن فالأمر فيها على ما مهدناه هين المأخذ قريب المتناول فلا يهولنك ذلك إذ كان الحق به متكلماً وأنت السامع فإن قيل لك في ذلك شيء فليكن جوابك للمعترض أن تقول له أنا ما قلته هو قال ذلك عن نفسه فهو أعلم بما نسبه إلى نفسه ونحن مؤمنون به على حدّ علمه فيه وهذه أسلم العقائد فمن الإنسان والحيوان من نطفة أمشاج فأظهر الكل بالكل وضرب الكل في الكل فظهرنا به له ولنا فنحن به من وجه وما هو بنا لأنه الظاهر ونحن على أصلنا وإن كنا أعطينا باستعدادنا في أعياننا أموراً لها سمي بما يظنه المحجوب أسماء لنا من عرش وكرسيّ وعقل ونفس وطبيعة وفلك وجسم وأرض وسماء وماء وهواء ونار وجماد ونبات وحيوان وإنسان وجانّ كل ذلك لعين واحدة ليس إلا فسبحان الأعلى المخصوص بالأسماء الحسنى والصفات العلى وقد علم من هو الأولى بصفة الآخرة والأولى فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم والإنسان ظلوم بما غصب من هذه الصفات من حيث جعلها لنفسه حقيقة جهول بمن هي له وبأنها غصب في يده فمن أراد أن يزول عنه وصف الظلم والجهالة فليردّ الأمانة إلى أهلها والأمر المغصوب إلى صاحبه والأمر في ذلك هين جدّاً والعامة تظن أن ذلك صعب وليس كذلك.

وصل في فصل الفسخ

وهو أن ينوي الحج وليس معه هدي فيحوّل النية إلى العمرة فيعتمر ويحل ثم ينشىء الحج فمن قائل بجوازه ومن قائل بوجوبه ومن قائل بأن ذلك لا يجوز وبالوجوب أقول العمرة حج أصغر فجاز تحويل النية إليها وكيف لا وقد تضمن فعلها الحج الأكبر فقام

طواف الحج الأكبر وسعيه للقارن مقام ما للعمرة من الطواف والسعي وهما ركنان فاندرجت العمرة التي هي الحج الأصغر في الحج الأكبر وصارا عيناً واحدة فجاز الفسخ لعدم الهدي فإن الهدية من القادم للذي قدم عليه معتادة فإذا لم يجيء بها كلف أن لا يدخل على من قصده بالنية الأولى حتى يتمتع ويهدي ولا بدّ ولكن لا يقدّم هديه حتى ينشيء نية أخرى بالقصد على حسب ما نواه فإذا أحرم بالحج أي نوى قصد الكبير سبحانه لا المتكبر الذي هو بمنزلة العمرة التي هي حج أصغر قدّم الهدي الذي أوجبه التمتع إما نسيكة على ما تيسر وإما صوماً لمن قصده بتلك الزيارة فهي الهدية له فإن الصوم له وهو الذي نزل عليه الحاج فلذلك كان الصوم هدية لأنه يستحقها بل هي أليق به من الهدي فإنه لا يناله من الهدي إلا التقوى خاصة من المهدي والصوم كله هو له فهو أعظم في الهدية وإنما جعله الله لمن لم يجد هدياً لأن الهدي ينال الحق منه التقوى وينال العبد منه ما يكون له به التغذي وقوام نشأته فراعى سبحانه منفعة العبد مع ما للحق فيه من نصيب التقوى مع الوجود فإذا لم يجد رفق به سبحانه فأوجب عليه الصوم إذ كان الصوم له و لم يوجب عليه غير ذلك لأنه ليس له من عمل العباد إلا الصوم فأقامه مقام الهدية بل هو أسنى وقع منه بثلاثة أيام في الحج رفقاً به حتى يكون قد أتى إليه بشيء فيفرح القادم بتلك التقدمة التي قدّمها لربه في هذا القدوم فهذا من وجه رفق الله بعبده وأخر السبعة إذا رجع إلى أهله فهناك يأخذها منه فإنه في رجوعه أيضاً قادم عليه فإن الحق مع أهله إينما كانوا فإذا رجع إلى أهله وجد الحق معهم فصام هدية سبعة أيام فقبلها الحق منه في أهله أو حيثما ما كان فإن الله مع عباده أينما كانوا ومن رأي أن العين واحدة وإن اختلفت النسب لم ير أنه فسخ مع وجود الفسخ مثل قوله وما رميت إذ رميت فنفى وأثبت كذلك هذا وما فسخت إذ فسخت فمن كان شهوده في نفسه الحج خاصة لم يحل له الأصغر والأكبر فلم يفسخ وبقي على نيته الأولى لقوله تعالى "وأتموا الحج فهو بحسب مشهده والأول أتم وهو القائل بالفسخ والتعدّي عن الفسخ فهو فاسخ لا فاسخ.

تفريع في التمتع

اختلف علماء الإسلام فيمن أنشأ عمرة في غير أشهر الحج ثم حج من عامه ذلك فمن قائل عمرته في الشهر الذي حل فيه فهذا متمتع عنده بلا شك فإن حل في غير أشهر الحج عنده فليس بمتمتع واشترط بعضهم أن يكون طوافه كله في أشهر الحج وقال بعضهم إن طاف ثلاثة أشواط في رمضان وأربعة في شوّال كان متمتعاً وقال بعضهم من أهل بعمرة في غير أشهر الحج فسواء طاف في أشهر الحج أو لم يطف لا شيء عليه فإنه ليس بمتمتع اعلم أنه لما كانت أسماء الحق منها ما يعطي الاشتراك ومنها ما لا يعطي الاشتراك والذي لا يعطي الاشتراك كالمعزّ والمذلّ والذي يعطي الاشتراك كالعليم والخبير فإذا كان العبد تحت حكم اسم مّا من الأسماء الإلهية التي تعطي الاشتراك فهو بمنزلة من أحرم بالعمرة في غير أشهر الحج وعملها في أشهر الحج فهل للاسم الأوّل فيه حكم إذا انتقل إلى الاسم الآخر فانظر إن كان أحدهما يتضمن الآخر في أمر مّا كالخبير والعالم كان في عمله تحت حكم الآخر لأنه صاحب الوقت وأنت أخيذه بأكثر مما أخذ منك الوقت الأوّل وإن كان مشهدك أول الإنشاء وأنه المؤثر ولولاه لم يصح حكم هذا الآخر كالنية في الصلاة ثم لا يحضر في أثناء الصلاة فصحت الصلاة لحكم الأول وقوّته فمن كان مشهده هذا نفى أن يكون هذا متمتعاً فإنه بحكم الإنشاء لا بحكم الانتهاء فاعلم ذلك وأما أكثر شروط التمتع الذي يكون به المتمتع متمتعاً فهي عند بعضهم خمسة منها أن يجمع بين العمرة والحج في سفر واحد الثاني أن يكون ذلك في عام واحد الثالث أن يفعل شيأ من العمرة في أشهر الحج

الرابع أن ينشيء الحج بعد الفراغ من العمرة وإحلاله منها الخامس أن يكون وطنه غير مكة أما الجمع في سفر واحد وذلك أن يدعوه اسمان فما زاد أو اسم يتضمن اسمين فما زاد كما قدّمنا فيجيب في ذلك السفر الواحد إليهما بحسب ما دعوا إليه كالمغني إذا دعاه إليه فإنه يتضمن في المدعوّ حكم الاسم المعزّ فإنه إذا استغنى اعتز والعزة لا تكون إلا من الاسم المعز وما اعتز هنا إلا بالاسم المغني لأنه أغناه فأورثته صفة الغنى العزة فلولا أن المغني يتضمن الاسم المعز ما ظهرت العزة في هذا الغنى بما استغنى به وأما العام الواحد فإنه كمال الزمان إذ العام فيه كمال الزمان لحصره الفصول فكمال الزمان هو بظهور الأبد الذي به كمل الدهر فإن الأزل نفى الأولية والأبد نفى الآخرية فما بقي طرفان فليس إلا دهر واحد إذ كان نسبة الأزل للحق نسبة الزمان للخلق في العامة بنسبة الزمان الماضي فينا فلهذا لا يعبر عن الفعل فيه إلا بالماضي فيقولون كان ذلك في الأزل وفعل ذلك في الأزل وقد بينا حقيقة مدلول هذه اللفظة في كتابنا هذا وفي جزء لنا سميناه الأزل وأما كونه أن يكون شيء من العمرة في أشهر الحج فهو أن يكون قصد الإنسان إلى ربه من حيث ما يقضتضيه حق الله عليه فيه ووفاء بحق العبودية فللعمل وجه في هذا ووجه في هذا وإما أن ينشيء الحج بعد الفراغ من العمرة والإحلال منها فهو بمنزلة الإخلاص في العبادة والخروج من حكم اسم إلهيّ مقابل لاسم إلهيّ لا يجتمعان كالضارّ والنافع والمعطي والمانع وأما الوطن أن يكون غير مكة فذلك بين فإن العبد موطنه العبودية ولا يستطيع الخروج من موطنه إلا إذا دعاه الحق إليه فلو ضمه معه موطن لما دعاه إليه.

وصل في فصل في القران

فهو عندنا أن يهل بالعمرة والحج معاً فإن أهل بالعمرة ثم بعد ذلك أهل بالحج فهذا مردف وهو قارن أيضاً ولكن بحكم الاستدراك فمن جمع بين العمرة والحج في إحرام واحد فهو قران سواء قرن بالإنشاء أو بعده بزمان ما لم يطف بالبيت وقيل ما لم يطف ويركع ويكره بعد الطواف وقبل الركوع فإن ركع لزمه ومن قائل له ذلك بعد الركوع من الطواف وما بقي عليه شيء من عمل العمرة إلا إذا لم يبق عليه من أفعال العمرة إلا الحلاق فإنهم اتفقوا على أنه ليس بقارن وذلك كله عند بعضهم أن ساق الهدي وبه أقول فإن لم يسق معه هدياً فاختلفوا في حجه وكذلك مفرد الحج سواء فمن قائل ببطلان الحج ويجب عليه الفسخ ولا بدّ ومن قائل بجواز الفسخ لا بوجوبه ومن قائل بمنعه وإنه يتم حجه الذي نواه سواء ساق الهدي أم لم يسق والقارن الذي يلزمه هدي التمتع هو عند الجمهور من غير حاضري المسجد الحرام إلا ابن الماجشون فإن القارن عنده من أهل مكة عليه الهدي وأما الإفراد فهو ما تعرّى من هذه الصفات وهو الإهلال بالحج فقط واختلف العلماء من الصحابة فيه إذا لم يكن له هدي وقد ذكرناه آنفاً في هذا الفصل وأما الذين أجازوا الحج لمن لم يسق الهدي وفي أصل الإهلال بالحج وإن ساق الهدي أيّ أفضل فمن قائل الإفراد أفضل ومن قائل القران ومن قائل التمتع اعلم أن المحرم لا يحرم كما أن الموجود لا يوجد وقد أحرم المردف قبل أن يردف ثم أردف على إحرام العمرة المتقدّم وأجزأه بلا خلاف والإحرام ركن في كل واحد من العملين بالاتفاق جوازه فيترجح قول من يقول يطوف لهما طوافاً واحداً وسعياً واحداً وحلاقاً واحداً أو تقصيراً على من لا يقول بذلك قد تقدّم لك حكم تداخل الأسماء الإلهية في الحكم وقد تقدّم لك انفراد حكم الاسم الإلهيّ الذي لا يداخله حكم غيره في حكمه فلتنظره هنالك فمن أفرد قال الأفعال كلها لله والعبد محل ظهورها ومن قرن قال الأفعال لله بوجه وتنسب إلى من تظهر منه بوجه يسمى ذلك كسباً عند بعض النظار وخلقاً عند آخرين واتفق الكل

على أن خلق القدرة المقارنة لظهور الفعل من العبد لله وأنها ليست من كسب العبد ولا من خلقه واختلفوا هل لها أثر في المقدور أم لا فمنهم من قال لها أثر في المقدور ولا يكون مقدورها إلا عنها وما صح التكليف وتوجه على العبد إذ لو لم يكن قادراً على الفعل لما كلف ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وهو ما يقدر على الإتيان به وقال في أن القدرة لله التي في العبد لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها والذي أعطاها إنما هو القدرة التي خلق فيه فله الاقتدار بها على إيجاد ما طلب منه أن يأتي به من التكليف ومنهم من قال ليس للقدرة الحادثة أثر خلق في المقدور الموجود من العبد وليس للعبد في الفعل الصادر منه إلا الكسب وهو اختياره لذلك الفعل إذ لم يكن مضطرّاً ولا مجبوراً فيه وأما أهل الله الذين هم أهله فأعيان الأفعال الظاهرة من أعيان الخلق إنما هي نسب من الظاهر في أعيان هذه الممكنات وإن استعداد الممكنات أثرت في الظاهر في أعيان الممكنات ما ظهر من الأفعال والعطاء بطريق الاستعداد لا يقال فيه إنه فعل من أفعال المستعدّ لأنه لذاته اقتضاه كما أعطى قيام العلم لمن قام به حكم العالم وكون العالم عالماً ليس فعلاً البتة فالاقتضا آت الذاتية العلية ليست أفعالاً منسوبة إلى من ظهرت عنه وإنما هي أحكام له فأفعال المكلفين فيما كلفوا به من الأفعال أو التروك مع علمنا بأن الظاهر الموجود هو الحق لا غيره بمنزلة ما ذكرناه من محاورة الأسماء الإلهية ومجاراتها في ميادين المناظرة وتوجهاتها على المحل الموصوف بصفة ما بأحكام مختلفة وقهر بعضها بعضاً كفاعل الفعل المسمى ذنباً ومعصية يتوجه عليه الاسم العفوّ والغفار والمنتقم والمعاقب فلا بدّ أن ينفذ فيه أحد أحكام هذه الأسماء إذ لا يصح أن ينفذ فيه الجميع في وقت واحد لأن المحل لا يقبله للتقابل الذي بين هذه الأحكام فقد ظهر قهر بعض الأسماء في الحكم لبعض والحضرة الإلهية واحدة فإذا علمت هذا هان عليك أن تنسب الأفعال كلها لله كما تنسب الأسماء الحسنى كلها لله تعالى أو الرحمن مع أحدية العين واختلاف الحكم فاعلم ذلك وخذه في جميع ما يسمى فعلاً فتعرف عند ذلك من هو المكلف والمكلف وتنطق فيه بحسب مشهدك انتهى الجزء الخامس والستون.

الجزء السادس والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل الغسل للإحرام

فمن قائل بوجوبه ومن قائل إن الوضوء يجزىء عنه ومن قائل إنه سنة مؤكدة آكد من غسل الجمعة اعلم أن الطهارة الباطنة في كل عبادة واجبة عند أهل الله إلا من يرى أن المكلف إنما هو الظاهر في مظهر مّا من أعيان الممكنات فإنه يراه سنة لا وجوباً ومن يرى من أهل الله إن الاستعداد الذي هو عليه عين المظهر كما أثر في الظاهر فيه أن يتميز عن ظهور آخر بأمر مّا وباسم مّا من حيوان أو إنسان أو مضطرّ أو بالغ أو عاقل أو مجنون فذلك الاستعداد عينه أوجب عليه الحكم بأمر مّا كما أوجب له الاسم فقال له اغتسل لإحرامك أي تطهر بجمعك حتى تعم الطهارة ذاتك لكونك تريد أن تحرّم عليك أفعالاً مخصوصة لا يقتضي فعلها هذه العبادة الخاصة المسماة حجاً أو عمرة فاستقبالها بصفة تقديس أولى لأنك تريد بها الدخول على الاسم القدّوس فلا تدخل عليه إلا بصفته وهي الطهارة كما لم تدخل عليه إلا بأمره إذ المناسبة شرط في التواصل والصحبة فوجب الغسل ومن رأى أنه إنما يحرم على المحرم أفعال مخصوصة لا جميع الأفعال قال فلا يجب عليه الغسل الذي هو عموم الطهارة فإنه لم يحرم عليه جميع أفعاله فيجزىء الوضوء فإنه غسل أعضاء مخصوصة من البدن كما أنه ما يحرم عليه إلا أفعال مخصوصة من أفعاله وإن اغتسل فهو أفضل وكذلك إن عمم الطهارة الباطنة فهو أولى وأفضل.

وصل في فصل النية للإحرام

وهو أمر متفق عليه إلا من شذ القصد بالمتع عين بقائك على ما أنت عليه فهذا حكم منسوب إليك تؤجر عليه وما عملت شيأ وجودياً وهو كالنهي في التكليف وله من الأسماء المانع والقصد أبداً لا يكون متعلقه إلا معدوماً فيقصد في المعدوم أبداً أحد أمرين إمّا إيجاد عين وهو الكون وأمّا إيجاد حكم وهو النسبة وما ثم ثالث يقصد فمثل إيجاد العين إنما قولنا لشيء إذا أردناه ولا يريده إلا وهو معدوم أن نقول له كن فيكون فيظهر وجود عين المراد بعدما كان معدوماً ومثل إيجاد الحكم وهو النسبة قوله تعالى إن يشأ يذهبكم فالإذهاب معدوم وهو الذي يشاء إن شاءه فإن شاء أعدمه بمنع شرطه الذي به بقاء حكم الوجود عليه فيصير عليه حكم اسم المعدوم وما فعل الفاعل شيأ فتعلق القصد بالإعدام فاتصف الموجود بحكم العدم لا أنه كان العدم فإن العدم لا يكون مع وجود حكمه وهو النسبة وإذا تأمّلت فما ثم وجود إلا الله خاصة وكل موصوف بالوجود مما سوى الله فهو نسبة خاصة والإرادة الإلهية إنما متعلقها إظهار التجلي في المظاهر أي في مظاهر مّا وهو نسبة فإن الظاهر لم يزل موصوفاً بالوجود والمظهر لم يزل موصوفاً بالعدم فإذا ظهر أعطى المظهر حكماً في الظاهر بحسب حقائقه النفسية فانطلق على الظاهر من تلك الحقائق التي هو عليها ذلك المظهر المعدوم حكم يسمى إنساناً أو فلكاً أو ملكاً وما كان من أشخاص المخلوقات كما رجع من ذلك الظهور للظاهر اسم يطلق عليه يقال به خالق وصانع وضار ونافع وقادر وما يعطيه ذلك التجلي من الأسماء وأعيان الممكنات على حالها من العدم كما أن الحق لم

يزل له حكم الوجود فحدث لعين الممكن اسم المظهر وللمتجلي فيه اسم الظاهر فلهذا قلنا فكل موجود سوى الله فهو نسبة لا عين فأعطى استعداد مظهر مّا أن يكون الظاهر فيه مكلفاً فيقال له افعل ولا تفعل ويكون مخاطباً بأنت وبكاف الخطاب فالقصد للإحرام هو القصد للمنع أن يمنع به ما يمكن أن لا يمنع فحينئذ يصير المنع حكماً والتكليفات كلها أحكام فالنية للإحرام أن يقصد بذلك المنع القربة إلى الله والقربة معدومة فيكون سبب وجود حكمها هذا المنع فحصل للعبد بعد أن لم يكن فيصير مظهراً عند ذلك وهو غاية القرب ظهور في مظهر لأن بذلك الظهور يظهر حكم المظهر في الظاهر فيه كما يظهر بطريق القرب حكم الداعي في المدعوّ بما يكون منه من الإجابة قال تعالى "وإذا سألك عبادي عني فإن قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني" إذ لا تكون إجابة إلا بعد الدعاء فأعطاه الداعي حكم الإجابة كما دعاه تعالى إلى الحج إلى بيته على صفة مخصوصة تسمى الإحرام فأجاب العبد رافعاً صوته وهو الإهلال بالتلبية وهي قوله لبيك اللهمّ لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

وصل في فصل هل تجزىء النية عن التلبية

اختلف علماء الرسوم رضي الله عنهم في ذلك فقال بعضهم التلبية في الحج كتكبيرة الإحرام في الصلاة وصاحب هذا القول يجزىء عنده كل لفظ يقوم قمام التلبية كما يجزىء عنده في الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير وهو كل ما يدل على التعظيم وقال بعضهم لا بدّ من لفظ التلبية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني مناسككم ومما شرع لفظ التلبية وهو قوله لبيك كما شرع الله أكبر في تكبيرة الإحرام في الصلاة فأوجب بعضهم تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورتها لبيك اللهمّ لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وفي رواية لبيك إله الحق وفي رواية إله الخلق فهي واجبة بهذا اللفظ عند هؤلاء وعند جمهور العلماء مستحبة وبه أقول واللفظ بها أولى واختلفوا في الزيادة على هذا اللفظ وفي تبديله كما قلنا وكذلك اختلفوا في رفع الصوت بالتلبية وهو الإهلال فأوجبه بعضهم وبه أقول ولكنه عندي إذا وقع منه مرّة واحدة أجزأه وما زاد على الواحدة فهو مستحب وألوى وقال بعضهم رفع الصوت بالتلبية مستحب إلا في مساجد الجماعات ما عدا المسجد الحرام ومسجد منى عند بعضهم واختلفوا في التلبية هل هي ركن أم لا فقال بعضهم هي ركن من أركان الحج وبه أقول فإن الله يقول فليستجيبوا لي وهو قد دعانا إلى بيته فلا بدّ أن أقول لبيك ثم نأخذ في الفعل لما دعاني الله أن نأتيه به من الصفات وقال بعضهم ليست ركناً اعلم أن القصد إلى الله تعالى بهذه العبادة الخاصة الجامعة بين الإحرام والتصرّف في أكثر المباحات هو قصد خاص لاسم خاص وهو الداعي إلى البيت بهذا القصد لا إليه لكن من أجله بصفة عبودية مشوبة بصفة سيادة تظهر حكم السيادة في هذه العبادة في النحر لأنه إتلاف صورة وفي الرمي بالجمار فإنه وصف فعل إلهيّ في قوله وأمطرنا عليهم حجارة روي أن إبليس تعرّض لأبراهيم الخليل في أماكن هذه الجمرات مراراً فحصبه بعدد ما شرع وفي زمانها وكذلك في إلقاء التفث فإنه وصف إلهيّ من قوله "سنفرغ لكم" وفرغ ربك والوفاء بما نذر فيه كذلك لقوله "أوف بعهدكم" والطواف بالبيت لكون هذا الفعل إحاطة بالبيت من قوله وهو بكل شيء محيط والذكر فيها من قوله اذكروني أذكركم وذكر الله لنا أكبر من ذكرنا له إلا إن ذكرناه به لا بنا فذكرنا به أكبر إحاطة فإن في ذكرنا نحن وهو وفي ذكره هو بلا نحن قرىء على أبي يزيد أن بطش ربك لشديد قال بطشي أشدّ يعني إذا بطش العبد به لا بنفسه وإنما قول أبي يزيد عندي فشرحه خلاف هذا فإن بطش العبد بطش معرّى عن الرحمة ما عنده من الرحمة شيء في حال بطشه

وبطش الحق بكل وجه فيه رحمة بالمبطوش به من وجه يقصده الباطش الحق فهو الرحيم به في بطشه فبطش العبد أشدّ لأنه لا تقوم به رحمة بالمبطوش به وما أشبه ذلك من الرمل والسعي وكل فعل له في الألوهية وصف وإذا عرفت أن القصد إلى البيت من الله لا إليه فليكن قصدك إلى البيت بربك لا بنفسك فتكون ذا قصد إلهيّ فإنه تعالى قصد هذا البيت دون غيره من البيوت وطلب من عباده أن يقصدوه بوصف خاص وهو الإحرام وجميع أفعال الحاج وجعل أوّله طوافاً وآخره طوافاً فختم بمثل ما به بدأ عند الوصول إلى البيت فما أمرك بالقصد إلى البيت لا إليه إلا لكونه جعله قصداً حسياً فيه قطع مسافة أقربها من بيتك الذي بمكة إلى البيته وهو معك أينما كنت فلا يصح أن تقصد بالمشي الحسيّ من هو معك فأعلمك أنه معك ثم إنه ذلك على البيت الذي هو مثلك ومن جنسك أعني أنه مخلوق فدلالته لك على البيت دلالته لك على نفسك في قوله من عرف نفسه عرف ربه فإذا قصدت البيت إنما قصدت نفسك فإذا وصلت إلى نفسك عرفت من أنت وإذا عرفت من أنت عرفت ربك فتعلم عند ذلك هل أنت هو أو لست هو فإنه هناك يحصل لك العلم الصحيح فإن الدليل قد يكون خلاف المدلول وقد يكون عين المدلول فلا شيء أدل على الشيء من نفسه ثم تبعد الدلالة بحسب بعد المناسبة فالإنسان أقرب دليل عليه من كونه مخلوقاً على الصورة ولهذا ناداك من قريب لقرب المناسبة فقال "إني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني" "وقد سمع الله قول التي تجادلك" وقد تقدّم في أول الباب أسرار ظهرت في اعتبار البيت ثم جاء بلفظة البيت لما فيه من اشتقاق المبيت فكأنه إنما سمي بيتاً للمبيت فيه فإنه الركن الأعظم في منافع البيت كقولهم الحج عرفة يريد معظمه فراعى

حكم المبيت لأنه في المبيت يكون النوم فهو محتاج إلى من يحفظ رحله ونفسه لنومه فإنه في حال يقظته يتصف بحفظ رحله ونفسه فلما راعى فيه المبيت والمبيت لا يكون إلا بالليل لا بالنهار ولهذا راعى أ؛مد بن حنبل في غسل اليد في الوضوء قبل إدخالها في الإناء لمن قام من نوم الليل خاصة لقوله صلى الله عليه وسلم "فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده" فجاء بلفظ المبيت فجعل الحكم في نوم الليل ولما كان الليل محل التجلي فيه فإن الحق ما جعل تجليه لعباده في الحكم الزمانيّ إلا في الليل فإن فيه يترل ربنا وفيه كان الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه معارج الأرواح في النوم لرؤية الآيات ولما تحققت هذه الأمور كلها خص سبحانه هذا المكان بلفظ البيت فسماه بيتاً فافهم ما أشرنا إليه فقال جل وتعالى "ولله على الناس" إشارة إلى النسيان و لم يقل على بني آدم حج البيت يعني قصد هذا المكان من كونه بيتاً ليتنبه باسمه على ما قصد به دون غيره من استطاع إليه سبيلاً أي من قدر على الوصول إليه ولذلك شرع وإياك نستعين وأمثاله فالإجابة لله بالتلبية لدعائه ورفع الصوت به من أجل البيت لبعده عن المدعوّ فإنه دعاه من البيت لأنه دعاه ليراه فيه لتجليه كما أسرى بعبده ليلاً ليريه من آياته التي هي دلائل عليه وقد يكون ظهور الشيء للطالب دليلاً على نفسه فيكون من آياته أن يتجلى له فيراه فيكون له دليلاً على نفسه وهذا مذهب ابن عباس فوجب رفع الصوت بالتلبية وهو الإهلال لأجل ما للبيت من الحظ في هذا الدعاء فإنه المقصود في اللفظ فهو الحجاب على الوجه المقصود فإن كنت محمديّ المشهد فلا تزد على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فتراه بعينه فإنه لا يتجلى لك بتلبيته إلا ما تجلى له وقد تقرّر أنه أعلم الخلق بالله والعلم بالله لا يحصل إلا من التجلي وقد تجلى لك في تلبيتك هذه فنظرته بعين محمد صلى الله عليه وسلم وهي أكمل الأعين لأنه أكمل العلماء بالله والله مع العبد في شهوده على قدر علمه به فإن زدت على هذه التلبية فقد أشركت حيث أضفت إليها تلبية أخرى وأنت تعلم أن الجمع يعطي من الحكم ما لا يعطي الأفراد فلا تتخيل أنك لما جئت بتلبيته صلى الله عليه وسلم كاملة ثم زدت عليها ما شئت أن باستيفائك إياها يحصل لك ما حصل لمن لم يزد عليها هذا جهل من قائله بما هي عليه حقائق الأمور ألا تراه صلى

الله عليه وسلم لزم تلبيته تلك وما زاد عليها ولا أنكر على أحد ما لبى به فلم يكن لزومه إياها باطلاً فألزم الاتباع تكن عبداً ولا تبتدع في العبودية حكماً فتكون بذلك الابتداع رباً فإنه البديع سبحانه فألزم حقيقتك تحظ به وإن شاركته لم تحظ به فإنه لا يشارك فتقع في الجهل لأن الشركة لا تصح في الوجود لأن الوجود على صورة الحق وما في الحق شريك بل هو الواحد الشركة ما لها مصدر تصدر عنه فتحقق هذا التنبيه في الشركة فإنه بعيد أن تسمعه من غيري وإن كان معلوماً عنده فإنه يحكم عليه الجبن الذي فطر عليه فيفزع من كون الحق أثبت الشركة وصفاً في المخلوق وما شعر هذا الناظر بقوله أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو الذي أشرك فما قال إن الشركة صحيحة ولا أن الشريك موجود إذ لا يصح وجود معنى الشركة على الحقيقة لأن الشريكين حصة كل واحد منهما معينة عند الله وإن جهلها الشريكان فأنت الذي أشركت وما في نفس الأمر شركة لأن الأمر من واحد:

هذا هو الحق الذي	إن قلته لا تغلب
وما سوى هذا فلا	فهو مثال يضرب

مثل تقدير وجود المحال وجوده بحكم الفرض ولما كان القصد إلى البيت والبيت في الصورة ذو أربعة أركان وفي الوضع الأوّل ذو ثلاثة أركان كان القصد على صورة البيت في أكثر المذاهب فأركان الحج أربعة الإحرام والوقوف والسعي وطواف الإفاضة هذا هو الذي عليه أكثر الناس ومن راعى صورة البيت في الوضع الأول كان عنده على التثليث لم ير طواف الإفاضة فرضاً فأقام البيت على شكل مثلث متساوي الساقين لا متساوي الأضلاع ولا يصح أن يكون متساوي الأضلاع إذ لو كان لم يكن ثم من يميز الساقين لأنه مثلهما ولا بدّ من تساوي الساقين والتمييز بينهما وهما اليدان والقبضتان وإنما سميتا ساقين للاعتماد الذي في حقيقة الساق ولما كان الاعتماد على القبضتين وإليهما يرجع حكم الأمر في الدارين الجنة والنار وما ثم غيرهما كان اسم الساق أولى "والتفت الساق بالساق" فلا بدّ من التساوي حتى يصح الالتفاف عليه كله من كله وما زاد على هؤلاء الأربعة وجعل ركناً فمن نظر آخر خارج عن شكل البيت وصورته فهو بمنزلة من يطلب أمراً فيرى ما يشبهه فيقول هو هو وإن كان هو اعتبار صحيح ولكن ما له هذا الظهور في الشبه لأن الصورة لا تشهد له أعني صورة البيت الذي هو المقصود بالحج لا غير.

وصل في فصل الإحرام إثر صلاة

وهو مستحب عند العلماء فرضاً كان أو نفلاً غير أن بعضهم يستحب أن يتنفل له بركعتين فإنه أولى إذا كانت السنة من النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك والسنة أحق بالاتباع فإنه لهذا سنت وقد قال خذوا عني مناسككم في حجه صلى الله عليه وسلم إنما شرع الإحرام إثر صلاة لأن الصلاة عبادة بين طرفي تحريم وتحليل فتحريمها التكبير وتحليلها التسليم فأشبهت الحج والعمرة فإنهما عبادتان بين طرفي تحريم وتحليل فوقعت المناسبة ولأن الصلاة أيضاً أثبت الحق فيها نفسه وعبده على السواء فجعل لنفسه منها أمراً انفرد به وجعل لعبده منها حظاً أفرده به وجعل منها برزخاً أوقع فيه الاشتراك بينه وبين عبده فإنها عبادة مبنية على أقوال وأفعال والحج كذلك ينبني على أقوال وأفعال فما فيه من التعظيم فهو لله ومن الذلة والافتقار والنفث فهو للعبد وما فيه مما يظهر فيه اشتراك فهو برزخ فوقعت المناسبة أيضاً فيه أكثر من غيره من العبادات فإن الصوم وإن كان بين طرفي تحريم وتحليل فما يشتمل على أقوال ولا

على أفعال ثم إن كان لك أهل في موضع إحرامك فينبغي لك إذا أردت الإحرام أن تطأ أهلك فإن ذلك من السنة ثم تغتسل وتصلي وتحرم فإن المناسبة بين الحج والصلاة والنكاح كون كل واحد من هذه العبادات بين طرفي تحريم وتحليل وقد راعى الله ذلك أعني المناسبة من هذا الوجه في الصلاة والنكاح فقال "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الآيتين وجعل هذه الآية بين آيات نكاح وطلاق تتقدّمها وتتأخر عنها وعدة وفاة وفي ظاهر الأمر إن هذا ليس موضعها وما في الظاهر وجه مناسب للجمع بينها وبين ما ذكرنا إلا كونهما بين طرفي تحريم وتحليل متقدم أو متأخر ولما أراد الله من العبد فيما نبهه به أن لا يفعل شيأ من الأفعال الصادرة منه في ظاهر الأمر إلا وهو يعلم أن الله هو الفاعل لذلك الفعل في قوله كنت سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر وبي يتحرّك وقال في الصلاة إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فنسب القول إليه لا إلى العبد و لم يقل بلسان عبده فلهذا شرع الإحرام عقيب صلاة لينتبه الإنسان بما ذكرناه أنه بربه في جميع حركاته وسكناته على اختلاف أحكامها فيكون في عبادة دائماً بهذا الحضور ويكون فيها لا فيها:

فالله أظهر نفسه بحقائق الأ ... كوان في أعيانها فاعبده به

إن كنت تعبده فلست بعابد ... فانظر إلى قولي لعلك تنتبه

وتفطن فإن الله ما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" سدى بل قال ذلك لتعرف أنت وأمثالك صورة الأمر كيف هو فالإحرام للعبد نظير التنزيه للحق وهو قولك في حق الحق ليس كذا وليس كذا لكونه قال "ليس كمثله شيء" "وسبحان ربك رب العزة عما يصفون" والعزة الامتناع والتسبيح تنزيه والتنزيه بعد عما نسب إليه من الاحبة والولد وغيرهما والإحرام منع وتنزيه وبعد عن الجماع وعن أشياء قد عين الشارع اجتنابها وهو عين التنزيه والتباعد عنها ومنع صاحب هذه العبادة من الاتصاف بها.

وصل في فصل

نسبة المكان إلى الحج من ميقات الإحرام

أي من أيّ مكان أحرم عليه السلام فمنهم من قال من مسجد ذي الحليفة ومنهم من قال حين استوت به راحلته ومنهم من قال حين أشرف على البيداء وكل قال وأخبر عن الوقت الذي سمعه فيه يهل فمنهم من سمعه يهل عقيب الصلاة من المسجد ثم سمعه آخر يهل حين استوت به راحلته ثم سمعه آخر يهل حين أشرف على البيداء وقال علماء الرسوم في المكيّ إذا أحرم لا يهل حتى يأخذ في الرواح إلى منى والأولى عندي أن يهل عقيب الصلاة إذا أحرم ثم إذا أخذ في الرواح ثم لا يزال يهل إلى الوقت المشروع الذي يقطع عنده التلبية لأن الدعاء كان لجميع أفعال الحج فالتلبية إجابة لذلك الدعاء فما بقي فعل من أفعال الحج أمامه لم يفعله فلا يقطع التلبية حتى يفرغ من أفعال الحج الذي دعاه إلى فعلها هذا يقتضي النظر إلى أن يرد نص من الشارع بتعيين وقت قطع التلبية فيقف عنده لقوله صلى الله عليه وسلم "خذوا عني مناسككم" ولما كان الدعاء عند أهل الله نداء على رأس البعد وبوح بعين العلة فإن الإجابة تؤذن في الحال بالبعد فكان النداء طلباً للقرب من حكم هذا البعد فالإجابة مقدّمة بشى من العبد للحق يبشره

بالإجابة لما دعاه إليه من كونه يتجلى في صورة تعطي هذه النسب وإن كانت السعادة للعبد في تلك الإجابة ولكن ما خلق الله الجنّ والإنس إلا ليعبدوه فدعاهم لما خلقهم له ولما كان في الإمكان الإجابة وعدم الإجابة لذلك كانت الإجابة بشرى للداعي أن دعاءه مسموع وأمره مطاع حين أبى غيره وامتنع ممن سمع الدعاء وربما يدخل في هذا من يقول بالتراخي مع الاستطاعة والأولى بكل وجه المبادرة عند الاستطاعة وارتفاع الموانع فجعل قوله تعالى "يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان في مقابلة هذه البشرى بالإجابة جزاء وقال لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة جزاء أيضاً مؤكداً لبشراهم بإجابة داعي الحق بالعبادات فقالوا لبيك أي إجابة لك لما دعوتنا إليه وخلقتنا له فلم يرجع داعي الحق خائباً ثم حققوا الإجابة بما فعلوه مما كلفوه على حدّ ما كلفوه من نسبة الأعمال إليهم وفنائهم عن رؤيتها منهم برؤية مجريها على أيديهم ومنشئها فيهم فهم عمال لا عمال كذا هو الأمر في الحقيقة اطلع العباد على ذلك أو لم يطلعوا فشرف العالم بالاطلاع على من لم يطلع وفضل عليه "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".

وصل في فصل المكيّ يحرم بالعمرة دون الحج

فإن العلماء ألزموه بالخروج إلى الحل ولا أعرف لهم حجة على ذلك أصلاً واختلفوا إذا لم يخرج إلى الحل فقيل عليه دم وقيل لا يجزيه ووقفت على ما احتجوا به في ذلك فلم أره حجة فيما ذهبوا إليه والذي أذهب إليه في هذه المسئلة إن المكيّ يجوز له أن يحرم من بيته بالعمرة كما يحرم بالحج سواء ويفعل أفعال العمرة كلها من طواف وسعي وحلق أو تقصير ويحل ولا شيء عليه جملة واحدة فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما وقت المواقيت لمن أراد الحج والعمرة و لم يفرّق بين حج ولا عمرة قال ميقات أهل مكة من مكة وما يلزم من الأفعال في نسك العمرة فعل وما يلزم من نسك الحج فعل وما خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط الجمع بين الحل والحركم وإنما شرع ذلك للآفاقي لا للمكيّ فقال لعبد الرحمن بن أبي بكر أخرج بعائشة إلى التنعيم من أجل أن تحرم بالعمرة مكان عمرتها التي رفضتها حين حاضت وعائشة آفاقية وهذا هو دليل العلماء فيما ذهبوا إليه وهو دليل في غاية الضعف لا يحتج بمثل هذا على المكيّ والأوجه في تمشية الحكمة في المكي أن لا يخرج إلى الحل إذا أحرم بالعمرة فإنه في حرم الله تعالى فهو في عبودية مشاهدة قد منعه الموطن أن يكون غير عبد ثم أكد تلك العبودية بالإحرام فهو إحرام في حرم تأكيد للعبودية وإجلال للربوبية فإذا خرج إلى الحل نقص عن هذه الدرجة والمطلوب الزيادة في الفضل ألا ترى الآفاقي لما خرج إلى الحل هناك أحرم فلم يكن المطلوب منه في خروجه أن يبقى على إحلاله ثم دخل في الحرم محرماً فزاد فضلاً على فضل فكان المطلوب الزيادة فالمكيّ في حرم الله أي موجود في عين القرب من الله بالمكان فلماذا يخرج والقرب بيته وموطنه حاشا الشارع أن يرى هذا وكذلك ما قاله ولا رآه ولا أمر به والآفاقي لما كان همه متعلقاً بوطنه الخارج عن الحرم كان خروجه إلى الحل من أجل الإحرام بالعمرة كالعقوبة له لما كانت الهمة به متعلقة فإنه في نية المفارقة لحرم الله وطلب موطنه الخارج عنه فخرج من الأفضل إلى ما هو دونه وأين جار الله ممن ليس بجار له والله قد وصى بالجار حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مازال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه" يعني يلحقه بالقرابة أصحاب السهام في الورث وكذلك في الحج واتفق من نسك الحج الوقوف بعرفة وعرفة في الحل وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما شرع الوقوف بعرفة إلا لكونها في الحل ولا بد للمحرم أن يجمع بين الحل والحرم ما تعرّض

الشارع إلى شيء من ذلك ولو كان مقصوده لأبان عنه وما ترك الناس في عماية بل بين صلى الله عليه وسلم في المواقيت ما ذكرناه فوصف المناسك وعينها وأحوالها وأماكنها وأزمانها فالله يلهمنا رشد أنفسنا ويجعلنا ممن اتبع وتأسى آمين بعزته والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصل في فصل متى يقطع الحاج التلبية

فمن قائل إذا زاغت الشمس من يوم عرفة وهو عند الزوال ومن قائل حتى يرمي جمرة العقبة كلها ومن قائل حين يرمي أول حصاة من جمرة العقبة وقد تقدم قولنافي ذلك وهو أنه ما بقي عليه فعل من أفعال الحج فلا يقطع التلبية حتى يفرغ منه فإن الله يدعوه ما بقي عليه فعل من أفعال الحج فالإجابة لازمة وما ثم نص من النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك فإنه غاية ما وصل إلينا أن الواحد ما سمعه يلبي بعد ما زاغت الشمس والآخر ما سمعه يلبي حين رمى أول حصاة من جمرة العقبة والآخر ما سمعه يلبي بعد آخر رمية حصاة من آخر جمرة القعبة فصدق كل واحد منهم في أنه ما سمع مثل قولهم في الإهلال بالحج سواء عند الإحرام والكل ثقات فيما ذكروه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشرع اتصال التلبية زمان الحج من غير فتور بحيث أن لا يتفرغ إلى كلام ولا إلى ذكر بل كان يلبي وقتاً ويذكر وقتاً ويستريح وقتاً ويأكل وقتاً ويخطب وقتاً فسرد التلبية ما هو مشروع وإن أكثر منها فلا بد من قطع في أثناء أزمان الحج فهذا كله ليس بخلاف وكذلك المعتمر لا يقطع التلبية عندنا ما بقي عليه فعل من أفعال العمرة عندنا فإن الذين قالوا إن المحرم بالعمرة يخرج إلى الحل منهم من قال يقطع التلبية إذا انتهى إلى الحرم يعني المسجد ومنهم من قال إذا افتتح الطواف واعلم أنه ما من فعل من أفعال الحج والعمرة يشرع فيه المحرم إلا والحق يدعوه إلى فعل ما بقي من الأفعال لا بد من ذلك فكما يلزمه الإجابة ابتداء إلى الفعل يلزمه الإجابة إلى كل فعل حتى يفعله فإن المحرم قد دخل في الحج من حين أحرم وما قطع التلبية وطاف بالبيت وما قطع التلبية وسعى وما قطع التلبية وخرج إلى عرفة وما قطع التلبية وما بعض الأفعال المفروضة بالمراعاة أولى من بعض وكذلك المسنونة ما بعضها أولى من بعض في المراعاة إذ لم يرد نص يوقف عنده من الشارع ففي الفرائض إجابة الله وفي السنن إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله يقول "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم" فإن الرسول داع بأمر الله فالله هو المجاب وعتب صلى الله عليه وسلم على ذلك المصلي الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يجبه حين دعاه والمدعوّ في الصلاة فقال يا رسول الله إني كنت في الصلاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فما سمعت قول الله تعالى استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم والتلبية إجابة وأفعال الحج ما بين مفروض ومسنون وإذا أنصفت فقد بان لك الحق فالزمه إلا أن تقف على نص من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك فالمرجع إليه وأما العارفون فإنهم لا يقطعون التلبية لا في الدنيا ولا في الآخرة فإنهم لا يزالون يسمعون دعاء الحق في قلوبهم مع أنفاسهم فهم ينتقلون من حال إلى حال بحسب ما يدعوهم إليه الحق وهكذا المؤمنون الصادقون في الدنيا بما دعاهم الشرع إليه في جميع أفعالهم وإجابتهم هي العاصمة لهم من وقوعهم في محظور فهم ينتقلون أيضاً من حال إلى حال لدعاء ربهم إياهم فهو داع أبداً والعارف غير محجوب السمع فهو مجيب أبداً جلعنا الله ممن شق سمعه دعاء ربه وشق بصره لمشاهدة تجليه فالتجلي دائم لا ينقطع فشهود الحق ما لا يرتفع فدوام لدوام واهتمام لاهتمام وانتقال لمقام وهو أعلى من مقام انتقلت منه من وجه يرجع إليك وما هو أعلى من وجه يرجع إلى الحق فإن الأمور إذا نسبتها إلى الحق لم تتفاضل في

الشرف وإذا نسبتها إليك تفاضلت في حقك والمكمل عندنا من تكون الأمور بالنسبة إليه كما نكون بالنسبة إلى الله وهو الذي يرى وجه الحق في كل أمر وهذا الباب ما رأيت له ذائقاً فيما نقل إلينا جملة واحدة ولا بدّ أن يكون له رجال لا بدّ من ذلك ولكنهم قليلون فإن المقام عظيم والخطب جسيم وكنت أتخيل في بعض المقتدين بنا أنه حصله فجاءني منه يوماً عتاب في أمر شهد عندي ذلك الخطاب أنه ما حصله.

وصل في فصل الطواف بالكعبة

وصفته أن يجعل البيت عن يساره ويبتدىء فيقبل الحجر الأسود إن قدر عليه ثم يسجد عليه أو يشير إليه إن لم يتمكن له الوصول إليه ويتأخر عنه قليلاً بحيث أن يدخله في الطواف بالمرور عليه ثم يمشي إلى أن ينتهي إليه يفعل ذلك سبع مرات يقبل الحجر في كل مرّة ويمس الركن اليمانيّ الذي قبل ركن الحجر بيده ولا يقبله فإن كان في طواف القدوم فيرمل ثلاثة أشواط ويمشي أربعة أشواط ولكن في أشواط رمله يمشي قليلاً بين الركنين اليمانيين ويقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار إلى أن تفرغ سبعة أشواط كل ذلك بقلب حاضر مع الله ويخيل أنه في تلك العبادة كالحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فيلزم التسبيح في طوافه والتحميد والتهليل وقول لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ولنا في ذلك:

جسم يطوف وقلب ليس بالطائف ... ذات تصدّ وذات ما لها صارف

يدعى وإن كان هذا الحال حليته ... هذا الإمام الهمام الهمهم العارف

هيهات هيهات ما اسم الزور يعجبني ... قلبي له من خفايا مكره خائف

ولقد نظرت يوماً إلى الكعبة وهي تسألني الطواف بها وزمزم يسألني التضلع من مائه رغبة في الاتصال بالمؤمن سؤال نطق مسموع بالأذن فخفنا من الحجاب بهما لعظيم مكانتهما من الحق عما نحن عليه في أحوالنا من القرب الإلهيّ الذي يليق بذلك الموطن في معرفتنا فأنشدتهما مخاطباً ومعرّفاً بما هو الأمر عليه مترجماً عن المؤمن الكامل:

يا كعبة الله ويا زمزمه ... كم تسألاني الوصل صه ثم مه

إن كان وصلي بكما واقعاً ... فرحمة لا رغبة فيكمه

ما كعبة الله سوى ذاتنا ... ذات ستارات التقى المعلمه

ما وسع الحق سماء ولا ... أرض ولا كلم من كلمه

ولاح للقلب فقال اصطبر ... فإنه قبلتنا المحكمه

منكم إلينا وإلى قلبكم ... منافياً بيتي ما أعظمه

فرض على كعبتنا حبكم ... وحبنا فرض عليكم ومه

ما عظم البيت على غيره ... سواك يا عبدي بأن تلزمه

قد نوّر الكعبة تطوافكم بها وأبيات الورى مظلمه

ما أصبر البيت على شركهم لولاكمو كان لهم مشأمه

لكنكم في تواصيتمو بالصبر تحقيقاً وبالمرحمه

ما أعشق القلب بذاتي وما أشدّه حباً وما أعلمه

وكانت بيني وبين الكعبة في زمان مجاورتي بها مراسلة وتوسلات ومعاتبة دائمة وقد ذكرت بعض ما كان بيني وبينها من المخاطبات في جزء سميناه تاج الرسائل ومنهاج الوسائل يحتوي فيما أظنّ على سبع رسائل أو ثمان من أجل السبعة الأشطواط لكل شوط رسالة مني إلى الصفة الإلهية التي تجلت لي في ذلك الشوط ولكن ما عملت تلك الرسائل ولا خاطبتها بها إلا لسبب حادث وذلك أني كنت أفضل عليها نشأتي واجعل مكانتها في مجلى الحقائق دون مكانتي واذكرها من حيث ما هي نشأة جمادية في أوّل درجة من المولدات واعرض عما خصها الله به من علوّ الدرجات وذلك لأرقى همتها ولا تحجب بطواف الرسل والأكابر بذاتها وتقبيل حجرها فإني على بينة من ترقي العالم علوه وسفله مع الأنفاس لاستحالة ثبوت الأعيان على حالة واحدة فإن الأصل الذي يرجع إليه جميع الموجودات وهو الله وصف نفسه إنه كل يوم هو في شأن فمن المحال أن يبقى شيء في العالم على حالة واحدة زمانين فتختلف الأحوال عليه لاختلاف التجليات بالشؤن الإلهية وكان ذلك مني في حقها لغلبة حال غلب عليّ فلا شك أنّ الحق أراد أن ينبهني على ما أنا فيه من سكر الحال فأقامني من مضجعي في ليلة باردة مقمرة فيها رش مطر فتوضأت وخرجت إلى الطواف بانزعاج شديد وليس في الطواف أحد سوى شخص واحد فيما أظنّ انتهى الجزء السادس والستون.

الجزء السابع والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل فيما جرى من الكعبة في حقي في تلك الليلة

وذلك أني لما نزلت قبلت الحجر وشرعت في الطواف فلما كنت في مقابلة الميزاب من وراء الحجر نظرت إلى الكعبة فرأيتها فيما تخيل لي قد شمرت أذيالها واستعدت مرتفعة عن قواعدها وفي نفسها إذا وصلت بالطواف إلى الركن الشامي أن تدفعني بنفسها وترمي بي عن الطواف بها وهي تتوعدني بكلام أسمعه بأذني فجزعت جزعاً شديداً وأظهر الله لي منها حرجاً وغيظاً بحيث لم أقدر على أن أبرح من موضعي ذلك وتسترت بالحجر ليقع الضرب منها عليه جعلته كالمجنّ الحائل بيني وبينها واسمعها والله وهي تقول لي تقدّم حتى ترى ما أصنع بك كم تضع من قدري وترفع من قدر بني آدم وتفضل العارفين عليّ وعزة من له العزة لا تركتك تطوف بي فرجعت مع نفسي وعلمت أن الله يريد تأديبي فشكرت الله على ذلك وزال جزعي الذي كنت أجده وهي والله فيما يخيل لي قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمرة الأذيال كما يتشمر الإنسان إذا أراد أن يثب من مكانه يجمع عليه ثيابه هكذا خيلت لي قد جمعت ستورها عليها لتثب عليّ وهي في صورة جارية لم أر صورة أحسن منها ولا يتخيل أحسن منها فارتجلت أبياتاً في الحال أخاطبها بها وأستنزلها عن ذلك الحرج الذي عاينته منها فما زلت أثني عليها في تلك الأبيات وهي تتسع وتنزل بقواعدها على مكانها وتظهر السرور بما أسمعها إلى أن عادت إلى حالها كما كانت وأمّنتني وأشارت إليّ بالطواف فرميت بنفسي على المستجار وما فيّ مفصل إلا وهو يضطرب من قوّة الحال إلى أن سرّى عني وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر فخرجت الشهادة عند تلفظي بها وأنا أنظر إليها بعينيّ في صورة سلك وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق حتى نظرت إلى قعطر طول الحجر فرأيته نحو ذراع فسألت عنه بعد ذلك من رآه من المجاورين حين احترق البيت فعمل بالفضة وأصلح شأنه فقال لي رأيته كما ذكرت في طول الذراع ورأيت الشهادة قد صارت مثل الكبة واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسدّ ذلك الطاق وأنا أنظر إليه فقالت لي هذه أمانة عندي أرفعها لك إلى يوم القيامة أشهد لك بها عند الله هذا قول الحجر لي وأنا أسمع فشكرت الله ثم شكرتها على ذلك ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها وخاطبتها بتلك الرسائل السبعة فزادت بي فرحاً وابتهاجاً حتى جاءتني منها بشرى على لسان رجل صالح من أهل الكشف ما عنده خبر بما كان بيني وبينها مما ذكرته فقال لي رأيت البارحة فيما يرى النائم هذه الكعبة وهي تقول لي يا عبد الواحد سبحان الله ما في هذا الحرم من يطوف بي إلا فلان وسمتك لي باسمك ما أدري أين مضى الناس ثم أقمت لي في النوم وأنت طائف بها وحدك لم أرى معك في الطواف أحداً قال الرائي فقالت لي انظر إليه هل ترى بي طائفاً آخر لا والله لا أراه أنا فشكرت الله على هذه البشرى من مثل ذلك الرجل وتذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا الصالحية يراها الرجل المسلم أو ترى له وأما الأبيات التي استنزلت بها الكعبة فهي هذه:

بالمستجار استجار قلبي لما أتاه سهم الأعادي

يا رحمة الله للعباد أودعك الله في الجماد

يا بيت ربي يا نور قلبي ... يا قرّة العين يا فؤادي

يا سرّ قلب الوجود حقاً ... يا حرمتي يا صفا ودادي

يا قبلة أقبلت إليها ... من كل ربع وكل وادي

ومن بقاء فمن سماء ... ومن فناء فمن مهاد

يا كعبة الله يا حياتي ... يا منهج السعد يا رشادي

أودعك الله كل أمن ... من فزع الهول في المعاد

فيك المقام الكريم يزهو ... فيك السعادات للعباد

فيك اليمين التي كستها ... خطيئتي جدة السواد

ملتزم فيك من يلازم ... هواه يسعد يوم التناد

ماتت نفوس شوقاً إليها ... من ألم الشوق والبعاد

من حزن ما نالها عليهم ... قد لبست حلة الحداد

لله نور على ذراها ... من نوره للفؤاد بادي

وما يراه سوى حزين ... قد كحل العين بالسهاد

يطوف سبعاً في إثر سبع ... من أوّل الليل للمنادي

بعبرة ما لها انقطاع ... رهين وجد حلف اجتهاد

سمعته قال مستغيثاً ... من جانب الحجر آه فؤادي

قد انقضى ليلنا حثيثاُ ... وما انقضى في الهوى مرادي

ولما نسب الله العرش إلى نفسه وجعله محل الاستواء الرحمانيّ فقال الرحمن على العرش استوى جعل الملائكة حافين به من حول العرش بمنزلة الحرس حرس الملك والملازمين بابه لتنفيذ أوامره وجعل الله الكعبة بيته ونصب الطائفين به على ذلك الأسلوب وتميز البيت على العرش وعلى الضراح وسائر البيوت الأربعة عشر بأمر ما نقل إلينا أنه في العرش ولا في غير هذا من البيوت وهو الحجر الأسود يمين الله في الأرض لنبايعه في كل شوط مبايعة رضوان وبشرى بقبول لما كان منا في كل شوط مما هو لنا أو علينا فما لنا فقبول وما علينا فغفران فإني رأيت في واقعة والناس به طائفون وشرر النار يتطاير من أفواههم فأوّلته كلام الطائفين في الطواف به بما لا ينبغي فإذا انتهينا إلى اليمين الذي هو الحجر استشعرنا من الله سبحانه بالقبول فبايعناه وقبلنا يمينه المضافة إليه قبلة قبول فرح واستبشار هكذا في كل شوط فإن كثر الازدحام عليه لتجليها في صورة محسوسة محصورة أشرنا إليه إعلاماً بأنا نريد تقبيله وإعلاماً بعجزنا عن الوصول إليه ولا نقف ننتظر النوبة حتى تصل إلينا فنقبله لأنه لو أراد ذلك منا ما شرع لنا الإشارة إليه إذا لم نقدر عليه فعلمنا أنه يريد منا اتصال المشي في السبعة الأشواط من غير أن يتخللها وقوف إلا قدر التقبيل في مرورنا إذا وجدنا السبيل إليه

ونحن نعلم أن يمين الله مطلقة ونحن في قبضتها وما بيننا وبينها حجاب ولكن لما ظهرت في مظهر عين محصورة يعبر عنها بالحجر قيدها استعداد هذه العين المسماة حجر النسبة ظهور اليمين بها فأثرت الضيق والحصر مع أنها يمين الله لا شك ولكن على الوجه الذي يعلمه سبحانه من ذلك فصح النسب ومن هنا يعرف قولنا أنه ما في الوجود إلا الله والأعيان الإمكانية على أصلها من العدم متميزة لله في أعيانها على حقائقها وإن الحق هو الظاهر فيها من غير ظرفية معقولة فيظهر بصورة تلك العين لو صح أن توجد لكانت بهذه الصورة في الحس فانظر ما أعجب أمر الوجود فعين المستفيد للوجود عين المفيد فإن كانت الاستفادة غير الوجود وهي الصورة فالمستفيد الظاهر والمفيد العين لأن الصورة التي ظهر بها الظاهر هي صورة عين المظهر حقيقة فكل حكم ينسب إلى الظاهر إنما هو منها وأفادها الظاهر بظهوره حكم التأثير فيه إذ لم يكن لها ذلك الحكم إذ كانت ولا تحل في صورتها ولا ظهور وإنما بينا لك ذلك لتعرف من هو الطائف والمطوف به والحجر والمقبل فتكون بحسب ما علمت من ذلك فعلمك عين صورتك وفيها تحشر روحك يوم القيامة وبذلك يتميز في الزور الأعظم فلا يفوتنك علم ما نبهتك عليه والسلام.

وصل في فصل حكم الرمل في الطواف

فقول بأنه سنة فأوجب فيه على من تركه الدم وقول بأنه فضيلة فلا يجب في تركه شيء وأعني في طواف القدوم الرمل إسراع في نفس الخير إلى الخير فهو خير في خير وذلك لحكمة استعجال إدراك علم الأمر الإلهيّ فإن الله تعالى يقول "وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر" فإن البصر لا شيء أسرع منه فإن زمان لمحة عين زمان تعلقه بالملموح ولو كان في البعد ما كان وأبعد الأشياء في الحس الكواكب الثابتة التي في فلك المنازل وعندما تنظر إليها يتعلق اللمح بها فهذه سرعة الحس فما ظنك بالمعاني المجرّدة عن التقييد في سرعة نفوذها فإن للسرعة حكماً في الأشياء لا يكون لغير السرعة ومن هنا يعرف قول الحق للشيء كن فيكون فحال كن الإلهية حال المكوّن المخلوق ولهذا أسرع ما يكون من الحروف في ذلك فاء التعقيب فلهذا جاء بها في جواب الأمر فإن أردت أن تعرف صورة نشء العالم وظهوره وسرعة نفوذ الأمر الإلهيّ فيه وما أدركت الأبصار والبصائر منه فانظر إلى ما يحدث في الهواء من سرعة الحركة بجمرة النار في يد المحرّك لها إذا أرادها فتحدث في عين الرائي دائرة أو خطاً مستطيلاً إن أخذ بالحركة طولاً أو أيّ شكل شاء ولا تشك أنك أبصرت دائرة نار ولا تشك أن ما ثم دائرة وإنما أنشأ ذلك في نظرك سرعة الحركة وهو قوله وما أمرنا وهو قوله كن إلا واحدة كالجمرة كلمح بالبصر إدراك الدائرة وما هي دائرة فذلك عين الصورة المخلوقة الظاهرة لإدراك العين فتحكم من حيث نظرك ببصرك وبصيرتك وفكرك إنه خلق وبعلمك وكشفك إنه حق مخلوق به ما ظهر لعينك مما ليس هو فهذا عدم في عين وجود فانظر ما ألطف هذا الإدراك مع كون الحس محلاً لظهوره على تقييده وكثافته وقصوره فما ظنك بما هو الأمر عليه بالنسبة إلى جناب الحق فسبحان من يكلم نفسه بنفسه في أعيان خلقه كما قال فأجره حتى يسمع كلام الله وإن الله قال على لسان عبده "سمع الله لمن حمده" فهو المتكلم والقائل لا إله إلا هو العزيز الحكيم حقق يا أخي نظرك في سرعة البرق إذا برق فإن برق البرق إذا برق كان سبباً لانصباغ الهواء به وانصباغ الهواء به سبب لظهور أعيان المحسوسات به وظهور أعيان المحسوسات به سبب في تعلق إدراك الأبصار بها والزمان في ذلك واحد مع تعقلك تقدّم كل سبب على مسببه فزمان إضاءة البرق عين زمان انصباغ الهواء به عين زمان ظهور المحسوسات به عين زمان إدراك الأبصار ما ظهر منها فسبحان من ضرب الأمثال ونصب الأشكال ليقول القائل ثم وما ثم أو

ما ثم وثم فوعزة من له العزة والجلال والكبرياء ما ثم إلا الله الواجب الوجود الواحد بذاته الكثير بأسمائه وأحكامه القادر على المحال فكيف الإمكان والممكن وهما من حكمه فوالله ما هو إلا الله فمنه وإليه يرجع الأمر لكه ولهذا سنّ الرمل ثلاثاً زائد ولا ناقص الواحد له والثالث لما ظهر والثاني بين الأوّل والثالث السبب لظهور ما ظهر عنه لابدّ من ذلك فإذا حققت ما رأيت رأيت أن ثم ما رأيت فخرج إدراك العقل للأمور المعقولة على هذه الصورة مثلثة الشكل وهي المقدّمات المركبة من الثلاثة لاتناج المطلوب وكذلك في الحس حس ومحسوس وتعلق لحس بمحسوس لا يدري هل الحس تعلق بالمحسوس أو المحسوس انطبع في الحس قصر العقل والله وخنس الفكر وحار الوهم وطمس الفهم فالأمر عظيم والخطب جسيم والشرع نازل والعقل قابل والأمر نافذ والحوادث تحدث والقوى قائمة والموازين موضوعة والكلمات لا تنفد والكائنات لا تبعد وما ثم شيء مع هذا المعلوم المتعدّد والعين واحدة والأمر واحد حارت الحيرة في نفسها إذا لم تجد من يحار بها فالحيرة التي يتخيل إن العالم موصوف بها ليس كما تخيلت بل ذلك حيرة الحيرة فما ثم إلا هو والحيرة كلت والله إلا لسنة عما علمته الأفئدة أن تعبر عن ذلك وكلت والله الأفئدة عن عقل ما هو الأمر عليه فلا تدري هل هي الحائرة أم لا والحيرة موجودة ولا يعرف لها محل تقوم به فلمن هي موجودة وفيمن ظهر حكمها وما ثم إلا الله.

وما ثم إلا الله لا شيء غيره — وما ثم ثم إذ كانت العين واحدة

لذلك قلنا في الذوات بأنها — وإن لم تكن لله بالله ساجدة

وصل في فصل منه

اختلف العلماء في أهل مكة

هل عليهم رمل إذا حجوا أو لا

فقال قوم كل طواف قبل عرفة مما يوصل بسعي فإنه يرمل فيه وقال قوم باستحباب ذلك وكان بعضهم لا يرى عليهم رملاً إذا طافوا بالبيت وهو مذهب ابن عمر على ما رواه مالك عنه إذا كانت العلة ما ذكرناها آنفاً في الرمل تعين الرمل على أهل مكة وغيرهم ولا سيما والأمر في نفسه إن الإنسان تحت حكم كل نفس وكل نفس قادم وكل قادم فهو طائف وكل طواف قدوم فيه رمل هكذا هي السنة فيه لمن أراد أن يتبعها ومن جهل قدوم نفسه وإن الإنسان في كل حال مخلوق فهو قادم على الوجود من العدم لم ير عليه طوافاً فإننه من أهل هذه الصفة كما هم أهل مكة من مكة.

وصل في فصل استلام الأركان

فقال قوم وهم الأكثرون باستلام الركنين فقط وقال جابر كنا نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها وقال قوم من أهل السلف باستحباب استلام الركنين في كل وتر من الأشواط وهو الأول والثالث والخامس والسابع وأجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف واختلفوا في تقبيل الركن اليماني الثاني أمّا الاستلام وهو لمس الركن باليد على نية البيعة فلا يكون إلا في ركن الحجر في الحجر خاصة لكون الحق جعله يميناً له فلمسه بطريق البيعة ومن لم ير اللمس للبيعة ورآه للبركة استلم جميع الأركان

فإن لمسها والقرب منها كله بركة وما يختص ركن الحجر إلا بالبيعة والمصافحة وتقع المشاركة في البركة له مع سائر الأركان ففيه كونه ركناً وزيادة فمن راعى كونه ركناً أشرك في الاستلام معه الركن اليمانيّ والركن الثالث هو في الحجر غير معين إذ لا صورة له في البيت والركن الشاميّ والعراقي ليسا بركنين للبيت الأول الموضوع فلما لم يكونا بالوضع الأول الإلهيّ لم يكونا ركنين فخالف حكمهما حكم الركنين ومن رأى أن الأفعال كلها من الله رأى أن الذي عين الركنين والركن الثالث في الحجر بالوضع الأول هو الذي عين الأربعة الأركان بالوضع الثاني إذ لا واضع إلا الله فاستلم الأركان كلها من كونها أركاناً موضوعة بوضع إلهيّ وفق الله من شاء من المخلوقين لإظهارها على أيديهم ولكن لا دخول لهم من كونهم أركاناً في التقبيل والمصافحة فينبغي للطائف إذا قبل الحجر وسجد عليه بجبهته كما جاءت السنة وصافحه بلمسه إياه بيده أن يستلم ركنه حتى يكون قد استلم الأركان كلها فإن لم يفعل فما استلم إلا أن يرى أن الحجر الأسود من جملة أ؛جار الركن فيكون عين مصافحته استلامه.

وصل في فصل الركوع بعد الطواف

طفت بالبيت سبعة وركعت ... بمقام الخليل ثم رجعت
لطوافي فطفت سبعاً وعدنا ... لمقام الخليل ثم ركعت
لم أزل بين ذا وذاك أنادي ... يا حبيب القلوب حتى سمعت
يا عبيدي فقلت لبيك ربي ... ها أنا ذا أجبت ثم أطعت
فأمروا بالذي تشاؤون مني ... إن باب القبول مني فتحت

أجمع العلماء على أنه من سنن الطواف ركعتان بعد انقضاء الطواف وجمهورهم على أنه يأتي بهما بعد انقضاء كل أسبوع إن طاف أكثر من أسبوع وأجاز بعضهم أن لا يفرّق بين الأسابيع ولا يفصل بينهما بركوع ثم يركع لكل أسبوع ركعتين والذي أقول به إن الأولى أن يصلي عند انقضاء كل أسبوع فإن جمع أسابيع فلا ينصرف إلا عن وتر فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم ما انصرف من الطواف إلا عن وتر فإنه انصرف عن سبعة أشواط أو عن طواف واحد فإن زاد فينصرف عن ثلاثة أسابيع وهي أحد وعشرون شوطاً ولا ينصرف عن أسبوعين فإنه شفع وبالأشواط أربعة عشر شوطاً وهي شفع فجاء بخلاف السنة في طوافه من كل وجه فاعلم أن الطواف قد روي إنه صلاة أبيح فيها الكلام وإن لم يكن فيه ركوع ولا سجود كما سميت صلاة الجنائز صلاة شرعاً وما فيها ركوع ولا سجود وأقل ما ينطلق عليه اسم صلاة ركعة وهي الوتر وإذا انضاف إلى الطواف ركعتان كانت وتراً مثل المغرب التي توتر صلاة النهار فأشبه الطواف مع الركعتين صلاة المغرب وهي فرض فأوتر الحق شفعية العبد ولا يقال في الرابع من الأربعة أنه قد شفع وترية العبد فإن العبد ما له وترية في عينه فإنه مركب وكل مركب فقير فيحتاج إلى وتر يستند إليه لا ينفرد بشفعية في نفسه فلا يكون أبداً إلا وتراً ثلاثة أو خمسة أو سبعة إلى ما لا يتناهى من الإفراد فإن كان رابعاً أو سادساً فهو رابع ثلاثة لا رابع أربعة وسادس خمسة لا سادس ستة فهو واحد الأصل مضاف إلى وتر فما نسبته إلا لعينه إذ هو عين كل وتر لأنه بظهوره أبقى اسم الوترية على من أضيف إليه فقيل رابع ثلاثة لا رابع أربعة ورابع الثلاثة لا يكون إلا واحد فسواد ورد على وتر أو على شفع الحكم

فيه واحد فإنك تقول فيه خامس أربعة كما تقول رابع ثلاثة فمازالت الأحدية تصحبه في كل حال فهو مثل قوله "كان الله ولا شيء معه" وهو الواحد وهو الآن على ما عليه كان فأقام الآن مقام الأعداد والأعداد منها أشفاع ومنها أوتار فإذا أضفت الحق إليها لم تجعله واحداً منها فتقول ثالث اثنين ورابع ثلاثة إلى ما لا يتناهى فتميز بذاته فالذي ثبت له من الحكم ولا عالم ثبت له والعالم كائن فتلك الأحدية المطلقة له في حال وجود العالم وفي حال عدمه فالطائف إن انفرد بالطواف كان وتراً وإن أضاف إليه الركعتين كان وتراً من حيث أنه صلاة يقوم مقام الركعة الواحدة ومن ثم طوافه أشبه الصلاة الرباعية لوجود الثمان السجدات التي يتضمنها الأسبوع من السجود على الحجر عند تقبيله بالحس وهي ثمان تقبيلات في كل أسبوع عند الشروع فيه وفي كل شوط عن انقضائه فمن أقام الطواف بهذا الاعتبار على الطريقين جوزي جزاء صلاة الفريضة الرباعية والثلاثية الجامعة للفرض والوتر الذي هو سنة أو واجب فالأولى أن لا يؤخر الركعتين عن أسبوعهما وليصلهما عند انقضاء الأسبوع فإن قرأ في الطواف كان كمن قرأ في الصلاة ومن لم يقرأ فيه كان كمن يرى أن الصلاة تجزىء بلا قراءة واعلم أن هاتين الركعتين عقيب الطواف إنما ولدها فيك الطواف فإن الطواف قام لك مقام الأفلاك التي هي السموات السبع لأنه شكل مستدير فلكيّ وكذلك الفلك فلما أنشأت سبعة أدوار في الطواف أنشأت سبعة أفلاك أوحى الله في كل سماء أمرها من حيث لا يشعر بذلك إلا عارف بالله فإذا أطلعك الله على ما أودع في هذه الأشواط الفلكية كنت طائفاً ثم إنه جعل حركات السموات التي هي الأفلاك مؤثرة في الأركان الأربعة لإيجاد ما يتولد منها فأنت الأركان الأربعة لأنك مركب من أربعة أخلاط ومجموعهما هو عين ذاتك الحسية التي هي الجسم فأنشأت فيك حركات هذه الأطواف السبعة الصلاة وهي المولدة من أركانك عنها وكانت ركعتان لأن النشأة المولدة مركبة من اثنين جسم ونفس ناطقة وهو الحيوان الناطق فالركعة الواحدة لحيوانيتك والثانية للنفس الناطقة ولهذا جعل الله الصلاة نصفين نصف له ونصفاً للعبد وجعل الله لكل حركة دورية من هذا الأسبوع في الصلاة أثراً ليعرف إنها متولدة عنه فظهر في الصلاة سبعة آثار جسمانية وسبعة آثار روحانية عن حركة كل شوط من أسبوع الطواف أثر فإنه شكل باق وفلك معنويّ لا يراه إلا من يرى خلق الموجودات من الأعمال أعياناً فالآثار الموجودة السبعة الجسمانية في نشأة الصلاة القيام الأوّل والركوع والقيام الثاني وهو الرفع من الركوع والسجود والجلوس بين

السجدتين والسجود الثاني والجلوس للتشهد والأذكار التي في هذه الحركات الجسمانية سبعة هي أرواحها فقامت نشأة الصلاة كاملة ولما كان في النشأة الإنسانية أمر اختصه الله وفضله على سائر النشأة الإنسانية وجعله إماماً فيها وهو القلب كذلك جعل في نشأة الصلاة أمراً هو أرفع ما في الصلاة وهو الحركة التي يقول فيها سمع الله لمن حمده فإن المصلي فيها نائب عن الله كالقلب نائب عن الله في تدبير الجسد وهو أشرف هيئات الصلاة فإنه قيام عن خضوع عظمت فيه ربك في حضرة برزخية وهي أكمل النشآت لأنها بين سجود وقيام جامعة للطرفين والحقيقتين فلها حكم القائم وحكم الساجد فجمعت بين الحكمين وأثرها في القراءة في الصلاة أيضاً سباعيّ عن أثر كل شوط في الطواف وهي قراءة السبع المثاني أعني فاتحة الكتاب ولطاها إياك نعبد وإياك نستعين فإنها برزخية بين الله وبين عبده فهي جامعة والسلطان جامع وما قبلها لله مخلص وما بعدها للعبد مخلص وأعلى المقامات إثبات إله ومألوه ورب ومربوب فهو كمال الحضرة الإلهية فما تمدّح إلا بنا ولا شرفنا إلا به فنحن به وله وهي سبع آيات لا غير وهي القراءة الكافية في الصلاة وكما أن العبد هو الذي أنشأ في ذاته الأشواط السبعة المستديرة الشكل الفلكية وفي ذاته أثرت إيجاد الصلاة وفي ذاته ظهرت الصلاة بكمالها فلم يخرج عن ذاته شيء من ذلك كله كذلك الأمر في ظهور اعلحق في الأعيان اكتسب من استعداد كل

عين ظهر فيها ما حكم على الظاهر فيها والعين واحدة فقيل فيه طائف أعطاه هذا الاسم هذه الصلاة التي أنشأها وهو الطواف وقيل فيه مصل أعطاه هذا الحكم صورة الصلاة التي أنشأها في ذاته عن طوافه فهو هو وما ثم غيره.

فلو رأيت الذي رأينا — وصفته بالذي وصفنا

من أنه واحد كثير — بذا عرفناه إذ عرفنا

فنحن لا وهو ذو ظهور — فالعين منه والنعت منا

وقد ذكرنا في أوّل هذا الكتاب ما بقي في الحجر من البيت ولماذا أبقاه الله فيه وبينا الحكمة الإلهية في بذ من رفع التحجير والتجلي الإلهيّ في الباب المفتوح لمن أراد الدخول إليه وذلك هو بيت الله الصحيح وما بقي منه بأيدي الحجبة بني شيبة وقع في باطنة التحجير لأنه في ملك محدث وهو الموجود المقيد فلا بدّ أن يفعل ما تعطيه ذاته والحديث النبوّيّ في ذلك مشهور والخلفاء والأمراء غفلوا عن مقتضى معنى قوله تعالى حين مسك رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح البيت الذي أخذه من بني شيبة فأنزل الله تعالى "إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها" فتخيل الناس أن الأمانة هي سدانة البيت و لم تكن الأمانة إلا مفتاح البيت الذي هو ملك لبني شيبة فردّ إليهم مفتاحهم وأبقى صلى الله عليه وسلم ولاية السدانة ولو شاء جعل في تلك المرتبة غيرهم وللإمام أن يفعل ذلك إذا رأى في فعله المصلحة لكن الخلفاء لم يريدوا أن يؤخروا عن هذه الرتبة من قرّره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فهم مثل سائر ولاة المناصب إن أقاموا فيه الحق فلهم وإن جاروا فعليهم وللإمام النظر فبقي بيت الله عند العلماء بالله لا حكم لبني شيبة ولا لغيرهم فيه وهو ما بقي منه في الحجر فمن دخله دخل البيت ومن صلا فيه صلى في البيت كذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ولا يحتاج العارفون لمنة بني شيبة فإن الله قد كفاهم بما أخرج لهم منه في الحجر فجناب الله أوسع أن يكون عليه سدنة من خلقه ولا سيما من نفوس جبلت على الشح وحب الرياسة والتقدّم ولقد وفق الله الحجاج رحمه الله لردّ البيت على ما كان عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فإن عبد الله بن الزبير غيره وأدخله في البيت فأبى الله إلا ما هو الأمر عليه وجهلوا حكمة الله فيه يقول علي بن الجهم.

وأبواب الملوك محجبات — وباب الله مبذول الفناء

وصل في فصل وقت جواز الطواف

فمن قائل بإجازة الطواف بعد صلاة الصبح والعصر وبه أقول وسبب ذلك أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وقد استقبل الكعبة وهو يقول يا مالكي أو قال يا ساكني الشك مني هذا البيت لا تمنعوا أحداً طاف به وصلى في أيّ وقت شاء من ليل أو نهار فإن الله يخلق له من صلاته ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة فمن ذلك الوقت قلت بإجازة الطواف في هذين الوقتين وكنت قبل هذه الرؤيا عندي في ذلك وقفة فإن حديث النسائيّ الذي يشبهه حديثنا رأيتهم قد توقفوا في الأخذ به فلما رأيت هذه المبشرة ارتفع عني الإشكال وثبت به عندي حديث النسائيّ وحديث أبي ذر الغفاريّ والحمد لله ومن قائل بالمنع وقت الطلوع ووقت

الغروب خاصة ومن قائل بالكراهة بعد العصر والصبح ومنعه عند الطلوع والغروب ومن قائل بإباحته في الأوقات كلها وهو قولنا إلا أني أكره الدخول في الصلاة حال الطلوع وحال الغروب إلا أن يكون قد أحرم بها قبل حال الطلوع والغروب تحرير ذلك لا يخلو المصلي أن يكون قبلته موضع طلوع الشمس أو غروبها بحيث أن يستقبلها فهنالك أكره له ذلك وأما إذا لم يكن في قبلته فلا بأس وأما عند الكعبة فالحكم له يدور من حيث شاء لا يستقبل الشمس طالعة ولا غاربة وقد فارق الكفار الذين يسجدون لها في الصورة الظاهرة في استقبالها وهو مفارق لهم في الباطن بلا شك ولا ريب سياق الحديثين حديث النسائي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى في أيّ وقت شاء من ليل أو نهار وما خص حال طلوع ولا حال غروب لأن العبد بشهود البيت متمكن أن لا يقصد استقبال مغرب ولا مشرق وليس كذلك في الآفاق وما أحسن تحرّيه صلى الله عليه وسلم في المصلى إلى السترة أن لا يصمد إليها صمداً وليمل بها يميناً أو شمالاً قليلاً حديث أبي ذلك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا بعد الصبح حتى تطلع الشمس إلا بمكة إلا بمكة إلا بمكة" وهذه الأحاديث تعضد رؤيانا واعلم أن الله متجل على الدوام لا تقيد تجليه الأوقات والحجب إنما ترفع عن أبصارنا قال تعالى "فكشفنا عنك غطاءك" وقال "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" يعني المحتضر قال إبراهيم الخليل لا أحب الآفلين وهو يحب الله بلا شك فالله ليس بآفل فتجليه دائم وتدليه لازم والذي بين ذا وذا إنك اليوم نائم فلا مانع لمن كان الحق مشهده ولهذا لم يمنع في تلك الحالة من ذكر الله والجلوس بين يديه لانتظار الصلاة والدعاء فيه وإنما منع السجود خاصة لكون الكفار يسجدون لها في ذلك الوقت وهنا تنبيه على سرّ معقول وهو أنه من المحال أن يكون أثر الكفر أقوى من أثر الإيمان عندنا وعندهم حتى يمنع من ظهوره وحكمه كما يظهر في هذا الأمر من كون سجود الكفار للشمس وهو كفر منع المؤمن من السجود لله والمانع إبداله القوّة والعم أن الأمر في ذلك خفيّ أخفاه الله إلا عن العارفين فإن الله بهذا المنع أبقى على الكار بعض حق إلهيّ بذلك القدر وقع المنع وظهرت القوّة في الحكم بمنعالمؤمن من السجود في ذلك الوقت لسجود الكفار للشمس وذلك أن الله يقول "وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه" وكذلك فعلوا فإنهم ما عبدوا الشمس إلا لتخيلهم أنها إله فما سجدوا إلا لله لا لعين الشمس بل لعين حكمهم فيها أنها الله ولقد أضافني واحد من علمائهم فأخذت معه في عبادتهم الشمس وسجودهم لها فقال لي ما ثم إلا الله وهذه الشمس أقرب نسبة إلى الله لما جعل الله فيها من النور والمنافع فنحن نعظمها لما عظمها الله بما جعل لها ثم ثم نرجع ونقول فلما علم الحق أنهم ما عبدوا سواه وإن أخطؤا في النسبة والمؤمن لا يعبد إلا الله فأشبه الكافر في إيمانه بالله فكان الأمر مثل الشرع الإلهيّ ينسخ بعضه بعضاً فما أثر الكفر هنا في الإيمان ولا كان أقوى منه بل لما كان الأمر كما ذكرنا فيما كان في الكافر من اعتقاده الإله كان ذا حق ومن نسبة الألوهة للشمس كان كافراً فراعى الحق المعنى الذي قصدوه فمن هنالك ثبت لهم التخصيص بالسجود دون المؤمنين والنسخ لسجود المؤمنين في ذلك الوقت لله فهو أثر إيمان في إيمان لا أثر كفر في إيمان.

وصل في فصل الطواف بغير طهارة

فمن قائل لا يجوز طواف بغير طهارة لا عمداً ولا سهواً ومن قائل يجزىء ويستحب له الإعادة وعليه دم لأنهم أجمعوا على أن الطهارة من سنة الطواف ومن قائل إذا طاف على غير وضوء أجزأه طوافه إن كان لا يعلم ولا يجزئه إن كان يعلم وبعضهم يشترط

طهارة الثوب للطائف كاشتراطه للمصلي والذي أقول به إنه يجوز الطواف بغير وضوء للرجل والمرأة إلا أن تكون حائضاً فإنها لا تطوف وإن طافت لا يجزئها وهي عاصية لورود النص في ذلك وما ورد شرع بالطهارة للطواف إلا ما ورد في الحائض خاصة وما كل عبادة تشترط فيها هذه الطهارة الظاهرة اعلم أنه ما في الوجود حال ليس فيه وجه يحفظ عليه وجوده من كل قائم بنفسه بذلك الوجه الإلهي طهارته فما في الوجود بحكم الحقيقة إلا طاهر فإن الاسم القدوس يصحب الموجودات وبه يثبت قوله "وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه" "وما ربك بغافل عما تعملون" من تفريقكم بين الله وبين عباده ولا ينبغي أن يحال بين العبد وبين سيده ولا يدخل بين العبد والسيد إلا بخير لقيت بعض السياح على ساحل البحر بين مرسى لقيط والمنارة فقال لي أني لقيت بهذا الموضع شخصاً من الأبدال مصادفة وهو ماش على موج البحر فسلمت عليه فرد علي السلام وكان في البلاد ظلم عظيم وجور فقلت له يا هذا أما ترى إلى مافي البلاد من الجور فنظر إلي مغضباً وقال لي مالك وعباد الله لا تقل إلا خيراً ولهذا شرع الله الشفاعة وقبل العذر ولا شك بأن النجاسة أمر عرضي عينه حكم شرعي والطهارة أمر ذاتي فإن ظهر حكم العرض في وقت ما كمانع الحيض من الطواف فمرجع الأمر إلى ما تقتضيه الذات من الطهارة أيكذب المؤمن قال لا إنباء صحيح فإن الكاذب لا يكون صادقاً فيما هو فيه كاذب فافهم والحيض كذب النفس بالإنفاق والطواف حالة إيمان فالحائض لا تطوف كما نقول في إمامة الفاسق أنها لا تجوز إمامته في حال فسقه بلا خلاف فإنه من كان فاسقاً في حال فسقه ثم توضأ شرعاً وأحرم بالصلاة إماماً فهو في طاعة لله ولا يجوز لنا إن نطلق عليه في تلك الحال فاسقاً فما صلينا خلف إمام فاسق وكذا فعل عبد الله بن عمر الذي يحتجون به في الصلاة خلف الفاسق وأخطئوا فإن الحجاج ليس بفاسق في حال أدائه ما أوجب الله عليه من طاعته في الصلاة وهذه مسئلة أغفلها الفقهاء ويخبطون فيها وما حصلوا على طائل وقد بينا أنه مما تخلص قط من مؤمن معصية لا تشوبها طاعة أصلاً والطاعة قد تخلص فلا تشوبها معصية فما من معصية إلا والإيمان يصحبها من المؤمن أنها معصية يحرم عليه فعلها والإيمان بكونها معصية طاعة لله فالحجاج أوغيره في حال فسقه مؤمن مطيع بإيمانه فضعفت معصيته أن تقاوم طاعته وفي حال صلاته أو طاعته في فعل ما من أفعاله فليس بفاسق بل هو مطيع فرجح من طمس الله على قلبه الفسق على الإيمان والطاعة مع ضعف الفسوق عن الطاعة بما شابها من الإيمان بكون ذلك الفعل فسوقاً فقالوا لا تجوز إمامة الفاسق بغير المعنى الذي ذكرناه فلو قاله الرسول صلى الله عليه وسلم أو الله تعالى لكان لوجه فيه ما قلناه فغاية درجة الفاسق في حال فسقه المسلم أن يكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وفي حال طاعته فليس بفاسق وأعجب ما في هذه المسئلة أنا مأمورون بحسن الظن بالناس منهيون عن سوء الظن بعبادي وقد رأينا من علمنا أنه فسق قد توضأ وصلى فلماذا انطبق عليه اسم الفسوق في حال عبادته وأين حسن الظن من سوء الظن به والمستقبل فلا علم لنا به فيه والماضي لا ندري ما فعل الله فيه والحكم لوقت الطاعة التي هو عليها متلبس بها فحسن الظن أولى بالعبد إذا كان ولا بد من الفضول ولقد أخبرني من أثق به في دينه عن رجل فقيه إمام متكلم مسرف على نفسه قال لي دخلت عليه في مجلس يدار فيه الخمر وهو يشرب مع الجماعة ففرغ النبيذ فقيل له نفذ إلى فلان يجيء إلينا بنبيذ فقال لا أفعل فإني ما أصررت على معصية قط وإن لي بين الكاسين توبة ولا أنتظره فإذا حصل في يدي أنظر هل يوفقني ربي فأتركه أو يخذلني فأشربه فهكذا هم العلماء رحمه الله مات هذا العالم وفي قلبه حسرة من كونه لم يلقني واجتمعت به وماعرفني وسألني عني وكان بالأشواق إلي رحمه الله وذلك بمرسية سنة خمس وتسعين وخمسمائة ولقد أشهدني الحق في سري في واقعة وقال لي بلغ عبادي ما عاينته من كرمي بالمؤمن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف

والسيئة بمثلها والسيئة لا يقاوم فعلها الإيمان بها أنها سيئة فما لعبادي يقنطون من رحمتي ورحمتي وسعت كل شيء وأنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً.

وصل في فصل

أعداد الطواف وهي ثلاثة القدوم والإفاضة والوداع

طواف القدوم يقابل طواف الوداع فهو كالاسم الأول والآخر "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم" وانتهت دورة الملك وطواف الإفاضة "بينهما برزخ لايبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان" يخرج طواف القدوم لؤلؤ المعارف في المناسك وطواف الوداع المرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان فلطواف الزيارة وجه إلى طواف القدوم فقد يجزيء عنه ووجه إلى طواف الوداع فقد يجزيء عنه وقد قال العلماء بالقولين جميعاً وسيأتي ذكرها في الفصل إن شاء الله وقد تقدم الاعتبار في الطواف وما ينشأ منه فطواف القادم كالعقل إذا أقبل على الله بالاستفادة وطواف الوداع إذا أراد الخروج إلى النفس بالإفادة كالرسول صلى الله عليه وسلم يقبل على الروح الأمين عندما يلقي إليه من الوحي الإلهي ثم الرسول يلقي إلى الخلق عند مفارقه الروح لتبليغ الرسالة فالرسول بين طواف قدوم ووداع وما بينهما طواف زيارة وكانت ثلاثة أطواف لما قررناه أن ظهور العلوم لا يكون إلا عن ثلاث مراتب فكرية كانت أو وهبية وقد بينا لك أن البرزخ أبداً هو أقوى في الحكم لجمعه بين الطرفين فيتصور بأي صورة شاء ويقوم في حكم أي طرف أراد ويجزيء عنهما فله الاقتدار التام ويظهر سر ما قلنا في حكم ظاهر الشرع فيه فمن ذلك أنهم أجمعوا على أن الواجب من هذه الأطواف الثلاثة الذي بفونه يفوت الحج هو طواف الإفاضة فإن المعرف إذا قدم مكة بعد الرمي وطواف الإفاضة اجزأه عن طواف القدوم وصح حجه وأن المودع إذا طاف في زعمه طواف الوداع و لم يكن طاف طواف الإفاضة كان ذلك الطواف طواف إفاضة اجزأ عن طواف الوداع لأنه طواف بالبيت معمول به في وقت طواف الوجوب الذي هو الإفاضة فقبله الله طواف إفاضة وأجزأ عن طواف الوداع كما ذكرنا فيمن صام في رمضان متطوعاً أن وجوب رمضان يرده واجباً لحكم الوقت و لم تؤثر فيه النية وجمهور العلماء على أنه لا يجزيء طواف القدوم على مكة عن طواف الإفاضة كأنهم رأو أن الواجب إنما هو طواف واحد قال بعضهم اجمعوا على أن طواف القدوم والوداع من سنة الحاج إلا لخائف فوات الحج فإنه يجزيء عنه طواف الإفاضة واستحب بعض العلماء لمن جعل طواف الإفاضة يجزيء عن طواف القدوم أن يرمل فيه وأما المكي فما عليه سوى طواف واحد وأما المتمتع فإن لم يكن قارنا فعليه طوافان وإن كان قارناً فطواف واحد هذا عندي وقال قوم على القارن طوافان انتهى الجزء السابع والستون.

الجزء الثامن والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل حكم السعي

فمن قائل أنه واجب إن لم يسع كان عليه الحج ومن قائل أنه سنة فإن رجع إلى بلده و لم يسع فعليه دم ومن قائل أنه تطوع ولا شيء على تاركه لما كان الكمال غير محجور على النساء وإن كانت المرأة أنقص درجة من الرجل فتلك درجة الإيجاد لأنها وجدت عنه وذلك لا يقدح في الكمال فإن الرجل الذي هو آدم نسبته إلى ما خلق منه وهو التراب نسبة حواء إليه و لم تمنع هذه النسبة الترابية لآدم عن الكمال الذي شهد له به وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكمال لمريم وآسية فلما اعتبر الله هذا في المرأة جعل لها أصلاً في التشريع من حيث لم تقصد فطافت بين الصفا والمروة هاجر أم إسماعيل عليه السلام وهرولت في بطن الوادي سبع مرات تنظر إلى من يقبل من أجل الماء لعطش قام بابنها اسماعيل فخافت عليه من الهلاك والحديث مشهور جعلها الله أعني جعل فعل هاجر من السعي بين الصفا والمروة وقرره شرعاً من مناسك الحج فيمن رآه واجباً عظم فيه الحرمة و لم ير أنه يصح الحج بتركه كذلك الخواطر النفسية إذا أثرت الشفقة والسعي في حق الغير أثر القول في الجناب الإلهي فقال "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك" الذي خرجت منه إلى تدبير هذا البدن بالنفخ الإلهي لأن الرجوع لا يكون إلا لحال خرج منه وإلا فما هو رجوع فإنه ما قال لها اقبلي وإنما قال لها ارجعي ولا يكون الأمر إلا كذلك فرجعوها كمالها لما قال الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله" فوجب السعي ونداء الحق بالواسطة فكيف وقد نادى الحق عباده في كتابه المترل علينا فقال "ولله على الناس حج البيت" فوجب السعي غير أن الشريعة التي شرع الله في السعي إلى الجمعة أن يكون بالسكينة والوقار كالسعي في الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة بالسكينة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول للناس لما رآهم "أسرعوا في الإفاضة من عرفات التي هي موقف حصول المعرفة بالله" فلما أفاضوا عن أمره إلى المزدلفة وهو مقام القربة والاجتماع بالمعروف فيها وهو تجل خاص منه لقلوب عباده ولهذا سميت جمعاً ومزدلفة من الزلفى وهو القرب فقال لهم رسول الله السكينة السكينة كما قال في السعي إلى الجمعة لا تأتونا وأنتم تسعون أي مسرعون في السعي وائتوها وعليكم السكينة في سعيكم والوقار فاجتمعت الجمعة وجمع في هذه الحقيقة الجمعية به تعالى في المقامين وقوله والوقار سعى في سكون وهد مشي المثقل لأنه من الوقر وهو الثقل فإن المعرفة بالله تعطي ذلك فإنه من عرفه شاهده ومن شاهده لم يغب فإذا ادعاه من مقام إلى مقام فهو لا يسرع إلا من أجله وهو مشاهد له فإنه به يسعى فيمشي على ترسل مشي المثقل فهذا معنى الوقار فإنه لا يكون السكون في الأشياء إلا عن هيبة وتعظيم لا عن إعياء وتعب فإن السعي بالله لا تعب فيه ولا نصب.

وصل في فصل صفة السعي

قال جمهور علماء الشريعة إن من سنة السعى بين الصفا والمروة أ ن يد عو اذا رقى فى الصفا مستقبل البيت ثم ينحدر فإذا وصل الي الميل الأخضر وهو بطن الوادى رمل الى أن يصل الى الميل الثاني الأخضر وذلك كان حد الصعود الى المروة وحد سعة الوادى وإنما اليوم قد ارتدم بما جاءت به السيول ولهذا جعل من جعل الميلين علامة لبطن الوادى ليكون حد الرمل المشروع فى السعي ثم يسعى من غير إسراع اذا جاز الميل الثانى على صورة ما انحدر من الصفا فإذا وصل الى المروة فعل في المروة مثل ما فعل فى الصفا ثم رجع يطلب الصفا من المروة فيكون حاله مثل الحال الأول فى الرمل والهدوّ حتى يكمل سبع مرات وإنما يبدأ بالصفا لأن الله تهمم بها فى الذكر فبدأ بها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبدأ بما بدأ الله به" فبدأ بالصفا واقترأ الآية ثم دعا بعدها وختم بالمروة لما كان الأول نظير الآخر وكان حكمهما على السواء ختم بها لأن بها تكمل السبعة لأن الشيء المقابل هو من مقابله على خط السواء كما قال صلى الله عليه وسلم لا تستقبلو القبلة ولا تستدبروها لأن استقبال الشيء واستدبارة على خط واحد وكذلك لما سكت إبليس في إتيانه العبد للإغواء عن الفوقية سكت عن التحت لأنه على خط استواء مع الفوق لأنه لعنه الله رأى نزول الأنوار على العبد من فوقه فخاف من الاحتراق فلم يتعرض في إتيانه إلى الفوق ورأى التحت على خط استواء من الفوق وإن ذلك النور يتصل بالتحت للاستواء لم يأت من التحت والعلة واحدة وقال عطاء إن جهل فبدأ بالمروة أجزأ عنه وقال بعضهم إن بدأ بالمروة ألغي ذلك الشوط وقد ذكرنا في حديث جابر المتقدم ما يدعو به إذا رقي على الصفا والمروة من فعله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا أساف وعلى المروة نائلة فلا يغفلها الساعي بين الصفا والمروة فعندما يرقى في الصفا يعتبر اسمه من الأسف وهو حزنه على ما فاته من تضييع حقوق الله تعالى عليه ولهذا يستقبل بالدعاء والذكر ليذكره ذلك فيظهر عليه الحزن فإذا وصل إلى المروة وهو موضع نائلة يأخذه من النيل وهو العطية فيحصل نائلة الأسف أي أجره ويفعل ذلك في السبعة الأشواط لأن الله امتن عليه بسبع صفات ليتصرف بها ويصرفها في أداء حقوق الله لا يضيع منها شيئاً فيأسف على ذلك فيجعل الله له أجره في اعتبار نائلة بالمروة إلى أن يفرغ ثم إنه يرمل بين الميلين وهو بطن الوادي وبطون الأودية مساكن الشياطين ولهذا تكره الصلاة فيها وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نام في بطن الوادي عن وقت صلاة الصبح قال ارتفعوا فإنه واد به شيطان فإن فيه أصابتهم الفتنة فيرمل في بطن الوادي ليخلص معجلاً من الصفة الشيطانية والتخلص من صحبته فيها إذ كانت مقره كما يفعل في بطن محسر بمنى يسرع في الخروج منه لأنه واد من أودية النار التي خلق الشيطان منها وكذلك الإسراع في بطن عرنة وهو وادي عرفة وهو موضع وقوف إبليس يوم عرفة ووصفه الله فيه في ذلك اليوم من الذلة والصغار والبكاء لما يرى من رحمة الله وعفوه وحط خطايا الحاج من عباده ثم إن السعي في هذا الموضع جمع الثلاثة الأحوال وهو الانحدار والترقي والاستواء وما ثم رابع فحاز درجة الكمال في هذه العبادة أعطى ذلك الموضع وهو في كل حال منها سالك فانحداره إلى الله وسعوده إلى الله واستواؤه مع الله وهو في كل ذلك بالله لأنه عن أمر الله في الله فالساعي بين الصفا والمروة من الله إلى الله مع الله بالله في الله عن أمر الله فهو في كل حال مع الله لله والصفا والمروة صفة جمادية مناسبة للحجارة التي ظهر بترتيبها شكل البيت المخصوص فإنها بذلك الشكل أعطت اسم البيت ولولا ذلك لم يوجد اسم البيت وقد بينا لك أن الجمادات هي أعرف بالله وأعبد لله من سائر المولدات وأنها خلقت في المعرفة لا عقل لها ولا شهوة ولا تصرّف إلا أن صرّفت فهي مصرّفة بغيرها لا بنفسها ولا مصرّف إلا الله فهي مصرّفة بتصريف الله والنبات وإن خلق في المعرفة مثلها فإنه نزل عن درجتها بالنموّ وطلب الرفعة عليها بنفسه حين كان من أهل التغذي وهو يعطي النموّ وطلب الارتفاع والجماد ليس

كذلك ليس له العلوّ في الحركة الطبيعية لكن إذا رقي به إلى العلوّ وترك مع طبعه طلب السفل وهو حقيقة العبودية والعلوّ نعت إلهيّ فإنه هو العيّ فالحجر يهرب من مزاحمة الربوبية في العلوّ

فيهبط من خشية الله وبهذا أخبر الله عنه فقال وإن منها لما ذكر الحجارة لما يهبط من خشية الله فجعل هبوط الطبيعي من خشية فهو منشأ من الخشية لله والشهود له ذاتيّ "وإنما يخشى الله من عباده العلماء" به فمن خشي فقد علم من يخشى وهذا هو مذهب سهل بن عبد الله التستري فلا أعلى في الإنسان من الصفة الجمادية ثم بعدها النباتية ثم بعدها الحيوانية وهي أعظم تصريف في الجهات من النبات ثم الإنسان الذي ادّعى الألوهة فعلى قدر ما ارتفع عن درجة الجماد حصل له من تلك الرفعة صورة إلهية خرج بها عن أصله فالحجارة عبيد محققون ما خرجوا عن أصولهم في نشأتهم ثم إن الله جعل هذه الأحجار محلاً لإظهار المياه التي هي أصل حياة كل حيّ في العالم الطبيعيّ وهي معادن الحياة وبالعلم يحيى الإنسان الميت بالجهل فجمعت الأحجار بالخشية وتفجر الأنهار منها بين العلم والحياة قال تعالى "وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار" مع اتصافها بالقساوة وذلك لقوّتها في مقام العبودية فلا تتزلزل عن ذاتها لأنها لا تحب ما تعطه حقيقة الحجارة من الخشية والحياة والعلم بالله والثبات في مقامهم ذلك فمن سعى ووجد مثل هذه الصفات في نفسه حال سعيه فقد سعى وحصل نتيجة سعيه فانصرف من مسعاه حيّ القلب بالله ذا خشية من الله عالماً بقدره وبماله ولله وإن لم يكن كذلك فما سعى بين الصفا والمروة.

وصل في فصل شروطه

اتفق العلماء أن من شرطه الطهارة من الحيض فأمّا الطهارة من الحدث فكلهم قالوا ليس من شرطه الطهارة من الحدث إلا الحسن فاعلم أنه لما قررّنا في فصل السعي ما قررّنا وفي اعتباره الحجارة من حكم الصفا والمروة لذلك اتفقوا أنه لا يشترط الطهاارة من الحدث في هذا النسك لأنه عبد محض فيها و لم تصح له هذه العبودة إلا بحدثه فلولا حدثه ما صحت عبوديته فإذا تطهر من حدثه خرج عن حقيقته وادّعى المشاركة في الربوبية بقدر ما خرج فإن كان طهراً عامّاً كالغسل كان أبعد له من حقيقته وإن كان طهراً خاصاً كالوضوء فهو أقرب والأخذ بالمناسب أتم في الحقائق وأمّا من يرى الطهارة في هذا النسك فإنه يقول لا بد لكل موجود حيّ من نسبة فعل إليه على أيّ وجه كان ولا أكثر محدث بقى على أصله أتم من الحجارة ومع هذا فإن الله وصفها بالخشية وهو فعل نسب إليها أي قيل أنها تخشى فينبغي أن تتطهر من هذه النسبة لا من الخشية لتكون الخشية من الله فيها وكذلك التشقق نسب إليها لخروج المياه فلا بدّ من التطهير من هذه النسب ولهذا نزع الحسن إلى اشتراط الطهارة في هذا الشك وهو حسن مثل اسمه أي هو مذهب حسن فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم كره أن يذكر الله الأعلى طهراً وقال طهارة ولا بد فيه من ذكر الله فالقول بالطهارة أولى والحسن عندنا من أئمة طريق الله جل جلاله ومن أهل الأسرار والإشارات.

وصل في فصل ترتيبه

اتفق العلماء أن السعي ما يكون إلا بعد الطواف بالبيت وأنه من سعى قبل الطواف يرجع فيطوف وإن خرج عن مكة فإن جهل ذلك حتى أصاب النساء في العمرة أو في الحج كان عليه حج قابل والهدي أو عمرة أخرى وقال بعضهم لا شيء عليه وقال بعضهم

إن خرج عن مكة فليس عليه أن يعود وعليه دم وبه أقول اعلم أن الله لما دعانا ما دعانا إلا أن نقصد البيت فلا ينبغي أن نبدأ إذا وصلنا إليه بغير ما دعانا إليه ولا نفعل شيأ حتى نطوف به فإذا قصدناه بالصفة التي أمرنا بها حينئذ تصرّفنا بعد ذلك على حد ما رسم لنا في سائر المناسك إن كنا عبيد اضطرار ووفينا بمقامنا من العبودية وهكذا فعل المشرّع صلى الله عليه وسلم الذي قال لتأخذوا عني مناسككم وقال الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقال إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال من رغب عن سنتي فليس مني فأبان بفعله صلى الله عليه وسلم عن مراد الله منا في هذه العبادة هذا هو التحقيق فإن اتسع العبد إدلالاً بالدال اليابسة وهو عندنا خروج عن الإذلال بالذال المعجمة من الذلة لما خلقه الله على الصورة وهي تقتضي العزة أراد أن يكون له في الفعل اختيار وبهذه الأرادة كلف ليصح ظهوره بالصورة إذا اختار لأنه علم أنه لا بد لها من الحكم في موطن ما فقدّم السعي وقال وإن دعانا إلى بيته فلا بد من الوصول إليه والطواف به فإنه ما حجر علينا أن لا نمرّ بغير البيت في طريقنا فلو حجر وقفنا عند تحجيره فدل سكوته على ذلك أنه خيرنا إذ لا بد من الطواف بالبيت لأنه أمرنا بذلك فقال وليطوفوا بالبيت العتيق فجعلنا الحكم في تقديم السعي لمكان خلقنا على الصورة ليكون لها حكم الاختيار والاختبار ووفاء بمقامها ومراعاة له فإنه يقول عن نفسه وربك يخلق ما يشاءش ويختار ونحن على الصورة فلا بدّ من هذه الحقيقة أن يكون لها أثر ومع هذا فالأولى أن نصرف اختيار الصورة منه في غير هذا الموطن لما تقدم من بيان الشارع الذي هو العبد المحقق محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقدم السعي على الطواف ولا المروة على الصفا في السعي وقال الله "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغنيّ الحميد" فلم يذم أدباً معنا لنتعلم بل نزه نفسه بالغنى عما دعاهم إليه وأنهم أجابوا لذلك فإن الخير الذي فيه عليهم يرجع والله غنيّ عنه وبهذا وجد رخصة من قدم السعي ثم أتبعه تعطيه قوّة الصورة أو تحرّكت عبداً مضطرّاً فإن الحمد لله في كل ذلك يقول الله بالحال لولا صورتي ما اخترت و لم تكن مختاراً فصورتي هي التي كانت لها الخيرة لا لك إقامة عذر للعبد وهذا من كرم الله فلا حرج فلهذا لم يعلق به الذم ولا تعرّ لذكره في عدم الاقتداء والتأسي برسوله صلى الله عليه وسلم فإنه ما حجر كما قلنا وهذا تنبيه من الله غريب في الموقع حيث لم يذم ولا حمد بل جعله مسكوتاً عنه.

وصل في فصل

ما يفعله الحاج في يوم التروية إذا كان طريقه على منى

يوم التروية هو يوم الخروج إلى منى في اليوم الثامن من ذي الحجة والمبيت فيه ويصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر من اليوم التاسع الذي هو يوم عرفة تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع العلماء على أن ذلك ليس بشرط في صحة الحج فإذا أصبح يوم عرفة غدا إلى عرفة ووقف بها لما وصل الحاج إلى البيت ونال من العلم بالله ما نال ونال في المبايعة والمصافحة ليمين الله تعالى ما يجده أهل الله في ذلك وحصل من المعارف الإلهية وطوافه بالبيت وسعيه وصلاته بمنى أراد الله أن يميز له ما بين العلم الذي حصل له في الموضع المحرّم وبين المعرفة الإلهية التي يعطيه الله في الحل وهو عرفة فإن معرفة الحل تعطي رفع التحجير عن العبد وهو في حال إحرامه محجور عليه لأنه محرم بالحج فيجمع في عرفة بين معرفته بالله من حيث ما هو محرم وبين معرفة الله من حيث ما هو في

الحل لأن معرفة الله في الحرم وهو محرم معرفة مناسبة وأشد مشقة لأنه تقابل ضد وتمييز فإنه لم يحرم الحل بإحرام الحاج و لم يحل الحاج من إحرام بإحلال الموضع فلم يؤثر أحدهما في الآخر فتميز العبد بالحجر لبقائه على إحرامه ليس فيه من الحق المختار شيء وتميز الحق بالحل أنه غير محجور عليه فهو يفعل ما يريد لما يتوهمه الوهم بدليل العقل أن الحق يحكم على الفعل منه علمه به فما يبدل وهذا نقيض الاختيار فأشبه المحجور عليه فيحصل له في عرفة في الحل معرفة إزالة هذا التحجير الذي أثبته الوهم بدليل العقل فإنه في هذا الموطن من العلم بالله ساوى الوهم العقل فحجر على الله وجعلاه تحت حكم علمه فى الشيء في مذهب من يرى أن العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به تحكم على ذاته بحسب ماتعلقت به فمن قال أن علمه ذاته لايلزمه هذا وهذه معرفة بالله بديعة عجيبة لايعرف قدرها إلامن عرفها فلما أراد الحاج حصول هذه المعرفة مرّ فى طريقه بمنى وهو موضع الحج الأكبر وأراد أن يذوق طعمه قبل الوقوف بعرفة إذ كان مرجعه إليه يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر فإنه فى ذلك الزمان الأول يجتمع فيه من وقف بعرفة من وقف بالمزدلفة فكان معظم الحاج بمنى فصلى بها وبات ليذوق ذلك في حكم النهار وحكم الليل فيحصل بين الأمر النهاري والتجلي الليلي وما يحصل في أوقات الصلوات من الأمر الخاص في هذا الموطن حتى يرى إذا رجع إليها بعد الوقوف هل يتساوى الذوق في ذلك أو يتغير عليه الحال لتأثير عرفة والمزدلفة فيه فكان مبيته وقعوده بمنى حالة اختيار وتمحيص ليكون من ذلك على علم في المآل بخلاف المعرف فإنه لا يحصل له ذلك فلا يعرف هل يتغير حكم منى بعد عرفة عن حكمه قبل عرفة أم لا فهذا كان سبب ذلك

وصل في فصل الوقوف بعرفة

أما الوقوف بعرفة فإنهم أجمعوا على أنه ركن من أركان الحج وأن من فاته فعليه الحج من قابل والهدي في قول أكثرهم ونحن لا نقول بالهدي لمن فاته فإنه ليس بمتمتع لأنه ما حج مع عمرته في سنة واحدة والسنة في يوم عرفة أن يدخلها قبل الزوال فإذا زالت الشمس خطب الإمام الناس ثم جمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر ثم وقف حتى تغيب الشمس هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمامة الحج هي للسلطان الأعظم لا خلاف بينهم في ذلك وأنه يصلي وراءه براً كان أو فاجراً وقد قدمنا أنه بر في وقت صلاته فما صليت إلا خلف بر ولا كان إمامك الأبر أفلا فائدة للفجور والفسق الذي يذكره علماء الرسوم في هذه المسئلة وقد قدمنا الكلام فيها وأن من السنة علينا في ذلك اليوم أن نأتي إلى المسجد مع الإمام للصلاة ويعتبر في ذلك المشي بالله مع الله إلى الله في بيت المعرفة لأنه مسجد في عرفة وهو مسجد عبودية ولا يصح أن يكون المسجد إلا موطن عبودية لأن السجود هو التطاطي وهو نزول من أعلى إلى أسفل وبه سمي الساجد ساجداً لنزوله من قيامه فيعطيه مسجد عرفة المعرفة بنفسه ليكون له ذلك سلماً إلى معرفة ربه فإنه من عرف نفسه عرف ربه الذي سجد له والمعرفة تطلب في التعدي أمراً واحداً فهو تعلقه أي تعلق علم العبد ومعرفته بأحدية الله خاصة فلو لم يقل عرفة وقال ما يدل على العلم كما دل عرفة على العلم لم نجعل تعلقه بالأحديه وكنا نجعله بأمر آخر فعلمنا إن الإنسان يطلب في معرفة نفسه شفيعها من حيث أحديتها التى تمتاز بها معرفه أحدية الحق إذ لايعرف الواحد إلا من هو واحد فبأحديتك فى شفيعتك عرفت أحديته تعالى فجاء فى المعرفه باسم عرفة لأجل القصد بمعرفة أحدية الخالق لأنه لا أحديه له فى غير الذات من المناسبات إلا أحدية الخالق بمعنى الموجد ولذلك تمدّح بها وجعلها فرقانا بين من ادّعى الألوهية أو ادعيت فيه فقال "أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون" فلو وقعت المشاركة فى الخلق لما صح أن يتخذها تمّدحا ولا دليلاً مع الإشتراك في

الدلالة هذا لا يصح فيعلم قطعاً أن الخالق صفة أحدية لله لا تصح لأحد غير الله فلهذا كانت معرفة الله في عرفة معرفة أحدية إذ المعرفة هذا نعتها في اللسان الذي خوطبنا به من الله فإذا عرفت هذا فقد عرفت.

وصل في فصل الأذان

اعلم أن العلماء اختلفوا في وقت أذان المؤذن بعرفة الظهر والعصر فقال بعضهم يخطب الإمام حتى يمضي صدر من خطبته أو معظمها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب وقال قوم يؤذن إذ أخذ في الخطبة الثانية وقال قوم إذا صعد الإمام المنبر أمر المؤذن بالأذان فأذن كالجمعة فإذا فرغ المؤذن قام الإمام يخطب وعلى هذا القول رأيت العمل وهو مذهب أبي حنيفة والأول مذهب مالك والثاني قيل أنه مذهب الشافعي وقد حكي عن مالك أنه قال كما قال أبو حنيفة حكاه ابن نافع عن مالك والحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس ثم أذن بلال ثم أقام وجمع بين الظهر والعصر و لم يتنفل بينهما حقيقة الأذان الإعلام لا الذكر وقد يكون أعلاماً بذكر لذكر أيضاً فكله ذكر إلا الحيعلتين فإنه نداء بأمر إلى عبادة معينة فمن راعى الجمع في عين الفرق جعل لهما أذاناً واحداً وإقامتين ومن راعى الفرق بين الظهر والعصر جعل في الجمع حكم التفرقة فقال بأذانين وإقامتين ولهذا وقع الخلاف فقال قوم بأذانين وإقامتين وقال قوم بأذان واحد وإقامتين فمن راعى الصلاة جعله بعد الخطبة ومن راعى سماع الخطبة جعله قبل الخطبة ومن راعى كونه ذكر الله بصورة الأذان كالذي أمر أن يقول مثل ما يقول المؤذن على أنه ذاكر الله لا مؤذن فإن القائل مثل المؤذن لا يقال فيه أنه مؤذن إنما هو ذاكر بصفة الأذان فهذا يقول بالأذان في نفس الخطبة ويكتفي بقرينة حال قصد الناس عرفة في ذلك اليوم ليس لهم شغل إلا الاهتمام بالأفعال التي تلزمهم في ذلك اليوم فمنها استماع الخطبة والصلاة فأغنى عن الأذان الذي هو الإعلام إلا أن يقصد إعلاماً بدخول وقت الصلاة لمن يجهل ذلك فيكون أذاناً بذكر فإن الذكر في طريق الله لايختص بالقول فقط بل تصرف العبد إذا رزق التوفيق في جميع حركاته لا يتحرك إلا في طاعة الله تعالى من واجب أو مندوب إليه ويسمى ذلك ذكر الله أي لذكره في ذلك الفعل أنه لله بطريق القربة سمي ذكراً قالت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يذكر الله على كل أحيانه فعمت جميع أحواله في يقظة ونوم وحركة وسكون تريد أنه ما تصرف ولا كان في حال من الأحوال إلا في أمر مقرب إلى الله لأنه جليس الذاكرين له فجميع الطاعات كلها من فعل وترك إذا فعلت أو تركت لأجل الله فذلك من ذكر الله أي الله ذكر فيها ومن أجله فعلت أو تركت على حكم ما شرع فيها وهذا هو ذكر الموفقين من العلماء بالله وأجمع العلماء على أن الإمام لو لم يخطب يوم عرفة قبل الصلاة أن صلاته جائزة بخلاف الجمعة فهذا فرق بين الجمعة وبين الصلاة في عرفة هذا هو ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وإنما خطب قبل الصلاة كماأجمعوا على أن القراءة في هذه الصلاة سر لا جهر بخلاف الجمعة فالخطيب في هذا اليوم مذكر الحق في قلب العبد وواعظه وجوارحه كالجماعة الحاضرين سماع تلك الخطبة فهو يحرضهم على طاعة الله ويعرفهم أن الله ما دعاهم إلى هذا الموطن للوقوف بين يديه إلا تذكرة لقيام الناس يوم القيامة لرب العالمين ليعرفهم أن الله يأتيهم في هذا اليوم بخلاف إتيانه يوم القيامة فإن ذلك الإتيان إنما هو للفصل والقضاء وتميز الفرق بعضها من بعض بسيماهم واليوم إتيانه للواقفين في هذا الموطن إتيان بمغفرة ورحمة وفضل وإنعام ينال ذلك الفضل الإلهي في هذا اليوم من هو أهله يعني المحرمين بالحج ومن ليس من أهله ممن شاركهم في الوقوف والحضور في ذلك اليوم وليس بحاج فحكمهم كالجليس مع القوم الذين لا يشقى جليسهم قال تعالى للملائكة في أهل

مجالس الذكر فيمن جاء لحاجة له لا للذكر أنهم القوم لا يشقى جليسهم فعمتهم مغفرة الله ورضوانه وضاعف الله للمحرمين من حيث أنهم أهل ذلك الموقف ما تستحقه الأهلية هذا كله وأمثاله يشعر العبد به نفسه كما ينبغي للخطيب أن يذكر الناس بمثل هذا الفضل الإلهي لتكون عبادتهم في ذلك اليوم شكر الله تعالى وينسون ما هم فيه من الشعث والتعب في جنب ما حصل لهم من الله ثم يقومون للصلاة بعد الفراغ من الخطبة فيصلون في ذلك الموطن صلاة من هو يعرفه في حال كونهم شعثاً غبراً عرياناً من المخيط حاسرين عن رؤسهم واقفين على أقدامهم بين يدي رب عظيم فيصلون في ذلك اليوم جمعاً صلاة العارفين كما قلنا.

صلاة العارفين لها خشوع ومسكنة وذل وافتقار

وفاعلها وحدي في شهود عليه في شهادته اضطرار

ولما كانت حالته في هذا اليوم خاصة به بينه وبين ربه في صلاته تعين عليه أن تكون قراءته سراً وهو الذكر النفسي إشعاراً لتحققه بالحق في ذلك الموطن فإنه إذا ذكره في نفسه والقرآن ذكر ذكره الحق في نفسه من حيث لا يشعر العبد بأن الله ذكره فإن إذا ذكره في نفسه فذكره في حضرة أزلية لا حدوث فيها فكان للعبد بهذا الذكر قدم في الأزل حيث أحضره الحق في نفسهما بالذكر فإنه إذا ذكره في ملأ فقد ذكره في حضرة حدوث والحدوث صفة العبد فما زاد منزلة بذلك إلا كونه ذكراً خاصاً وموطن عرفة عظيم فكانت القراءة فيه في الصلاة نفسية لتحصل هذه المنزلة في ذلك اليوم.

وصل في فصل

فإن كان الإمام مكياً فاختلفوا هل يقصر أم لا هنا وبمنى وبالمزدلفة فمن قائل بالقصر ولا بد في هذه الأماكن كان مكياً أو لم يكن وكان من أهل الموضع أو لم يكن ومن قائل لا يقصر إلا إن كان مسافراً فمن راعى السفر أراد أن يناجي الحق تعالى في هذه الصلاة في مقام الوحدانية فيجعل للحق الركعة التي يناجيه منها من حيث أحديته ويجعل لنفسه الركعة الثانية التي يناجيه فيها من حيث أحدية العبد التي بها عرف أحدية الحق في يوم عرفة لتعدي هذا الفعل إلى أمر واحد ومن راعى الإتمام جعل للحق ركعتين الواحدة من حيث ذاته تعالى والثانية من حيث ما هو معلوم لنا بنسبة خاصة تقضي بأن يوصف بأنه معلوم لنا إذ قد كان غير موصوف بأنه معلوم إذ لم يكن لنا وجود في أعياننا فلم يكن ثم من يطلب منه أن يعرفه ويجعل الركعتين الآخريين الواحدة منها لذات العبد من حيث عينه والركعة الثانية من حيث إمكانه الذي يعطيه الإفتقار إلى مرجحه في انتسابه إليه وهذه معرفة لدليل والمشاهدة فإنها دليل أيضاً فإن المشاهدة طريق موصلة إلى العلم بالمشهود والفكر طريق موصل إلى العلم بالله أيضاً من حيث استقلال العقل به وإن لم يشهد فهذا سر الإتمام في الصلاة والقصر لما يعطيه مكان عرفة من المعرفة بالله في الصلاة بهذا المكان.

وصل في فصل الجمعة بعرفة

اختلف العلماء في وجوب الجمعة ومتى تجب فقيل لا تجب الجمعة بعرفة وقال آخرون ممن قال بهذا القول إنه اشترط في وجوب الجمعة أن يكون هنالك من أجل عرفة أربعون رجلاً ومن قائل إذا كان أمير الحاج ممن لا يفارق الصلاة بمنى ولا بعرفة صلى بهم فيهما الجمعة إذا صادفها وقال قوم إذا كان والي مكة يجمع بهم والذي أقول به أنه يجمع بهم سواء كان مسافراً أو مقيماً وكثيرين أو

قليلين مما ينطلق عليهم في اللسان اسم جماعة واقعة وقعت لنا في ليلة كتابتي هذا الوجه وهي مناسة لهذا الباب كنت أرى فيما يراه النائم شخصاً من الملائكة قد ناولني قطعة من أرض متراصة الأجزاء ما لها غبار في عرض شبر وطول شبر وعمق لا نهاية له فعندما تحصل في يدي أجدها قوله تعالى "وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة" إلى قوله "واشكروا لي ولا تكفرون" فكنت أتعجب ما كنت أقدر أن أنكر أنها عين هذه الآيات ولا أنكر أنها قطعة أرض وقيل لي هكذا أنزل القرآن أو أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم فكنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول لي هكذا أنزلت علي فخذها ذوقاً وهكذا هو الأمر فهل تقدر على إنكار ما تجده من ذلك قلت لا فكنت أحار في الأمر حتى قلت لغلبة الحال عليّ في ذلك.

ماثم إلا حيرة عمت ... كلي وبعضي وهي من جملتي

والله ما ثم حديث سوى ... هذا الذي قد شهدت مقلتي

فما أرى غيري وما هو أنا ... وذاك مجلاه وذي كلتي

فقلت هذا كشف مطابق للجمعة التي جاء بها جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة مرآة مجلوّة وفيها نكتة وقال له يا رسول الله هذه الجمعة وهذه النكتة الساعة التي فيها والحديث مشهور فانظر ما أعجب الأمور الإلهية وتجليها في القوالب الحسية وهذا دليل على ارتباط الأمر بيننا وبين الحق.

فالحل حق والكل خلق ... وكل ما تشهدون حق

يحوي على الأمر من قريب ... وماله في اللسان نطق

وكله مثل ما تراه ... وكله في الوجود صدق

انتهى إمداد الواقعة الجامعة فلنرجع ونقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الحج نداء إلهيّ وأذن في الناس بالحج والجمعة نداء إلهيّ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فوقعت المناسبة فالجماعة موجودة فوجبت إقامتها بعرفة ولا سبيل إلى تركها ولا سيما والحقائق تعضد ذلك فما وجد كون من الأكوان إلا عن جمع معقول ولا ظهر كون في عين إلا مجموعاً من حقائق تظهر ذلك و لم يصح وجود حادث شرعاً ولا عقلاً وكل ما سوى الله حادث إلا عن ذات ذات إرادة وعلم وقدرة وحياة عقلاً وذات إرادة وقول أمري شرعاً ثم الوجه الآخر من الجمعية إن الحادث عن اقتدار إلهيّ وقبول إمكاني لا بدّ منهما من شرطها وجود حياة شرعاً تقول للشيء كن فثبتت الجمعية شرعاً في إيجاد الأكوان وثبتت عقلاً كما قرّرنا فالوحدة في الإيجاد والوجود والموجود لا يعقل ولا ينقل إلا في لا إله إلا هو فهذه أحدية المرتبة وهي أحدية الكثرة فافهم فإذا أطلقت الأحدية فلا تطلق عقلاً ونقلاً إلا بإزاء أحدية المجموع مجموع نسب أو صفات أو ما شئت على قدر ما أعطاه دليلك ولكل نسبة أو صفة أحدية تمتاز بها عن غيرها في نفس الأمر فمن أراد أن يميزها عند السامع أو المتعلم فما يقدر على ذلك إلا بمجموع حقائق كل حقيقة معلومة عند السامع وما في العلوم أعجب من هذا العلم حيث تعقل الأحدية في كل موجود ولا يصح وجود موجود حادث إلا بمجموع مجموعاً وهذه حيرة عظيمة.

حيرة الأمر حيرة ... وهي في الغير غيرة

ولذلك ما طلب الحق تعالى في الإيمان منا إلا توحيد الإله خاصة وهو أن تعلم أنه ما ثم إلا إله واحد لا إله إلا هو ثم قال الرحمن الرحيم فلم يكن ثم جمع يقتضي هذا الحكم وهو أن يكون إلهاً إلا هذا المسمى بهذه الأسماء الحسنى المختلفة المعاني التي افتقر إليها الممكن في وجود عينه وإذا كان الأمر على ما قرّرناه فلا واجب أوجب من إقامة الجمعة بعرفة إذا جاء وقتها وشرطها فلا أدري في العالم أجهل ممن قال لا يصدر عن الواحد إلا واحد مع قول صاحب هذا القول بالعلية ومعقولية كون الشيء علة لشيء خلاف معقولية شيئيته والنسب من جملة وجوه الجمع فما أبعد صاحب هذا القول من الحقائق ومن معرفة من له الأسماء الحسنى ألا ترى أهل الشرائع وهم أهل الحق يقولون بنسبة الألوهة لهذا الموجد للممكن المألوه ومعقول الألوهة ما هو معقول الذات فالأحدية معقولة لا تتمكن العبارة عنها إلا بمجموع مع كون العقل يعقلها وهي أحدية المجموع وآحاده ألا ترى أن التجلي الإلهيّ لا يصح في الأحدية أصلاً وما ثم غير الأحدية وما يتعقل أثر عن واحد لا جمعية له فيا ليت شعري كيف جهلت العقول ما هو أظهر من الشمس فيقول ما صدر عن الواحد إلا واحد ويقول إن الحق واحد من جميع الوجوه وهو يعلم أن النسب من بعض الوجوه وأن الصفات في مذهب الآخر من بعض الوجوه فأين الواحد من جميع الوجوه فلا أعلم من الله بالله حيث لم يفرض الوحدة إلا أحدية المجموع وهي أحدية الألوهة له تعالى فقال "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى" وهي تسعة وتسعون إسماً مائة إلا واحداً وكل اسم واحد مدلوله ليس مدلول عين الاسم الآخر وإن كان المسمى بالكل واحداً فما عرف الله إلا الله.

ما يعرف الله إلا الله فاعترفوا ... العين واحدة والحكم مختلف

فقل لقوم أبوا إلا عقولهم ... هذا هو النهر المناسب فاغترفوا

ولا تقولن إن العقل ليس له ... سوى دلائله فيما بدا فقفوا

هنا ولا تبرحوا حتى يجوز بكم ... إليه كشف وما في الكشف منصرف

فمن طلب الواحد في عينه لم يحصل غلا على الحيرة فإنه لا يقدر على الانفكاك من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب وكيف يقدر على نفي الكثرة وهو يحكم على نفسه بانه طالب وعلى مطلوبه بأنه مطلوب ويوم عرفة يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما عجله الحق في الدنيا لعباده إلا لانقضاء أجله المحدود كما قال سبحانه وتعالى في الآخرة "إنه يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود" "وما نؤخره إلا لأجل معدود" ويوم عرفة يوم مغفرة عامة شاملة فإذا اتفق أن يكون يوم جمعة ففضل على فضل ومغفرة إلى مغفرة وعيد إلى عيد فالأولى والأحق بالإمام أن يقيم فيه الجمعة فإنها أفضل صلاة مشروعة هي في موضع الأولى فلها الأوّلية التي لا ثاني لها فينبغي أن يقيمها من ثبتت له المغفرة الإلهية شرعاً فطهر طهارة ظاهرة وباطنة فهو المقدّس عن كل ذنب يحجب عن الله ثم إنه موطن الغبرة والشعث والخشوع والابتهال والدعاء والتضرّع فوجبت الجمعة فيه إن حضر يومها فيكون يوما عيد عيد عرفة وعيد الجمعة فإن لم يقمها الإمام لم يحظ إلا بعيد واحد ولا يكون ذلك يوم جمعة أصلاً بل يسلب عنه ذلك الحكم لعدم صلاة الجمعة فيه وقد زال عنه اسمه الأوّل وهو العروبة فلا جمعة ولا عروبة فإن اعتبرت الرتبة الباطنة فقد يرجع عليه اسمه

الأوّل وهو العروبة لا غير فتفطن لما ذكرته لك من زوال اسم الجمعة عنه لأنه ما سمي به إلا لاجتماع الناس فيه على إمام واحد كما اجتمعنا في وجودنا على إله واحد والله الهادي انتهى الجزء الثامن والستون.

الجزء التاسع والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل توقيت الوقوف بعرفة في يومه وليلته

لم تختلف العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقف إلا بعد الزوال وبعدما صلى الظهر والعصر ارتفع عن مصلاه ووقف داعياً إلى غروب الشمس فلما غربت دفع إلى المزدلفة وأجمعوا على أن من وقف بعرفة قبل الزوال أنه لا يعتد به إن فارق عرفة وإنه إن لم يرجع ويقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج اعلم أن العرب والزمان العربيّ في اصطلاحهم وما تواطؤا عليه يتقدم ليله على نهاره جرياً على الأصل فإن موجد الزمان وهو الله تعالى يقول "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار" فجعل الليل أصلاً وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه كجلد الشاة ظاهر كالستر عليها حتى تسلخ منه فسلخ الشهادة من الغيب ووجودنا من العدم فظهر علم العرب على العجم فإن العجم الذين حسابهم بالشمس يقدّمون النهار على الليل ولهم وجه بهذه الآية وهو قوله "فإذا هم مظلمون" وإذا حرف يدل على زمان الحال أو الاستقبال ولا يكون الموصوف بأنه مظلم إلا بوجود الليل في هذه الآية فكان النهار غطاء عليه ثم سلخ منه أي أزيل فإذا هم مظلمون أي ظهر الليل الذي حكمه الظلمة فإذا الناس مظلمون الممكن وإن كان موجوداً فهو في حكم المعدوم وأصدق بيت قالته العرب قول لبيد ألا كل شيء خلا الله باطل والباطل عدم فظهر هذا الحكم الأعجمي في الشرع العربيّ في يوم عرفة فإن العرب والشرع أخروا ليلة عرفة عن يومها كما فعلت الأعاجم أصحاب حساب الشمس فجعل الشرع العربي ليلة عرفة الليلة المتقبلة من يوم عرفة التي يكون صبيحتها يوم النحر وهو اليوم العاشر وسائر الزمان عندهم الليلة لليوم الذي يكون صبيحتها وعند الأعاجم ليلة الجمعة مثلاً الذي يكون يوم السبت صبيحتها فاجتمع العرب والعجم في تأخير هذه الليلة عن يومها أعطى ذلك مقام المزدلفة المسمى جمعاً فإنه جمع فيه العرب والعجم على حكم واحد فجعلوا ليلة عرفة ليوم عرفة المتقدّم لكون الشارع شرع أنه من أردك الوقوف بعرفة ليلة جمع قبل الفجر فقد أدرك الحج والحج عرفة وكل يوم كامل بليلته من غروب إلى غروب عند العرب ومن شروق إلى شروق عند العجم إلا يوم عرفة فإنه ثلاثة أرباع اليوم المعلوم إلا ساعة وخمسة أسداس ساعة فإنه من زوال الشمس إلى طلوع الفجر خاصة فقد نقص من زمان يوم عرفة عن اليوم المعلوم من طلوع الفجر إلى الزوال وسبب ذلك أنه لما اعتبر في عرفة أنه مقام المعرفة بالله التي أوجبها علينا فكان ينبغي أن لا نسمى عارفين بالله حتى نعلم ذاته وما يجب لها من كونها إلهاً فإذا عرفناه على هذا الحد فقد عرفناه فصارت المعرفة مقسمة نصفين النصف الواحد معرفة الذات والنصف الآخر معرفة كونه إلهاً فلما بحثنا بالأدلة العقلية وأصغينا إلى الأدلة الشرعية أثبتنا وجود الذات وجهلنا حقيقتها وأثبتنا الألوهة لها وهو نصف المعرفة بكمالها والربع وجودها أعني وجود الذات المنسوبة إليها الألوهة والربع الرابع معرفة حقيقتها فلم نصل إلى معرفة حقيقتها ولا يمكن الوصول إلى ذلك والزائد على الربع الذي جهلناه أيضاً هو جهلنا بنسبة ما نسبناه إليها من الأحكام فإنا وإن كنا نعرف النسبة من كونها نسبة فقد نجهل النسبة الخاصة لجهلنا بالمنسوب إليه فحصلت المعرفة من زوال الشمس إلى طلوع الفجر ومن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جهلنا بالنسبة ومن طلوع الشمس إلى الزوال وهو ربع اليوم جهلنا بالذات فما أعطى عرفة من المعرفة بالله إلا ما أعطاه زمانه فاعلم فنقص العلم بها عن درجة

العلم بكل معلوم فمن لم نعلمه بحقيقته فما علمناه فعلمنا بوجود الذات من أجل الاستناد لا بالذات وعلمنا نسبة الألوهة لها لا كيفية النسبة وهو نصف المعرفة وهذا النصف يتضمن ربعين الربع الواحد العلم بصفات التتريه والسلوب والربع الآخر والمعرفة بصفات الأفعال والنسب فالحاصل بأيدينا ثلاثة أرباع المعرفة بصفات الأفعال والنسب فالحاصل بأيدينا ثلاثة أرباع المعرفة إلا والربع الواحد لا نعرفه أبداً والذي ينظر من المعرفة المناسب لما زاد على الربع من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس هو بمترلة ما جهلنا من نسبة وصف ما وصف الحق به نفسه من صفة التشبيه فلا ندري كيف ننسب إليه مع إيماننا به وإثباتنا له هذا الحكم مع جهلنا لكن على ما يعلمه الله من ذلك فهذا في مقابلة الزائد على ربع اليوم فلهذا نقص

يوم عرفة عن سائر الأيام الزمانية فتحقق صحة يوم عرفة أنه من الزوال إلى طلوع الفجر من ليلة عرفة.

وصل في فصل من دفع قبل الإمام من عرفة

اختلف علماء الإسلام فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل الإمام وبعد الغيبوبة فقيل أجزأه لأنه جمع بعرفة بين الليل والنهار فإن دفع قبل الغروب قيل عليه دم وقيل لا شيء عليه وحجه تام والذي أقول به أنه لا شيء عليه وأن حجه تام الأركان غير تام المناسك لأنه ترك الأفضل لا شك أنه من ترك شيأ من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مما لم ينفرض عليه فإنه ينقص من محبة الله إياه على قدر ما نقص من اتباع الرسول وأكذب نفسه في محبته لله لعدم إتمام الاتباع وعند أهل طريق الله لو اتبعه في جميع أموره وأخلّ بالاتباع في أمر واحد مما لم ينفرض عليه بل خالف سنة الاتباع في ذلك مما أبيح له الاتباع فيه أنه ما اتبعه قط وإنما اتبع هوى نفسه لا هو مع ارتفاع الأعذار الموجبة لعدم الاتباع هذا مقرّر عندنا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لأمتك إن كنتم تحبون الله فاتبعوني فجعل الاتباع دليلاً وما قال في شيء دون شيء يحببكم الله والله يقول "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وهو الاتباع وقال "وأوفوا بعهدي" في دعواكم محبتي أوف بعهدكم وهو أني أحبكم إذا صدقتم في محبتي وجعل الدليل على صدقهم حصول محبة الله إياهم وحصول محبة الله إياهم دليل الاتباع في أمر مّا فالحق ينوب عنه عندي حكاية قال أبو يزيد في هذا الباب كنت أظنّ في برّي بأمي أني ما أقوم فيه لهوى نفسي بل لتعظيم الشريعة حيث أمرتني ببرّها فكنت أجد في نفسي لذة عظيمة كنت أتخيل أن تلك اللذة من تعظيم الحق عندي لا من موافقة نفسي فقالت لي في ليلة باردة اسقني يا أبا يزيد ماء فثقل عليّ التحرّك لذلك فقلت والله ما خفف عليّ ما كانت تكلفني فعله إلا الموافقة كان في نفسي من حيث لا أشعر فأبطل عمله وما سلم لها قال أبو يزيد فقمت بمجاهدة وجئت بالكوز إليها فوجدتها قد سارع إليها النوم ونامت فوقفت بالكوز على رأسها حتى استيقظت فناولتها الكوز وقد بقي في أذن الكوز قطعة من جلد أصبعي لشدة البرد انقرضت فتألمت الوالدة لذلك قال أبو يزيد فرجعت إلى نفسي وقلت لها حبط عملك في كونك كنت تدعين النشاط في عبادتك والاتباع إن ذلك من محتبك الله فإنه ما كلفك ولا ندبك وأوجب عليك إلا ما هو محبوب له وكل ما يأمر به المحبوب عند المحب محبوب ومما أمرك الله به يا نفسي البرّ بوالدتك والإحسان إليها والمحب يفرح ويبادر لما يحبه حبيبه ورأيتك قد تكاسلت وتثاقلت وصعب عليك أمر الوالدة حين طلبت الماء فقمت بكسل وكراهة فعلمت أنه كل ما نشطت فيه من أعمال البرّ وفعلته لا عن كسل ولا تثاقل بل عن فرح والتذاذ به إنما كان ذلك لهوى كان لك فيه لا لأجل الله إذ لو كان لله ما صعب عليك الإحسان لوالدتك وهو فعل يحبه الله منك وأمرك به وأنت تدعين حبه وإن حبه أورثك النشاط واللذة في عبادته فلم يسلم لنفسه هذا القدر وكذلك غير أبي يزيد من أهل الله كان يحافظ على الصف الأوّل

دائماً منذ سبعين سنة وهو يزعم أنه يفعل ذلك رغبة فيما رغبه الله فيه موافقة لله فاتفق له عائق عن المشي إلى الصف الأوّل فخطر له خاطر أن الجماعة التي تصلي في الصف الأول إذا لم يروه يقولون أين فلان فبكى وقال لنفسه خدعتني منذ سبعين سنة أتخيل أني لله وأنا في هواك وماذا عليك إذا فقدوك فتاب وما رؤي بعد ذلك يلزم في المسجد مكاناً واحداً معيناً ولا مسجداً معيناً فهكذا حاسب القوم نفوسهم ومن كانت حالته هذه ما يستوي مع من هو فاقد لهذه الصفة كذلك من وقف مع الإمام لأنها عبادة يشترط فيها الإمام إلى أن يدفع معه ما يستوي في الاتباع مثل من دفع قبله.

وصل في فصل من وقف بعرنة من عرفة فإنه منها

اختلف العلماء فيمن وقف بعرنة بعرفة فإنه من عرفة فقيل حجه تام وعليه دم وقال بعضهم لا حج له عرنة من عرفة موقف إبليس فإن إبليس يحج في كل سنة وذلك موقفه يبكي على ما فاته من طاعة ربه وهو مجبور في الإغواء وإن كان من اختياره إبراراً لقسمه بربه فإنه وإن سبق له الشقاء فله شبهة يستند إليها في امتثاله أمر سيده بعد أن حقت الكلمة كلمة العذاب عليه بقوله تعالى قال اذهب واستفزز وأجلب وعدهم فإنه يجد لذلك تنفيساً ومع هذا فإنه يحزن لما يرى من المغفرة التي حصلت لأهل عرفة الشاملة لهم وهو فيها أعني بعرفة فلا بدّ له عند نفسه من طرف منها يناله من عين المنة الإلهية ولو بعد حين هذا ظنه بربه وأما خروجه من جهنم فلا سبيل إليه لأنه وأتباعه من المشركين الذين هم أهل النار يملأ الله بهم جهنم ولا نقص فيها بعد ملئها فلا خروج وأمر الله الحاج أن يرتفع عن موقف إبليس فإنه موقف البعد فإبليس تحت حكم الاسم البعيد وأهل عرفة تحت حكم الاسم القريب فما برحوا من حكم الأسماء فحج من وقف بعرنة لكونه من عرفات تام إلا أنه ناقص الفضيلة كما بينا في الدفع قبل الإمام فعرنة موضع مكروه للوقوف به من أجل مشاركة الشيطان ألا ترى النبيّ صلى الله عليه وسلم ارتفع في ذلك عن بطن الوادي الذي فاتته فيه صلاة الصبح فعلل وقال إنه واد به شيطان لأنه هو الذي هدأ بلالاً حتى نام عن مراقبة الفجر وقد ورد في الحديث أن الشيطان يعقد على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد الحديث فما أراد صلى الله عليه وسلم بارتفاعه عن بطن عرنة إلا البعد من مجاورة الشيطان ولو صلى في ذلك الموضع أجزأه أعني الموضع الذي أصابته فيه الفتنة ففارق الموضع مفارقة تنزيه لا مفارقة تحريم ولما كان لإبليس طرف من المعرفة لذلك لم تطرده الملائكة عن عرنة فإن حدّ المزدلفة حرف الوادي الذي هو عرنة وقال تعالى "فإذا أفضتم من عرفات" ولم يخص مكاناً من مكان بل الخروج عنها بالكلية إلى المزدلفة وقد علمنا أن الله يغفر لأهل الموقف من الحاج وغيرهم ورحمة الله وسعت كل شيء فالتقييد ما هو من صفة من له الوجود المطلق فبرحمة الله يحيا ويرزق كل موجود سوى الله فالرحمة شاملة وهي في كل موطن تعطي بحسب ذلك الموطن فأثرها في النار بخلاف أثرها في الجنة والله الموفق لا رب غيره.

وصل في فصل المزدلفة

أجمع العلماء على أنه من بات بالمزدلفة وصلى فيها المغرب والعشاء وصلى الصبح يوم النحر ووقف بعد الصلاة إلى أن أسفر ثم دفع إلى منى أن حجه تام واختلفوا هل الوقوف بها بعد صلاة الصبح والمبيت بها من سنن الحج أو فروضه فقال جماعة هو من فروض

الحج ومن فاته فعليه الحج من قابل والهدي وقال بعضهم من فاته الوقوف بها والمبيت فعليه دم وقال بعضهم إن لم يصل بها الصبح فعليه دم المزدلفة اسم قرب والعمل فيها قربة فمن فاته صفة القرب في محل القرب فما حج فإن الحج نشأة كاملة من هذه الأفعال كلها فهي له كالصفات النفسية للموصوف إذا زال واحد منها بطل كون ذلك الموصوف وهكذا كل عبادة تقوم من أشياء مختلفة بمجموعها تصح تلك العبادة وهي المعبر عنها بأركانها فتسمى في العبادة ركناً وتسمى في الذوات والأعيان صفة نفسية غير أن النشآت وإن كانت لها صفات نفسية هي التي تحفظ على ذلك الشيء عينه لها أيضاً لوازم وهي التي توجد في الحدود الرسمية وهي لا تنفك عن الموصوف بها فمن يرى أن الموصوف لا ينفك عنها كالضحك للإنسان أشبهت الصفة النفسية قال ببطلان الملزوم لعدم اللازم ومن قال يصح حدّ الشيء الذاتيّ دون هذا اللازم قال لا يكون للشيء حكم البطلان مع ارتفاع اللازم في الذهن وإن لم يرتفع في الوجود ولما سماه الله المشعر الحرام لنشعر بالقبول من الله في هذه العبادة بالعناية والمغفرة وضمان التبعات ووصفه بالحرمة لأنه في الحرم فيحرم فيه ما يحرم في الحرم كله فإنه من جملته فأمر بذكر الله فيه يعني بما ذكرناه فإن الشيء لا يذكر بأن يسمى وإنما يذكر بما يكون عليه من صفات المحمدة فإن الأسماء في أصل الوضع إنما هي أعلام للمسمى بها لا نعوت فلا يذكر بالاسم العلم إلا للتعريف لتعلم من هو المذكور بما ذكرته من المحامد أو غيرها.

وصل في فصل رمي الجمار

أما جمرة العقبة فموضع الاتفاق فيها أن ترمى من بعد طلوع الشمس إلى قريب من الاستواء بسبع حصيات يوم النحر لا يرمى في ذلك اليوم غيرها واختلفوا في رميها قبل طلوع الفجر فقيل لا يجوز وعليه الإعادة يعني إعادة الرمي وقيل يجوز والمستحب بعد طلوع الشمس وبالأول أقول وقال قوم إن رماها قبل غروب الشمس يوم النحر أجزأه ولا شيء عليه وقال بعضهم استحب لمن رماها قبل غروب الشمس يوم النحر أن يريق دماً واختلفوا فيمن لم يرم حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد فقيل عليه دم وقيل لا شيء عليه إن رماها من الليل وإن أخرها إلى غد فعليه دم وقال قوم لا شيء عليه وإن أخرها إلى الغد وأما الرعاء فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم معنى الرخصة للرعاء إنما ذلك إذا مضى يوم النحر ورموا جمرة العقبة ثم كان اليوم الثالث وهو أول أيام النفر رخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرموا في ذلك اليوم له ولليوم الذي بعده فإن نفروا فقد فرغوا وإن أقاموا إلى الغد رموا مع الناس يوم النفر الآخر ونفروا وقال بعضهم معنى الرخصة عند العلماء هو جمع يومين في يوم واحد إلا أن مالكاً إنما يجمع عنده ما وجب فيجمع في اليوم الثالث فيرمي عن الثاني والثالث فإنه لا يعصي أحد عنده إلا بما وجب ورخص كثير من العلماء في جمع يومين في يوم واحد سواء تقدّم ذلك اليوم الذي أضيف إليه غيره أو تأخر واختلفوا فيمن قدّم من هذه الأفعال ما أخره النبيّ صلى الله عليه وسلم بفعله أو من أخر ما قدّمه النبيّ صلى الله عليه وسلم منها فقال بعضهم من حلق قبل أن يرمي جمرة العقبة فعليه الفدية وقال آخرون لا شيء عليه وسيرد في سرد الأخبار النبوية الواردة في الحج إن شاء الله بعد هذا ما تقف عليه ويقع التنبيه على كل خبر بحسب ما يتضمنه وقال بعضهم إن حلق قبل أن يرمي أو ينحر فعليه دم وإن كان قارناً فعليه دمان وقال بعضهم عليه ثلاثة دماء دمان للقران ودم للحلق قبل النحر وأجمعوا على أنه من نحر قبل أن يرمي فلا شيء عليه وأنه من قدّم الإفاضة قبل الرمي والحلق أنه يلزمه إعادة الطواف وقال بعضهم لا إعادة عليه وقال الأوزاعيّ إذا طاف الإفاضة

قبل أن يرمي جمرة العقبة ثم واقع أهله فعليه دم واتفقوا على أن جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة منها في يوم النحر سبعة وإن من رمى هذه الجمرة أعني جمرة العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها إن ذلك كله واسع والمختار منها فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بطن الوادي وأجمعوا على أنه يعيد الرمي إذا لم تقع الحصاة في العقبة وأنه يرمي في كل يوم من أيام التشريق ثلاث جمار بإحدى وعشرين حصاة كل جمرة بسبع وإنه يجوز أن يرمي منها يومين وينفر في الثالث وقدّروها عندهم أن تكون مثل حصى الخذف والسنة في رمي الجمرات في أيام التشريق أن يرمي الأولى فيقف عندها ويدعو وكذلك الثانية ويطيل المقام ثم يرمي الثالثة ولا يقف عندها والتكبير عندهم عند كل رمي جمرة حسن وأن يكون رمي أيام التشريق بعد الزوال واختلفوا إذا رماها قبل الزوال في أيام التشرريق فقال جمهور العلماء عليه إعادة الرمي بعد الزوال وروى عن بعض علماء أهل البيت إنه قال رمي الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها وأجمعوا على أن من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس من آخرها إنه لا يرميها بعد واختلفوا في الوجوب من ذلك بين الدم والكفارة فقال عبضهم إن ترك رمي الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم وقال بعضهم إن تركها كلها كان عليه دم وإن ترك جمرة واحدة فصاعداً كان عليه لكل جمرة إطعام مسكين نصف صاع حنطة إلى أن يبلغ ذلك ما ترك الجميع إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم وقال بعضهم عليه في الحصاة مدّ من طعام وفي الحصاتين مدّان وفي الثلاث دم وقال الثوريّ مثله إلا أنه قال في الرابعة دم ورخصت طائفة من التابعين في الحصاة الواحدة فقالت ليس فيها شيء وقال أهل الظاهر لا شيء في ذلك وسأورد الأخبار فيما ذكرناه إن شاء الله وجمهور العلماء على أن جمرة العقبة ليست من أركان الحج وأما التحلل من الحج فهو تحللان تحلل أكبر وهو طواف الإفاضة وتحلل أصغر وهو رمي جمرة العقبة اعتبار هذا الفصل الجمرات الجماعات وكل جمرة جماعة أية جماعة كانت ومنه الاستجمار في الطهارة ولهذا استحب له أن يكون أكثر من واحد حتى يوجد فيه معنى الجماعة ولا معنى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد إذ كان له ثلاثة حروف فإن العرب لا تقول في الحجر الواحد أنه جمرة ويستحب أن يكون وتراً من ثلاث فصاعداً وأكثره سبع في العبادة لا في اللسان فإن الجمرة الواحدة سبع حصيات وكذلك الجمرة الزمانية التي تدل على خروج فصل شدّة البرد كل جمرة في شباط سبعة أيام وهي ثلاث جمرات متصلة كل جمرة سبعة أيام فتنقضي الجمرات بمضيّ أحد وعشرين يوماً من شباط مثل رمي الجمار إحدى وعشرين حصاة وهي ثلاث جمرات وكذلك الحضرة الإلهية تنطلق بإزاء ثلاثة معان الذات والصفات والأفعال ورمي الجمرات مثل الأدلة والبراهين على سلب كحضرة الذات أو إثبات كحضرة الصفات المعنوية أو نسب أو إضافة كحضرة الأفعال فدلائل الجمرة الأولى لمعرفة الذات ولهذا نقف عندها لغموضها إشارة إلى الثبات فيها وهي ما يتعلق بها من السلوب إذ لا يصح أن يعرف بطريق إثبات صفة معينة ولا يصح أن يكون لها صفات نفسية متعدّدة بل صفة نسه عينه لا أمر آخر فلا بد أن تكون صفته النفسية الثبوتية واحدة وهي عينه لا غير فهو مجهول العين معلوم بالافتقار إلى المرجح وهو واجب الوجود لنفسه ويأتي بصورة الدليل على ما يعطيه نظمه في موازين العقول فهذه حصاة واحدة من الجمرة الأولى فإذا رماه بها مكبراً إي يكبر عن هذه النسبة الإمكانية إليه فيأتيه في الثانية بأنه جوهر فيرميه بالحصاة الثانية وهو دليل الافتقار إلى التحيز أو إلى الوجود بالغير فيأتيه بالجسمية فيرميه بحصاة الافتقار إلى الأداة والتركيب والأبعاد فيأتيه بالعرضية فيرميه بحصاة الافتقار إلى المحل والحدوث بعد أن لم يكن فيأتيه بالعلية فيرميه بالحصاة الخامسة وهي دليل مساوقة المعلول له في الوجود وهو كان ولا شيء معه فيأتيه في الطبيعة فيرميه بالحصاة السادسة وهي دليل نسبة الكثرة إليه وافتقار كل واحد من آحاد الطبيعة إلى الأمر الآخر في الاجتماع به إلى إيجاد الأجسام الطبيعية فإن الطبيعة مجموع فاعلين ومنفعلين حرارة وبرودة ورطوبة

ويبوسة ولا يصح اجتماعها لذاتها ولا افتراها لذاتها ولا وجود لها إلا في عين الحارّ والبارد والرطب واليابس فيأتيه في العدم وهو أن يقول له إذا لم يكن هذا ولا هذا ويعدد ما تقدم فما ثم شيء فيرميه بالحصاة السابعة وهي دليل آثاره في الممكن والعدم لا أثر له وقد ثبت بدليل افتقار الممكن في وجوده إلى مرجح ووجود موجود واجب الوجود لنفسه وهو هذا الذي أثبتناه مرجحاً وانقضت الجمرة الأولى ثم أتينا إلى الثانية وهي حضرة الصفات المعنوية وقال لك سلمنا إن ثم ذاتاً مرجحة للممكن فمن قال إن هذه الذات عالمة بما ظهر عنها فرميناه بالحصاة الأولى إن كان هذا هو الخاطر الأول الذي خطر هذا الحاج المعنويّ وقد يخطر له الطعن في صفة أخرى أوّلاً فيرميه بحسب ما يخطر له إلى تمام سبع صفات وهي الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام وبعض أصحابنا لا يشترط هذه الثلاثة أعني السمع والبصر والكلام في الأدلة العقلية ويتلقاها من السمع إذا ثبت ويجعل مكانها ثلاثة أخرى وهي علم ما يجب له وما يجوز وما يستحيل عليه مع الأربعة التي هي القدرة والإرادة والعلم والحياة فهذه سبعة علوم فورد الخاطر الشيطانيّ بشبهة لكل علم منها فيرميه هذا الحاج بحصاة كل دليل عقليّ على الميزان الصحيح في نظم الأدلة بحسب ما يقتضيه ويطيل التثبت في ذلك وهو الوقوف عند الجمرة الوسطى والدعاء عندها ثم يأتي الجمرة الثالثة وهي حضرة الأفعال وهي سبع أيضاً فيقوم في خاطره أولاً المولدات وأنها قامت بأنفسها فيرميه بحصاة افتقارها من الوجه الخاص إلى الحق عز وجل فإذا علم الخاطر الشيطانيّ أنه لا يرجع عن علمه بالافتقار أظهر له أن افتقاره إلى سبب آخر غير الحق وهو العناصر وقد رأينا من كان يعبدها بالموصل وإذا خطر له ذلك فإمّا أن يتمكن منه بأن ينفي أثر الحق تعالى عنه فيها فإن لم يقدر فقصاراه أن يثبتها شركاً فيرميه بالحصاة الثانية فيريه في دلالتها إن العناصر مثل المولدات في الافتقار إلى غيرها وهو الله تعالى لأن العارف أبداً إنما ينظر في كل ممكن ممكن الوجه الخاص الذي من الله إليه ما ينظر إلى السبب الذي أوقف الله وجوده عليه أو ربطه به على جهة العلية أو الشرط هذا هو نظر أهل طريق الله من أصحابنا وما رأيت أحداً من

المتقدمين قبلنا ولا من أهل زماننا في علمي نبه على إثبات هذا الوجه الخاص في كل ممكن مع كونهم لا يجهلونه ولكن صدق الله في قوله ونحن أقرب إليه منكم يعني الأسباب ولكن لا تبصرون يعني نسبته إلينا لا إلى السبب فالحمد لله الذي فتح أبصارنا إلى إدراك هذا الوجه في كل ممكن فإذا رماه بالحصاة الثانية كما ذكرناه أخطر له السبب الذي يتوقف وجود الأركان عليه وهو الفلك فقال إن موجد هذه الأركان الفلك وصدقت فيما قلته فيرميه بالحصاة الثالثة وهي افتقار الفلك وهو الشكل إلى الله من الوجه الخاص كما ذكرنا فيصدّقه في الافتقار ويقول له أنت غالط إنما كان افتقار الشكل إلى الجسم الذي لولاه ما ظهر الشكل فيرميه بالحصاة الرابعة وهو افتقار الجسم إلى الله من الوجه الخاص فيصدقه ويقول له صحيح ما قلت من الافتقار القائم ولكن إلى جوهر الهباء الذي تسميه أهل النظر الهيولى الكل الذي لم تظهر صورة الجسم إلا فيه فيرميه بالحصاة الخامسة وهو دليل افتقار الهباء إلى الله كما ذكرنا قبله فيقول بل افتقارها إلى النفس الكلية المعبر عنها في الشرع باللوح المحفوظ فيرميه بالحصاة السادسة وهو دليل افتقار النفس الكلية إلى الله من الوجه الخاص أيضاً فيصدّقه في الافتقار ولكن يقول له بل افتقارها إلى العقل الأول وهو القلم الأعلى الذي عنه انبعثت هذه النفس فيرميه بالحصاة السابعة وهو دليل افتقار العقل الأول إلى الله وليس وراء الله مرمى فما يجد ما يقول له بعد الله فلذلك ما يقف عند جمرة العقبة وهي آخر الجمرات لأنه كما قلنا وليس وراء الله مرمى فهذا تحرير رمي جمرات العارفين بمنى موضع التمني وبلوغ الأمنية فإنها أيام أكل وشرب وتمتع ونعيم فهي جنة معجلة وفيه إلقاء التفث والوسخ وإزالة الشعث من الحاج ومن قوة التمني الذي سمى به منى أنه يبلغ بصاحبه الذي هو معدوم مما تمناه مبلغ من عنده ما تمناه هذا المتمني بالفعل على أتم الوجوه مثل رب المال

يفعل به أنواع الخير وينفقه في سبل البرّ ابتغاء فضل الله فيتمنى العديم أن لو كان له مثله ليفعل فعله فهما في الأجر سواء بل هو أتم فإنه يحصل له الأجر التامّ على أكمل وجوهه من غير سؤال فإن صاحب الفعل يسأل عنه من أين جمعه وهل أخلص في إخراجه وبعد هذا التعب والمشقة يحصل على أجره والمتمني يحصل على ذلك من غير سؤال ولا مشقة من بعد رمي الجمار يحلق رأسه أعني جمرة العقبة يوم النحر وإنما سميتها جماراً وإن كانت جمرة واحدة في ذلك اليوم فإن كل واحدة من الحصى بإضافتها إلى الأخرى تسمى جماعة فهي جمار بهذا النظر كما تقول إذا اجتمع جوهران كانا جسمين أي أنطلق على كل واحد منهما باجتماعه مع الآخر جسم فهما جسمان بهذا النظر كما قال ومن كل شيء خلقنا زوجين وما خلق من كل شيء إلا زوجاً واحداً ذكراً وأنثى مثلاً فسماه زوجين بهذا الاعتبار الذي ذكرناه لأن كل واحد بالنظر إلى نفسه دون أن ينضم إليه هذا الآخر لا يكون زوجاً فإذا ضم إليه آخر انطلق على كل واحد منهما اسم الزوج فقيل فيها زوجان ولما اعتبر الله هذا بالذكر لذلك قلنا نحن ثم بعد رمي الجمار فسمينا جمرة العقبة جماراً إذ كانت عدّة حصيات فما في كلامنا حشو لأنه لا تكرار في الوجود للاتساع الإلهي فإذا رمى جمرة العقبة حلق رأسه وهو أولى من تقصير الشعر فإنّ الشعور بالأمر ما هو عين حصول العلم به على التمام من التفصيل وإنما يشعر العبد أن ثم أمراً مّا فإذا حصله زال الشعور وكان علماً تاماً بتفصيل ما شعر به كمن يشعر بالتفصيل في المجمل قبل حصول العلم بتعيين تفصيله فإلقاء الشعور هو إزالة الشعور بوجود العلم لأن الشعر ستر على الرأس ثم يتطيب ليوجد منه رائحة ما انتقل إليه من تحليل ما كان حجر عليه كما تطيب لإحرامه حين أحرم ليوجد منه ريح ما انتقل إليه وجعله طيباً لأنه انتقال في الحالتين لخير مشروع مقرّب إلى الله تعالى فإنّ الله طيب لا يقبل إلا طيب ليميز الله الخبيث من الطيب فجعل الطيب في الحالين تنبيهاً على طيب الأفعال ثم نحر أو ذبح قربانه ينوي بذلك تسريح روح هذا الحيوان من سجن هذا الهيكل الطبيعيّ المظلم إلى العالم الأعلى عالم الانفساح والخير فإن الحيوانات كلها عندنا ذات أرواح وعقول تعقل عن الله ولهذا قال فيها تعالى "كل قد علم صلاته وتسبيحه" فسرّحنا أرواح هذه الحيوانات في هذا اليوم شكر

الله كما خرجنا نحن فيه من حال التحجير وهو الإحرام الذي كنا عليه إلى الإحلال والتصرّف في المباحات المقربة إلى الله بحكم الاختيار ثم أكلنا منها ليكون جزؤ منها عندنا لنشاهد ما هو عليه من الذكر المخصوص به ذوقاً ولنجعله كالمساعد لنا فيما نرومه من الحركة في طاعة الله تعالى إذ لا بدّ من الغذاء فكان أخذ هذا النوع من الغذاء أولى ثم نزلنا إلى البيت زائرين ربنا تعالى ليرانا محلين كما يرانا محرمين على جهة الشكر له حيث سرّح أعياننا وأباح لنا التصرّف فيما كان حجره علينا فقبلنا يمينه على ذلك مبايعة وتحية ثم طفنا به سبعة أشواط وصلينا خلف مقام إبراهيم وقد تقدّم الكلام في المراد بالطواف والصلاة في طواف القدوم إلا أنه ما نبهنا على اتخاذ مقام إبراهيم مصلى لننال ما ناله من الخلة على قدر ما يعطيه حالنا فإن الله أمرنا أن نتخذه مصلى ونبهنا على ما تأوّلناه صفة الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال لنا قولوا "اللهمّ صلي على محمد وعلى آل محمد والمؤمنون آله كما صليت على إبراهيم وما اختص به إلا الخلة فلما دعونا بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أجاب الله دعاءنا فيه لنتخذ عنده يداً بذلك فصلى الله عنه علينا بذلك عشراً فقام تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالمكافأة عناية منه به عليه السلام وتشريفاً لنا حيث لم تكمل المكافأة في ذلك لملك ولا غيره فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لما حصلت الإجابة من الله فيما دعوناه فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم يعني نفسه خليل الله ولو صحت له هذه الخلة من قبل دعاء أمته له بذلك لكان غير مفيد صلاتنا عليه أي دعاءنا له بذلك فإن قيل قد حصلت الخلة بدعاء الصحابة أولاً فما فائدة دعائنا

ونحن مأمورون في هذا الوقت بالصلاة عليه مع حصول الخلة فهكذا حكم الأول فربما نال الخلة قبل دعاء أصحابه وتكون نسبة دعائهم بها له كدعائنا اليوم قلنا حكم الخلة ما ظهر هنا وإنما يظهر ذلك في الآخرة والحكم للمعنى لا يكون إلا بعد حصول المعنى فمتى قام المعنى بمحل وجب حكمه لذلك المحل ففي الآخرة تنال الخلة لظهور حكمهما هناك وأمّا الذي يظهر هنا منها لوامع تبدو وتؤذن بأنه قد أهل لها واعتنى به هذا هو الصحيح والجواب الأول إن لكل نفس منا خطأ من محمد صلى الله عليه وسلم وهو الصورة التي في باطنه أعني في باطن كل إنسان منه صلى الله عليه وسلم فهو في كل نفس عنده تلك الحال المدعوّ بها بدعائه والصلاة عليه فما حصلت له الخلة من هذا الوجه إلا بعد دعاء كل نفس وهكذا يجده أهل الله في كشفهم فاعلم ذلك واقعة اعلم وفقك الله بينا أنا أكتب هذا الكلام في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ومقامه عليه السلام قوله تعالى فيه "وإبراهيم الذي وفى " لأنه وفى بما رأى من ذبح ابنه أحذتني سنة فإذا قائل من الأرواح أرواح الملأ االأعلى يقول لي عن الله تعالى ادخل مقام إبراهيم وهو أنه كان أواهاً حليماً ثم تلا علي "إن إبراهيم لأواه حليم" فعلمت أن الله تعالى لا بدّ أن يبتليني بكلام في عرضي من أشخاص فأعاملهم مع القدرة عليهم بالحلم عنهم ويكون أذى كثير فإنه جاء حليم ببنية المبالغة وهي فعيل ثم وصف بالأواه وهو الذي يكثر منه التأوه لما يشاهده من جلال الله وكونه ما في قوّته مما ينبغي أن يعامل به ذلك الجلال الإلهيّ من التعظيم إذ لا طاقة للمحددث على ما يقابل به جلال الله من التكبير والتعظيم فهذا أيضاً من قصدنا مقام إبراهيم لنتخذه مصلى أي موضع دعاء في صلاة أو أثر صلاة لنيل هذا المقام والصفة التي هي نعت إبراهيم خليل الله وحاله ومقامه فنرجو أن يكون لنا نصيب من الخلة كما حصل من درجة الكمال والختام والرفعة السارية في الأشياء في هذه الأمّة الحظ الوافر بالبشرى في ذلك ومن مقام إبراهيم أيضاً أنه كان أمّة قانتاً لله حنيفاً و لم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم مطلق الشرك المعفو عنه والمذموم فيما نسب إليه من قوله في الكوكب هذا ربي ومن مقام إبراهيم أيضاً عليه السلام أنه أوتي الحجة على قومه بتوحيد الله وأنه شاكر لأنعمه اجتباه فهو مجتبى وهداه أي وفقه بما أبان له إلى صراط مستقيم وهو صراط الرب الذي ورد في قول هود إن ربي على صراط مستقيم ومن مقامه عليه السلام أيضاً

أنه كان حنيفاً مائلاً في جميع أحواله من الله إلى الله عن مشاهدة وغيان ومن نفسه إلى الله عن أمر الله وإيثار لجناب الله بحسب المقام الذي يقام فيه والمشهد الذي يشهده ومن كل ما ينبغي أن يمال عنه عن أمر الله ومن مقامه عليه السلام أيضاً أنه كان مسلماً منقاداً إلى الله عند كل دعاء يدعوه إليه من غير توقف والأمّة معلم الخير فنرجو ما نورده من هذا العلم للناس أن يكون حظي من تعليم الخير وأن نقوم ونختص بأمر واحد من جانب الله أي من العلم به مما لا نشارك فيه نقوم فيه مقام الأمّة لانفرادي به والقانت المطيع لله فأرجو أن أكون ممن أطاع الله في السرّ والعلانية ولا تكون الطاعة إلا عند المراسم الإلهية والأوامر الموقوفة على الخطاب فأرجو أن أكون ممن يأمره الله في سرّه فيمتثل مراسمه بلا واسطة ومن مقامه عليه السلام أيضاً الصلاح والصلاح عندنا أشرف مقام يصل إليه العبد ويتصف به في الدنيا والآخرة فإن الصلاح صفة امتنّ الله بها على من وصفه بها من خاصته وهي صفة يسأل نيلها كل نبيّ ورسول وعندنا من العلم بها ذوق عظيم ورثناه من الأنبياء عليهم السلام ما رأيته لغيرنا والصلاح صفة ملكية روحانية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها إذا قال العبد في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت كل عبد صالح لله في السماء والأرض ومن مقام إبراهيم عليه السلام إن الله آتاه أجره في الدنيا وهو قول كل نبيّ إن أجري إلا على الله أجر التبليغ فكان أجره أن نجاه الله من النار فجعلها عليه برداً وسلاماً فأرجو من الله أن يجعل كل مخالفة ومعصية صدرت مني يكون حكمها فيّ حكم

النار في إبراهيم عليه السلام حين رمي فيها عناية من الله لا من عمل وإنه في الآخرة لمن الصالحين أي لذلك الأجر ما نقصه كونه في الدنيا قد حصله بما يناله منه في الآخرة شيء ومن مقام إبراهيم عليه السلام الوفاء فإنه الذي وفى فأرجو أن أكون من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سواء الحساب وعليه أدل الناس أبداً وأربي عليه أصحابي فلا أترك أحداً عهد مع الله عهداً وهو يسمع مني ينقضه كان ما كان من قليل الخير وكثيره ولا أدعه يتركه لرخصة تظهر له تسقط عنه الأثم فيه ومع هذا فيوفي بعهد الله ولا بنقضه تماماً للمقام الأعلى وكما لا فإن النفس إذا تعوّدت نقض العهد واستحلته لا يجيء منها شيء أبداً فهذا كله من مقام إبراهيم الذي أمرنا أن نتخذه مصلى فقال واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى أي موضع دعاء إذا صليتم فيه أن ندعو في نيل هذه المقامات التي حصلت لإبراهيم الخليل عليه السلام كما قرّرناه وفي هذه الواقعة أيضاً قيل لي قل لأصحابك استغنموا وجودي من قبل رحلتي فنظمت ذلك وضمنته هذا اللفظ فقلت بعد ما استيقظت:

قد جاءني خطاب من عند بغيتي بأن أقول قولاً لأهل ملتي
استغنموا وجودي من قبل رحلتي لكي أرى بعيني من كان قبلتي
وفي وجودي أيضاً من كان علتي فإنني فقير لسد حاجتي
محبتي مقامي والحال خلتي فعينه وجودي والعلم حلتي
دعوت عين نفسي لما تولت عن ذكر ما أتاها وما استقلت
فعند ما تجلى مع الأهلة إلى شهود عيني من خلف كلتي
ومدّ لي يميناً من أجل قبلتي فما رأيت غيري إذ كان جملتي

ورأيت في هذه الواقعة أنواعاً كثيرة من مبشرات إلهية بالتقريب الإلهي وما يدل على العناية والإعتناء فأرجوا من الله أن يحقق ذلك في الشاهد فإن الأدب يعطي أن أقول في مثل هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن يكن من عند الله يمضيه مع علمه بأنه من عند الله" فما قلت مثل هذا قط في واقعة إلا وخرجت مثل فلق الصبح فإني في هذا القول متأس ومقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى في المنام أن جبريل عليه السلام أتاه بعائشة في سرقة حرير حمراء وقال له هذه زوجتك فلما قصها على أصحابه قال إن يكن من عند الله يمضه فجاء بالشرط لسلطان الإحتمال الذي يعطيه مقام النوم وحضرة الخيال فكان كما رأى وكما قيل له فزوجها بعد ذلك فاتخذت ذلك في كل مبشرة أراها وانتفعت بالاتباع فيه وما قلت هذا كله إلا امتثالا لأمر الله في قوله "وأما بنعمة ربك فحدث" وأية نعمة أعظم من هذه النعم الإلهية الموافقة للكتاب والسنة ثم نرجع ونقول فإذا فرغ من طواف الإفاضة إن كان عليه سعي خرج يسعى على ما قررنا قبل في السعي عند الكلام عليه وإلا أتى زمزم فتضلع من مائها وهي بئر فهو علم خفي في صورة طبيعية عنصرية قد اندرج فيها تحيى بها النفوس يدل على العبودية المحضة فإن حكم الله تعالى في الطبيعة أعظم منه في السموات والأرض لأنهما من عالم الطبيعة عندنا وعن الطبيعة ظهر كل جسم وجسد وجسماني في عالم الأجسام العلوي والسفلي وصل في فصل قوله تعالى "يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج" ولم يقل للحاج فأنزل الحج في الآية منزلة والناس ما أنزله منزلة الديون والبيوع وإن كان المعنى يطلبه فعلمنا أن حكم الحج عند الله ليس حكم الأشياء التي تعتبر فيها الأهلة أعني مواقيت الأهلة والحج فعل مضاف مخصوص معين يفعله الإنسان كسائر أفعاله في بيوعه ومداييناته فاعتنى بذكر هذه الأفعال المخصوصة لأنها

أفعال مخصوصة لله عز وجل بالقصد ليس للعبد فيها منفعة دنيوية إلا القليل من الرياضة البدنية ولهذا تميز حكم الحج عن سائر العبادات في أغلب أحواله وأفعاله في التعليل فأكثره تعبد محض لا يعقل له معنى عند الفقهاء فكان بذاته عين الحكمة ما وضع لحكمة موجبة وفيه أجر لا يكون في غيره من العبادات وتجل إلهي لا يكون في غيره من الأعمال فكان الهلال في أول شهر الوقوف بمنزلة الواحد من العدد وتجلى الهلال في أول ليلة فيه تجلي الحق في العبد بالإيمان الذي هو أول مطلوب بالشرع من الإنسان المكلف والإيمان روح وجسمه صورة التلفظ بلا إله إلا الله وهي الشهادة بالتوحيد وكذلك نشهد أول ليلة الهلال ثم لايزال يعظم التجلي في بسائط العدد إلى أن ينتهي إلى ليلة التاسع وهي آخر ليلة بسائط العدد التي هي آحاده فكمل تجليه في آحاد بسائط العدد فكان الوقوف بعرفة يوم التاسع فحصلت له معرفة الله تعالى بكمال البسائط ولهذا قابلها ودخل فيها بالتجريد عن المخيط وهو التركيب ألا تراه يلبس في اليوم العاشر المخيط لأنه انتقل من الآحاد إلى أول العقد وهي العشرة والعقد لا يكون إلا بين اثنين بضم الواحد إلى الآخر بصورة العطف والإلتفاف وهو على قسمين أعني العقد وهو إنشوطة وغير إنشوطة فعقد الإنشوطة يسرع إليه الإنحلال فيما عهد إليه وعاهد عليه الله وغير الإنشوطة لا يسرع إليه الإنحلال وبقي بعد تسعة من أفعال الحج ثلاثة وهو فعل المزدلفة ومنى وطواف الإفاضة والفعل المختص بالمزدلفة إنما هو من أول الفجر إلى طلوع الشمس وليس المبيت في مزدلفة خاصاً بها لأنها ليلة عرفة والمزدلفة لا ليل لها ولها المبيت لا الليلة كليلة سودة بنت زمعة الليلة لها والمبيت لعائشة فلسودة ليلة بلا مبيت ولعائشة مبيت ليلة سودة لا ليلتها ولهذا كانت تلك الليلة تضاف إلى السودة بالذكر كذلك بقي من المراتب العدد ثلاثة بعد التاسع وهي العشرة والمائة والألف وما بقي للعدد مرتبة سوى ما ذكرته كذلك ليس بعد طواف الإفاضة عمل للحاج في الحج يحرم عليه به شيء هو له حلال فإنه به هو أحل الحل كله وليس بعده لغيره المكي إلا طواف الوداع لأنه ودع مراتب العدد وبقي التركيب فيه إلى ما لا نهاية له فهذه اثنتا عشرة مرتبة قد حصلها العبد في التجليات الكمالية العددية ودخل في الليلة الثالثة عشرة الهلال في الكمال وهي من الليالي البيض المرغب في صومها كأيام التشريق المرغب في فطرها

التي يصومها المتمتع الأفاقي وانتهى نصف الشهر الذي يتضمن السلوك منه بالخروج إلينا وإياه سبحانه نقصد ثم نشرع في النصف الثاني من الشهر في السلوك إليه منا إلى أن ينتهي إلى ليلة السرار وهو الكمال الغيبي كما كان في النصف الكمال الشهادي فكمل غيباً وشهادة ودار الدور بهلال ثان وحكم آخر دنيا وآخرة فإنه قال في وصف الجنة "لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً" فجعلها محلاً للزمان المعروف عند العرب مثل الدنيا فالحاج في الحج يجني ثمرة الزمان وما يحوي عليه من المعارف الإلهية المختصة بشهر ذي الحجة ويجني ثمرة العدد في المعارف الإلهية لأن العدد له حكم فيها ألا تراه قد قال "واذكروا الله في أيام معدودات" وقال "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد" فدخل تحت حكم العدد بأسماء مخصوصة وقال إن الله ثلاثمائة خلق فأدخل الأخلاق الإلهية تحت حكم العدد فله سلطان في الإلهيات ذكراً واسماً وخلقاً فمن لم يقف عليه حرم خيراً كثيراً من المعرفة بالله ولذلك قدمنا في هذا الباب وجود الآحاد في الكثرة والكثرة في الآحاد وهو العدد فهو المعطي الفائدة للعادين قالوا "لبثنا يوماً أوبعض يوم فاسأل العادين" كما قال "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فألحقهم بالعلماء كذلك الحج هو المعطي ما يحوي عليه من المعارف الإلهية للحاج فلهذا أضيف الميقات للحج في الهلال وما أضيف للحاج كما أضيف للناس وجعلها مواقيت لما ذكرناه فإن الفعل ينتهي فيه إلى نصف الشهر وهو تمام كمال النفس الأمر فإن النصف ليؤذن بالنقص لكونه نصفاً ولو كان نقصاً لكان الذي حصل له متصفاً في تحصيلة بالنقص لأنه ما حصل له النصف الآخر بل لو حصل له النصف الآخر لكان نقصاً حصوله قال تعالى "قسمت الصلاة بيني

وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي" فظهر كمال الحق في تحصيل النصف من الصلاة ولو اتصف بتحصيل النصف الثاني لكان نقصاً فيما ينبغي لله من الكمال وظهر كمال العبد في تحصيل النصف من الصلاة ولو اتصف بتحصيل النصف الآخر لكان نقصاً في كمال عبوديته وفيما ينبغي له من الكمال فيها فكان يوصف بأوصاف الرب وليس له ذلك ألاترى الشريك الموضوع لله تعالى من المشرك كيف لا يغفر الله هذه المظلمة فإنها من حقوق الغير لا من حق الله فإنه من كرم الله ما كان لله من حق على العبد وفرط فيه غفره الله وذلك لأن حقيقته التفريط ولا يعصمه من ذلك إلا الله فالعصمة فيما تقتضيه حقيقته ليست له إنما هي لله وبيد الله فمن لم يخرج عن حقيقته فلا مطالبة عليه ولهذا كانت لله الحجة البالغة على خلقه فتعين أن الشرك من مظالم العباد فإن الشريك يأتي يوم القيامة من كوكب ونبات وحيوان وحجر وإنسان فيقول يارب سل هذا الذي جعلني إلهاً ووصفني بما لا ينبغي لي خذ لي بمظلمتي منه فيأخذ الله له بمظلمته له من المشرك فيخلده في النار مع شريكه إن كان حجراً أو نباتاً أو حيواناً أو كوكباً إلا الإنسان الذي لم يرضى بما نسب إليه ونهي عنه وكرهه ظاهراً أو باطناً فإنه لا يكون معه في النار وإن كان هذا من قوله وعن أمره ومات غير موحد ولا تائب كان معه في النار إلا أن الذي لا يرضى بذلك ينصب للمشرك مثال صورته يدخل معه ليعذب بها ولا عذاب على كوكب ولا حجر ولا شجر ولا حيوان وإنما يدخلون معهم زيادة في عذابهم حتى يروا أنهم لن يغنوا عنهم من الله شيأ إنكم تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فيقولون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وقودها الناس والحجارة فهم جمر جهنم فالناس المشركون والحجارة المعبودون وأما من سبقت لهم الحسنى وهم الذين لم يأمروا و لم يرضوا فهم عنها مبعدون كعيسى وعزير وأمثالهما وعلي بن أبي طالب وكل من ادعى فيه أنه إله وقد سعد فيدخل الله معهم في جهنم مثلهم الذين كانوا يصورونها في الكنائس وغيرها نكاية لهم لأن كل عابد من المشركين قد مسك مثال صورة معبوده المتخيلة في نفسه فتجسد اليه تلك الصورة المتخيله ويدخلها النار معه فإنه ما عبد إلا تلك الصورة التي مسكها في نفسه وتجسد المعاني المتخيلة غير منكور شرعاً وعقلاً فأما العقل فمعلوم عند كل متخيل وأما الشرع فقد ورد بتصور الأعمال والأعمال إعراض ألا ترى الموت وهو معنى نسبي إضافي فإنه عبارة عن مفارقة الروح الجسد وإن الله يمثله يوم القيامة للناس صورة كشبح أملح فيوضع بين الجنة والنار

ويذبح فهكذا تلك المثل وأما الظالم لنفسه من أهل الشرك فنفسه تطالبه عند الله بمظلمتها ولا شيء أشد من ظلم النفس ألا ترى القاتل نفسه الجنة عليه محرمة فثبت بهذا أن الكمال للشيء ما لا يخرجه عن حقيقته فإذا أخرج عن حقيقته وما تستحقه ذاته كان نقصاً فلهذا قلنا إن النصف كمال في حق من هو سهمه مال الوارث وإن انقسم إلى ثلث وربع وثمن وثلثين ونصف وسدس وغير ذلك وكل جزء إذا حصل لمستحق صاحب الفريضة فقد حصل له كمال نصيبه فهو موصوف بالكمال في النصيب مع كونه ما حصل له إلا سدس المال إن كان له السدس ولا يتصف بالنقص قال الله "وأتموا الحج والعمرة لله" والعمرة بلا شك تنقص في الأفعال عن أفعال الحج وكما لها إتيانها كما شرعت وكذلك الحج يتصف بالكمال إذا استوفيت صورته وكملت نشأته وهما نشأتان ينشئهما العبد المكلف إنشائها بما أعطاه الله من خلقه على الصورة الإلهية فضرب له سهم في الربوبية بأن جعل له فعلاً وإنشاء فإن انحجب بذلك عن عبوديته فقد نقص وشقي وكان صاحب علة ولهذه العلة جعل الله له دواء فقال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فأضاف الجرح وهو فعل للعجماء فإن ادعى الربوبية لكونه فاعلاً فهو يعلم أنه أفضل من العجماء فإن نسب الفعل إليهما فتنكسر نفسه ويبرأ من علته إن استعمل هذا الدواء ثم يفكر في أن الشرع قد جعل جرح العجماء جبار وجرح الإنسان مأخوذ به على جهة القصاص مع كون العجماء لها اختيار في الجرح واردة ولكن العجماء ما قصدت أذى

المجروح وإنما قصدت دفع الأذى عن نفسها فوقع الجرح والأذى تبعاً بخلاف الإنسان فإنه قد يقصد الأذى فمن حيوانيته يدفع الأذى ومن إنسانيته يقصد الأذى فالعبد رق والرب الكريم خلق فعين الشكل وفصل الأجزاء في الكل ثم الرحمن خلق الإنسان علمه البيان وهو ما ينطق به اللسان ثم الرب الأكرم علم بالقلم ما يخطه البنان فإنسان بنيان صنعه رب كريم وأكرم ورحمان فهذه أربعة أسماء توجهت على خلق الماء فجعل من الماء كل شيء حي إذ كان عرشه عليه فالكون المخلوق ظله بفيئه ثم رده إليه فالإلقاء رتق واللقاء فتق فعين السماء من الأرض فتميز الرفع من الخفض وأحكم الصنعة الإنسانية وصبغها بالصبغه الإيمانية في حضرة الفهوانية بالمشاهدة الإحسانية فلما كتب رتب فوضع كل شيء مكانه وأقام أوزانه لما وضع ميزانه

فكل جزء له حكم يميزه | في عينه أبداً من بين إخوانه
فالكل في الكل مضروب لذى نظر | ضرب الحساب لإفهام بتبيانه
لأنه في دجى الأحشاء رتبه | إذ كان سواه في تعديل بنيانه
أقام نشأته من عين صورته | وعين الحق فيها وضع ميزانه
الأصل مني وحكم الوزن منه اذا | أبدته في عينه أحكام أوزانه
وأودع العالم العلوي فيه بما | أعطاه من نفسه بحد إمكانه
فصار جمعاً لما كان فرقه | من الحقائق في أعيان أكوانه
بالجمع صح له تحصيل صورته | لم يدرك ذلك لولا حكم إيمانه
أحاط علماً بأن الأمر فيه على | خلاف ماهو في آيات قرآنه
من كان يقرأه يدري حقيقته | بأنه لم يزل في حكم فرقانه

فلولا شرف النفس ما دفع الحيوان الأذى عن نفسه وما قصد أذى الغير مع جهله بأنه يلزمه من غيره ما يلزمه من نفسه للإشتراك في الحقيقة وكذلك الإنسان إذا دفع الأذى عن نفسه لم يقع عليه مطالبة من الحق فإن تعدى وزاد على القصاص أو تعدى ابتداء أخذ به ولكن ما يتعدى إلا من كونه إنساناً فقد تجاوز حيوانيته إلى إنسانيته والأصل في هذا التعدي من الأصل لأن الأصل له الغنى وأين حكمه من حكم "ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" فهذا الأمر من الخالق أعني من الاسم الغني فإن أحصرتم عن حجكم أو عمرتكم فما استيسر من الهدي.

وصل في فصل الإحصار

اختلف العلماء بالذكر في هذه الآية في حكم المحصر بمرض أو بعدو هل هذا المحصر في هذه الآية بعدو أو بمرض فقالت طائفة المحصر هنا بالعدو وقالت طائفة المحصر هنا بالمرض وقال قوم المحصر الممنوع عن الحج أو العمرة بأي نوع كان من المنع بمرض أو بعدو أو غير ذلك وهو الظاهر وبه أقول مراعاة للقصد وما أوقع الخلاف إلا فهمهم في اللسان لأنه جاء في الآيه بالوزن الرباعي ونقل أنه يقال حصره المرض وأحصره العدو فأما المحصر بالعدو فاتفق الجمهور على أنه يحل من عمرته وحجه حين أحصر وقال الثوري

والحسن بن صالح لا يحل إلا يوم النحر وبالأول أقول وهو أن يحل حين أحصر غير أبي أزيد هنا شيئاً لم يره من وافقنا إلا في الإحلال حين الإحصار وهو أن المحرم إن كان قال حين أحرم أن محلي حيث تحبسني كما أمر فلا هدي عليه ويحل حيث أحصر وإن لم يقل ذلك وما في معناه فعليه الهدي أو على غير شرطنا فيما أحصر عنه من حج أو عمرة فقال بعضهم لا هدي عليه وإن كان معه هدي تطوّع نحره حيث أحل وبنحر الهدي المتطوع به حيث أحل أقول وقال بعضهم بإيجاب الهدي عليه واشترط بعضهم ذبح الهدي الواجب بالحرم وأما الإعادة فمن العلماء من لا يرى عليه إعادة وبه أقول في حج التطوّع وعمرته إن كان عليه في ذلك حرج فإن لم يكن عليه فيه حرج فليعد وأما الفريضة فلا تسقط عنه إلا إن مات قبل الإعادة فيقبلها الله له عن فريضته وإن لم يحصل منه إلا ركن الإحرام بل ولو لم يحصل منه إلا القصد والتعمل وقال بعضهم إن كان أحرم بالحج فعليه حجة وعمرة وإن كان قارناً فعليه حجة وعمرتان فإن كان معتماً قضى عمرته ولا تقصير عليه واختار بعض من يقول بهذا القول التقصير وقد حكى بعضهم الإجماع على أن المحصر بمرض وما أشبهه عليه القضاء ولكن لا أدري أيّ إجماع أراد فإن إطلاق الفقهاء لفظة الإجماع قد تجاوزوا بها حدها الأول إلى غيره فقد يطلقون الإجماع على اتفاق المذهبين ويطلقونه على اتفاق الأربعة المذاهب ولكن ما هو الإجماع الذي يتخذ دليلاً إذا لم يوجد الحكم في كتاب ولا سنة متواترة فهذا قد ذكرنا من اختلافهم في هذه المسئلة ما ذكرناه وتركنا ما لا يحتاج إليه في هذا الوقت فلنرجع إلى طريقنا فنقول قوله تعالى "أحصرتم" هو من أحصر لا من حصر يقال فعل به كذا إذا أوقع به الفعل فإذا عرّضه لوقوع ذلك الفعل يقال فيه أفعل ومثاله ضرب زيد عمراً إذا أوقع به الضرب وأضرب زيد عمراً إذا جعله يضرب غيره وفي اللسان أحصره المرض وحصره العدو بغير ألف فهو في المرض من الفعل الرباعيّ وفي العدو من الفعل الثلاثيّ فالعبد لما كان محل ظهور الأفعال الإلهية فيه وما تشاهد في الحس إلا منه ولا يمكن أن يكون إلا كذلك نسب الله الفعل للعبد ونسب الناس الفعل للمخلوق وإن كان لصاره الحق لذلك فصار فنسبة صار تجعل الفعل للعبد ونسبة أصار تجعل الفعل لله فمن راعى أصار لم يوجب عليه الهدي لأن الأصل عدم الفعل من العبد ومن راعى إصاره الحق فصار أوجب عليه الهدي ولهذا فصلنا نحن في ذلك فقلنا إن قال محلي حيث يحبسني فقد تبرّأ العبد من حكم الحصر فلا هدي عليه وإن لم يقل كان الهدي عليه عقوبة للترك فالفعل من المخلوق للعبد ظهور الفعل منه بالاختيار والقصد والمباشرة حقيقة مشهودة للبصر والفعل من المخلوق من كون الحق أصاره إلى ذلك فكان له كالآلة للفاعل والآلة هي المباشرة للفعل وينسب الفعل لغير الآلة بصراً وعقلاً فيقال زيد الضارب والمباشر للضرب والذي يقع به الضرب إنما هو السوط لا زيد هكذا أفعال العباد فهم للحق كالآلة لزيد النجار أو الحائك أو الخائط أو ما كان وبهذا القدر تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من الآلة والأصل الغفلة الغالبة وهي مسئلة دقيقة في غاية الغموض ولا دليل في العقل يخرج الفعل عن العبد المخلوق ولا جاء به نص من الشارع لا يحتمل التأويل فالأفعال من المخلوقين مقدّرة من الله ووجود أسبابها كلها بالأصالة من الله وليس للعبد ولا لمخلوق فيها بالأصالة مدخل إلا من حيث ما هو مظهر لها ومظهر اسم فاعل واسم مفعول يقال في الصنع إذا اختل في صنعته شيء لعدم مساعدة الآلة مع علمه بالصنعة قد أخل منها بكذا وكذا أو يستفهم لم أخللت بها مع علمنا بأنك عالم بها فيقول لم تساعدني الآلة على إبراز ما كان في علمي ويقول المصنوع ما قصر لظهور عينه لا لقصد الصانع

فمن حيث الصنعة في المصنوع ما اختل شيء ومن حيث مصنوع ما كان المراد سواه إذا كان الصانع المخلوق اختل فإن كان الخالق فما اختل في الصنعة شسيء لأن الكل مقصود لعدم قصور تعلق الإرادة فكل واقع وغير واقع مراد للحق أراد الله إيجاد عرض مّا و لم يرد إيجاد محل يقوم به هذا العرض فلم يمكن إيجاد ذلك العرض ما لم يكن المحل فلا بد من وجود المحل إذ كان لا بد من وجود

العرض فوجود العرض عن إيجاد اختياريّ ووجود المحل عن إيجاد غير اختياري ولا يجوز أن يكون اضطرارياً إذ كان لا بد من وجود ذلك العرض فاضطرار الكون من حقيقة عدم هذا الاختيار المحقق فتفطن فإنك إن لم تعرف الأمور من جهة حقائقها لم تعرف أن العالم خرج على صورة الحق يرتبط ما فيه من الحقائق بالحقائق الإلهية وهذا مدرك صعب عليه حجب كثيرة لا ترتفع بفكر ولا بكشف فالأمر دائر بين تأثير حق في خلق وخلق في حق قال تعالى "أجيب دعوة الداعي إذا دعاني" وقال ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله فللناقة شرب أعني ناقة صالح ولكم شرب يوم معلوم ضرب مثال لقوم يعقلون وما منا إلا له مقام معلوم فالحصر عم الوجود فكل موجود موصوف بحصر مّا فهو محصر من ذلك الوجه وقد أبنت لك ما لا يقدر على دفعه كشف ولا دليل عقل نظريّ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصل في فصول

أحكام القاتل للصيد في الحرم وفي الإحرام

وقد تقدّم من حكم الصيد طرف في هذا الباب والكلام هنا في قتله لا في صيده في الحرم كان أو في الحل لقوله "لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم" الآية وهي آية محكمة واختلفوا في تفاصيلها على حسب فهمهم فيها فمن ذلك هل الواجب قيمته أو مثله فذهب بعضهم إلى أن الواجب المثل وقال بعضهم هو مخير بين القيمة والمثل قتل الصيد شهادة للصيد فهو حي يرزق لأن قتل تعدّياً بغير حق في سبيل الله إذ سبيل الله حرمه والحرم صفة المحرم والبقعة فهذا الصيد المتعدّى عليه إما بهاتين الصفتين أو بإحداهما فمن تعمد قتله محرماً أو في الحرم فقد تعدى عليه فعاد ما أراد به من الموت وإن لم يقم به على القاتل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فالصيد مقتول لا ميت والقاتل ميت لا مقتول فهذا هو الميت المكلف كما يطلب الجواب من الميت في قبره عند السؤال مع وصفه بالموت وهذا هو الموت المعنوي فكلف بجزاء مثل ما قتل من النعم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره كما يعذب الميت في قبره ومن عاد لمثل ذلك الفعل فينتقم الله منه إما بإعادة الجزاء فإنه وبال والوبال الانتقام وأمّا أن يسقط عنه في الدنيا هذا الوبال المعين وينتقم الله منه بمصيبة يبتليه بها إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة فإنه لم يعين واعلم أن كل علم من علوم الأسرار المصونة في خزائن الغيرة التي لا يوهب إلا لأهله فإنه قال صلى الله عليه وسلم "لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها" فهي كالصيد في حمى الحرم أو الإحرام أو هما معاً أعني في الحمائين فإذا قتلها وهو أن يمنحها غير أهلها فلا يعرف قدرها فتموت عنده عاد وبالها عليه فيكفر بها ويتزندق فذلك عين الجزاء حكم به عدلان وهما الكتاب والسنة فإن كان الجزاء مثلاً فيبحث عن جاهل عنده حكمة لا يعرف قدرها فيبين له عن مكانتها حتى يحيي بها قلبه فيقتل متعمداً من ذلك الشخص عين الجهل القائم به الذي كان سبب إضاعة هذا العلم عنده وصورة العقوبة والوبال فيه عليه إنه حرم حكمة ذلك الجهل في ذلك الجاهل حتى رآها صفة مذمومة منهياً عنها مستعاذاً بالله منها في قوله "أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" فحرم ما هو كمال في نفس الأمر إذ كان الجهل من جملة الأسرار المخزونة في أعيان الجاهلين فحفظها تبرم العالم منها فكأنهم تبرؤا عن حقائقهم فالذي تبرؤا منه وقعوا فيه فإنهم تبرؤا من الجهل بالجهل لو عقلوه فحكم جهلهم فيهم أعظم من جهل الجهلاء فإنهم ما تفطنوا لقول الله "فلا تكونن

من الجاهلين فلا ينتهي إلا عن معلوم محقق عنده فإنه إن لم يعلم الجهل فلا يدري ما نهي عنه وإذا علمه فقد اتصف به فإن الجهل إن لم يكن ذوقاً فلا يحصل له العلم به فإنه من علوم الأذواق ألا ترى الطائفة قد أجمعوا على أن العللم بالله عين الجهل به تعالى وقال الله تعالى في الجاهل ذلك مبلغهم من العلم فسمى الجهل علماً لمن تفطن وهي صفة كيانية حقيقة للعبد إن خرج منها ذم وإن بقي فيها حمد فإنه ما علم من الله سوى ما عنده وما عنده ينفد فإنه عنده وما هو هو لا ينفد وهو هو عين الجهل والذي عنده عين العلم فهو عين الدلالة والدليل وهو الدال فهو عين العلم بالله.

والعلم بالله نفي العلم بالله — والثبت من صفة المنعوت بالساهي

فالعلم جهل لكون العين واحدة — والجهل علم بكون الله في اللاهي

انتهى الجزء التاسع والستون.

الجزء السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصل اختلافهم في آية قتل الصيد في الحرم والإحرام في كفارته هل هي على الترتيب أم لا

الآية قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم إلى آخر الآية اختلفوا في هذه الآية هل هي على الترتيب وبه قال بعضهم إنه المثل أوّلاً فإن لم فالإطعام فإن لم فالصيام أو الآية على التخيير وقال به بعضهم وهو أن الحكمين يخيران الذي عليه الجزاء وبه أقول فإن كلمة أو تقتضي التخيير ولو أراد الترتيب لقال وأبان كما فعل في كفارات الترتيب فمن لم يجد فمذهبنا في هذه المسئلة إن المثل المذكور هنا ليس كما رآه بعضهم أن يجعل في النعامة بدنة وفي الغزالة شاة وفي البقرة الوحشية بقرة أنسية بل في كل شيء مثله فإن كانت نعامة اشترى نعامة صادها حلال في حل وكذلك كل مسمى صيد مما يحل صيده وأكله من الطير وذوات الأربع أو كفارة بإطعام وحدّ ذلك عندي أن ينظر إلى قيمة ما يساوي ذلك المثل فيشتري بقيمته طعاماً فيطعمه للمساكين أو عدل ذلك صياماً فننظر إلى أقرب الكفارات شبهاً بهذه الكفارة الجامعة لهدي أو إطعام أو صيام فلم نجد إلا من حلق رأسه وهو محرم لأذى نزل به ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فذكر الثلاثة المذكورة في كفارة قاتل الصيد فجعل الشارع هنالك في الإطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وجعل الصيام ثلاثة أيام فجعل لكل صاع يوماً فننظر القيمة فإن بلغت صاعاً أو أقل فيوم فإن الصوم لا يتبعض وإن بلغت القيمة أن نشتري بها صاعين أو دون الصاعين أو أكثر من الصاع فيومان وهكذا ما بلغت القيمة وأعني بالقيمة قيمة المثل يشتري بها طعاماً فيطعم والصيام محمول على ما حصل من الطعام بالشراء على ما قررّناه فهو مخير بين المثل والإطعام بقيمة المثل والصيام بحسب ما حصل من الطعام من قيمة المثل والمثل والطعام تناوله سبب في بقاء حياة المتغذي به لأن هذا المتغذي أتلف نفساً وأزال حياة فجبرها وكفر ذلك بما يكون سبباً لإبقاء حياة فكأنه أحياها زمان بقائها بحصول ذلك الغذاء من المثل أو الطعام وأما الصيام فإنها صفة ربانية فكلف أن يأتي بها هذا القاتل إن لم يكفر بالمثل أو بالإطعام فإن أبيت فاخرج عن التحجير حتى يكون قاتل الصيد غير محجور عليه فلا يكلف شيأ قال وما هو قال الصوم فإنه لي وأنا لا أتصف بالحجر عليّ فتلبس بصفتي تحصل في الحمى عن الحجر عليك فإذا صمت كان الصوم لي والجوع لك فبما في الصوم من الجوع في حقك الذي ليس لي يكون كفارة لأن الجوع من الأسباب المزيلة للحياة من الحيّ فأشبه القتل الذي هو سبب مزيل للحياة من الحيّ و لم تزل حياتك بهذا الجوع لأنه جوع صوم والصوم من صفاتي وهو غير مؤثر في الحياة الأزلية فلهذا لم يجع جوع الإتلاف والحق سبحانه مذهب الأشياء لا معدمها لأنه فاعل والفاعل من يفعل شيأ فإنّ لا شيء ما يكون مفعولاً فهو وإن أذهب الأشياء من موطن كان لها وجود في موطن آخر فإن الكون الذي منه الاجتماع والافتراق لا يدل على عدم الأعيان فالموت إذهاب لا إعدام فإنه انتقال من دنيا إلى آخرة التي أولها البرزخ فلما كان الإذهاب من صفات الحق لا الإعدام كما قال تعالى "إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين" و لم يقل يعدمكم لذلك لم يجعل جوع الصوم جوع إتلاف النفس وإن كان إذهاباً لا إعداماً وذلك أنه لا يصح الإعدام لهذا الموجود لأن المتصف بالوجود إنما هو الحق الظاهر في أعيان المظاهر فالعدم لا يلحق به أصلاً فإنه يقول للشيء إذا أراده كن فيكون هو:

نظرت في كون من قالت إرادته إذا توجه للأشياء كن فتكون

فعندما حققت عيني تكوّنه إذا به عينه لا غيره فأكون

فخذ فديتك علماً كنت تجهله وانظر إلى أصعب الأشياء كيف يهون

فاعلم أشرف نعت ناله بشر وصاحب العلم محفوظ عليه مصون

إن قام قام به أو راح راح به والحال والمال في حكم الزوال يكون

وليس ناظم هذا غيره فله ما قلت فهو الذي في عين كل مكون

لولا تجليه في الأعيان ما ظهرت نعوت كان به وكائن ويكون

لذا تسمى بدهر لا انقضاء له ولا ابتداء فشكل الكون منه كنون

وصل في فصل هل يقوّم الصيد أو المثل

فمذهبنا قد تقدّم أن المثل يقوّم وبينا ما هو المثل فقال بعضهم يقوّم الصيد وقال قوم يقوّم المثل وهو قولنا وخالفناهم في المثل ما هو وكذلك اختلفوا في تقدير الصيام بالطعام وقد تقدّم مذهبنا فيه فقالت طائفة لكل مدّ يوماً وقال قوم لكل مدّين يوماً.

وصل في فصل قتل الصيد خطأ

اختلف فقيل فيه الجزاء وقيل لا شيء عليه فيه وبه أقول فإن قتل الخطأ هو قتل الله ولا حكم على الله فإنه بالنسبة إلى الله مقصود القتل وبالنسبة إلينا خطأ لظهور القتل على أيدينا وعدم القصد فيه فالمقتول متعمد أي مقصود بالقتل غير مقصود بالقتل فلهذا تصوّر الاختلاف لإطلاق الحكمين فيه فمن راعى أنه قتله من كونه ظارهاً في مظهر القاتل ما أوجب الجزاء لأن تلك العين التي ظهر فيها أعطته الحكم عليه بأن لا جزاء لأنه قاصد للقتل ومن راعى أنه القاتل من خلف حجاب الكون الظاهر ولكن ما أوقعه وظهر في الوجود الأعلى يد الظاهر أوجب الجزاء لأن الحكم لما ظهر والقصد غيب وما تعبدنا به فالقاتل إن عرف من نفسه أنه قتل غير قاصد فأوجب عليه ظاهر الشرع بالحكمين الجزاء جبراً كان ذلك له صدقة تطوّع بوجوب شرعيّ في أصل مجهول عند الحاكم فجمع لهذا القاتل بين أجر التطوّع والواجب فأسقط عنه ما يسقطه الواجب والتطوّع معاً وإن لم يره أحد مضى ولا شيء عليه.

وصل في فصل

اختلافهم في الجماعة المحرمين اشتركوا في قتل صيد

اختلفوا إذا اشترك جماعة محرمون في قتل صيد فقيل على كل واحد جزاء وقيل عليهم جزاء واحد والذي أقول به إن عرف كل واحد من الشركاء إنه ضربه في مقتل كان على كل من ضربه في مقتل جزاء ومن جرحه في غير مقتل فلا جزاء عليه وهو آثم حيث تعرّض بالأذى لما حرم عليه الجماعة هنا إذ يأثم الإنسان بجميع ما كلف من أعضائه الثمانية فعليه لكل عضو توبة من حيث ذلك

العضو ومن رأى التوبة من جانب من تاب إليه لا ما تاب منه فهو القائل بجزاء واحد وفرّق بعضهم بين المحرمين يقتلون الصيد وبين المحلين يقتلون الصيد في الحرم فقال في المحرمين على كل واحد منهم جزاء وقال في المحلين جزاء واحد.

وصل في فصل هل يكون أحد الحكمين قاتلاً للصيد

فذهب قوم إلى أنه لا يجوز وأجازه قوم فمن رأى أنه لا فاعل إلا الله وهو الحاكم وهو الفاعل أجاز ذلك ومن رأى أن الفعل للمخلوق لم يجز ذلك وبالأول أقول وأثبت القول الثاني على غير الوجه الذي يعتقده القائل به.

وصل في فصل اختلافهم في موضع الإطعام

فقيل يطعم في الموضع الذي قتل فيه الصيد إن كان هناك طعام أو في أقرب المواضع إليه إن لم يكن هناك ما يطعم وقال بعضهم حيثما أطعم أجزأه وبه أقول لأن الله ما عين قوال بعضهم لا يطعم إلا مساكين مكة من كان الله قبلته لم يخصص الإطعام بموضع معين ومن كان قبلته البيت حدد.

وصل في فصل

اختلافهم في الحال يقتل الصيد في الحرم

بعد إجماعهم على أن المحرم إذا قتل الصيد أنّ عليه الجزاء

فقال قوم عليه الجزاء وقال قوم لا شيء عليه وبه أقول.

وصل في فصل المحرم يقتل الصيد ويأكله

فمن قائل عليه كفارة واحدة وبه أقول وقيل عليه كفارتان وبه قال عطاء وفيه وجه عندي فإن الشرع اعتبره فما أطلق أكله إلا لمن لم يعن عليه بشيء فأحرى إذا كان هو القاتل فإن أكله يحرم عليه كما حرم عليه صيده كما حرم عليه قتله فهذه ثلاثة حرم صيد وقتل وأكل لما كان الآكل لنفسه سعى ومن حق نفسه عليه أنه لا يطعمها إلا ما لها حق فيه وما لا حق لها فيه فقد ظلمها فجوزي جزاء من ظلم نفسه.

وصل في فصل فدية الأذى

أجمع العلماء على أنها واجبة على من أماط الأذى من ضرورة وهو وجوب اللعنة على الذين يؤذون الله ورسوله فوجب دفع الأذى حرمة للمحرم ووجبت الكفارة حرمة للإحرام الكلام في الله بما لا ينبغي أذى فوجبت إماطته حرمة للحق ولا فاعل إلا الله فوجبت الكفارة وهي الستر لهذه النسبة بأن لا يضاف مثل هذا الفعل إلى الله تعالى وجل والكفارات كلها ستر حيثما وقعت واختلفوا فيمن أماط الأذى من غير ضرورة فقال قوم عليه الفدية المنصوص عليها وقال قوم عليه دم وبه أقول فإنه غير متأذ في نفسه أي أنه ليس

بذي ألم لذلك ولذلك جعل محل الأذى الرأس المحس به وما جعله الشعر فما ثم ضرورة توجب الحلق لما كان الإنسان مخلوقاً على الصورة وجبت إماطة الأذى عنه للنسبة عناية به ووجبت الكفارة فيما أوجب الله عليه فعله أو أباحه له لئلا يشغله الإحساس بالأذى عن ذكر الله وما شرع الحج إلا لذكر الله فوجبت الكفارة حيث لم يصبر على الأذى فما وفى الصورة حقها فإنه ورد أنه ما أحد أصبر على أذى من الله وبهذا سمي الصبور وبعدم المؤاخذة مع الاقتدار سمي الحليم.

وصل في فصل

اختلافهم هل من شرط من وجبت عليه الفدية

بإماطة الأذى أن يكون متعمداً أم الناسي والمتعمد سواء

فقال قوم هما سواء وقال آخرون لا فدية على الناسي وبه أقول والناسي هنا هو الناسي لإحرامه وكلاهما متعمد لإماطة الأذى فإذا وجبت على المضطرّ وهو الذي قصد إزالتها لإزالة الأذى مع تذكرة الإحرام فهي على الناسي أوجب لأنه مأمور بالذكر الذي يختص بالإحرام فإذا نسي الإحرام فما جاء بالذكر الذي للمحرم فاجتمع عليه إماطة الأذى ونسيان الإحرام فكانت الكفارة أوجب وأصل ما ينبني عليه هذا الباب وجميع أفعال العبادات كلها علم إضافة الأفعال هل تضاف إلى الله وإلى العباد أو إلى الله وإلى العباد فإن وجودها محقق ونسبتها غير محققة فلنقل أولاً في ذلك قولاً إذا حققته ونظرت فيه نظر منصف عرفته أو قاربت فإني أفصل ولا أعين الأمر على ما هو في نفسه لما فيه من الضرر واختلاف الناس فيه والخلاف لا يرتفع من العالم بقولي فابقاؤه في العموم على إبهامه أولى وعلماء رجالنا يفهمون ما أومى إليه فيها فأقول إن الله قد قال إنه ما خلق الله الخلق إلا بالحق وتكلم الناس في هذا الحق المخلوق به وما صرّح أد به ما هو إلا أنهم أشاروا إلى أمور محتملة فاعلم أن الحق المخلوق به والعالم المخلوق أمران محققان أنهما أمران عند الجميع غير أنهما نظيرا الجوهر الهبائيّ والصورة ومعلوم عند الجماعة أن الأفعال تصدر من الصورة ولكن من هو الصورة هل العالم أو المخلوق به الذي هو الحق الذي قال الله فيه "ما خلقناهم إلا بالحق وبالحق أنزلناه وبالحق نزل" فمن رأى أن الحق المخلوق به مظهر صور العالم ظهرت فيه بحسب ما تعطيه حقائق الصور على اختلافها بحسب الأفعال إلى الخلق ومن رأى أن أعيان الممكنات التي هي العالم هو الجوهر الهبائيّ وأن الحق المخلوق به هو الصورة في هذا العالم وتنوّعت أشكال صوره لاختلاف أعيان العالم فاختلفت عليه النعوت والألقاب كما تنسب الأسماء الإلهية من اختلاف آثارها في العالم فمن رأى هذا نسب الفعل إلى الله بصورة الصورة الظاهرة ومن رأى أن ظهور الصورة لا يتمكن إلا في الجوهر الهبائيّ وإن الوجود لا يصح للجوهر الهبائي في عينه إلا بحصول الصورة فلا تعرف الصورة إلا بالجوهر الهبائيّ ولا يوجد الجوهر الهبائيّ إلا بالصورة نسب الأفعال إلى الله بوجه وإلى العباد بوجه فعلق المحامد والحسن بما ينسب من الأفعال للحق وعلق المذام والقبح مما ينسب من الأفعال للعباد بالخلق الذي هو العالم لحكم الاشتراك العقليّ والتوقف في العلم بكل واحد منهما وتوقف كمال الوجود على وجودهما وقد رميت بك على الجادّة فهذا تفسير "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمي عمن أثبت له يقول الله في هذه الآية عين ما قلناه في هذه المسئلة وذهبنا إليه والله يقول الحق وهذا قوله وهو يهدي السبيل أي يبينه لنمشي عليه ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم فمشينا

عليه بحمد الله فأثبت بهذه الآية إن أعيان العالم هو الجوهر العبائيّ إلا أنه لا يوجد إلا بوجود الصورة وكذلك أعيان العالم ما اتصفت بالوجود إلا بظهور الحق فيها فالحق المخلوق به لها كالصورة وقد أعلمتك إن الفعل كله إنما يظهر صدوره من الصورة وهو القائل ولكن الله رمى فكان الحق عين الصورة التي نشاهد الأعمال منها فتحقق ما ذكرناه فإنه لا أوضح مما بين الله في هذه الآية وبيناه نحن في شرحنا إياها على التفصيل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم صراط الله والصراط الذي عليه الرب والصراط المضاف إلى الحقيقة في قوله وإن هذا صراطي مستقيماً ولكل صراط حكم ليس للآخر فافهم والسلام وأما صراط الذين أنعمت عليهم فهو الشرع.

وصل في فصل اختلافهم في توقيت الإطعام والصيام

اختلفوا في توقيت الإطعام والصيام فالأكثرون على أن يطعم ستة مساكين وقال قوم عشرة مساكين والصيام عشرة أيام واختلفوا فى توقيت الإطعام والصيام فالأكثرون على أن يطعم ستة مساكين وقال قوم عشرة مساكين والصيام عشرة أيام واختلفوا في كم يطعم كل مسكين فقال بعضهم مدّين بمدّ النبى صلى الله عليه وسلم لكل مسكين وقال بعضهم من البرّ نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير صاع وأما قص الأظفار فقال قوم ليس فيها شيء وقال قوم فيه دم وفروع هذا الباب كثيرة جدّاً فمن اعتبر الستة المساكين نظر إلى ما يطعم الصفات مما تطلب فوجدناها ستة كونية عن ستة إلهية فما للإلهية من الحكم للكونية من الحكم وإطعامها تطلبه لبقاء حقيقتها فانه لها كالغذاء للأجسام الطبيعية فالمعلوم للعلم طعام فيه يتعلق وكذلك الإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر وأما الحياة فليس لها مدخل فى هذا الباب فغاية حقيقتها الشرطية لا غير وهو باب آخر ولما كانت الحضرة حضرتين كان من المجموع اثنا عشر وهو نهاية أسماء بسائط العدد الذى يعم الحضرتين فإن العدد يدخل عليهما ولهذا ورد تعدد الصفات والأسماء المنسوبة الى الله وأما حكمه في الكون فلايقدر أحد على إنكاره كما أنها أيضا نهاية انتهاء وزن الفعل الذى هو مركب من مائة وثمانين درجة وسأبين حكمها إن شاء الله فأما أوزان الفعل فى الأسماء فهى اثنا عشر وزناً كل وزن يطلب ما لا يطلبه الآخر وهي محصورة في هذا العدد كما نهاية أسماء العدد محصورة في الاثني عشر فمن ذلك في تسكين عين الفعل ثلاثة وفي فتحه ثلاثة وفي ضمه ثلاثة وفي كسره ثلاثة فالمجموع اثنا عشر فالتسكين مثل فعل كدعد وفعل كقفل وفعل كهند والمفتوح العين فعل مثل جمل وفعل مثل صرد وفعل مثل عنب والمضموم العين فعل مثل عضد وفعل مثل عنق وفعل لم يوجد له اسم على وزنه في اللسان وعلله أهل هذا الشأن بأنهم استثقلوا الخروج من الكسر إلى الضم ومبنى كلامهم على التخفيف وهذا التعليل عندنا ليس بشيء بسطناه في النسخة الأولى من هذا الكتاب وقد مرت بنا كلمة للعرب على وزن فعل بكسر فاء الفعل وضم عينه لا أذكرها الآن إلا أنها لغة شاذة والمكسور العين فعل مثل كتف وفعل مثل إبل و لم يوجد على وزن فعل سوى دئل وهو اسم دويبة تعرفها العرب ثم إن الله أجرى حكمته في خلقه أن لا تأخذ العرب في أوزان الكلام إلا هذه الأحرف الثلاثة الفاء والعين واللام ولها ثلاث مراتب في النشأة وأخذوا من كل مرتبة حرفاً أخذوا الفاء من حروف الشفتين عالم الملك والشهادة وأخذوا العين من حروف الحلق عالم الغيب والملكوت وأخذوا اللام من الوسط عالم البرزخ والجبروت وهو من حروف اللسان الذي له العبارة والتصرّف في الكلام فكان مجموع هذه الحروف التي جعلوها أصولاً في أوزان الكلام مائة وثمانين درجة وهو شطر الفلك الظاهر وهو الذي يكون له الأثر أبداً في التكوين والشطر

الغائب لا أثر له إلا حيث يظهر وسبب ذلك أن أشعة أنوار الكواكب تتصل بالمحل العنصري وهو مطارح شعاعاتها والعناصر قابلة للتكوين فيها فإذا اتصلت بها سارع التعفين فيها لما في الأنوار من الحرارة وفي ركن الماء والهواء من الرطوبة فظهرت أعيان المكوّنات أنّ الله خمر طينة آدم بيده والتخمير تعفين وما غاب عن هذه الأنوار فلا أثر لها فيه ألا ترى في كسوف الشمس إذا اتفق أن يكون بالليل لا حكم له عندنا لعدم مشاهدة الظاهر ظاهر كرة الأرض التي نحن عليها فلا حكم له إلا حيث يظهر بتقدير العزيز العليم فإنه حيث يظهر يشهد ما حضر عنده فيؤثر فيه لشهوده عادة طبيعية أجراها الله وهذا من أدل دليل على قول المعتزلي في ثبوت أعيان الممكنات في حال عدمها وأن لها شيئية وهي قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيرانا سبحانه في حال عدمنا في شيئية ثبوتنا كما يرانا في حال وجودنا لأنه تعالى ما في حقه غيب فكل حال له شهادة يعرفه صاحب الشهادة فيتجلى تعالى للأشياء التي يريد إيجادها في حال عدمها في اسمه النور تعالى فينفهق على تلك الأعيان أنوار هذا التجلي فتستعدّ به لقبول الإيجاد استعداد الجنين في بطن أمّه في رابع الأشهر من حمله لنفخ الروح فيه فيقول له عند هذا الاستعداد كن فيكون من حينه من غير تثبيط فانظر إلى هذه الحكمة ما أجلاها ثم إنه من تمام الحكمة أنه إذا كان في القابلات للتكوين من لا

يقبله لحقيقة هو عليها إلا بزيادة درجات وهو بين أصله وحقيقته فإنه يكرّر اللام من هذا الوزن إذا كانت حروف الوزن من نفس الكلمة ومن أصولها مثل جعفر وزنه فعلل فكرّر واحداً من أصل الأوزان لأن حروف الموزون كلها أصول فإن كان الحرف في الكلمة زائداً جئنا به على صورته و لم نعطه حرفاً من حروف الفعل فنقول في وزن مكسب مفعل فالأصول أبداً هي التي تراعى في الأشياء وهي التي لها الآثار فيها وقال بعضهم إن الجياد على أعراقها تجري يقول على أصولها فمن كان أصله كريماً فلا بدّ أن يؤثر فيه أصله وإن ظهر عنه لؤم فهو أمر عارض يرجع إلى أصله ولا بدّ في آخر الأمر وكذلك اللئيم الأصل وهذه مسئلة قليل من يتفطن لها وهي لماذا ترجع أصول الممكنات هل أصلها كريم فيكون واجب الوجود أصلها أو يكون أصلها لئيماً وهو الإمكان فلا يزال الفقر والبخر واللؤم يصحبها ويكون ما نسبت إليها من المحامد بحكم العرض وهنا أسرار ودقائق وكلناك لنفسك في الاطلاع عليها فإن ظهورها في العموم يتعذر فتركنا علم ذلك لمن يطلعه الله عليه فيقف على ما هو الأمر عليه في نفسه وقد بقي من أمهات مسائل هذا الباب يسير نذكر اعتبارها في سرد أحاديث ما يتعلق بهذا الباب إن شاء الله تعالى انتهى الجزء السبعون.

الجزء الحادي والسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل في فصول الأحاديث النبوية فيما يتعلق بهذا الباب

ولا أذكرها بجملتها وإنما أذكر منها ما تمس الحاجة إليه

وبعد أن قد ذكرنا حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جابر بن عبد الله فلنذكر في بقية هذا الباب ما تيسر من الأخبار النبوية فمن ذلك

حديث أول في فضل الحج والعمرة

خرّج مسلم في الصحيح عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" فالكفارة تعطي الستر والجنة تعطي الستر غير أن ستر العمرة لا يكون إلا بين عمرتين وستر الحج لم يشترط فيه ذلك إلا أنه قيده بأنه يكون مبروراً والبرّ الإحسان والإحسان مشاهدة أو كالمشاهدة فإنه قال صلى الله عليه وسلم في تفسير الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فصارت الجنة عن حج مقيد بصفة برّ فقام البرّ للحج مقام العمرة الثانية للعمرة الأولى والسبب في ذلك إن التكفير والجنة نتيجة والنتيجة لا تكون عن واحد فإن ذلك لا يصح وإنما تكون عن مقدمتين فحصل التكفير عن عمرتين وحصلت الجنة عن حج مبرور أي يكون عن صاحب صفة برّ فما أعجب مقاصد الشارع فالعمرة الزيارة وهي زيارات أهل السعادة لله تعالى هنا بالقلوب والأعمال وفي الدار الآخرة بالذوات والأعيان وبين الزيارتين حجب موانع بين الزائرين وبين أهليهم من أهل الجنان وفي حالة الدنيا بين المعتمرين وبين غيرهم فلا يدرك ما حصلوه في تلك الزيارة من الأسرار الإلهية والأنوار ما لو تجلى بشيء منها لأبصار من ليس لهم هذا المقام لأحرقهم وذهب بوجودهم فكان ذلك الستر رحمة بهم وقد عاينا ذلك في المعارف الإلهية مشاهدة حين زرناه بالقلوب والأعمال بمكة التي لا تصح العمرة إلا بها وأما الزيارة من غير تسميتها بالعمرة فتكون لكل زائر حيث كان وكذلك الحج فهي زيارة مخصوصة كما هو مخصوص ولما فيها من الشهود الذي يكون به عمارة القلوب تسمى عمرة فهذا معنى التكفير في هذا العمل الخاص وقد يكون التكفير في غير هذا وهو أن يسترك عن الانتقام أن يترل به لما تلبست به من المخالفات ومن الناس من يكون له التكفير ستراً من المخالفات أن تصيبه إذا توجهت عليه لتحل به لطلب النفس الشهوانية إياها فيكون معصوماً بهذا الستر فلا يكون للمخالفة عليه حكم وهذان المعنيان خلاف الأول ومن الناس من يجمع ذلك كله وفي الدنيا من هذه الأحكام الثلاثة كلها وفي الآخرة اثنان خاصة وهو الستر الأول والستر أن لا يصيبه الانتقام وأمّا الستر عن المخالفات فلا يكون إلا في الدنيا لوجود التكليف فجوزوا بالسجود جزاء المكلفين كما تجيء الملائكة إليهم من عند الله بالأمر والنهي وليس المراد به التكليف وهو قولهم للسعداء لا تخافوا ولا تحزنوا وهذا نهي وأبشروا بالجنة وهذا أمر وليس بتكليف كذلك إذا أمروا بالسجود لله

فلذلك وقع الشبه لأنهم ما سجدوا مخلصين له الدين كما أمروا فميز الله يوم القيامة بينهما كما ميز بين المجرمين قال تعالى "وامتازوا اليوم أيها المجرمون.

حديث ثان في الحث على المتابعة بين الحج والعمرة

لأن كل واحد منهما قصد زيارة بيت الله العتيق خرّج النسائيّ عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة فجعل" في الأول العمرة إلى العمرة وكذلك الحج والبرّ وهنا جعل الحج والعمرة مقدّمتين ليكون منهما أجر آخر ليس ما أعطاه الحديث الأول وهو نفي الفقر فيحال بينك وبين عبوديتك إذا جمعت بين هاتين العبادتين وما ثم إلا عبد ورب والعبد لا يتميز عن الرب لا بالافتقاار فإذا أذهب الله بفقره كساه حلة الصفة الربانية فأعطاه أن يقول للشيء إذا أراده كن فيكون وهذا سر وجود الغنى في الفقر ولا يشعر به كل أحد فإنه لا يقول لشيء كن فيكون حتى يشتهيه ولهذا قال تعالى "ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم" فما طلب إلا ما ليس عنده ليكون عنده عن فقر لما طلب لأن شهوته أفقرته إليه ودعته إلى طلبه ليس ذلك المشتهى المطلوب فقال له كن عن فقر بصفة إلهية فكان هذا المطلوب في عينه فتناول منه ما لأجله طلب وجوده وليس هو كذا في حق الحق لأن الله لم يطلب تكوين الموجودات لافتقاره إليها وإنما الأشياء في حال عدمها الأمكانيّ لها تطلب وجودها وهي مفتقرة بالذات إلى الله الذي هو الموجد لها لفقرها الذاتي وفي وجودها من الله فقبل الحق سؤالها وأوجدها لها ولأجل سؤالها لا من حاجة قامت به إليها لأنها مشهودة له تعالى في حال عدمها ووجودها والعبد ليس كذلك فإنه فاقد لها حساً في حال عدمها وإن كان غير فاقد لها علماً إذ لولا علمه بها ما عين بالإيجاد شيأ عن شيء ودون شيء غير أن العبد مركب من ذاتين من معنى وحس وهو كماله فما لم يوجد الشيء المعلوم للحس فما كمل إدراكه لذلك الشيء بكمال ذاته فإذا أدركه حساً بعد وجوده وقد كان أدركه علماً فكمل إدراكه للشيء بذاته فتركيبه سبب فقره إلى هذا الذي أراد وجوده وإمكانه سبب فقره إلى مرجحه وأمّا الحق تعالى فليس بمركب بل هو واحد فإدراكه للأشياء على ما هي الأشياء عليه من حقائقها في حال عدمها ووجودها إدراك واحد فلهذا لم يكن في إيجاده الأشياءعن فقركما كان لهذا العبد المخلوع عليه صفة الحق وهذه مسئلة لو ذهب عينك جزاء لتحصيلها لكان قليلاً في حقها لأنها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل طريقنا والتحقوا فيها بمن ذم الله تعالى في كتابه من قولهم إن الله فقير وهذا سببه فما وجد الممكن ولا وجدت المعرفة الحادثة إلا لكمال رتبة الوجود وكمال رتبة المعرفة لا لكمال الله بل هو الكامل في نفسه سواء وجد العالم أو لم يوجد وعرف بالمعرفة المحدثة أو لم يعرف كما أنه على الحقيقة لا يعرف ولا يعرف منه ممكن إلا نفسه وأما نفي الذنوب فإنها من حكم الاسم الآخر لأن ذلك من الأمر بمنزلة الذنب من الرأس متأخرة عنه لأن أصله طاعة فإنه ممتثل للتكوين إذ قيل له كن فما وجد إلا مطيعاً ثم عرض له بعد ذلك مخالفة الأمر المسمى ذنباً فأشبه الذنب في التأخر فانتفى بالأصل لأنه أمر عارض والعرض لا بقاء له وإن كان له حكم في حال وجوده ولكن يزول فهذا يدلك على أن المآل إلى السعادة إن شاء الله ولو بعد حين ثم إن للذنب من معنى الذنب صفتين شريفتين إذا علمها الإنسان عرف منزلة الذنب عند الله وذلك أن ذنب الدابة له صفتان شريفتان ستر عورتها وبه تطرد الذباب عنها بتحريكها إياه وكذلك الذنب فيه عفو الله ومغفرته وشبه ذلك ما لا يشعر به مما يتضمنه من الأسماء الإلهية يطرد عن

صاحبه أذى الانتقام والمؤاخذة وهما بمنزلة الذباب الذي يؤذي الدابة فلا يصيب الانتقام إلا للأبتر الذي لا ذنب له يقول تعالى "إن شانئك هو الأبتر" أي لا عقب له أي لا يترك عقباً ينتفع به بعد موته كما قال عليه السلام أو ولد صالح يدعو له ولداً كان أو سبطاً وذكراً أو أنثى يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم "إن الذي ألحق بك الشين هو الأبتر" فلم يعقب وعقب الشيء مؤخره ولهذا قلناف ي الذنب أنه مؤخر لأنه في عقب الدابة وبعدمه يكون أبتر فلو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم و لم يقل فيعاقبهم فغلب المغفرة وجعل لها الحكم فأصل وجود الذنب بذاته لما يتضمنه من المغفرة والمؤاخذة فيطلب تأثير الأسماء وليس أحد الاسمين المتقابلين في الحكم أولى من الآخر لكن سبقت الرحمة الغضب

في التجاري فلم تدع شيأ إلا وسعته رحمته ومن رحمة الطبيب بالعليل صاحب الأكلة إدخال الألم عليه بقطع رجله فافهم واجعل بالك فمؤاخذات الحق عباده في الدنيا والآخرة تطهير ورحمة والتنبيه أيضاً على ذلك أن العقاب لا يكون إلا في الذنب والعقوبة لفظة تقتضي التأخير عن المتقدّم فهي تأتي عيبه فقد تجد العقوبة الذنب في المحل وقد لا تجده إما بأن يقلع عنه وإما أن يكون الاسم العفوّ والغفور استعانا عليه بالاسم الرحيم فزال فترجع العقوبة خاسرة ويزول عن المذنب اسم المذنب لأنه لا يسمى مذنباً إلا في حال قيام الذنب به وهو المخالفة والغفران في نفس الذنب وما يأتي عقيبه لأنه غير متيقن بالمؤاخذة والانتقام عليه فلا يأتي الغفران عقيبه فلا يسمى الغفران عقاباً وجزاء الخير يسمى ثواباً لأثورانه وعجلته فيكون في نفس الخير المستحق له لأنه من ثاب إلى الشيء إذا ثار إليه بالعجلة والسرعة ولهذا قال "سارعوا إلى مغفرة من ربكم" وقال "يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون" فجعل المسارعة في الخير وإليه ولا يسابق إليها إلا بالذنوب وطلب المغفرة فإنها لا ترد إلا على ذنب وإن كانت في وقت تستر العبد عن أن تصيبه الذنوب وهو المعصوم والمحفوظ فلها الحكمان في العبد محو الذنب بالستر عن العقوبة أو العصمة والحفظ ولا ترد على تائب فإن التائب لا ذنب له إذ التوبة أزالته فما ترد المغفرة إلا على المذنبين في حال كونهم مذنبين غير تائبين فهناك يظهر حكمها وهذا ذوق لم يطرق قلبك مثله قبل هذا وهو من أسرار الله في عباده الخفية في حكم أسمائه الحسنى لا يعقل ذلك إلا أهل الله شهوداً فمثل هذا يسمى التضمين فإنه أمر بالمسابقة إلى المغفرة وما أمر بالمسابقة إلى الذنب ولما كان العفو والغفران يطلب الذنب وهو مأمور بالمسابقة إلى المغفرة فهو مأمور بما له يكون ليظهر حكمها فما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب ولكن من حيث ما هو فعل لا من حيث ما هو حكم وإنما أخفى ذكره هنا وذكر المغفرة لقوله إن الله لا يأمر بالفحشاء والأمر من أقسام الكلام فما أمر بالذنوب وإنما أمر بالمسابقة والإسراع إلى الخير وفيه وإلى المغفرة فافهم وأمّا تشبيهه بنفي الكير خبث الحديد والفضة والذهب وهو ما تعلق بهذه الأجسام في المعادن من أصل الطبيعة استعانوا بالنار على إزالة ذلك واستعانوا على النار بإشعال الهواء واستعانوا على تحريك الهواء بالكير فما انتفى الخبث إلا عن مقدّمتين وهما النار والهواء فلولا وجود هاتين القوّتين العلمية والعملية ما وقع نفي هذا الخبث وقد تقدّم الكلام في الحج المبرور وإن كان له هنا معنى آخر ليس هو ذلك المعنى المتقدّم ولكن يقع الاكتفاء بذلك الأول مخافة التطويل فإن أسرار الله في الأشياء لا تنحصر بل ينقدح في كل حال لأصحاب القلوب ما لا يعلمه إلا الله والعامّة لا نعلم ذلك ولهذا تقول الخواص من عباد الله ما ثم تكرار للاتساع الإلهيّ وإنما الأمثال تحجب بصورها القلوب عن هذا الإدراك فتتخيل العامّة التكرار والله واسع عليم فمن تحقق بوجود هذا الاسم الواسع لم يقل بالتكرار بل هم في لبس من خلق جديد.

حديث ثالث في فصل إتيان البيت شرّفه الله

خرّج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أتى هذا البيت فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه" وفي لفظ البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "من حج لله فلم يرفث" و لم يفسق الحديث فاعلم أنه يوم خروج المولود من بطن أمّه خرج من الضيق إلى السعة بلا شك ومن الظلمة إلى النور والسعة هي رحمة الله التي وسعت كل شيء والضيق نقيض رحمة الله مع أن الرحمة وسعته حيث أوجدت عينه وجعلت له حكماً في نفوس العالم حساً ومعنى يقول تعالى "وإذا ألفوا منها مكاناً ضيقاً" والمولود على النقيض من الحق في هذه المسئلة فإن الحق لما كان له نعت لا شيء موجود إلا هو كان ولا منازع ولا مدع مشاركة في أمر ولا موجب لغضب ولا استعطاف غنيّ عن العالمين فكان بنفسه لنفسه في ابتهاج الأزل والتذاذ الكمال بالغنى الذاتي فكان الله ولا شيء معه وهو على ما عليه كان فلما أوجد العالم كانت هذه الحالة لهذا المولود ولكن على النقيض زاحمه العالم في الوجود العيني وما قنع حتى زاحمه في الوحدة وما قنع حتى نسب إليه ما لا يليق به فوصف نفسه لهذا كله بالغضب على من نازعه في كل شيء ذكرناه فكان مثل من خرج من السعة إلى الضيق ومن الفرح إلى الغم فانتقم وعذب بصفة الغضب وعفا وتجاوز بصفة الكرم وحفظ وعصم بصفة الرحمة فظهر الاستناد من الموجودات إلى الكثرة في العين الواحدة فاستند هذا إلى غير ما استند هذا فزال ابتهاج التوحيد والأحدية بالأسماء الحسنى وبما نسب إليه من الوجوه المتعدّدة الأحكام فلم يبق للاسم الواحد ابتهاج فرجع الأمر إلى أحدية الألوهية وهي أحدية الكثرة لما تطلبه من الأسماء لبقاء مسمى الأحدية فقال وإلهكم إله واحد و لم يتعرّض إلى ذكر النسب والأسماء والوجوه فإن طلب الوحدة ينافي طلب الكثرة فلا بدّ أن يكون هذا الأمر هكذا فصير قاصد بيته لحج أو عمرة من أجل الله في حال من ولدته أمّه أي أنه خرج من الضيق إلى السعة فشبهه بمثله وهو المولود و لم يشبهه بوصفه تعالى الذي ذكرناه آنفاً ولكن اشترط فيه أنه لا يرفث فإنه إن نكح أولد فلا يشبه المولود فإنه إذا أولد خرج من السعة إلى الضيق فإنه حصل له في ماله مشاركة بالولد وصار بحكم الولد أكثر منه بحكم نفسه فضاق الأمر عليه ولا سيما إذا تحرك ولده بما لا يرضيه فإنه يورثه الحرج وضيق الصدر لمزاحمة الثاني فلهذا اشترط في الآتي إلى البيت أن لا يرفث ولا يفسق أي لا يخرج على سيده فيدّعي في نعته ويزاحمه في صفاته إذ الفسوق الخروج فمن بقي في حال وجوده مع الله كما كان في حال عدمه فذلك الذي أعطى الله حقه ولهذا الداء العضال أحاله على استعمال دواء أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيأ يقول له كن معي في شيئية وجودك كما كنت إذ لم تكن موجوداً فأكون أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه فمن استعمل منا هذا الدواء عرف حق الله فأعطاه ما يجب له ومن لم يعرف ولا استعمل هذا الدواء وخلط كثرت أمراضه وآلامه في عين أفراحه وأغضب الحق عليه فما هو فارح مسرور به ففي بعض أفراحك غضبه فتنبه إلى ما في هذا الحديث من الأسرار على هذا الأسلوب وأمثاله فإن فيه علوماً يطول الكتاب بتفصيلها وتعيينها.

حديث رابع في فصل عرفة والعتق فيه

خرّج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء حتى يقولوا مغفرتك ورضاك عنهم" فقصد الحق مباهاة الملائكة

بهم وسؤاله إياهم ما أراد هؤلاء حجاب رقيق على قصد المباهاة جبر القلوب الملائكة ولما ظهر الأباق في عبيد الله واسترقتهم الأهواء والشهوات وصاروا عبيداً لها وخلق الله النار من الغيرة الإلهية فغارت لله وطلبت الانتقام من العبيد الذين أبقوا وقد جاء الخبر أن العبد إذا أبق فقد كفروا لكفر سبب الاسترقاق فصاروا عبيداً للأهواء بالكفر فاحتالت النار على أخذهم من يد الأهواء للانتقام فلما استحقتهم النار وأرادت إيقاع العذاب بهم اتفق إن وافق من الزمان يوم عرفة فجاء اليوم شفيعاً عند الله في هؤلاء العبيد بأن يعتقهم من ملك النار إذ كانت النار من عبيد الله المطيعين له فجاد الله عليهم بشفاعة ذلك اليوم فأعتق الله رقابهم من النار فلم يكن للنار عليهم سبيل فكثر خير الله وطاب وطهر الله قلوبهم من الشهوات المردية لا من أعيان الشهوات فأبقى أعيان الشهوات عليهم وأزال تعلقها بما لا يرضى الله فلما أوقفهم بعرفات أظهر عليهم أعيان الشهوات لتنظر إليها الملائكة ولما كانت الملائكة لا شهوة لهم كانوا مطيعين بالذات و لم يقم بهم مانع شهوة يصرفهم عن طاعة ربهم فلم يظهر سلطان لقوّة الملائكة عندهم إذ ليس لهم منازع فكانوا عقولاً بلا منازع فلما أبصرت الملائكة عقول هؤلاء العبيد مع كثرة المنازعين لهم من الشهوات ورأوا حضرة البشر ملأى منها علموا أنه لولا ما رزقهم الله من القوّة الإلهية على دفع حكم تلك الشهوات المردية فيهم ما أطاقوا وأنهم ربما لو ابتلاهم الله بما ابتلى به البشر من الشهوات ما أطاقوا دفعها فقصرت نفسوهم عندهم وما هم فيه من عبادة ربهم وعلموا أن القوّة لله جميعاً وإن الله له بهم عناية عظيمة السلطان وهذا كان المراد من الله التباهي مع هذه الحالة ولذلك وصف الحق نفسه بالدنوّ منهم ليستعينوا بقربه على دفع الشهوات المردية من حيث لا تشعر الملائكة ثم يقول الله للملائكة وهو أعلم ما أراد هؤلاء لينظروا إلى سلطان عقولهم على شهواتهم وما هم فيه من الالتجاء والتضرّع والابتهال بالدعاء ونسيان كل ما سوى الله في جنب الله.

حديث خامس في الحاج وفد الله

خرّج النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وفد الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر" أراد وفد طلبه في بيته لا غير فإن الله معهم أينما كانوا فما وفد عليك من أنت معه ولكن لله تعالى في عباده نسب وإضافات كما قال تعالى "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا" فجعلهم وفود الرحمن لأن الرحمن لا يتقى وكانوا حين كانوا متقين في حكم اسم إلهيّ تجلى الحق فيه لهم فكانوا يتقونه فلما أراد أن يرزقهم الأمان مما كانوا فيه من الاتقاء حشرهم إلى الرحمن فلما وفدوا عليه أمّهم وهكذا نسبتهم إلى رب البيت لما تركوا الحق خليفة في الأهل والمال كما جاءت به السنة من دعاء المسافر فارقوا ذلك الحال واتخذوه اسماً إلهياً جعلوه صاحباً في سفرهم وجاءت به السنة والعين واحدة في هذا كله ولذلك ورد أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل فإذا قدموا على البيت وهو قصر الملك وحضرته تحجب لهم عنده الاسم إلهيّ الذي صحبهم في السفر عن أمر الاسم الذي تخلف في الأهل وهو الاسم الحفيظ فتلقاهم رب البيت وأبرز لهم يمينه فقبلوه وطافوا ببيته إلى أن فرغوا من حجهم وعمرتهم وفي كل منسك يتلقاهم اسم إلهي ويتسلمهم من يد الاسم الإلهيّ الذي يصحبهم من منسك إلى منسك إلى أن يرجعوا إلى منازلهم فيحصلوا في قبضة من خلفوه في الأهل فهذا معنى وفد الله إن عقلت.

حديث سادس الحج للكعبة

من خصائص هذه الأمة أهل القرآن

ذكر الترمذي عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ثم لم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا" قال هذا حديث غريب وفي إسناده مقال اعلم أنه لو كان أهل التوراة والإنجيل مخاطبين بالحج إلى هذا البيت لم يقل له فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً أي أن الله ما دعاهم إليه أي أنه من كان بهذه المثابة فليس من أهل القرآن الوكيل يملك التصرّف في مال الموكل ولا يملك المال وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فأمره بالإنفاق فيما حدّ له أن ينفقه فيه ومما حدّ له الانفاق في الحج الوكيل الحق الموكل العبد الوكيل هنا اعلم بالمصالح من الموكل وقد ظهر له المصلحة في الحج والمال بيد الوكيل وهو وكيل لا يترع يده من المال فإن أعطاه ما يحج به و لم يحج ثبت سفه الموكل فحكم عليه الحاكم بالحجر فحجر عليه الإسلام وألحقه بالسفهاء "ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون" فإن شاء حكم عليه بحكم اليهود أو بحكم النصارى الذين لم يخاطبوا بهذه المصلحة فلا نصيب له في الإسلام لأن الحج ركن من أركانه وقد استطاع و لم يفعل وإذا فارق الإسلام فلا يبالي إلى أية ملة يرجع.

حديث سابع في فرض الحج

خرّج مسلم عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكلّ عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه" وقال النسائي من حديث ابن عباس "لو قلت نعم لوجبت ثم إذن لا تسمعون ولا تطيعون ولكنها حجة واحدة لما ثبت أن المكلف أحديّ في ألوهته وأنه قال "وإلهكم إله واحد" ثم أمر بالقصد إليه في بيته وحدّ القصد فجعلها حجة واحدة لمناسبة الأحدية فختم الأركان بمثل ما به بدأ وهو الأحدية فبدأ بلا إله إلا الله وختم بالحج فجعله واحدة في العمر فلا يتكرّر وجوبه بالأيام كتكرّر وجوب الصلوات ولا بالسنين كتكرّر وجوب الزكاة بالحول ووجوب الصيام بدخول رمضان في كل سنة والحج ليس كذلك فانفرد بالأحدية لأن الآخر في الإلهيات عين الأول فيحكم له بحكمه وفي متن هذا الخبر حكم كثيرة يطول ذكرها لو شرعنا فيها والأحاديث كثيرة في هذا الباب فلنأخذ من كل حديث بطرف على قدر ما يلقي الروح من أمره على قلبي بلمته أو ما شئت.

حديث ثامن في الصرورة

خرّج أبو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صرورة في الإسلام وفي الحديث الذي خرّجه الدارقطنيّ عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم نهى أن يقال للمسلم صورة وكلا الحديثين متكلم فيه الصرورة هو الذي لم يحج قط والمسلم من ثبت إسلامه وفي نية المسلم الحج ولا بدّ والإنسان في صلاة مادام ينتظر الصلاة كما هو في حج مادام ينتظر الأسباب الموصلة إلى الحج فلا يقال فيه أنه صرورة فإنه حاج ولا بدّ وإن مات فله أجر من حج بانتظاره كما لو مات منتظراً الصلاة لكتب مصلياً فلا صرورة في الإسلام.

حديث تاسع في إذن المرأة زوجها في الحج

خرّد الدارقطنيّ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأة هلا زوج ولها مال ولا يأذن لها في الحج "ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها" وفي إسناد هذا الحديث رجل مجهول يقال أنه محمد بن أبي يعقوب الكرمانيّ رواه عن حسان بن إبراهيم الكرمانيّ إن منعها زوجها فهو من الذين يصدّون عن سبيل الله إن كان لها محرم تسافر معه عندنا في هذه المسئلة إذا كانت أفاقية وأما إن كانت من أهل مكة فلا تحتاج إلى أذنه فإنها في محل الحج كما لا تستأذنه في الصلاة ولا في صوم رمضان ولا في الإسلام ولا في أداء الزكاة لما كان الحج القصد إلى البيت عن طريق الوجوب لمن لم يحج كذلك قصد النفس إلى معرفة الله ليس لها من ذاتها النظر في ذلك فإنها مجبولة في أصل خلقها على دفع المضارّ المحسوسة والنفسية وجلب المنافع كذلك وهي لا تعرف أن النظر في معرفة الله مما يقرّبها من الله أم لا وهي به في الحال متضرّرة لما يطرأ عليها في شغلها بذلك من ترك الملاذ النفسية فلا بد ممن يحكم عليها في ذلك ويأذن لها في النظر بمنزلة إذن الزوج للمرأة فمنا من قال يأذن لها العقل فإذا أذن لها في النظر في الله بما تعطيه الأدلة العقلية فإن العلم بالشيء كان ما كان أحسن من الجهل به عند كل عاقل فإن النفس تشرف بالعلم بالأشياء على غيرها من النفوس ولاسيما وهي تشاهد النفوس الجاهلة بالعلوم الصناعية وغير الصناعية تفتقر إلى النفوس العالمة فيتبين لها مرتبة شرف العلم هذا إذا لم يعلم أن الخوض في ذلك مما يقرّب من الله وينال به الحظوة عند الله ومنا من قال الزوج في هذه المسئلة إنما هو الشرع فإن أذن لها في الخوض في ذلك اشتغلت به حتى تناله فتعرف منه توحيد خالقها وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز أن يفعله فيعلم بالنظر في ذلك إن بعثة الرسل من جانب الله إلى عباده ليبينوا لهم ما فيه نجاتهم وسعادتهم إذا استعملوه أو اجتنبوه فيكون وجوب النظر في ذلك شرعاً من حيث أنه أوجب عليهم النظر لثبوته في نفسه وهي مسئلة خلاف بين المتكلمين هل تجب معرفة الله على الناس بالعقل أو بالشرع وعلى كل حال فزوج النفس هنا إما الشرع في مذهب الأشعريّ وإما العقل في مذهب المعتزليّ ليس لها من نفسها في هذا التصرّف الخاص حكم ولا نظر بطريق الوجوب إلا إن كان لها بذلك التلذاذ لحب رياسة من حيث أنها ترى النفوس تفتقر إليها فيما تعلمه وجهلته نفوس الغير فتكون عند ذلك بمنزلة المرأة وإن كان لها زوج إذا كانت بمكان الحج في زمان الحج عندنا ولا سيما إن كان صاحبها أيضاً ممن يحج فأكد في الأمر.

حديث عاشر سفر المرأة مع العبد ضيعة

ذكر البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سفر المرأة مع عبدها ضيعة في إسناده مقال سفر النفس في معرفة الله مع الإيمان بالشرع غاية المحمدة والسعادة ويكون في تلك الحالة العقل من جملة عبيدها لأنها الحاكمة عليه بأن يقبل من الشارع في معرفة الله كل ما جاء به فإن سافرت مع عقلها في معرفة ما أتى به هذا الشارع من العلم بصفات الحق مما يحيله دليله وانفردت معه دون الإيمان فإنها تضيع عن طريق الرشد والنجاة فإن كان السفر الأوّل قبل ثبوت الشرع فليكن العبد هناك الهوى لا العقل والنفس إذا سافرت في صحبة هواها أضلها عن طريق الرشد والنجاة وما فيه سعادتها قال تعالى "أفرأيت من اتخذ إلهه هواه" وقال وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى يعني أن تسافر معه فإنه على الحقيقة عبدها لأنه من جملة أوصافها الذي ليس له عين

إلا بوجودها فهي المالكة له فإذا اتبعته صار مالكاً لها وهو لا عقل له ولا إيمان فيرمي بها في المهالك فتضيع فاعتبر الشارع ذلك في السفر المحسوس في المرأة مع عبدها وجعله تنبيهاً لما ذكرناه.

حديث أحد عشر في تلبيد الشعر بالعسل في الإحرام

خرّج أبو داود عن ابن عمر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لبد رأسه بالعسل لما كان الشعر من الشعور والتلبيد أن يلصق بعضه ببعض حتى يصير كاللبد قطعة واحدة وهو أن يردّ الإنسان ما تعدّد عنده من الصفات والمناسبة الإلهية شرعاً والأسماء الحسنى وعقلاً كالمعاني الثابتة بالأدلة النظرية يرد ذلك إلى عين واحدة كما قال تعالى "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" وقال "وإلهكم إله واحد" ثم إنه لبده بالعسل دون غيره من خطمى وغيره مما يكون به التلبيد وذلك أن العسل لما أنتجه صنف من الحيوان ممن له نصيب في الوحي صحت المناسبة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ممن يوحى إليه والنحل ممن يوحى إليه فالعسل من النحل بمنزلة العلوم التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم من قرآن وأخبار قال تعالى "وأوحى ربك إلى النحل" فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يعرفنا في ردّنا ما نعدّد من الأحكام لعين واحدة لا يكون عن نظر عقلي وإنما يكون عن وهب إلهيّ وكشف ربانيّ الذي لا تقدح فيه شبهة فهذا أعني تلبيد الرأس بالعسل دون غيره من الملبدات.

حديث ثاني عشر المحرم لا يطوف بعد طواف القدوم إلا طواف الإفاضة

خرّج البخاري عن ابن عباس قال انطلق النبيّ صلى الله عليه وسلم من المدينة يعني في حجة الوداع الحديث وفيه و لم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة يعني طواف القدوم أصل أعمال العبادات مبنية على التوقيف ينبغي أن لا يزاد فيها ولا ينقص منها والمحرم بالحج كالمحرم بالصلاة فلا ينبغي أن يفعل فيها إلا ما شرع أن يفعل فيها ومن الأفعال في العبادات ما هو مباح له فعله أو تركه ومنها ما يكون من الفعل فيها مرغباً ومنها أفعال تقدح في كمالها ومنها أفعال تبطلها ولو كانت عبادة كمن تعين عليه كلام وهو في الصلاة فإن تكلم بذلك بطلت الصلاة أو فعل فعلاً يجب عليه مما يبطل الصلاة فعله ولا خلاف بين العلماء في أنه إن طاف لا يؤثر في حجه فساداً ولا بطلاناً الحقائق لا تتبدّل فالتطوّع لا يكون وجوباً والتطوّع ما يكون المكلف فيه مخيراً إن شاء فعله وإن شاء تركه فله الفعل والترك فمن رأى الترك لم يؤثر في حكم التطوّع تحريماً ولا كراهة ومن رأى الفعل لم يؤثر في حكمه وجوباً وهذا سار في جميع أحكام الشرائع الخمسة فنسبة التطوّع للعبد نسبة أفعال الله إلى الله لا يجب عليه فعلها ولا تركها ولهذا جعل المشيئة في ذلك فأكمل ما يكون العبد في اتصافه بصفة الحق في تصرّفه في المباح فإن الربوبية ظاهرة فيه والإباحة مقام النفس وعينها وخاطرها من الأحكام الخمسة الشرعية لأنها على الصورة أوجدها الله فلا بد أن يكون حكمها هذا وأمّا شبه الإيجاب فلا يكون ذلك إلا في النذر لا غيره فإن الحق أوجب على نفسه أموراً ذكرها لنا في كتابه وصاحب النذر أوجب على نفسه ما لم يوجب الله عليه ابتداء فما أوجب الله على العبد الوفاء بنذره إلا بالنسبة التي أوجب على نفسه فتقوّى الشبه في وجوب النذر كما توقى في

التطوّع وأما التحريم ففيه من الشبه تحجير المماثلة فقال "ليس كمثله شيء" فحجر على الكون أن يماثله أو يماثل مثله المفروض فكان عين التحجير عليه أن يتجلى في صورة تقبل التشبيه فإن كان نفس الأمر يقتضي نفي التشبيه فقد شاركناه في ذلك فإنه لا يقبل التشبيه بنا ولا نقبل التشبيه به وإن لم يكن في نفس الأمر كذا وإنما اختار ذلك أي قام في هذا المقام لعبيده فقد حكم على نفسه بالتحجير فيما له أن يقوم في خلافه كما حجر علينا فعلى الحالتين قد حصل نوع من الشبه وأما الوجوب فصورة الشبه أنه على ما يجب له ونحن على ما يجب لنا قال لأبي يزيد تقرّب إليّ بما ليس لي الذلة والافتقار فله الغنى والعزة من حيث ذاته واجبة ولنا الذلة والافتقار من حيث ذاتنا واجب هذا هو الوجوب الذاتيّ وأما الوجوب بالموجب فإنه أوجب علينا ابتداء أموراً لم نوجبها على أنفسنا فيكون قد أوجب علينا بإيجابنا إياها على أنفسنا كالنذر فأوجب على نفسه أن يخلق الخلق ابتداء أوجبه عليه طلب كمال العلم به وكمال الوجود فهما الذي طلبا منه خلق الخلق لما كان له الكمال وما رأى لكماله حكماً لم يكن لكماله تعلق فطلب فأوجب بطلبه عليه أن يوجد له صورة يرى نفسه فيها لأن الشيء لا يرى نفسه في نفسه عند المحققين وإنما يرى نفسه في غيره بنفسه ولذلك أوجد الله المرآة والأجسام الصقيلة لنرى فيها صورنا فكل أمر ترى فيه صورتك فتلك مرآة لك قال النبيّ صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة أخيه فخلق الخلق فكمل الوجود به وكمل العلم به فعاين كمال الحق نفسه في كمال الوجود فهذا واجب بموجب فوقع الشبه بالوجوب بالموجب كما وقع فيما وقع من الأحكام وحكم الندب والكراهة يلحقان بالمباح وإن كان بينهما درجة فالمندوب هو ما يتعلق بفاعله الحمد ولا يذمّ بترك ذلك الفعل وشبهه في الجناب الإلهي ما يعطيه من النعم لعباده زائداً على ما تدعو إليه الحاجة فيحمد على ذلك وإن لم يفعله فلا يتعلق به ذم لأن الحاجة لا تطلبه إذ قد استوفت حقها فهذا شبه المندوب وأما شبه المكروه فالله يقول عن نفسه أنه يكره فإنه قال وأكره مساءته وقال ولا يرضى لعباده الكفر والكراهة المشروعة هي ما يحمد تاركها ولا يذمّ فاعلها فتشبه الندب ولكن في النقيض فإذا كان للعبد غرض فيما عليه فيه ضرر وهو أكثر ما في الناس فيسأل نيل ذلك الغرض من الله فما فعله الله له فيكره العبد ذلك الترك من الله ويقول لعل الله جعل لي في ذلك خيراً من حيث لا أشعر وهو قوله "وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم" وهو ما لا يوافق

الغرض وهو خير لكم فإن فعله له لا يذمه عليه فإنه يعذر من نفسه ويقول أنا طلبته فهذا عين الشبه بين العبد والرب من جهة المكروه وانحصرت أقسام أحكام الشريعة في الحضرة الإلهية وفي العبد ولهذا يقول الصوفية إن العالم خرج على صورة الحق في جميع أحكامه الوجودية فعم التكليف الحضرتين وتوجه على الصورتين فإن قلت فأبن الشبه في الجهل ببعض الأشياء وما هناك جهل قلنا قد قلنا في ذلك:

إن قلت إني لست غير إله ... وهو أنا فإنه يجهل

لأنني أجهل من هو أنا ... وهو أنا فما الذي نفعل

فمن يقول أنه الظاهر في المظاهر والمظاهر على ما هي عليه والظاهر فيها هو الموصوف بالعلم بأمور وبالجهل بأمور أعطاه ذلك استعداد المظهر لما انصبغ به فصح الشبه على هذا بل هو هو قال الجنيد في هذا لون الماء لون إنائه انتهى الجزء الحادي والسبعون.

الجزء الثاني والسبعون

تكملة

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث ثالث عشر بقاء الطيب على المحرم بعد إحرامه

خرّج مسلم عن عائشة قالت كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم زاد النسائي بعد ثلاث وهو محرم يعني بعد ثلاث ليال من إحرامه الله تعالى تسمى بالطيب وجعل سبحانه في أمور ومواطن أن يتقرّب إليه بصفاته التي تسمى بها وإن من صفاته الكرم وجعله فينا من صفات القرب إليه وهكذا سائر ما وصف الحق به نفسه فبقاء الطيب على المحرم من بقاء صفة الحق عليه إذ كان جعلها وتخلق بها في وقت يجوز له التخلق بها فإن صفات الحق لا يتخلق بها على الإطلاق بل عين لها أحوالاً ومواطن فافهم ذلك.

حديث رابع عشر في المحرم يدهن بالزيت غير المطيب

خرّج الترمذيّ عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عمر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يدهن بالزيت وهو محرم غير المفتت قال أبو عيسى المفتت المطيب وفي إسناده مقال من أجل فرقد الزيت مادّة الأنوار والمحرم أولى به من كل متلبس بعبادة لكثرة المناسك في الحج فإن لم يكن نوره قوياً ممدوداً بالنور الإلهيّ الذي أودع الله في الزيت وأمثاله من الإدهان لبقاء النور وإلا يفوته كثير من إدراك معاني المناسك فنبه بالإدّهان بالزيت على الإمداد الإلهيّ للنور قال تعالى "يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور فجعله نوراً يهدي الله لنوره من يشاء والهداية لا تكون إلا بدليل ولا دليل هنا إلا الزيت ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فكل ما أبقى عليك وجود النور فذلك النور مجعول له ومراعاة الأصول من التمكن في العلم والحكمة.

حديث خامس عشر في اختضاب المرأة بالحناء ليلة إحرامها

ذكر الدارقطنيّ عن ابن عمر أنه كان يقول من السنة أن تدلك المرأة بشيء من الحناء عشية الإحرام وتغلف رأسها بغسلة ليس فيها طيب ولا تحرم عطلاً العطل الخالية من الزينة في الصحيح إن الله جميل يحب الجمال والحق أولى من تجمل له "خذوا زينتكم عند كل مسجد" أراد هنا أن يلحقها بليلة القدر بين الليالي فإن سائر الليالي عطل من زينة ليلة القدر كذلك المرأة إذا أحرمت بغير زينة ولما كانت مأمورة بالستر وفي الإحرام مأمورة بالكشف أراد أن يبقى لها ضرباً من حكم الستر في زمان إحرامها فاختضبت بالحناء فسترت بياضها حمرة الحناء فكانت زينة وستراً فأباح للمرأة في هذا الحديث التزين بزينة الله وزينة الله أسماؤه والمرأة في الاعتبار نفس الإنسان فمن تخلق بأسماء الله وصفاته فقد تحلى بزينة الله التي أخرج لعباده في كتابه وعلى ألسنة رسله ولا سيما في الأشهر الحرم ولا سيما شهر ذي الحجة وأعني بالأشهر الحرم التي للحاج أن يحرم فيها والإحرام كله شهرة فإنه لا ستر فيه وسبب إزالة الستر فيه

والتجرّد إنما هو لكونه جعل محرماً فمنع من أمور كثيرة كان يفعلها في زمان حله فجبره بإزالة الستر الذي يقتضي التحجير حتى لا يجمع عليه تحجيرين الستر والإحرام.

حديث سادس عشر إحرام المرأة في وجهها

ذكر الدارقطنيّ عن ابن عمر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال "ليس على المرأة إحرام إلا في وجهها رجوع إلى الأصل فإن الأصل أن لا حجاب ولا ستر والأصل ثبوت العين لا وجودها و لم تزل بهذا النعت موصوفة وبقبولها سماع الخطاب إذا خوطبت منعوتة فهي مستعدة لقبول نعت الوجود مسارعة لمشاهدة المعبود فلما قال لها في حال عدمها كن كانت فبانت بنفسها وما بانت فوجدت غير محجور عليها في صورة موجدها ذليلة في عز مشهدها لا تدري ما الحجاب ولا تعرفه فلما بانت المراتب للأعيان وأثرت الطبيعة الشح في الحيوان ووفره في حقيقة نفس الإنسان لما ركبه الله عليه في نشأته من وفور العقل وتحكيم القوى الروحانية والحسية منه انجرّت الغيرة المصاحبة للشح الطبيعيّ فكان أكثر الحيوان غيرة لأن سلطان الشح والوهم فيه أقوى مما في سواه والعقل ليس بينه وبين الغيرة مناسبة في الحقيقة ولهذا خلقه الله في الإنسان لدفع سلطان الشهوة والهوى الموجبين لحكم الغيرة فيه فإن الغيرة من مشاهدة الغير المماثل المزاحم له فيما يروم تحصيله أو هو حاصل له من الأمور التي إذا ظفر بها واحد لم تكن عند غيره وقد جبله الله على الحرص والطمع أن يكون كل شيء له وتحت حكمه لإظهار حكم سلطان الصورة التي خلق عليها فإن من حقيقتها أن يكون كل شيء تحت سلطانها حتى أن بعض الناس أرسل حكم غيرته فيما لا ينبغي أن يرسلها فغار على الله وما خلق وما كلف إلا أن يغار لله لا على الله فبهذا بلغ من العبد سلطان استحكامها في الإنسان فألحقته بالجاهلين والعقل الكامل يعلم أنه خلق لربه لا لغيره وعلم بذاته أن من خلقه لا يمكن أن يزاحمه في أمر ولا يعارضه في حكم فيقول هو هو على ما هو عليه في نفسه فليس كمثله شيء وأنا أنا على ما أنا عليه في نفسي ولي أمثال من جنسي فليس له فيما أنا عليه قدم إلا التحكم وليس لي فيما هو عليه إلا قبول الحكم فلا مزاحمة ولا غيرة فالإنسان بما هو عاقل إن كان تحت سلطان عقله فلا يغار لأنه ما خلق إلا لله والله لا يغار عليه فإذا غار العاقل فإنما يغار من حيث إيمانه فهو يغار لله ولها موطن مخصوص شرعه له لا تعدّاه فكل غيرة تتعدّى ذلك الحدّ فهي خارجة عن حكم العقل منبعثة عن شح الطبيعة وحكم الهوى حتى أن بعض الناس يرى أموراً قد أباحها الشرع يجد في نفسه أن لو كان له الحكم فيها لحجرها وحرّمها فيرجح نظره في مثل هذا على ما أباح الله فعله ويرى أنه في رأيه أرجح من الله ميزاناً ومن رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الذي خطر له وربما يغتاظ حتى يقول أيّ شيء أصنع هذا شيء قد أباحه الله فلنصبر على ذلك فيصبر على كره وحنق في نفسه على ربه فهو في هدنة على دخن وهذا أعظم ما يكون من سوء الأدب مع الله وهو ممن أضله الله على علم وقد ظهر مثل هذا في الزمان الأوّل في آحاد الناس وأمّا اليوم فهو فاش في الناس كلهم فنحن نعلم أن الشارع هو الله وأن الرسول شخص مبلغ عن الله حكمه فيما أراه الله لا ينطق عن هوى نفسه إن هو إلا وحي يوحى والله يقول عنه نفسه "وما كان ربك نسياً" ودل عليه دليل العقل والله أشدّ غيرة من عباده وما قرّر من الشرائع إلا ما نقع به المصلحة في العالم فلا يزاد فيها ولا ينقص منها ومهما زاد فيها أو نقص منها أو لم يعمل بما قرّره فقد اختل نظام المصلحة المقصودة لله فيما نزله من الشرائع وقرّره من الأحكام فأباح الله لإمائه إتيان المساجد فرأى بعض الناس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لو رأى ما أحدث النساء بعده لمنع النساء المساجد كما منعت نساء بني

إسرائيل فرأوا أن الله لم يعلم أن مثل هذا يقع من عباده إذ كان هو المشرّع سبحانه لا غيره فرجحوا نظرهم على حكم الله حتى أن بعضهم كان يغار على امرأته أن تخرج إلى المسجد وكان قوياً في استعمال إيمانه وكانت المرأة تحب إتيان المسجد للصلاة وكانت ذات جمال فائق ويمنعه الخبر الوارد في تحريم منع النساء من إتيان المساجد فيجد في ذلك شدّة فلو قدرت أن يردّ الله الحكم لهذا الشخص في هذه المسئلة لرجح نظره على حكم الله ومنع النساء المساجد والجائز كالواقع فمازال يحتال عليها حتى امتنعت من نفسها من إتيان المسجد فسرّ بذلك فلو استحكم في هذا الرجل سلطان العقل ما غار ولو استحكم فيه سلطان الإيمان ما وجد حرجاً في قلبه فصبر عليه مما حكم الله به في ذلك قال تعالى "فلا

وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً وإنما ضربنا المثل في هذا المساق بتعيين هذا الخبر في النساء لأنا في مسئلة المرأة أنها لا تستر وجهها في الإحرام والغيرة يعطي حكمها الستر وقد ثبت في الصحيح أنه لا أغير من الله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في سعدإن سعد الغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني ومن غيرته حرّم الفواحش وما زاد على غيرة الله فهو في نفسه وعند نفسه أغير من الله وإن ذلك الأمر الذي هو عند الله ليس بفاحشة إذ لو كان عند الله فاحشة لحرّمها فإن الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فعم الحكم فهذا شخص قد جعل فاحشة ما ليس عند الله فاحشة وأكذب الله فيما قال وجعل بغيرته التي يجدها أنه أحكم من الله في نصب هذا الحكم فلا يزال من هو بهذه المثابة معذباً في نفسه فما أحسن قوله "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً" فلو عرض الإنسان نفسه وأدخلها في هذا الميزان لرأى نفسه كافرة بعيدة من الإيمان فإن الله نفى الإيمان عمن هذه صفته وأقسم بنفسه عليه أنه ليس بمؤمن فهو حكم إلهيّ بقسم تأكيداً له فقال "فلا وربك لا يؤمنون" فلو كان الستر لها أصلاً لما قيل لها في الإحرام لا تستري وجهك ألا ترى آية الحجاب ما نزلت ابتداء وإنما نزلت باستدعاء بعض المخلوقين هي وغيرها وكثير من أحكام الشرع نزلت بأسباب كونية لولا تلك الأسباب ما أنزل الله فيها ما أنزل ولذلك يفرّق أهل الله بين الحكم الإلهيّ ابتداء وبين الحكم الإلهيّ إذا كان مطلوباً لبعض عباد الله فيكون ذلك الطلب سبباً لتزول ذلك الحكم فكان الحق مكلف في تتزيله إذ لولا هذا ما أنزله بخلاف ما أنزله ابتداء فالمحقق يأخذ الحكم الإلهيّ المتزل ابتداء بغير الوجه الذي يأخذ به الحكم الإلهيّ الذي لم يتزل ابتداء فلا يغرّنك أيها السائل كون الحق أنزل الأشياء بحكم سؤالات السائلين فبادر إلى قبول حكمه أيّ نوع كان مشروح الصدر طيب النفس إن أردت أن تكون مؤمناً وأمّا العاقل الوافر العقل فمستريح مع الله والحكم الإلهيّ مستريح معه لقد كان صلى الله عليه وسلم يقول "اتركوني ما تركتكم" حتى قال في وجوب الحج كل عام لو قلت نعم لوجبت ولكنها حجة واحدة فكره المسائل وعليها فالله يفهمنا وإياك مقاصد الشرع فلا يحجبنا ما ظهر منها مما بطن وعبادة الحج شبيهة بالناس في أحوالهم يوم القيامة شعثاً غبراً متضرّعين مهطعين إلى الداعي تاركين للزينة يرمون بالأحجار شغل المجانين لأنهم في عبادة لو علموا ما فيها لذهلت عقولهم فكانوا كالمجانين يرمون بالحجارة فجعله الله تنبيهاً لهم في رمي الجمار أن المشهد عظيم يذهب بالعقول عن أماكنها وما ثم عبادة هي تعبد محض في أكثر أفعالها إلا الحج وكذلك النساء في الدار الآخرة في القيامة مكشفات الوجوه كما هنّ في حال الإحرام ولولا تعلق الأغراض النفسية في إنزال الحجاب ما نزلت آية الحجاب فإن الله ما أخرها لهذا السبب هي وغيرها من الأحكام الموقوفة على مثل هذا إلا ذخيرة لحساب هذا الشخص الذي كان سبباً في تكليف الناس بها فيتمنى يوم القيامة أنه لا يكون سبباً في ذلك لما يشدّد عليه والناس عن هذا غافلون وكذلك أهل الاجتهاد يوم القيامة وهم رجلان الواحد يغلب الحرمة والثاني يغلب رفع الحرج عن هذه الأمة استمساكاً بالآية ورجوعاً إلى الأصل فهو عند

الله أقرب إلى الله وأعظم منزلة من الذي يغلب الحرمة إذ الحرمة أمر عارض عرض للأصل ورافع الحرج مع الأصل وإليه يعود حال الناس في الجنان يتبوّؤن من الجنة حيث يشاؤن وما أغفل أهل الأهواء وإن كانوا مؤمنين عن هذه المسئلة وسيندمون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الوجود دار واحدة ورب الدار واحد والخلق عيال الله يعمهم هذا الدار فأين الحجاب أغير الله يرى أغير الله يرى أينحجب الشيء عن حقيقته جزؤ الكل من عينه خلقت حوّاء من آدم النساء شقائق الرجال هذه أدوية من استعملها في مرض الغيرة أزالت مرضه و لم تبق فيه إلا غيرة الإيمان فإنها غيرة لا تزول في الحياة الدنيا في الموضع الذي حكمها فيه نافذ فإياك يا أخي وهوس الطبيعة فإن العبد فيه ممكور به من حيث لا يشعر وما أسرع الفضيحة إليه عند الله قال صلى الله عليه وسلم ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم فمن غار الغيرة

الإيمانية في زعمه فحكمه أن لا يظهر منه ولا يقوم به ذلك الأمر الذي غار عليه حين رآه في غيره فإن قام به فما تلك غيرة الإيمان بل تلك غير الطبيعة وشحها ما وقاه الله منه فليس بمفلح في غيرته وما أكثر وقوع هذا وكم قاسينا في هذا الباب من المحجوبين حين غلبت أهواؤهم على عقولهم فأنا آخذ بحجزهم عن النار وهم يقتحمون فيها:

مرسل الغيرة في موطنها ... هو فرد أحديّ مصطفى

والذي يرسلها مطلقة ... فهو دار رسمه منه عفا

مرض الغيرة داء مزمن ... والذي قد شرع الله شفا

فمن استعمله بل ومن ... حاد عنه لم يزل منحرفا

فأقل الأمر فيه أن يرى ... وهو موصوف به معترفا

دعا بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى طعام فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم أنا وهذه وأشار إلى عائشة فقال الرجل لا فأبى أن يجيب دعوته صلى الله عليه وسلم إلى أن أنعم له فيها أن تأتي معه فأقبلا يتدافعان إلى منزل ذلك الرجل النبيّ وعائشة والله تعالى يقول "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أين إيمانك لو رأيت اليوم صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا تأسياً هل كنت تنسبه إلا إلى سفساف الأخلاق ولو لم تكن هذه الصفة من مكارم الأخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم الجمعة على المنبر الحسن والحسين وقد أقبلا يعثران في أذيالهما فلم يتمالك أن نزل من المنبر وأخذهما وجاء بهما حتى صعد المنبر وعاد إلى خطبته أترى ذلك من نقص حاله لا والله بل من كمال معرفته فإنه رأى بأيّ عين نظر ولمن نظر مما غاب عنه العمى الذين لا يبصرون وهم الذين يقولون في مثل هذه الأفعال أما كان له شغل بالله عن مثل هذا وهو صلى الله عليه وسلم والله ما اشتغل إلا بالله كما قالت من لم تعرف فيا ليتها سلمت حين سمعت القارىء يقرأ "إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون" مساكين أهل الجنة في شغل هم وأزواجهم يا مسكينة ذكر الشغل تعالى عن هؤلاء وما عرّفك بمن ولا بمن تفكهوا هم وأزواجهم فيماذا حكمت عليهم أنهم شغلوا عن الله لو اشتغلت هذه القائلة بالله ما قالت هذه المقالة لأنها لا تنسب إليهم شغلهم بغير الله حتى تتصوّر في نفسها هذه الحالة التي تخيلتها فيهم وإذا تصوّرتها لم يكن مشهودها في ذلك الوقت إلا تلك الصورة فهي المسكينة لما تحققنا من كلامها أن وقتها ذلك كان شغلاً عن الله وأصحاب الجنة في باب الإمكان وهي قد شهدت على نفسها شهود تحقيق أنها

مع غير الله في شغل وهذا من مكر الله الخفيّ بالعارفين في تجريح الغير ببادىء الرأي والتعريض في حق نفوسهم أنهم متزهون عن ذلك هكذا صاحب الغيرة المطلقة لا يزال في عذابها مقيماً متعوب الخاطر وهو عند الله في عين البعد من حيث لا يشعر.

حديث سابع عشر في بقاء الطيب على المحرمة

ذكر أبو داود من حديث عمر بن سويد قال حدّثتني عائشة بنت طلحة أن عائشة أم المؤمنين حدّثتها قالت كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فنضمد جباهنا بالسك المطيب عند الإحرام فإذا عرقت إحدانا سال على وجهها فيراه النبيّ صلى الله عليه وسلم فلا ينهانا تسمى الله بالطيب وحبب إلى نبيه صلى الله عليه وسلم الطيب وإنما منع المحرم من إحداثه في أثناء أفعال الحج إلى وقت طواف الإفاضة فإنه يستعمله للإحلال قبل أن يحل كما استعمله للإحرام قبل أن يحرم فأشبه النية في العمل لأن الإحرام عمل مشروع والإحلال منه عمل مشروع فصار في مترلة من لا يقبل العمل إلا به فهي مرتبة عظمى وهو أقوى من النية في الصحبة للمكلف فإنّ المكلف يذهل عن النية في أثناء الفعل فيقدح ذلك في صورة الفعل لا في ذات الفعل فيخرج الفعل مما يكمله حضور النية والطيب لذاته يبقى لا كلفة فيه فالأجر له من جهته مادام موجوداً فيه فهو أقوى سلطاناً من النية ولا يستعمل الطيب إلا لرائحته فهو من مدارك الأنفاس الرحمانية فيدفع الكربات ويرفع الهموم ويزيل الضيق والحرج ويؤدّي إلى السعة والسراح والجولان في المعارف الإلهية لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً فالطيب محبوب لذاته فأشبه الكمال وهو في المرأة سبب موجب للنظر إليها وما منعها الشارع من ذلك في حال إحرامها مع كشف وجهها وهذا نقيض الغيرة التي في العامة التي ما خوطبنا بها فعليك بالغيرة الإيمانية الشرعية لا تزد عليها فتشقى في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فلا تزال متعوب النفس وأما في الآخرة بما يؤدي إلى سؤال الحق عن ذلك بما ينجرّ معها من سوء الظنّ ومن الاعتراض بالحال على الله وحصول الكراهة في النفس بما أباحه الله.

حديث ثامن عشر في المسارعة إلى البيان عند الحاجة واحتزام المحرم

ذكر أبو داود عن صالح بن حسان أن النبيّ صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً محرماً محتزماً بحبل أبرق فقال "يا صاحب الحبل ألقه" فيحتجون بمثل هذا الحديث إن المحرم لا يحتزم والنبيّ صلى الله عليه وسلم ما قال فيه ألقه لأنك محرم فما علل للإلقاء بشيء فيحتمل أن يكون لكونه محرماً ويحتمل أن يكون لأمر آخر وهو أن يكون ذلك الحبل إما مغصوباً عنده وإما للتشبه بالزنار الذي جعل علامة للنصارى اعلم أن الاحتزام مأخوذ من الحزم وهو الاحتياط في الأخذ بالأمور التي يكون في الأخذ بها حصول السعادة للإنسان ومرضاة الرب إذا كان الحزم على الوجه المشروع في الوجه المشروع والحبل إذا كان حبل الله وهو السبب الموصل إلى إدراك السعادة فإن كان ذلك المحتزم احتزم بحبل الله معلماً بأخذ الشدائد والأمور المهمة وقال له ألقه فإنما ذلك مثل قوله من يشادّ هذا الدين يغلبه وقوله إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق وكان كثيراً ما يأمر صلى الله عليه وسلم بالرفق وقال إن الله يحب الرفق في الأمر كله والحزم ضدّ الرفق فإن الحزم سوء الظن وقد نُهينا عن سوء الظنّ والأمر أيسر مما يتخيله الحازم وهو يناقض المعرفة فإنه لا يؤثر في القدر الكائن والأمر الشديد على الواحد إذا انقسم على الجماعة هان قال بعضهم:

إذا الحمل الثقيل تقسمته ... رقاب الخلق خف على الرقاب

ألا ترى الله تعالى يقول "واعتصموا بحبل الله جميعاً" وقال في الواحد "ومن يعتصم بالله" وقال "تعاونوا على البرّ والتقوى" فيعتصم به الواحد والجماعة ولما ذكر الحبل أمر الجماعة بالاعتصام به حتى يهون عليهم ثم إنه مع كونهم جماعة قد يشق عليهم لشدته وقد تضعف الجماعة عنه فأعانهم بنفسه وما ذكر من نفسه إلا ما يعلم أنه الموصوف بالقدرة منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فيستعينون به ويعينهم بكون يد الله معهم على الاعتصام بحبل الله وهو عهده ودينه المشروع فينا الذي لا يتمكن لكل واحد منا على الانفراد الوفاء به فيحصل بالمجموع لاختلاف أحوال المخاطبين ولا يكون إلا هكذا فلهذا اعتبره صلى الله عليه وسلم تنبيهاً له فقال له ألقه هذا اعتباره الذي يحتاج إليه ولاسيما المحرم فإنه محجور عليه فزاد بالحبل احتجاراً على احتجار فكأنه قال له يكفيك ما أنت عليه من الاحتجار فلا تزد فما كان أرفقه بأمته صلى الله عليه وسلم وإنما رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهميان للمحرم لأن نفقته فيه الذي أمره الله أن يتزود بها إذا أراد الحج فقال "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" فالتقوى ههنا ما يتخذه الحاج من الزاد ليقي به وجهه من السؤال ويتفرغ لعبادة ربّه وليس هذا هو التقوى المعروف ولهذا ألحقه بقوله عقيب ذلك "واتقوني يا أولي الألباب" فأوصاه أيضاً مع تقوى الزاد بالتقوى فيه وهو أن لا يكون إلا من وجه طيب ولما كان الهميان محلاً له وظرفاً ووعاء وهو مأمور به في الاستصحاب رخص له في الاحتزام به فإنه من الحزم أن تكون نفقة الرجل صحبته فإن ذلك أبعد من الآفات التي يمكن أن تطرأ عليه فتتلفه ذكر أبو أحمد بن عدي الجرجانيّ من حديث ابن عباس قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهميان للمحرم وإن كان هذا الحديث لا يصح عند أهل الحديث وهو صحيح عند أهل الكشف.

حديث تاسع عشر في الإحرام من المسجد الأقصى

خرّج أبو داود من حديث أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة" في إسناده مقال المناسبة المسجد يناقض الرفعة فهو بعيد منها وهو سبب في حصولها قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله والأقصى البعيد والحرام المحجور فهو بعد في قرب لمن هو فيه فالأقصى بالنسبة إلى المسجد هو بعيد مما خوطب به ممن هو في المسجد الحرام وهم أهل مكة وما أقصى من أهله بل هو الأقرب وهو أيضاً قصي من الأولية لأن البيت الذي هو الكعبة قد حاز الأولية وبين الأقصى وبينه أربعون سنة وهو حد زمان التيه لقوم موسى عن دخول المسجد الأقصى لما كان في عين القرب وهو مرتبة الأوّلية التي للمسجد الحرام فأبوا نصرة نبيه موسى وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون فقال لهم إني تارككم تائهين في هذه القعدة أربعين سنة لا تستطيعون دخول بيت المقدس كما لم يكن ظهوره للعبادة بعد المسجد الحرام إلا بعد أربعين سنة وما بقي معهم موسى عليه السلام في التيه إلا لكونه رسولاً إليهم فبقوا حيارى لا هم في عين القرب من الأولية ولا حصل لهم غرضهم في دخول بيت المقدس وما أخذهم الله إلا بظاهر قولهم إنا ههنا قاعدون فاحذر أن تكون من قوم موسى الذي صفتهم هذا بل كن من قوم موسى الذين هم أمة يقضون بالحق وبه يعدلون كذلك مقام النبوّة من مقام الولادة بينهما من التوقيت الزمانيّ أربعون سنة فما بعث نبيّ إلا من أربعين سنة فإنه غاية استحكام العقل وقوّة سلطانه وابتداء ضعف الطبيعة ثم يمشي بحكمه فيما بقي من عمره في وفور من عقله ونقص من طبيعته فمن أحرم من

المقام إلا بعد يطلب المقام الأقرب وكلاهما معبد كان المحرم برزخاً بينهما وكان المعبدان طرفيه فما لم يصل إليه هو ما تأخر من ذنبه وما تقدّم عنه هو ما تقدّم من ذنبه فيغفر له ما بين المسجدين والغفر الستر فوجبت له الجنة لأنها ستر عن النار لمن دخل فيها وذاته ستر على نار شهواته فباطن الجنة نار محرقة لأن الشهوة من الإنسان متحكمة فيها وهي نار طبيعته بلا شك فمازال العبد السعيد مكتنفاً بالستر في التقدّم أن لا تصيبه عقوبة الذنب وفي التأخر اكتنف بستر الحفظ والعصمة أن لا يصيبه الذنب فهو ممن وجبت له الجنة إذا كان هذا حكمه فهو مستور في كنف الله فهو في الجنة وإن كان في الدنيا.

حديث عشرون في التنعيم أنه ميقات أهل مكة

من مراسل أبي داود عن ابن عباس قال وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مكة التنعيم كيف لا يكون ميقاتهم التنعيم وهم جيران الله وأهل بيته وهم أقرب الخلق إلى أولية المعابد فيتجلى لهم الحق في اسمه الأول ولا يحصل هذا التجلي إلا لأهل الحرم وفيه يتفاضلون بحكم الأهلية فإنهم بين عصبة وأصحاب سهام ولا يحصل هذا التجلي لغيرهم ممن جاور غيره من البيوت المضافة إلى الله وكل من كان فيه وفارقه فإنما حكمه حكم المسافر وإليه ينسب لا إلى غيره كهجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن هاجر منه إلى المدينة قبل الفتح فأثبت لهم جوار الله لما وجدوا اسم المهاجرين وإنما وقع هذا الاسم لأمور عرضية والبيت لله على أصله من الحرمة والتحريم عند الفريقين فأهل مكة بحكم الأصل مكيون جيران الله في حرمه وهم عرب لهم حفظ الجار ومراعاة الجوار والحق يعامل عباده بما تواطؤا عليه في أخلاقهم إليه يحج الخلق من كل جانب.

يقولون حج العبد والعبد لم يحج ... وما حج إلا من له الفعل والأمر

وما ثم إلا الله ما ثم غيره ... فمنه العطاء الجزل والنائل الغمر

وإذا كان المكيّ في غير مكة لا يزول عنه اسم الأهلية كما أن الأفاقيّ إذا كان بمكة لا يزول عنه اسم الجار كما أنا وإن حزنا بخلقنا الصورة الربانية فنحن بحكم الأصل عبيد عبودية لا حرية فيها فما نحن سادة ولا أرباب فمراعاة الأصول هي المرجوع إليها وإليه يرجع الأمر كله فهو الأصل فافهم هذه الآية فهم حفيّ بها خابر ولا أثر لما يقدح في الأصل من العوارض فإن ذلك ليس قادحاً في نفس الأمر.

حديث حادي وعشرين في تغيير ثوبي الإحرام

ذكر أبو داود عن عكرمة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم غير ثوبيه بالتنعيم وهو محرم هذا من المراسيل اعتباره تغيير حال الشدة بالرخا وذلك من كان حاله البلاء الذي يوجب للمؤمن الصبر عليه والرضى به لكونه من عند الله تعالى فتجده عند هذا البلاء شاكراً فقد عامل البلاء بما لا يستحقه وهذه مسئلة أغفلها أيضاً أصحابنا وغلطوا في تحقيقها والعبارة عنها واحتجوا في ذلك بما قاله أبو يزيد البسطامي الأكبر وهو

أريدك لا أريدك للثواب ... ولكني أريدك للعقاب

وكل مآربي قد نلت منها ... سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فاعلم أن البلاء المحقق إنما هو قيام الألم ووجوده في نفس المتألم ما هو السبب المربوط به عادة كوجود الضرب بالسوط والحرق بالنار والجرح بالحديد وما أشبه ذلك من الآثار الحسية مما يكون عنها الآلام الحسية وكذلك ضياع المال والمصيبة في الأهل والولد والتوعد بالوعيد الشديد وجميع الأسباب الخارجة عنه الموجبة للآلام النفسية عادة فإذا حصلت بهذا الشخص وهي ثوبا الإحرام فإن الإحرام يحول بينه وبين الترفه والتنعم فمثل هذه الأمور في العادة يوجب الآلام فيتعين شرعاً على المبتلي بها الصبر والرضى والتسليم لجريان الأقدار عليه بذلك فتسمى هذه الأسباب عذاباً وليست في الحقيقة عذاباً وإنما العذاب هو وجود الألم عند هذه الأسباب لا عين الأسباب وكذلك اللذة التي هي نقيض الألم هي صفة للملتذ يوصف بها وهو النعيم والتنعم وله أسباب ظاهرة وهي نيل أغراضه كانت ما كانت فإنه يتنعم بوجودها إذا حصلت فهو صاحب تنعم في مقام تنعيم فعبد على مثل هذا بالشكر لا بالصبر وسمى أسباب وجود اللذة في الملتذ نعيماً وليس النعيم في الحقيقة إلا اللذة الموجودة في النفس وهي أيضاً لذات حسية ونفسية وأسباب كأسباب الآلام خارجة وقائمة بحسه فأما صاحب أسباب الآلام إذا وجد اللذة والالتذاذ في نفسه مع قيام هذه الأسباب الموجبة للآلام عادة لم يجب عليه الصبر فإنه ليس بصاحب ألم وإنما هو صاحب لذة متقلب في نعم من الله فيجب عليه الشكر للتنعم القائم به وبالعكس في حصول أسباب النعم يجد عندها الألم فيجب عليه الصبر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصابني الله بمصيبة فأثبت أنه مصاب بها أي نزلت به مصيبة أي سبب موجب للألم عادة فقال ألا رأيت أن لله عليّ في تلك المصيبة ثلاث نعم النعمة الواحدة حيث لم تكن في ديني النعمة الثانية حيث لم تكن أكثر منها النعمة الثالثة ما وعد الله من الثواب عليها فأنا أنظر إليه فمثل هذا ما يسمى صابراً فإنه صاحب نعم متعدّدة فهو ملتذ بمشهوده فيجب عليه شكر المنعم وبالعكس وهو وجود أسباب اللذة فينعم الله عليه بمال وعافية ووجود ولد أو ولاية جديدة يكون له فيها رياسة وأمر ونهي وهذه كلها أسباب تلتذ النفوس بها وإذا كانت مطعومات شهية وملبوسات لينة فاخرة ومشمومات عطرة فهو صاحب لذة حسية فيفكر صاحب هذه الأسباب بما للحق عليه فيها من الحقوق من شكر المنعم والتكليف الإلهي في ذلك وما يتعين عليه في المال والولد والولاية من التصرّف في ذلك كله على الوجه المشروع المقرّب إلى الله وإقامة الوزن في ذلك كله فعندما يخطر له هذا وهو الواجب عليه من الله أن ينظر في ذلك أعقبت هذه الأسباب الملذة في العادة هذا الفكر الموجب للألم فقام الألم به فهو صاحب بلاء لأنه صاحب ألم عن ظهور أسباب نعيم فيجب عليه الصبر على ذلك الألم ويسعى في أداء ما يجب عليه من الحق في ذلك أو يزهد فيه إن أفرط فيه الألم فما وقع الصبر إلا في موضعه مع وجود أسباب ضده ولا وقع الشكر إلا في موضعه مع وجود أسباب ضده ولذا قال أبو يزيد سوى ملذوذ وجدي بالعذاب فما أراد بالعذاب هنا وجود الألم فإن الألم بالشيء مضادّ للتلذذ به فلا يجتمعان في محل واحد أبداً وهو طلب اللذة عند وجود سبب الآلام وهو خرق عادة كنار إبراهيم عليه السلام هي في الظاهر نار ولكن ما أثرت إحراقاً في جسم إبراهيم ولا وجد ألما لها بل كانت عليه برداً وسلاماً فتعين الشكر عليه لأنه ما ثم ألم يجب الصبر عليه فالصبر أبداً لا يكون إلا مع البلاء والبلاء وجود الألم والشكر أبداً لا يكون إلا مع النعماء والنعيم بوجود اللذة في المحل فما يقع الشكر من العبد إلا على مسمى النعمة ولا يقع الصبر من العبد إلا على مسمى الألم وهو البلاء ألا ترى النبيّ صلى الله عليه وسلم ما غير ثوبي إحرامه إلا بمكان يسمى التنعيم ينبه بذلك أصحابه ومن يأتي بعده من إخوانه أنكم إذا نالتكم مشقة الإحرام في الحج وما يتضمنه من الأسباب المؤلمة المؤذية فانظر فيما لله في طيها من النعم التي لا تحصى فيعقبكم رؤية ذلك تنعيماً والتذاذاً بما أنتم بسبيله لأنه سبب موجب لنيل تلك المشاهد الكرام

والنعم الجسام فتهون عليكم صعوبة طريقكم فتكونون من الشاكرين فتجازوا يوم القيامة جزاء الصديقين الصابرين وجزاء الصديقين الشاكرين وكذلك في أسباب النعم إذا رأيتموها بلاء واختبار وأديتم حقوقها

فإن لكم الجزاءين جزاء الشاكر وجزاء الصابر فهذا معنى تغيير النبيّ صلى الله عليه وسلم ثوبيه بالتنعيم وهو محرم فإن شاء قال الحمد لله المنعم المفضل وإن شاء قال الحمد لله على كل حال لوجود الحالين عنده فاعلم ذلك ألا ترى تلبيته صلى الله عليه وسلم لبيك إن الحمد فعم الحالتين ثم قال والنعمة لك وما قال والبلاء منك مع ظاهر الحال من المشقة والتحجير وأعظمها امتناعه مما حبب إليه وهو التمتع بالنساء.

حديث ثان وعشرون لا حج لمن لم يتكلم

ذكر ابن الأعرابيّ عن زينب بنت جابر الأحمسية أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لها في امرأة حجت معها مصمتة "قولي لها تتكلم فإنه لا حج لمن لم يتكلم" يروى هذا الحديث متصلاً إلى زينب ذكره ابن حزم في كتاب المحلى قال تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر" وهو كلام وهو صفة إلهية وأنت في عبادة مشروعة فينبغي بل يجب الكلام فيها بذكر ورد الحديث إن المناسك في الحج إنما وضعت لإقامة ذكر الله وعن الكلام صدرنا وهو قوله كن فكنا فالصمت حالة عدمية والكلام حالة وجودية فالكلام له الأثر وبه سمي كلاماً لأنه من الكلم وهو الجرح والجرح أثر في البدن والإنسان موجود فلا ينبغي أن يتصف إلا بصفة وجودية وهو الكلام لا بوصف عدميّ وهو الصمت فإن حقيقة الإنسان النطق فإذا صمت كذب على نفسه بالحال على أن الله قد جعل للصمت موطناً وهو صمت إضافيّ وهو ترك الكلام فيما لا يعني أو فيما يكون عليك لا لك.

حديث ثالث وعشرون في رفع الصوت بالتلبية وهو الإهلال في الحج

ذكر النسائي عن السائب بن خلاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية قد ثبت بالدليل العقليّ والسمعي أن الله بكل شيء عليم وأنه سميع قريب وقد جاء الشرع بذلك فاستوى المؤمن والعالم فلم يبق لرفع الصوت بالتلبية لجناب الحق مدخل غير أنه تعالى أخبر أنه يباهي بالحاج ملائكته فإذا رفعوا أصواتهم وضجوا بالتلبية شعثاً غبراً مهطعين إلى الله تعالى فإنه الداعي لهم كان أعظم عند الملائكة في المباهاة المرادة للحق في ذلك ثم إنه من الأرواح المفارقة لحالة الدنيا بالموت ممن دعانا إلى الحق بعمل الحج كما روي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه لما بنى البيت أمره ربه تعالى أن يصعد عليه وأن يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما عسى يبلغ صوتي فأوحى إليه عليك بالنداء وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم عليه السلام "يا أيها الناس إن لله بيتاً فحجوه" قال فأسمع الله ذلك النداء عباده فمنهم من أجاب ومنهم من لم يجب وكانت إجابتهم مثل قولهم بلى حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فأجابوه إجابة يسمعها من كان الحق سمعه منهم من سارع إلى إجابة الحق وهم الذين يسارعون في الخيرات والقائلين بأن الحج على الفور للمستطيع ومنهم من تلكأ في الإجابة فلم يسرع إلا بعد حين منهم الذين يقولون الحج مع الاستطاعة على التراخي فمن هناك قضوا في هذا الوقت بما قضوا به من ذلك وهم لا يشعرون منهم من كرّر الإجابة ومنهم من لم يكرّر فمن لم يكرّر لم يحج إلا واحدة ومن كرّر حج على قدر ما كرّر وله أجر فريضة في كل

حجة وقد نبه الشارع على ذلك بتكرار التلبية في الحج فقال لبيك اللهمّ لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك إله الحق فأتى بخمس للتأذين بالحج تشبيهاً بالنداء للصلوات الخمس فيجيب لكل أذان لأنه كانت قرّة عينه في الصلاة ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أن الإهلال بالحج ما شرع إلا أثر صلاة لا بدّ منها ولقد رأيت رجلاً بمكة من أهلها يزيد على الثلاثين سنة عمره ما حج قط ولا اعتمر ولا طاف بالبيت فكانت أوّل عمرة اعتمرها معي وكنت أعلمته كيف يصنع فيها وأخبرت عن رجل بجدة على ليلة من مكة يكون عمره بضعاً وثمانين سنة ما حج قط وأخبرت عن رجل من أهل مصر من أهل الثروة ما حدث نفسه بالحج قط فقبض عليه عن أمر صاحب مكة لنازلة وقعت تخيل فيه أنه صاحب النازلة فجاؤا به إلى صاحب مكة وهو مقيد بالحديد ليقتله فوافق يوم الوقوف بعرفة فلما أبصره الواشي قال أيها الأمير ما هو هذا فخلى سبيله واعتذر إليه فاغتسل وأهل بالحج فهكذا هي العناية وأما من لم يجب ذلك النداء الإبراهيميّ فهم الذين لم يضرب الله لهم بسهم في الحج مع كونهم سمعوا ومن أصمه الله عن ذلك النداء فهو الذي لا يؤمن بالحج وأمّا الذين يحج عنهم إذا لم يحجوا فالذي يحج عنهم له الحج كاملاً بثوابه وللمحجوج عنه ثواب الحج لا الحج فيحشر في الحاج وليس بحاج هذا أعطاه الكشف فلهذا قد ذكرنا أن رفع الصوت بالتلبية إنما كان للمباهاة وأما المعنى الآخر في حكم الأسماء الإلهية فإنه من أسمائه البعيد وهو التائه الوارد في القرآن حيث وقع فلا ينادي إلا الاسم البعيد من الحالة التي ينادي فيها العبد ليجيب نداء الحق إلى الحالة التي يدعوه إليها والبعد يطلب رفع الصوت بالتلبية لإظهار قوّة سلطان الاسم البعيد بأن له التأثير فيما بعد كتأثير القريب إذ لا مفاضلة في الأسماء الإلهية كما قررناه غير مرّة فاعلم ذلك انتهى الجزء الثاني والسبعون.

الجزء الثالث والسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث رابع وعشرون في ذكر الله قبل الإهلال بالحج

خرّج البخاري عن أنس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما استوت به راحلته على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمرة حمد الله و لم يذكر صورة التحميد فليحمل على الثناء على الله بما يقتضيه حال النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك الموطن فإنه فيه بين ما يسره وبين ما حجر عليه فعله مما كانت له في إباحته إرادة فمن حيث ما هو صاحب سر آي من إجابة الخلق دعوة الله يقول الحمد لله المنعم المفضل ومن حيث ما حجر عليه ومنع مما له فيه إرادة يقول الحمد لله على كل حال فجمع بين الحمدين ليجمع الله له بين الدرجتين لأنه كامل فيكمل له الجزاء وهكذا ينبغي أن يحضر الحاج في نفسه في ذلك الوقت عند تحميده ربه إحضار الحالتين ليجمع له بين الحمدين حالاً ونطقاً فيحصل على الجزاءين فلهذا قال الصاحب حمد الله و لم يعين وأما التسبيح في ذلك الموطن فإنه موطن التحجير والإحرام والحق منزه عن التحجير في تصريفه في خلقه فهو يصرّفهم كيف يشاء لا مانع ولا تحجير عليه فوجب التسبيح لما يقتضيه الموطن ومن وجب له التسبيح فهو الكبير عن الاتصاف بمثل ما هم الناس عليه في ذلك الوقت من الحال فلا بدّ من التكبير فإذا أعطى الله ما ينبغي له حينئذ يتفرّغ لمقصوده فيما دعى إليه من الحج والعمرة فيهل بالحج والعمرة كما ورد.

حديث خامس وعشرون في النهي عن العمرة قبل الحج

خرّج أبو داود عن سعيد بن المسيب أن رجلاً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فشهد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج وهذا مرسل وضعيف جدّاً فإن الأحاديث الصحاح تعارضه فصار مدلول لفظ الحج في هذا الحديث أنه القصد وهو النية فهي نهي أن يتقدّم العمل على النية فيه فإن النية ما شرعت إلا عند الشروع في العمل والعمرة زيارة الحق في بيته المضاف إليه الذي دعا الناس إلى الإتيان إليه فمن زاره من غير قصد وهو المسمى بالحج لغة لا شرعاً فما زاره فنهى عن الزيارة قبل القصد يعني نية الزيارة على جهة القربة فيصح الحديث على هذا المعنى.

حديث سادس وعشرون ما يبدأ به الحاج إذا قدم مكة

خرّج مسلم عن عروة بن الزبير قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتني عائشة رضي الله عنها أنه أوّل شيء بدأ به حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف بالبيت لما دعا الله سبحانه عباده إلى هذه العبادة ما دعاهم إلا إلى بيته لا إلى غيره فقال ولله على الناس حج البيت وأمر خليله إبراهيم عليه السلام أن يعلو على ظهر البيت حين أكمله بالبناء أن ينادي إن لله بيتاً فحجوه فلما وصلوا إلى

البيت لم يتمكن أن يكون البدء إلا الطواف به حتى يعمه من جميع جهاته ولا يطاف بالبقعة ما لم تكن محجورة بصورة ينطلق عليها اسم البيت ألا تراهم لما بقي من البقعة ما بقي خارجاً إذ قصرت بهم النفقة من جهة الحجر أقاموا لذلك الباقي حائط الحجر حتى لا يكون الطواف إلا بصورة زائدة على البقعة هذا كله لئلا يتخيل أن المقصود البقعة فأعلمهم الله تعالى أن المقصود صورة البيت في هذه البقعة فوقع القصد للمجموع لا للمفرد ومتى لم يكن المجموع لم يصح القصد ولا صحت العبادة وذلك لأن أصل استنادنا في وجودنا ما هو للذات الغنية من كونها ذاتاً بل من كون هذه الذات إلهاً فاستنادنا للمجموع ولهذا كثرت الآلهة في العالم في ذوات مختلفة في زعم من جعلها آلهة كما كثرت البيوت في بقاع مختلفة وما صح منها أن يكون بيتاً لهذه العبادة إلا هذا الخاص لهذا الجمع الخاص وإن كانت كلها بيوتاً في بقع ثم إن الله تعالى لما اتصف بالغيرة ورأى ما يستحقه من المرتبة قد نوزع فيها ورأى أن المنسوب إليهم هذا النعت وهذا الاسم لم يكن لهم فيه قصد ولا إرادة من فلك وملك ومعدن ونبات وحيوان وكوكب وأنهم يتبرؤن منهم يوم القيامة قضى الله حوائج من عبدهم غيرة ليظهر سلطان هذه النسبة لأنهم ما عبدوه لكونه حجراً ولا شجراً بل عبدوه لكونه إلهاً في زعمهم فالإله عبدوا فما رأى معبوداً إلا هو ولهذا يوم القيامة ما يأخذهم إلا بطلب المعبودين فإن ذلك من مظالم العباد فمن هنالك يجازيهم الله بالشقاء لا من حيث عبادتهم فالعبادة مقبولة ولهذا يكون المآل إلى الرحمة مع التخليد في جهنم فإنهم أهلها فتفطن فقد اجتمعوا معنا في كوننا ما عبدنا هذه الذات لكونها ذاتاً بل لكونها إلهاً فوضعنا الاسم حقيقة على مسماه فهو الله حقاً لا إله إلا هو فلما نسبنا ما ينبغي لمن ينبغي سمينا علماء سعداء وأولئك جهلاء أشقياء لأنهم وضعوا الاسم على غير المسمى فأخطؤا فهم عباد الاسم والمسمى مدرج فوقع التمييز بيننا وبينهم في الدار فسكنا داراً تسمى جنة لها ثمانية أبواب الباب الثامن وضع الاسم على مسماه حقيقة وكانت النار سبعة أبواب لأن الباب الثامن هو وضع الاسم على مسماه وأهل جهنم ما وضعوه على مسماه فجهلوا فظهر الحجاب فلم يروا إلا مسماهم وذهب الاسم عنهم يطلب مسماه فأخذه من استحقه وهو الله فعرفوا في الآخرة ما جهلوه في الدنيا و لم تنفعهم معرفتهم ولكن راعى الحق سبحانه قصدهم حيث أنهم ما عبدوا إلا الله لا الأعيان فصيرهم في العاقبة إلى شمول الرحمة بعد استيفاء حقوق المعبودين منهم ولذلك جعله من الكبائر التي لا تغفر ولكن ما كل مشرك بل المشركون الذين بعثت إليهم الرسل أو لم يوفوا النظر حقه ولا اجتهدوا فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن المجتهد وإن أخطأ فإنه مأجور و لم يعين فرعاً من أصل بل عم وصدق قوله "ورحمتي وسعت كل شيء" وقوله "سبقت رحمتي غضبي" وأن الميزان ما هو على السواء في القبضتين وإنما هو على السواء بين العمل والجزاء لذلك وضع الميزان وهذه المسئلة الميزانية غلط فيها جماعة من أهل الله منهم أبو القسم بن قسي صاحب خلع النعلين ومن تابعه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حديث سابع وعشرون أين يكون البيت من الطائف

خرّج الترمذي عن جابر قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة دخل فاستلم الحجر ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً الحديث لما كان الحجر يمين الله وجعل للإنسان المخلوق على الصورة يميناً شرع له أن يكون في طوافه بين يمين الله ويمينه فيكون مؤيداً بالقوّتين معاً فلا يجد الشيطان إليه دخولاً لأن الشيطان ليس له على اليمين سبيل وإنما يلقي في قلب العبد وهو مائل إلى جهة الشمال فيكون يمين الحق في الطواف في حق الطائف يحفظه وهو ذو يمين من نشأته فلا يزال محفوظاً فإذا انتقل من موازنته وهو من

حد الركن العراقي إلى الركن اليماني تحفظه عناية البيت المنسوب إلى الله فإن قلت فقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه يأتينا من قبل اليمين قلنا اليمين الذي أراد الشيطان هنا ليس هو يمين الجارحة فإنه لا يلقى على الجوارح وكذلك ما هو شمال الجوارح ولا أمام الإنسان ولا خلفه وأن محل إلقائه إنما هو القلب فتارة يلقى في القلب ما يقدح في أفعال ما يتعلق بيمينه أو شماله أو من خلفه أو من بين يديه ونحن إنما نريد باليمين هنا هذه الجهة المخصوصة فإن قلت وكذا المشرك له هذه اليمين قلنا بالمجموع وقع ما وقع وما يكون المجموع إلا للمؤمن وهذا معنى قوله تعالى "فأما إن كان من أصحاب اليمين" يريد يمين المبايعة التي بيدها الميثاق ما يريد يمين الجارحة.

حديث ثامن وعشرون من رأى الركوب في الطواف والسعي

خرّج مسلم عن جابر قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة الحديث وكذلك أيضاً وقف بعرفة وبجمع ورمى الجمار كل ذلك وهو راكب إعلام منه صلى الله عليه وسلم أنه محمول في جميع أحواله من طاعة ربه وأنه بغيره لا بنفسه وكان من حامله كعضو من أعضائه بالنسبة إليه فكما أن أعضاءه محمولة لنفسه عضواً عضواً حمل الكل للجزء كذلك الإنسان بجملته لمن يحمله فهو طائف لا طائف وساع لا ساع وواقف لا واقف وما سمي بالحاج إلا بهذه الأفعال وهو محمول فيها بسعي حامله ووقوفه ومع هذا ينسب إليه فنبهك على ما هو الأمر عليه يقول لك وإن قال لك اعمل فهو العامل بك لا أنت ثم ينسب العمل إليك ويجعل الجزاء للعمل لا لك غير أن العمل ليس بمحل للتنعم والتألم بالجزاء ولا بد له من قائم يقوم به فليكن محله من نسب الفعل إليه حساً وهو المكلف وعاد الحامل له كالآلة وإذا كان الحامل هو الله كان المحمول لظهور ذلك الفعل فيه كالآلة له وهذا عكس الأوّل فلهذا طاف وسعى ووقف ورمى راكباً ليراه الناس فيتأسون وأهل الله فيعتبرون لمعرفتهم بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحالة مع تمكنه أن يفعل هذه الأفعال من غير ركوب.

حديث تاسع وعشرون إلحاق اليدين بالرجلين في الطواف

ذكر الدارقطنيّ عن أم كبشة أنها قالت يا رسول الله إني آليت أن أطوف بالبيت حبواً فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم طوفي على راحلتك سبعين سبعاً عن يديك وسبعاً عن رجليك اليدان للإنسان كالجناحين للطائر فكما يسبح في الأرض برجليه حين يمشي كذلك يسبح في الماء بيديه إذا مشى فيه ومع كون الإنسان يمشي على رجليه فإنه يستعين بحركة يديه إذا مشى ولما كان باطن الإنسان وهو روحه ملكاً في الحقيقة من ملائكة التدبير وهم النوع الثالث من الملائكة وقد أخبر الله تعالى عن الملائكة أنهم ذووا أجنحة وما خص ملكاً من ملك فنعلم قطعاً أن نفوسنا من حيث هي من الملائكة الذين مقامهم تدبير هذه الأجسام العنصرية أنهم ذووا أجنحة وجعلت هذه الأجسام الطبيعية حجاباً دوننا عن إدراكنا إياها ألا ترى إلى جبريل عليه السلام لما تجسد في صورة دحية وفي صورة الأعرابيّ ما ظهر لعين أجنحته عين جملة واحدة حكم على سترها ظهور صورة الجسم الذي ليس من شأنه أن يكون له جناح مع كون جبريل له ستمائة جناح فلما كانت لهم السباحة بالأجنحة التي بها يمشون في الهواء وهو ركن من الأربعة الأركان كما هي الرجلان للسعي في ركن التراب ألحق اليد بالرجلين فقال لها في هذا القول طوفي سبعاً عن روحك لأن مشيه بالجناحين

وهو قوله عن يديك وسبعاً عن رجليك لأن بهما يكون المشي في الطواف وغيره فضاعف عليها التكليف لما جعلت المشي في غير آلته فافهم.

حديث ثلاثون في الاضطباع في الطواف

ذكر الترمذيّ عن يعلى بن أمية أن النبيّ صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعاً وعليه برد قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح الاضطباع أن يكون طرف من الرداء على كتفك اليسرى وما بقي منه تتأبطه تحت ذراعك اليمنى ثم تمرّ به إلى صدرك إلى كتفك اليسرى فتغطيها بطرفه فيكون الكتف الأيمن مكشوفاً والأيسر مستوراً هذا ليجمع بين حالتي الستر والتجلي والغيب والشهادة والسرّ والعلن وإنما وقع الستر من جهة القلب لأنه موضع الغيب من الإنسان وعنه تظهر الأفعال في عالم الشهادة وهي الجوارح فلولا قصده لتحريكها ما ظهرت عليها حركة فذلك تأثير الغيب في الشهادة وأصل ذلك من العلم الإلهيّ قول الله تعالى في الذكر إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه اعلم أن له ذكراً مستوراً نسبه إلى نفسه وإن له ذكراً علانية والعين واحدة ما لها وجهان مع وجود الاختلاف في الحكم وعن هذه النسبة الإلهية ظهر العالم في مقام الزوجية فقال ومن كل شيء خلقنا زوجين وإن كان واحداً فله نسبتان ظاهرة وباطنة إذ كان هو الظاهر والباطن فما أعز معرفة الله على أهل النظر الفكري وما أقر بها على أهل الله جعلنا الله من أهله.

حديث حادي وثلاثون السجود على الحجر عند تقبيله

ذكر البزار عن جعفر بن عبد الله بن عثمان المخزوميّ قال رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر ثم سجد عليه قلت ما هذا قال رأيت خالك ابن عباس قبل الحجر ثم سجد عليه وقال رأيت عمر قبله وسجد عليه وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله وسجد عليه لما كان الحجر أرضياً وجعل الله الأرض ذلولاً وهي لفظة مبالغة في الذلة فإن فعولاً من أبنية المبالغة في اللسان العربيّ قال الشاعر ضروب بنصل السيف سوق سمانها وإنما أعطيت المبالغة في الذلة لكون الأذلاء وهم عبيد الله أمروا بالمشي في مناكبها أي عليها فمن وطئه الذليل فهو أشد مبالغة في وصفه بالذلة من الذي يطؤه فكما جبر الله كسر الأرض من هذه الذلة بما شرع من السجود عليها بالوجوه التي هي أشرف ما في ظاهر الإنسان والحجر من الأرض فصحبه ذلك الانكسار لأنه قد فارق الأرض التي هي محل سجود الجباه والوجوه الذي ينجبر به انكسارها فشرع السجود على الحجر مع كونه فارق الأرض في حال الانكسار فحصل له من الجبر نصيبه بهذا السجود لأنه حجر معتنى به وقبل لكونه يميناً منسوباً إلى الله فتقبيله للمبايعة "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" فهذه علة السجود عليه.

حديث ثاني وثلاثون سواد الحجر الأسود

ذكر الترمذيّ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسوّدته

خطايا بني آدم" قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح آدم عليه السلام لولا خطيئته ما ظهرت سيادته في الدنيا فهي التي سوّدته وأورثته الاجتباء فما خرج من الجنة بخطيئته إلا لتظهر سيادته وكذلك الحجر الأسود لما خرج وهو أبيض فلا بد من أثر يظهر عليه إذا رجع إلى الجنة يتميز به على أمثاله فيظهر عليه خلعة التقريب الإلهي فأنزله الله مترلة اليمين الإلهي التي خمر الله بها طينة آدم حين خلقه فسوّدته خطايا بني آدم أي صيرته سيداً بتقبيلهم إياه فلم يكن من الألوان من يدل على السيادة إلا اللون الأسود فكساه الله لون السواد ليعلم أن ابنه قد سوّده بهذا الخروج إلى الدنيا كما سوّد آدم فكان هبوطه هبوط خلافة لا هبوط بعد ونسب سواده إلى خطايا بني آدم كما حصل الاجتباء والسيادة لآدم بخطيئته أي بسبب خطايا بني آدم أمروا أن يسجدوا على هذا الحجر ويقبلوه ويتبركوا به ليكون ذلك كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته لذلك فهذا معنى سوّدته خطايا بني آدم أي جعلته سيداً وجعلت اللونية السوادية دلالة على هذا المعنى فهو مدح لا ذم في حق بني آدم ألا ترى آدم ما ذكر الله أو لا للملائكة إلا خلافته في الأرض وما تعرض للملائكة فلما ظهر من الملائكة في حق آدم ما ظهر قام ذلك الترجيح منهم لأنفسهم وكونهم أولى من آدم بذلك ورجحوا نظرهم على علم الله في ذلك فقام لهم ذلك مقام خطايا بني آدم فكان سبباً لسيادة آدم على الملائكة فأمروا بالسجود له لتثبت سيادته عليهم فالسعيد من وعظ بغيره فالعاقل منا لا يعترض على الله فيما يجريه في عباده من تولية من يحكم بهواه ولا يعمل في رعيته بما شرع له فلله في ذلك حكم وتدبير فإن الله أمر بالسمع والطاعة وأن لا ننازع الأمر أهله إذ قد جعله الله لذلك الأمر فإن عدل فلنا وله وإن جار فلنا وعليه فنحن في الحالين لنا فنحن السعداء وما نبالي بعد ذلك إذا أثبت الله السعادة لنا بما يفعل في خلقه فإن تكلمنا في ولاتنا وملوكنا بما هم عليه من الجور سقط ما هو لنا في جورهم وأسأنا الأدب مع الله حيث رجحنا نظرنا على فعله في ذلك لأن لنا الذي هو في جورهم هو نصيب أخروي بلا شك فقد حرمناه نفوسنا ومن حرم نفسه أجر الآخرة فهو من الخاسرين والذي لنا إذا عدلوا فهو نصيب دنيويّ والدنيا فانية ونحن قد فرحنا وآثرنا نصيب الدنيا على نصيب الآخرة من حيث لا نشعر لاستيلاء الغفلة علينا فكنا بهذا الفعل ممن أراد حرث الدنيا كما أن قوله إذا عدلوا فلهم نصيب أخروي فزهدوا فيه بجورهم فعاد عليهم وبال ذلك الجور فالمسلم من سلم وفوّض ورأى أن الأمور كلها بيد الله فلا يعترض إلا فيما أمر أن يعترض فيكون اعتراضه عبادة وإن سكت في موضع الاعتراض كان حكمه حكم من اعترض في موضع السكوت جعلنا الله من الأدباء المهذبين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون واقعة قيل لي فيها وفيه مناسبة من هذا الحديث ما يعلم من الله وما يجهل فقلت:

العلم بالله ديني إذ أدين به ... والجهل بالعين إيماني وتوحيدي

فقيل لي صدقت هذا قوله تعالى "ويحذركم الله نفسه" فما عندك في تجليه فقلت

في كل مجلى أراه حين أشهده ... ما بين صورة تنزيه وتحديد

فقيل لي سبحان من تتره عن التتريه بالتشبيه وعن التشبيه بالتتريه قيل لأبي سعيد الخراز بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين يعني في وصفه ثم تلا هو الأول والآخر والظاهر والباطن وكان بساقي دمل كنت أتألم منه من شدة وجعه فغلب عليّ في تلك الحال شهوده سبحانه فقلت:

رأيته في دملي ... فقلت داء معضل

لا راحة ترجى ولا ... ضرّ فقل ما أعمل

فقيل لي سلم فقلت نعم المعلم فسلمت وما تكلمت

رأيت هذي الواقعة لكل علم جامعه

فما رأيت مثلها من العلوم النافعه

وخوطبت في سرّي فيها بأمور لا يمكنني إذاعتها ولا تلتبس عليّ بضاعتها غير أن التجلي للبشر لا يكون إلا بالصور والعمل الإلهيّ في البصر عند تعلق النظر وقد عرفت فالزم.

حديث ثالث وثلاثون شهادة الحجر يوم القيامة

ذكر الترمذيّ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر "والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق هذا من أعجب ما في القرآن أن يكون على بمعنى اللام قال تعالى وما ذبح على النصب أي للنصب لأن الشهادة عليك إنما هي بما لا ترتضيه لأن المشهود عليه لو اعترف ما شهد عليه ولا ينكر إلا ما يتوقع من الاعتراف به الضرر فعلى عندنا هنا على بابها وهكذا كل أداة على بابها لا يعدل بها إلى خلاف ما وضعت له بالأصالة إلا بقرينة حال وكذلك فعل من أخرج هنا على عن بابها وجعلها بمعنى اللام جعل قرينة الحال أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ما أراد بهذا القول إلا تعظيم استلامه في حقنا وأن الخير العظيم لنا في ذلك إذا استلمناه إيماناً وهو قوله بحق عندهم يعني بحق مشروع لأنه يمين الله المنصوب للتقبيل والاستلام في استلام كل أمّة لها هذا الإيمان ولذلك نكر قوله بحق و لم يجيء به معرّفاً قال تعالى "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" فجاء بالنكير فالشرائع كلها حق فمن استلمه بحق أيّ حق كان في أيّ ملة كان دخل تحت هذا الحكم من الشهادة الحجرية بالإيمان وأما من ترك على علي بابها وهو الأولى فإن الحق هنا وإن كان نكرة فهو في المعنى معرفة وإنما نكر لسريانه في كل شيء فما من شيء موجود أو متصف بالوجود إلا والحق يصحبه كما قال "وهو معكم أينما كنتم" فأينما كنا كان الحق معنا كينونية وجودية منزهة كما يليق به وكنا أمر وجودي فالباطل عدم والحق وجود ولما جعل الحجر يمين الله ومحل الاستلام والتقبيل انبغى لنا أن نقبله بعبوديتنا ولا نحضر عند التقبيل كون الحق سمعنا وبصرنا والعامل منا فإنا إذا كان مشهدنا هذا فيكون الحق مستلماً يمينه ولا يستلم إلا باليمين واليمين هو الحجر والشيء لا يستلم نفسه وقد اختار آدم عليه السلام يمين ربه مع علمه بأن كلتي يدي ربه يمين مباركة ومع هذا عدل إلى اختيار اليمين فلما أراد العبد أن يجتني يوم القيامة ثمرة غرس الاستلام فقال له ما استلمت وإنما الحق استلم يده بيده ثم جيء بالحجر فقيل له تعرف هذا فيقول نعم فيقال له بم تشهد في استلامه إياك فيقول استلمني بك لا بعبوديته فيقال للعبد قد علمت بهذه الشهادة أن الاستلام ما كان بك وإنما كان بالحق فتكون عند ذلك الشهادة على الإنسان لا للإنسان فلا يبقى له ما يطلبه فأخبرنا الشارع بما هو الأمر عليه لنستلمه عبودية واضطراراً مكلفين بذلك تعبداً محضاً كما فعل عمر بن الخطاب فإن قلت فقد بايع النبيّ صلى الله عليه وسلم في بيعة الرضوان نفسه بنفسه وجعل يده على يده وأخذ يده بيده وقال هذا عن عثمان وكان عثمان غائباً في تلك البيعة وكذلك العبد إذا استلمه بحق يكون الحق يستلم يمينه بيده فإنّ كلتي يديه يمين ويكون ذلك الاستلام عن هذا العبد الذي استلمه بحق فيجني ثمرته إذ قال هذا عن عثمان ويكون عذر هذا العبد كون مشهد الحال

غلب عليه سلطانه حيث لم يشاهد إلا الله في أعيان كل شيء من الموجودات قلنا الفرق بين المسئلتين أن المناسبة بين المثلين صحيحة والجامع بين النبيّ صلى الله عليه وسلم وبين عثمان الإنسانية وهي حقيقة النشأة والعبودية فجازت النيابة وأن يقوم كل واحد مقام الآخر والفرق الثاني أن اليد التي بايعوها هي يد الله فبايعوها بأيديهم وهنا المستلم يمين الله والمستلم يد الله أيضاً ولا مناسبة بين الله وبين خلقه وهناك المناسبة موجودة فإن قيل المناسبة هنا خلقه على الصورة ولهذا صح له التخلق بالأسماء الإلهية قلنا أما الصورة فلا ننكرها وأما التخلق فلا ننكره ولكن أضاف الاستلام هنا للعبد وجعل استلامه بحق وما ثم إلا الاستلام وهو بحق فما استلم إلا الحق والصورة هنا ما هي عين الحق بلا شك فإنها لو كانت عين الحق ما قال خلق آدم على صورته وهنا كان الحق سمعه وبصره ويده فهنا هو الحق عينه من حيث ما هو سامع وناظر وفاعل أيّ فعل كان فهو عين الصفة التي يكون لها الحكم والأثر والحال في الكون فاختر عند استلامه بأي حالة تستلم ومع هذا فكلها أحوال حسنة وبينهما فرقان بين وإخراج علي عن بابها في هذا الموضع أولى بالعموم وابقاؤها على بابها أولى بالخصوص والأكابر منا من يستلمه بالوجهين يستلمه بحق ويستلمه بعبودية فيجمع بين الصفتين فيكون ذا جزاءين فيكون له

وعليه كما كان يسلك منه وإليه.

حديث رابع وثلاثون في الصلاة خلف المقام

خرّج أبو داود عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر فطاف بالبيت وصلى خلف المقام الحديث لما أمرنا الله تعالى أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى وقد مضى اعتباره فجعلناه بين أيدينا لنشاهده حتى لا نغفل عنه في حال صلاتنا فيذكرنا شهوده بأن نسأل الله تحصيل هذا المقام إن لم نكن فيه وإن كان حالنا فيذكرنا شهوده أن نسأل الله دوامه علينا وبقاءنا فيه فلا بد في الحالين أن نكون خلفه لئلا نكون ممن نبذه وراء ظهره فلم يتذكره لعدم شهوده إياه.

حديث خامس وثلاثون أشعار البدن وتقليدها النعال والعهن

خرّج مسلم عن ابن عباس قال الرسول صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن وسلت عنها الدم وقلدها نعلين ثم ركب راحلته الحديث اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الإبل أنها شياطين وجعل ذلك علة في منع الصلاة في معاطنها والشيطنة صفة بعد من رحمة الله لا من الله لأن الكل في قبضة الله وبعين الله والإشعار الإعلام والمحسنون ما عليهم من سبيل وإنما يدعى إلى الله من لم يكن عنده في الصفة التي يدعى إليها والشفاعة لا تقع إلا فيمن أتى كبيرة تحول بينه وبين سعادته ولا أبعد من شياطين الأنس والجنّ والهدية بعيدة من المهدى إليه لأنها في ملك المهدي فهي موصوفة بالبعد ومايتقرّب المتقرّب إلى الله من أهل الدعاء إلى الله بأولى من ردّ من شردعن باب الله وبعد إلى الله ليناله رحمة الله فإن الرسل ما بعثت بلتوحيد إلا للمشتركين وهم أبعد الخلق من الله ليردوهم إلى الله ويسوقوهم إلى محل القرب وحضرة الرحمة فلهذا أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن مع ذكره فيها أنها شياطين ليثبت عند العالمين به أنّ مقامه صلى الله عليه وسلم ردّ البعداء من الله إلى حال التقريب ثم أنه أشعرها في سنامها الأيمن وسنامها أرفع ما فيها فهو الكبرياء الذي كانوا عليه في نفوسهم فكان إعلاماً من النبيّ صلى الله عليه وسلم لنا بأنه من هذه الصفة أتى عليهم لنجتنبها فإن الدار الآخرة إنما جعلها الله للذين لا يريدون علوّاً في الأرض

والسنام علوّ ووقع الأشعار في صفحة السنام الأيمن فإن اليمين محل الاقتدار والقوّة والصفحة من الصفح إشعار من أن الله يصفح عمن هذه صفته إذا طلب القرب من الله وزال عن كبريائه الذي أوجب له البعد لأنه أبى واستكبر وجعل صلى الله عليه وسلم الدلالة على إزالة الكبرياء في شيطنة البدن جعل النعال في أرقابها إذ لا يصفح بالنعال إلا أهل الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقي فيه كبرياء يشهد وعلق النعال في قلائد من عهن وهو الصوف ليتذكر بذلك ما أراد الله بقوله وتكون الجبال كالعهن فإذا كانت هذه صفته كان قرباناً من التقريب إلى الله فحصلت له القربة بعد ما كان موصوفاً بالبعد إذ كان شيطاناً فإذا كانت الشياطين قد أصابتهم الرحمة فما ظنك بأهل الأسلام ثم إن النبيّ صلى الله عليه وسلم أيضاً بعث إلى الموحدين ليشهدوا بتوحيدهم على جهة القربة التي لا يستقل العقل بإدراكها أعني بإدراك هذه القربة إلا من جهة الشرع فيحقق بعثه إلى المشرك والموحد بوجهين فالمشرك وهو الشيطان المتكبر دعاه إلى عين القربة كما ذكرناه فقبل قربه وزال عنه بما ذكرناه من الأشعار وتقليد النعال ما كان فيه من صفة البعد ثم نبه صلى الله عليه وسلم على مقام دعوته للموحدين حيث دعاهم إلى النطق بها قربة و لم يكن لهم علم بذلك فأهدى مرّة إلى البيت غنماً وهي من الحيوان الطاهر الذي تجوز لنا الصلاة في مرابضها فكان مثل تقريب الموحدين خرج مسلم عن عائشة قالت أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيت غنماً فقلدها والتقليد للغنم أي هذه صفتها التي أوجبت لها القرب أن تكون قرباناً.

حديث سادس وثلاثون يوم النحر هو يوم الحج الأكبر

ذكره أبو داود عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا هذا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الأكبر يعني الذي سماه الله في قوله وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر وإنما سمي في ذلك الوقت يوم الحج الأكبر لأنه كان مجمع الحاج بجملته إذ كان من الناس من يقف بعرفة وكانت الحس تقف بالمزدلفة فكانوا متفرّقين فلما كان يوم منى اجتمع فيه أهل الوقوف بالمزدلفة وبعرفة فكان يوم الحج الأكبر لاجتماع الكل فيه ولما كان إبقاء هذا الاسم عليه بعد أن صار الوقوف كله بعرفة حدث له معنى آخر في الإسلام نبه الشارع عليه ولهذا سنّ طواف الإفاضة في هذا اليوم فأحل في هذا اليوم من إحرامه مع كونه متلبساً بالحج حتى يفرغ من أيام منى فلما أحلّ من إحرامه في هذا اليوم زال عن التحجير الذي كان تلبس به في هذه العبادة وأبيح له جميع ما كان حرم عليه وأحلّ الحل كله في هذا اليوم وكان إحلاله عبادة كما كان إحرامه عبادة ومازال عنه اسم الحج لما بقي عليه من الرمي فكان يوم الحج الأكبر لهذا السراح والإحلال فكانت أيام منى أيام أكل وشرب وبعال فمن أراد فضل هذا اليوم فليطف فيه طواف الإفاضة ويحل الحل كله فإن لم يفعل فما هو من أهل الحج الأكبر فلا يغلبنك الشيطان عن فضل هذا اليوم بأن تتميز في أهله وهو يوم النحر نحر البدن وقبولها قرباناً وإعادة منفعتها علينا من أكل لحومها والأجر الجزيل في نحرها والصدقة بلحومها.

حديث سابع وثلاثون نحر البدن قائمة

خرّج أبو داود عن أبي الزبير عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط أن النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينحرون البدنة معقولة اليد اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها إعلاماً لما كان نحرها قربة أراد المناسبة في صفة نحرها في الوترية فأقامها على ثلاث قوائم فإنّ الله وتر يحب الوتر والثلاث أوّل الإفراد فلها أوّل المراتب في ذلك والأولية وترية أيضاً وجعلها قائمة لأن القيومية مثل الوترية صفة إلهية فهو القائم تعالى على كل نفس بما كسبت فيذكر الذي ينحرها بقيامها وأن النحر كسب له مشاهدة القائم على كل نفس بما كسبت وقد صح أن المناسك إنما شعرت لإقامة ذكر الله وهذا من مناسك الحج أعني صفة النحر فيذكر الله بهذه الصفة وشفع الرجلين لقوله التفت الساق بالساق وهو اجتماع أمر الدنيا والآخرة وأفرد اليمين من يد البدنة حتى لا تعتمد إلا على وتر الاقتدار والشفع والوتر فالبدنة قائمة بحق الخلق بشفعية رجليها ووترية يدها فتذكر الله بهذه الصفة وإن القيام ما صح للأشياء إلا على وتر بحالة تجمع الشفعية والوترية وهي أول حالة يظهر فيها هذا الجمع وليس إلا الثلاثة ولا يمكن للبدنة القيام إلا على ثلاث قوائم وكان العقل في اليد اليسرى لأنها خلية عن القوّة التي لليمين والقيام لا يكون إلا على الأقوى لأجل الاعتماد قال في الصلاة أقيموا الصلاة وقال قد قامت الصلاة فأخبر بالماضي قبل قيام العبد لها فأراد قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد إلى الصلاة فيقيم بقيامه نشأتها قال تعالى "هو الذي يصلي عليكم" فهو المشار إليه بقوله "قد قامت الصلاة" فالقيام معتبر في العبادات ومنه الوقوف بيوم عرفة وفي جمع وعند رمي الجمار وأعمال الحج كلها لا تصح إلا من قائم.

حديث ثامن وثلاثون منى كلها منحر

خرّج مسلم في حديث جابر أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال منى كلها منحر قد قلنا إن منى من بلوغ الأمنية ومن بلغ المنى المشروع فقد بلغ الغاية فجعله محلاً للقرابين وهو إتلاف أرواح عن تدبير أجسام حيوانية ليتغذى بها أجسام إنسانية فتنظر أرواحها إليها في حال تفريقها فتدبرها إنسانية بعدما كانت تدبرها إبلاً أو بقراً أو غنماً وهذه مسئلة دقيقة لم يتفطن لها إلا من نوّر الله بصيرته من أهل الله ويحتوي عليها قوله تعالى "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّاتهم وأشهدهم على أنفسهم" وكانوا في حال تفريق في أطوار من المخلوقات يميز الله أجزاء كل مجموع وهي معينة عند أرواحها المدبرة لها في كل حال تكون عليها من اجتماع وافتراق وتتبدّل الأسماء عليها بحسب مزاجها الخاص بها في ذلك الاجتماع ومن هنا هبت نفحة على القائلين بالتناسخ فلم يتحققوا معناها فزلوا وضلوا وأضلوا ولأنهم نظروا فيها من حيث أفكارهم فأخطؤا الطريق فغلطوا فهم مخطئون غير كافرين إلا من أنكر البعث منهم الذي هو نشأة الآخرة فهو ملحق بالكفار والأرواح المدبرة لها في كل حال لا تتبدّل تبدّل الصور لأنها لا تقبل التبديل لأحديتها وإنما تقبل التبديل المركب من أجسام وأجساد حساً وبرزخاً فمن بلوغ المنى إلحاق الأسافل بالأعالي والتحام الأباعد بالأداني.

فمنهم من تجسد لي بأرض ومنهم من تجسد في الهواء
ومنهم من تجسد حيث كنا ومنهم من تجسد في السماء
فيخبرنا ونخبره بعلم ولكن لا نكون على السواء
فإني ثابت في كل عين وهم لا يقدرون على البقاء

فهم يتصوّرون بكل شكل كلون الماء من لون الإناء

عملت هذه الأبيات في تجسد الأرواح المفارقة لاجتماع أجسامها في الحياة الدنيا المسمى موتاً وكنا رأينا منهم جماعة متجسدين من الأنبياء والملائكة والصالحين من الصحابة وغيرهم وهم يتجسدون في صور المعاني المتجسدة في صور المحسوسات فإذا تجلى المعنى وظهر في صورة حسية تبعه الروح في صورة ذلك الجسد كان ما كان لأن الأرواح المدبرة تطلب الأجسام طلباً ذاتياً فحيث ما ظهر جسم أو جسد حساً كان ذلك أو معنى تجسد كالعمل الصالح في صورة شاب حسن الوجه والنشأة والرائحة فإن الروح تلزمه أبداً في أيّ صورة ما شاء ركبك إذ لم تكن.

الحديث التاسع والثلاثون في رفع الأيدي في سبعة مواطن

ذكر البزار عن ابن عمر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال ترفع الأيدي في سبع مواطن افتتاح الصلاة واستقبال البيت والصفا والمروة والموقفين وعند الحجر رفع الأيدي في هذه المواطن كلها للتبرّي مما ينسب إلى الأيدي من الملك فيرفعها صفراً خالية لا شيء فيها بل الملك كله لله وهذه المواطن كلها موطن سؤال والسؤال من غنيّ مالك لا يتصوّر وإنما السوال عن الحاجة فمن صفة الفقير الذي لا يملك ما يسأل فيه فإذا سأل الغنيّ فتحقق من أيّ صفة يسأل وكما يسأل هل يسأل ما هو عنده أو ما ليس عنده فاجعل الحكم في ذلك بحسب ما نبهتك عليه وقد اعتنى الله بالفقراء حيث جعل سؤالهم الأغنياء طلباً إلهياً في قوله "وآتوا الزكاة" وفي قوله "وأقرضوا الله قرضاً حسناً" وفي قوله "جعت فلم تطعمني" فإذا فهمت الصفة التي أوجبت السؤال عرفت كيف تسأل وممن تسأل وما تسأل وبيد من تقع الأعطية وما يصنع بها وتعلم رفع الأيدي عند السؤال بالظهور وبالبطون وما الفرق في أحوالهما.

الحديث الأربعون حديث الاستغفار للمحلقين والمقصرين

خرّج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين لما لم يفهموا مقصود الشارع بطلب الغفر الذي هو الستر للمحلقين وهم الذين حسروا عن رؤسهم الشعر فانكشفت رؤسهم فطلب من الله سترها ثواباً لكشفها والمقصر ليس له ذلك فلما لم يفهموا عنه قال وللمقصرين خطاباً لهم إذ قد قال صلى الله عليه وسلم خاطبوا الناس على قدر عقولهم أي على قدر ما يعقلونه من الخطاب حتى لا يرموا به.

الحديث الحادي والأربعون حديث طواف الوداع

خرّج مسلم عن ابن عباس قال كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت لما كان هذا البيت أوّل مقصود الحاج لأنه ما أمر بالحج إلا إلى البيت والأوّل يطلب الآخر في عالم المفارقة وليس من شرطه في كل منسوب إليه الأولي بخلاف الآخر فإنه يطلب الأوّل بذاته لا بد من ذلك فافهم حتى تعرف إذا نسبت إليك الأولية

كيف تنسبها وإذا نسبت إليك الآخرية كيف تنسبها فإذا علمت أن الآخر يطلب الأول في عالم المفارقة وأنت من عالم حاله المفارقة لأنك أفاقيّ تعين عليك أن يكون آخر عهدك الطواف بالبيت.

فصل في كفارة التمتع

قال تعالى "فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى" لا خلاف في وجوبها واختلفوا في الواجب فجماعة العلماء على أن ما استيسر من الهدي شاة وقال ابن عمر أن اسم الهدي لا ينطلق إلا على الأبل والبقر وإن معنى قوله تعالى "فما استيسر من الهدي" بقرة أدون من بقرة أو بدنة أدون من بدنة والذي أقول به لو أهدى دجاجة أجزأه وأجمعوا على أن هذه الكفارة على الترتيب فلا يكون الصيام إلا بعد أن لا يجد هدياً واختلف العلماء في حدّ الزمان الذي ينتقل بانقضائه فرضه من الهدي إلى الصيام فقائل إذا شرع في الصيام فقد انتقل واجبه إلى الصوم وإن وجد الهدي في أثناء الصوم ومن قائل إن وجد الهدي في صوم الثلاثة الأيام لزمه وإن وجده في السبعة لم يلزمه وبالأوّل أقول وأما صيام الثلاثة الأيام في الحج فاختلفوا فيمن صامها في أيام عمل العمرة أو صامها في أيام منى فأجازها بعضهم في أيام منى ومنعه آخرون وقالوا إذا فاتته الأيام الأول وجب الهدي في ذمّته ومنعه مالك قبل الشروع في عمل الحج وأجازه أبو حنيفة عندنا يصوم الثلاثة الأيام ما لم ينقض شهر ذي الحجة وأما السبعة الأيام فاتفقوا على أنه إن صامها في أهله أجزأه واختلفوا إذا صامها في الطريق فقائل يجزيه وبه أقول وقائل لا يجزيه الهدي أولى في المناسبة في كفارة المتمتع فإنه بدل من تمتعه وبالهدي يتمتع من تصدّق عليه منه والصوم نقيض التمتع وأما مناسبة الصوم فيه فلأنه تمتع بالإحلال فجوزي بنقيض التمتع وهو الصوم فرجح الحق في هذه الكفارة التمتع بالهدي في حق من تصدّق عليه به فإذا لم يجد حينئذ قوبل بنقيض التمتع وهو الصوم انتهى الجزء الثالث والسبعون.

الجزء الرابع والسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث مكة والمدينة شرفهما الله

الحديث الأول في دخول مكة والخروج منها على الاقتداء بالسنة

خرّج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلى الثنية العليا تسمى كداء بالمدّ والفتح والهمز والثنية السفلى تسمى كدي بالضم والقصر لما كانت مكة أشرف بقاع الأرض وموطناً لظهور يمين الحق وحضرة المبايعة أشبهت كثيب المسك الأبيض في جنة عدن موطن الزور الأعظم والرؤية العامة والكثيب أشرف مكان في جنة عدن وعدن أشرف الجنان لأنها قصبة الجنة والقصبة حيث تكون دار الملك وهي دار تورث من قصدها الإمداد الإلهيّ والفتح في العلم الإلهي الذي تعطيه المشاهدة فلهذا شرع الدخول إلى مكة من كداء بفتح الكاف للفتح الإلهيّ في كاف التكوين من قوله كن والمد للإمداد الإلهيّ فرع عن الأصل لأن الأصل في الكون الفقر والقصور والعجز ولهذا يجوز في ضرورة الشعر قصر الممدود لأنه رجوع إلى الأصل ولا يجوز له مدّ المقصور لأنه خروج عن الأصل فلا يخرج إلا بموجب وما هو ثم فإن الموجب للمدّ المزاد في الحرف من الكلمة إنما هو الهمزة أولاً كآ من وآخرا كجاء أو الحرف المشدّد مثل الطامّة والصاخة والدابة والتشديد هو تضعيف الحرف والتضعيف زيادة لأنه دخول حرف في حرف وهو الإدغام فهو ظهور عبد بصفة رب فكان له المزيد وأخذ المد إذ لم يكن له ذلك بالأصل وكذلك ظهور رب بصفة عبد في تترل إلهيّ فهو من باب الإدغام تشريف للعبد من الله وكل لنفسه سعى فأما السعي في حق العبد فمعلوم محقق لافتقاره وأمّا الهرولة في السعي المنسوبة إلى الله فصفة تطلب الشدة في الطلب أكثر من طلب الساعي بغير صفة الهرولة فدل على أن الطلب هناك أشد لأجل تعطيل حكم ما تقتضيه الأسماء الإلهية ولهذا يقول في تجليه هل من تائب فأتوب عليه فهو سؤال من الاسم التواب هل من داع فأجيبه فهذا لسان الاسم المجيب هل من مستغفر فأغفر له هذا لسان الاسم الغفور لأنه إن لم يكن في الكون من يستدعي هذا الاسم وإلا بقي معطل الحكم فلهذا كان سعيه هرولة وطلبه أشد لأنه لا يليق به النقص والعبد كله نقص وضعف فليس له لضعه شدة السرعة في السعي لأنه يفتقر إلى المعين بقوله وإياك نستعين وأمّا إذا خرج خرج من كدي بضم الكاف والقصر وهو ما اكتسبه في حضرة الحق من الرفعة وجار في كاف التكوين وهو المقول عندنا الفعل بالهمة فلهذا رفع الكاف قال الحق لأبي يزيد أخرج إلى خلقي بصفتي فمن رآك رآني وهو ظهور صفات الربوبية عليه ألا ترى خلفاء الحق في العباد لهم الأمر والنهي والحكم والتحكم وهذه صفات الإله والسوقة مأمورة بالسمع والطاعة وأعطاه القصر في كدى ينبهه وإن كنت خرجت بصفتي فلا تحجبنك عن عبوديتك فالقصر والعجز لا يفارقك فإنك مهما فارقك ذلك قصمتك فخرج حين خرج من مكة حضرة الله لرعيته رفيعاً بشرف الحضرة مشاهدا لعبوديته بالقصر فلهذا كان يدخل من كداء ويخرج من كدي وهذا القدر في الحج كاف فإن فروعه تطول لو تقصيناها ما وفي بها العمر فما بقي الأفضل مكة والمدينة والزيارة تكون بذلك خاتمة الباب.

الحديث الثاني أرض مكة خير أرض الله

خرّج النسائي عن عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة يقول لمكة إنك والله لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم للقرآن فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً فإن كانوا في السلم سواء فأكبرهم سناً فمن اجتمع فيه مثل هذه الخصال صح له التقديم ومن صح له التقدم كان متبوعاً وكان أحق بالله من التابع والبيت المكي أول بيت وضع للناس معبداً والصلاة فيه أفضل من الصلاة فيما سواه فهو أقدمهم بالزمان وهو اعتبار السنّ فله تقدم السنّ وما يتقدم بالسنّ إلا من حوى جميع الفضائل كلها فإنه جاء آخراً فلو اكتفينا بهذا لكان فيه غنى عن ذكر ما سواه وإن نظرنا إلى الهجرة فإنه بيت مقصود ينبغي الهجرة إليه والحجر الأسود من جملة أحجاره وهو أقدم الأحجار هجرة من سائر الأحجار هاجر من الجنة إليه فشرفه الله باليمين وجعله للمبايعة وأمّا أكثرهم قرآناً فإنه أجمع للخيرات من سائر البيوت لما فيه من الآيات البينات من حجر وملتزم ومستجار ومقام إبراهيم وزمزم إلى غير ذلك وأمّا علمه بالسنة فإن السنن فيه أكثر لكثرة مناسكه واحتوائه على أفعال وتروك لا تكون في غيره من العبادات ولا في بيت من البيوت فإنه نحل الحج وأمّا السلم فإنه أقدم الحرم فهو سلم كله من دخله كان آمناً فصح له التقدم من كل وجه على كل بلد وكل بيت.

الحديث الثالث تحريم مكة

خرّج مسلم عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب فقال إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وإنها لا تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعيدي ألا وإنها أحلت لي ساعة من نهار ألا وإنها ساعتي هذه وهي حرام لا يخبط شوكها ولا يعضد شجرها ولا يلقط ساقطتها إلا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يعطى يعني الدية وإما أن يقاد أهل القتيل الحديث فهذا هو حمى الله وحرمه ولا موجود أعظم من الله فلا حمى ولا حرم أعظم من حرم الله ولا حماه في الإمكان فإن مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس كذا قال صلى الله عليه وسلم وقال أيضاً في حديث مسلم "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة" الحديث وهو قوله تعالى "قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها".

الحديث الرابع في منع حمل السلاح بمكة

خرّج مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة لما كان السلاح عدّة للخائف أو لمتوقع الخوف أو لآخذ بثار أو لمتعدّي يدفع بذلك عن نفسه إن نوزع في غرضه والله تعالى قد جعله حرماً آمناً فلم يكن لحمل السلاح فيه معنى.

الحديث الخامس في زمزم

خرّج أبو داود الطيالسيّ عن أبي ذر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في زمزم أنها مباركة طعام طعم وشفاء سقم.

الحديث السادس فيه

خرّج الدارقطني من حديث جابر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له وهذا الخبر صح عندي بالذوق فإني شربته لأمر فحصل لي.

الحديث السابع في تغريب ماء زمزم لفضله

ذكره الترمذيّ عن عائشة أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله وهو حديث حسن غريب.

الحديث الثامن في دخول مكة بالإحرام

ذكر أبو أحمد بن عديّ الجرجانيّ من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد مكة إلا بإحرام من أهلها أو من غير أهلها وفي إسناده مقال وحمل الإحرام المذكور في هذا الحديث عندي على أنه لا يدخلها إلا محترماً لها إذ قد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام وقال في توقيت المواقيت لمن أراد الحج والعمرة.

الحديث التاسع في احتكار الطعام بمكة

ذكر مسلم من حديث يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه وقال تعالى "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم" ولا يؤخذ أحد بإرادة السوء والظلم في غير حرم مكة وأحاديث شرفها كثيرة وأما أحاديث المدينة فمنها حديث الزيارة وهو الأول خرّج الدارقطنيّ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي.

الحديث العاشر في فضل من مات فيها

ذكر الترمذيّ عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها وهو حديث صحيح.

الحديث الحادي عشر في تحريم المدينة

ذكر مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني أحرّم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها" وقال "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على

لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة" ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء.

الحديث الثاني عشر فيمن صاد في المدينة

ذكر أبو داود عن سليمان بن أبي عبد الله قال رأيت سعد بن أبي وقاص أخذ رجلاً يصيد في حرم المدينة الذي حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلبه ثيابه فجاؤا يعني مواليه فكلموه فيه فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّم هذا الحرم وقال من أخذ أحداً يصيد فيه فليسلبه فلا أردّ عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه.

الحديث الثالث عشر في نقل حمى المدينة إلى الجحفة

ذكر مسلم عن عائشة قالت قدمنا المدينة وهي وبئة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه قال اللهمّ حبب إلينا المدينة كما حببت مكة وأشدّ وأصححها لنا وبارك لنا في صاعها ومدّها وحوّل حماها إلى الجحفة.

الحديث الرابع عشر في طيبها ونفيها الخبث

ذكر مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال إنها طيبة يعني المدينة وأنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة وقال صلى الله عليه وسلم إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها خرّجه مسلم من حديث جابر.

الحديث الخامس عشر في عصمة المدينة من الدجال والطاعون

ذكر مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الدجال ولا الطاعون".

الحديث السادس عشر في عدم دخول الدجال المدينة

خرّج البخاريّ عن أبي بكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال "لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب لكل باب ملكان" وأما حديث فضل الصلاة في مسجد المدينة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى فمشهور.

الحديث السابع عشر في تحريم وادي وج من الطائف

ذكر تحريمه أبو داود عن عروة بن الزبير قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن الأسود حذوها فاستقبل وجاء ببصره وقال مرة واديه ووقف حتى أنفد الناس كلهم ثم قال "إن صيد وج وعضاهه حرام محرّم لله" وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً وصل وأما حكمة حرم المدينة فلان الله قرن

الشهادة بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته بشهادة التوحيد تشريفاً له وأنه لا يكون الإيمان إلا بهما والله قد حرّم مكة فجعل لرسوله صلى الله عليه وسلم تحريم المدينة تأييداً لشرف الشهادة فجعل له أن يحرّم كما حرّم الله ثم إن الله وتر يحب الوتر وقد شفع حرمة الحرم بحرمة المدينة فجعل حرماً ثالثاً للوترية وجعل تحريمه لله لا للنبيّ صلى الله عليه وسلم لأنه الوتر ولهذا ما حرّم إلا ما هو مجاور مكة يؤذن أن الحرمة لله فيه كالحرمة لمكة ولهذا قال حرام محرم لله فبهذا قد ذكرنا من الأحاديث الواردة في الحرمين والحرم الثالث الذي أوترهما فإما زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فلكونه لا يكمل الإيمان إلا بالإيمان به فلا بد من قصده للمؤمن من يطع الرسول فقد أطاع الله فلما جاءت الشفعية بالطاعة والله وتر يحب الوتر ثلث الطاعة للوتر المطلوب في الأشياء كما فعل في الحرم فقال "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" فأوتر ومن شرط المبايعة لأولى الأمر السمع والطاعة في المنشط والمكره فإن قيل فالأشهر الحرم أربعة قلنا صدقت ولما علمها الله أربعة لم يجعلها سرداً من أجل حب الوترية فجعل ثلاثة منها سرداً وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم فثبت الوترية وجعل الرابع رجب وسماه رجب الفرد إثباتاً للوترية وذلك لأن الله وتر يحب الوتر في الأشياء ليرى صورة وتريته فيها فلا يرى إلا رتبته ولا يحب إلا صفته ولهذا خرج العالم على صورة الأسماء الإلهية ليكون مجلاه فلا يرى في الوجود إلا هو سبحانه لا إله إلا هو وصل رأينا أن نقيد في خاتمة هذا الباب ما رويناه من الافتخار بين الحرمين وهو ما حدّثنا به محمد بن إسمعيل بن أبي الصيف اليمني نزيل مكة قال حدّثنا حسن بن علي قال حدّثنا الحسين بن خلف بن هبة بن قاسم الشاميّ قال حدّثنا أبي قال حدّثنا الحسين بن أحمد ابن فراس قال حدثنا أبي عن أبيه إبراهيم بن فراس عن أبي محمد إسحق بن نافع الخزاعي عن إبراهيم بن عبد الرحمن المكيّ عن محمد بن عباس المكي قال أخبرنا بعض مشايخ المكيين أن داود بن عيسى بن موسى هو موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ولي مكى والمدينة أقام بمكة وولى ابنه سليمان المدينة فأقام بمكة عشرين شهراً فكتب إليه أهل المدينة وقال الزبير بن أبي بكر كتب إليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن مخراق يسأله التحوّل إليهم ويعلمونه أن مقامه بالمدينة أفضل من مقامه بمكة واهدوا إليه في ذلك شعراً قاله شاعرهم يقول فيه:

أداود قد فزت بالمكرمات	وبالعدل في بلد المصطفى
وصرت ثمالاً لأهل الحجاز	وسرت بسيرة أهل التقى
وأنت المهذب من هاشم	وفي منصب العز والمرتجى
وأنت الرضي للذي نابهم	وفي كل حال ونجل الرضى
وبالفيء أغنيت أهل الخصاص	فعدلك فينا هو المنتهى
ومكة ليست بدار المقام	فهاجر كهجرة من قد مضى
مقامك عشرون شهراً بها	كثير لهم عند أهل الحجى
فصم ببلاد الرسول التي	بها الله خص نبيّ الهدى
ولأنفينك عن قربه	مشير مشورته بالهوى
فقبر النبيّ وآثاره	أحق بقربك من ذي طوى

قال فلما ورد الكتاب والأبيات على داود بن عيسى أرسل إلى رجال من أهل مكة فقرأ عليهم الكتاب فأجابه رجل منهم يقال له عيسى بن عبد العزيز السعلبوس بقصيدة يردّ عليه ويذكر فيها فضل مكة وما خصها الله تعالى به من الكرامة والفضيلة ويذكر المشاعر والمناقب فقال وفقه الله هذه القصيدة:

أداود أنت الإمام الرضي ... وأنت ابن عمّ نبيّ الهدى

وأنت المهذب من كل عيب ... كبيراً ومن قبله في الصبى

وأنت المؤمل من هاشم ... وأنت ابن قوم كرام تقى

وأنت غياث لأهل الخصاص ... تسدّ خصاصتهم بالغنى

أتاك كتاب حسود جحود ... أسافي مقالته واعتدى

يخير يثرب في شعره ... على حرم الله حيث ابتنى

فإن كان يصدق فيما يقول ... فلا يسجدنّ إلى ما هنا

وأي بلاد تفوق أمّها ... ومكة مكة أمّ القرى

وربى دحا الأرض من تحتها ... ويثرب لا شك فيما دحا

وبيت المهيمن فينا مقيم ... يصلى إليه برغم العدى

ومسجدنا بين فضله ... على غيره ليس في ذا مرا

صلاة المصلى تعدّ له ... مئين الوفا صلاة وفا

كذاك أتى في حديث النبي ... وما قال حق به يقتدى

وأعمالكم كل يوم وفود ... إلينا شوارع مثل القطا

فيرفع منها إلهي الذي ... يشاء ويترك ما لا يشا

ونحن تحج إلينا العباد ... فيرمون شعثاً بوتر الحصى

ويأتون من كل فج عميق ... على أنيق ضمر كالقنا

لتقضوا مناسككم عندنا ... فمنهم سغاب ومنهم معى

فكم من ملب بصوت حزين ... ترى صوته في الهوا قد علا

وآخر يذكر رب العباد ... ويثني عليه بحسن الثنا

فكلهمو أشعث أغبر ... يؤم المعرف أقصى المدى

فظلوا به يومهم كله ... وقوفاً يضجون حتى المسا

حفاة ضحاة قياماً لهم عجيج يناجون رب السما
رجاً وخوفاً لما قدموا وكل يسائل دفع البلا
يقولون يا ربنا اغفر لنا بعفوك والصفح عمن أسا
فلما دنا الليل من يومهم وولى النهار أجدوا البكا
وسار الحجيج له رجة فحلوا بجمع بعيد العشا
فباتوا جميعاً فلما بدا عمود الصباح وولى الدجى
دعوا ساعة ثم شدوا الشسوع على قلص ثم أموا منى
فمن بين من قد قضى نسكه وآخر يبدأ بسفك الدما
وآخر يهدي إلى مكة ليسعى ويدعوه فيمن دعا
وآخر يرمل حول الطوف وآخر ماض يوم الصفا
فآبوا بأفضل مما رجوا وما طلبوا من جزيل العطا
وحج الملائكة المكرمون إلى أرضنا قبل فيما مضى
وآدم قد حج من بعدهم ومن بعده أحمد المصطفى
وحج إلينا خليل الإله وهجر بالرمي فيمن رمى
فهذا لعمري لنا رفعة حبانا بهذا شديد القوى
ومنا النبي نبي الهدى وفينا تنبا ومنا ابتدى
ومنا أبو بكر بن الكرام ومنا أبو حفص المرتجى
وعثمان منا فمن مثله إذا عدد الناس أهل الحيا
ومنا عليّ ومنا الزبير وطلحة منا وفينا انتشا
ومنا ابن عباس ذو المكرمات نسيب النبي وحلف الندا
ومنا قريش وآباؤها فنحن إلى فخرنا المنتهى
ومنا الذين بهم تفخرون فلا تفخرون علينا بنا
ففخر أولاء لنا رفعة وفينا من الفخر ما قد كفا
وزمزم والحجر فينا فهل لكم مكرمات كما قد لنا
وزمزم طعم وشرب لمن أراد الطعام وفيه الشفا
وزمزم تنفي هموم الصدور وزمزم من كل سقم دوا

ومن جاء زمزم من جائع إذا ما تضلع منها اكتفى
وليست كزمزم في أرضكم كما ليس نحن وأنتم سوا

وفينا سقاية عم الرسول ومنها النبي املاى وارتوى
وفينا المقام فاكرم به وفينا المحصب والمختبى
وفينا الحجون ففاخر به وفينا كداء وفينا كدى
وفينا الأباطح والمروتان فبخ بخ فمن مثلنا يا فتى
وفينا المشاعر منشا النبي وأجياد والركن والمتكى
وثور وهل عنكم مثل ثور وفينا ثبير وفينا حرا
وفيه اختباء نبي الإله ومعه أبو بكر المرتضى
فكم بين أحد إذا جاء فخر وبين القبيسيّ فيما ترى
وبلدتنا حرم لم تزل محرمة الصيد فيما خلا
ويثرب كانت حلالاً فلا تكذب فكم بين هذا وذا
وحرّمها بعد ذاك النبيّ فمن أجل ذلك جا ذا كذا
ولو قتل الوحش في يثرب فما فدى الوحش حتى اللقا
ولو قتلت عندنا نملة أخذتم بها أو تؤدّوا الفدا
ولولا زيارة قبر النبيّ لكنتم كسائر من قد ترا
وليس النبيّ بها ثاوياً ولكنه في جنان العلى
فإن قلت قولاً خلاف الذي أقول فقد قلت قول الخطا
فلا تفحشنّ علينا المقال ولا تنطقنّ بقول الخنا
ولا تفخرنّ بما لا يكون ولا ما يشينك عند الملا
ولا تهج بالشعر أرض الحرام وكيف لسانك عن ذي طوى
وإلا فجاءك ما لا تريد من الشتم في أرضكم والأذى
فقد يمكن القول في أرضكم بسب العقيق ووادي قبا

فأجابهما رجل من بني عجل ناسك كان مقيماً بجدّة مرابطاً فحكم بينهما فقال:

إني قضيت على الذين تماريا في فضل مكة والمدينة فاسألوا

فلسوف أخبركم بحق فافهموا فالحكم وقتاً قد يجور ويعدل
فأنا الفتى العجليّ جدة مسكني وخزانة الحرم التي لا تجهل
وبها الجهاد مع الرباط وإنها لبها الوقيعة لا محالة تنزل
من آل حام في أواخر دهرها وشهيدها بشهيد بدر يعدل
شهداؤنا قد فضلوا بسعادة وبها السرور لمن يموت ويقتل
يا أيها المدنيّ أرضك فضلها فوق البلاد وفضل مكة أفضل
أرض بها البيت المحرّم قبلة للعالمين بها المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها وإلى فضيلها البرية ترحل
وبهذا المقام وحوض زمزم مترعاً والحجر والركن الذي لا يجهل
والمسجد العالي الممجد والصفا والمشعران ومن يطوف ويرمل
هل في البلاد محلة معروفة مثل المعرّف أو محل يحلل
أو مثل جمع في المواطن كلها أو مثل خيف منى بأرض منزل
تلكم مواضع لا يرى بخرابها إلا الدعا ومحرم ومحلل
شرفاً لمن وافى المعرف ضيفه شرفاً له ولأرضه إذ ينزل
وبمكة الحسنات يضعف أجرها وبها المسيء عن الخطيئة يسئل
يجزي المسيء على الخطيئة مثلها وتضاعف الحسنات منه وتقبل
ما ينبغي لك أن تفاخر يا فتى أرضاً بها ولد النبيّ المرسل
بالشعب دون الردم مسقط رأسه وبها نشأ صلى الله عليه المرسل
وبها أقام وجاءه وحي السما وسرى به الملك الرفيع المنزل
ونبوّة الرحمن فيها أنزلت والدين فيها قبل دينك أوّل
هل بالمدينة هاشميّ ساكن أو من قريش ناشيء أو مكهل
إلا ومكة أرضه وقراره لكنهم عنها نبوا فتحوّلوا
وكذاك هاجر نحوكم لما أتى إن المدينة هجرة فتحملوا

فأجرتموا وقريتموا ونصرتمو خير البرية حقكم أن تفعلوا

فضل المدينة بين ولأهلها فضل قديم نوره يتهلل

من لم يقل أن الفضيلة فيكمو قلنا كذبت وقول ذلك أرذل

لا خير فيمن ليس يعرف فضلكم من كان يجهله فلسنا نجهل

في أرضكم قبر النبيّ وبيته والمنبر العالي الرفيع الأطول

وبها قبور السابقين بفضلهم عمر وصاحبه الرفيق الأفضل

والعترة الميمونة اللاتي بها سبقت فضيلة كل من يتفضل

آل النبيّ بنوا عليّ أنهم أمسوا ضياء للبرية يشمل

يا من تنص إلى المدينة عينه فيك الصغار وصعر خدّك أسفل

إنا لنهواها ونهوى أهلها ووددها حق على من يعقل

قل للمدينيّ الذي يزدادردا ود الأمير ويستحث ويعجل

قد جاءكم داود بعد كتابكم قد كان حبلك في أميرك يفتل

فاطلب أميرك واستزره ولا تقع في بلدة عظمت فوعظك أفضل

ساق الإله لبطن مكة ديمة تروى بها وعلى المدينة تسبل

انتهى الجزء الرابع والسبعون.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث والسبعون في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة والانحراف وعلى كم ينحرف من المقابلة

ملائكة الإله أتت إلينا لتوقفنا على النبأ اليقين
فقالت قول معصوم عليم برئ من ملابسة الظنون
ثمانية وعشر قد أتتنا جهارا ثم عشر في كمين
ثمانية أشداء غلاظ وخمستهم أشداء بلين
بأربعة وعشرين افتتحنا وما يعلو بسبعتهم قريني
وخامس عشرة في لين عيش وأربعة لتطبيق الجفون
وفي إحدى وعشرين انسفلنا عن التقويم بالبلد الأمين
مددنا ظلنا لحجاب غصن على الأقوام في عطف ولين
صلاة المشركين بها مكاء مثلثة تحليني بديني
وواحد استطال فصال قهرا ومنحرف توحد في الوتين
إذا أنفش الوحيد يصير جمعا ويهوي مثله يهواه دونى
تفرقت الهموم غداة ثبت ويعرفها المتيم بعد حين
بشفع من ابناتكم غنينا فكرر واحد الصبح المبين
وإن زوائد الأفلاك عشر وللبدلاء أبراج الشؤن
ومن عقد المئين لنل ثلاث على قلب لآدم عن يقين
وإن الاربعين لقلب نوح على بيضاء بالنور اليقين
على قلب الخليل لنا رجال سباعية كآساد العرين
وخمسة أنفس لهم ثبات بقلب الطاهر الروح الأمين
وميكائيل يتلوه ثلاث تمسكهن بالحبل المتين

واسرافيل يتبعه وحيد بقلب قد تفنن بالفنون

تقلقهم عن التثييب خمس ولولاهن كانوا في سكون

وينصرني على الإشراك وترى تلقى نصر ذلك باليمين

نجيب من ثمانية كرام وثنتا عشرة نقباء دين

أقاليم البلاد لها رجال على التمثيل في رأى العيون

وتحرسنا بأربعة رجال من الأوتاد في الحصن الحصين

إمام العالمين هما وزيرا مليك العالم القطب المكين

وستة أنفس لجهات ست أئمتهن من نور وطين

فهذا الرمزان فكرت فيه ترى سر الظهور مع الكمون

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن هذا الباب يتضمن أصناف الرجال اللذين يحصرهم العدد والذين لا توقيت لهم ويتضمن المسائل التي لايعلمها إلا الاكابر من عباد الله الذين هم في زمانهم بمترلة الأنبياء في زمان النبوة وهي النبوة العامه فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم أنما هي نبوة التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخا لشرعه صلى الله عليه وسلم ولايزيد في حكمه شرعا آخر وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي أي لانبي بعدي يكون على شرع يخالف شرعي بل إذا كان يكون تحت حكم شريعتي ولا رسول أي لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه فهذا هو الذي انقطع وسد بابه لا مقام النبوة فإنه لا خلاف أن عيسى عليه السلام نبي ورسول وإنه لا خلاف إنه يترل في آخر الزمان حكماًمقسطاً عدلاًبشرعنا لا بشرع آخر ولا بشرعه الذي تعبد الله به بني إسرائيل من حيث ما نزل هو به بل ما ظهر من ذلك هو ما قرره شرع محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة عيسى عليه السلام ثابتة له محققة فهذا نبي ورسول قد ظهر بعده صلى الله عليه وسلم وهو الصادق في قوله أنه لا نبي بعده فعلمنا قطعاً أنه يريد الشريع خاصة وهو المعبر عنه عند أهل النظر بالاختصاص وهو المراد بقولهم أن النبوة غير مكتسبة وأما القائلون باكتساب النبوة فإنهم يريدون بذلك حصول المترلة عند الله المختصة من غير تشريع لا في حق أنفسهم ولا في حق غيرهم فمن لم يعقل النبوة سوى عين الشرع ونصب الأحكام قال بالاختصاص ومنع الكسب فإذا وقفتم على كلام أحد من أهل الله أصحاب الكشف يشير بكلامه إلى الاكتساب كأبي حامد الغزالي وغيره فليس مرادهم سوى ماذكرناه وقد بينا هذا في فصل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم آخر باب الصلاة من هذا الكتاب وهؤلاء هم المقربون الذين قال الله فيهم عينا يشرب بها المقربون وبه وصف الله نبيه عيسى عليه السلام فقال وجيها في الدنيا والأخرة ومن المقربين وبه وصف الملائكة فقال ولا الملائكة المقربون ومعلوم قطعاً أن جبريل كان يترل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يطلق عليه في الشرع أسم نبي مع أنه بهذه المثابة فالنبوة مقام عند الله يناله البشر وهو مختص بالأكابر من البشر يعطي للنبي المشرع ويعطي للتابع لهذا النبي المشرع الجاري على سنته قال تعالى " ووهبنا له أخاه هارون نبياً فإذا نظر إلى هذا المقام بالنسبة إلى التابع أنه بأتباعه حصل له هذا المقام سمى مكتسبا والتعامل بهذا الاتباع اكتسابا و لم يأنه شرع من ربه يختص به

ولا شرع يوصله إلى غيره وكذلك كان هارون فسددنا باب إطلاق لفظ النبوة على هذا المقام مع تحققه لئلا يتخيل متخيل أن المطلق لهذا اللفظ يريد نبوة التشريع فيغلط كما اعتقده بعض الناس في الامام أبي حامد فقال عنه أنه يقول باكتساب النبوة في كيمياء السعادة وغيره معإذا الله أن يريد أبو حامد غير ماذكرناه وسأذكر إن شاء الله مايختص به صاحب هذا المقام من الأسرار الخاصة به التي لا يعلمها إلا من حصله فإذا سمعتني أقول في هذا الباب ومما يختص بهذا المقام كذا فاعلم أن ذلك الذي أذ كره هو من علوم أهل هذا المقام فلنذكر أولاً شرح مابوبنا عليه من المقابلة والانحراف "وصل" اعلم أن للحق سبحانه في مشاهدة عباده إياه نسبتين نسبة تتريه ونسبة تتريل الى الخيال بضرب من التشبيه فنسبة التتريه تجليه في ليس كمثله شيء والنسبة الأخرى تجليه في قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه وقوله أن الله في قبلة المصلى وقوله تعالى " فأينما تولوا فثم وجه الله وثم ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته والأحاديث والآيات الواردة بالألفاظ التي تطلق على مخلوقات باستصحاب معانيها إياها ولولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها إذ لم يرد عن الله شرح ما أراد بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التعريف الإلهي قال تعالى "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " يعني بلغتهم ليعلموا ما هو الأمر عليه و لم يشرح الرسول المبعوث بهذه الألفاظ هذه الألفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الإصطلاح فننسب تلك المعاني المفهومة من تلك الألفاظ الواردة إلى الله تعالى كما نسبها لنفسه ولا يتحكم في شرحها بمعان لا
يفهمها أهل ذلك اللسان الذي نزلت هذه الألفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم ونقر بالجهل بكيفية هذه النسب وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة من غير مخالف في ذلك فإذا تقرر عندك ما ذكرناه من هاتين النسبتين للحق المشروعتين وأنت المطلوب بالتوجه بقلبك وبعبادتك إلى هاتين النسبتين فلا تعدل عنهما إن كنت كاملاً أو إلى إحداهما إن كنت نازلاً عن هذه المرتبة الكمالية أما لما يقوله أهل الكلام في الله من حيث عقولهم وأما لما توهمه القاصرة عقولهم من تشبيه الحق بخلقه فهؤلاء جهلوا وهؤلاء جهلوا والحق في الجمع بينهما وقد ورد الخبر في النشأة الآدمية أن الله خلق آدم صورته وورد في القرآن أن الله خلقه بيديه على جهة التشريف لقرينة الحال حين عرف بذلك إبليس لما ادعى الشرف على آدم بنشأته فقال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ولا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على أن تكون الواحدة يد النعمة والآخرى يد القدرة فإن ذلك سائغ في كل موجود فلا شرف لآدم بهذا التأويل فلا بد أن يكون لقوله بيدي خلاف ما ذكرناه مما يصح به التشريف فتوجهت إلى خلق الإنسان هاتان النسبتان نسبة التتريه ونسبة التشبيه فخرج بنو آدم لهذا على ثلاث مراتب كامل وهو الجامع بين هاتين النسبتين أو واقف مع دليل عقله ونظر فكره خاص أو مشبه بما أعطاه الفظ الوارد ولارابع لهم من المؤمنين فالمقابلة أو الانحراف لا تكون إلا من جهة نسبة التترل الإلهي الخيالي في قوله عليه السلام اعبد الله "كأنك تراه" في هذا هي المقابلة للمعبود والانحراف عن هذه المقابلة إما بتتريه وهو انحراف المتكلمين وإما بتشبيه محدود وهو انحراف المجسمين والكمل هم أهل القول بالأمرين وهذه الحضرة التي ذكرناها تحوي على ستين وثلاثمائة مقام منها ستة وثلاثون أمهات وما بقي فهي نازلة عن هذه الستة والثلاثين تحصل كلها لأهل الشهود من الاسم الدهر فإن الله هو الدهر ولا يتوهم من هذا القول الزمان المعروف الذي تعده حركات الأفلاك وتتخيل من ذلك درجات الفلك التي تقطعها الكواكب ذلك هو الزمان وكلامنا إنما هو في الاسم الدهر ومقاماته التي ظهر عنها الزمان والزمان على التحقيق قد عرفناك إنه نسبة لا أمر وجودي وأنه للمحدث بمترلة الأزل للقديم فهذه المقامات تحصل لأهل الشهود إذا قابلوها بذواتهم من حيث خلقهم على الصورة كذلك يقابل الزمان الدهر

والأبد يقابله الأزل ولا يكون منهم عند المقابلة نظر إلى كون أصلاً يميزونه عن ذواتهم وذوات ما قابلوه فإن وقع لمن هذا مقامه تميز لكون من الأكوان أو للذي قابلوه يميز لهم عما قابلوه من ذواتهم فقد حدوه وانحرفوا عن المقابلة وانحطوا بذلك إلى ثمانية عشر مقاماً وهو النصف فأما أن يكون انحرافهم إليه أواليهم فإن كان إليه تعالى فقد غابوا عنهم والمطلوب منهم حضورهم بهم له وإن كان الانحراف إليهم فقد غابوا عنه والمطلوب حضورهم فإن زاد الانحراف انحطوا إلى نصف ذلك وهو تسعة مقامات فغاب عنهم من الذي انحطوا عنه النصف فإن زاد الانحراف انحطوا إلى ستة مقامات وهو غاية الانحطاط وهو الثلث من الثمانية عشر والسدس من المجموع الذي هو ستة وثلاثون فمنزل العبد الكامل يكون بين هاتين النسبتين يقابل كل نسبة منها بذاته فإنه لا ينقسم في ذاته وما لا ينقسم لا يوصف بأنه يقابل كل نسبة بغير الذي يقابل بها الأخرى وما ثم إلا ذاته كالجوهر الفردين الجوهرين أو الجسمين يقابل كل واحد مما هو بينهما بذاته لأن ما لا ينقسم لا يكون له جهتان مختلفتان في حكم العقل وإن كان الوهم يتخيل ذلك كذلك الإنسان من حيث حقيقته ولطيفته يقابل بذاته الحق من حيث نسبه التنزيه وبذلك الوجه عينه يقابل الحق من حيث صفة النزول الإلهي إلى الاتصاف بالصفات التي توهم التشبيه وهي النسبة الأخرى وكما أن الحق الذي هو الموصوف بهاتين النسبتين وأحد في نفسه وأحد يته و لم تحكم عليه هاتان النسبتان بالتعداد والانقسام في ذاته كذلك العبد الكامل في مقابلة الحق في هاتين النسبتين لا يكون له وجهان متغايران فهذه هي المقابلة للحق من جميع النسب على كثرتها فإنها وإن كثرت فهي راجعة إلى هاتين النسبتين وليستا بأمر زائد على عين الموصوف بها فالكل عين واحدة وما ثم كل وجودي وإنما جئنا به من حيث
النسب وهي لا أعيان لها فالعين من الحق واحدة والعين من العبد واحدة لكن عين العبد ثبوتية ما برحت من أصلها ولا خرجت من معدنها ولكن كساها الحق حلة وجوده فعينها باطن وجوده ووجودها عين موجدها فما ظهر إلا الحق لا غيره وعين العبد باق على أصله لكنه . استفاد ما لم يكن عنده من العلم بذاته وبمن كساه حلة وجوده وبمعرفة أمثاله ورأى العالم بعضه بعضا بعين وجود ربه فمن نظر إلى ذاته بعين ربه و لم يميز فقد انحرف عما ينبغي له فهو العبد الموصوف بالجهل في عين الحق وحكمه في هذا الوصف والحال حكم من لم يتصف بالوجود لأن الجهل عدم فمن قال في رؤيته ما رأى الله إلا الله فهو العبد الكامل وهكذا في كل نسبة وهذا اسنى درجات المعارف وتليها المعرفة الثانية التي يقول فيها صاحبها كنت مغمض العينين ففتحتها فما وقعت على شيء ألا كان هو الله فما رأيت شيأً والمعرفة الرابعة أن يقول ما رأيت شيأ ألا رأيت الله قبله وهذه رؤية تحديد وكذلك فيما نزل عن هذه المعرفة من فيه وبعد وعنده وغير ذلك وهي هذه المعارف التي تعطي التحديد من النسبة النزولية التي توهم التشبيه والمعارف الأول التي ذكرناها من مقام كون العبد بين النسبتين لا غير وأما المعارف التي تحصل من نسبة التنزيه فلا تنقال ولا تأخذها عبارة ولا تصح فيها الإشارة فإنحصر لك الأمر في ثلاث معارف أمهات معرفة نسبة التنزيه ومعرفة نسبة التحديد والتشبيه ومعرفة أعطاها مقامك بين هاتين النسبتين وهو عينك لاوجود عينك لكون وجود عينك هو وجود الحق فلا ينسب إليك فمن لا علم له بهذه الأمهات فهو المنحرف واعلم أن الله في كل نوع من المخلوقات خصائص وقد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب وهذا النوع الإنساني هو من جملة الأنواع ولله فيه خصائص وصفوه وأعلى الخواص فيه من العباد الرسل عليهم السلام ولهم مقام النبوة والولاية والايمان فهم أركان بيت هذا النوع والرسول أفضلهم مقاما وأعلاهم حالاً أي المقام الذي يرسل منه أعلى منزلة عند الله من سائر المقامات وهم الأقطاب والأئمة والأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم كما يحفظ البيت بأركانه فلو زال ركن منها زال كون البيت بيتاً ألا أن البيت هو الدين ألا أن أركانه هي الرسالة والنبوة والولاية والايمان ألا أن الرسالة هي الركن الجامع للبيت وأركانه ألا أنها هي المقصودة

من هذا النوع فلا يخلو هذا النوع أن يكون فيه رسول من رسل الله كما لا يزال الشرع الذي هو دين الله فيه ألا أن ذلك الرسول هو القطب المشار إليه الذي ينظر الحق إليه فيبقى به هذا النوع في هذه الدار ولو كفر الجميع ألا أن الإنسان لا يصح عليه هذا الاسم ألا أن يكون ذا جسم طبيعي وروح ويكون موجودا في هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلا بد أن يكون الرسول الذي يحفظ الله به هذا النوع الإنساني موجودا في هذا النوع في هذه الدار بجسده وروحه يتغذى وهو مجلى الحق من آدم إلى يوم القيامة ولما كان الأمر على ما ذكرناه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يبدل ودخلت الرسل كلهم في هذه الشريعة يقومون بها والأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه فإنه قطب العالم الإنساني ولو كانوا ألف رسول لا بد أن يكون الواحد من هؤلاء هو الامام المقصود فأبقى الله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة وهم ادريس عليه السلام بقى حيا بجسده وأسكنه الله السماء الرابعة والسموات السبع هن من عالم الدنيا وتبقى ببقائها وتفنى صورها بفنائها فهي جزء من الدار الدنيا فإن الدار الأخرى تبدل فيها السموات والأرض بغيرهما كما تبدل هذه النشأة الترابية منا نشآت أخر غير هذه كما وردت الأخبار في السعداء من الصفاء والرقة واللطافة فهي نشآت طبيعية جسمية لا تقبل الأثقال فلا يغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون كما كانت هذه النشأة الدنياوية وكذلك أهل الشقاء وأبقى في الأرض أيضا ألياس وعيسى وكلاهما من المرسلين وهما قائمان بالدين الحنيفي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء ثلاثة من الرسل المجمع عليهم أنهم رسل وأما الخضر وهو الرابع فهو من المختلف فيه عند غيرنا لا عندنا فهؤلاء باقون بأجسامهم في الدار الدنيا فكلهم الأوتاد وأثنان منهم الامامان وواحد منهم القطب الذي هو موضع نظر الحق من

العالم فما زال المرسلون ولا يزالون في هذه الدار إلى يوم القيامة وأن لم يبعثوا بشرع ناسخ ولاهم على غير شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثر الناس لايعلمون والواحد من هؤلاء الأربعة الذين هم عيسى والياس وادريس وخضر هو القطب وهو أحد أركان بيت الدين وهو ركن الحجر الأسود واثنان منهم هما الامامان وأربعتهم هم الأوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان و بالثاني يحفظ الله الولاية و بالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي فالقطب من هؤلاء لايموت أبدا أي لا يصعق وهذه المعرفة التي أبرزنا عينها للناظرين لا يعرفها من أهل طريقنا ألا الأفراد الأمناء ولكن واحد من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة في كل زمان شخص على قلوبهم مع وجودهم هم نوابهم فأكثر الأولياء من عامة أصحابنا لا يعرفون القطب والامامين والوتد ألا النواب لا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ولهذا يتطاول كل واحد من الأمة لنيل هذه المقامات فإذا حصلوا أو خصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب ونائب الامام يعرف أن الامام غيره وأنه نائب عنه وكذلك الوتد فمن كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد أن جعل من أمته وأتباعه رسلاً وأن لم يرسلوا فهم من أهل المقام الذي منه يرسلون وقد كانوا أرسلوا فاعلم ذلك ولهذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرائه بالأنبياء عليهم السلام في السموات لتصح له الامامة على الجميع

حسابجسمانيته وجسمه فلما أنتقل صلى الله عليه وسلم بقى الأمر محفوظا بهؤلاء الرسل فثبت الدين قائما بحمد الله ماانهدم منه ركن إذ كان له حافظ يحفظه وأن ظهر الفساد في العالم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذه نكتة فأعرف قدرها فإنك لست تراها في كلام أحد منقول عنه أسرار هذه الطريقة غير كلامنا ولولا ما ألقى عندي في اظهارها ما أظهرتها لسر يعلمه الله ما أعلمنا به ولا يعرف ماذكرناه ألانوابهم خاصة لاغيرهم من الأولياء فاحمدوا الله ياأخواننا حيث جعلكم الله ممن قرع سمعه أسرار الله المخبوة في خلقه التي اختص الله بها من شاء من عباده فكونوا لها قابلين مؤمنين بها ولا تحرموا التصديق بها فتحرموا خيرها قال أبو يزيد

البسطامي وهو أحد النواب لأبي موسى الديبلي يا أباموسى إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة فقل له يدعولك فإنه مجاب الدعوة وسمعت شيخنا أبا عمران موسى بن عمران الميرتلي بمنزله بمسجد الرضى بأشبيلية وهو يقول للخطيب أبى القاسم بن عفير وقد أنكر أبو القاسم مايذكر أهل هذه الطريقة يا أبا القاسم لا تفعل فإنك أن فعلت هذا جمعنا بين حرمانين لانرى ذلك من نفوسنا ولا نؤمن به من غيرنا وماثم دليل يرده ولا قادح يقدح فيه شرعاً وعقلاً ثم استشهدني على ماذكره وكان أبو القاسم يعتقد فينا فقررت عنده ماقاله بدليل يسلمه من مذهبه فإنه كان محدثا فشرح الله صدره للقبول وشكرني الشيخ ودعا لي واعلم أن رجال الله في هذه الطريقة هم المسمون بعالم الأنفاس وهواسم يعم جميعهم وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة فمنهم من تجمع له الحالات كلها والطبقات ومنهم من يحصل من ذلك ما شاء الله وما من طبقة إلا لها لقب خاص من أهل الأحوال والمقامات التي يظهرون عليها في قوله ومعارج عليها يظهرون كل طائفة في جنسها ومنهم من يحصره عدد في كل زمان ومنهم من لا عدد له لازم فيقلون ويكثرون ولنذكر منهم أهل الأعداد ومن لا عدد لهم بألقابهم إن شاء الله فمنهم رضى الله عنهم الأقطاب وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة كما ذكرنا وقد يتوسعون في هذا الاطلاق فيسمون قطباً كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على ابناء جنسه وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد شيخ الجماعة قطب تلك الجماعة ولكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاًمن غير إضافة لا يكون منهم في الزمان إلا واحد وهو الغوث أيضاً وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن عبد العزيز والمتوكل ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له في الظاهر كأحمد بن هارون الرشيد السبتي وكأبي يزيد البسطامي وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر ومنهم رضى

الله عنهم الأئمة ولا يزيدون في كل زمان على إثنين لا ثالث لهما الواحد عبد الرب والآخر عبد الملك والقطب عبد الله قال تعالى وإنه لما قام عبد الله يعني محمداً صلى الله عليه وسلم فلكل رجل اسم إلهي يخصه به يدعى عبد الله ولو كان إسمه ما كان فالأقطاب كلهم عبد الله والأئمة في كل زمان عبد الملك وعبد الرب وهما اللذان يخلفإن القطب إذا مات وهما للقطب بمنزلة الوزيرين الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت والآخر مع عالم الملك ومنهم رضى الله عنهم الأوتاد وهم أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون رأينا منهم شخصاً بمدينة فاس يقال له ابن جمدون كان ينخل الحناء بالأجرة الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه والآخر المغرب والآخر الجنوب والآخر الشمال والتفسيم من الكعبة وهؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال لقوله تعالى "ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا " فإنه بالجبال سكن ميد الأرض كذلك حكم هؤلاء في العالم حكم الجبال في الأرض وإلى مقامهم الإشارة بقوله تعالى عن إبليس "ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم " فيحفظ الله بالأوتاد هذه الجهات وهم محفوظون من هذه الجهات فليس للشيطان عليهم سلطان إذ لا دخول له على بني آدم إلا من هذه الجهات وأما الفوق والتحت فربما يكون للستة التي نذكر أمرهم بعد هذا إن شاء الله وكل ما نذكره من هؤلاء الرجال باسم الرجال فقد يكون منهم النساء ولكن يغلب ذكر الرجال قيل لبعضهم كم الأبدال فقال أربعون نفساً فقيل له لم لا تقول أربعون رجلاً فقال قد يكون فيهم النساء ألقابهم عبدالحي وعبد العليم وعبدالقادر وعبدالمريد ومنهم رضى الله عنهم الابدال وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم فيه ولايته الواحد منهم على قدم الخليل عليه السلام وله الإقليم الأول وأسوقهم على الترتيب إلى صاحب الإقليم السابع والثاني على قدم الكليم عليه السلام والثالث على قدم هارون والرابع على قدم ادريس والخامس على قدم يوسف

والسادس على قدم عيسى والسابع على قدم آدم على الكل السلام وهم عارفون بما أودع الله سبحانه في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة ولهم من الاسماء أسماء الصفات فمنهم عبدالحي وعبدالعليم وعبدالودود وعبدالقادر وهذه الأربعة هي أربعة أسماء الأوتاد ومنهم عبدالشكور وعبدالسميع وعبدالبصير لكل صفة إلهية رجل من هؤلاء الابدال بها ينظر الحق إليهم وهي الغاية عليه وما من شخص إلاوله نسبة إلى اسم إلهي منه يتلقى ما يكون عليه من أسباب الخير وهم بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإحاطة فعلى تلك الموازنة يكون علم هذا الرجل وسموا هؤلاء أبدالاً لكونهم إذا فارقوا موضعاً ويريدون أن يخلفوا بدلاً منهم في ذلك الموضع لأمر يرونه مصلحة وقربة يتركوا به شخصاًعلى صورته لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك الشخص أنه عين ذلك الرجل وليس هو بل هو شخص روحاني يتركه بدله بالقصد على علم منه فكل من له هذه القوة فهو البدل ومن يقيم الله عنه بدلاً في موضع ما ولا علم له بذلك فليس من الأبدال المذكورين وقد يتفق ذلك كثيراً عايناه ورأيناه ورأينا هؤلاء السبعة الأبدال بمكة لقيناهم خلف حطيم الحنابلة وهناك إجتمعنا بهم فما رأيت أحسن سمتاً منهم وكنا قد رأينا منهم موسى السدراتي بإشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة وصل إلينا بالقصد واجتمع بنا ورأينا منهم شيخ الجبال محمد بن أشرف الرندي ولقى منهم صاحبنا عبدالمجيد بن سلمة شخصاً اسمه معاذ بن أشرس كان من كبارهم وبلغني سلامه علينا سأله عبدالمجيد هذا عن الأبدال بماذا كانت لهم هذه المترلة فقال بالأربعة التي ذكرها أبو طالب المكي يعني الجوع والسهر والصمت والعزلة وقد يسمون الرجبيين أبدالا وهم أربعون وقد يسمون الأثنىعشر أبدالاً وسيأتي ذكر هؤلاء في الرجال المعدودين فمن رأى الرجبيين قال أن الأبدال أربعون نفساً فإنهم أربعون ومنهم رضى الله عنهم النقباء وهم إثنا عشر نقيباًفي كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك الاثنىعشر برجا كل نقيب عالم بخاصيةكل برج وبما أودع الله في مقامه من الأسرار والتأثيرات وما يعطي للترلاء فيه من الكواكب السيارة والثوابت فإن للثوابت حركات وقطعاً في البروج لا يشعر به في الحس لأنه لايظهر ذلك ألافي آلاف من السنين وأعمار أهل الرصد تقصر عن مشاهدة ذلك واعلم أن الله قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المترلة ولهم أستخراج خبايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرها وخداعها وأما ابليس فمكشوف عندهم يعرفون منه مالا يعرفه من نفسه وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم أثر وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أوشقى مثل العلماء بالآثار والقيافة وبالديار المصرية منهم كثير يخرجون الأثر في الصخور وإذا رأوا شخصاً يقولون هذا الشخص هو صاحب ذلك الأثر ويكون كذلك وليسوا بأولياء الله فما ظنك بما يعطيه الله هؤلاء النقباء من علوم الآثار ومنهم رضى الله عنهم النجباء وهم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم الذين تبدو منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم وإن لم يكن لهم في ذلك اختيار لكن الحال يغلب عليهم ولا يعرف ذلك منهم إلا من هو فوقهم لامن هودونهم وهم أهل علم الصفات الثمانية السبع المشهورة والأدراك الثامن ومقامهم الكرسي لا يتعدوه ماداموا نجباء ولهم القدم الراسخة في علم تسيير الكواكب من جهة الكشف والاطلاع لامن جهة الطريقة المعلومة عند العلماء بهذا الشان والنقباء هم الذين حازوا علم الفلك التاسع والنجباء حازوا علم الثمانية الأفلاك التي دونه وهي كل فلك فيه كوكب ومنهم رضى الله عنهم الحواريون وهو واحد في كل زمان لايكون فيه اثنان فإذا مات ذلك الواحد أقيم غيره وكان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام هو كان صاحب هذا المقام مع كثرة أنصار الدين بالسيف فالحواري من جمع في نصرة الدين بين السيف والحجة فأعطى العلم العبارة و الحجة وأعطى السيف والشجاعة والأقدام ومقاومة التحدي في إقامة الحجة على صحة الدين المشروع كالمعجزة التي للنبي فلا يقوم بعد رسول الله صلى

الله عليه وسلم بدليله الذي يقيمه على صدقه فيما ادعاه الاحواريه فهو يرث المعجزة ولا يقيمها إلا على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم هذا مقام الحواري ويبقى عليها أسم المعجزة أعنى على تلك الدلالة فإنه يقترن بها مع الحواري مايقترن بها مع النبي "صلى" كما يضيفها النبي الى نفسه ولا يسمى مثل هذا كرامة لولي لأنه ما كان معجزة النبي على حدها وشمول لوازمها لايكون ذلك أبدا كرامة لولي وإلى هذا ذهب الأستاذ أبو اسحاق الاسفرايني ولكن على غير هذا الوجه الذي أومانا إليه فإن أبا أسحاق يحيل وقوع عين الفعل المعجز وأكثر المتكلمين لا يحيله أن يكون كرامة لا على طريق الاعجاز فإذا وقع من الشخص على حد ما وقع من النبي بطريق الاعجاز لصدق ذلك النبي من هذا التابع فإنه يقع ولابد وهذا لا يكون إلا من الحواري خاصة فمن ظهر منه مثل هذا على حد مارسمناه فهو حواري ذلك العصر وقد رأيناه في زماننا سنة ست وثمانين وخمسمائة فهذا هو المسمى بالحواري ومنهم رضى الله عنهم الرجبيون وهم أربعون نفساً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم رجال حالهم القيام بعظمة الله وهم من الأفراد وهم أرباب القول الثقيل من قوله تعالى أنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً وسموا رجبيون لأن حال هذا المقام لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أول استهلال هلاله إلى انفصاله ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم فلا يجدونه إلى دخول رجب من السنة الآتية وقليل من يعرفهم من أهل هذا الطريق وهم متفرقون في البلاد ويعرف بعضهم بعضاً منهم من يكون باليمن وبالشأم وبديار بكر لقيت واحدا منهم بدنيسير من ديار بكر مارأيت منهم غيره وكنت بالأشواق إلى رؤيتهم ومنهم من يبقى عليه في سائر السنة أمر ما مما كان يكاشف به في حاله في رجب ومنهم من لا يبقى عليه شيء من ذلك وكان هذا الذي رأيته قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة فكان يراهم خنازير فيأتي الرجل المستور الذي لا يعرف منه هذا المذهب قط وهو في نفسه مؤمن به يدين به ربه فإذا مر عليه يراه في صورة ختزير فيستدعيه ويقول له تب إلى الله فإنك شيعى رافضي فيبقى الأخر متعجباً من ذلك فإن تاب وصدق في توبته رآه إنساناً وإن قال له بلسانه تبت وهو يضمر مذهبه لايزال يراه ختزيراً فيقول له كذبت في قولك تبت وإذا صدق يقول له صدقت فيعرف ذلك الرجل صدقه قي كشفه فيرجع عن مذهبه ذلك الرافضى ولقد جرى لهذا مثل هذا مع رجلين عاقلين من أهل العدالة من الشافعية ما عرف منهما

قط التشيع و لم يكونوا من بيت التشيع أداهما إليه نظرهما وكانا متمكنين من عقولهما فلم يظهرا ذلك وأصرا عليه بينهما وبين الله فكانا يعتقدان السوء في أبي بكر وعمر ويتغالون في على فلما مرا به ودخلا عليه أمر بإخراجهما من عنده فإن الله كشف له عن بواطنهما في صورة خنازير وهي العلامة التي جعل الله له في أهل هذا المذهب وكانا قد علما من نفوسهما أن أحداً من أهل الأرض ما اطلع على حالهما وكانا شاهدين عدلين مشهورين بالسنة فقالا له في ذلك فقال أرا كما ختزيرين وهي علامة بيني وبين الله فيمن كان مذهبه هذا فأضمرا التوبة في نفوسهما فقال لهما إنكما الساعة قد رجعتما عن ذلك المذهب فإني أرا كما إنسانين فتعجبا من ذلك وتابا إلى الله وهؤلاء الرجبيون أول يوم يكون في رجب يجدون كإنما أطبقت عليهم السماء فيجدون من الثقل بحيث لا يقدرون على أن يطرفوا ولا يتحرك فيهم جارحة ويضجعون فلا يقدرون على حركة أصلاً ولا قيام ولا قعود ولا حركة يد ولا رجل ولا جفن عين يبقى ذلك عليهم أول يوم ثم يخف في ثاني يوم وفي ثالث يوم أقل وتقع لهم الكشوفات والتجليات والاطلاع على المغيبات ولا يزال مضطجعاً مسجى يتكلم بعد الثلاث أو اليومين ويتكلم معه ويقال له إلى أن يكمل الشهر فإذا فرغ الشهر ودخل شعبان قام كأنما نشط من عقال فإن كان صاحب صناعة أو تجارة اشتغل بشغله وسلب عنه جميع حاله كله إلا من شاء الله أن يبقى عليه من ذلك الشئ أبقاه الله عليه هذا حالهم وهو حال غريب مجهول السبب والذي اجتمعت به منهم كان في شهر رجب

وكان في هذه الحال ومنهم من رضى الله عنهم الختم وهو واحد لا في كل زمان بل هو واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه وثم ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم إلى آخر ولى وهو عيسى عليه السلام هو ختم الاولياء كما كان ختم دورة الملك فله يوم القيامة حشران يحشر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويحشر رسولاًمع الرسل عليهم السلام ومنهم رضى الله عنهم ثلثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام في كل زمان ولا يزيدون ولا ينقصون فاعلم أن معنى قول النبي عليه السلام في حق هؤلاء الثلثمائة إنهم على قلب آدم وكذلك قوله عليه السلام في غير هؤلاء ممن هو على قلب شخص من أكابر البشر أو الملائكة إنما معناه إنهم يتقلبون في المعارف الإلهية تقلب ذلك الشخص إذ كانت واردات العلوم إلهية إنما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك أو رسول فإنه يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان وهو بهذا المعنى نفسه وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الثلثمائة أنهم على قلب آدم وما ذكر صلى الله عليه وسلم أنهم ثلثمائة في أمته فقط أو هم في كل زمان وما علمنا أنهم في كل زمان إلا من طريق الكشف وأن الزمان لا يخلو عن هذا العدد ولكل واحد من هؤلاء الثلثمائة من الأخلاق إلهية ثلثمائة خلق إلهي من تخلق بواحد منها صحت له السعادة وهؤلاء هم المجتبون المصطفون ويستحبون من الدعاء ما ذكره الحق سبحانه في كتابه "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال تعالى "ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفيناه من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه" وهو آدم ومن كان بهذه المثابة ولهذه الطائفة من الزمان الثلثماءة من السنين التي ذكر الله أنها لبثها أهل الكهف وكانت شمسية ولهذا قال "وازدادوا تسعا" فإن الثلاثمائة سنة الشمسية تكون من سنى القمر ثلاثمائة وتسع سنين على التقريب وكل سنة تمام الزمان بفصوله وهذه الجملة قريبة من ثلث يوم واحد من أيام الرب وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون فإذا أخذ العارف في مشهد من مشاهد الربوبية حصل في مقدار يومها في تلك اللحظة من العلوم الإلهية ما يحصل غيره في عالم الحس مع الإجتهاد والتهيؤ من العلوم الإلهية في ألف سنة من هذه السنين المعلومة وعلى هذا المجرى يكون ما يحصله واحد من هؤلاء الثلثمائة من العلوم الإلهية إذا اختطف عن نفسه وحصره يوم من أيام الرب ولا يعرف قدر ما ذكرناه وشرفه إلا من ذاقه وانطوى الزمان في حقه في تلك اللحظة كما تنطوي المسافة والمقادير في حق البصر إذا فتحه فوقع نظره على فلك الكواكب الثابتة في زمان فتح عينه اتصلت أشعته بإجرام تلك الكواكب

فإنظر إلى هذا البعد وانظر إلى هذه السرعة وكذلك تعلق إدراك السمع في الزمان الذي يكون فيه الصوت فيه يكون إدراك السمع له مع العبد العظيم فإن تفطنت لهذا الذي أشرنا إليه علمت معنى رؤيتك ربك مع نفي التحيز والجهات وعلمت الرائي منك والمرئى والرؤية وكذلك السامع والسمع والمسموع وهذه الطبقة هي التي علمت الاسماء الإلهية التي توجهت على الأشياء المشار إليها في قوله تعالى "أنبئوني باسماء هؤلاء إذ كان الأنباء بالاسماء عين الثناء على المسمى والناس يأخذون هذه الاية على أن الاسماء هي أسماء المشار إليهم من حيث دلالتها عليهم كدلالة زيد في علميته على شخص زيد وعمر وعلى شخص عمرو وأي فخر في ذلك على الموصوفين بالعلم وهم الملائكة وما تفطن الناس لقولهم نسبح بحمدك وقد فاتهم من أسماء الله تعالى ما توجهت على هؤلاء المشار إليهم انتهى الجزء الخامس والسبعون

الجزء السادس والسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنهم رضى الله عنهم أربعون شخصاً على قلب نوح عليه السلام في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون هكذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الطبقة أن في أمته أربعين على قلب نوح عليه السلام وهو أول الرسل و الرجال الذين هم على قلبه صفتهم القبض ودعاؤهم دعاء نوح "رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا ومقام هؤلاء الرجال مقام الغيرة الدينية وهو مقام صعب المرتقى فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله غيور ومن غيرته حرم الفواحش فثبت من هذا الخبر أن الفاحشة هي فاحشة لعينها ولهذا حرمها قيل لمحمد عليه السلام "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن" أي ما علم وما لم يعلم إلا بالتوقيف لغموض إدراك الفحش فكل محرم حرمه الله على عباده فهو فحش وما هو عين ما أحله في زمان آخر ولا في شرع آخر فهذا هو الذي بطن علمه فإن الخمر التي أحلت له ما هي التي حرمت عليه ومنع من شر بها فعلل الاحكام قد تكون أعيان الأشياء ومذاهب أهل الكلام في ذلك مختلفة والذي يعطيه الكشف تقرير المذهبين فإن المكاشف يحكم بحسب الحضرة التي منها يكاشف فإنها تعطيه بذاتها ما هي عليه ومن هنا كان مقام الغيرة مقام حيرة صعب المرتقى ولاسيما والحق وصف بها نفسه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهي من صفات القلوب والباطن وهي تستدعي إثبات المغاير ولا غير على الحقيقة إلا أعيان الممكنات من حيث ثبوتها لا من حيث وجودها فالغيرة تظهر من ثبوت أعيان الممكنات وعدم الغيرة من وجود أعيان الممكنات فالله غيور من حيث قبول الممكنات للوجود فمن هناك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما ثم إلاظاهر أو باطن والغيرة قد انسحبت على الجميع ثم إنها في جبلة الحيوانات ولا يشعر لحكمها فمن غار عقلا كان مشهده ثبوت الأعيان ومن غار شرعاً كان مشهوده وجود الأعيان وهؤلاء الأربعون هم رجال هذا المقام وحقيقة مقام ميقات موسى أربعون ليلة لهؤلاء الأربعين فالليل منها لما بطن والنهار منها لما ظهر فتم ميقات ربه أربعين ليلة فأضاف الميقات إلى الرب فعلمنا أن قوله صلى الله عليه وسلم والله أغير مني أن الاسم الله هنا يريد به الاسم الرب لأنه لا يصح أن يطلق الاسم الله من غير تقييد من طريق المعنى فإن الأحوال تقيد هذا الأطلاق باسم خاص يطلبه الحال فالغيرة للاسم الرب وإن وصف بها الاسم الله ولما كانت المكالمة والتجلي عقيب تمامها لذلك ظهر بتمام هؤلاء الأربعين رجل في العالم مقامه مقام أبيه نوح فإنه الأب الثاني على ما ذكر وكل ما تفرق في هؤلاء الأربعين اجتمع في نوح كما أنه كلما تفرق في الثلثمائة اجتمع في آدم وعلى معارج هؤلاء الأربعين عملت الطائفة الأربعينيات في خلواتهم لم يزيدوا على ذلك شيأ وهي خلوات الفتح عندهم ويحتجون على ذلك بالخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه كما كانت المكالمة في التجلي عن مقدمة الميقات الأربعيني الرباني ومنهم رضى الله عنهم سبعة على قلب الخليل ابراهيم عليه السلام لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان ورد به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "ودعاؤهم دعاء الخليل رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين" ومقامهم السلامة من جميع الريب والشكوك وقد نزع الله الغل من صدورهم في هذه الدنيا وسلم الناس من سوء ظنهم إذ ليس لهم سوء ظن بل ما لهم ظن فإنهم أهل علم صحيح فإن الظن إنما يقع ممن لا علم له فيما لا علم له به بضرب من الترجيح فلا يعلمون

من الناس إلا ما هم عليه الناس من الخير وقد أرسل الله بينهم وبين الشرور التي هم عليها الناس حجاباً وأطلعهم على النسب التي بين الله وبين عباده ونظر الحق إلى عباده بالرحمة التي أوجدهم بها فكل خير في الخلق من تلك الرحمة فذلك هو المشهود لهم من عباد الله ولقد لقيتهم يوماً وما رأيت أحسن سمتا منهم علماً وحلماً إخوان صدق على سرر متقابلين قد عجلت لهم جناهم المعنوية الروحانية في قلوبهم مشهودهم من الخلق تصريف الحق من حيث هو وجود لامن حيث تعلق حكم به ومنهم رضى الله عنهم خمسة على قلب جبريل عليه السلام لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان ورد بذلك الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "هم

ملوك أهل هذه الطريقة لهم من العلوم على عدد ما لجبريل من القوى المعبر عنها بالأجنحة التي بها يصعد ويترل لا يتجاوز علم هؤلاء الخمسة مقام جبريل وهو الممد لهم من الغيب ومعه يقفون يوم القيامة في الحشر ومنهم رضى الله عنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السلام لهم الخير المحض والرحمة والحنان والعطف والغالب على هؤلاء الثلاثة البسط والتبسم ولين الجانب والشفقة المفرطة ومشاهدة ما يوجب الشفقة ولا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان ولهم من العلوم على قدر ما لميكائيل من القوى ومنهم رضى الله عنهم واحد على قلب إسرافيل عليه السلام في كل زمان وله الأمر ونقيضه جامع للطرفين ورد بذلك خبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم له علم إسرافيل وكان أبو يزيد البسطامي منهم ممن كان على قلب إسرافيل وله من الأنبياء عيسى عليه السلام فمن كان على قلب عيسى عليه السلام فهو على قلب إسرافيل ومن كان على قلب إسرافيل قد لا يكون على قلب عيسى وكان بعض شيوخنا على قلب عيسى وكان من الأكابر وصل وأما رجال عالم الأنفاس رضى الله عنهم فإنا أذكرهم وهم على قلب داوود عليه السلام ولا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان وإنما نسبناهم إلى قلب داوود وقد كانوا موجودين قبل ذلك بهذه الصفة فالمراد بذلك أنه ما تفرق فيهم من الأحوال والعلوم والمراتب اجتمع في داوود ولقيت هؤلاء العالم كلهم ولازمتهم وانتفعت بهم وهم على مراتب لا يتعدوها بعدد مخصوص لايزيد ولا ينقص وأنا أذكرهم إن شاء الله تعالى فمنهم رضى الله عنهم رجال الغيب وهم عشرة لايزيدون ولاينقصون هم أهل خشوع فلا يتكلمون إلا همساً لغلبة تجلي الرحمن عليهم دائماً في أحوالهم قال تعالى وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً وهؤلاء هم المستورون الذين لا يعرفون خبأهم الحق في أرضه وسمائه فلا يناجون سواه ولا يشهدون غيره " يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " دأبهم الحياء إذا سمعوا أحد يرفع صوته في كلامه ترعد فرائصهم ويتعجبون وذلك أنهم لغلبة الحال عليهم يتخيلون أن التجلي الذي أورث عندهم الخشوع والحياء يراه كل أحد ورأوا أن الله قد أمر عباده أن يغضوا أصواهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون " وإذا كنا نهينا وتحبط أعمالنا برفع أصواتنا على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم وهو المبلغ عن الله فغض أصواتنا عندما نسمع تلاوة القرآن آكد والله يقول " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون" وهذا هو مقام رجال الغيب وحالهم الذي ذكرناه فيمتاز الحديث النبوي من القرآن بهذا القدر ويمتاز كلا منا من الحديث النبوي بهذا القدر وأما أهل الورع إذا اتفقت بينهم مناظرة في مسئلة دينية فيذكر أحد الخصمين حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خفض الخصم صوته عند سرد الحديث هذا هو الأدب عندهم إذا كانوا أهل حضور مع الله وطلبوا العلم لوجه الله فأما علماء زماننا اليومفما عندهم خير ولا حياء لا من الله ولا من رسول الله إذا سمعوا الآية أو الحديث النبوي من الخصم لم يحسنوا الاصغاء إليه ولا انصتوا وداخلوا الخصم في تلاوته أو حديثه

وذلك لجهلهم وقلة ورعهم عصمنا الله من أفعالهم واعلم أن رجال الغيب في اصطلاح أهل الله يطلقونه ويريدون به هؤلاء الذين ذكرناهم وهي هذه الطبقة وقد يطلقونه ويريدون به من يحتجب عن الأبصار من الأنس وقد يطلقونه أيضاً ويريدون به رجالاً من الجن من صالحي مؤمنيهم وقد يطلقونه على القوم الذين لا يأخذون شيأ من العلوم والرزق المحسوس من الحس ولكن يأخذونه من الغيب ومنهم رضى الله عنهم ثمانية عشر نفساً أيضاً هم الظاهرون بأمر الله عن أمر الله لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان ظهورهم بالله قائمون بحقوق الله مثبتون الأسباب خرق العوايد عندهم عادة آيتهم قل الله ثم ذرهم وأيضاً إني دعوتهم جهاراً كان منهم شيخنا أبو مدين رحمه الله كان يقول لأصحابه أظهروا للناس ماعندكم من الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة وأظهروا بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة يعني خرق العوائد والباطنة يعني المعارف فإن الله يقول وأما بنعمة ربك فحدث وقال عليه السلام التحدث بالنعم شكر وكان يقول

بلسان أهل هذا المقام أغير الله تدعون أن كنتم صادقين بل إياه تدعون هم على مدارج الأنبياء والرسل لا يعرفون إلا الله ظاهراً وباطناً وهذه الطبقة اختصت باسم الظهور لكونهم ظهروا في عالم الشهادة ومن ظهر في عالم الشهادة فقد ظهر بجميع العالم فكانوا أولى بهذا اللقب من غيرهم كان سهل بن عبد الله يقول في رجال الغيب الأول الرجل من يكون في فلاة من الأرض فيصلى فينصرف من صلاته فينصرف معه أمثال الجبال من الملائكة على مشاهدة منه إياهم فقلت لحاكي هذه الحكاية عن سهل الرجل من يكون وحده في الفلاة فيصلى فينصرف من صلاته بالحال الذي هو في صلاته فلا ينصرف معه أحد من الملائكة فإنهم لايعرفون أين يذهب فهؤلاء هم عندنا رجال الغيب على الحقيقة لأنهم غابوا عنده فإن رجال الغيب قسمان في الظهور منهم رجال غيب عن الأرواح العلى ظاهرون لله لالمخلوق رأساً ورجال غيب عن عالم الشهادة ظاهرون في العالم الأعلى فرجال الغيب أيضاً أهل ظهور ولكن لافي عالم الشهادة فاعلم أن الظاهرين بأمر الله لايرون سوى الله في الأكوان وإن الأكوان عندهم مظاهر الحق فهم أهل علانية وجهر وكل طبقة فعاشقة بمقامها تذب عنه ولهذا لاتعرف مترلة مقامها من المقامات حتى تفارقه فإذا نظرت إليه نظر الأجنبي المفارق حينئذ تعرفه فقبل أن تحصل فيه يكون معلوما لها من حيث الجملة وترى علو منصبه فإذا دخلت فيه كان ذوقا لها وشر بافيحجبها كونها فيه عن التمييز فإذا ارتقت عنه نظرت إليه بعد ذوق فكانت عارفة بقدره بين المقامات ومرتبته فيقبل كلام هذا الشخص فيه لأنه تكلم عن ذوق وكان شهوده إياه عن صحو فتقبل شهادته لذلك المقام وعليه كما قبلنا شهادة الشبلي وقوله في الحلاج و لم نقبل قول الحلاج في نفسه ولا في الشبلي لأن الحلاج سكران والشبلي صاح ومنهم رضى الله عنهم ثمانية رجال يقال لهم رجال القوة الأهلية آيتهم من كتاب الله أشداء على الكفار لهم من الاسماء الإلهية ذو القوة المتين جمعوا ما بين علم ماينبغي أن تعلم به الذات الواجبة الوجود لنفسها من حيث هي وبين علم ماينبغي أن يعلم به من حيث ماهي اله فقدمها عزيز في المعارف لاتأخذهم في الله لومة لائم وقد يسمون رجال القهر لهم همم فعالة في النفوس وبهذا يعرفون كان بمدينة فاس منهم رجل واحد يقال له أبو عبد الله الدقاق كان يقول ما اغتبت أحداً قطولا أعتيب بحضرتي أحدقا ولقيت أنامنهم ببلاد الأندلس جماعة لهم أثر عجيب وكل معنى غريب وكان بعض شيوخي منهم ومن نمط هؤلاء رضى الله عنهم خمسة رجال في كل زمان أيضاً لايزيدون ولا ينقصون هم على قدم هؤلاء الثمانية في القوة غير أن فيهم لينا ليس للثمانية وهم على قدم الرسل في هذا المقام قال تعالى "فقولا له قولاً لينا" وقال تعالى "فبما رحمة من الله لنت لهم" فهم مع قوتهم لهم لين في بعض المواطن وأما في العزائم فهم في قوة الثمانية على السواء ويزيدون عليهم بما ذكرناه مما ليس للثمانية وقد لقينا منهم رضى الله عنهم وأنتفعنا بهم ومنهم رضى الله عنهم خمسة عشر نفساهم رجال

الحنان والعطف الالهي آيتهم من كتاب الله آية الريح السليمانية تجري بأمره رخاء حيث أصاب لهم شفقة على عباد الله مؤمنهم وكافرهم ينظرون الخلق بعين الجود والوجود لابعين الحكم والقضاء لايولي الله منهم قط أحداً ولاية ظاهرة من قضاء أو ملك لأن ذوقهم ومقامهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق فهم مع الحق في الرحمة المطلقة التي قال الله فيها "ورحمتي وسعت كل شيء" لقيت منهم جماعة وماشيتهم على هذا القدم وانتقلت منهم إلى الخمسة التي ذكرناهم آنفاً فإن مقام هؤلاء الخمسة بين رجال القوة ورجال الحنان فجمعت بين الطرفين فكانت واسطة العقد وهي الطائفة التي تصلح لهم ولاية الأحكام في الظاهر وهاتان الطائفتان رجال القوة ورجال الحنان لايكون منهم وال أبدأ أمور العباد ولا يستخلف منهم أحد جملة واحدة ومنهم رضى الله عنهم أربعة أنفس في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون آيتهم من كتاب الله تعالى "الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتزل الأمر بينهن" وآيتهم أيضاً في سورة "تبارك الملك الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت هم رجال الهيبة والجلال"

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم لاخوف ظلم ولكن خوف إجلال

وهم الذين يمدون الأوتاد الغالب على أحوالهم الروحانية قلوبهم سماوية مجهولون في الأرض معروفون في السماء الواحد من هؤلاء الأربعة هو ممن استثنى الله تعالى في قوله "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله " والثاني له العلم بما لا يتناهى وهو مقام عزيز يعلم التفصيل في المجمل وعندنا ليس في علمه مجمل والثالث له الهمة الفعالة في الايجاد ولكن لا يوجد عنه شيء والرابع توجد عنه الأشياء وليس له إرادة فيها ولا همة متعلقة بها أطبق العالم الأعلى على علو مراتبهم أحدهم على قلب محمد صلى الله عليه وسلم والآخر على قلب شعيب عليه السلام والثالث على قلب صالح عليه السلام والرابع على قلب هود عليه السلام ينظر إلى أحدهم من الملأ الأعلى عزرائيل وإلى الآخر جبريل وإلى الآخر ميكائيل وإلى الآخر إسرافيل أحدهم يعبد الله من حيث نسبة العماء إليه والثاني يعبد الله من حيث نسبة العرش إليه والثالث يعبد الله من حيث نسبة السماء إليه والرابع يعبد الله من حيث نسبة الأرض إليه فقد اجتمع في هؤلاء الأربعة عبادة العالم كله شأنهم عجيب وأمرهم غريب ما لقيت فيمن لقيت مثلهم لقيتهم بدمشق فعرفت أنهم هم وقد كنت رأيتهم ببلاد الأندلس واجتمعوا بي و لم أكن أعلم أن لهم هذا المقام بل كانوا عندي من جملة عباد الله فشكرت الله على أن عرفني بمقامهم وأطلعني على حالهم ومنهم رضى الله عنهم أربعة وعشرون نفساً في كل زمان يسمون رجال الفتح لا يزيدون ولا ينقصون بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه من المعارف والأسرار وجعلهم الله على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم فكل من يفتح عليه في شئ من العلوم والمعارف فيأي ساعة كانت من ليل أو نهار فهو لرجل تلك الساعة وهم متفرقون في الأرض لا يجتمعون أبداً كل شخص منهم لازم مكانه لايبرح أبداًفمنهم باليمن اثنان ومنهم ببلاد الشرق أربعة ومنهم بالمغرب ستة والباقي بسائر الجهات آيتهم من كتاب الله تعالى " مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها" وآية الأربعة الذين ذكرناهم قبل هؤلاء باقي الآية وهوقوله تعالى "وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم" مع أن قدم أولئك في قوله خلق سبع سموات طباقاًالآية ومنهم رضى الله عنهم سبعة أنفس يقال لهم رجال العلى في كل زمان لايزيدون ولا ينقصون هم رجال المعارج العلى لهم في كل نفس معراج وهم أعلى عالم الأنفاس آيتهم من كتاب الله تعالى وأنتم الأعلون والله معكم يتخيل بعض الناس من أهل الطريق أنهم الأبدال لما يرى أنهم سبعة كما يتخيل بعض الناس في الرجبيين أنهم الأبدال لكونهم

أربعين عند من يقول أن الأبدال أربعون نفساً ومنهم من يقول سبعة أنفس وسبب ذلك أنهم لم يقع لهم التعريف من الله بذلك ولا بعدد ما لله في العالم في كل زمان من العباد المصطفين الذين يحفظ الله بهم العالم فيسمعون أن ثم رجالا عددهم كذا كما أن ثم أيضاً مراتب محفوظة لا عدد لأصحابها معين في كل زمان بل يزيدون وينقصون كالأفراد ورجال الماء والأمناء والأحباء والأخلاء وأهل الله والمحدثين والسمراء والأصفياء وهم المصطفون فكل مرتبة من هذه المراتب محفوظة برجال في كل زمان غير أنهم لا يتقيدون بعدد مخصوص مثل من ذكرناهم وسأذكر إذا فرغنا من رجال العدد هذه المراتب وصفة رجالها فإنا لقينا منهم جماعة ورأينا أحوالهم

فهؤلاء السبعة أهل العروج لهم كما قلنا في كل نفس معراج إلىالله لتحصيل علم خاص من الله فهم مع النفس الصاعد خاصة ولله رجال هم مع النفس الرحماني النازل الذي به حياتهم وغذاؤهم وهم أحد وعشرون نفساً ومنهم رضى الله عنهم أحد وعشرون نفساً وهم رجال التحت الأسفل وهم أهل النفس الذين يتلقونه من الله لا معرفة لهم بالنفس الخارج عنهم وهم على هذا العدد في كل زمان لايزيدون ولا ينقصون آيتهم من كتاب الله تعالى "ثم رددناه أسفل سافلين" يريد عالم الطبيعة إذ لا أسفل منه رده إليه ليحيا به فإن الطبع ميت بالأصالة فأحياه بهذا النفس الرحماني الذي رده إليه لتكون الحياة سارية في جميع الكون لأن المراد من كل ما سوى الله أن يعبد الله فلا بد أن يكون حيا وجود ميتاً حكماً فيجمع بين الحياة والموت ولهذا قال له" أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيأ" فيريد منك في شيئيتك أن تكون معه كما كنت وأنت لاهذه الشيئية

ولهذا قلنا حياً وجوداً وميتاً حكماً وهؤلاء الرجال لا نظر لهم إلا فيما يرد من عند الله مع الأنفاس فهم أهل حضور مع الدوام ومنهم رضى الله عنهم ثلاثة أنفس وهم رجال الأمداد الإلهي والكوني في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون فهم يستمدون من الحق ويمدون الخلق ولكن بلطف ولين ورحمة لا بعنف ولا شدة ولا قهر يقبلون على الله بالإستفادة ويقبلون على الخلق بالإفادة فيهم رجال ونساء قد أهلهم الله للسعي في حوائج الناس وقضائها عند الله لا عند غيره وهم ثلاثة لقيت واحداً منهم بأشبيلية وهو من أكبر من لقيته يقال له موسى بن عمران سيد وقته كان أحد الثلاثة لم يسأل أحداً حاجة من خلق الله ورد في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تقبل لي بواحدة تقبلت له بالجنة أن لا يسأل أحد شيأً فأخذها أبان مولى عثمان بن عفإن فعمل عليها فربما وقع السوط من يده وهو راكب فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه فينيخ راحته فتبرك فيأخذ السوط من الأرض بيده وصفة هؤلاء إذا أفادوا الخلق ترى فيهم من اللطف وحسن التأني حتى يظن أنهم هم الذين يستفيدون من الخلق وإن الخلق هم الذين لهم اليد عليهم ما رأيت أحسن منهم في معاملة الناس الواحد من هؤلاء الثلاثة فتحه دائم لا ينقطع على قدم واحد لا يتنوع في المقامات وهو مع الله واقف وبالله في خلقه قائم هجير"الله لا إله إلا هو الحي القيوم" والثاني له عالم الملكوت جليس للملائكة تتنوع عليه المقامات والأحوال ويظهر في كل صورة من صور العالم له التروحن إذا شاء كقضيب البان والثالث له عالم الملك جليس للناس لين المعاطف تتنوع أيضاً عليه المقامات إمداده من البشر أي من النفوس الحيوانية وإمداد الثاني من الملائكة شأنهم عجيب ومعناهم لطيف ومنهم رضى الله عنهم ثلاثة أنفس الهيون رحمانيون في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون يشبهون الأبدال في بعض الأحوال وليسوا بأبدال آيتهم من كتاب الله "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء لهم" اعتقاد عجيب في كلام الله بين الاعتقادين هم أهل وحي إلهي لا يسمعونه أبداً إلا كسلسلة على صفوان لا غير ذلك ومثل صلصلة الجرس هذا مقام هؤلاء القوم وما عندي خبر بفهمهم في ذلك لأنه ما حصل عندي من شأنهم هل هم بأنفسهم يعطيهم الله الفهم في تلك الصلصلة إذا تكلم الله بالوحي أو هل يفترقون في فهم ما جاء في تلك الصلصلة إلى غيرهم كما قيل عن غيرهم حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا مإذا قال ربكم قالوا الحق فاستفهموا بعد

صعقهم فإن الله إذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان تصعق الملائكة فإذا أفاقت وهو قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم يقولون ماذا قال ربكم فلا أدري شأن هؤلاء الثلاثة هل هم بهذه المثابة في سماع كلام الحق أو يعطون الفهم كما أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فقال وأحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال فالله أعلم كيف شأنهم في ذلك وما أخبرني أحد عنهم وسألتهم في ذلك فما أخبرني واحد منهم بشيء لا اطلعت عليه من جانب الحق ومنهم رضى الله عنهم رجل واحد وقد تكون امرأة في كل زمان آيته وهو القاهر فوق عباده له الاستطاعة على كل شيء سوى الله شهم شجاع مقدام كبير الدعوى بحق يقول حقا ويحكم عدلاً كان صاحب هذا المقام شيخنا عبد القادر الجيلي ببغداد كانت له الصولة والاستطالة بحق على الخلق كان كبير الشأن أخباره مشهورة لم ألقه ولكن لقيت صاحب زماننا في هذا المقام ولكن كان عبد القادر أتم في أمور أخر من هذا الشخص الذي لقيته وقد درج الآخر ولاعلم لي بمن ولى بعده هذا المقام إلى الآن ومنهم رضى الله عنهم رجل واحد مركب ممتزج في كل زمان لايوجد غيره في مقامه وهو يشبه عيسى عليه السلام متولد بين الروح والبشر لايعلم له أب بشرى كما يحكي عن بلقيس أنها تولدت بين الجن والانس فهو مركب من جنسين مختلفين وهو رجل البرزخ به يحفظ الله عالم البرزخ دائماً فلا يخلو كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل يكون مولده على هذه الصفة فهو مخلوق من ماء أمه خلافاً لما ذكر عن أهل علم الطبائع أنه لا يتكون من ماء المرأة ولد بل الله على كل شيء قدير ومنهم رضى الله عنهم رجل واحد وقد يكون أمرأة له رقائق ممتدة إلى جميع العالم وهو شخص غريب المقام لا يوجد منه في كل زمان الا واحد يلتبس على بعض أهل الطريق ممن يعرفه بحالة القطب فيتخيل أنه

القطب وليس بالقطب ومنهم رضى الله عنهم رجل واحد يسمى بمقامه سقيط الرفرف بن ساقط العرش رأيته بقونية آيته من كتاب الله والنجم إذا هوى حاله لا يتعداه شغله بنفسه وبربه كبير الشأن عظيم الحال رؤيته مؤثرة في حال من يراه فيه انكسار هكذا شاهدته صاحب أنكسار وذل أعجبتني صفته له لسان في المعارف شديد الحياء ومنهم رضى الله عنهم رجلان يقال لهما رجال الغنى بالله في كل زمان من عالم الأنفاس آيتهم والله غنى عن العالمين يحفظ الله بهم هذا المقام الواحد منهم أكمل من الآخر يضاف الواحد منهم إلى نفسه وهو الأدنى ويضاف الآخر إلى الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب هذا ليس الغنى عن كثرة العرض لكن الغنى غنى النفس ولهذا المقام هذان الرجلان وإن كان في العالم أغنياء النفوس ولكن في غناهم شوب ولايخلص في الزمان إلا لرجلين تكون نهايتهما في بدايتهما وبدايتهما في نهايتهما للواحد منهما إمداد عالم الشهادة فكل غنى في عالم الشهادة فمن هذا الرجل وللآخر منهما له امداد عالم الملكوت فكل غنى بالله في عالم الملكوت فمن هذا الرجل والذي يستمدان منه هذان الرجلان روح علوى متحقق بالحق غناه الله ماهو غناه بالله فإن أضفته إليهما فرجال الغنى ثلاثة وإن نظرت إلى بشريتهما فرجال الغنى إثنان وقد يكون منهم النساء فغنى بالنفس وغنى بالله وغنى غناه الله ولناجزء عجيب في معرفة هؤلاء الرجال الثلاثة ومنهم رضى الله عنهم شخص واحد يتكرر تقلبه في كل نفس لا يفتر بين علمه بربه وبين علمه بذات ربه ماتكاد تراه في إحدى المترلتين ألارأيته في الأخرى لاترى في الرجال أعجب منه حالاً وليس في أهل المعرفة بالله أكبر معرفة من صاحب هذا المقام يخشى الله ويتقيه تحققت به ورأيته وأفادني آيته من كتاب الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله ثم رددنا لكم الكرة عليهم لا تزال ترعد فرائصه من خشية الله هكذا شهدناه ومنهم رجال عين التحكيم والزوائد رضى الله عنهم وهم عشرة انفس في كل زمان لا يزيدون ولا

ينقصون مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء وحالهم زيادات الايمان بالغيب واليقين في تحصيل ذلك الغيب فلا يكون لهم غيباً

إذ كل غيب لهم شهاده   وكل حال لهم عباده

فلا يصير لهم غيب شهادة إلا ويزيدون إيماناً بغيب آخر ويقيناً في تحصيله آيتهم من كتاب الله تعالى "وقل ربي زدني علما" وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم فزادهم إيماناً وهم يستبشرون بالزيادة وقوله تعالى "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني" ومنهم رضى الله عنهم أثنا عشر نفساً وهم البدلاء ماهم الأبدال وهم في كل زمان لايزيدون ولا ينقصون وسمعوا بدلاء لان الواحد منهم لو لم يوجد الباقون ناب منابهم وقام بما يقوم به جميعهم فكل واحد منهم عين الجميع

وماعلى الله بمستنكر   ان يجمع العالم في واحد

ويلتبس على الناس أمرهم مع الأبدال من جهة الاسم ويشبهون النقباء من جهة العدد آيتهم من كتاب الله تعالى قول بلقيس كانه هو تعني عرشها وهو فما شبهته إلا بنفسه وعينه لا بغيره وانما شوش عليها بعد المسافة المعتاد وبالعادات صل جماعة من الناس في هذا الطريق ومنهم رضى الله عنهم رجال الاشتياق وهم خمسة انفس وهم أصحاب لقلق وفيهم القائل يصف حالهم

لست أدري أطال ليلى أم لا   كيف يدري بذاك من يتقلى

فالأشواق تقلقهم في عين المشاهدة وهم من ملوك أهل طريق الله وهم رجال الصلوات الخمس كل رجل منهم مختص بحقيقة صلاة من الفرائض وإلى هذا المقام يؤل قول عليه السلام "وجعلت قرة عيني في الصلاة" بهم يحفظ الله وجود العالم آيتهم من كتاب الله" حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" لا يفترون عن صلاة لا في ليل ولا نهار كان صالح البربري منهم لقيته وصحبته إلى ان مات وانتفعت به وكذلك أبو عبد الله المهدي بمدينة فاس صحبته كان من هؤلاء أيضاً حتى ان بعض أهل الكشف يتخيلون ان كل صلاة تجسدت لهم ما هي أعيان وليس الأمر كذلك ومنهم رضى الله عنهم ستة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون كان منهم ابن هارون الرشيد السبتي لقيته بالطواف يوم الجمعة بعد الصلاة سنة تسع وتسعين وخمسمائة وهو يطوف بالكعبة وسألته وأجابني ونحن بالطواف وكان روحه تجسد لي في الطواف حساً تجسد جبريل في صورة أعرابي وهؤلاء الرجال الستة لما اطلعت عليهم لم أكن قبل ذلك عرفت ان ثم ستة رجال و لم عرفت بهم في هذا الزمان القريب لم أدرملقامهم ثم بعد هذا عرفت انهم رجال الأيام الستة التي خلق الله فيها العالم وما علمت ذلك إلا من هجيرهم فان هجيرهم ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ولهم سلطان على الجهات الست التي ظهرت بوجود الانسان وأخبرت ان واحداً منهم بوكأ من جملة العوانية من أهل أرزن الروم أعرف ذلك الشخص بعينه وصحبته وكان يعظمني ويراني كثيراً واجتمعت به في دمشق وفي سيواس وفي مالطة وفي قيصرية وخدمني مدة وكانت له والدة كان براها اجتمعت به في حران في خدمة والدته فما رأيت في فما رأيت فيمن رأيت ير أمه مثله وكان ذا مال ولي سنون فقدته من دمشق فما أدري هل عاش أم مات وبالجملة فما من أمر محصور في العالم في عدد ما إلا ولله رجال بعدده في كل زمان يحفظ الله بهم ذلك الأمر وقد ذكرنا من الرجال المحصورين في كل زمان في عدد ما الذين لا يخلو الزمان عنهم ما ذكرناه في هذا الباب فلنذكر من رجال الله الذين لا يختصون بعدد خاص يثبت لهم في كل زمان بل يزيدون وينقصون

ولنذكر الأسرار والعلوم التي يختصون بها وهي علوم تقسم عليهم بحسب كثرتهم وقلتهم حتى انه لو لم يوجد إلاواحد منهم في الزمان اجتمع في ذلك الواحد ذلك الأمر كله فالنذكر الان بعض ما تيسر من المقامات المعروفة التي ذكرها أهل الطريق وعينها أيضاً الشرع أو عين أكثرها وسماها ثم بعد ذلك أذكر من المسائل التي تختص بهذا الباب وبالأولياء التي لا يعرفها بالمجموع إلا الولي الكامل فان الامام محمد بن على الترمذي الحكيم هو الذي نبه على هذه المسائل وسأل عنها أختبار الأهل الدعاوى لما رأى من الدعوى العريضة والضعف الظاهر فجعل هذه المسائل كالمحك والمعيار لدعواهم و لم يتعرض لخرق العوائد في ظاهر الكون التي اتخذها العامة دلائل على الولاية وليست بدلائل عند أهل الله وانما القوم يختبر بعضهم بعضا فيما يدعونه من العلوم الإلهية والأسرار فان خرق العوائد عند الصادقين انما ذلك في بواطنهم وقلوبهم بما يهبهم الله من الفهم عنه مما لا يشاركهم فيه ذوقاً من ليس من جنسهم وها انا ذاكر ألقاب الرجال الذين لا يحصرهم عدد ولا يقيدهم أمد والله المستعان انتهى الجزء السادس والسبعون

الجزء السابع والسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

فمنهم رضى الله عنهم الملامية وقد يقولون الملامتية وهي لغة ضعيفة وهم سادات أهل طريق الله وأئمتهم وسيد العالم فيهم ومنهم وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها وأحكموها وأقروا الأسباب في أماكنها ونفوها في المواضع التي ينبغي ان تنفى عنها ولا أخلوا بشيء مما رتبه الله في خلقه على حسب مارتبوه فما تقتضيه الدار الأولى تركوه للدار الأولى وما تقتضيه الدار الآخرة تركوه للدار لآخرة فنظروا في الأشياء بالعين التي نظر الله إليها لم يخلطوا بين الحقائق فإنه من رفع السبب في الموضع الذي وضعه فيه واضعه وهو الحق فقد سفه واضعه وجهل قدره ومن اعتمد عليه فقد أشرك وألحد وإلى أرض الطبيعة أخلد فالملامتية قررت الأسباب و لم تعتمد عليها فتلامذة الملامتية الصادقون يتقلبون في أطوار الرجولية وتلامذة غيرهم يتقلبون في أطوار الرعونات النفسية فالملامية مجهولة أقدارهم لا يعرفهم إلا سيدهم الذي حاباهم وخصهم بهذا المقام ولا عدد يحصرهم بل يزيدون وينقصون ومنهم رضى الله عنهم الفقراء ولا عدد يحصرهم أيضا بل يكثرون ويقلون قال تعالى تشريفاً لجميع الموجودات وشهادة لهم يأيها الناس انتم الفقراء إلى الله فالفقراءهم الذين يفتقرون إلى كل شيء من حيث ان ذلك الشيء هو مسمى الله فان الحقيقة تأبى ان يفتقر إلى غير الله وقد أخبر الله ان الناس فقراء إلى الله على الاطلاق والفقر حاصل منهم فعلمنا ان الحق قد ظهر في صورة كل ما يفتقر أليه فيه فلا يفتقر إلى الفقراء إلى الله بهذه الآية شيء وهم يفتقرون إلى كل شيء فالناس محجوبون بالأشياء عن الله وهؤلاء السادة ينظرون الأشياء مظاهر الحق تجلى فيها لعباده حتى في أعيانهم فيفتقر الإنسان إلى سمعه وبصره وجميع ما يفتقر إليه من جوارحه وإدراكاته ظاهراً أو باطناً وقد أخبر الحق في الحديث الصحيح ان الله سمع العبد وبصره ويده فما افتقر هذا الفقير إلا إلى الله في إفتقاره إلى سمعه وبصره فسمعه وبصره إذا مظهر الحق ومجلاه وكذلك جميع الأشياء بهذه المثابة فما ألطف سريان الحق في الموجودات وسريان بعضها في بعض وهو قوله سنريهم أياتنا في الآفاق وفي انفسهم فالآيات هنا دلالات انها مظاهر للحق فهذا حال الفقراء إلى الله لا مايتوهمه من لا علم له بطريق القوم فالفقير من يفتقر إلى كل شيء وإلى نفسه ولا يفتقر إليه شيء فهذه أسنى الحالات قال أبو يزيد يارب بماذا أتقرب إليك قال بما ليس لي الذلة والافتقار قال تعالى "وما خلقت الجن والانس ألا ليعبدون " أي ليتذللوا لي ولا يتذللوا لي حتى يعرفون في الأشياء فيذلوا لي لالمن جهرت فيهم أوظهرت أعيانهم بكونهم مظاهر لي فوجودهم انا ومايشهدون من أعيانهم سوى وجودهم فاعلم ذلك والله المرشد منور البصائر ومنهم رضى الله عنهم الضوفية ولا عددلهم يحصرهم بل يكثرون ويقلون وهم أهل مكارم الأخلاق يقال من زاد عليك في الاخلاق زاد عليك في التصوف مقامهم الاجتماع على قلب واحد أسقطوا آلياً آت الثلاثة فلا يقولون لي ولا عندي ولا متاعي أي لا يضيفون إلى انفسهم شيأ أي لاملك لهم دون خلق الله فهم فيما في أيديهم على السواء مع جميع ماسوى الله مع تقرير مابايدي الخلق للخلق لا يطلبونهم بهذا المقام وهذه الطبقة هي التي يظهر عليهم خرق العوائد عن إختيار منهم ليقيموا الدلالة على التصديق بالدين وصحته في مواضع الضرورة وقد عاينا مثل هذا من هذه الطائفة في مناظرة فيلسوف ومنهم من يفعل ذلك لكونه صار عادة لهم كسائر الأمور المعتادة عند أهلها فما هي في حقهم خرق عادة وهي في المعتاد العام خرق عادة فيمشون على الماء وفي الهواء كما نمشي نحن وكل دابة على الأرض لا

يحتاج في ذلك في العموم إلى نية وحضور الاملامية والفقراء فانهم لا يمشون ولا يخطو أحد منهم خطوة ولا يجلس الابنية وحضور لانه لا يدري من أين يكون أخذ الله لعباده وقد كان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول في دعائه أعوذ بالله ان أغتال من تحتي وان كانو على أفعال تقتضي لهم الأمان كما هي أفعال الانبياء من الطاعات لله والحضور مع الله ولكن لا يأمنون ان يصيب الله عامة عباده بشئ فيعم الصالح والطالح لانها دار بلاء ويحشر كل شخص على نيته ومقامه وقد أخبر الله بقتل الأمم انبياءها ورسلها وأهل القسط من الناس وما عصمهم الله من بلاء الدنيا

فالصوفية هم الذين حازوا مكارم الأخلاق ثم انها رضى الله عنهم علموا ان الأمر يقتضي ان لا يقدر أحد على ان يرضي عباد الله بخلق وانه مهما أرضى زيد ربما أسخط عمرا فلما رأوا ان حصول مقام عموم مكارم الأخلاق مع الجميع محال نظروا من أولى ان يعامل بمكارم الأخلاق ولا يلتفت إلى من يسخطه ذلك فلم يجدوا إلا الله وأحباءه من الملائكة والبشر المطهر من الرسل والانبياء وأكابر الأولياء من الثقلين فلتزموا مكارم الأخلاق معهم ثم أرسلوها عامة في سائر الحيوانات والنباتات وما عدا أشرار الثقلين والذي يقدرون عليه من مكارم الأخلاق مما أبيح لهم ان يصرفوه مع أشرار الثقلين فعلوه وبادروا إليه وهو على الحقيقة ذلك الخلق مع الله في إقامة الحدود إذا كانوا حكاماً وأداء الشهادات إذا تفرضت عليهم فاعلم ذلك ومنهم رضى الله عنهم العباد وهم أهل الفرائض خاصة قال تعالى مثنياً عليهم "وكانوا لنا عابدين" و لم يكونوا يؤدون سوى الفرائض ومن هؤلاء المنقطعون بالجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية ويسمون السياح ومنهم من يلزم بيته وصلاة الجماعات ويشتغل بنفسه ومنهم صاحب سبب ومنهم تارك السبب ومنهم صلحاء الظاهر والباطن وقد عصموا من الغل والحسد والحرص والشره المذموم وصرفوا كل هذه الأوصاف إلى الجهات المحمودة ولا رائحة عندهم من المعارف الإلهية والأسرار ومطالعة الملكوت والفهم عن الله في آياته حين تتلى غير ان الثواب لهم مشهود والقيامة وأهوالها والجنة والنار مشهودتان دموعهم في محاريبهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وتضرعاً وخيفة "إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وإذا مروا باللغو مروا كراما يبيتون لربهم سجدا وقياما" شغلهم هول المعاد عن الرقاد ضمروا بطونهم بالصيام للسباق في حلبة النجاة "إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا وكان بين ذلك قواما" ليسوا من الإثم والباطل في شئ عمال وأي عمال عاملون الحق بالتعظيم والإجلال سمعت بعضهم رضى الله عنهم وعنه وهو أبو عبد الله الطبخي وإلى وجدة يتأوه وينشد ما قاله عمر بن عبد العزيز

حتى متى لا ترعوى ... وإلىمتى وإلى متى

ما بعد ان سميت كهلاً ... واستلبت أسم الفتى

لا ترعوى لنصيحة ... قالي متى وإلى متى

وكان منهم خليفة من بني العباس هرب من الخلافة من العراق وأقام بقرطبة من بلاد الاندلس إلى ان درج ودفن بباب عباس منها يقال له أبو وهب الفاضل خرج فضائله شيخنا أبو القاسم خلف بن بشكوال رحمة الله فذكر فيها عنه انه كان كثيراً ما ينشد لنفسه

برئت من المنازل والقباب ... فلم يعسر على أحد حجابي

فمنزلي الفضاء وسقف بيتي ... سماء الله أو قطع السحاب

فانت إذا أردت دخلت بيتي على مسلما من غير باب

لاني لم أجد مصراع باب يكون من السماء إلى التراب

ولا انشق الثرى عن عود تخت أؤمل ان أشد به ثيابي

ولاخفت الإباق على عبيدي ولا خفت الرهاص على دوابي

ولا حاسبت يوماً قهرمانا فأخشى ان أغلت في الحساب

ففي ذاراحة وبلاغ عيش فدأب الدهر ذا أبد او دابي

كان خالنا أبو مسلم الخولاني رحمة الله من أكابرهم كان يقوم الليل فإذا أدركه العياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده ويقول لرجليه انتما أحق بالضرب من دابتي أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يفوزوا بمحمد صلى الله عليه وسلم دوننا والله لأزاحمنهم عليه حتى يعلموا انهم خلفوا بعدهم رجالاً لقينا منهم جماعة كثيرة ذكرناهم في كتبنا ورأينا من أحوالهم ما تضيق الكتب عنها ومنهم رضى الله عنهم الزهاد وهم الذين تركوا الدنيا عن قدرة واختلف أصحابنا فيمن ليس عنده بيده من الدنيا شئ وهو قادر على طلبها وجمعها غير انه لم يفعل وترك الطلب فهل يلحق بالزهاد أم لا فمن قائل من أصحابنا انه يلحق بالزهاد ومن قائل لا زهد إلا في حاصل فانه ربما لو حصل له شئ منها ما زهد فمن رؤسائهم ابراهيم بن أدهم وحديثه مشهور كان بعض أخوالي منهم قد ملك مدينة تلمسان يقال له يحى بن يغان وكان في زمنه رجل فقيه عابد منقطع من اهل تونس يقال له أبو عبد الله التونسي كان بموضع خارج تلمسان يقال له العباد كان قد انقطع بمسجد يعبد الله فيه، وقبره بها يزار فبينا هذا الصالح يمشي بمدينة تلمسان بين المدينتين أقادبر والمدينة الوسطى أذلقيه خالنا يحيى بن يغان ملك المدينة في خولة وحشمه فقيل له هذا أبو عبد الله التونسي عابد وقته فمسك لجام فرسه وسلم على الشيخ فرد عليه السلام وكان على الملك ثياب فاخرة فقال له ياشيخ هذه الثياب التي انا لابسها تجوزلي الصلاة فيها فضحك الشيخ فقال له الملك مم تضحك قال من سخف عقلك وجهلك بنفسك وحالك مالك تشبيه عندي الأبالكلب يتمرغ في دم الجيفة وأكلها وقذارتها فإذا جاء يبول يرفع رجله حتى لايصيبه البول وانت وعاء ملىء حراماً وتسأل عن الثياب ومظالم العباد في عنقك قال فبكى الملك ونزل عن دابته وخرج عن ملكه من حينه ولزم خدمة الشيخ فمسكه الشيخ ثلاثة أيام ثم جاءه بحبل فقال له أيها الملك قد فرغت أيام الضيافة قم فأحتطب فكان يأتي بالحطب على رأسه ويدخل به السوق والناس ينظرون إليه ويبكون فيبيع ويأخذ قوته ويتصدق بالباقي ولم يزل في بلده ذلك حتى درج ودفن خارج تربة الشيخ وقبره اليوم بها يزار فكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون ان يدعو لهم يقول لهم ألتمسوا الدعاء من يحيى بن يغان فانه ملك فزهد ولوا بتليت بما أبتلى به من الملك بما لم أزهد قال بعض الملوك في حال نفسه وقد تزهد وانقطع إلى الله تعالى

انا في الحال الذي قد تراه ان تأملت أحسن الناس حالا

منزلي حيث شئت من مستقر الأرض أسقي من المياه الزلالا

ليس لي والد ولا لي مولو د أراه ولا أرى إلى عيالا

أجعل الساعد اليمين وسادي فإذا ماانقلبت كان الشمالا

فهؤلاء الزهاد الذين آثروا الحق على الخلق وعلى نفوسهم فكل أمر لله فيه رضى وايثار قاموا وأقبلوا عليه وما كان للحق عنه أعراض أعرضوا عنه تركوا القليل رغبة في الكثير ليس للزهاد خروج عن هذا المقام في الزهد فان خرجوا فلم يخرجوا من كونهم زهادا بل من مقام آخر وقد ينطلق اسم الزهد في اصطلاح القوم على ترك كل ماسوى الله من دنيا وآخرة كأبي يزيد سئل عن الزهد فقال ليس بشيء لاقدر له عندي ماكنت زاهداً سوى ثلاثة أيام أول يوم زهدت في الدنيا والثاني زهدت في الآخرة وثالث يوم زهدت في كل ماسوى الله فنوديت مإذا تريد فقلت أريد ان لا أريد لاني انا المراد وانت المريد فجعل ترك كل ماسوى الله زهدا ومنهم رضى الله عنهم رجال الماء وهم قوم يعبدون الله في قعور البحار والانهار لايعلم بهم كل أحد أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي وكان صدوقا ثقةً عارفاً بما ينقل ضابطاً حافظاً لما ينقل عن الشيخ أبي السعود بن الشبلي إمام وقته في الطريق قال كنت بشاطىء دجلة بغداد فخطر في نفسي هل لله عباد يعبدونه في الماء قال فما استتممت الخاطر إلا وإذا بالنهر قد انفلق عن رجل فسلم علي وقال نعم ياأبا السعود لله رجال يعبدون الله في الماء وانا منهم انا رجل من تكريت وقد خرجت منها لانه بعد كذا وكذا يوماً يقع فيها كذا وكذا ويذكر أمراً يحدث فيها ثم غاب في الماء فلما انقضت خمسة عشر يوما وقع ذلك الأمر على صورة ماذكره ذلك الرجل لأبي السعود وأعلمني بالأمر ماكان ومنهم رضى الله عنهم الأفراد ولا عدد يحصرهم وهم المقربون بلسان الشرع كان منهم محمد الأواني يعرف بابن قائد لوانة من أعمال بغداد من أصحاب الامام عبد القادر الجيلي وكان هذا ابن قائد يقول فيه عبد القادر معربد الحضرة كان يشهد له عبد القادر الحاكم في هذه الطريقة الرجوع إلى قوله في الرجال ان محمد بن قائد الأواني من المفردين وهم رجال خارجون عن دائرة القطب وخضر منهم ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله وهم الكروبيون معتكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه ولا يشهدون سوى ماعرفوا منه ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم وهم على الحقيقة ماعرفوا سواهم ولاوقفوا ألا معهم هم وكل ماسوى الله بهذه المثابة مقامهم بين الصديقية والنبوة الشرعية وهو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا كأبي حامد وأمثاله لان ذوقه عزيز هومقام النبوة المطلقة وقد ينال أختصاصاً وقد ينال بالعمل المشروع وقد ينال بتوحيد الحق والذلة له وماينبغي من تعظيم جلال المنعم بالأيجاد والتوحيد كل ذلك من جهة العلم وله كشف خاص لا يناله سواهم كالخضر فانه كما قلنا من الأفراد ومحمد صلى الله عليه وسلم كان قبل ان يرسل وينبأ من الأفراد الذين نالو الأمر بتوحيد الحق وتعظيم جلاله والانقطاع إليه وذلك انه يحصل في نفوسهم أعني في نفوس من هذا طريقهم ان الله كما انعم عليهم بالإيجاد وأسباب الخير هو قادر على ان يبقى له وعليه نعمة البقاء في الخير الدائم والسعادة حيث أرد وان لم يعلم ان ثم آخرة ولا ان الدنيا لها نهاية أم لا ولا إيمان عنده بشئ من هذا لانه ما كشف له عن ذلك عن ذلك فإذا أطلعه الحق على الأمور حينئذ إلتحق بالمؤمنين بما هو الأمر عليه مما لا يدرك بالنظر الفكري فلو كان في زمان جواز نبوة الشرائع لكان صاحب هذا المقام منهم كالخضر في زمانه وعيسى وإلياس وادريس وأما اليوم فليس إلا المقام الذي ذكرناه والرسالة ونبوة الشرائع قد انقطعت ولو كانت الانبياء والرسل في قيد الحياة في هذا الزمان لكانوا بأجمعهم داخلين تحت حكم الشرع المحمدي وأما الرسالة ونبوة الشرائع العامة أعني المتعدية إلى الأمم والخاصة بكل نبي فاختصاص إلهي في الانبياء والرسل لا ينال بالإكتساب ولا بالتعمل فخطاب الحق قد ينال

بالتعمل والذي يخاطب به ان كان شرعاً يبلغه أو يخصه ذلك هو الذي نقول فيه لا ينال بالتعمل ولا بالكسب وهو الإختصاص الإلهي المعلوم وكل شرع ينال به عامله هذه المرتبة فان نبي ذلك الشرع من أهل ذلك المقام وهو زيادة على شريعة نبوية له فضلاً من الله ونعمة وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم بالقطع وكل شرع لا ينال العامل به هذا المقام فان نبي ذلك الشرع لم يحصل له هذا المقام الذي حصل لغيره من انبياء الشرائع قال تعالى "ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض" وقال جل

جلاله "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" في وجوه منها هذا قال الخضر لموسى في هذا المقام "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا" فان موسى في ذلك الوقت لم يكن له هذا المقام الذي نفاه عنه العدل بقوله وتعديل الله إياه بما شهد له به من العلم ومارد عليه موسى في ذلك ولا انكر عليه بل قال له "ستجدني ان شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا" فانه قال له قبل ذلك "هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا" قال له الخضر "انك لن تستطيع معي صبرا" ثم انصفه في العلم وقال له يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا أعلمه انا فلم يكن للخضر نبوة التشريع التي للانبياء المرسلين ولا أدري بعد هذا الاجتماع هل حصل لموسى من جانب الحق ذلك المقام الذي كان لخضر أم لا علم لي بذلك فرحم الله عبداً أطلعه الحق على ان موسى قد أحاط بالعلم الذي ناله الخضر بعد ذلك وحصل له هذا المقام خبراً فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا ونسبه إلى نفسه لا إلى ومنهم رضى الله عنهم الأمناء قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله أمناء وقال في أبي عبيدة بن الجراح انه أمين هذه الأمة

ومستخبر عن سرليلي رددته	بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فانت أمينها	ومااناا ان أخبرتهم بامين

هم طائفة من الملامية لا تكون الأمناء من غيرهم وهم أكابر الملامتية وخواصهم فلا يعرف ماعندهم من أحوالهم لجريهم مع الخلق بحكم العوائد المعلومة التي يطلبها الايمان بما هو إيمان وهو الوقوف عندما أمر الله به ونهى على جهة الفرضية فإذا كان يوم القيامة وطهرت مقاماتهم للخلق وكانوا في الدنيا مجهولين بين الناس قال النبي صلى الله عليه وسلم" ان لله أمناء "وكان الذي أمنوا عليه ماذكرناه ولولا ان الخضر أمره الله ان يظهر لموسى عليه السلام بما ظهر ما ظهر له بشيء من ذلك فانه من الأمناء ولما عرض الله الأمانة على الانسان وقبلها كان بحكم الأصل ظلوماً جهولاً فانه خوطب بحملها عرضاًلاأمراً فان حملها جبرا أعين عليها مثل هؤلاء فالأمناء حملوها جبرا لاعرضاً فانه جاءهم الكشف فلا يقدرون ان يجهلوا ماعلموا و لم يريدوا ان يتميزوا عن الخلق لانه ماقيل لهم في ذلك أظهروا شيأ منه ولالاتظهروه فوقفوا على هذا الحد فسموا أمناء ويزيدون على سائر الطبقات انهم لايعرف بعضهم بعضاً بما عنده فكل واحد يتخيل في صاحبه انه من عامة المؤمنين وهذا ليس ألالهذه الطائفة خاصة لايكون ذلك لغيرهم ومنهم رضى الله عنهم القراء أهل الله وخاصته ولاعدد يحصرهم قال النبي صلى الله عليه وسلم" أهل القران هم أهل الله وخاصته وأهل القران هم الذين حفظوه بالعمل به وحفظوا حروفه فاستظهروه حفظاً وعملاً" كان أبو يزيد البسطامي منهم حدث أبو موسى الديبلي عنه بذلك انه مامات حتى أستظهر القران فمن كان خلقه القران كان من أهله ومن كان من أهل القران كان من أهل الله لان القران كلام الله وكلامه علمه وعلمه ذاته ونال هذا المقام سهل بن عبد الله التستري وهو ابن ست سنين ولهذا كان بدؤه في هذا الطريق

سجود القلب وكم من ولي لله كبير الشان طويل العمر مات وماحصل له سجود القلب ولاعلم ان للقلب سجوداً أصلا مع تحققه بالولاية ورسوخ قدمه فيها فان سجود القلب إذا حصل لايرفع أبدا رأسه من سجدته فهو ثباته على تلك القدم الواحدة التي تتفرع منها أقدام كثيرة وهو ثابت عليها فأكثر الأولياء يرون تقليب القلب من حال إلى حال ولهذا سمى قلباً وصاحب هذا المقام وان تقلبت أحواله فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب ولهذا لما دخل سهل بن عبد الله عبادان على الشيخ قال له أيسجد القلب قال الشيخ إلى الأبد فلزم سهل خدمته فالله تعالى يؤتي ماشاء من علمه من شاء من عباده كما قال يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده فكل أمر منه إلى خلقه سبحانه من مقامات القربة في ملك ورسول ونبي و ولي ومؤمن وسعادة بمجرد توحيد ومن يبعث أمة وحده انما هو من عناية الله به ومنته عليه فان توفيق الله للعبد في أكتساب ماقد قضى بأكتسابه منة الله بذلك على عبده وأختصاص وكم من ولي قد تعرض لنيل أمر من ذلك و لم تسبق له عناية من الله في تحصيله فحيل بينه وبين حصوله مع التعمل فأهل القران هم أهل الله فلم يجعل لهم صفة سوى عينه سبحانه ولا مقام أشرف ممن كان عين الحق صفته على علم منه ومنهم رضى الله عنهم الأحباب ولاعدد لهم بحصرهم بل يكثرون ويقلون قال تعالى" فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فمن كونهم محبين أبتلاهم ومن كونهم محبوبين أجتباهم وأصطفاهم أغنى في هذه الدار وفي القيامة وأما في الجنة فليس يعاملهم الحق الأمن كونهم محبوبين خاصة ولايتجلى لهم ألا في ذلك المقام وهذه الطائفة على قسمين قسم أحبهم أبتداء وقسم أستعملهم في طاعة رسوله طاعة لله فأثمرت لهم تلك محبة الله إياهم قال تعالى" من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله" فهذه محبة قد نتجت لم تكن ابتداء وان كانوا أحباباً كلهم

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

فلا خفاء فيما بينهم من المنازل وما من مقام من المقامات والا وأهله فيه بين فاضل ومفضول وهؤلاء الأحباب علامتهم الصفاء فلا يشوب ودهم كدر أصلاً ولهم الثبات على هذه القدم مع الله وهم مع الكون بحسب ما يقام فيه ذلك الكون من محمود ومذموم شرعاً فيعاملونة بما يقتضيه الأدب فهم يوالون في الله ويعادون في الله تعالى فالموالاة من حيث وجود المكون والمعاداة والذم من حيث عين المتكون لا من حيث ما اتصف به من الكون لان الكون كون الله فهم يحكمون ولا يحكمون قد مكنهم الله من انفسهم وأقامهم في حضرة الأدب فهم الأدباء الجامعون للخيرات يقول الله تعالى فيمن إدعى هذا المقام يا عبدي هل عملت لي عملاً قط فيقول العبد يا رب صليت وجاهدت وفعلت وفعلت ويصف من أحوال الخير فيقول الله له ذلك لك فيقول العبد يا رب فما هو العمل الذي هو لك فيقول هل واليت في ولياً أو عاديت في عدواً أو هذا هو إيثار المحبوب قال الله تعالى "يا آيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقال لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه "فهم أهل التأييد والقوة" ورد في الخبر الصحيح وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين في والمتزاورين في ومنهم رضى الله عنهم المحدثون وعمر بن الخطاب رضى الله عنه منهم وكان في زماننا منهم أبو العباس الخشاب وأبو زكرياء البجاي بالمعرة بزاوية عمر بن عبد العزيز بدير النقيرة وهم صنفان صنف يحدثه الحق من خلف حجاب الحديث قال تعالى "وما كان لبشر ان يكلمه إلا وحياً أو من وراء حجاب" وهذا

الصنف على طبقات كثيرة والصنف الآخر تحدثهم الأرواح الملكية في قلوبهم وأحياناً على إذاهم وقد يكتب لهم وهم كلهم أهل حديث فالصنف الذي تحدثه الأرواح الطريق إليه بالرياضات النفسية والمجاهدات البدنية بأي وجه كان ومن كان فان النفوس إذا صفت من كدر الوقوف مع الطبع إلتحقت بعالمها المناسب لها فأدركت ما أدركت الأرواح العلى من علوم الملكوت والأسرار وانتقش فيها جميع ما في العالم من المعاني وحصلت من الغيوب بحسب الصنف الروحاني المناسب لها فان الأرواح وان جمعهم أمر واحد فلكل روح مقام معلوم فهم على درجات وطبقات فمنهم الكبير والأكبر كجبريل وان كان من أكابرهم فميكائيل أكبر منه ومنصبه فوق منصبه وإسرافيل أكبر من ميكائيل وجبريل فكل محدث أكبر من اسماعيل فالذي على قلب اسرافيل منه يأتي الإمداد إليه وهو أعلى من الذين هم على قلب ميكائيل من هؤلاء يحدثهم الروح المناسب لهم وكم من محدث لا يعلم من يحدثه فهذا من آثار صفاء النفوس وتخليصها من الوقوف مع الطبع وارتفاعها عن تأثير العناصر والأركان فيها فهي نفس فوق مزاج بدنها وقع قوم بهذا القدر من الحديث ولكن ما هو شرط في السعادة الايمانية في الدار الآخرة لانه تخليص نفسي فان كان هذا المحدث أتى جميع هذه الصفات التي أوجبت له التخليص من الطبع بالطريقة المشروعة والإتباع النبوي والايمان الجزم اقترنت بحديث السعادة فان انضاف إلى ذلك الحديث الحديث مع الرب من الرب تعالى إليهم كان من الصنف الأول الذي ذكرنا انه على طبقات في الحديث قال بعضهم

يا مؤنسي بالليل ان هجع الورى ومحدثي من بينهم بنهار

فذكر هذا القائل ان حديثه مع الله وحديث الله معه انه من بنيتهم لا انه كلمه على ألسنتهم قال تعالى "نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انني انا الله" وقال تعالى" وكلم الله موسى تكليما" فأكده بالمصدر لرفع الأشكال هذا هو المطلوب بالحديث في هذه الطريقة وأما قوله تعالى "فأجره حتى يسمع كلام الله فذلك لأهل السماع من الحق في الأشياء لا من بين الأشياء عبارة عن النسب وهي أمور عدمية لا وجودية فإذا كان الحيث منها كان بلا واسطة وإذا كان من الأشياء فذلك قوة الفهم عن الله ورد في الخبر الصحيح ان الله قال على لسان عبده "سمع الله لمن حمده" فهذا عين قوله فأجره حتى يسمع كلام الله والذي نطلبه في هذا الطريق كلام الله من بين الأشياء لا في الأشياء ولا من الأشياء وان كان هو عين وجود الأشياء فانه ليس عين الأشياء فالاعيان في الموجودات هيولى لها أو أرواح لها والوجود ظاهر تلك الأرواح وصور تلك الأعيان الهيولائية فالوجود كله حق ظاهر وباطنه الأشياء فالحديث الإلهي من بين الأشياء أوضح عند السامع في الدلالة انه هو المكلم من ان يكلمنا في الأشياء ففافهم والله تعالى الملهم ومنهم رضى الله عنهم الأخلاء ولا عدد يحصرهم بل يكثرون ويقلون قال الله تعالى "واتخذ الله ابراهيم خليلاً" وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله والمخاللة لا تصح إلا بين الله وبين عبده وهو مقام الإتحاد ولا تصح المخاللة بين المخلوقين وأعني من المخلوقين من المؤمنين ولكن قد انطلق أسم الأخلاء على الناس مؤمنيهم وكافريهم قال تعالى "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الإالمتقين فالخلة هنا المعاشرة وقد ورد ان المرء على دين خليله وقيل في مقام الخلة

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمى الخليل خليلا

وانما قلنا لاتصح الخلة ألابين الله وبين عبده لان أعيان الأشياء متميزة وكون الأعيان وجود الحق لاغير ووجود الشىء لايمتاز عن عينه فلهذا ألاتصح الخلة ألابين الله وعبيده خاصة أذ هذا الحال لايكون بين المخلوقين لانه لايستفاد من مخلوق وجود عين فاعلم ذلك وأعلم ان شروط الخلة لاتصح بين المؤمنين ولابين النبي ومابعيه فإذا لم تصح شروطها لاتصح هي في نفسها ولكن في دار التكليف فان النبي والمؤمن بحكم الله لابحكم نفسه ومن شروط الخلة ان يكون الخليل بحكم خليله وهذا لايتصور مطلقاً بين المؤمنين ولا بين الرسل وأتباعهم في الدار الدنيا والمؤون تصح الخلة بينه وبين الله ولا تصح بينه وبين الناس لكن تسمى المعاشرة التي بين الناس إذا تاكدت في غالب الأحوال خلة فالنبي ليس له خليل ولاهو صاحب لأحد سوى نبوته وكذلك المؤون ليس له خليل ولا صاحب سوى أيمانه كما ان الملك ليس هو صاحب أحد سوى ملكه فمن كان بحكم مايلقي إليه ولا يتصرف ألاعن أمر ألهي فلا يكون خليلاً لأحد ولاصاحباً أبداً فمن أتخذ من المؤمنين خليلاً غير الله فقد جهل مقام الخلة وان كان عالماً بالخلة والصحبة ووفاها حقها مع خليله وهو حاكم فقد قدح في أيمانه لما يؤدي ذلك إليه من أبطال حقوق الله فلا خليل ألا الله فالمقام عظيم وشانه خطير والله الموفق لارب غيره ومنهم رضى الله عنهم السمراء ولا عدد يحصرهم وهم صنف خاص من أهل الحديث قال تعالى "وشاورهم في الأمر" وهذا الصنف لاحديث لهم مع الأرواح فحديثهم مع الله من قوله تعالى "يدبر الأمر يفصل الآيات" فجليسهم من الاسماء الألهية المدبر المفصل وهم من أهل الغيب في هذا المقام لامن أهل الشهادة ومنهم رضى الله عنهم الورثة وهم ثلاثة أصناف ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات قال تعالى "ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير" وقال صلى الله عليه وسلم "العلماء ورثة الانبياء " وكان شيختا أبو مدين يقول في هذا المقام من علامات صدق المريد في أرادته فراره عن الخلق ومن علامات صدق فراره عن الخلق وجوده للحق ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق وهذا هو حال الوارث للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يخلو بغار حراء ينقطع إلى الله فيه ويترك بيته وأهله ويفر إلى ربه حتى فجئه الحق ثم بعثه الله رسولاً مرشداً إلىعباده فهذه حالات ثلاث ورثه فيها من أعتنى الله به من أمته ومثل هذا يسمى وارثاً فالوارث الكامل من ورثه علماً وعملاً وحالاً فأما قوله تعالى في الوارث للمصطفى "انه ظالم لنفسه" يريد حال أبى الدرداء أمثاله من الرجال الذين ظلموا انفسهم لانفسهم أي من أجل انفسهم حتى يسعدوها في الآخرة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً فإذا صام الانسان دائماً وسهر ليله ولم ينم فقد ظلم نفسه في حقها وعينه في حقها وذلك الظلم لها من أجلها ولهذا قال ظالم لنفسه فانه أراد بها العزائم وأرتكاب الأشد لما عرف منها ومن جنوحها إلى الرخص والبطالة وجاءت السنة بالأمرين لأجل الضعفاء فلم يرد الله تعالى بقوله "ظالم لنفسه" الظلم المذموم في الشرع فان ذلك ليس بمصطفى وأما الصنف الثاني من ورثة الكتاب فهو المقتصد وهو الذي يعطي نفسه حقها من راحة الدنيا ليستعين بذلك على مايحملها عليه من خدمة ربها في قيامه بين الراحة وأعمال البر وهو حال بين حالين بين العزيمة والرخصة ففي قيام الليل يسمى المقتصد متهجداً لانه يقوم وينام وعلى مثل هذا تجري أفعاله وأما السابق بالخيرات وهو المبادر إلى الأمر قبل دخول وقته ليكون على أهبة وأستعداد وإذا دخل الوقت كان متهيأً لأداء فرض الوقت لايمنعه من ذلك مانع كالمتوضىء قبل دخول الوقت والجالس في المسجد قبل دخول وقت الصلاة فإذا دخل الوقت كان على طهارة وفي المسجد فيسابق إلى أداء فرضه وهي الصلاة وكذلك ان كان له مال أخرج زكاته وعينها ليلة فراغ الحول ودفعها لربها في أول ساعة من الحول الثاني للعامل الذي يكون عليها

وكذلك في جميع أفعال البر كلها يبادر إليها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال "بم سبقتني إلى الجنة فقال بلال ماأحدثت قط ألا توضأت ألاصليت ركعتين" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بهما فهذا وأمثاله من
السابق بالخيرات" وهو كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المشركين في شبابه وحداثة سنه و لم يكن مكلفاً بشرع فانقطع إلى ربه وتحنث وسابق إلى الخيرات ومكارم الأخلاق حتى أعطاه الله الرسالة صلى الله عليه وسلم وأعلم ان الله تعالى قد وصف أقواماً من النساء والرجال بصفات أذكرها ان شاء الله أذ كان الزمان لايخلو أبداً عن رجال ونساء قائمين بهذا الوصف مثل قوله" ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين الصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات" ثم قال "أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً" فأعد الله لهم المغفرة قبل وقوع الذنب المقدر عليهم عناية منه فدل ذلك على انهم من العباد الذين لاتضرهم الذنوب وقد ورد في الصحيح من الخبر الألهي أعمل ماشئت فقد غفرت لك فما وقعت من مثل هؤلاء الذنوب ألابالقدر المحتوم لاانتها كاللحرمة الألهية قيل لأبي يزيد أيعصي العارف قال وكان أمر الله قدراً مقدورا فتقع المعصية من العارفين أهل العناية بحكم التقدير لنفوذ القضاء السابق فلا بدمن ذكر هؤلاء الأصناف ليتبين من هو المسلم والمسلمة والمؤمن والمؤمنة ومن وصف الله منهم الذين لهم هذه المراتبة من أعداد المغفرة لهم والأجر العظيم قبل وقوع الذنب منهم وقبل حصول العمل وأمر قد عظمه الله لايكون ألاعظيماً وكذلك قوله" أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين" وكذلك قوله تعالى "التائبون العابدون" وقد ذكرنا العباد ثم قال "الحامدون السائحون" والسياحة في هذه الأمة الجهاد وقد قال تعالى "في خليله ان أبراهيم لاواه حليم" فلا بدمن ذكر الأواهين والحلماء وقال فيه لحليم أواه منيب فأثنى عليه بالانابة وقال فيه انه أواب فذكره بالأوبه فهؤلاء الأصناف لابد من ذكرهم في هذا الباب ليقع عند السامع تعيين هذه الصفة ومترلة هذا الموصوف بها وكذلك أولو النهى وأولوا الأحلام وأولوا الألباب وأولو الأبصار فما نعتهم الله بهذه النعوت سدى و المتصفون بهذه الأوصاف قد طالبهم الحق بما تقتضيه هذه الصفات وما تثمر لهم من المنازل عند الله فان هذا الباب باب شريف من أشراف أبواب هذا الكتاب يتضمن ذكر الرجال وعلوم الأولياء ونحن نستوفيها ان شاء الله أو نقارب استيفاء ذلك على القدر الذي رسم لنا وعينه الحق تعالى في واقعتنا فان المبشرات هي التي أبقى الله لنا من آثار النبوة التي سد بابها وقطع أسبابها فقذف به في قلوبنا ونفث به الروح المؤيد القدسي في نفوسنا وهو الإلهام الإلهي والعلم اللدني نتيجة الرحمة التي أعطاه إياها الله من عنده من شاء من عبادنا فمنهم رضى الله عنهم الأولياء قال تعالى" ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" مطلقا و لم يقل في الآخرة فالولي من كان على بينة من ربه في حاله فعرف مآله بأخبار الحق إياه على الوجه الذي يقع به التصديق عنده وبشارته حق وقوله صدق وحكمه فصل فالقطع حاصل فالمراد بالولي من حصلت له البشرى من الله كما قال تعالى "لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم" وأي خوف وحزن يبقى مع البشرى بالخير الذي لا يدخله تأويل فهذا هو الذي أريد بالولي في هذه الأية ثم ان أهل الولاية على أقسام كثيرة فانها أعم فلك أحاطى فنذكر أهلها من البشر ان شاء الله وهم الأصناف الذين نذكرهم مضافاً إلى ما تقدم في هذا الباب من ذكرهم ممن حصرتهم الأعداد ومن لا يحصرهم عدد انتهى الجزء السابع والسبعون

الجزء الثامن والسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

فمن الأولياء رضى الله عنهم الانبياء صلوات الله عليهم تولاهم الله بالنبوة وهم رجال اصطنعهم لنفسه واختارهم لخدمته واختصهم من سائر العباد لحضرته شرع لهم ما تعبدهم به في ذواتهم و لم يأمر بعضهم بان يعدى تلك العبادات إلى غيرهم بطريق الوجوب فمقام النبوة مقام خاص في الولاية فهم على شرع من الله أحل لهم أموراً وحرم عليهم أموراً أقصرها عليهم دون غيرهم إذ كانت الدار الدنيا تقتضي ذلك لانها دار الموت والحيات وقد قال الله تعالى "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم" والتكليف هو الابتلاء فالولاية نبوة عامة والنبوة التي بها التشريع نبوة خاصة تعم من هو بهذه المثابة من هذا الصنف وهي مقام الرفعة في الخطاب الإلهي إذا لم يأمر لاغير لا في المشاهدة فمقام النبوة علو في الخطاب ومن الأولياء رضوان الله عليهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم تولاهم الله بالرسالة فهم النبيون المرسلون إلى طائفة من الناس أويكون أرسالاً عاماً إلى الناس و لم يحصل ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم فبلغ عن الله ماأمره الله بتبليغه في قوله يأيها الرسول بلغ ماانزل أليك من ربك وما على الرسول ألاالبلاغ فمقام التبليغ هو المعبر عنه بالرسالة لاغير وماتوقفنا عن الكلام في مقام الرسول والنبي صاحب الشرع ألاان شرط أهل الطريق فيما يخبرون عنه من المقامات والأحوال ان يكون عن ذوق ولاذوق لنا ولالغيرنا ولالمن ليس بنبي صاحب شريعة في نبوة التشريع ولا في الرسالة فكيف نتكلم في مقام لم نصل إليه وعلى حال لم نذقه لاانا ولاغيري ممن ليس بنبي ذي شريعة من الله ولا رسول حرام علينا الكلام فيه فما نتكلم ألافيما لنا فيه ذوق فما عدا هذين المقامين فلنا الكلام فيه عن ذوق لان الله ماحجره ومن الأولياء أيضاً الصديقون رضى الله عن الجميع تولاهم الله بالصديقية قال تعالى في الذين آمنوا بالله ورسوله" أولئك هم الصديقون "فالصديق من آمن بالله ورسوله عن قول المخبر لاعن دليل سوى النور الايماني الذي يجده في قلبه المانع له من تردد أوشك يدخله في قول المخبر الرسول ومتعلقه على الحقيقة الايمان بالرسول ويكون الايمان بالله على جهة القربة لاعلى أثباته أذكان بعض الصديقين قد ثبت عندهم وجود الحق ضرورة انظروا ولكن ماثبت كونه قربه وهذه الآية تدل على شرف أثبات الوجود ثم ان الرسول إذا آمن به الصديق آمن بما جاءبه ومما جاءبه توحيد الأله وهو قوله قولوا " لا إله إلا الله " أو أعلم انه" لا إله إلا الله " فعلم إنه واحد في ألوهية من حيث قوله وأعلم انه "لا إله إلا الله" وعثر على توحيده بعد نظره فصدق الرسول في قوله وصدق الله في قوله" له " لا إله إلا الله" فليس بصديق وهو مؤمن عن دليل فهو عالم فقدبان لك مترل الصديقية وان الصديق هو صاحب النور الايماني الذي يجده ضرورة في عين قلبه كنور البصر الذي جعله الله في البصر فلم يكن للعبد فيه كسب كذلك نور الصديق في بصيرته ولهذا قال " أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم" من حيث الشهادة ونورهم من حيث الصديقية فجعل النور للصديقية والأجر للشهادة وهي بنية مبالغة في التصديق والصديق كشريب وخمير وسكير فليس بين النبوة التي هي نبوة التشريع والصديقية مقام ولامترلة فمن تخطى رقاب الصديقين وقع في النبوة الرسالية ومن أدعى نبوة التشريع بعد محمد صلى الله عليه وسلم فقد كذب بل كذب وكفر بما جاء به الصادق رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ان ثم مقام القربة وهي النبوة العامة لانبوة التشريع فيثبتها نبي التشريع فيثبتها الصديق لأثبات النبي المشرع إياها لامن حيث نفسه وحينئذ يكون صديقاً كمسئلة موسى والخضر وفتى موسى الذي هو صديقه ولكل رسول صديقون أما من

عالم الانس والجان أومن أحدهما فكل من آمن نور في قلبه ليس له دليل من خارج سوى قول الرسول قل ولا يجد توقفاً وبادر فدلك الضريق فإن آمن عن نظر ودليل من خارج أو توقف عند القول حتى أوجد الله ذلك النور في قلبه فآمن فهو مؤمن لا صديق فنور الصديق معد قبل وجود المصدق به ونور المؤمن غير الصديق يوجد بعد قول الرسول "قل لا إله لإالله" ونور المؤمن يكونه قربة بعد النظر في الدليل الذي أعطاه العلم بالتوحيد فهو في علمه بالتوحيد صاحب نور علم لانور إيمان وهوفي كون ذلك العلم والنظر قربة إلى الله صاحب نور إيمان فان نور العلم

بتوحيد الله قد شهدوا الله بتوحيده قبل ذلك والرسل منهم قد وحدوه قبل ان يكونوا انبياء ورسلاً فان الرسول مأأشرك قط قال تعالى" شهد الله انه لاأله ألاهو والملائكة وأولو العلم و لم يقل وأولو الايمان فرتبة العلم فوق رتبة الايمان بلا شك وهي صفة الملائكة والرسل وقد يكون حصول ذلك العلم عن نظر أوضرورة كيفما كان فيسمى علماً أذلاقائل ولامخبر يلزم التصديق بقوله وهذا المقام الذي أثبتناه بين الصديقية ونبوة التشريع الذي هو مقام القربة وهو للأفراد هو دون نبوة التشريع في المترلة عند الله وفوق الصديقية قي المترلة عند الله وهو المشار إليه بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر ففضل به الصديقين أذحصل له ماليس من شرط الصديقية ولا من لوازمها فليس بين أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لانه صاحب صديقية وصاحب سر فهو كونه صاحب سر بين الصديق ونبوة التشريع ويشارك فيه فلا يقصل عليه من يشاركه فيه هو من حقيقته فأفهم ذلك ومن الأولياء أيضاً الشهداء رضى الله عن جميعهم تولاهم الله بالشهادة وهم من المقربين وهم أهل الحضور مع الله على بساط العلم به قال تعالى "شهد الله انه لاأله ألاهو والملائكة وأولوا العلم" فجمعهم مع الملائكة في بساط الشهادة فهم موحدون عن حضور ألهى وعناية أزلية فهم الموحدون وشانهم عجيب وأمرهم غريب والايمان فرع عن هذه الشهادة فان بعث رسول وآمنوا به أغنى هؤلاء الشهداء فهم المؤمنون العلماء ولهم الأجر التام يوم القيامة وان لم يؤمنوا فليس هم الشهداء الذين انعم الله عليهم في قوله" أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا " ولولا قوله وحسن أولئك رفيقا ألحقنا هؤلاء الشهداء بحصول النعمة التي لأصحاب هذه الآية فالهم وان كانوا موحدين غير مؤمنين مع وجود الرسول أليهم لم تحسن مرافقتهم للمؤمنين فإلهم يشوشون على المؤمنين إيمالهم وهؤلاء الأعداء الذين تعمهم هذه الآية هم العلماء بالله المؤمنون بعد العلم بما قال سبحانه أذ ذلك قربة أليه من حيث قاله الله أوقاله الرسول الذي جاء من عند الله فقدم الصديق على الشهيد وجعله بأزاء النبي فانه لاواسطة بينهما لأتصال نور الايمان بنور الرسالة والشهداء لهم نور العلم مساوق لنور الرسول من حيث ماهو شاهد لله بتوحيده لامن حيث هو رسول فلا يصح ان يكون بعده مع المساوقة فكانت المساوقة تبطل ولايصح ان يكون معه لكونه رسولاً والشاهد ليس برسول فلابد ان يتأخر فلم يبق ألا ان يكون في الرتبة التي تلي الصديقية فان الصديق أتم نوراً من الشهيد في الصديقية لانه صديق من وجهين من وجه التوحيد ومن وجه القربة والشهيد من وجه القربة خاصة لامن وجه التوحيد فان توحيده عن علم لاعن أيمان فترل عن الصديق في مرتبة الايمان وهو فوق الصديق في مرتبة العلم فهو المتقدم في رتبة العلم المتأخر برتبة الايمان والتصديق فانه لايصح من العالم ان يكون صديقاً وقد تقدم العلم مرتبة الخبر فهو يعلم انه صادق في توحيد الله إذا بلغ رسالة الله والصديق لم يعلم ذلك ألابنور الايمان المعد في قلبه فعندما جاءه الرسول أتبعه من غير دليل ظاهر فقد عرفت منازل الشهداء عند الله ومن الأولياء رضى الله عنهم الصالحون تولاهم الله بالصلاح

وجعل رتبتهم بعد الشهداء في المرتبة الرابعة لكن الشكل دائرة كمارسمناه في الهامش فالنبوة أبتدأ بها حتى انتهى إلى الصلاح ونهاية

الشكل المستدير إذا كان مجعولاً ترتبط بالبداية حتى تصح الدائرة ومامن نبي ألاوقد ذكر انه صالح أوانه دعا ان يكون من الصالحين مع كونه نبياًفدل على ان رتبة الصلاح خصوص في النبوة فقد تحصل لمن ليس بنبي ولاصديق ولا شهيد فصلاح الانبياء هو مما يلي بدايتهم وهو عطف الصلاح عليهم فهم صالحون للنبوة فكانوا انبياء

وأعطاهم الدلالة فكانوا شهداء وأخبرهم بالغيب فكانوا صديقين فالانبياء صلحت لجميع هذه المقامات فكانوا صالحين فجمعت الرسل جميع المقامات كماصلح الصديقون للصديقية وصلح الشهداء للشهادة وكل موجود فهو صالح لما وجدله غير ان هؤلاء الصالحين الذين أثنى الله عليهم بانه انعم عليهم هم المطلوبون في هذا المقام وهم المنخرطون في سلك هذا النمط فهم رابعو أربعة وأراد بالنبيين هنا الرسل أهل الشرع سواء أو لم يبعثوا أعني بطريق الوجوب عليهم فالصالحون هم الذين لايدخل علمهم بالله وبما جاء من عند الله خلل فان دخله خلل بطل كونه صالحاً فهذا هو الصلاح الذي رغبت فيه الانبياء صلوات الله عليهم فكل من لم يدخله خلل في صديقيته فهو صالح ولافي شهادته فهو صالح ولافي نبوته فهو صالح والانسان حقيقته ألامكان فله ان يدعو بتحصيل الصلاح له في المقام الذي يكون فيه لجواز دخول الخلل عليه في مقامه لان النبي لوكان نبياً لنفسه أولاً نسانيته لكان كل انسان بتلك المثابة إذا لعلة في كونه نبياً كونه انساناً فلما كان الأمر أختصاصاً ألهياً جار دخول الخلل فيه وجاز رفعه فصح ان يدعو الصالح بان يجعل من الصالحين أي الذين لايدخل صلاحهم خلل في زمان مافهذا نعني بالصالحين في هذا الباب والله الموفق ومن الأولياء أيضاً رضى الله عنهم المسلمون والمسلمات وهكذا كل طائفة ذكرناهم منهم الرجال والنساء تولاهم الله بالأسلام وهو انقياد خاص لما جاء من عند الله لاغير فإذا وفي العبد الأسلام بجميع لوازمه وشروطه وقواعده فهو مسلم وان انتقض شيأً من ذلك فليس بمسلم فيما أخل به من الشروط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" واليد هنا بمعنى القدرة أي سلم المسلمون مما هو قادر على ان يفعل بهم ممالا يقضيه الأسلام من التعدي لحدود الله فيهم فأتى بالأعم وذكر اللسان لانه قد يؤذي بالذكر من لايقدر على أيصال الأذى أليه بالفعل وهو البهتان هنا خاصة لا الغيبة فانه قال المسلمون فلو قال الناس لدخلت الغيبة وغير ذلك من سوء القول فلم يثبت الشارع الأسلام ألالمن سلم المسلمون وهم أمثاله في السلامة فالمسلمون هم المعتبر في هذا الحديث وهم المقصود فان المسلمين لايسلمون من لسان من يقع فيهم ولا حتى يكونوا أبرياء مما نسب أليهم ولذلك فسرناه بالبهتان فان النبي صلى الله عليه وسلم قال" إذا قلت في أخيك ماليس فيه فذلك البهتان " وفي رواية فقد نبهته فخاب سهمك الذى رميته به فانه ماوجد منفذاً فانك نسبت أليه ماليس هو عليه فسماهم الله مسلمين فمن وقع فيمن هذه صفته فليس بمسلم لان ذلك الوصف الذي وصفه المسلم به ورماه به و لم يكن المسلم محلاله عاد على قائله فلم يكن الرامي له بمسلم فانه ماسلم مما قال أذ صار عليه سهم كلامه الذي رماه به قال صلى الله عليه وسلم "من قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما "وقال تعالى "في حق قوم قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء " قال الله فيهم ألا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون فأعاد الصفة عليهم لما لم يكن المسلمون المؤمنون أهل سفه أي ضعف رأي في أيمانهم فعاد مانسبوه من ضعف الرأي الذي هو السفه أليهم فليس المسلم الأمن سلم من جميع العيوب الأصلية والطارئة فلا يقول في أحد شراً ولا يؤثر فيه إذا قدر عليه شراً أصلاً وليس إقامة الحدود بشر فانه خير إذ جعل الله إقامة الحدود كشرب الدواء للمريض لأجل العافية وزوال المرض فهو وان كان كريهاً في الوقت فان عاقبته محمودة فما قصد الطبيب بشرب الدواء شراً للمريض وانما أعطاه سبب حصول العافية فيتحمل ما فيه من الكراهة في الوقت كذلك إقامة الحدود وأما القصاص في مثل قوله "وجزاء سيئة سيئة مثلها" فلا يخرجه ذلك عن الإسلام فان النبي صلى الله عليه وسلم اشترط

سلامة المسلمين ومن إذاك ابتداء عن قصد منه فليس بمسلم فانك ما سلمت منه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من سلم المسلمون فلا يقدح القصاص في الإسلام فانك ما آذيت مسلماً من حيث إذاك فان المسلم لا يؤذي المسلم بل أسقط عنه القصاص في الدنيا القصاص في الآخرة فقد انعم عليه بضرب من النعم فان عفا وأصلح و لم يؤاخذه وتجاوز عن سيئته فذلك المقام العالي وأجره على الله بشرط ترك المطالبة في الآخرة وحق الله ثابت قبله لانه تعدى حده فقدح في إسلامه قدر

ما تعدى فيه فان عصى المسلم ربه في غير المسلم هل يكون مسلماً بذلك أم لا قلنا لا يكون مسلماً فان الله يقول "ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة" والمسلم لا يكون ملعوناً فلقائل ان يقول هنا بالمجموع كانت اللعنة ونحن انما قلنا من آذى الله وحده قلنا كل من آذى الله وحده في زعمه فقد آذى المسلمين فان المسلم يتأذى إذا سمع في الله من القول ما لا يليق به فهو مؤاخذ من جهة ما تأذى به المسلمون من قولهم في الله ما لا يليق به فان قيل "فان لم يعرف ذلك المسلمون منه حتى يتأذوا من ذلك قلنا حكم ذلك حكم الغيبية فانه لو عرف من اغتيب تأذى وهو مؤاخذ بالغيبية فهو مؤاخذ بايذائه الله وان لم يعرف بذلك مسلم قال صلى الله عليه وسلم لا أحد أصبر على الأذى من الله المسلم من كان بهذه المثابة وهو السعيد المطلق وقليل ما هم ومن الأولياء أيضاً رضى الله عنهم المؤمنون والمؤمنات تولاهم الله بالايمان الذي هو القول والعمل والإعتقاد وحقيقته الإعتقاد شرعاً ولغة وهو في القول والعمل شرعاً لا لغة فالمؤمن من كان قوله وفعله مطابقاً يعتقده في ذلك الفعل ولهذا قال في المؤمنين "نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم" يريد ما قدموه من الأعمال الصالحة عند الله فأولئك من الذين أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما قال صلى الله عليه وسلم " المؤمن من آمنه الناس على أموالهم وانفسهم" وقال صلى الله عليه وسلم "المؤمن من آمن جاره بواثقة" و لم يخص مؤمناً ولا مسلماً بل قال الناس والجار من غير تقييد فان المسلم قيده بسلامة المسلمين ففرق بين المسلم والمؤمن بما قيده به وبما أطلقه فعلمنا ان للإيمان خصوص وصف وهو التصديق تقليداً من غير دليل ليفرق بين الايمان والعلم وأعلم ان المؤمن المصطلح عليه في طريق الله عند أهله الذي اعتبره الشرع له علامتان في نفسه إذا وجدهما كان من المؤمنين العلامة الواحدة ان يصير الغيب له كالشهادة في عدم الريب فيما يظهر على المشاهد لذلك الأمر الذي وقع به الايمان من الإيثار في نفس المؤمن كما يقع في نفس المشاهد له فيعلم انه مؤمن بالغيب والعلامة الثانية ان يسري الأمان منه في نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أموالهم وانفسهم وأهليهم من غير ان تتخلل ذلك الأمان تهمة في انفسهم من هذا الشخص وانفعلت لأمانة النفوس فذلك هو المشهود له بانه من المؤمنين ومهما لم يجد هاتين العلامتين فلا يغالط نفسه ولا يدخلها في المؤمنين فليس إلا ما ذكرنا ومن الأولياء أيضاً القانتون لله والقانتات رضى الله عنهم

تولاهم الله بالقنوت وهو الطاعة لله في كل ما أمر به ونهى عنه زهذا لا يكون إلا بعد نزول الشرائع وما كان منه قبل نزول الشرائع فلا يسمى قنوتاً ولا طاعة ولكن يسمى خيراً ومكارم خلق وفعل ما ينبغي قال الله تعالى "وقوموا لله قانتين" أي طائعين فأمر بطاعته وقال تعالى "والقانتين والقانتات" وقال تعالى "ان الأرض لله يرثها عبادي الصالحون" وليس يرث الصالح من الأرض إلا اتيانها لله طائعة مع السماء حين قال "لها وللأرض أتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين" فورث العباد منها الطاعة لله وهي المعبر عنها بالقنوت إذ الساجدون لله على قسمين منهم من يسجد طوعاً ومنهم من يسجد كرهاً فالقانت يسجد طوعاً وتصحيح طاعتهم لله وقنوتهم ان يكون الحق لهم بهذه المثابة للموازنة كما قال "اذكروني أذكركم" "ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً" فالحق مع العبد على قدر ما هو العبد مع الحق وقفت يوما انا وعبد صالح معي يقال له الحاج مدور يوسف الأستجي كان من الأميين المنقطعين إلى الله المنورة بصائرهم على سائل يقول من يعطي شيأً لوجه الله ففتح رجل صرة دراهم كانت عنده وجعل ينتقي له من

بين الدراهم قطعة صغيرة يدفعها للسائل فوجد ثمن درهم فأعطاه إياه وهذا العبد الصالح ينظر إليه فقال لي يا فلان تدري على من يفتش هذا المعطي قلت لا قال على قدره عند الله لانه أعطى السائل لوجه الله فعلى قدر ما أعطى لوجهه ذلك قيمته عند ربه ولكن من شرط القانت عندنا ان يطيع الله من حيث العمل الذي يطلبه لا من حيث الحال الذي أوجب له القنوت قال الله تعالى في القانتات من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم "من يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين" فالأجر هنا للعمل الصالح الذي عملته

وكان مضاعفاً في مقابله قوله تعالى في حقهن "يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين" لمكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفعل الفاحشة كذلك ضوعف الأجر للعمل الصالح ومكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم "ويبقى القنوت معرى" عن الأجر فانه أعظم من الأجر فانه ليس بتكليف وانما الحقيقة تطلبه وهو حال يستصحب العبد في الدنيا والآخرة ولهذا قال "ان كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبدا" يعني يوم القيامة فالقنوت مع العبودية في دار التكليف لا مع الأجر ذلك هو القنوت المطلوب والحق انما ينظر للعبد في طاعته بعين باعثة على تلك الطاعة ولهذا قال تعالى آمراً "وقوموا لله قانتين" ولم يسم أجر ولا جعل القنوت إلا من أجله لا من أجل أمر آخر فهؤلاء هم القانتون والقانتات ومن الأولياء أيضاً الصادقون والصادقات رضى الله عنهم تولاهم الله بالصدق في أقوالهم وأحوالهم فقال تعالى "رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه" فهذا من صدق أحوالهم والصدق في القول معلوم وهو ما يخبر به وصدق الحال ما يفي به في المستانف وهو أقصى الغاية في الوفاء لانه شديد على النفس فلا يقع الوفاء به في الحال والقول إلا من الأشداء الأقوياء ولا سيما في القول فانك لو حكيت كلاماً عن أحد كان بالفاء فجعلت بدله واو لم تكن من هذه الطائفة فانظر ما أغمض هذا المقام وما أقواه فان نقلت الخبر على المعنى تعرف السامع انك نقلت على المعنى فتكون صادقاً من حيث أخبارك عن المعنى عند السامع ولاتسمى صادقاً من حيث نقلك لما نقلته فانك مانقلت عين لفظ من نقلت عنه ولاتسمى كاذباً فانك قد عرفت السامع انك نقلت المعنى فانت مخبر للسامع عن فهمك لا عمن تحكي عنه فانت صادق عنده في نقلك عن فهمك لاعن الرسول أومن تخير عنه ان ذلك مراده بما قال فالصدق في المقال عسير جداً قليل من الناس من يفي به ألامن أخبر السامع انه ينقل على المعنى فيخرج عن العهدة فالصدق في الحال أهون منه ألاانه شديد على النفوس فانه يراعي جانب الوفاء لما عاهد من عاهد عليه وقد قرن الله الجزاء بالصدق والسؤال عنه فقال ليجزي الله الصادقين بصدقهم ولكن بعد ان يسأل الصادقين عن صدقهم فإذا ثبت لهم جازاهم به وجزاؤهم به هو صدق الله فيما وعدهم به فجزاء الصدق الصدق الألهي وجزاء ماصدق فيه من العمل والقول بحسب مايعطيه ذلك العمل أو القول فهذا معنى الجزاء وأما السؤال عنه فمن حيث أضافة الصدق أليهم لانه قال تعالى عن صدقهم وماقال عن الصدق فان أضاف الصادق إذا سئل صدقه إلى ربه لاإلى نفسه وكان صادقاً في هذه الأضافة انها وجدت منه في حين صدقه في ذلك الأمر في الدار الدنيا أرتفع عنه الأعتراض فان الصادق هو الله وهو قوله المشروع لاحول ولاقوة ألابالله فإذا كانت القوة به وهي الصدق فأضافتها إلى العبد انما هو من حيث أيجادها فيه وقيامها به وان قال عند سؤال الحق إياه عن صدقه انه لما صدق في فعله أوقوله في الدنيا لم يحضر في صدقه ان ذلك بالله كان منه كان صادقاً في الجواب عند السؤال ونفعه ذلك عند الله في ذلك الموطن وحشر مع الصادقين وصدق في صدقه وهذا من أغمض مايحتوي عليه هذا المقام ويطرأفيه غلط كبير في هذا الطريق وهو ان يقول المريد أوالعارف كلاماً مايترجم به عن معنى في نفسه قد وقع له ويكون في قوة دلالة تلك العبارة ان تدل على ذلك المعنى وعلى غيره من المعاني التي هي أعلى مما وقع له في الوقت ثم يأتي هذا الشخص في

الزمان الآخر فيلوح له من مطلق ذلك اللفظ معنى غامض هو أعلى وأدق وأحسن من المعنى الذي عبر عنه بذلك اللفظ أولاً فإذا سئل عن شرح قوله ذلك شرحه بما ظهر له في ثاني الحال لابأول الوضع فيكون كاذباً في أصل الوضع صادقاً في دلالة اللفظ فالصادق يقول كان قد ظهر لي معنى ماوهو كذا فأخرجته أو كسوته هذه العبارة ثم انه لاح لي معنى هو أعلى منه لما نظرت في مدلول هذه العبارة فتركت هذه العبارة عليه أيضاً في الزمان الثاني ولايقول خلاف هذا وهذا من خفي رياسة النفوس وطلبها للعلو في الدنيا وقد ذم الله من طلب علواً في الأرض فإذا أراد العارف ان يسلم من هذا الخطر ويكون صادقاً إذا أراد ان يترجم عن معنى قام له فليحضر في نفسه عند الترجمة انه يترجم عن الله عن كل مايحويه ذلك اللفظ من المعاني في علم الله ومن جملتها المعنى الذي وقع له فإذا أحضر هذا ولاح له ماشاء الله ان يمنحه من المعاني التي يدل عليها ذلك اللفظ كان صادقاً في الشرح انه قصد ذلك المعنى على الأجمال والأبهام لانه لم يكن يعلم على التعيين مافي علم الله مما يدل عليه ذلك اللفظ أحضار مثل هذا عند كل أخبار وقت الأخبار عزيز لسلطان الغفلة والذهول الغالب على الانسان فليعود الانسان نفسه مثل هذا الأستحضار فانه نافع في أستدامة المراقبة والحضور مع الحق وهذا التنبيه الذي نبهت الصادقين عليه مايشعر به أكثر أهل طريقنا فانهم لايحققون معناه وربما يتخيلون فيه انه شبهة فيفرون منه وليس كذلك بل ذلك هو غاية الأدب البشرى مع الله حيث يعبر عما في علم الله فهذا من الأدوية النافعة لهذا المرض لمن أستعمله وفقنا الله والسامعين لأستعماله واستعمال أمثاله ومن الأولياء أيضاً الصابرون والصابرات رضى الله عنهم تولاهم الله بالصبر وهم الذين حبسوا انفسهم مع الله على طاعته من غير توقيت فجعل الله جزاءهم على ذلك من غير توقيت فقال تعالى" انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" فما وقت لهم فانهم لم يوقتوا فعم صبرهم جميع المواطن التي يطلبها الصبر فكما حبسوا نفوسهم على الفعل بما أمروا به حبسوها أيضاً على ترك مانهوا عن فعله فلم يوقتوا فلم يوقت لهم الأجر وهم الذين أيضاً حبسوا نفوسهم عند وقوع البلايا والرزايا بهم عن سؤال ماسوى الله في رفعها عنهم بدعاء الغير أوشفاعة أوطب ان كان من البلاء الموقوف أزالته على الطب ولايقدح في صبرهم شكواهم إلى الله في رفع ذلك البلاء عنهم ألاترى أيوب سأل ربه رفع البلاء عنه بقوله مسني الضر وانت أرحم الراحمين أي أصاب مني فشكا ذلك إلى ربه عزوجل وقال له وانت أرحم الراحمين ففي هذه الكلمة أثبات وضع الأسباب وعرض فيها لربه برفع البلاء عنه فأستجاب له ربه وكشف مابه من الضر فأثبت بقوله تعالى "فأستجبنا له ان دعاءه كان في رفع البلاء فكشف مابه من ضر ومع هذا أثنى عليه بالصبر وشهدله به فقال انا وجدناه صابر انعم العبد انه أواب أي رجاع ألينا فيما أبتليناه به وأثنى الله على أيوب بالصبر وقد أثنى عليه به بل عندما من سوء الأدب مع الله ان لايسأل العبد رفع البلاء عنه لان فيه رائحة من مقاومة القهر الألهي بمايجده من الصبر وقوته قال العارف انما جوعني لأبكي فالعارف وان وجد القوة الصبرية فليفر إلى موطن الضعف والعبودية وحسن الأدب فان القوة لله جميعاً فيسأل ربه رفع البلاء عنه أوعصمته منه ان توهم وقوعه وهذا لايناقض الرضا بالقضاء فان البلاء انما هو عين المقضي لا القضاء فيرضى بالقضاء ويسأل الله في رفع المقضي عنه فيكون راضياً صابراً فهؤلاء أيضاًهم الصابرون الذين أثنى الله عليهم ومن الأولياء أيضاً الخاشعون والخاشعات رضى الله عنهم تولاهم الله بالخشوع من ذل العبودية القائم بهم لتجلي سلطان الربوبية على قلوبهم في الدار الدنيا فينظرون إلى الحق سبحانه من طرف خفي يوجده الله لهم في قلوبهم في هذه الحالة خفي عن أدراك كل مدرك إياه بل لايشهد ذلك النظر منهم ألاالله فمن كانت حالته هذه في الدار الدنيا من رجل وأمرأة فهو الخاشع وهي الخاشعة فيشبه القنوت من وجه ألاان القنوت يشترط فيه الأمر الألهي والخشوع لايشترط فيه ألاالتجلي الذاتي وكلتا الصفتين تطلبهما العبودية فلا يتحقق بهما ألاعبد خالص العبودية والعبودة وله حال ظاهر في الجوارح التي لها

الحركات وحال باطن في القلوب فيورث في الظاهر سكوناً ويؤثر في الباطن ثبوتاً والقنوت يورث في الظاهر بحسب مانرد به الأوامر من حركة وسكون فان كان القانت خاشعاً فحركته في سكون ولابد ان ورد الأمر بالتحرك فيورث القنوت في الباطن انتقالات أدق من الانفاس متوالية مع الأوامر الألهية الواردة عليه في عالم باطنه فالخاشع في قنوته في الباطن ثبوته على قبول تلك الأوامر الواردة عليه من غير ان يتخللها مايخرجها عن ان تكون مشهودة لهذا الخاشع فالخاشع والقانت خشوعه وقنوته أخوان متفقان في الموفقين من عباد الله ومن الأولياء أيضاً المتصدقون والمتصدقات رضى الله عنهم تولاهم الله بجوده ليجودوا بما أستخلفهم الله فيه مما أفتقر إليه خلق الله فأحوج الله الخلق إليهم لغناهم بالله فالكلمة الطيبة صدقة ولما كان حالهم التعمل في الأعطاء لا العمل دل على انهم متكسبون في ذلك لنظرهم ان ذلك

ليس لهم وانما هو لله فلايدعون فيما ليس لهم فلامنة لهم في الذي يوصلونه إلى الناس أوالى خلق الله من جميع الحيوانات وكل متغذ عليهم بكونهم مؤدبين أمانة كانت بأيديهم أوصلوها إلى مستحقيها فلا يرون أن لهم فضلاً عليهم فيما أخرجوه وهذه الحالة لايمدحون بها ألا مع الدوام والدؤوب عليها في كل حال والعارفون هنا في هذه الصفة على طبقتين منهم من يكون عين ما يعطيه مشهودا له انه حق لمن يعطيه لان الله ماخلق الأشياء التي يقع بها الانتفاع لنفسه وانما خلق الخلق للخلق فهذا معنى الاستحقاق وطبقة أخرى يكون مشهودا لهم كون خالق النعمة مختاراً فيبطل عندهم الأستحقاق بانهم يرون ان الله ما خلق الخلق أجمعه ألالعبادته ولهذا قال "وان من شيء ألايسبح بحمده ويسجد له وكان إيصال بعض الخلق للخلق بحكم التبعية لا بالقصد الأول وان لم يكن هناك مايقال فيه قصد أول ولا ثان ولكن العبارات من أجل أبراز الحقائق تعطي ذلك والله عباد من المتصدقين أقامهم الحق بين هاتين الطبقتين فهم ينظرون في حين كونهم متصدقين الأستحقاق لبقاء عين من تصدق عليه ليصح منه ماخلق له من التسبيح لربه والثناء عليه ولكن لامن حيث انه آكل مثلاً ولاشارب في حق من يكون بقاؤه بالأكل والشرب فذلك لايكون بأستحقاق وانما الأستحقاق مابه بقاؤه وأسبابه كثيرة ثم تنظر هذه الطبقة الثالثة المتولدة بينهما من عين آخر معاً وهو ان تنظر إلى الحق من حيث ماتقضيه ذاته فيرتفع عندها الأختيار وترى ان المظاهر الألهية هي المسبحة فلا يسبح الله ألا الله ولايحمده هو فهو الأثناء ذاتي لأثناء أفتقار لأكتساب ثناء فهؤلاء أحق باسم المتصدقين من غيرهم حيث أثبتوا أعيانهم ونفوا أحكامهم والله الهادي ومن الأولياء أيضاً الصائمون والصائمات رضى الله عنهم تولاهم الله بالأمساك الذي يورثهم الرفعة عند الله تعالى عن كل شيء أمرهم الحق ان يمسكوا عنه انفسهم وجوارحهم فمنه ماهو واجب ومندوب وأما قوله تعالى لهذه الطائفة " ثم أتموا الصيام إلى الليل" تنبيها على غاية توقيت الأمساك في عالم الشهادة وهو النهار والليل ضرب مثال محقق للغيب فإذا وصلوا إلى رتبة مصاحبة عالم الغيب المعبر عنه بالليل لم يصح هنالك الأمساك فان أمساك النفس والجوارح انما هو في المنهيات وهي في عالم الشهادة فان عالم الغيب أمر بلا نهى ولهذا سموا عالم الأمر وذلك لان عالم الغيب عقل مجرد لاشهوة لهم فلا نهى عندهم في مقام التكليف فهم كما أثنى الله عليهم في كتابة العزيز لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون و لم يذكر لهم نهى عن شيء لان حقائقهم لاتقتضيه فإذا صام الانسان وانتقل من بشريته إلى عقله فقد كمل نهاره وفارقه الأمساك لمفارقة النهى والتحق بعالم الأمر بعقله فهو عقل محض لاشهوة عندهم ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم "في حقه إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم "يقول وغربت الشمس عن عالم الشهادة وطلعت على عالم عقله فقد أفطر الصائم أي لم يمتنع فارتفع عنه التحجير لان عقله لايتغذى مما أمره الحق بالأمساك عنه وهو حظ طبعه فاعلم ذلك وإذا كان الأمر على هذا الحد وحصلت له الرفعة الألهية عن حكم طبعه ورفعه التجلي عن

حكم فكره أذ كان الفكر من حكم الطبع العنصري ولهذا لايفكر الملك ويفكر الانسان لانه مركب من طبيعة عنصرية وعقل فالعقل من حيث نفسه له التجلي فيرتفع عن حضيض الفكر الطبيعي المصاحب للخيال الآخذ عن الحس والمحسوس قال الشاعر "إذا صام النهار وهجر" أي ارتفع النهار فمن ليست له هذه الرفعة عن هذا الإمساك فما هو الصائم المطلوب المسمى عندنا فهذا هو صوم العارفين بالله وهم أهل الله انتهى الجزء الثامن والسبعون

الجزء التاسع والسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن الأولياء الحافظون لحدود الله والحافظات رضى الله عنهم تولاهم الله بالحفظ الإلهي فحفظوا به ما تعين عليهم ان يحفظوه وهم على طبقتين ذكرهم الله وهم الحافظون فروجهم فعين وخصص والحافظون لحدود الله فعمم وقال في الحافظين لحدود الله وبشر الصابرين على ذلك وهم الذين حبسوا انفسهم عند الحدود و لم يتعدوها مطلقاً وقال في الحافظين فروجهم أعد الله لهم مغفرة أي ستر الان الفرج عورة تطلب السترة فهو انباء عن حقيقة قال تعالى "قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم" فيسترها غيره وفيها قال "ولباس التقوى" والوقاية ستر لانه يتقي بها ما ينبغي ان يتقي منه فجعل التقوى لباساً ينبه ان ذلك ستر والستر الغفر والعورة هي المائلة يريد المائلة إلى الحق عن نفسه ورؤية شهود وجودها فأمر بستر ذلك من أجل الأدب الإلهي لما نسب إليها من المذام وجعلها من الأسرار المكتومة المستورة ألا ترى النكاح يسمى سراً قال الله تعالى "لا تواعدوهن سراً" وهذا كله يؤذن بالستر فمن صر على حفظ الحدود وسترها فان الله يستره بما تطلبه هذه الحقيقة وأعلم ان الحفظ حفظان وأهله طبقتان وقد يجتمع الحفظان في شخص واحد وقد تنفرد طبقة واحدة بحفظ واحد فلهذا فصل الله بينهما فأطلق في حق طائفة وقيد في حق أخرى ثم ان الذين أطلق في حقهم الحفظ لحدود الله هم على طبقتين فمنهم من عرف الحدود الذاتية فوقف عندها وذلك العالم الحكيم المشاهد المكاشف صاحب العين السليمة وصاحب هذا المقام قد لا يكون صاحب طريقة معينة لان الانسانية تطلبها ومنهم من عرف الحدود الرسمية و لم يعلم الحدود الذاتية وهم أرباب الايمان ومنهم من عرف الحدود الرسمية والذاتية وهم الانبياء والرسل ومن دعا إلى الله على بصيرة من أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهؤلاء هم الأولى بان يطلق عليهم الحافظون لحدود الله الذاتية الرسمية معاً وأما الحافظون فروجهم فهم على طبقتين منهم من يحفظ فرجه عنما أمر بحفظه منه ولا يحفظه مما رغب في استعماله لأمور إلهية وحكم ربانية أظهرها ابقاء النوع على طريق القربة ومنهم من يحفظ فرجه ابقاء على نفسه لغلبة عقله على طبعه وغيبته عما سنه أهل السنن من الترغيب في ذلك فان انفتح له عين وانفرج له طريق إلى ما تعطيه حقيقة الوضع المرغب في النكاح فذلك صاحب فرج فلم يحفظه الحفظ الذي أشرنا إليه وأما صاحب الشرع الحافظ به فلا بد له من الفتح ولكن إذا اقترنت مع الحفظ الهمة فإن لم يقترن معه الهمة فقد يصل إلى هذا المقام وقد لا يصل جعلنا الله من الحافظين لحدود الله الذاتية والرسمية فان الله بكل شئ حفيظ ومن الأولياء الذاكرون الله كثيراً والذاكرات رضى الله عنهم تولاهم الله بألهام الذكر ليذكروه فيذكرهم وهذا يتعلق بالاسم الآخر وهو صلاة الحق على العبد فالعبد هنا سابق والحق مصل لان المقام يقتضيه فانه قال تعالى "اذكروني أذكركم" فأخر ذكره إياهم عن ذكرهم إياه وقال "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم" وقال" من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعا" وقال"فاتبعوني يحببكم الله" فكل مقام إلهي يتأخر عن مقام كوني فهو من الاسم الآخر ومن باب قوله تعالى " هو الذي يصلي عليكم فالأمر يتردد بين الاسمين الإلهيين الأول والآخر وعين العبد مظهر لحكم هذين الاسمين وهذا هو الفصل الذي يسميه الكوفيون العماد مثل قوله انت من قوله كنت انت الرقيب عليهم فلولا الإعتماد على عين العبد ما ظهر سلطان هذين الاسمين إذ العين هناك واحدة لا متحدة وفي العبد متحدة لا واحدة فالأحدية لله والإتحاد للعبد لا الأحدية فانه لا يعقل العبد إلا بغيره لا بنفسه

فلا رائحة له في الأحدية أبداً والحق قد تعقل له الأحدية وقد تعقل بالأضافة لان الكل له بل هو عين الكل لا كلية جمع بل حقيقة أحدية تكون عنها الكثرة لا يصح هذا إلا في جناب الحق خاصة فلا يصدر عن الواحد ابداً في قضية العقل إلا واحداً لا أحدية الحق فان الكثرة تصدر عنها لان أحديته خارجة عن الحكم العقل وطوره فأحدية حكم العقل هي التي لا تصدر عنها إل واحدة وأحدية الحق لا تدخل تحت الحكم كيف يدخل تحت الحكم من خلق الحكم والأحكام لا إله إلا هو العزيز الحكيم فالذكر أعلى المقامات كلها والذاكر هو الرجل الذي له الدرجة على غيره من أهل المقامات كما قال تعالى "وللرجال

عليهم درجة" ومن الذكر سمى الذكر الذي هو نقيض الانثى فهو الفاعل والانثى منفعلة كحواء من آدم فقد نبهتك بذكر الحق عن ذكرك من كونه مصلياً فحواءعن ذكر بشري صوري إلهي وعيسى عن ذكر روحي ملكي في صورة بشر فذكر حواء أتم بسبب الصورة وذكر عيسى أتم بالملكية المتجلية في الصورة البشرية المخلوقة على الحضرة الإلهية فجمع بين الصورة والروح فكان نشأة تمامية ظاهره بشر وباطنه ملك فهو روح الله وكلمته فلن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون أي من أجل الله لمن ظهر من المخلوقين بالعزة فذلوا لهم تحت العزة الإلهية إذ لا يصح ذلة إلا بظهورها فالأعزاء من الخلائق هم مظاهر العزة الإلهية فالتواضع من تواضع تحت جبروت المخلوقين والفقير على الحقيقة من افتقر إلى الأغنياء من المخلوقين لان غنى المخلوق هو مظهر لصفة الحق فالفقير من افتقر إليها و لم يحجبه المظهر عنها وهكذا كل صفة علوية إلهية لا تنبغي إلا لله يكون مظهرها في المخلوقين فان العلماء بالله يذلون تحت سلطانها ولا يعرف ذلك إلا العلماء بالله فإذا رأيت عارفاً يزعم انه عارف وتراه يتعزز على ابناء الدنيا لما يرى فيهم من العزة والجبروت فاعلم انه غير عارف ولا صاحب ذوق وهذا لا يصح إلا للذاكرين الله كثيراً والذاكرات أي في كل حال هذا معنى الكثير فانه من الناس من يكون له هذه الحالة في أوقات ما ثم تنحجب فدل انحجابه على انها لم تكن هذه المعرفة عنده عن ذوق وانما كانت عن تخيل وتوهم وتمثل لا عن تحقق ومن الأولياء أيضاً التائبون والتائبات والتوابون رضى الله عنهم ولا هم الله بالتوبة إليه في كل حال أو في حال واحد سار في كل مقام واعلم ان الله سبحانه وصف نفسه بالتواب لا بالتائب وذكر محبته للتوابين فقال "ان الله يحب التوابين" وهم الراجعون منه إليه وأما من رجع إليه من غيره فهو تائب خاصة فانه لا يرجع إليه من غيره من هذه صفته إلا إلى عين واحدة ومن يرجع منه إليه فانه يرجع إلى أسماء متعددة في عين واحدة وذلك هو المحبوب ومن أحبه الله كان سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وجميع قواه ومحال قواه أي هو عين قواه بل محال قواه فما أحب إلا نفسه وهو أشد الحب من حب الغير فان حب الغير من حب النفس وليس حب النفس من حب الغير فالحب الأصلي هو حب الشئ نفسه فان الله يحب التوابين وهو التواب والتوابون مجلى صورة التواب فرأى نفسه فأحبها لانه الجميل فهو يحب الجمال والكون مظاهره فما تعلقت محبته إلا به فان الصور منه وعين العبد في العناية الإلهية غرق فالتائب راجع إليه من عين المخالفة ولو رجع ألف مرة في كل يوم فما يرجع إلا من المخالفة لعين واحدة وهو القابل التوب خاصة والتواب ينتقل في الانات مع الانفاس من الله إلى الله بالموافقات بل لا يكون إلا كذلك وان ظهرت في الظاهر ممن هذه صفته عند الله مخالفة فالجهل الناظر بالصورة التي أدخلت عليه الشبهة فانه يتخيل انه قد اجتمع معه في الحكم وما عنده خبر انه ممن قيل له إعمل ما شئت وأتيح له ما حجر على غيره ثم بين له فقال فقد غفرت لك أي سترتك عن خطاب التحجير فالتواب هوالمجهول في الخلق لانه محبوب والمحب غيور على محبوبه فستره عن عيون الخلق فانه لو كشفه لعباده ونظروا إلى حسن المعنى في باطنه لأحبوه ولو أحبوه لصرفوا همتهم إليه فآثروا فيه الإقبال عليه تخلقاً حقيقياً من قوله "أذكروني أذكركم واتبعوني يحببكم الله" فكان سبب إقبال الحق على العبد إقبال العبد على أمر الحق فما ظنك بالمخلوق فهو أسرع

في الإقبال عليهم لانه محل يقبل الأثر فلهذا القبول الصادر منه ولو أحبهم الخلق سترهم فلم يعرفوا فهم العرائس المخدرات خلف حجاب الغيرة فيقال فيهم مذنبون وليسوا والله بمذنبين بل مصانين محفوظين وهذا المقام هو مقام التوبة من التوبة أي من التوبة التي يقال في صاحبها تائب فالتوبة التي يقال في صاحبها تواب قال بعضهم في ذلك

يا ربة العود خذي في الغنا ... وحركي من صوته ما ونا

فان مسود قميص الدجى ... لونه الصبح بما لونا

قد تاب أقوام كثيرتوما ... تاب من التوبة إلا انا

ولنا في هذا المقام على أتم إشارة من قول الأول

مافاز بالتوبة إلاالذي ... قد تاب منها والورى نوم

فمن يتب أدرك مطلوبه ... من توبة الناس ولا يعلموا

فالتوابون أحباب الله بنص كتاب الناطق بالحق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزيل من حكيم حميد ومن الأولياء أيضاً المطهرون من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله القدوس بتطهيره فتطهيرهم تطهير ذاتي لا فعلى وهي صفة تتريه وهو تعمل في الطهارة ظاهراً وفي الحقيقة ليس كذلك ولهذا أحبهم الله فانها صفة ذاتية له يدل عليها أسمه القدوس السلام فأحب نفسه والصورة فيهم مثل الصورة في التوابين ولهذا قرن بينها في آية واحدة فقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فعين محبته لهم ليعلم ان صفة التوبة ما هي صفة التطهير وجاور بينهما الأحدية المعاملة من الله في حقهما من كونه ما أحب سوى نفسه وأعلم ان المتطهر في هذا الطريق من عباد الله الأولياء هو الذي تطهر من صفة يحول بينه وبين دخوله على ربه ولهذا أشرع في الصلاة الطهارة لان الصلاة دخول على الرب لمناجاته والصفات التي تحول بين العبد وبين دخوله على ربه هي كل صفة ربانية لاتكون إلا لله وكل صفة تدخله على ربه ويقع بها لهذا العبد التطهير فهي صفاته التي لايستحقها ألا العبد ولا ينبغي ان تكون ألا له ولو خلع الحق عليه جميع الصفات التي لاتنبغي ألا له ولابد من خلعها عليه لاتبرح ذاته من حيث تجلى الرب له موصوفة لصفاته التي له فان كان التجلي ظاهراً كان حكم صفاته عليه ظاهراً مثل الخشوع والخضوع وخمود الجوارح وسكون الأعضاء والأرتعاش الضروري وعدم الألتفات وان كان التجلي باطناً لقلبه كان أيضاً حكم صفاته في باطنه قائماً وسواء كان موصوفاً في ظاهره في ذلك الحال بصفة ربانية أي حكمها ظاهر عليه من قهره استيلاء أو قبض أو عطاء أو عطف أو حنان فالتجلي في الباطن بصفات العبودة لازم لا ينفك عنه باطن المتطهر أبدا فان طهارة القلب مثل سجوده إذا تطهر وصح تطهيره لا تنتقض طهارته أبدا وكل من قال في هذا بتجديد طهارة القلب وان طهارته يدخل عليها في القلب ما ينقضها فهو حديث نفس أعني طهره ما تطهر قط فان طهارة القلب مؤيدة وهؤلاء هم المتطهرون الذين أحبهم الله وهي حالة مكتسبة يتعمل لها الانسان فان التفعل تعمل الفعل ثم الكلام في التعمل في ذلك على صورة ما ذكرناه في التواب سواء انفاً وبالله التوفيق وهو الهادي إلى الصراط المستقيم ومن الأولياء أيضاً الحامدون من رجال ونساء رضى الله عنهم ولاهم الله بعواقب ما تعطيه صفات الحمد فهم أهل عاقبة الأمور قال الله تعالى: "ولله عاقبة الأمور" فالحامد من عباد الله من يرى في الحمد المطلق على ألسنة العالم كله سواء كان الحامدون من أهل الله أو لم يكونوا وسواء كان

المحمود الله أو كان مما يحمد الناس به بعضهم بعضاً فانه في نفس الأمر يرجع عواقب الثناء كله إلى الله لا إلى غيره فالحمد انما هو لله خاصة بأي وجه كان فالحامدون الذين أثنى الله عليهم في القران هم الذين طالعوا نهايات الأمور في ابتدائها وهم أهل السوابق فشرعوا في حمده ابتداء بما يرجع إليه سبحانه وتعالى جل جلاله من حمد المحجوبين انتهاء فهؤلاء هم الحامدون على الشهود بلسان الحق ومن الأولياء أيضاً السائحون وهم المجاهدون في سبيل الله من رجال ونساء قال صلى الله عليه وسلم "سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله قال تعالى "التائبون العابدون الحامدون السائحون" والسياحة المشي في الأرض للإعتبار برؤية آثار القرون الماضية ومن هلك من الأمم السالفة وذلك ان العارفين بالله لما علموا ان الأرض تزهو وتفخر بذكر الله عليها وهم رضى الله عنهم أهل إيثار وسعي في حق الغير ورأو ان المعمور من الأرض لا يخلو عن ذاكر لله فيه من عامة الناس وان المفاوز المهلكة البعيدة عن العمران لا يكون فيها ذاكر لله من البشر لزم بعض العارفين السياحة صدقة منهم على البيد التي لا يطرقها إلا أمثالهم وسواحل البحار وبطون الأودية وقنن الجبال والشعاب والجهاد في أرض الكفر التي لا يوحد الله تعالى فيها ويعبد فيها غير الله ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم سياحة هذه الأمة الجهاد فان الأرض وان لم يكفر عليها ولا ذكر الله فيها أحد من البشر فهي أقل حزنا وهما من الأرض التي عبد غير الله فيها وكفر عليها وهي أرض المشركين والكفار فكان السياحة بالجهاد أفضل من السياحة في غير الجهاد ولكن بشرط ان يذكر الله عليها ولابد فان ذكر الله في الجهاد أفضل من

لقاء العدو فيضرب المؤمنون رقابهم ويضرب الكفار رقاب المؤمنين والمقصود أعلاء كلمة الله في الأماكن التي يعلو فيها ذكر غير الله ممن يعبد من دون الله فهؤلاء هم السائحون لقيت من أكابرهم يوسف المغاور الجلاء ساح مجاهداً في أرض العدو عشرين سنة وممن رابط بثغر الأعداء شاب بجلمانية نشأ في عبادة الله تعالى يقال له أحمد بن همام الشقاق بالاندلس وكان من كبار الرجال مع صغر سنه انقطع إلى الله تعالى على هذه الطريق وهو دون البلوغ وأستمر حاله على ذلك إلى ان مات ومن الأولياء أيضاً الراكعون من رجال ونساء رضى الله عنهم وصفهم الله في كتابه بالراكعين وهو الخضوع والتواضع لله تعالى من حيث هويته سبحانه ولعزته وكبريائه حيث ظهر من العالم أذكان العارف لاينظر العالم من حيث عينه وانما ينظره من حيث هو مظهر لصفات الحق قال الله تعالى "كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار" وقال "ذق انك انت العزبز الكريم" وقال الكبرياء ردائي والعظمة أزاري من نازعني واحداً منهما قصمته فالعين هالكة والصفة قائمة فالراكعون ركعوا للصفة لاللعين لانهم سمعوا الحق يقول من نازعني واحداً منهما قصمته فعلموا انها صفة الحق لاصفتهم ولهذا أوقع التنازع فيهما فعرفوا من العالم مالم يعرف العالم من نفسه فلو كان الكبرياء والجبروت والعزة والعظمة التي يدعيها الغزيز الجبار العظيم المتكبر من العباد صفة لهم حقيقة لماذمهم ولاأخذهم أخذة رابية كما انه لم يأخذهم بكونهم أذلاء خاشعين حقراء محقرين فان الحقارة والذلة والصغار صفتهم فمن ظهر بصفته لم يؤاخذه الله لانه كيف يؤاخذه إذا ظهر بما هو حق له ولما لم يكن لهم الجبروت ومافي معناه وظهروا به أهلكهم الله فتحقق عند العارفين انها صفة الحق تعالى ظهرت فيمن أراد الله ان يشقيه فتواضع العارفون للجبابرة والمتكبرين من العالم للصفة لالعينهم أذكان الحق هو مشهودهم في كل شيء حتى الانحناء في السلام عند الملاقاة ربما انحنى العارفون لأخوانهم عند مايلقونهم في سلامهم فيسر بذلك الشخص الذي ينحني من أجله وسروره انما هو من جهله بنفسه حيث تخيل ان ذلك الانحناء والركوع له ممن لقيه انما هو لما يستحقه من الرفعة فيفعله عامة الأعاجم مقابلة جهل بجهل وعادة وعرفا وهم لايشعرون ويفعله العارفون مشاهدة جبروت إلهي يجب الانحناء له أذ ل يرون ألا الله قال لبيد "ألا كل شيء ما خلا الله باطل" والباطل هو العدم بلا شك والوجود كله حق فما ركع الراكع إلا لحق

وجودي باطنه عدم وهو غين المخلوق فان قلت فالراكع أيضاً وجود قلنا صدقت فان الاسماء الإلهية التي تنسب إلى الحق على مراتب في النسبة بعضها يتوقف على بعض لها المهيمنية على بعض وبعضها أعم تعليقا وأكثر أثراً في العالم من بعض والعالم كله مظاهر هذه الاسماء الإلهية فيركع الاسم الذي هو تحت حيطه غيره من الاسماء للأسم الذي له المهيمنية عليه فيظهر ذلك في الشخص الراكع فكان انحناء حق لحق ألا نرى الأحاديث الواردة الصحيحة بالفرح الإلهي والتبشيش والنزول والتعجب والضحك أين هذه الصفات من ليس كمثله شئ ومن هو القاهر فوق عباده وأمثال ذلك من صفات العظمة فمن ركع فبهذه الصفة فهي الراكعة ومن تعاظم فبتلك الصفة أيضاً الإلهية فهي العظمة والراكعون من الأولياء على هذا الحد هو ركوعهم ومن الأولياء أيضاً الساجدون من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بسجود القلوب فهم لا يرفعون رؤسهم لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو حال القربة وصفة المقربين ولا يكون السجود إلا عن تجلي وشهود ولهذا قال له "واسجد واقترب" يعني إقتراب كرامة وبر وتحف كما يقول الملك للرجل إذا دخل عليه فحياه بالسجود له بين يديه وهو يقول له أدنه أدنه حتى ينتهي منه حيث يريد من القربة فهذا معنى قوله واقترب في حال السجود اعلاماً بانه قد شاهد من سجد له وانه بين يديه فيقول له الملك اقترب ليضاعف له القربة كما قال "من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعا" إذا كان اقتراب العبد عن أمر إلهي كان أعظم وإتم في بره وإكرامه لانه ممتثل أمر سيده على الكشف فهذا هو سجود العارفين الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يطهر بيته لهم ولأمثالهم فقال عز من قائل "وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود" وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام "فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين" يريد

الذين لا يرفعون رؤوسهم أبدا أو لا يكون ذلك إلا في سجود القلب ولهذا قال له عقيب قوله "وكن من الساجدين" ثم فقال "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" فتعرف باليقين من سجد منك ولمن سجدت فتعلم انك ألة مسخرة بيد حق قادر اصطفاك وطهرك وحلاك بصفاته فصفاته سبحانه طلبته بالسجود لذاته لنسبتها إليه فانظر يا أخي سر ما أشرنا إليه في هذه المسئلة إذ كانت النسب أو الصفات أو الاسماء لا تقوم بانفسها لذاتها فهي طالبة بطلب ذاتي لعين تقوم بها فيظهر حكمها بان توصف تلك العين بها أو تسمى بها أو تنسب إليها كيف ما شئت من هذا كله فقل "وقل ربي زدني علما" وكذلك انظر في قوله وتنبه الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين فأشار إلى تنوع الحالات عليه في حال سجوده من غير رفع يتخلل ذلك ولقد رفع وقام وركع وثنى السجود و لم يثن حالة من حالات صلاته إلا السجود لشرفه في حق العبد فأكده بتثنيته في كل ركعة فرضاً واجباً وركناً لا ينجبر إلا بالإتيان به ومن الأولياء الأمرون بالمعروف من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالأمر إذ كان هو المعروف فلا فرق ان تقول الآمرون بالله أو الأمرون بالمعروف لانه سبحانه هو المعروف الذي لا ينكر "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" مع كونهم مشركين وقالوا "ما نعبدهم" يعني الألهة إلا ليقربونا إلى الله زلفى فهو المعروف عندهم بلا خلاف في ذلك في جميع النحل والملل والعقول قال صلى الله عليه وسلم "من عرف نفسه عرف ربه" فهو المعروف فمن أمر به فقد أمر بالمعروف ومن نهى به فقد نهى عن المنكر بالمعروف فالآمرون بالمعروف هم الآمرون على الحقيقة بالله فانه سبحانه إذا أحب عبده كان لسانه الذي يتكلم به والأمر من أقسام الكلام فهم الآمرون به لانه لسانهم فهؤلاء هم الطبقة العليا في الأمر بالمعروف وكل أمر بمعروف فهو تحت حيطه هذا الأمر فاعلم ذلك ومن الأولياء أيضاً الناهون عن المنكر من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالنهي عن المنكر بالمعروف والمنكر الشريك الذي أثبته المشركون بجعلهم فلم يقبله التوحيد العرفاني الإلهي وانكره فصار منكر من القول وزوراً فلم يكن ثم شريك له عين أصلاً بل هو لفظ ظهر تحته العدم المحض فانكرته المعرفة بتوحيد الله الوجودي فسمى منكرا من القول إذا القول موجود وليس بمنكر عيني فانه

لا عين للشريك إذ لا شريك في العالم عيناً وان وجد قولاً ونطقاً فهم الناهون عن المنكر وهو عين القول خاصة فليس لمنكر من المنكرات عين موجودة فلهذا وصفهم الله بانهم الناهون عن المنكر ولكن نهيهم بالمعروف في ذلك ومن الأولياء أيضاً الحلماء من رجال ونساء رضى الله عنهم وما من صفة للرجال الا وللنساء فيها مشرب تولاهم الله بالحلم وهو ترك الأخذ بالجريمة في الحال مع القدرة على ذلك فلم يعجل فان العجلة بالأخذ عقيب الجريمة دليل على الضجر وحكمه في المستانف في المشيئة فالحليم هو الذي لا يعجل مع القدرة وارتفاع المانع والعلم السابق مانع وهو محجوب عن العبد قبل الإتصاف بصفة الحلم فالعبيد على الحقيقة إذا لم يعجلوا بالأخذ عقيب الجريمة مع القدوة هم الحلماء فانهم لا علم لهم سابق يمنع من وقوع الأخذ لا في نفس الأمر فان حلم العبد من العلم الإلهي السابق ولا يشعر به العبد حتى تقوم به صفة الحلم فحينئذ يعلم ما أعطاه حكم علم الله في حكمه ولهذا ان تقدمه العلم بذلك لا يسمى حليما على جهة التشريف فالحق يوصف بالحلم لعدم الأخذ لا على طريق التشريف والعبد ينعت بالحليم لعدم الأخذ أيضاً ولكن على طريق التشريف لجهله بما في علم الله من ذلك قبل أتصافه بعدم المؤاخذة والأمهال من غير أهمال فشرف الحق بالعلم لابالحلم وشرف العبد بالحلم لابالعلم لجهله بذلك فان علم قبل قيام صفة الحلم به لم يكن له الحلم تشريفاً فالأمر فيه بمنزلة من هو مجبور في أختياره فلا يثني عليه بالأختيار ألامع رفع العلم عنه بالجبر في ذلك الأختيار سواء لان الأختيار يناقص الجبر فيعلم الانسان عند ذلك ماهو المراد بالأختيار ويرى انه ماثم في الوجودين ألا الجبر من غير أكراه فهو مجبور غير مكره وهذه المسئلة من أعظم المسائل في المعارف وكم هلك فيها من الخلق قديماً وحديثاً ومن الأولياء أيضاً الأواهون من رجال ونساء رضى الله عنهم لقيت منهم أمرأة بمرشانة لزيتون من بلاد الاندلس تدعى بشمس

مسنة تولى الله هذا الصنف بالتأوه مما يجدونه في صدورهم من ردهم لقصورهم من عين الكمال والنفوذ ويكون عن وجود أو عن وجود وجد على مفقود أثنى الله تعالى على خليله أبراهيم عليه السلام بذلك ان أبراهيم لحليم أواه ولاواه حليم فتأوه لما رأى من عبادة قومه مانحتوه وحلم فلم يعجل بأخذهم على ذلك مع قدرته عليهم بالدعاء عليهم ولهذا سمى حليماً فلو لم يقدر ولا مكنه الله من أخذهم ماسماه سبحانه حليماً ولكنه عليه السلام علم انه في دار الأمتزاج من حال إلى حال فكن يرجولكم الإيمان فيما بعد فهذا سبب حلمه وجود الموطن الذي يقتضي التحول من العبد والقبول من الله فلو علم من قومه ماعلم نوح عليه السلام حيث قال ولايلدوا ألافاجراً كفاراً ماحلم عنهم فالأواه هو الذي يكثر التأوه لبلواه ولما يقاسيه ويعانيه مما يشاهده ويراه وهو من باب الغيرة والحيرة والتأوه أمر طبيعي لامدخل له في الأرواح من حيث عروها عن الأمتزاج بالطبع ومن الأولياء الأجناد الألهيون الذين لهم الغلبة على الأعداء من رجال ونساء رضى الله عنهم قال تعالى "وان جندنا لهم الغالبون" فأضافهم إليه سبحانه من أسمه الملك فهم عبيد الملك وهنا سر فان العالم أجناده سلط بعضهم على بعض وما يعلم جنود ربك ألاهو أي مايحصيهم عدداًتولى الله طائفة منهم بالعناية الألهية فأضافهم إلى نفسه بضمير الكناية عن ذاته و لم يصرح باسم إلهي معين منصوص عليه إكتفاء بتسميتهم جنداً والأجناد لا تكون إلا للملك فبين انهم أهل عدة إذا كانت العدة من خصائص الأجناد التي تقع بها الغلبة على الأعداء والأعداء الذين في مقابلة هؤلاء الجند الشياطين والأهواء والمصارف المذمومة كلها وسلطانهم الهوى وعدة هؤلاء الجنود التقوى والمراقبة والحياء والخشية والصبر والإفتقار والميدان الذي يكون فيه المصاف والمقابلة إذا تر آي الجمعان بينهم وبين الأعداء هو العلم في حق بعض الأجناد والايمان في حق بعضهم والعلم والايمان معاً في حق الطبقة الثالثة من الجند فان أجناد الانابة الذين لهم الغلبة على ثلاث طبقات الطبقة الخاصة العلية أهل علم بتوحيد الله وأهل علم برسول الله عن دليل عقلي برهاني وأهل إيمان مبناه على هذا العلم

والطبقة الثانية أهل علم بتوحيد الله عن دليل منطقي من جهة النظر لا عن علم ضروري يجدونه في نفوسهم فانه من الجند فلا بد له من ألة يدفع بها العدو المنازع ولا يقدر يدفعه صاحب العمل الضروري لكونه عالماً من هذا الوجه من غير دليل فان العدو ما يندفع إلا بالدليل وترتيبه وأصحاب العلم بالله من جهة الضرورة طائفة أخرى لا يتميزون في الأجناد ولا يتعرضون لدفع عدو بشبهة قادحة والطبقة الثالثة أهل إيمان لا أهل علم فهم أهل إيمان يكون عنه خرق عوائد يقوم لهم ذلك مقام الأدلة للعالم فيدفعون بخرق العوائد أعداء الله وأعداءهم كما يدفعه صاحب الدليل فمثل هذه الطبقة هم المسمون جنداً وأما المؤمنون الذين ليس عندهم خرق عادة لدفع عدوفليسوا بأجناد وان كانوا مؤمنين والجامع لمعرفة هذه الطبقة ان كل شخص يقدر على دفع عدو بألة تكون عنده فهو من جنده سبحانه وتعالى الذين لهم الغلبة والقهر وهو التأييد الإلهي الذي به يقع ظهورهم على الأعداء قال تعالى "فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين" ومن الأولياء أيضاً الأخيار من رجال ونساء رضى الله عنهم قال الله تعالى "وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار" تولاهم الله بالخيرة قال تعالى "أولئك لهم الخيرات" جمع خيرة وهي الفاضلة من كل شئ ومنه "فيهن خيرات حسان" والفضل يقتضي الزيادة على ما يقع فيه الإشتراك مما لا يشترك فيه من ليس من ذلك الجنس فالأخيار كل من زاد على جميع الأجناس بأمر لا يوجد في غير جنسه من العلم بالله على طريق خاص لا يحصل إلا لأهل ذلك الجنس ثم في هذا الجنس العالم بهذا العلم الخاص الذي به سموا أخياراً منهم من أعطى الإفصاح عما علمه ومنهم من لم يعط الإفصاح عما علمه في نفسه فالذي أعطى الإفصاح أخير ممن هو دونه وهو المستحق بهذا الاسم فان الخير بالكسر الكلام يقال في فلان كرم وخير أي كرم وفصاحة فإذا أعطى الفصاحة عما عنده إهتدى به من سمع منه فكانت المنفعة به أتم فكان أفضل من غيره فانه أقرب إلى التشبيه بالاسم النافع فاعلم ذلك فقد بينت لك مرتبة الأخيار ولهذا ورد في أوصاف المرسلين لان

الرسول لا بد ان يكون مؤيداً بالنطق ليبين لمن أرسل إليه ما أرسل به إليه فهم الأخيار أي أصحاب هذه الفضيلة ومن الأولياء أيضاً الأوابون من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالأوبة في أحوالهم قال تعالى "انه كان للأوابين غفورا" يقال آبت الشمس لغة في غابت فالرجال الغائبون عند الله فلم يشهد حالهم مع الله أحد من خلق الله فان الله وصف نفسه بانه غفور لهم أي ساتر أي يستر مقامهم عن كل أحد سواه لانهم طلبوا الغيبة عنده حتى لا يكون لهم مشهود سواه سبحانه والآئب أيضاً الذي يأتي القوم ليلاً كالطارق والليل ستروهم الراجعون إلى الله في كل حال من كل ناحية يقال جاؤا من كل أوبة أي ناحية فالأواب الراجع إلى الله من كل ناحية من الأربع التي يأتي منها ابليس إلى الانسان من ناحية أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فهم يرجعون في ذلك كله إلى الله أو لا وآخر أفيما ذم وحمد من ذلك ولما اقتضى الأدب ان لا يرجعوا في حصول ماذم إلى الله وأقتضى لهؤلاء هذا الحال ان يرجعوا فيه إلى الله سمى نفسه غفوراً للأوابين أي يغفر لهم هذا القدر الذي يصحبه من مقام آخر من سوء الأدب فالرجال الذين هم بهذه المثابة وهذه الصفة هم الأوابون ومن الأولياء أيضاً المخبتون من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالأخبات وهو الطمانينة قال أبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي أي يسكن والخبت المطمئن من الأرض فالذين أطمانوا بالله من عباده وسكنت قلوبهم لما أطمانوا إليه سبحانه فيه وتواضعوا تحت أسمه رفيع الدرجات وذلوا لعزته وأولئك هم المخبتون الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه ان يبشرهم فقال له وبشر المخبتين فان قيل ومن المخبتون فقل الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ماأصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون فهذه صفات المخبتين أي كانوا ساكنين فحركهم ذكر الله بحسب ماوقع به الذكر وصبروا أي حبسوا نفوسهم على ماأصابهم من ذلك و لم يمنعهم ذلك الوجل ولاغلبة الحال عن أقامة الصلاة إذا حضر وقتها على

أتم نشأتها لما أعطاهم الله من القوة على ذلك ثم مع ماهم فيه من الصبر على ماناهم من الشدة فسألهم سائل وهم بتلك المثابة في رزق علمي أو حسي من سد جوعة أو ستر عورة أعطوه مما سألهم منه فلم يشغلهم شان عن شان فهذا انعت المخبتين الذي نعتهم الله به وهم ساكنون تحت مجاري الأقدار عليهم راضون بذلك من خبت النار إذا سكن لهبها ومن الأولياء أيضاً المنيبون إلى الله من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالانابة إليه سبحانه قال تعالى "ان أبراهيم لحليم أواه منيب" والرجال المنيبون هم الذين رجعوا إلى الله من كل شيء أمرهم الله بالمرجوع عنه مع شهودهم في حالهم انهم نواب عن الله في رجوعهم أذ الرجوع عن الكشف انما هو لله أذ كانت نواصي الخلق بيده يصرفهم كيف يشاء فمن شاهد نفسه في رجوعهم أذ الرجوع عن الكشف انما هو الله أذ كانت نواصي الخلق بيده يصرفهم كيف يشاء فمن شاهد نفسه في انابته إلى ربه نائباً عن الله كما ينوب المصلي عن الله في قوله سمع الله لمن حمده وفي تلاوته كذلك رجوعه إلى الله كل حال يسمى منيباً فلهم خصوص هذا الوصف ومن الأولياء أيضاً المبصرون من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالأبصار وهو من صفات خصائص المتقين قال تعالى "ان الذين أتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فهم علماء أهل تقوى طرأ عليهم خاطر حسن أصله شيطاني فوجدوا له ذوقاً خاصاً لايجدونه ألا إذا كان من الشيطان فيذكرهم ذلك الذوق بان ذلك الخاطر من الشيطان فإذا هم مبصرون أي مشاهدون له بالذوق فان أقتضى العلم أخذه وقلب عينه ليحزن بذلك الشيطان أخذه و لم يلتفت منه وكان من المبصرين فعلم كيف يأخذ مايجب أخذه من ذلك ففرق بينه وبين مايجب تركه كما قال عيسى عليه السلام لما قال له أبليس حين تصور له على انه لايعرفه فقال له ياروح الله قل لاأله ألا الله رجاء منه ان يقول ذلك لقوله فيكون قد أطاعه بوجه ما وذلك هو الايمان فقال له عيسى عليه السلام أقولها لا لقولك لاأله ألا الله فجمع بين القول ومخالفة غرض الشيطان لاأمتثالاً لأمر الشيطان فمن عرف كيف يأخذ الأشياء لا يبالي على يدي من جاء الله بها إليه وان أقتضى العلم رد ذلك في وجهه رده فهذا معنى قوله تذكروا ولا

يكون التذكر ألا لمعلوم قد نسى فإذا هم مبصرون أي رجع إليهم نظرهم الذي غاب عنهم رجع بالتذكر ومن الأولياء أيضاً المهاجرون والمهاجرات رضى الله عنهم تولاهم الله بالهجرة بان ألهمهم إليها ووفقهم لها قال تعالى "ومن يخرج من بيته مهاجر إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله" فالمهاجر من ترك ما أمره الله ورسوله بتركه وبالغ في ترك ذلك لله خالصاً من كل شبهة عن كرم نفس وطواعية لا عن كره واكراه ولا رغبة في جزاء بل كرم نفس بمقاساة شدائد يلقاها من المنازعين له في ذلك ويسمعونه ما يكره من الكلام طبعاً فيتغير عند سماعه ويكون ذلك كله عن اتساع في العلم والدؤوب على مثل هذه الصفة وتقيده في ذلك كله بالوجوه المشروعة لا بأغراض نفسه ويكون به كمال مقامه فإذا اجتمعت هذه الصفات في الرجل فهو مهاجر فان فاته شئ من هذه الفصول والنعوت فانه من المقام الحسن ما فاته من الحال وانما قلنا هذا كله واشترطناه لما سماه الله مهاجراً والله بكل شيء عليم فكل ما يدخل تحت هذا اللفظ مما ينبغي أن يكون وصفاً حسناً للعبد فيسمى به صاحب هجرة اشترطناه في المهاجر لا نسحاب هذه الحقيقة اللفظية في نفس الوضع على ذلك المعنى الذي اشتق من لفظه هذا الاسم ومن الأولياء أيضاً المشفقون من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالإشفاق من خشية ربهم قال تعالى "ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون" يقال أشفقت منه فإنا مشفق إذا حذرته قال تعالى "من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون" أي حذرون من عذاب ربهم غير آمنين يعني وقوعهم بهم ولا يقال أشفقت منه إلا في الحذر ويقال أشفقت عليه إشفاقا من الشفقة والأصل واحد أي حذرت عليه فالمشفقون من الأولياء من خاف على نفسه من التبديل والتحويل فان أمنه الله بالبشرى مع اشفاقه على خلق الله مثل اشفاق

المرسلين على أممهم ومن بشر من المؤمنين وهم قوم ذووا كبدرطبة لهم حنان وعطف إذا أبصروا مخالفة الأمر الإلهي من أحدار تعدت فرائصهم اشفاقاً عليه ان يترل به أمر من السماء ومن كان بهذه المثابة فالغالب على أمره انه محظوظ في أفعاله فلا يتصور منه مخالفة لما تحقق به من صفة الإشفاق فلما كانت ثمرة الإشفاق الإستقامة على طاعة الله أثنى الله عليهم بانهم مشفقون للتغيير الذي يقوم بنفوسهم عند رؤية الموجب لذلك مأخوذة من الشفق الذي هو حمرة بقية ضوء الشمس إذا غربت أو إذا أرادت الطلوع ومن الأولياء الموفون بعهد الله من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالوفاء قال تعالى "والموفون بعهدهم إذا عاهدوا" وقال "الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق" وهم الذين لا يغدرون إذا عهدوا ومن جملة ما سأل قيصر ملك الروم عنه أبا سفيان بن حرب حين سأله عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم هل يغدر فالوفاء من شيم خاصة الله فمن أتى في أموره التي كلفه الله ان يأتي بها على التمام وكثر ذلك في حالاته كلها فهو وفي وقد وفى قال تعالى "وابراهيم الذي وفى" وقال تعالى "ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما" يقال وفي الشئ وفياً على فعول بضم فاء الفعل إذا تم وكثروهم على أشراف على الأسرار الإلهية المخزونة ولهذا يقال أوفى على الشئ إذا أشرف فمن كان بهذه المثابة من الوفاء بما كلفه الله وأشرف على ما اختزنه الله من المعارف عن أكثر عباده فذلك هو الوفي ومن توفاه الله في حياته في دار الدنيا أي اناه من الكشف ما يأتي للميت عند الإحتضار إذ كانت الوفاة عبارة عن إتيان الموت فإذا طولع العبد على هذه المرتبة أوجبت له الوفاء بعهود الله التي أخذها عليه فقد يكون الوفاء بعهود الله التي أخذها عليه فقد يكون الوفاء لأهل هذه الصفة سبب الكشف وقد يكون الكشف في حق طائفة منهم سبب الوفاء ومن الأولياء أيضاً الواصلون ما أمر الله به ان يوصل من رجال ونساء رضى الله عن جميعهم تولاهم الله بالتوفيق بالصلة لمن أمر الله به ان يوصل قال تعالى "ويصلون ما أمر الله به ان يوصل" يعني من صلة الأرحام وان يصلوا من قطعهم من المؤمنين بما أمكنهم من السلام عليهم فما فوقه من الإحسان ولا يؤاخذ بالجريمة التي له الصفح عنها والتغافل ولا يقطعون أحداً من خلق الله إلا من أمرهم الحق بقطعه فيقطعونه معتقدين قطع الصفة لا قطع ذواتهم فان الصفة دائمة القطع في حق هؤلاء اتصف بها من اتصف فهم
ينتظرون به رحمة الله ان تشمله والوصل ضد القطع ولماكان الوجود مبنياً على الوصل ولهذا دل العالم على الله واتصف بالوجود الذي هو الله فالواصل أصل في الباب والقطع عارض يعرض ولهذا جعل الله بينه وبين عباده حبلاً منه إليهم يعتصمون به ويتمسكون ليصح الوصلة بينهم وبين الله سبحانه قال النبي صلى الله عليه وسلم "الرحم شجنة من الرحمن أي هذه اللفظة أخذت من الاسم الرحمن عيناً وغيباً فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله" وقطعه إياها هو قطع الله لا أمر زائد فلما علموا ان الحق تعالى ما دعاهم إليه ولا شرع لهم الطريق الموصل إليه ليسعدوا بالإتصال به فهم الواصلون أهل الانس والوصال

فهم الذين همو همو   أهل المودة في القديم

وقد ورد في الخبر لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله أخواناً فنهوا عن التقاطع ألا ترى اتصال الانفاس داخلها بخارجها يؤذن بالبقاء والحياة فإذا انقطعت الوصلة بين النفسين فخرج الداخل يطلب دخول الخارج فلم يجده مات الانسان لا انقطاع تلك الوصلة التي كانت بين النفسين فالواصلون ما أمر الله به ان يوصل ذلك هو عين وصلتهم بالله تعالى فأثنى عليهم ومن الأولياء أيضاً الخائفون من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالخوف منه أو مما خوفهم منه امتثالاً لأمره فقال "وخافون ان

كنتم مؤمنين" وأثنى عليهم بانهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ويخافون سوء الحساب فإذا خافوه التحقوا بالملأ الأعلى في هذه الصفة فانه قال فيهم "يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون" فمن كان بهذه المثابة تميز مع الملأ الأعلى فمن أدبهم مع الله انهم خافوا اليوم لما يقع فيه لكون الله خوفهم ومنه ولما تحققوا بهذا الأدب أثنى الله عليهم بانهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار فهذا خوف الزمان وأما خوف الحال فهو قوله "ويخافون سوء الحساب" فهم أهل أدب مع الله وفقوا له حيث وفقهم فان كثيراً من أهل الله لا يتفطنون لهذا الأدب ولا يعرجون على ما خوفوا به من الأكوان وعلقوا أمرهم بالله فهؤلاء لهم لقب آخر غير أسم الخائف وانما الخائفون الذين استحقوا هذا الاسم فهم الأدباء أوحى الله إلى رسوله موسى عليه السلام "يا موسى خفني وخف نفسك" يعني هواك "وخف من لا يخافني" وهم أعداء الله فأمره بالخوف من غيره فامتثل الأدباء أمر الله فخافوهم في هذا الموطن كما اشكروا غير الله من المحسنين إليهم بأمر الله لا من حيث ايصال النعم إليهم على أيديهم فهم في عبادة إلهية في شكرهم وفي خوفهم وهذا صراط دقيق خفي على العارفين فما ظنك بالعامة وأما المتوسطون أصحاب الأحوال فلا يعرفونه لانهم تحت سلطان أحوالهم أو من الأولياء أيضاً المعرضون عمن أمرهم الله بالأعراض عنه من رجال ونساء رضى الله عنهم تولاهم الله بالأعراض عنهم قال تعالى "والذين هم عن اللغو معرضون" وقال "فأعرض عن من تولى عن ذكرنا" وقد علمت هذه الطبقة انه ما ثم إلا الله فأعرضوا بأمره عن فعله فكانوا أدباء زمانهم و لم يعرضوا بانفسهم إذا المؤمن لا نفس له فان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم فمن ادعى الايمان وزعم ان له نفساً يملكها فليس بمؤمن فقال الحق لمن هذه صفة فأعرض بها يعني بالنفس التي اشتريتها منك أعرض بها عن من تولى عن ذكرنا ممن لم نشتر منه نفسه لكونه غير مؤمن فقوله "الذين هم عن اللغو معرضون" أي عن الذي أسقطه الله عن ان يعتبر معرضون لكون الحق أسقطه يقال لما لا يعتد به في الدية من أولاد الإبل لغو أي ساقط ومنه لغو اليمين لإسقاط الكفارة والمؤاخذة بها فأثنى الله عليهم بالإعراض وان تحققوا انه ما ثم إلا الله ومن الأولياء أيضاً الكرماء من رجال ونساء رضي عنهم الله تولاهم الله بكرم النفوس فقال تعالى "وإذا مروا بالغو مروا كراماً" أي لم ينظروا لما أسقط الله النظر إليه فلم يتدنسوا بشئ منه فمروا به غير ملتفتين إليه كراماً فما أثر فيهم فانه مقام تستحليه النفوس وتقبل عليه للمخالفة التي جبلها الله عليها وهذه هي النفوس الأبية أي تأبى الرذائل فهي نفوس الكرام من عباد الله والتحق بهذه الصفة بالملأ الأعلى الذين قال الله فيهم ان صحفه بأيدي سفرة كرام بررة فنعتهم بانهم كرام فكل وصف يلحقك بالملأ الأعلى فهو شرف في حقك فان العارفين من عباد الله يجعلون بينهم وبين نعوت الحق عند التحلق باسمائه ماوصف الله به الملأ الأعلى من تلك الصفة فيأخذونها من حيث هي صفة لعبيد من عباد الله مطهرين لامن حيث هي صفة للحق تعالى فان شرفهم ان لايبرحوا من مقام العبودية وهذا الذوق في العارفين عزيز فان أكثر العارفين انما يتخلقون بالاسماء الحسنى من حيث ماهي أسماء الله تعالى لامن حيث ماذكرناه من كون الملأ الأعلى قد أتصف بها على مايليق به فلا يتخلق العارف بها ألابعد ان أكتسبت من أتصاف الملأ الأعلى روائح العبودة فمثل هؤلاء لايجدون في التخلق بها طعماً للربوبية التي تستحقها هذه الاسماء فمن عرف ماذكرناه وعمل عليه ذاق من علم التجلي ما لم يذقه أحد ممن وجد طعم الربوبية في تخلقه وصفات أولياء الله في كتاب الله

المودع كلام الله كثيرة ومن أعلى الثناء وأكمله ماأوقع الأشتراك فيه بما يدل على المفاضلة وأكثر من هذا التنزل الألهي مايكون ولولا ان الكيان مظاهر الحق فكان نزوله منه إليه لما أطاق العارفون حمل كلام الحق ولاسماعه فجعل نفسه أرحم الراحمين بعباده وأحكم الحاكمين بفضل قضائه وأحسن الخالقين بتقدير وخير الغافرين بستر جلاله وخير الفاتحين لمغالق غيوبه وخير الفاصلين بأحكام

حكمته فهم لأماناتهم وعهدهم راعون بكلايته وبشهادتهم قائمون بين يديه في بساط جلاله وداعون إليه على بينة منه وبصيرة بما يطلبه حسن بلائه وهم العاملون بأوامره والراسخون في العلم بشهادة توحيده بلسان إيمانه وأولوا الأبصار بالأعتبار في مخلوقاته وأولوا النهى بما زجرهم به في خطابه وأولوا الألباب بما حفظهم من الأستمداد لبقاء نوره وهم العارفون عن الناس لما حجبهم به عن الأطلاع إلى سابق علمه والكاظمون الغيظ لتعدي حدوده والمنفقون مما أستخلفهم فيه أداء أمانة لمن شاء من عبيده والمستغفرون بالأسحار عند تجليه من سمائه والشاكرون لما أسداه من آلائه والفائزون بما وهبهم من معرفته والسابقون على نجب الأعمال إلى مرضاته والأبرار بما غمرهم به من أحسانه والمحسنون بما أشهدهم من كبريائه والمصطفون من بين الخلائق بأجتبائه والأعلون بأعلاء كلمته على كلمة أعدائه والمقربون بين أسمائه وانبيائه والمتفكرون فيما أخفاه من غامض حكمته في أحكامه والمذكرون من نسى أقراره بربو بيته عند أخذ ميثاقه والناصرون أهل دينه على من ناواهم فيه ابتغاء منازعته وان كان بقضائه أولئك عباد الله الذين ليس لأحد عليهم سلطان لكونهم من أهل الحجة البالغة لما تكلموا بالنيابة عنه في كلامه فهو لسانهم وسمعهم وبصرهم ويدهم في نوره وظلماته ولو تقصينا ما ذكر الله في كتابه من صفات أولياءه وشرحنا ما خصوا به لم يفي بذلك الوقت فإذ ولا بد من الإقتصاد في الإقتصار فليكف هذا القدر الذي ذكرناه من ذلك اجمالاً وتفصيلاً وموقتاً وغير موقت واعلم انه من شم رائحة من العالم بالله لم يقل لم فعل كذا وما فعل كذا وكيف يقول العلم بالله لم فعل كذا وهو يعلم انه السبب الذي اقتضى كل ما ظهر وما يظهر وما قدم وما أخر وما رتب لذاته فهو عين السبب فلا يوجد لعلة سواه ولا يعدم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً فمشيئته عرش ذاته كذا قال أبو طالب المكي ان عقلت فان فتح لك في علم نسب الاسماء الإلهية التي ظهرت بظهور المظاهر الإلهية في أعيان الممكنات فتنوعت وتجنست وتشخصت قد علم كل اناس مشربهم وكل قد علم صلاته وتسبيحه فسبب ظهور كل حكم في عينه أسمه الإلهي وليست أسماؤه سوى نسب ذاتيه فاعقل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء التاسع والسبعون

الجزء الثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل من هذا الباب اعلم أمن الدعاوى لما استطال لسانها في هذا الطريق من غير المحققين قديماً وحديثاً جرد الامام صاحب الذوق التام محمد بن علي الترمذي الحكيم مسائل تمحيص واختبار وعددها مائة وخمسة وخمسون سؤالاً لا يعرف الجواب عنها إلا من علمها ذوقاً وشرباً فانها لا تنال بالنظر الفكري ولا بضرورات العقول فلم يبق إلا ان يكون حصولها عن تجل إلهي في حضرة غيبية بمظهر من المظاهر فوقتاً يكون المظهر جسمياً ووقتاً يكون جسمانياً ووقتاً جسدياً ووقتاً يكون المظهر روحياً ووقتاً روحانياً وهذا الباب من هذا الكتاب مما يطلب إيضاح تلك المسائل وشرحها فجعلت هذا الباب مجلاها ان شاء الله تعالى فمن ذلك

السؤال الأول كم عدد منازل الأولياء الجواب أعلم ان منازل الأولياء على نوعين حسية ومعنوية فمنازلهم الحسية في الجنان وان كانت الجنة مائة درجة ومنازلهم الحسية في الدنيا أحوالهم التي تنتج لهم خرق العوائد فمنهم من يتبرز فيها كالأبدال وأشباههم ومنهم من تحصل له ولا يظهر عليه شيء منها وهم الملامتية وأكابر العارفين وهي تزيد على مائة مترل وبضعة عشر مترلاً وكل مترل يتضمن منازل كثيرة فهذه منازلهم الحسية في الدارين وأما منازلهم المعنوية في المعارف فهي مائتا ألف مترل وثمانية وأربعون ألف مترل محققة لم ينلها أحد من الأمم قبل هذه الأمة وهي من خصائص هذه الأمة ولها أذواق مختلفة لكل ذوق وصف خاص يعرفه من ذاقه وهذا العدد منحصر في أربعة مقامات مقام العلم اللدني وعلم النور وعلم الجمع والتفرقة وعلم الكتابة الإلهية ثم بين هذه المقامات مقامات من جنسها تنتهي إلى بضع ومائة مقام كلها منازل للأولياء ويتفرع من كل مقام منازل كثيرة معلومة العدد يطول الكتاب بإيرادها وإذا ذكرت الأمهات عرف ذوق صاحبها فأما العلم اللدني فمتعلقة الإلهيات وما يؤدي إلى تحصيلها من الرحمة الخاصة وأما علم النور فظهر سلطانه في الملأ الأعلى قبل وجود آدم بآلاف من السنين من أيام الرب وأما علم الجمع والتفرقة فهو البحر المحيط الذي اللوح المحفوظ جزء منه ومنه يستفيد العقل الأول وجميع الملأ الأعلى منه يستمدون وما ناله أحد من الأمم سوى أولياء هذه الأمة وتتنوع تجلياته في صدورهم على ستة ألاف نوع ومئين فمن الأولياء من حصل جميع هذه الانواع كأبي يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله ومنهم من حصل بعضها وقد كان للأولياء في سائر الأمم من هذه العلوم نفثات روح في روع وما كمل إلا لهذه الأمة تشريفاً لهم وعناية بهم لمكانة نبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفيه من خفايا العلوم التي هي بمترلة الأصول ثلاثة علوم علم يتعلق بالإلهيات وعلم يتعلق بالأرواح العلوية وعلم يتعلق بالمولدات الطبيعية فيما يتعلق منه بالإلهيات على قدم واحدة لا يتغير وان تغيرت تعلقاته والذي يتعلق منه بالأرواح العلوية فيتنوع في غير استحالة والذي يتعلق بالمولدات الطبيعية يتنوع ويستحيل باستحالاتها وهو المعبر عنه بأرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ فان المواد التي حصل له منها هذا العلم استحالت فالتحق العلم بها بحكم التبعية وكما هي أصولها ثلاث علوم فالأولياء فيها على ثلاث طبقات الطبقة الوسطى منهم لهم مائة ألف مترل وثلاثة وعشرون ألف مترل وستمائة مترل وسبعة وثمانون مترلاً أمهات يحتوي كل مترل منها على منازل لايتسع الوقت لحصرها لتداخل بعضها في بعضها ولا ينفع فيها ألا الذوق خاصة وما بقي من الأعداد فمقسم بين الطبقتين وهما اللذان ظهرا برداء الكبرياء وأزار العظمة غير ان لهما من أزار العظمة مما يزيد على هذا الذي ذكرناه ألف مترل وبضعة وعشرون مترلاً لهذه المنازل خصوص وصف لا يوجد في منازل رداء الكبرياء وذلك ان رداء الكبرياء مظهره من الاسم الظاهر والآزار مظهره من الاسم

الباطن والظاهر هو الأصل والباطن نسبة حادثه ولحدوثها كانت لها هذه المنازل فان الفروع محل الثمر فيوجد في الفرع مالا يظهر في الأصل وهو الثمرة وان كان مددهما من الأصل وهو الاسم الظاهر ولكن الحكم يختلف فمعرفتنا بالرب تحدث عن معرفة بالنفس لانها الدليل من عرف نفسه عرف ربه وان كان وجود النفس فرعاً عن وجود الرب فوجود الرب هو الأصل ووجود العبد فرع ففي مرتبة يتقدم فيكون له الاسم الأول وفي مرتبة يتأخر فيكون له الاسم الآخر فيحكم له بالأصل من نسبة خاصة ويحكم له بالفرع من نسبة أخرى هذا يعطيه النظر العقلي وأما ما تعطيه المعرفة الذوقية فهو انه ظاهر من حيث ما هو باطن وباطن من عين ما هو ظاهر وأول من عين ما هو آخر وكذلك القول في الآخر وازار من نفس ما هو رداء ورداء من نفس ما هوازار لا يتصف أبدا بنسبتين مختلفتين كما يقرره ويعقله العقل من حيث ما هو ذو فكر ولهذا قال أبو سعيد الخراز وقد قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين ثم تلاهو الأول والأخر والظاهر والباطن فلو كان عنده هذا العلم من نسبتين مختلفتين ما صدق قوله بجمعه بين الضدين ولو كانت معقولية الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية في نسبتها إلى الحق معقولية نسبتها إلى الخلق

لما كان ذلك مدحاً في الجناب الإلهي ولا استعظم العارفون بحقائق الاسماء ورود هذه النسب بل يصل العبد إذا تحقق بالحق ان تنسب إليه الأضداد وغيرها من عين واحدة لا تختلف وإذا كان العبد يتصور في حقه وقوع هذا فالحق أجدر أولى إذ هو المجهول الذات فمثل هذه المعرفة الألهية لا تنال إلا من هذه المنازل التي وقع السؤال عنها وأما عدد الأولياء الذين لهم عدد المنازل فهم ثلثمائة وستة و خمسون نفساً وهم الذين على قلب آدم ونوح وابراهيم وجبريل وميكائيل وأسرافيل وهم ثلثمائة وأربعون وسبعة وخمسة وثلاثة وواحد فيكون المجموع ستة وخمسين وثلثمائة هذا هو عند أكثر الناس من أصحابنا وذلك للحديث الوارد في ذلك وأماطر يقتنا وما يعطيه الكشف الذي لا مرية فيه فهو المجموع من الأولياء الذين ذكرنا أعدادهم في أول هذا الباب ومبلغ ذلك خمسمائة نفس وتسعة وثمانون نفساً منهم واحد لا يكون في كل زمان وهو الختم المحمدي وما بقي فهم في كل زمان لا ينقصون ولا يزيدون وأما الختم فهذا زمانه وقد رأيناه وعرفناه تمم الله سعادته علمته بفاس سنة خمس وتسعين وخمسمائة والمجمع عليه من أهل الطريق انهم على ست طبقات أمهات أقطاب وأئمة وأوتاد وأبدال ونقباء ونجباء وأما الذين زادوا على هؤلاء في الكشف فطبقات الرجال عندهم الذي يحصرهم العدد ولا يخلوا عنهم زمان خمس وثلاثون طبقة لا غير ومرتبة الختمين ولكن لا يكونان في كل زمان فلهذا لم نلحقهما بالطبقات الثانية في كل زمان

السؤال الثاني أين منازل أهل القربة الجواب بين الصديقية ونبوة الشرائع فلم تبلغ منزلة بني التشريع من النبوة العامة ولا هو من الصديقين الذين هم أتباع الرسل لقول الرسل وهو مقام المقربين وتقريب الحق لهم على وجهين وجه أختصاص من غير تعمل كالقائم في آخر الزمان وأمثاله ووجه آخر من طريق التعمل كالخضر وأمثاله والمقام واحد ولكن الحصول فيه على ما ذكرناه ومن ثم يتبين الرسول من النبي ويعم الجميع هذا المقام وهو مقام المقربين والأفراد وفي هذا المقام يلتحق البشر بالملأ الأعلى ويقع الأختصاص الألهي فيما يكون من الحق لهؤلاء وأما المقام فداخل تحتالكسب وقد يحصل اختاصاً ولهذا يقال اختصاص وهو الصحيح فإن العبد لا يكتسب له عند الوصول ومن هناك لا يكتسب ما يكون من الحق سبحانه فله التعمل في الوصول وماله تعمل فيما يكون من الحق له عند الوصول ومن هناك منبع العلم اللدني الذي قال الله فيه في حق عبده خضر "آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدننا علما" المعنى آتيناه رحمة علماً من عندنا وعلمناه من لدنا وهو من أربعة المقامات الذي هو علم الكتابة الألهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدني واعلم ان منزل أهل القربة يعطيهم اتصال حياتهم بالأخرة فلا يدركهم الصعق الذي يدرك

الأرواح بل هم ممن استثنى الله تعالى في قوله "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله" وهذا المترل هو أخص المنازل عند الله وأعلاها والناس فيه على طبقات ثلاث فمنهم من يحصله برمته وهم الرسل صلوات الله عليهم وهم فيه على درجات يفضل بعضهم بعضا ومنهم من يحصل منه الدرجة الثانية وهم الأنبياء صلوات الله عليهم الذين لم يبعثوا بل تعبدوا بشريعة موقوفة إلى الطبقة الثالثة والطبقة الثالثة هي دونهما درج النبوة المطلقة التي لا يتخلل وحيها ملك ودون هؤلاء الطبقات هم الصديقون الذين يتبعون المرسلين ودون هؤلاء الصديقين الصديقون الذين يتبعون الانبياء من غير ان يجب ذلك عليهم ودون هؤلاء الصديقين الذين يتبعون أهل الطبقة الثالثة وهم الذين انطلق عليهم أسم المقربين أعني أهل الطبقة الثالثة ولكن طبقة ذوق لا تعلمه الطبقة الأخرى ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا" والخبر الذوق وهو علم حال وقال الخضر لموسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا أعلمه انا

السؤال الثالث فان قيل ان الذين حازوا العساكر بأي شيء حازوا فلنقل في الجواب نذكر أولاً ما معنى العساكر وما معنى حيازهم لهم ثم نبين بأي شيء حازوا فان هذا السائل إذا أرسل سؤاله من غير تقييد لفظي أو قرينة حال ينبغي للمجيب ان يجيب بالمعاني التي تدل عليها تلك الكلمة في اصطلاحهم فمهما أخل بشيء منها فما وفى الكلمة حقها فاعلم ان العساكر قد يطلقونها ويريدون بها شدائد الأعمال والعزائم والمجاهدات كما قال القائل ظل في عسكرة من حبها أي في شدة وأعلم ان مبنى هذا الطريق على التخلق باسماء الله فحاز هؤلاء العساكر بالتخلق باسمه الملك فان الملك هو الذي يوصف بانه يحوز العساكر والملك معناه أيضاً الشديد فلا تحاز الشدائد والعزائم الا بما هو أشد منها يقال ملكت العجين إذا شددت عجنه قال قيس بن الحطيم يصف طعنة ملكت بها كفى فانهزت فتقها أي شددت بها كفى حين طعنته فحازوا العساكر بالطريقين باسمه الملك فأما الشدائد التي حازوها في هذا الباب فهي البرازخ التي أوقفهم الحق في حضرة الأفعال من نسبتها إلىالله ونسبتها إلى انفسهم فيلوح لهم ما لا يتمكن لهم معه ان ينسبوها إلى انفسهم ويلوح لهم ما لا يتمكن لهم معه ان ينسبوها إلى الله فهم هالكون بين حقيقة وأدب والتخليص من هذا البرزخ من أشد ما يقاسيه العارفون فان الذي يترل عن هذا المقام يشاهد أحد الطرفين فيكون مستريحاً لعدم المعارض واعلم ان صاحب هذا المقام هو الذي أعلمه الله بجنوده الذي لا يعلمها إلا هو قال تعالى "وما يعلم جنود ربك إلا هو" وقال "وان جندنا لهم الغالبون" فصاحب هذا المقام يعرفه جنود الله الذين لا حاكم عليهم في شغلهم إلا الله ولهذا نسبهم إليه فهم الغالبون الذين لا يغلبون فمنهم الريح العقيم ومنهم الطير التي أرسلت على أصحاب الفيل وكل جند ليس لمخلوق فيه تصريف هم العساكر التي حازها صاحب هذا المقام علما وقال صلى الله عليه وسلم "فيهم نصرت بالصبا" وقال نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر فإذا منح الله صاحب هذا المقام علم هؤلاء العساكر رمى بالحصى في وجوه الأعداء فانهزموا كما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين فله الرمى وهم لا يكون منهم غلبة ألاباامر الله ولهذا قال ومارميت أذ رميت ولكن الله رمى فكل منصور بجند الله فهو دليل على عناية الله به ولا يكون منصوراً بهم على الأختصاص ألابتعريف ألهي فان نصره الله من غير تعريف ألهي فليس هو من هذه الطبقة التي حازت العساكر فلا بد من أشتراط النصر حقاً في ذلك القصد وصاحب هذا المقام يعين لأصحابه مصارع القوم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فانه مامن شخص من أجناد الله ألاوهو يعرف عين من سلط عليه ومتى يسلط عليه وأين يسلط عليه فتتشخص الأجناد لصاحب هذا المقام في الأماكن التي هي مصارع القوم كل شخص على صورة المقتول وباسمه فيراه صاحب هذا المقام فيقول هذا هو مصرع فلان وهذا هو مقام الامام الواحد من الامامين وأقرب شيء ينال به هذا المقام البغض في الله والحب في

الله فتكون همم هذه الطبقة وانفاسهم من جملة العساكر التي حازوها بما ذكرناه وهو الموالاة في الله والعداوة في الله عن عزم وصدق مع كونهم لايرون ألا الله فيجدون من ألانضغاط وكظم الغيظ مالا يعلمه ألا الله والعين تحرسهم في باطنهم هل ينظرون في ذلك انه غير الله فإذا تحققوا ذلك حازوا عساكر الحق التي هي أسماؤه سبحانه أذ أسماؤه تعالى عساكر وهي التي يسلطها على من يشاء ويرحم بها من يشاء فمن حاز أسماء الله فقد حاز العساكر الألهية ورئيس هؤلاء الأجناد الاسمائية كما قلنا الاسم الملك هو المهيمن عليها ومن عداه فأمثال السدنة له ويكفي هذا القدر في الجواب عن هذا السؤال

السؤال الرابع فان قال إلى أين منتهاهم قلنا في الجواب لاشك ولاخفاء ان هذه الطبقة هم أصحاب عقد وعهد وهو قوله رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا فإذا حصلت هذه الطبقة فيما قلنا في غزوهم وسلكوا سبيل جهادهم كان منتهاهم إلى حل ماعقدوا عليه ونقض ماعسكروا إليه وذلك ان الأعيان التي عسكروا لها وعقدوا مع الله ان يبيدوها فلما توجهوا بعساكرهم التي أوردناها إليها كانت آثار تلك العساكر فيها إيجاد أعيانها وهو خلاف مقصود العارف بهذه العساكر أذ كان المقصود أذهاب أعيانها وألحاقها بمن لاعين له وما علم ان الحقائق لاتتبدل وان آثار العساكر فيها الوجود أذ كان سبق العدم لها لعينها فلا تؤثر فيها هذه العساكر العدم لان العدم لها من نفسها فلم يبق ألا الوجود فوقع غير مقصود العارف وعلم عند ذلك العارف ان تلك الأعيان مظاهر الحق فكان منتهاهم إليه وبدأهم منه وليس وراء الله مرمى فان قلت فالذات الغنية عن العالمين وراء الله قلنا ليس الأمر كما زعمت بل الله وراء الذات وليس وراء الله مرمى فان الذات متقدمة على المرتبة في كل شيء بما هي مرتبة لها فليس وراء الله مرمى فحصلوا من العلم بالله مالم يكن عندهم بالقصد الأول حين حازوا العساكر وكان الذي حجبهم أبتداء عن هذه المعرفة غيرتهم ان يشترك الحق مع كون من الأكوان في حال أو عين أو نسبة فلهذا كان مقصودهم ان يلحقوا الأعيان بمطلق العدم وهو المقام الذي تشير إليه الباطنية بقولها في جواب من يقول لها الله موجود فنقول ليس بمعدوم فإذا قلت لهم الله حي تقول ليس بميت فان قيل لهم فالله قادر قالت ليس بعاجز فلا تجيب قط بلفظة تعطي الأشتراك في الثبوت فتجيب بالسلب وهذا كله من باب الغيرة ولا تقدر تنفي الأعيان فتستعين بهؤلاء العساكر على أعدام هذه الأعيان وزوال حكم الثبوت منها فتجد العساكر توجدها وتكسوها حلة الوجود فإذا رأت انها مظاهر الحق رضيت بان تبقيها أعيانا ثابتة ولا تراها موجودة ويكون عين شهودها ناظرة فيها إلى وجود الحق وانه لاوجود أكتسبته من الحق بل حكمها مع الوجود حكمها ولاوجود وان الذي ظهر ماهو غير هذا غايتها وهو قوله إلى ربك منتهاها فكان منتهاها ربها فأما من كانت عساكره العزائم فمنتهاه إلى الرخص من طريقين الطريق الواحدة أحدية المحبة فيهما فيكون منتهاهم إلى شهودها وهو الذي أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه فينحل عقد الأخذ بالعزائم بهذه المشاهدة لكونه يفوته من العلم بالله على قدر مافاته من الأخذ بالرخصة والطريقة الأخرى تنتهي بهم إلى شهود كونه في العزائم هو عين كونه في الرخص وهم لانسبة لهم في واحدة منهما فينحل ماعقدوا عليه انحلالاً ذاتيًالا تعمل لهم فيه ومن هذا المقام يقول بعضهم بتفضيل الرسل بعضهم على بعض على انه في نفس الأمر كما ورد في الخطاب من قوله "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" فينتهي بهم هذا الأمر إلى حل عقد التفضيل بقوله لانفرق بين أحد من رسله ومن فضل فقد فرق فلولا وحدانية الأمر ما كان عين الجمع عين الفرق كما ان السالك يمشي حنبلياً أوحنفياً مقتصراً على مذهب بعينه يدين الله به لايرى مخالفته فينتهي به هذا المشهد إلى ان يصبح يتعبد نفسه بجميع المذاهب من غير فرقان ومن هنا يبطل النسخ عنده الذي هو رفع الحكم بعد ثبوته لانقضاء مدته فإلى ماذكرناه منتهاهم على حسب ماأعطته عساكرهم فان العساكر

تختلف فان جند الرياح ماهي جند الطير وجند الطير ماهو جند المعاني الحاصلة في نفوس الأعداء كالروع والجبن فمنتهى كل عسكر إلى فعله الذي وجه إليه من حصار قلعة وضرب مصاف أو غارة أو كبسة كل عسكر له خاصية في نفس الأمر لايتعداه قال تعالى في الطير "ترميم بحجارة" وقال في الريح "ماتذر من شيء أتت عليه ألاجعلته كالرميم" وقال في الرعب "وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم فانظر منتهى كل عسكر إلى ماأثر في نفس من عسكر إليه فالحق لايتقيد أذ كان هو عين كل قيد فالناس بين محجوب وغير محجوب جعلنا الله ممن أشهد الحق في عين حجابه وفي رفع حجابه وفيما كان له من وراء حجابه

السؤال الخامس فان قيل قد عرفنا أينية منازل أهل القرية وأينية منتهى العساكر ومنتهى من حازها فابن مقام أهل المجالس والحديث قلنا في الجواب أما أهل المجالس المحدثون فمجالسهم خلف الحجاب ألانزل الأقدس في النزول ولهم ست حضرات لهم في الحضرة الأولى ثمانية مجالس المجلس الثاني والسادس يسمى مجالس الراحات وهي من باب رفق الله بالعباد الذين لهم هذه الأحوال ومجلسان الأول الذي هو الرابع والثامن فهما مجلسا الجمع بين العبد والرب ومجلس الفضل بين العبد والرب على مراتب ابينها وأما الأربعة مجالس التي بقيت فالحديث فيها على مراتب متعددة وكذلك الحضرة الثانية والحضرة الرابعة فيها ثمانية مجالس على ماذكرناه وأما في الحضرة السادسة فمجلسان وأما في الحضرة الثالثة فستة مجالس وأما في الحضرة الخامسة فأربعة مجالس وانتهت أمهات مجالس أهل الحديث مع الله من حيث هم محدثون لامن حيث لهم مجالس وأما أهل المجالس لامن كونهم محدثين فهم أهل الشهود وهم على أربع مراتب في مجالسهم فالمحدثون جلوسهم من حيث هم من خلف ذلك الحجاب وأهل المجالس فمن حيث المراتب التي أعدلهم الحق فمنهم من أعد لهم منابر ومنهم من أعدلهم أرائك ومنهم من أعدلهم كراسي ومنهم من أعدلهم درائك والكل يشهدون جليسهم من غير حديث من الطرفين فلنذكر مجالس أهل الحديث وهي ثمانية وأربعون مجلساً وعند الترمذي الحكيم ستة وخمسون مجلساً لان الترمذي يراعي من الانسان حظ طبعه فيزيد أثنى عشر مجلساً وهو الصحيح ومن يقتصر منا في الانسان على روحانيته من غير طبيعته فهي ستة وثلاثون مجلساً فلهذا وقع الخلاف بيننا وبين العلماء من أهل هذه المجالس فمنا من أعتبر ذلك ومنا من لم يعتبر والأولى أعتبارها فأما مجالس الجمع بين العبد والرب فأربعة مجالس يعلم فيما يحادثه به الحق فيها كيف يخاطب الخلق من أجل الله وكيف يثني على الحق تبارك وتعالى ويعلم معنىقوله "بورك من في النار ومن حولها " ويحادثه فيها بمثل قوله "كلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً " فيعرف من أين طيب له وبما طيب له وبما طاب له ويعلم الاسم الآخر مانسبته إلى الحق وماحظ العبد منه ويعلم مايقول كلما ورد على ملأ أعلى من روح وبشر في السموات والأرض ويعلم شهادة التوحيد بالنسبة إلى الله وبالنسبة إلى الملائكة وبالنسبة إلى العلماء من البشر الحاصلة لهم من باب الشهود لامن باب الفكر ويعلم منازل الرسل ومن أين خصوا بما خصوا به وبماذا يفضل بعضهم بعضا وبماذا لايفضل ومن أي نسبة ينسبون إلى الله وأشياء غير هذا محصورة وأما مجالس الفصل فيحصل فيها مايحصل في هذه المجالس من طريق أخرى وذوق آخر غير انه يختلف عليه الحال عند انتهاء المجالسة بمشاهدة أسماء ألهية لم يكن يعرفها قبل ذلك أوبمشاهدة أسماء إلهية من حيث أعيان أكوان خاصة أو بمشاهدة أعيان أكوان خاصة من غير أرتباط باسماء ألهية وان كانت في نفس الأمر مرتبطة بها ولكن يكون بينها وبين هذا العبد حجاب رقيق وأما المجالس الأربعة التي بقيت ذات المراتب فسأذكر مايكون فيها وفي هذه الست الحضرات من الحديث في الفصل الثامن في سؤاله ماحديثهم ونجواهم وهذه المجالس أيضاً توجد في الحضرة الثانية والرابعة وأما الحضرة الثالثة فمجالسها ستة مجالس وأما الحضرة الخامسة ففيها أربعة مجالس وأما الحضرة السادسة ففيها مجلسان وهذه كلها مجالس أهل الحديث لامجالس الشهود ألاعند بعض العارفين فانه قد تكون مجالس شهود متخيل من خلف

حجاب الخيال وأما الأثنا عشر مجلساً الذي لهم على مذهب الترمذي كما قررنا وهي تمام الثمانية والأربعين مجلساً فحديثهم فيها نذكره عند ذكر الستة والثلاثين مجلساً في الفصل الثامن ان شاء الله فان ذلك الفصل سورته

السؤال السادس فان قلت كم عددهم قلنا في الجواب عدد أهل بدر أهل الحديث منهم أربعون نفساً وما بقي فلهم مجالس الشهود من غير حديث فان الحديث للحضور مع المعنى الذي يعطيه الكلام لا مع المتكلم إلا ان يكون المتكلم بحيث يتخيله السامع فيجمع بين الحديث والشهود ولكن ما هو الشهود المطلوب لأهل الأذواق فلا بد ان تكون انت من حيث انت للاستفادة عند الحديث ولكن بسمعه لا بعينك بل بظهوره فيك فمن كونك مظهر تسمع ومن كونك عيناً تكون مظهراً فافهم وقد أشار لسان الخبر الصدق إلى هذا العدد بقوله من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أي كان من الحديث بالله عن الله والصباح ظهور عين العبد مظهراً لا عيناً وبطون عينه في مظهره كبطون الليل عند وجود الصباح والأربعون أشارة إلى أعيان هؤلاء الأشخاص فهو عين ما قلنا ان أهل الحديث منهم أربعون نفساً فبقي أهل المجالس من غير حديث مائتين وثلاثة وسبعين نفساً وهم تمام الثلثمائة وثلاثة عشر فجلوسهم جلوس مشاهدة للأستفادة من حيث ان أعيانهم مظهر لبصر الحق فيرونه به وهم غيب في ذلك المظهر وتكون استفادتهم من ذلك التجلي استفادة أصحاب الرصد فتعطيهم الأرصاد العلوم من غير حديث لكنه حديث معنوي بدلالات ظاهرة تقوم تلك الدلالات مقام الخطاب بالحروف والأشارات في علم الحروف والأشارات فالغرض الحاصل من هذه المجالس سواء كانت مجالس شهود وحديث حصول علو ينتقش في عين هذا المظهر من نظر أو سماع هؤلاء هم المعتنى بهم من أهل الله السؤال السابع فان قلت بأي شيء استوجبوا هذا على ربهم تبارك وتعالى قلنا في الجواب الأدب الإلهي انه لا يجب على الله شيء بإيجاب وجب غير نفسه فان أوجب هو على نفسه أمر أما فهو الموجب والوجوب والموجب عليه لا غيره ولكن إيجابه على نفسه لمن أوجب عليه مثل قوله فسأكتبها اللذين يتوفون يعني الرحمة الواسعة فأدخلها تحت التقييد بعد الإطلاق من أجل الوجوب ومثل قوله "كتب ربكم على نفسه الرحمة" انه لآية فهل هذا كله من حيث مظاهره أو هو وجوب ذاتي لمظاهره من حيث هي مظاهر لا من حيث الأعيان فان كان للمظاهر فما أوجب على نفسه إلا لنفسه فلا يدخل تحت حد الواجب ما هو وجوب على هذه الصفة فان الشيء لا يذم نفسه وان كان للأعيان القابلة ان تكون مظاهر كان وجوبه لغيره إذ الأعيان غيره والمظاهر هويته فقل بعد هذا البيان ما شئت في الجواب ويكون الجواب بحسب ما قيده بما قيد الموجب فاستوجبوا ذلك على ربهم في موطن بكونهم يتقون ويؤتون الزكاة على مفهوم الزكاة لغة وشرعاً" والذين هم بآياتنا يؤمنون" الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم فهؤلاء طائفة مخصوصة وهم أهل الكتاب فخرج من ليس بأهل الكتاب من هذا التقييد الوجوبي وبقي الحق عنده من كونه رحماناً على الاطلاق واستوجبت طائفة أخرى ذلك على ربها انه من عمل منكم سوأً بجهالة ثم تاب من بعد وأصلح فقيد بالجهالة فان لم يجهل لم يدخل في هذا التقييد وبقيت الرحمة في حقه مطلقة ينتظرها من عين المنة التي منها كان وجوده أي منها كان مظهراً للحق لتتميز عينه في حال اتصافها بالعدم المطلق الذي لا عين فيه ألا ترى إبليس كيف قال لسهل في هذا الفصل يا سهل التقييد صفتك لا صفته فلم ينحجب بتقييد الجهالة والتقوى عما يستحقه من الإطلاق فلا وجوب عليه مطلقاً أصلاً فمهما رأيت الوجوب فاعلم ان التقييد يصحبه وأما من رأى انهم استوجبوا ذلك على ربهم من غير ما ذكره تعالى عن نفسه فقالوا ببذلهم مراكبهم في زمان الزيادة طلباً للمواصلة وإيثار الجناب الحق في زعمهم وان كان في ذلك نقص فهو عين الكمال التام بهذه المراعاة فهذا عندي مثل ما قال الشاعر لعمر بن الخطاب حين حبسه

ماذا تقول لأفراخ بذي مرح حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر هداك مليك الناس يا عمر

ما آثروك بها إذ قدموك لها لا بل لانفسهم قد كانت الأثر

فان كانوا بذلوا مراكبهم عن طلب إلهي يقتضي ذلك وجوباً إلهياً كان مثل الأول فانه لو لم يرد عنه تعالى الوجوب على نفسه لم نقل به فانه سوء أدب من العبد ان يوجب على سيده غير ان هنا لطيفة دقيقة لا يشعر بها كثير من العارفين بهذه المجالس وذلك انه كما نطلبه لوجود أعياننا يطلبنا لظهور مظاهره فلا مظهر له إلا نحن ولا ظهور لنا إلا به فبه عرفنا انفسنا وعرفناه وبنا تحقق عين ما يستحقه الإله

فلولاه لما كنا ولولا نحن ما كانا

فان قلنا بانا هو يكون الحق إيانا

فأبدانا وأخفاه وأبداه وأخفانا

فكان الحق أكوانا وكنا نحن أعيانا

فيظهرنا لنظهره سراراً ثم إعلاناً

فلما وقفوا على هذه الحقائق من نفوسهم ونفوس الأعيان سواهم تميزوا على من سواهم بان علموا منهم ما لم يعلموا من انفسهم واطلع الحق على قلوبهم فرأى ما تجلت به مما أعطتها العناية الإلهية وسابقة القدم الرباني استوجبوا على ربهم ما استوجبوه من ان يكونوا أهلاً لهذه المجالس الثمانية والأربعين السؤال الثامن فان قلت عن أهل هذه المجالس ما حديثهم ونجواهم قلنا في الجواب بحسب الاسم الذي يقيمهم فلا يتعين علينا تعيينه ولكن الأصول الإلهية محفوظة وذلك ان حديث أهل الحضرة الأولى في مجالستهم فيها والمجلس الأول الذي بين المثلين من أسمه الظاهر والمبدئ والباعث وكل أسم يعطي البروز ووجود الأعيان تحادث الحق فيه بلسان حياة الأرواح وحياة إلهيا كل السفلية في البرازخ وعالم الحس والمحسوس والعقل والمعقول وبلسان من ضاع عن الطريق وانجبر إليه بعد ما انكسر خاطره وخاف الفوت وبلسان أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي بين أنه أعطى كل شيء خلقه ففرق بين قوله "وأغلظ عليهم" وقوله له بعينه فبما رحمة من الله لنت لهم"ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك" وقال لموسى وهارون "فقولا له قولاً لينا" فيقابل به غلظة فرعون فينكسر لعدم المقاوم إذ لم يجد قوة تصادم غلظته فعاد أثرها عليه فأهلكته بالغرق فباللين هلك فرعون فأعطى كل شيء خلقه في وقته فيحدث نشأت الانسان مع الانفاس ولا يشعر وهو قوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون يعني مع الانفاس وفي كل نفس له فينا انشاء جديد بنشأة جديدة ومن لا علم له بهذا فهو في ليس من خلق جديد لان الحس يحجبه بالصورة التي لم يحس بتغييرها مع ثبوت عين القابل للتغيير مع الانفاس وبلسان طلب الإستقامة في المزاج ليصح نظر العقل في فكره ومزاج الحواس فيما تنقل إليه ومزاج القوى الباطنية فيما تؤديه من الأمور للعقل فانه إذا أختل المزاج ضعفت الإدراكات عن صحة النقل فنقلت بحسب ما له انتقلت فكانت الشبه والمغالط فعقل العقل للجهل علما فيصير العدم وجود أو بلسان أزاحة الأمور التي توجب عدم المواصلة والمراسلة ففي الحضرة الأولى أربعة مجالس مما تشاء كل ما ذكرناه ومثلها في الثانية والرابعة وأما في الحضرة

الثالثة من هذه المجالس فثلاثة وفي الخامسة أثنان وفي السادسة واحدة على هذه المشاكلة لكن في كل حضرة فنون مختلفة ولكن لا تخرج عن هذا الأسلوب وأما مجالس الراحات في الحضرة الأولى والثانية والرابعة هي ستة مجالس فيها أحاديث معنوية عن مشاهدة كما قيل

تكلم منا في الوجوه فنحن سكوت والهوى يتكلم

وكما قلنا في هذا الشكل

والهوى بيننا يسوق حديثاً طيباً مطرباً بغير لسان

وهي المجالس التي بين ضدين يحصل منها علم لأعتماد والكشف عن الساق والبرزخ الذي بين الضدين كالفاتر بين الحار والبارد وكالاسماع بين المخافتة والجهر وكالتبسم بين الضحك والبكاء وكل ضدين بينهما برزخ لا يبغيان "فبأي آلاء ربكما تكذبان" فهو مجلس راحة وليس بين النفي والأثبات برزخ وجودي فصاحبه ينقطع في الحال لأحد الطرفين لانه لا يجد حيث يستريح فالبرازخ مواطن الراحات ألا ترى ان الله جعل النوم سباتا أي راحة لانه بين الضدين الموت والحياة فالنائم لا حي ولا ميت فأمثال هذه العلوم هي التي يقع بها الحديث لهم ونجواهم وفي الحضرة الثالثة والخامسة مجلس واحد في كل حضرة والحضرة السادسة لا مجلس فيها من مجالس الراحة وأما مجالس الفصل بين العبد والرب فقد ذكر من حديثه طرفاً انفاً في السؤال الرابع من هذه السؤالات وأما لحضرة السادسة والخامسة فليس فيهما من هذه المجالس مجلس البتة وأما مجالس الفصل الثاني بين العبد والرب فهي ستة مجالس الأسابع في كل حضرة من لست مجالس واحد يفضل به بين العبد والرب من حيث ما هو العبد ومن حيث ما هو الرب رب ومجالس الفصل الأول بين العبد والرب من حيث ما هو عبد لهذا الرب ومن حيث ما هو رب لهذا العبد فهم فصل في عين وصل وهذه المجالس الأخر فصل في فصول لا وصل فيها فيحصل له ما شاء كل هذا الفن من العلم الإلهي إذ كنت لا تعلمه الأمن نفسك ولا تعلم نفسك إلا منه فهو يشبه الدور ولا دور بل هو علم محقق وأما الأثنا عشر مجلسا التي يراها الترمزي الحكيم صاحب هذه السؤالات وبها تكمل الثمانية والأربعون من المجالس فان الأرواح العلوية لا تعلمها وليس لهل فيها قدم مع الله وهي مخصوصة بنا من أجل الدعوى فإذا تجسدة الأرواح العلوية تبعت الدعوى جسديتها فربما تدعى فان دعت ابتليت وفي قصة آدم والملائكة تحقيق ما ذكرناه فابتليت بالسجود جبراً لما أخذت من طهارتها الدعوى فكان ذلك للملائكة كالسهو في الصلاة للمصلى فأمر المصلى ان يسجد لسهو كذلك أمرت الملائكة ان تسجد لدعواها فان الدعوى سهو في حقها فكان ذلك ترغيماً للدعوى لا لهم كما كان سجود السهو منا ترغيماً للشيطان لا لنا فاعلم ذلك فأما هذه المجالس الأثنا عشر فستة منها تلتحق بالمجالس الذي بين المثلين والستة الباقية تلتحق بمجلس الفصل الثاني بين العبد من حيث ما هو عبد وبين الرب من حيث ما هو رب لكن تختلف الأذواق في ذلك آيات هذا السؤال من القران لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر وقوله "والقمر قدرناه منازل" وقوله "فلا أقسم بالخنس" وقوله "والسماء ذات البروج" إلى آخرها والمدار على القطب انتهى الجزء الثمانون

الجزء الحادي والثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال التاسع فان قلت بأي شيء يفتتحون المناجاة قلنا في الجواب بحسب الباعث والداعي لها وذلك ان الحق إذا أجلسهم هذه المجالس التي ذكرناها فانما يجلس الحق فيها بعد قرع وفتح واستفتاح وذلك انهم سمعوا الحق يقول "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة" ثم قال أشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وقال في انزال الرسول مترلة الحق نفسه "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم" وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله لانه به يدعو إليه سبحانه وقال صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال يصبح على كل سلامي من ابن آدم صدقة وأفضل الصدقات تصدق الانسان بنفسه وأفضل ما يخرجها عليه من يخرجها على نفسه فإذا أراد العبد نجوى ربه فليقدم بين يدي نجواه نفسه لنفسه فان النجوى سامع ومتكلم والعبد ان لم يكن الحق سمعه فمن المحال ان يطيق فهم كلام الله وان لم يكن الحق لسان العبد عند النجوى فمن المحال ان تكون نجواه صادقة الصدق الذي ينبغي ان يخاطب به الله فإذن الحق ناجى نفسه بنفسه والعبد محل الاستفادة لانها أمور وجودية والوجود كله هو عينه والعبد يصدق بنفسه على نفسه لانها أفضل الصدقات استفتاحاً لنجوى ربه فكانت المناسبة بين النجوى وما أفتتحت به كون الصدقة رجعت إليه وكون الحق كانت نجواه بينه وبينه فما سمع الحق إلا الحق ولا تصدق العبد الأعلى العبد فصحت الأهلية فمن كان استفتاحه هكذا كان من أهل المجالس والحديث وأما مذهب الترمزي فان الذي يفتتحون به المناجاة انما هو تلبسهم بالكبرياء ثم يتعرون من بعضه بوجه خاص ويبقون عليهم مايليق ان يسمع به كلام الحق ويكلم به الحق لتصح النجوى فيكون الأبتداء من العبد فيكون له الأولية في هذا الموطن وهو وجه صحيح وهذا هو الباعث الوضعي والذي ذكرناه أولا هو الباعث الذاتي فان نجوى هذه الطائفة في هذا الحال بمترلة الصلاة في العامة فانه من هذه الحضرة التي ذكرناها خرج التكليف بها على السنة الرسل للعباد وشرع فيها التكبير لما ذكرناه والصلاة مناجاة ومن أهل الله من يجعل عاقبة الأمور أستفتاحاً فيردها أولاً إذ كان لمطلوب عين العواقب كمن يطلب الأستظلال فأول مايقع عنده وجود السقف وهو آخر مايقع به الفعل لان وجوده موقوف على وجود أشياء فإذا كان من الأمور التي لاتوقف لوجودها على شيء كان عين العاقبة عين السابقة فيكون أستفتاح العمل بالعاقبة وهي طريقة عجيبة عملنا عليها وناجينا بها في هذا المقام ولكن لابد ان تكون النجوى كما قررنا بسمع الحق وكلام الحق لان الحقيقة تأبى ان يكلمه غير نفسه أويسمعه غير نفسه فقد أعلمتك بماذا يفتتحون المناجاة أهل المجالس والحديث

السؤال العاشر فان قلت بأي شيء يختموها فلنقل في الجواب بالمترلة التي تعطيهم ذلك الأستفتاح والأفتتاح مختلف فالختام مختلف أيضاً فلا يتقيد غير انه ثم أمر جامع وهو الوقفة بين الاسمين بين الاسم الذي ينفصل عنه وبين الاسم الذي يأخذ منه فان بينهما أسماً ألهياً خفياً به يقع الختم ولايشعر به ألاأهل المجالس والحديث وهو وجود سار في جميع الموجودات لكن لايشعر به لدقته كالخط الفاصل بين الظل والشمس يعقل ولايدرك بالحس وهي الحدود بين الأشياء لها لكل من هي بينهما وجه خاص مع كونها لاتنقسم فهي بذاتها مع كل محدود ولهذا يعز العثور على الحدود الذاتية بخلاف الحدود الرسمية واللفظية التي بأيدي العلماء فقد يكون ذلك الذي يختم به دليل كون وقد يكون دليل عين وقد يكون دليل ذات لاتقبل المظاهر وهذا أعلى ماتختم به النجوى عندهم ودونه دليل

كون وهو مايعطي مظهر أما ودونه دليل عين وهو الذي لايقبل التغيير وهو المعبر عنه بباطن المظهر وأعلم ان الأمر في النجوى دائرة تنعطف بطلب أولها فيكون عين الختم هو الأفتتاح فتنقسم بين أول وآخر وظاهر وباطن فإذا أبتدأ فهو الظاهر فإذا انتهى صار الظاهر باطناً وعاد الباطن ظاهراً فان الحكم له فيبطن الختم في الأفتتاح عند البدء ويبطن الأفتتاح في الختام عند النهاية قيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين فبطن بظهور ختمه كونه نبياً وآدم بين الماء والطين ولما ظهر كونه نبياً وآدم بين الماء والطين وأستفتح به مراتب البشر كان كونه خاتم النبيين باطناً في ذلك الظهور وأما الألهية فالوجود منه وإليه يرجع الأمر كله فاعبده بينهما وتوكل عليه فيهما ومابك بغافل عما تعملون حيث انتم مظاهر أسمائه الحسنى وبها تسعدون وتشقون والله معكم ولن يتركم أعمالكم فسلم الأمر إليه وأستسلم تكن موافقاً لما هو الأمر عليه في نفسه فتستريح من تعب الدعوى بين الأفتتاح والختم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل السؤال الحادي عشر بماذا يجابون الجواب بحسب حالهم ووقتهم وحالهم ووقتهم بحسب الاسم الذي هو الحاكم فيهم بين الأفتتاح والختم فانه بين الختم والأفتتاح تكون أسماء كثيرة إلهية هي الناطقة في تلك الأعيان من أهل المجالس والحيث فيكون الجواب بحسب ما وقع به حكم الاسم ولكن ما يجابون إلا باسم ولا بد فان كان الحديث معنوياً عن شهود فقد يقع الجواب بالذات معراة من الاسماء وهو بمنزلة المجاز من الحقيقة ويجتمع هذا مع الحديث في الإفادة والأستفادة والأفادة ألحق هذا المقام بأهل المجالس والحديث وهو الذي قصده الترمذي لكونه قال أهل المجالس والحديث و لم يقل أهل الحديث خاصة ومن الناس من لا يراعي سوى الحديث فلا يجعل في هذه الحضرة حكماً لحديث معنوي حالي فانه يقول مطلبي الحقائق ولكنه صاحب هذا القول كانه غير محقق وما أوقعه في ذلك إلا تقيد الحديث بالألفاظ وأما نحن فعلى مذهب الترمزي في ذلك فانا ذقناه في المجالسة حديثاً معنوياً في غاية الأفهام معرى عن الأحتمال والأجمال بل هو تفصيل محقق في عين واحدة وهو الذي يعول عليه في هذا الفصل

السؤال الثاني عشر كيف يكون صفة سيرهم يعني إلى هذه المجالس والحديث أبتدأ قلنا في الجواب بالهمم المجردة عن السوى وبسط ذلك مانقول وهو ان الأمور المعنوية التي لاتقبل المواد ولاتحددها لايصح السير إلى تحصيلها أوتحصيل مايكون منها بقطع المسافات وتذريع المساحات لكن قد يقترن بالهمة حركات مادية مبناها على علم أو إيمان بشرط التوحيد فيهما فأما سيرهم من حيث ماهم علماء فبتصفية النفوس من كدورات الطبيعة وأتخاذ الخلوات لتفريغ القلوب عن الخواطر المتعلقة بأجزاء الكون الحاصلة من أرسال الحواس في المحسوسات فتمتلىء خزانة الخيال فتصور القوة المصور منها بحسب ماتعشقت به من ذلك فتكون هذه الصور حائلة بينه وبين حصول هذه المرتبة الألهية فيجنحون إلى الخلوات والأذكار على جهة المدح لمن بيده الملكوت فإذا صفت النفس وأرتفع الحجاب الطبيعي الذي بينها وبين عالم الملكوت انطبع في مرآتها جميع مافي صور عالم الملكوت من العلوم المنقوشة فيطلع الملأ الأعلى على هذه النفس التي هي بهذه المثابة فيرى فيها ما عنده فيتخذها مجلس ظهور ما فيه فيكون الملأ الأعلى معيناً له أيضاً على أستدامة ذلك الصفاء ويحول بينه وبين مايقتضيه حجاب الطبع فتتلقى هذه النفس من العالم العلوي بقدر مناسبتها منهم من العلم بالله فيؤديهم ذلك العلم إلى التلقي من الفيض الألهي ولكن بوساطة الأرواح النورية لابد من ذلك فيسمون ذلك سيرا ولابد من تجريد الهمم في الطلب لذلك ولولا تعلق الهمة بتحصيل ماتقرر عندها مجملاً ماصح له توجه إلى الملأ الأعلى فان أتفق ان يكون هذا الرجل في سيره مع علمه مؤمناً أو يكون صاحب إيمان من غير علم فان همته لاتتعلق ألا بالله فان الايمان لايدله الأعلى الله والعلم انما يدله على الوسائط وترتيب الحكمة المعتادة في العالم فصفة سير أصحاب الايمان ماهم طريق إلى ذلك ألابعزائم الأمور المشروعة من حيث

ماهي مشروعة وهم على قسمين طائفة منهم قدر بطت همتها على ان الرسول انما جاء منبهاً ومعلماً بالطريق الموصلة إلى جناب الحق تعالى فإذا أعطى العلم بذلك زال من الطريق وخلى بينهم وبين الله فهؤلاء إذا سارعوا أوسابقوا إلى الخيرات وفي الخيرات لم يروا أمامهم قدم أحد من المخلوقين لانهم قد أزالوه من نفوسهم وانفردوا إلى الحق كرابعة العدوية فهؤلاء إذا حصلوا في المجالس والحديث خاطبهم الحق بالكلام الألهي من غير وساطة لسان معين وأما الطائفة الأخرى فهم قوم جعلوا في نفوسهم انهم لاسبيل لهم إليه تعالى ألا والرسول هو الحاجب فلا يشهدون منه أمراً ألاويرون في سيرهم قدم الرسول بين أيديهم ولايخاطبهم ألا بلسانه ولغته كمحمد الأواني قال تركت الكل ورائي وجئت إليه فرأيت أمامي قدماً فغرت وقلت لمن هذا أعتماداً مني انه ماسبقني أحد واني من أهل الرعيل الأول فقيل لي هذه قدم نبيك فسكن روعى والحالة الأولى هي حالة عبد القادر وأبي السعود بن الشبل ورابعة العدوية ومن جرى مجراهم وأصحاب الايمان إذا كانوا علماء جمع لهم بين الأمرين فهم أكمل الرجال بشرط انهم إذا ساروا إليه وأخذوا مجالسهم عنده بالحديث المعنوي كما تقدم وحديث السمع رأوا سريان سره تعالى في الموجودات من قوله من تقرب إلى شبراً تقربت منه ذراعاً ومن كونه يترل إلى السماء الدنيا التي لاأقرب منها أقرب من حبل الوريد فالتحق عنده عالم الطبع بالعالم الروحاني وعاد الوجود عنده كله ملأ أعلى ومكانة زلفى فلم يحجبه كون ولاشغله عين وأستوى عنده الأين وعدم الأين وكان وماكان فرآه في الحجاب والعسس وسمع كلامه وحديثه في الغث والجرس هذا صفة سيرهم على طبقاتهم ومنهم من كان سيره فيه باسمائه فهو صاحب سير منه وإليه وفيه وبه فهو سائر في وقوفه وواقف في سيره والخضر والأفراد من أهل هذا المقام ومن هنا كانت قرة عينه صلى الله عليه وسلم في الصلاة لانه مناج مع أختلاف الحالات المحصورة من قيام وركوع وسجود وجلوس ماثم أكثر من هذه الأركان وهي حالات تربيع روحاني فأشبهت العناصر في التربيع فحدثت صور المعاني من أمتزاج هذه الحالات الأربعة كما حدثت صور المولدات الجسمية الطبيعية من أمتزاج هذه العناصر

السؤال الثالث عشر فان قلت ومن الذي يستحق خاتم الأولياء كما يستحق محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة فلنقل في الجواب الختم ختمان ختم يختم الله به الولاية المحمدية فأما ختم الولاية على الأطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة فيترل في آخر الزمان وارثاً خاتماً لأولى بعده بنبوة مطلقة كما ان محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة لانبوة تشريع بعده وان كان بعده مثل عيسى من أولى العزم من الرسل وخواص الانبياء ولكن زال حكمه من هذا المقام لحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فيترل ولياً ذا نبوة مطلقة يشركه فيها الأولياء المحمديون فهو منا وهو سيدنا فكان أول هذا الأمر نبي وهو آدم وآخره نبي وهو عيسى أعنى نبوة الأختصاص فيكون له يوم القيامة حشران حشر معنا وحشر مع الرسل وحشر مع الانبياء وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب من أكرمها أصلاً ويداً وهو في زماننا اليوم موجود عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه وهو خاتم النبوة المطلقة لايعلمها كثير من الناس وقد إبتلاه الله بأهل الانكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به وكما ان الله ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الوارث المحمدي لاالتي تحصل من سائر الانبياء فان من الأولياء من يرث أبراهيم وموسى وعيسى فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي وبعده فلا يوجد ولي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم هذا معنى خاتم الولاية المحمدية وأما ختم الولاية العامة الذي لايوجد بعده ولي فهو عيسى عليه السلام ولقينا جماعة ممن هو على قلب عيسى عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام وقد جمعت بين

صاحبي عبد الله وأسماعيل بن سودكين وبين هذا الختم ودعالهما وانتفعا به والحمد الله السؤال الرابع عشر بأي صفة يكون ذلك المستحق لذلك الجواب بصفة الأمانة وبيده مفاتيح الانفاس وحالة التجريد والحركة وهذا هو نعت عيسى عليه السلام كان يحيي بالفتخ وكان من زهاد الرسل وكانت له السياحة وكان حافظاً للأمانة مؤدياً لها ولهذا عادته اليهود و لم تأخذه في الله لومة لائم كنت كثير الأجتماع به في الوقائع وعلى يده تبت ودعالي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ودعاني بالحبيب وأمرني بالزهد والتجريد وأما الصفة التي أستحق بها خاتم الولاية المحمدية ان يكون خاتماً فبتمام مكارم الأخلاق مع الله وجميع ماحصل للناس من جهته من الأخلاق فمن كون ذلك الخلق موافقاً لتصريف الأخلاق مع الله وانما كان ذلك كذلك لان الأغراض مختلفة ومكارم الأخلاق عند من يتخلق بها معه عبارة عن موافقة غرضه سواء حمد ذلك عند غيره أوذم فلما لم يتمكن في الوجود تعميم موافقة العالم بالجميل الذي هو عنده جميل نظر في ذلك نظر الحكيم الذي يفعل ماينبغي كما ينبغي لما ينبغي فنظر في الموجودات فلم يجد صاحباً مثل الحق ولا صحبة أحسن من صحبته ورأى ان السعادة في معاملته وموافقة أرادته فنظر فيما حده وشرعه فوقف عنده وأتبعه وكان من جملة ماشرعه ان علمه كيف يعاشر ماسوى الله من ملك مطهر ورسول مكرم وأمام جعل الله أمور الخلق بيده من خليفة إلى عريف وصاحب وصاحبة وقرابة وولد وخادم ودابة وحيوان ونبات وجماد في ذات وعرض وملك إذا كان ممن يملك فراعي جميع من ذكرناه بمراعاة الصاحب الحق فما صرف الأخلاق ألامع سيده فلما كان بهذه المثابة قيل فيه مثل ماقيل في رسوله "وانك لعلى خلق عظيم" قالت عائشة "كان القران خلقه يحمد ماحمد الله ويذم ماذم الله بلسان حق في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلما طابت أعراقه وعم العالم أخلاقه ووصلت إلى جميع الآفاق أرفاقه أستحق ان يختم بمن هذه صفته الولاية المحمدية من قوله "وانك لعلى خلق عظيم" جعلنا الله ممن مهدله سبيل هداه ووفقه للمشي عليه وهداه

السؤال الخامس عشر فان قلت ما سبب الخاتم ومعناه فلنقل في الجواب كمال المقام سببه والمنع والحجر معناه وذلك ان الدنيا لما كان لها بدء ونهاية وهو ختمها قضى الله سبحانه ان يكون جميع مافيها بحسب نعتها له بدء وختام وكان من جملة ما فيها تتريل الشرائع فختم الله هذا التتريل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم فكان خاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً وكان من جملة مافيها الولاية العامة ولها بدء من آدم فختمها الله بعيسى فكان الختم يضاهي البدء ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فختم بمثل مابه بدأ فكان البدء لهذا الأمر بنبي مطلق وختم به أيضاً ولما كانت أحكام محمد صلى الله عليه وسلم عند الله تخالف أحكام سائر الانبياء والرسل في البعث العام وتحليل الغنائم وطهارة الأرض وأتخاذها مسجداً وأوتي جوامع الكلم ونصر بالمعنى وهو الرعب وأوتي مفاتيح خزائن الأرض وختمت به النبوة عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي فانزل في الدنيا من مقام أختصاصه وأستحق ان يكون لولايته الخاصة ختم يواطىء اسمه صلى الله عليه وسلم ويحوز خلقه وماهو بالمهدي المسمى المعروف المنتظر فان ذلك من سلالته وعترته والختم ليس من سلالته الحسية ولكنه من سلالة أعراقه وأخلاقه صلى الله عليه وسلم أما سمعت الله يقول فيما أشرنا إليه ولكل أمة أجل وجميع انواع المخلوقات في الدنيا أمم وقال كل يجري إلى أجل مسمى في أثر قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى فجعل لها ختاماً وهو انتهاء مدة الأجل وان من شيء ألايسبح بحمده فما من نوع ألاوهو أمة فافهم مابيناه لك فانه من أسرار العالم المخزونة التي لاتعرف ألا من طريق الكشف والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم

السؤال السادس عشر كم مجالس ملك الملك الجواب على عدد الحقائق الملكية والنارية والانسانية وأستحقاقها الداعية لأجابة الحق

فيما سألته منه بسط ذلك أعلم أولاً انه لابد من معرفة ملك الملك مأأرادوا به ثم بعد هذا تعرف كمية مجالسه ان كان لها كمية محصورة فالملك هو الذي يقضي فيه مالكه ومليكه بما شاء ولا يمنع عنه جبراً فيسمى كرهاً أو اختياراًرفيسمى طوعاً قال تعالى "ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً" فقال لها وللأرض اتينا طوعاً أو كرها والمأمور هو الملك و الآمر هو المالك ولا بد من أخذ الأرادة في حد الأمر لانه اقتضاء وطلب من الآمربالمأمور سواء كان المأمور دونه أو مثله أو أعلى وفرق الناس بين أمر الدون وبين أمر الأعلى فسموا أمر الدون إذا أمر الأعلى طلباً وسؤالاً لا مثل قوله تعالى "اهدنا" فلا شك انه أمر من العبد لله فسمى دعاء وإذا فهمت هذا وعلمت ان المأمور سواء كان المأمور هو بالنسبة إلى الآمر ملكاً والآمر مليك ثم رأيت المأمور وقد امتثل أمر آمره وأجابه فيما سأل منه أو اعترف بانه يجيبه إذا دعاه لما يدعوه إليه ان كان المدعو أعلى منه فقد صير نفسه هذا الأعلى ملكاً لهذا الدون وهذا الدون هو تحت حكم هذا الأعلى وحيطته وقهره وقدرته وأمره فهو ملكه بلا شك وقد قررنا ان الدون الذي هو بهذه المثابة قد يأمر سيده فيجيبه السيد لآمره فيصير بتلك الأجابة ملكاً له وان كان عن اختيار منه فيصح ان يقال في السيد انه ملك الملك لانه أجاب أمر عبده وعبده ملك له ومن أمر فأجاب فقد صح عليه أسم المأمور وهو معنى الملك فإذا أجاب السيد أمر عبده وهو مالك فبإجابته صير نفسه ملك ملكه وهذا غاية النزول الإلهي لعبده إذ قال له ادعوني أستجب لك فيقول له العبد اغفر لي ارحمني انصرني أجبرني فيفعل ويقول الله له ادعني أقم الصلاة ائت الزكاة اصبروا رابطوا جاهدوا فيطيع ويعصي وأما الحق سبحانه فيجيب عبده لما دعاه إليه بشرط تفرغه لدعائه وقد يكون أثر المؤثر فعلاً من غير أمر كالعبد يأتي يعصي فيثير كونه عاصياً غضبا في نفس السيد فيوقع به العقوبة فقد جعل العبد سيده يعاقبه بمعصيته ولو لم يعصه ما ظهر من السيد ما ظهر أو يغفر له وكذلك في الطاعة يثيبه فيكون من هذه النسبة أيضاً ملك الملك أي ملكاً لمن هو ملكه وبهذا وردت الشرائع كلها وما قوله كم مجالسه فانها لا تنحصر عقلا فانها حالة دوام من سيد لعبد ومن عبد إلى سيد فسؤاله لا يخلو إما ان يريد ما قلنا من انها لا تنحصر عقلا فان الإجابة بانحصار في كمية معلومة علم انه لا علم عنده أو يريد مجالسة من حيث ما شرع فهي مجالس في الدنيا محصورة وفي الآخرة غير محصورة لان الآثار الواقعة في الآخرة كلها أصلها من الشرائع فلا ينفك حكم الشرع في الدنيا والآخرة فان الخلود في الدارين من حكم الشرع وما يكون من الحق فيهم من حكم الشرع وما يكون من الحق فيهم من حكم الشرع فإذا مجالس ملك الملك من جهة الشرع لا تنحصر فان أراد السائل عن هذه الحالة الدنيا خاصة فعددها عدد انفاس الخلائق عقلاً وان أراد ما اقترن به الأمر من العبد خاصة فعلى قدر ما دعا العبد ربه من حيث ما أمره ان يدعوه به وهي من كل داع بحسب ما سبق في علم الله من تكليفه لكل عين عبد ان يدعوه وخلق الله الذين هم بهذه المثابة يفوتون التلفظ باسم العدد الذي يحصرهم فانه يدخل في ذلك الملائكة والجن والانس فحصر كمياتها ما دام زمان الدنيا إلى ان ينقضي في حق الملك والجن والانس محصور الكمية غير متصور التلفظ به لانه قال "وما يعلم جنود ربك إلا هو" وهم من الملك الذي يدعو ربه فيصيره بدعائه ملكاً له فكمياتها وان كانت محصورة فهي غير معلومة وان علمت فهي غير مقدورة للتلفظ بها لما في ذلك من المشقة ولكن من وقف على ما رقم في اللوح المحفوظ عرف كمياتها بلا شك وان تعذر النطق بها فمن كل وجه لا يتصور الجواب عنها بأكثر من هذا وانما جعله الترمذي على سبيل الأمتحان فانه جاء بمسائل لا يصح الجواب عنها ليعلم ان المسؤل إذا أجاب عنها انه مبطل في دعواه علم ذلك إذ لو علم ذلك لكان من علمه به انه مما لا يجاب عنه فيعلم صدق دعواه وسيأتي من ذلك ما تقف عليه في هذه السؤالات ان شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

السؤال السابع عشر بأي شيء حظ كل رسول من ربه الجواب عن هذا لا يتصور لان كلام أهل طريق الله عن ذوق ولا ذوق لا

حد في نصيب كل رسول من الله لان أذواق الرسل مخصوصة بالرسل وأذواق الانبياء مخصوصة بالانبياء وأذواق الأولياء مخصوصة بالأولياء فبعض الرسل عنده الأذواق الثلاثة لانه ولي ونبي ورسول قال الخضر لموسى "ما لم تحط به خبراً" والخبر الذوق وقال له انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا أعلمه انا هذا هو الذوق حضرت في مجلس فيه جماعة من العارفين فسأل بعضهم بعضا من أي مقام سأل موسى الرؤية فقال له الآخر من مقام الشوق فقلت له لا تفعل أصل الطريق ان نهايات الأولياء بدايات الانبياء فلا ذوق للولي في حال من أحوال انبياء الشرائع فلا ذوق لهم فيه ومن أصولنا أنا لا نتكلم إلا عن ذوق ونحن لسنا برسل ولا انبياء شريعة فبأي شيء نعرف من أي مقام سأل موسى الرؤية ربه نعم لو سألها ولي أمكنك الجواب فان في الإمكان ان يكون لك ذلك الذوق وقد علمنا من باب الذوق ان ذوق مقام الرسل لغير الرسل ممنوع فالتحق وجوده بالمحال العقلي لان الذات لا تقتضي إلا هذا الترتيب الخاص أو سبق العلم كيف شئت فقل فان أراد السؤال عن السبب الذي اقتضى لذلك الرسول هذا الحظ الذي انفرد به فقد قال صاحب المحاسن ليس بينه وبين عباده نسب إلا العناية ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل وما بقي فعمي وتلبيس وأعلم ان السبب العام الذي عين المراتب العلية لأربابها انما هو العناية الإلهية وهو قوله تعالى "وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم" وأما السبب الخاص لهذا الرسول للحظ الخاص الذي له من ربه فيحتاج ذكره إلىذكر كل رسول باسمه وحينئذ نذكر سببه ورسل الله في البشر محصورون وفي الملائكة غير محصورين عندنا لكن من شرط أهل هذه الطريقة إذا دعوا هذه المعرفة فلا بد ان يعرفوا السبب عند تعين الرسول بالذكر ولكن هو من الأسباب التي لا نذاع لئلا يتعب الخلق أو يتخيل الضعيف الرأى ان الرسالة تكتسب بذلك السبب إذا علم فيؤدي ذكر ذلك إلى فساد في العالم فيحفظ عليه الأمناء وأيضاً فلا فائدة في إظهاره فانه بكونه رسولاً خص به لانه كان رسولاً بل هو رسول بأمر عام يجتمع فيه المرسلون قال تعالى "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" وقال "ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض" فكل واحد منهم فاضل مفضول وهو مذهب الجماعة وقد بين هذا أبو القاسم ابن قسي في خلع النعلين وهو قوله وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار فخص آدم بعلم الاسماء الألهية التي طوى علمها عن الملائكة فلم تسبح الله بها حتى أستفادتها من آدم وخص موسى بالكلام والتوراة من حيث ان الله كتبها بيده قبل ان يخلق آدم بأربع آلاف سنة وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذكر عن نفسه من انه أوتى جوامع الكلم وخص عيسى بكونه روحاً وأضاف النفخ إليه فيما خلقه من الطين و لم يضف نفخاً في أعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى أما بالنون أو التاء التي هي ضمير المتكلم عن نفسه وهذا و ان كانت كلها منصوصاً عليها انها حصلت لهم فليس بمنصوص الأختصاص بها ولكنه معلوم من جهة الكشف والأطلاع

السؤال الثامن عشر أين مقام الرسل من مقام الانبياء الجواب هو بالأزاء ألاانه في المقام الرابع من المراتب فان المراتب أربع التي تعطي السعادة للانسان وهي الايمان والولاية والنبوة والرسالة وأما من مقام الانبياء فهم من انبياء التشريع في الرتبة الثانية ومن مقام الانبياء في الرتبة الثالثة والعلم من شرائط الولاية وليس من شرطها الايمان فان الايمان مستنده الخبر فلا يحتاج إليه مع الخبر أما بالمحال كالأينية لله أو بالامكان وهو الأخيار ببعض المغيبات التي يمكن ان ينسب إليها المخبر مانسب فأول مرتبة العلماء بتوحيد الله الأولياء فان الله مااتخذ ولياً جاهلاً وهذه مسئلة عظيمة أغفلها علماء الرسوم فانه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله بأي طريق كان وهو المقام الأول ثم النبوة ثم الرسالة ثم الايمان فهي فينا أعلى مرتبة الولاية على مارتبناه وهي هناك ولاية ثم إيمان ثم نبوة ثم رسالة وعند علماء الرسوم وعامة الناس الخارجين عن الطريق الخاص المرتبة الأولى إيمان ثم ولاية ثم نبوة ثم رسالة فأجبنا فيها على ما تعرفه

العامة وعلماء الرسوم وبينا المراتب كيف هي بالنظر إلى جهات مختلفة فالموحدون بأي وجه كان أولياء الله تعالى فانهم حازوا أشرف المراتب التي شرك الله أصحابها من أجلها مع الله فيها فقال شهد الله انه لاأله ألاهو ففضل لتمييز شهادة الحق لنفسه من شهادة من سواه له بما شهد به لنفسه فقال وعطف بالواو والملائكة فقدم للمجاورة في النسبة من كونه ألهاً والجار الأقرب في الشرع وفي العرف عند أرباب الكرم والعلم مقدم على الجار ألا بعد بكل وجه إذا أتحدا في ذلك الوجه وفي هذا من رحمة الله بخلقه مالا يقدر قدره ألا العارفون به في قوله "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون" فنحن أقرب جار وللجار حق مشروع يعرفه أهل الشريعة وكذلك قوله "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" فينبغي للانسان ان يحضر هذا الجوار الألهي عند الموت حتى يطلب من الحق مايستحقه الجار على جاره من حيث ماشرع وهو قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول "قل رب أحكم بالحق" أي الحق الذي شرعته لنا فعاملنا به حتى لاننكر شيأً منه مما يقتضيه الكرم فلو علم الناس مافي هاتين الآيتين من العناية بالعباد لكانوا على أحوال لايمكن ان تذاع يقول تعالى "قل كل يعمل على شاكلته" وقال صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام "أفلا أكون عبداً شكوراً" ثم قال تعالى "وأولو العلم" يعني من الجن والانس ومن شاركهم من الأمهات والمولدات العلماء بالله فجعلهم جيران الملائكة لتصح الشفاعة من الملائكة فينا لحق الجوار انه لاأله ألاهو الضمير في انه يعود على الله من شهد الله فشهادتهم بتوحيده على قدر مراتبهم في ذلك فلذلك فصل بين شهادته لنفسه وشهادة العلماء له ثم قال "قائماً بالقسط" أي بالعدل فيما فصل به بين الشهادتين ثم قال بنفسه لاأله ألاهو نظير الشهادة الأولى التي له فحصلت شهادة العالم له بالتوحيد بين شهادتين ألهيتين أحاطتا بها حتى لايكون للشفاء سبيل إلى القائل بها ثم تمم بقوله العزيز ليعلم ان الشهادة الثالثة له مثل الأولى لأقتران العزة بها أي لاينالها ألاهو لانها منيعة الحي بالعزة ولو كانت هذه الشهادة من الخلق لم تكن منيعة الحي عن الله فدل أضافة العزة لها على انها شهادة الله لنفسه وقوله الحكيم لوجود هذا الترتيب في أعطاء السعادة لصاحب هذه الشهادة حيث جعلها بين شهادتين منسوبتين إلى الله من حيث الاسم الأول والآخر وشهادة الخلق بينهما فسبحان من قدر الأشياء مقاديرها وعجز العالم ان يقدروها حق قدرها فكيف ان يقدروا حق قدر من خلقها وهذا الكشف من مقام وراثة الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث رسالته من قوله "أدعو إلى الله على بصيرة انا ومن أتبعني" وهم العلماء بالله من أهل الله الذين أقامهم الحق مقام الرسل في الدعوة إلى الله بلسان حق عن نبوة مطلقة أعتني بهم في ان وصفهم بها لانبوة الشرائع بل نبوة حفظ لأمر مشروع على بصيرة من الحافظ لاعن تقليد

السؤال التاسع عشر أين مقام الانبياء من الأولياء الجواب هو خصوص فيه وهو بالأزاء أيضاً ألا انه في المقام الثالث على مانقدم من المراتب وكان ينبغي ان يكون السؤال عن هذا بتفصيل بين نبوة الشرائع والنبوة المطلقة فهم من الأولياء إذا كانوا انبياء شريعة في الدرجة الثالثة وان كانوا في النبوة اللغوية فهم في الدرجة الثانية وأعلم ان الأولياء هم الذين تولاهم الله بنصرته في مقام مجاهدتهم الأعداء الأربعة الهوى والنفس والدنيا والشيطان والمعرفة بهؤلاء أركان المعرفة عند المحاسي وان كان سؤله عن مقام الانبياء من الأولياء أي انبياء الأولياء وهي النبوة التي قلنا انها لم تنقطع فانها ليست نبوة الشرائع وكذلك في السؤال عن مقام الرسل الذين هم انبياء فلنقل في جوابه ان انبياء الأولياء مقامهم من الحضرات الألهية الفردانية والاسم الألهي الذي تعبدهم الفرد وهم المسلمون الأفراد فهذا هو مقام نبوة الولاية لانبوة الشرائع وأما مقام الرسل الذين هم انبياء فهم الذين لهم خصائص على ماتعبدوا به أتباعهم كمحمد صلى الله عليه وسلم فيما قيل له خالصة لك من دون المؤمنين في النكاح بالهبة فمن الرسل من لهم خصائص على أمتهم ومنهم من لايختصه الله بشيء دون أمته وكذلك الأولياء فيهم انبياء أي خصوا بعلم لايحصل ألا لنبي من العلم الألهي ويكون

حكمهم من الله فيما أخبرهم به حكم الملائكة ولهذا قال في نبي الشرائع ما لم تحط به خبراً أي ماهو ذوقك ياموسى مع كونه كليم الله فخرق السفينة وقتل الغلام حكماً وأقام الجدار مكارم خلق عن حكم أمر ألهي كخسف البلاد على يدي جبريل ومن كان من الملائكة ولهذا كان الأفراد من البشر بمنزلة المهيمين من الملائكة وانبياؤهم منهم بمنزلة الرسل من الانبياء

السؤال العشرون وأي أسم منحه من أسمائه الجواب سؤالك هذا يحتمل أربعة أمور الواحد ان يكون الضمير المرفوع في منحه يعود على الله الثاني ان يعود على المقام الثالث على الاسم الألهي الرابع ان يكون الضمير في أسمائه يعود على العبد فيكون الاسم أسم العبد لأسم الله وكذلك الضمير المنصوب في منحه الذي هو المفعول الثاني هل هو ضمير أسم ألهي أو هل هو المقام فان كان الضمير المرفوع الله أو المقام فيكون الممنوح الاسم بلاشك وان كان الضمير المرفوع الله أو الاسم الألهي أوأسم العبد فيكون المقام هو الممنوح فليكن الضمير المرفوع الله فالممنوح الاسم الألهي الذي يسمى به العبد في تخلقه أو أسم العبد وهو الأصل في القربة الألهية فان العبد لايتصف بالقرب من الله ألاباسمه قال الله لابي يزيد تقرب إلى بما ليس لي قال يارب وماليس لك قال الذلة والأفتقار والسبب في ذلك ان أصل العبد ان يكون معلولا ولابد والمعلولية له لذاته وكل معلول فقير ذليل بلا شك لاشفاء يرجى له من هذه العلة فيكون القرب من الله قرباً ذاتياً أصلياً وان كان الممنوح أسماً ألهياً ليتخلق به العبد كالاسم الرحيم في موطنه والاسم الملك المتكبر في موطنه فذلك قرب يعرض له من الشارع الذي عينه له فان للعبد أسماء يستحقها وأسماء تعرض له مثل الاسماء الألهية إذا تخلق بها العبد ولله أسماء يستحقها وأسماء عرضت له من تنزله لعقول عباده وهي الاسماء التي هي للعبد بحكم الأستحقاق بها العبد ولله أسماء يستحقها وأسماء عرضت له من تنزله لعقول عباده وهي الاسماء التي هي للعبد بحكم الأستحقاق فهل أتصاف الحق بها يكون تخلقاً من الله باسماء عبده أو تلك الصفات لله حقيقة جهلنا معناها بالنسبة إليه وعرفنا معناها بالنسبة ألينا فيكون العبد متخلقاً بها وان كان يستحقها من وجه معرفته بمعناها إذا نسبت إليه ومن كون الباري أتصف بها على طريقة مجهولة عندنا فلا نعرف كيف ننسبها إليه لجهلنا بذاته فتكون أصلاً فيه عارضة فينا فلانستحق شيألامن أسمائه ولاسيما نعتقد فيها انها أسماؤنا وهذا موضع حيرة ومزلة قدم ألا لمن كشف الله عن بصيرته ونحن بحمد الله وان كنا قد علمناها فهي من العلوم التي لاتذاع أصلاً ورأساً وبمعرفته بها دعا من دعا إلى الله على بصيرة وهو الشخص الذي هو على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه يشهد له بصدق البينة التي هو عليها فالفطن يعلم ماسترناه بأعلام الله في قوله ويتلوه شاهد منه هل تلك الاسماء إذا نسبت إلى الله هل تنسب إليه تخلقاً أو أستحقاقاً وإذا نسبت إلى العبد هل تنسب إليه تخلقاً كسائر الاسماء الألهية التي لاخلاف فيها عند العام والخاص أو تنسب إليه بطريق الأستحقاق فالشاهد المطلوب هنا ان عين العبد لاتستحق شيأً من حيث عينه لانه ليس بحق أصلاً والحق هو الذي يستحق مايستحق فجميع الاسماء التي في العالم ويتخيل انها حق للعبد حق لله فإذا أضيفت إليه وسمي بها على غير وجه الأستحقاق كانت كفراً وكان صاحبها كافراً قال تعالى "لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء" فكفروا بالمجموع هذا إذا كان الكفر شرعاً فان كان لغة ولساناً فهو أشارة إلى الأمناء من عباد الله الذين علموا ان الأستحقاق بجميع الاسماء الواقعة في الكون الظاهرة الحكم انما يستحقها الحق والعبد يتخلق بها وانه ليس للعبد سوى عينه ولا يقال في الشيء انه يستحق عينه فان عينه هويته فلا حق ولا أستحقاق وكل ماعرض أو وقع عليه أسم من الاسماء انما وقع على الأعيان من كونها مظاهر فما وقع أسم الأعلى وجود الحق في الأعيان والأعيان على أصلها لاأستحقاق لها فهذا شرح قوله ويتلوه شاهد منه يشهد له بصدق النسبة انه عين بلا حكم وكونه مظهراً حكماً لاعيناً فالوجود لله ومايوصف به من أية صفة كانت انما المسمى بها هو مسمى الله فافهم انه ماثم مسمى وجودي ألاالله فهو المسمى بكل أسم

والموصوف بكل صفة والمنعوت بكل نعت وأما قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون من ان يكون له شريك في الاسماء كلها فالكل أسماء الله أسماء أفعاله أو صفاته أو ذاته فما في الوجود ألا الله والأعيان معدومة في عين ماظهر فيها وقد اندرج في هذا الفصل ان فهمت جميع ماذكرناه في تقسيم الضميرين المنصوب والمرفوع فالوجود له والعدم لك فهو لايزال موجودا وانت لاتزال معدوماً ووجوده ان كان

لنفسه فهو ما جهلت منه وان كان لك فهو ماعلمت منه فهو العالم والمعلوم والذي يقصده أكثر الناس بقولهم أي أسم منح الله الرسول من أسمائه هو الاسم الذي يستدعيه تأييد دعوته وهو المعبر عنه بالسلطان والأعجاز أثره وان منحه النبي فهو الاسم الذي يتأيد به في حصول الرتبة النبوية وصحتها وقد يكون لكل شخص أسم يمنحه بحسب مانقتضيه رتبته من مقام نبوته أورسالته غير ان الاسم الواهب هو الذي يعطي ذلك ألا إذا كان المقام مكتسباً فقد يعطيه الاسم الكريم أو الجواد أو السخي وانتهى الجزء الحادي والثمانون

الجزء الثاني والثمانين

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الحادي والعشرون أي شئ حظوظ الأولياء من أسمائه الجواب هنا تفصيل هل يريد بالاسم الذي أوجب لهم هذه الحظوظ أو الاسم الذي يتولاهم فيها أو الاسم الذي تنتجه هذه الحظوظ فان أراد الاسم أو الاسماء التي أوجبت لهم هذه الحظوظ فالحظوظ على قسمين حظوظ مكتسبة وحظوظ غير مكتسبة ولكن واحد من القسمين أسم يخصه من حيث ما يوجبها ومن حيث ما يتولاها ومن حيث ما تنتجه فما كان من الحظوظ المكتسبة فالاسماء التي توجبها هي الاسماء التي تعطيهم الأعمال التي اكتسبوها بها وهي مختلفة كل عمل بحسب أسمه فكل عامل إذا كان عارفاً يعلم الاسم الذي يخص تلك الحركة العلمية من الاسماء الإلهية ويطول التفسير فيها والاسماء التي تتولاهم في حال وجودها لهم فهي بحسب ما هو ذلك الحظ فالحظ يطلب بذاته من يتولاه من الاسماء والحظوظ مختلفة وكذلك الاسماء التي توجبها الحظوظ وتنتجها فهي بحسب الحظوظ أيضاًفتختلف الاسماء باختلاف الحظوظ وعلى هذا النسق الكلام في الحظوظ التي هي غير مكتسبة من التفصيل

السؤال الثاني والعشرون وأي شئ علم المبدأ الجواب سأل بلفظ في العامة يعطي البدء وفي الخاصة يعطي موجب النسخ في مذهب من يراه فلنتكلم على الأمرين معاً ليقع الشرح باللسانين فيعم الجواب أعلم ان علم البدء علم عزيز وانه غير مقيد وأقرب ما تكون العبارة عنه ان يقال البدء افتتاح وجود الممكنات على التتالي والتتابع لكون الذات الموجودة له اقتضت ذلك من غير تقييد بزمان إذا الزمان من جملة الممكنات الجسمانية فلا يعقل إلا ارتباط ممكن بواجب لذاته فكان في مقابلة وجود الحق أعيان ثابتة موصوفة بالعدم أزلا وهو الكون الذي لا شئ مع الله فيه إلا ان وجوده أفاض على هذه الأعيان على حسب ما اقتضته استعداداتها فتكونت لأعيانها لا له من غير بينية تعقل أو تتوهم وقعت في تصورها الحيرة من الطريقين من طريق الكشف ومن طريق الدليل الفكري والنطق عما يشهده الكشف بإيضاح معناه يتعذر فان الأمر غير متخيل فلا يقال ولا يدخل في قوالب الألفاظ بأوضح مما ذكرناه وسبب عزة ذلك الجهل بالسبب الأول وهو ذات الحق ولما كانت سبباً كانت إلهاً لمألوه انه مألوه فمن أصحابنا من قال ان البدء كان عن نسبة القهر وقال بعض أصحابنا بل كان عن نسبة القدرة والشرع يقول عن نسبة أمر والتخصيص في عين ممكن دون غيره من الممكنات المميزة عنده والذي وصل إليه علمنا من ذلك ووافقنا الانبياء عليه ان البدء عن نسبة أمر فيه رائحة جبر إذ الخطاب لا يقع الأعلى عين ثابتة معدومة عاقلة سميعة عالمة بما تسمع بسمع ما هو سمع وجود ولا عقل وجود ولا علم وجود فالتبست عند هذا الخطاب بوجوده فكانت مظهر إله من أسمه الأول الظاهر وانسحبت هذه الحقيقة على هذه الطريقة على كل عين عين إلى ما لا يتنا هي فالبدء حالة مستصحبة قائمة لا تنقطع بهذا الأعتبار فان معطى الوجود لا يقيده ترتيب الممكنات فالنسبة منه واحدة فالبدء مازال ولا يزال فكل شئ من الممكنات له عين الأولوية في البدء ثم إذ انسبت الممكنات بعضها إلى بعض تعين التقدم والتأخر لا بالنسبة إليه سبحانه فوقف علماء النظر مع ترتيب الممكنات حين وقفنا نحن مع نسبتها إليه والعالم كله عندنا ليس له تقييد إلا بالله يتعالى عن الحد والتقييد فالمقيد به تابع له في هذا التتريه فأولية الحق هي أوليته إذ لا أولية للحق بغير العالم لا يصح نسبتها ولا نعته بها بل هكذا جميع النسب الاسمائية كلها

فالعبد ملك إذ قد تسمى في عين حال بما تسمى
والملك عبد في عين حال إذا تسمى بما أسمى
فانه بي ولست أعني عني لكوني أصم أعمى
عن كل عين سوى عياني لكونه أظهرته الاسما

هذه طريقة البدء وأما إذا أراد البدا وهو ان يظهر له ما لم يكن ظهر هو مثل قوله ولنبلونكم حتى نعلم وهو قوله "وسيرى الله أعماكم" فيكون الحكم الإلهي بحسب ما يعطيه الحال وقد كان قرر الأمر بحال معين بشرط الدوام لذلك الحال في توهمنا فلما ارتفع الدوام الحالي الذي لو دام لو أوجب دوام ذلك الأمر بدا من جانب الحق حكم آخر اقتضاه الحال الذي بدا من الكون فقابل البدا بالبدا فهذا معنى علم البدالة على الطريقة الأخرى قال تعالى "وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون" يقول صلى الله عليه ةسلم "اتركوني ما تركتكم وكانت الشرائع تترل بقدر السؤال فلو تركوا السؤال لم يترل هذا القدر الذي شرع ومعقول ما يفهم من هذا علم البدا وبعد ان علمت هذا فقد علمت علم الظهور وعلم الأبتداء فكانك علمت علم ظهور الأبتداء أو ابتداء الظهور فان كل نسبة منهما مرتبطة بالأخرى فان كان ظهور الأبتداء فما حضرة الأخفاء التي منها ظهر هذا الأبتداء فلا شك انه لم يكن يصح هذا الوصف الإله ففيه خفي وبه ظهر فحالة ظهوره عن ذلك الخفاء هو المعبر عنه بالأبتداء وان كان أبتداء الظهور فهل له نسبة في القدم إذ لم يكن له حالة فان تعدد الأحكام على المحكوم عليه مع أحدية العين انما ذلك راجع إلى نسب واعتبارات فعين الممكن لم تزل ولا تزال على حالها من الأمكان فلم يخرجها كونها مظهراً حتى انطلق عليها الأتصاف بالوجود عن حكم الإمكان فيها فانه وصف ذاتي لها والأمور لا تتغير عن حقائقها باختلاف الحكم عليها لأختلاف النسب ألا ترى قوله "وقد خلقتك من قبل و لم تك شيأ" وقوله "انما قولنا لشئ إذا أردنا ان نقول له كن فيكون فنفي الشيئية عنه وأثبتها له والعين هي العين لا غيرها

السؤال الثالث والعشرون ما معنى قوله عليه السلام كان الله ولا شئ معه الجواب لا تصحبه الشيئية ولا ننطلق عليه وكذلك هو ولا شئ معه فانه وصف ذاتي له سلب الشيئية عنه وسلب معية الشيئية لكنه مع الأشياء وليست الأشياء معه لان العية نابعة للعلم فهو يعلمنا فهو معنا ونحن لا نعلمه فلسنا معه فاعلم ان لفظة كان تعطي التقييد الزماني وليس المراد هنا به ذلك التقييد وانما المراد به الكون الذي هو الوجود فتحقيق كان انه حرف وجودي لا فعل يطلب الزمان ولهذا لم يرد ما يقوله علماء الرسوم من المتكلمين وهو قولهم وهو الان على ما عليه كان فهذه زيادة مدرجة في الحديث ممن لا علم له بعلم كان ولا سيما في هذا الوضع ومنه كان الله عفواً غفوراً وغير ذلك مما اقترنت به لفظة كان ولهذا سماها بعض النحاة هي وأخواتها حروفاً تعمل عمل الأفعال وهي عند سيبويه حرف وجودي وهذا هو الذي تعقله العرب وان تصرفت نصرف الأفعال فليس من أشيه شيأ من وجه ما يشبهه من جميع الوجوه بخلاف الزيادة بقولهم وهو الان فان الان تدل على الزمان الفاصل بين الزمانين الماضي والمستقبل ولهذا قالوا في الان انه حد الزمانين فلما كان مدلولها الزمان الوجودي لم يطلقه الشارع في وجود الحق وأطلق كان لانه حرف وجودي وتخيل فيه الزمان لوجود التصرف من كان ويكون فهو كائن ومكون كقتل يقتل فهو قاتل ومقتول وكذلك كن بمترلة أخرج فلما رأوا في الكون هذا التصرف الذي يلحق الأفعال الزمانية تخيلوا ان حكمها حكم الزمان فأدرجوا الان تتمة للخبر وليس منه فالمحقق لا يقول قط

وهو الان على ما عليه كان فانه لم يرد ويقول على الله ما لم يطلقه على نفسه لما فيه من الأخلال بالمعنى الذي يطلبه حقيقة وجود الحق خالق الزمان فمعنى ذلك الله موجود ولا شئ معه أي ما ثم من وجوده واجب لذاته غير الحق والممكن واجب الوجود به لانه مظهره وهو ظاهر به والعين الممكنة مستورة بهذا الظاهر فيها فاتصف هذا الظهور والظاهر بالإمكان حكم عليه به عين المظهر الذي هو الممكن فاندرج الممكن في واجب الوجود لذاته عيناً واندرج الواجب الوجود لذاته في الممكن حكماً فتدبر ما قلناه واعلم ان كلامنا في شرح ما ورد انما هو على قول الولي إذا قال مثل هذا اللفظ أو نطق به من مقام ولايته لا من مقام الرتبة التي منها بعث رسولاً فان الرسول إذا قال مثل هذا اللفظ في المعرفة بالله من مقامه الأختصاصي فلا كلام لنا فيه ولا ينبغي لنا ان نشرح ما ليس بذوق لنا وانما كلامنا فيه من لسان الولاية فنحن نترجم عنها بأعلى وجه يقتضيه حالها هذا غاية الولي في ذلك ولا شك ان المعية في هذا الخبر ثابتة والشيئية منفية والمعية تقتضي الكثرة والموجود الحق هو عين وجوده في نسبته إلى نفسه وهويته وهوعين المنعوت به مظهره فالعين واحدة في النسبتين فهذه المعية كيف تصح والعين واحدة فالشيئية هنا عين المظهر لا عينه وهو معها الان الوجود يصحبها وليست معه لانها لاتصحب الوجود وكيف تصحبه والوجوب لهذا الوجود ذاتي ولاذوق للعين الممكنة في الوجوب الذاتي فهو يقتضيها فيصبح ان يكون معها وهي لاتقتضيه فلايصح ان تكون معه فلهذا نفي الشيء ان يكون مع هوية الحق لان المعية نعت تمجيد ولامجد لمن هو عديم الوجوب الوجودي لذاته فان الشيء لايكون مع الشيء ألابحكم الوعيد أو الوعد بالخير وهذا لايتصور من الدون للأعلى فالعالم لايكون مع الله أبداً سواء أتصف بالوجود أو العدم والواجب الوجود الحق لذاته يصح له نعت المعية مع العالم عد ماووجودا

السؤال الرابع والعشرون مابدء الاسماء الجواب أطلاق هذا اللفظ في الطريق يقتضي أمرين الواحد سؤال عن أول الاسماء والثاني سؤال عما تبتدىء به الاسماء من الآثار وهذان الأمران فرعان عن مدلول لفظ الاسماء ماهو هل هو موجود أوعدم أولاً وجود ولاعدم وهي النسب فلا تقبل معنى الحدوث ولا القدم فانه لايقبل هذا الوصف ألا الوجود أو العدم فاعلم ان هذه الاسماء الألهية التي بأيدينا هي أسماء الاسماء الألهية التي سمى بها نفسه من كونه متكلماً فنضع الشرح الذي كنا نوضح به مدلول تلك الاسماء على هذه الاسماء التي بأيدينا وهو المسمى بها من حيث الظاهر ومن حيث كلامه وكلامه علمه وعلمه ذاته فهو مسمى بها من حيث ذاته والنسب لاتعقل للموصوف بالأحدية من جميع الوجود إذا فلا تعقل الاسماء ألا بان تعقل النسب ولا تعقل النسب ألا بان تعقل المظاهر المعبر عنها بالعالم فالنسب على هذا تحدث بحدوث المظاهر لان المظاهر من حيث هي أعيان لاتحدث ومن حيث هي مظاهر هي حادثة فالنسب حادثة فالاسماء تابعة لها ولا وجود لها مع كونها معقولة الحكم فإذا ثبت هذا فالقائل مابدء الاسماء هو القائل مابدء النسب والنسبة أمر معقول غير موجود بين أثنين فأما ان نتكلم فيها من حيث نسبتها إلى الأول أو من حيث مادل الأثر عليها فان نظرنا فيها من حيث المسمى بها لامن حيث دلالة أثرها كان قوله مابدء الاسماء معناه مأأول الاسماء فلنقل أول الاسماء الواحد الأحد وهو أسم واحد مركب تركيب بعلبك ورامهر مزو الرحمن الرحيم لانريد بذلك أسمين وانما كان الواحد الأحد أول الاسماء لان الاسم موضوع للدلالة وهي العلمية الدالة على عين الذات لامن حيث نسبة مايوصف بها كالاسماء الجوامد للأشياء وليس أخص في العلمية من الواحد الأحد لانه أسم ذاتي له يعطيه هذا اللفظ بحكم المطابقة فان قلت فالله أولى بالأولية من الواحد الأحد لان الله ينعت بالواحد الواحد ولا ينعت بالله قلنا مدلول الله يطلب العالم بجميع مافيه فهو له كأسم الملك أوالسلطان فهو أسم للمرتبة لاللذات والأحد أسم ذاتي لايتوهم معه دلالة على غير العين فلهذا لم يصح ان يكون الله أول الاسماء فلم يبق ألا الواحد

حيث لايعقل منه ألاالعين من غير تركيب ولو تسمى بالشيء لسميناه الشيء وكان أول الاسماء لكنه لم يرد في الاسماء الألهية ياشيء ولافرق بين مدلول الواحد والشيء فانه دليل على ذات غير مركبة أذ لو كانت مركبة لم يصح أسم الواحد ولا الشيء عليه حقيقة فلا مثل له ولاشبه يتميز عنه شخصيته فهو الواحد الأحد في ذاته لذاته ومع هذا فقد قررنا ان الاسماء عبارة عن نسب فما نسبة هذا الاسم الأول ولا أثر لهو منه يطلبه قلنا أما النسبة التي أوجبة لهو هذا الاسم فمعلومة وذلك ان في مقابلة وجوده أعياناً ثابتة لاوجود لها إلا بطريق الأستفادة من وجود الحق فتكون مظاهره في ذلك الانصاف بالوجود وهي أعيان لذاتها ماهي أعيان لموجب ولا لعلة كما انا وجود الحق لذاته لالعلة وكما هو الغني لله تعالى على الاطلاق فالفقر لهذه الأعيان على الاطلاق إلى هذا الغني الوجب الغني بذاته لذاته وهذه الأعيان وان كانت بهذه المثابة فمنها أمثال وغير أمثال متميزة بأمر وغير متميزة بأمر يقع فيه الأشتراك فلا يصح على كل عين منها أسم الواحد الأحد لوجود الأشتراك والمثلية فلهذا سمينا هذه الذات الغنية على الأطلاق بالواحد الأحد لانه لا موجود ألاهي فهي عين الوجود في نفسها وفي مظاهرها وهذه نسبة لا عن أثر أذ لاأثر لها في كون الأعيان الممكنات أعياناً ولا في أمكانها أما إذا كان قوله ما بدء الاسماء بمعنى ما تبتدي به الاسماء من الآثار في هذه الأعيان فيطلب هذا السؤال أمرين الأمر الواحد ما يبتدئ به في كل عين عين والأمر الآخر ما يبتدئ به على الأطلاق في الجملة ومعناه مع أول أسم يطلب ان يظهر أثره في هذه الأعيان فاعلم ان ذلك الاسم هو الوهاب خاصة في الجملة وفي عين عين لا فرق وهو أسم أحدثته الهبات لهذه الأعيان من حيث فقرها فلما انطلق عليها أسم مظهر وقد كانت عرية عن هذا الاسم و لم يجب على الغنى ان يجعلها مظاهر له طلبت هذه النسبة الاسم الوهاب ولهذا لانجعله تعالى علة لشئ لان العلة تطلب معلولها كما المعلول علته والغني لا يتصف بالطلب إذا فلا يصح ان يكون علة والوهب ليس كذلك فانه امتنان على الموهوب له

وان كان الوهب له ذاتياً فانه لا يقدح في غناه عن كل شئ والذي يبتدئ به من الوهب أعطاه الوجود لكل عين حتى وصفها بما لا تقضيه عينها فأول ما يبدأ به من الأعيان ما هو أقرب مناسبة للأسماء التي تطلب التتريه ثم بعد ذلك يظهر سلطان الاسماء التي تطلب التشبيه فالاسماء التي تطلب التتريه هي الاسماء التي تطلب الذات لذاتها والاسماء التي تطلب التشبيه هي الاسماء التي تطلب الذات لكونها إلهاً فأسماء التتريه كالغني والأحد وما يصح ان ينفرد به وأسماء التشبيه كالرحيم والغفور وكل ما يمكن ان يتصف به العبد حقيقة من حيث ما هو مظهر لا من حيث عينه لانه لو اتصفت به من حيث عينه لكان لهو الغنى ولا غنى له أصلاً فإذا اتصف هذه الأعيان التي هي المظاهر بمثل الغنى وتسمت بالغنى فيكون معنى ذلك الغنى بالله عن غيرها من الأعيان لا ان العين غنى بذاته وكذا كل أسم تتريه فلها هذه الاسماء من حيث ما هي مظاهر فان كان المسمى لسان الظاهر فيها فهو كونه إلها فهو أقرب نسبة إلى الذات من لسان المظهر إذا تسمى بالغنا فالمظهر لا يزول عنه أسم الفقر مع وجود أسم الغنى المقيد له والظاهر فيه إذا تسمى بالغنى يصح له لانه يعطي جوداً ومنة وهو الوهاب الذي يعطي لينعم وقد يعطي ليعبد فلا يكون هذا اعطاء تتريه بل هو عطاء عوض ففيه طلب قال تعالى "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون" فاعطاه هذا الخلق اعطاء طلب لا اعطاء هبة ومنة واعطاء الوهب اعطاء انعام لا لطلب شكر ولا عوض يهب لمن شاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً و اناثا وهو الخنثى ثم وصف نفسه في ذلك بانه عليم قدير وهو وصف يرجع إليه ما طلب منهم في ذلك عوضا كما طلب في قوله "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون" فمترلة خلقهم له ما هو مترلة خلقهم لهم فخلقهم لهم من أسماء التتريه وخلقهم له من أسماء التشبيه وهذا القدر كاف في الغرض

السؤال الخامس والعشرون ما بدء الوحي الجواب انزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال في نوم كان أو يقظة وهو من مدركات الحس في حضرة المحسوس مثل قوله فتمثل لها بشراً سويا وفي حضرة الخيال كما أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم في صورة اللبن وكذا أول رؤياه قالت عائشة "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا خرجت مثل فلق الصبح وهي التي أبقى الله على المسلمين وهي من أجزاء النبوة فما ارتفعت النبوة بالكلية ولهذا قلنا انما ارتفعت نبوة التشريع فهذا معنى لا نبي بعده وكذلك من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت النبوة بلا شك فعلمنا أن قوله لا نبي بعده أي لا مشرع خاصة لا انه لا يكون بعده نبي فهذا مثل قوله إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده و لم يكن كسرى وقيصر إلا ملك الروم والفرس وما زال الملك من الروم ولكن ارتفع هذا الاسم مع وجود الملك فيهم وتسمى ملكهم باسم آخر بعد هلاك قيصر وكسرى كذلك أسم النبي زال بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه زال التشريع المترل من عند الله بالوحي بعده صلى الله عليه وسلم فلا يشرع أحد بعده شرعا إلا ما اقتضاه نظر المجتهدين من العلماء في الأحكام فانه بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم صح فحكم المجتهد من شرعه الذي شرعه صلى الله عليه وسلم الذي يعطي المجتهد دليله وهو الذي أذن الله به فما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله فان ذلك كفر وافتراء على الله فان قلت هذا الذي بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين نقول انه بدء الوحي قلنا لا شك ولا خفاء عند المؤمنين والأولياء ان محمد صلى الله عليه وسلم خصه الله بالكمال في كل فضيلة فمن ذلك ان خصه بكمال الوحي وهو استيفاء انواعه وضروبه وهو قوله عليه السلام "اوتيت جوامع الكلم وبعث عامة فما بقي من الوحي إلا وقد نزل عليه به" فلما كان بهذه المثابة وبدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا في وحيه ستة أشهر علمنا ان بدء الوحي الرؤيا انها جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة لكونها ستة أشهر وكانت نبوتة ثلاثا وعشرين سنة فستة أشهر جزء من ستة وأربعين ولا يلزم ان يكون لكل نبي فقد يوحى لنبي لا من بدء الوحي بلا شك لان الكمال الذي وصف به نفسه صلى الله عليه وسلم في المقام أعطي ان يكون بدء الوحي مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا ينبغي ان يكون فان البدء عندنا هو ما يناسب الحس أولاً ثم يرتقي إلى الأمور المجردة الخارجة عن الحس فلم تكن ألا الرؤيا نوماً كان أو يقظة والوحي هنا تشريع الشرائع من كونه نبياً أو رسولاً كيف ما كان وهذا كله إذا كان سؤاله عن الوحي المترل على البشر فان كان سؤاله عن بدء الوحي من حيث الوحي أو عن بدء الوحي في حق كل صنف ممن يوحي إليه كالملائكة وغير البشر من الجنس الحيواني مثل قوله "وأوحى ربك إلى النحل" وغير الجنس الحيواني مثل عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال فانه كان بوحي ومثل قوله "وأوحى في كل سماء أمرها" ومثل قوله "ونفس وما سواها " وهي نفس كل مكلف وما ثم ألا مكلف لقوله "فألهمها فجورها وتقواها " فدخل الملك بالتقوى في هذه الآية أذ لا نصيب له في الفجور وكذلك سائر نفوس ما عدا الانس والجان فالانس والجن ألهموا الفجور والتقوى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظور فان أراد بدء الوحي في كل صنف صنف وشخص شخص فهو الألهام فانه لايخلو عنه موجود وهو الوحي وهذا جواب عن بدء الوحي من حيث الوحي ومن حيث شخص شخص

السؤال السادس والعشرون ما بدء الروح الجواب أهل الطريق يطلقون لفظ الروح على معان مختلفة فيقولون فلان فيه روح أي أمر رباني يحيي به من قام به يعني قلبه ويطلقون الروح على الذي سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلقون الروح ويريدون به الروح الذي ينفخ فيه عند كمال تسوية الخلق والذي مدار الطريق عليه هو الروح الذي يجده أهل الله عند الانقطاع إليه بالهمم

والعبادة فأكثر ما يقع عنه السؤال منهم غالباً فيكون قوله ما بدء الروح أي ما أبتداء حصوله في قلب العارف فتقول ان بدء الروح في نفوس أهله الذين أهلهم الله لتحصيله ان نفس الرحمن إذا تحكمت في نفوسهم المجاهدات التي تعطيهم رؤية الأغيار عرية عن رؤية الله فيها وانها حائلة وقاطعة بين الله وبين هذا العبد فيكون صاحب هذه المجاهدة صاحب قبض وهم وغم وحجب يريد رفعها فتهب عليه من نفس الرحمن في باطنه ما يؤديه إلى رؤية وجه الحق في هذه القواطع على زعمه وفي هذه الحجب والأشياء التي يجاهد نفسه في قطع مايتعرض إليه منها في طريقه فيريه ذلك النفس وجه الحق في كل شيء وهو العين والحافظ عليه وجودها فلم يرشيأً خارجاً عن الحق فزال تعبه من حيث ما يريد قطعها ويتألم عند ذلك ألماً شديداً حيث يتوهم عدم تلك المعرفة ثم يعقب ذلك سرور عظيم لوجود هذا النفس فيحيي به معناه ويصير به روحاً وهو قوله " أوحينا إليك روحاً من أمرنا "ما هو تحت كسبك ولا تعلق لك خاطر بتحصيله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا فهذا العارف ممن شاء من عباده فيقال فيه عند ذلك انه ذو روح ويقال فيه انه حي وقد ألتحق بالأحياء وهو قوله "أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ومن لم يجعل الله له نوراً وهو هذا الروح فما له من نور فكان بجعل الله و لم يضفه إلى الأكتساب فانه مجهول العين لعدم الذوق فهذا معنى بدء الروح الذي يجده العارفون في الطريق وهو مقصود السائلين وهو نور من حضرة الربوبية لامن غيرها وأصله من الروح الذي هو من أمر ربي أي من الروح الذي لم يوجد عن خلق فان عالم الأمر كل موجود لايكون عند سبب فعن هذا الروح يكون هذا الروح المسؤل عنه الذي يجده أهل هذا الطريق السؤال السابع والعشرون ما بدء السكينة الجواب مطالعة الأمر بطريق الأحاطة من كل وجه وما لم يكن ذلك فالسكينة لاتصح قال أبراهيم عليه السلام " أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " فجعل الطمانينة بدء السكينة لما أختلفت عليه وجوه الأحياء فكانت تجاذبه من كل ناحية فلما أشهده الله الكيفية سكن عما كان يجده من القلق لتلك الجذبات التي للوجود المختلقة قال بعضهم

انما أجزع مما أتقي   فإذا حل فما لي والجزع
وكذا أطمع فيما أبتغي   فإذا فات فما لي والطمع

فحصول المطلوب أو اليأس من تحصيله بدء السكينة فيما يطلب وكذلك على ما يليق به يكون مايخاف منه فاعلم ذلك فإذا أكمل الانسان شرائط الايمان وأحكمها حصل من الحق تجل لقلب هذا المؤمن الذي هو بهذه الصفة يسمي ذلك التجلي ذوقاً هو بدء جعل السكينة في قلبه لتكون تلك السكينة له باباً أو سلماً إلى حصول أمر مغيب يقع له الايمان به فيكون معه وجود السكون لما أعطاه الأمر الأول لكونه يصير أمراً معتاداً مثل سكون من تعود الأسباب إلى الأسباب ولا يكون ذلك عن غيب أصلاً بل عن ذوق وهو المعاينة فان الانسان إذا كان عنده قوت يومه سكنت نفسه لما يعطيه قلق يومه لمعاينة ما عنده بحصوله تحت ملكه فان حصل الايمان عنده بهذه المثابة تحت حكمه فهو صاحب سكينة وان كان الانسان تحت حكم الايمان نازعه العيان فلم تحصل سكينة وأعلم ان المعاني التي تتصف بها القلوب قد يجعل الله علامة على حصولها في نفوس من شاء من عباده ان يحصلها فيه علامات من خارج تسمى تلك العلامة باسم ذلك المعنى الذي يحصل في نفسه من الله وانما يسميه به ليعلم ان تلك العلامة لحصول هذا المعنى نصبت مثل قوله تعالى في تابوت بني إسرائيل " ان الله قد جعل فيه سكينة " وهي صورة على شكل حيوان من الحيوانات أختلف الناس في

أي صورة حيوان كانت ولا فائدة لنا في ذكر ماذكروه في صورتها فكانت تلك الصورة إذا هفت أو ظهرت منها حركة خاصة بصروا فسكن قلبهم عند رؤية تلك العلامة من تلك الصورة التي سماها سكينة وان السكينة المعلومة انما محلها القلوب فلم يجعل لهذه الأمة علامة خارجة عنهم على حصولها فليس لهم علامة في قلوبهم سوى حصولها فهي الأمر الدليل على نفسها ما تحتاج إلى دليل كما كان في بني إسرائيل فبدء لسكنية وأما السكنية الذي تسكن له النفس لما وعدت به أو لما حصل في نفسه من طلب أمر ما وسميت سكينة لانها إذا حصلت قطعت عنه وجود الهبوب إلى غير ما سكنت إليه النفس ومنه سمى السكين سكيناً لكون صاحبه يقطع به ما يمكن قطعه به وهذا اللفظ مشتق من السكون وهو الثبوت وهو ضد الحركة نقلة فالسكينة تعطي الثبوت على ما سكنت إليه النفس ولو سكنت إلى الحركة هذا حقيقتها ولا يكون ذلك ألا عن مطالعة أو مشاهدة فتنزل عليهم وهم مؤمنون فتنقلهم بنزولها عن رتبة ما كانوا به مؤمنين إلى مقام معاينة ذلك وهو تضاعف إيمانهم بالعيان ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ألا ترى إلى قوله تعالى " أذ يغشاكم النعاس أمنة منه " ألا ان الأمنة هي السكينة لاغيرها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

السؤال الثامن والعشرون ما العدل الجواب العدل هو الحق المخلوق به السموات والأرض فسهل ابن عبد الله وغيره يسميه العدل وأبو الحكم عبد السلام بن برجان يسميه الحق المخلوق به لانه سمع الله يقول " ما خلقناهما ألا بالحق وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما ألا بالحق " وبالحق انزلناه أي بما يجب لذلك المخلوق مما تقتضيه حالة خاصة بقوله تعالى " ثم هدى " أي بين انه أعطى كل شيء خلقه أي ما خلقه ألا بالحق وهو ما يجب له فالعالم على الحقيقة هو الله الذي علم ما تستحقه الأعيان في حال عدمها وميز بعضها عن بعض بهذه النسبة الأحاطية ولولا ذلك لكانت نسبة الممكنات في قضية العقل فيما يجب لها من الوجود نسبة واحدة وليس الأمر كذلك ولا وقع كذلك بل علم سبحانه ما يتقيد من الممكنات في وجوده بأمس لايمكن عنده ان يوجده اليوم ولا في غد فانه من تمام خلقه تعيين زمانه وهو القدر وهي الأقدار أي مواقيت الأيجاد فهو سبحانه يخلق من غير حكم قدر عليه في خلقه والمخلوقات تطلب الأقدار بذاتها فأعطى كل شيء خلقه من زمانه فيمن يتقيد وجوده بالزمان ومن حاله فيمن يتقيد وجوده بالحال ومن صفته فيمن يتقيد وجوده بالصفة فان قلت فيه مختار صدقت وان قلت حكيم صدقت وان قلت لم يوجد هذه الأمور على هذا الترتيب إلا بحسب ما أعطاه العلم صدقت وان قلت ذاته اقتضت ان يكون خلق كل شئ على ما هو عليه ذلك الشئ في ذاته ولوازمه واعراضه لا تتبدل ولا تتحول ولا في الإمكان ان يكون ذلك اللازم أو العارض لغير ذلك الممكن صدقت فبعد ان أعلمتك صورة الأمر على ما هو عليه فقل ما تشاء فان قولك من جملة ما أعطي خلقه في ظهوره منك فهو من جملة الإعراض في حقك وله صفة ذاتية ولازمة وعرضية من حيث نفسه فاعلم ذلك وأما تحقيق هذا الاسم لهذه النسبة فاعلم ان العدل هو الميل يقال عدل عن الطريق إذا مال عنه وعدل إليه إذا مال إليه وسمى الميل إلى الحق عدلا كما سمى الميل عن الحق جورا بمعنى ان الله خلق الخلق بالعدل أي ان الذات لها استحقاق من حيث هويتها ولها استحقاق من حيث مرتبتها وهي الإلهية فلما كان الميل مما تستحقه الذات لما تستحقه الألوهية التي تطلب المظاهر لذاتها سمى ذلك عدلا لا أي ميلا من استحقاق ذاتي إلى استحقاق إلهي لطلب المألوه ذلك الذي يستحقه ومن أعطى المستحق ما يستحقه سمى عادلاً وعطاؤه عادلا وهو الحق فما خلق الله الخلق إلا بالحق وهو عطاؤه خلق ما يستحقونه وليس وراء هذا البيان وبسط العبارة ما يزيد عليها في الوضوح

السؤال التاسع والعشرون ما فضل النبيين بعضهم على بعض وكذلك الأولياء الجواب قال تعالى "ولقد فضل بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبورا" وقال في حق الناس "ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات" هذا عموم في الناس فدخل الأولياء في عموم هذه الآية

وقال في حق المؤمنين والعلماء "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" فاختلف أصحابنا في مثل هذا فذهب ابن قسي إلى ان كل واحد منهم فاضل مفضول ففضل هذا بأمر ما فضله المفضول من ذلك الأمر بأمر آخر فهو فاضل بوجه ومفضول بوجه فضل عليه فأدى إلى التساوي في الفضيلة فصاحب هذا القول ما حرر الأمر على ما يقتضيه وجه الحق فيه وذلك ان تنظر المراتب فان كانت تقتضي الفضيلة فتنظر أية مرتبة هي أعم من الأخرى وأعظم فالمتصف بها أفضل ففضل أرباب المراتب بفضل المراتب فقد يزيد ويفضل بعض الناس غيره بشئ ما فيه ذلك الفضل فان الفضل في هذا الوجه لا ينظر من حيث انه زيادة ولكن ينظر من حيث اعتبار زيادات لها شرف في العرف والعقل كالعلم والنجارة والخياطة والعلم بالأحكام الشرعية والعلم بما ينبغي لجلال الله وكل واحد منهم لا يعلم علم الآخر فيقال قد فضل النجار على الموحد بالدليل بالنجارة هذا لا يقال على جهة الفخر والمدح بل على جهة الزيادة ويقال فضل العالم بالله النجار على طريق الشرف والفخر فمثل هذه المفاضلة هي التي تعتبر وهي ان يزيد كل واحد على صاحبه برتبة تقتضي المجد والشرف فهذا معنى قوله "فضلنا بعض النبيين على بعض" بما يقتضيه الشرف ونحن نجمع إلى ذلك الزيادة فنقول في قوله "فضلنا بعض النبيين على بعض"أي جعلنا عند كل واحد من صفات المجد والشرف ما لم نجعل عند الآخر فقد زاد بعضهم على بعض في صفات الشرف والمراتب التي فضلوا بها بعضهم على بعض وما فيها مفاضلة عندنا لارتباطها بالاسماء الإلهية والحقائق الربانية ولا تصح مفاضلة بين الاسماء الإلهية لوجهين الواحد ان الاسماء نسبتها إلى الذات نسبة واحدة فلا مفاضلة فيها فلو فضلت المراتب بعضها بعضا بحسب ما استندت إليه من الحقائق الإلهية لوقع الفضل في أسماء الله فيكون بعض الاسماء الإلهية أفضل من بعض وهذا إلا قائل به غقلاً وشرعاً ولا يدل عموم الاسم على فضله لان الفضيلة انما تقع فيما من شانه ان يقبل فلا يتعمل في القبول أو فيما يجوز ان يوصف به فلا يتصف به والوجه الآخر ان الاسماء الإلهية راجعة إلى ذاته والذات واحدة والمفاضلة تطلب الكثرة والشئ لا يفضل نفسه فإذا المفاضلة لا تصح فمعقول فضلنا بعض النبيين على بعض أي أعطينا هذا ما لم نعط هذا وأعطينا هذا أيضاً مالم نعط من فضله ولكن من مراتب الشرف "فمنهم من كلم الله" وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس فمنهم من فضل بان خلقه بيده وأسجد له الملائكة ومنهم من فضل بالكلام القديم الإلهي بارتفاع الوسائط ومنهم من فضل بالخلة ومنهم من فضل بالصفوة وهواسرائيل يعقوب فهذه كلها صفات شرف ومجد لا يقال ان خلته أشرف من كلامه ولا ان كلامه أفضل من خلقه بيديه بل كل ذلك راجع إلى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد فهي بالنسبة إلى كذا خالقة وبالنسبة إلى كذا مالكة وبالنسبة إلى كذا عالمة إلى ما نسبت من صفات الشرف والعين واحدة وأما المسئلة الطفولية التي بين الناس واختلافهم في فضل الملائكة على البشر فاني سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة فقال لي ان الملائكة أفضل فقلت له يا رسول الله فان سئلت ما الدليل على ذلك فما أقول فأشار إلى ان قد علمتم اني أفضل الناس وقد صح عندكم وثبت وهو صحيح اني قلت عن الله تعالى انه قال "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم" وكم ذاكر لله تعالى ذكره في ملأ خير من ذلك الملأ الذي انا فيهم فذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ الذي أنا فيهم فما سررت بشئ سروري بهذه المسئلة فانه كان على قلبي منها كثير وان تدبرت قوله تعالى "هو الذي يصلي عليكم وملائكته" وهذا كله بلسان التفصيل وأما جهة الحقائق فلا مفاضلة ولا أفضل لأرتباط الأشخاص بالمراتب وارتباط المراتب بالاسماء الإلهية وان كان لها الابتهاج بذاتها وكمالها فابتهاجاً بظهور آثارها في أعيان المظاهر أتم ابتهاجا لظهور سلطانها كما تعطي الأشارة في قول القائل المترجم عنها

حيث نطق

بلسانها من كناية نحن المترل عن الله في كلامه وهي كناية تقتضي الكثرة

نحن في مجلس السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور

فمجلس السرور لها حضرة الذات وتمام السرور لها ما تعطيه حقائقها في المظاهر وهو قوله بكم وذلك لكمال الوجود والمعرفة لا لكمال الذات ان عقلت السؤال الثلاثون خلق الله الخلق في ظلمة الجواب هذا مثل قوله "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة" فهذه انوار فيك تدرك بها الأشياء فما أدركت إلا بما جعل فيك وما جعل فيك سوى انت فله تعالى مما انت الوجود وانت من ذلك الوجود المدرك به المعدوم الموجود وما لا يتصف بالعدم ولا بالوجود وهو ادراك الأفئدة مما ذكر فالممكنات على عدم تناهيها في ظلمة من ذاتها وعينها لا تعلم شيأ ما لم تكن مظهور الوجود وهو ما يستفيد الممكن منه وهو قوله تعالى "على نور من ربه" فخلق هنا بمعنى قدر قال تعالى "وخلق كل شيأ فقدره تقديرا" فقدرهم و لم يكونوا مظهرا لكن كانوا قابلين لتقديره فأول أثر إلهي في الخلق التقدير قبل وجودهم وان يتصفوا بكونهم مظاهر للحق فالتقدير الإلهي في حقهم كأحضار المهندس ما يريد أبرازه مما يخترعه في ذهنه من الأمور فأول أثر في تلك الصورة انما هو ما تصوره المهندس على غير مثال وآية هذا المقام قوله "يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون" أي انتقالكم من وجود الدنيا إلى وجود الآخرة أقرب في العلم ان كنتم موقنين من انتقالكم من حال عدم إلى حال وجود فانتم في الظلمة فيكم وانتم في الوجود فيه غير ان لكم انتقالات في وجوده وظلمتكم تستصحبكم لا تفارقكم أبداً "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون" و لم يقل نجعلهم في ظلمة بل زوال عين النور الذي هو الوجود هو عين كونكم مظلمين أي تبقى أعيانكم لا نور لها أي لا وجود لها ولو لم تكن الظلمة نسبة عدمية وهي كون ذواهم العينية المعدومة لكانت الظلمة من جملة الخلق فكانت الظلمة تستدعي ان تكون في ظلمة والكلام في تلك الظلمة كالكلام في الأولى ويتسلسل فان قوله خلق الله الخلق في ظلمة قد يريد بالخلق هنا المخلوقات والظلمة إذا كانت أمرا وجودياً فهي مخلوقة فتكون أيضاً في ظلمة وإذا كان الخلق هنا مصدراً كانه قال قدر الله التقدير في ظلمة أي في غير موجودين يعني تلك الأعيان وانظر في قوله تعالى "يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث" ثم ان الله تعالى في الوجود الأخروي إذا أراد الله بتبديل الأرض كان الخلق في الظلمة دون الجسر فالظلمة تصحبهم بين كل مقامين إذا أراد الله ان يوجدهم في عالم آخر أي ينشئهم نشأة أخرى لم تكن في أعياهم فيعلمون بتغيير الأحوال عليهم الهم تحت حكم قهار فيكونون في حال وجودهم مثل حالهم في العدم ولهذا نبه الحق سبحانه عقولنا بقوله تعالى "أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل و لم يك شيأ" أي قدرناه في حال شيئيته المتوجه عليها أمره إلى شيئية أخرى لقوله تعالى "انما قولنا لشئ إذا أردناه" في حال عدمه "ان نقول له كن" كلمة وجودية من التكوين فسماه شيأ في حال لم تكن الشيئية المنفية بقوله و لم تك شيأ فلا بد ان يعقل العارف ما الشيئية الثابتة له في حال عدمه في قوله "انما قولنا لشئ" وما الشيئية المنفية عنه في حال عدمه في قوله "و لم تك شيأ" فالظلمة التي خلق الله فيها الخلق نفي هذه الشيئية عنهم والنفي عدم محض لا وجود فيه وقد ذكر المفسرون معنى قوله "في ظلمات ثلاث" وليس المقصود إلا ما ذكره صاحب السؤال وأما الآية فمعلوم أمرها عند العلماء بالله في خلق مخصوص وهو الخلق في الرحم لا غير انتهى الجزء الثاني والثمانين

الجزء الثالث والثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الحادي والثلاثون فما قصتهم هنا يعني قصة المخلوقين الجواب قصتهم هناك الانتظار لما يكسوهم الحق من حلل نور الوجود لكل مخلوق نور على قدره ينفهق منه وهو النور الذي يمشون فيه يوم القيامة فان يوم القيامة ليس له ضوء جملة واحد والناس لا يسعون فيه إلا في انوارهم ولا يمشي مع أحد منهم غيره في نوره كما قال عليه السلام بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة وهو الجمع بين النورين بين نورهم المبطون في أعيانهم الظاهر هناك وبين النور المبطون في ظلمة الليل الذي ينوب عنه السراج في نفي تلك الظلمة عن طريق الماشي والمسجد بيت الله يسعى إليه لمناجاته كذلك هذا النور لا يكون لهم إلا في الوقت الذي يدعون فيه إلى رؤية ربهم الذي ناجوه هنا فيمشون في ذلك الوقت في النور الذي كان مبطوناً في الظلمة التي سعوا فيها في صلاة الصبح والعشاء إلى المساجد وانتظارهم هو انتظار حال فانهم غير موصوفين في تلك الظلمة بالعلم لان الأتصاف بالعلم تابع للوجود وهم غير موجودين بل هم في شيئتهم القابلة لقول التكوين ولما جعل الظلمة ظرفاً للخلق كذلك قال هناك فأتى بما يدل على الظرف فهم قابلون للتقدير وان كان قوله في ظلمة في موضع الحال من الخالق فيكون المراد به العماء الذي ما فوقه هواء ما تحته هواء الذي أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة للحق تعالى حين قيل له أين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق فقال صلى الله عليه وسلم كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فتره ان يكون تصريفه للأشياء على الأهواء فانه لما كنى عن ذلك الوجود بما هو أسم للسحاب محل تصريف الأهواء نفى ان يكون فوق ذلك العماء هواء أو تحته هواء فله الثبوت الدائم لا على هواء ولا في هواء فان السؤال وقع بالاسم الرب ومعناه الثابت يقال رب بالمكان إذا أقام فيه وثبت فطابق الجواب و لم يصف الحق نفسه في مخلوقاته إلا بقوله يدبر الأمر يفصل الآيات وقال كذلك نصرف الآيات فتخيل من لا فهم له تغيير الأحوال عليه وهو يتعالى ويتقدس عن التغيير بل الحالات هي متغيرة ما هو يتغير بها فانه الحاكم ولا حكم عليه فجاء الشارع بصفة الثبوت الذي لا تقبل التغيير فلا تصرف آياته يد الأهواء لان عماء لا يقبل الأهواء وذلك العماء هو الأمر الذي ذكرنا انه يكون في القديم قديما وفي المحدث محدثا وهو مثل قولك أو عين قولك في الوجود إذا نسبته إلى الحق قلت قديم وإذا نسبته إلى الخلق قلت محدث فالعماء من هو وصف للحق هو وصف إلهي ومن حيث هو وصف للعالم هو وصف كياني فتختلف عليه الأوصاف لأختلاف أعيان الموصوفين قال تعالى في كلامه القديم الأزلي "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" فنعته بالحدوث لانه نزل على محدث لانه حدث عنده ما لم يكن يعلمه فهو محدث عنده بلا شك ولا ريب وهذا الحادث هل هو محدث في نفسه أو ليس بمحدث فإذا قلنا فيه انه صفة الحق التي يستحقها جلاله قلنا بقدمها بلا شك فانه يتعالى ان تقوم الصفات الحادثات به فكلام الحق قديم في نفسه قديم بالنسبة إليه محدث أيضاً كما قال عند من انزل عليه كما انه أيضاً من وجوه قدمه نسبته إلى الحدوث بالنظر إلى من انزل عليه فهو الذي أيضاً أوجب له صفة القدم إذ لو ارتفع الحدوث من المخلوق لم يصح نسبة القدم و لم تعقل فلا تعقل النسب التي لها أضداد إلا بأضدادها فقصة الخلق في الظلمة التهيؤ والقبول في الأعيان لظهور الحق في صور الوجود لهذه الأعيان

السؤال الثاني والثلاثون وكيف صفة المقادير الجواب المقادير هي الصفات الذاتية للأشياء فلا صفة لها فهي الحدود المانعة من هو

متصف بها ان تكون صفة لغيره وعندي في حد الحد نظر فان أراد بقوله صفة المقادير المنع ويجعله صفة من حيث انك تعبر عنها بأمر هو عينها بعد علمك بهذا فقل ان هذا صفة المقدار وان أردت الحقيقة فلا صفة للمقادير لان الشئ لا يكون صفة لنفسه فان قلت فالصفات النفسية ما هي بأمر زائد على الذات قلنا صدقت قال فإذا قد وصفت الشئ بنفسه قلت ان كان غير مركب فالوصف فيه عين اطلاق لفظ يكون شرحاً للفظ آخر عند السامع يقع به الإفهام عنده وان كان الشئ مركباً فذلك الوصف للمجموع وحكم الشئ من كونه مجموعاً غير حكمه من كونه غير مجموع فانت انما ذكرت آحاد ذلك المجموع المعقول من هذه الجمعية أمراً ما هو عين كل مفرد من هذا المجموع فهذا الشئ موصوف بصفات النفسية انما تلك أسماء آحاده ألا ترى الذات لا توصف رأساً فانها لذاتها هي ذات لذاتها لا تقبل الوصف ثم لما قلت الله من حيث المرتبة استحق ان يوصف من حيث هذا الاسم بما يطلبه هذا الاسم من الحقائق التي تعينها المحدثات المعبر عنها بالاسماء فما ثم شئ يوصف بنفسه إلا من حيث شرح لفظ بلفظ آخر ولذا قسمنا الحدود إلى ثلاث مراتب ذاتية ورسمية ولفظية فالمقادير جمع مقدار والأقدار جمع قدر فلا يلتبس عليك المقادير بالأقدار فبعض المقادير محل تأثير الأقدار فاعلم فحدود الأمور الذاتية عين مقاديرها فالوزن القدر والموازين المقادير بها توزن الأشياء فالأمور لا تعلم إلا بحدودها ومن لا حد له فذلك حدة فقد علم

السؤال الثالث والثلاثون فما سبب علم القدر الذي طوى عن الرسل فمن دونهم الجواب في السؤال حذف وهو ان يقول ما سبب طي علم القدر الذي طوى عن الرسل فمن دونهم فان كان هذا الرجل يقول بفضل أفضل البشر على أفضل الملائكة فكانه قال الذي طوى عن كل ما سوى الله وان كان يرى ان أفضل الملائكة أفضل من أفضل البشر فقوله فمن دونهم لا يلزم ان من هو أفضل من الرسل طوى عنه علم القدر فقد يمكن عنده ان يكون من هو أعلى يعلم ذلك فبقي الجواب عما يقتضيه الأمر في نفسه هل ثم من يعلم علم القدر أم لا قلنا لا ولكن قد يعلم سره وتحكمه في الخلائق وقد أعلمنا به فعلمناه بحمد الله وان مظاهر الحق في أعيان الممكنات المعبر عنها بالعالم هي آثار القدر وعلامة على وجود الحق ولا دليل أدل على الشئ من نفسه فلم يعلم الحق بغيره بل علم نفسه ونسبة الوجود إلى هذه الأعيان قد قلنا ان ذلك أثر القدر فنعلم القدر بأثره ونعلم الحق بوجوده وذلك لان القدر نسبة مجهولة خاصة والحق وجود فيصح تعلق العلم بالحق ولا يصح تعلق العلم بالقدر فان علمنا بظهور المظهر في العين هو عين علمنا بالحق والقدر مرتبة بين الذات وبين الحق من حيث ظهوره لا يعلم أصلا وحكمه في المظاهر حكم الزمان في عالم الأجسام فلهذا يطلقه أكثر المحققين على الأوقات المعقولة وقد أعلمناك ان الزمان نسبة معقولة غير موجودة ولا معدومة وهو في الكائنات فالوقت أعز مقاما في امتناع العلم به أو تصوره فلا ينال أبدا وقد كان العزيز رسول الله عليه السلام كثير السؤال عن القدر إلى ان قال له الحق تعالى يا عزيز لئن سألت عنه لأمحون أسمك من ديوان النبوة ويقرب منه السؤال عن علل الأشياء في تكويناتها فأفعال الحق لا ينبغي ان تعلل فانه ما ثم علة موجبة لتكوين شئ إلا عين وجود الذات وقبول عين الممكن لظهور الوجود فالأزل لا يقبل السؤال عن العلل وان ذلك لا يصدر إلا من جاهل بالله فالسبب الذي لا يحله طوى علم القدر هو ان له نسبة ذات الحق ونسبة إلى المقادير فعز ان يعلم عز الذات وعز ان يجهل لنسبة المقادير فهو المعلوم المجهول فأعطى التكليف في العالم فأشتغل العالم بما كلفوا ونهوا عن طلب العلم بالقدر ولايعلم ألا بتقريب الحق وشهود شهوداً خاصاً لعلم هذا المسمى قدراً فأولياء الله وعباده لايطلبون علمه للنهي الوارد عن طلبه فمن عصى الله وطلبه من الله وهو لا يعلم بالنظر الفكري فلم يبق ألا ان يعلم بطريق الكشف الألهي والحق لا يقرب من عصاه بمعصيته وطالب هذا العلم قد عصاه في طلبه فلا ينال من طريق الكشف وما ثم طريق آخر يعلم به علم القدر فلهذا كان

مطوياً عن الرسل فمن دونهم وان نزع أحد إلى ان السائل أعتبر بسؤاله معنى الرسالة فمن حيث انهم رسل طوى عنهم في هذه المرتبة ومن دونهم من أرسل إليهم وذلك هو التكليف فسد الله باب العلم بالقدر في حال الرسالة فان علموه فما علموه من كونهم رسلاً بل من كونهم من الراسخين في العلم فقد ينال على هذا لولا ما بيناه من ان مرتبته بين الذات والمظاهر فمن علم الله علم القدر ومن جهل الله جهل القدر والله سبحانه مجهول فالقدر مجهول فمن المحال ان يعرف المألوه الله لانه لاذوق له في الألوهة فانه مألوه والله ذوق في المألوهية لكونه يطلبها في المألوه كما يطلبه المألوه كما فمن هناك وصف الحق نفسه بما وصف به مظاهره من التعجب والضحك والنسيان وجميع الأوصاف التي لا تليق ألا بالممكنات فسر القدر عين تحكمه في المقادير كما ان الوزن متحكم في الموزون والميزان نسبة رابطة بين الموزون والوزن بها يتعين مقدار الموزون ومقادير الموزونات على أختلافها فالحق وضع الميزان وقال" وما نتزله ألا بقدر معلوم " ويستحقه من انزل إليه فكل شيء بقضائه أي بحكمه وقدره أي وزنه وهو تعيين وقت حالاً كان وقته زماناً أو صفة أو ما كان فظهر ان سبب طي علم القدر سبب ذاتي والأشياء إذا أقتضت الأمور لذواتها لا للوازمها أو أعراضها لم يصح ان تتبدل ما دامت ذواتها والذوات لها الدوام في نفسها لا لنفسها فوجود العلم بها محال

السؤال الرابع والثلاثون لأي شيء طوى الجواب هذا سؤال أختبار ان كان السائل عالماً فانه من المعلومات ما يعلل ومنها ما لايعلل هذا في المعلومات فكيف ما لا يعلم كيف يصح ان يعلل الجهل به وأما من يرى ان القدر معلوم لمن فوق مرتبة الرسل من الملائكة أو من شاء الله من خلقه الذي لا علم لنا بأجناس خلقه فيكون طيه حتى لايشارك الحق في علم حقائق الأشياء من طريق الأحاطة بها أذ لو علم أي معلوم كان بطريق الأحاطة من جميع وجوهه كما يعلمه الحق لما تميز علم الحق عن علم العبد بذلك الشيء ولا يلزمنا على هذا الأستواء فيما علم منه فان الكلام فيما علم منه على ذلك فان العبد جاهل بكيفية تعلق العلم مطلقاً بمعلومه فلا يصح ان يقع الأشتراك مع الحق في العلم بمعلوم ما ومن المعلومات العلم بالعلم وما من وجه من المعلومات ألا وللقدر فيه حكم لا يعلمه ألا الله فلو علم القدر علمت أحكامه ولو علمت أحكامه لأستقل العبد في العلم بكل شيء وما أحتاج إلى الحق في شيء وكان الغني له على الأطلاق فلما كان الأمر بعلم القدر يؤدي إلىهذا طواه الله عن عباده فلا يعلم فكل شخص في العالم على جهل من نفسه وعلم فمن حيث جهله يفتقر ويسأل ويخضع ويتضرع ويعلمه بجهله يقع منه هذا الوصف هذا إذا أتفق ان يكون ممكناً العلم به وقد قررنا انه محال لذاته كما يعلم انه ليس للحق من الصفات النفسية سوى واحدة لأحديته وهي عين ذاته فليس له فصل مقوم يميز به عما وقع له من الأشتراك فيه مع غيره بل له الأحدية الذاتية التي لا تعلل ولا تكون علة فهي الوجود وما هي ومن الأسباب التي لأجلها طوى علم ذلك عن الانسان لكون ذات الانسان تقتضي البوح به لانه أسنى ما يمدح به الانسان ولا سيما الرسل فحاجتهم إليه آكد من جميع الناس لان مقام الرسالة يقتضي ذلك وما ثم علم ولا آية أقرب دلالة على صدقهم من مثل هذا العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وصف ربه به مما أوحى إليه به انه لا شيء أحب إلى الله تعالى من ان يمدح ولا مدحة فوق المدحة بمثل هذا ثم ان الله فلو فتح للعبد الانساني العلم بالقدر وقد أمر بالغيرة فيه وطيه عمن لا ينبغي ان يظهر عليه وكان الانسان وهو مجبول على حب المدح والرسالة تعطي الرغبة في هداية الخلق أجمعين ولا طريق للهداية أوضح من هذا الفن فالذي كانوا يلقونه من الكتم من الألم والعذاب في انفسهم لا يقدر قدره فخفف الله عن الرسل مثل هذا الألم فطواه عنهم فان جميع العالم ممن له قوة على إيصال ما في نفسه من الأمور إلى الخلق يكتمون علم مثل هذا وغيره إذا كان عندهم إلا الجن والانس فان النشأة من هذه القوى العنصرية تقتضي لهم ذلك فمن كتم منهم فانما يكتم على كره مما ينبغي ان يمدح به إذا بثه ولو لا ان البها ثم لم تعط لها قوة التوصل لأعلمت

بما تشاهده من الأمور الغيبية التي أمر الله من يعلمها بسترها مثل حوار الميت على نعشه وعذاب القبر وحياة الشهداء فكل دابة تسمعه وتصغي يوم الجمعة شفقاً من الساعة ولكن لما كوشفت على مثل هذا أعطيت الخرس عن التوصيل فكتمها الأشياء اضطراري لا اختياري فطواه الله عن الثقلين لذلك فانه من الأسرار المكتومة فهذا من الأسباب التي طوى لها علم القدر السؤال الخامس والثلاثون متى ينكشف لها سر القدر الجواب سر القدر غير القدر وسره عين تحكمه في الخلائق وانه لا ينكشف لهم هذا السر حتى يكون الحق بصرهم بصر الحق ونظروا للأشياء ببصر الحق حينئذ انكشف لهم علم ما جهلوه إذ كان بصر الحق لا يخفى عليه شئ قال تعالى "ان الله لا يخفي عليه شئ في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام" لكونها مظلمة تمدح بإدراك الأشياء فيها كيف يشاء من انواع الصور والتصوير لا إله إلا هو العزيز أي المنيع الذي نسب لنفسه الصورة لا عن تصوير ولا تصور الحكيم بما تعطيه الأستعدادات المسواة لقبول الصور فعين لها من الصور ما شاء مما قد علم انها مناسبة له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى انه قال "ما نقرب أحد بأحب إلى من أداء ما افترضته عليه لانها عبودية اضطرار ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل" وهي عبودية اختيار حتى أحبه إذ جعلها نوافل فاقتضت العبد من الله فلما ألزم عبودية الأختيار نفسه لزوم عبودية الأضطرار أحبه فهو معنى قوله تعالى "حتى أحبه" ثم قال "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث" فإذا كان الحق لهذه الحالة بصر العبد كيف يخفى عليه ما ليس يخفى فأعطته النوافل واللزوم عليها أحكام صفات الحق وأعطته الفرائض ان يكون كله نوراً فينظر بذاته لا بصفته فذاته عين سمعه وبصره فذلك وجود الحق لا وجوده والله يقول الحق وهو يهدي السبيل السؤال السادس والسابع والثلاثون أين ينكشف لهم ولمن ينكشف منهم الجواب في حال الانفعال عنهم والأتحاد بهم وذلك ان من المظاهر من يعلم انه مظهر ومن المظاهر من لا يعلم انه مظهر فيتخيل انه عن الحق أجنبي وعلامة من يعلم انه مظهر ان تكون له مظاهر حيث شاء من الكون كقضيب البان فانه كان له مظاهر فيما شاء من الكون لا حيث ما شاء من الكون وان من الرجال من يكون له الظهور فيما شاء من الكون لا حيث شاء ومن كان له الظهور حيث شاء من الكون كان له الظهور فيما شاء من الكون فتكون الصورة الواحدة تظهر في أماكن مختلفة وتكون الصور كثيرة على التعاقب تلبس الذات الواحدة في عين المدرك لها فإذا حصل الانسان في المكان الذي يعرف فيه تجلى الحق في الصور المختلفة للشخص الواحد أو الأشخاص الكثيرين فمعرفته بتلك الحيثية لا تكون إلا ذوقا ومن عرف مثل هذا ذوقا كان متمكناً من الأتصاف بمثل هذه الصفة وهذا هو علم سر القدر الذي ينكشف لهم إذا كانوا في هذا المترل وبهذه القوة السؤال الثامن والثلاثون ما الأذن بالطاعة والمعصية من ربنا الجواب قال تعالى "ان الله لا يأمر بالفحشاء فالأذن الذي تشترك فيه الطاعة والمعصية هو الإذان الإلهي في كون المأذون فيه فعلاً من طريق الحكم لان حكمه في الأشياء في الطاعة والمعصية هو عين علمه بها بهذه الحالة فلا يكون مراد فلا يكون الحكم مأمراً به والمحكوم به وعليه هو المراد والمأمور به فلا يصح الأذن في الطاعة والمعصية من حيث انها طاعة ومعصية قال تعالى "وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله" من حيث انها فعل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً فانكر عليهم ان تكون السيئة من عند محمد صلى الله عليه وسلم كما قال في موسى "يطيروا بموسى ومن معه" فقال لهم "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" لامن محمد صلى الله عليه وسلم فاحتجاجنا في مسئلتنا انما هو بقوله "قل كل من عند الله" فأضاف الكل إلى الله والكل خير وهو بيده والشر ليس إليه فأوهم السائل المسئول بلفظ الطاعة والمعصية ليرى ما عنده من العلم فانه سؤال ابتلاء منه لمدعي علم الحقائق من طريق الكشف وقد قررنا هذا الفصل في كتاب المعرفة لنا

السؤال التاسع والثلاثون وما العقل إلا كثر الذي قسمت العقول منه لجميع خلقه الجواب لما كان في نفس الأمر يقتضي ان يكون مراتب المعلومات من الممكنات ثلاثا مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شانها ان تدرك بالعقول بطريق الأدلة والبداية ومرتبة من شانها ان تدرك بالحواس وهي المحسوسات ومرتبة من شانها ان تدرك بالعقل أو الحواس وهي المتخيلات وهي تشكل المعاني في الصور المحسوسة تصورها القوة المصورة الخادمة للعقل يقتضي ذلك أمر يسمى الطبيعة فيما ينشأمنها من الأجسام الانسانية والجنية فلما ان شاء الله ان يوضح للمكلفين من عباده أسباب سعادتهم على ألسنة رسله من البشر إليهم بوساطة الروح العلوي المنزل بذلك على قلوب بعض البشر المسمين رسلاً وانبياء أجرى المعاني في المخاطبات مجرى المحسوسات في الصور التي تقبل التجزي والانقسام والقلة والكثرة وجعل محل ذلك حضرة الخيال فحصروا المعاني في الخطاب فتلقتها بالتشبيه العقول كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني التي ليس من شانها بالنظر إلى ذاتها ان تكون متحيزة أو منقسمة أو قليلة أو كثيرة أو ذات حد ومقدار وكيف وكم وجعل لنا الدليل على قبول ما اتى به من هذا القبيل في هذه الصور ما يراه النائم في نومه من العلم في صورة اللبن فيشربه حتى يرى الري يخرج من أظفاره فقيل له ما أولته يا رسول الله يريد ما تؤول إليه صورة ما رأيت فقال العلم ومعلوم ان العلم ليس بجسم يسمى لبنا ولا هو لبن وانما هو معنى مجرد عن الصور التي من شانها ان تدركها الحواس فكان منها ما قال الشارع في تقسيم العقول على الناس كما تقسم الحبوب فمن الناس من حصل له من العقل الممثل في الصور التي من شانها ان تكال القفيز والقفيزين والأكثر والأقل والمد والمدين والأكثر من ذلك والأقل ليبين بهذا تفاضل الناس في العقول لانه المشهود عندنا لانا نرى أشخاصاً كلهم يتصفون بانهم عقلاء ذوو أحلام فمنهم من يدرك عقله غوامض الأسرار والمعاني ويحمل صورة الكلمة الواحدة من الحكيم على خمسين وجهاً ومائة وأكثر وأقل من المعاني الغامضة والعلوم العالية المتعلقة بالجناب الإلهي أو الروحاني أو الطبائع أو العلم الرياضي أو الميزان المنطقي وعقل شخص يترل عن هذه الدرجة إلى ما هو أقل وآخر يترل دون هذا الأقل وعقل آخر يعلو فوق هذا الأكبر فلما شاهدنا تفاوت العقول احتجنا ان نقسمها على الأشخاص تقسيم الذوات التي تقبل الكثرة والقلة ويسمى المعنى القابل لهذه القسمة المعنوية الممثلة العقل الأكثر أي الذي قسمت منه هذي العقول التي في العقلاء من الموجودات بحسب ما بينهم من التفاوت وصورة تكوين العقول من هذا العقل الأكبر في تحقيق الأمر بطريق التمثيل والتشبيه الأقرب إلى المناسب بالسراج الأول فتوقد منه جميع الفتائل فتتعدد السرج بعدد الفتائل وتقبل الفتائل من نور ذلك السراج بحسب استعداداتها ففتيلة طبيعية في غاية النظافة صافية الدهن وافرة الجسم يكون قبولها أعظم في اتساع النور وفي كمية جسم النور وأكبر من فتيلة نزلت عن هذه في الصفة من النظافة والصفاء فكان التفاوت بين الانوار بحسب استعدادات الفتائل ومع هذا فلم ينقص من السراج الأول شئ بل هو على كماله كما كان وكل سراج من هذه السرج يضاهيه ويقول انا مثله وبأي شئ فضل على وانا يؤخذ مني كما يؤخذ منه ويصول ويقول وما يرى فضله عليه من وجه انه الأصل وله التقدم والثاني انه في غير مادة ولا واسطة بينه وبين ربه وما عداه فلم يظهر له وجود إلا به وبالمواد التي قبلت الأشتعال منه فظهرت أعيان العقول هذا كله غاب عنها بل لها ما لها فيه ذوق كيف يدرك من لا وجود له إلا بين أب وأم حقيقة من كان وجوده عن غير واسطة وإذا كانت العقول تعجز عن إدراك العقل الأول التي ظهرت عنه فعجزها عن أدراك خالق العقل الأول وهو الله تعالى أعظم فانه أول ما خلق الله وهو الذي ظهرت منه هذه العقول بوساطة هذه النفوس الطبيعية فهو أول الآباء وسماه الله في كتابه العزيز الروح وأضافه إليه فقال في حق النفوس الطبيعية وحق هذا الروح وحق هذه الأرواح الجزئية التي لكل نفس طبيعية فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وهو هذا العقل الأكبر ةلهذا يقال فيه العقل الغريزي معناه الذي

اقتضته هذه النشأة الطبيعية باستعدادها الذي هو عبارة عن تسويتها وتعديلها لقبول

هذا الأمر واعلم ان أصل كل متكثر الواحد فالأجسام ترجع إلى جسم واحد والانفس ترجع إلى نفس واحدة والعقول ترجع إلى عقل واحد ولكن لا يكون من الواحد الكثرة بمجرد أحديته بل بنسب بنسب إذا تأملت ما ذكرناه وجدته كذلك فيكون كان ذلك الواحد انقسم في هذه الكثرة لا انه انقسم إلى نفسه أما لكونه لا يقبل القسمة كالنفوس والعقول والأصل المرجوع إليه وأما لكونه في قوته ان تكون منه هذه الكثرة من غير ان ينقص منه من حيث جسميته كالجسوم التي يتولد عنها الحيوان بماء أو ريح فذلك الماء أو الريح ليس هو من حد هذا الجسم الذي تكون عنه ما تكون السؤال الأربعون ما صفة آدم عليه السلام الجواب ان شئت صفته الحضرة الإلهية وان شئت مجموع الاسماء الإلهية وان شئت قول النبي صلى الله عليه وسلم "ان الله خلق آدم على صورته فهذه صفته فانه لما جمع له في خلقه بين يديه علمنا انه قد أعطاه صفة الكمال فخلقه كاملاً جامعاً ولهذا قبل الاسماء كلها فانه مجموع العالم من حيث حقائقه فهو عالم مستقل وما عداه فانه جزء من العالم ونسبة الانسان إلى الحق من جهة باطنه أكمل في هذه الدار الدنيا وأما في النشأة الآخر فان نسبته إلى الحق من جهة الظاهر والباطن وأما الملك فان نسبته من جهة الظاهر إلى الحق أتم ولا باطن للملك ولكن إلى الحق من حيث هو مسمى الله لا من حيث ذاته فانه من حيث ذاته هو لذاته ومن حيث مسمى الله يطلب العالم فكان العالم لم يعلم من الحق سوى المرتبة وهي كونه إلهاً رباً ولهذا لا كلام له فيه إلا في هذه النسب والأضافات وسمى بآدم لحكم ظاهره عليه فانه ما عرف منه سوى ظاهره كما انه ما عرف من الحق سوى الاسم الظاهر وهو المرتبة الإلهية فالذات مجهولة وكذلك كان آدم عند العالم من الملائكة فمن دونهم مجهول الباطن وانما حكموا عليه بالفساد أي بالأفساد من ظاهر نشأته لما رأوها قامت من طبائع مختلفة متضادة متنافرة فعلموا انه لا بد ان يظهر أثر هذه الأصول على من هو على هذه النشأة فلو علموا باطنه وهو حقيقة ما خلقه الله عليه من الصور لرأوا الملائكة جزأ من خلقه فجهلوا أسماءه الإلهية التي نالها بهذه الجمعية لما كشف له عنه فأبصر ذاته فعلم مستنده في كل شئ ومن كل شئ فالعالم كله تفصيل آدم وآدم هو الكتاب الجامع فهو للعالم كالروح من الجسد فبالمجموع يكون العالم كله هو الانسان الكبير والانسان فيه وإذا نظرت في العالم وحده دون الانسان وجدته كالجسم المسوى بغير روح وكمال العلم بالانسان مثل كمال الجسد بالروح والانسان منفوخ في جسم العالم فهو المقصود من العالم واتخذ الله الملائكة رسلاً إليه ولهذا سماهم ملائكة أي رسلاً من المألكة وهي الرسالة فان أخذت الشرف بكمال الصورة قلت الانسان أكمل وان أخذت الشرف بالعلم بالله من جانب الحق لا من طريق النظر فالأفضل والأشرف من شرفة الله بقوله هذا أفضل عندي فانه لا تحجير عليه في ان يفضل من شاء من عباده فان العلم بالله الذي يقع به الشرف لا حد له ينتهي إليه

السؤال الحادي والأربعون ما توليته الجواب ان الله تولاه بثلاث منها توليته في خلقه بيده ومنها بما علمه من الاسماء التي ما تولى بها ملائكته ومنها الخلافة وهي قوله "اني جاعل في الأرض خليفة" فان كان قوله خليفة لقوله وفي الأرض إله فهو نائب الحق في أرضه وعليه يقع الكلام وان أراد بالخلافة انه يخلف من كان فيها لما فقد فما نحن بصدد ذلك وكان المقصود النيابة عن الحق بقوله خليفة لقولهم من يفسد فيها ويسفك الدماء فيها وهذه إلا يقع إلا ممن له حكم ولا حكم إلا لمن له مرتبة التقدم وانفاذ الأوامر فأما مقصود السائل فانه يريد الخلافة التي هي بمعنى النيابة عن الله في خلقه فأقامه بالاسم الظاهر وأعطاه علم الاسماء منحيث ما هي عليه من الخواص التي يكون عنها الانفعالات فيتصرف بها في العالم تصرفها لكل أسم خاصة من الفعل في الكون يعلمها من يعلم علم الحروف وترتيبها من حيث ما هي مرقومة ومن حيث ما هي متلفظ بها ومن حيث ما هي متوهمة في الخيال فمنها ما له أثر في العالم

الأعلى وتنزيل الروحانيات بها إذا ذكرت أو كتبت في عالم الحس ومنها ما له أثر في العالم الجبروتي من الجن الروحاني ومنها ما يؤثر ذكره في خيال كل متخيل وفي حس كل ذي حس ومنها ما له أثر في الجانب الحي الأعلى الذي هو موضع النسب ولا يعرف هذا التأثير الواحد وأسمائه إلا الانبياء والمرسلون سلام الله عليهم وهي أسماء التشريع والعمل بتلك الشرائع هو المؤثر في هذا الجناب النسي وهو جناب عزيز لا يشعر به جعله الحق سبحانه موضع أسراره ومجلى تجلياته وهو الذي يعطي النزول والأستواء والمعية والفرح والضحك والمقدار وما يفهم منه من الآلات التي لا يكون ألا لذوات المقادير والكميات والكيفيات قال تعالى " وهو الذي في السماء له" فجاء بالهوية بما ينبغي ان يظهر به في السموات من الألوهية بالاسم الذي يخصها وفي الأرض أله بالاسم الذي ينبغي ان يظهر به في الأرض من كونه ألهاً فكان آدم نائباً عن هذا الاسم وهذا الاسم هو باطنه وهو المعلم له علم التأثيرات التي تكون عن الاسماء الألهية التي تختص بالأرض حيث كانت خلافته فيها وهكذا هو كل خليفة فيها ولهذا قال " جعلكم خلائف في الأرض " أي يخلف بعضنا بعضاً فيها في تلك المرتبة مع وجود التفاضل بين الخلفاء فيها وذلك لأختلاف الأزمان وأختلاف الأحوال فيعطي هذا الحال والزمان من الأمر مالا يعطيه الزمان والحال الذي كان قبله والذي يكون بعده ولهذا أختلفت آيات الانبياء بأختلاف الأعصار فآية كل خليفة ورسول من نسبة ما هو الظاهر والغالب على ذلك الزمان وأحوال علمائه أي شيء كان من طب أو سحر أو فصاحة وماشا كل هذا وهو قوله " ورفع بعضكم فوق بعض درجات " يقول للخلفاء ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم " وهاتان الصفتان لا تكونان ألا لمن بيده الحكم والأمر والنهي فهذا النسق يقوي انه أراد خلافة السلطنة والملك وهي التولية الألهية وأعظم تأثيراتها الفعل بالهمة من حيث ان النفس ناطقة لا من حيث الحرف والصوت المعتاد في الكلام اللفظي فان الهمة من غير نطق النفس بالنطق الذي يليق بها وان لم يشبه نطق اللسان لا يكون عنها انفعال بوجه من الوجوه عند جماعة أصحابنا وأوقعهم في هذا الأشكال حكم النيابة عن الله الذي إذا أراد شيأً وهو المعبر فينا بالهمة ان يقول له كن فيكون وهو المعبر عنه فينا بالنطق أو الكلام بحسب ما يليق بالمنسوب إليه ذلك فما أكتفى سبحانه في حق نفسه بالأرادة حتى قرن معها القول وحينئذ وجد التكوين ولا يمكن ان يكون النائب عنه وهو الخليفة بابلغ في التكوين ممن أستخلفه فلهذا لم يقتصروا على الهمة دون نطق النفس وأما نحن فنقول بهذا في موطنه وهو صحيح غير ان الذات غاب عنهم ما تستحقه لكون المرتبة لا تعقل دونها فكان كون المرتبة انما هو عن الذات بلا شك لان الذات تطلبها طلباً ذاتياً لا طلباً يتوقف على همة وقول بل عين همتها وقولها هو عين ذاتها فكون الألوهة لها هو ما يكون عن ذات الخليفة من حيث انها ذات خليفة فهي الذات الخلافية لا ذات الخلق التي هي نشأة جسمه وروحه ومع هذا فلا بد من النسب الثلاث لوجود التكوين عقلاً في موازين العلوم وشرعاً فأما في العقل فأصحاب الموازين يعرفون ذلك وأما في الشرع فانه قوله انما قولنا فهذا الضمير الذي هو النون من

قولنا عين وجود ذاته تعالى وكناية عنه فهذا أمر واحد وقوله إذا أردناه أمر ثان وقوله ان نقول له كن أمر ثالث فذات مريدة قائلة يكون عنها التكوين بلا شك فالأقتدار الألهي على التكوين لم يقم ألا من أعتبار ثلاثة أمور شرعاً وكذلك هو الانتاج في العلوم بترتيب المقدمات وان كانت كل مقدمة مركبة من محمول وموضوع فلا بد ان يكون أحد الأربعة يتكرر فيكون في المعنى ثلاثة وفي التركيب أربعة فوقع التكوين عن الفردية وهي الثلاثة لقوة نسبة الفردية إلى الأحدية فبقوة الواحد ظهرت الأكوان فلو لم يكن الكون عينه لما صح له ظهور فالوجود المنسوب إلى كل مخلوق هو وجود الحق أذ لا وجود للممكن لكن أعيان الممكنات قوابل لظهور هذا الوجود فتدبر ما ذكرناه في هذه التولية التي سأل عنها سميناً وابن سمي أبينا محمد بن علي الترمذي في كتاب ختم

الأولياء له وهي هذه المسائل التي أذكرها في هذا الباب

السؤال الثاني والأربعون ما فطرته يعني فطرة آدم أو الانسان الجواب ان أراد فطرته من كونه انساناً فله جواب أو من كونه خليفة فله جواب أو من كونه انساناً خليفة فله جواب أو من كونه لا انسان ولا خليفة فله جواب وهو أعلاها نسبة فانه إذا كان حقاً مطلقاً فليس بانسان ولا خليفة كما ورد في الخبر كنت سمعه وبصره فأين الانسانية هنا أذ لا أجنبية وأين الخلافة هنا وهو الأمر بنفسه فأثبتك ومحاك وأضلك وهداك أي حيرك فيما بين لك فما تبينت ألا الحيرة فعلمت ان الأمر حيرة فعين الهدى متعلقة الضلال فقال انت وما انت وما رميت أذ رميت ولكن الله رمى وما رمى ألا محمد فما رمى ألا الله فأين محمد فمحاه وأثبته ثم محاه فهو مثبت بين محوين محو أزلي وهو قوله وما رميت ومحو أبدي وهو قوله ولكن الله رمى وأثباته قوله أذ رميت فأثبات محمد في هذه الآية مثل الان الذي هو الوجود الدائم بين الزمانين بين الزمان الماضي وهو نفي عدم محقق وبين الزمان المستقبل وهو عدم محض وكذلك ما وقع الحس والبصر الأعلى رمى محمد فجعله وسطاً بين محوين مثبتا فأشبه الان الذي هو عين الوجود والوجود انما هو وجود الله لا وجوده فهو سبحانه الثابت الوجود في الماضي والحال والأستقبال فزال عنه التقييد المتوهم فسبحان اللطيف الخبير ولهذا قال " وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً " فجاء بالخبرة أي قلنا هذا أختبار للمؤمنين في إيمانهم لنا في ذلك من تناقص الأمور الذي يزلزل إيمان من في إيمانه نقص عما يستحقه الايمان من مرتبة الكمال الذي في أعطى كل شيء خلقه فهذا الجواب عن الوجه الرابع الذي هو أصعب الوجوه قدبان فأما فطرته من حيث ما هو انسان ففطرته ذات منسوب إليها مرتبة لا تعقل المرتبة دونها ولا تعقل هي دون المرتبة قال تعالى " فاطر السموات والأرض " وهو قوله كانتا رتقا ففتقناهما والفطر الشق وقال تعالى " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله " وهو الفطرة كما انه لا تبديل لكلمات الله وهو قوله " ما يبدل القول لدي " أي قولنا واحد لا يقبل التبديل وقال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فالألف واللام هنا للعهد أي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وقد تكون الألف واللام لجنس الفطر كلها لان الناس أي هذا الانسان لما كان مجموع العالم ففطرته جامعة لفطر العالم ففطرة آدم فطر جميع العالم فهو يعلم ربه من حيث كل علم نوع من العالم من حيث هو عالم ذلك النوع بربه من حيث فطرته وفطرته ما يظهر به عند وجوده من التجلي الألهي الذي يكون له عند إيجاده ففيه أستعداد كل موجود من العالم فهو العابد بكل شرع والمسبح بكل لسان والقابل لكل تجلى إذا وفي حقيقة انسانيته وعلم نفسه فانه لا يعلم ربه إلا من علم نفسه فان حجته شئ منه عن درك كله فهو الجاني على نفسه وليس بانسان كامل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية يعني بالكمال معرفتهم بهم ومعرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم فكانت فطرة آدم علمه به فعلم جميع الفطر ولهذا قال "وعلم آدم الاسماء كلها" وكل يقتضي الأحاطة والعموم الذي يراد به في ذلك الصنف وأما الاسماء الخارجة عن الخلق والنسب فلا يعلمها إلا هو لانه لا تعلق لها بالأكوان وهو قوله عليه السلام في دعائه أو اسنأثرت به في علم غيبك يعني من الاسماء الإلهية وان كان معقول الاسماء مما يطلب الكون ولكن الكون لا نهاية لتكوينه فلا نهاية لأسمائه فوقع الأيثار في الموضع الذي لا يصح وجوده إذ كان حصر تكوين ما لا يتناهى محال وأما الذات من حيث هي فلا أسم لها إذ ليست محل أثر ولا معلومة لأحد ولا ثم أسم يدل عليها معرى عن نسبة ولا بتمكين فان الاسماء للتعريف والتمييز وهو باب ممنوع لكل ما سوى الله فلا يعلم الله إلا الله فالاسماء بنا ولنا ومدارها علينا وظهورها فينا وأحكامها عندنا وغاياتها إلينا وعباراتها عنا وبدايتها منا

فلولاها لما كنا ولولانا لما كانت

بها بنا وما بنا كما بانت وما بانت

فان خفيت لقد جلت وان ظهرت لقد زانت

انتهى الجزء الثالث والثمانون

الجزء الرابع والثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الثالث والأربعون ما الفطرة الجواب النور الذي تشق به ظلمة الممكنات ويقع به الفصل بين الصور فيقال هذا ليس هذا إذ قد يقال هذا عين هذا من حيث ما يقع به الأشتراك فالحمد لله فاطر السموات والأرض هو قوله الله نور السموات والأرض والعالم كله سماء وأرض ليس غير ذلك وبالنور ظهرت قوله وبالحق انزلنا وبالحق نزل والله مظهرها فهو نورها فظهور المظاهر هو الله فهو فاطر السموات والأرض ففطر السماء والأرض به فهو فطرها والفطرة التي فطر الناس عليها فكل مولود يولد على الفطرة "ألست بربكم قالوا بلى" فما فطرهم إلا عليه ولا فطرهم إلا به فبه تميزت الأشياء وانفصلت وتعينت والأشياء في ظهورها الألهي لاشيء فالوجود وجوده والعبيد عبيده فهم العبيد من حيث أعيانهم وهم الحق من حيث وجودهم فما تميز وجودهم من أعيانهم ألا بالفطرة التي فصلت بين العين ووجودها وهو من أغمض ما يتعلق به علم العلماء بالله كشفه عسير وزمانه يسير

السؤال الرابع والأربعون لم سماه بشراً الجواب قال تعالى " مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي على جهة التشريف الألهي فقرينة الحال تدل على مباشرة خلقه بيديه بحسب ما يليق بجلاله فسماه بشرا لذلك إذ اليد بمعنى القدرة لاشرف فيها على من شرف عليه واليد بمعنى النعمة مثل ذلك فان النعمة والقدرة عمت جميع الموجودات فلا بد ان يكون لقوله بيدي أمر معقول له خصوص وصف بخلاف هذين وهو المفهوم من لسان العرب الذي نزل القران بلغتهم فإذا قال صاحب اللسان انه فعل هذا بيده فالمفهوم منه رفع الوسائط فكانت نسبة آدم في الجسوم الانسانية نسبة العقل الأول في العقول ولما كانت الأجسام مركبة طلبت اليدين لوجود التركيب و لم يذكر ذلك في العقل الأول لكونه غير مركب فأجتمعا في رفع الوسائط وليس بعد رفع الوسائط في التكوين مع رفع اليدين إلا أمر من أجله سمى بشراً وسرت هذه الحقيقة في البنين فلم يوجد أحد منهم إلا عن مباشرة ألا ترى وجود عيسى عليه السلام لما تمثل لها الروح بشراً سويا فجعله واسطة بنيه تعالى وبين مريم في ايجاد عيسى تنبيهاً عن المباشرة بقوله بشراً سويا قال تعالى "ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد" وبشرة الشئ ظاهره والبشرى إظهار علامة حصولها في البشرة فقوله للشئ كن بحرفين الكاف والنون بمترلة اليدين في خلق آدم فأقام القول للشئ مقام المباشرة وأقام الكاف والنون مقام اليدين وأقام الواو المحذوفة لأجتماع الساكنين مقام الجامع بين اليدين في خلق آدم وأخفى ذكره كما خفيت الواو من كن غير ان خفاءها في كن لأمر عارض وخفاء الجامع بين اليدين لأقتضاء ما تعطيه حقيقة الفعل وهو قوله "ما أشهدتهم خلق السموات والأرض" وهو حال الفعل لانه ليس في حقائق ما سوى الله ما يعطى ذلك المشهد فلا فعل لأحد سوى الله ولا فعل عن اختيار واقع في الوجود فالأختيارات المعلومة في العالم من عين الجبر فهم المجبورون في اختيارهم والفعل الحقيقي لا جبر فيه ولا اختيار لان الذات تقتضيه فتحقق ذلك فلمباشرة الوجود المطلق الأعيان الثابتة لظهور الوجود المقيد سمى الوجود المقيد بشرا واختص به الانسان لانه أكمل الموجودات خلقا وكل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال في الوجود فالانسان أتم المظاهر فاستحق أسم البشر دون غيره من الأعيان وأما قوله تعالى "وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء" انه على حكيم فسمى المكلم هنا بشرا بهذه الضروب كلها من الكلام لما يباشره من الأمور الشاغلة له عن اللحوق برتبة الروح التي له من حيث روحانيته فان أرتقى عن درجة البشرية كلمه الله من حيث ما كلم الأرواح أذ كانت الأرواح أقوى في التشبه لكونها لا تقبل التحيز والانقسام وتتجلى

في الصور من غير ان يكون لها باطن وظاهر فما لها سوى نسبة واحدة من ذاتها وهي عين ذاتها والبشر من نشأته ليس كذلك فانه على صورة العالم كله ففيه ما يقتضي المباشرة والتحيز والانقسام وهو مسمى البشر وفيه ما لا يطلب ذلك وهو روحه المنفوخ فيه وعلى بشريته توجهت اليدان فظهرت الشفيعة في اليدين في نشأته فلا يسمع كلام الحق من كونه بشراً ألا بهذه الضروب التي ذكرها أو بأحدها فإذا زال في نظره عن بشريته وتحقق بمشاهدة روحه كلمه الله بما يكلم به الأرواح المجردة عن المواد مثل قوله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم وفي حق الأعرابي فأجره حتى يسمع كلام الله وما تلاه عليه غير لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأقام محمداً صلى الله عليه وسلم في هذه الصورة مقام الروح الأمين الذي نزل بكلام الله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله أو يرسل رسولاً يعني لذلك البشر فيوحى إليه بأذنه ما يشاء الله تعالى مما أمره ان يوحي به إليه فقوله ألا وحياً يريد هنا الهاما بعلامة يعلم بها ان ربه كلمه حتى لا يلتبس عليه الأمر أو من وراء حجاب يريد أسماعه إياه لحجاب الحروف المقطعة والأصوات كما سمع الأعرابي القران المتلو الذي هو كلام الله أو حجاب الإذان أيضاً من السامع أو حجاب بشريته مطلقاً فيكلمه في الأشياء كما كلم موسى من جانب الطور الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله فوقع الحد بالجهة وتعين البقعة لشغله بطلب النار الذي تقتضيه بشريته فنودى في حاجته لأفتقاره إليها والله قد أخبر ان

الناس فقراء إلى الله فتسمى الله في هذه الآية باسم كل مايفتقر إليه غيرة ألهية ان يفتقر إلى غير الله فتجلى الله له في عين صورة حاجته فلما جاء إليها ناداه منها فكان في الحقيقة فقره إلى الله والحجاب وقع بالصورة التي وقع فيها التجلي فلولا ماناداه ما عرفه وفي مثل هذا يقع التجلي الألهي في الآخرة الذي يقع فيه الانكار وقوله انه على أي عليم بما تقتضيه المراتب التي ذكرها وانزلها مترلتها وقوله حكيم يريد بانزال ما علمه مترلته ولو بدل الأمر لما عجز عن ذلك ولكن كونه علياً حكيماً يقضي بان لا يكون الأمر ألا كما وقع ولما أخبر نبيه بهذه المراتب كلها التي تطلبها البشرية قال له وكذلك أي ومثل ذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا يعني الروح الأمين الذي نزل به على قلبك الذي هو روح القدس أي الطاهر عن تقييد البشر فقد علمت معنى البشر الذي أردنا ان نبينه لك بما تقتضيه هذه اللفظة باللسان العربي

السؤال الخامس والأربعون بأي شيء نال التقدمة على الملائكة الجواب ان الله قد بين ذلك بقوله تعالى " وعلم آدم الاسماء كلها " يعني الاسماء الألهية التي توجهت على إيجاد حقائق الأكوان ومن جملتها الاسماء الألهية التي توجهت على إيجاد الملائكة والملائكة لا تعرفها ثم أقام المسمين بهذه الاسماء وهي التجليات الألهية التي هي للأسماء كالمواد الصورية للأرواح فقال " للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء يعني الصور التي تجلي فيها الحق ان كنتم صادقين في قولكم نسبح بحمدك وهل سبحتموني بهذه الاسماء التي تقضيها هذه التجليات التي أتجلاها لعبادي وان كنتم صادقين في قولكم ونقدس لك ذواتنا عن الجهل بك فهل قد ستم ذواتكم لنا من جهلكم بهذه التجليات وما لها من الاسماء التي ينبغي ان تسبحوني بها فقالت الملائكة لا علم لنا ألا ما علمتنا فمن علمهم بالله انهم ما أضافوا التعليم ألا إليه تعالى انك انت العليم بما لا يعلم الحكيم بترتيب الأشياء مراتبها فأعطيت في هذا الخليفة ما لم تعطنا مما غاب عنا فلولا ان رتبة نشأته تعطى ذلك ما أعطت الحكمة ان يكون له هذا العلم الذي خصصته به دوننا وهو بشر فقال لآدم " انبئهم باسماء هؤلاء الذين عرضناهم عليهم فانبأ آدم الملائكة باسماء تلك التجليات وكانت على عدد ما في نشأة آدم من الحقائق الألهية التي تقتضيها اليدان الألهية مما ليس من ذلك من غيره من الملائكة شيء فكان هؤلائك المسمون المعروضة على الملائكة تجليات ألهية في صورة ما في آدم من الحقائق فأولئك هم عالم آدم كلهم فلما علمهم آدم عليه السلام قال لهم الله " ألم أقل لكم اني أعلم غيب

السموات " وهو ما علا من علم الغيوب والأرض وهو ما في الطبيعة من الأسرار وأعلم ما تبدون أي ما هو من الأمور ظاهر وما تكتمون أي ما تخفونه على انه باطن مستور فاعلمتكم انه أمر نسبي بل هو ظاهر لمن يعلمه ثم قال لهم بعد التعليم أسجدوا لآدم سجود المتعلمين للمعلم من أجل ما علمهم فلا آدم هنا لام العلة والسبب أي من أجل آدم فالسجود لله من أجل آدم سجود شكر لما علمهم الله من العالم به وما خلقه في آدم عليه السلام فعلموا ما لم يكونوا يعلمون فنال التقدمة عليهم بكونه علمهم فهو أستاذهم في هذه المسئلة وبعد فما ظهرت هذه الحقيقة في أحد من البشر ألا في محمد صلى الله عليه وسلم فقال عن نفسه انه أوتي جوامع الكلم وهو قوله في حق آدم عليه السلام الاسماء كلها وكلها بمنزلة الجوامع والكلم بمنزلة الاسماء ونال التقدمة بها وبالصورة التي خلقه الله عليها قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته بالنشأة من أجل اليدين وجعله بالخلافة على صورته وهي المنزلة فأعطته الصورتان التقدم حيث لم يكن ذلك لغيره من المخلوقات فليس فوق هذه المنزلة منزلة لمخلوق فلا بد ان يكون له يكون له التقدمه على من سواه وكذلك الأمر الذي أعطاه هذا يتقدم على جميع الأمور كلها

السؤال السادس والأربعون كم عدد الأخلاق التي منحه عطاء الجواب ثلثمائة خلق وهي التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عليه وسلم ان لله ثلثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة ولهذا قال في الثلثمائة انهم على قلب آدم عليه السلام يعني هذه الأخلاق التي منح الله آدم فمن كملت نشأته من بنيه قبل هذه الثلثماثة من الخلق ومن لم يكمل كمال آدم فله منها على قدر ما أعطي من الكمال فمنهم الكامل والأكمل وهذه الأخلاق خارجة عن الأكتساب لا تكتسب بعمل بل يعطيها الله أختصاصاً ولا يصح التلحق بها لانه لا أثر لها في الكون وانما هي أعدادات بانفسها لتجليات ألهية علىعددها لا يكون شيء من تلك التجليات ألا لمن له هذه الأخلاق فناهيك من أخلاق لا نعلق لها لمن كان عليها وأتصف بها ألا الله خاصة ليس بينها وبين المخلوقين نسب أصلاً فقول النبي صلى الله عليه وسلم من تخلق بواحد منها أراد من أتصف بشيء منها أي من قامت به فان الأخلاق على أقسام ثلاثة منها أخلاق لا يمكن التخلق بها ألا مع الكون كالرحيم وأخلاق يتخلق بها مع الكون ومع الله كالغفور فانه يقتضي الستر لما يتعلق بالله من كونه غيور أو يتعلق يالكون وأخلاق لا يتخلق بها مع الله خاصة وهي هذه الثلثمائة ولها من الجنات جنة مخصوصة لا ينالها ألا أهل هذه الأخلاق وتجلياتها لا تكون لغيرها من الجنات ولكن هذه الأخلاق هي لهم كالخلوق الذي يتطيب به الانسان فانه وجود الريح من الطيب لا تعمل فيه للمتطيب يقتضي تلك الريح والتخلق تعمل في تحصيل الخلق وهذا ليس كذلك فالثناء على الطيب لا على من قام به فكذلك هذا الخلق إذا رئ على عبد قد أتصف به لم يقع منه ثناء عليه أصلاً وانما يقع الثناء على الخلق خاصة فكل خلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الأخلاق الثلثمائة فان الكرم خلق من أخلاق الله ولكن إذا تخلق به العبد أثني عليه بانه كريم وكذلك الرحمة يقال فيه رحيم وهذه الأخلاق لا ينطلق على من أتصف بها أسم فاعل جملة واحدة لكن ينطلق عليه أسم موصوف بها وسبب ذلك لانه لا يتعلق لها بالكون ألا بحكم الأشتراك كالغفور ولا بحكم الأختصاص كالشديد العقاب ويعطيها الاسم الوهاب من عين المنة لا غير السؤال السابع والأربعون كم خزائن الأخلاق الجواب على عدد أصناف الموجودات وأعيان أشخاصها فهي غير متناهية من حيث ما هي أشخاص ومتناهية من حيث ما هي خزائن وماسميت خزائن لكون الأخلاق مخزونة فيها أختزاناً وجودياً وانما جعلت خزائن لما تتضمنه في حكم من أتصف بها من الصفات التي لا نهاية لوجودها وهي خزائن في خزائن وأصلها الذي ترجع إليه الجامع للكل ثلاث خزائن خزانة تحوي على ما تقتضيه الذوات من حيث ما هي ذوات وخزانة تحوي على ما تقتضيه النسب الموجبة للأسماء من حيث ما هي نسب وخزانة تحوي على ما تقتضيه الأفعال من حيث انها أفعال لا من حيث

المفعولات ولا الانفعالات ولا الفاعلية وكل خزانة من هذه الخزائن الثلاث تنفتح إلى خزائن وتلك الخزائن إلى خزائن هكذا إلى غير نهاية فهي تدخل تحت الكم بوجه ولا تدخل تحت الكم بوجه ولا تدخل تحت الكم بوجه فما حصل منها في الوجود حصره الكم السؤال الثامن والأربعون ان لله مائة وسبعة عشر خلقاً ما تلك الأخلاق الجواب ان هذه الأخلاق مخصوصة بالانبياء عليهم السلام ليس لمن دونهم فيها ذوق ولكن لمن دونهم تعريفاتها فتكون عن تلك التعريفات أذواق ومشارب لا يحصيها ألا الله علماً وعدداً فمن هذه الأخلاق خلق الجمع الدال على التفريق والجمع الذي يتضمن التفريق والفرق الذي يتضمن الجمع ويظهر هذا الخلق من حضرة العزة والأبانة والحكمة والكرم ومن هذه الأخلاق خلق النور المستور وهو من أعز المعارف أذ لا يتمكن في النور ان يكون مستوراً فانه لذاته يخرق الحجب ويهتك الأستار فما هذا الستر الذي يحجبه ألا ان ذلك الحجاب هو انت كما قال العارف

فانت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه

ومن هذه الأخلاق خلق اليد وهر القوة وهو مخصوص بالقلوب وأصحابها وهو على مراتب ومن هذه الأخلاق خلق أعدام الأسباب في عين وجودها وهو على مراتب وقفت منها في الاندلس على مائة مرتبة لا توجد في الكمال ألا في روحانية ذلك الأقليم فانه لكل جزء من الأرض روحانية علوية تنظر إليه ولتلك الروحانية حقيقة ألهية تمدها وتلك الحقيقة هي المسماة خلقاً ألهياً وأما بقية الأخلاق فلها مراتب دون هذه التي ذكرناها في الأحاطة والعموم ولكل خلق من هذه الأخلاق درجة في الجنة لا ينالها ألا من له هذا الخلق وهذه الأربع التي ذكرناها منها للرسل ومنها للانبياء ومنها للأولياء ومنها للمؤمنين وكل طبقة من هؤلاء الأربع على منازل بعددهم فمنها ما يشاركهم فيها الملأ الأعلى ومنها ما تختص به تلك الطبقة وذلك ان كل أمر يطلب الحق ففيه يقع الأشتراك وكل أمر يطلب الخلق فهو يختص بذلك النوع من الخلق يقتصر عليه ومن الباقي أربعة عشر خلقاً لا يعلمها ألا الله والباقي من الأخلاق تعينها أسماء الأحصاء وهي أسماء لا يعرفها الأولى أو من سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة وأما من طريق النقل فلا يحصل بها علم وأما الثلاثة عشر فيختص بعلمها سبحانه وما بقي فيعلمه أهل الجنة وهم في العلم بها على طبقات وأعني بأهل الجنة الذين هم أهلها فانه لله سبحانه أهل هم أهله لا يصلحون لغيره كما ورد في الخبران أهل القران هم أهل الله وخاصته وللجنة أهل هم أهلها لا يصلحون ألا لها لا يصلحون لله وان جمعتهم حضرة الزيارة ولكن هم فيها بالعرض وللنار أهل هم أهلها لا يصلحون لله ولا للجنة ولكل أهل فيما هم فيه نعيم بما هم فيه ولكن بعد نفوذ أمر سلطان الحكم العدل القاضي إلى أجل مسمى وكل طائفة لها شرب وذوق في هذه الأخلاق المذكورة في هذا الباب فانقسمت هذه الأخلاق على هؤلاء الطبقات الثلاث كل خلق منها يدعوهم إلى ما يقتضيه أمره وشانه من نار أو جنان أو حضور عنده حيث لا أين ولا كيف وللمعاني المجردة منها أخلاق ولعالم الحس منها أخلاق ولعالم الخيال منها أخلاق فجنة محسوسة لمعنى دون حس وجنة معنوية لحس دون معنى وحضور مع الحق معنوي لحس دون معنى وحضور مع الحق محسوس لمعنى ونار محسوسة لمعنى دون حس ونار معنوية لحس دون معنى وتتفاضل مشارب هؤلاء الطبقات فيها فمنهم التام والأتم والكامل والأكمل "فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون " في كل حضرة فانه كلما أثبتناه من أعيان أكوان في نار وجنان فليس ألا الحق أذ هي مظاهره فالنعيم به لا يصح أصلاً في غير مظهر فانه فناء ليس فبه لذة فإذا تجلى في المظاهر وقعت اللذات والآلام وسرت في العالم ويرحم الله من قال

فهل سمعتم بصب سليم طرف سقيم

منعم بعذاب معذب بنعيم

فيه النعيم وبه العذاب فلا يوجد النعيم أبداً ألا في مركب وكذلك العذاب وأما النعيم والعذاب البسيط فلا حكم له في الوجود فانه معقول غير موجود فأهل المظاهر هم أهل النعيم والعذاب وأهل أحدية الذات لا نعيم عندهم ولا عذاب قال أبو يزيد ضحكت زماناً وبكيت زماناً وانا اليوم لا أضحك ولا أبكي وقيل له كيف أصبحت قال لا صباح لي ولا مساء انما المساء والصباح لمن تقيد بالصفة ولا صفة لي

السؤال التاسع والأربعون والموفى خمسين كم الرسل سوى محمد صلى الله عليه وسلم منها وكم لمحمد صلى الله عليه وسلم منها الجواب كلها إلا اثنين وهم فيها على قدر ما نزل في كتبهم وصحفهم إلا محمد صلى الله عليه وسلم فانه جمعها كلها بل جمعت له العناية أزلية قال تعالى "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" فيما لهم به من هذه الأخلاق فاعلم ان الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم أصنافاً وجعل في كل صنف خيار أو اختار من الخيار خواص وهم المؤمنون واختار من المؤمنين خواص وهم من الأولياء واختار من هؤلاء الخواص خلاصة وهم الانبياء الشرائع المقصورة عليهم واختار من النقاوة شرذمة قليلة هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل أجمعهم واصطفى واحداً من خلقه هو منهم وليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله عمداً أقام عليه قبة الوجود جعله أعلى المظاهر وأسناها صح له المقام تعيينا وتعريفا فعلمه قبل وجود طينه البشر وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يكاثر ولا يقاوم هو السيد ومن سواه سوقة قال عن نفسه انا سيد الناس ولا فخر بالراء والزي روايتان أي أقولها غير متبجح بباطل أي أقولها ولا أقصد الأفتخار على من بقي من العالم فاني وان كنت أعلى المظاهر الانسانية فانا أشد الخلق تحققاً بعيني فليس الرجل من تحقق بربه وانما الرجل من تحقق بعينه لما علم ان الله أوجده له تعالى لا لنفسه وما فاز بهذه الدرجة ذوقاً إلا محمد صلى الله عليه وسلم وكشفا إلا الرسل وراسخوا علماء هذه الأمة المحمودية ومن سواهم فلا قدم لهم في هذا الأمر وما سوى من ذكرنا ما علم ان الله أوجده له تعالى بل يقولون انما أوجد العالم للعالم فرفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وهو غني عن العالمين هذا مذهب جماعة من العلماء بالله وقالت طائفة من العارفين ان الله أوجد الانس له تعالى والجن وأوجد ما عدا هذين الصنفين للانسان وقد روى في ذلك حديث إلهي عن موسى صلى الله عليه وسلم ان الله انزل في التوراة "يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك" وقال تعالى "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون" وتقتضي المعرفة بالله ان الله خلق العالم وتعرف إليهم لكمال مرتبة الوجود ومرتبة العلم بالله لا لنفسه سبحانه وهذه الوجود كلها لها نسب صحيحة ولكن بعضها أحق من بعض وأعلاها ما ذهبنا إليه ثم يلي ذلك خلقه لكمال الوجود وكمال العلم بالله وما بقي فنازل عن هاتين المرتبتين وأعلم ان كل خلق ينسب إلى جناب الحضرة الإلهية فلا بد من مظهر يظهر فيه ذلك الخلق فأما ان يعود من المظهر التخلق به على جناب الحق أو يكون متعلقة مظهر آخر يقتضيه في عين ممكن ما من الممكنات لا يكون إلا هكذا وأما الحق من حيث هو لنفسه فلا خلق فمن عرف النسب فقد عرف الله ومن جهل النسب فقد جهل الله ومن عرف ان النسب تطلبها الممكنات فقد عرف العالم ومن عرف ارتفاع النسب فقد عرف ذات الحق من طريق السلب فلا يقبل النسب ولا تقبله وإذا لم يقبل النسب لم يقبل العالم وإذا قبل النسب كان عين العالم قال تعالى "واعبد ربك" نسبة خاصة "حتى يأتيك اليقين" فتعلم من عبده ومن

العابد والمعبود قال تعالى "ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم" وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه "اهدنا الصراط المستقيم" أعطى كل شئ خلقه صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور وانك لتهدي إلى صراط مستقيم وإليه يرجع الأمر كله فاعبده لا تعبد انت فان عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت وان عبدته من حيث لم تعرفه فنيبته إلى المرتبة الإلهية عبدت وان عبدته عينا من غير مظهر ولا ظاهر ولا ظهور بل هو هو لا انت وانت انت لا هو فهو قوله فاعبده فقد عبدته وتلك المعرفة التي ما فوقها معرفة فانها معرفة لا يشهد معروفها فسبحان من علا في نزوله ونزل في علوه ثم لم يكن واحد منهما و لم يكن إلا هما إلا الله إلا هو العزيز الحكيم

السؤال الحادي والخمسون أين خزائن المنن الجواب في الأختيار المتوهم المنسوب إليه وإليك فانت مجبور في اختيارك فأين الاختيار وهو ليس بمجبور وأمره واحد فأين الاختيار ولو شاء الله فما شاء وان يشأ يذهبكم وليس بمحل للحوادث بل الأعيان محل الحوادث وهو عين الحوادث عليها فانها محلل ظهوره "ما يأتيهم من ذكر من الرحمن من ربهم محدث" والذكر كلامه وهو الذي حدث عندهم وكلامه علمه وعلمه ذاته فهو الذي حدث عندهم فهو خزائن المنن والمنن ظهور ما حدث عندهم فيهم وهو لا أين له فلا أي نية لخزائن المنن ولما كانت المنن متعددة طلب عين كل نسبة منه خزانة فلهذا تعددة الخزائن بتعدد المنن وان كانت واحدة "بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان ان كنتم صادقين انكم مؤمنون" فهذه منتان منة الهدى ومنة الايمان وجميع نعمه الظاهرة والباطنة مننه وإذا كان هو عين المنة فانت الخزانة فالعالم خزائن المنن الإلهية ففينا اختزن مننه سبحانه فما هو لنا بأين ونحن له أين فمن لا أينية له هو نحن فأعياننا أين لظهوره فحقيقة المكان لا تقبل المكان ودع عنك من يقول المتمكن في المكان مكان لمكانه وفرض بين التمكن والمكان حركتين متضادتين تعطي حقيقة المكانية لكل واحد منهما وهذا من قائله توهم من اجل ما ذهب إليه والحقيقة هي ما قررناه من ان المكان لا يقبل المكان فلا أين للأين لمن هو أين له وهذا كله في المظاهر الطبيعية وأما في المعاني المجردة عن المواد فهي المظاهر القدسية للأسماء التي لا تقبل نسب التشبيه فالعلم بها ان لا علم كما روى عن الصديق انه قال في مثل ما ذكرناه العجز عن درك الأدراك ادراك فانقلب التتريه عن الأين لمن يقبل التشبيه فلا تشبيه في العالم ولا تتريه فان الشئ لا يتتره عن نفسه ولا يشبه بنفسه فقد تبينت الرتب وعلم ما معنى النسب والحمد لله وحده ان علم عبده

السؤال الثاني والخمسون أين خزائن سعي الأعمال الجواب ذوات العمال فان أراد تجسد هذا السعي فخزانته الخيال وان أراد أين يختزن ففي سدرة المنتهى فان أراد ما لها من الخزائن الإلهية فخزانة الاسم الحفيظ العليم واعلم ان خزائن هذا السعي خمس خزائن لا سادسة لها وعباد الله رجلان عامل ومعمول به فالمعمول به ليس هو مقصودنا في هذا الباب من هذا الفصل وانما مقصودنا سعي الأعمال من حيث نسبتها إلى العاملين والعاملون ثلاثة عامل هو حق وعامل بحق وعامل هو خلق وكل له سعى في العمل بحسب ما أضيف إليه فان الله قد نسب الهرولة إليه وهي ضرب من السعي سريع وقد قال ان الله لا يمل حتى تملوا ثبت هذا في الحديث الصحيح فأما سعي العمل الذي هو حق فالعمل يطلب الأجر بنفسه ليجود به على عامله والعامل هنا ما يعطي حقيقته قبول الأجر ولا بد من الأجر فيكون إذا الأجر الثناء لا غير فانه يقبل الثناء هذا العامل الذي هو حق ولا يقبل القصور ولا الحور ولا الولدان ولا التجليات فان كان العمل مما يتضمن الحسن والقبح أو لا حسن ولا قبح فلا يضاف العمل إلى هذا العامل من حيث ما هو محكوم عليه بحسن أو قبح أو لا حسن ولا قبح بل يضاف إليه معرى عن الحكم بنفي أو أثبات وصاحبه أكمل الناس نعيماً في الجنة ولذة وأرفعهم درجة وماله من الجنات من حيث هذا العمل سوى جنة عدن والعمل يطلب نصيبه في جميع الجنات وهو المراد بقوله

تعالى عنه "نتبوأ من الجنة حيث نشاء" إلى هنا قوله "فنعم أجر العاملين" ليس هم هؤلاء بل العاملون بحق أو خلق إلا ان يريد بقوله "نعم أجر العاملين" الثناء فهو لهم فان لفظة نعم وبئس للمدح والذم والعامل هنا له حق والثناء له حق ونعم كلمة محمدة ومدح فيكون بهذا التأويل تمام الآية له والتبوؤ في الجنات للعمل لا له فالمحل الذي ظهر فيه العمل وهو انت هو الذي يتبوؤ من الجنة بعناية عمله الظاهر فيه ما شاء إذا الصورة الطبيعية منه تطلب النعيم المحسوس والمتخيل فلهذا أبيحت الجنات له بحكم مشيئته بشفاعة العمل الحق فخزائن هذا السعي كلها انوار مباحها وواجبها ومحظورها ومكروهها في حكم الظاهر المقرر عند علماء الرسوم ممن ليس له كشف لهم وهو عند علماء الرسوم الذين لهم الكشف الأتم في معرفة الشرائع أعني هذا الذي ظهر فيه هذا العمل على هذه الصفة ما تصرف إلا فيما حسنه الشرع وقبله "ولكن أكثر الناس لا يعلمون" وأما سعى من كان عمله بحق فيقرب من هذا انه لما شاهد ذاته عاملة وهو من أهل إياك نعبد وإياك نستعين ومن أهل لا حول ولا قوة إلا بالله نقص عن ذلك الأول فكان صاحب كشف في عمله لأخذ الحق بناصيته في ما يتصرف فيه فامتلأت خزائنه الخمسة عندنا والستة عند أبي حنيفة نوراً خالصاً ونوراً غير خالص ونوراً مزيلاً لظلمة كانت قبله فكان ممتزج الأحوال فلولا عناية هذا الحضور والكشف في حال السعي لما تم له هذا السعد الذي حصل له من أزالة ظلمته فهذان الصنفان من أصحاب الأعمال في النور فلهم أجرهم ونورهم وأما من كان سعى عاملة خلق فترفع له خزائن الواجبات أعني الفرائض في العمل والترك والمندوبات في العمل والترك إلا من ترك المباح أو عمله لكونه مباحاً ففيها نور يليق بهذا النوع فكانه نور من وراء حجاب مثل ضوء الشمس من خلف السحاب الرقيق فان نظر إلى تضمن ذلك المباح ترك محظور أو مكروه و لم يخطر له ترك واجب أو مندوب فان نوره يكون أتم قليلاً وأضوأ من النور الأول المعرى عن هذا الخاطر فان خطر له ان ذلك المباح يتضمن ترك مندوب أو واجب من واجب يوجبه على نفسه كمن نذر صيام يوم لا بعينه وله ان شاء ان يصومه في هذا اليوم ولا بد ان صامه في هذا اليوم المباح له ترك الصوم فيه فقد أدى واجباً فان نوره في خزانته هذه بين النورين المتقدمين وترفع له خزائن المحظورات في العمل والترك والمكروهات فسدفة وخزائن المكروه كالأسفار والشفق وما ثم عامل في المؤمنين أو الموحدين إلا هؤلاء خاصة وأما من سوى المؤمن أو الموحد فلا كلام لنا معه في هذا الفصل من حيث قصد السائل وأما من حيث سعي الأعمال فان لكل عامل مدخلاً في هذا الفصل بحسب سعيه من معطل ومشرك وكافر وجاحد ومنافق وما ثم شقى سوى هؤلاء الخمسة وفي الكلام على مناهجهم تفصيل يطول وكل يجري في طلقه إلى أجل مسمى وما منهم إلا من يقول انا من الأشياء فلا بد لي من الرحمة فان

قائلها ليس من صفته التقييد إذ لو تقيد لخرج عنه ما لا يمكن ان يكون إلا به فمن المحال خروج شئ عنه فمن المحال تقييده فمنا من تفيض عليه الرحمة من خزائن الوجوب ومنا من تفيض عليه الرحمة من خزائن المنن التي ذكرناها فالكل طامع والمطموع فيه واسع ان ربك واسع المغفرة أترى هذه السعة الربانية تضيق عن شيء هي لم تضق عن الممكنات أذ كانت في الشر المحض فكيف تضيق عن الممكنات أذ هي في الشر المشوب هو أعلم بمن أتقى فيخصه بالرحمة الموجبة بالصفة الموجبة فسأكتبها للذين يتقون ممن لم يتق فيخصه برحمته المطلقة وهي رحمة الأمتنان ولا تتقيد بحصر فهذا جواب خزائن سعي الأعمال على الأيجار والبيان السؤال الثالث والخمسون من أين تعطي الانبياء الجواب الانبياء على نوعين انبياء تشريع وانبياء لا تشريع لهم وانبياء التشريع على قسمين انبياء تشريع في خاصتهم كقوله " ألا ما حرم أسرائيل على نفسه " وانبياء تشريع في غيرهم وهم الرسل عليهم السلام أما الانبياء الذين هم الرسل فمن حضرة الملك الذي هو ملك الملك وأما الانبياء غير المرسلين فمن حضرة الأختصاص وأما الانبياء الذين لا يوحي

إليهم الروح المخصوص بذينك الصنفين فمن حضرة الكرم والكل من عين المنة والرحمة وهو الجامع فأما الدائرة العظمى العامة التي هي النبوة المطلقة فمن أعطيها من حيث أطلاقها فلا يعرف أحد ما لديه وما أتحفه به ربه وهو أيضاً لا يعرف قدر ذلك لانه لا يقابله ضد فيها فيتميز عنه وأما من أعطي منها من باب الرحمة به وتولى الحق بضرب من العطف عليه تعليمه فتعرف إليه بعوارفه ثم عرفه من غيبه ما شاء ان يعرفه كخضر الذي قال فيه " آتيناه رحمة من عندنا " أي رحمناه فأعطيناه هذا العلم الذي ظهر به وان أراد تعالى انه أعطاء رحمة من عنده جعلها فيه ليرحم بها نفسه وعباده فيكون في حق الغلام رحمة ان حال بينه وبين ما كان يكتسبه لو عاش من الأثام أذ قد كان طبع كافراً وأما رحمته بالملك الغاصب حتى لا يتحمل وزر غصبه تلك السفينة من هؤلاء المساكين فالرحمة انما تنظر من جانب الرحيم بها لا من جانب صاحب الغرض فانه جاهل بما ينفعه كالطبيب يقطع رجل صاحب الأكلة رحمة به لبقاء نفسه فالرحمة عامة من الرحيم الراحم و لم أر أحداً أعطي النبوة المطلقة التي لا تشريع لها ألا ان كان وما عرفته فهذا لا يبعد فاني رأيت من أولياء الله تعالى مالا أحصيهم عدداً انفعنا الله بهم وأما من أعطي النبوة المقيدة بالشرع الخاص به فما على الأرض منهم اليوم أحد ولا يراهم أحد ولا ياهم أحد ألا في الموافقة وهي المبشرات وأما النبوة المقيدة بالشرائع ففي الزمان منهم اليوم الياس وان الياس لمن المرسلين وادريس وعيسى وأختلف في الخضر بين النبوة والولاية فقيل هو نبي وقيل ولي السؤال الرابع والخمسون أين خزائن المحدثين من الأولياء الجواب في حضرة الحق من الحضرات الألهية وفي المظاهر الألهية مما وقعت عليه العين أو بعض الحواس من صامت معتاد وناطق

تحدثني في ناطق ثم صامت وغمز عيون ثم كسر حواجب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الفصل إذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد فان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهذا من حديث الله مع خلقه وقال تعالى "فأجره" حتى يسمع كلام الله فكلم الله الأعرابي بلسان رسوله صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي تلا عليه القران والقران كلام الله قال تعالى" مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث " لانه حدث عندهم وان كان قديماً في نفس الأمر من حيث انه كلام الله وقال صلى الله عليه وسلم في عمرانه من المحدثين ان يكن في هذه الأمة منهم أحد وأريد حديثه تعالى مع أوليائه لا مع الانبياء والرسل فان الأذواق تختلف بأختلاف المراتب فنحن لا نتكلم ألا فيما لو أدعيناه لم ينكر علينا لان باب الولاية مفتوح ولهذا سأل عن خزائن المحدثين من الأولياء فأكمل المحدثين من عن الله ما حدثه به في كل شيء وهم أهل السماع المطلق من الحق فان أجابوه به فهو حديث وان أجابوه بهم فهي محادثة وان يمعوا حديثه به فليس بحديث في حقهم وانما هو خطاب أو كلام وأهل الحقائق يمنعون المحادثة ولا يمنعون المناجاة فان الحق لا يحدث عنده شيء فهو سبحانه يحدث من شاء من عباده ولا يحدثه منهم أحد لكن يناجونه ويسامرونه كالمتهجدين هم أهل المسامرة فالعالم خزائن المحدثين من الأولياء إذا سمعوا بهم فالمحدثون انزل الدرجات في مقامات الأولياء وهم عند العامة في الرتبة العليا لان علومهم ليست عن ذوق وانما هي علوم نقل أو علوم فكر لا غير فأما حديث الله في الصوامت فهو الفاهم منه قال القوم في مثل هذا قالت الأرض للوتد لم تشقني قال الوتد لها سلي من يدقني فهذا عندهم حديث حال وعليه خرجوا قوله تعالى " وان من شيء ألايسبح بحمده " وقوله " انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملها " اباية حال وأما عند أهل الكشف

فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان يسمعه المقيد بأذنه في عالم الحس لا في الخيال كما يسمع نطق المتكلم من الناس والصوت من أصحاب الأصوات فما عندنا في الوجود صامت أصلاً بل الكل ناطق بالثناء على الله كما انه ليس عندنا في الوجود ناطق أصلاً من حيث عينه بل كل شيء فالكلام في المظاهر هو الأصل والصمت فيها عرض يعرض في حق المحجوب والصمت في الأعيان هو الأصل والكلام المسموع منها عرض يعرض في حق المحجوب فلا صحاب الحرف والصوت عذر عند هؤلاء ولمنكر الصوت والحرف عذر أيضاً عندهم انتهى الجزء الرابع والثمانون

الجزء الخامس والثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الخامس والخمسون ما الحديث الجواب ما يتلقاه السامع إذا سمعه به لا بربه فذلك هو الحديث لا غير فان سمعه بربه فليس ذلك بحديث ومعنى قوله سمعه بربه قول الله تعالى "كنت سمعه الذي يسمع به" فاعلم ان وصفه بانه سميع هو عينه لا أمر زائد وأعلم ان تحقيق هذا انه لكل أسم ألهي نسبة كلام والانسان محل لأختلاف الأحوال عليه عقلاً وحساً وذلك ان الألوهية تعطي ذلك لذاتها فانها بالنسبة إلى العالم بهذه الصفة قال تعالى " يسئله من في السموات والأرض كل يوم هو في شان فكل حال في الكون فهو عين شان ألهي وقد تقرر في العلم الألهي انه تعالى لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين ولا في صورة واحدة لشخص مرتين وكل تجل له كلام فذلك الكلام لهذا الحال من هذا التجلي هو المعبر عنه بالحديث فالحديث لا يزال أبداً غير انه من الناس من يفهم انه حديث ومن الناس من لا يعرف ذلك بل يقول ظهر لي كذا وكذا ولا يعرف ان ذلك من حديث الحق معه في نفسه لانه حرم عين الفهم عن الله فيما يحسب انه خاطر والذين قسموا الخواطر إلى أربعة فذلك التقسيم لا يقع في الحديث فان الحديث حديث في كل قسم وانما الأقسام وقعت في الذوات التي فهم منها ما أريد بالحديث فيقال خاطر شيطاني وهو حديث رباني وقول ألهي لما أراده الحق قال له كن فكان فناجاه الاسم البعيد كما يتلقاه من الحديث الألهي في الخاطر الملكي الاسم القريب كما يتلقاه من الحديث الألهي في الخاطر النفسي الاسم المريد كما يتلقاه من الحديث الألهي في الخاطر الملكي الاسم القريب كما يتلقاه من الحديث الألهي في الخاطر النفسي الاسم المريد كما يتلقاه من الحديث الألهي في الخاطر الرباني الاسم الحفيظ فهذه الخواطر كلها من الحديث الألهي الذي لا يشعر به ألا رجال الله فالعالم كله على طبقاته لا يزالون في الحديث فمن رزق الفهم عنه تعالى وعرفه فذلك المحدث وهو من أهل الحديث وعلم ان كل ما سمعه حديث بلا شك وان اختلفت ألقابه كالسمر والمناجاة والمناغاة والأشارات فالكلام كله حادث قديم حادث في السمع قديم في المسمع فافهم

السؤال السادس والخمسون ما الوحي الجواب ما تقع به الأشارة القائمة مقام العبارة من غير عبارة فان العبارة تجوز منها إلى المعنى المقصود بها ولهذا سميت عبارة بخلاف الأشارة التي هي الوحي فانها ذات المشار إليه والوحي هو المفهوم الأول والإفهام الأول ولا أعجل من ان يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه فان لم تحصل لك هذه النكتة فلست صاحب وحي ألا ترى ان الوحي هو السرعة ولا سرعة أسرع مما ذكرناه فهذا الضرب من الكلام يسمى وحياً ولما كان بهذه المثابة وانه تجلي ذاتي لهذا ورد في الخبر ان الله إذا تكلم بالوحي كان سلسلة على صفوان صعقت الملائكة ولما تجلى الرب للجبل تدكدك الجبل وهوحجاب موسى فانه كان ناظر إليه طاعة لأمر الله فلاح له عند تدكدك الجبل الأمر الذي جعل الجبل دكا فخر موسى صعقا حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا مإذا قال القائل ربكم قالت الملائكة الحق قالت الحقيقة وهوالعلي الكبير هذه النسبة من حيث هويته فالوحي من ما يسرع أثره من كلام الحق تعالى في نفس السامع ولا يعرف هذا إلا العارفون بالشؤون الإلهية فانها عين الوحي الإلهي في العالم وهم لا يشعرون فافهم وقد يكون الوحي أسراع الروحي الإلهي الأمري بالايمان بما يقع به الإخبار والمفطور عليه كل شئ مما لا كسب له فيه من الوحي أيضاًكالمولود يتلقى ثدي أمه ذلك من أثر الوحي الإلهي إليه كما قال "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" "ولا تقولوا

لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون" وقال تعالى "وأوحى ربك إلى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون" فلولا ما فهمت من الله وحيه لما صدر منها ما صدر ولهذا لا يتصور المخالف إذا كان الكلام وحياً فان سلطانه أقوى من ان يقاوم "وأوحينا إلى أم موسى ان أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم" وكذا فعلت و لم تخالف مع ان الحالة توزن انها ألقته في الهلاك و لم تخالف ولا ترددت ولا حكمت عليها البشرية بان إلقاءه في اليم في تابوت من أخطر الأشياء فدل على ان الوحي أقوى سلطان في نفس الموحى إليه من طبعه الذي هو عين نفسه قال تعالى "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" وحبل الوريد من ذاته فيا أيها الولي إذا زعمت ان الله أوحى إليك فانظر في نفسك في التردد أو المخالفة فان وجدت لذلك أثرا بتدبير أو تفصيل أو تفكر فلست صاحب وحي فان حكم عليك وأعماك وأصمك وحال بين فكرك وتدبيرك وأمضى حكمه فيك فذلك هو الوحي وانت عند ذلك صاحب وحي وعلمت عند ذلك ان رفعتك وعلو منصبك ان تلحق بمن تقول انه دونك من حيوان ونبات وجماد فان كل ما سوى مجموع الانسان مفطور على العلم بالله إلا مجموع الانسان والجان فانه من حيث تفصيله مفطور على العلم بالله كسائر ما سواه من المخلوقات من ملك ونبات وحيوان وجماد فما من شئ فيه من شعر وجلد ولحم وعصب ودم وروح ونفس وظفر وناب إلا وهو عالم بالله تعالى بالفطرة بالوحي الذي تجلى له فيه وهو من حيث مجموعته وما لجمعيته من الحكم جاهل بالله حتى ينظر ويفكر ويرجع إلى نفسه فيعلم ان له صانعاً صنعه وخالقاً خلقه فلو أسمعه الله نطق جلده أو يده أو لسانه أو رجله لسمعه ناطقاً بمعرفته بربه مسبحاً لجلاله ومقدساً "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون" وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فالانسان من حيث تفصيله عالم بالله ومن حيث جملته جاهل بالله حتى يتعلم أي يعلم بما في تفصيله فهو العالم الجاهل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فالانسان من حيث تفصيله صاحب وحي ومن حيث جملته لا يكون في كل وقت صاحب وحي

السؤال السابع والخمسون ما الفرق بين النبيين والمحدثين الجواب التكليف فان النبوة لا بد فيها من علم التكليف ولا تكليف في حديث المحدثين جملة ورأساً هذا ان أراد انبياء الشرائع فان أراد أصحاب النبوة المطلقة فالمحدثون أصحاب جزء منها فالنبي الذي لا شرع له فيما يوحى إليه به هو رأس الأولياء وجامع المقامات مقامات ما تقضيه الاسماء الإلهية مما لا شرع فيه من شرائع انبياء التشريع الذي يأخذون بوساطة الروح الأمين من عين الملك والمحدث ما له سوى الحديث وما ينتجه من الأحوال والأعمال والمقامات فكل نبي محدث وما كل محدث نبي وهؤلاء هم الانبياء الأولياء وأما الانبياء الذين لهم الشرائع فلا بد من تنزل الأرواح على قلوبهم بالأمر والنهي ما عدا ما يتزلون به من الأمر والنهي مثل العلوم الألهية والأخبارات عن الكوائن والأمور الغائبة فذلك خارج عن النبوة الشرائع وهو من أحوال الانبياء على العموم ويناله المحدث فان ظهر من أحداث النبوة المطلقة حكم من الأحكام الظاهر من انبياء الشرائع من قتل أو أخذ مال أو فعل من الأفعال يناقض حكم شرع الزمان المقرر فاعلم ان هذا النبي الذي ماله شرع ليس ذلك من شرع نزل إليه وخوطب به بل لا يزال تابعاً لرسول قد شرع له ما شرع وانما اتفق انه أخبر باتباع شرع رسول قد شرع له مما لم يشرع لرسول آخر وحكمه في حق هذا الرسول يعارض حكم الرسول الآخر فإذا اجتمع هذا الشخص الذي هو بهذه المثابة مع رسول من الرسل كالخضر مع موسى عليه السلام فحكم في قتل الغلام بما حكم وانكر عليه موسى قتل نفسه زكية في ظاهر الشرع بغير نفس مما لم يكن ذلك حكمه في شرعه فقال له "لقد جأت شيأً نكرا" أي ينكره شرعي وقال له الخضر ما فعلته عن أمري يعني في كل ما جزى منه فكان الخضر في حكمه على شرع رسول غير موسى فحكم بما حكم به مما يقتضيه شرع

الرسول الذي اتبعه ومن شرع ذلك الرسول حكم الشخص بعلمه فحكم بعلمه في الغلام انه كافر فلم يكن حكم الخضر فيه من حيث انه صاحب شرع متزل وانما حكم فيه مثل حكم القاضي عندنا بشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا الحد تصدر الأحكام من انبياء الأولياء فان قيل هذا يجوز في زمان وجود الرسل واليوم فما ثم شرع إلا واحد فهل يتصور ان تحكم انبياء الأولياء بما يخالف شرع محمد صلى الله عليه وسلم قلنا لا نعم فأما قولنا لا يجوز ان يحكم برأيه وأما قولنا نعم فانه يجوز للشافعي ان يحكم بما يخالف به حكم الحنفي وكلاهما شرع محمد صلى الله عليه وسلم فانه قرر الحكمين فخالفت شرعه بشرعه فإذا اتفق ان تخبر انبياء الأولياء فيما يعلمهم الحق من أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يشهدون الرسول صلى الله عليه وسلم فيخبرهم بالحكم في أمر يرى خلافه أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة لحديث رووه صح عندهم من طريق النقل فوقفت عليه انبياء الأولياء وعلمت من طريقها الذي ذكرناه ان شرع محمد يخالف هذا الحكم وان ذلك الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح وجب عليهم امضاء الحكم بخلافه ضرورة كما يجب على صاحب النظر إذا لم يقم له دليل على صحة ذلك الحديث وقام لغيره دليل على صحته وكلاهما قد وفى الأجتهاد حقه فيحرم على كل واحد من المجتهدين ان يخالف ما ثبت عنده وكل ذلك شرع واحد فمثل هذا يظهر من انبياء الأولياء بتعريف الله انه شرع هذا الرسول فيتخيل الأجنبي فيه انه يدعى النبوة وانه ينسخ بذلك شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفره وقد رأينا هذا كثيراً في زماننا وذقناه من علماء وقتنا فنحن نعذرهم لانه ما قام عندهم دليل صدق هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظنون وهؤلاء علماء بالأحكام غير ظانين بحمد الله فلو وفوا النظر حقه لسلموا له حاله كما يسلم الشافعي للمالكي حكمه ولا ينقضه إذا حكم به الحاكم غير انهم رضى الله عنهم لو فتحوا هذا الباب على نفوسهم لدخل الخلل في الدين من الدعى صاحب الغرض فسدوه وقالوا ان الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالأجر التام عند الله ولكن إذا لم يقطعوا بان ذلك مخطئ في مخالفتهم فان قطعوا لا عذر لهم فان أقل الأحوال ان يترلوهم مترلة أهل الكتاب لا نصدقهم ولا نكذبهم فانه ما دل لهم دليل على صدقهم ولا كذبهم بل ينبغي ان يجروا عليهم الحكم الذي ثبت عندهم مع وجود التسليم

لهم فيما ادعوه فان صدقوا فلهم ولان كذبوا فعليهم فعلى هذا تجري الأحكام من انبياء الأولياء لا انهم أرباب شرائع بل اتباع ولا بد ولا سيما في هذا الزمان الذي ظهرت فيه دولة محمد صلى الله عليه وسلم والمحدثون ليست لهم هذه الرتبة بل رتبتهم الحديث لا غير فهم ناظرون في كل شئ آخذون من عين كل شئ من كون كل شئ مظهر حق غير انهم لا يتعدون حدود الله جملة فان صدر منهم ما هو في الظاهر تعد لحد من حدود الله فذلك الحد هو بالنسبة إليك حد وبالنسبة إليه مباح لا معصية فيه وانت لا تعلم وهو على بينة من ربه في ذلك فما أتى محرماً من هذه صفته فانه ممن قيل له أعمل إلا ما أبيح له عمله فانه أمر لا على جهة الوعيد مثل قوله أعملوا ما شئتم انه بما تعلمون بصير فهذا وعيد وانما قولنا فيمن قيل له أعمل ما شئت فقد غفرت لك فعمل على كشف وتحقق وهذا ثابت في شرعنا بلا شك فأهل الحديث أيضاً لهم في مثل هذا قدم ولكن ليس هم مخصوصين به بل يشاركهم فيه من ليس بمحدث من الأولياء وقد عرفت صفة المحدثين فيما قبل وصفة النبيين فقف عند ذلك والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

السؤال الثامن والخمسون أين مكانهم منهم الجواب مكان التابع من المتبوع وهو المشي على الأثر قال شيخنا محمد بن قائد رأيت في دخولي عليه أثر قدم أمامي فغرت فقيل لي هذه قدم نبيك فسكن مل بي فاعلم ان هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين عليهم السلام فأي ولي رأى قدماً أمامه فتلك قدم النبي الذي هو له وارث وأما قدم محمد صلى الله عليه وسلم فلا يطأ أثره أحد

صلى الله عليه وسلم كما لا يكون أحد على قلبه فالقدم التي رآها محمد بن قائد أو يراها كل من يراها فتلك قدم النبي الذي هو له وارث ولكن من حيث ما هو محمدي لا غير ولهذا قيل له قدم نبيك و لم يقل له هذه قدم محمد صلى الله عليه وسلم فان كان الشيخ فهم منه ما ذكرناه فهو من أهل الحديث والكمال وان كان فهم منه قدم محمد صلى الله عليه وسلم فذلك صدع أصاب عين فهمه ولهذا قال السائل أين مكانهم منهم و لم يقل منه والمكان هنا يعني به المكانة وحكي عن عبد القادر الجبلي انه قال حين قيل له ما قاله هذا الشيخ كنت في المخدع ومن عندي خرجت له النوالة يعني الخلعة التي أعطي لانه سئل عنه فقال ما رأيته في الحضرة فقيل ذلك لعبد القادر فلذلك قال كنت في المخدع وسمى النوالة وكان كما قال وانما قال في المخدع و لم يسم مكان صوته وعينه بهذا الاسم ليعلم بخداع الله محمد بن قائد حيث حكم بانه ما رأى عبد القادر في الحضرة في معرض النفاسة عليه فان حضرة محمد بن قائد في هذه الواقعة هي حضرته التي تختص به من حيث معرفته بربه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غير من الأكابر فستر عنه مقام عبد القادر خداعاً فهم ذلك عبد القادر فقال كنت في المخدع وقوله ان من عنده خرجت النوالة له يدل على ان عبد القادر كان شيخه في تلك الحضرة وعلى يديه أستفادها وجهل ذلك محمد بن قائد فان الرجال في ذلك كانوا تحت قهر عبد القادر فيما يحكي لنا من أحواله وأحوالهم وكان يقول هذا عن نفسه فيسلم له حاله فان شاهده يشهد له بصدق دعواه فانه كان صاحب حال مؤثرة ربانية مدة حياته لم يكن صاحب مقام وما انتقل إلى حال أبي السعود وان كان تلميذه ألا عند موته وهي الحال الكبرى وكانت هذه الحال مستصحبة لأبي السعود طول حياته فكان عبداً محضاً لم تشب عبوديته ربوبية فاعلم ذلك ثم لتعلم ان مكان كل واحد من نبيه الذي هو وارثه انما مكانه منه على الحال التي أثمر له طريقه فانه لا يرث أحد نبياً على الكمال أذ لو ورثه على الكمال لكان هو رسولاً مثله أو نبي شريعة تخصه يأخذ عمن يأخذ عنه وليس الأمر كذلك ألا ان الروح الذي يلقي على ذلك النبي تمتد منه رقيقة ملكية لقلب هذا الرجل الوارث في صورة حالة مشوبة في ظاهرها بصورة ذلك الملك وتسمى تلك الروحانية باسم ذلك الملك وتخاطب هذا الوارث في صورة حالة مشوبة في ظاهرها بصورة ذلك الملك وتسمى تلك الروحانية باسم ذلك الملك وتخاطب هذا الوارث يخاطبها هذا الوارث بقدر حاله وينطلق على تلك الرقيقة اسم ذلك الروح وربما بعض الورثة يتخيل انه عين الروح الذي كان يلقى على ذلك النبي وانه الروح عينه والصور مختلفة وليس الأمر كذلك والخطاب من حيث الصورة لا من حيث الروح وتتعين المرتبة بالصورة فمعرفة الانسان بنفسه ومرتبته لا تعرف إلا بالصورة ومن هنا يتخيل من لا تمكن له في المعارف الإلهية ذوقاً انه نبي أو قد نال درجة انبياء الشرائع ولهذا قال بعض السادة من رجال الله جعلك الله محدثاً صوفياً ولا جعلك صوفياً محدثاً فان الغالب ان تكون بحكم الأصل المتقدم إلا ان يعصم الله فمعرفة المكان الذي لنا من الانبياء واجب علينا العلم به لئلا نكون ممن لبس عليه في ذلك ولا سيما والله يقول "ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون" ولو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا ولو كان رجلا لظهر في صورة ملك للألتباس المطلوب الذي هو صورة عملهم ليعلم انه ما أتى عليهم إلا منهم فما جنوا إلا ثمره أعمالهم هذا هو الحق

السؤال التاسع والخمسون أين سائر الأولياء الجواب في النور خلف حجاب السبحات الوجهية من الانوار والظلم في نور ممتزج بينهما كنور الأسحار وهو السدفة وأما المؤمنون فانهم في النور العام المبطون في ظلم الحجب ومنه تخلص الأولياء إلى هذا النور الممتزج والأكابر أحرقتهم انوار السبحات وخواص الأكابر أحرقهم نور البصر فالأولياء لا يتجاوز عملهم الصفات الذاتية من حيث ما هي منسوبة إلى الحق الموصوف بها لا من حيث ما دلت عليها دلائل الأثار فهم يعرفون العالم من الله ويعرفون الله بالله ومن

دونهم يعرفون الله من العالم وأما العالم فلا يعرفه من نفسه إلا أكابر الرجال الذين لا يعرفون الأشياء أو المعلومات إلا من نفوسها وأعيانها فلا يتخذون دليلا على الشئ أو المعلوم سوى نفس ذلك المعلوم وذلك الأرتفاع المناسبات ولسريان الأحدية في كل معلوم فكما انه لا مناسبة بين الله وبين خلقه كذلك لا مناسبة بين أعيان العالم والمظاهر فلا يعرفون شيأ بشئ ولا معلوم بمعلوم غيره وسائر الأولياء ما لهم هذه المرتبة وكيف يعرف الشئ بغيره ولا يجتمع الدليل والمدلول فان أحدهما إذا انتقى بوجود الآخر جهلت المناسبة المتخيلة فذلك المدلول انما عرفته حين ظهر لك بنفسه وأما حين نظرك في الدليل على زعمك فلا علم لك ألا بذات الدليل لان ذاته عرفتك بذاته لا بما جعلته دليلاً عليه فان المدلول في حين علمك بالدليل لست بعالم به فهذا الذي جعل أكابر الرجال لا يتخذون أمر الأمر وانما يتخذون كل أمر لنفسه وعينه فيعلمون هؤلاء الله بالله والعالم بالعالم والاسماء بالاسماء فلا فكر لهم في أستنباط شيء كما لسائر الأولياء فلهم الشهود الدائم فأبنية سائر الأولياء في الأدلة فلا يشهدون مدلولاً أبداً وعلى هذا جرت أحكامهم وأما أبنيتهم في القيامة فهم الذين لا يخافون ولا يحزنهم الفزع الأكبر لانهم مالهم تبع وهم في انفسهم آمنون فتغبطهم الانبياء في ذلك الموطن خاصة وأما أبنيتهم في الكثيب يوم الزور الأعظم فلهم الكراسي عليها يقعدون والمنابر والأسرة والمراتب لغيرهم ولكن من حيث هم رسل وانبياء ومؤمنون وأما الأكابر في العلم بالله فان لهم قوة على التحول في رقايق لتحول التجلي في الصور فيبعثون لكل تجل في صورة رقيقة صورية من ذواتهم تشاهد مايشاهده أهل الجمع وهم في تلك الحال في قصورهم ينعمون في صور أجسامهم الطبيعية ومع الله من حيث كونه أحدى الذات بحقايقهم وفي الثيب عند الرؤية برقايقهم المعنوية التي أوجدوها لصور التجلي ومن سواهم فحالهم إذا كانوا في الجنان لا يكونون في الكثيب وإذا كانوا في الكثيب لا يكونون في الجنان فتفقدهم جواريهم وولدانهم وأكابر القوم لا يفقدهم شيء من ملكهم فهؤلاء بأيديهم ملكوت ملكهم

السؤال الستون ما خوض الوقوف الجواب دخول بعضهم في بعض طلباً للتخلص مما هم فيه من شدة ذلك اليوم وكربه فمنهم الخائض في طلب من يشفع له ومنهم الخائص في طلب من يتكرم عليه لينقذه من هول ذلك اليوم ومنهم الخائض في طلب من يشهد له ومنهم الخائض في طلب الخصم لطلب القصاص ومنهم الخائض ليختفي ويستتر من خصمائه ومنهم الخائض ليستتر حياء من معارفه وعلى هذا كان يعمل شيخنا أبو عمران موسى بن عمران الميرتلي قلت له يوماً لم تقلل من معارفك فقال ربما لا أكون هناك بذاك فأستحي من معارفي فإذا لم أر من أعرف هان على بعض الحال ومنهم الخائض ليعرف بمنزلته لما هو فيه من المكانة عند ربه ليغيظ بهم الكفار وأمثال هذا هو خوض الوقوف إذا تأملت وأما الطائفة التي كانت تخوض في آيات الله وكانوا بها يستهزؤن فان الله يخوض بهم في غمرات أعمالهم كما كانوا في الدنيا في خوضهم يلعبون يكونون في الآخرة في خوضهم يحزنون " ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون فهذا خوضهم في الدنيا وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون الصورة بالصورة فهذا خوضهم في الوقوف قال تعالى يوصينا ويحذرنا ممن هذه صفته " وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم أذن مثلهم إذا أقمتم معهم "وهم بهذه المثابة وان لم تخض معهم قال تعالى " ألم تكن أرض الله واسعة فنهاجروا فيها يا عبادي ان أرضي واسعة فأياي فاعبدون " فهؤلاء في الوقوف يخاض بهم حيث يكرهون كما خاضوا هنا حيث يكره الحق منهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل السؤال الحادي والستون كيف صار أمره كلمح البصر الجواب الضمير في أمره يعود على الوقوف فاعلم ان الكيفيات لا تنقال ولكن تقال بضرب من التشبيه فان أمره واحدة أي كلمة واحدة مثل لمح البصر فان اللمحة الواحدة من البصر

نعم من أحكام المرئيات من حيث الرائي إلى الفلك الأطلس جميع ما يحوي عليه ما أدركه البصر في تلك اللمحة من الذوات والأعراض القائمة بها من الأكوان والألوان وفي العبادات كل مصل والخلق كله مصل من حيث دعى يناجي ربه في الان الواحد كذلك أمره في الوقوف مع كون ذلك بالمقدار الزماني خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهو يوم ذي المعارج ويوم الرب من يوم ذي المعارج مثل نصف خمس الخمس فالأيام وان أختلفت مقاديرها وعدها اليوم الشمسي فان أمر الله فيها مثل لمح البصر للأفهام والتوصيل وربما هو في القلة أقل من هذا المقدار بل مقداره الزمان الفرد المتوهم الذي هو يوم الشان فالشان بالنظر إلى الحق واحد منه وبالنظر إلى قوابل العالم كله شؤون لولا الوجود حصرها لقلنا انها لا نهاية لها فانظر الحكم الواحد من الحاكم كيف تعدد وعظم بحيث لا يمكن ان يحصره عدد من حيث العالم وانما يحصيه من أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عددا فكما صارت الخمسون ألف سنة كيوم واحد وفي يوم واحد كذلك صار أمره كلمح البصر وسبب ذلك ان الذي يصدر منه الأمر لا يتقيد فهو في كل مأمور بحيث أمر فينفذ الأمر بحكمه دفعة واحدة وهذا إذا لم يبعد في المحدثات وجوده بهذه السعة فما ظنك بالأمر الحق فان الهواء حكمه في كل شئ من العالم الطبيعي أسرع من لمح البصر وهو واحد كالانسان الواحد وكذلك الروح الأمري في العقول وفي الأجسام الطبيعية فمثل هذا لا يستبعده إلا من لا علم له بالأمور والحقائق ولا سيما وان أعاد الضمير في سؤاله من أمره على الضمير المذكور في سورة القمر وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر وهو الذي أراد والله أعلم مع انه يسوغ ان يعود على الوقوف وعلى الخوض فان الزمان الواحد يجمع الخائضين في خوضهم والله الهادي من شاء إلى الحق وإلى الطريق المستقيم

السؤال الثاني والستون أمر الساعة كلمح البصر أو هو أقرب الجواب سميت الساعة ساعة لانها تسعى إلينا بقطع هذه الأزمان لا بقطع المسافات وبقطع الانفاس فمن مات وصلت إليه ساعته وقامت قيامته إلى يوم الساعة الكبرى التي هي لساعات الانفاس كالسنة لمجموع الأيام التي تعنيها الفصول باختلاف أحكامها فأمر الساعة وشانها في العالم أقرب من لمح البصر فان عين وصولها عين حكمها وعين حكمها عين نفوذ الحكم في المحكوم عليهم وعين نفوذه عين تمامه وعين تمامه عين عمارة الدارين فريق في الجنة وفريق في السعير ولا يعرف هذا القرب إلا من يعرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي وما يجده العالم به من الأمور الواسعة في النفس الفرد والطرفة ثم يرى أثر ذلك في الحس بعين الخيال فيعرف هذا القرب وتضاعف السنين في الزمن القليل من زمان الحياة الدنيا ومن وقف على حكاية الجوهري رأى عجبا وهو من هذا الباب فان قلت وما حكاية الجوهري قلنا ذكر عن نفسه انه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن وكانت عليه جنابة فجاء إلى شط النيل ليغتسل فرأى وهو في الماء مثل ما يرى النائم كانه في بغداد وقد تزوج وأقام مع المرأة ستة سنين وأولادها أولاداً غاب عني عددهم ثم رد إلى نفسه وهو في الماء ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه وجاء إلى الفرن وأخذ الخبز وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره في واقعته فلما كان بعد أشهر جاءت تلك المرأة التي رأى انه تزوجها في الواقعة تسأل عن داره فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما انكرهم وقيل لها متى تزوج فقالت منذ ست سنين وهؤلاء أولاده مني فخرج في الحس ما وقع في الخيال وهذه من مسائل ذي النون المصري الستة التي تحيلها العقول فلله قوى في العالم خلقها مختلفة الأحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم البصر من حكم السمع من حكم الطعم وغير ذلك من القوى التي في عامة الناس فاختص الله أولاده بقوى لها مثل هذه الأحكام فلا ينكرها إلا جاهل بما ينبغي للجناب الإلهي من الأقتدار وفي معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه كفاية في هذا الباب مع بعد هذه المسافات التي قطعها في الزمان القليل السؤال الثالث والستون ما كلام الله تعالى لعامة أهل الوقوف الجواب يقول لهم ما جئتم به فيقع في أسماع السامعين ذلك مختلفاً باختلاف أحوالهم

فتختلف أحوالهم باسماعهم بل تختلف أسماعهم بحسب أحوالهم في المواقف ولا يحصل في سمع واحد منهم ما حصل في سمع آخر وهو السؤال عن النفس الذي قبض فيه ولا يكون هذا الكلام إلا لأهل الوقوف خاصة الذين هم في هول ذلك اليوم وأما المتصرفون فيه كالانبياء والرسل والدعاة إلى الله وكالمستريحين من أهل المنابر الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر كالمصونين في سرادقات الجلال خلف حجاب الانس فهؤلاء كلهم وأمثالهم ما هم من أهل الوقوف فأهل الوقوف هم الذين ينتظرون حكم الله فيهم فيجيبونه عند هذا الكلام بما فهم كل واحد منهم

السؤال الرابع والستون ما كلامه للموحدين الجواب يقول لهم فيمإذا وحدتموني وما الذي اقتضى لكم توحيدي فان كنتم وحدتموني في المظاهر فانتم القائلون بالحلول والقائلون بالحلول غير موحدين لانه أثبت أمرين حال ومحل وان كنتم وحدتموني في الإلهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتيةمن كونها عيناً واحدة مختلفة النسب فبمإذا وحدتموني فيهل بعقولكم أوبى وكيفما كان فما وحدتموني لان وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بي فان توحيدكم إياي بي هو توحيدي لا توحيدكم وبعقولكم كيف يحكم علي بأمر من خلفته ونصبته وبعد ان ادعيتم توحيدي بأي وجه كان أوفى أي وجه كان فما الذي اقتضى لكم توحيدي ان اقتضاه وجودكم فانتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عني فأين التوحيد وان كان اقتضاه أمري فأمري ما هوغيري فعلى يدي من وصلكم ان رأيتموه مني فمن الذي رآه منكم وان لم تروه منى فأين التوحيد يا أيها الموحدون كيف يصح لكم هذا المقام وانتم المظاهر لعيني وانا الظاهر والظاهر يناقض الهوية فأين التوحيد لا توحيد في المعلومات فان المعلومات انا وأعيانكم والمحلات والنسب فلا توحيد في المعلومات فان قلتم في الوجود فلا توحيد فان الوجود عين كل موجود واختلاف المظاهر يدل على اختلاف وجود الظاهر فنسبة عالم ما هى نسبة جاهل ولا نسبة متعلم فأين التوحيد وما ثم إلا المعلومات أو موجودات فان قلت لا معلوم ولا مجهول ولا موجود ولا معدوم وهو عين التوحيد قلنا بنفس ما عملت ان في تقسيم المعلومات من يقبل هذا الوصف فقد دخل تحت قسم المعلومات فأين التوحيد فيلأيها الموحدون استدركوا الغلط فما ثم إلا الله والكثرة في ثم وما هم سواه فأين التوحيد فان قلتم التوحيد المطلوب في عين الكثرة قلنا فذلك توحيد الجمع فأين التوحيد لا يضاف ولا يضاف إليه استعدوا أيها الموحدون للجواب عن هذا الكلام إذا وقع السؤال فان كان أهل الشرك لا يغفر لهم فبحقيقة ما نالو ذلك لانه لو غفر لهم ما قالوا بالشرك فشاهدوا الأمر على ما هو عليه فان قلت فمن أين جاءهم الشقاء وهم بهذه المثابة وان عدم المغفرة في حقهم ثناء عليهم قلنا لانهم عينوا الشريك فأشقاهم توحيد التعيين فلو لم يعينوا السعدوا ولكن هم أرجى من الموحدين لدرجة العلم جعلنا الله ممن وحده بتوحيد نفسه جل علاه

السؤال الخامس والستون ما كلامه للرسل الجواب ما قاله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول "مإذا أجبتم" فآووا إلى لا علم لنا فعلموا انهم لما وجهوا دعوا إلى الله تعالى أممهم ظاهراً وباطناً بدعوة واحدة فلو كلفوا الظواهر لم يكن قولهم لا علم لنا جواباً ومن هنا لم يصح جميع فروع أحكام الشريعة من المنافق لانه ما أجاب بباطنه لدعوته مثل ما أجاب بظاهره وصحت فروع أحكام الشريعة من العاصي المؤمن بباطنه فعلمنا ان المقصود للشرع الباطن ولكن بشرط مخصوص وهو ان يعم الايمان جميع فروع الأحكام وأصولها فان آمن ببعض وكفر ببعض فلا يعتبر مثل ذلك الايمان وهو كافر حقاً فيقول الله تعالى للرسل مإذا أجبتم إذا كان كلامه لهم في حق ما كلفهم من الدعوة إليه فان أراد السائل ما كلامه للرسل المقربين ممن اعتقدتم القربة هل اعتقدتم ان اقترابكم إلينا أو إلى سعادتكم أو إلى معرفة ذاتكم أو إلى معرفتي فان اعتقدتم اقترابكم إلينا فقد حددتموني وانا لا حد لي وهذا اللسان الذي أذكره في هذا الفصل انما

هو كلام الحق لمن دعا إلى الله على بصيرة كما قال "أدعوا إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعني"فهذا لسان من اتبعه في دعوته إلى الله نيابة عنه فكانه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى الله على بصيرة من حيث دعا الرسول لانهم ورثة وانما قلنا هذا لان كلامه للرسل لا يعرفه إلا الرسل ولا ذوق لنا فيه ولو عرفنا به لكنا رسلا مثلهم ولا حظ لنا في رسالتهم ولا في نبوتهم وكلامنا لا يكون إلا عن ذوق فالجواب عن هذا السؤال إذا أراد الرسل ترك الجواب فأردنا ان نفيد أصحابنا في ان نتكلم في كلامه تعالى للرسل الذين هم الورثة رسل رسل الله لما أدعوا إلى الله على بصيرة وشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله على بصيرة بينة وبين من اتبعه فاعلموا من أين نتكلم وفيمن نتكلم وعمن نبين ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول فيقول فقد حددتموني وانا لا حد لي فنقول هذا الذي تقول لسان العلم وانت خاطبتنا بلسان الايمان فآمنا فقلت من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا فما حددنا إلا بحدك فانت حددت نفسك بنا وحددتنا بك وإلا فمن أين لنا ان نحد ذواتنا فكيف ان نحدك وجعلت الايمان بما ذكرناه قربة إليك فهذا كلامك ولسان الايمان ونحن لا جراءة لنا على ان نقول ما قلته عن نفسك فيقول صدقتم هذا لسان الايمان فتقول طائفة منهم أقتربنا إلى سعادتنا فيقول سعادتكم قائمة بكم وما برحت معكم في حال طلبكم القربة إليها فان لم تعلموا ذلك فقد جهلتم وان علمتموه فما صدقتم إذا فلا قربة فان قالت طائفة انما أعتقدنا القربة إلى معرفة ذواتنا فيقول لهم الشيء لا يجهل نفسه لكنه لا يعرف انه يعرف نفسه لان معرفة الشهود تحجب عن معرفة المشهود فطلبكم القربة من معرفة ما هو معروف لا يصح فان قالت طائفة ولا بد ان تقول انما أعتقدنا القربة من معرفتك فيقول لهم كيف يعرف من ليس كمثله شيء فلو كان شيأً لجمعتهما الشيئية فيقع التماثل فيها إذا فلا شيئية له فليس هو شيأً ولا هو لا شيء فان شيء صفة المعدوم فيماثله المعدوم في انه لا شيء وهو لا يماثل فليس مثله شيء وليس مثله لا شيء ومن هو بهذه المثابة كيف يعرف فبطل أقترابكم إلى معرفتي فبطل ان يكونوا من المقربين فيقولون لا علم لنا ألا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم فيقول انتم رسل وحقيقة الرسول ان يكون بين مرسل ومرسل إليه وهو حامل إليهم رسالة ليعلموا بحكم ما تقتضيه تلك الرسالة فالرسول لما كانت مرتبته البينية كان أقرب من المرسل إليهم إلى الاسم الذي أرسله وكان المرسل إليهم أقرب إلى الاسم القابل لما جاء به الرسول من الرسول فالكل من المقربين فان لم يقبلوا الرسالة كان الرسول من المقربين وكان المرسل إليهم غير متصفين بالقربة فكانوا من المبعدين

السؤال السادس والستون إلى أين يأوون يوم القيامة من العرصة الجواب إلى ساق العرش ويوم القيامة له مواطن كثيرة فالرسل يأوون يوم القيامة من العرصة في كل موطن إلى الموضع الذي يكون فيه تجلي الحكم الألهي الذي يليق بذلك الموطن فموطن للسؤال وموطن للموازين وموطن لأخذ الكتب وموطن للصراط وموطن للحوض فمواطن القيامة تكون الرسل فيها بين يدي الحق سبحانه كالوزعة بين يدي الملك وأقربهم منزلة من هو أدنى من قاب قوسين وهو ألتقاء قطري الدائرة ثم يأوون في السؤال العام إلى لا علم لنا وفي السؤال الخاص بحسب ما يقتضيه ذلك السؤال من الجواب وللحق سؤال في كل عرصة من عرصات القيامة فيأوون إلى الاسم الذي يتضمن الجواب عن ذلك السؤال الخاص

السؤال السابع والستون كيف مراتب الانبياء والأولياء يوم الزيارة الجواب ان الناس إذا جمعهم الله يوم الزيارة في جنة عدن على كثيب المسك الأبيض نصب لهم منابر وأسرة وكراسي ومراتب فالانبياء على رتبتين انبياء شرائع وانبياء أتباع فانبياء الشرائع في الرتبة الثانية من الرسل والانبياء الأتباع في الرتبة الثالثة والرتبة الثالثة تنقسم قسمين قسم يسمى انبياء وقسم يسمى أولياء والرتبة للأولياء بالاسم العام فإذا كان يوم الزيارة فكل نبي أخذ معرفة ربه من ربه إيماناً لم يشبها بنظر فكري فانه يشاهد ربه بعين إيمانه

والولي التابع له في إيمانه بربه يراه بمرآة نبيه فان كان هذا الولي حصل معرفة ربه بنظره وأتخذ ذلك قربة من حيث إيمانه فله يوم الزيارة رؤيتان رؤية علم ورؤية إيمان وكذلك ان كان النبي له في معرفته بربه نظر فكري له رؤيتان رؤية علم ورؤية إيمان فان كان الولي من أولياء الفترات و لم يحصل له في معرفته بربه من المعارف الألهية التي جاءت بها الرسل وكانت معرفتهم بربهم أما عن نظر وأما عن تجل ألهي لقلبه أو كلاهما فمثل هؤلاء يكونون بما هم أهل نظر في مرتبة أهل النظر في الرؤية وان كانت معرفتهم عن كشف ألهي فان لهؤلاء صفا على حدة يتميزون به عن سائر الخلق والجامع لهذا الباب ان الرؤيه يوم الزيارة تابعة للأعتقادات في الدنيا فمن أعتقد في ربه ما أعطاه النظر وما أعطاه الكشف وما أعطاه تقليد رسوله فانه يرى ربه في معرفته بربه فلمثل هذا ثلاث تجليات بثلاثة أعين في الان الواحد وكذلك حكم صاحب النظر وحده أو صاحب الكشف وحده أو أصحاب التقليد وحده فتتميز مراتب الأولياء الأتباع في الزيارة بتقديم الانبياء عليهم والطبقتان اللتان ليستا بانبياء ولا أتباع فهم أولياء الله لا يحك عليهم مقام يتميزون عن الجميع بالنسب الصحيح إلى ربهم غير ان أصحاب النظر منهم في الرتبة دون أصحاب الكشف فبين الحق وبينهم في الرؤية حجاب فكرهم كلما أرادوا ان يرفعوا ذلك الحجاب لم يستطيعوا كأتباع الانبياء كما هموا برفع حجب الانبياء عنهم حتى يروه دون هذه الوساطة لم يستطيعوا ذلك فلا تكون الرؤية الخالصة من الشوائب إلا للانبياء الرسل أهل الشرائع ولا هل الكشف خاصة ومن حصل له هذا المقدم مع كونه تابعاً أو صاحب نظر جمع له على قدر ما عنده ولو كان على ألف طريق وأما الرجال الذين صوبوا اعتقادهم كل معتقد بما وصله إليه وعلمه وقرره فانه يوم الزيارة يرى ربه بعين كل اعتقاد فالناصح نفسه ينبغي له ان يبحث في دنياه على جميع المقالات في ذلك ويعلم من أين أثبت كل واحد ذو مقالة مقالته فإذا ثبت عنده من وجهها الخاص بها الذي به صحت عنده وقال بها في حق ذلك المعتقد و لم ينكرها ولا ردها فانه يجني ثمرتها يوم الزيارة كانت تلك العقيدة ما كانت وهذا هو العلم الإلهي الواسع والأصل في صحة ما ذكرناه ان كل ناظر في الله تحت حكم أسم من أسماء الله فذلك الاسم هو المتجلي له وهو المعطي له ذلك الاعتقاد بتجليهله من حيث لا يشعر والاسماء الإلهية كلها نسبتها إلى الحق صحيحة فرؤيته في كل اعتقاد مع الاختلاف صحيحة ليس فيها من خطأ شئ هذا يعطيه الكشف الا تم فلم يخرج عن الله نظر ناظر ولا يصح ان يخرج وانما الناس حجبوا عن الحق بالحق لوضوح الحق فهذه الطائفة التي هي بهذه المثابة من العلم بالله صف يوم الزيارة بمعزل إذا انصرفوا من الزيارة يتخيل كل صاحب اعتقاد انه منهم لانه يرى صورة اعتقاده فيها كصورته فهو محبوب لجميع الطوائف من يكون بهذه الصفة وكذلك كان في الدنيا وهذا القول الذي ذكرناه لا يعرفه إلا الفحول من أهل الكشف والوجود وأما أصحاب النظر العقلي فلا يشمون منه رائحة فجعل بالك لما ذكرناه وعمل عليه تعطى الإلهية حقها وتكون ممن انصف ربه في العلم به فان الله يتعالى ان يدخل تحت التقييد أو تضبطه صورة دون غيرها ومن هنا تعرف عموم السعادة لجميع خلق الله واتساع الرحمة التي وسعت كل شئ انتهى الجزء الخامس والثمانون

الجزء السادس والثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الثامن والستون ما حظوظ الانبياء من النظر إليه الجواب لا أدري فاني لست بنبي فذوق الانبياء لا يعلمه سواهم ان أراد الانبياء الذين خصهم الله بالتشريع العام والخاص بهم فان أراد انبياء الأولياء فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله فان حصل على الجميع فحظه ما للجميع فهو في النعيم العام فليتذ بلذة كل معتقد فما أعظمها من لذة وان حصل على البعض فلذاته بحسب ما حصل له وان انفرد بأمر واحد فحظه ما انفرد به من غير مزيد فافهم ما ذكرناه السؤال التاسع والستون ما حظوظ المحدثين من النظر إليهم الجواب الحجاب الأقرب فإذا شاهد ربه حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثل ما يحصل لهم من الكلام إلا ان المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق بان التجلي يتنوع عليهم في المشهد الواحد وسائر الخلق ليس لهم هذا المقام فانه مخصوص بالمحدثين السؤال السبعون ما حظوظ سائر الأولياء بالنظر إليه الجواب الأولياء على مراتب فتختلف حظوظهم باختلاف مراتبهم فولى حظه من النظر إليه لذة عقلية وولى حظه من ذلك لذة نفسية وولى حظه من ذلك لذة حسية وولى حظه من ذلك لذة خيالية وولى حظه من ذلك لذة مكيفة وولى حظه من ذلك لذة غير مكيفة وولى حظه من ذلك لذة ينقال تكييفها وولى حظه من ذلك لذة لا ينقال تكييفها فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا كما قال تعالى "هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون" السؤال الحادي والسبعون ما حظوظ العامة من النظر إليه الجواب حظوظ العامة من النظر إليه على قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء على طبقاتهم فمنهم من ألقى إليه عالمه ما عنده ومنهم من ألقى إليه عالمه على قدر ما علم من عقله وقبوله فان الفطر مختلفة متفاضلة بحسب ما ألقى الله عندها فانها أقسام أصلها المزاج الذي ركبه الله عليه وهو السبب في اختلاف نظر العلماء بأفكارهم في المعقولات فيكون حظهم في لذة النظر حظهم فيما تخيل لهم فالعامة حظوظهم خيالية لا يقدرون على التجريد عن المواد في كل ما يتلذون به من المعاني في الدنيا والبرزخ والآخرة بل قليل من العلماء من يتصور التجريد الكلي عن المواد ولهذا أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة وتأتي فيها تلويحات للخاصة مثل قوله تعالى "ليس كمثله شئ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون" السؤال الثاني والسبعون ان الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه فيذهل أهل الجنان عن نعيمهم اشتغالاً بالنظر إليه الجواب ذلك للباس الرائي صورة ما رأى وسبب ذلك ان المقام عظيم في قلب كل طائفة وانه أعظم مما هو فيه من نعيم الأكوان في الجنان فإذا دعوا إلى الزيارة وبقي الأزواج الجنانيون من الحور والولدان وأشجار الجنان وانهارها وجميع ما فيها مما يتنعم به من الطيور والمراكب وغير ذلك والكل حيوان فانها دار الحيوان فإذى دعى صاحب المترل ذكراً كان أم انثى من الثقلين بقي أهل ذلك المترل مترقبين ما يأتون به إليهم من الخلع الإلهية التي أورثهم النظر إليه وبأي صورة يرجعون إليهم من ذلك المقام الأعظم إذ كان ذلك مشاهدة الملك فإذا وردوا عليهم من الزيارة إذا قال الجليل لملائكته ردوهم إلى قصورهم وقد غشيهم من نور الرؤية ما غشاهم مما لا مناسبة بين ذلك وبين الجمال والبهاء الذي كانوا فيه قبل الزيارة مع تعظيم المقام الذي مشوا إليه في قلوب أهل المترل ثم انهم إذا رجعوا إليهم بصفة ما يشاهدونه في الرؤية أشرق الجنان بانوارهم على مقدارهم بصورة ما رأوه فيجدون من الزيارة ما لم يكن عندهم ولا كانوا عليه فهذا هو السبب في ذهولهم وحظ كل شخص من ربه على مقدار علمه وعقده في درجات العقائد

واختلافاتها وكثرتها وقلتها كما قد تقرر قبل في هذه الفصول فاعلم ذلك والله الهادي وفي سوق الجنة علم ما أشرنا إليه

السؤال الثالث والسبعون ما المقام المحمود الجواب هو الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها وإليه تنظر جميع الاسماء الإلهية المختصة بالمقامات وهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة وبهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض قال صلى الله عليه وسلم "انا سيد الناس يوم القيامة" وكان قد أقيم فيه آدم صلى الله عليه وسلم لما سجدت له الملائكة فان ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا صلى الله عليه وسلم في الآخرة وهو كمال الحضرة الإلهية وانما ظهر به أولاً أبو البشر لكونه كان يتضمن جسده بشرية محمد صلى الله عليه وسلم وهو الأب الأعظم في الجسمية والمقرب عند الله وأول هذه النشأة الترابية الانسانية فظهرت فيه المقامات كلها حتى المخالفة إذ كان جامعاً للقبضتين قبضة الوفاق وقبضة الخلاف فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة فكانت فخالفته نهى الله من تحريك تلك النسمة التي كان يحملها في ظهره فان المقام يقتضي له ذلك وسألت شيخنا أبا العباس عن ذلك فقال ما عصى من آدم عليه السلام إلا ما كان من أولاده المخالفين في ظهره وكانت العاقبة لمحمد صلى الله عليه وسلم في الدار الآخرة فظهر في المقام المحمود ومنه يفتح باب الشفاعات فأول شفاعة يشفعها عند الله تعالى في حق من له أهلية الشفاعة من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن وحيوان ونبات وجماد فيشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه لهؤلاء ان يشفعوا فكان محموداً بكل لسان وبكل كلام فله أول الشفاعة ووسطها وآخرها يقول الله "شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين" فيقتضي سياق الكلام ان يكون أرحم الراحمين يشفع أيضاً فلا بد من يشفع عنده وما ثم إلا الله فاعلم ان الله يشفع من حيث أسماءه فيشفع أسمه أرحم الراحمين عند اسمه القهار والشديد العقاب ليرفع عقوبته عن هؤلاء الطوائف فيخرج من النار و لم يعمل خير قط وقد نبه الله تعالى على هذا المقام فقال تعالى "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا"فالمتقى انما هو جليس الاسم الإلهي الذي يقع منه الخوف في قلوب العباد فسمى جليسه متقيا منه فيحشره الله من هذا الاسم إلى الاسم الإلهي الذي يعطيه الأمان مما كان خائف منه وهو الرحمن فقال "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا"أي يأمنون مما كانوا يخافون منه ولهذا يقول في الشفاعة وبقي أرحم الراحمين فبهذه النسبة تنسب الشفاعة إلى الحق من الحق من حيث آثار أسمائه وهذا هو مأخذ العارفين من الأولياء فلا يجمع المحامد يوم القيامة كلها إلا محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الذي عبر عنه بالمقام المحمود قال صلى الله عليه وسلم في هذا المقام فأحمده بمحامد لا أعلمها الان وهذا يدلك ان علوم الانبياء والأولياء أذواق لا عن فكر ونظر فان الموطن يقتضي هنالك بآثاره أسماء إلهية يحمد الله بها ما يقتضيه موطن الدنيا فلهذا قال لا أعلمها الان وهذا المقام هو الوسيلة لان منه يتوصل إلى الله فيما توجه فيه من فتح باب الشفاعة وهو شفاعته في الجميع ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول في الوسيلة انها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون إلا لرجل واحد وأرجو ان أكون انا فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشافة فجعل الشفاعة ثواب السائل ولهذا سمى المقام المحمود الوسيلة وكان ثوابهم في هذا السؤال ان يشفعوا وهذا هو منصب لإلهي جامع من عين ملك الملك قال تعالى "ألا إلى الله تصير الأمور" وقال "وإليه ترجع الأمر كله" فكان المرجع إليه فكذلك ترجع المقامات كلها والاسماء إلى هذا المقام المحمود قال صلى الله عليه وسلم "أوتيت جوامع الكلم"

السؤال الرابع والسبعون بأي شئ ناله الجواب قال صلى الله عليه وسلم "لكل نبي دعوة مستجابة فاستعجل كل نبي دعوته واني احتبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي" لعلمه بموطن الآخرة أكثر من علم غيره من الانبياء فاعلم انه لما كان المقام المحمود إليه ترجع المقامات كلها وهو الجامع لها لم يصح ان يكون صاحبه إلا من أوتي جوامع الكلم لان المحامد من صفة الكلام ولما كان بعثه

عاما كانت شريعته جامعة جميع الشرائع فشريعته تتضمن جميع الأعمال كلها التي تصح ان تشرع واعلم ان جنات الأعمال ما بين الثمانين إلى السبعين لا تزيد ولا تنقص والايمان بضع وسبعون بابا أدنى ذلك أماطه الأذى عن الطريق وأرفعه قول لا إله إلا الله قال تعالى في حقالعاملين "نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين" فلم يحجر بهذا لمن عمل بكل عمل فان الانسان في الدنيا أي عمل عمله من الأعمال أعمال الايمان لا يحجر عليه إذا شاء عمله فلما ظهر صلى الله عليه وسلم بجميع شعب الايمان كلها التي هي بعدد الجنات العملية أما بالفعل وأما بالدلالة عليها فانه الذي سنها لأمته فله أجر من عمل بها ولا يخلو واحد من الأمة ان يعمل بواحدة منها فهي في ميزانه صلى الله عليه وسلم من حيث العمل بها فيتبوأ من الجنة حيث يشاء وهذا لا يصلح إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه عنه ظهرت السنن الإلهية فبهذا نال المقام المحمود وبجوامع الكلم وبالبعثة العامة فانه بالعناية الآخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا وباتصافه بهذه الأحوال في الدنيا نال تلك المقامات الأخروية فهو دور بديع مختلف الوجوه حتى يصح الوجود عنه

السؤال الخامس والسبعون كم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وحظوظ الانبياء عليهم السلام الجواب إما بينه وبين الجميع فحظ واحد وهو عين الجمعة لما تفرق فيهم وأما بينه وبين كل واحد منهم فثمانية وسبعون حظا ومقاما إلا آدم فانه وما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما إلا بين الظاهر والباطن فكان في الدنيا محمد صلى الله عليه وسلم باطن آدم عليه السلام وآدم عليه السلام ظاهر محمد صلى الله عليه وسلم وبهما كان الظاهر والباطن وهو في الآخرة آدم عليه السلام باطن محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد صلى الله عليه وسلم ظاهر آدم وبهما يكون الظاهر والباطن في الآخرة فهذا بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وبين حظوظ الانبياء عليهم السلام وأكثر أصحابنا يمنعون معرفة التوقيت في ذلك وهو غلط منهم وفي هذا الفصل تفصيل عظيم تبلغ فصول التفصيل فيه إلى مائة ألف تفصيل وأربعة وعشرين ألف تفصيل بعدد الانبياء عليهم السلام لانه يحتاج إلى تعيين كل نبي ومعرفة ما بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وبين ذلك النبي والحظوظ محصورة من حيث الأعمال في تسعة وسبعين وقد يكون للنبي من ذلك أمر واحد ولآخر أمران ولآخر عشر العدد وتسعه وثمنه وأقل من ذلك وأكثر والمجموع لا يكون ألا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا لم يبعث بعثاً عاماً سوى محمد صلى الله عليه وسلم وما سواه فبعثه خاص لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة

السؤال السادس والسبعون مالواء الحمد الجواب لواء الحمد هو حمد الحمد وهو أتم المحامد وأسناها وأعلاها مرتبة لما كان اللواء يجتمع إليه الناس لانه علامة على مرتبة الملك ووجود الملك كذلك حمد المحامد تجتمع إليه المحامد كلها فانه الحمد الصحيح الذي لا يدخله أحتمال ولا يدخل فيه شك ولا ريب انه حمد لانه لذاته يدل فهو لواء في نفسه ألا ترى لو قلت في شخص انه كريم أو يقول عن نفسه ذلك الشخص انه كريم يمكن ان يصدق هذا الثناء ويمكن ان لا يصدق فإذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الأمتنان والأحسان شهد العطاء بذاته بكرم المعطي فلا يدخل في ذلك أحتمال فهذا معنى حمد الحمد فهو المعبر عنه بلواء الحمد وسمى لواء لانه يلتوي على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد لان به يقع الحمد من كل حامد وهو عاقبة العاقبة فأفهم ولما كان يجتمع ألوان المحامد كلها لهذا عم ظله جميع الحامدين قال صلى الله عليه آدم فمن دونه تحت لوائي وانما قال فمن دونه لان الحمد لا يكون إلا بالاسماء وآدم عالم بجميع الاسماء كلها فلم يبقى إلا ان يكون من هناك تحته ودونه في الرتبة لانه لا بد ان يكون مثنياً باسم ما من تلك الاسماء ولما كانت الدولة في الآخرة لمحمد صلى الله عليه وسلم المؤتى جوامع الكلم وهو الأصل فانه صلى الله عليه وسلم أعلم بمقامه فعلمه وآدم بين الماء والطين لم يكن بعد فكان آدم لما علمه الله الاسماء في المقام الثاني من مقام محمد صلى الله عليه وسلم.

فكان قد تقدم لمحمد صلى الله عليه وسلم علمه بجوامع الكلم والاسماء كلها من الكلم و لم تكن في الظاهر لمحمد صلى الله عليه وسلم عين فتظهر بالاسماء لانه صاحبها فظهر ذلك في أول موجود من البشر وهو آدم فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم لانه تقدم عليه بوجود الطينة فمتى ظهر محمد صلى الله عليه وسلم كان أحق بولايته ولوائه فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم فهم في الآخرة تحته فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجميع السؤال السابع والسبعون بأي شئ يثني على ربه حتى يستوجب لواء محمد الجواب بالقران وهو جامع للمحامد كلها ولهذا سمى قرانا أي جامعاً وهو قوله "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين" وما انزلت على أحد قبله ولا ينبغي ان تنزل الأعلى من له هذا المقام فانه سبحانه لا ينبغي ان يحمد إلا بما يشرع ان يحمد به من حيث ما شرعه لا من حيث تطلبه الصفة الحمدية من الكمال فذلك هو الثناء الإلهي ولو حمد بما تعطيه الصفة لكان حمدا عرفياً عقلياً ولا ينبغي مثل هذا الحمد لجلاله السؤال الثامن والسبعون مإذا يقدم إلى ربه من العبودية الجواب العبودة وهو انتساب العبد إليه ثم بعد ذلك تكون العبودية وهو انتسابه إلى المظهر الإلهي فبالعبودية يمتثل الأمر دون مخالفة وهو إذا يقول له كن فيكون من غير تردد فانه ما ثم إلا العين الثابتة القابلة بذاتها للتكوين فإذا حصلت مظهراً وقيل لها افعل أو لا تفعل فان خالفت فمن كونها مظهرا وان امتثلت و لم تتوقف فمن حيث عينها انما قولنا لشئ إذا أردناه ان نقول له كن فيكون فبهذه العبودية يتقدم إلى الله في ذلك اليوم ألا تراه يسجد من غير ان يؤمر بالسجود لكن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكوين و لم يكن له محل إلا عين محمد صلى الله عليه وسلم فتكون السجود في ذاته لأمر الحق له بتكوينه فسجد به محمد صلى الله عليه وسلم من غير أمر إلهي ورد عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ثم بعد ذلك في موطن آخر يؤمر الخلق بالسجود ليتميز المخلص من غير المخلص فذلك سجود العبودية فالعارفون بالله في هذه الدار يعبدون ربهم من حيث العبودية فما لهم نسبة إلا إليه سبحانه ومن سواهم فانهم ينسبون إلى العبودية فيقال قد قاموا بين يديه في مقام العبودية فهذا الذي يقدمه من العبودية إلى ربه وكل محقق بهذه المثابة يوم القيامة

السؤال التاسع والسبعون بأي شئ يختمه حتى يناله مفاتيح الكرم الجواب يختمه بالعبودية وهو انتسابه إلى العبودية كما قررنا وهي الدرجة الثانية فان هذا المقام ما هو سوى درجتين درجة العبودية وهي العظمى المقدمة ودرجة العبودية وهي الختام لانه ما أمر بما يقتضيه أمر العبودية إلا بعد وجوده فأمر ونهى بوساطة هذا التركيب فأطاع وعصى واناب وآمن وكفر ووحد وأشرك وصدق وكذب ولما وفى الدرجة الثانية بما تستحقه العبودية من امتثال أوامر سيده ونواهيه ناوله مفتاح الكرم برد ما قدم إليه السؤال الثمانون ما مفاتيح الكرم الجواب سؤالات السائلين منا ومنه وبنا به فأما منا وبنا فسؤال ذاتي لا يمكن الانفكاك عنه وصورة مفتاح الكرم في مثل هذا وقوفك على علمه بانه بهذه المثابة وغيرك ممن هو مثلك يجهله ولا تعرفع فتكرم عليك بان عرفك كيف انت وما تستحقه ذاتك ان توفى به بما لا يمكن انفكاكها عنه وأما منه وبه فان سؤال السائل بما هو عارض له أي عرض له ذلك بعد تكوينه وذلك انه لما كان مظهراً للحق وكان الحق منه هو الظاهر فسأل من جعله مظهراً بلسان الظاهر فيه فهذا سؤال عارض عرض له بعد ان لم يكن فعبر عن مثل هذا السؤال بمفتاح الكرم أي من كرم الله تعالى ان سأل نفسه بنفسه وأضاف ذلك إلى عبده فهو بمنزلة ما هو الأمر عليه بانه يخلق في عباده طاعته ويثني عليهم بانهم أطاعوا الله ورسوله وما بأيديهم من الطاعة شئ غير انهم محل لها سأل إبليس الأجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما أذن له قيل له أصدقه وحفت به الملائكة وهو في مقام الصغار والذلة بين يدي

محمد صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ان الله خلقك للهداية وما بيدك من الهداية شئ وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية شئ فصدقه فصدقه قال تعالى "انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء" وقال "فألهمهما فجورها وتقواها" وقال "كل من عند الله" وقال "ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها" ثم أثنى مع هذا عليهم فقال "التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر" يا ليت شعري ومن خلق التوبة فيهم والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله إلا الله فمن كرمه انه أثنى عليهم بخلق هذه الصفات والأفعال فيهم ومنهم ثم أثنى عليهم بان أضاف ذلك كله إليهم إذ كانوا محلا لهذه الصفات المحمودة شرعاً أليس هذا كله مفاتيح الكرم فانه يفتح بها من العطايا الإلهية ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالى "تتجافى جنوبهم عن المضاجع" يا ليت شعري ومن أقامهم من المضاجع حين نوم غيرهم إلا هو يدعون ربهم خوفاً وطمعا يا ليت شعري ومن انطق ألسنتهم بالدعاء ومن خوفهم وطمعهم إلا هو أترى ذلك من نفوسهم لا والله إلا من مفاتيح كرمه فتح بها عليهم "ومما رزقناهم ينفقون" فمما رزقهم التجافي عن المضاجع وعن دار الغرور ومما رزقهم الدعاء والأبتها ومما رزقهم الخوف منه والطمع فيه فانفقوا ذلك كله عليه فقبله منهم فلا تعلم نفس عالمة ما أخفى لهم أي لهؤلاء الذين هم بهذه المثابة من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون فكانت هذه الأعمال عين مفاتيح الكرم لمشاهدة ما أخفى لهم فيهم وفي هذه الأعمال من قرة أعين فكلما هو في خزائن الكرم فان مفاتيحه تتضمنه فهو فيها مجمل وهو في الخزائن مفصل فإذا فتح بالأعمال تميزت الرتب وعرفت النسب وجاءت كل حقيقة تطلب حقها وكل علم يطلب معلومه

السؤال الحادي والثمانون على من توزع عطايا ربنا الجواب على من حسن السيرة من الولاة وكل شخص وال بالولاية العامة وهي تولية القلب على القوى المعنوية والحسية في نفسه والولاية كل من له ولاية خارجة عن نفسه من أهل وولد ومملوك وملك فتوزع العطايا على قدر الولاية وقدر ما عاملهم به من حسن السيرة فيهم فان كان الوالي من العلماء بالله الذين يكون الحق سمعهم وبصرهم فليس له حظ في هذه العطايا فانها عطايا غنى لفقراء وانما يعطي من هذه صفته عطاء غنى لغنى ظاهر في مظهر فقير لما أعطى عن فقر ذاتي فأخذ هذا المعطى له من الاسم الله لا من الاسم الرب فما أعظم الغفلة على قلوب العباد هيهات متى تبلغ البشر درجة من لا يوصف بالغفلة وهم الملأ الأعلى الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون في غير دليل ولا نهار يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وكفى بالبشرية نقصا واعلم ان العطايا تختلف باختلاف المستحقين فمنهم من يكون عطاؤه هو ومنهم من يكون عطاؤه معرفته بنفسه ومنهم من يكون عطاؤه ما هو منه فان كان المستحق يقول بالاستحقاق الذاتي فلا يلزمه إلا شكر إيجاد العين حيث كان مظهر إله جل وتعالى وان كان يقول بالاستحقاقاً العرضي وهو يرى انه تعالى جعل له استحقاق فهذا يتضاعف عليه الشكر فانه دون الأول في المرتبة وان كان المستحق يرى الاستحقاق للظاهر في مظهر ما من حيث ما هو ظاهر لذلك المظهر ولا يرى ان عينه تستحق شيأ فهذا لا يجب عليه شكر إلا ان أوجبه على نفسه كإيجاد الحق على نفسه في مثل قوله "كتب ربكم على نفسه الرحمة"فتتوزع العطايا على مقادير من توزع عليهم في العلم والعمل والحال والزمان والمكان والقصد وملازمة العمل ومغبته "قد علم كل اناس مشربهم" قال فرعون لموسى وهارون " فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه" وهو الذي يستحقه فالرب هو القاسم العطايا السؤال الثاني والثمانون كم أجزاء النبوة على قدر آي الكتب المترلة والصحف والأخبار الإلهية من العدد الموضوعة في العالم من آدم إلى آخر نبي يموت مما وصل إلينا ومما لم يصل على ان القران يجمع ذلك كله فان النبي

صلى الله عليه وسلم يقول فيمن حفظ القران ان النبوة أدرجت بين جنبيه فهي وان كانت مجموعة في القران فهي مفصلة معينة في آي الكتب المتزلة مفسرة في الصحف متميزة في الأخبار الإلهية الخارجة عن قبيل الصحف والكتب ويجمع النبوة كلها أم الكتاب ومفتاحها بسم الله الرحمن الرحيم فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق وان كان التشريع قد انقطع فالتشريع جزء من أجزاء النبوة فانه يستحيل ان ينقطع خبر الله وأخباره من العالم إذ لو انقطع لم يبقى للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده "قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا" ولو ان ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وقد أخبر الله انه ما من شئ يريد إيجاده ألا يقول له كن فهذه كلمات الله لا تنقطع وهي الغذاء العام لجميع الموجودات فهذا جزء واحد من أجزاء النبوة لا ينفد فأين انت من باقي الأجزاء التي لها

السؤال الثالث والثمانون ما النبوة الجواب النبوة مترلة يعينها رفيع الدرجات ذو العرش يترلها العبد بأخلاق صالحة وأعمال مشكورة حسنة في العامة تعرفها القلوب ولا تنكرها النفوس وتدل عليها العقول وتوافق الأغراض وتزيل الأمراض فإذا وصلوا إلى هذه المترلة من رفيع الدرجات ذي العرش فان نظر الحق من هذا الواصل إلى تلك المترلة نظر استبانة وخلافة ألقى الروح بالانباء من أمره على قلب ذلك الخليفة المعتنى به فتلك نبوة التشريع قال تعالى "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" وقال "يترل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده" فهي عامة لان من نكرة ان انذروا انه لا إله إلا انا فاتقون نبوة خاصة نبوة تشريع يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده مثل ذلك لينذر يوم التلاقي يومهم بارزون نبوة تشريع لا نبوة عموم نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين فالانذار مقرون أبداً بنبوة التشريع ولهذه النبوة هي تلك الأشياء التي سأل عنها والتي وردت في الأخبار وأما النبوة العامة فأجزاؤها لا تنحصر ولا يضبطها عدد فالها غير مؤقتة لها الأستمرار دائماً دنيا وآخرة وهذه مسئلة أغفلها أهل طريقنا فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك أو لم يوقفهم الله عليها أو ذكروها وما وصل ذلك الذكر إلينا والله أعلم بما هو الأمر عليه ولقد حدثني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمة الله عن الشيخ بشير من ساداتنا بباب الأزج عن أمام العصر عبد القادر انه قال معاشر الانبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا فأما قوله أوتيتم اللقب أي حجر علينا اطلاق لفظ النبي وان كانت النبوة العامة سارية في أكابر الرجال وأما قوله "وأوتينا ما لم تؤتوا" هو معنى قول الخضر الذي شهد الله تعالى بعدالته وتقدمه في العلم وأتعب الكليم المصطفى المقرب موسى عليه السلام في طلبه مع العلم بان العلماء يرون ان موسى أفضل من الخضر فقال له ياموسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت فهذا عين معنى قوله "أوتينا ما لم تؤتوا" وان أراد رضى الله عنه بالانبياء هنا انبياء الأولياء أهل النبوة العامة فيكون قد صرح بهذا القول ان الله قد أعطاه ما لم يعطهم فان الله قد جعلهم فاضلا ومفضولا فمثل هذا لا ينكر

السؤال الرابع والثمانون كم أجزاء الصديقية الجواب بضع وسبعون جزأ على عدد شعب الايمان الذي يجب على الصديق التصديق بها وليست الصديقية إلا للإتباع والانبياء وأصحاب الشرائع صديقون بخلاف انباء الأولياء الذين كانوا في الفترات وانما كانت اانبياء أصحاب الشرائع صديقين لان أهل هذا المقام لا يأخذون التشريع إلا عن الروح الذي يترل بها على قلوبهم وهوتتريل خبري لا تتريل علمي فلا يتلقونه إلا بصفة الايمان ولا يكشفونه إلا بنوره فهم صديقيون للأرواح التي تترل عليهم بذلك وكذلك كل من يتلقى عن الله ما يتلقاه من كون الحق في ذلك إلا لقاء مخبرا فانما يتلقاه من جانب الايمان ونوره لا من التجلي فان التجلي ما يعطي الايمان بما يعطيه وانما يعطي ذلك بنور العقل لا من حيث هو مؤمن فأجزاء الصديقية على ما ذكرناه لا تنحصر فانه ما يعلم ما يعطي الله في اخباراته لمن أخبرهم فأجزاء الصديقة المحصورة هو ما وردت به الأخبار الإلهية بان اعتقاد ذلك الخبر قربة إلى الله على التعيين وهي

متعلقة بالاسم الصادق لا بد من ذلك فيتصور هنا من أصول طريق الله وانه ما ثم إلا صادق فانه ما ثم مخبر إلا الله فينبغي ان لا يكذب بشئ من الأخبار قلنا الصديق من لا يكذب بشئ من الأخبار إذا نلقي ذلك من الصادق ولكن الصديق ان كان من العلم بالله بحيث ان يعلم انه ما ثم مخبر إلا الله فيلزمه التصديق بكل خبر على حسب ما أخبر به انهم كذبوا فيه وان الكذب هي صفة بالنسبة إليهم لا بالنسبة إلى الخبر فان الخبر إذا نسبته إلى الصادق كان صدقا وإذا نسبته إلى إلى الكاذب فيه كان كذباً وإذا نسبته إلى الكاذب لا فيه كان محتملا والذي يرى ان المخبر هو الله الصادق فان ذلك الخبر في ذلك الحال هو صدق والمؤمن به صديق ثم أخبر الصادق الحق ان ذلك الخبر الذي نسبته إلى بانه صدق انسبه إلى الذي ظهر على لسانه نسبة كذب فاعتقد انه كذب فيعتقد فيه انه بالنسبة إلى ذلك الشخص لكونه محلا لظهور عين هذا الخبر كذب لان مدلوله العدم لا الوجود فالصدق أمر وجودي والكذب أمر عدمي وصورة الصدق في الكذب ان المخبر الكاذب وما أخبر إلا بأمر وجودي صحيح العين في تخيله إذ لو لم يتخيله لحصول المعنى عنده لما صح ان يخبر عنه بما أخبر فهو صادق في خبره ذلك والمؤمن به صديق ثم أخبر الحق عن ذلك الخبر انه بالنسبة إلي الحس كذب وما تعرض إلى الخيال كما لم يتعرض المخبر في خبره ذلك إلى الحس وانما السامع ليس له في أول سماعه الإخبار إلا أول مرتبة وهي الحس ثم بعد ذلك يرتقي في درجات القوى فاعتقد بعد هذا بأخبار الحق عنه ان ذلك كذب في الحس انه كذب في الحس أي ليس في الحس منه صورة من حيث الحكم الظاهرفهو صديق للخبر الحق فما للوجود كذب ولا في العدم صدق فان الصدق أصله صادق وهو الوجود المحض الذي لا نسبة للعدم إليه والكذب هو العدم المحض الذي لا نسبة للوجود إليه وأما الكذب النسبي بالنظر إلى الخيال يكون صدقاً وبالنظر إلى الظاهر على شرط مخصوص يكون كذبا فالصديق يتعلق به من حيث نسبته إلى ما هو موجود به والعامة تتعلق به من حيث انه لا وجود له في المرتبة التي يطلبها فيه من يكذبه فاعلم ذلك فان شئت قلت بعد هذا ان للصديقية أجزاء منحصرة وان شئت قلت لا تدخل تحت الحصر أجزاؤها وان أردت بأجزاء الصديقية الصفة التي بها تحصل الصديقية للصدق فهذا سؤال آخر يمكن ان يسأل عنه فالجواب على مثل هذا الوجه ان من أجزائها سلامة العقل والفكر الصحيح والخيال الصحيح والايمان بصدق المخبر وان أحاله العقل الذي ليس بسليم عند أهل هذه الصفة والقول باستحلات الإمكان في الأعيان الممكنات بالنظر إلى ما تقتضيه ذات الواجب الوجود لذاته أو إلى سبق العلم منه عند من يقول بذلك فإذا كان بهذه المثابة حصلت له الصديقية ويكون هذا المجموع أجزاءها لانها ليست بزائدة على عين المجموع وهذا هو النور الأخضر

السؤال الخامس والثمانون ما الصديقية الجواب نور أخضر بين نورين يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر من خلف حجاب الغيب بنور الكرم وذلك ان أسم الله المؤمن الذي تسمى الله لنا به في كتابه من حيث هو نور أعني الكتاب فقال عز من قائل هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن إلا ان المؤمن هنا له وجهان معطى الأمان ومصدق الصادقين من عباده عند من لم يثبت صدقهم غنده ولهذا قال تعالى حكاية عما يقول الصادق يوم القيامة لربه "قال ربي أحكم بالحق ليثبت صدقي عند من أرسلتني إليهم فيما أرسلتني به فجاء بلفظ يدل على انه وقع وهو عند العامة ما وقع فانه يوم القيامة وما أخبر الله إلا بالوقع فلا بد ان يكون ثم حضرة إلهية فيها وقوع الأشياء دائماً لا تتقيد بالماضي فيقال قد وقعت ولا بالمستقبل فيقال تقع ولكن متعلقها الحال الدائم وبين القلوب وبين هذه الحضرة حجاب التقييد فإذا كوشف العبد على خلوصه من التقييد وظهر بصورة حق في حضرة مطلقة شهد ما يقال فيه يقع واقعاً وشهد ما يقال فيه واقعاً فلم يزل واقعاً ولا يزال واقعاً فعنه تقع الحكايات الإلهية بانه يقع مثل قوله تعالى "يوم تأتي كل نفس" فعلق بالمستقبل وقوله عز وجل أتى أمر الله فأتى بالماضي وكلا التقييدين يدل على عدم والحال له

الوجود والعدم لا يقع فيه شهود ولا تمييز فلا بد ان يكون المخبر عنه بانه كان كذا أو يكون كذا له حالة وجودية في حضرة إلهية عنها تقع الأخبارات والواقف فيها يسمى صديقاً وهي بنفسها الصديقية ولها اطلاع من خلف حجاب هذا الهيكل المظلم في حق شخص والهيكل المنور في حق شخص فان وجدت عين مفتوحة سليمة من الصدع أبصرت هذه العين بهذا النور من هذه الحضرة صدق المخبرين كانوا من كانوا فيسمون صديقين بذلك وتسمى هذه الحالة صديقية وللملأ الأعلى منها شرب وللرسل فيها شرب وللانبياء فيها شرب وللأولياء فيها شرب وللمؤمنين فيها شرب ولغير المؤمنين من جميع أهل النحل والملل شرب فيسعد بها قوم ويشقى بها قوم لشروط تتعلق بها ولوازم بها يقال مؤمن وكافر ومشرك وموحد ومعطل ومثبت ومقر وجاحد وصادق وكاذب فقد عمت الصديقية جميع إلهيا كل المنورة والمظلمة والنورية والنارية والطبيعية العنصرية ولا يشعر بها إلا الأكابر من الرجال وهم العارفون بسريانها في الموجودات فإذا نظرت أرباب هذه إلهيا كل انفسها مجردة عن هياكلها خرجت عن حضرت الصديقية وكانت من أهل المعاينة فصارت ترى من بعد ما كانت كانها ترى فالحق سبحانه من كونه مؤمناً له حضرة الصديقية فبها يصدق الحق عباده المؤمنين بقوله "وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه" فصدقهم في كونهم ما عبدوا سواه في إلهيا كل المسماة شركاء قال تعالى "قل سموهم" وقال "ان هي إلا أسماء سميتموها" وبهذا يصدق العباد في الأخبار كلها من غير توقف فلها حكم في الطرفين فان في هذا الذي قلناه آية لقوم يعقلون ما فيه آية لقوم يتفكرون ولا لقوم يعلمون على الأطلاق إلا ان أراد بيعلمون يعقلون فالصديقية لهم النور لصدقهم إذ لولا النور لما عاينوا صدق المخبر من خلف حجاب هذا الهيكل فطوبى لهم ثم طوبى وحسن مآب انتهى الجزء السادس والثمانون

الجزء السابع والثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال السادس والثمانون على كم سهم ثبتت العبودية الجواب على تسعة وتسعين سهماً على عدد الاسماء الإلهية التي من أحصاها دخل الجنة لكل أسم إلهي عبودية تخصه بها يتعبد له من يتعبد من المخلوقين ولهذا لا يعلم هذه الاسماء الإلهية الأولى ثابت الولاية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ثبت عندنا انه عينها وقد يحصيها بعض الناس ولا يعلم انها هي التي ورد فيها النص كما يكون وليا ولا يعلم انه ولي ومن رجال الله من عرفهم الله بها من أجل ما يطلبه كل أسم منها من عبودية هذا العبد فيعين له هذا الولي العارف من العبودية بحسب الاسم الذي له الحكم عليه في وقته فمن أحصى هذه الاسماء الإلهية دخل الجنة المعنوية والحسية فأما المعنوية فبمإذا تطلبه هذه الاسماء من العلم بالعبودية التي تليق بها وأما الحسية فبمإذا تطلبه هذه الاسماء من الأعمال التي تطلبه من العباد فلا بد من تمييزها وكيف يعرف أسم لعبودية من لا يعلم من الله ما يطلبه منه فبهذا النظر يكون للعبودية سهام ويكون عددها ما ذكرناه والعاملون بهذه العبودية رجلان رجل يعمل بها من حيث شرعه ومن عمل به من حيث شرعه فقد عمل بها من حيث عقله ورجل عمل بها من حيث عقله ومن عمل بها من حيث عقله قد لا يعمل بها من حيث شرعه فالعامل بها من حيث عقله ينسبها إلى هياكل منورة أو عقول مجردة عن المواد لا بد من ذلك والعامل بها من حيث شرعه ينسبها إلى الله سبحانه وينسبها من حيث آثارها وما تنظر إليه لوضع الوسائط بينك وبينها إلى الهياكل النورية والعقول المجردة عن المواد وأما العامة فلا يعرفونها إلا لله خاصة أو للأسباب القريبة المعتادة المحسوسة خاصة لا يعلمون غير هذا وما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين انه وقف مع ربه على قدم العبودة المحضة فالملأ الأعلى يقول "أتجعل فيها من يفسد فيها" والمصطفون من البشر يقولون "ربنا ظلمنا انفسنا" ويقولون "ربي لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" ويقولون "ان تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض من بعد اليوم" وهذا كله لغلب الغيرة عليهم واستعجال لكون الانسان خلق عجولاً فهي حركة طبيعية أظهرت حكمها في الوقت فانحجبت عن صاحبها من العبودة بقدر استصحاب مثل هذا الحكم لصاحبها وكل ما كان يقدح في مقام ما ويرمى به ذلك المقام فان صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك الحال بالكمال الذي يستحقه وان كان من الكمل فنور العبودية على السواء من نور الربوبية فانه من أثره وعلى قدر ما يقدح في العبودية يقدح في الربوبية وان كان مثل هذا القدح لا يقدح ولا يؤثر في السعادة الطبيعية ولكن يؤثر في السعادة العلمية وأعم الدرجات في ذلك درجتان درجة العجلة التي خلق الانسان عليها ودرجة الغفلة التي جبل الانسان عليها ولولا ان الملأ الأعلى له جزء في الطبيعة ومدخل من حيث هيكله النوري ما وصفهم الحق بالخصام في قوله "ما كان لي علم بالملأالأعلى إذ يختصمون" ولا يختصم الملأ الأعلى إلا من حيث المظهر الطبيعي الذي يظهر فيه كظهور جبريل في صورة حية وكذلك ظهورهم في الهياكل النورية المادية وهي هذه الانوار التي تدركها الحواس فانها لا تدركها إلا في مواد طبيعية عنصرية وأما إذا تجردت عن هذه الهياكل فلا خصام ولا نزاع إذ لا تركيب ومهما قلت اثنان كان وقوع الخصام "لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا" فالوحدة من جميع الوجوه هو الكمال الذي لا يقبل النقص ولا الزيادة فانظر من حيث هي لا من حيث الموحد بها فان كانت عين الموحد بها فهي نفسها وان لم تكن عين الموحد بها فهو تركيب فما هو مقصودنا ولا مطلب الرجال ولهذا اختلفت أحكام الاسماء الإلهية من حيث هي أسماء فأين

المنتقم والشديد العقاب والقاهر من الرحيم والغافر واللطيف فالمنتقم يطلب وقوع الانتقام من المنتقم منه والرحيم يطلب رفع الانتقام عنه وكل ينظر في الشئ بحسب حكم حقيقته فلا بد من المنازعة لظهور السلطان فمن نظر إلى السماء الإلهية قال بالتزاع الإلهي ولهذا قال تعالى لنبيه "وجادلهم بالتي هي أحسن" فأمره بالجدال الذي تطلبه الاسماء الإلهية وهو قوله التي هي أحسن كما ورد في الأحسان ان تعبد الله كانك تراه فإذا جادل بالأحسان جادل كانه يرى ربه ولا يرى ربه مجادلا إلا إذا رآه من حيث تطلبه الاسماء الإلهية من التضاد فعلم ذلك وما منعني من تحصيل هذا المقام إلا

الغفلة لا غير فليس بيني وبينه إلا حجاب الغفلة وهو حجاب لا يرفع وأما حجاب العجلة فأرجو بحمد الله انه قد ارتفع عني وأما حجاب الغفلة فمن المحال رفعه دائماً مع وجود التركيب حيث كان في المعاني أوفى الأجسام ولو ارتفع هذا الحجاب لبطل سر الربوبية لكنه ممكن الحصول بالنظر إلى نفسه ولكن لا أدري هل تقتضي الذات تحصيله وظهوره في الوجود أم لا غير انى أعلم انه ما وقع ومع هذا فلا أقطع يأسي من تحصيله مع علمي باستحالة ذلك وينبغي للناصح نفسه ان يقارب هذا المقام جهد الإستطاعة وأما القائلون بالتشبه بالحضرة الإلهية جهد الطاقة وهو التخلق بالاسماء انه عين المطلوب والكمال فهو صحيح في باب السلوك لا في عين الحصول وأما في عين الحصول فلا تشبه فهو عين الحق والشئ لا يشبه نفسه فأعلى المظاهر مظاهر الجمع وهو عين التفريق

السؤال السابع والسبعون ما يقتضي الحق من الموحدين الجواب ان لا مزاحمة وذلك ان الله لما تسمى بالظاهر والباطن نفى المزاحمة إذ الظاهر لا يزاحم الباطن والباطن لا يزاحم الظاهر وانما المزاحمة ان يكون ظاهران أو باطنان فهو ظاهر من حيث المظاهر وهو الباطن من حيث الهوية فالمظاهر متعددة من حيث أعيانها لا من حيث الظاهر فيها فالأحدية من ظهورها والعدد من أعيانها فيقتضي الحق من الموحدين الذين وصفوا بصفة التوحيد ان يوحدوه من حيث هويته وان تعددت المظاهر فما تعدد الظاهر فلا يرون شيأ إلا كان هو المرئي والرائي ولا يطلبون شيأ إلا كان هو الطالب والطلب والمطلوب ولا يسمعون شيأ إلا كان هو السامع والسمع والمسموع فلا تزاحم فلا منازعة فان التزاع لا يحمله إلا التضاد وهو المماثل والمنافر وهو عين المماثل هنا إذ قد يكون الضدان ما ليس بمثلين بخلاف المخالف فان حكم المخالف لا يقع منه مزاحمة ولا منازعة ولهذا نفى الحق ان تضرب له الأمثال لانها اضدادتنا في حقيقة ما ينبغي له ولاينا فيه ما سمى به حيث نفى التشبيه فقال ليس كمثله شئ وهو السميع البصير خلق الله التفاحة تحمل اللون والطعم والرائحة ولا مزاحة في الجوهر الذي لا ينقسم ولا يستحيل وجود لونين أو طعمين أو ريحين في ذلك الجزء الذي لا ينقسم فلا يصح إلهان لانهما مثلان ويصح وجود جميع الاسماء للعين الواحدة لانها خلاف والخلاف قابل للأجتماع بخلاف المماثل فإذا استحال الاجتماع فلحكم الضدية لا لحكم الخلاف إذ الاجتماع لا يناقض الخلاف فكل اجتماع يطلب الخلاف وما كان خلاف يطلب الاجتماع وانما يقتضي الحق من الموحدين عدم المزاحمة ليبقى الرب ربا والعبد عبدا فلا يزاحم الرب العبد في عبوديته ولا يزاحم العبد الرب في ربوبيته مع وجود عين الرب والعبد فالموحد لا يتخلق بالاسماء الإلهية فان قلت فيلزم ان لا يقبل ما جاء من الحق من اتصافه بأوصاف المحدثات من معية ونزول واستواء وضحك فهذه أوصاف العباد وقد قلت ان لا مزاحمة فهذه ربوبية زاحمت عبودية قلنا ليس الأمر كما زعمت ليس ما ذكرت من أوصاف العبودية وانما ذلك من أوصاف الربوبية من حيث ظهورها في المظاهر لا من حيث هويتها فالعبد عبد على أصله والربوبية ربوبية على أصلها والهوية هوية على أصلها فان قلت فالربوبية ما هي عين الهوية قلنا الربوبية نسبة هوية إلى عين والهوية لنفسها لا تقتضي نسبة هوية إلى عين والهوية لنفسها لا تقتضي نسبة وانما ثبوت الأعيان طلبت النسب من هذه الهوية فهو المعبر عنها بالربوبية فاقتضى الحق من الموحدين ان يوحدوا كل أمر لترتفع المزاحمة فيترل التزاع

فيصح الدوام للعالم فيتعين عند ذلك ما معنى الأزل بمعقولية ألا بد وهو قولك لا يزال فلولا النقطة المفروضة في الخط التي تشبه الان ما فرق بين الأزل والأبد كما لا نفرق بين الماضي والمستقبل بانعدام الان من الزمان إلا ان النقطة هي الربوبية ففرقت بين الهوية والأعيان وهو المسمى المظاهر إلا ان النقطة انت فتميز هو وانا بانت فإذا علمت هذا فانت موحد فأعط الحق ما يقتضيه منك إذا اقتضاه فان قال لك أليس قد تبين لك في المرتبة الأخرى انه ما ثم إلا الله وبينت في ذلك ما بينت فلمإذا نزعت هنا هذا المترع قلنا لانك سميت نفسك مقتضياً منا من كوننا موحدين أمراً ما لا يقتضي انت ما يعطيك نحن نحن ما أعطيناك انما أعطينا للمقتضى فلا تكلمنا بغير لغتنا إذ انت القائل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه يكون المقتضى في هذا الفصل مشهودنا ويخاطبنا أسم آخر غير مشهودنا هذا خطاب ابتلاء وتمحيص

السؤال الثامن والثمانون عن الحق المقتضى ما الحق الجواب سمى الحق حقالاقتضاءه من عباده من حيث أعيانهم ومن حيث كونهم مظاهر ما يستحق إذ لا يطلب الحق إلا بالحق وهو العلم الحاصل بعد العين وهو ما يجب على المقتضى منه ما يعطيه إذا طلبه منه "كتب ربكم على نفسه الرحمة" أي أوجبها فصارت حقا عليه قال وكان حقا علينا نصر المؤمنين فهو الحق لا غيره وهو المستحق والمحق وهو الذي تجب عليه الحقوق من حيث إيجابه لا من حيث ذاته فالأعيان لولا ما تستحق الظهور في هذه المظاهر العينية لظهور سلطان الربوبية ما ظهرت في هذه الأعيان لان الشئ لا يظهر في نفسه لنفسه فلا بد من عين يظهر فيها لها فيشهد نفسه في المظهر فيسمى مشهودا وشاهد فان الأعيان لا تستحق ولهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة و لم يقل إن الأعيان تستحق الرحمة فالأعيان ليس لها استحقاق إلا ان تكون مظاهر خاصة

فقل للحق ان الحق ما هو	سواه فهو حق في الحقيقة
فلم انظر بعيني غير عيني	فعين الحق أعيان الخليقة

الحق هويته الحق اسمه خلق هو المخلوق به خلق كل شئ خلقه "وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق" وبالحق انزلناه وبالحق نزل "انا انزلناك بالحق بشيراً ونذيرا" "وقل الحق من ربكم" الحق طلب الحقوق فبالحق يطلب الحق ومإذا بعد الحق إلا الضلال فانى تصرفون فالحق الوجود والضلال الحيرة في النسبة وفالحق المترل والحق التتريل والحق المترل والحق من الله من حيث هو ربنا ومن صرف عن الحق إلى أين يذهب فأين تذهبون ان هو إلا ذكر للعالمين أصحاب العلامات والدلائل فالحق المسؤول عنه في هذا السؤال هو المقتضى الذي يقتضي من الموحد لما ذكرناه فسمى حقاً لوجوب وجوده لنفسه فاقتضاه انما اقتضى من نفسه فانه انما اقتضاه من الظاهر في مظهره وهويته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت رتبة الربوبية فما اقتضى إلا منه وما كان المقتضى إلا هو والذي اقتضى هو حق وهو عين الحق فان أعطى فهو الآخذ وان أخذ فهو المعطي فمن عرفه عرف الحق

السؤال التاسع والثمانون ومإذا بدؤه الجواب الضمير يعود على الحق وبدؤه من الاسم الأول الذي تسمى الحق به قال تعالى "هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم" فسمى لنا نفسه أولاً فبدؤه أولية الحق وهي نسبة لان مرجع الموجودات في جودها إلى الحق فلا بد ان تكون نسبة الأولية له فبدؤه نسبة الأولية له ونسبة الأولية له لا تكون إلا في المظاهر فظهوره في العقل الأول الذي هو القلم الأعلى وهو أول ما خلق الله فهو الأول من حيث ذلك المظهر لانه أول الموجودات عنه فالذات الأزلية لا توصف بالأولية وانما يوصف ها الله تعالى قال الله تعالى سبح لله فهو المسبح ما في السموات والأرض من حيث أعيانهم وهو العزيز

المنيع الحمى من هويته الحكيم بمن ينبغي ان يسبح له الضمير يعود على الله من لله ملك السموات والأرض ولهذا يسبحه أهلها لانهم مقهورون محصورون في قبضة السموات والأرض يحيي ويميت يحيي العين ويميت الوصف فالعين لها الدوام من حيث حييت والصفات تتوالى عليها فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين ويأتي بأخرى وهو الضمير يعود على الله من لله والأول خبر الضمير الذي هو المبتدأ وهو في موضع الصفة لله ومسمى الله انما هو من حيث المرتبة وأول مظهر ظهر القلم الإلهي وهو العقل الأول والعين ما كانت مظهراً إلا بظهور الحق فيها فهي أول الكلام في الظاهر في المظهر لان به يتميز فالأول هو الله والعقل حجاب عليه ومجن تتوالى الصفات عليه ولما كان الأعيان كلها من كونها مظاهر نسبتها إلى الإلوهية نسبة واحدة من حيث ما هي مظاهر تسمى بالآخر فهو الآخر آخرية الأجناس لا آخرية الأشخاص وهو الأول بأولية الأجناس وأولية الأشخاص لانه ما أوجد إلا عيناً واحدة وهو القلم أو العقل كيفما شئت سميته ولما كان العالم له الظهور والبطون من حيث ما هو مظاهر كان هو سبحانه الظاهر لنسبة ما ظهر منه والباطن لنسبة ما بطن منه وهو بكل شئ عليم شيئية الأعيان وشيئية الوجود من حيث أجناسه وانواعه وأشخاصه فقد تبين ان بدأه عين وجود العقل الأول قال النبي صلى الله عليه وسلم "أول ما خلق الله العقل وهو الحق الذي خلق به السموات والأرض" وقد مشى معنا هذا في سؤاله في العدل في السؤال الثامن والعشرين من هذه السؤالات

السؤال التسعون أي شئ فعله في الخلق الجواب ان كان قوله في الخلق من كونهم مقدرين فالإيجاد وهو حال الفعل ان كان قوله في الخلق من كونهم موجودين فحال الفناء وذلك ان الله تعالى قال للانسان "أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل" أي قدرناه و لم يك شيأ نبهه على أصله فانعم عليه بشيئيته الوجود وهو عين وجود الظاهر فيه وانما خاطب الانسان وحده لانه المعتبر الذي وجد العالم من أجله وإلا فكل ممكن بهذه المنزلة هذا الذي تعطيه نشأته لكونه مخلوقاً على الصورة الإلهية وانه مجموع حقائق العالم كله فإذا خاطبه فقد خاطب العالم كله وخاطب أسماءه كلها وأما الوجه الآخر الذي ينبغي أيضا ان يقال وهو دون هذا في كونه مقصوداً بالخطاب وذلك انه ما ادعى أحد الإلوهية سواه من جميع المخلوقات وأعصى الخلائق إبليس وغاية جهله انه رأى نفسه خيرا من آدم لكونه من نار لاعتقاده انه أفضل العناصر وغاية معصيته انه أمر بالسجود لآدم فتكبر في نفسه عن السجود لآدم لما ذكرناه وأبى فعصى الله في أمره فسماه الله كافرا فانه جمع بين المعصية والجهل والانسان ادعى انه الرب الأعلى فلهذا خص بالخطاب في قوله أولا يذكر الانسان فلذا قلنا الفناء أي أحاله على هذه الصفة ان يكون مستحضراً لها وأما الفعل الخاص بكل خلق فهو إعطاء ما يستحقه كل خلق مما تقتضيه الحكمة الإلهية وهو قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أي بين انه تعالى أعطى كل شئ خلقه حتى لا يقول شئ من الأشياء قد نقصني كذا فان ذلك النقص الذي يتوهمه هو عرض عرض له لجهله بنفسه وعدم إيمانه انه وصل إليه قوله أعطى كل شئ خلقه فان المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه لانه مخلوق لغيره لا لنفسه فالذي خلقه انما خلقه له لا لنفسه فما أعطاه إلا ما يصلح ان يكون له تعالى والعبد يريد ان يكون لنفسه لا لربه فلهذا يقول أريد كذا وينقصني كذا فلو علم انه مخلوق لربه لعلم ان الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه "أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين" وهذه المسألة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة أكابرهم بماوهي ما يحتاج إليها في المعرفة المبتدي والمنتهي والمتوسط فانها أصل الأدب الإلهي الذي طلبه الحق من عباده وما علم ذلك إلا القائلون "ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما" وأما الذين قالوا "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" فما وقفوا على مقصود الحق من خلقه الخلق ولو لم يكن الأمر كما وقع لتعطل من الحضرة الإلهية أسماء كثيرة لا يظهر لها حكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم" فنبه ان كل أمر يقع في العالم انما هو لأظهار

حكم أسم إلهي وإذا كان هكذا الأمر فلم يبقى في الأمكان أبدع من هذا العالم ولا أكمل فما بقي في الأمكان إلا أمثاله إلى ما لا نهاية له فاعلم ذلك فهذا فعله في الخلق وأما الجواب العام في هذه المسئلة ان يقال فعله في الخلق ماهو الخلق عليه في جميع الأحوال
السؤال الحادي والتسعون وبماإذا وكل يعني الحق الجواب وكل بتمشية أوامر الله وانفاذ كلماته لا غير فهو مخصوص بالشرائع الإلهية سنها من سنها كما قال تعالى "ورهبانية ابتدعوها" ما كتبنا عليهم فذمهم لما لم برعوها فقال "فما رعوها حق رعايتها" وقال صلى الله عليه وسلم "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها" فالخير يطلب الثواب بذاته والشرع مبين للناس توقيت ذلك الثواب كقوله"من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها" وقال الله لداوود "يا داوود انا جعلناك خليفة في الأرض" لمن تقدمك أو نيابة عنا بالاسم الظاهر الذي لنا فقد خلعناه عليك لتظهر به في خلقي فالحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فعرفنا ان الحق سبحانه قد وكل الحق بتمشية دينه فقال لخلفائه احكموا بما يقتضيه أمر هذا الوكيل ولا تتبعوا الهوى وهو إرادة النفوس التي يخالفها حكم الحق الموكل بتمشية الكلمات الإلهية المشروعة وكل مخاطب راع ومسؤول عن رعيته فكان العدل صفة هذا الحق الذي وكله الله ان يصرفها في المخلوقات بمساعدة الخلفاء والله المرشد
السؤال الثاني والتسعون وما ثمرته يعني فيمن حكم به من الخلفاء الجواب الوقوف دائماً مع العبودة هذه ثمرته ولكن جوائح الربوبية تمنع من ظهور هذه الثمرة ولا سيما في البشر ولكن له ثمرة أخرى دون هذه الثمرة وهو ان يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه ثم ان له في كل شخص من الثمر بحسب ما أمضاه في سلطانه من أحكامه وأما ثمرته التي يعمل عليها ولها أكثر العقلاء من أهل الله فتهيؤ مراداتهم بمجرد الهمم فمنهم من ينال ذلك في الدنيا ومنهم من يدخر ذلك إلى يوم القيامة فان أكابر الرجال مع معرفتهم بما خلقوا له لو وقفوا مع التكوين قوبلوا ولكنهم تركوا الحق يتصرف في خلقه كما هو في نفس الأمر وأبوا ان يكونوا محلا لظهور التصريف وان ظهر عليهم من ذلك شئ فما هو عن قصد منهم لذلك ولكن الله أجراه لهم وأظهره عليهم لحكمة علمها الحق وهؤلاء عن ذلك بمعزل وأما ان يقصدوا ذلك فلا يتصور منهم إلا ان يكونوا مأمورين كالرسل عليهم السلام فذلك إلى الله وهم لا يعصون الله ما أمرهم فانهم معصومون من إضافة الأفعال إليهم إذا ظهرت منهم فيقولون هي للظاهر من أسمائه في مظاهره فما لنا وللدعوة فنحن لا شئ في حال كوننا مظاهر له وفي غير هذه الحال وهذا المقام يسمى راحة الأبد والقائم فيه مستريح وهذا هو الذي وفى الربوبية حقها لان الحكم للمرتبة لا للعين ألا ترى ان السلطان تمشى أوامره في مملكته فلا يعصي ويخاف ويرجى وما هو لكونه انسانا فان الانسانية عينه وانما هو لكونه سلطاناً وهي المرتبة فالعاقل من الناس يرى ان المتحكم في المملكة انما هي المرتبة لا عينه إذ لو كان ذلك لكونه انساناً فلا فرق بينه وبين كل انسان وهكذا كل المظاهر فرجال الله ينظرون انفسهم من حيث أعيانهم لا من حيث كونهم مظاهر فكانت المرتبة الحاكمة لا هم وهذه هي ثمرة الحق التي جنوها حين حكموا به وفازوا بالعبودية والعبودية عبادة الفرائض وعبادة النوافل
السؤال الثالث والتسعون وما المحق الجواب معطى الحق وهو الموصوف بحكم العدل وذلك اني انبهك على تحقيق هذا الأمر فاعلم ان المحق إذا كان هو المعطى الحق فليس إلا الله ومقصود الطائفة من المحق أم يكون الصادق الدعوىفي طلب الحق الذي يستحقه وهي مسئلة صعبة فان الله أعطى كل شيء خلقه وهو ما يستحقه فقد أعطى كل شيء أستحقاقه فهذا الطالب ما يستحقه كيف يصح ان يكون ممنوعاً عنه ما يستحقه مع قوله أعطى كل شيء خلقه فلنقل أعلم ان قوله أعطى كل شيء خلقه انما هو مما يقوم ذات ذلك الشيء من الفصول المقومة لذاته وأما ما يطلبه تلك الفصول من اللوازم والأعراض فما أعطاه ذلك لان أعراض كل ذات لا يتناهى

ما دام موصوفاً بالبقاء في الوجود ومالا يمكن فيه التناهي لا يصح ان يدخل في الوجود بل على التتالي والتتابع فالطالب المحق هو الذي لا يطلب ما لا يستحقه ذاته من لوازمها وأعراضها كمن ليس من حقيقته ان يقبل التفكر فيطلب ان يتصف بالفكر فما هو محق في طلبه فإذا طلبه الانسان إذا كان الغالب عليه الوقوف مع المحسوسات فله ان يطلب الأشتغال بالتفكر في خلق السموات والأرض وجميع الآيات فهو محق في طلبه صادق الدعوى في نفي التفكر عنه لأستيلاء الغفلة عليه فهذا هو المحق الذي لا يعارض طلبه حقه الذي يستحق بذاته طلبه قوله " أعطى كل شيء خلقه " فقد تبين لك كيف ينبغي لك ان تسأل ومإذا تسأل فيه ومن أوصاف المحق ان لا يسأل ألا من بيده قضاء ذلك الحق المسؤل فان لم يفعل فقد شكى إلى غير مشتكى كان شيخنا أبو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه اللهم انك سددت باب النبوة والرسالة دوننا و لم تسد باب الولاية اللهم مهما عينت أعلى رتبة في الولاية لا على ولي عندك فأجعلني ذلك الولي فهذا من المحقين الذين طلبوا ما يمكن ان يكون حقاً لهم وان كانت النبوة والرسالة مما يستحقه الانسان عقلاً لكون ذاته قابلة لها لكن لما علم ان الله قد سد بابها شرعاً وسد باب نبوة الشرائع لم يسئلها وسأل ما يستحقه فان الله ما حجر الولاية علينا ومن هذا الباب سؤال الوسيلة وان لم يكن مثلها لكن يقرب منها وانما ألحقناها بها في التشليه لقرينه حال وهي درجة في الجنة لا ينالها أولاً تنبغي ألا لرجل واحد قال صلى الله عليه وسلم وأرجو ان أكون انا فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة فلو سأل واحد منار به الوسيلة في حق نفسه لما سأل ما لا يستحقه لانه ربما لا ينالها ألا شخص هو على صفة مخصوصة والله يقول لنا وأبتغوا إليه الوسيلة ألا انه لم يقل منه فقد يمكن ان يكون هذه من التوسل وتلك الصفة أما موهوبة أو مكتسبة و لم يعينها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حجرها على واحد بعينه و لم يقل انها لا تنبغي ألا لمن هو أفضل عند الله من البشر ونحن نعلم انه أفضل الناس عند الله بما نص على نفسه فكان يكون ذلك تحجيراً و لم ينص أيضاً في وحدانية ذلك الشخص هل هو واحد لعينه أو واحد تلك الصفة فتكون الأحدية لتلك الصفة ولو ظهرت في ألف لكان كل واحد من الألف له الوسيلة لان تلك الصفة تطلبها فلما لم يقع من الشارع شيء من هذا كله ساغ لنا ان نطلبها لانفسنا ولكن يمنعنا من ذلك الأيثار وحسن الأدب مع الله في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أهتدينا بهديه وقد طلب منا ان نسأل الله له الوسيلة فتعين علينا أدباً وأيثاراً ومروءة ومكارم خلق ان لو كانت لنا لوهبناها له أذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء لعلو منصبه وما عرفناه من منزلته عند الله ونرجوا بهذا ان يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة مثل قيمة المثل عندنا في الحكم المشروع في الدنيا وذلك ان بيننا وبينه صلى الله علسه وسلم أخوة الايمان وان كان هو السيد الذي لا يقاوم ولا يكاثر ولكن قد انتظم معنا في سلك الايمان فقال تعالى " انما المؤمنون أخوة " وثبت في الشرع ان الانسان إذا دعى لأخيه بظهر الغيب قال الملك له ولك بمثله ولك بمثليه فإذا دعونا له بالوسيلة وهو غائب عنا قال الملك ولك بمثله فهي له والمثل للداعي فينال من درجات مجموعه ما يناله صاحب الوسيلة من الوسيلة مثل قيمة المثل لان الوسيلة لا مثل لها أي ما ثم درجة واحدة تجمع ما جمعت الوسيلة وان كانت ما جمعت الوسيلة متفرقاً في درجات متعددة ولكن الوسيلة خاصية الجمع

السؤال الرابع والتسعون فأين محل من يكون محقاً الجواب في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان الحقوق ما يطلبها المحق الأوهر في المقعد الصدق لانه صادق ولا تطلب الحقوق ألا عند من يعلم انه قادر على إيصالها وملك ماضي الكلمة في ملكه فلهذا قلنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر فأجتمع هذا المحق مع المتقي في هذا المحل والمتقي في جنات ونهر وان كان المحق كذلك ولكن لما كان الفرق بين المتقي وبين هذا معلوماً لم تكن الجنات كالجنات ووقع الأشتراك في كونه محقاً مع المتقي فالمتقي ما مال المقعد الصدق ألا

من كونه محقاً عند مليك مقتدر حضرة بقاء العين والأقتدار والتأييد ولهم أماكن مختلفة بحسب الحضرات التي يترلونها من حضرات الاسماء محلهم الاسم الصادق والحق والناصر وما في معنى هذه الاسماء فأي أسم من هؤلاء الاسماء نظر إليه كان محله وأما في الذاتيات فمحله الواجبات وأما في الألوهية فمحلها بالظفر بالمطلوب وأما في العبودية فمحلها عبودية الفرائض وأما في الأحوال فالتأثير وأما في المقامات فالصدق وأما في الجنان فأرتفاع الحجب وأما في الدنيا فالفعل بالهمة وأما في المعارف فان يكون مع الحق من حيث أمره ومع عالمه من حيث عدله ووفائه فيعين كل طالب حق فمقامه لا يتزلزل ولا ينخرم فان له في كل حضرة مقعداً ومجلساً فحيث حل فهو بيته فلا يفطر ان كان صائماً ولا يقصر الصلاة فانه مقيم غير مسافر لان السفر فيه لا يجوز فيه القصر ولا الفطر فهو كمثل عائشة قالت لا أقصر فاني أم المؤمنين فحيث ما حللت حللت عند بني فانا في بيتي والسفر إليه بخلاف ذلك فانه يقصر ويفطر فهو فطر الصائمين السؤال الخامس والتسعون ما سكينة الأولياء الجواب إذا أتبع الولي الأسباب وقطعها سبباً سبباً وولي مملكة جابر قينا وجابر سينا وجمع له بين المشرقين والمشارق والمغربين والمغارب وأطلع على المشرق والمغرب ووفي المقامات حقها وأعطي الانبياء حقهم وانبياء الشرائع حقهم وانصف الملأ الأعلى وأحال الاسماء الألهية على الاسماء الألهية و لم يتوجه لمخلوق عليه حق فانه غير وارث ولا رسول ولا أمام ولا صاحب منصب يخاف عليه فيه عدله أو جوره ويرجى فيه فضله وجهل فيه فضله وجهل قدره و لم يعرف حقه وتمنى الرسل في موطن ما ان تكون مثله وجمع هذا كله فتلك سكينة الأولياء التي يسكنون إليها فهم العرائس المصانون رجال أي رجال يسكنون إليها ولا تحصل لهم دائماً لكن لهم أختلاسات فيها كالبروق فهي تشبه المشاهد الذاتية في كونها لا بقاء لها فان المواطن تحكم عليهم وطبيعتهم تطلبهم فان أتفق ان تحصل لأحد وقتاً ما قصيراً أو طويلاً فان الدوام محال فيكون الولي في تلك الحال ناظر المن يطلب طبيعته فيكون كالمتفرج ويرى الظاهر فيه المسؤل ذلك أما يعطيها ما سألته وأما يمنعها وهو مهيمن على ذلك من حيث عينه ألا ان هذه هي العبودة المحضة التي لا يتخللها شوب من الربوبية

السؤال السادس والتسعون ما حظ المؤمنين من قوله الظاهر والباطن والأول والآخر الجواب كل مصدق بأمر لم يعلمه ألا من الذي أخبره به فقد بطن عنه ما صدقه فيه وظهر له ما صدقه فيه عند أخباره وحظه من الأول ان لا يتوقف في تصديقه عند سماعه الخبر منه وحظه من الآخر ان لا يتردد فيما صدقه فيه ان قدح فيه نظره عند التفكر فيما أخبره به المخبر وذلك ان الايمان نور شعشعاني ظهر عن صفة مطلقة لا تقبل التقييد فإذا خالط هذا النور بشاشة القلوب كان حكمه ما ذكرناه من الظاهر والباطن والأول والآخر والمؤمنون فيه على قسمين مؤون عن نظر وأستدلال وبرهان فهذا لا يوثق بإيمانه ولا يخالط نوره بشاشة القلوب فان صاحبه لا ينظر إليه ألا من خلف حجاب دليله وما من دليل لأصحاب النظر ألا وهو معرض للدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلا يمكن لصاحب البرهان ان يخالط الايمان بشاشة قلبه وهذا الحجاب بينه وبينه والمؤمن الآخر الذي كان برهانه عين حصول الايمان في قلبه لا أمر آخر وهذا هو الايمان الذي يخالط بشاشة القلوب فلا يتصور في صاحبه شك لان الشك لا يجد محلاً يعمره فان محله الدليل ولا دليل فما ثم على ما يرد الدخل ولا الشك بل هو في مزيد ثم ان المؤمن على نوعين مؤمن له عين فيه نور بذلك العين إذا أجتمع بنور الايمان أدرك المغيبات التي متعلقها الايمان ومؤمن ما لعينه نور سوى نور الايمان فنظر إليه به ونظر إلى غيره به فالأول يمكن ان يقوم بعينه أمر يزيل عنه النور الذي إذا أجتمع بنور الايمان أدرك الأمور التي ألزمه الايمان القول بها وهو المؤمن الذي لا دليل له وينظر الأشياء بذاته فيدخله الشك ممن يشككه فان فطرته تعطي النظر في الأدلة ألا انه لم ينظر فإذا نبه تنبه فمثل هذا ان لم يسرع إليه الذوق والأخيف عليه والمؤمن الآخر هو بمترلة الجسد الذي قد تسوت بنيته وأستوت آلات قواه وتركبت طبقات عينه غير انه ما

نفخ فيه الروح فلا نور لعينه فإذا كان الانسان بهذه المثابة من الطمس فنفخ فيه روح الايمان فأبصرت عينه بنور الايمان الأشياء فلا يتمكن له أدخال الشكوك عليه جملة ورأساً فانه ما لعينه نور سوى نور الايمان والضد لا يقبل الضد فما له نور في عينه يقبل به الشك والقدح فيما يراه وهكذا هي الأذواق وهذه فائدتها ومتى لم يكن الايمان بهذه المثابة والفطرة بهذه المثابة وألا فقليل ان يجئ منه ما جاء من الانبياء والأولياء من الصدق بالألهيات فالفطرة الذكية التي تقبل النظر في المعقولات من أكبر الموانع لحصول ما ينبغي ان يحصل من العلم الألهي والفطرة المطموسة هي القابلة التي لا نور لعينها من ذاتها ألا من نور الايمان فلا تعطي فطرته النظر في الأمور على أختلافها ومما يعضد ما قلناه حديث أبار النخل وحديث نزوله بأصحابه يوم بدر وقوله " ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع ألا ما يوحي إلى أي مالي علم ولا نظر بغير ما يوحي إلى وهذا باب لا يعرفه ألا أهل الله ومنزلة الانبياء فيما يأخذونه من الغيب بطريق الايمان من الملائكة منزلة المؤمنين مع ما يأخذونه من الانبياء فالانبياء مؤمنون بما يلقي إليهم الروح والروح مؤمن بما يلقي إليه من يلقي إليه فحظ المؤمن كان من الظاهر ما ألقي إليه وحظه من الباطن ما أستتر به وحظه من الأول علم الخواطر الألهية وحظه من الآخر الحاق بقية الخواطر بالخواطر الألهية وهو تتميم قوله وهو بكل شيء عليم

السؤال السابع والتسعون ما حظ المؤمنين من قوله " كل شيء هالك ألا وجهه " الجواب المؤمن هو الذي ذكرناه الذي لا نور لعين بصيرته الانور الايمان فكل شيء عنده هالك عن شيئية ثبوته وشيئية وجوده ألا وجهه وجه الشيء ذاته وحقيقته ووجهه مظهره أي ظهوره في الأعيان فأما شيئية ذاته فهي المستثناة لا بد من ذلك وأما وجهه في المظهر فبعض أصحابنا يدخلها في كل شئ هالك وبعض أصحابنا لا يدخلها هنالك فأما من أدخلها في الهلاك فاعتبر مظهراً خاصاً وأما من يدخلها في الهلاك فاعتبر انها لا تخلو عن مظهر ما وأما نحن فلا نثبت اطلاق لفظ الشيئية على ذات الحق لانها ما وردت ولا خوطبنا بها والأدب أولى والأولى ان يكون هناك وجهة مثل اطلاق الأول يريد المظهر لا هويته والمظهر له مناسبة بينه وبين الوجه الظاهر فيه فلذلك صح الإستثناء قال تعالى "انما قولنا لشئ إذا أردناه" فسماه شئ في حال هلاكه فكل شئ موصوف بالهلاك لان هالك خبر المبتدأ الذي هو كل شئ أي كل ما ينطلق عليه أسم شئ فهو هالك وان كان مظهراً فهو في حال كونه مظهراً في شيئيته عينه وهي هالكة فهو هالك في حال اتصافه بالوجود كما هو هالك في حالاتصافه بالهلاك الذي هو العدم فان العدم للمكن ذاتي أي من حقيقة ذاته ان يكون معدوماً والأشياء إذا اقتضت أمور الذواتها فمن المحال زوالها فمن المحال زوال الحكم العدم عن هذه العين الممكنة سواء اتصفت بالوجود أو لم تتصف فان المتصف بالوجود ما هو عين الممكن وانما هو الظاهر في عين الممكن الذي سمى به الممكن مظهرا لوجود الحق فكل شئ هالك فلهذا نفينا عن الحق اطلاق لفظ الشئ عليه ويكون الاستثناء استثناء منقطعاً مثل قوله "فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس" ألا ترى لما استحق الحق الوجود لذاته استحال عليه العدم كذلك إذا استحق الممكن العدم لذاته استحال وجوده فلهذا جعلناه مظهراً قلنا في كتاب المعرفة ان الممكن ما استحق العدم لذاته كما يقوله بعض الناس وانما الذي استحقه الممكن تقدم اتصافه بالعدم على اتصافه بالوجود لذاته لا العدم ولهذا قبل الوجود بالترجيح إذن فالعدم المرجح عليه الوجود ليس هو العدم المتقدم على وجوده وانما هو العدم الذي له في مقابلة وجوده في حال وجوده ان لو لم يكن الوجود لكان العدم فذلك العدم هو المرجح عليه الوجود في عين الممكن هذا هو الذي يقتضيه النظر العقلي وأما مذهبنا فالعين الممكنة انما هي ممكنة لان تكون مظهراً إلا لان تقبل الأتصاف بالوجود فيكون الوجود عينها إذن فليس الوجود في الممكن عين الموجود بل هو حال لعين الممكن به يسمى الممكن موجوداً مجازاً لا حقيقة تأبى ان يكون الممكن موجودا فلا يزال كل شئ لك كما لم يزل لم يتغير عليه نعت ولا يتغير على الوجود نعت فالوجود

وجود والعدم عدم والموصوف بانه موجود موجود والموصوف بانه معدوم معدوم هذا هو نفس أهل التحقيق من أهل الكشف والوجود ثم يندرج في هذه المسئلة الوجه الذي له الامام وهو الوجه المقيد بالنظر وبه تميز عن الخلف فإذا كان الشخص يرى من خلفه مثل ما يرى من أمامه كان وجهاً كله بلا قفا فلا يهلك من هذه صفته لانه يرى من كل جهة فلا يهلك لان العين تحفظه بنظرها فمن أي جهة جاءه من يريد اهلاكه لم يجد سبيلاً إليه لكشفه إياه كما يتقي صاحب الوجه المقيد من يأتيه من أمامه انتهى الجزء السابع والثمانون

الجزء الثامن والثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الثامن والتسعون كيف خص ذكر الوجه الجواب لان السبحات له فهي مهلكة والمهلك لا يكون هالكاً فاعلم ان الحقائق لا تتصف بالهلاك ووجه الشئ حقيقته وانما يتصف بالهلاك الأمور العوارض للحقائق من نسبة بعضها إلى بعض فهي أعني الأمور العوارض حقيقتها ان تكون عوارض فلا يهلك وجهها عن كونها عوارض فاتصاف من عرضت له نسبة ما ثم بها زالت تلك النسبة بحصول نسبة أخرى فازالة تلك النسبة العارضة تسمى هلاكاً ويسمى ذلك المحل المنسوب إليه ذلك العارض بزواله هالكاً وما ثم إلا حقائق فما ثم إلا وجوه غير هالكة وما ثم إلا نسب فما ثم إلا هالك فانظر كيف شئت وانطق بحسب ما تنظر فلهذا خص الوجه لاستحالة اتصافه بالهلاك إذ كانت الحقيقة لا تهلك

السؤال التاسع والتسعون ما مبتدأ الحمد الجواب مبتدأه الأبتداء وهو المعنى القائم في نفس الحامد فلا بد ان يكون مقيدا من طريق المعنى انه ابتداء حادث فلا بد له من سبب والسبب عين التقييد ومن طريق التلفظ بالحمد فمبتدأه الإطلاق ثم بعد ذلك ان شئت قيدته بصفة فعل إلهي وان شئت نزهته في التقييد بصفة تنزيه وما ثم أكثر من هذا وان أراد السائل بالحمد هنا العبد فانه عين الثناء على الحق بوجوده عينه فمبتدأه الحق الذي أوجده لما أوجده وان أراد بالحمد ومبتدئه إضافة المبدأ إلى الحمد أي بما يبتدأ الحمد فنقول بالوجود سواء اقترنت سعادة بذلك الموجود أو شقاوة وان أراد بالحمد حمد الحمد فمبتدؤه الوهب والمنة وان أراد بمبتدأ الحمد حمد الحق الحمد أو حمد الحق نفسه أو حمد الحق مخلوقاته فالثناء على الثناء بانه ثناء ثناء عليه فمبتدؤه العلم بانه ثناء وان أراد به حمد الحق نفسه فمبتدؤه الهوية فهو غيب لا يظهر أبداً وان أراد به حمد الحق خلقه فمبتدؤه إضافة الخلق إليه تعالى لا إلى غيره وان أراد بالحمد الفاتحة التي هي السورة فمبتدؤها الباء ان نظرت الحق من حيث الدلالة الخلق عليه فيكون بسم الله الرحمن الرحيم آية من سورة الفاتحة وان كان ينظرها من حيث الحق مجرداً عن تعلق العالم به للدلالة فمبتدؤها الألف من الحمد لله فلم تتصل بأمر ولا ينبغي لها ان تتصل و لم يتصل بها فانها تعالى في الفاتحة ان يتصل بها فانه ما اتصل بها في المعنى إلا الاسماؤها وأسماؤها عينها فلم يتصل بها سواها فان أراد بالحمد عواقب الثناء فمبدؤه من حيث هو عواقب رجوع أسمائه إليه فانه لا أثرلها إلا في الظاهر في المظاهر وعلى الظاهر يقع الثناء وليس الظاهر في المظاهر غيره فلا مثني ولا مثنى ولا مثنى عليه إلا هو والتبس على الناس ما يتعلق بالمظاهر من الثناء فلهذا قالوا ما مبتدؤ الحمد والظاهر من سؤال هذا السائل انه أراد الفاتحة لانه قال في السؤال الذي يليه ما معنى آمين وهي كلمة شرعت بعد الفراغ من الفاتحة فهو ثناء بدعاء وكل ثناء بدعاء فهو مشوب ولهذا قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فآمين المشروعة لما فيها من السؤال وهو قوله اهدنا ومن طلب شيأ من أحد فلا بد ان يفتقر إليه بحال طلبه فمبتدؤ الحمد على هذا هو الإفتقار ولهذا سأل في الإجابة ثم انه ما أوجب له الإفتقار إليه إلا أثر غناه تعالى بما افتقر إليه فيه فمبتدؤ الحمد غنى الحق عن العالمين قال الله تعالى "والله غني عن العالمين" وقال تعالى "يا أيها الناس انتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد" فقدم الفقر على الغنى في اللفظ وغنى الحق مقدم في المعنى على فقراء الخلق إليه لا بل هما سؤالان تقدم أحدهما على الآخر فان الغنى عن الخلق لله أزلا والفقر للمكن في حال عدمه إلى الله من حيث غناه أزلا والموصوفان بالأزل نفياً وإثباتاً لا

يتقدم أحدهما على الآخر لان الأزل لا يصح فيه تقدم ولا تأخر فافهم السؤال الموفى مائه ما قوله آمين الجواب لما أراد الثناء بما هو دعاء في مصالح ترجع إلى الداعي لهذا قيل له قل آمين وهي تقصر وتمد قال الشاعر في القصر

تباعد مني فطحل وابن أمه أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

يعني حتى يتفرد مع الحق الذي لا يقبل البينية وقال الشاعر في المد

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبداً قال آمينا

يعني في دعائه بالبعد بينه وبين من يقبل البينية وورد في الشرع الجهر بها والإخفاء لان الأمر ظاهر وباطن فالباطن يطلب الإخفاء والظاهر يطلب الجهر غير ان الظاهر أعم فإذا جهر بها فقد حصل حظ الباطن وإذا أسر بها لم يعلم الظاهر ما جرى والباطن خصوص والأسرار بها خاص لخاص والظاهر عموم فالجهر بها عام لعام وخاص من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وكل مذكور في ملأ فهو مذكور في النفس وكل ما هو مذكور في النفس يكون مذكور في الملأ قوله عليه السلام أو استأثرت به في علم غيبك هي أسماء لا يعلمها إلا هو فعلم السر أتم وعنده مفتاح الغيب لا يغلمها إلا هو فالمفاتيح العلم بها خاص له والغيب قد يظهر على غيبه من يرتضيه من رسله إلا من رتضى من رسول فالسر بها أتم مقاما من الجهر بها والجهر بها أعم منفعة من السر السر بها آمين معناها أجب دعاءنا لا بل معناه قصدنا اجابتك فيما دعوناك فيه يقال أم فلان جانب فلان إذا قصده ولا آمين البيت الحرام أي قاصدين وخفف أمين للسرعة المطلوبة في الإجابة والخفة تقتضي الأسراع في الأشياء فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فقد غفر له و لم يقل فقد أجيب لانه لو أجيب لما غفر له لان المهدي ما له ما يغفر أي فمن أمن مثل تأمين الملائكة هذا معنى الموافقة لا الموافقة الزمانية وقد تكون الموافقة الزمانية فيحويهم زمان واحد عند قولهم آمين والملائكة لا يخلو قولها في آمين هل يقولونها متجسدين أو يقولونها غير متجسدين فان قالتها متجسدة فربما يريد الموافقة الزمانية خاصة لان التجسد يحكم عليهم بالأتيان بلفظة آمين أي بترتيب هذه الحروف وان قالتها غير متجسدة فلم تبقى الموافقة إلا ان يقولها العبد بالحال التي يقولها الملك والحال هنا على أقسام الحال الواحدة ان يقولها بربه فان الملك يقولها كذلك أو يقولها بحالة التي تقتضيها ذاته فالانسان إذا قالها كذلك قالها من حيث روحانيته إلا من حيث حسه أو يقولها بحكم النيابة فالملك قد يقولها كذلك أو يقولها وهو هو فالملك قد يقولها كذلك وقول الانسان بحكم النيابة هو قوله بحكم الصورة التي خلق عليها فينبغي للانسان ان يقولها بكل حال يقولها الملك من هذه الأقسام التي ذكرناها فإذا قالها غفر الله له ولا بد ان يستره الله عن كل أمر يضاد الهداية بما تنتج لا بد من ذلك لان نتيجة الهداية سعادة وقد يكون في حياته الدنيا غير مهدي والعناية قد سبقت فيجني ثمرة الهداية فلهذا لم يقل أجيب وقال غفر فهذا معنى قوله آمين وكل داع بحسب ما دعا فان الله يستجيب له بأمر سعادي لا بما عينه فقد أجابه بما فيه سعادته إذ هي المطلوب الأعم في كل دعاء داع

السؤال الحادي ومائة ما السجود الجواب السجود من كل ساجد مشاهدة أصله الذي غاب عنه حين كان فرعاً عنه فلما اشتغل بفرعيته عن أصليته قيل له اطلب ما غاب عنك وهو أصلك الذي عنه صدرت فسجد الجسم إلى التربة التي هي أصله وسجد الروح إلى الروح الكل الذي عنه صدر وسجد السر لربه الذي به نال المرتبة والأصول كلها غيب ألا تراها قد ظهرت في الشجر أصولها

غيب فان التكوين غيب لا يشاهده أحد الجنين يتكون في بطن أمه فهو غيب حيوان آخر بتكون في البيض فإذا كمل تشقق عنه الحق أصل وجود الأشياء وهو غيب لها السجود تحية الملوك لما كان السوقة دون الملك فالملك له العلو والعظمة فإذا دخل عليه من دونه سجد له أي مترلتنا منك مترلة السفل من العلو فانهم نظروا إليه من حيث مكانته ومرتبته لا من حيث نشأته فانهم على السواء في النشأة سجدت الملائكة لمرتبة العلم فكان سجودها لا علم لنا وهو الجهل سجدت الظلال لمشاهدتها من خرجت عنه وهي الأشخاص يتستر ظل الشخص عن النوربأصله الذي انبعث عنه لئلا يفنيه النور فلم يكن له بقاء إلا بوجود الأصل فلا بقاء للعالم إلا بالله السلطان ظل الله في أرضه العرش ظل الله يوم القيامة العرش عين الملك يقال ثل عرش الملك إذا اختل ملكه عليه "الرحمن على العرش استوى" أي على ملكه سجود القلوب إذا سجد لا يرجع أبدا لان سجوده للأسماء الإلهية لا للذات فانها هي التي جعلته قلبا فهي تقلبه من حال إلى حال دنيا وآخرة فلهذا سمعنه قلبا فإذا تجلى له الحق مقلباً فيرى انه في قبضة مقلبه وهو الاسماء الإلهية التي لا ينفك مخلوق عنها فهي المتحكمة في الخلائق فمن مشاهد لها وهو الذي سجد قلبه ومن غير مشاهد لها فلا يسجد قلبه وهو المدعى الذي يقول انا وعلى من هذه صفته يتوجه الحساب والسؤال يوم القيامة والعقاب ان عوقب ومن سجد قلبه فلا دعوى له فلا حساب ولا سؤال ولا عقاب فلا حالة أشرف من حالة السجود لانها حالة الوصول إلى علم الأصول فلا صفة أشرف من صفة العلم فانه معطى السعادة في الدارين والراحة في المترلتين أصل الأعداد الواحد فلا وجود لها إلا به وبه بقائه فمن لا علم له بأحدية خالقة كثرت آلهته وغاب عن معرفته بنفسه فجهل ربه

فصار عبد الكل رب فهو محل لكل ذنب

والسجود يقتضي الديمومية ولهذا قال الشيخ أيضاً لسهل بن عبد الله إلى الأبد لان السجود الخضوع والإسجاد ادامة النظر وكل من تطأطأ فقد سجد وقلن له أسجد لليلي فأسجدا أي طاطأ البعير لها لتركبه والتطأطؤ لا يكون ألا عن رفعة والرفعة في حق كل ما سوى الله خروج عن أصله فقيل له أسجد أي تطأطأ عن رفعتك المتوهمة وأخضع من شموخك بان تنظر إلى أصلك فتعرف حقيقتك فانك ما تعاليت حتى غاب عنك أصلك فطلبك على أصلك طلبك الغيب عينه ومن عرف أصله عرف عينه أي نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه ومن عرف نفسه لم يرفع رأسه ومن عرف ربه رفع رأسه فانه مخلوق على صورة ربه ومن نعوت ربه الرفيع فلا بد ان يرفع نفسه وبعد هذه الرفعة يقال له أسجد فيسجد وجهه فيسجد قلبه فيرفع وجهه من السجود فلا بد يدوم فان القبلة التي سجد لها لا تدوم والجهة التي سجد لها لاتدوم فرفع لرفع المسجود له وسجد القلب فلم يرفع لانه سجد لربه فقبلته ربه وربه لا يزول ولا يرتفع عن الوجود ربو بيته فالقلب لا يرفع رأسه من سجوده أبداً لان قبلته لا ترتفع فهذا معنى السجود

السؤال الثاني ومائة ما بدؤه الجواب بدؤ السجود الذي أسجدك تنوع الحالات وتغيراتها عليك فنبهك ذلك على النظر في السبب الموجب لذلك فطلبت فعلمت انك معلول وكل معلول فلا قيام له بنفسه فان المريض لا يمرض نفسه وما كل ما تقام فيه من تغير الأحوال يرضيك وإذا لم يرضك فقد أمرضك فلا بد من ممرض ومن طلب الممرض فقد أفتقر فعلمت انك فقير وإذا أفتقرت فهو كسر فقار ظهرك لم يتمكن لك ان ترفع رأسك فانت موصوف بالسجود دائماً فهذا بدء السجود وان أراد بقوله ما بدؤه يعني ما بدؤه فيك أي ما هو أول شيء يعطيك السجود من منحه فنقول القربة والقربة موذنة ببعد متقدم وكل ذلك يؤدي إلى الحد ولا حد فانه البعيد القريب فاعلم ان الهوية المسماة بالبعيد القريب هي التي أعطتك السجود وبدأك بها منحة ولكن من كونها تسمى

بالبعيد القريب فنقلتك من النعت البعيد إلى النعت القريب فنقلتك من البعد إلى القربة قال الله تعالى " وأسجدو أقترب " و لم يقل غير ذلك من الأحوال فدل على ان أول شيء يمنحك السجود هو القربة ثم بعد ذلك تعطي من مقام القربة ما يليق بالمقربين من الملائكة والنبيين فتلك عوارف التقريب والتقريب منحة السجود والسجود منحة النظر في تغير الأحوال والنظر في تغير الأحوال حكم تغير الأحوال وتغير الأحول كونك على الصورة كل يوم هو في شان وكونك على الصورة كونك مظهراً للأسماء الألهية وكونك مظهر اللأسماء الألهية أعطاك الرفعة ولا تصافك بالرفعة أمرت بالسجود فاعلم السؤال الثالث ومائة ما قوله العزة أزاري الجواب لما انعم الحق علىعباده حين دعاهم إلى معرفته بالتترل بضرب الأمثال لهم ليحصلوا بذلك القدر الذي أراد منهم ان يعلموا منه مثل قوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح لقوله " الله نور السموات والأرض " فجعل النور نفسه لانه خبر المبتدأ أي صفته وهويته النور من حيث انه الله النور وأين نور المصباح من قوله الله نور وكذلك الخبران الله تعالى إذا تكلم بالوحي كانه سلسة على صفوان وأين كلام الحق تعالى من ضرب سلسلة على صفوان كذلك قوله العزة أزاري فانزل نفسه لعبادة مترلة من يقبل الأتصافبالأزار وان مراده من علمهم به في مثل هذا ما يناسب الأزار وما يستره الأزار وأعلم ان الأزار يتخذ لثلاثة أمور الواحد للتجمل والثاني للوقاية والثالث للستر والمقصود في هذا الخبر من الثلاثة الوقاية خاصة لأجل قوله العزة فان العزة تطلب هنا الأمتناع من الوصول إليه لان الأزار بقي موضع الغيرة ان تطلع إليه الأبصار ولما كانت العزة منيعة الحمى ان يتصف بها على الحقيقة خلق من المخلوقات أو مبدع من المبدعات لأستصحاب الذلة للمخلوقات والمبدعات وهي تناقض العزة فلما أتزر الحق بالعزة منع العقول ان تدرك قبول الأعيان للأيجاد الذي أتصفت به وتميزت لأعيانها فلا يعلم ما سوى الله صورة إيجاده ولا قبوله ولا كيف صار مظهر اللحق ولا كيف وصفه بالوجود فقيل فيه موجود وقد كان يقال فيه معدوم فقال الحق العزة أزاري أي هي حجاب على ما من شان النفوس ان تتشوف إلى تحصيله ولهذا قال من نازعني واحد منهما قصمته فأخبر انه ينازع في مثل هذه الصفات التي لا تنبغي ألا له مثل العزة والعظمة والكبرياء والعزة القهر الذي نجده عن أدراك السر الذي به ظهور العالم

السؤال الرابع ومائة ما قوله والعظمة ردائي الجواب ان الله قد نبه ان العظمة التي تلبسها العقول رداء يحجبها عن أدراك الحق عند التجلي فليست العظمة صفة للحق على التحقيق وانما هي صفة للقلوب العارفة به فهي عليها كالرداء على لابسه وهي من خلفه تحجبها تلك العظمة عن الأدلال عليه وتورثها الأذلال بين يديه ومن الدليل على ان يوصف العظيم بالعظمة انه راجع إلى العالم به لا إليه ان المعظم إذا رآه من لا يعرفه لا يجد لذلك النظر في قلبه هيبة ولا تعظيما لجهله به والذي يعلم مكانته ومترلته له على قلبه سلطان العلم به فيورثه ذلك العلم عظمة في قلبه فهو الموصوف بالعظمة لا العظيم وقد ورد خبر ذكره أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة ان جبريل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسرى به في شجرة فيها كوكرى طائر فقعد جبريل في واحد وقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخر فلما وصلا إلى السماء الدنيا تدلى إليهما شبه الرفرف درا وياقوتا فأما جبريل فغشى عليه وأما محمد صلى الله عليه وسلم فبقي على حاله ما تغير عليه شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمت فضل جبريل على في العلم لانه علم ما رأى وانا ما علمته فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل انما كانت من علمه بما تدلى إليه فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة فهي حال الرائي لا للمرئي ولو كانت العظمة حالة للمرئي لعظمه كل من رآه والأمر ليس كذلك وقد ورد في الحديث الصحيح ان الله يتجلى يوم القيامة لهذه الأمة وفيها منافقوها انار بكم فيستعيذون منه ولا يجدون له تعظيما وينكرونه لجهلهم به فإذا تجلى لهم في العلامة التي يعرفونه بها انه ربهم حينئذ يجدون عظمته في قلوبهم والهيبة فلهذا قلنا في قوله العظمة ردائي أي هي رداؤه

لذى تلبسه عقول العلماء به وجعلها رداء و لم يجعلها ثوباً فان الرداء له كمية واحدة والثوب مؤلف من كميات مختلفة ضم بعضها إلى بعض كالقميص وكذلك أيضاً الأزار مثل الرداء و لم يقل السراويل لان ذلك أقرب إلى الأحدية من الثوب المؤلف لتنوع الشكل السؤال الخامس ومائة ما الأزار الجواب حجاب الغيرة والسترة على تأثير القدرة الإلهية في الحقيقة الخامسة الكلية الظاهرة في القديم قديمة وفي المحدثات محدثة وهو ظهور الحقائق الإلهية والصور الربانية في الأعيان الثابتة الموصوفة بالأمكان التي هي مظاهر الحق فلا يعلم نسبة هذا الظهور إلى هذا المظهر إلا الله سبحانه وتعالى فالحجاب الذي حال بيننا وبين هذا العلم هو المعبر عنه بالأزار وهي كلمة كن ولا أريد به حرف الكاف والواو والنون وانما أريد به المعنى الذي به كان هذا الظهور السؤال السادس ومائة ما الرداء الجواب العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق الإمكانية والإلهية وهو المظهر الأكمل الذي لا أكمل منه الذي قال فيه أبو حامد ما في الأمكان أبدع من هذا العالم لكمال وجود الحقائق كلها فيه وهو العبد الذي ينبغي ان يسمى خليفة ونائباً وله الأثر الكامل في جميع الممكنات وله المشيئة التامة وهو أكمل المظاهر واختلف العلماء هل يصح ان يكون منه في الوجود شخصان فصاعداً أو لا يكون إلا شخص واحد فان كان شخص واحد فمن هو ذلك الشخص ومن أي قسم هو من أقسام الموجودات هل من البشر أو من الجن أو من الملائكة وانما سماه رداء لانه مشتق من الردى المقصورة وهو الهلاك لانه مستهلك من الحق استهلاكا كلياً بحيث ان لا يظهر له وجود عين مع ظهور الانفعالات الإلهية عنه فلا يجد في نفسه حقيقة ينسب بها شيأ من تلك الانفعالات إليه فيكون حقاً كله وهو قوله صلى الله عليه وسلم "واجعلني نوراً أي يظهر في كل شئ ولا أظهر بشئ وقد يستهلك الحق فيه فلا ينسب بوجوده شئ إلى الحق وهو الوجه الذي اعتمد عليه من أثبت الحق المخلوق به كأبي الحكم بن برجان وسهل بن عبد الله التستري وغيرهما وإليه أشرنا بقولنا

انا الرداء انا السر الذي ظهرت بي ظلمة الكون إذ صيرتها نورا

فالمرتدى هو الهالك بهذا الرداء فانظر من هو المرتدى فاحكم عليه بانه مستهلك فيه فتجد حقيقة ما ذكرناه فكل مرتد محجوب بردائه عن ادراك الأبصار قال تعالى "لا تدركه الأبصار" لان الرداء يحجب الأبصار عنه ولا يحجبه عنها فهو يدركها ولا تدركه فالأبصار تدرك الرداء والرداء هو الذي استهلك المرتدى فيه بظهوره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون السؤال السابع ومائة ما الكبر الجواب ما ظهر عن دعاوى الخلق في حضرة الربوبية من انا على طبقات القائلين بها الكبر حال من أحوال القلوب من حيث ما هي عالمة بمن ينبغي ان ينسب إليه الكبرياء فان الحق معلوم عند كل موجود ويتبع العلم الكبرياء فمن كان أعلم به كان كبرياء الحق في قلبه أعظم ممن ليس في قلبه ما يوجب ذلك فلو كان الكبرياء صفة للذات لكانت الذات مركبة وان كان عين الذات وتجلى سبحانه وسلب العلم به في تجليه لم يجد المتجلى له أثر كبر عنده لهذا المتجلى لجهله فان رزقة العلم به تبعه الكبر والعلم مما يوصف به العالم لا المعلوم كذلك الكبر يوصف به من يوصف بالعلم بمن يكون الكبرياء من أثره في قلب هذا الشخص ولهذا قد ورد الكبرياء ردائي فهو حجاب بين العبد وبين الحق يحجب العبد ان يعرف كنه المرتدى به وهو نفسه فأحرى ان يعرف ربه ومع هذا فلا يضاف الكبر إلا لغير لبسه فانه حالة عجيبة وكذلك العظمة فان الحق ما هي صفته لا ذاتية ولا معنوية فانه يستحيل على ذاته قيام صفات المعاني بها ويستحيل ان تكون صفة نفسية من أجل ما ورد من انكار الخلق له في تجليه مع كونه هو هو وإذا بطل الوجهان فلم يبقى إلا ان

تكون صفة للمتجلي له وهو الكون أو حالة تعقل بين المتجلى والمتجلى له لا يتصف بها المتجلى له لان العبودية تقابل الكبر وتضادها ومحال ان تقوم بنفسها بينهما فلم يبقى إلا ان تكون من أوصاف العلم فتكون نسبة كبر وتعظيم وعزة تتصف بها نسبة علم بمعلوم محقق من حيث ما يؤدى إليه ذلك المسلم من وجود هذه النسب ذوقاً وشربا كما تقول في التشبيه وضرب المثل سواد مشرق وعلم حسن فوصف السواد بالأشراق والعلم بالحسن وهو وصف من لا قيام له بنفسه بما لا قيام له بنفسه فلذلك جعلنا الكبرياء والعظمة حالة نابعة للعلم بالمعظم والمكبر في نفس من عظمه وكبره السؤال الثامن ومائة ما تاج الملك الجواب تاج الملك علامة الملك وتتويج الكتاب السلطاني خط السلطان فيه والوجود كتاب مرقوم يشهده المقربون ويجهله من ليس بمقربوتتويج هذا الكتاب انما يكون بمن جمع الحقائقكلها وهي علامة موجدة فالانسان الكامل الذي يدل بذاته من أول البديهة على ربه هو تاج الملك وليس إلا الانسان الكامل وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وهو الأول والآخر والظاهر والباطنفلم يظهر الكمال الإلهي إلا في المركب فانه يتضمن البسيط ولا يتضمن البسيط المركب فالانسان الكامل هو الأول بالقصد والآخر بالفعل والظاهر بالحرف والباطن بالمعنى وهو الجامع بين الطبع والعقل ففيه أكثف تركيب وألطف تركيب من حيث طبعه وفيه التجرد عن المواد والقوى الحاكمة على الأجساد وليس ذلك لغيره من المخلوقات سواه ولهذا خص بعلم الاسماء كلها وبجوامع الكلم و لم يعلمنا الله ان أحد سواه أعطاه هذا الانسان الكامل وليس فوق الانسان مرتبة إلا مرتبة الملك في المخلوقات وقد تلمذت الملائكة له حين علمهم الاسماء ولا يدل هذا على انه خير من الملك فلما كان مجلي الاسماء الألهية صح له ان يكون للكتاب مثل التاج لانه أشرف زينة يتزين بها الكتاب وبذلك التتويج ظهرت آثار الأوامر في الملك كذلك بالانسان الكامل ظهر الحكم الألهي في العالم يالثواب والعقاب وبه قام النظام وانحرم وفيه قضى وقدر وحكم

السؤال التاسع ومائة ما الوقار الجواب حمل أعباء التجلي قبل حصوله والفناء فيه كسكرات الموت قبل حلوله وذلك ان للتجلي مقدمات كطلوع الفجر لطلوع الشمس وكما ورد في الخبر عن مقدمات تجلي الرب للجبل بما يترل من الملائكة والقوى الروحانية في الضباب وهي أثقال التجلي التي تتقدمه من الوقر وهو الثقل وإذا حصل الثقل ضعف الأسراع والحركة فسمي ذلك السكون وقاراً أي سكون عن ثقل عارض لا عن مزاج طبيعي فان السكون الكائن عن الأمر الذي يورث الهيبة والعظمة في نفس الشخص يسمى وقاراً وسكينة والسكون الطبيعي الذي يكون في الانسان من مزاجه لغلبة البرد والرطوبة على الحرارة واليبس لا يسمى وقاراً انما الوقار نتيجة التعظيم والعظمة ولا سيما ان تقدم التجلي خطاب ألهي فصاحبه أشد وقاراً لان خطاب الحق بوساطة الروح يورث هيبة ولا سيما ان كان قولاً ثقيلاً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كصلصلة الجرس يجد منه مشقة عظيمة ويورثه سكوناً وغشياً مع الواسطة فكيف به إذا خاطبه الحق بأرتفاع الوسائط مثل موسى عليه السلام ومن كلمه الله فإذا كان هذا وأمثاله من مقدمات التجلي الألهي فكيف يكون حال الانسان بعد حصول التجلي من الوقار ألا ترى إلى ما يحصل في قلوب الناس من هيبة الصالحين المنقطعين إلى الله الذين لم تجر العادة عند العامة برؤيتهم فإذا وقع نظرهم عليهم ظهر عليهم من الوقار والسكينة والخمود برؤيتهم مالا يقدر ألا الله وهو أجلال المتجلي يقول بعضهم

كانما الطير منهم فوق أرؤسهم ... لا خوف ظلم ولكن خوف أجلال

وقال آخر

أشتاقه فإذا بدا أطرقت من أجلاله

لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله

فهذا الأطراق هو عين الوقار وقال تعالى " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا " وقال عليه السلام "فلا تأتوها وانتم تسعون " يعني الجمعة وائتوها وعليكم السكينة والوقار أي أمشوا مشي المثقلين وهذا لا يكون ألا إذا تجلى لهم في جلال الجمال السؤال العاشر والمائة وما صفة مجالس الهيبة الجواب لما كانت الهيبة تورث الوقار سأل عن صفة مجلسه أي ما صفته في قعوده بين يديه فمن صفته عدم الألتفات وأشتغال السر بالمشاهد وعصمة القلب من الخواطر والعقل من الأفكار والجوارح من الحركات وعدم التمييز بين الحس والقبيح وان تكون أذناه مصروفة إليه وعيناه مطرقتين إلى الأرض وعين بصيرته غير مطموسة وجمع الهم وتضاؤله في نفسه وأجتماع أعضائه أجتماعاً يسمع له أزيزوان لا يتأوه مع جمود العين عن الحركة وان لا تعطيه المباسطة الأدلال فان جالسه بتقييد جهة كما كلمه بتقييد جهة من حضرة مثالية كجانب الطور الأيمن في البقعة المباركة من الشجر فليكن سمعه بحيث قيده فان أطلق سمعه لأجل حقيقة أخرى تعطيه عدم التقييد وهو تعالى قد قيد نفسه به في جانب خاص فقد أساء الأدب وليس هو في مجلس هيبة ولا يكون صاحب مجلس الهيبة صاحب فناء لكنه صاحب حضوراً وأستحضار لا يرجح ولا يجرح ولا يرفع ميزاناً ولا يسمى انساناً فان الانسان مجموع أضداد ومختلفات

السؤال الحادي عشر ومائة ما صفة ملك الآلاء الجواب روحاني وذلك ان الملك لا يتصف به إلا الجماد خاصة وهو أشد الخلق طواعية سبحانه المعترف بانه ملك الله سبحانه على ان جميع ما سوى الله ملك لله ولكن الفضل في الملك ان يعلم انه ملك وان يكون معاملته مع الله معاملة مع هو ملك الله وليس ذلك إلا للمهيمين من الملائكة والجمادات وأما النبات لم يتصف بذلك كل النبات فان منه من لا يخرج إلا نكدا ولكن باقي الخلائق فيهم من قام بحق كونه ملكا ومنهم من لم يقم بذلك في كل صنف وبهذا وصفهم الحق سبحانه فقال "ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرها" فالطائع بالإمكان ان يكون صاحب كره والكاره بالإمكان ان يكون طائعاً الآلاء وأتمها بل هي النعمة المطلقة ان يرزق الخلائق طاعة الله فانهم لذلك خلقوا فملك الآلاء هو الذي ملكته النعمة لله وهو قوله عليه السلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وكل ما سوى الله متغذ فكل ما سوى الله منعم عليه فكل من تعبدته نعمة الله لله فهو ملك الآلاء والآلاء من جملة الملك فيحتاج إلى نعمة وتلك النعمة عين وجودها وبقائها في المنعمين عليهم فالنعم ملك الآلاء أيضاً فإذا كان ملك الآلاء المنعم عليهم ردته النعمة إلى الله فكان ملكهم لله بتلك النعم فهم ملك الآلاء فملك الآلاء من كان بهذه الصفة وإذا كان ملك الآلاء عبارة عن عين الآلاء فصفة هذا العين ان لا تنسب إلا إلى الله فان نسبت إلى غير الله فذلك من جهة المنعم عليه لا من جهة النعمة والمنعم عليه هو المذموم بقدر ما أضاف من الآلاء إلى غير الله لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمنالعامة لجميع ما خلق الله دنيا وآخرة وعلوا وسفلا على الجن فما قال في آية منها "فبأي آلاء ربكما تكذبان" إلا قال الجن ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فمدحهم فمدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بحسن الإستماع حين تلاها عليهم و لم يقولوا شيأ من ذلك و لم يكن سكوتهم عن جهل بان الآلاء من الله ولا ان الجن أعرف منهم بنسبة الآلاء إلى الله ولكن الجن وفت بكمال المقام الظاهر حيث قالت ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فان الموطن يقتضيه و لم تقل ذلك الصحابة من الانس حين تلاها عليهم شغلاً منهم بتحصيل علم ما ليس عندهم مما يجئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فشغلهم

ذلك الحرص على تعمير الزمان الذي يقولون فيه ما قالت الجن ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول من العلم فيستفيدون فهم أشد حرصاً على اقتناء العلم من الجن والجن أمكن في توفية الأدب بما يقتضيه هذا الموطن من الجواب من الانس فمدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فضلوا به على الانس وما مدحوا الانس بما فضلوا به على الجن من الحرص على مزيد العلم بكسوتهم عند تلاوته ولا سيما والحق يقول لهم "وإذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا" والسورة واحدة في نفسها كالكلام غير التام فهم ينصتون حتى يتمها فجمع الصحابة من الانس بين فضيلتين لم يذكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فضل الجن فيما نطقوا به فان نطقهم تصريح بالعبودية بلسان الظاهر وهم بلسان الباطن أيضاً عبيد فجمعوا بين اللسانين بهذا النطق والجواب و لم يفعل الانس من الصحابة ذلك عند التلاوة فنقصهم هذا اللسان فكان توبيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم تعليما بما تستحقه المواطن أعني مواطن الألسنة الناطقة ليتنبهوا فلا يفوتهم ذلك من الخير العملي فانهم كانوا في الخير العلمي في ذلك الوقت وحكم العمل في موطنه لا يقاومه العلم فان الحكم للموطن وحكم العلم في موطنه لا يقاومه العمل والجن غرباء في الظاهر فهم يسارعون في الظهورية ليعلموا انهم قد حصل لهم فيه قدم لكونهم مستورين فهم إلى الباطن أقرب منهم إلى الظاهر والتلاوة كانت بلسان الظاهر والانس في مرتبة الظاهر فحجبهم عن الجواب الذي أجابت به الجن كونهم أصحاب موطن الظاهر فذهلوا عن الجواب لقرينه حال موطنهم ولو وفوا به لكان أحس في حقهم فنبههم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأكمل في موطنه وهو المعلم فنعم المؤدب فمن أراد تحقيق ملك الآلاء فليتدبر سورة الرحمن من القران وينظر إلى تقديم الانس على الجن في آيتها وقوله تعالى "خلق الانسان" أيضاً فابتدأ به تقديراً ومرتبة نطقية همما به على الجن وانكان الجن موجود اقبله

يؤذن بانه وان تأخرت نشأته فهو المعتنى به في غيب ربه لانه المقصود من العالم لما خصه به من كمال الصورة في خلقه باليدين وعلمه الاسماء والإفصاح عما عمله بقوله "علمه البيان" وبعض أصحابنا يطلق ملك الآلاء على ما يحصل للعبد من مزيد الشكر على نعم الله فذلك القدر لمن حصل له يسمى ملك الآلاء فهو ملك الشاكرين فمن شكر نعم الله بلسانه حق وناب الحق مناب العبد من أسمه الشكور وهو شكره لعباده على ما كان منهم من شكرهم على ما انعم عليهم ليزيد وافي الأعمال في مقابلة شكره فيكون ما جازاهم به من ذلك على قدر علم الشاكر بالمشكور والله هو الشاكر في هذا الحال وهو العالم بنفسه فالجزاء الذي يلقي بهذا الشاكر لو جوزى هو الذي يحصل لهؤلاء الشاكرين الذين لهم هذا الحال فهذا الجزاء يسمى ملك الآلاء وهو أعظم الملك وهو قوله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" أي نعم ربها جمع آلاء وإلى ربها المضافة إليه هنا الذي يستحقها لو قبل الجزاء الذي هذه صفته فتكون تلك جزاء هؤلاء وهذا من باب ما طلبه الله من عباده فقال "اذكروني واعبدوني وأطيعوني واشكروا لي ولا تكفرون" وهذا كله جزاء من العبد في مقابلة ما انعم الله عليه به من الوجود خاصة فكيف إذا انضاف إلى ذلك ما خلق من أجله من النعم المعنوية والحسية قال تعالى "ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون" فعلل فيعبدون لكون انعم عليهم بالإيجاد لكمال مرتبة العلم والوجود من حيث من ذكر من الأجناس فاعلم ذلك لا لكمال مرتبة الوجود والمعرفة من غير هذا التقييد فان ذلك يكفي فيه خلق محدث واحد وإيجاد العلم المحدث فيه المتعلق بالله والكون ولكن لما كانت الأجناس منحصرة عند الله وأوجدها كلها وبقي هذان الجنسان أوقع الأخبار عنهما بما ذكر فشرحناه بما يعطيه الحال المقصودة لخلقهما تعالى بهما انتهى الجزء الثامن والثمانون

الجزء التاسع والثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الثاني عشر ومائة ما صفات ملك الضياء الجواب قال تعالى في القران انه ضياء وذكرى للمتقين فكلما أضاء بالقران فهو ملك الضياء وكذلك جعل الشمس ضياء فكلما أضاء بالشمس في الدنيا ويوجد به عينه فهو من ملك الضياء وكل نور أعطى ضياء فهو من ملك الضياء مما لا يقابله معطى الضياء بنفسه أي نوع كان من الانوار فضياؤه هو الضوء الذي لا يكون معه الحجاب عما يكشفه والنور حجابقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الحق تعالى حجابه النور وقال نوراني أراه والضياء ليس بحجاب فالضياء أثر النور وهو الظل فان النور صيره الحجاب ضياء فهو بالنسبة إلى الحجاب ظل وإلى النور ضياء فله الكشف من كونه ضياء وله الراحة من كونه ظلا فملك الضياء ملك الكشف فهو ملك العلم وملك الراحة فهو ملك الرحمة فجمع الضياء بين الرحمة والعلم قال تعالى في منته على عبده خضر "آتيناه رحمة من عندنا" وهو الظل "وعلمناه من لدنا علما" وهو الضياء أي الكشف الضيائي وهو أتم الكشوف وانما قلنا النور حجاب لقوله عليه الصلاة والسلام نوراني أراه أي النور لا يتمكن ان تدركه الأبصار لانها تضعف عنه فهو حجاب عن نفسه بنفسه والضياء ليس كذلك فالضياء روح النور والضياء للنور ذاتي فملك الضياء ملك ذاتي وضوء الذات الاسماء الإلهية فملك الضياء ملك الاسماء والقران ضياء فملكه ما أظهره القران فعلم الخضر في زمان موسى عليه السلام جزء من جزاء ما يحويه صاحب القران المحمدي من العلوم فبالقران يكشف جميع ما في الكتب المترلة من العلوم وفيه ما ليس فيها فمن أوتي القران فقد أوتي الضياء الكامل الذي يتضمن كل علم قال تعالى "ما فرطنا في الكتاب من شئ وهو القران العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" وبه صح لمحمد صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فعلوم الانبياء والملائكة وكل لسان علم فان القران يتضمنه ويوضحه لأهل القران بما هو ضياء فهو نور من حيث ذاته لانه لا يدرك لعزته وهو ضياء لما يدرك ولما يدرك منه فمن أعطى القران فقد أعطى العلم الكامل فما ثم في الخلق أتم من المحمديين وهم خير أمة أخرجت للناس ثم جعل الشمس ضياء لوجود روح الحياة في العالم كله وبالحياة رحم العالم فالحياة فلك الرحمة التي وسعت كل شئ وكذلك نسبة الحياة إلى الذات الإلهية شرط في صحة كل نسبة نسبت إلى الله من علم وإرادة وقدرة وكلام وسمع وبصر وإدراك فلو رفعت نسبة الحياة إليه ارتفعت هذه النسب كلها فهي الرحمة الذاتية التي وسعت جميع الاسماء فهي ضياء النور الذاتي وظل الحجاب النسبي لانه لا يعقل إلاله إلا بهذه النسب وتعقل الذات نور الأمن من حيث هذه النسب فكونه إلهاً حجاب على الذات فكانت الإلهية عين الضياء فهي عين الكشف والعلم وكانت عين الظل النسبية فكانت عين الرحمة فجمعت الإلهية بين العلم والرحمة في حق الكون وهو المألوه وفي حق الاسماء الإلهية فما أعطاه هذا المقام الإلهي فهو ملك الضياء وهو أرفع من ملك السموات والأرض وما بينهما ولكن أكثر الناس لا يعلمون بل لا يؤمنون وقد نبهتك على ما فيه غنية وشفاء في ملك الضياء

فالكلفي ملك الضيا	ء وليس عندهم خبر
والكل في عين الظلا	ل وهو المسمى بالقر

فالحمد لله الذي قد حزته بين البشر
في عصرنا هذا فهل في وقتنا من مدكر
يعرف ما قد قلته كما أتانا في الزبر
هذا هو العلم الذي يقضي على علم الخضر
هل كان إلا خرقه سفينة ذات دسر
وقتل نفس رحمة لو ان يحيى كفر
وستره كنز الذي كان يتيماً يحتقر
وعلمنا بالله لا بعين كون عن نظر
فأين ذا من ذاك يا أهل القلوب و البصر
هذا هو العلم الذي يقال سحر مستمر
ودونه الشمس التي تكسف فيه و القمر
في مقعد من صدقه عند مليك مقتدر
متكئ على سرر وسط جنان في نهر

السؤال الثالث عشر ومائة ما صفات ملك القدس الجواب قالت الملائكة ونقدس لك تعنى ذواتنا أي من أجلك لنكون من أهل ملك القدس فالمتطهرون من البشر من أهل الله من ملك القدس وأهل البيت من ملك القدس والأرواح العلا كلها من غير تخصيص من ملك القدس فتختلف صفات ملك القدس باختلاف ما تقبله ذواتهم من التقيس ولما نعت الله أسم الملك بالاسم القدوس والملك يطلب الملك فيضاف الملك إلى القدوس كما يضاف إلى الآلاء وغيرها وذوات ملك القدس على نوعين في التقديس فمنهم ذوات مقدسة لذاتها وهي كل ذات كونية لم تلتفت قط إلى غير الاسم الإلهي الذي عنه تكونت فلم يطرأ عليها حجاب يحجبها عن إلهها فتتصف لذلك الحجاب بانها غير مقدسة أي لا تضاف إلى القدس فتخرج عن ملك القدسوهم الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون أي يترهون ذواتهم عن التقديس العرضي بالشهود الدائم وهذا مقام ما ناله أحد من البشر إلا من استصحب حقيقته من حين خلقت شهود الاسم الإلهي الذي عنه تكونت وبقي عليها هذا الشهود حين أوجد الله لها مركبها الطبيعي الذي هو الجسم ثم استمر لها ذلك إلى حين الانتقال إلى البرزخ من غير موت معنوي وان مات حسا وهذا والله أعلم ناله محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين" يريد ان العلم بنبوته حصل له وآدم بين الماء والطين واستصحبه ذلك إلى ان وجد جسمه في بلد لم يكن فيه موحد لله و لم يزل على التوحيد الله لم يشرك كما أشرك أهله وقومه ثم انه لما استقامت آلاته الحسية وتمكن من العمل بها بحسب ما وجدت له واستحكم بنيان قصر عقله وخزانة فكره واعتدلت مظاهر قواه الباطنة لم يصرفها إلا في عبادة خالقة فكان يخلو بغار حرا للتحنيث فيه إلى ان أرسله الله إلى الناس كافة فكان يذكر الله على كل أحيانه كما ذكرت عنه عائشة أم

المؤمنين رضى الله عنها وقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسهوهو الصادق انه تنام عينه ولا ينام قلبه فاخبر عن قلبه انه لا ينام عند نوم عينه عن حسه فكذلك موته انما مات حسا كما نام حسا فان الله يقول له انك ميت وكما انه لم ينم قلبه لم يمت قلبه فاستصحبته الحياة من حين خلقه الله وحياته انما هي مشاهدة خالقة دائماً لا تنقطع وقد أخبر ذو النون المصري حين سؤل عن قوله تعالى في أخذ الميثاق فقال كانه الان في أذني يشير إلى علمه بتلك الحال فان كان عن تذكرة فلم يلحق بالملائكة في هذا المقام وان لم يكن عن تذكر بل استصحاب حال من حين أشهد إلى حين سئل فيكون ممن خصه الله بهذا المقام فلا انفيه ولا أثبته وما عندي خبر من جانب الحق تعالى في ذلك مروى ولا غير مروى انه ناله أحد من البشر وانما ذكرنا ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعنى انه ناله على طريق الإحتمال لا على القطع فانه لا علم لي بذلك والظاهر انه تخلله في هذا المقام ما يتخلل البشر فانه كثير ما أوحى إليه في القران ان يقول "قل انما انا بشر مثلكم" فاستروحنا من هذا ان حكمه حكم البشر إلا ما خصه الله به من التقرب الإلهي الذي ورد وثبت عندنا وقد ثبت عنه انه قال انما انا بشر أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر والرضى والغضب من صفات النفس الحيوانية في البشر لا من صفات النفس الناطقة وان اتصفت النفوس الناطقة بالرضى والغضب فما هو على حد ما أراده بقوله أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر وانما قلنا بأضافة ذلك إلى النفوس الحيوانية كما نشاهده من الحيوانات من ذلك وقد ثبت النهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم وجميع الحيوان كله من صفته المباشرة التي بحقيقتها سمى الانسان بشرا وبهذا القدر تبين فضل الملك على الانسان في العبادة لكونه لا يفتر لان حقيقة نشأته تعطيه انه لا يفتر فتقديسه ذاتي لان تسبيحه لا يكون إلا عن حضور مع المسبح وليس تسبيحهاإلا لمن أوجده فهو مقدس الذات عن الغفلات فلم تشغله نشأته الطبيعية النورية عن تسبيح خالقه على الدوام مع كونهم من حيث نشأتهم يختصمون كما ان البشر من حيث نشأته تنام عينه ولا ينام قلبه و لم يعطى البشر قوة الملك في ذلك لان الطبيعة يختلف مزاجها في الأشخاص وهذا مشهود بالضرورة في عالم العناصر فكيف بمن هو في نسبته إلى الطبيعة أقرب من نسبة العناصر إليها وعلى قدر ما يكون بين الطبيعة المجردة وبين ما يتولد عنها من

وسائط المولدات يكثف الحجاب وتترادف الظلم فأين نسبة آخر موجود من الاناسي من ربه من حيث خلق جسد آدم بيديه من نسبة آدم إلى ربه من حيث خلقه بيديه فآدم يقول خلقني ربي بيديه وابنه شيث يقول بيني وبين يدي ربي أبي وهكذا الموجودات الطبيعية مع الطبيعة من ملك وفلك وعنصر وجماد ونبات وحيوان وانسان وملك مخلوق من نفس انسان وهذا الملك آخر موجود طبيعي ولا يعرف ذلك من أصحابنا ألا القليل فكيف من ليس من أهل الايمان والكشف وأما القسم الذي تقديسه لا من ذاته فهي كل ذات يتخلل شهودها خالقها غفلات فالأحيان التي تكون فيها حاضرة مع خالقها هي من ملك القدس وسنبين ما ذكرناه في سؤاله ما القدس إذا أجبنا عنه بعد هذا ان شاء الله فمن صفات ملك القدس التباعد عن الطبيعة بالأصل والتباعد عن مشاهدة آثار الاسماء الألهية بمشاهدة الاسماء الألاهية لا من كونها مؤثرة بل بما تستحقه الألوهية والذات فإذا كان القدس عين الملك وأضيف إلى عينه لاختلاف اللفظ وأختلاف معنى الملك والقدس فانه يدل على المبالغة في الطهارة والمبالغة في الطهر هي نسبة في الطهر ما هي عين الطهر لوجود الطهر دونها وما هي غير الطهر فان المبالغة ليست سوى أستقصاء هذه الصفة فيكون ملك القدس أستقصاء وهو المبالغة فيه فيكون سؤاله عن صفاته الذاتية فان لهذه المراتب نشآت في المعاني كالنشآت الطبيعية وقد علمت ان النشء الطبيعي كما أخبر الله مخلقة وغير مخلقة أي تامة الخلق وغير تامة الخلق والغير التامة الخلق داخل في قوله " أعطى كل شيء خلقه " فأعطى النقص

خلقه ان يكون نقصاً فالزيادة على النقص الذي هو عينه لو كانت لكانت نقصاً فيه و لم يعط النقص خلقه فتمام النقص ان يكون نقصاً

السؤال الرابع عشر ومائة ما القدس الجواب الطهارة وهي ذاتية وعرضية فالذاتية كتقديس الحضرة الألهية التي أعطيها الاسم القدوس فهي القدس عن ان تقبل التأثر فيها من ذاتها فان قبول الأثر تغيير في القابل وان كان التغيير عبارة عن زوال عين بعين أما في محل أو مكان فيوصف المحل أو المكان بالتغيير ومعنى ذلك انه كان هذا المحل مثلاً أصفر فصار أخضر أو كان ساكناً فصار متحر كافتغير المحل أي قبل الغير فالقدس والقدوس لا يقبل التغيير جملة واحدة وأما القدس العرضي فيقبل الغير وهو النقيض وما تفاوت الناس ألا في القدس العرضي فمن ذلك تقديس النفوس بالرياضيات وهي تهذيب الأخلاق وتقديس المزاج بالمجاهدات وتقديس العقول بالمكاشفات والمطالعات وتقديس الجوارح بالوقوف عند الأوامر والنواهي المشروعات ونقيض هذا القدس ما يضاده مما لا يجتمع معه في محل واحد في زمان واحد فهذا هو القدس الذي ذكرنا ملكه فالقدس العارض لا يكون ألا في المركبات فإذا أتصف المركب بالقدس فذلك المسمى حظيرة القدس أي المانعة قبول ما يناقص كونها قد ساومهما لم تمنع فلا تكون حظيرة قدس فان الحظر المنع "وما كان عطاء ربك محظورا " أي ممنوعاً فالقدس حقيقة ألهية سيالة سارية في المقدسين لا يدرك لنورها لون مخصوص معين ولا عين تسري في حقائق الكون ليس لعالم الأرواح المنفصلين عن الظلمة عليها أثر وذلك ان الأرواح المدبرة للأجسام العنصرية لا يمكن ان تدخل أبداً حظيرة القدس ولكن العارف الكامل يشهدها حظيرة قدس فيقول العارف عند ذلك ان هذه الأرواح لا تدخل حظيرة القدس أبداً لان الشيء يستحيل ان يدخل في نفسه فهي عنده حظيرة قدس وغير العارف يشارك في هذا الأطلاق فيقول انها لا تدخل حظيرة القدس أي لا تتصف بالقدس أبداً فان ظلمة الطبع لا تزال تصحب الأرواح المدبرة في الدنيا والبرزخ والآخرة فأختلفا في المشهد وكل قال حقاً وأشار إلى معنى وما تواردوا على معنى واحد ولهذا لا يتصور الخلاف الحقيقي في هذا الطريق فإذا كان ملك القدس كل من أتصف بالطهارة الذاتية والعرضية والقدوس أسم ألهي منه سرت الطهارة في الطاهرات كلها فمن نظر الأشياء كلها بعين أرتباطها بالحقائق الألهية كان ملك القدس جميع ما سوى الله من هذه الحيثية ومن نظر الأشياء من حيث أعيانها فليس ملك القدس منها ألامن كان طهوره عرضياً وأما الطهور الذاتي فلا ينبغي ان يكون ملك القدس ألا ان يكون ملك القدس عين القدس فحينئذ يصح ان يقال فيه ملك القدس وطهور كل مطهر بحسب ما تقضيه ذاته من الطهارة فطهارة حسية وطهارة معنوية فملك القدس منه ما هو من عالم المعاني ومنه ما هو من عالم الحس وقد تورث الأسباب الحسية المطهرة طهارة معنوية وقد تورث لأسباب المعنوية المطهرة طهارة حسية فأما الأول فقوله تعالى "ويترل عليكم من السماء ماء ليطهركم به" ويذهب بكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام وسبب هذه الطهارة المعنوية كلها انما هو نزول هذا الماء من السماء وأما الثاني فقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة حين كان جنبا فانتزع أبو هريرة يده من يد النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما له لكونه غير طاهر لجنابة أصابته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن لا ينجس فعرق المؤمن وسؤره طاهر فهذه طهارة حسية عن طهر معنوي وكذلك المقدس طهارته الحسية عن طهر معنوي فان له التواضع وهو مسيل الحياة والعلم والحياة مطهرة والعلم كذلك فبالمجموع نال الطهارة فان الأودية كلها طاهرة وانما تنجس بالعرض وكل واد به شيطان فأرتفع عنه وصلى في موضع آخر ووادي عرنة بعرفة موقف أبليس وكذلك بطن محسر فلهذا أمرنا بالأرتفاع يوم عرفة عن بطن عرنة وأمرنا بالأسراع في بطن محسر ولهذا يعتبر الأولياء أهل الكشف ألفاظ الذكر كان شيخنا يقول الله الله فقلت له لم لا تقول لا أله ألا الله فقال أخاف ان أموت في وحشة

النفي أذ كان كل حرف نفس فهذا مثل الأسراع في بطن محسر لئلا يدركه الموت في مكان غير طاهر ولأولياء الله في هذا الكشف التام نظر دقيق جعلنا الله من أهله

السؤال الخامس عشر ومائة ما سبحات الوجه الجواب وجه الشيء ذاته وحقيقته فهي انوار ذاتية بيننا وبينها حجب الاسماء الألهية ولهذا قال كل شيء هالك ألا وجهه " في أحد تأويلات هذا الوجه وهذه السبحات في العموم باللسان الشامل انوار التتريه وهو سلب ما لا يليق به عنه وهي أحكام عدمية فان العدم على الحقيقة هو الذي لا يليق بالذات وهنا الحيرة فانه عين الوجوه فإذا لا يتره عن أمر وجودي ولهذا كانت الاسماء الألهية نسباً ان تفطنت أحدثت هذه النسب أعيان الممكنات لما أكتسبت من الحالات من هذه الذات فكل حال تلفظ باسم يدل عليه من حيث نفسه أما بسلب أو أثبات أو بهما وهي هذه الاسماء على قسمين قسم كله انوار وهي الاسماء التي تدل على أمور وجودية وقسم كله ظلم وهي الاسماء التي تدل على التتريه فقال ان لله سبعين حجاباً أو سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فانه لو رفع الاسماء الألهية أرتفعت هذه الحجب ولو أرتفعت الحجب التي هي هذه الاسماء ظهرت أحدية الذات ولا يقف لأحديتها عين تتصف بالوجود فكانت تذهب وجود أعيان الممكنات فلا توصف بالوجود لانها لا تقبل الأتصاف بالوجود ألا بهذه الاسماء ولا تقبل الأتصاف بهذه الأحكام كلها عقلاً ولا شرعاً ألا بهذه الاسماء فالممكنات من خلف هذه الحجب مما يلي حضرة الأمكان فهو تجل ذاتي أورثها الأتصاف بالوجود من خلف حجاب الاسماء الألهية فلم يتعلق لأعيان الممكنات علم بالله ألا من حيث هذه الاسماء عقلاً وكشفاً

السؤال السادس عشر ومائة ما شراب الحب الجواب تجلي متوسط بين تجليين وهو التجلي الدائم الذي لا ينقطع وهو أعلى مقام يتجلى الحق فيه لعباده العارفين وأوله تجلى الذوق وأما التجلي الذي يقع به الري فهو لأصحاب الضيق فغاية شربهم ري وأما أهل السعة فلا ري لشربهم كأبي يزيد وأمثاله فأول ما أقدم في هذا السؤال معرفة الحب وحينئذ يعرف شرابه الذي أضيف إليه وكأسه فاعلم ان الحب على ثلاثة مراتب حب طبيعي وهو حب العوام وغايته الأتحاد في الروح الحيواني فتكون روح كل واحد منهما روحاً لصاحبه بطريق الالتذاذ وإثارة الشهوة ونهايته من الفعل النكاح فان شهوة الحب تسري في جميع المزاج سريان الماء في الصوفة بل سريان اللون في المتلون وحب روحاني نفسي وغايته التشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره وحب إلهي وهو حب الله للعبد وحب العبد ربه كما قال "يحبهم ويحبونه" ونهايته من الطرفين ان يشاهد العبد كونه مظهراً للحق وهو لذلك الحق الظاهر كالروح للجسم باطنه غيب فيه لا يدرك أبدا ولا يشهده إلا محب وان يكون الحق مظهراً للعبد فيتصف بما يتصف به العبد من الحدود والمقادير والأعراض ويشاهد هذا العبد وحينئذ يكون محبوباً للحق وإذا كان الأمر كما قلناه فلا حد للحب يعرف به ذاتي ولكن يحد بالحدود الرسمية واللفظية لا غير فمن حد الحب ما عرفه ومن لم يذقه شربا ما عرفه ومن قال رويت منه ما عرفه فالحب شرب بلا ري قال بعض المحجوبين شربت شربة فلم أظمأ بعدها أبدا فقال أبو يزيد الرجل من يحسى البحار ولسانه خارج على صدره من العطش وهذا هو الذي أشرنا إليه واعلم انه قد يكون الحب طبيعياً إلا إذا كان المحب من عالم الطبيعة لا بد من ذلك وذلك ان الحب الطبيعي سببه نظرة أو سماع فيحدث في خيال الناظر مما رآه ان كان المحبوب ممن يدرك البصر وفي خيال السامع مما سمع فحمله في نشأته فصوره في خياله بالقوة المصورة وقد يكون المحبوب ذا صورة طبيعية مطابقة لما تصور في الخيال أو دون ذلك أو فوق ذلك وقد لا يكون للمحبوب صورة ولا يجوز ان يقبل الصور فصور هذا المحب من السماع ما لا يمكن ان يتصور و لم يكن مقصود الطبيعة في تصوير ما لا يقبل الصورة إلا اجتماعها على أمر محصور ينضبط لها مخافة التبديد والتعلق بما ليس في اليد منه شئ

فهذا هو الداعي لما ذكرناه من تصوير من ليس بصورة أو من تصوير من لم يشهد له صورة وان كان ذا صورة وفعل الحب في هذه الصورة ان يعظم شخصها حتى يضيق محل الخيال عنها فيما يخيل إليه فتثمر تلك العظمة والكبر التي في تلك الصورة نحولاً في بدن المحب فلهذا تنحل أجساد المحبين فان مواد الغذاء تنصرف إليها فتعظم وتقل عن البدن فينحل فان حرقة الشوق تحرقه فلا بد للبدن ما يتغذى به وفي ذلك الأحتراق نمو صورة المحبوب في الخيال فان ذلك أكلها ثم ان القوة المصورة تكسو تلك الصورة في الخيال حسناً فائقاً وجمالاً رائقاً يتغير لذلك الحسن صورة المحب الظاهر فيصفر لونه وتذبل شفته وتغور عينه ثم ان تلك القوة تكسو تلك الصورة قوة عظيمة تأخذها من قوة بدن المحب فيصبح المحب ضعيف القوى ترعد فرائصه ثم ان قوة الحب في المحب تجعله يحب لقاء محبوبه ويجبن عند لقائه لانه لا يرى في نفسه قوة للقائه ولهذا يغشى على المحب إذا لقي المحبوب ويصعق ومن فيه فضله وحبه ناقص يعتريه عند لقاء محبوبه ارتعاد وخبلان كما قال بعضهم

أفكر ما أقول إذا افترقنا	وأحكم دائباً حجج المقال
فانساها إذا نحن التقينا	وانطق حين انطق بالمحال

ثم ان قوة الحب الطبيعي تشجع المحب بين يدي محبوبه له لا عليه فالمحب جبان شجاع مقدام فلا يزال هذا حاله ما دامت تلك الصورة موجودة في خياله إلى ان يموت وينحل نظامه أو تزول عن خياله فيسلو ومن الحب الطبيعي ان تلتبس تلك الصورة في خياله فتلتصق بصورة نفسه المتخيلة له وإذا تقاربت الصورتان في خياله تقارباً مفرطاً وتلتصق به لصوق الهواء بالناظر يطلبه المحب في خياله فلا يتصوره ويضيع ولا ينضبط له للقرب الفرط فيأخذه لذلك خبال وحيرة مثل ما يأخذ من فقد محبوبهوهذا هو الأشتياق والشوق من البعد والأشتياق من القرب المفرط كان قيس ليلى في هذا المقام حيث كان يصيح ليلى ليلى في كل ما يكلم به فانه كان يتخيل انه فقيد لها و لم يكن وانما قرب الصورة المتخيلة أفرطت في القرب فلم يشاهدها فكان يطلبها طلب الفاقد ألا تراه حين جاءته من خارج فلم تطابق صورتها الظاهرة الصورة الباطنة المتخيلة التي مسكها في خياله منها فرآها كانها مزاحمة لتلك الصورة فخاف فقدها فقال لها إليك عني فان حبك شغلني عنك يريد ان تلك الصورة هي عين الحب فبقي يطلبها ليلى ليلى فإذا تقوت تلك الصورة في خيال المحب أثرت في المحبوب تأثير الخيال في الحس مثل الذي يتوهم السقوط فيسقط أو يتوهم أمر أما مفزعاً فيتغير له المزاج فتتغير صورة حسه كذلك هذه الصورة إذا تقوت أثرت في المحبوب فقيدته وصيرته أشد طلباً لها منها له فان النفوس قد جبلت على حب الرياسة والمحب عبد مملوك بحبه لهذا المحبوب فالمحبوب لا يكون له رياسة ألا بوحود هذا المب فيعشقه على قدر عشقه رياسته وانما يتيه عليه للطمانينة الحاصلة في نفس المحبوب بان المحب لا يصبر عنه وهو طالب إياه فتأخذه العزة ظاهر أو هو الطالب له باطناً ولا يرى في الوجود أحد أمثله لكونه ملكه فالمحب لايعلل فعل المحبوب لان التعليل من صفات العقل ولا عقل للمحب يقول بعضهم ولا خير في حب يدبر بالعقل وانشدني أبو العباس المقراني وكان من المحبين لنفسه الحب أملك للنفوس من العقل والمحبوب يعلل أفعال المحب بأحسن التعليل لانه ملكه فيريد ان يظهر شرفه وعلوه حتى يعلو المحبوب أذ هو المالك وهو يحب الثناء على نفسه وهذا كله فعل الحب فعل في المحبوب ما ذكرناه وفعل في المحب ما ذكرناه وهذا من أعجب الأشياء ان المعنى أوجب حكمه لمن لم يقم به وهو المحبوب فانه أثر فيه حب المحب كما أثر في المحب كمسئلة المعتزلي ان الله مريد بأرادة لم تقم بمحل بل خلقها أما في محل أو في لا

محل وأراد بها وهذا خلاف المعقول إيجاب المعاني أحكامها لمن لم تقم به وكذلك الحب لا يجتمع مع العقل في محل واحد فلا بد ان يكون حكم الحب يناقص حب العقل فالعقل للنطق والتهيام للخرس ثم انه من شان الحب الطبيعي ان تكون الصورة التي حصلت في خيال المحب على مقدار المحل الحاصلة فيه بحيث لا يفضل عنها منه مل يقبل به شيأ أصلاً وان لم يكن كذلك فما هي صورة الحب وبهذا تخالف صورة الحب سائر الصور كما كانت صورة العالم على قدر الحضرة الألهية الاسمائية فما في الحضرة الألهية أسم ألهي ألا وهو على قدر أثره في نشء العالم من غير زيادة ولا نقصان ولهذا كان أيجاد العالم عن حب وقد ورد ما يؤيد هذا في السنة وهو قوله كنت كنزاً لم أعرف فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني فأخبر ان الحب كان سبب إيجاد العالم فطابق الاسماء الألهية ولولا تعشق النفس بالجسم ما تألم عند مفارقته مع كونه ضدا له فجمع بين المقادير والأحوال لوجود النسب والأشكال فالنسب أصل في وجود الانساب وان كانت الأرواح تخالف الأشباح والمعاني تخالف الكلمات والحروف ولكن تدل الكلمة على المعنى بحكم المطابقة بحيث لو تجسد المعنى لما زاد على كمية الكلمة ومثل هذا النوع يسمى حباً وأما الحب الروحاني فخارج عن هذا الحد وبعيد عن المقدار والشكل وذلك ان القوى الروحانية لها التفات نسبي فمتى عمت النسب في الألتفاتات بين المحب والمحبوب عن نظر أو سماع أو علم كان ذلك الحب فان نقص ولم تستوف النسب لم يكن حباً ومعنى النسب ان الأرواح التي من شانها ان تهب وتعطي متوجهة على الأرواح التي من شانها ان تأخذ وتمسك وتلك تتألم بعدم القبول وهذه تتألم بعدم الفيض وان كان لا ينعدم ألا ان كونه لم تكمل شروط الأستعداد والزمان سمى ذلك الروح القابل عدم فيض وليس بصحيح فكل واحد من الروحين مستفرغ الطاقة في حب الآخر فمثل هذا الحب إذا تمكن من الحبيبين لم يشك المحب فرقة محبوبه لانه ليس من عالم الأجسام ولا الأجساد فتقع المفارقة بين الشخصين أو يؤثر فيه القرب المفرط كما فعل في الحب الطبيعي فالمعاني لا تتقيد ولا تتحيز ولا يتخيلها ألا ناقص الفطرة فانه يصور ماليس بصورة وهذا هو حب العارفين الذين يمتازون به عن العوام أصحاب الأتحاد فهذا محب أشبه محبوبه في الأفتقار لا في الحال والمقدار ولهذا يعرف المحب قدر المحبوب من حيث ما هو محبوب وأما الحب الألهي فمن أسمه الجميل والنور فيتقدم النور إلى أعيان الممكنات فينفر عنها ظلمة نظرها إلى نفسها وأمكانها فيحدث لها بصراً هو بصره أذ لا يرى ألا به فيتجلى لتلك العين بالاسم الجميل فتتعشق به فيصير عين ذلك الممكن مظهراً له فيبطن العين من الممكن فيه وتفنى عن نفسها فلا تعرف انها محبة له سبحانه أو تفني عنه بنفسها مع كونها على هذه الحالة فلا تعرف انها مظهر له سبحانه وتجد من نفسها انها تحب نفسها فان كل شيء مجبول على حب نفسه وما ثم ظاهر ألا هو في عين الممكن فما أحب الله ألا الله والعبد لا يتصف بالحب أذ لا حكم له فيه فانه ما أحبه منه سواه الظاهر فيه وهو الظاهر فلا تعرف أيضاً انها محبة له فتطلبه وتحب ان تحبه من حيث انها ناظرة إلى نفسها بعينه فنفس حبها ان تحبه هو بعينه حبها له ولهذا يوصف هذا النور بانه له أشعة أي انه شعشعاني لأمتداده من الحق إلى عين الممكن ليكون مظهراً له بنصب الهاء لأ أسم فاعل فإذا جمع من هذه صفته بين المتضادات في وصفه فذلك هو صاحب الحب الألهي فانه يؤدي إلى الحاقه بالعدم عند نفسه كما هو في نفس الأمر فعلامة الحب الألهي حب جميع الكائنات في كل حضرة معنوية أو حسية أو خيالية أو متخيلة ولكل حضرة عين من أسمه النور تنظر بها إلى أسمه الجميل فيكسوها ذلك النور حلة وجود فكل محب ما أحب سوى نفسه ولهذا وصف الحق نفسه بانه يحب المظاهر والمظاهر عدم في عين وتعلق المحبة بما ظهر وهو الظاهر فيها فتلك النسبة بين الظاهر والمظاهر هي الحب ومتعلق الحب انما هو العدم فمتعلقها هنا الدوام والدوام ما وقع فانه لا نهاية له ومالا نهاية له لا يتصف بالوقوع ولما كان الحب من صفات الحق حيث قال يحبهم ومن صفات الخلق حيث قال ويحبونه أتصف

الحب بالعزة لنسبته إلى الحق ووصف الحق به وسرى في الخلق بتلك النسبة العزية فأورثت في المحل ذلة من الطرفين فلهذا ترى المحب يذل تحت عز الحب لا عز المحبوب فان المحبوب قد يكون مملو كاللمحب مقهوراً تحت سلطانه ومع هذا تجده يذل له المحب فعلمنا ان تلك عزة الحب لا عزة المحبوب قال أمير المؤمنين هرون الرشيد في محبوباته

ملك الثلاث الانسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني

مإذاك ألا ان سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطاني

فأضاف القوة إلى الهوى بقوله سلطان الهوى يقول الله في غيرما موضع من كتابه متلطفاً بعباده " يا عبادي أشتقت إليكم وانا إليكم أشد شوقاً " ويخاطبهم بتزول من لطف خفي وهذا الخطاب كله لا يتمكن ان يكون منه ألا من كونه محباً ومثل ذلك يصدر من المحبين له تعالى فالمحب في حكم الحب لا في حكم المحبوب ومن هي صفته عينه فعينه تحكم عليه لا أمر زائد فلا نقص غير ان أثره في المخلوقين التلاشي عند أستحكامه لانه يقبل التلاشي فلهذا يتنوع العالم في الصور فيكون في صورة فإذا أفرط فيها الحب من حيث لا يعلم وحصل التجلي من حيث لا يظهر تلاشت الصورة وظهرت في العين صورة أخرى وهي أيضاً مثل الأولى في الحكم راجعة إليه ولا يزال الأمر كذلك دائماً لا ينقطع ومن هنا غلط من يقول ان العالم لا بدله من التلاشي ومن نهاية علم الله في العالم حيث وصف نفسه بالأحاطة في علمه بهم ثم انه من كرمه سبحانه ان جعل هذه الحقيقة سارية في كل عين ممكن متصف بالوجود وقرن معها اللذة التي لا لذة فوقها فأحب العالم بعضه بعضاً حب تقييد من حقيقة حب مطلق فقيل فلان أحب فلاناً وفلان أحب أمراً ما وليس ألا ظهور حق في عين ما أحب ظهور حق في عين أخرى كان ما كان فمحب الله لا ينكر على محب حب من أحب فانه لا يرى محباً ألا الله في مظهر ما ومن ليس له هذا الحب الألهي فهو ينكر على من يحب ثم انه دقيقة من كون من قال انه يستحيل ان يحب أحد الله تعالى فان الحق لا يمكن ان يضاف إليه ولا إلى ما يكون منه نسبة عدم أصلاً والحب متعلقه العدم فلا حب يتعلق بالله من مخلوق لكن حب الله يتعلق بالمخلوق لان المخلوق معدوم فالمخلوق محبوب لله أبداً دائماً وما دام الحب لا يتصور معه وجود المخلوق فالمخلوق لا يوجد أبداً فأعطت هذه الحقيقة ان يكون المخلوق مظهراً للحق لا ظاهر أفمن أحب شخصاً بالحب الألهي فعلى هذا الحد يكون حبه إياه فلا يتقيد بالخيال ولا بجمال ما فانها كلها موجودة له فلا يتعلق الحب بها فقد بان الفرقان بين المراتب الثلاثة في الحب وأعلم ان الخيال حق كله والتخيل منه حق ومنه باطل السؤال السابع عشر ومائة ما كأس الحب الجواب القلب من المحب لا عقله ولا حسه فان القلب يتقلب من حال إلى حال كما ان الله الذي هو المحبوب كل يوم هو في شان فيتنوع المحب في تعلق حبه بتنوع المحبوب في أفعاله كالكأس الزجاجي الأبيض الصافي يتنوع بحسب تنوع المائع الحال فيه فلون المحب لون محبوبه وليس هذا ألا للقلب فان العقل من عالم التقييد ولهذا سمى عقلى من العقال والحس فمعلوم بالضرورة انه من عالم القييد بخلاف القلب وذلك ان الحب له أحكام كثيرة مختلفة متضادة فلا يقبلها إلا من في قوته الانقلاب معه فيها وذلك لا يكون إلا القلب وإذا أضفت مثل هذا إلى الحق فهو قوله "أجيب دعوة الداعي إذا دعاني" وان الله لا يمل حتى تملوا ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي والشرع كله أو أكثره في هذا الباب وشرابه عين الحاصل في الكأس وقد بينا ان الكاس هو عين المظهر والشراب عين الظاهر فيه والشرب ما يحصل من المتجلي للمتجلى له فاعلم ذلك على الإختصار انتهى الجزء التاسع والثمانون

الجزء التسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الثامن عشر ومائة من أين الجواب من تجليه في أسمه الجميل قال صلى الله عليه وسلم "ان الله جميل يحب الجمال" وهو حديث ثابت فوصف نفسه بانه يحب الجمال وهو يحب العالم فلا شئ أجمل من العالم وهو جميل والجمال محبوب لذاته فالعالم كله محب لله وجمال صنعه سار في خلقه والعالم مظاهرة فحب العالم بعضه بعضا هب من حب الله نفسه فان الحب صفة الموجود وما في الوجود إلا الله والجلال والجمال لله وصف ذاتي في نفسه وفي صنعه والهيبة التي هي من أثر الجمال والانس الذي هو من أثر الجلال نعتان للمخلوق لا للخالق ولا لما يوصف به ولا يهاب ولا يانس إلا موجود ولا موجود إلا الله فالأثر عين الصفة والصفة ليست مغايرة للموصوف في حال اتصافه بها بل هي عين الموصوف وان عقلت ثانياً فلا محب ولا محبوب إلا الله عز وجل فما في الوجود إلا الحضرة الإلهية وهي ذاته وصفاته وأفعاله كما تقول كلام الله علمه وعلمه ذاته فانه يستحيل عليه ان يقوم بذاته أمر زائد أو عين زائدة ما هي ذاته تعطيها حكماً لا يصح لها ذلك الحكم دونها مما يكون كما لا لها في ألوهيتها بل لا تصح الألوهة إلا بها وهو كونه عالماً بكل شئ ذكر ذلك عن نفسه بطريق المدحة لذاته ودل عليه الدليل العقلي ومن المحال ان تكمل ذاته بغير ما هي ذاته فتكون مكتسبة الشرف بغيرها ومن علمه بذاته علم العلماء بالله من الله ما لا تعلمه العقول من حيث أفكارها الصحيحة الدلالة وهذا العلم ما تقول فيه الطبعة انه وراء طور العقل قال تعالى في عبده خضر "وعلمناه من لدنا علما" وقال تعالى "علمه البيان" فأضاف التعليم إليه لا إلى الفكر فعلمنا ان ثم مقام آخر فوق الفكر يعطي العبد العلم بأمور شتى منها ما يمكن ان يدركها من حيث الفكر ومنها ما يجوزها الفكر وان لم يحصل لذلك العقل من الفكر ومنها ما يجوزها الفكر وان كان يستحيل ان يعينها الفكر ومنها ما يستحيل عند الفكر ويقبلها العقل من الفكر مستحيلة الوجود لا يمكن ان يكون له تحت دليل الإمكان فيعلمها هذا العقل من جانب الحق واقعة صحيحة غير مستحيلة ولا يزول عنها أسم الاستحالة ولا حكم الاستحالة عقلا قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا انطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله هذا وهو من العلم الذي يكون تحت النطق فما ظنك بما عندهم من العلم مما هو خارج عن الدخول تحت حكم النطق فما كل علم يدخل تحت العبارات وهي علوم الأذواق كلها فلا أعلم من العقل ولا أجهل من العقل فالعقل مستفيد أبداً فهو العالم الذي لا يعلم علمه وهو الجاهل الذي لا ينهي جهله

السؤال التاسع عشر ومائة ما شراب حبه لك حتى يسكرك عن حبك له الجواب ان أراد باللام الذي في لك وله الأجلية فجوابه مغاير لجوابه إذا كان لا للأجلية إذ يكون المعنى ما شراب حبه إياك حتى يسكرك عن حبك إياه فجواب الوجه الأول والثاني متغاير نقول تغاير التجليات انما كان من حيث ظهوره فيك فوصف نفسه بالحب من أجلك فأسكرك هذا العلم الحاصل لك من هذا التجلي عن ان تكون انت المحب له أي المحب من أجله فلم تحب أحداً من أجله وهو أحب من أجلك فلو زلت انت لم يتصف هو بالمحبة وانت لا تزول فوصفه بالحب لا يزول فهذا جواب يعم الأول والثاني لفريقان بين ما يستحقه الأول منه والثاني دقيق غامض وأما الجواب عن الثاني ان شراب حبه إياك وأسكرك عن حبك إياه مع احساسك بانك تحبه فلم تفرق وهو تجلي المعرفة فالمحب لا يكون عارفاً أبداً والعارف لا يكون محباً أبداً فمن هنا يتميز المحب عن العارف والمعرفة من المحبة فحبه لك مسكر عن حبك له وهو

شراب الخمر الذي لو شربه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الأسراء فأصاب الله به الفطرة التي فطر الله الخلق عليها فاهتدت أمته في ذوقها بربها وهو الحفظ الإلهي والعصمة وعلمت ما لها وما له في حال صحو وسكر فشراب حبه لك هو العلم بان حبك إياه من حبه إياك فغيبك عن حبك إياه فانت محب لا محب "وما رميت إذ رميت لكن الله رمى" وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا مثل هذا البلاء في فنون من المقامات يظهر فيه كما ظهر في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم في رميه التراب في وجوه الأعداء فأثبت انه رمى ونفى انه رمى فعبر عنه الترمذي بالسكر إذ كان السكران هو الذي لا يعقل فان الترمذي كان مذهبه في السكر ولكن من شئ يتقدم هذا السكران قبل سكره من شربه طرب وابتهاج وهو الذي اتخذه غير أبي حنيفة وكان حنفي المذهب في الأصل قبل ان يعرف الشرع من الشارع وهو الصحيح في حد السكر وهو ليس بصحيح فكل مسكر بهذه المثابة فهو الذي يترتب عليه الحكم المشروع فان سكر من شئ لا يتقدم سكره طرب لم يترتب عليه حكم الشرع لا بحد ولا بحكم

السؤال العشرون ومائة ما القبضة الجواب قال الله تعالى والأرض جميعاً قبضته ةالأرواح تابعة للأجسام ليست الأجسام تابعة للأرواح فإذا قبض على الأرواح فانها هياكلها فأخبر ان الكل في قبضته وكل جسم أرض لروحه وما ثم إلا جسم وروح غير ان الأجسام على قسمين عنصرية ونورية وهي أيضاً طبيعية فربط الله وجود الأرواح بوجود الأجسام وبقاء الأجسام ببقاء الأرواح وقبض عليها ليستخرج ما فيها ليعود بذلك عليها فانه منها يغذيها ومنها ما يخرج ما فيها منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى "وقد خلقنا الانسان من سلالة من طين" "ألم نخلقكم من ماء مهين" وهي دخان "فسواهن سبع سموات" فهي من العناصر فهي أجسام عنصريات وان كانت فوق الأركان بالمكان فالأركان فوقهن بالمكانة والله يقبض ويبسط فيقبض منها ما يبسطها بها فلا يعطيها شيأ من ذاته فانها لا تقبله فلا وجود لها إلا بها فالممكنات إلا أقامها الحق من إمكانها كقيامها منها بها والحق واسطة في ذلك مؤلف راتق فاتق كانتارتقا لانه كذا أوجدها بأمكانها ففتقناهما بأمكانهما لو لم يكن الفتق ممكناً لما قام بهما فما أثر في الممكنات إلا الممكنات لكن العمى غلب على أكثر الخلق الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ألا ترى ما هو محال لنفسه هل يقبل شيأ مما يقبله الممكن فبنفسه تمكن منه الواجب الوجود بالإيجاد فأوجده وهذه هي الإعانة الذاتية ألا ترى الحجر إذا رميت به علواً فيقال ان حركته نحو العلو قهرية لان طبيعته النزول إما إلى الأعظم وإما إلى المركز فلو لا ان الطبيعة تقبل الصعود علواً بالقهر لما صعد فما صعد إلا بطبعه أيضاً مع سبب آخر عارض ساعده الطبع بالقبول لما أراد منه فالقبضة على الحقيقة قوله والله بكل شئ محيط ومن أحاط بك فقد قبض عليك لانه ليس لك منفذ مع وجود الإحاطة وإلا فليست إحاطة وما هو محيط وصورة ذلك انه ما من موجود سوى الله من الممكنات إلا وهو مرتبط بنسبة إلهية وحقيقة ربانية تسمى حسنى فكل ممكن في قبضة حقيقية إلهية فالكل في القبضة واعلم ان القبضة تحتوي على المقبوض بأربعة عشر فصلاً وخمسة أصول عن هذه الأربعة عشر فصلاً ظهر نصف دائرة الفلك وهي أربع عشر منزلة وفي الغيب مثلها وهذه الفصول تحوي جميع الحروف إلا حرف الجيم فانها تبرأت منه دون سائر الحروف وما علمنا لمإذا وما أدري هل هو مما يجوز ان يعلم أم لا فان الله تعالى ما نفث في روعنا شيأ ولا رأيته لغيرنا ولا ورد في النبوات فرحم الله عبدا وقف عليه فألحقه في هذا الموضع من كتابي هذا وينسب ذلك إليه لا إلى فتحصل الفائدة بطريق الصدق حتى لا يتخيل الناظر فيه ان ذلك مما وقع لي بعد هذا فان فتح على به حينئذ أذكره انه لي فان الصدق في هذا الطريق أصل قاطع لا بد منه ولاحظ له في الكذب وهذه الخمسة الأصول متفاضلة في الدرجات فأعلاها وأعمها هو العلم وهو الأصل الوسط وعن يمينه أصلان الحياة والقدرة وعن يساره أصلان الإرادة والقول وكل أصل له ثلاثة فصول إلا أصل القدرة فان له فصلين

خاصة وانما سقط عنه الفصل الثالث لان اقتداره محجور غير مطلق وهو قول العلماء وما لم يشأ ان يكون ان لو شاء ان يكون لكان كيف يكون فعلق كونه بلو فامتنع عن نفوذ الأقتدار عليه لسبب آخر فلم يكن له النفوذ وهذا موضع ابهام لا يفتح أبدا ومن هنا وجد في العالم الأمور المبهمة لانه ما من شئ في العالم إلا وأصله من حقيقة إلهية ولهذا وصف الحق نفسه بما يقوم الدليل العقلي على تتريه عن ذلك فما يقبله إلا بطريق الايمان والتسليم ومن زاد فبالتأويل على الوجه اللائق في النظر العقلي وأهل الكشف أصحاب القوة الإلهية التي وراء طور العقل يعرف ذلك كما تفهمه العامة ويعلم ما سبب قبوله لهذا الوصف مع نزاهته بليس كمثله شئ وهذا خارج عن مدارك العقول بأفكارها فالعامة في مقام التشبيه وهؤلاء في التشبيه والتتريه والعقلاء في التتريه خاصة فجمع الله لأهل خاصته بين الطرفين فمن لم يعرف القبضة هكذا فما قدر الله حق قدره فانه ان لم يقل العبد الله ليس كمثله شئ فما قدر الله حق قدره وان لم يقل خلق ان آدم بيده فما قدر الله حق قدره وأين الانقسام من عدم الانقسام وأين المركب من البسيط فالكون يغاير مركبه بسيطه وعدده توحيده وأحديته والحق عين تركيبه عين بسيطة عين أحديته عين

كثرته من غير مغايرة ولا اختلاف نسب وان اختلفت الأثار فعن عين واحدة وهذا لا يصح إلا في الحق تعالى ولكن إذا نسبنا نحن بالعبارة فلا بد ان نغاير كان كذا من نسبة كذا وكذا من نسبة كذالا بد من ذلك للأفهام السؤال الحادي والعشرون ومائة من الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها الجواب الشاردون إلى ذواتهم من مرتبة الوجوب ومرتبة المحال إذ لا يقبض إلا على شارد فانه لو لم يشرد لما قبض عليه فالقبض لا يكون إلا عن شرود أو توقع شرود فحكم الشرود حكم عليه بالقبض فيه استوجبوا ان يقبض عليهم فمنهم من قبض عليه مرتبة الوجوب ومنهم من قبض عليه مرتبة المحال وهنا غور بعيد والأشارة إلى بعض بيانه ان كل ممكن لم يتعلق العلم الإلهي بإيجاده لا يمكن ان يوجد فهو محال الوجود فحكم على الممكن المحال وألحقه به فكان في قبضة المحال وما تعلق العلم الإلهي بإيجاده فلا بد ان يوجد فهو واجب الوجود فحكم على الممكن الوجوب فكان في قبضة الواجب وليس له حكم بالنظر إلى نفسه فما خرج الممكن من ان يكون مقبوضاً عليه أما في قبضة المحال وأما في قبضة الواجب و لم يبقى له في نفسه مرتبة يكون عليها خارجة عن هذين المقامين فلا إمكان فأما محال وأما واجب وأما الغور البعيد فان جماعة قالوا وذهبوا إلى انه ليس في الإمكان شئ إلا ولا بد ان يوجد إلى ما لا يتناهى فما ثم ممكن في قبضة المحال ولا شك انهم غلطوا في ذلك من الوجه الظاهر وأصابوا من وجه آخر فأما غلطهم فما من حالة من الأكوان في عين ما تقتضي الوجود فتوجد إلا ويجوز ضدها على تلك العين كحالة القيام للجسم مع جواز القعود لا نفي القيامة ومن المحال وجود القعود في الجسم القائم في حال قيامه وزمان قيامه فصار وجود هذا القعود بلا شك في قبضة المحال لا يتصف بالوجود أبدا من حيث هذه النسبة لهذا الجسم الخاص وهو قعود خاص وأما مطلق القعود فانه في قبضة الواجب فانه واقع وأما وجه الأصابة فان متعلق الأمكان انما هو في الظاهر في المظاهر والمظاهر محال ظهورها وواجب الظهور فيها والظاهر لا يجوز عليه خلافه فانه ليس بمحل لخلافه وانما المظهر هو المحل وقد قبل ما ظهر فيه ولا يقبل غيره فإذا وجد غيره فذلك ظهور آخر ومظهر آخر فان كل مظهر لظاهر لا ينفك عنه بعد ظهوره فيه فلا يبقى في الأمكان شيء ألا ويظهر إلى مالا يتناهي فان الممكنات غير متناهية وهذا غور بعيد التصور لا يقبل ألا بالتسليم أو تدقيق النظر جداً فانه سريع التفلت من الخاطر لا يقدر على أمساكه ألا من ذاقه والعبارة تتعذر فيه السؤال الثاني والعشرون ومائة ما صنيعه بهم في القبضة الجواب المحض وهو ما هم عليه فهو يرفع ويخفض ويبسط ويقبض ويكشف ويستر ويخفي ويظهر ويوقع التحريش ويؤلف وينفر وصنيعه العام بهم التغيير في الأحوال فانه صنع ذاتي أذ لو لم يغير لتعطل كونه ألهاً وكونه ألهاً نعت ذاتي له فتغيير الصنع في الممكنات

واجب لا ينفك كما انهم في القبضة دائماً السؤال الثالث والعشرون ومائة كم نظرته إلى الأولياء في كل يوم الجواب بعدد ما يغير عليهم الحال من حيث هو متوليهم لا غير وينحصر ذلك في مائة مرة من غير زيادة ولا نقصان ولكن ما دام الولي مظروفاً لليوم وأما نظره للأولياء إذا خرجوا من الأوقات فنظر دائم لا توقيت فيه ولا يقبل التوقيت فانه لا يدخل تحت العدد ولا المغابرة ولا التمييز فإذا دخلوا أو كان حالهم الزمان فمائة مرة وكل مرة يحصل لهم في تلك النظرة ما لا يحده توقت فهو عطاء ألهي من غير حساب ولا هنداز

السؤال الرابع والعشرون ومائة إلى مإذا ينظر منهم الجواب إلى أسرارهم لا إلى ظواهرهم فان ظواهرهم يجريها سبحانه بحسب الأوقات وسرائرهم ناظرة إلى عين واحدة فان أعرضوا أو أطرفوا نقصهم في ذلك الأعراض أو تلك الطرفة ما تقتضيه النظرة وهو أكثر مما نالوه من حين أوجدهم إلى حين ذلك الأعراض قال بعض السادة فيما حكاه القشيري في رسالته لو ان شخصاً أقبل على الله طول عمره ثم أعرض عنه لحظة واحدة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله في عمره وذلك ان الشيء في المزيد وان المتأخر يتضمن ما تقدمه وزيادة ما تعطيه عينه من حيث ما هو جامع فيرى ما تقدم في حكم الجمع وهو يخالف حكم انفراد وحكم جمعه دون هذا الجمع الخاص ومن حيث ما تختص به هذه اللحظة من حيث ما هي لنفسها لا من حيث كونها حضرة جمع لما تقدمها فبالضرورة يفوته هذا الخير فما أشأم الأعراض عن الله وفي هذا يتبين لك شرف العلم فان العلم هو الذي يفوتك والعلم هوالذي تستفيده قال تعالى آمر النبيه عليه الصلاة والسلام " وقل رب زدني علما " فانه أشرف الصفات وانزه السمات

السؤال الخامس والعشرون ومائة إلى مإذا ينظر من الانبياء عليهم السلام الجواب ان أراد العلم فإلى أسرارهم وان أراد الوحي فإلى قلوبهم وان أراد الأبتلاء فإلى نفوسهم ألا ان نظره سبحانه على قسمين نظر بواسطة وهو قوله " نزل به الروح الأمين على قلبك " ونظر بلا واسطة وهو قوله تعالى " فأوحى إلى عبده ما أوحي " فإذا نظر إلى أسرارهم أعطاهم من العلم ما شاء لا غير وهو ان يكشف لهم عنهم انهم به لا بهم فيرونه فيهم ولا يرونهم فيعلمون ما أخفي لهم فيهم من قرة أعين فتقر عيونهم بما شاهدوه ويعلمون ان الله هو الحق المبين بهم في كل نظرة وهو مزيد العلم الذي أمر بطلبه لا علم التكليف فان النقص منه هو مطلوب الانبياء عليهم السلام ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتركوني ماتركتكم وقوله لو قلت نعم لو جبت وما كنتم تطيقونها وإذا نظر إلى قلوبهم قلب الوحي فيهم بحسب ما تقلبوا فيه فلكل حال يتقلبون فيه حكم شرعي يدعوا إليه هذا النبي وسكوته عن الدعوة شرع أي أبقوا على أصولكم وهذا هو الوحي العرضي الذي عرض لهم فان الوحي الذاتي الذي تقتضيه ذواتهم هو انهم يسبحون بحمد الله لا يحتاجون في ذلك إلى تكليف بل هو لهم مثل النفس للمتنفس وذلك لكل عين على الانفراد والوحي العرضي هو لعين المجموع وهو الذي يجب تارة ولا يجب تارة ويكون لعين دون عين وهو على نوعين نوع يكون بدليل انه من الله وهو شرع الانبياء ومنه مالا دليل عليه وهو الناموس الوضعي الذي تقتضيه الحكمة يلقيه الحق تعالى من أسمه الباطن الحكيم في قلوب حكماء الوقت من حيث لا يشعرون ويضيفون ذلك الألقاء إلى نظرهم لا يعلمون انه من عند الله على التعيين لكنهم يرون ان الأصل من عند الله فيسرعونه لمتبعيهم من أهل زمانهم أذ لم يكن فيهم نبي مدلول على نبوته فان هم قاموا بحدود ذلك الناموس ووقفوا عنده ورعوه جازاهم الله على ذلك بحسب ما عاملوه به في الدنيا والآخرة جزاء الشرع المقرر المدلول عليه فما رعوها حق رعايتها فيما أبتدعوه من الرهبانية ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها وان الله يصدق قول واضع الناموس الحكمي كما هو مصدق واضع الناموس الشرعي الحكمي فأما جزاؤه في الدنيا فلا شك ولا خفاء بوقوع

المصلحة ووجودها في الأهل والمال والعرض وأما الآخرة فعلى هذا المجرى وان لم يتعرض إليها صاحب الناموس الحكمي كما انه في ناموس الحكم الألهي ان في الآخرة لنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويحصل لنا من غير تقدم علم به كذلك الحاصل في الآخرة جزاء لعمل الناموس الذي أقتضته الحكمة عند من أبتدعه للمصلحة فان قال في ناموسه قال الله ويكون ممن قد علم انه مظهر وان لا موجود على الحقيقة ألا الله صدق وعفا الله عنه وان كان من أهل الحجاب عن هذا العلم فأمره إلى الله وهو بحسب قصده في ذلك فانه قد يقصد الرياسة وتكون المصلحة في حكم التبع وقد يقصد المصلحة وتكون الرياسة تبعاً وهذا الكلام لا يتصور ألا مع عدم الشرع المقرر بالدليل في تلك الجماعة وذلك المكان خاصة وإذا نظر إلى نفوسهم أبتلاهم بمخالفة أممهم فأختلفوا عليه وأختلفوا فيما بينهم وان أجتمعوا عليه وهذا كله إذا أتفق ان ينظر النبي إلى نفسه ولا بد له من النظر إلى نفسه فان الجلوس مع الله لا تقتضي البشرية دوامه وإذا لم يدم فما ثم ألا النفس فيكون نظره في هذا الحال نظر أبتلاء لان النبي في تلك الحالة صاحب دعوى انه قد بلغ رسالة ربه وكذا ورد ما من نبي ألا وقد قال قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وقال ألاهل بلغت فأضاف التبليغ إليه و لم يقل في هذه الحال قد بلغ الله إليكم بلساني ما قد أسمعكم فلو قال هذا ما أبتلوا ببلاء النفوس وفي هذا الله حكم خفي ليعلم العبد انه محل للتوفيق ونقيضه وانه لا حول ولا قوة ألا بالله على ما أمر به ونهى عنه فالحكم لله العلي الكبير

السؤال السادس والعشرون ومائة كم أقباله على خاصته في كل يوم الجواب أربعة وعشرون ألف أقبال في كل يوم يهبهم في ذلك الأقبال ما شاء ويأخذ منهم في الأقبال الثاني ما كان أعطاهم في الأقبال الأول أما أخذ قبول وأما أخذ رد غير مقبول فان الله قد أمرهم بالأدب في كل ما يلقي إليهم عند أخذهم وكذلك إذا ردوا الأمور إليه يردوها محلاة بالأدب الألهي فذلك داعية القبول الألهي فان أساؤا الأدب في الأخذ والردعاد وبال ذلك عليهم وليسوا عند ذلك بخاصة الله فالخاصة تحضر مع الله أربعة وعشرين ألف مرة في كل يوم وان أردت التحرير في المقال ان لم يكن عندك علم وتخرج من العهدة فقل أقباله على خاصته كل يوم بعدد انفاسهم كانت ما كانت فمن أطلع على توقيت انفاسه علم توقيت أقبال الله عليه في كل يوم فان ذلك النفس من نفس الرحمن فهو عين أقبال الحق عليهم وبه تنورت هيا كلهم فهو في الأجسام ريح وفي اللطائف أرواح جمع روح بفتح الراء وتسكين الواو سكوناً حياً

السؤال السابع والعشرون ومائة ما المعية مع الخلق والأصفياء والانبياء والخاصة والتفاوت والفرق بينها في ذلك الجواب قال الله تعالى "وهو معكم أينما كنتم" فالا لينية إلينا وقال لموسى وهارون "انني معكما أسمع وأرى فنبههما على انه سمعهما وبصرهما تذكرة لهما أو أعلاماً لم يتقدمه علم به عندهما فانه قد صح عندنا في الخبر ان العبد إذا أحبه ربه كان سمعه وبصره الذي يسمع به ويبصر به فالنبي أولى بهذا ممن ليس بنبي وطبقات الأولياء كثيرة ولكن ما ذكر منها إلا ما قلناه فلا نتعدى بالجواب قدر ما سأل فنقول ان المعية تقتضي المناسبة فلا نأخذ من الحق إلا الوجه المناسب لا الوجه الذي يرفع المناسبة ثم اننا أردنا ان نعمم الجواب بتعميم قوله تعالى "أينما كنتم من الأحوال" ولا يخلو موجود عن حال بل لا تخلو عين موجودة ولا معدومة ان تكون على حال وجودي أو عدمي في حال وجودها أو عدمها ولهذا قال تعالى "وهو معكم أينما كنتم" فان قلت قوله كنتم لفظه معناها وجودي فالمعنى أينما كنتم من الوجود فنقول صحيح ولكن من أي الوجوه من الوجود من حيث العلم بكم وما ثم إلا هو أو من حيث الوجود الذي يتصف به عين الممكنات من حيث ما هي مظاهر فحالة منها توصف العين الممكنة بها بالعدم ولهذا نقول كان هذا معدوماً ووجد والكون يناقض العدم مع صحة هذا القول فيعلم عند ذلك ان قوله تعالى أينما كنتم أي على أي حالة تكونون من الوصف بالعدم أو الوجود ثم نقول انه مع الخلق بأعطاء كل شئ خلقا من كونهم خلقا لا غير فينجر معه انه معهم بكل ما تطلبه ذواتهم من لوازمها

ومعيته مع الأصفياء بما يعطيه الصفاء من التجلي فالهم قد وصفهم الهم أصفياء فما هو معهم بالصفاء والأصطفاء وانما هو معهم بما يطلبه الأصطفاء وقدم الخلق فانه مقدم بالرتبة فان الأصطفاء لا يكون إلا بعد الخلق بل هم من الخلق عند الحق بمترلة الصفى الذي يأخذ الامام من المغنم قبل القسمة فذلك هو نصيب الحق من الخلق وما بقي فله ولهم وأما معيته مع الانبياء فبتأييد الدعوى لا بالحفظ والعصمة إلا ان أخبر بذلك في الحق نبي معين فان الله قد عرفناه ان الانبياء قتلتهم أممهم وما عصموا ولا حفظوا فلا بد ان يكون ظرف المعية التأييد في الدعوى لأقامة الحجة على الأمم فانه قال فلله الحجة "البالغة" ولا يكون نبيا حتى يقدمه الأصطفاء فلهذا أخر النبوة عن الأصطفاء فانه ما كل خلق مصطفى وما كل نبي ومعيته مع الخاصة بالمحادثة برفع الوسائط بعد تبليغ ما أمر بتبليغه مثل قوله "ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفوجاً فسبح بحمد ربك واستغفره" من أيام التبليغ انه كان ثوابا أي يرجع إليك الرجوع الخاص الذي يربى على مقام التبليغ فيجتمع هذا كله في الرسول وهو شخص واحد وفي كل مقام أشخاص فيكون الشخص الواحد خلقا مصطفى نبياً خاصا وأما معية الذات فلا تنقال فان الذات مجهولة فلا تعلم نسبة المعية إليها فهو مع الخلق بعلم والطف ومع الأصطفاء بالتوالي ومع الانبياء بالتأييد ومع الخاصة بالمباسطة والانس

السؤال الثامن والعشرون ومائة ما ذكره الذي يقول ولذكر الله أكبر الجواب ذكره نفسه لنفسه بنفسه أكبر من ذكره نفسه في المظهر لنفسه اعلم ان الله ما قال هذا الذكر ووصفه بهذه الصفة من الكبرياء إلا في قوله تعالى "ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" ابناء عن حقيقة لأجل مل فيها من الأحرام وهو المنع من التصرف في شئ مما يغاير كون فاعله مصليا فهي تنهي عن الفحشاء والمنكر ولا تنهى عن غيرها من الطاعات فيها مما لا يخرجك فعله عن ان تكون مصليا شرعاً فيكون قوله "ولذكر الله فيها أكبر أعمالها وأكبر أحوالها إذ الصلاة تشمل على أقوال وأفعال فتحريك اللسان بالذكر من المصلى من جملة أفعال الصلاة والقول المسموع من هذا التحريك هو من أقوال الصلاة وليس في أقوالها شئ يخرج عن ذكر الله في حال قيام وركوع ورفع وخفض إلا ما يقع به التلفظ من ذكر نفسك بحرف ضمير أو ذكر صفة تسئله ان يعطيكهامثل أهدني وأرزقني ولكن هو ذكر شرعاً لله فان الله سمى القران ذكرا وفيه أسماء الشياطين والمغضوب عليهم والمتلفظ به يسمى ذكر الله فانه كلام الله فذكرهم بذكر الله وهذا مما يؤيد قول من قال ليس في الوجود إلا الله فالأذكار أذكار الله ثم انه قوله تعالى "ولذكر الله" هذه الأضافة تكون من كونه ذاكراً ومن كونه مذكورا فهو أكبر الذاكرين وذكره أكبر الإذكار التي تظهر في المظاهر فالذاكرون لم تخرج عنه فان الله قد جعل بعضه أكبر من بعض ثم يتوجه فيه قصد آخر من أجل أسم الله فيقول ولذكر الله بهذا الاسمالذي ينعت ولا ينعت به ويتضمن جميع الاسماء الحسنى ولا يتضمنه شئ في حكم الدلالة أكبر من كل أسم تذكرة به سبحانه من رحيم وغفور ورب وشكور وغير ذلك فانه لا يعطى في الدلالة ما يعطي الاسم الله لوجود الأشتراك في جميع الاسماء كلها هذا إذا أخذنا أكبر بطريق أفعل من كذا فان لم نأخذها على أفعل من كذا فيكون أخباراً عن كبر الذكر من غير مفاضلة بأي أسم ذكر وهو أولى بالجناب الإلهي وان كانت الوجوه كلها مقصودة في قوله تعالى "ولذكر الله أكبر" فانه كل وجه تحتمله كل آية في كلام الله من فرقان وتوراة وزبور وانجيل وصحيفة عند كل عارف بذلك اللسان فانه مقصود لله تعالى في حق ذلك المتأول لعلمه الإحاطي سبحانه بجميع الوجوه وبقي عليه في ذلك الكلام من حيث ما يعلمه هو فكل متأول مصيب قصد الحق بتلك الكلمة هذا هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتريل من حكيم حميد على قلب من اصطفاه الله به من عباده فلا سبيل إلى تخطئة عالم في تأويل يحتمله اللفظ فان مخطئه في غاية من القصور في العلم ولكن لا يلزمه القول به ولا العمل بذلك التأويل إلا في حق ذلك المتأول خاصة ومن قلده

السؤال التاسع والعشرون ومائة قوله تعالى "فاذكروني أذكركم" ما هذا الذكر الجواب هذا ذكر الجزاء الوفاق قال تعالى "جزاء وفاقا" فذكر الله في هذا الموطن هو المصلى عن سابق ذكر العبد قال تعالى "هو الذي يصلي عليكم" أي يؤخر ذكره عن ذكركم فلا يذكركم حتى تذكروه ولا تذكرونه حتى يوفقكم ويلهمكم ذكره فيذكركم بذكره إياكم فتذكروه به أو بكم فيذكركم بكم وبه بالواو لا بأو فان له الذكرين معاً وقد لبعض العلماء الذكران معاً وقد يكون الذكر الواحد دون الآخر في حق بعض الناس وتختلف أحوال الذاكرين منا فمنا من يذكره في نفسه وهم على طبقات طبقة تذكره في نفسها والضمير من النفس يعود على الله من حيث الهو وشخص يذكره في نفسه والضمير يعود على الشخص وشخص يذكره في نفسه والضمير يعود على الله من حيث ما هو خالقها لا من حيث ما هي نفسه من كونها ظاهرة في مظهر خاص فإذا ذكره كل شخص من هؤلاء أما بوجه واحد من هذه الوجوه أو بكل الوجوه فان الله يذكره في نفسه وقد يكون قوله ذكرته في نفسي عين ذكر هذا العبد ربه نفسه من حيث ما هو الضمير يعود على الله من نفسه من حيث ما هي نفسه عينا لا من حيث ما هي نفسه خلقا فيكون عين ذكر العبد هو عين ذكر الحق كما قلنا في قوله "ومكروا ومكر الله" وهو عين مكرهم عين مكر الله بهم لا انه استانف مكرا آخر ويؤيده أيضاً بقوله ذكرته في نفسي يريد نفس العبد مضافة إلى الله من حيث ما هي ملك له خلقا وايجادا ويريد أيضاً ذكرته في نفسي نفس الحق لا من حيث الوجه الذي ذكر به العبد من حيث نفسه نفس الحق وهو الوجه الأول فهذه أحوال ذكر النفس بالجزاء الوفاق في كل وجه والحالة الثانية ان يذكره في ملأ فيذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ وقد يكون عين ذلك الملأ وتكون الخيرية بالحال فحال ذلك الملأ في ذكر هذا العبد لله دون حال ذلك الملأ في ذكر الله فيهم لهذا العبد فهو في هذه الحال خير منه في حال ذكر العبد والملأ واحد كما تتشرف الجماعة بالملك إذا كان فيها على شرفها إذا لم يكن الملك فيها وعين الجماعة واحدة فهي خير منها ولكن بشرط ان يكون كل واحد من ذلك الملأ حاله الكشف ان الله قد ذكر هذا العبد فيهم وهم يسمعون ذكر الله إياه كما سمعوا ذكر هذا العبد ربه فحينئذ يكون الشرف في الملأ الواحد يتفاضل والوجه الآخر ان يكون الملأ مغايراً لذلك الملأ فيكون خيرة على هذا الملأ أما بكون الحق أسمعهم ذكره عبده وهو فيهم أو يكون خيره لأمر آخر تقتضيه مرتبته عند الله أما نشأة أو حالا أو علما وهذه أمور ان تأملتها انفتح لك منها علوم جمة من العلم الإلهي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل السؤال الثلاثون وما معنى الاسم الجواب أمر يحدث عن الأثر أو أمر يكون عنه الأثر أو منه ما يكون عنه الأثر ومنه ما يحدث عن الأثر إذا لم ترد به المسمى فان أردت به المسمى فمعناه المسمى كان ما كان مركباً تركيباً معنوياً أو حسياً أو غير مركب معنوياً أو حسياً كلفظة رحيم أي ذات رحمة فالمسمى بهذه التسمية هي عين تلك النسبة الجامعة بين ذات ورحمة حتى جعل عليها من هذه النسبة أسم فاعل وان كانت التسمية جامدة لا يعقل منها غير الذات فليست بمركبة تركيباً معنوياً فقد تكون هذه الذات مفردة معنى وفي نفسها وقد تكون مركبة حساً مثل انسان تحته مركب حسي ومعنوي والاسم والرسم عند بعض أصحابنا نعتان يجريان في الأبد على حكم ما كان عليه أزلاً وفرق بين الاسم والرسم وسيأتي ذكرهما في شرح معاني ألفاظ أهل الله من هذا الباب فانه يطلبها السؤال الحادي والثلاثون ومائة ما رأس أسمائه الذي استوجب منه جميع الاسماء الجواب الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع وفيه الحي القيوم ولا بد فان قلت فهو الاسم الله قلت لا أدري فانه يفعل بالخاصية وهذه اللفظة انما تفعل بالصدق إذا كانت صفة للمتلفظ بها بخلاف ذلك الاسم ولكن الظاهر من مذهب الترمذي ان رأس الاسماء الذي استوجب منه جميع الاسماء انما هو الانسان الكبير وهو الكامل وإذا كان هذا فهو الأول في طريق القوم ان يشرح به رأس الاسماء فان آدم علمه الله جميع الاسماء كلها من ذاته ذوقاً فتجلى له تجلياً كلياً فما بقي أسم

في الحضرة الإلهية إلا ظهر له فيه فعلم من ذاته جميع أسماء خلقه

السؤال الثاني والثلاثون ومائة ما الاسم الذي أبهم على الخلق الأعلى خاصته الجواب هذا الاسم الذي استوجب منه جميع الاسماء وان شئت قلت هو أسم مركب من عشرين وثلاثين بينهما أحد وأربعون حسا ومعنى وقد يتركب حساً لا معنى من ثمانية وثمانين ومائتين وستة عدداً فإذا جمعتها على وجه مخصوص من غير اسقاط الستة كان أسماً مركباً وان اسقطت الستة كان أسم غير مركب ولا ينبغي ان يوضح في العامة ما أبهمه الحق على خلقه وخص به خاصته فان هذا من غاية سوء الأدب وما أظن الترمذي قصد بهذا السؤال طلب الشرح والإيضاح لمعناه وانما قصد اختبار المسؤل انه ان كان من أهل الله لا يوضحه فان أوضحه فيكون قد تلقاه من أحد غلطا ممن تلقاه لقرينه حال وذكاء فيه وأما أهل الله فعندهم من الأدب الإلهي ما يمنعهم ان يستروا ما كشف الله أو يكشفوا ما ستره الله السؤال الثالث والثلاثون ومائة بما نال صاحب سليمان عليه السلام ذلك وطوى عن سليمان عليه والسلام الجواب بجمعيته وتلمذته ليعرف الشيخ بما حصل عنده وبسببه وطوى عن سليمان بوجوده في محل التبديد في الوقت فان الحكم للوقت ووقته انه رسول فهو صاحب وجود مصروف العين إلى من أرسل إليه وصاحبه في جمعيته على أمر واحد متحقق بها فظهر بما طوى عن سليمان العمل به تعظيماً لقدر سليمان عليه السلام عند أهل بلقيس وسائر أصحابه وما طوى عن سليمان العلم به وانما طوى عنه الأذن في التصرف به تنزيهاً لمقامه السؤال الرابع والثلاثون ومائة ما سبب ذلك الجواب اعلام الغير بان التلميذ التابع إذا كان أمره بهذه المثابة فما ظنك بالشيخ فيبقى قدر الشيخ مجهولا في غاية التعظيم فلو ظهر على سليمان لتوهم ان هذا غايته ولا شك ان مشهد سليمان في ذلك الوقت والله أعلم كان مشهد أدب لا يريد ان يكون عنه شرك في التصرف كما قال أبو السعود أعطيت التصرف وتركته تظرفاً في حكاية طويلة والغرض للنبي انما هو الدلالة وظهورها على يد صاحبه أتم في حقه إذا كان هذا التابع مصدقا به وقائماً في خدمته بين يديه تحت أمره ونهيه فيزيد المطلوب رغبة في هذا الرسول إذا رأى بركته قد عادت على تابعيه فيرجوا هذا الداخل ان يكون له بالدخول في أمره ما كان لهذا التابع والنفس مجبولة على الطمع وحب الرياسة والتقدم السؤال الخامس والثلاثون ومائة مإذا أطلع من الاسم على حروفه أو معناه الجواب على حروفه دون معناه فانه لو وقف على معناه لمنعه العمل به كما منع سليمان ألا ترى إلى قوله تعالى في صاحب موسى فانسلخ منها فكانت عليه كالثوب وهو مثل الحرف على المعنى فعمل بها في غير طاعة الله فأشقاه الله وصاحب سليمان عمل به في طاعة الله فسعد وما وقف على معناه من الأمم الخالية سوى الرسل والانبياء فانهم وقفوا على معناه وحروفه إلا هذه الطائفة المحمدية فانهم جمع لبعضهم بين حروفه ومعناه ولبعضهم أعطى معناه دون حروفه وليس في هذه الأمة من أعطى حروفه دون معناه وكذلك صاحب الأخدود أعطى حروفه دون معناه فانه تلقاه من الراهب كلمات كما ورد وهي الكلمات التي ذكرناها في السؤال الثاني والثلاثين ومائة

السؤال السادس والثلاثون ومائة أين باب هذا الاسم الخفي على الخلق من أبوابه الجواب بالمغرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة وعليه تطلع الشمس من المغرب عندما يسد باب التوبة ويغلق فلا ينفع نفساً إيمانها ولا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان والمؤمن لا يغلق له باب وكيف يغلق دونه وقد جازه وتركه وراءه فمن عناية المؤمن غلقه حتى لا يخرج عليه بعدما دخل منه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك فانه ليس له باب يخرج منه فغلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبالاً بالكافر وجعله الله بالمغرب لانه محل الأسرار والكتم وهو سر لا يعلمه إلا أهل الأختصاص فلو كان هذا الباب بالشرق لكان ظاهراً عند العام والخاص ووقع به الفساد في العموم وهذا يناقض ما وجد له العالم من الصلاح وقد جاء في جانب

الشرق من الذم ما جاء والشرق بمترلة الخروج من الدنيا وهي دار الأبتلاء للعام والخاص والغرب بمترلة الخروج من الدنيا والدخول إلى الآخرة فانه انتقال إلى دار التمييز والبيان ومعرفة المنازل والمراتب على ما هي عند الله تعالى فيعلم السعيد سعادته والشقي شقاوته فيظهر عند ذلك عين هذا الاسم الخفي لجميع الخلق ويحرمون الدعاء به لشغلهم بما هم فيه من الهول فيعظم في قلوبهم شدة الهول بحيث ان يظنوا انه ما ثم دعاء يرد ما هم فيه ولو وفقوا للدعاء به لسعدوا فسبحان القدير على ما يشاء السؤال السابع والثلاثون ومائة ما كسوته الجواب حال الداعي به المعنوي وكسوته على الحقيقة حروفه إذا أخذت الاسم من طريق معناه فان أخذته من طريق حروفه فحينئذ يكون كسوته حال الداعي به فإذا أقيم في شاهد الحس في التخيل أو الخيال فيكون كسوته الثوب السابغ الأصفر يلتوي فيه فانه غير مخيط ألا ترى بقرة بني اسرائيل صفراء فاقع لونها لاشية فيها فحي بها الميت وهو أعظم الآثار احياء الموات حياة الايمان وحياة العلم وحياة الحس وأعظم أثره في زمان الشتاء إذا وقع فيه شهر صفر في أول الشتاء إلى انتصافه فهو أسرع أثراً منه في باقي الأزمنة وباقي الشهور ويكون الثوب صوفاً أو شعر أو وبر إلا غير ذلك والريش منه وانما قلنا هذا لانه قد يظهر لقوم بنوع من انواع ما ذكرناه من هذه الانواع التي تلبس فلو ظهر في نوع واحد لعرفناكم به واقتصرنا عليه وقال بعضهم رأيت كسوته جلدا أصفر قد صفر بورس أو زعفران وهكذا رآه الحسين بن منصور ولكن لم يكن سابغ الثوب وانما ستر بعض أعضائه ستر منه قدر ستة أذرع لا غير السؤال الثامن والثلاثون ومائة ما حروفه الجواب الألف ولام الألف والواو والزاي والراء والدال والذال فإذا ركبت التركيب الخاص الذي تقوم به نشأة هذا الاسم ظهر عينه ولونه وطوله وعرضه وقدره وانفعل عنه جميع ما توجهه عليه هكذا هو عند الطائفة في الواقعة ولا تنقل عني اني أعلمه لما ذكرت فيه هذا لا يلزم فقد ننقل من الواقعة والكشف جميع ما سطرته ولا يلزم ان أكون به عالماً وانما قلت هذا لئلا يتوهم انى ما ذكرته إلا عن علم به ولكن مطلي من الحق العبودة المحضة التي لا تشوبها ربوبية لا حساً ولا معناً

السؤال التاسع والثلاثون ومائة والحروف المقطعة مفتاح كل إسم من أسمائه فأين هذه الاسماء وانما هي ثمانية وعشرون حرفاً فأين هذه الحروف الجواب لانه يفتح الحرف الواحد من الاسماء الإلهية أسماء كثيرة لا يحصرها عدد وذلك لانه انما يفتح أسماء الاسماء التي تتركب من الحروف بحكم الأصطلاح وقد ثبت ان الحق متكلم فقد سمى نفسه من كونه متكلماً بالكلام الذي نسب إليه ويليق به وهذه الاسماء التي تظهر عن الحروف أسماء تلك الاسماء فلو ان الحرف الواحد يفتح أسم واحداً لكان كما قلت من التعجب ألا ترى في الاسماء المحفوظه في العموم كالملك والمصور المان والمنان والمقتد والمحيي والمميت والمقيت والمالك والمليك والمقدم والمؤخر والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمغني والمعز والمذل فهذا حرف واحد افتتحنا به كذا كذا إسماً إلهياً مع انا لم نستوف ثم لتعلم ان كل إسم في العالم هو إسمه لا إسم غيره فانه إسم الظاهر في المظهر وليس في وسع المخلوقين حصرها ولا احصائها وجميعها مفاتيحها هذه الحروف على قلتها ولك في اختلاف اللغات أعظم شاهد وأسد دليل ان فهمت مقصود القوم وإما قوله فأين هذه الحروف فقل له في عوارض الانفاس تعرض للنفس الرحماني ما يحدث عين الحرف ويعرض للحروف ما يحدث الاسماء فأينية الاسماء في الحروف وأينية الحروفالانفاس وأينية الانفاس الأرواح وأينية أرواح القلوب وأينية القلوب عندية مقلبها وأسماء الحق لا تتعدد ولا تتكثر إلا في المظاهر وأما بالنسبة إليه فلا يحكم عليها العدد ولا أصله الذي هو واحد فأسماؤه من حيث هو لا تتصف بالوحدة ولا بالكثرة فسؤال الامام انما هو عن الاسماء التي يقع بها التلفظ في عالم الحروف اللفظية ويقع بها الرقم في عالم الكتابة فتارة يراعى الرقم وتارة يراعى اللفظ وأما غيره فيجعل حروفاً توالت وهي الحروف الفلكية وهي ما يضبطه الخيال من سماع المتلفظ بها أو ابصار الكاتب

إياها السؤال الأربعون ومائة كيف صار الألف مبتدأ الحروف الجواب لان له الحركة المستقيمة وعن القيومية يقول كل شئ فان قلت انما يقع التكوين بالحركة الأفقية فانه لا يقع إلا بمرض والمرض ميل ألا ترى إلى القائلين بحكم العقل كيف جعلوا موجود العالم علة العلل تناقض القيومية فلنقل انما وقع الوجود بقيومية العلة فانه لكل أمر قيومية فافهم فقيومية الإلوهية تطلب المألوه بلا شك أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وما ثم ما يناسب الألف إلا الحرف المركب وهو اللام فانه مركب من ألف ونون فلما تركب حدث اللام الرقمي لا اللفظي فلام اللفظ صورته في الرقم مركب من حرفين فيفعل بالتلفظ فعل الواحد وهو عينه ويفعل بالنقش فعل الألف والنون وهكذا كل حرف مركب ويفعل فعل الراء والزاي ببعد كما يفعله النون بقرب لان النون حرف مركب من زاي وراء وأريد حروف الرقم فابتدؤا بالألف في الرقم لما ذكرناه وانفتحت فيه أشكال الحروف كلها لان أصل الأشكال الخط كما ان أصل الخط النقطة والخط هو الألف فالحروف منه تتركب وإليه تنحل فهو أصلها وأما الحروف اللفظية فالألف يحدثها بلا شك كما يظهر الألف عن الحروف إذا أشبعته الفتح فانه يدل على الألف كما انك إذا أشبعت الحرف الضم دل على ألف الميل وهو واو العلة وانما ظهر عن الرفع المشبع لان العلة أرفع من المعلول فما ظهر عن الحرف إلا بصفة الرفع البالغ ليعلم انه وان مال فانه ما مال إلا عن رفعة رحمة بك ليوجدك مظهراً لخالقك ألا تراه في حرف الإيجاد كيف جاء برفع الكاف المشبع فقال انما قولنا لشئ إذا أرادناه ان نقول له كن فجاء بالكاف مشبعة الضم لتدل على الواو فان قلت وأين الواو قلنا غيب في السكون الذي هو الثبوت فان الحق يستحيل عليه الحركة فلما إلتقى سكون الواو من كون وسكون النون اتصفت الواو وظهرت النون على صورة الواو وفي السكون وهو التبوت كقوله خلق آدم على صورته فأثبت الاسماء بوجود النون في كن أي ما ثم كائن حادث إلا عند سبب فلا يرفع الأسباب إلا جاهل بالوضع الإلهي ولا يثبت الأسباب إلا عالم كبير أديب في العلم الإلهي فعن الحروف اللفظية يوجد عالم الأرواح وعن الحروف الرقمية يوجد عالم الحس وعن الحروف الفكرية يوجد عالم العقل في الخيال ومن كل صنف من هذه الحروف تتركب أسماء الاسماء

السؤال الحادي والأربعون ومائة كيف كرر الألف واللام في آخره الجواب هذا يختص بحروف الرقم المناسب المزدوج وهو نظم ا ب ت ث لا حروف وضع أبجد فان لام ألف ما ظهر إلا في نظم ا ب ت ث فانه ناسب بين الحروف لتناسبهافي الصورة بخلاف وضع أبجد وذلك لان اللام كسوة الألف وجنته فانه مستور فيها بالنون الملصقة به الذي تمم وجود اللام وجعلها في آىخر النظم ليس بعدها إلا الياء لانه ظهر في عالم التركيب وهو آخر العوالم وجاء بعده بالياء فانه لها السفل إذ كانت انما حدثت من أشباع حركة الخفض والخفض سفل والسفل آخر المراتب فكان تنبيهاً أجرى على خاطر الواضع لهذه الحروف وربما لم يقصد ذلك ونحن انما ننظر في الأشياء من حيث ان الباري واضعها لا من حيث يد من ظهرت منه فلا بد من القصد في ذلك والتخصيص فشرحنا لكون الحق هو الواضع لها لا غيره ولما كانت الأولية للألف انبغى ان تكون له الآخرية وكما له الظاهر في أول الحروف انبغى ان يكون له الباطن في آخر الحروف ليجمع بين الأول والآخر والظاهر والباطن والياء هي ألف الميل في عالم الحس الذي هو العالم الأسفل لحدوثها عن الخفض لتدل على الألف التي في لام الألف ولتدل على السبب الذي في شكل اللام إذا انفردت فإذا عانقت الألف صغرت النون في الإلتواء وقابل الألف التي في اللام الألف التي في لام الألف حتى لا يكون يقابله إلا نفسه فقابل الألف الألف وربطت النون بينهما وهو ألف سر العبد الذي تألف لربه وهو من باب الإمتنان الإلهي قال الله تعالى ممتناً على عبده "لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم" ولم يقل بين قلوبهم ولا بينها فجاء بهاء الهوفي بينهم وجعل ميم الجمع

ستراً عليه ليدل على ما ينسب إليه من الجمعية من حيث كثرة الاسماء له تعالى والمراد انه سبحانه ألف بين قلوب المؤمنين وبينه لانهم ما اجتمعوا على محمد صلى الله عليه وسلم إلا بالله ولله فبه تألفوا لتألف محمد صلى الله عليه وسلم به فافهم لمإذا كرر لام الألف في نظم تناسب الحروف وهو نظم اب ت ث السؤال الثاني والأربعون ومائة من أي حساب صار عددها ثمانية وعشرين حرفاً الجواب لانها انما ظهرت أعيان الحروف في العالم العنصري وفي عنصر الهواء سلطانها كما ان التراب والماء للأجسام الحيوانية كما ان عنصر النار للجان والعالم العنصري انما نسب إلى العناصر لانها السبب الأقرب والعناصر انما حدثت عن حركات الأفلاك وحركات الأفلاك انما قطعت ثمانياً وعشرين منزلة في الفلك الذي قطعت فيه والعالم انما صدر من نفس الرحمن لانه نفس به عن الاسماء لما كانت تجده من عدم تأثيرها والنفس مناسب لعنصر الهواء فتشكلت المنازل الفلكية في الهواء العنصري لما ظهرت العناصر فلما جاء حكمه فيما تولد عن العناصر من المولات ظهرت في أكمل نشأة المولدات وهو الانسان صور الحروف ثمانية وعشرين حرفاً عن ثمان وعشرين منزلة والحق فيها لام الألف خطأ لينبه على القاطع في هذه المنازل وهي الكواكب السيارة فكما عمت المنازل بقوتها وتقطع فيها إيجاد الكائنات والحوادث كذلك أوجدت هذه الحروف جميع الكلمات التي لا نهاية لها دنيا وآخرة فقد بان لك على التقريب لم كانت ثمانية وعشرين حرفاً فمن تمكن له ان يضيع قلما على شكل المنازل في طالع مخصوص وتكون الدراري في عقدة الرأس فانه يكون عن ذلك القلم متى كتب به عجائب في سرعة ظهور ما يكتب له في أي شئ كان حتى لو كتب به كاتب دعاء أجيب ذلك الدعاء و لم يتوقف

السؤال الثالث والأربعون ومائة ما قوله خلق آدم على صورته الجواب اعلم انه كل ما يتصور المتصور فهو عينه لا غيره فانه ليس بخارج عنه ولا بد للعالم ان يتصوراً للحق على ما يظهر عينه والانسان الذي هو آدم عبارة عن مجموع العالم فانه الانسان الصغير وهو المختصر من العالم الكبير والعالم ما في قوة انسان حصره في الأدراك لكبره وعظمه والانسان صغير الحجم يحيط به الادراك من حيث صورته وتشريحه وبما يحمله من القوى الروحانية فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه مما سوى الله فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الإلهي التي أبرزته وظهر عنها فارتبطت به الاسماء الإلهية كلها لم يشذ عنه منها شئ فخرج آدم على صورة الاسم الله إذ كان هذا الاسم يتضمن جميع الاسماء الإلهية كذلك الانسان وان صغر جرمه فانه يتضمن جميع المعاني ولو كان أصغر مما هو فانه لا يزول عنه إسم الانسان كما جوزوا دخول الجمل في سم الخياط وان ذلك ليس من قبيل المحال لان الصغر والكبر العارضين في الشخص لا يبطلان حقيقته ولا يخرجانه عنها والقدرة صالحة ان تخلق جملاً تكون من الصغر بحيث لا يضيق عنه سم الخياط فكان في ذلك رجاء لهم ان يدخلوا جنة النعيم كذلك الانسان وان صغر جرمه عن جرم العالم فانه يجمع جميع حقائق العالم الكبير ولهذا يسمى العقلاء العالم انساناً كبير و لم يبقى في الإمكان معنى إلا وقد ظهر في العالم فقد ظهر في مختصره والعلم تصور المعلوم والعلم من صفات العالم الذاتية فعلمه صورته وعليها خلق آدم فآدم خلقه الله على صورته وهذا المعنى لا يبطل لو عاد الضمير على آدم علماً والصورة الآدمية حساً مطابقة للصور ولا يقدر يتصور هذا إلا بضرب من الخيال يحدثه التخيل وأما نحن وأمثالنا فنعلمه من غير تصور ولكن لما جاء في الحديث ذكر الصورة علمنا ان الله انما أراد خلقه على الصورة من حيث انه يتصور لا من حيث ما يعلمه من غير تصور فاعتبر الله تعالى في هذه العبارة التخيل وإذا أدخل سبحانه نفسه في التخيل فما ظنك بما سوى الحق من العالم صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل الإحسان ان تعبد الله كانك تراه فهذا تتريل خيالي من أجل كاف التنبيه وانظر من كان السائل ومن كان المسؤل ومرتبتهما من العلم بالله و لم يكن بأيدينا إلا الأخبار الواردة بالتزول والمعية واليدين واليد والعين

والأعين والرجل والضحك وغير ذلك مما ينسب الحق إلى نفسه وهذه صورة آدم قد فصلها في الأخبار وجمعها في قوله "خلق الله آدم على صورته" فالانسان الكامل ينظر بعين الله وهو قوله "كنت بصره الذي يبصر به" الحديث كذلك يتبشبش بتبشبش الله ويضحك بضحك الله ويفرح بفرح الله ويغضب بغضب الله وينسى بنسيان الله قال تعالى "نسوا الله فنسيهم" وينسب جميع ما ذكرناه إلى كل ذلك بحسب ما تقتضيه مع علمنا بحقيقة كل صفة فان كانت الذات المنسوب إليها معلومة علم صورة نسبة هذا المنسوب وان جهلت الذات المنسوب إليها كانت بنسبة هذا المنسوب أجهل فهذا الوجه الذي يليق بجواب سؤال هذا السيدفلو سأل مثل هذا السؤال فيلسوف اسلامي أجبناه بان الضمير يعود على آدم أي انه لم ينتقل في أطوار الخلقة انتقال النطفة من ماء إلى انسان خلقاً بعد خلق بل خلقه الله كما ظهر و لم ينتقل أيضاً من طفولة إلى صبى إلى شباب إلى كهولة ولا انتقل من صغر جرم إلى كبره كما ينتقل الصغير من الذرية بهذا إيجاب مثل هذا السائل فلكل سائل جواب يليق به

السؤال الرابع والأربعون ومائة ليتمنين أثنا عشر نبياً ان يكونوا من أمتي الجواب لما كانت أمته خير الأمم وعندها زيادة على الانبياء الأمم باتباعهم سنن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم ما اتبعوه لانهم تقدموه وليس حيرا من كل أمة إلا نبيها ونحن خير الأمم فنحن الانبياء في هذه الخيرية في سلك واحد منخرطين لانه ما ثم مرتبة بين النبي وأمته ومحمد خير من أمته كما كان كل نبي خيراً من أمته فهو صلى الله عليه وسلم خير الانبياء فهؤلاء إلا اثنا عشر نبيا ولدوا ليلاً وصاموا إلى ان ماتوا وما أفطروا نهار مع طول أعمارهم سؤالاً ورغبة ورجاء ان يكونوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلهم ما تمنوا وهم من أحبوه يوم القيامة فيأتي النبي يوم القيامة وفي أمته النبي والأثنان والثلاثة ويأتي محمد صلى الله عليه وسلم وفي أمته انبياء اتباع وانبياء وا هم انبياء اتباع فيتبع محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أصناف من الانبياء وهذه مسئلة أعرض عن ذكرها أصحابنا لما فيها مما يتطرق إلى الأوهام الضعيفة من الأشكال وجعلهم الله اثنى عشر كما جعل الفلك الأقصى اثنى عشر برجاً كل برج منها طالع نبي من هؤلاء الاثني عشر لتكون جميع المراتب تتمنى ان تكون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الاسم الظاهر ليجمعوا بينه وبين ما حصل لهم من إسمه الباطن إذ كان كل شرع بعثوا به من شرعه عليه السلام من إسمه الباطن إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين فقول تعالى له "أولئك الذين هدى الله " فبهداهم اقتده وما قال بهم إذ كان هداهم هداك الذي سرى إليهم في الباطن من حقيقتك فمعناه من حيث العلم إذا اهتديت بهداهم فهو اهتداؤك بهديك لان الأولية لك باطناً والآخرية لك ظاهراً والأولية لك في الآخرية ظاهراً وباطناً السؤال الخامس والأربعون ومائة ما تأويل قول موسى اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجواب لما عرف موسى ان الانبياء في النسبة إلى محمدنسبة أمته إليه وان نسبة أمته إليه من إسمه الظاهر والباطن ونسبة الانبياء إليه من إسمه الباطن أراد موسى ان يجمع الله له بين الاسمين في شرعه ثم انه لما علم انه تبع و لم يشك أراد إقامة جاهة عند محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الرسل إذ كان التباهي يوم القيامة بالتكاثر بالأمم والأتباع وليس في الرسل أكثر أتباعاً من موسى عليه السلام كما أخبر صلى الله عليه وسلم في الصحيح حين رأى سواد أعظم فسأل فقيل له هذا موسى وأمته وقد قال صلى الله عليه وسلم انه سيد الناس يوم القيامة والسيد لا يكاثر فإذا كان موسى بدعائه من أمة محمد في الدرجة الظاهرة وباطنه مثل ما نحن زاد هو وأمته في سوادنا بلا شك وما قال عليه السلام اني مكاثر بكم الأمم إلا في أمم لم يكن نبيها مجموع الاسمين اللذين دعا الله موسى ان يكونا له فكل من جمع بينالاسمين حشر معنا في أمته صلى الله عليه وسلم فيباهي موسى بأمته سائر الانبياء الذين حشروا معنا فيكونون معه بمنزلة الأمراء المقدمين على العساكر فأكبرهم أميراً أكثرهم جيشا وأكثرهم جيشاً أعظمهم قدرا وحرمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الترمذي

انه يكون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هو أضل من أبي بكر الصديق عندما يرى انه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فانه معلوم ان عيسى عليه السلام أفضل من أبي بكر وهو من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومتبعيه وانما ذكرناه لكون الخصم يعلم انه لا بد ان يترل في هذه الأمة في آخر الزمان ويحكم بسنة محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما حكم الخلفاء المهديون الراشدون فيكسر الصليب ويقتل الختزير ويدخل بدخوله من أهل الكتاب في الأسلام خلق كثير أيضاً

السؤال السادس والأربعون ومائة ان لله عباد ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون بمقاماتهم وقربهم إلى الله تعالى الجواب يريد ليسوا بانبياء تشريع ولكنهم انبياء علم وسلوك اهتدوا فيه بهدى انبياء التشريع وقد ذكرنا مقامهم ومعنى النبوة وتفاصيلها في هذا الباب وفي غيره من هذا الكتاب غير انهم ليس لهم أتباع لوجهين الواحد لغنائم في دعائهم إلى الله على بصيرة عن نفوسهم فلا تعرفهم الأتباع وهم المسودون الوجه في الدنيا والآخرة من السود عند الرسل والانبياء والملائكة ومن السواد لكونهم مجهولين عند الناس فلم يكونوا في الدنيا يعرفون ولا في الآخرة يطلب منهم الشفاعة فهم أصحاب راحة عامة في ذلك اليوم والوجه الآخر انهم لما لم يعرفوا لم يكن لهم أتباع فإذا كان في القيامة جاءت الانبياء خائفة يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم لا على انفسهم وجاء غير الانبياء خائفين يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم إذ لم يكن لهم أمم وفيهم قال الله تعالى "لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون" ان يرتفع الحزن والخوف فيه عنكم في حق انفسكم وحق الأمم إذ لم تكن لكم أمة ولا تعرفتم لأمة مع انتفاع الأمة بكم ففي هذا الحال تغبطهم الانبياء المتبعون أولئك المهيمون في جلال الله العارفون الذين لم تفرض عليهم الدعوة إلى الله انتهى الجزء التسعون